

اسلاميّة ثقافيّة شهريّة

العدد السابع والثلاثون — السنة الرابعة — غرة محرم ١٣٨٨ هـ — مارس ١٩٦٨ م



حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بعد أن أدى صلاة عيد الاضحى المبارك في جامع السوق الكبير ، يلتف حول سموه عدد من المصلين .

صورة الغلاف



منظر فريد للمسجد النبوى من الداخل ويبدو فيه ايوان المحراب بعقوده وأعمدته الجميلة وتعلوه القبة الخضراء بينما يبدو فى مقدمة الصورة صحن المسجد الواسع وأعمدة البناء الجديد .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع والثلاثون

ــ السنة الرابعة ــ

غرة محرم سنة ١٣٨٨ هـ

مارس سنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخليج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

مع العام الهجرى الجديد

للأستاذ: عبد الرحمن عبد الله المحجم
وكيل الوزارة

ان لكل امة فى ماضيها حوادث بارزة ، ومواقف حاسـمة ، تملى على تلك الامة لونا من السلوك ، يتمم ما بدأته الاجيال السابقة ، وينسـج على منوالها ، وهذه ناحية مشتركة فى الامم ، ثم يتميز بعدئذ بعضها عن الآخـر ، بحسب وضوح ذلك الماضى واشراقه ، أو عماوته وظلامه ، وتأخذ منه ايحاءات العزة والمجد ، أو تتوارى من سوء ما زخر به من انحطاط وتخلف .

وأمتنا الاسلامية فى طليعة الامم التى تملك ماضيا مزدهرا ، وتعى ذاكرتها أكبر نسبة عرفها التاريخ من الصفحات المشرقة المفعمة بالمجـد والسؤدد . ويظهر ذلك بصورة أكمل فى الرعيل الاول الذى عاش ولادة النهضة ، وكـان وقودها وشعلة ضيائها الذى انتشر فى ربوع المعمورة ..

وان اروع تلك المواقف الفذة فى تاريخ أمتنا الاسلامية حادثة الهجرة التى قام بها النبى عليه السلام والفئات الاولى من أصحابه نجاة بدينهم من الاضطهاد والايذاء وبحثا عن التربة الصالحة لغرسة الاسلام ، واسعادا بهديه الامم التى تقدره وتتطلع اليه ، وذلك ما حدث لمجتمع المدينة دار الهجرة والنصرة .

ومع كل عام هجرى يتجدد ، تتوارد ذكريات الهجرة ، لتلقى عظاتهـا الحسية ، وتقوم بدورها فى الامة وارثة المهاجرين والانصار ، فتذكى فى الافئدة ادراك موضع هذا الدين من الحياة للتمسك بمبادئه واللواذ بها من عواصف الاهواء ، ونعرات الضلال والارتجال .

وان عامنا هذا الذى نستقبله قد ألقيت علينا فيه أعباء من العـام الذى نودعه تاركا لنا ما هو أقوى من الذكريات وأبقى من الخـواطر / وقائع حية عشناها كشبه الخيال ، وكان من حصادها / خسارة معركة مقدسة ، وضياع

بقاع طاهرة وسيول من المشردين ، فقدوا المأوى ومورد العيش بعد حملة التهجير التى سلطت عليهم .. والى جانب هذا نجد الصيحات الصادقة التى تهيب بامتنا للتامل والنظر فى اسباب نكبة العام الماضى ، وتدبر وسائل الخلاص ، والتداعى الى واجب الغوث ، ونجدة أولئك الذين ضرستهم الحرب ، ونصرة المشردين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم بالعدوان والتهجير .

ففى هذه الظروف نولى وجوهنا شطر الماضى المشرق وذكرياته ـ وخاصة حادثة الهجرة ـ فناخذ من وحيها / ان صلاح هذه الامة لا يكون الا بالتفافها حول دعوة الاسلام ، واعداد البيئة الصالحة لانتعاشها والمجتمع الذى يعرف قدرها وان تلك الكبوات فى حياتنا لا يسوغ أن تمر دون اخذ العبر منها ، ومضاعفة الاندفاع للنهوض ، بعد استجماع القوى ونفض غبار الخيبة ، والانفكاك من اسباب النكبة .

وقد أوجز لنا الذكر الحكيم هذه الحقيقة الابدية ، وهذا المبدأ الكونى حين قرر أن لاصلاح لاحوال الامم الا بتغيير ما بالنفوس من الاسباب التى أحدثت الاضطراب والخلل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .. فما احرانا أن نتمثل هذا المبدأ ليكون منارا لنا فيما نامله فى عامنا الجديد ..

واخيرا / فان حادثة الهجرة تعتبر ثالثة الحوادث الكبرى العظيمة فى فجر تاريخ الامة الاسلامية ، بل فى تاريخ الانسانية عامة ، والتى كان أولاها ولادة النبى حامل الدعوة والمثل الكامل ، وثانيها نزول القرآن دستور الحياة الخالد ، ثم كانت الهجرة النبوية التى حصل بها تكوين المجتمع الاسلامى فى المدينة ، وانطلق منها نور الاسلام يملأ الآفاق ...



في سبيل الحرية ، ومن اجلها ، كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
نعم ، كانت الهجرة من اجل الحرية ، ولا شيء غير الحرية ..
وهل هناك في الدنيا كلها شيء اثمن من الحرية ، واعز منها ؟..
الأوكسجين شيء لا بد منه للحياة على هذه الأرض .. حياة كل شيء ..
والحرية كالأوكسجين للانسان ..

اذا فقد الأوكسجين تلف جسمه ، واذا فقد الحرية تلفت روحه . او ماتت فيه انسانيته ..
وهل يسمى بعد ذلك انسانا ؟
لا ..
هل يسمى حيوانا ؟
لا ..
وليته كالحيوان لا يدرك معنى الحرية الا في الانطلاق والجزى والأكل والشرب .
اذن لكان الأمر سهلا ..

ولكنه انسان يكابد .. فيه روح ، وعقل ، وفكر وله عقيدة .. وكل ذلك غذاؤه الحرية ، فكيف اذن يعيش وهو الانسان بدون روح ، وعقل ، وفكر ، وعقيدة ؟
هذا هو الشقاء ..
كيف يكون عند الانسان فكرة لا يستطيع أن يتحدث عنها ؟
كيف يكون له عقيدة لا يتمكن من اعلانها ؟..
كيف يضرب اذا جهر بالحق ، وتكلم بالصدق ؟
واهل الباطل يمرحون ، ويسيطرون . يروجون لباطلهم ، ويصفقون لأخطائهم ..
بل ويطلبون من الجماهير ان تصفق لهم ، وتشترك معهم في اضطهاد كلمة الحق ومن يمثلونها !!
واذا كان على اهل الحق ان يصبروا ، ويتحملوا .. فالي متى ؟
واذا كانت اشخاصهم واموالهم هينة عليهم ، فان الفكرة التي يحملونها ، ويمثلونها . ليست بهينة .
اذا ضحوا باشخاصهم ومصالحهم ، فانهم لا يستطيعون التفريط في فكرتهم ..
انها عندهم اغلى واعز من ذواتهم ، ومن كل مصالحهم ..
وانهم ليتحملون العذاب والتنكيل باجسامهم وبمصالحهم ، ولكنهم لا يطيقون ، ولا يصبرون أن يروا فكرتهم مضطهدة ، وحريتهم فيها مكبلة .

ولقد صبر الرسول والمؤمنون على العذاب والاضطهاد سنين . فما حولهم العذاب عن فكرتهم ، ولا ثناهم عن عزمهم ، ولقد كان من الممكن أن يصبروا أكثر مما صبروا ، ولكن .. ليس هذا هو الهدف ..

انهم يصبرون من أجل عقيدة ملكت عليهم نفوسهم ، أملا فى اليسر بعد العسر ، وفى الفرج بعد الضيق .

لقد مر عليها ثلاثة عشر عاما ولا يزال أتباعها محدودين .. فماذا يكون مستقبلها لو مر عليها مثل هذه المدة ، وهى تعيش فى هذا الجو الخانق ، وتحت وطاة الاضطهاد والكبت ؟

ان أهل الباطل كانوا يزدادون كل يوم عتوا ، يثيرهم ثبات المؤمنين ، ويغريهم بالمزيد من أساليب الاضطهاد لهم ، والتفنن فى تعذيبهم ، وهم يظنون واهمين أنهم بأسلوب القوة والقهر ، وتحت وطاة السياط وحرارة الشمس ، يستطيعون أن يذيبوا الايمان فى نفوس المؤمنين ، وفاتهم أن الايمان شقيق الروح ، لا ينزع ولا يسلب حتى تنزع الروح ، وأن الايمان كالمعدن ، كلما كان أصيلا ، ازداد على النار لمعانا وصفاء .. ولكن القوة التى كانوا يملكونها — ولا يملكون غيرها — زينت لهم ما كانوا يقترفون .

فلم يعد هناك — اذن — أمل أى أمل فى انحسار هذه الموجة الطاغية ، فى هذه البلدة التى تحجرت على معبوداتها وتقاليدها ، ورأى زعماؤها فى مبادىء الدعوة الجديدة خطرا على سلطانهم ، وايذانا بزوال نفوذهم وسيطرتهم ..

والانسان المستبد الظالم أشد ما يكون ضراوة ، وايغالا فى الشر ، حين يمس سلطانه ، أو يكاد يفلت منه نفوذه ، ويتخيل رحى الحق تطحنه فى دورانها ..

لم يعد — اذن — أمل فى هذه البلدة ..

فالى أين ؟ ..

الى الحبشة ؟ ..

فليكن . فان فيها ملكا لا يستهجن مثل هذه الدعوة ، ولا يظلم أصحابها .. وليهاجر أولئك الذين يستطيعون الهجرة اليها ، حتى يجدوا حريتهم فى الجهر بعقيدتهم هناك .

وخرج الرجال والنساء الى بلاد لا يعرفونها ، وتحملوا المشقات والأهوال وركبوا البحر فى سبيل الوصول اليها ، ومن أجل الحرية .. ووجدوا فيها لأول مرة حريتهم وتحدث مهاجر منهم يقول « وقدمنا الى أرض الحبشة ، فجاورنا بها خير جار . أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ، ولا نسمع شيئا نكرهه » وكان هذا هو الهدف .. الحرية .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أراد ادخار هؤلاء النفر الصالحين ، وتنمية عقيدتهم وتثبيتها فى جو آخر غير الجو الكئيب المستعر الذى يعيشون فيه بمكة ..

وماذا بعد ذلك ؟

ان الاضطهاد لا يزال يشتد ، والعتو يزداد ، والكبت على الحرية تضيق حلقاته على أنفاس المؤمنين الباقين فى مكة حول الرسول ، حتى لتكاد هذه الحلقات تخنقهم ، لا تخنقهم عن الكلام فحسب ، بل عن نسائم الحياة كذلك !!

والى متى ؟
الى متى يصبر الرسول والفئة القليلة حوله على هذا الاضطهاد ؟
والى متى يظل هؤلاء المؤمنون المغتربون بعيدين عن بلادهم ، ولا يجدون متنفسا لحريتهم الا عبر البحار .. هناك فى الحبشة ؟

الى متى يظل الرسول وتابعـوه القليلون مشتتيـن موزعين بين مكـة والحبشة ؟!

والزمن يمر .. والدعوة تكاد تتوقف او تتجمد .. وكانها تشق طريقها فى صخر عنيف عنيد ؟!
لا بد ــ اذن ــ من متنفس جديد قريب ، وعلى أرض العرب .
فى الطائـف ؟

قد يكون .. فبين اهلها وبين مكة عداء قديم قد يحملهم على حسن استقبال الرسول ، واحتضان دعوته التى غالى أهل مكة فى حربها .

وشق الرسول طريقه الى الطائف ، وسار فى حر النهار ، وظلمة الليل ، مسافة طويلة لعلها مائة كيلومتر ، يحدوه الأمل فى هؤلاء ويخفف عنه المتاعب والمصاعب .

ولكن ــ مع الأسف ــ تحكم فى هؤلاء عداؤهم للدين الجديـد أكثر من عداوتهم للمكيين ، فاضاعوا الأمل فيهم ، وأضاعوا على انفسهم وعلى بلدهـم الجميل فرصة الحياة والخلود ، وكانوا أشـد من اهل مكة عتوا وفسـادا ، ومطاردة لكلمة الحق ، وللرسول الذى يمثلها .. وسجلوا بعتوهم وانغـلاق افكارهم أقسى فترة مرت بالرسول ، حتى أطلقت منه أول شكوى وآخرهـا وامرها ايضا توجه بها لربه « اللهم أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس . أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى .. »

وتتوتر أعصاب أهل مكة ، لأن محمدا ذهب يتلمس فى أعدائهم عونا له عليهم ، ويزيد فى اغرائهم به عدم نجاح خطته ، فيسدون عليه منافذ مكـة ، ويتربصون به لينقضوا عليه ، ويحرموه حق الحياة فى بلده .. ويسلبوه حتى بقايا الحرية التى كان يتمتع بها قبل ذهابه الى الطائف !! فلم يستطع الرجوع الى منزله آمنا الا فى حماية عربى مشرك ، دفعته نخوته الى حمايته !!

فهل فى مثل هذا الجو تطيب حياة ، أو تنمو دعوة ؟
لا بد من مواصلة البحث عن متنفس آخر ..
والوطن ؟ .. أليس عزيزا عليهم ؟

بلى .. ولكن ما قيمة الوطن اذا فقد الانسان فيه حريته ، وفقد مع ذلك امنه وطمانينته ، وعاش مروعا مهددا فى ليله ونهاره ؟ .

أليست الحرية أغلى عند الحر ، صاحب المبدأ والفـكرة من حفنات التراب ، وذكريات الصبا والشباب ؟! وكل مكان ينبت العزطيب .
ولكن الدار والمال والمصالح ؟.. أليس ذلك كله عزيزا عليهم ؟

بلى .. ولكن الحرية اعز واغلى . وما قيمة الدار والمال والمصالح والرفاق اذا عاش الانسان مع ذلك كله ذليلا مهينا ، مسلوب الارادة والحرية . لا يريدون له ان ينطق الا بما يشاءون ، ولا يستحسن الا الأصنام التي يعبدون ؟!!

وهل على مثل هذا التعسف والضغط والتنكيل يقيم انسان ؟

ولا يقيم على ضيم يراد بـــه الا الأذلان : عير الحى والوتد

وهل فى مثل هذا الجو تنمو دعوة الحق ، او تترعرع القيم الصالحة ؟

لا .. « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة »

فكانت الهجرة الثالثة .. الهجرة الى المدينة .. من أجل الحرية والأمن .

وفى جو الحرية الجديد ، تفتحت الدعوة ، كما تتفتح الأزهار فى الشمس والهواء ، وسرى عبيرها شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، وكان نصر الله والفتح .. وكانت بعد ذلك الامبراطورية الاسلامية ، والحضارة الاسلامية .. وكان كل هذا المجد الذى نعيش فى رحابه ..

نعم .. من أجل الحرية هاجر الرسول والمؤمنون وبذلوا ما بذلــوا ..

ومن اجل الحرية ، لم يعترف الرسول باسلام من اسلم اذا آثر ان يعيش فى جو الكبت بمكة ، مسلوب الحرية والارادة ، ولم يهاجر الى بلد الحريـــة ـ المدينة ـ لينعم بحريته ، ويجهر بعقيدته ..

حتى اذا فتح الله للرسول مكة ، وسرى جو الحرية فى ارجائها من جديد ، رد الرسول اليها اعتبارها ، واعلن للنـــاس الا هجرة منها بعد الفتـــح ، ولكن جهاد ونيـــة ..

من أجل الحرية ـ اذن ـ كانت الهجرة ، وبالهجرة عز الاســـلام وانتصر وانتشر ..

ومن أجل الحرية .. كان الجهاد بعد الفتح بدلا من الهجرة ، دفاعا عن الحرية ، وصونا لها ، لتتنفس الدعوة الصالحة فى جوها ، وتترعرع القيـــم العليا فى أرضها ، وتتكون وتقوى الشخصية الاسلامية على غذائها ..

نعم .. ومن أجل الحرية أبى الله أن يعبده انســـان عن طريـــق الضغط والاكراه .

وفى أرض الحرية وجوها نما الاسلام وازدهر وأثمر .

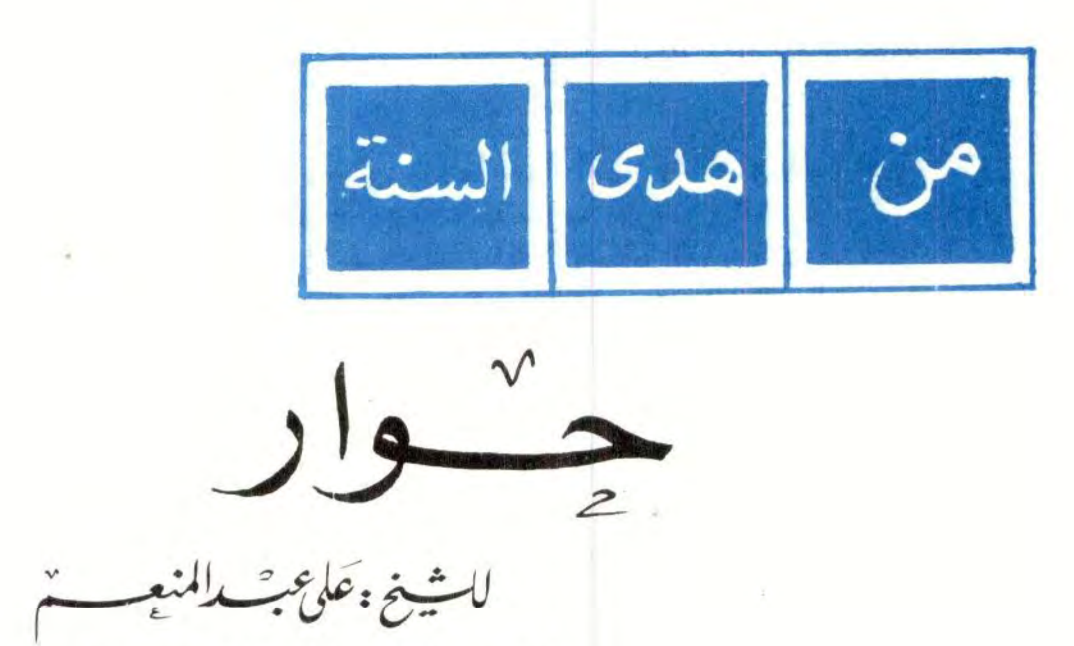
وفى أرض الحرية وجوها كذلك ، تنبت كل دعوة صالحة ، وتنمو كل فكرة خيرة ، ويزدهر كل علم نافع ، ويتكون الرجال الصالحون .

وفى جو الحرية يختنـــق الضلال ، ويهوى البـــاطل ، ويتبدد الخبيث ، وينكشف كل غش وتدليس .

الا ما أعذب الحرية ، وما أعظم قيمتها عند الله وعند الناس .. وما أسعد الذين يعيشون فى ظلها ، ويتمتعون بخيراتها ، أو يموتون فى سبيلها ، ومـــا اشقى الذين يعيشون محرومين من نسماتها ، وأشـــد منهم شقاء فى الدنيـــا والآخرة ، أولئك الذين يسلبون الناس أثمن ما أعطاهم الله .. الحرية ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشـــاد



حوار

للشيخ : على عبد المنعم

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن حذيفة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتنة (١) الرجل فى أهله (٢) وماله (٣) وولده (٤) وجاره (٥) تكفرها الصلاة والصوم ، والصدقة ، والامر ، والنهى » (رواه البخارى) .

التقيا على غير ميعاد ، وتبادلا التحيات والبسمات ، وعلقت يد أحدهما بيد الآخر وسارا متجاورين يشقان طريقهما وسط الجماهير المتدافعة كالموج ، وكانا يتحدثان كأنهما يتصايحان وأحيانا يتهامسان خوفا على حديثهما أن يحمله النسيم الى أسماع لا يحبان أن يصل اليها ، ثم اخترقا الجموع الصاخبة اللجبة ، وحملتهما أقدامهما الى ركن هادىء فى حديقة ذات ماض عريق ضارب فى القدم ،

---

(١) أصل الفتنة فى اللغة : الابتلاء والاختبار ، ثم أطلقت عرفا شرعيا على كل ما يكشفه الامتحان من سوء ، وقد تطلق أحيانا على الكفر ، والبلية ، والعذاب ، والتحول من الحسن الى القبيح . وأحيانا على الميل الى الشىء والاعجاب به وقد يكون ذلك فى الخير والشر قال تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » .

(٢) فى أهله : فقد يتجاوز الحد فى حبهم فيعميه ذلك عن فعل الخيرات ، أو يفرط فى رعايتهم فتسوء حالهم ، وفى كلا الحالين هو مسئول عنهم لانه راعيهم وكل راع مسئول عن رعيته كما ورد فى حديث شريف .

(٣) وماله : بأن يحاول تنميته بطريقة لا يقرها الشرع كالربا مثلا ، أو يبذره ولا يوجهه حيث أمر الله سبحانه .

(٤) وولده : أفرده صلى الله عليه وسلم بالذكر مع أنه داخل فى الاهل غالبا — لأنه كالمال — زينة الحياة الدنيا والأب مغرم دائما بأبنائه وكثيرا ما يؤدى به ذلك الى الغفلة عن حقوق الله تعالى .

(٥) وجاره : فان كان الجار غنيا فقد يتمنى جاره الفقير زوال نعمته لشدة حقده عليه ، أو قد يهمل ذلك الغنى عون جاره الفقير ، وكلاهما ان فعل ، فهو بعيد عن أداء الحقوق التى وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تقوم الى جوار حى من احياء مدينة دعيت ولا زالت تدعى (مدينة النور) (٦) . ولهذه الحديقة قصة فى تسميتها وفى وجودها المستمر ، طالما تلاقى تحت أشجارها الوارفة الظلال . وحول بحيرتها الجميلة الساكنة — عشاق ومحبون ، وللعشق والمحبة الوان ومعان يطول شرحها ، ولا أعنى هنا العشق الفانى ، وانما أقصد المتيمين بالبقاء الذين أحبوا الحقيقة وجاءوا هنا يبحثون عنها — بين هذه الاخلاط العجيبة من البشر — على أيدى علماء افذاذ غباقرة .

وقصارى القول : جلس القرينان الخيران . ودار بينهما حوار ليس عجيبا وان كان لا يخلو من عجب .

قال أحدهما : ان أمر الحياة والناس أمر يذهل العقول ، أيام تمر وتنقضى . واخرى تلاحقها ثم تتابع نفس المصير ، وهذا عام من أعوام الهجرة الشريفة جديد . وقد سبقته أعوام تلاشت ثم فنيت وسيدركه ما أدركها من التلاشى والفناء . والناس هم الناس منذ أن هبط أبواهم الارض ، تسيرهم أهواء وتحكمهم رغبات . وترفعهم أو تخفضهم شهوات ، منهم من أعمل فكره ، فتأمل وبحث وعقل ودرس ، ومن الدارسين من أنتج للانسانية ما أفادها ، ومن الباحثين من مضى بالحياة قدما ، ومنهم من أضاء حنادس زمانه ولا زال يسرى على ضوء هداه المدلجون . وعلى النقيض من هؤلاء من هوى وانزوى ولم يشعر الوجود بوجوده . بل منهم من وجمت يوم نجم أمه ، ومضى حيوانا مكرر الهيولى لا يعدل سائمة ولا يزن قارضة ، ولا يباع ولا يشرى بدرهم ، فلم تدر به الليالى ولم تدرك عبوره لحظات عبوره .

وهنا قاطعه الثانى : على رسلك يا أخى ماذا تريد من الحياة وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا ، ولن تجد لها تحويلا كما نص القرآن الكريم فى محكم آياته البينات .

قال الاول : ألق الى سمعك وانت شهيد ، وعش معى لحظات بعقلك وقلبك لأبثك شجونى ، وأفضى اليك بذات نفسى ، فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين ، ولم نعد نجد ملجأ أو مغارات أو طريقا نسلكه لنتوارى عن لوم اللائمين تارة ، وشماتة الحاقدين أخرى ، فنحن ورثة مجد ، وخلفاء من احسنوا قيادة العالم ردحا من الزمان ، وملأوا رحابه علما ومعرفة واصالة رأى ، وحملوا مشاعل الحضارة حقبا طويلة ، ولنا من التراث الباقى ما يبلى الزمان ولا يبلى أرجه العطر ولا يختفى نوره الوضاء — واعلم قبل ان تعترض أن هذا لا يجدى فى واقعنا الماثل فتيلا ، (فان الفتى من يقول ها أنذا) « ولكن سأسوق القول مقتبسا من مجلس من مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبدو لك — لأول وهلة — أنه قصى عن مجرى حديثنا ولكن متى تأملت وفكرت الفيت كل ما يصدر عنه صلوات الله عليه يصلح قاعدة وأساسا لنهضة عامة شاملة ومحركا قويا للهمم الوانية . والعزائم الخائرة فى يسر ولطف وايناس ، وتوجيه حكيم ، وتدبير قويم . واليك قول حبيب رب العالمين : « فتنة الرجل فى أهله وماله . . الخ الحديث الشريف » .

أليس أهل الرجل همه الذى يهمه ، يعنيه أمرهم ، ويسعى فى الحياة

---

(٦) هى مدينة (باريس) ولهذه التسمية أصل وسبب خاصان حدثنا بهما عالم كبير من علمائها الافرنسيين الأجلاء وان كنت أرى أن مدنا أخرى كانت ولا تزال تستحق المشاركة فى هذا الوصف الكريم ، وان صار علما عليها منذ آن بعيد .

جاهدا من أجلهم . يستصرخهم فى الملمات . ويستعين بهم فى النائبات . ويفخر بعددهم وعديدهم فى الرخاء والسلام . فقل لى بربك : أليس اذا أحسن القوامة على أمورهم . وسلك بهم المسالك الرشيدة التى شرعها الله . ونأى بهم عن المهالك ، وجنبهم المزالق التى تغضب الحق ، فقوم معوجهم . وهدى ضالهم — كون بذلك جماعة متماسكة مؤمنة بحقها فى الحياة . حريصة على حق غيرها لا يعتدى ولا تقبل الاعتداء عليها .

والمال : وما أدراك ما المال ؟! عصب الحياة ، ومهوى الافئدة ، يحقق الشىء ونقيضه . فيدفع البعض الى الجبروت والعدوان ويوردهم موارد الرذيلة والفساد . ويرفع من يحسن ادارته . ويقدره قدره الى مصاف القادة والسابقين فى كل مناحى الحياة ، فبقوته وسيولته تشاد المصانع على اختلافها وتبنى دور العلم ، وتعد القوة المستطاعة ، وتجنى المعرفة الحقة ، وتنمو الحضارة . وتزدهر دروب الامم ويقوى كيانها . وذلك اذا وضع فى موضعه وصين عن المباذل ، والضد بالضد (وبضدها تتميز الاشياء) . ثم ألم تقم باسمه مبادىء وحضارات . كما أبيدت باسمه أيضا مبادىء أخرى وحضارات . ولن يزال هدف المعارك والمناوشات .

وهلم يا أخى متأملا الولد : والولد اما عبء واما عون . وما الافراد الا أولاد الآباء . أو آباء الاولاد . فلو سلك كل رجل مسلك الهداية الالهية . وحافظ على هذا الكنز العظيم . والطاقة التى لا حد لها من القوة الانسانية الكامنة فى الولد (ذكرا كان أو أنثى) وأفرغ خبرته فى حسن توجيههم . فأماط الاذى عن طريقهم . وشرع لهم نهجا قويما مستمدا من توجيه السماء ثم من خبرة عقلاء الانسانية وهم كثر — انه لو فعل — لصنع لبنة وأية لبنة . وكون فردا وأى فرد — انه لو فعل — لأخرج لقومه قوة تبنى وتصنع المجد . وتحارب الانحراف . وتمضى لما أمر الله فى غير لين ولا هوادة . لا تقبل الوقوف فى المؤخرة . بل تأتى فى المقدمة دائما (١) .

ثم الجار : وما الناس الا جار ومجاور جار . ولا يوجد من عاش فذا وحيدا بلا جار . ولو ضرب خباءه فى قنن النيق أو وسط الصحارى أو سكن سفينة فى عرض المحيطات . فجاره هو أول من ينتهى خطه اليه . فلا عزلة فى الحياة عن جار ولا انقطاع عن جوار . وتأمل ثم احكم .

وأمر الجار فى الاسلام . فى التقييم الاجتماعى . فى البناء الانسانى أمر عظيم . فلا تقترب من جارك بحجر أو مدر . وانما بقلبك وروحك . ولو أن

---

(١) لقيته رجلا فرنسيا من المحاربين القدماء يقيم فى مدينة تورا (TOURS) احدى مدن فرنسا الكبيرة يعمل أستاذا فى معهدها وجامعتها وقد جاوز السبعين عاما ، حدثنى أنه حضر الحربين العالميتين الاولى والثانية (١٩١٤ ثم ١٩٣٩) جنرالا وله أربعة أولاد وبنتان ، كلهم اما طبيب أو قائد فى الجيش أو مهندس أو أستاذ فى جامعة فاطربت نبوغهم فقال : كم من نبوغ وأراه التراب حين لم يجد راعيا ، ولكن أنا الذ وجهت وجهدت حتى وصلوا . ولا يخلو قول الرجل الكبير من صدق ووعى حقيقيين جديرين بالاعتبار ، وليت كل الآباء يفعلون فعله .

الوصايا طبقت كما وردت . ولو ان الانسانية فقهت أن جبريل ما زال يوصى سيد الخلق صلوات الله عليه بالجار وشؤون الجار حتى ظن عليه السلام أنه سيورثه لتضامت وتجمعت وقويت والتأم أمرها وما تفرق شملها ، ولا فت فى عضدها ، والجار الذى لا يستل سخيمة نفس جاره بمواساته بالمال ان كان ممولا ، وبالجاه ان ضاق جاره بالحياة او ضاقت الحياة به ، وبالمروءة وطلاقة الوجه ، والعون بمختلف ضروب العون ، لا يكون مؤمنا ولا ذا أثر فعال فى تكوين مجتمع متحاب متواد ، لانه فصم المروءة ، وهدم البناء ، وخان الحق ، واتبع الهوى ومن اضل ممن اتخذ الهه هواه .

الا ترى يا اخى بعد ما سقت اليك من الايضاح أن هذا الحديث الشريف يضع يد العاقل على موطن الداء ثم ها هو ذا يصف العلاج فيدعو الى الارتباط بقيوم السماوات والارض حق الارتباط ويدل على الدواء الناجع . فالصلاة تذكر بالله وبالتالى تحمل المرء على رأب الصدع ، وجبر الكسر ، ثم الصوم ولعلك وعيت ما قيل عن الصوم وما أكثر ما تحدث عن هـذا الركن من اركان الاسلام . انه يذكر الصائم الواجد بأخيه المعدم ، ويضع يده على قيمة المال ، ويهديه الى الهدف السامى لصرفه وانطلاقه . **ثم الصدقة** : انها لذات اثر فعال فى تقوية حبال المودة ، وليس المراد بها هنا الزكاة المفروضة ابدا فتلك أمر محتوم لا فكاك منه ولا مفر عنه لمن آمن بالله واليوم الآخر . وانما المراد هنا ما تعطيه يمينك حتى لا تعلم شمالك ما تنفقه . هى ما ورد ذكرها فى الكتاب العزيز « ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . . » وقوله سبحانه : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » [1] .

والامر والنهى : وتلك مهمة شاقة لا يلقاها الا الذين صبروا ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم . ولا يزال يوجد من يقوم بها ويؤديها [2] والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

وهنا : تنفس الثانى الصعداء وعقب على حديث صاحبه قائلا : صدقت وما عدوت الحقيقة والواقع ونرجو ولا ينقطع لنا فى الله رجاء أن يفطن المسلمون لوحى السماء فان مع العسر يسرا ثم ان مع العسر يسرا ثم انفض مجلسهما على ان يلتقيا دائما فى رحاب الله وعلى مائدة رسوله خاتم الانبياء والمرسلين عليهم جميعا صلوات الله وسلامه . فتلك هى الباقيات الصالحات وهى خير ثوابا وخير أملا .

---

(١) أما الزكاة المفروضة فيكاد ينعقد الاجماع على وجوب اظهارها ليقتدى الاغنياء بعضهم ببعض فى اخراجها وليعلم الناس أن هذا الركن العظيم من أركان الاسلام لم يهدم بعد ، وان كان قد ورد ذكرها فى القرآن العظيم باسم الصدقات أحيانا مثل قوله تعالى (انما الصدقا ت.. الخ)

(٢) فى عدد سابق من هذه المجلة الواعية الغراء أفردت لهذا الموضوع بحثا كاملا فليرجع اليه من أراد تفصيلا .



للشيخ : محمد الغزالى

نحن فى عالم يسوده المنطق المادى . ويعد المحسوسات وما يتصل بها هى الوجود الذى لا وجود وراءه .. !

وجمهرة البشر أخذت تستكين لهذا التفكير . وتبنى عليه سلوكها فى الحياة ، وفرحها أو حزنها لما يصيبها من نعماء وبأساء .. !

نعم . انها تحت تأثير الدين تؤمن بما وراء المادة ، وتأوى الى هذا الايمان فى الساعات العصيبة ..

بيد أن لغوب الناس على ظهر الأرض . وكدحهم لتحصيل ما يريدون انما يثور غباره وراء ضرورات العيش ومرفهاته ــ أما الدار الآخرة وما يمهد لها . فأمر قلما يخطر على البال واذا خطر فقلما يقترن بالشعور الجياش والفكر المستغرق والعزم الحديد .. !

وحقيقة الدين تنافى هذا المسلك الخامل . فان الايمان بالغيب قسيم للايمان بالحاضر . ولا يصح تدين ما الا اذا كان المرء مشدود الأواصر الى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع فى هذه الدنيا ..

والغيب الذى اقصده هنا أوسع دائرة من عالم الملائكة مثلا ، أو مشاهد الجزاء الأخروى ، أو المرويات التى أنبأنا الوحى بها ، ولا نستطيع الوصول اليها بمداركنا ..

الغيب الذى اقصده هنا ما يتصل بالسلوك الانسانى المأنوس لنا ، أى ما ننبعث عنه فى كفاحنا القريب لبلوغ ما نحب واقصاء ما نكره .. !

ان النصر على الأعداء غيب . خصوصا اذا وهنت الوسيلة . وقل العون . وفدحت العوائق .

ولكن الايمان بهذا النصر المأمول ينبع من الايمان بالله وحده جل شأنه ، ومن ثم فالمجاهد الموقن يمضى فى طريق الكفاح المر ، وهو واثق من النتيجة الأخيرة . . !

ان غيره يستبعدها ، أو يرتاب فيها . . أما هو فمعتقد أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وان طال المدى .

فاذا قال الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فان الجماعة المؤمنة لا تهولها وعثاء الطريق ، وضراوة الخصوم ، وكآبة الحاضر . .

ان ايمانها بالمستقبل يعزيها عن متاعب اليوم . ويشعرها بأنها غيمة عارضة توشك أن تنقشع « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » والرزق — مثل النصر — غيب مرتقب . وعندما ينفق المؤمن ما عنده على أمل أن الله باعث خلفا له وعوضا عنه ، فهو يسير على منطق اليقين المحض .

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال — لما ادخر له صبرا من طعام :

« أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا » .

ولماذا يخشى الاقلال وقد وعد الله أن يخلف على من أنفق ؟ ووعده منجز لا ريب فيه .

ان هذا الايمان بما عند الله هو الذى يرجح عند المؤمن جانب العطاء عندما توسوس له نفسه بالامساك والمنع ، خصوصا مع التأميل فى الحياة ، والرغبة فى سعة الثراء ، والقلق من أحداث الزمان . . !

ولذلك جاز فى الحديث « أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تحب الغنى وتخشى الفقر » . والايمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول الكريم : « أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك » .

كان المسلمون قبل الهجرة يملكون أنصبة وافرة من الايمان بالمستقبل . يعتقدون أن دينهم لن يغلب — وأن ضعف اليوم حملته — ويؤدون فرائض الجهاد والبذل وهم راضون عن ربهم . راجون ما عنده .

والمجاهدون فى سبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش فى نفوس غيرهم ، من تقدير للحياة ، والرأى العام . وكفالة الأولاد ، وتأمين العيش لأنفسهم وأهليهم ! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق . وأشواق الدنيا . ثم آثروا وعد الله على وحى العاجلة .

وتأمل هذا الحديث الذى يصور الصراع النفسى لدى أنصار الحق ، وكيف يخرجون من غباره أوفياء لله . أحقاء بكرامته .

عن « سبرة » بن « الفاكه » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟

فعصاه ، فأسلم ، فغفر له !

وقعد له بطريق الهجرة : فقال له : تهاجر . وتذر دارك . وأرضك . وسماءك ؟ فعصاه فهاجر . .

فقعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهد النفس والمال . فتقاتل . فتقتل ، فتنكح المرأة ويقسم المال .

فعصاه مجاهد .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك فمات ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة .
وان وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » .
هذه طبيعة الاستمساك بالحق والتفانى فى نصرته .

والواقع أن ايمان هؤلاء بالغيب مثل ايمان غيرهم بالمحسوس . ان الرجل الذى يقطع تذكرة للسفر من القاهرة الى الاسكندرية لا يخامره شك فى أن الاسكندرية موجودة وأن القطار المنطلق ذاهب به اليها !

والمجاهد المسلم يؤمن بأن الموت نداء الحق ينقله يقينا الى جنة عرضها السموات والأرض ، ايماننا اليوم بأن السفر من عاصمة الى عاصمة او من قارة الى اخرى يصل بنا الى ما نريد .. !

وعندما يرتفع الايمان بالغيب الى هذه القمة الراسخة ، فان اصحابه ينتصرون بمبادئهم حتما وناشروها فى الحياة نشرا لا يدركه طى ، ومكتسحون ما يضعه المبطلون امامهم من عوائق .

والمستقبل الذى تنتصر فيه الرسالة وينتصف فيه أصحابها يتكون من جزاين أحدهما قريب والآخر بعيد .

اما القريب ففى هذه الدنيا وعلى ارض الميدان الذى تدور فيها المعارك .. اما البعيد فعند الله حيث تنكشف خبيئات النفوس وينال المحقون والمبطلون جزاءهم العدل ، وفى المرحلتين كلتيهما يقول الله تعالى : « أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

.. وجاء فى سورة أخرى « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

والمسلمون الأوائل لم تنقصهم الثقة فى مستقبل الدعوة التى آمنوا بها وكل ما عناهم أن ينهضوا بحقوق الدين الذى اعتنقوه ، وأن يثبتوا على صراطه المستقيم مهما تكاثرت المحن وترادفت الفتن .

من أجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الأمر ان يهاجروا ، وخاضوا غمرات الحروب لما كلفهم الحق أن يبذلوا النفس والمال .
ولو شققت عن ضمائر القوم لوجدت الهجرة عندهم اشبه بانتقال الموظف اليوم الى بلد اتصل فيه رزقه او نال فيه ترقية !

غاية ما هنالك من فرق أن هذا مسلك بدت فيه بواعثه المادية التى تواضع الناس على الاحتفال بها ..

اما المهاجرون الأوائل فهم ينتقلون من بلد الى بلد اقامة لدين مضطهد . ويعاملون رب العالمين وحده حين يحلون وحين يرتحلون ، ويستيقنون من رضوانه ، تعبوا أم استراحوا .

ان هجرات الاحياء على ظهر الارض كثيرة . بل ان الطيور فى الأجواء . والاسماك فى المحيطات تقطع مسافات كبيرة وراء غاياتها المادية المحدودة .

لكن الهجرة التى علت بها اقدار ، وخلد بها أقوام تلك التى قامت ودامت ببواعث الايمان المحض ، والغضب لله والارتباط بتعاليمه ، والعيش بهـــا أو الموت دونها .

ومع أن الوحى الاعلى لقن المؤمنين أن رســــــالتهم ستستقر ، ورايتهم ستعلو ، وأن الكفر سيذوب ، وينخذل حزبه ، الا انه تملق أفئدتهم بالمســـتقبل البعيد ، أعنى الدار الآخرة وما حوت من ثواب وعقاب « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون . أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

ولهذه الآيات معنى ينبغى أن نقف عنده طويلا . فان المؤمن المجاهد قد يترك هذه الحياة دون أن يعرف نتائج الصراع المحتوم بين الهدى والضلال . وهذا جائز ، بل كثير الوقوع . لأن انتصار الحق ربما اقتضى هذا المؤمن نفسه أن يقدم حياته ، فيكون استشهاده ، واستشهاد غيره من المؤمنين الجسر الذى تعبر عليه المبادىء وتشق طريقها الى مستقبل وطيد .

لكن هل ذهاب عدد قل أو كثر من اهل الايمان يفيد الضالين شيئا ؟ كلا ، ان الانتقام الالهى لاحق بهم يقينا .

ولذلك يؤكد القرآن الكريم هــــــذه الحقيقة « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ، أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون » .
والخطة المثلى أن يؤدى الانسان واجبه المجرد دون استعجال المصير فى هذه الدنيا ، وألا يتعلق بالفوز الشخصى له ، أو الاندحار الشخصى لخصومه .

فمن يدرى ؟ ربما رشد هؤلاء الخصوم يوما ، وتحولوا الى الايمان الذى جحدوه من قبل .. !

وفى أعقاب أحد ، ومع مرارة الهزيمة التى أصابت المسلمين ، يبين الله لنبيه هذه الحقيقة فيقول « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين . ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم .. »

فى اطار هذا اليقين العميق ، لبى المسلمون النداء الى الهجرة عنـــــدما طولبوا بالهجرة ، واستجابوا لله ورسوله غير ضائقين ولا جازعين .

ان الحياة بالنسبة الى المؤمن خط طويل يمتد مع الزمن لا يقطعه الموت ، ولا يعروه الفناء .

والمؤمنون حين يغرسون فى هذه الدنيا فهم يرقبون ثمار غرســـــهم فى المستقبل القريب ، أو المستقبل البعيد ، بين أهليهم هنا أو عند الله هناك .

ولن يخامرهم قنوطه لأن ما ارتقبوا تأخر ميعاده .
ولن يسأموا تكاليف الجهاد ولو كلفتهم أن يحرموا وطنهم الغالى ، وأن يرغموا على ترك معايشهم به وذكرياتهم فيه .

دروس حول الهجرة

للدكتور: محمد محمد خليفة

المفتش بالازهر

من الخير للمسلمين حين يذكرون هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وحين يعيشون مع هذه الذكرى بخواطرهم ومشاعرهم ان يتخذوا منها دروسا لحاضر أمتهم الكبيرة ومستقبلها .

وما اكثر الدروس التى تدور حول الهجرة من اسباب ونتائج ، وخوارق وتدبير ، وقصص وتضحيات ، وصبر وقوة احتمال .

وما أكثر الآثار التى خلفتها وراءها من تربية النفوس ، وبناء المجتمع الاسلامى ، ومن كسب غير مجرى التاريخ العربى ، بل اثر فى التاريخ الانسانى حقبا من الزمان .

وحسبنا ان نقدم جانبا من تلك الدروس ، لعل اشراقات من فيضها تهدى عالمنا الحائر الى الخير الذى ينشده كل غيور على بناء هذه الأمة الذى يوشك ان يتداعى .

« الدرس الأول »
« الصبر والتضحية فى سبيل العقيدة »

لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله ضروبا من العنت وصروف الأيذاء ، فقد كذبه قومه ، وهو الذى عرف بينهم قبل بعثته بالصدق والأمانة ، وحين ضاقت نفسه بذلك التكذيب نزل عليه الوحى يسليه « وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » وقد عذبوه ونال منه رجالهم ونساؤهم ، فهز الأسى قلبه ، وسرعان ما أمره ربه بالصبر : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » واوذى أصحابه المؤمنون وعذبوا فبين لهم ان من كان قبلهم كان يمشط بمشاط من الحديد ما يثنيهم ذلك عن دينهم » .

وقد مر بآل ياسر وهم يعذبون على الرمضاء ، والسياط تأكل جسومهم ، والصبيان يعبثون بهم فقال لهم : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة » . ولو أن الدعوة على الرغم من كل هذا لقيت بعض النجاح لهان على نفس الرسول ونفوس أصحابه كل ما يلقون من القرشيين ، ولكن قريشا لم تدخر جهدا فى محاربة الدعوة ، والوقوف فى وجهها بكل ما تملك ، حتى يخيل أن قريشا جمدت الدعوة داخل مكة ، فعاشت فى قلوب من كانوا أسلموا فى الأعوام الأولى من المكيين ، وبين قلة قليلة من أبناء

القبائل الذين وقفوا على أمرها فى موسم الحج .

لكل هذا أذن الله لرسوله بهجرة أصحابه الى المدينة بعد بيعة العقبة ، فلبى الصحابة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهجروا وطنهم ، ولهم فيه ذكريات وأهل وولد ومال ، وضحوا بكل ذلك فى سبيل عقيدة منحوها قلوبهم ، ومبادىء ملكوها أرواحهم ، فآثروا العقيدة والمبادىء التى جاء بها الاسلام على كل ما لهم فى الحياة ، وطلبوا بذلك رضاء الله .

ثم أذن الله لرسوله بالهجرة ، بعد أن عبأت قريش لقتله من كل بيت من بيوتها فتى جلدا ، ليضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه بين البيوت ولكن عناية الله تولته وحمته حتى بلغ المدينة ..

ما أفقر المسلمين اليوم الى شىء من صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر أصحابه يواجهون به التعبئة التى عبأها الانحلال ، ويواجهون به الردة المستترة المتنكرة لكل ما يدعو اليه الدين والخلق

وما أحوج المسلمين الى شىء من التضحية بجهد اللسان والقلم فى سبيل الله ، وشىء من التضحية بالمال ، يفتحون به للاسلام طريقا بين الشعوب المتخلفة التى تغزوها المسيحية واللادينية .

اننا حين نذكر تضحية المهاجرين الأولين بأوطانهم فرارا بدينهم ، واستعدادا لحمل رسالة الحق ونشرها فى الآفاق ، يجب أن تدفعنا هذه الذكرى الى أن نهيىء نفوسنا للهجرة برسالة الاسلام الى من يجهلونها .

وحين نذكر تخليهم عن أموالهم فى مكة يجب أن نقدر تلك التضحية ونتخذ منها درسا للبذل فى سبيل عزتنا وعزة ديننا وانشاء مراكز اسلامية فى أقطار الأرض تحتضن التائهين بين ضلالات الديانات ، والضاربين فى مجاهل الدنيا ، لا يدرون عن الديانات شيئا ، لأن الاستعمار ضرب عليهم سجونا عاشوا وراء أسوارها بعيدين عن نور الاسلام ..

....

« الدرس الثانى »
« التربية »

كان جل هم الرسول صلى الله عليه وسلم حين يلتقى بالمسلمين قبل الهجرة يتجه الى تبليغهم ما نزل عليه من القرآن ، وتعميق الايمان فى قلوبهم ، بتوجيههم الى النظر والتدبر ، وقد شغلته مناوآت قريش له ولأصحابه وخوفه على أصحابه عن المغامرة والانتقال الى القبائل لتبليغها دعوة الاسلام ، وبخاصة بعد أن رأى موقف أهل الطائف منه ومن دعوته ، وموقف قريش من المهاجرين الى الحبشة .

فلما استقر به المقام فى المدينة ، وأقبل الناس أفواجا على الاسلام ، اتخذ من مسجده مدرسة تحلق حوله فيها المهاجرون والأنصار ، يتلقون القرآن ومبادىء الاسلام ، ويربيهم فى هذه المدرسة تربية قوامها الاخلاص والطاعة والصدق والأمانة والبذل والحب فى الله ، والبغض لله والايثار والتفانى لخير الاسرة الاسلامية الكبيرة ، والعمل المتعاون لبناء الكيان الاسلامى ، فكل فرد فى تلك الأسرة لبنة صلبة يشتد ويطول به البناء ، فلا مكان بين تلك الأسرة لأنانى ، ولا لجشع ، ولا لمستغل ، ولا لانتهازى ، ولا لاحتكارى ، كلهم سلم لمن سالم تلك المبادىء ، وكلهم حرب على من حاربها .

هكذا عاشوا أعوامهم الأولى فى المدينة ، أعوام التربية الصادقة فى مدرسة الرسول ، فلا تنفض حلقاتهم الا لأداء فريضة ، أو سعى قانع وراء عمل يجتنون منه لقيمات تقيم أصلابهم وأصلاب ذويهم . فلما اطمأن الرسول

صلى الله عليه وسلم الى تربية اصحابه ،و تهذيب طباعهم وتأديب نفوسهم بعثهم الى الآفاق مع السلاح أو وراء السلاح أو بلا سلاح ، روادا الى الخير ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقفون بهم على ينابيع الحق التى تفيض بها دعوة الاسلام .
وهكذا كان الدرس الثانى من دروس الهجرة تربية المسلمين وتهيئتهم للرسالة العظيمة التى سيحملونها الى العالم .

وكان لهذه التربية اثرها فى بناء الأمة الاسلامية فى حياة الرسول وفى عهد الشيخين .

ومن هنا غيرت الهجرة مجرى تاريخ العرب الدينى والخلقى ، بل كان لها اثرها فيما بعد فى تغيير التاريخ الانسانى فى بعض الأرجاء التى سطع فيها نور الاسلام .
ولا يخالج احدا شك فى أن قوة الأمة الاسلامية فى فجر حياتها كانت نتيجة للتربية الاسلامية الخالصة .
فما أحوج قادة المسلمين ورؤساءهم — وكلهم يؤمن بأثر التربية فى البناء — الى أن يعنوا بتربية شعوبهم ، وتعميق الايمان بالحق والمبادىء فى النفوس ، قبل أن يخوضوا بشعوبهم معارك الحياة والعزة والكرامة .

ان الانحرافات الملموسة بين صفوف القيادات ، وفى مراكز التوجيه تفرض على المسئولين العناية بتربية النفوس ، واعدادها لحمل الرسالات . وما احوجنا الى مدرسة كمدرسة محمد صلى الله عليه وسلم تنهل منها العقول والقلوب والأرواح خير زاد للمستقبل .

« الدرس الثالث »
وطن المسلم هو الوطن الذى يجد فيه العزة له ولدعوته

لقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قاعدة لدعوة الاسلام بعد هجرته اليها ، فأصبحت بذلك مركزا للاشعاع الروحى ينبعث منها الى أرجاء الجزيرة ، ثم الى آفاق الأرض فى عهد الخلفاء ، واصبحت لهذا مثابة لطلاب العلم والمعرفة ينزحون اليها من الأقطار والحواضر والبوادى ثم يرجعون الى ذويهم دعاة الى الخير موجهين الى الحق ، مجاهدين فى سبيله ، وبهذا صارت المدينة موطنا للدعوة التى عزت فيها وبها ، كما صارت موطنا حقيقيا لاصحاب الدعوة وحملة رسالتها ، وقد نسوا جميعا أوطانهم التى شبوا بين مرابعها ، حين لاقوا فى المدينة اخوة انستهم اخوة الأرحام وابوة انستهم ابوة الاصلاب ، ولقوا بين وشائج العقيدة ما ربط ارواحهم بالمدينة التى عاشوا فيها حياة زاخرة بالسمو الروحى ، فى كنف دين تفاعلوا مع توجيهاته ودعوته .

. . . . . .

« الدرس الرابع »
« تكوين البناء الاجتماعى للمسلمين »

لقد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة الأسرة الاسلامية الصغيرة من الأحرار والعبيد من الرجال والنساء ، وقد تفانى افرادها فى التعاون لخيرها ودرء الشر عن أعضائها ، ولا يغيب عن احد عاطفة الأخوة الاسلامية التى حملت أبا بكر رضى الله عنه على أن يشترى بلالا من سيده بالثمن الذى غالى فى طلبه ، ليعتقه من الرق ، وينجيه من سياط الاستعباد التى كانت تمزقه فوق بطاح مكة .

كما لا يغيب موقفه من قريش حين تكالب قساتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت الله الحرام فأخذوا بخناقه حتى احمرت عيناه ، وعندئذ ثارت اخوة ابى بكر غير مكترثة بقوى الكفار ولا ببطشهم

وصاح فيهم : « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله » ؟
ولما هاجر الرسول صلوات الله وسلامه عليه حرص على بناء المجتمع الاسلامي وتوطيد جوانبه ، فكان أول ما قام به لتدعيم بناء الوحدة الاسلامية هو ذلك التآخي الذي سنه ، فآخى بين المهاجرين والأنصار وجعل لكل أنصارى أخا من المسلمين المهاجرين يؤويه في بيته ويطعمه من طعامه ويكسوه من كسائه ، ويتعهده بالرعاية ، وبذلك الاخاء نسى المهاجرون مرارة الاغتراب التي قد تعانيها نفوسهم في الوطن الجديد .

وظل المجتمع الاسلامي ينمو ، وتشد قواه وعراه رابطة العقيدة تحت رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعناية خلفائه من بعده ، حتى أصبح عمر يرى أنه مسئول أمام الله والأمة عن كل فرد في هذا المجتمع الكبير ، وكان لايمانه بحقوق الفرد على الخليفة وعلى الدولة أثره في توطيد بناء الوحدة الاسلامية ، وله أثره كذلك في تفاني الفرد في العمل لخير الأمة . ولم يعرف ذلك البناء الاجتماعي روح الأثرة المخربة ، بل كثيرا ما كانت ثروات الأفراد تستغل لخير الكيان الاسلامي أو المعوزين من المسلمين ، ولا ننسى في هذا الموطن تجهيز عثمان لجيش العسرة ، وتصدقه بحمل الف بعير على المسلمين في عام الجدب ، وكم جهز غير عثمان الكثير من المجاهدين بالخيل والسلاح ، وان لم يبلغوا مبلغه ، وكم ضحى بعض المسلمين بماله كله أو اكثره في سبيل الله والأمة .

وكم صادر عمر كثيرا من اموال ولاته ووضعها ببيت مال المسلمين وكان يقول لهم : لم أبعثكم تجارا وانما بعثتكم هداة ومعلمين ولم يبرح عمر يسائل ولاته في كل عام : من أين لكم هذا ؟ حتى لقى ربه .

ان تماسك البناء الاجتماعي في السلم والحرب هو الذي تحطمت أمامه دسائس اليهود وتكسرت دونه قوى الفرس والروم ، فلم تفتهم كثرة ولا عتاد أمام هدير القوى الاسلامية المتدفقة التي لم تسلم ظهورها الى الأعداء ، ولكن كان شعارها : تلقى الطعن في النحور والصدور اكرم من تلقيه في الأدبار والظهور » .
هذا هو الدرس الرابع من الدروس التي يجب أن ننتفع بها في ذكرى الهجرة . فليتنا نذكره ونحن نرى بناء مجتمعنا وقد أصبح كبيت العنكبوت تخفق الأرياح فيه ، وتلعب بخيوطه نفثات الضعفاء ، وتعبث فيه الأهواء .

ان مئات الملايين من المسلمين يعيشون حيارى في متاهات آلامهم حين تسترجع خواطرهم ذكريات أولئك الحفاة وهي يقتحمون ايوان كسرى ، ويقلبون عرش القيصر ، ويجتاحون بايمانهم وتماسكهم خطوط القتال التي كانت تموج بكل فتاك من الحديد .

« نداء ورجاء »

ان الهجرة خلقت في العالم امة صنعتها عناية الله ، وربتها رعايته ، وهيأت مشيئته لها وطنا جديدا عزت فيه ، وشدت مبادىء الحق بناء مجتمعها وانا لنضرع الى الله ان يعيدها على الوجود كما كانت أمة قوية البنيان يشد بعضها بعضا .

وان اعنف جراح تستنزف قوى هذه الأمة هي جراح التفكك الاجتماعي والانحلال الخلقي، وطغيان الأثرة ، وسيطرة أعداء الله على مقاليد العالم ، فأضرع الى الله ان يجمع الأمة على الوحدة ، وأن يطهر قلوب الرعايا والرعاة من كل جرح يضعف كيانهم وسلطانهم لتعود الى الوجود خير امة عرفها الوجود .

ملحمة الهجرة

خطة وتصميم

للدكتور: صبحي الصالح

اذا استشففنا حجاب التاريخ الفينا فيه هجرة الرسول ابرز حادثة من حوادث الدهر . ولكى تكون كذلك — وهى حقا كذلك — لا بد أن يكون لبطولة الرسول فيها اثر ، ولا بد أن يكون لشجاعته ونضاله وجميل صبره وطول أناته فيها اثر ، ولا بد بوجه عام من ربط عوامل نجاحها بشخصيته الكاملة وفكره الثاقب وعقله الراجح ، فبهذا كله يسعنا أن نقول : ان تلك الهجرة كانت ملحمة خالدة ، بل اخلد الملاحم ، وان بطلها هو النبى العظيم ، لأنها قبل أن تختم بالنصر افتتحت بالاضطهاد والعذاب ، وكانت بين الفاتحة والخاتمة سلسلة من صور بطـــولة النبيى ، ومواطن شجاعته ، ومشاهد نضاله وجهاده .

ومن الناس من يقتنع فى سذاجة عجيبة بأن ملحمة الهجرة لم تك الا وحيا من عند الله خالصا . واقل ما يعنيه هذا القول المدهش الغاء كل عمل شخصى للنبى الكريم فى انجاح هجرته أو رسم خطته ، كأنه عليه الصـــلاة والســـلام لم يستشعر قط ضرورة القيام بها والتفكير فيها ثم تنفيذها على الوجه الاكمل . ومثل هذا القول كان يقتضى بداهة أن يقدم الله لنبيه الحبيب موعد هجرته انقاذا له من قومه الجفاة العتاة ، ومن أذاهم واضطهادهم له وسخريتهم به ، ولكن اللـــه حين ترك نبيه البطل ثلاثة عشر عاما فى مكة يلقى صنوف العذاب ما ودعه وما قلاه ، وانما أراد أن يذيقه حلاوة النصر بعـــد مرارة الصبر والمصـــابرة والكفاح والنضال ، حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته فى خلقه ، فلا يغتروا بانتسابهم الى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا الى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتوكلون .

كان الجو فى مكة قاتما مكفهرا فى كل ناحية ، وكان كل شىء فى مكة يدعو الى اليأس ، ولكن النبى لم ييأس وما كان لنبى أن ييأس ، فان عليه تبليغ ما أنزل اليه من ربه وان لم يفعل فما بلغ رسالته ، والله يعصمه من الناس ! رأى عليه السلام من كفر قريش وكبرها وعنادها ما أكد له انها لن تعرف طريق الايمان ، وعرض نفسه على القبائل فردته ردا غير جميل ، ولا سيما فى الطائف التى لقى فيها أشد العذاب ، حتى لجأ الى كرمة يتفيأ ظلها ويبتهل الى ربه بهـــذا الدعاء الضارع المستغيث : « اللهم انت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى عدو يتجهمنى أم الى عدو ملكته امرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » فلم يكن بد — بعد هذا الجو المكفهر المقيت — من أن يلتمس النبى الكريم للدعوة

جوا تستطيع التنفس فيه ، ولم يكن بد من أن يجد عليه السلام الجو الآمن الجديد المبشر بالخير فى غير مكة التى نبت به وهى مسقط رأسه ومربى طفولته ومزدهر شبابه .

وفكر النبى الــذى لا ينطق عن الهوى ــ أول ما فكر ــ بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأمرهم بالهجرة الى الحبشة ، لأن بها النجاشى الملك النصرانى الذى (لا يظلم عنده أحد) كما قال الرسول الكريم .

وحين أذن الله لنبيه بالهجرة أمره بتنفيذ الخطة التى الهمه رسمها وتصميم مراحلها ، فلم تكن هجرته فرارا من الأذى وهربا من الاضطهاد ، اذ لو أراد ذلك لهاجر الى بلد بعيد كالحبشة مثلا ، بعد أن نصح أصحابه بالهجرة اليها ، ولكنه صلوات الله عليه كان المثل الأعلى للشدة فى الحق ، والثبات على المبدأ ، فظل يصبر ويصابر حتى تسنح الفرصة ويأذن الله ، فلم يتألم من عدوان سفيه ، بل كان يجد فيما يحسبه الناس ألما لذة سامية ، وكان سعيدا بآلامهالفوادح ، لا يبالى ما دام الله معه يهديه ، ويسمع سره ونجواه ، ويكلؤه فى متقلبه ومثواه . ولذلك حاول وهو فى مكة لما يفارقها أن يضع خطة حكيمة يتابع تنفيذها طورا بعد طور واثقا من النجاح ، مطمئنا الى تأييد الله ، صابرا الصبر الجميل !

ان النبى عليه الصلاة والسلام ليعلم أن موسم الحج هو الملتقى الطبيعى للوافدين الى مكة من غير المكيين ومن غير القبائل التى عرض نفسه عليها ودعاها الى دين الله . ويشاء الله أن تكون بداية الفرج خروج نفر من الخزرجيين الى مكة فى موسم الحج بعد وقعة بعاث المشؤومة التى قتل فيها مئات من الاوس والخزرج ، فلقى النبى هؤلاء الحجيج ودعاهم الى الاسلام فشرح الله صدورهم لدينه الحنيف .

ومع استدارة العام وحلول موسم الحج اتى مكة اثنا عشر رجلا من أهــل المدينة ، فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه عند العقبة البيعــة الاولى ، وأرسل معهم عليه السلام مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين .

ولما جاءه فى العام القابل فى موسم الحج سنة ٦٢٢ م . خمسة وسبعون من أهل المدينة بينهم امرأتان ، بايعهم عليه السلام سرا فى جوف الليل على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، واتخذت هذه البيعة الكبرى عند العقبة صورة الحلف أو الميثاق ، فقد قال الرسول الكريم للقوم يومذاك : « أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » ، واختار منهم اثنى عشر نقيبــا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وهو عليه السلام كفيل على قومه .

ولقد قال حينئذ البراء بن معرور سيد قومه ، وهو من الذين أسلموا بعد العقبة الاولى ، معلنا البيعة بلسان الجميع : « بايعنا يا رسول الله . فنحن والله أبناء الحــروب ورثناها كابرا عن كابر » . واعترض أبو الهيثم بن التيهان يقول : « يا رسول الله ، ان بيننا وبين يهود المدينة عهودا نحن قاطعوها ، فهل عسيت ان قطعنا هــذه العهود ثم نصرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » وأجاب النبى الصفى الوفى . « بل الدم الدم والهدم » .

ورغم ما احيطت به بيعة العقبة الكبرى من سرية بالغة . ورغم اتمامها فى جوف الليل عند شعب العقبة فى عزلة عن الناس . تسرب الى قريش نبأ هـذه المعاهدة الخطيرة . وأحسب قريشا قد أحست قبيل هذه البيعة بنشاط النبى فى الدعوة ودابه المتواصل لتبليغ الرسالة . فأرسلت بعض عيونها وجـواسيسها يتابعون حركاته . اذ ما كاد الحلف يتم وما كاد الانصار يقسمون للنبى على تنفيذه نصا وروحا حتى سمعت قريش مناديا يناديها بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباجب ! يا أهل المنازل بمنى . هل لكم فى مذمم (١) والصباء الخـارجين على دينهم معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ وربما كان هذا المنادى يريد فى آن واحـد تحذير قريش وتثبيط عزائم الانصار . أما قريش فقد بلغ بها الحذر منتهاه حتى جاءت منازل الخزرجيين فى شعب العقبة وأنشأ رجالها يعاتبون القوم قائلين : يا معشر الخزرج . نحن لا نريد حربكم . وما نكره أن نقاتل قوما كمـا نكره أن نقاتلكم ، فما بالكم تبايعون محمدا على حربنا وتخرجونه من بين اظهرنا ؟

ولما ايقنت قريش ان هذا الحلف قد تم حقا . وأن الانصار سينفذونه فعلا . خرجت تطلب من قدرت عليه منهم فلم تظفر الا بسعد بن عبادة بأذاخر قريبا من مكة . فربطوا يديه الى عنقه بجلد رحله . وجروه من شعره . وردوه الى مكة وظلوا يعذبونه حتى أجاره حليفان له فى الجاهلية جبير بن مطعم والحارث بن أمية .

وأما الانصار فما ازدادوا الا ايمانا وتسليما حتى قال العباس بن عبادة للنبى : « واللـه الذى بعثك بالـحق . ان شـئت لنميلن على أهـل منى غدا بأسيافنا ! » ولكن القائد الحكيم عليه السلام أجاب : « لم نؤمر بذلك . فارجعوا الى رحالكم » .

وبينما كانت قريش تفكر بالقضاء على حركة الانصار فى مهدها . وتفكر فى حماية أصنامها وعبادها . وفى الابقاء على سيادتها وزعامتها . اقدم النبى صلى الله عليه وسلم ببراعة وحكمة على عمل سياسى عظيم . فأمر أصحابه بالهجرة الى المدينة فرادى أو نفرا قليلا . فسوف يجدون النصر والتأييد فى يثرب أوسها وخزرجها بين قوم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . وخافت قريش من هجرة المؤمنين الى المدينة . ففرقت بين المرء وزوجه ومنعت الزوجة القرشية من المسير الى يثرب مع زوجها المؤمن . ونكلوا أشـد التنكيل بكل من أصـابوه يعتزم الهجرة والرحيل .

وظل النبى البطل الشجاع فى مكة دؤوبا على الدعوة الى الاسلام . وقال لصاحبه أبى بكر حين استأذنه بالهجرة : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » . وفى رواية أخرى « لم يؤذن لى » وكأنه كان ينتظر الفرصة السانحة التى يلهمـه الله أنها ملائمة لتنفيذ خطته الحكيمة البارعة !

ومن يتتبع السيرة النبوية المطهرة بعمق ودقة يوقن بأن الدوافع النفسية التى كانت تحمل الرسول الكريم على اختيار المدينة مهاجرا له تكاد تقطع بأن عمله الشخصى فى رسم خطة الهجرة لم يكن ضئيلا : فقد كانت للرسول فى المـدينة علاقة قربى . ففيها أخوال جده عبد المطلب من بنى النجار . وفيها قبر أبيه عبـد الله بن عبد المطلب . وفى السادسة من عمره زار النبى عليه السـلام مع أمه آمنة بنت وهب قبر أبيه . ومرضت أمه فى الطريق فماتت ودفنت بالأبواء فى

---

(١) لم يقل المنادى « محمد » عكسها فقال « مذمم » بغيا من نفسه اثارة للقوم .

منتصف الطريق بين مكة والمدينة . ومن المعلوم ان النبى عليه السلام كان اول الامر يتجه فى صلاته الى ناحية المدينة جاعلا قبلته المسجد الاقصى ببيت المقدس مقام النبيين ، فهل يلغى الدارس هذه الدوافع كلها ولا يرى فيها شيئا مذكورا ؟.

على أن وضع النبى عليه السلام خطة الهجرة لا ينبغى أن يتعارض مع تأييد الله له فيها بالوحى ، فان كلا من الامرين يتمم الآخر ، وينسجم معه بدلا من أن يناقضه : اذ المعروف عن الرسول الكريم فى جميع مراحل حياته أنه قد امتاز بمضاء العزيمة ، وعلو الهمة ، والكفاح الدائب ، والثبات على المبدأ ، والثقة بالنجاح ، وما كان يستمد هذه الخصال كلها الا من اطمئنانه الى الله حتى ذهب مذهب الامثال قوله لعمه أبى طالب : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه » .

وحين أوى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابو بكر الى غار ثور ، وقفا المشركون آثارهما ، قال أبو بكر فى جزع شديد : لو نظر احدهم تحت قدميه لرآنا ، فهمس النبى الشجاع فى أذن صاحبه همسته الخالدة : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » ولذلك عد الله نجاح نبيه فى هجرته نصرا ربانيا أيده به ، فقال فى سورة التوبة : « إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » وصرح فى سورة الانفال بأن الله هو الذى مكر بالقوم الذين مكروا برسوله ، فقال : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

ليس من الخطأ اذا أن نقول : ان الله ايد بالوحى محمدا فى الهجرة ونفخ فيه من روحه حتى نصره وأنجحه . فلا ريب أن هذا التأييد قد وقع ، ولم يكن بد من أن يقع تكريما من الله لنبيه وتثبيتا لفؤاده ، ولكن الخطأ فى قول من يقول : ان هذه الحادثة الكبرى كانت وحيا من الله خالصا . كما ان الخطأ فى قول من يزعم أن النبى انفرد برسم خطته . وأنه انتصر بمحض قدرته الشخصية وارادته . فالحق أن احدا من البشر مهما تبلغ مقدرته وحكمته وارادته لا ينفرد بشىء ، والنبى الكريم لم يكن بدعا من البشر . ولا بدعا من الرسل ، ولكم قص الله على نبيه قصص الانبياء السابقين : « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ الا ان نصر الله قريب » .

وعلى هذا الاساس . يمكن الجمع بين الامرين : فقد قام النبى البطل الشجاع المقدام بالهجرة . تبعا لخطة وضعها وأحكمها ثم نفذها . وقد استمد عناصر النجاح من تأييد الله له ونصره . وانتظر الاذن الربانى بالشروع فيها واتمامها على ما يرضى الله . وهكذا تجلت فى ملحمة الهجرة مشاهد البطولة النبوية التى ما عرفت الايام ولن تعرف لها نظيرا .

وعلى هذا الاساس أيضا يمكننا ان نعالج آثار النكسة التى اصابت العرب والمسلمين فى الصميم ، فعلينا اليوم ان نحصر طاقاتنا كلها فى مواصلة النضال ، متوكلين على الله رب العالمين ، واثقين ان النصر من عنده وحده ، وهو العزيز الحكيم .

رحلة إلى



للشيخ : حمد الجاسر

قام الاستاذ المحقق العلامة الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة (العرب)
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق برحلة الى المدينة
يحقق فيها الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته . ونشر
هذا التحقيق في مجلة (العرب) . .

وقد رأينا نظرا لاهميته ان نستأذن الاستاذ الفاضل في تقديمه لقراء (الوعي
الاسلامي) ، فاذن مشكورا .

وفي العدد القادم ننشر البقية ان شاء الله .

الغاية من الحديث عن هذه الرحلة ، تكاد تنحصر فى جانب واحد ، هو ان كثيرا من مواضع بلادنا لا يزال محتفظا باسمه القديم الذى نقراه فى كتب التاريخ والرحلات وفى شعر الشعراء المتقدمين .

وقد خطر لى — أثناء تعليقى على القسم المتعلق بتحديد الامكنة من كتاب اللغوى المعروف مجد الدين الفيروز آبادى عن تاريخ المدينة النبوية المسمى « المغانم المطابة من معالم طابة » — خطر لى القيام بزيارة البلدة الطيبة ، لعلى استطيع ان احدد بعض الاماكن القريبة منها مما ذكره الفيروز آبادى أو التابعة لها على ما جاء فى كتابه تحديدا صحيحا .

وكنت ضعيف الامل فى الاهتداء الى معرفة تحديد كثير من الامكنة لتغير الاسماء وانقطاع تدوين تحديدها منذ أمد بعيد .

وقلت فى نفسى لتكن تجربة ، اقوم بها متتبعا طريق هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ العلماء اولوا آثاره عليه الصلاة والسلام ، عناية فاقت كل عناية .

وكان أن رجعت الى أقدم المؤرخين الذين حددوا معالم ذلك الطريق ، واقدم من استطعت الحصول على تحديده ، هو ابن هشام مختصر سيرة ابن اسحاق ، ثم ابن جرير من بعده ، فنقلت اسماء المواضع التى ذكرها هذان العالمان من كتابيهما المعروفين .

ووجدت من كرم اخى الاستاذ أبى الخضر عبد الرحمن الشيبانى ، ما يسر لى وهيأ كل وسيلة لتحقيق اربى ، فكان أن قمت بتلك الـرحلة القصيرة الـى المدينة ، وان لم تكن كاملة من كل ناحية ، الا أنها بعثت فى نفسى آمالا طيبة ، وكان لها من الآثار الحسنة ما ملأت فؤادى تفاؤلا بأن كثيرا من معالم تاريخنا ، وما يتعلق بتحديد المواضع الاثرية فى تاريخنا لا يزال سهلا ميسورا .

للمدينة المنورة من مكة طرق كثيرة أشهرها ثلاثة :

١ ــ الطريق الساحلية التى تسير بمحاذاة ساحل البحر الاحمر ــ بحر القلزم ــ حتى تحاذى بلدة (بدر) التى كانت فى السابق احدى المحطات الرئيسية لطرق القوافل فى غربى الجزيرة الى الشام والتى حدثت فيها الوقعة العظيمة التى انتصر فيها الاسلام أعظم انتصار فى عهد الرسول عليه الصــلاة والسلام .

ومن بدر يتجه المرء الى المدينة ذات اليمين ، سائرا مع واديها الذى أعلاه (وادى الصفراء) حيث تجتمع أودية كثيرة تنحــدر من الســـلسلة الجبلية جنوب المدينة ــ وسيأتى الحديث عنها ــ ثم يسلك المرء احد تلك الاودية متجها صوب الشمال ، حتى ينتهى منحدرا فى واد آخر ويفضى به الطريق بعد ذلك الى وادى العقيق مدخل المدينة المنورة .

٢ ــ الطريق النجدية وهو طريق يتجه من مكة مشرقا حتى يقطع سلسلة جبال الحجاز ثم يسير منحرفا نحو الشمال بمحاذاة تلك السلسلة الجبلية مارا بأودية كثيرة ومخترقا قسما من بلاد هذيل ، ثم بلاد بنى سليم وطــرفا من بلاد مزينة ، ثم يأتى الى المدينة من الناحية الشرقية ، وهذا الطريق كان مسلوكا الى عهد قريب ، وقد كان للعمل فى معدن بنى سليم ــ الذى يمر ذلك الطريق بقربه فى الأزمنة الاخيرة ــ كان للعمل فى ذلك المعدن من الأثر ما أحيا هذا الطريق ، واصلح كثيرا من المواضع التى تحتاج الى اصلاح وتقع محطات له أو قريبة منه .

٣ ــ الطريق الأوسط الذى يعتبر الطريق الرئيسى الى المدينة من مكة . وهذا يمر بكثير من الأودية ويعترضه عقبات ، وأمكنة وعرة ، وكانت قوافل الحجاج والزوار فى العصور القديمة تسلك هذا الطريق ، وقبل عشر سنوات اصلح بعضه حتى صار طريقا للسيارات ، ومن أشهر العقبات التى تقع فى هذا الطريق ، عقبة (هرشا) وقد عبدت قديما لسلوك القوافل ثم سهلت لمرور السيارات .

ويجتمع هذا الطريق مع طريق الساحل فى محطة تعرف قديما باســم (المنصرف) وحديثا باسم (المسيجيد) قرية كبيرة الآن .

وهناك طرق فرعية اخــرى ، الا ان فيهـــا كثيرا من الوعــورة بحيث لا تجتازها الابل الا بمشقة كطريق (الغاير) الذى يتجه الى المدينة قبل محطة (المسيجيد) بما يقارب مرحلة بسير الابل .

ولحسن الحظ فان هذا الطريق على وعورته ومروره فى أودية رملية وتلاع صخرية ، فانه لا يزال يسلك حتى عهدنا الحاضر ، لأن الزوار فى شهر رجب يسلكونه لاختصاره ولكونه هو الطريق القديم واكثر من يسلكه راكبو (الحمير) الذين يسيرون فى موكب معروف فى شهر رجب من مكة ، ويجوزون ثنية الغائر ، مشاة أو ركبانا فوق دوابهم فيصلون الى قمة السلسلة الجبلية الواقعة بقـــرب المـــدينة ثم ينزلون مع وادى (ريم) الى وادى العقيق فى المدينة .

ومما ينبغى الانتباه له ، أن بعض المتقدمين قد يحددون جبلا أو موقعا بأنه على الطريق بين مكة أو فى شمال الطريق أو يمينه . واذا لم يكن لدى الباحث العام بمعرفة تلك الطرق وتعددها ، قد يقع فى اشـــكال من هـــذه الناحية .

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم من أن جبل « عير » — وهو جبل عظيم لا يزال معروفا ومشاهدا بقرب المدينة يقع على يمين طريق المتوجه من المدينة الى مكة ، وهذا الكلام حق بالنسبة لمن سلك طريق « ريم » ونزل من ثنية « الغائر » ولكن من أتى مع الطريق الاوسط مارا بالسيالة فملل فالفرش ، يدعه عن يمينه اذا اتجه الى المدينة ، وعلى يساره اذا اتجه الى مكة .

وملاحظة أخرى ينبغى ادراكها : هى أن الاســـم قد يطلق على عـــدة مواضع . وكثير من المتقدمين لا يفرقون بين تلك المواضع ، فيوردون تعاريفها وما قيل فى تحديدها . عند الكلام على أحدها فيقع الالتباس ، ويقع التضارب عند المتقدمين عندما يحاولون تحديد موضع من المواضع ، اذ يعتمد أحدهم على قول ، ويعتمد الآخر على قول ثان يخالفه فى ظاهر الامر ، وقد يكون فى الواقع منطبقا على موضع آخر ، بعيد عن الموضع المقصود . وأمثلة ذلك كثيرة فيما بين أيدينا من معجمات الامكنة ، وكتب التاريخ والرحلات ، التى حاول مؤلفوها ايراد ما جاء عن المتقدمين فى تحديد بعض الامكنة التى يتعرضون لذكرها .

ولقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر الى المدينة طريقا غير الطريق الذى اعتاده الناس فى ذلك العهـــد ســـلوكه . يقـــول السهيلى — فى الروض — ، حاكيا عن دليلهما : فكنت آخذ بهم فى أخفـــاء الطريق . وفقه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم أخفاء الطريق ومخارمه . ا هـ .

وعندما خرج هو وصاحبه الصديق رضى الله عنه ، أخذهما دليلهما فسلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل (عسفان) ثم سلك بهما على أمج ، ثم جاز بهما ، تاركا الطريق على يمينه ، وقد فعل ذلك خوفا من ترصد قريش للرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا أردنا أن نبحث عن تحديد المواضع التى ذكرها ابن هشام وغيره فانها تبدو بهذا الترتيب :

١ — أسفل (عسفان) معروف وهو أسفل الوادى عندما يصب فى البحر بقرب (ذهبان) الذى يبعده عن جدة (٥٠) كيلا .

٢ ــ أمج ، وأمج هو أسفل وادى (ساية) الوادى الذى يقع فى أسفله (خليص) .

وقد حدد المتقدمون المسافة بين (عين خليص) وبين أمج ، بميلين ، اى ان العين بعد امج للمتوجه الى المدينة ، وهــذا الوادى يجتمــع مع وادى (غران) فيكونان واديا واحدا يفيض فى البحر فيما بين (ذهبان) (وثول) .

٣ ــ قديد : واد طويل ، ويظهر أن طريق الرســول صلى اللــه عليه وسلم كان على أسفل الوادى ، لأن ابن هشام وغيره ذكر أن الدليل سلك بهما الخرار بعد قديد .

٤ ــ والخرار على ما ذكر المتقدمون قريب من (الجحفة) وبعضــهم يعده فيها و (الجحفة) لا تزال معروفة ، فكأن الدليل جاز وادى (الستارة) وهو أسفل (قديد) ويصب فى البحر فيما بين (القظيمة) و (ثول) ثم سار قريبا من الساحل حتى جاز (الخرار) ثم أخذ ثنية تدعى (ثنية المرة) .

٥ ــ وثنية المرة لم اجد من يعرفها ولكن يوجد بجهة (كلية) فيما بينها وبين (رابغ) ثنية يسلكها المتوجه الى (كلية) والمتقدمون يقولون : عن ثنية المرة انها قريبة من ماء يدعى (الاحياء) وانه فى وادى (رابغ) .

٦ ــ ويسوق المتقدمون خبر الطريق فيذكرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد (ثنية المرة) سلك (لقفا) .

ولقف هذا واد لا يزال معروفا ، وهو من روافد (وادى النخل) يقع بين وادى (الفرع) ووادى (مجاح) ويفيض فى وادى النخل عنــــد محطة (بئر رضوان) التى تبعد عن (بئر مبيريك) مسافة تقرب من (٣٠) كيلا من جهة مطلع الشمس .

ووادى النخل يصب فى (القاحة) عند بئر مبيريك) ووادى (القاحة) يصب فى وادى (الابواء) وقول ابن هشام : ان (لقفا) يقــال له (لفت) واستشهاده بشعر معقل بن خويلد الهذلى على ذلك ، يظهر أنه تصــــحيف فابن أسحق أعرف منه بتلك المواضع لقدمه ولاقامته فى المدينة . وقد سماه (لقفا) .

ويظهر من سياق الخبر أن الرسول صلى الله عليه وســلم ترك طريق ثنية (هرشا) يساره اذ هو الطريق المعروف وانه نزل من (مدلجة لقف) .

٧ ــ و (مدلجة لقف) تلعة كبيرة ، تصب فى وادى (لقف) تبعد عن (بئر رضوان) مسافة ١٠ أكيال اذا سندت فى وادى (لقف) تفيض فيه من جهة الشمال .

٨ ــ وفى الخبر : ثم استبطن بهما (مدلجة مجاح) .

و(مدلجة مجاح) رافد من روافده لا يزال معروفا .

٩ — أما (مجاح) فقد ورد بصيغ مختلفة (محـــاج) و (مجاج) و (مجاح) والاخيرة هى الصواب ، وقد لاحظ هذا السهيلى حيث قال : وقد الفيت شاهد الرواية ابن اسحق فى (لقف) وفيه ذكر (مجاح) بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعن اللـــه بطن لقف ، مسيـــلا و (مجاحا) وما أحب (مجاحا) !!
لقيـــت ناقتـــى بـــه ، وبـ (لقف) بلدا مجـــدبا ، وأرضا شـــحاحا !

ان وادى (مجاح) لا يزال معروفا ، وهو من فروع وادى النخل ، يصب فيه قبل اجتماعه بوادى (القاحة) ، بما يقرب من ٥ اكيال قبل (بئر مبيريك) .

١٠ — وورد فى الخبر (مدلجة مجاح)..

وهى رافـــد من روافده ، ولا يزال معـــروفا ومدلجة (لقف) ومدلجة (مجاح) يتقاربان حتى يلتقيان .

١١ — ثم سلك بهما (مرجح مجاح) .

(مرجح) رافد من روافد (مجاح) مقابل لمدلجة مجاح ، يصب فيه :
وقد ورد فى كتـــاب البلدان لنصر بن عبـــد الرحمن الاســـكندرى مصحفا : (مدجج) بضم الميم ، وفتح الدال وتشديد الجيم الاولى وكسرها — والصواب : بفتح الميم وسكون الراء ، وجيم مكسورة ، بعدها حاء مهملة .

١٢ — وجاء فى الخبر : ثم تبطن بهما مرجح من ذى الغضـــوين : قال ابن هشام : ويقال (العضوين) ، واقول : المعروف الآن عند اهـــل الجهـــة (العصوين) بالعين والصاد المهملتين ، تثنية عصا ، وهما تلعتان كبيرتان ، كل واحدة منهما تسمى (العصا) تلتقيان ، ثم تصبان فى وادى (مجاح) بقرب اجتماعه بوادى النخل . وارى ان الغضوين او العضوين تصحيف .

١٣ — ثم بطن (ذى كشر) .

يعرف هذا الموضع الآن باسم (أم كشد) بكاف مكسورة ، وشين معجمة ساكنة ، ودال مهملة ، لا كما جاء فى (سيرة ابن هشام) وفى (معجـــم البلدان) (وأم كشد) هذه تلعة تصب فى وادى يدعى (ثقيب) وهو واد يجتمع مع وادى (القاحة) بعد ان يتجه المرء من (بئر مبيريك) الى جهـــة المدينة ، بما يقرب من ١٥ كيلا .

فكأن طريق الرسول صلى الله عليه وســـلم ترك وادى (القـــاحة) يسارا فى هذه الجهة ، ثم التقى بهذا الوادى فيما بعد .

١٤ — وفى الخبر : ثم أخذ بهما على (جداجد) وهو واد صغير من روافد وادى (ثقيب) .

١٥ — وورد فى الخبر ذكر (الاجرد) و (ذى سلم) .

والاجـــرد يسمـــى الآن (أجيرد) بالتصغير (وذا ســـلم) يسمى (ام السلمة) .

بعد ان يقطع المسافر ما يقرب من ثمانية اكيال سائرا فى وادى (ثقيب) يصل الى موضع يدعى (البستان) مسكون ، ومنه طريق الى (الفرع) حيث اتجاه أعلى (ثقيب) وعلى بعد اقل من كيل واحد تقع (أم كشد) وهى واد . (اجيرد) على الشمال منها و (أم السلمة) تلعة كبيرة تصب فى (اجيرد) وكلها تصب فى (ثقيب) ثم يسير الطريق المتجه الى (القاحة) تاركا (اجيرد) على يمينه ، جازعا أعلاه ، وبعد أن يتركه ينحدر فى تلعة تصب فى وادى (القاحة) حيث يرجع الطريق اليها مرة اخرى .

١٦ ــ وورد فى الخبر اسماء منها (تعهن) و (اعداء) .

اما (تعهن) فانها واد كبير يصب فى (القاحة) عند المحطة المعروفة الآن باسم (أم البرك) وقديما باسم (السقيا) ــ كما سيأتى الحديث عن مراحل الطريق العام .

والغريب ان اهل تلك الجهة ينطقون هذا الاسم (تعهن) بفتح التاء بامالة نحو الكسر ، وكسر العين بالهاء المشددة المكسورة بعدها نون .

١٧ ــ وذكر ابن هشام فى سياق خبر الهجرة بعد اعداء مدلجة تعهن قال : ثم العبابيد ، قال ابن هشام : ويقال : العبابيب ، ويقال : العثيانة ، يريد العبابيب .

لم اجد احدا يعرف شيئا عن هذا الموضع الذى ذكر له ابن هشام ثلاثة اسماء ، مع أن من قابلتهم لم يكونوا من اهل الموضع الذى يقع بعد (تعهن) ذلك اننى مررت بتلك الناحية ليلا ، فلم أصادف أحداً من أهلها .
ولعل أخى الاستاذ سليمان سليم مدير التعليم فى تلك النواحى يكرم ــ وهو كريم ــ فيحقق للقراء هذا الموضع وغيره مما تقدم او سيأتى ذكره ، فالمار والذى من غير اهل البلاد يفوته الشىء الكثير .

١٨ ــ قال ابن هشام : (ثم اجاز بهما الفاجة ــ ويقال القاحة فيما قال ابن هشام) .
وقول ابن هشام هنا هو الصواب ، فالقاحة بالقاف ثم الحاء المهملة المفتوحة بعدها هاء ، واد عظيم يفيض فيه فى أعلاه وادى (تعهن) والسالك مع هذا الطريق بعد (تعهن) يجوزه ، بقرب ما يدعى الآن (أم البرك) جمع بركة وهى قرية كانت كبيرة ، الا أنهـا ضعفت الان ، وكانت تدعى قديمـا (السقيا) بالسين المهملة المشددة المضمومة بعد قاف ساكنة فياء مثناة تحتية مفتوحة معدودة ، وهى سقيا بنى غفار قبيلة معروفة قديما كانت من مساكنها فى القديم ، واعالى (السقيا) تبتدىء من مكان يبعد عن (أم البرك) بما يقارب ٤٥ كيلا بعد أم البرك للمتوجه الى المدينة ، عند محل يدعى (الرصفة) وهو جبل منحوت قديما لسلوك المسافرين ارضه مرصوفة .

ويمتد وادى (القاحة) من هذا المكان متجها صوب الجنوب ، حتى يفيض فى وادى (الابواء) وتجتمع به اودية كثيرة من أشهرها وادى (ثقيب) ووادى (النخل) الذى يفيض فيه سيل واديى (مجـاج) و (لقف) وأودية أخرى كثيرة تقدم ذكر بعضها .

١٩ ــ وقال ابن هشام : ثم هبط بهما (العرج) .
والعرج على ما ذكر المتقدمون يبعد عن اول وادى (القاحة) بما يقارب ثلاثة عشر ميلا .

ولعله هو أعلى ما يسمى الآن وادى (الجى) بجيم مكسورة بعدها ياء مشددة ، وهو يبعد عن أعلى وادى (القاحة) بما يقارب الميل الواحد . هذا أعلاه . فكأن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم جزءه من اثنائه .

ووادى (الجى) ليس له ذكر عند المتقدمين فهم لا يذكرون الا (موضع الجى) ويقولون انه منازل فيه بئران ، عذبتا الماء ، وانه فى سفح جبل ، وان ورقان الجبل العظيم المعروف ينتهى عنده ، ويحددون المسافة بينه وبين (عقبة العرج) بأقل من عشرة أميال . ويقولون بأن عقبة العرج بين جبلى (قدس) و (ورقان) وهذا الوصف ينطبق على أعلى وادى (الجى) فكأن اسم (الجى غلب على وادى العرج لوقوع الجى فى أعلاه .

أما (قدس) هذا فكان من اشهر الجبال القديمة واعرفها . ويسمونه الآن (ادقس) بهمزة مكسورة بعدها دال ساكنة . فقاف فسين . تحريف للاسم القديم .

من أول وادى الجى تتجه سيول الطريق مغربة حيث تجتمع كل الاودية الواقعة دون المدينة عن يسار جبل ورقان وهى السلسلة الجبلية الممتدة من نهاية وادى الجى الى نهاية وادى (الروحاء) مما يسيل من هذه السلسلة وغيرها فتكون أودية عظيمة تجتمع بهذا الوادى المسمى الآن بوادى الجى ثم يجتمع معها وادى الروحا ، ووادى (النازية) بتخفيف الياء ووادى (وحقان) وتفيض كلها بوادى الصفراء ثم تتجه صوب البحر غربا حتى تصب فيه جنوب (مستورة) موضع (ودان) القديم .

لقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذه المواضع بيساره وعدل عن الطريق المعروف وسلك ثنية الغائر .

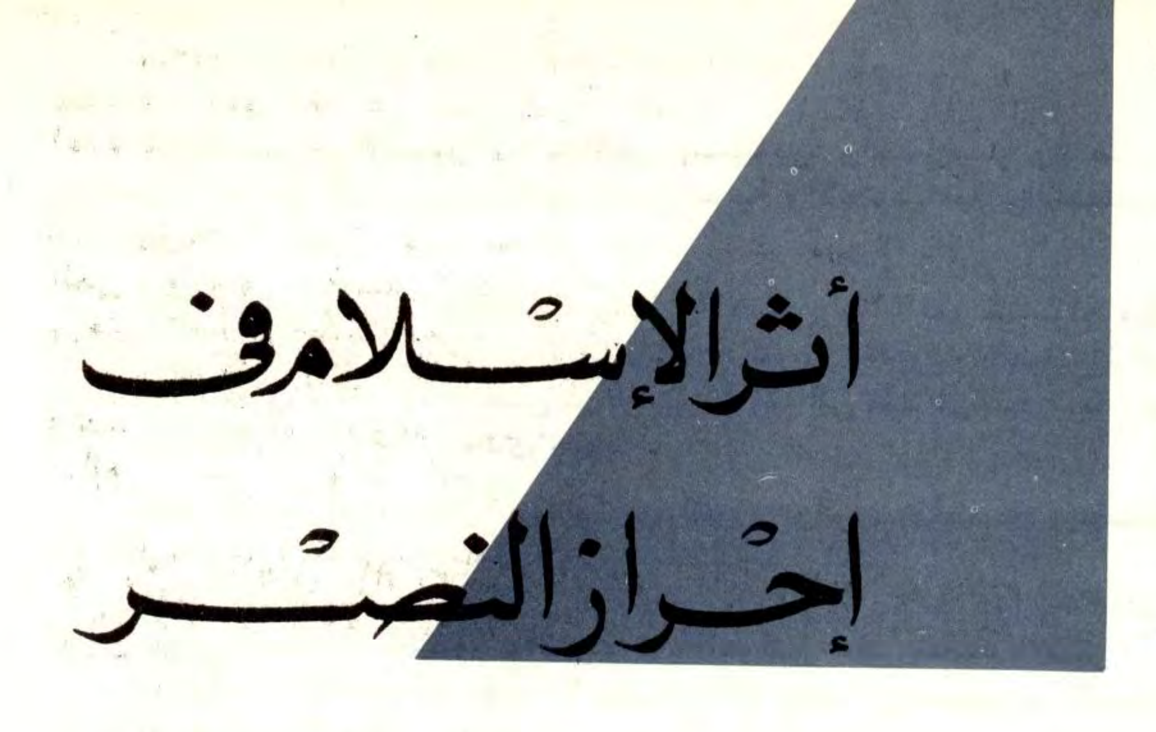
٢٠ — وجاء فى السير من رواية ابن هشام وغيره ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هبط العرج ، خرج منه ، فسلك ثنية العائر عن يمين ركوبه ، ويقال (الغائر) .

والعائر بالعين المهملة تصحيف صوابه الغائر بالغين المعجمة وهى ثنية لا تزال معروفة ، ويسلكها الذين يذهبون للزيارة قديما مشاة أو على الدواب . وهى ثنية صعبة السلوك ، وغير معبدة فى الوقت الحاضر ، ولا تسلكها الابل الا بجهد ومشقة .

وعندما رغبت المرور بها ، لم اجد فى تلك الناحية احدا يرشدنى الى الطريق ، وقيل لى ، ان الابل — فى هذا العام لتوالى الجدب — هزيلة ومن الأيسر أن أنزل معها نزولا من جهة المدينة .

٢١ — وقال ابن هشام بعد ذكر ثنية الغائر : (حتى هبط بهما بطن (رئم) » .

ورئم هذا وهو ينطق الآن بتسهيل الهمزة (ريم) — وهو واد من روافد وادى عقيق المدينة — لا يزال معروفا .



أثر الإسلام في إحراز النصر

اللواء : محمود شيت خطاب

– ١ –

حارب النبى صلى الله عليه وسلم فى غزواته العرب المشركين وانتصر عليهم ، فلم يلتحق بالرفيق الاعلى الا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لواء الاسلام .

كان جنود النبى صلى الله عليه وسلم من العرب المسلمين ، قليلى العدد ، فقراء بالسلاح والقضايا الادارية .

وكان أعداء الاسلام من العرب المشركين ، كثيرى العدد ، اغنياء بالسلاح والقضايا الادارية .

كان التفوق العددى والعددى مع العرب المشركين على العرب المسلمين ، ولكن الفئة القليلة من العرب المسلمين ، غلبت الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين باذن الله .

وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، حارب العرب المسلمون الغساسنة فى معركة (اليرموك) الحاسمة التى فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين ، وحاربوا المناذرة فى معركة (القادسية) الحاسمة التى فتحت أبواب أرض العراق للمسلمين ، وكان الغساسنة والمناذرة من العرب الأقحاح ، وكانوا أعرق مدنية واكثر حضارة ، واغنى مالا وسلاحا ، وأعرف بأساليب القتال ، وأقرب الى قواعدهم من أولئك العرب المسلمين القادمين من قلب الجزيرة العربية .

وانتصر العرب المسلمون على العرب غير المسلمين ، وعلى غير العرب من اليهود والروم والفرس والبربر فى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، لا لأنهم عرب وكفى ، بل لأنهم عرب مسلمون .

لقد كان انتصار العرب المسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم انتصار عقيدة لا مراء .

فما أثر العقيدة الاسلامية فى احراز النصر ؟

— ٢ —

كان العرب فى الجاهلية متخلفين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا ، فرفع الاسلام مكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .

كان الفرس والروم سادتهم ، وحتى الأحباش كانت لهم صولة وجولة ومكانة فى اليمن ، فأصبح العرب بالاسلام سادة الفرس والروم والأحباش والبربر وسادة أمم أخرى لا تعد ولا تحصى من الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، ومن سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا .

وكان العرب أقل حضارة ومدنية من الفرس والروم خاصة ، فأصبحوا بعد الاسلام قادة الحضارة العالمية ورواد المدنية فى الدنيا .

وكانوا فقراء معدمين يسكنون الخيام فى الصحراء ، فأصبحوا بعد الاسلام اغنياء مترفين يسكنون القصور والبيوت فى الحواضر على ضفاف الانهار .

وكانوا من الناحية العسكرية لا يطمعون أن يحموا أرضهم من الفرس والروم وحتى من الاحباش ، فأصبحوا بعد الاسلام لا يطمع أحد فى حماية أرضه من قوتهم القاهرة التى ملأت الارض سماحة وعدلا .

اذن كان للاسلام اثر اى اثر على العرب ، بدلهم من حال الى حال ، وجعل منهم امة لها مكانتها ولها اعتبارها ولها تأثيرها على سير الاحداث الكبرى ، ولها كلمتها المسموعة بين الامم .

ولعل الباحثين المنصفين من المسلمين وغير المسلمين ، يستطيعون ان يقولوا كثيرا عن اثر الاسلام فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العرب .

ولكننى سأقتصر هنا ، على أثر الاسلام فى العرب من الناحية العسكرية فقط ، مذكرا أن العرب لو لم ينتصروا فى الحروب ، ولو ترفرف راياتهم شرقا وغربا ، لما كانت لهم مكانة بين الامم فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لذلك يمكن القول بأن اثر الاسلام عسكريا على العرب هو الأساس الأول لمكانتهم السامية بين الامم ، ذلك لأن الدول لا تحترم غير الاقوياء ، وأن القوى وحده هو الذى يستطيع أن يؤثر فى سير الاحداث العالمية ، سواء أكان هذا التأثير هدفه الخير للعالم ، أم هدفه الشر والخراب والدمار .

— ٣ —

كان فى العرب أيام الجاهلية مزايا متميزة : الذكاء الفطرى ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة والاقدام ، والكرم والسخاء ، فعمل الاسلام على تطوير هذه المزايا وصقلها وأفاد منها ، ونجح فى مسعاه أعظم النجاح .

وكان فى العرب أيام الجاهلية صفات رديئة : تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة الاوثان والأصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ، فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر عليها انتصارا باهرا .

وصدق الله العظيم : (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) (١٠٣ — آل عمران) .

وكان العرب قبل الاسلام ، ماهرين فى حروب العصابات ، وفى استعمال السلاح ، وفى الفروسية ، وكانت لهم قابلية عظيمة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر ، وبأقل وقت ممكن ، وأقل تكاليف ادارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد :

واحيانا على بكر اخينا   اذا ما لم نجد الا اخانا

لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية ، تذهب عبثا فى المناوشات المحلية بين القبائل .

فلما جاء الاسلام ، وحد عقائدهم ، ووحد اعمالهم ، ووحد صفوفهم ، ونظمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا فأصبحت — لذلك كله وبذلك كله — قوتهم المبعثرة ، وجهودهم المضاعة ، تعمل بنظام وضبط ، بقيادة واحدة ، لهدف واحد ، واصبح المؤمنون فى مشارق الارض ومغاربها أخوة ، يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة ، تحيتها السلام ، ودينها الاسلام .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم الفين فى عمرة القضاء ، ومائة الف فى حجة الوداع ، يسيرون كلهم فى نظام أدق نظام : هرولة ، ومشيا ، واستلاما للركن والحجر الاسود — هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من أسباب القوة ، بل هو مصدرها ، وملاكها ، وهذه الامامة يقوم بها رجل مطهر يؤمن أصحابه بصدقه ، هى روح هذه القوة وقوامها .

وفرضت الصلاة على المسلمين ، ثم قامت صلاة الجماعة التى اداها المسلمون وراء امام واحد . ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفا للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسجداتها فى تناسق مدهش وفى نظام ووقار ، لا يمكن ان يغفل لما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية فى نفوس المسلمين . ان العرب اباة لا يخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التام بالطاعة والنظام ، فكانت لهذه الصلاة اهمية بالغة فى (ايقاظ) روح النظام فى نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقى للتدريب على النظام عند المسلمين .

ثم ان انتظام المسلمين فى الصلاة ، شجع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعورا بالمساواة التى كانت أفكارا جديدة على بلاد العرب ، اذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هى رابطة الدم ، فأصبحت الوحدة السائدة هى وحدة العقيدة .

لقد وجد الاسلام بتعاليه التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضا خصبة فى العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، انه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم ، واشاع فيهم النظام والضبط ، وبذلك اصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفسا) فى توحيد شبه الجزيرة العربية أولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا .

والمعروف أن الجندى لا يمكن ان يقاتل فى الحروب قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه مقبلا غير مدبر ، الا اذا كان يؤمن بعقيدة تدفعه الى التضحية والفداء ، وتجعله صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس .

والجندى الذى يقاتل بغير عقيدة ، لا يمكن أن يصمد فى الميدان ابدا .

وما يقال عن الجندى ، يقال عن الجيش ، ويقال عن الشعب ايضا ، فليس الجيش الا مجموعة من الجنود ، وليس الجيش الا جزءا من الشعب .

فما اثر تعاليم الاسلام على العرب ؟

لا شك أن هذه التعاليم ، رفعت المستوى العقلى للعرب الى درجة كبرى ، فهذه الصفات التى وصف الاسلام بها الله سبحانه وتعالى ، نقلتهم من عبادة أوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط فى النظر واسفاف فى الفكر — الى عبادة اله وراء المادة : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (١٠٣ — سورة الأنعام) .

كان الاله عند اكثرهم اله قبيلة ، وان اتسع سلطانه فاله قبائل أو اله العرب ، فأبانه الاسلام اله العالمين ، ومدبر الكون وبيده كل شىء وعالما بكل شىء ، فاستطاع العربى بهذه التعاليم ان يرقى الى فهم اله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، وافهمهم الاسلام أن دينهم خير الاديان ، وأن العالم حولهم فى ضلال ، وأن نبيهم نبى الناس جميعا ، وانهم ورثته فى حمل دعوته الى الأمم ، فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الأمم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان كأحدهم ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم .

وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، اثر عظيم فى بيع كثير منهم نفوسهم فى سبيل نشر الدعوة : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) (١) .

وكان للاسلام أثر كبير فى تغيير قيمة الاشياء والاخلاق فى نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء ، وانخفضت قيمة أخرى ، واصبحت مقومات الحياة فى نظرهم غيرها بالأمس .

ان الاسلام رسم للحياة مثلا اعلى غير المثل الأعلى للحياة فى الجاهلية ، وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيرا ما يتناقضان فالشجاعة الشخصية ، والشهامة التى لا حد لها ، والكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة فى الانتقام والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل — هذه المثل التى كانت أصول الفضائل عند العرب الوثنيين ، اصبحت فى الاسلام الخضوع لله والانقياد لأوامره والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة — هى المثل العليا للمسلم فى الحياة (٢) .

---

(١) سورة التوبة (آية ١١١) .

(٢) انظر — فجر الاسلام (٩٣/١ — ٩٥) — احمد أمين .

ان الاسلام ، صهر نفسية العربى ، ونفى عنها الخبث ، فأصبح العـــربى المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزنى ولا يخـــون ولا يغش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته أكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع أوامر الله ورسوله وأولى الامر ، وبذلك اصبح فردا مفيدا باع نفسه لله اخلاصا لعقيدته .

هذا العربى المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، أصبح بدون شـــك ، عنصرا مفيدا كل الفائدة لتكوين أمة صالحة : تعبد ربا واحدا ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات ، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هى العليا .

لقد تصرف العربى المسلم فردا تصرفا لا يزال يعتبر من الأعمال الفـــذة النادرة فى حياة البشر : تحمل التعذيب والموت صابرا راضـــيا مطمئنا ، وترك اهله وماله مهاجرا الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة أهله الأقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين وجدها تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرف العربى المسلم ضمن المجموع من أمته تصرفا لا يزال يعتبر حتـــى اليوم مفخرة من المفاخر : اندفع يجاهد فى سبيل نشر عقيدته وحمايتها ، فخرجت القوة المؤمنة التى اختزنتها الصحراء عبر الاجيال ، تحمل راية الله سبحـــانه وتعالى وتبلغ عن امره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التـــاريخ فى أحقابه المديدة انتصـــارات مظفرة وفتحا (مستداما) مثلما شهد انتصـــارات الفتح الاسلامى(١) ، تلك هى العقيدة التى جعلت العربى المســـلم يقاتل قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه من أجلها .

وهذه العقيدة هى التى دفعت العـــربى المسلم الى التضحية والفـــداء ، وجعلته صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس . وهذه العقيدة هى التى قادته من نصر الى نصر ما دام متمسكا بها ، فلما أعرض عنها لم ير النصر بعينه ابدا ،

— ٥ —

فكيف يربى الاسلام ملكة الجندية الحقة فى المسلم فردا وفى المســـلمين جيوشا وأمة .

هناك صفات خالدة للجندى الحق هى التى تميز الجندى الامين عن الجندى المزيف الذى لا قيمة عسكرية له .

هنا لا بد لى من أن أذكر ، بأنه ليس كل من ارتدى البزة العسكرية وقضى ردحا من الزمن فى الجيش أصبح جنديا حقا .

بل لا بد أن تتوفر فى الجندى صفات معينة ، ليكون جنديا يفيد ولا يضر ويبنى ولا يهدم ويقاتل ولا يفر .

من هذه الصفات الطاعة ، والطاعة هى ما نطلق عليه فى المصطلحات العسكرية الحديثة تعبير : الضبط(٢) .

سيـ

والضبط : معناه اطاعة الأوامـــر وتنفيذها نصـــا وروحا بدون تردد وعن طيبة خاطر وبحرص وأمانة واخلاص .

لقد وردت كلمة (طاع) ومشتقاتها فى تسع وعشرين ومائة آية من آيات

---

(١) أنظر التفاصيل فى كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٢٦٧ — ٢٧٦) .

(٢) يطلق على كلمة : الضبط فى قسم من الجيوش العربية كلمة : الانضباط .

القرآن الكريم . قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[1] وقال تعالى : (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا)[2] ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم)[3] .

والفرق الكبير بين الجندى الجيد والجندى الردىء ، هو أن الأول مطيع والثانى غير مطيع ، أى أن الاول يتحلى بالضبط المتين ، والثانى قليل الضبط ، كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون .

وقد ضرب السلف الصالح أروع الامثال بالطاعة لله ولرسوله ولاولى الامر ، وتاريخ الصدر الاول من الاسلام ملىء بأمثلة الطاعة التى أدت بالكثير من المسلمين الى التضحية بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله .

كما أن الفرق الكبير بين الجيش والمدنيين ، هو أن الجيش يتحلى بالضبط المتين ، ولا جيش بدون ضبط ، ولا ينتصر جيش فى الحرب بدون ضبط مهما يكن حسن التنظيم كامل التجهيز جيد التدريب قوى القيادة .

— ٦ —

ومن صفات الجندى الخالدة : الصبر على المشقات العسكرية وفى الميدان .

وقد ورد كلمة (صبر) ومشتقاتها فى ثلاث ومائة آية من آيات القرآن الكريم . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله)[4] ، وقال تعالى : (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)[5] ، وقال تعالى : (سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار)[6] ، وقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)[7] ، وقال تعالى : (ثم جاهدوا وصبروا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم)[8] .

ومن صفات الجندى الخالدة : الثبات فى الحرب .

والثبات له معنيان : الأول الصمود الى آخر اطلاقة وآخر رمق ، فليس جنديا من يفر أو يستسلم للعدو ومعه سلاح وعتاد ، حتى يتحطم سلاحه وينفد عتاده .

والثانى الشجاعة فى مجابهة العدو والقتال بتصميم وعناد .

وقد وردت (ثبت) ومشتقاتها فى ثمانى عشرة آية من آيات الذكر الحكيم قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا)[9] ، وقال تعالى وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام)[10] ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا

---

(١) سورة النساء (الآية ٨٠) .
(٢) من سورة النور (الآية ٤٧) .
(٣) من سورة النساء (الآية ٥٩) .
(٤) سورة آل عمران (الآية ٢٠٠) .
(٥) سورة البقرة (الآية ٢٥٠) .
(٦) سورة الرعد (الآية ٢٤) .
(٧) سورة النحل (الآية ١٢٦) .
(٨) سورة النحل (الآية ١١٠) .
(٩) سورة الانفال (الآية ٤٥) .
(١٠) سورة الانفال (الآية ١١) .

ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)(١) ، وقال تعالى : (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)(٢) وقال تعالى : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا)(٣) ، وقال تعالى : (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم ، فثبتوا الذين آمنوا)(٤) .

اما الشجاعة وهى من أهم صفات الجندى ، فيكفى ان نذكر ان المسلم لا يجبن ابدا ، وان التولى يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)(٥) .

وجعل التولى يوم الزحف من صفات الكفار والمنافقين ، قال تعالى : (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا)(٦) ، وقال تعالى : (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قاتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)(٧) ، وقال تعالى : (لن ينصروكم الا أذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار)(٨) ، وقال تعالى : (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله مسؤولا)(٩) .

ولست أعرف عقيدة سماوية ولا ارضية حثت على الشجاعة حثا حاسما جازما كما فعلت العقيدة الاسلامية ، ويكفى أنها اخرجت الجبناء من حظيرة المؤمنين ، فالجبن والاسلام على طرفى نقيض وهما ضدان لا يجتمعان .

واذا كانت الشجاعة هى التى تؤدى الى احراز النصر ، أو هى من اهم عوامل النصر على الاطلاق ، فان الشجاعة فى العقيدة الاسلامية هى مزية من مزايا المسلم الذى لا يكون مسلما بدونها .

— ٧ —

ومن صفات الجندى الخالدة الحذر واليقظة .

قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا خذو حذركم)(١٠) وقال تعالى : (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم)(١١) وهى صلاة الخوف كما يعبر عنها الفقهاء .

واذا كان الجندى حذرا يقظا ، صعب على عدوه أن ينال منه أو أن يباغته ليقضى عليه ، والمباغتة مبدأ من اهم مبادىء الحرب .

وليس جنديا حقا من ينام عن عدوه ، لأن المبدأ السليم فى الحرب هو ادخال أسوأ الاحتمالات فى الحساب .

---

(١) سورة محمد (الآية ٧) .
(٢) سورة البقرة (الآية ٢٥٠) .
(٣) سورة آل عمران (الآية ١٤٧) .
(٤) سورة الانفال (الآية ١٢) .
(٥) سورة الانفال (الآية ١٥ — ١٦) .
(٦) سورة الفتح (الآية ٢٢) .
(٧) سورة الحشر (الآية ١٢) .
(٨) سورة آل عمران (الآية ١١١) .
(٩) سورة الاحزاب (الآية ١٥) .
(١٠) سورة النساء (الآية ٧) .
(١١) سورة النساء (الآية ١٠٢) .

وتطبيقا لمبدأ الحذر واليقظة ، كان المسلمون الأولون في الحرب لا ينامون ولا ينيمون ...

وما أصدق المثل العربي القائل : « اذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له » .

والاستهانة بالعدو اعتمادا على الكثرة الكاثرة والعدد العديد ، يؤدي الى الكوارث في الحرب ، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى درسا عسكريا سجله القرآن الكريم ، فقال تعالى : (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين) (١) .

ان الاستهانة بالعدو تؤدي الى الهزيمة ، ومن حق المنتصر أن يستهين بعدوه بعد احراز النصر عليه ، أما قبل المعركة فلا بد أن يدخل في حسابه عن عدوه أسوأ الاحتمالات .

— ٨ —

من تلك الصفات الخالدة للجندي الحق ، أن يجاهد بماله ونفسه في سبيل مثله العليا .

وقد وردت كلمة (جهد) ومشتقاتها في احدى وأربعين آية من آيات الذكر الحكيم . قال تعالى : (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله) (٢) ، وقال تعالى : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) (٣) ، وقال تعالى : (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) (٤) ، وقال تعالى : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) (٥) .

وقد فرض الاسلام على المتخلف عن الجهاد عقابا نفسيا في الدنيا ، اذ يهجر المتخلف اهله حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعا ويقاطعونه ، وينظر اليه المجتمع الاسلامي نظرة احتقار وازدراء قال تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) (٦) .

ان عقاب المتخلف عن الجهاد في الاسلام يقتصر عليه فقط ولا يشمل اهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث في القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى اذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته وحتى بأهل قريته في بعض الاحيان .

ويهمنا أن نعرف أن كثيرا من عوائل المتخلفين أبيدت عن بكرة أبيهم في الدول التي طبقت الحرب الاجماعية خلال الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين .

أما في الاسلام ، فقد عاقب المتخلف وحده عقابا نفسيا صارما ، فأين هذا العقاب الذي طبقه المسلمون على المتخلف في القرن الأول الهجري من هذا العقاب الذي طبقته أرقى الدول في القرن الرابع عشر الهجري ؟ .

لقد سبق الاسلام الأمم بتعاليمه العسكرية قرونا طويلة ، ولكن .. يا ليت قومي يعلمون !

---

(١) سورة التوبة (الآية ٢٥)

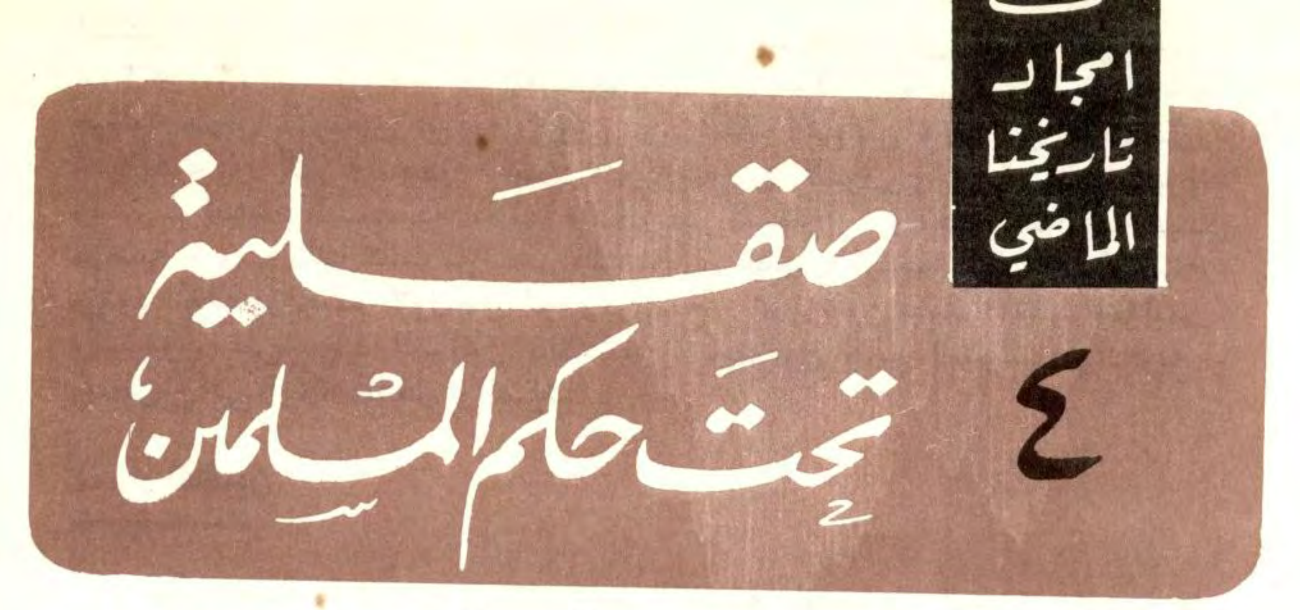
(٢) سورة الصف (الآية ١١)

(٣) سورة التوبة (الآية ٨٨)

(٤) سورة التوبة (الآية ٤١)

(٥) سورة النساء الآية ٩٥)

(٦) سورة التوبة (الآية ١٨)



للدكتور: زكي محمد غيث
رئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهر

اصبح « الأغالبة » اصحاب صقلية منذ عام ٢١٦ هـ (٨٣١م) ، وصاروا سادة العاصمة الرومانية (بلرم) فى الجزيرة . واتخذوها مركزا لامارتهم الجديدة ، واستمر حكمهم للجزيرة زهاء الثمانين عاما (٢١٦ — ٢٩٦هـ) (١) . قضوا منها نصف قرن فى الصراع مع الصقليين بالجزيرة ، وقوات القسطنطينية فى البر والبحر ، يتنازعون المدن والحصون والقلاع فيما بينهم ، حتى كتب النصر للأغالبة اخيرا .

وكان الأغالبة قد اخذوا — منذ وطئت اقدامهم ارض الجزيرة على التوالى ، وفى اثناء فترة هذا الصراع الطويل — يستقرون فى السهول الخصبة المحاطة بالجبال الشاهقة ، وينزلون فيما يفتحونه من مدن وحصون ، واقاموا بناء امارتهم الجديدة فيها ، وعنوا بادارتها وتنظيمها وترتيب شئونها ، فاستقامت لهم الأحوال ، ونجحوا فى تأسيس نظام ادارى ومالى بالجزيرة ، التزمه كل من اتى بعدهم حتى (النورمان) المسيحيون .

مع الفاطميين

ثم انتقل حكم الجزيرة من بعد الأغالبة الى ايدى الفاطميين سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) وأصبحت صقلية جزءا من ممتلكات دولتهم التى أسسها المهدى فى شمال افريقية ، فأخذوا يرسلون اليها الولاة من قبلهم ، ولكن حدث بعد أربع سنوات من حكمهم أن أعلن مسلمو صقلية بزعامة « أحمد بن قرهب » انفصالهم عن الفاطميين سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) وخطبوا يوم الجمعة للخليفة العباسى

(١) بدا غزو صقلية سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) ولكن بسقوط (بلرم) مكن للمسلمين فى الجزيرة واصبح الفتح حقيقيا ، وملك الأغالبة الجزيرة من يومها حتى قضى الفاطميون عليهم سنة ٢٩٦هـ ، وورثوا املاكهم فى البر والبحر بما فيها جزيرة صقلية .

المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ — ٩٣٢م) ، ثم عادت الى الطاعة فى سنة ٣٠٤ هـ (٩١٧م) ، واستأنف الفاطميون ارسال الولاة اليها من جديد ، وقد ظلت صقلية طوال الأربعين السنة الأولى من الحكم الفاطمى مثار فتن وقلاقل ، استنفدت من الدولة مجهودا كبيرا ، وكلفتها من الأموال والرجال شيئا كثيرا ، وصارت الحياة السياسية خلالها قلقة وغير مستقرة ، والحالة الداخلية غير مرضية ، ومع ذلك كانت مراسم الملك تجرى عليها ، فيأتيها الولاة ، والقضاة ، ويقوم الولاة بواجبهم الأول من الغزو والفتح ، ثم يرتبون حكام الأقاليم ونوابهم ، ويشرفون على تنفيذ القوانين والأحكام ، ويتولون جمع الضرائب والجزية ، وينظرون فى أوجه الدخل والصرف .

مع الكلبيين

وفى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧م) عين الخليفة المنصور العلوى واليا على الجزيرة هو القائد : « الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى » فوضع أساس حكومة قوية مستقلة ، وأعاد بحسن سياسته ، وجميل صنعه حياة الأمن والاستقرار فى الجزيرة ، وعلى عهده وعهد خلفائه من بعده نمت الحياة فى جميع مرافقها وازدهرت حتى بلغت غاية الكمال على عهد الأمير الكلبى : أبى الفتوح يوسف بن عبد الله (٣٧٩ — ٣٨٨هـ) وبذرت بذور الثقافة العربية ، ونمت فى تلك الجزيرة المتعددة اللغات والأجناس ، واعتبر عصر (أسرة الكلبيين) فى صقلية « العصر الاسلامى الذهبى لها » لأنها تمتعت فيه بما لم تتمتع به فى أى عصر اسلامى آخر .

وقد استمرت جموع المسلمين تفد على الجزيزة الغنية منذ الفتح حاملة معها دينا جديدا ، ولغة جديدة ، وتقاليد وعادات جديدة ، كان لها بحكم ما لأهلها من سلطان وسيادة ذيوع وانتشار فى المجتمع الصقلى ، ومع ذلك لم تختف المسيحية ، ولا اللغة اللاتينية أو اللغة اليونانية بتاتا ، وظلت الكنائس والأديرة تجاور المساجد ، وتقام فيها الشعائر الدينية ، وبقيت اللغة اللاتينية ، ثم اللغة اليونانية مستعملة فى الجزيرة بجانب اللغة العربية .

وأدخلت هذه الهجرة كذلك دما جديدا ، كما حمل المهاجرون معهم وسائل جديدة فى الزراعة والصناعة ، كان لها أثرها فى رخاء الجزيرة ونمو ثروتها ، وقد نشأ حينئذ مجتمع جديد فى ظل حكومة اسلامية جديدة على رأسها وال يحكم باسم حكومة افريقية المركزية .

مجتمع الجزيرة

طبقت فى الجزيرة نظم الحكم السائدة فى الولايات الأخرى التابعة للحكومة المركزية بافريقية ، سواء من الناحية السياسية ، أو الادارية ، أو التشريعية ، غير أن صقلية كان لها مجتمعها الخاص ، اذ كان المجتمع الصقلى على عهد المسلمين يتألف من اجناس مختلفة ، وطبقات متعددة ، فقد وفد المسلمون على الجزيرة فوجدوا فيها أقلية من الفينيقيين ، الذين امتزجوا بالعناصر الأخرى، كما وجدوا الرومان اللاتين ، واليونان أو الروم البيزنطيين ،

كما وجدوا اليهود ، ثم الرقيق الذين استوطنوا الجزيرة منذ أزمان بعيدة ، أما المسلمون الفاتحون فقد كانوا خليطا من العرب والبربر من قبائل مختلفة ، بينهم عدد من الموالى الفرس ، وكان المسلمون العنصر الغالب فى المجتمع الصقلى بما انضم اليهم من الموالى الصقليين ، ومن الأرقاء الذين اعتنقوا الاسلام ، وقد مصر المسلمون الفاتحون الحواضر وسكنوها ، وكانت لهم يد فى السياسة والصناعة والتجارة ، فوق ثقافتهم العربية التى نمت وازدهرت فى الجزيرة على أيامهم ، واستمرت بعد انقراض دولتهم .

وكان بطبيعة الحال يقف على راس السلم الاجتماعى الوالى واهل بيته وحاشيتهم ، ويقف الى جانبهم كبار الموظفين من حكام الأقاليم ونوابهم ، وقواد الجند ، والقضاة ، وكان هؤلاء جميعا يعيشون غالبا فى سعة ورغد من العيش لهم الثروة والجاه ، والسلطان ، واليد الطولى ، والكلمة النافذة بعد الأمير ، أما اتباع هؤلاء فيكونون الطبقة الأولى فى المجتمع ، ويمكن أن يضاف اليهم الجند والحرس .

اما جمهور الشعب او العامة فكان يتكون من طبقتين : عليا تقترب من الطبقة الأرستقراطية الأولى ، وتضم رجال الأدب والفنون ، والعلماء ، والعمال والتجار ، وارباب الحرف والصناعات .

وطبقة دنيا تكون اغلبية الشعب ، وتضم الزراع ، والرعاة ، واهل الريف الذين كانوا يمثلون فى الأصل السكان الوطنيين ، وصاروا الآن موالى مسلمين ، واهل ذمة من المسيحيين واليهود ، وكان أهل الذمة يتمتعون على عهد المسلمين بقسط وافر من الحرية ، والتسامح الدينى ، كما كانوا يحتفظون بقوانينهم الدينية والمدنية ، ويشتركون مع المسلمين على قدم المساواة فى الاحتفالات العامة ومعهم اعلامهم الخاصة بهم ، ويظهر قساوستهم وأحبارهم بملابسهم المزركشة . (١)

وفى أسفل درجات السلم الاجتماعى كانت تقف طبقة الرقيق الذين كانوا يستخدمون فى فلاحة الأرض والخدمة الخاصة ، وهذه الطبقة وان لم يكن لها من الحقوق ما يجعلها فى مستوى الطبقات السابقة ، الا أن الرقيق فى صقلية تحت الحكم الاسلامى كان أحسن حالا بكثير من السكان الايطاليين فى شبه الجزيرة تحت حكم اللمباردو الفرنجة(٢) .

وكان بالجزيرة سوق رائجة لتجارة الرقيق الذين يقبل على شرائهم الاغنياء وهم من أسرى الحرب ، أو من الأجناس السلافية (الصقالبة) الذين كان يجلبهم

---

(١) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٢١٨ ، هذا اذا استثنينا فترة وجيزة سرت فيها موجة اضطهاد لأهل الذمة فى دولة الخلافة العباسية والامارات التابعة لها زمن الخليفة العباسى المتوكل منذ سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩م) ووصلت صقلية التى كانت تابعة للعباسيين اذ ذلك ففرضت عليهم تلك القيود كسائر الولايات الأخرى ، وقد أورد الطبرى فى تاريخه ج ١١ ، ص ٣٦ — ٣٨ ، وابن الأثير فى تاريخه ج ٥ ص ٢٨٥ صورة للقيود التى فرضها المتوكل على اهل الذمة ، حيث منعوا من حمل السلاح ، وركوب الخيل ، وعدم تشييد مبان تعلو على ابنية المسلمين أو تساويها ، وتمييز دورهم بعلامات خاصة .. الخ ولم تكن تلك سياسة خاصة بأهل الذمة فى صقلية بل عمتهم وعمت غيرهم فى سائر ارجاء دولة الخلافة العباسية .

(٢) جاكسون (صقلية) : ف ٣ .

التجار للبيع والشراء ، ولم يكد يتم فتح الجزيرة حتى اعتنق الأرقاء الخلص الاسلام ، وانتشر الاسلام بين باقي السكان حتى أصبحت الغالبية الساحقة من السكان مسلمين ، فغربى الجزيرة ، ووسطها كله مسلمون ، وكذلك معظم الاجزاء الشرقية(١) .

ومع أن الاسلام قد كسر من حدة النعرة الجنسية ، واضعف من نظام الطبقات الاجتماعية الا انا لا نستطيع ان ننكر ما كان يقوم فى المجتمع الصقلى من منافسات ، كانت تصل فى معظم الأحيان الى اسالة الدماء ، والتى كان سببها فى الغالب العداوة الجنسية بين العرب والبربر !! والعصبية القبلية بين العرب أنفسهم !! والحسد للدولة الحاكمة نفسها ، وبسبب الفروق الواضحة بين الفاتحين عامة وبين الموالى من الصقليين مما كان يسبب قيام الثورات والفتن ضد الحكام فى الجزيرة ، بل وضد الحكومة المركزية بافريقية !

داء العصبية

وكان من أخطر الظواهر الاجتماعية شعور العناصر العربية بأنها اسمى هذه الأجناس كلها حتى اخوانهم من البربر الذين شاركوهم الفتح ، واقاموا معهم بناء هذه الامارة الجديدة ، وكان يقوى هذا الشعور عند العرب اعتماد الحكام والولاة عليهم فى غالب الأحوال ، ولعل الذى حمل الحكام والولاة على ذلك هو ما كانوا يرونه فى البربر والموالى الصقليين من الطاعة الزائفة لالتماس مأرب ، أو تحين فرصة ، وكانت تقوم بسبب ذلك الفتن والثورات فى كل حين ، ولم ينس العرب ابدا ارستقراطيتهم وسموهم عن سائر الأجناس حتى كانت النتيجة الحتمية اخيرا ، وهى : « تقويض سلطان المسلمين السياسى فى الجزيرة على يد النورمان » .

الحالة الاقتصادية

وكما كان لصقلية مجتمعها الخاص ، كذلك كان لها ظروفها الاقتصادية والمالية الخاصة ، فان الحالة الاقتصادية والمالية فى الجزيرة كانت داعية الى التفاؤل لأول عهد الحكومة الاسلامية ، فمع أن الحروب والفتن والثورات من شأنها عرقلة سير الحركة الاقتصادية ، والتأثير فى الحالة المالية ، الا انها لم تكن لتضربها ضررا يخشى منه قتل هذه الحركة ، أو فشلها على الأقل فى أثناء هذه الاضطرابات ، بل بالعكس رأيناها تزداد نموا ونشاطا واتساعا فى وسط هذا المعترك المشحون بحوادث الحرب والفتن ، واستطاعت الحكومة الاسلامية الأولى أن توجه معظم جهود أهل الجزيرة الى الانتاج العام فى الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى اذا استقرت الحياة السياسية فى الجزيرة على عهد الكلبيين ، رأينا الحالة الاقتصادية والمالية قد استقرت تبعا لذلك ، واخذت جهود كل الأجناس تتحد وتمتزج بعضها ببعض فتتشكل بعد ذلك فى صورة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦١٠ ، وشارل دييل (بالرمووسيراكيوز) ص ٩٥ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣ .

خاصة عليها سمات الأجناس ، وملامح الشرق والغرب ، فعمد النـــاس الى الزراعة والصناعة فأحيوها ، وادخل العرب فى الجزيرة اصنافا من النباتـــات وانواعا من الأشجار جديدة فنقلوا اليها شجيرات القطن من الشام ، وقصـــب السكر من طرابلس الغرب ، وادخلوا فيها أنواعا جديدة من اشجار الزيتون ، ونبات البردى الذى لم ير (ابن حوقل) له مثيلا الا فى مصر ، وجلبوا اليهـــا غير ذلك من النباتات المفيدة التى نقلت من اليمـــن ووادى الفرات ، وشـــمالى افريقية ، كشجر الصنوبر ، والفستق ، واللوز ، والبندق . (١)

وقد أصلح المسلمون فى الجزيرة نظام الرى بما كفل زيادة الانتاج الزراعى الى حد كبير ، فأقاموا المجارى ، وعلموا الناس عمـــل القنى ذات الأنابيب العقف (السيفونات) وكانت غير معروفة قبلهم ، ورفعوا المياه من الآبار ، بما اقاموه عليها من النواعير (السواقى) ، ونهضوا بالزراعة والفلاحة نهضة مباركة ، كان لها اثرها العظيم فى زيادة الحاصلات وتعدد أنواعها ، واقبال الناس على فلاحة الأرض لاخراج كنوزها . (٢)

وقد عدنوا المناجم فى الجزيرة ، وفيها الذهب ، والفضـــة ، والنحاس ، والحديد ، والزئبق ، والرصاص ، والكبريت ، والملح ، والكحل ، والنوشـادر ، والشب ، وزيت النفط .. واستعملوا أنواع الرخام والصوان فى المبانى(٣) .

واعتنوا بتربية الماشية من الخيول ، والبغال ، والحمير ، والبقر ، والغنم عناية فائقة ، وكانت تعد منها مقادير عظيمة للتصدير الى ايطاليا والأندلس ، وكان المسلمون مهرة فى حفظ الأسماك بالتمليح وغير ذلك من الوسائل ، وكانت هذه الثروة الحيوانية مصدر رخاء ، وعاملا كبيرا من عوامل تدعيم المركز المالى والاقتصادى فى الجزيرة بجانب الصناعات الأخرى والزراعة والتجارة .
وقد كانت التجارة قبل العرب ضيقة النطاق ، قليلة الأهمية فى هذه الجزيرة ، فأصبحت على عهدهم متشعبة النواحى ، غزيرة المواد ، تحملها سفنهم الى ثغور أوربة فى ايطاليا الجنوبية ، والأندلس ، وتوزع فى داخلية البلاد ، فيعجب أهل أوربة بها ويقبلون عليها(٤) .

وثب الأهلون بالزراعة والصناعة والتجارة وثبة كأنما نشطوا من عقال ، فكثرت الأموال ، وفاضت الخيرات الى الحد الأقصى ، وافتن الناس فى ضروب الترف والنعيم ، واتساع العيش ، والتأنق فيه ، والتلون بأزهى الوانه ، فقد كان أمراء الكلبيين يعيشون فى قصور فخمة ، فى مدينتهم الزاهرة (بلرم) التى كان بها مقر الوالى ، وقاضى القضاة ، وديوان الحسبة ، ودار الصناعة وفى

---

(١) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، سيديو (خلاصة تاريخ العـــرب) ص ١٤٦ ، ولويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣ .

(٢) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ ــ ٦ (ومعجم البلدان لياقوت) ج ٥ ص ٣٧٤ (وحضارة العرب لغوستاف لوبون) ف ٧ ص ٣١٨ ، و (المدنية العربية فى الغرب للويجى رينالدى) ص ٢٠ .

(٣) ياقوت (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٧٤ ، والمكتبة الصقلية (آثار البلاد .. للقزوينى) ج ١ ص ١٤٢ ، وغوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، وسيديو (خلاصـــة تاريـــخ العرب) ص ١٤٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣

(٤) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، ولويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣

مينائها كان يربض أسطولها العظيم الذى طالما فتح به المسلمون الثغور الايطالية وغزو الجزر القريبة والبعيدة من صقلية . (١)

ولقد أعطانا صورة مشرقة ومشرفة عن مقدار عمارة الجزيرة ، وسعة رخائها . ورواج تجارتها ذلك الرحالة الشرقى (ابن حوقل) الذى زارها سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ — ٩٧٣م) على عهد الأمير : أبى القاسم بن الحسن الكلبى (٣٥٩ — ٣٧٢هـ / ٩٦٩ — ٩٨٢م) فقد وصف الجزيرة بقوله : « واكثر ارضها مزرعة » ، كما انه يشير كذلك الى الحدائق الغناء ، والأسواق العامرة المحيطة (ببلرم) العاصمة ، ويصف نظام الرى الدقيق بواسطة المياه المجلوبة من الآبار ... الخ . (٢)

ويعتبر وصف ابن حوقل للعاصمة (بلرم) لا اقدم وصف فحسب ، بل الوصف الوحيد الذى كتبه شاهد عيان من المسلمين ، فيقول : « وهى (بلرم) قصبة صقلية على نحر البحر من الشمال ، وهى خمس حارات محدودة غير متباينة ببعيد مسافة ، وان كانت حدودها ظاهرة » ، ويعدد هذه الحارات ، ويصفها ، ويذكر ما فيها من مساجد كثيرة ، واسواق ، وما فيها من متاجر وصناعات ، ويدهش من كثرة المساجد فى الجزيرة ، وبخاصة فى العاصمة (بلرم) ويقول : « لم أر مثل هذه العدة فى بلد من البلدان الكبار على ضعف مساحتها ، ولا سمعت به الا ما يتذاكره اهل قرطبة » ، ويذكر انه كان واقفا بجوار مسجد لأحد الفقهاء الأعيان فى (بلرم) فرأى من مسجده فى مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصره .

ثم اخذ يعدد رباطاتها على الساحل .. وذكر اخيرا ان فى المدينة (بلرم) أكثر من ثلاثمائة معلم فى مكاتبها لتعليم الناشئة ، وكان يعتبرهم القوم اشد الناس تقى ، وأقربهم الى الله ، وأعلاهم قدرا(٣) .

لعل فيما قدمناه من مظاهر الحياة الاجتماعية ، والحالة الاقتصادية والمالية واستبحار العمران فى الجزيرة على عهد المسلمين ما يضع أمام القارىء صورة امارة عظيمة طموحة ، وشعب قوى البنيان ، كامل العدة ، بارز الحيوية ، ومجتمع منسجم يسوده الوئام والسلام الا فى بعض الفترات القصيرة ، كما تدلنا هذه الصورة ايضا على أن الحضارة فى صقلية على عهد المسلمين كانت من أزهى الحضارات الاسلامية المعاصرة لها ، وانها كانت المنار الذى يضىء الجانب الغربى من حوض البحر الأبيض المتوسط ، وتتلألأ انواره على سواحل أوربة الجنوبية والغربية بجانب الأندلس الينبوع الذى استقت منه اوربة اصول حضارتها الحديثة .

أما الحديث عن: « الثقافة العربية فى جزيرة صقلية » على عهد المسلمين فموعدنا به المقال القادم باذن الله تعالى .

---

(١) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ — ١٠ .

(٢) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ — ٦ ، و (معجم البلدان لياقوت) ج ٥ ص ٣٧٦ وهو ينقل عن المسالك والممالك لابن حوقل .

(٣) راجع نصوص ابن حوقل فى المكتبة الصقلية (المسالك والممالك) هـ ١ ص ٤ — ١٠ ، وياقوت (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وهو ينقل المسالك والممالك لابن حوقل .

الإنسان والكون

الأسس والآثار الحضارية في الإسلام

للدكتور: مازن المبارك
جامعة الرياض

بين المـادة والروح

لقد اتى على الانسان حين من الدهر ، ظن فيه أن بلوغ الكمال فى الحياة ، لا يكون الا عن طريق الرقى المـادى ، فانطلق فى ميدان المـادة ، كما ينطلق وحش الغابة ، حتى وصل الى القمر او كاد ، وحقق فى ذلك نصرا لا ينكر ، ولكنه نسى فى غمرة انطلاقته المـادية جانب الحياة الآخر ، انه أهمل الجانب الروحى ، فاذا هو قوى فى جسمه ، منتصر بمادته ، متخلف فى روحه ، ضعيف فى خلقه .

وقد ادرك عقلاء العالم اليوم ، أن الطريق المادى ليس كافيا وحده لبلوغ الانسانية درجة الكمال ، وأن رقى الانسان المادى لم ينقذ العالم من الويلات التى تزداد يوما بعد يوم ، فالاستعمار والحروب ، والثورات وسحق القـوى للضعيف ، والتعصب العنصرى .. كل ذلك اخذ يزداد مع الايام ، ومع ازدياد الرقى المادى !! بل ان الرقى المادى لم يكن فى هذه المعارك الظالمة على الحياد ، وانما كان على العكس سلاحا للفتك والدمار فى أيدى الظالمين .

ان العالم اليوم أشبه بمدرب عنى بتدريب انسان « أحمق » حتى أصبح عملاقا قوى العضلات ، ثم سلحه بالحديد والنار ، واطلقه ليعيث فى الارض فسادا ، وليس فى قلبه رادع من ضمير ، وليس فى عقله غاية غير منفعتـه الخاصة .

والانسان مخلوق من طين وروح ، ولا بد لرقيه من العنـاية بعنصريه جميعا ، ولذلك كان للاسلام وكشفه عن حقيقة خلق الانسان فضل فى تغيير نظرة العالم الى علاقة الجسد بالروح ، فلم يعد هناك جسد ينطلق يائسا من

وجود حياة روحية فاذا هو آلة مادية ، ولم تعد هنالك روح تتنكر للجسد ، وتزعم أن رقيها لا يكون الا باهماله ، وطهارتها لا تتحقق الا بتعذيبه .
لقد اصبح واضحا أن الجسم مستقر مؤقت للروح ، وزالت تلك الاوهام القائمة على افتراض العداء بينهما ، فالجسم مخلوق فى أحسن تقويم لا ليهان ويحتقر ويعذب ، ولكن ليقوى ويحقق وجوه نشاطاته بما فيها اللذة الحلال . وبذلك يكون الجسم أقوى على مسايرة الروح فى انطلاقتها ، لأنها انما تحقق نشاطها أولا فى اطاره .

وليست الدنيا فى نظر الاسلام مباءة ، على المرء أن يفر منها ، وليست طيباتها مكروهة ، وانما الدنيا دار امتحان ، وعلى المرء أن يجد فيها ويكدح ، وأن يتعاون فيها مع بنى جنسه فى كل ميدان ، ليحقق فى الحياة الدنيا عمارا ورقيا وازدهارا ، وليقترب هذه الحياة من المثل الاعلى فى الحق والخير والجمال .

ان الجانب الروحى والخلقى فى حياة الانسان ذو أثر بعيد وهام فى أمن الانسان ورفاهه ، بل ان بعض العلماء ليرى أن اهمية هذا الجانب تفوق اهمية المعرفة العلمية التى تتوخى سيطرة الانسان على الطبيعة ، لأن العالم اليوم يعانى ازمة خلقية ودينية ، أكثر مما يعانى من التخلف العلمى ! انه ليعانى من كيفية استثمار نتائج العلم اكثر مما يعانى فى الوصول الى تلك النتائج(١) .

الاسلام دين واقعى

ولقد كان الاسلام هو المذهب الوحيد الذى ادرك حاجة الانسان الى الرقى الروحى والمادى فى وقت واحد فجمع بين الامرين وقرن بينهما من غير افراط ولا تفريط ، انه لم يجعل الكون المادى غاية ، كما هو الامر عند الماديين ، ولم يتناس الطبيعة ، أو يتنكر للجسد ، كما هو شأن الروحيين ، وانما كان واقعيا معتدلا يعترف بالمادة ، فلا يغلو الى درجة جعلها غاية ، ويعترف بالروح اعترافا لا يعنى أنها اهلاك للجسد .
ان الاسلام الذى كشف القناع عن خلق الانسان من طين ليعترف للانسان بغرائزه ، فى الوقت الذى يحتم فيه اتباع الطريق الذى رسمه للتنفيس عنها ، ثم هو بعد ذلك — تمشيا مع عنصر الروح فى خلق الانسان — ينظر الى ابعد من الكون المادى ، ويجعل الغاية أسمى من أن تقف عنده ، ان الكون المادى مسخر للانسان ، ولكن غاية الانسان تتعدى هذا الكون .
نعم ان الدنيا لك ايها الانسان ، ولكنك انت للآخرة ، فتمتع من الاولى وهيىء نفسك للثانية (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)(٢) .
بل لقد جمع القرآن ما فى الاكل والشرب وطيبات الرزق والزينة من مادة الى ما فى العبادة من جانب روحى فقال « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق »(٣) وأمرنا أن يكون دعاؤنا شاملا لحسنتى

(١) انظر كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » .
(٢) سورة القصص .
(٣) سورة الاعراف .

الدنيا والآخرة فقال « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق(1) ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »(2) .

فالاسلام — اذن — لم يتنكر للدنيا ، ولم يحرم التمتع بالرزق الطيب ، والزينة التى أخرج الله لعباده ، ولكنه من ناحية ثانية حذر من أن يركن الانسان الى الدنيا ، ويغرق فى لذاذاتها ، ويغتر بها ، وينسى أنها فانية .. انه حذر الانسان من أن تكون دنياه حجابا دون الآخرة ، وكثيرا ما لفت نظره الى سرعة زوال الدنيا ونعيمها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »(3) . « من كان يريد الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون .. »(4) وذلك لأنكم « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة »(5) « بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى »(6) .

وعلى هذه الصورة جمع الاسلام بين الروح والمادة ، وقرن بين الدنيا والآخرة ، فكانت صورة رائعة لا نظير لها فى أى دين أو مذهب آخر ، ان عمار الدنيا واتقان الصناعة والتوسع فى العلوم أمور حض الاسلام عليها ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يجعلها غاية نهائية ، يقف الانسان عندها ، وينتهى طموحه لديها ، وانما جعل الغاية وراء ذلك سموا وعلوا ، ودعا الانسان الى الرقى ، ليصل الى ما يستطيع من مشارف تلك الحياة السامية الخالدة .

الأسس والآثار الحضارية فى الاسلام

ولنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من أسس صالحة لبناء الحضارة ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان أثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها أثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من أبرز خصائص هذه النظرة الاسلامية أنها أرست للحضارة أسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وأنها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى أوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين ، فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

---

(1) أى نصيب ..

(2) سورة البقرة ..

(3) سورة الكهف ..

(4) سورة هود ..

(5) سورة الانفال ..

(6) سورة الاعلى ..

١ ـــ ففى مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :

اولا : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ، ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .
وثانيها : انها ايقظت فى نفس الانســـان ضميره ، فأصبح له من نفسه حارس عليه .
وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

اما الاساس الاول : وهو ان تترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشـل حركته ، وتقتل موهبته ، ولا تتسع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من أبرز مشاكل المجتمعات البشرية التى يدور فيها اليوم صراع شـديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد أنه اذا أردنا ان نحفظ على الانسان انسانيته ، وعلى المرء مروءته ، فلا بد ان نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه ، واستثمار كفاءاته ، ليتنافس الافراد فى تقديم الخير لأنفسهم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس فى ظل الاسلام وتحت اشرافه ، الا تنافسا خيرا ، يرعى حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة .

ونحن نستطيع ان نطبق هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه فى ميـدان الفكر ، كما نطبقه فى ميـدان الاقتصـاد ، وذلك بأن نترك للأفراد أن يفكروا كيف يشـاؤون ، وأن يكتبوا ما يشاؤون ، على ألا يكون فى شىء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها .
ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة فى تاريخ حضارتنا ، يوم طبق فلم يشل حركة الفكر ، بل هيأ للعالم علماء أفذاذا ، كابن سينا ، والغزالى ، وابن رشد ، وغيرهم ، ممن قال عنهم علماء الغرب : انهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونباوم « ليس ثمـة ميدان من ميـادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ، ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيـه غنى » .

وأما الاساس الثانى : وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالاساس الاول ، اذ قد يجنح بعض الافراد أو ينحرفون ، تستعبدهم شهوة الكسب او شهوة الشهرة ، فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة ، كاحتكار القوت ، أو يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء واولئك من رادع ورقيب . فكان الاساس الثانى لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وايقاظه دائما ليكون حارسا أمينا ، أو صمام أمان ، يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا ، لأن الله سبحانه مطلع عليه ، وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى .
وأما اذا صدىء هذا الضمير ، أو قصر فى واجبـه ، فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ، ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ، ويعيـد الى المجتمع توازنه المطلوب .

وأما الاساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسان ، أيا كان ، وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة فى الحياة الانسانية من أقربها انه أنقذها من حياة الفوضى والقلق ، تلك التى كانت تعيشها ، وأوجد

فيها سكينة وطمأنينة أتاحت لها فرصة العمل المثمر ، والانتـــاج النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفزع اليه عند الملمات « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » .

ولقد قرر العلماء أن الايمان بالله هو الدواء الناجع الوحيد للتخلص من القلق والاضـــطراب النفسى ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هـــذا الجانب الروحى ، وبيان قيمته فى العلاج النفسى ، وحسبك أن تقرأ كتاب (دع القلق وابدأ الحيـــاة) « لديل كارلنجى » (وكتاب العودة الى الايمـــان) « لموريس كريسون » . . فكارلنجى يقول **« ان أطباء النفس يدركون أن الايمـــان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبى »** ويقول الدكتور بريل **« ان المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا »** .

والحقيقة أنه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، واصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة فى ميدان الخير ، تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هـــذا الى جانب ما لصلة الانسان بربه من أثر فى رفعة الخلق وسمو الغاية .

فى الحيـــاة الاجتماعية

٢ ــ **وفى مجال الحياة الاجتماعية** ، وضع الاسلام التكافل الاجتمـــاعى أساسا يقوم عليه المجتمع ، وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات ، او اعانة الفقراء ، وانمـــا يمتد ويعم حتى يشمل ميـــدان الصناعات ، وذلك ان الاسلام اوجب على المجتمع الاسلامى أن يكفى نفسه ، فان خلا مجتمع او بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون ، فكل اهل البلد آثمون ، ومعنى ذلك أن على المسلمين اليوم أن يسهموا فى كل ميادين الصناعة مثلا ــ من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم أبناؤه الاعبـــاء والمغانم ، وانما جعله اسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم ، تلك المثل التى يفتقدها عالم اليوم ، وواضح أن هذا الشعور العاطفى لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثـــالا للنظرة الموضوعية الاسلامية فى دراسة المجتمعات البشرية .

فى ميدان الانســـانية

٣ ــ **وأما فى ميدان الانسانية عامة** ، فكان الاساس الذى ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون ، لا يفرق بينهم نسب ، ولا لغة ، ولا لون ، ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم وأممهم ونسائهم . . مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية أن التقت لأول مرة فى تاريخ الانســـانية أمم وشعوب ، تعاونت على بناء العالم ، ورقى حضارته ، رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من اثر هذه النظرة أيضا أن فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم أجمع ، فتمتعت بها أقوام وأمم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

فى ميــدان العلم

٤ ــ **وفى ميدان العلم** قامت نظرة الاســلام على أساسين : ايمــانى وتجريبى .

أما الايمانى فخاص بما أخبر به الله تعالى ، وما تنزل به الوحى ، وليس للمسلم الا أن يقبل ويسلم ، وقد أخبر الله تعالى أنه قد تمت الرسالة وانتهى الوحى ، وختمت النبوات .

وأما العلم التجريبى فهو الذى لفت القرآن اليه أذهان الناس ، وحثهم على البحث فيه ، واخضاعه للتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر فى الآيات الكونية ، فكان صوته أول نداء مزق فى العالم حجب الوهم والخرافة ، ودعا الانسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة أسراره .

وكان من أثر هذه النظرة أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر ، الى مرحلة العلم والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية ، وعرف النابغين من العلماء ، كالبيرونى ، وابن الهيثم ، والجاحظ ، والرازى .. وغيرهم ممن كانوا أساتذة العالم فى الطب والفلك والــكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضــارة الاسلامية عصر العلم والعلماء(١) .

ولقد اثبت الاسلام ــ كما يقول غوستاف لوبون ــ **انه من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم ،** بل ان لوبون يصرح : **بان المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الاول** فيقول : (يعزى الى بيكون على العموم انه أول من أقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الاستاذ . ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ..) وهو يعنى المسلمين .

ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رأيه هذا ، ثم يقول : (قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، واختبروا الامور وجربوها ، وكانوا أول من أدرك هذا المنهاج فى العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا) (٢) .

فى ميــدان الســلام

٥ ــ **واخيرا أرسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام ،** فالاسلام والسلم والسلام من أصل لغوى واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له ، فكان أول ما يذكر فى اللقاء بين مسلمين ، بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يوم يلقونه سلام) .

والحق ان الاسلام منح السلام للعقل الانسانى الذى كان قلقا يبحث عن الخالق وأسرار الكون ، فلا يهتدى ، ومنح السلام للنفس الانسانية التى كانت مضطربة تعتقد أنها فى حرب دائمة مع الآلهة والارواح الشريرة ، فهى دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها . فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بإله واحد ، وهو إله يحبها ويفرح باهتدائها ، ويدعوها لإنهاء الخصومة ، والاستسلام له أو الاسلام له « وانيبوا الى ربكم واسلموا له » (سورة الزمر) . « ومن

---

(١) انظر الحضارة الاسلامية لفرونباوم ص (٣٠٩) .

(٢) انظر كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ص (١٢٦) و (٤٣٥ــ٤٣٧) .

احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن » (سورة النساء) . ومتى وجد السلام فى النفس والعقل ، ومتى وجد فى الارض بين بنى البشر ، فقد وجد الاستقرار ، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

قوة تحرس السلام

٦ ــ على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة او مجرد فكرة قد تضعف أو تعصف بها شهوات النفوس الجانحة ، وانما دعمها بالقوة تحرسها ، وتسهر على تحقيقها . انه يؤثر السلام « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ولكنه يدعو الى أن تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق ، وتنتصر له ، فامر باعداد القوة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وامر بقتال الفئة الباغية « فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله » .

وهكذا هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، وأية ظروف أجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشرى الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير ، وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟
وأى دليل اصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحى الذى يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعى ، وشهد انه بفضلها اخصبت الحياة وازدهرت فى ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفى أن نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامى ــ يوم سادت تلك المبادىء ــ من تقدم ، وما بلغت الحياة فيها من رقى ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد أن تلك الاسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم أو يبدعه الخيال ، كما هو الامر فى أكثر الدعوات ، وما تزخرفه للناس أو تغرى به السذج ، وانما هى أسس عرفها واقع الحياة الاسلامية ، وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال (**لم يفتح الاسلام العالم ولكنه غزاه بحضارته**) (١) وكان منهم من قال (**الحق ان اتباع محمد ظلوا أشد من عرفته اوروبا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وانهم كانوا عندما لا يرهبوننا باسلحتهم ــ كما فى زمن الحروب الصليبية ــ كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم الساحقة**) (٢) وقال (**ان للحضارة الاسلامية تاثيرا عظيما فى العالم . وان أوروبا مدينة بحضارتها للعرب**) (٣) .
ونختتم بحثنا هذا بالتأكيد على أن هذه الاسس التى وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها أسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية . فهى تمتاز :
اولا : **بالنزعة الانسانية** التى لا تعرف حدود الارض أو القوم أو اللغة ، ولا تقبل تفرقة للجنس أو اللون أو غيرهما من العصبيات .

---

(١) الحضارة الاسلامية لفرونباوم .
(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون (٥٧٧) .
(٣) انظر حضارة العرب ص (١٧٦) وما بعدها .

ثانيا : **بالبساطة** وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : **بالشمول** لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : **يمتاز الجانب الاخلاقى فيها بشمول رائع** للفرد والجماعة والدولة . فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا أن يكذب او يخدع أو يخون او يعتدى من اجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة او الدولة من اجل القوم او الوطن او سياسة الدولة . .

وبعـــــد . .

فان الحضارة الاســـلامية ذات أساس ايمانى ، لأن الايمـــان بالله هو الاساس الاول الذى ترتكز اليه — وهو ايمان يحرسها ، ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهى حضارة تنبعث كما رأينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التى تعطى كل شيء فى الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد أحدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعيق الانتاج .

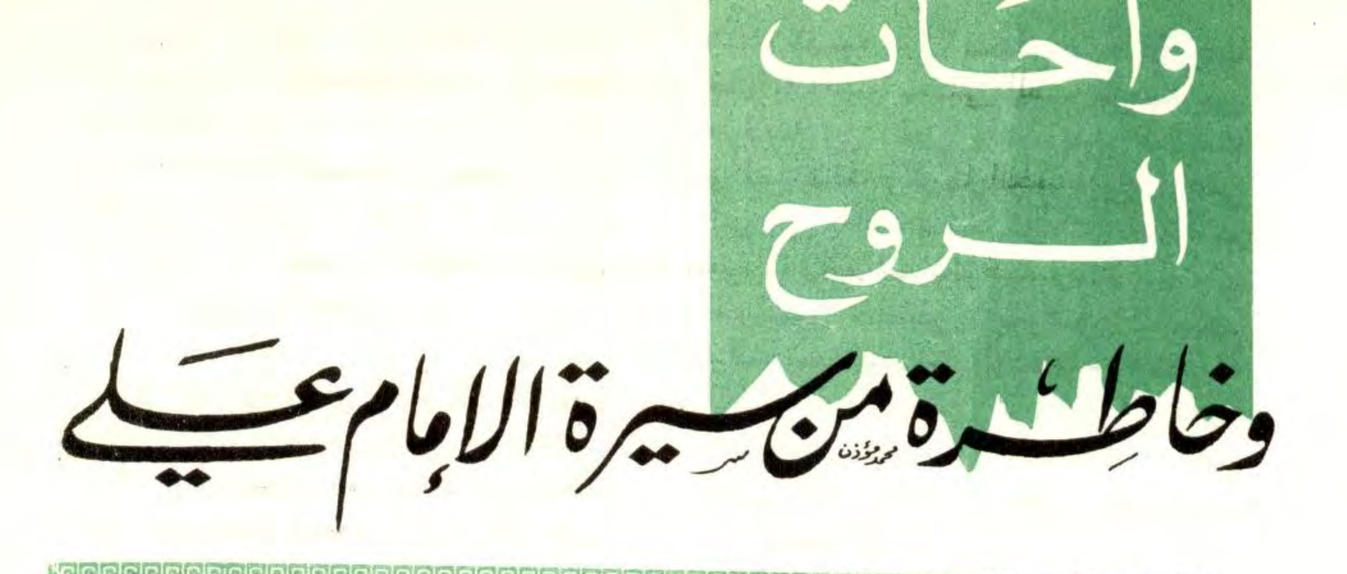
نظـــام شـــامل

على أنه يجدر بنا أن نشير الى ان الاسلام نظام شامل ، وانه اذا اردنا له ان يقيم نظاما حضاريا ، وان يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الاسس التى نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعضه الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك ان ندرك انه ما من مذهب من مذاهب الارض ، ولا دين من اديان السماء جاء كالاسلام ، بانيا للحضارة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها فى الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ، ويحضه على الاتقان فيه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك أمر للانسان بالعمل الدائم ، وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الارض .

هذا هو الاسلام وتلك هى نظرته ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته ، لينظر من خلالها الى الكون والى الانســـان ، وليبنى على أساسها حضـــارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم . وما أحوجه الى النظرة الاسلامية ، التى تتفرد بأنها وحدها من بين أديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما فى الدين من سمو روحى ، الى ما فى العقل من طموح علمى ، الى ما فى العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسالنى سائل بعد الذى ذكرت : اين هى اليوم اسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا اين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما أصدق من قال : ان الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .



رضى الله عنه فى العلماء الزاهدين ، والحكام العادلين
والمجاهــدين الصــابرين ، والمــؤمنين الصــادقــين

للأستاذ : سعيد الأفغاني
كلية الآداب ــ جامعة دمشق

ما اقصر عمر الانسان ، سنوات معدودة عليه ان يقطعها الى نهايته فى مراحل ، كالعربى القديم يخرج من مكة على راحلته الى الشام ، مكابدا حر الشمس فى صحارى الجزيرة ، تسلمه مفازة الى مفازة ، يسير الليل ، ويقبع فى النهار ، لا جديد بين يدى سفره ، غير وهج الصخور ، وسعير الهواجر ، وبحار من الرمال عن يمين وشمال ، ثم كسر يابسة ، يتبلــغ بها ، وصبابة من ماء يحرص على الا تنفد ، فيهلك هو وراحلته عطشا ، فاذا لمح فى طريقه الشاق الطويل مورد ماء او قليلا من ظل او نزرا مــن خضرة ، مال اليه ، كانه ظفر بجنة الخلد والنعيم المقيم ، يريح راحلتــه وبدنه من سفر مضن وعرق متصبب .

هذا حال الروح اليوم مع صاحبها الغارق فى عيشه المادى الكــادح ، الطافح بالهموم والأفراح والأحزان ، هى مسافر فى صحــراء ، جائعــة ظماى مكدودة ، على شفا المهالك ، اما اللحظات التى نصلها فيها بعالم المثل والفضائــل ، فهى الواحــات النضرة فى سفــرها ، تروى فيــه ظماهــا ، وتبعث نشاطهــا ، وتبل شوقها ، وترد حياتهــا ، وتشعــر بالسعادة فتحلق فى عالمها العلوى .

وشهر ذى الحجة والمحرم واحــة من واحات الروح ، تبلغها بعد أحــد عشر شهرا من سير حثيث جاهد ، فتجد عليها عالما آخــر فى انتظارها ، تأنس به ، وتحن الى مباهجه : تخفيف من أعباء المادة ، بــل هروب منها ، ورياضة النفس على شىء من هجر الراحة ومن وعثاء السفر ، واخــذ البدن بشىء من الشظف والحرمــان فى المطعم والمشرب والمبهج والمسكن والملبس ، ثم اقبال على الاتصال بالله

فى منازل وحيه ، ومهابط رحمته ، ليلا ونهارا ، يراقبه ويبتغى رضوانه فى مغداه ومراحه ، وبيعه وشرائه وأخذه وعطائه . وهو ان صلى او قرا القرآن أو صام او تهجد ، شعر فى قرارة نفسه باشراق لا يألفه فى غير هذه الايام أيام الحج .

ثم حين يودع العام الراحل ، ويستقبل المحرم من عامه الجديد ، سائلا ربه خيره وخير ما فيه ، وعائذا من شره وشر ما فيه ، وان لم يكتب له حج وزيارة ، وجد كل شىء قد أعد حوله من وسائل الاعلام ليلائم الجو العلوى لهذه الأيام ، شأنه فى ذلك شأنه فى رمضان : محطات تتزود فيها الروح زادها من العام الى العام ومن هذا الزاد سير العظماء الصالحين ، الذين عاشوا على الارض وكأنهم الملائكة طهرا ونزاهة وسموا ، ايثارا لخير الناس على النفس وهواها ، ولرضاء الله على رضا غيره ، وللآخرة على الاولى .

. . . .

من هؤلاء العظماء الصالحين الصحابى الجليل ، احد العشرة المبشرين بالجنة ، وخاتمة الخلفاء الراشدين ، أول الناس اسلاما بعد السيدة خديجة ، وربيب النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته صغيرا ، وأخوه كبيرا ، البطل الشجاع ، والفارس المغوار ، أبلغ الخطباء بعد النبى ، ومفزع الخلفاء فى الشورى والعلم والقضاء ، **امير المؤمنين على ابن أبى طالب .**

ومن ظن انه يستطيع المرور ببعض مآثره فى صفحات ، فقد ظن جهلا ، ان ضخام المجلات لتضيق عن ذلك . والذى سنذكره فى هذه الاسطر خطرات عن الرجل ، الذى امتحنته الدنيا بكل مغرياتها ، فذلت مغرياته تحت قدميه ، ثم حطت عليه الدنيا بكل بلاياها و مضايقاتها ، لتزيحه عن صلابته فى الحق ، فخسئت البلايا والمضايقات ولم يتزحزح ، وبقى على ابن ابى طالب معلما من اشمخ المعالم فى تاريخ الانسانية ، ومثلا أعلى للحاكمين ، الذين لا يعيشون لأنفسهم وانما يعيشون للخير العام ، والفضيلة الخالصة ، والمثل الرفيعة النبيلة ، هازئا بكل المرغبات والمرهبات ، التى تقوم أعذارا لكبار الرجال ، حين يميل فى أيديهم الميزان .

ومن قرأ التاريخ وكتب الطبقات وجد عليا فى الصف الأول من كل طبقة : فى مقدمة الفرسان الشجعان وفى طليعة المجاهدين القواد ، وعلى رأس العلماء الزهاد ، وأول القضاة ، وفى المحدثين والمفسرين ، وفى البلغاء الخطباء ، وفى المتصدقين الأجواد . . انه أمة فى رجل ، وليس هذا بكثير على ربيب النبوة فى منزل الوحى .

وخاطرة اليوم تحوم حول منقبته راعيا للأمة ، وأميرا للمؤمنين ، وكلنا راع ذو سلطان قل او كثر ، لكننا لا نملك من انفسنا ما ملك من نفسه ، فاذا استطعنا أن نتمثل مواقفه ، كلما جمحت بنا الأهواء فاقتدينا به ما وسعنا الاقتداء ، كان هذا حسبنا نفعا وخيرا .

لم يكن لهوى النفس ولا لسكرة السلطان سبيل على هذا الراعى العظيم ، حتى فى المواقف العصيبة الدقيقة التى لا ينجو فيها العظماء من ضعفهم البشرى :

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، فطاشت العقول ، وأخذت الناس غشية المصيبة ، كبارهم وصغارهم فى ذلك سواء ، حلماؤهم وضعفاؤهم ، ثم رجعوا الى انفسهم قليلا قليلا ،

وعرفوا أن لا بد من خليفة للرسول يقوم بأمر الناس ، والتفتت أذهان كثير من الصحابة الى على ، فلما بويع أبو بكر كان له على نعم المشير ، ونعم المعين ، ولم يأنف أن يكون جنديا فى خلافة أبى بكر ، ولو كان لنفسه عليه سلطان كما نعهد فى المرشحين ، ودعا الى نفسه ، لوجد المؤيدين ، لكن عليا وعمر وعثمان وأبا بكر طبقة من البشر كبار النفوس ، قل أن يجود الزمان بمثلها .

ثم بايع الناس عمر ثم عثمان ، فخلص على النصح لهما ، ويبقى كعهده أمام أبى بكر حسن طاعة وسماحة وخلوص نصح ، وعرفوا له جميعا عظمة نفسه ، وأنه ركن من أركان المسلمين ، حتى حين تغلب على عثمان آخر حياته بطانة فى اخلاصها شك ، وجعلته يطرح رأى على ، ويأخذ برأيهم ، حتى فى ذلك الحين لم تأخذ عليا موجدة ما على عثمان ، واستمر على تقديم كل خير يطيقه .

ثم آلت الأمور — كما يعرف قراء التاريخ — من سىء الى أسوأ ، وحوصر عثمان ، وتألبت عليه زمر الشر ، فجرفت معها الصالح وغير الصالح ، ولم تخامر نفس على فى هذا الموقف نزوة ولا انتصار لرأيه ، بل عذر عثمان ، وهب ينافح عنه ، ويخفف من غلواء أهل الأمصار .

ولما بلغ السيل الزبى ، وغلب رأى بطانة السوء ، ترك ابنيه الحسن والحسين بسيوفهما على باب الدار — دار عثمان — يحميانها مع نفر من خيار الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار ، وحذرهما أن يخلص أحد من الغوغاء الى عثمان ، وفيهما عين تطرف .

ولكن الأشرار تجنبوا الباب ، وتسوروا جدارا لا حراس عليه ، ووقع القضاء بالخليفة الصابر الشهيد وهو يقرأ القرآن ، فلما بلغ عليا مقتله ، لم تسعه الأرض ، وأسرع الى الدار ، فلم يكن منه الا أن لطم ابنيه الحسن والحسين ، ظانا فيهما التقصير ، وهذا موقف يحسن أن يقف عنده طويلا زعماء الأمس واليوم ويتفهمونه حق التفهم ، حتى لا ينصروا نزواتهم وأهواءهم حين يختلفون ، وينسوا شعوبهم ومصائرها ، لقد كان أحوج الناس الى هذا الدرس زعماؤنا يوم نكبة فلسطين ، وهم الآن اليه أحوج .

ثم بويع على ، ولكن أية بيعة ؟ انها لم تكن كبيعة عمر وعثمان ، فقد آلت اليهما أحوال موافقة ، وسياسة رشيدة حازمة ، وأمر جميع ، وكلمة موحدة ، وأمة تناهض عدوها صفا واحدا ، وتسعى الى نشر رسالة واحدة ، وآلت الى على أحوال منتشرة ، وسياسة أفسدها بطانة السوء ، وأمر شتيت ، وكلمة متفرقة وأمة يناهض بعضها بعضا ، والعدو بها متربص . . فحمل الأعباء بعزم البطل المنفذ المؤمن بتأييد الله ، وشمر للاصلاح ، فغير الولاة الذين اضطرب الأمر على عهدهم ، وبدأ بأقواهم شكيمة وأكثرهم حزبا وناصرا : معاوية بن أبى سفيان والى الشام على عهد عمر وعثمان ، ونصح الناصحون عليا أن يبقيه سياسة ورفقا ، فأبى عليه يقينه وقوته فى الاصلاح . ومتى حسب أولو المبادىء والرسالات حسابا للسياسات ؟

خلع معاوية ، فشذ معاوية بالشام عن البيعة والجماعة ، فانشطر الصف الواحد ، ولم يكد على ينظر فى هذا الأمر حتى فوجىء بخرق أوسع : بأم المؤمنين عائشة وبطلحة والزبير وأهل البصرة ، وبعض أهل مصر ينسلون من البيعة له ، ويعلنون أن لا بيعة الا بعد الأخذ بثأر عثمان ، وكان هذا

المطلب أقرب الى التعجيز فى تلك الظروف ، فبذل على من نفسه اغلى ما يبذل مصلح مسئول ، واوشك الفريقان على الاتفاق ، بل قد اتفقا ، لكن الزمان آلى أن يجند على على كل المحن ، فبعث رءوس الشر فى العسكرين ينشبون القتال فى الظلام ، قبل أن يفرغ الفريقان ، لتنفيذ ما اتفقا عليه ، وظن كل من الفريقين الغدر بصاحبه ، وصاحبه برىء ، ووقعت الكارثة ، وانفرجت عن عشرة آلاف قتيل ، وانهزم أصحاب جمل عائشة !!

وفى الليل ، طاف على على الجرحى والقتلى من الفريقين : انصاره وخصومه ، فعاملهم جميعا المعاملة اللائقة بنبله ، وكرم نفسه وأبوته ، وجعل يقول : « اللهم اغفر لنا ولهم » وامر بحمل جميع الجرحى والعناية بهم ، وحمل من الحزن على هؤلاء ما الله به عليم ، حتى كأنهم جميعا أبناؤه ، وانه ليشعر انهم كذلك بحكم ولايته .

عاد على الى البصرة يتفقد الدور المكتظة بالجرحى من الداء خصومه ومحاربيه ، وتسمعه احدى نسوتهم فى دخوله وخروجه من الطعن والدعاء عليه ما يضيق به صدر الحليم ، فيتجاوز تجاوز النبلاء ، ويأمر بالاحسان والاكرام ، ويجهز السيدة عائشة زعيمة المعارضة أكرم جهاز الى المدينة ، ويعطيها ، ويصحبها فى سفرها الموكب الضخم تعظيما ، ويخاطب الناس فى وداعها فيقول :

« أيها الناس ، صدقت والله وبرت ، وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة » ثم يشيعها أميالا ويسرح بنيه معها فى موكبها الى المدينة .

أما الزعيمان الآخران طلحة والزبير فقد تقطع قلبه حسرة عليهما ، ولما رأى طلحة فى القتلى متعفرا ، جعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول : « اعزز على أبا محمد ان أراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الأودية ، انا لله وانا اليه راجعون . والله انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » وصدق والله .

انصرف على بكل عزمه الى ما يصلح أمر الأمة ، لم يلن فى حق ، ولا جامل قريبا ولا أخا ، ولم يحتمل الناس ذلك ، فجفاه أخلص الأقارب والأصدقاء ، واحدا بعد واحد ، أدركهم ضعف البشر ونصرة الهوى ، فارقه ابن عمه وأخلص نصحائه وأتواهم ، عبد الله بن عباس ، وانحاز أخوه عقيل بن أبى طالب الى عدوه معاوية ، ثم انشق عليه الخوارج فحاربوه ، وهو ثابت كالجبال الرواسخ لا يغير من سيرته . وصلابته واقدامه قيد شعرة ، واخذ الناس ينفضون من حول الأمير الحارس الأمين ، الذى حرم نفسه راحتها ، ولم يمتعها من الدنيا بمتاع ، انصرفوا الى الملك الذى يكسب لنفسه ويعطى غيره . ومضى قدما صادقا بما عاهد الله عليه ، أميرا اجيرا ، حتى لقى الله على سنة النبى الكريم وخليفتيه الراشدين ، لم يفتر ، ولم يبدل فكان الراعى القوى الأمين .

يقول السطحيون من متفلسفى التاريخ : (ان عليا ضعيف السياسة) وفاتهم انه اختار السيرة التى سارها عن بصيرة وروية وتصميم ، حين

جعل هدف الحياة ارضاء الله واسعاد البشر ، والا فأهون الأمور ، أن يبقى معاوية على عمله ، ويزيده فيه ، ويعطى فلانا وفلانا ، وبذلك يكون عند هؤلاء من الدهاة السياسيين . انه اراد الله فى كل ما فعل ، فلم يقم لغيره وزنا . وصدر عن ذلك فى كل مآتيه ، وليس عليه ان تواتيه الأمور او لا تواتيه ، لقد قال الحق ، وعمل بالحق ، وابتغى الحق ، وهذا كل ما على أصحاب الايمان .

اختلف عليه الناس فى حياتهم ، لكنهم اتفقوا جميعا منذ وفاته ، الى يوم الناس هذا على الشهادة بأنه كان الحاكم المثالى فى كل الفضائل المطلوبة من الحاكم . وليس عليك الا ان تقرأ فى كتب الأدب والتاريخ تلك المجالس التى كانت شيعته تبكيه فيها أمام خصمه القوى العنيد معاوية ، وترثيه بمناقب تلحقه بالأنبياء والمرسلين ، يجهرون بهذا صدعا بالحق ، معرضين أنفسهم لانتقام الحاكم وسطوته ، ثم تنجلى هذه المجالس عن عكس ما أراد منها معاوية ، تنجلى عن تقديس على ، وانتصار الذين كان على اماما لهم ، ثم صار عقيدة فى قلوبهم ، وعن اقرار معاوية حزينا متحسرا بكل ما قالوا . لقد خضعت القوة القوية أخيرا للحق ، وصاحبه من أصحاب القبور ، وهذا غاية ما يخلد به ناصر للحق مخلص له .

قال معاوية لضرار الصدائى : « يا ضرار صف لى عليا » فقال : « اعفنى يا امير المؤمنين » قال : « لتصفنه » قال : « اما اذا اذنت فلا بد من صفته :

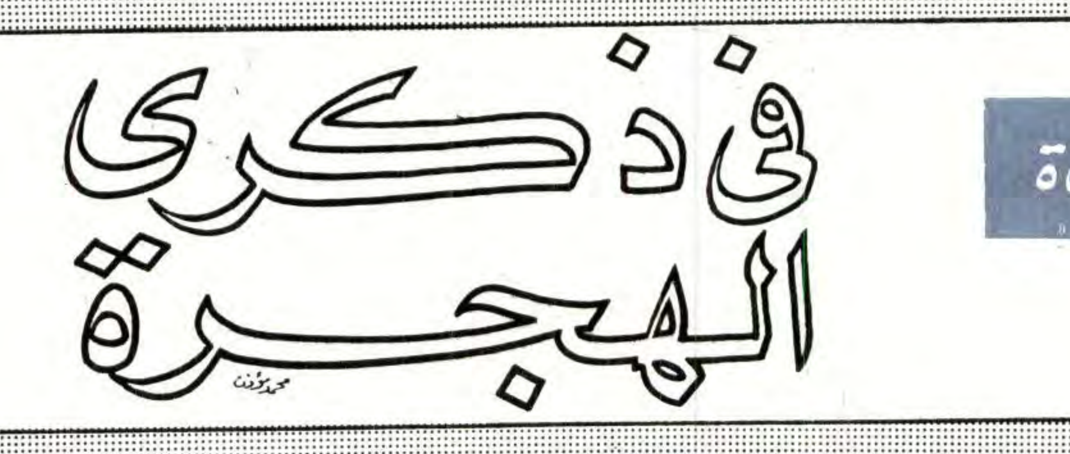
كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كاحدنا : يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه . ونحن مع تقريبه ايانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، ولا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا اليك عنى ، غرى غيرى ، الى تعرضت ، أم الى تشوفت ؟ هيهات . قد باينتك ثلاثا لا رجعة لى عليك ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، وخطبك يسير . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق » فبكى معاوية حتى اخضلت دموعه لحيته وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ » قال : « حزن من ذبح واحدها فى حجرها » .

....

ان وقفة عند سيرة هذا الراعى العظيم ، تملأ النفس ايمانا وطمأنينة وحفزا الى التسامى ، وتنعش الروح وتشحنها بالقوة ، فتقتحم ميادين الخير قوية مؤمنة . وهكذا يكون المثال الذى تقدمه سير العلماء أجدى بكثير من عشرات الصحف ، حكما ومواعظ .

رحم الله عليا أمير المؤمنين ، ورضى الله عنه فى العلماء الزاهدين والحكام العادلين ، والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين .

قصيدة



سرت بيننا كالحلم فى ليلة الصيف ... مهفهفة الأعطاف ناعسة الطرف

مكحلة بالسحر ملء جفونها .. ... فنون من الاغراء والرفق واللطف

فيممت شطر الحسن اخطب وده ... واسرعت اسراع الكريم الى الضيف

وقلت : سلام الله يا اخت يوشع ... ويا بنت أحلامى ، ويا ربة الظرف

حنانيك ما هذا الصدود ، واننى ... لأبدى من الأشواق بعض الذى اخفى

صداقك لو تبديه أعطيه راضيا ... وان كان الفا ، او يزيد على الألف

فردت سلامى ، ثم قالت بعزة ... صداقى بحسبانى يجل عن الوصف

سل المصطفى المختار عنه فانه ... ابو عذرة المهر الكريم الذى يكفى

وحسبك ان المشركين تظاهروا ... عليه بألوان من المكر والحيف ..

وشنوا عليه الحرب يضرم نارها ... وقود من البغضاء والكيد والعنف

فلما رأيت الظلم جاوز حده ... وليس لتيار الجهالة من وقف

عرضت لخير المرسلين محمد ... متوجة بالطهر والمنطق العف



وناديته : السيل قد بلغ الزبى ... واضحى جميل الصبر لونا من الخوف

الى : .. الى من تسلم الحر قلبها ... اذا ثار فى وجه الجبابرة الغلف

الى .. الى من تمنح الحر حبها ... اذا عاف شرب الذل فى حانة الخسف

فما هو الا الليل أرخى سدوله ... واذ برسول الله يهزأ بالخوف

ويعبر أسوار الجحيم مظفرا ... الى جنة فيحاء دانية القطف

بها شاد للدين الحنيف دعائما ... موطدة الأركان مأمونة الكنف

فان رمت يا هذا اكتساب محبتى ... فدونك هذا النهج تلق به عطفى

ووصلى وصل المجد والعز والعلا ... وليس بوصل النهد والخصر والردف

فما الغزل المشبوب سلم نيله ... ولكنه الاقدام فى موطن الحتف

واعزاز أهل الفضل بالعلم والتقى ... واذلال أهل الشرك بالرمح والسيف

وعيشك فى الدنيا بنفس أبية ... تظل ـ برغم الفقر ـ شامخة الأنف

وتخلف بعد الموت ذكرى عزيزة ... منضرة الأفنان مسكية العرف

يأسٌ وأملٌ

حول مؤتمر القمة

للشيخ : نديم الجسر
مفتى طرابلس — لبنان

اخشى على قلبى ، وانت حبيبه ، ... ان يستشيط اذا ظللت تذيبه
ما بى ، وحقك ، ان يكون منعما ... سيان ، عندى ، برده ولهيبه
كلا ، ولا بى أن يقر قراره ... هين على سكونه ووجيبه
لكن أخاف فراره واباقه ... ان طال من هذا الجفاء نصيبه
ويلى اذا انتهت الحياة ولم اجد ... قلبا منيبا فى الحساب انيبه
فتن الحياة امرها تلك التى ... تاتى على القلب الكسير تريبه

★

واحسرتا للعبد يظلم نفسه ... ويظل يعلو بالثبور نعيبه
ويقول ربى شاننى واهاننى ... ويخوض فى قدر السماء يعيبه
واذا اصاب الخير قال ، بجهله ... هذا على علم لدى اصيبه
يكبو ، ويطلب أن يقال عثاره ... يجنى ويرجو أن تقال ذنوبه
وينام عن سنن الحياة ويشتهى ... ان المحال اذا دعاه يجيبه

★

يا سادة جمع « الكتاب » شتاتهم ... ووقاهم من فرقة تهذيبه
بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذى ... ما زال ينهر فى القلوب صبيبه
لا تتركوا احقادكم تطغى على ... ايمانكم بالله فهى تشوبه
الخطب فى الاسلام فوق صغائر ... نلهو بهن وقد اطل رهيبه
لم ننس « اندلسا » وكيف أضاعها ... ذاك الشقاق ، وفى الفؤاد ندوبه
دول نكاد نكون ، فى تاريخنا ، ... صورا لها يطوى البعيد قريبه
ما كانت « الحمراء » الا ومضة ... من عهد مجد قد اطل شحوبه

عرف القراء فضيلة الشيخ نديم الجسر كاتبا مجيدا وباحثا عميقا ولكن ربما لم يعرف الكثير منهم أنه شاعر ممتاز أيضا ، وهذه قصيدة من قصائده يعبر فيها أصدق تعبير وأجوده عما يجيش فى صدورنا جميعا .

« الوعى »

القصر لا يبقى اذا لم يحمه — شعب أبى فرسته حروبه
اولى علامات الزوال لأمة — ترف يدب الى الشعوب دبيبه
استغفر الرحمن من يأس بدا — منى على غرب الدموع غريبه
لم يجتمع ، فى صدر عبد مؤمن — يأس مع الايمان فهو يشوبه
ثلث البسيطة ملكنا ، وعديدنا — ثلث الورى والدين نحن قطوبه

★

ولنا من البر الفسيح عوالم — ولنا من البحر المحيط دروبه
ولنا من الأمواه أعظم أنهر — ولنا من النفط العظيم قليبه
ولنا ، ببحر الروم ، أطول ساحل — هو حصة الأسد اشترته نيوبه
وعلى معابره الثلاثة تلتقى — اشداقنا ، فنجبه ، ونجوبه
ويشد وحدتنا كتاب واحد — نلقى عليه الله وهو حسيبه
مهما تفرقنا فلا معدى لنا — عن الفة يقضى بها تأديبه
هذا بمعركة البقاء سلاحنا — لم يجتمع عند الشعوب ضريبه

★

ان مسنا قرح فما من معشر — الا أتاه ، من القروح ، نصيبه
دول هى الدنيا يداولها الذى — خلق الوجود وصرفته غيوبه
هى نكبة لكن أكاد أرى بها — خيرا لشعب أترفته عيوبه
ما الخطب ، عندى ، أن يباغت نائم — فى غفلة ، بالمترفات ، تنوبه
الخطب أن يبقى الخمار ملازما — شعبا توطا بالنعال جنوبه

نديم الجسر



المسبحة والمسبحون

للأستاذ : علي الجندي
عميد دار العلوم ــ جامعة القاهرة سابقا

التسبيح ــ الصلاة ، ومنه قوله ــ تعالى ــ « . . . وكان من المسبحين » والتسبيح ــ التنزيه ، وسبحان الله ، معناه : التنزيه عن الصاحبة والولد ، وقد نصب على المصدر ، كأنه قال : ابرىء الله من السوء براءة . . او معناه : السرعة اليه والخفة فى طاعته ، والتسبيح أيضا : صلاة التطوع .

وسبح ــ كمنع ــ سبحانا ــ وسبح تسبيحا : قال : سبحان الله ، وسبحة الله ــ بضم وسكون ــ : جلاله .

والسبحة : خرزات تعد ، يسبح بها ، وهى أيضا : التطوع من الذكر ، والدعاء ، تقول منه : قضيت سبحتى .

جواز التسبيح باداة :

وفى ترجمة أبى الدرداء : انه كان يسبح فى اليوم مائة الف تسبيحة .
وكان خالد بن معدان يسبح فى اليوم أربعين الف تسبيحة ، سوى ما يقرأ.
قال السيوطى : ومن المعلوم المحقق : ان المائة الف ، بل الاربعين الفا .
واقل من ذلك لا يحصون بالانامل . فقد صح بذلك وثبت انهما كانا يعدان بآلة .

التسبيح بعقد اليد :

أخرج ابن أبى شيبة ــ وابو داود ، والنسائى ، والحاكم ، وصححه عن ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال : « رأيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعقد التسبيح بيده » وأخرج ابن أبى شيبة ، وأبو داود ، والترمذى ، والحاكم عن « بسيرة » ــ وكانت من المهاجرات ــ قالت : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليكن بالتسبيح والتهليل ، والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التوحيد واعقدن بالأنامل ، فانهن مسئولات ومستنطقات » .

وفى كتاب « تحفة العباد » (قال بعض العلماء : عقد التسبيح بالأنامل افضل من السبحة ، لحديث « ابن عمر » المتقدم .

ولكن يقال : ان المسبح ان امن الغلط ، كان عقده بالأنامل افضل ، والا فالمسبحة أولى .

التسبيح بالحصى والنوى :

اخرج الترمذى والحاكم والطبرانى عن « صفية » — رضى الله عنها — قالت : « دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبين يدى اربعة آلاف نواة اسبح بهن » .
فقال — « ما هذا يا بنت حيى » ؟
قلت — « أسبح بهن » .
قال — « قد سبحت منذ قمت على راسك اكثر من هذا » .
قلت — « علمنى يا رسول الله » .
قال — « قولى سبحان الله عدد ما خلق من شىء » .
وكان سعد بن ابى وقاص — رضى الله عنه — يسبح بالحصى أو النوى .
وعن سعد بن ابى وقاص ايضا : انه دخل مع النبى — صلى الله عليه وسلم — على امراة — وبين يديها نوى أو حصى تسبح به .

فقال : « اخبرك بما هو ايسر عليك من هذا وافضل (قولى : « سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، سبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك » .

وعن ابى بن كعب عن جده عن ابى صفية مولى النبى — صلى الله عليه وسلم — انه كان — اى ابا صفيه — يوضع له نطع (١) ، ويجاء بزنبيل (٢) فيه حصى ، ليسبح به الى نصف النهار ثم يرفع ، فاذا صلى الاولى اتى به ، فيسبح به حتى يمسى .

وعن يونس بن ابى عبيد عن امه ، قالت : رايت ابا صفية — رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — وكان جارنا ، قالت : فكان يسبح بالحصى .

وعن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : كان لأبى الدرداء نوى من نوى العجوة فى كيس ، فاذا صلى الغداة (٣) اخرجها واحدة واحدة ، يسبح بهن حتى ينفذن .
واخرج ابن سعد عن ابى هريرة — انه كان يسبح بالنوى المجزع (٤) .
واخرج ابن ابى شيبة عن ابى سعيد الخدرى : انه كان يسبح بالحصى .
وعن رجل من الطفاوة (٥) قال : نزلت على ابراهيم — وفى بعض النسخ ابى هريرة — ومعه كيس فيه حصى أو نوى ، فيسبح به حتى ينفذ .

---

(١) النطع — بساط من الاديم .
(٢) الزنبيل — القفة .
(٣) الغداة — الصبح .
(٤) المجزع — ما فيه سواد وبياض .
(٥) الطفاوة — بضم الطاء — هى من قيس عيلان .

وقال شيخ من الطفاوة ـــ بينما انا عند ابى هريـــرة بالمدينة ، وهو على سرير له ، ومعه كيس فيه حصى او نوى ، واسفل منه جارية سوداء وهو يسبح به ، حتى اذا انفذ ما فى الكيس ، القاه اليها فأعادته فى الكيس ، فدفعته اليه يسبح به .

التسبيح بالعقـــد :

وكانت فاطمة بنت الحسين ، تسبح بخيط معقود فيه عقد .

وكان لأبى هريرة خيط فيه الفا عقدة ، فلا ينام حتى يسبح به .

وعن عكرمة ـــ فكان لا ينام ـــ اى ابا هريرة ـــ حتى يسبح به اثنتى عشرة الف تسبيحة .

التسبيح بالسبحة :

عن ام الحسن بنت جعفر بن الحسن عن ابيها عن جدها عن على ـــ عليه السلام ـــ مرفوعا « نعم المذكر السبحة » .

وقد قال عمر المالكى لأستاذه الحسن البصرى ـــ وراى فى يده سبحة ـــ انت يا استاذ مع عظم شأنك ، وحسن عبادتك ، وانت الى الآن مع السبحة .؟

فقال له الحسن ـــ شىء كنا استعملناه فى البدايات ، ما كنا نتركه فى النهايات ـــ احب أن اذكر الله بقلبى ، ويدى ولسانى .

وذكر ابن خلكان « فى « وفيـــات الأعيان » انـــه راى فى يد « ابى القاسم الجنيد » يوما سبحة .

فقال له ـــ انت مع شرفك ، تأخذ بيدك سبحه ؟

فقال ـــ طريق وصلت به الى ربى ، لا افارقه .

وكان الامام ـــ ابو عبد الله محمد بن ابى بكر بن عبد الله ، وشيخه الامام ـــ ابو العباس احمد بن ابى المحاسن ، وشيخه ـــ ابو المظفر الترمذى ، وشيخه ـــ ابو الثناء ، وشيخه عبد الصمد بن احمد بن عبد القادر ، وشيخه ـــ ابو محمد يوسف بن ابى الفرج ، وشيخه ـــ ابو الفضل بن ناصره ، وشيخه ـــ ابو محمد عبد الله السمرقندى ، وشيخه ـــ ابو بكر محمد بن على السلمى الحـــداد ، وشيخه ـــ ابو نصر عبد الوهاب المقرى ، وشيخه ـــ ابو الحسن على بن الحسن الترفق الصوفى ، وشيخه ـــ ابو الحسن المالكى ، وشيخه ـــ الجنيد ، وشيخه ـــ السرى السقطى ، وشيخه ـــ معروف الكرخى ، وشيخه ـــ ابو بشر الحافى ، وشيخه ـــ عمر المالكى ، وشيخه ـــ الحسن البصرى ، كل هؤلاء كانوا يمسكون السبح .

قال السيوطى ــ وقد اتخذ السبحة سادات ، يشار اليهم ، ويؤخذ عنهم . ويعتمد عليهم ، فلو لم يكن فى اتخاذ السبح غير موافقة هؤلاء السادة ، والدخول فى سلكهم لكفى ، فكيف بها وهى مذكرة بالله ــ تعالى لأن الانسان قل أن يراها الا ويذكر الله ، وهذا من أعظم فوائدها ، وبذلك كان يسميها بعض السلف المذكرة ــ أى المذكرة بالله .

ومن فوائدها أيضا ــ الاستعانة على دوام الذكر ، كلما رآها ذكر انها آلة للذكر فقاده ذلك الى الذكر ، فيا حبذا سبب موصل الى دوام ذكر الله ــ عز وجل .

وكان بعضهم يسميها ــ « حبل الوصل » .

وبعضهم يسميها ــ « رابطة القلوب » .

ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف ، المنع من جواز عد الذكر بالسبحة ، بل كان أكثرهم يعدون بها ، ولا يرون ذلك مكروها .

وقد رئى بعضهم بعد تسبيحه ، فقيل له ــ أتعد على الله ؟

فقال ــ لا ــ ولكن أعد له .

والمقصود ــ أن أكثر الذكر المعدود ، الذى جاءت به السنة الشريفة ، لا ينحصر بالأنامل غالبا ، ولو أمكن حصره ، لكان الاشتغال بذلك ، يذهب الخشوع .

نادرة :

ويقول السيوطى ــ اخبرنى من اثق به ــ انه كان مع قافلة فى درب « بيت المقدس » فقامت عليهم سرية من الاعراب ، وجردوا أصحاب القافلة جميعا ، وجردونى معهم . فلما اخذوا عمامتى سقطت المسبحة من راسى ــ فقالوا ــ هذا صاحب مسبحة ، فردوا على ما كان أخذ منى ، وانصرفت سالما .

وصف السبحة :

قال فيهاعما د الدين المناوى :

ومنظومة الشمل يخلو بها ... اللبيب فتجمع من همته .
اذا ذكر الله جل اسمه ... عليها تفرق من هيبته .

وقال النحيمى فى سبحة سوداء :

وسبحة مسودة ، لونها ... يحكى سواد القلب والناظر .
كانى وقت اشتغالى بها ... اعد أيامك يا هاجرى .

وقال شوقى :

ما تلك اهدابى تنظم ... بينها الدمع السكوب
بل تلك سبحة لؤلؤ ... تحصى عليك بها الذنوب

وقد اهدى بعض الأصدقاء الى الشاعر المرحوم محمد الأسمر فى شهر من شهور رمضان مسبحة طريفة ، كل حبة منها ذات لونين اصفر واسود ، فقال يصفها ويصف أحوال بعض المسبحين .

مسبحتى كانها	من عنبر وعسجد
ضمت تباشير الصبا	ح ، للظلام الأسود
فمن رآها ظنها	مسبحتين فى يدى
رقطاء الا انها	من معبد لمعبد
وهى – ولا ناب لها	تعض كل ملحد
احبب بفيها الادرد	وما به من شهد (١)
عكازة المستغفر الطا	لب ، ضبط العدد
وحلية التهجد	وزينة التعبد
وربما الفيتها	يلهو بها أخو الدد (٢)
فقد ترى فى حانة	كما ترى فى المسجد
وعدة للنصب من	ادهى وشر العدد (٣)
حبالة الخاتل ان	تلق حمارا تصطد
يحملها فى كفه	وهى فساد المفسد
ومن رآها ظنها	هداية للمهتدى
شاعت وذاعت فهى انى	سرت ملء البلد
قالوا – اتى موسمها	يا « رمضان » فاشهد
كم صائم مسبح	لسانه كالمبرد
سبحته فى يده	كالخنجر المجرد

سبحة زيدان التاريخية :

كانت لأم المقتدر العباس قهرمانة تدعى « زيدان » وكانت ممكنة من خزانة الجواهر وفيها جوهر الخلافة– فاتخذت سبحة تشتمل على ثلاثين درة متشابهة فى الوزن واللون كل واحدة منها كبيضة العصفور ، مفصلة بعشر يواقيت ، لم ير مثلها فى عقد ملكة ، ولا خزانة ملك .

فصارت مثلا فى النفائس والذخائر .

---

(١) الادرد – من ليس فى فمه سن .

(٢) الدد – اللهو .

(٣) يحملها من نطلق عليهم النصابون المحتالون ليظهروا بمظهر المتعبدين ليطمئن لهم صيدهم من المغفلين .



للشيخ : عبد المنعم النمر

ونحن نستقبل العام الجديد

لا أدرى — أخى القارىء — ونحن نستقبل العام الرابع من عمر مجلتنا الحبيبة ، أى الخواطر اتحدث عنها معك فى هذه المناسبة ؟ ، وهى تتزاحم كما يتزاحم الماء المتدفق عند الممر الضيق ، وانها لخواطر المجلة فى ثلاث سنوات مع قرائها ، وحديث القلب الى القلوب الكبيرة التى تعيش معنا دائما على بعدها الحسى عنا .

اننى وأنا استقبل العام الرابع انظر الى الوراء ، الى ثلاث سنوات مرت فى جهاد مرير بسلاح الكلمة ، ولكنه شيق الى النفس ، من اجل هذا الدين الذى اختاره الله طريقا وحيدا لنظام الحياة السعيدة الهادئة ، ومن اجل الوطن الاسلامى الذى حمل أمانة الله ، وأمانة التاريخ ، ثم بدا وكأنه قد تخلى عن امانته ، وفرط فى سعادته ، ثم يبدو الآن وكأنه أحس واقعه متلمسا الخروج من هذا الواقع ، مستأنفا حمل الرسالة بجدارة وثقة . .

اتذكر الآن كيف كنا ونحن نعد العدة لاخراج هذه المجلة . ونرسم امامنا صورا متعددة لمجلة نريدها فى موضوعها واسلوبها ومظهرها مغرية بالاقبال عليها ، وامتصاص مادتها ، وتشرب روحها . .

نريد بها أن نحول أفكار الناس وبخاصة الشباب ، عن فكرتهم التقليدية عن المجلات الدينية ، وخلوها من المادة الجذابة ، والمظهر المشجع على القراءة ، ونضع امامهم صورة جديدة مشرقة للمجلات الدينية الهادفة ، التى لا يصرفها العناية بالجوهر ، عن العناية بالمظهر ، فان اهمال المظهر ، أو سوء العرض ، كثيرا ما يضر بالسلعة الاصيلة الثمينة ، ويصرف الانظار عنها .

واستعنا بكل تجاربنا وآمالنا ، وبتجارب المخلصين وآمالهم ، وبالاستعداد الكريم من المسئولين لاحتضان هذا المشروع الاسلامى وتشجيعه ، وخطونا اولى خطواتنا على الطريق فى ثقة . ولكن فى استحياء . وانتظار لرد الفعل . .

والآن ، وبعد ثلاث سنوات مضت ، أشعر بكثير من فضل الله يغمرنا ؛ وبوعـــده الكريم للعاملين يحفنا من أول عـــدد اخرجناه .. وانما الاعمــــال بالنيات ..

لقد كان صدى جميلا طيبا ، وجزاء معادلا ، للعمل الجاد الهادف ، وللنيات المخلصة ، فزادنا ايمانا وثقة بوعد الله ورعايته ، كما زادنا اصرارا على بذل الكثير من الجهد والاستهانة بالكثير من المتاعب ..

فما كنا نتوقع أن نصل اليه فى عشرة اعوام — وكان ذلك أملا ضعيفا على أساس الضوء الخافت الذى كان يحيط بالمجلات الدينية — وصلنا اليه بحمد الله وعونه فى مدى قصير ، ووجدنا الاضواء تسلط على المجلة من كل ركن من اركان العالم .. او وجدناها تضىء قلوبا فى كل ركن من أركان العالم وينعكس الشعاع من هذه القلوب ليصل الينا هنا ، فيزيد طريقنا نورا وبصيرة ، ويزيد من عزمنا جهدا وتضحية ..

ما كنا نتوقع ان نجد أنفسنا بعد هذه المدة القصيرة من عمـــر المجلـــة ، مضـــطرين لطبع (٤٠) أربعين الفا منها ، لنلبى ما يمكن لنا تلبيته من حاجة القراء ، ويجد المسئولون أنفسهم أمام هذا النجاح ، مقبلين على بذل كل ما يمكن لهم بذله ، لتوفير الامكانيات التى تفسح لها الطريق الى يد كل قارىء ..

ولعلنى أضع الامور فى نصابها اذا قلت ان المسئولين يعتبرون الخــدمة التى تؤديها المجلة للاسلام والمسلمين ، انما هى من الخدمات العامة التى تقوم بها الوزارة ، لا ينتظرون من ورائها كســبا ، بل ولا ينتظرون منها أن تغطى نفقاتها ، وحسبهم فى هذا — عند الله وعند الناس — أنهم يسهمون فى خدمة هذا الدين الذى ارتضاه الله لعباده .

ومن هنا عملت الوزارة من أول يوم على أن تكون أسعارها فى متناول كل يد ، وأن تتحمل فوق مئونة طبعها واخراجها ، مئونة حملها الى كل قطــر عربى وغير عربى بالطائرة .. وليس ذلك بالامر الهين فان العدد الواحد قد يتكلف حمله بالطائرة ما يوازى ثمنه الذى يباع به فى بعض البلاد ، ويزيد عن الثمن أضعافا فى البعض الآخر .. والوزارة مع ذلك جد مغتبطة لقيامها بهذه الرسالة الدينية .. ويضاعف من سرورها أن تجد لهذه الرسالة آثارها الطيبة فى كل مكان . وأن تصل اليها الرسائل متتابعة من كل ركن من أركان العالم ، تشيد بهذا الجهد الذى تؤديه ، وتشد على كل يد تشارك فيه ..

وكم كنت أود أن يتسع المجال لأضع أمامك بعض هذه الرسائل المشرقة ، التى نعتبرها باقات زهور تصلنا من أنحاء متفرقة فى أمريكا وآسيا وافريقيا .. من الافراد والجامعات والهيئات .. وكلها يشيد بمستوى المجلة الفـــريد بين المجلات الاسلامية وبحرصها على أن تعرض الاســـــلام ومبادئه بلغة العصر . وتناقش قضاياه على ضوء الدين والعقل ، وعلى أن تلتزم بالادب القرآنى فى دعوتها الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنـــة ، بعيـــدة عن الخــلافات المذهبية ، والتيارات السياسية ، مما جعل القلوب والحـــدود تتفتح لها .. وتنتظرها بتلهف مع اشراقة الهلال من كل شهر ، وجعل احد القراء من احــد الاقطار يرسل الينا شاكيا من ان المجلة تأتى فى السر ، وتباع فى السر ، ولا

يستطيع الحصول عليها . مع اننا نرسل الى هذا القطر اربعة عشر الفا منهـا كل شـهر . ولكنها كمية لا تكفيه فتنفذ بسرعة . كما يعمد بعض البائعين الى حجزها لعملائه .

ولقد حرصنا مع هذا الالتزام على أن تتفاعل المجلة مع الاحداث التى تمر بنا ، والتيارات الفكرية وغير الفكرية التى تهب علينا .. لا تفاعل التابع العاجز ، ولكن تفاعل الموجه الحكيم ، والناقد البصير ، الذى يلتقط العبرة من الاحداث . ويوجه القلوب الحائرة المضطربة الى الهدى الحكيم . ويوقظ الضمائر النائمة لتبصر طريقها المستقيم ، بالكلمة اللينة حينا ، والقاسية غير الجارحة حينا آخر .. وبالايماء والاشارة الواضحة حينا ، وبالصراحة التى لا تثير العناد حينا آخر .. وهى تهدف فى ذلك كله الى أن تجنب المسلمين خطورة الانحلال والتفتت ، وتجمع الشمل حول كلمة الله ، ونداء العقل ، ومصلحة البلاد ...

ومع أن التيارات المذهبية الاسلامية تكاد تفوق فى حدتها وتشعبها التيارات السياسية ، ومع أن الاشتباك السياسى يتخذ من الدين أحيانا كثيرة ميدانا لمعاركه ، ومع أن المجتمع الاسلامى تغشاه آراء دينية متفاوتة البعد .. ما بين متمسك محافظ على الموروث من كلام السابقين وآرائهم لا يريد أن يحيد عنها ، وبين من يعطى نفسه حرية التحرك والفهم والاختيار من كلام السابقين او الاستنباط فى دائرة الهدى الحكيم ، وبين من لا يرضيه هذا ولا ذاك ، ويريد أن يطوع الدين لأغراضه بحجة التطور وملاءمة العصر .

اقول مع هذه التيارات كلها نشق طريقنا الى الهدف الذى نؤمن به . وإن كنا نجد منتهى الصعوبة والحرج أحيانا فى اختيار الرأى . والكلمة المعبرة عنه . ونجد أنفسنا مضطرين احيانا الى ان نجعل المجلة ميدان نقاش هادىء هادف . بين هذا وذاك ، بقصد الوصول الى رأى ناضج . فان الحقيقة بنت البحث كما يقولون ، والحجة تقرع بالحجة . لا بالشتائم ، ولا بكيل الاتهامات جزافا .

ومع هذا كله لا ندعى اننا وصلنا الى أن نكون محل رضا من الجميع . فتلك غاية لا تدرك ... ولكن حسبنا عند الله أننا نجتهد لنصل الى الصواب . والعقلاء يعرفون مما علمنا الرسول اياه : أن من اجتهد فأخطأ فله أجر . ومن اجتهد فأصاب فله أجران . ولا يبيح عاقل لنفسه امام هذا أن يجردنا حتى من الأجر الواحد . ان اختلف معنا ، أو لم يعجبه شىء مما نقدمه اليه . ولقد قلت فى افتتاحية اول عدد أننا نرحب ونفرح بالنقد الهادف . وشعارنا فى هذه المجلة : **رحم الله امرءا أهدى الى عيوبى ..**

ومع دقة الظروف والاوضاع التى تغشى عالمنا العربى ، ومع شدة الحساسية من القراء ، ومع ما تفرضه طبيعة الحياد الذى تنبت فى ظله المجلة ومنه تخرج ، أقول مع ما يفرضه هذا كله . فاننى لا أعتقد أننا توانينا عن واجبنا فى ابداء الرأى لاصلاح حال هذه الامة . ولا غضضنا الطرف عما جرى ويجرى فيها من أمور شاركت مشاركة فعالة فى تأخرها ثم فى هزيمتها .. بل كنا صرحاء ــ ولكن فى حكمة ــ مع انفسنا ومع قرائنا وقادتنا ، صراحة حتمتها حالنا .

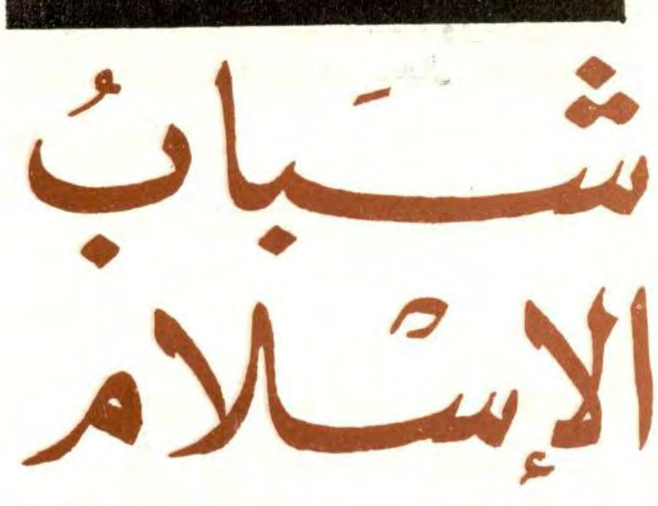
وفرضتها مرارة الهزيمة التى حلت بنا ، والرغبة فى الخروج منها ، والتخلص من آثارها . . ولا اغالى اذا قلت : ان القراء قد وجدوا فيما كتبناه وقدمناه اليهم تعبيرا صادقا حرا عما فى نفوسهم ، اعتقد أنهم لم يجدوه فى مجال آخر . .

كتب لى رئيس تحرير صحيفة يومية كبيرة تطبع ربع مليون نسخة يوميا يقول : ان ما تقوله « الوعى الاسلامى » هو ما كان يجب على كل صحيفة وعلى كل كاتب أن يقوله فى هذه الظروف . .

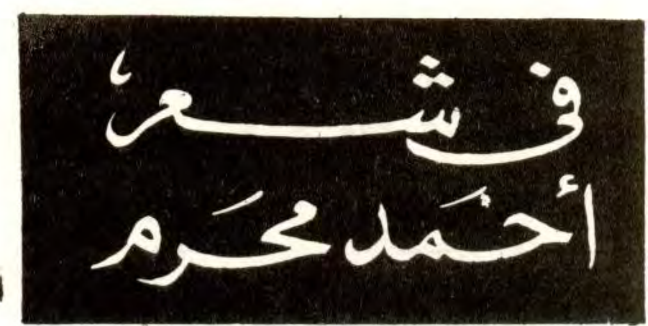
وكتب لى وزير عربى سابق يقول : « أود أن أبلغكم بكل صراحة لا شأن للمجاملة او المودة فيها اخلص التهنئة على ماتقدمتموه فى الاعــداد الاخيرة من « الوعى الاسلامى » من كلمات تمتاز بصراحتها ونضجها وعمقها ، ووعيهــا الكامل لحقيقة الاحداث ، وتعاليها عن الاساليب اللامسئولة ، التى تمتلىء بها الصحف العربية ، ودنيا العرب العامة . ولقد كنت أطرب وأنا أقرأ بعض هذه الكلمات طربا عقليا شديدا ، وآلم فى الوقت ذاته الما شديدا حين أقارن ذلك بما يبدو من تقصير الكتاب فى الصحف السياسية عن اللحاق بأسلوب المسئولية الرفيع الذى تمتاز به كلمات « الوعى الاسلامى » ، ولكم تمنيت ــ وأنا أقرؤها ــ أن تتواجد فى البلاد العربية صحافة سياسية على نسقها ، تصدر عن شعور عميق بالمسئولية ، لتلعب دورها الحيوى فى توعية شعبية حقيقية ، لا عن روح تطبعها الانانية والانتهازية ، وعدم المبالاة بكل الاعتبارات والقيم العظيمة ، التى كان التخلى عنها سببا أساسيا فى انحطاط الامة العربية وانحدارها ، عندما انغمست فيما تنغمس فيه الآن من الصفات التى تأباها الروح العربية الاصيلة ، والشمائل الاسلامية الكريمة ، مثلما كان التحلى بها سببا فى رفعة الامة العربية وعظمتها فى الايام الغابرة ، لذلك كله بورك فى « الوعى الاسلامى » صراحــة الرواد المخلصين ، ونضج العلماء المجربين وبورك الوعى المدرك ، والاسلوب الرفيع ، وبالله عليكم زيدونا من فهمكم فهما ، ومن وعيكم وعيا ، وانيروا دروب المتنفعين بكم ، تسهموافى خدمة أمتكم العربية ، وعالمكم الاسلامى اســهاما عظيما » . .

صورة يرسمها قارىء من ذوى الثقافة الواسعة ، والادراك الواعى ، عاش فى معترك الحياة السياسية سنين طويلة ، ثم تركها ، ولم يكن من الذين يجولون فى الفلك الدينى ، ولكنه كما يقول ــ جذبته « الوعى الاســلامى » فأصبح من قرائها وعشاقها كما ترى . . وفى اطار هذه الصــورة تلقى معالى الوزير ، والسيد الوكيل ، كما تلقينا فى المجلة عشرات الرســائل من جميع انحاء العالم ، وكلها تجمع على انهم وجدوا فى « الوعى الاســلامى » شــيئا جديدا وروحا متوثبا ، لم يأنسوه فيما قرءوا ويقرءون من مجلات . .

ونحن لا نملك ازاء هذا كله الا أن نحمد الله على ما وفقنا اليه ، ونسأله سبحانه المزيد من هديه وتوفيقه . . ونعاهده ونعاهد القراء على أن نظل سائرين على النهج الذى اخترناه واعلناه ، لتظل « الوعى الاسلامى » مجلــة الشباب والشيوخ والرجل والمراة ، تشق طريقها الى القلوب ، فى عالم مضطرب حائر ، حاملة هداية الله اليها فى غير تزمت ولا تحلل والله الموفق والمعين .







للدكتور : أحمد الشرباصي
المدرس بكلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر

ونعود مرة أخرى الى ديوان « مجد الاسلام » :

اذا كان شاعرنا قد عطر صفحات هذا الديوان بذكر مواقف مليئة بالبطولة والاقدام للسابقين الأول من شباب الاسلام ، فانه لم ينس أن يخصص من هذه الصفحات جانبا لفتيات الاسلام ، وها هو ذا مثلا ــ وهو يعرض قصة الهجرة النبوية ــ يذكر الفتاة المسلمة فيها ، ويشير الى ما بذلته الشابة المؤمنة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، فقد روت السيرة أنه عقب خروج الرسول مع الصديق من مكة جاء أبو جهل دار أبى بكر ، فوجد عندها أسماء ، فقال لها فى غفلة : أين ابوك ؟

فأجابت وهى صادقة : الله يعلم أين هو . فلطمها أبو جهل لطمة أطارت ترطها من اذنها ، ومع ذلك احتملت أسماء ، وشاركت فى اتمام الهجرة بخطواتها ، وحملها الزاد الى صاحبى الغار ، وشق نطاقها نصفين لربط زاد المهاجرين ، حتى سميت « ذات النطاقين » .

يصور شاعرنا موقف أسماء مع أبى جهل بقوله :

ويح أسماء اذ يجيىء أبو جهـــ ... ـــل على خدرها المصون مغيرا
صاح : أسماء ، أين غاب أبو بكـ ... ـــر ؟ أجيبى فقد سألنا الخبيرا
قالت : العلم عنده ، ما عهدنا ... أجم الأسد تستشير الخدورا (١)
فرماها بلطمة تعرض الأجيا ... ل عن ذكرها صوادف صورا (٢)
تذفت ترطها بعيدا ، ورضت ... من وجوه النبى وجها نضيرا (٣)

* * *

(١) الأجم : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .
(٢) الصدوف والصور : الميل والاعراض .
(٣) رضت : دقت أو كسرت . انظر ديوان مجد الاسلام ، ج ٢ ص ١ .

ويتحدث محرم عن فرحة المدينة بلقاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم الهجرة ، فقد خرجت المدينة عن بكرة ابيها تستقبل النبى المهاجر ، والرسول الفاتح للقلوب والعقول ، وفى مقدمة من خرج فتيات كالزهرات من بنى النجار ، يحيين نبى الرحمة بالغناء والنشيد ، ويقلن فيما يقلن :

نحن جــوار من بنى النجـــــار   يا حبــذا محمد من جــــــار !

ويثير هذا اللقاء شاعرية محرم فيقول :

ما للديـــار تهزها نشـــواتهـــا   اهى الاناشيد الحسـان ترتـل ؟
رقت نضارتها ، وطاب اريجهـــا   وترددت انفاســها تتسلســل
فكانمــا فى كل مغنى روضـــة   وكأنمــا فــى كــل واد بلبــل
هن العذارى المؤمنـــات اقمنــه   عيدا تحييه الملائك مــن عــل
فى موكب لله اشرق نـــــوره   فيه ، وقــام جلالــه يتمثـــل
جمع النبيين الكـــرام ، فآخـــذ   بيد الامام ، وعائــذ يتوســل
يمشى به الروح الأمين مسلمـــا   وجبينــه نعــم النبــى مقبــل
ايه بنى النجــار ان محمـــدا   لأشــد حبا للتى هى أجمــل (١)

* * *

واحمد محرم يرى أن الحياة تتلخص فى امرين : البيت والولد ، وان اعداد الأبناء هو الوسيلة لاصلاح البلاد ، فيقول :

اعملت رايى فى معنى الحياة لمــن   يبغى الحياة ، فكان البيت والولدا
هذا يصـان بتدبيــر ومعرفـــة   وذا يعد لاصــلاح البلاد غــدا !

وهو يؤمن بأن تربية الشباب افضل من اقتناء المال ، ولذلك يجب انشاء المدارس لتعليمهم دون مبالاة بما ننفق من مال فى هذه السبيل ، فيقول :

نبنى المدارس للطـــلاب تعمرهـــا   وما نبالى اقــام المــال أم نفــدا

ويطالب محرم بأخذ الشباب بالحزم ، حتى لا تضعف هممهم ، ولا تخـور عزائمهم ، ولذلك ينعى على اولئك الذين يدللون اولادهم ، فيسيئون اليهم وهـم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فيقول :

اوص البنين بما يعظم شأنهـــم   من خلة شرف ، وصنع ســؤدد
لا تؤذهــم بالبر تجهــل حكمــه   فترى بمنزلة العــدو المفســد
كم والد جمــح التدلــل بابنـــه   حتى تمنى انــه لــم يولــد

---

(١) ديوان مجد الاسلام ص ١٧ و ١٨ .

ومحرم يؤمن بأن واجب الآب يقتضيه أن يكون قدوة صالحة لأبنائه بالقول والعمل ، والارشاد والمعاونة ، حتى ينشئوا شبابا صالحين ، تساعدهم البيئة بما فيها من حوافز الخير ودوافع الاستقامة على تحصين نفوسهم وتطهير قلوبهم ، فيخاطب الأب قائلا :

عود بنيك الخير ، ان نفوسهم ... صحف بما شاءت يمينك تكتب
ما للبنين من الخلال سوى الذى ... سنت لهم أم ، وأورثهم أب
للمرء من شرف العشيرة زاجر ... ومن الخلال الصالحات مؤدب !

* * *

ولاحمد محرم وصاة رائعة ، وجهها الى ابنه سليمان ، وهى وصاة تصلح نبراسا لكل شاب يريد أن يكون ماجدا فى حياته ، وحينما نظرت فى هذه الوصية البليغة استطعت أن أقسمها الى خمسة أقسام ، كل قسم منها يدور حول أمر له قيمته ومكانته ، فالقسم الأول من الوصية فيه تذكير بحق الوطن العظيم ، مع ضرب المثل على اعزاز هذا الوطن من حياة الشاعر نفسه ، ومن أعماله وجهوده والقسم الثانى منها فيه حث على مجموعة من الفضائل ، مع التحريض على الاستمساك بالدين وعصمة اليقين ، والقسم الثالث فيه تحذير من طائفة من الرذائل وقبائح الأعمال ، والقسم الرابع فيه وصية بالصبر والاحتمال ، مع فسحة الرجاء وسعة الآمال ، وفى القسم الخامس والأخير من الوصية يعود الشاعر الى حث ابنه على الاستمساك بالدين ، لأنه عماد الأمر وملاك الحياة .

ان الشاعر فى القسم الأول من وصيته يذكر ابنه بحق الوطن ، ويحذره أن ينساه ، فانه امانة فى عنقه دونها الأمانات الأخر ، وانه الجدير بأن يذهب فداء له والشيب والشباب ، ويقرر الشاعر انه عاش وفيا لوطنه ، لم يخن ولم ينحرف ، ورأس ماله فى حياته حبه لأمته وبلاده ، وفى سبيل هذا الوطن أعد كل شىء : أعد المال والأولاد والروح ، وظل على وفائه من صباه الناضر الى شيخوخته التى وهن لها العظم واشتعل فيها الرأس شيبا .

يقول مخاطبا ابنه :

سليما ن، لا تنس حق الوطن ... فأنت على عهده مؤتمن
شباب البنين لمصر الفداء ... وشيب الرجال لمصر الثمن
رات من أبيك فتى ماجدا ... عفيف المذاهب حر السنن
يرى حبها من معالى الامور ... ويتقيدها من غوالى المنن
أعد لها ماله ، والبنين ... وملكها روحه والبدن
رعت عهدها نضرات الصبى ... وبر بها العظم لما وهن !
فهذا سبيلى ، فلا تعده ... عدتك بنى عوادى الزمن ! (١)

* * *

---

(١) ديوان محرم ، ج ٢ ص ١٠٩ و ١١٠ .

والوفاء للوطن والقيام بحقه يحتاجان الى نفس كريمة قويمة . تستعصم بالقيم والمبادىء وتستعلى على الآفات — والشهوات ، ولذلك ينتقل الشاعر فى القسم الثانى من وصاته الى مطالبة ابنه — ومطالبة كل ابن مثل ابنه — بتطهير نفسه عن الفواحش والرذائل ، والا يخدعه عن استقامة من زل او انحرف ، وان يصون عرضه وكرامته ، وأن لا يقبل الضيم أو الاذلال من انسان ، وأن يحفظ دينه ويلوذ بتعاليمه ، وأن يتحصن باليقين اذا هاجمته الخطوب أو عادته المحن .

يقول :

ونفسك صنها عن الفاحشـــات ولا يستخفنك من لم يصن
وعرضك لا تمتهنه الرجــال فان البلية أن يمتهن
وضن بدينك ، واستبقه ولا تتخطفك ايدى الفتن
واما رمتك خطوب الزمان ونابتك أرزاؤه والمحن
فلذ باليقين ، فان اليقين أجل الدروع وأقوى الجنن !(١)

* * *

وينتقل الشاعر فى القسم الثالث من وصيته الى تحذير فتاه من طائفة من الرذائل وأخلاق السوء ، ومن البديهى أن النفور من الرذائل يتضمن الحث على مقابلها من الفضائل ، ويذكره فى بداية هذا القسم بأن الأصيل الكريم لا بد ان يكون محسنا ، وأن يكره القبيح ويحب الحسن ، ثم ينهاه عن الظلم فانه من سيئات الشيم ، وعن الاستجابة للسفيه فى استفزازه ، فان مجاوبته تريحه ، والاعراض عنه يقتله ، وعن العقوق فانه يشين كل مخلوق ، وعن الغضب المؤدى الى الجهالة والنزق ، ويوصيه مع هذا ببعض المكارم ، فيقول :

واحسن الى الناس ، ان الكريم يعاف القبيح ، ويرضى الحسن
وايـاك والظلم ، لا تأته ومهما يقل قائل فاستبن
ولا يستفزك قول السفيه فليس يضيرك مهما يكن
وان آثر الناس دين العقوق فوال الجميل ، ولا تندمن
وبالرفق فى كل ما تبتغى — اذا كنت ذا اربة — فاستعن(٢)
خذ الأمر الحزم ، ان الأمور لذى الحزم مأخوذ بالرسن(٣)
وعود لسانك قول الجميل ومهما غضبت فلا تجهلن
وهون عليك اذا ما غبنت فلست بأول حر غبن !

* * *

---

(١) الجنن : جمع جنة ، وهى الوقاية .
(٢) الاربة : الدهاء والاحتيال .
(٣) الرسن : الحبل .

وفى القسم الرابع من الوصية نجد الشاعر يوصى ابنه بالصبر والاحتمال واذا عرضت له على الطريق ظلمات ، أو صادفته عقبات ، فلا يركن الى اليأس والقنوط ، بل ينتظر الشمس بعد ظلام الليل البهيم ، والفجر بعد الدياجى المنتشرة ، ثم يضرب المثل من نفسه ، فقد مرت عليه تجارب فى الحياة ، وذاق مرارة الفشل ولذعة الحرمان ، ولكنه صابر وثابر ، حتى مرت الصعاب وبقى ايمانه سليما ورجاؤه عميقا ، والرجل اللبيب الفطن يستطيع ان يقهر المتاعب والمصاعب بأخلاقه الثابتة ونفسه المطمئنة ، وايمانه بأن مع العسر يسرا ، وان مع الشدة لينا وان مع الضيق فرجا ومتسعا .

يقول الشاعر :

ورج العواقب ان اخلفتك ... مبادى الأمور ، ولا تيأسن
لقد رضت قبلك هذا الزمان ... رياضة مصطبر مطمئن
اذا غضب الخطب ابدى الرضى ... وان عصف الشر يوما سكن
يثوب له خلق لين ... اذا ثاب للدهر خلق خشن[1]
ويشتد حينا فيلوى به ... ويهوى بركنيه ان لم يلن
وما ان يصيب اذى الحادثات ... اخا اللب بين الرجال الفطن
بأخلاقه يتوقى اللبيب ... فنعم السلاح له والمجن !

* * *

ويبلغ الشاعر القسم الخامس والأخير من وصاته ، فاذا هو يعود الى نصح ابنه بالايمان والاعتزاز بالله وطاعته والاعتماد عليه ، ويؤكد الشاعر الوصاة فى هذا تأكيدا بليغا واضحا ، لأنه مفتتح الأمر وختامه ، فيقول :

الى الله فاسكن ، ودع من ترى ... فما لامرىء دونه من سكن
دع الكل وأنس به تسترح ... فكل عناء ، وكل حزن
وما ينه عنه فلا تأته ... وما يرض من صالح فاعملن
فتقواه افضل ما يقتنى ... ومرضاته خير ما يختزن
حملنا الأمانة من ربنا ... فطوبى لنفس امرىء لم يخن !

* * *

وهكذا عنى شاعرنا احمد محرم بالشباب ، وحذرهم معاطب الطريق ، ورسم أمامهم معالم السبيل ، وحاسبهم على الهفوات ، وحذرهم من السيئات ، وحرضهم على المكرمات ، واغراهم بمكارم الأخلاق ، لعلمه أن الشباب معقد الأمل ومناط الرجاء ، فعليه سلام ربه فى الخالدين من الشعراء .

---

(١) يثوب : يرجع .

حمامة الغار

لقد تجلت سخرية القدر بقوة المشركين فى أن جعلت من حمامة الغار ردا لكيدهم

للأستاذ: أحمد أبو المجد

أرأيت ما فعلت حمامه　　حملت الى النور السلامه ؟!
فى هجرة ميمونة　　ردت الى البشر الكرامه
حمت النبى وصاحبا　　رب الورى أعلى مقامه
والشرك عبا حقده　　فى موقف أحمى ضرامه
رحلا وقد ذاقا بمكة　　ما تضيق به الاقامه
قامت على الدين الجديد ، على النبى ، لها قيامه !!

....

وقفت حجابا حائلا　　رب البرية قد أقامه
والكفر ألقى مرغما　　بحجابها الغالى سهامه
أيرد كيد المشركين على شراستهم حمامه ؟!
أرأيتها والعنكبو　　ت بغارها ألقى خيامه ؟!
سلم وحرب جمعا　　فى موقف بادى الكرامه !!

....

قدر الهى أتى　　كانت له هذى علامه
هى قدرة الجبار كل　　الراسيات بها حطامه
من ذا يرد النصر من　　عند الاله له دعامه ؟!
هو أعزل لكنما الـ　　ايمان ظل له حسامه
من ينصر الرحمن لم　　تعوزه فى الميدان لامه

في
دار
الهجرة

بين يديّ النبي

للأستاذ : معوّض عوض ابراهيم

فى مقام النبى بين رحابه   يجد الأنس من يلوذ ببابه
قد بلغت المنى واسعد نفسى   أننى قد دنوت من أعتابه
واجتلى القلب نور أحمد فى الرو   ضة من قبره الى محرابه
فى وجوه الألوف خفوا مشوقين   كشوقى للمصطفى وصحابه
فى دموع الخشوع والشكر لله   وأكرم بالدمع فى اعرابه
ان فى كل جانب من ثرى أحمد   تبدو مشاهد من جنابه

.. ..

هذه البلدة التى نضر الله   ثراها ، وزاد فى أطيابه
منذ آوى الانصار فيها أبا القا   سم بعد الوفود من أصحابه
ها هو المسجد الطهور فسارع   واقض فيه للقلب بعض رغابه
هذه القبة التى نسخ الليل   سناها ، وما لها من مشابه
وحمام الحمى يروح ويغدو   كيفما شاء ، آمنا غير آبه
أو يخشى غوائل الدهر من جا   ور طه ، وعاش بين رحابه ؟!
ذلك المنبر الذى غمر الكو   ن هداه ، وعب من أكوابه
وسيبقى يذيع فى الناس دينا   خلد الله ذكره فى كتابه
ووصايا محمد حيث لا معدل   عنها لكل اصيد نابه
والذى ينشىء الحياة على الدين   سعيد فى حاله ومآبه

.. ..

فى مقام النبى ساءلت ربى   لى وللمذنبين حسن متابه
فانلنا الرضى وثبت على الحق   خطى الآخذين فى أسبابه

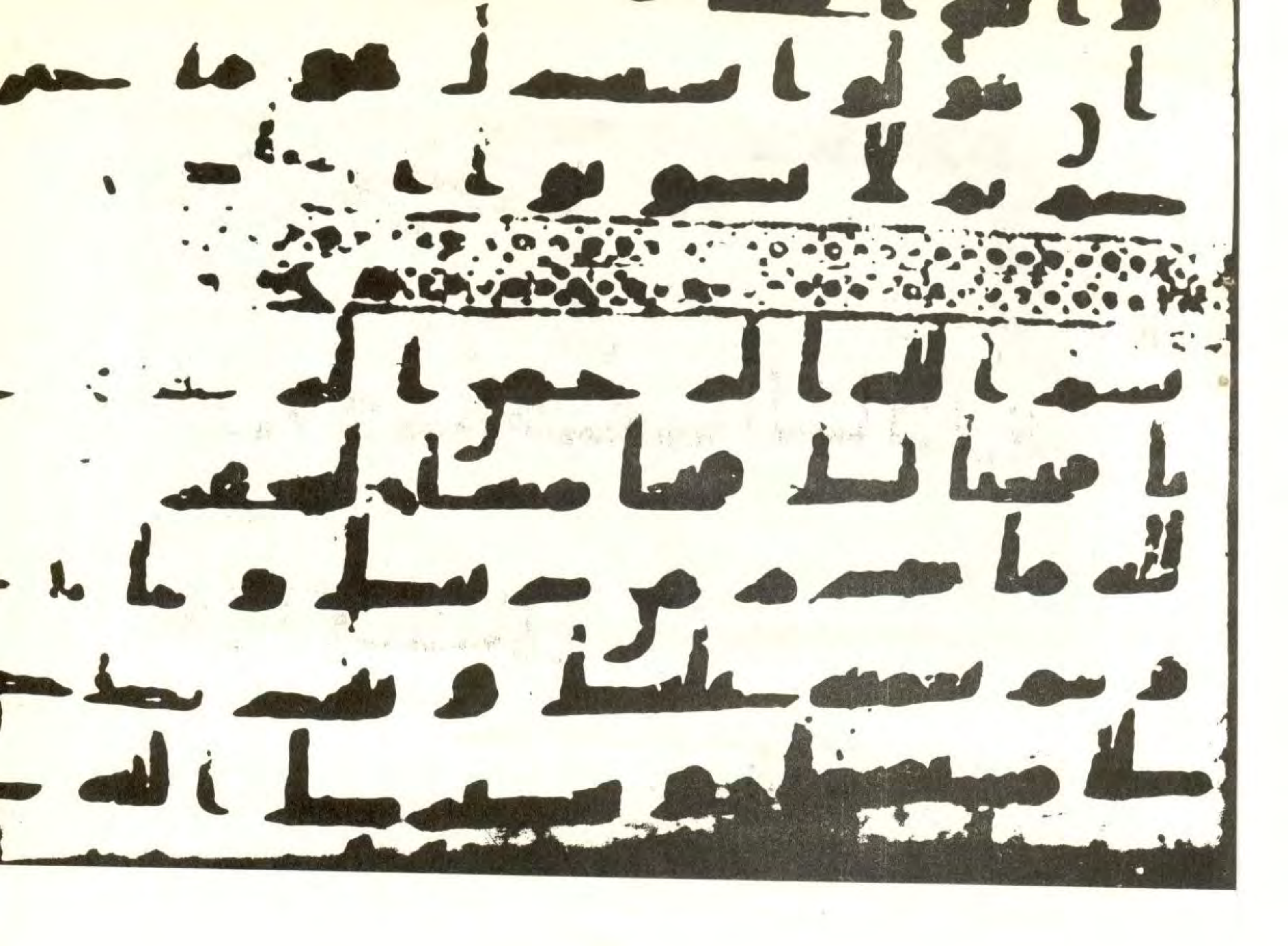


مصاحف عثمان بن عفان وجعفر الصادق وحسن البصري

فى الأيام القليلة الماضية انتهى معرض المصاحف الذى أقامته القاهرة ولمدة حوالى شهرين بدأت مع ليلة القدر الأخيرة .

وقد أقيم المعرض فى اكبر قاعات دار الكتب بميدان باب الخلق .. وتردد عليه (١٩/٨٧٢) مواطنا ومسلما من جميع أنحاء العالم الاســلامى المقيمين بالقاهرة والزائرين لها ..

وقضيت يوما كاملا مع العدد القليل من المصاحف التى عرضت ، والتى لا تتجاوز السبعين مصحفا .. ولكنها تمثـل تطور الكتابة المصحفيـة واحجـام المصاحف .. والفن الابداعى فى اخراجها . حتى توقفت ، عنـد القرن الثالث عشر الهجرى .. لتعرض نموذجا واحدا لتطور الكتابة المصحفية بعد ذلك .. بطريقة بريل للذين حرموا نعمة البصر ..



اكبر مجموعـــة

وقصة معرض المصاحف يحدثنى عنها الأستاذان : احمد عابدين مدير عام دار الكتب ، وأحمد عبـــد الرحمن رئيس أمنـــاء المخطوطات والمعارض بدار الكتب ، فيقولان . ان دار الكتب تضم اكبر مجموعة من المخطوطات القرآنية فى العالم . . اذ بها ۳۰۰۰ . . . مصحف مخطوط على مر العصور ، ومن أجل ذلك رأى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهوريـــة ووزير الأوقـــاف والشـــئون الاجتماعية أن يكون من بين مظاهر احتفالات القاهرة بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم ، أن يكون هناك معرض قرآنى ، يعرف منه الناس : كيف كانت المصاحف فى اول العهد بها منذ أيام سيدنا عثمان الى يومنا هذا . . فسارعنا بعرض نماذج من المصاحف من اول مصحف سيدنـــا عثمان ، الى ان تطورت الكتابة ، وما يكتب عليه المصاحف ــ الرق ــ والدرج ــ والجلد ــ والحرير ــ والورق . . .

ويقولان : ان المعرض لم يكلف دار الكتب استعدادا اكثر من سبعة أيام . . وبعدها افتتحه السيد حسين الشافعى وبدأ كلمته التى سجلها بهذه المناسبـــة بقولـــه .



مصحف بخط سيدى حسن البصرى

« بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذى شرف مصر ودار كتبهـا ان تكون مقرا لحفظ المصـاحف النادرة التاريخية ، وقد سعدت فى مناسبة احتفالنا بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم بأن أرى هذه الثروة الفخمة ليست من ناحيتها العاطفية فحسب .. بل وكذلك ما تحتويه من ثروة فنية وتاريخية لا تقدر بثمن » .

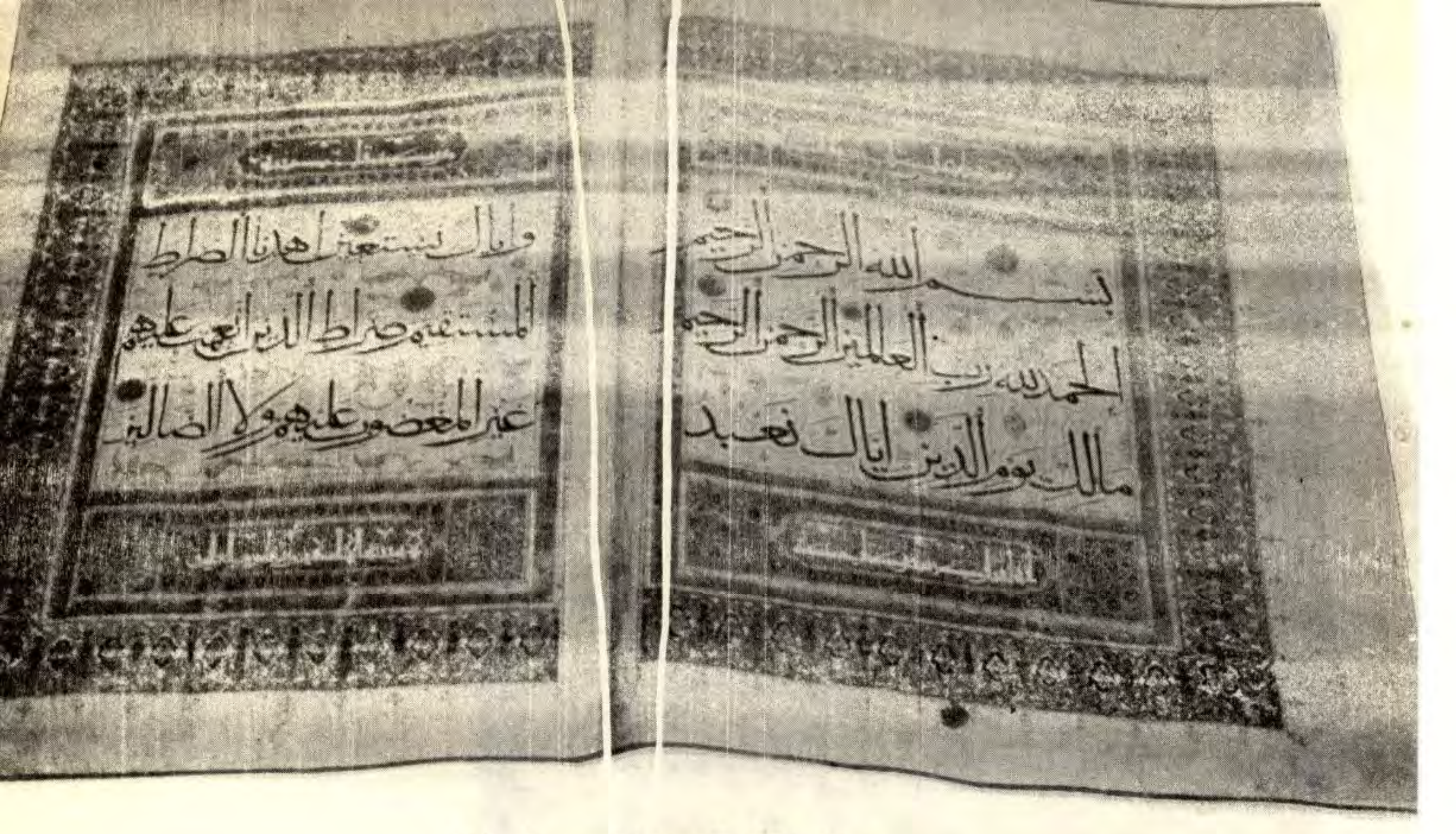
. . . . . .

وطوال أيام المعرض جاءته وفود من مسلمى العالم الـذين يقيمون فى القاهرة أو يزورونها . . .

ومن الزيارات التى لا تنسى ما يذكره لى الأستاذ احمد عبد الرحمـن المشرف على المعرض من أن اسرة الطبيب المشهور المرحوم على ـ باشا ـ ابراهيم ، جاءتهم أسرة صديقة من لبنان عندما علمت بخبر المعرض لتشاهده ، وكان هذا فى عطلة العيد ، واتصلت الأسرة بمدير دار الكتب تذكر له الأمر ، وترجو منه السماح بفتح المعرض .. فوافق على ذلك واستمر المعرض مفتوحا أيام العطلات ، ومن الثامنة صباحا الى التاسعة مساء كل يوم ..

وكان المعرض موضوع دراسة تفصيلية لطلبة قسم الوثائق والمكتبـات بآداب القاهرة .

وكذلك موضع دراسة فنية لطلبة الفنون الجميلة ، ومعهـم أستاذهـم الدكتور طه حسين ـ وهو غير عميـد الأدب العربى ـ الذين تـرددوا على المعرض خمسة عشر يوما ، لنقل هذا الفن الاسلامى الرائع ودراسته .



مصحف قايتباى ٨١٥، ــ ٩٠١ هـ

وقد بلغ عدد الذين سجلوا اسماءهم كما سبق ان ذكرنا (١٩/٨٧٢) . ويضاف اليهم مثل هذا العدد من رواد دار الكتب ، ولم يقيدوا اسماءهم فى دفتر زيارات المعرض كما يقول لى المسئولون .

مع النماذج المعروضة

ومن بين النماذج القرآنية المعروضة .. كانت مصاحف نادرة يقول لى المشرف على المعرض ، انها لا توجد الا فى دار الكتب فقط .. وان المعروض منها قليل ، ولكنه يمثل اولا النادر منها .. ويمثل ايضا هذا الطابع التاريخى المرتبط بالقرآن الكريم .. ويمثل ثالثا تطور الكتابة القرآنية ومنها الكتابى والزخرفى ..

اول المصاحف

ومصحف سيدنا عثمان بن عفان ، هو اول ما يلقاه زائر المعرض ، وهو بالخط الكوفى ، وكل الذى كتب عليه انه مصحف عثمان بن عفان الذى كان يقرأ فيه لحظة مقتله ، ويشرح لى قصته الاستاذ نصر الله الطرازى الذى تفضل مشكورا بصحبتى ، شارحا أن هذا المصحف نسخة مصورة عن المصحف الحقيقى الموجود حاليا بطشقند ، وقد اتيح له ان يراه فعلا هناك ، وعليه آثار دم سيدنا عثمان ، ومكتوب بجواره هناك، نبذة تاريخية تقول : انه كان موجودا فى جامع خواجه عبد الله الأحرار ، ثم اشتراه حاكم تركستان ، ونقل الى



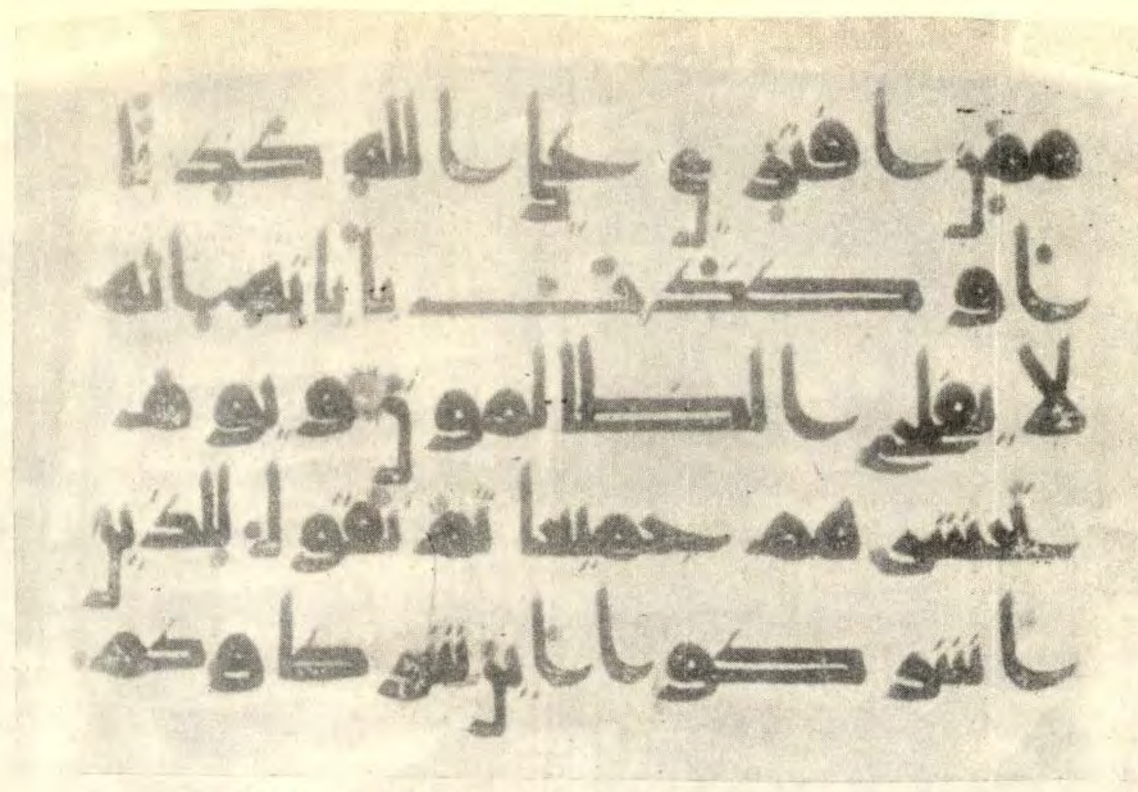
مصـــحف جعفـر الصــادق مجلد بقطع خشب الصنوبر وفى اوائل ســوره وبعض آياته حليات ذهبية

بطرسبرج ، فوضع فى دار الكتب القيصرية . حتى قامت ثورة ١٩١٨ الروسية . فنقل فى حراسة مشددة الى النظارة العربية ، حتى عام ١٩٢٣ وبعدها نقل الى تركستان ، حيث ظل مدة طويلة فى سمرقند ، حتى حوالى الأربعينيات من هذا القرن ، فنقل الى طشقند ، حيث يكون الآن بناء على طلب المسلمين هناك .

ومرة اخرى يؤكد لى السيد نصر الله الطرازى أن آثار الدم باقية الى اليوم على المصحف الأصلى . . دم الخليفة الثالث عندما قتل رضى الله عنه .

ومصحف حسن البصرى

وثانى المصاحف المعروضة . . مصحف بقلم كوفى على الرق . ومن غير شكل ولا نقط ، وبه بداية سورة النساء . . وفى آخره انه كتب بخط ســيدى حسن البصرى عام ٧٧ هـ .



اول مصـــــحف على طريقـــــة (ابو الاسود الدؤلى)

ومصحف جعفر الصادق

ومصحف ثالث .. وهو الثالث فى الترتيب .. مفتوح على صفحة واحدة ومكتوب فى القرن الثانى الهجرى ، على ورق ، ومجلد بقطع خشب الصنوبر ، وفى أوائل سوره وبعض آياته حليات ذهبية ، ومكتوب فى آخره انه مصحف سيدى جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٨ هـ .

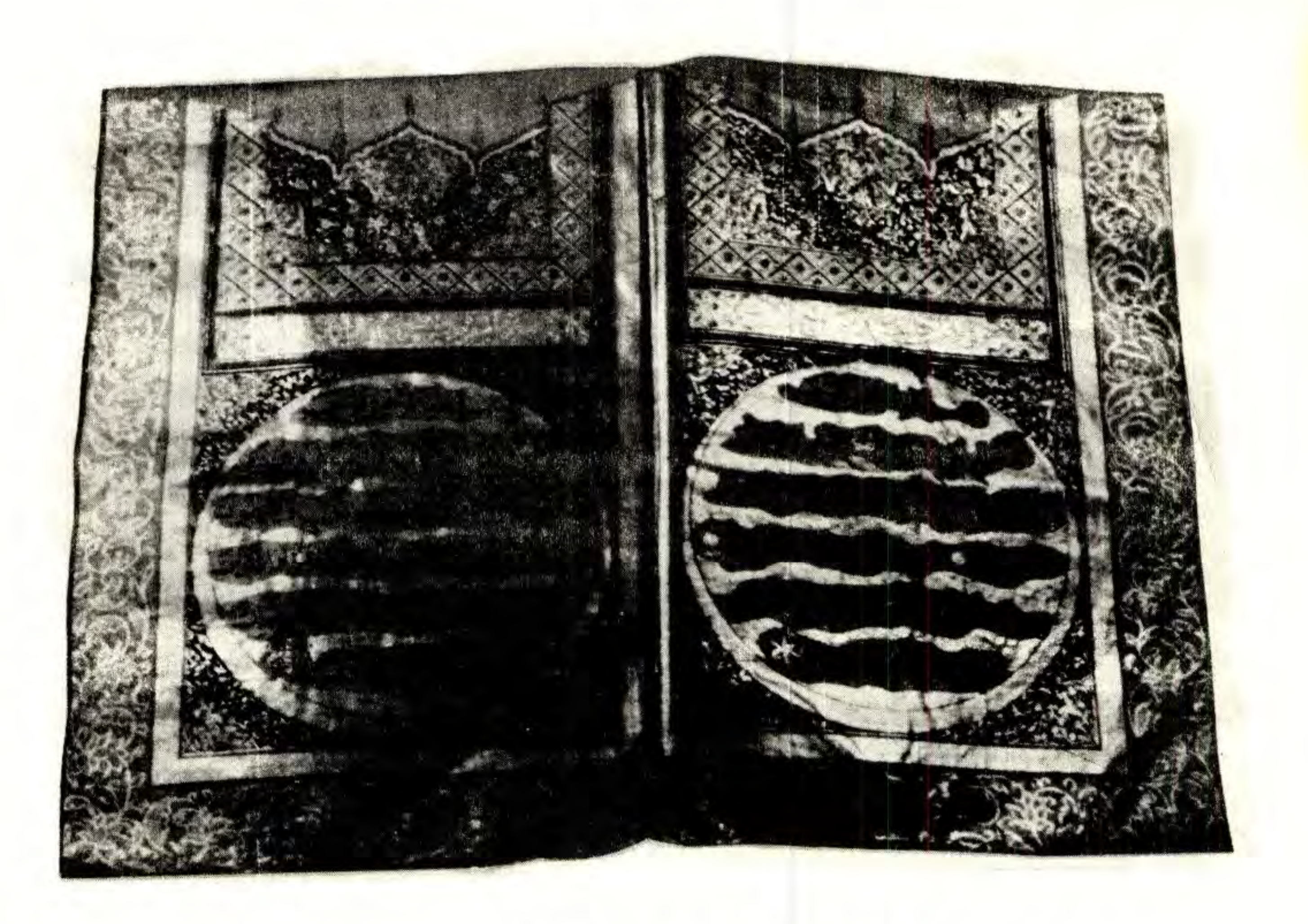
وبـــدايــة تطـــور

ومع بداية القرن الثالث الهجرى وطوال شهوره مع القرن الرابع الهجرى ايضا يرى المشاهد تطورا فى كتابة القرآن ومحاولات فنية رائعة ، تستعين بالذهب والحليات ، وان استمرت الكتابة على الرق وبالخط الكوفى ، وعــدم التقيد بأن يكون المصحف فى مجلد واحد بل وجد مصحف فى ١٣ جزءا .

ويقدم المعرض فى مقدمـــة المصحفين او الثلاثة المعروضـــة تعبيرا عن القرنين الثالث والرابع الهجرى .. أول مصحف يظهر فيه النقط والتشكيل على الكلمات .

وبعدها يجمع المعرض المصاحف بدون تحديد زمنى .. وانما يضعها تحت اسم الدولة التى كانت مسيطرة على الحكم فى مصر كل فى جانب .

- فمصاحف من الدولة الفاطمية .
- ومصاحف من الدولة الأيوبية .
- ومصاحف من عصر المماليك .. وما أكثرها .



مصحف السلطان قلاوون مكتوب بالذهب الخالص ــ وصحائف ذهبية

وتقف جميعها عند القرن العاشر الهجرى .. وجميع مصاحف هذه العصور تتشابه الى حد كبير ولكن تتنافس فى روعة الفن والبذخ .. والتحلية بالذهب .. واختلاف الأحجام ما بين مستطيل ومربع .. وكبير وصغير . .

ووضعت نماذج للمصاحف الخاصة تعبيرا عن أرقى ما وصل اليه الفن الكتابى للمصاحف ، ممثلة لمصاحف السلاطين وهى بالتحديد :

- مصحف السلطان محمد بن قلاوون ٦٩٣هـ
- مصحف الأمير ارغون شاه ٧٥٠هـ
- مصحف السلطان شعبان ٧٦٤هـ
- مصحف السلطان برقوق ٨٠١هـ
- مصحف السلطان المؤيد ٨١٥هـ
- مصحف السلطان خشقدم ٨٦٥هـ

ومن أجمل المصاحف خطا مصحف قايتباى ٨١٥هـ ــ ٩٠١هـ وهو بخط جانم السيفى جانى بيك الدودار الكبير .

ومن اروع ما زخر به المعرض فى العصر المملوكى مصاحب «خوندبركة» ام السلطان شعبان ٧٧٥هـ

واربع ربعات مملوكية ، تمثل تقدم الخط فى القرن العاشر الهجرى ، وقد كتبها بخطه الخطاط الشهير حمد الله المعـــروف بابن الشيخ خطاط السلطان با يزيد .

ومصحف السلطان برقوق ٨٠١هـ الذى يذكر ان كاتبه قد اســـتغرق فى كتابته ستين يوما .. وبقلم واحد لم يتغير .

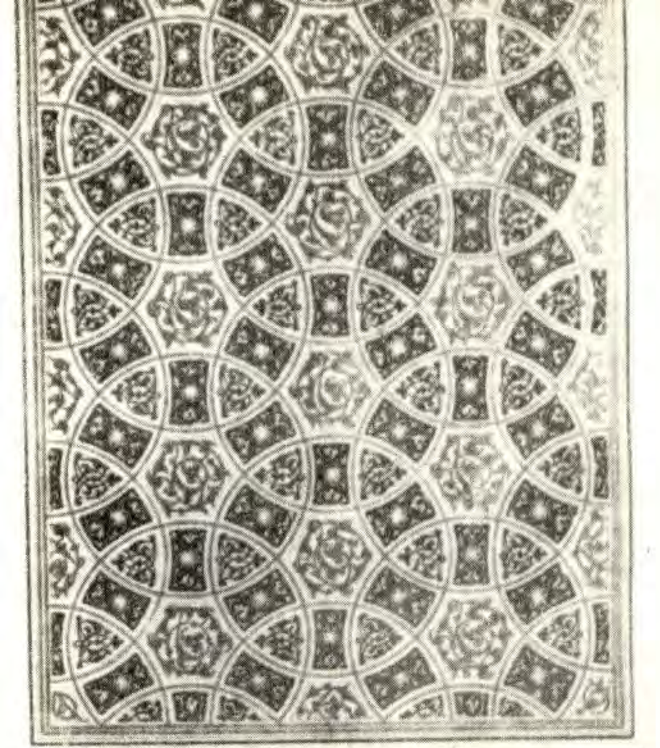
ومصحف الامير برغتمش ٧٧٦ هـ الذى التزم الكاتب فيه أن يبدأ كل صفحه بكلمة قرآنية تبدأ بحرف ا .

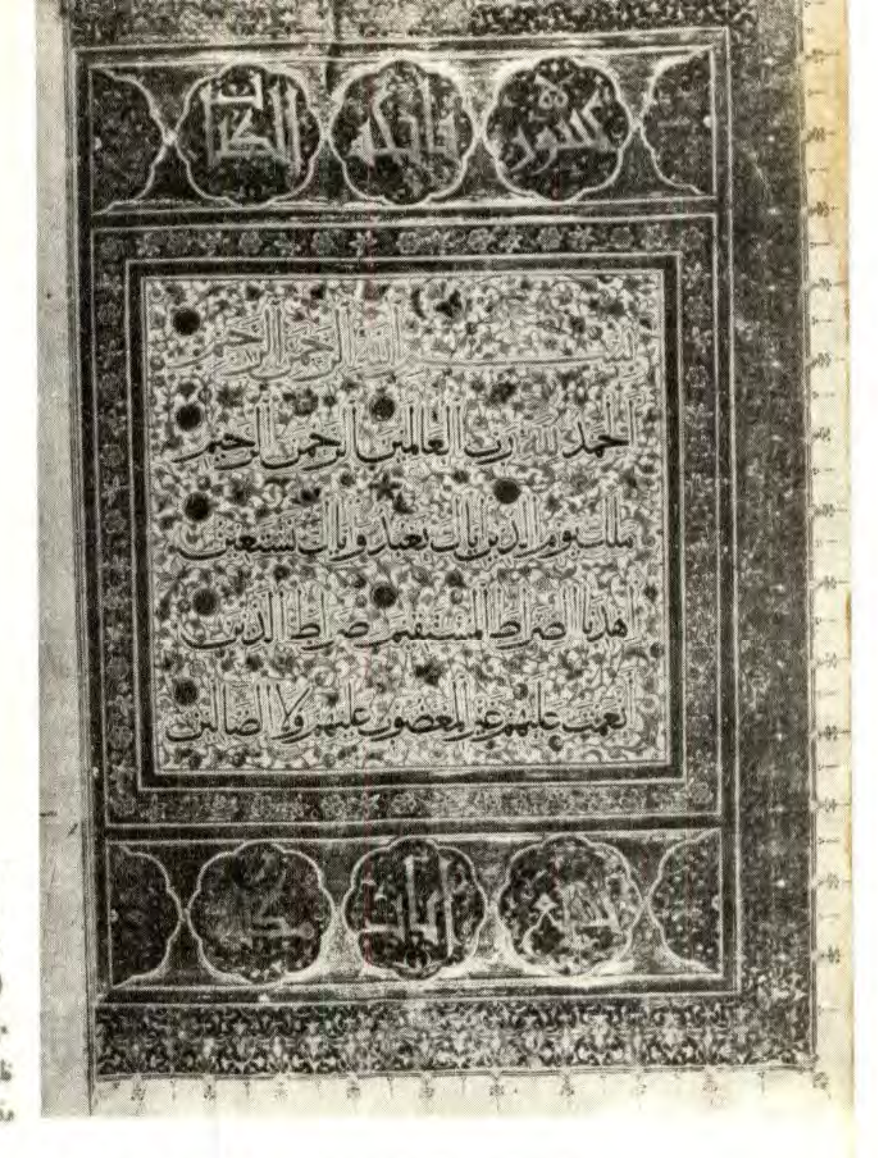
وقد بلغ الروعة مصحف قلاوون الذى كتب بالذهب الخالص وعلى صحائف ذهبيـــة .

ومن بلاد اخرى

وبعدها يقف المعرض عند هذا الحد من المصاحف المصرية ، ليبدا جانبـــا آخر من المعرض ، يمثل نماذج من الفن العالمى الاسلامى متخذا اربعة اقطـــار اسلامية لا تزيد .

● تبدأ بالخطوط العثمانية .. وهنا تبدأ المصاحف فى الصغر الى احجام تصل الى حجم الكف الواحد ، وتختلف اوراق اغلفته من [illegible] والورق ، مع الالتزام المستمر باستعمال الذهب والزخارف المختلفة .. ويعرض





اضخم مصحف فى العالم يزن ٢ طن
مهدى من نواب بهوبال
الغلاف من الفضة والماس
مكتوب فى القرن الحادى عشر

من الدولة الفاطمية

٤٠ مصحفا عثمانيا ، ومن اروعها ما كتبه الى صدر الصدور بروسلى محمد باشا فقد كتب القرآن كله فى ٣٠ صفحة مقاس ٢٥ سم × ٣٠ سم وبخط نسخ والمصحف كله محلى ومجدول بالذهب .

و ٣ مصاحف كتبت فى ايران ، وكلها بخط ياقوت المستعصمى ، وهو كما ذكر لى مرافقى من اكبر اساتذة الخط فى التاريخ .. ومن المدرسة النظامية فى القرن السابع الهجرى ، وقد كتب أكثر من ١٠٠٠ مصحف وقال عنه الامام ــ عبد القادر الجيلانى : (كان فى يده سر من اسرار الله) وعلى احد هذه المصاحف بعض التفسيرات باللغة الايرانية .

وثالثة البلدان الاسلامية التى انتقى المعرض بعض مصاحفها الهند .. ومن بين مصاحفها القليلة التى عرضت واحدا بخط محمد روح الله بن محمد

حسين اللاهورى ١١٠٧ هـ وهو فى ٣٠ ورقة تزيد عن حجم (الوعى الاسلامى) قليلا ، والتزم فيه بأن يكتب فى أول سطر من كل صفحة كلمة تبدأ بحرف أ .

وآخر البلاد الاسلامية .. المغرب وقد اختير منها ٣ مصاحف طومار .. للحرب .. حيث كان صاحبها يلفها حول وسطه ، وهو يحارب ، ولا يزيد طول المصحف عن مترين × ٢٠ سم فقط .. ومن الجلد .. ومكتوب عليه بخط النسخ ..

وقبل النهاية : نموذجان

وقبل النهاية .. وفى مكان متقابل يقع نظر المشاهد للمعرض على نموذجين غريبين .. أولهما .. المصحف بطريقة بريل وهو احدث ما كتب عام ١٩٦٧ .. ويقابله النموذج الثانى ٣٠ جزءا من مصحف السلطان المغولى (سلطان الجاتيو مغل همذان ٧١٣هـ . وهو مزخرف بطريقة هندسية مختلفة ، بحيث لا يتشابه جزء مع الآخر وقد آل الى الناصر قلاوون) .

ومخطوطات أخرى

والى جانب المصاحف عرضت دار الكتب رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس .

و ١٠٠ كتاب مخطوط صغير فى التفسير والقراءات من بينها :

- الحجة فى القراءات لابن خالويه فى القرن الثالث الهجرى .
- وايضاح الوقف والابتداء لابن الانبارى .
- وتحبير التيسير فى قراءات العشر لمحمد بن الجزرى .

وقبل النهاية

ومع نهاية المعرض يودع الزائر اكبر مصاحف العالم ـ كما يقولون لى ـ اذ تبلغ زنته طنين وحجم الصفحة منه ١٧٥ × ١٢٠ سم ، ويقع فى ٧ أجزاء ، ومكتوب بالخط النسخ ، وعلى الجلد ، ومستعمل فيه الذهب فى اجزاء مختلفة من صفحاته ووقفاته ، وله غلاف آية فى الروعة والفن ، يتسع للأجزاء السبعة ، وهو من الفضة الخالص ، ومحلى بالياقوت ، وقد اهداه الى مصر نواب بهوبال (أمير بهوبال) فى وسط الهند وقد كتب فى القرن الحادى عشر الهجرى .

ومع نهاية المعرض يبدأ حديث العالم كله عنه ، بعد أن جاءته وفود .. وبعد أن طلبت أخباره وكالات انباء العالم والجامعات الكبرى .

أوروبا ترسل بعثاتها إلى الأندلس لتلقي العلوم في جامعاتها

للأستاذ: سليم طه التكريتي

اخذ الكثيرون من علماء أوربا ومؤرخيها فى الآونة الأخيرة . يتحررون من التعصب ويعترفون فى كتبهم وأبحاثهم العلمية والتاريخية بفضل الحضارة الاسلامية على النهضة الأوربية . ويوردون الأمثلة الدامغة التى تؤكد أن الحضارة الاسلامية هى أم الحضارة الغربية الحاضرة . وأن ما أبدعته العقول الاسلامية كانت المعين الفياض الذى استقى منه علماء الغرب فى عصر الانبعاث الأوربى علومهم ومعارفهم وحتى فنونهم وصناعاتهم .

ولقد كانت الأندلس أول المسالك التى سلكتها الحضارة الاسلامية فى انتقالها الى الغرب واخطرها أثرا فى نقل التراث العربى الاسلامى الى أوربا ووضع أسس الحضارة الأوربية الراهنة .

ذلك أن الشهرة التى بلغتها الأندلس فى مضمار التقدم والازدهار قد حفزت العديد من ملوك أوربا وأمرائها فى ذلك العهد الى محاولة محاكاة العرب والمسلمين الأندلسيين فى تقدمهم وتمدنهم فلم يجدوا أمامهم من سبيل سوى أن يبعثوا بالبعثات العديدة من أبنائهم الى الأندلس للدراسة فى معاهدها وجامعاتها الكثيرة .

يقول المؤرخ الفرنسى « فالبير FALIER » فى كتابه « استرداد الأندلس Raprisa oaindeloussia » ان البعثات العلمية كانت قائمة فى أوربا على قدم وساق لارسالها الى الأندلس الاسلامية لتلقف العلوم والفنون والصناعات فى معاهدها الكبرى وذلك نتيجة الدعايات التى انتشرت فى قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوربية فى ذلك الوقت كانكلترا وفرنسا والمانيا وهولندا وتوسكانيا » .

اخذت البعثات الأوربية تتدفق على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد اخرى حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ (١٢٩٣م) زهاء سبعمائة طالب وطالبة .

وكانت احدى هذه البعثات من فرنسا برئاسة الأميرة « اليزابث » ابنة خال لويس السادس ملك فرنسا .

وترأست الأميرة « دوبان » ابنة الأمير جورج مالك مقاطعة ولز الانكليزية احدى البعثات من بريطانيا واقبلت بعثات اخرى من سافوى . وبافاريا . والرين وسكسونيا وغيرها .

وبعث فليب ملك بافاريا الى الخليفة هشام الأول بكتاب يطلب اليه ان يأذن له بارسال بعثة من بلاده الى الأندلس للاطلاع على احوالها وأنظمتها وشرائعها وثقافتها وذلك لاقتباس المفيد المثمر منها لبلاده .
ووافق الخليفة هشام على هذا الطلب وعندئذ ارسل الملك فليب بعثة برئاسة وزيره الأول المدعو « ويلمبين » الذى يسميه المؤرخون العرب باسم وليم الأمين .

وسار ملوك آخرون من اوربا على المنوال ذاته . فالبعثة التى اوفدها جورج ملك ولز برئاسة ابنة أخيه كانت تضم ثمانى عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان وقد توجهت البعثة الى اشبيلية ورافقهن فى سفرهن النبيل « سفيلك » رئيس موظفى القصر فى ولز وكان سفيلك هذا يحمل رسالة من الملك جورج الى الخليفة هشام الثالث نشر المؤرخ الانكليزى الشهير « جون دوانيورث JOHN DOINBURTH » نصها فى كتابه الخطير « العرب عنصر السيادة فى القرون الوسطى Arabs : Element of Surerniacy in The Meadeuel Centuries

تقول الرسالة .

من جورج الثانى ملك انكلترا والغال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير . فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من أربعة أركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبان » على رأس بعثة من بنات اشراف الانكليز لتتشرف بلثم اهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن .
ولقد ارفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع جورج م. أ.

وقد رد الخليفة هشام الثالث على رسالة الملك جورج بهذه الرسالة الرقيقة البليغة التى تمثل كرم المسلمين وسماحتهم ولطفهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين .
وبعد .
الى ملك انكلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجل .
لقد اطلعت على التماسكم فوافقت . بعد استشارة من يعنيهم الأمر من

أرباب « الشونة » (١) . على طلبكم وعليه فاننا سنعلمكم بأنه سيتم الانفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين تأكيدا على مودتنا لشخصكم الملكي .
أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد . وبالمقابلة ابعث اليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهو من صنع ابنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام .

خليفة رسول الله على ديار الأندلس
هشـــام .

ويقول المؤرخ التركي عبد الرحمن شرف أن هدية ملك ولز الى الخليفـــة هشام كانت تتألف من شمعدانين من الذهب الخالص طول الواحد منهما ثلاثة أذرع ، واثنان وعشرون قطعة ذهبية من أواني الطعام .

أما بعثة ملك بافاريا التي رأسها ويلمبين فكانت تتألف من مائتين وخمسة عشر طالبا وطالبة وزعوا على جميع معاهد الأندلس لدراسة الفلسفة والعلوم وصناعة النسيج والنقش والتطريز ، والطبابنة والتمريض وصناعة الاسلحة . والزجاج . والورق ، وبناء السفن وصنع البارود وبناء القلاع ، بالاضافة الى دراسة علم الفلك والكيمياء والفيزياء والعلوم الزراعية وغيرها ولقد اعتنــق ثمانية من أفراد هذه البعثة الدين الاسلامي ومكثوا في الأندلس ورفضوا العودة الى بلادهم . ومن هؤلاء ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس في ذلك الوقت وانجبن عددا من العباقرة كان منهم عباس بن مرداس الفلكي .

وهناك عدد آخر من الفتيات أقدمن في بعثات الى الأندلس من فرنســـــا وهولندا وايطاليا والمانيا وبلجيكا اقمن في الأندلس واعتنقن الاسلام وتزوجن من المسلمين من أمثال الأميرة « ماري غوبيه » من بلجيكا . وروبيكا ستارت مـــن المانيا ، والراهبة جانيت سمبسون من انكلترا ، وشوتا ابنة الكونت سيرجاك من هولنـــدا .

* * *

وبالاضافة الى البعثات العديدة التي بعثت بها أوربا الى الأندلس . عمد بعض **ملوك أوربا وأمرائها الى استقدام** الأساتذة والخبـــراء والمهندســـين من الأندلس لتأسيس المدارس والمصانع ونشر الوية التنظيم والعمران .
ففي خلال القرن التاسع الميلادي وما بعده وقعت حكومات انكلترا وهولندا وسكسونيا وغيرها على عقود مـــع حوالي تسعين من الأســـاتذة العرب في الأندلس بمختلف العلوم لانشاء مختلف المعاهد في أقطار تلك الحكومات . وقد أختير هؤلاء الأساتذة العرب من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين اللاتينية والاسبانية الى جانب اللغة العربية .
ووقعت تلك الحكومات عقودا أخرى مع حوالي مائتي خبيـــر عربي في مختلف الصناعات ولا سيما انشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبنـــاء وفنون الزراعة .

---

(١) يقصد بعبارة أرباب الشونة . أركان الدولة .

ولقد أقام بعض المهندسين العرب أعظم جسر على نهر التيمس فى بريطانيا هو جسر « هليشم Helichem » . وهذه الكلمة تحريف لكلمة « هشـــام » خليفة الأندلس الذى أطلق الانكليز اسمه على ذلك الجسر اعترافا بفضله لأنــه ارسل اليهم أولئك المهندسين العرب .

وكذلك كان المهندسون العرب هم الذين شيدوا قباب الكنائس فى بافاريا . ولا تزال توجد بمدينة « شتوتغارت » بألمانيــا حتى اليوم سقايــة ماء تدعى « أميديو Amedeo » وهو تحريف لكلمة « أحمد » اسم المهنـدس العربى الذى صنع تلك السقاية .

وكان الأسطول الهولندى الذى قهر الأسطول الانكليزى فى لشبونة سنة ١٥١٢م من صنع العرب وكان قائد ذلك الأســطول الهولندى يسمى نفســـه « اميرال البحر طارق » .

* * *

كان من بين الذين درسوا فى معاهد الأندلس العلمية وساهموا بقســط كبير فى نقل الحضارة الاسلامية الى أوربا الراهب الفرنسى « غربرت » المولود سنة ٩٤٥م . فقد رحل غربرت هذا الى الأندلس فأمضى فيها ثلاث سنوات درس فى معاهدها بأشبيلية وقرطبة الرياضيات والفلك والعلوم الأخرى ثم عاد الى بلاده واخذ يبشر فيها بالثقافة الاسلامية فرماه بعض قومه بالكفر والسحر واذ ذاك رحل الى أوربا فعين مستشارا لقيصر روما ثم ما لبث ان أصبــح كبيرا للأساقفة هناك وأخيرا ارتقى سنة ٩٩٩م كرسى البابوية وسمى بالبابا سلفستر الثانى . وكان هذا البابا أول من أدخل الأرقام العربية ونظامها الى أوربا والتى لا زالت سائدة فيها .

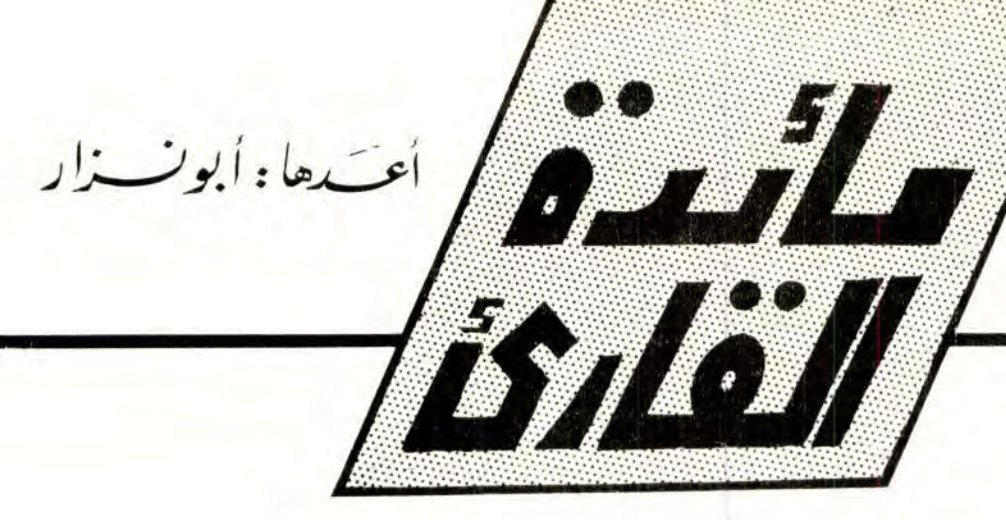
وهناك راهب فرنسى آخر يدعى « أبيار » تفقه فى الفلســفة والعلــوم الأخرى على المصادر العربية الاسلامية واشتهر بهــا فى القرن الثــانى عشر الميلادى .

وممن درس فى قرطبة وتخرج على أيدى علمائها المسلمين « شــانجة » ملك ليون واستوريا فى شمال اسبانيا .

ومنهم « هرمان » الكسيح ابن أمير والماسيا الذى نقــل مآثر الحضارة الاسلامية فى ألمانيا ودول البلطيق عن الطلاب الأوربيين العائدين من الأندلس والذين كانوا يمرون بدير « ريخناو » الذى يمكث فيه هرمان ويقضون فيه أياما عديدة قبل تفرقهم الى أهليهم . وعن هؤلاء نقل هرمان كل ما جلبوه من الآلات الفلكية العربية وفى مقدمتها الاسطرلاب الذى صنع أول واحد منه فى أوربا على الأسس العربية فى القرن الرابع الميلادى .

ومن المعاهد الطبية فى مدن اشبيلية والغوصة وزردقــة وقرطبــة فى الأندلس تخرج ما لا يقل عن عشرين طبيبا أوربيا كان من بينهم الراهب الانكليزى « سبيرومان » الذى اتخذه البابا يوس الثالث طبيبا خاصا له .

ولقد ظلت الأندلس تلعب دورها الفعال هذا فى نقل الحضارة الاسلامية الى أوربا حتى بعد ان قضى على الحكم العربى فيها وأجهز على المسلمين تقتيلا وتجهيزا وتنصيرا فى عصر محاكم التفتيش الفظيعة . فلقد تفرق فطاحل العلماء من المسلمين الأندلسيين فى مختلف الولايات الاسبانية وفى فرنســا وايطاليــا وغيرها يحملون معهم علومهم وفنونهم التى لم يضنوا بها حتى على الكفار الذين انزلوا بهم وباهليهم سوء العــذاب مما كان له أثــره فى ازدهار حركة البعث الأوربى ونشوء الحضارة الأوربية الراهنة .



أعدها : أبو نزار

الرسالة المهاجرة

ان الرسالة الاسلامية التى هاجرت مغلوبة من مكة الى المدينة . هاجرت غالبة من الشرق الى الغرب . بفضل مبدئها الالهى الذى قامت عليــه . ودعت اليه . وفازت به . وهو توحيــد الله . وتوحيــد الكلمة . وتوحيــد القوى . وتوحيد الغاية .

أين عمر ؟

سمع عمر بن الخطاب بكاء طفل آخر الليل . فأتى أمه فقال : انى لأراك امرأة سوء . مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ! قالت : يا عبد الله : انى أمرنه على الفطام . قال : ولم ! قالت : لان عمر لا يفرض للرضيع . وانما يفرض للفطيم . قال : وكم له ! قالت : اثنا عشر شهرا . قال : لا تعجليــــه وذهب . فصلى الفجر . وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه . فلما سلم قال : يا بؤسا لعمركم قتل من أولاد المسلمين . . ثم أمر . فنــادى : الا تعجلــوا أولادكم عن الفطام فاننا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وكتب الى الآفاق كافة .

مؤول الأحلام ؟

كان سعيد بن المسيب من أعلم الناس بتعبير وتفسير الرؤيا . جاءه رجل فقال له : انى أرى كأنى أبول فى يدى فقــال له : اتق اللــه فان تحتــك ذات محرم . فنظر فاذا امرأته بينها وبينه رضــاع .

وقال الحصين بن عبد اللــه بن نوفل : طلبت الولد . فلم يولد لى فقلت لابن المسيب : انى أرى أنه خرج من حجرى بيض . فقال ابن المسيب : الدجاج أعجمى . فاطلب سببا الى العجم . قال : فتسريت فولد لى .

أمسلم هو ؟

مما يذكر من سرعة جواب المتنبى انه حضر مجلس الوزير ابن خنزابة . وفيه ابو على الامدى الاديب المشهور . فأنشد المتنبى أبياتا جاء فيها :

انما التهنئات للأكفاء

فقال ابو على : التهنئة مصدر . والمصدر لا يجمع .
فقال المتنبى لآخر بجنبه : أمسلم هو ؟
فقال : سبحان الله . هذا استاذ الجماعة ابو على الامدى .

قال المتنبى : فاذا صلى المسلم وتشهد اليس يقول : « التحيات » فخجل ابو على وقام .

عظامى عصامى

يروى أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل ، فأراد اختبـــاره ، فقال له : اعظامى أم عصامى ؟ يقصد : اشرفت بآبائك الذين صاروا عظاما ، أم بنفسك .

فقال الرجل : عظامى عصامى ، فقال الحجاج : هذا افضل الناس ، ثم تبين له بعد ذلك من مناقشته انه اجهل النـــاس ، فتعجب الحجاج ، وســـأله : كيف أجبتنى بما أجبتنى به حين سألتك .

فقال الرجل : لم اعلم اعصـــامى خير أم عظـــامى ، فخشيت أن أقـــول احدهما ، فقلت كليهما ، فان اضرنى أحدهما نفعنى الآخر .

فقال الحجاج : المقادير تصير العيى خطيبا .

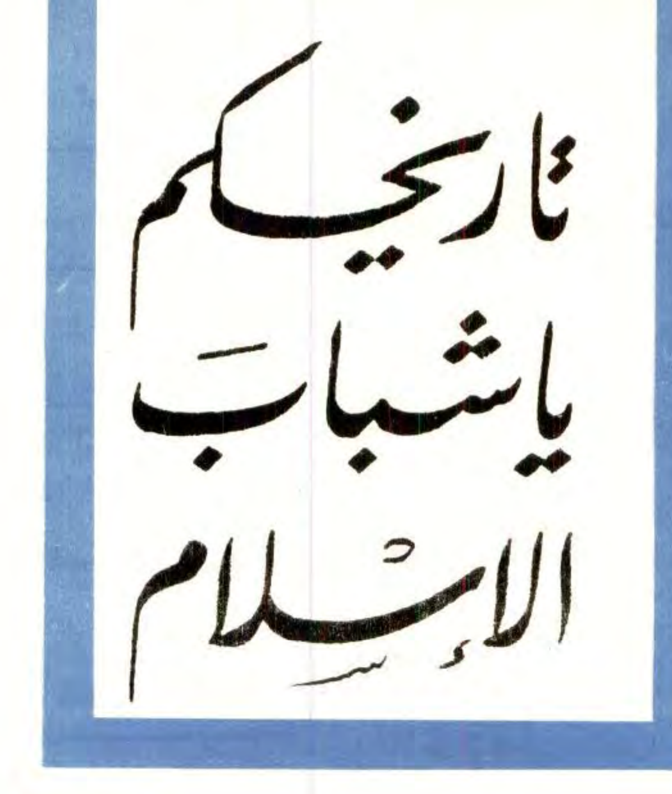
ساعة هارون الرشيد

ذكر فولتير المؤرخ الفرنسى أن أول ساعة عرفت فى أوربا هى الساعة التى اهداها أمير المؤمنين هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا سنة ٨٠٧ . وكانت بدعا فى ذلك العصر ، حتى انها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا .

كان لها اثنا عشر بابا صغيرا بعدد الساعات ، فكلما مضت ســـاعة فتح باب وخرجت منه كرات من نحـــاس صـــغيرة تقع على جـــرس فيطن بعـــدد الساعات ، وتبقى الابواب مفتوحة ، وحينئذ تخرج صور اثنى عشر فارسا على خيل تدور على صفحة الساعة .

لا نتركه يبرد !!

قيل لاعرابى : ما تسمون المرق ؟
قال : السخين
قال : فاذا برد ؟
قال : لا ندعه يبرد



تاريخكم يا شباب الإسلام

٣

للأستاذ: أحمد محمد جمال

نواصل الحديث عن (سوابق) الفكر العربى والاسلامى فى المجالات المختلفة للحضارة الانسانية . فنذكر نظرية « العقد الاجتماعى » للمفكر الفرنسى جان جاك روسو — التى يتحدث عنها كثير من الكتاب العرب ، المفتونين بكل ما هو (أجنبى) أو (غربى) على انها نظرية حديثة وابتكار غربى !

لقد كنت اقرأ بعض رسائل النبى صلى الله عليه وسلم ، التى يزود بها بعض عماله وولاته ، ويرسم لهم فيها منهج الحكم وكيفية سياسة المحكومين . فوقعت على كتابه الذى كتبه عليه الصلاة والسلام لعمرو بن حزم حيث بعثه واليا على اليمن ، فاذا فاتحته تقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم — يا ايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . .) ثم مضى الكتاب يفصل لعمرو بن حزم مسؤولياته كحاكم مسلم : من التقوى . والأخذ بالحق ، وامر الناس بالخير ، وأن يلين لهم فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، وينهاهم عن التعصب للعشيرة ، وان يعلمهم أمور دينهم من وضوء وصلاة وجمعة وحج ، وأن يفقههم فى القرآن الخ (١) .

وفى افتتاح الرسول عليه الصلاة والسلام كتابه عن موضوع الحكم ومسؤولية الحاكم بهذه الآية القرآنية : (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) اشارة تغنى عن عبارة — الى نظرية العقد الاجتماعى التى طلع بها جان جاك روسو خلال القرن الثامن عشر الميلادى ، اى بعد نحو اثنى عشر قرنا من نزول القرآن بهذه الآية ، واستدلال الرسول بها فى موضوع الحكم وواجبات الحاكم .

---

(١) القى الكاتب محاضرة بعنوان (مهمة الحاكم المسلم) فى أحد المواسم الثقافية بمكه المكرمة — تحدث فيها باسهاب عن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم .. وهى تحت الطبع .

كاشارة بليغة وجيزة الى ان الحكم انما يقوم على اساس التعاقد والاتفاق بين الحاكم والأمة — وهو مضمون نظرية روسو عن العقد الاجتماعى .

ويؤيد رأينا فى هذا السبق الاسلامى الى نظرية العقد الاجتماعى — ما تواتر من أحاديث الرسول وآثار الصحابة وقواعد البيعة : من ان (السمع والطاعة) من المحكوم للحاكم انما هما (فى المعروف) . وما يشترط الناس على الحاكم حين مبايعته : أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله .

فبذلك يتضح ان (الحكم) فى الاسلام عقد اجتماعى يتم بين الحكومة والأمة .. على ان تكون طاعة الأمة رهنا بقيام الحكومة على العدالة والمعروف .

. . . . . .

وفى مجال التشريع :

صدر قبل شهور معدودة كتاب للدكتور بيران وولف اسماه (افضل سنوات المراة) تحدث فيه عن الطلاق ، واقتراح أن تبذل محاولة للشورى والتوجيه بين اهل الزوجين ، قبل اقدام الرجل على توقيع الطلاق ، أو قبل عزم المراة على طلب الانفكاك من زوجها . ويرى الكاتب الغربى أن يكون الذى يتدخل بين الزوجين المقبلين على الفراق خبيرا محنكا ، أو صديقا للطرفين ، أو رجلا من رجال الدين ، أو محاميا ، أو عالما نفسيا .. فاذا رئى بعد ذلك انه لا جدوى أو لا مصلحة فى استمرار الحياة الزوجية بينهما . فان الطلاق عندئذ يكون هو الدواء الشافى والحل الوحيد ..

ونحن المسلمين نجد تشريعنا الاسلامى قد سبق الى هذا الراى الاصلاحى منذ اربعة عشر قرنا .. اذ شرع لنا هذا المنهج الاجتماعى فى آيتين من سورة النساء فى القرآن الكريم احداهما تقول : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » والثانية تقول : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

ان الدكتور بيران وولف يرى الرأى نفسه الذى نزل به القرآن الكريم ووجه به الناس الى بذل محاولة مخلصة ، فى سبيل التوفيق بين الأزواج المتنازعين ، قبل ايقاع الطلاق ، وما يترتب عليه من تشريد أطفال وترميل نساء ..

وفى مجال التخطيط العمرانى :

تظن اجيالنا الناشئة او الصاعدة ان ما يسمونه « تخطيط المدن » من مبتدعات العصر الحديث ، وانه من ابتكارات الحضارة الغربية العصرية . ويعتذر لهم عن خطأ هذا الظن بعض الكتاب فيزعمون بأن تاريخنا الاسلامى لم يكتب بعد حتى يقراه الجيل الصاعد ، ويعلم به ما جهل من سوابقنا الحضارية ..

ان تخطيط المدن .. الذى يعنى تنظيم العمارات والشـوارع والطرقات والميادين والحدائق العامة . والذى يظن بدعة غربية عصرية ــ قد عرفته عهود الصحابة رضى الله عنهم ،كما يروى القـاضى ابو يعلى فى كتابه (الأحكـام السلطانية) اذ يقول : لقد مصر الصحابة البصرة على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجعلوها خططا لقبائل أهلها . وجعلوا عرض الشارع الأعظم ستين ذراعا . وجعلوا عرض ما سواه عشرين ذراعا . وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع . وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لربط خيلهم .

وبتحويل الأذرع الى امتار نجد ان عرض الشارع العـام كان منذ ذلـك العهد السحيق نحوا من أربعين مترا ، والشارع الفرعى خمسة عشر مترا ، والزقاق خمسة امتار أو أربعة أمتار . وذلك ما لم يتحق فى عصرنا الحاضر .. فى كثير من الشوارع والدروب والأزقة ، فى عدد من البلدان العربية المتطورة ، بل وفى البلاد الأوروبية أيضا :

ويلاحظ ان الرحبة الفسيحة . التى ذكرها ابو يعلى فى تخطيط البصرة . هى (الميدان) فى تخطيطنا الحديث . وهو ما يخصص جزء منه موقفا للسيارات وما بقى مدارا لحركة المرور .

ويتحدث الأستاذ حيدر بامات فى كتابه (دور المسلمين فى بناء المدنيـة الغربية) عن الهندسة المعمارية الاسلامية ، التى اقتبس الغربيون جمالهـا وجلالها ونفسها العربى ، ويشير الى مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمـن الناصر ، فى الأندلس ، والى قصر الحمراء بها . ويقول : ان الفـن الاسلامى المقدس الذى يتجلى فى المساجد ، هو الذى يشهد بعظمة الماضى الاسـلامى وجلاله فى مضمار الهندسة المعمارية . ويؤكد فى نفس الوقت تأثير العـرب الفنى على الفن الايطالى نتيجة لاقامة العرب فى صقلية . ويشير الأستاذ بامات الى اقتباس الهندسة والزخرفة الاسلاميتين فى كنائس بعض دول أوربا .

. . . . . .

وفى الحضارة الاسلامية سوابق اقتصادية كثيرة ..

فابن خلدون ــ مثلا ــ سبق المدارس الاقتصادية الحديثة التى تدعو الى حرية التداول التجارى ، وعدم ايغال الدولة فى التدخل والتسلط والتوجيـه ، وعدم الاسراف فى فرض الضرائب .

فهو يقول : ان واجب الدولة ان تتأكد من ان الضرائب لا تثمـر اذا هى فرضت فرضا تعسفيا ، وان الضرائب المعتدلة أعظم حافز على العمل .

ثم يتحدث ابن خلدون ــ باسهاب ــ عن المصادرة ، والاحتكار ، وعـن اشراف الدولة على شؤون التجارة .. حتى ينتهى الى القول : بأن الدولة انمـا تقوم على الشعب وعلى روح الاقدام والمغامرة التى يتحلى بهـا ، وعلى مدى انتاجه . ويؤكد : أن المبالغة فى تدخل السلطات الحكومية تعيق التطور الطبيعى للاقتصاد والتجارة ، وتسبب نقصا فى الثروة وضعفا فى الانتاج ...

.. وهذا ما حدث ويحدث فى تجارب بعض المذاهب الاقتصادية الجديدة .. اذ تنقص الثروة ويضعف الانتاج .

. . . . . .

والطب العربى القديم :

وننتقل الآن الى ميدان آخر ، ميدان الطب العربى وسوابقه . حيث نجد الشباب العربى والاسلامى لا يكتفى باهماله مطالعة صفحات التاريخ الاسلامى عن سوابق المسلمين الطبية — بل يضيف الى جهله بحضارة الاسلام انكارا لها واستهزاء بها ، ويخوض فى حديث الطب العربى القديم ، فيقف منه ذلك الموقف الذميم حيث يصفه بالتخريف والشعوذة :

ولقد كان « الطب » خلال القرون الأولى بعد الهجرة النبوية جزءا لا يتجزأ من الثقافة العربية الاسلامية العامة .. وظهرت مؤلفات عربية طبية ، وقام الأطباء المسلمون بدور فعال فى تقدم العلوم الطبية لدى الغرب ، اذ ظلت كتب الرازى — وابن زهر — وابن سينا — وابى القيس اساسا للدراسات الطبية فى المدارس الغربية خلال قرون عديدة . ومن أوسع المؤلفات الطبية العربية واشهرها كتاب (الحاوى) وكتاب (المنصورى) للرازى ، وكتاب (القانون) فى الطب لابن سينا ، الذى نشر بالعربية فى روما فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، واتخذ اساسا لتدريس الطب فى جامعات فرنسا وايطاليا خلال ستة قرون كاملة .

وقد تحدث الرازى فى كتابه (الحاوى) عن الحميات الطفحية ، كالجدرى والحصبة . واستحدث الرازى فى الصيدلية استعمال المسهلات الخفيفة ، والحجامة فى حالات الفالج ، والماء البارد فى حالات الحمى المستعصية واستعمال فتيلة الكى .

كما تحدث ابن سيناء فى كتابه (القانون) عن علم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، وعلم الأمراض ، وعلم المواد الطبية . والف ابن سينا — ايضا — كتابا فى علامات امراض القلب ، ونظم قصائد فى الطب وبلغت علاجاته الطبية (٧٦٠) علاجا .

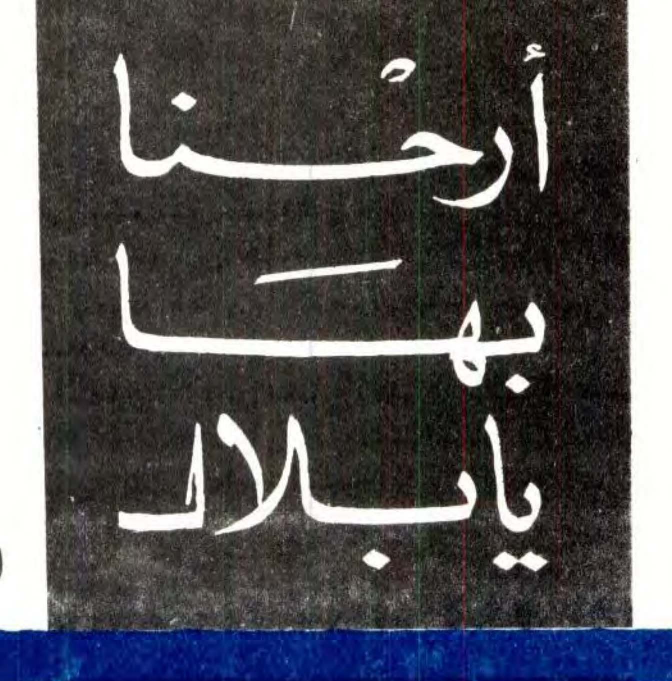
ويعترف العالم الفزيولوجى (هاللر) بأن ابا القاسم خلف بن عباس القرطبى كان أهم جراح عربى ، وكانت مؤلفاته مصدرا ومرجعا لجميع الجراحين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر .

ويقول جوستاف لوبون : ان مدرسة سالون أول مدرسة فى أوروبا ، مدينة بكثير من شهرتها للطب العربى .

وقد سبق المسلمون الى « الطب الوقائى » الذى كان معروفا يومذاك بعلم الصحة ، وهو علم يبحث فى طرق الوقاية من الأمراض قبل حدوثها . كما سبقوا ايضا الى تدريس الطب فى المستشفيات نفسها ، حيث يدرس الطلاب المعارف الطبية بالقرب من اسرة المرضى . وهو ما يتبع الآن فى تدريس الطب الحديث ، حيث يقضى الطلاب بعد خروجهم من الكلية عاما فى بعض المستشفيات للتمرس بشؤون الفحص ، وطرق العلاج الى جانب الأطباء السابقين المتفوقين ، وقريبا من المرضى الذين يعالجونهم .

كما سبق الطب العربى الاسلامى الى افراد كل نوع من المرضى بمصح خاص كالمجانين — والمجاذيب . وكانت عندهم جمعيات للبر والاحسان تقوم بعلاج المرضى الفقراء فى أيام معينة من كل اسبوع . وارساليات طبية فى الأماكن البعيدة لمداواة المرضى فيها ، وتوزيع الأدوية عليهم .

وهذا ما يجرى عليه الطب الحديث ، حيث تقوم المستشفيات الخاصة لكل صنف من المرض .. كمرض السل ، والجنون ، والعيون الخ .. وكما نرى ونسمع الآن عن المستشفيات المتنقلة ، أو السيارة ، التى ترسل الى القرى والمدن النائية لمعالجة مرضاها .



أرحنا بها يا بلال

للأستاذ : أحمد العناني

كلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقفتنى طويلا .. طويلا ..
واحسست بها راحة هانئة عميقة .. عميقة
ونقلتنى من متاهة نكراء موحشة الى درب أمم . صراط سوى
واستشعرت روحى هادئة فى جسدى
وقلبى مستقرا مستريحا فى صدرى
وعينى وجدتهما أهالا دمعتين ثم تحررتا من كرب محتبس كدمعتى طفل
ضل عن أهله فى سوق مزدحمة بالناس
ثم فجأة عثر عليهما . وتعلق بأهدابهما . من بعد أن ظن ألا تلاقى

□□□

كلمة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
كانت المفتاح الرئيسى العميد . الذى يفتح كل الابواب فى عمـــارة كثيرة الحجرات ، متعددة الابواب .
او الطاقة الصغيرة الخفية . يتسرب منها النور فى سفح جبـــل . فاذا اهتدى اليها عابر سبيل فنظر منها كشفت له من ورائها ومن تحتها عن عالم من الآثار ، وعمائر الحفائر لم تكشف نفسها لكل سائر ..

□□□

أرحنا بها يا بلال
بلال بن ابى رباح الحبشى الذى كان قبل سنوات من هذه الكلمة عبـــدا حبشيا اسود يجرجره فى وحول المهانة كما يشاء رجل من قريش يسمى امية ابن خلف .
بلال بن بى رباح الذى كان مولى مهانا . فأصبح اليوم فى مركز صدارة . بين احرار مكة والمدينة المؤمنين ، ثم اذن للصلاة ، لندخل فى فترة من الحياة . ليس فيها شىء من هذا الذى يزعجنا فى دنيانا ، وبذلك ننتشى . وننسى وننشط ونتجدد .

□□□

كأنما رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول لبلال بن ابى رباح : هذه الحياة متعبة يا بلال .

متعبة لأن نفوس الناس من داخلهم تتعرض لوساوس تحبب اليهم الكسل وقلة العمل ، وتغريهم مع ذلك بسريع المغنم ومفاجىء الربح .

لأن نفوس الناس من داخلهم نزقة هشة ملولة يصعب عليها أن تصبر وتنتظر حتى مطلع الحق ، ويشق عليها أن تجانب الهوى فى الحكم ، وتحتمل عبء النزاهة فى الرأى .

لأن نفوس الناس هلوعة جزوعة . وعقولهم مشاكسة مجادلة . وهواهم لجوج ، وقلوبهم حارة قلقة تغاديها الغيرة ، والحيرة ، ويداخلها الحسد ، والحسرة ، وتسارع الى القنوط للتافه التافه ، وتضج بالغرور للعارض الزائل .

واذا فالمخرج المخرج .. ومخرج المسلم من ذلك هو الصلاة .

وليس التخدير مثلا بالخمر ، ولا اللهو الشرود بالقمار . ولا ما دخل فى باب الخمر أو اندرج تحت فصيلة القمار .

وانما هى الصلاة يا بلال
واذا كانت الصلاة كان بالله اتصال

وهناك يكون الصبر الجميل بغير ضجر
واسلام الروح لهداية غراء لا تضل ولا تغدر .

□□□

من لى ببلال يريح المؤمنين بها وهم جماعة !

يصفون لدى التهيؤ لتلك الراحة الى تقى منهم يعلن حلول موسمها .

تقى لا هو ناظر بحسرة الى لونه الاسود أو الاحمر

ولا الذين يسمعونه فى أنفسهم شىء له غير الاعجاب والمحبة

كلهم خالصون من الكبرياء والحقد

وهل أفسد دنيا الناس اليوم الا كبرياء القوة ، وحقد الضعف ؟

□□□

من لى بالصلاة تؤدى على وجهها حقا ، فتوفر على جيل الضياع الحائر كل هذا الضجيج الذى لا يولد الا ضجيجا مثله واقسى .

نوفر هذه الموسيقى المحمومة الثملة فى حفلات النفاق . واهتزاز الاجساد الرعن فى حركات كحركات القردة البلهاء .

وهل مسخ الناس الضالون الا قردة بغير اذناب ، وهم فى رقصهم المختلط المجنون ، يفرون من أوصاب الضمائر الملطخة بمظالم النفوس . فاذا هم فى اسوأ مما فروا منه يرتكسون .

يناديهم لموسيقى « الجاز » رجال اكثرهم من العبدان السود لأن هذه الموسيقى أصلا انفجرت من مظالم المنبوذين فى حضارة الانانية والفساد .

والعبدان يعزفون وهم حاقدون ، يتميزون غيظا على الوافدين والعابثين الراقصين .

والعابثون يفرون من فراغ الكبرياء والنفاق الى كؤوس يشربون فيها مع الخمر دماء المستذلين السوداء .

□□□

وكانما يقول محمد صلى الله عليه وسلم أرحنا بها يا بلال

اى انقل انفسنا بهذا التغيير المسعد من رتابة الحياة الى الاتصال بالله

انقلها من حالة الاجهاد ، من الصراع ضد الشر والظلام ، الى واحة نغتسل فيها بالضياء ، فنعود أحد عزما ، وأعظم مضاء ، لنستأنف المعركة تحت لواء الحق .

فترة تجدد وتأهب واستعداد

لاستئناف المعركة ، لا للفرار كما يفعل أولياء الشيطان
لأن صلاتنا ونسكنا ومحيانا ومماتنا لله رب العالمين .

□□□

لكن واضحا من كلام الرسول عليه السلام ان الصلاة اذا لم توجد راحة فلا تكون صلاة .

فمن حيث الشكل والاسلوب والاداء — كما نقول اليوم — ثبت أن الرسول عليه السلام قال — وهو يرى مصليا معجلا ينقر فى صلاته نقرا — عن ذلك الرجل « كأنه لم يصل »

ومن حيث الموضوع والمحتوى فان صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ليست ابدا بصلاة .

وانما هى تماوت يميت على المسلمين دينهم كما اشار عمر بن الخطاب عليه رضوان الله . .

□□□

ولكى نستطيع ان نجد الراحة بالصلاة يجب ان نهيىء اسباب الاداء الصحيح لها شكلا وموضوعا . . ففى نطاق الفرد طهارة لا تقبل الاثم ، ولا تسيغه أن يستمر اذا وقع ، ولا تلبث ان تغسل آثاره بالتوبة ونفس لا تستمرىء الكسب الا حلالا ، ولا تعيش على الناس عالة ، وقلب اذا أحس القوة لم يجنح الى الكبرياء ، وان استشعر الضعف لم يرتكس فى الذلة او الحقد .

واستعداد دائم لأداء الحساب أمام الله عن النفس والاسرة ، وكل ما دخل فى نطاق المسئولية ضاق ذلك أم اتسع .

وفى نطاق الامة تباعد عن الشح والانانية ، والترف والتبذل ، وتأهب عمال للجهاد والتضحية . وبث الحقيقة وحمل الرسالة ولو الى أقاصى الارض ، فى محبة مطلقة للمؤمنين ، وشدة شديدة على المقاومين والمحاربين .

□□□

وبلال يرفع الاذان قرير العين ساكن البال

يقف فى صف كأنه صف الملائكة حيث ينتهى به المكان

لا يدافع عن موقف لانه فقير ، ولا عن منزلة كرامة لانه اسود

ولا عن حق لأنه ضعيف

لو عمل لأخذ اجره على تمامه قبل أن يجف عرقه

ولو استأذن على عمر لدخل بسابقة الايمان قبل ابى سفيان

ولو اقعده ضعف او شيخوخة فله فى بيت المال سبيل الى الامان

اما بعد ايها الناس فنحن عبيد الله لا محالة

نعيش أطوارا محتومة بقضائه وننتهى الى حساب عنده

وليس لنا مفر من الله الا اليه

ولذلك يرحمنا ويشرفنا باستقبالنا خمس مرات اليه ، يؤتينا من نوره مانجدد به العزم ، ونستأنف النضال والصيال .

فمن كان سبيله غير هذا السبيل ، فانما فراره من صعوبة الى مصيبة ، ومن قلق الى هم وداهية

واذا سألتم لماذا تظلم دروب الحياة كل هذا الاظلام

فان لكم جوابا لبقا حصيفا من مدرسة فى جامعة ميلانو

هى الدكتورة الدارسة فاجليرى التى تقول :

لقد اشتد الظلام بهجران القرآن

وهل آلة الصلاة ومادتها غير القرآن !

□□□

ليت شعرى هل تنهض العدالة فى الارض كما نهضت ذات يوم !

هل تعلو كلمة الحق كما علت فأضاءت الارض فى ذلك العهد ؟

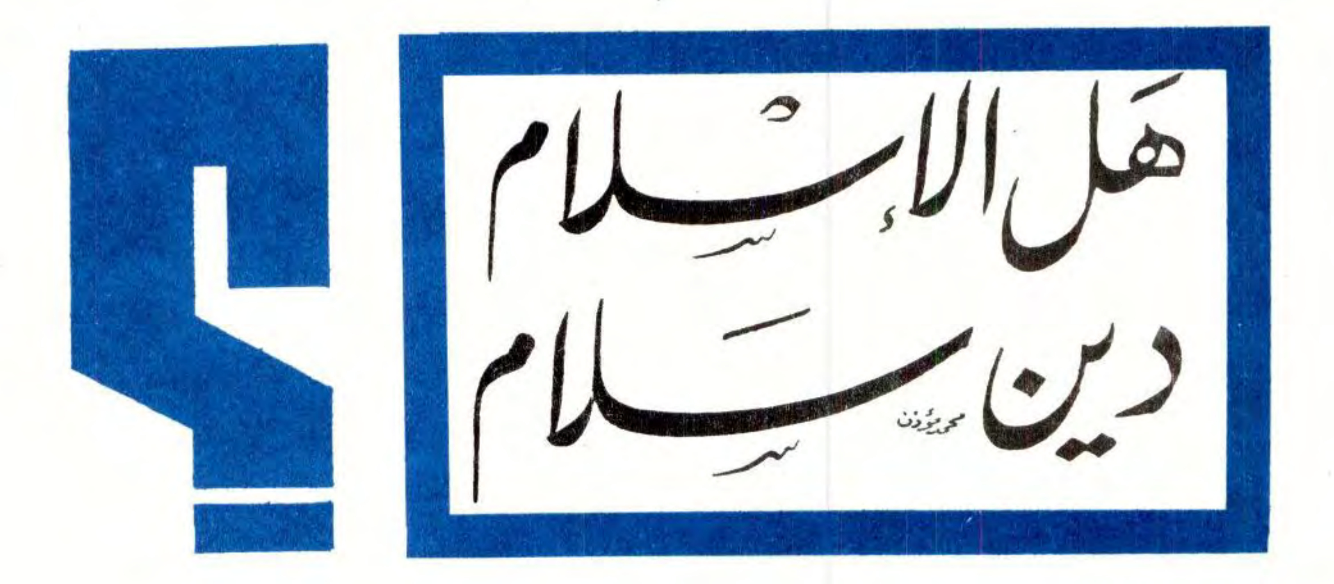
هل تصبح الموازين هى العمل والتقوى والفداء فى الله ؟

هل يرتفع فى الآفاق صوت صادق الاداء كصوت بلال ؟

فتجد الانسانية المعذبة تلك الراحة الحقة دون راحة القرار القلقه التعسة فى حمأة الشيطان . .

ونسمع صوت الرسول الكريم ونحس أبعاد كلمته المنيرة الخالدة

« ارحنـــا بهـــا يا بلال » !



للشيخ : محمد محمد أبو خوات
المدرس الاول بالازهر ــ الاسكندرية

كلما احتفل المسلمون بذكرى الهجرة النبوية ، ثارت ، تساؤلات تتناول اسباب الهجرة ، وما حدث فيها من احداث معجزة ، وقد تتفرع عن هذا احاديث تتناول حقيقة هذا الدين ، أدين حرب أم دين سلام ؟ .

واذا كان هذا الدين دين سلام ــ كما يصفه دعاته ، وكما يبدو من حادث الهجرة ــ فلماذا حمل المسلمون السلاح ؟؟ .

ونحن من جانبنا ــ انطلاقا من حادث الهجرة وبمناسبته ــ نعطى هذا التساؤل حقه من البحث ، اسهاما فى تجلية أمره للمتسائلين ، وردا مقنعا ــ ان شاء الله ــ على المتحاملين ، فنقول وبالله التوفيق . .

أولا : الاسلام دين سلام ، سواء فى دعوته ومبادئه ، أم فى واقع اعتناقه ونشره . .

أ) الدعوة والمبادىء .

فأماالدعوة فهى بطبيعتها دعوة الى السلام . وذلك لان اكثر ما يثير الخلافات بين البشر . شعور الجماعة بوضع متميز ظالم يفرض عليها لصالح فرد أو أفراد . . . . ودعوة الاسلام تجردت عن هذا المعنى تجردا كاملا سواء فى ذات المدعو له سبحانه وتعالى ، أم فى شخص الداعى . .

فأما ذات الخالق سبحانه وتعالى ، فقد دعا الاسلام للايمان به ، على أساس من العدل يلجىء كل ذى عقل غير معاند الى الايمان به ومحبته والخضوع له ، . . فعن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى خلق السموات وما فيها من أجرام ، وخلق الارض وما فيها من معادن وماء وزروع وثمار ، وخلق الانسان نفسه وما يميزه عن غيره من أسباب التكليف والتكريم ، وذلك كله من غير أن يزعم أحد ــ سواء من الداعى أم المدعوين ــ بأنه هو الذى خلق ، او

بأن شيئا من هذه المخلوقات ، هو الذى خلق غيره ، مع اعتبار حب الانسان للعدل والشعور به فى نفسه لدرجة أن يسأل . افمن يخلق كمن لا يخلق ؟ .

اقول . عن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى ذلك كله وغيره ، مما زخرت به صفحات الكتاب الكريم ، يشعر المدعو الى الايمان ، بأن المدعو له حقيق بالايمان به ، جدير بالخضوع له ، وبأن من الظلم العظيم سلب حقه فى العبادة واعطاء هذا الحق لغيره من شمس أو قمر ، أو نبات أو انسان أو حجر ، ومن هنا اعجب المشركون بأسلوب القرآن فى دعوته للخالق ، وأخذوا به وتحيروا فقالوا . « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ،

واعتمدت الدعوة على تأثير القرآن فى نفوس العرب حتى جعلت مجرد سماع المشركين لآياته الباهرات هدفا من اهدافها . « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه » . . . ولقد بلغ من تأثرهم به أن تواصوا . « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » . .

وهذه الطريقة فى الدعوة الى الله طريقة سلام ما فى ذلك شك ، لانها تعتمد على الاقناع العقلى . والايقان النفسى دون تقلد قوس أو امتشاق حسام . ولكن أصحاب الزعامة الدينية . والأغنياء السادة المستغلين للتجارة والزراعة والناس من العبيد والفقراء . تصوروا فى الدعوة الجديدة سلبا لزعاماتهم وقضاء على استغلالهم ، فوقفوا ضد الدين الجديد يحاربونه بكل ما يملكون ، على أن هناكطائفة ثالثة تحجرت عقولها وعميت بصائرها فلم تعرف الى الحق أى سبيل . . .

هذا ما سلكته الدعوة بالنسبة الى ذات الله والايمان به . وان شئت فاقرأ الآيات من أول سورة الرعد ، أو آيات سورة النمل من قوله تعالى . (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أم ما يشركون ؟. . الى قوله تعالى . (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والارض أاله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) . . بل ان شئت فاقرأ القرآن كله تجد الدعوة الى الله قد تجردت عن كل ظلم وقسر ، فهى كما ترى تطلب من المدعوين — بالحق وبالعدل — الايمان والخضوع لمن يستحق الايمان والخضوع . . .

وأما شخص الداعى ، فقد حرص على ابراز عبوديته وخضوعه لمن يدعوهم للايمان به والخضوع له ، وعاضده القرآن فى ذلك ايما معاضدة فلم يطلب لنفسه ، ولم يطلب له القرآن وضعا متميزا على غيره من المدعوين . « ان عليك الا البلاغ . . ان أنت الا نذير . قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » . . .

ولئن كانت نشأة النبى وحياته نشأة الفقراء وحياتهم . مما جعل المعاندين يأنفون أن يؤمنوا برسالته . لقد كان لهم من مقام أرومته وأصالة محتده ومنزلة آبائه ، ما يجمعهم عليه ان كانت دوافع ايمانهم بصدقه ترتبط بعراقة الاصل ومجد الآباء والجدود . . .

وبهذا ثبت ان طبيعة الدعوة ، من حيث ذات المدعو اليه وهو الله سبحانه ، ومن حيث صفات الداعى الأصلية ، وما تحلى به بعد تكليفه بالرسالة ، طبيعة سلام ، لأن سلاحها الحق والعدل .

وأما المبادىء التى دعا اليها داعية الاسلام ، فهى مبادىء أمن وسلام ، واصول حياة تقوم على المحبة والنظام ، ونحن اذا استعرضنا قدرا من اهم المبادىء والأصول التى قام عليها هذا الدين ، على أنه علاقة بين العبد وربه ، وتنظيم اجتماعى وسياسى واقتصادى بين البشر تبين لنا صدق دعوانا حتى لكأن المقصود بكل مبادىء الاسلام وأصوله وقضاياه الكبرى هو تحقيق السلام والأمن والنظام ، برغم ما يلقيه بعض النـــاس من أحجـــار فى هـــذا الخضـــم الواسع ، فمهما يلقوا فى البحر يغرق . .

فتنظيم العلاقة بين العبد وربه ، من صـــدق الايمان وكامل الايقـــان ، والصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه المطلوب كما قررته الدعوة فى كتابها وعلى لسان الداعى ، أمر يملأ نفس المؤمن معـــرفة للحق ــ وانفعـــالا بمعانى العدل ، وحبا للخالق يدعوه لطاعته ، فيأتمر بما أمر وينتهى عما نهى ، وهذا كله يصنع من المؤمن انسانا يتخلق بأخلاق الله من العدل والرحمة والأمن والسلام ، مع استحضار حصر الدعوة كلها فى رحمة الله بالخلق ، وما أرسلناك الا رحمة للعالمين . . .

وهذه المعانى تنعكس على علاقة المؤمن بغيره من المخلوقات كلها ، علاوة على مافى الصلاة والزكاة والحج والصيام ، من تجسيد هذه المعانى فى علاقة كل مؤمن بغيره من المخلوقات ، وهذا شىء واضح . ، وكذلك تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين الناس ، لم يكن له من هدف فى الاسلام الا أن تقوم هذه العلاقات على العدل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، مع ما يغرسه فى نفوس معتنقيه من المحبة والاخاء والايثار .

وبهذه العجالة نستطيع أن نحكم ــ مستريحى الضمير ــ بأن الاســـلام فى دعوته ومبادئه دين سلام يكره العنف والاذلال والاعنات ، لانه يكره الظلم ويقيم للحق والعدل أعلى الدعامات . . .

ب) تاريخ الاسلام وواقع نشره واعتناقه .

أما أن الاسلام ــ من واقع نشره ، وتاريخ اعتناقه ــ دين سلام ، فذلك باب واسع ، يطول بنا البحث لو قصصنا الاحداث التاريخية والوقائع المروية عن الثقات من الرواة ، التى تدل عليه . .

فالاسلام عقيدة يمتلىء بها القلب والوجدان فيندفع الانسان ــ بها ومن اجلها ــ الى القيام بمختلف العبادات التى تدل على صدق المعتقد فى اعتقاده ، ولئن كانت العبادات الظاهرة صالحة للمراقبة البشرية والحساب الدنيوى ، فان العقيدة القلبية لا يمكن أن تكون محلا للمراقبة والملاحظة ، لأن عقيدة أى شخص سر من أسرار نفسه ، لا يعرفها على الحقيقة سواه ، ومن هنا لم يكن من الممكن كشف المنافقين الا عن طريق الوحى . . ولننظر . بماذا تكون نجاة المسلم ؟ أبقيامه بالعبادة الظاهرة دون ايمان وايقان ، أم الايمان بالخالق وما يجب له من العبادة والخضوع ايمانا يدفع صاحبه راغبا للعبادة والخضوع ؟..

وهذا الايمان المطلوب لا تمكن مراقبته ، لانه أمر نفسي ، كما لا يمكن القسر عليه ، لان العقائد لا تكتسب بالقوة ولكن تتحقق بالاقناع .. والا فماذا صنعت قريش حين لجأت الى تعذيب من آمنوا بمحمد ورسالته بأقسى أنواع التعذيب ؟ . . .

هل ردوا احدا بالقوة وعن طريق القسر عن ايمــــانه ؟ وهـــذا جانب من البحث له دلالته على ما نحن فيه .. وفرق بين رجلين يقفان فى صف واحد . احدهما يؤمن بأن عقيدته تستحق ان يبذل فى سبيلها نفسه ، لأن بقاء عقيدته أسمى وأعز عنده من بقاء نفسه ، والآخر يأتى الى الصف بلا عقيدة ، فان تحقق النصر فهو مع المنتصرين . وان رأى الهــزيمة فر وتولى لا يلوى على شىء . فعلى مثل الاول قام الاسلام ونهضت مبادئه . وعلى مثل الثانى تضيع المبادىء والمنادون بها جميعا . . .

واذا كان معنى الدعوة الى الاسلام غرس عقيدة مكان عقيدة ، فهل باشر محمد مع من آمن به فى اول الامر شيئا من اساليب الضغط او الاكراه ، وهو الفقير الذى لا يستطيع ان ينثر الذهب على تابعيه ، البعيد عن مجالس الحكم والرياسة والجاه . بحيث لا يطمع طامع ان ينال من آثار هذه المجــالس ادنى نصيب ؟! . . . وحين يحدثنا رواة التاريخ عن الحقبة التى قضاها النبى فى مكة قبل الهجرة ، لا نجد فى حديث واحد منهم ، سواء المسلم وغير المسلم ، ما يدل على ان محمدا اكره أحدا على الايمـــان بالله وبرسالته ، بأى نوع من أنواع الاكراه . .

وبعد الهجرة ، يثبت التاريخ أن الدعوة الى الله لم تأخذ صــــورة العنف ابدا ، فقد دخل الرسول يثرب وما يكاد يوجـــد فيهـــا بيت فيه مسلم ، وقبـــل الانصار وجود المهاجرين معهم ، واوسعوا لهم فى السكن وفى العمـــل وفى القلوب جميعا ، واحلوا الرسول من ذلك كله محل الكرامة والعزة والمنعة ، ومع ذلك لم يقاتل اليهود الموجودين بها ، بل عقد معهم المعاهدات التى تجعـــل لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولما صارت للمسلمين بالمـــدينة دولة أصـــبح عليهم ـــ كما تقضى بذلك سنة العمران ـــ ان يحافظوا على حـــدود دولتهم ، وعلى حقوق مواطنيها من المسلمين وغير المسلمين ، وان يمنعوا عنها بالقوة ـــ اذا لزم الامر ـــ كل من يحاول ان يعتدى على حرماتها أو يخترق حدودها ، وذلك شىء من طبيعة العمران لا شأن للدعوة الى الله أو لغير الله فيه . ونخلص من هذه النقطة ، بأن الدعوة الى الله فى المدينة هى نفس الدعوة اليه فى مكة وفى كل مكان ، سبيلها الاقناع بالحق وبالعدل .

ورغم الغزوات التى خاضها المسلمون بقيادة الرســـول الكريم ، والتى اضطروا فيها لحمل السلاح دفاعا عن دولتهم ومواطنيها ، فاننا لا نعدم فى كل غزوة منها روح السلام تبدو من جانب المسلمين ، وروح الاعتـــداء والغـــدر والتفاخر بالقوة تبدو من الجانب الآخر . . .

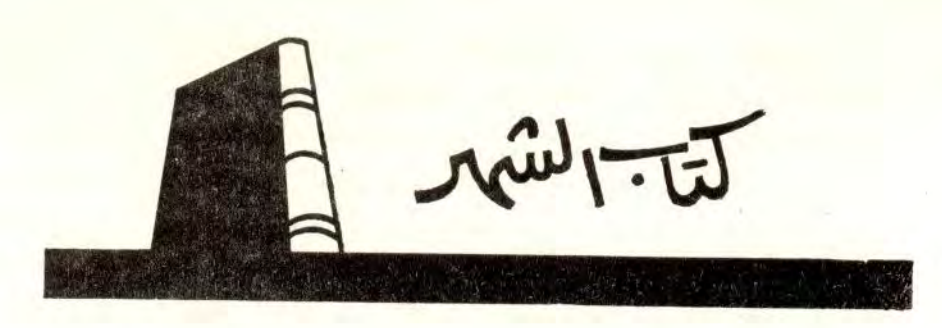
ويروى التاريخ أن من كان يبعثهم الرســـول لاســـكات من يشغبون على الدولة . كان يأمرهم بألا يقاتلوا الا المقاتلة . أما المسالمون والشيوخ والنساء والمستضعفون . فعلى قادة البعوث الا يتعرضوا لهم بسوء . ومن هذا القبيل قول الله تعالى : « فلا عدوان الا على الظالمين » . .

ويروى التاريخ بمداد من نور موقف النبى والمسلمين فى الحديبية . ففى سبيل حقن الدماء . ورغبة فى السلام للجميع قبل النبى شروط الصلح التى عرضها أهل مكة ، رغم ما فيها — فى ظاهر الامــــر — من اجحـــاف بالمسلمين الذين كانوا يستطيعون القتال لو كانوا يريدونه ، فقد كانوا ألفا وأربعمائة ، كل رجل منهم يحب الموت أكثر من حب غيره للحياة . . .

كما يروى التاريخ أن النبى يوم فتح مكة أوصى خالدا بعدم القتال ، وكان خالد قد قاد جزءا من جيش المسلمين عن طريق أسفل مكة (المسفلة) . وقاد النبى سائر الجيش من طريق أعلى مكة (المعلاة) . وعزل سعد بن عبادة لمـــا بلغه عنه انه تكلم بلسان الحرب فى موكب السلام ، وأمر أبا سفيان أن ينادى بالأمن والسلام لكل من يفعل اى فعل يدل على رغبته فى السلام ، فمن القى سلاحه ومن دخل المسجد وحتى من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، وقال لمن اخرجوه منذ ثمانى سنوات بعد أن دبروا قتله ، وقد كانت حياتهم وموتهم على كلمة منه يومئذ ، قولته الخالدة . اذهبوا فأنتم الطلقـــاء ، وعاتب خالدا عتابا شديدا لما بلغه انه قاتل ، حتى اعتذر خالد بأنه لم يقاتل الا من بدءوه بالقتال .

وبعد الفتح زال الحرج الذى كان مسيطـــرا على اكثر قبائل العـــرب ، الذين لم يريدوا أن يغضبوا قريشا ، ولا يودون محاربة الرسول ، فدخل الجميع — دون قتال — فى دين الله افواجا . . .

ثم لنقف هنا وقفة لنسأل الذين يرمون الحديث من أفواههم ، ترديدا لمن سبقوهم به ، أو انفعالا ببعض المواقف دون بحث ظروفها وأسبابها ، فيقولون . ان هذا الدين فـــرض على المؤمنين به بالسيف والقـــوة ، لنسأل هؤلاء . أى الاوقات بعد الهجرة وبدر كان أخصب فى ظهور الدعوة وكثرة المؤمنين بها . أوقات التربص والخوف أم أوقات الصلـــح والامن والســـلام ؟؟ . ان التاريخ الصادق يحدثنا أن عدد من آمن بهذه الدعوة فى ظل الامن والهدوء والحرية والسلام فى سنتين بعد الحديبية يفوق أضعافا مضاعفة من آمن قبل ذلك فى خمس سنين فى ظل التربص والحذر والخوف — . . . افبعد هـــذه الحقيقـــة الواقعة الدامغة ، يكون هذا الدين من واقع نشره والايمان به دين حرب واعنات واكراه ؟؟ . . وهل تصلح هذه الصفات وسائل لتثبيت عقيدة أو تخليد مبادىء أو تأسيس حضارة ، اللهم ان العقيدة ثابتة والمبادىء خالدة والخضارة قائمة . ولا يمكن أن ينهض هذا كله على الاكراه والاعنات . . . وصدق الله العظيم . «لا اكراه فى الدين» . « افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » . . أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . . انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . . . ومن هذا القصص التاريخى المختصر يتبين لنا أن هـــذا الدين من واقع نشره واعتناقه ، لا تزدهر مبادئه ، ولا يربو عدد تابعيه الا فى ظل الامن والسلام . . .



كتاب "ميلاد الفرق في الاسلام" أو مدخل إلى دراسة الدين الاسلامي

تاليف : هنرى لاووس

عرض وتلخيص الدكتور محمد غلاب

مؤلف هذا الكتاب استاذ شهير فى الكليج دى فرانس ، وقد الف قبل هذا الكتاب دراسات عن الاسلام كـ « محاولة على المذاهب الاجتماعية والسياسة لابن تيمية » و « رسالة عن الحق العـــام عند ابن تيمية » وهى ترجمة مهمشـــة ل « السياسة الشرعية » تأليف ابن تيمية . و « عقيدة ابن بطة » و « الخلافة فى راى رشيد رضا » وهى ترجمة مهمشة ايضا لكتاب « الخلافة » لهذا الاخير .

وغاية هذا الكتاب الذى نحن بصدده الآن ــ كما يقول المؤلف فى تمهيده ــ هى ان يقدم الى الطلاب الجامعيين الغربيين ، والصفوة العقلية المتطلعة الى التثقف ، سفرا أكثر شمولا وتعمقا فى الفروع المتباينة ، وانواع الثراء الداخلى للاسلام الذى اصبح دوره عظيم الاهمية فى العصر الراهن ، الذى صار من الضرورى فيه أن تتبادل الاديان الكبرى فيما بينها علائق التفاهم والاحترام .

موضوع هذا الكتاب اذن هو تقديم عرض واف للاختلافات الداخلية التى وقعت بين مدارسه وشيعه التى يطلق عليها اسم « الاسرة العقلية العظمى » والتى اختفى كثير منها على مر الزمن ، ولكن عددا منها ــ ولا سيما اقدمها ــ قد برهن على حيوية قوية قمينة بمقاومة الزمن .

ولمـــا لم يكن من الممكن وجود عامل اقوى فى ابراز النشاط ، واستحقاق الاجلال والخلود من عامل التباين فى الآراء والاختلاف فى الفكر ، فقد كان من الطبيعى ان يكون موضوع هذا الكتاب الذى يهدف الى الكشف عن الثراء العقلى فى الاسلام ، هو ابانة هذه الاختلافات .

ولمـــا كانت هذه المذاهب وتلك الشيع ابعد ما تكون فى الاختلاف بينها ، فقد صح لدى المستشرقين ان يطلقوا عليها عنوان « الانشقاقات الداخلية او التشققات فى الاسلام » .

نبذ المؤلف منهج دراسة هذه الفرق مستقلة بعضها عن بعض ، بمعنى انه لا يعنى فيها الا بالتحليل وحده وسبر أغوار كل فرقة على حده سائرا على النظام التالي : اى السنية ، والخوارجيـــة ، والشيعية ، والاعتزالية ، والفلسفية ، والصوفية ، لأن من عيوب ذلك المنهج الذى نبذه انه لا يسمح للدارس بابراز علائق كل منها بالاخريات ولا بفهم الظروف التى احاطت بها ، ولا بايضاح الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما ، ولا بتحليل الاحداث السياسية والاجتماعية التى أحدقت بها . واذن فقد فضل المنهج التاريخى الذى سمح له بالنجاة من هـــذا المأزق ، وان كان قد الجأه الى تخصيص مكان واسع للتاريخ . ولذا يشير الى ان كل مذهب من تلك المذاهب الاســـلامية له جوانب سياسية واقتصـــادية واجتماعية ، لا يمكن فصلها فى سهولة عن مظاهره المذهبية . وهذا ناشىء عن انه لا ينبغى الاغضاء عن أن الناحيتين الروحية والمادية فى الاسلام مرتبطتان ارتباطا غير قابل للانحلال .

ولكى يكون هذا المنهج نزيها ومحايدا — كما يحدثنا المؤلف — يجب الا يصدر مبتدئا من مدرسة معينة يدرس الباقيات على ضوئها ولو كانت اكثرية او ظافرة بالرجحان ، بل هو يقتصر على دراسة الظروف والاوقات والبيئات التى نشأت فيها هذه المدارس وتطورت عبر التاريخ ، كما يعول فى دراسته على المؤيدات السياسية التى سندتها ، والخصوم الذين شوهوها أو هاجموها ، فاذا فرغ من هذا ، شرع فى تحليلها ، ووضع طوابعها التى تميزها عن سوابقها ولواحقها ، وابان زعماءها وعلماءها .

يتألف هذا الكتاب بعد التمهيد الذى أشرنا اليه آنفا — من احد عشر فصلا وخاتمة علمية تحليلية طويلة . فأما الفصول العشرة الاول ، فقد خصصها لدراسة الشيع والفرق مقترنة بتاريخ الخلفاء وآرائهم ، منذ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى نهاية القرن الثامن عشر . وأما الفصل الحادى عشر ، فانه يهجر فيه التاريخ نهائيا ويخصصه لتلخيص واف يحتوى أهم الحركات الدينية والسياسية والاصلاحية أو التطورية . وأما الخاتمة فهى تعنى على الاخص بالنقاط البارزة التى يحدث فيها الجدل من كل مذهب ، والتى تسفر المناقشات فيها عن اتفاقات جامعة ، أو اختلافات مفرقة . وقد اعتمد فى هذا كله على آراء علماء المسلمين الادقاء التى وردت فى كتبهم المعتمـــدة . ولم يعول فى هـــذه المناقشات على الباحثين الغربيين الا قليلا وفي كثير من التحفظ والاحتياط .

عرض سريع :

يبدأ مؤلفنا هذا العرض السريع بانه لا يكاد النبى صلوات الله عليه يلحق بالملأ الاعلى حتى تبدو مسوغات الانشقاقات ، وسر هذا كله هو اولا اختلاف الامزجة والاهواء والغايات بين الصحابة الذين انبجست منهم منابع الخلاف . ثانيا : سخط الذين آمنوا فى مبدأ الرسالة على من آمنوا اخيرا !! وكان الاولون يتهمونهم بالانتهازية ، بل وصل بعضهم الى حد القول بأن عددا من المسلمين الاخيرين لم يؤمنوا الا للفوز بالغنائم والمناصب ، ورغم هذا وضعوا فى صفوف السابقين ، وعلى نفس مستواهم بلا تفريق ولا تمييز !! ثالثـــا : تمرد البدو والمنقسمين على انفسهم فى الشمال والجنوب ، والذين كانوا حديثى عهد بالاسلام من جهة ، وساخطين على تقدم قريش عليهم فى الرياسات من جهة أخرى . غير أن قوة الخليفتين الاولين ، وحزمهما وايمانهما وشجاعتهما قد قضت على هذه الفتنة الاولى فى مهدها . على أن هذه الجهود الجبارة التى بذلها ذانك الخليفتان العظيمان لم تمنع بعض متأخرى الشيعة من مخـــالب الهررة التى حاولوا ان

يخدشوا بها تصرفاتهما الحكيمة فيما نقله مؤلفنا عن ابن تيمية وابن كثير ، كأن اخذوا على ابى بكر مثلا انه غاصب للخلافة فرضه عمر بن الخطاب على المؤمنين فرضا ، وانه اعتبر منع الزكاة ردة يستحق عليها فاعلوها القتل ، وقتلهم فعلا ، وانه ارتكن على حديث آحادى لم يروه الا هو ، فمنع فاطمة من ميراث ابيها . واسندوا الى عمر عدم تطبيق الحدود كما وردت عن الله ورسوله ، وانه منح عائشة وحفصة ابنته نفقات أكثر مما تستحقانه .

ولكن التشققات الحقيقية الاولى ، قد بدأت تكشر عن انيابها فى عهد عثمان وانتهت بقتله . ذلك الحادث الجلل الذى تسببت الاحكام المتباينة عليه — فيما بعد — فى اختلافات جسيمة من جانب اهل السنة والشيعة والخوارج . وعلى اثر ذلك فتحت مسألة خلافة الامام على كرم الله وجهه أبواب الانشقاق الاول ، وهو وجود عصبة الخوارج والاحكام التى صدرت عليها فى القرون التالية ، ونشأة الشيعة المغـالية التى رمى مؤسسوها الاولون بالزندقة ، ثم انتشار الشيعة بوجه عام وفى شىء من العنف بعد فاجعة كربلاء .

ثم يتابع المؤلف بعد ذلك دراسة نشأة الفرق الشيعية المختلفة على مر الزمن مع أحكام علماء الاكثرية لها أو عليها كالكيسانية ، والحربية ، والبيانية ، والباقرية ، والمنصورية . وكذلك نشأة المرجئة . ثم يستمر فى دراسة الخوارجية بأفرعها الثلاثة : الصفرية ، والاباضية ، والازارقة ومناضلاتها السياسـية والدينية ضد الامويين . ثم يحدثنا كيف أن خلفاء بنى أمية — بعد أن حطموا الشيعية والخوارجية — يهاجمون القدرية التى اسسها معبد الجهنى ، والجهمية التى اسسها جهم بن صفوان . ثم يصل بعد ذلك الى المعتزلة فيحدثنا أنها نشأت فى أواخر حكم بنى أمية ، وان مؤسسها هو واصل بن عطاء ، وأنها كانت فى اول أمرها مذهبية محضة قبل أن تختلط بالسياسة وتظفر بالاهمية العظمى ، وتتأرجح بين عواصف اهواء الخلفاء فى العصر العباسى . ولم تكن المعتزلة وحدها هى التى قاست أهوال الخضوع للخلفاء ، بل ان الشيعة أيضا قد كان لها معهم مواقف عنيفة ، فلم يكد الخلفاء الاولون من العباسيين ينتهون من القضاء على الامويين حتى تفرغوا للعلويين فصبوا جام غضبهم واضطهادهم على الشيعة عامة ، والزيدية خاصة . وليس هذا فحسب ، بل ان الفروع الشيعية التى نشأت بعد جعفر الصادق كالناوسية ، والموسوية ، والخطابية وغيرها من المذاهب والفرق التى نشأت فى ذلك العهد ، والتى كان تعددها وتعارضها سببا فى تكون المذهب السنى وتسميته بهـذا الاسم أملا فى العثـور على الصراط المستقيم الذى يقتاد أتباعه الى أهداف الرسول التى لم تشوهها البدع ، ولم تنل منها الاغراض . وكان من بين المؤسسين الاولين لهذه الجماعة تحت اسم « أهل السنة » عدد من تلاميذ الحسن البصرى ، وابن سيرين ، وأبو قلابة ، وأبو حنيفة ، ومالك بن أنس .

ولمـا ولى المأمون الخلافة اراد محو الشقاق بين العباسيين والعلويين بحجة أنهم جميعا هاشميون ، فدعاه ذلك الى رعاية الشيعيين وحمايتهم لأنهم انصار اهل البيت الهاشميين ، وقد سند الاعتزال ، وايد المعتزلة بكل ما لديه من قوة ، بل صار هو نفسه معتزليا مقتنعا قوى الشكيمة ، ولكن هذه المناصرة للمعتزلة جعلتها تطغى وتضطهد زعماء أهل السنة ، وعلى الاخص الامام احمد بن حنبل الذى يحدثنا ابن الجوزى أن الخليفة المعتصم قد امر بجلده وسجنه فجلد وسجن ، ولم يظفر بحريته الا بعد ثمانية وعشرين شهرا .

بيد أن هذا لم يدم طويلا ، اذ لم يكد الخليفة المتوكل يلى الحكم حتى جعل رد الفعل يظهر ويتجلى فى حياة اهل السنة فيستعيدون قوتهم ويكافحون ضد الشيعة والمعتزلة .

وليس هذا فحسب ، بل ان شأن هذه الجماعة جعل ينمو ويعظم . وفي ذلك العهد ظهر فيها عدد من العلماء حملوا لواءها بهيئة مشرفة ترفع الرؤوس ، وتسجل مواقف العقلية الاسلامية بأحرف الخلود كالترمذى ، والنسائى ، وأبى بكر الخلال ، وابى بكر السجستانى ، وعلى الاخص توجت أعمالها فى هـذه الحقبة بمنتجات أبى الحسن الاشعرى الذى كان مذهبه على قمة الاعتدال بين الحنابلة والمعتزلة ، والذى رفع نجاحه رأس أهل السنة خاصة ، وعلماء الكلام عامة . وقد ظلت الحال على هذا المنوال من التقدم ووفرة الانتـاج حتى تم الامر لأسرة البويهيين فى سنة ٣٣٤ هـ وجعل الخلفاء السنيون يضعفون شيئا فشيئا ، ويهبط معهم حظ أهل السنة من التلألؤ ، وكان الاشعرى قد توفى منذ سنة ٣٢٤ هـ .

وعند ذلك رفعت طوائف الشيعة رؤوسها لا سيما فرعى الاسماعيليين القرامطة ، والفاطميين الذين كان لهم فيما بعد شأن عظيم فى مصر ثم فى أصقاع الدروز ، ومعنى هذا أن جماعتى السنية والشـيعية المعتدلة فى مطلع حكم البويهيين كانتا قد وقفتا على أقدامهما . وكذلك الصوفية كجماعة محددة ، والفلسفة التى ان كانت قد تأثرت بالعناصر الاغريقية ، فانها لا تزال اذ ذاك فى داخل المحيط الاسلامى .

وفى منتصف القرن الرابع الهجرى استولى الفاطميون على مصر ونشروا فيها مذهبهم . وبهذا أحيط مذهب أهل السنة بعوامل المحاربة والاضعاف من كل جهة ، فالفاطميون فى مصر ، والبويهيون فى بغداد قد ضيقوا عليها الخناق ، ولم يبق لها ولى ولا نصير سوى السلطان محمود الغزنـوى . وفى أثناء هذا الاحداق الخانق من كل الجوانب هب السلاجقة السنيون واستولوا على بغداد فى سنة ٤٤٥ للهجرة ، فتنفس أهل السنة الصعداء ، وجعلت مدارسهم تنتعش . ولهذا كان القرنان الرابع والخامس ساطعين فى المعارف الدينية بأنواعها : فمن أهل السنة ظهر أبو بكر الآجرى ، وأبو حسين الملطى ، وابن بطة العكبرى ، وأبو بكر الباقلانى ، والحاكم النيسابورى ، وأبو منصور البغدادى وامام الحرمين الجوينى ، والامام الغزالى . ومن المحيط الشيعى برز الشيخ المفيد ، والشريف المرتضى ، وأبو جعفر الطوسى فى الشرق ، وابن حزم فى الغرب ، وكان فى عصره أقوى المدافعين عن المذهب الظاهرى .

وعندما هزم الايوبيون الفاطميين فى مصر وسوريا زادت قوة أهل السنة واخذ نجمها فى الصعود ، فظهر ابن الجوزى الذى يعتبر كتابه « تلبيس ابليس » موسوعة جامعة لكل المذاهب المغالية والشيع المتطرفة التى نبذها أهل السنة وهاجموها مهاجمات تتفاوت عنفا ولينا بتفاوت ابتعادها فى رأيهم عن مبادىء الدين .

وفى أواخر ذلك العصر ازهر امام العارفين محيى الدين بن عربى ، وكان متمتعا برعاية الملك الاشرف الايوبى فى دمشق تلك الرعاية التى انبثق منهـا هدوؤه الصـافى الذى سمح له بتسـجيل تلك النفحات القدسية فى كتاب « الفتوحات المكية » .

بيـد انه لم يكد القرن السـادس الهجرى ينتهى حتى تغيرت الظروف والاجواء ، فجعل الخلفاء العباسيون الثلاثة : الناصر ، والظاهر ، والمستنصر يحسون بشـدة الضيق من السـلاجقة ، ويفكرون فى التخلص منهم ، وقـد اضطرهم هذا الى الاستعانة عليهم بوزراء شيعيين دون أن يلتفتوا الى مذاهبهم الدينية ما داموا سيحققون لهم أغراضهم السياسية . ولما تولى الخليفة الضعيف المستعصم ، لم يستطع أن يقاوم غزو المغول الذى لم يكد يتم حتى اعتنق الغزاة

مذاهب الشيعة وتحولوا الى جانبهم ، فملا نجمهم ، وقويت شوكتهم . ولكن سلاطين المماليك السنيين — بعد أن انتصروا على فلول الايوبيين فى مصر وسوريا — اخذوا يكافحون الشيعية المغولية المنتشرة فى بغداد ، وجعلوا يناصرون المذهب السنى حتى استعاد حيويته وانتعاشه فى القرون الاربعة : من السابع الى العاشر .

ومما ساد فى عصر المماليك بعث الحنبلية الذين كانوا مضطهدين فى بغداد فى عهد المغول ، وقد مثل هذا البعث على الاخص ابن تيمية الذى كافح — بمنتجاته القوية فى القاهرة ودمشق حتى وفاته — ضد اسلام المغول المشتبه فيه من اساسه ، وضد الشيعة والمبتدعة ، والباطنية ، وضد المتكلمين عامة ، والاشاعرة خاصة .

وفى نهاية الربع الاول من القرن العاشر الهجرى ، تم للعثمانيين الاستيلاء على مصر بعد أن شنقوا طومان باى آخر سلاطين المماليك ، وفى هذه الفترة عينها حاربوا الشيعة حتى هزموها فى شخص الشاه اسماعيل الذى كان قد جمع حوله الايرانيين والعراقيين والمغول . وبعد ان انتصر السلطان سليم على الشيعة من جهة ، والمماليك من جهة أخرى ، وفاز بسبب هذا ، بلقب السلطان السنى الاقوى فى العالم الاسلامى ، بل أعلن أنه أصبح الوارث العملى للخلافة غير أن النضال ضد اسرة الشاه اسماعيل قد استمر بحظوظ مختلفة ونتائج متباينة . ولم ينقطع الا فى القرن الثانى عشر الهجرى حين عقد نادر شاه معاهدة السلام مع العثمانيين سنة ١١٦٠ هـ .

وفى عهد المماليك والعثمانيين السنيين ، نلتقى بعدد من المتكلمين المتأخرين، والمؤرخين المحققين كعضد الدين الأبجى مؤلف كتاب « المواقف » الذى شرحه الجرجانى ، والدوانى ، وكتاب « العقائد العضدية » الذى همش عليه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكتاج الدين السبكى مؤلف « طبقات الشافعية » : وابن خلدون ، والمقريزى ، والسيوطى الاشعرى الشافعى الشاذلى المؤرخ المعروف ، وأبى البركات النسفى الماتريدى الحنفى مؤلف كتابى « العمدة » و « الكنز » . وقد اعتمد فى تأليف هذا الاخير على كتاب « الهداية » وسعد الدين التفتازانى شارح كتاب نجم الدين النسفى الماتريدى .

وبهذا ينهى مؤلفنا الفصول العشرة الاول من كتابه التى لخصناها تلخيصا عاجلا ، بل خاطفا ، ولم نكد نرسم منها سوى خطوطها العريضة التى دلت على سعة اطلاع داعية للاعجاب بهذا المؤلف المثقف الدقيق النزيه . .

غير أن هذا العرض السريع لم يمنعه من أن يخصص جانبا عظيما من الاهمية للسنية والشيعية المعتدلة ، ولكن ذلك التمييز من جانب المؤلف لم يكن بعنوان السلفية بل بسبب أهميتها من وجهة أن زعماءهما من اكبر علماء الاسلام . وأن اتباعهما هم الاكثرية الغالبة من المؤمنين ، وأنهما كانتا دائما دين الدولة الرسمى على التوالى ، او متعاصرتين فى هذه المنزلة الرسمية فى أمتين مختلفتين من الامم الاسلامية . وقد دفع هذا الاعتبار مؤلفنا الى الاحساس بهذه الضرورة العلمية ، وهى ابراز آراء اكبر علماء الاسلام من هاتين الطائفتين كل منهما فى الاخرى على التبادل ، ثم معرفة آرائهم فى المذاهب الباقية . ولما كانت كل طائفة من هاتين الطائفتين تضم بين دفتيها شيئا كثيرة وفرقا متباينة (تنقسم أمتى الى اثنتين وسبعين فرقة) فقد تباينت أحكام كل فرع من كل طائفة على الاخر من اتباعها وخصومها . وقد اعتمد مؤلفنا — فى فهمه وتحليله واحكامه — على أمهات كتب هذه المذاهب وأساسياتها الرئيسية ، وكتب التاريخ الموثوق بها مثل : (كتاب السنة) لأحمد بن حنبل و (منهج السنة النبوية) لابن تيمية ، و (تلبيس ابليس) لابن الجوزى ، و (أصول الدين) لعبد القاهر

البغدادى ، و (الفرق بين الفرق) لنفس المؤلف ، و (مقالات الاسلاميين) للأشعرى ، وكتاب (الفصل) لابن حزم ، و (الطبقات الكبرى) لابن سعد ، و (الملل والنحل) للشهرستانى ، وكتاب (الخطط) للمقريزى ، و (الخطط) لابن الأثير ، و (تاريخ الامم والملوك) للطبرى ، وكتاب (الارشاد) للشيخ المفيد ، و (منهاج الكرامة فى معرفة الامامة) لجمال الدين الحلى ، و (فرق الشيعة) لحسن بن موسى النوبختى ، و (فهرست كتب الشيعة) لأبى جعفر الطوسى ، وكتاب (طبقات المعتزلة) لابن المرتضى . وكثير غير هذا من المصادر الاسلامية والاوروبية التى يعتبر مؤلفوها من أعيان الباحثين كـ (ماسينيون) و (عنرى كوربان) و (رينيه بلاشير) و (بروكيلمان) و (دونالسون) و (نادير) وما الى ذلك مما يؤلف مجموعة محترمة من المستندات المذهبية والتاريخية المعتمدة التى سمحت له بأن يجرى تحليلات دقيقة لعلماء المسلمين البارزين كالغزالى ، وابن حنبل ، وابن تيمية ، وجمال الدين الحلى .

ومما يلفت النظر فى هذه الدراسة ان المؤلف هنا قد عنى بمذهب اهل السنة عناية فائقة يبدو من خلالها امتياز هذه الطائفة ورجحانها على بقية الطوائف الاسلامية ، فخصص لها مكانا واسعا فى كتابه تناول فيه نشأتها وطرفيها : السلبى والايجابى اللذين وضعهما لها مؤرخو الحركة العقلية الاسلامية الذين وصفوها فى النظرة الاولى بأنها تنبذ جميع المذاهب التى شققت الاسلام قبل تكونها ، وصوروها فى النظرة الثانية مرتبطة بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة والاجماع المعتبر احكم انواع الارتباط . ويستنبط المؤلف من هذا أن من العناصر الرئيسية التى هيأت الانتصار الرائع للسنية على جميع الفرق عنصر ذلك الوضع المعتدل بين الشيعة والخوارج . ومن هذه العناصر أيضا الواقعية السياسية التى تأمر بطاعة السلطات الحاكمة ما دامت لا تأمر بعصيان الله ورسوله « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . ومن ذلك ايضا الاغضاء عن جميع الانشقاقات التى وقعت بين الصحابة ، أو تصغيرها ، أو تصيد الاعذار لفاعليها بقدر المستطاع . ومن هذه العناصر كذلك اعتبار الخلفاء الراشدين الاربعة شرعيين ، وقبول من جاءوا بعدهم من خلفاء المسلمين وامرائهم مهما قيل فى شأنهم . وقد جعل هذا العنصر الاخير اهل السنة جديرين حقا باسم مذهب (جمع الامة الاسلامية) . ولكى توفق هذه الجماعة بين الآراء الداخلية لدى طوائفها الفرعية اقرت مذهبى اهل الحديث واهل الراى ، ذلك الاقرار الذى لا ادرى لماذا يطلق عليه مؤلفنا — وهو دقيق معتدل — اسم الوسيلة التى تشوبها الصناعة قليلا . وكان ينبغى له أن يسميه بالوسيلة الحكيمة او السياسة الرشيدة . ومن آيات استحقاق هذا الاقرار للرشاد والحكمة ما انتجه من ثمار مفيدة خالدة .

ومهما يكن من الامر ، فان الدور الذى مثله اهل الحديث واهل الراى وكل ما يتصل بهم على مر الزمن من قريب أو من بعيد والخلفاء او السلاطين الذين كانوا ينعطفون نحو المذهب السنى ، والاهمية التى ظفر بها مذهب اهل السنة ، كل ذلك قد فاز بنصيب الاسد من عناية مؤلفنا .

وتلى هذه المنزلة عنده منزلة الشيعة المعتدلة ، اذ يعنى بقيمة زعمائها العقلية والعلمية وبنضالهم القوى ضد غلاة الشيعة ، وضد جميع الفرق التى احدثت تشققات فى الصفوف الاسلامية ، او فتحت ثغرات فى الأمة .

وبعد هاتين المنزلتين العظيمتين ، وضع مؤلفنا المعتزلة الذين صاروا — منذ عهد المأمون وخلفيه المعتصم والواثق — على راس مدارس علم الكلام . وفى الحق أن هذه الطائفة من المتكلمين الممتازين ، قد طبعت العقلية الاسلامية بطابع قوى سواء اكان ذلك عن طريق التأثير المباشر ام عن طريق رد الفعل الذى تولد

من مجادلاتهم فيما بينهم من جهة ، وما وقع بينهم وبين غيرهم من جهة أخرى . وقد خصص المؤلف فى كتابه دراسة تحليلية هامة لمبدأ الحركة الاعتزالية ولمؤسسها واصل بن عطاء . وقد تتبع هذه الحركات عبر التاريخ الاسلامى مسجلا اهم الاحكام التى صدرت لهم أو عليهم من أعاظم العلماء السنيين والشيعيين ، وقد اهتم على الاخص بمبادئهم الاساسية وقواعدهم الخمس التى اتفقوا عليها والتى وصفها بأنها قد احتلت المنزلة الاولى فى المجادلات الاسلامية . وبعد ذلك علق على هذه الدراسة التحليلية النزيهة بأن المعتزلة هم مع الفلاسفة ، ابرز فرق المسلمين التى استرعت انتباه الباحثين الاوروبيين وشغلت من مؤلفاتهم عددا وفيرا .

واخيرا خصص مكانا واسعا من كتابه للصوفية وابان كيف أن التصوف — بسبب انبثاق اصوله من الاسلام — كان موضع القبول الذى لا مشاحة فيه ، بل كان فى مرتبة الحب والرعاية والثقة والدعاية من اتقياء المسلمين وأذكيائهم . ولكن هذه الخطوة قد تبدلت عندما خضع التصوف للتأثيرات : الهندية ، والفارسية ، والاغريقية . وقد عنى مؤلفنا — فى هذا الموقف كما فى غيره — بتسجيل الاحكام التى دانت التصوف عن دقة وتثبت حينا ، وعن سطحية وقشورية حينا آخر ، وعن اهواء نفسية ، واغراض فردية حينا ثالثا .

الحركات التطورية :

أسلفنا أن الفصل الحادى عشر قد عنى بالحركات التطورية منذ القرن الثامن عشر حتى الان ، فعرض للوهابية وابرز جانبا واضحا من حرص زعمائها على مزج الاسرة السعودية بالمذهب الوهابى حتى جعلوا منهما وحدة لا تتجزأ .

وكذلك لخص ما يدعى « بعصر التنظيمات » فى تركيا . ثم بسط الحديث عن السيد جمال الدين الافغانى ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا ، ثم عرض للحركة المهدية فى السودان حيث يرى أثر الاستعمار البريطانى بارزا ملموسا ، ويشاهد انقلاب الفتن الانجليزية ضد صانعيها ، وانتصارهم حينا ، وانهزامهم احيانا .

وبعد ذلك يقف هنيهة عند السنوسية فيشرح ميولها وحركاتها الدينية الممتزجة بسياسة الانعزال عن التيارات الاوروبية .

وعلى أثر انتهاء المؤلف من افريقيا يعود الى آسيا ، ويعرض للهند فيدرس فيها الحركات الدينية والسياسية التى لا يفوته ان يسجل أنها لم تدرس كما ينبغى ، وأن الباحثين الغربيين لم يمنحوها ما تستحقه من العناية . ومن هذه الحركات مثلا حركتا الفرائضية ، والمجاهدية ، وهما كلتاهما ضد الاستعمار الانجليزى ، وحركتا البهادرية التى يتزعمها السيد سيد احمد خان بهادر ، والاحمدية التى كان يقودها ميرزا غلام أحمد ، وكلاهما من مؤيدى الاحتلال الانجليزى . ولذا كان اكثر ابتداعاتهما خارجا على الاسلام السنى .

وبعد أن يفرغ من هذه الحركات يلقى نظرة فاحصة على حركات : الشيخية التى يتزعمها الشيخ الاحسائى ، والبابية التى يراسها السيد على محمد الشيرازى الملقب بالبابى ، والتى كان لها تاثير سياسى بارز ، وتركت وراءها انتاجا ادبيا رائعا ، والبهائية التى اسسها ميرزا حسين على نورى تلميذ البابى . وهذه الحركات الثلاث الاخيرة متفرعة عن الدوحة الشيعية .

ونحن نرى — بعد القراءة المتمعنة المستانية — انه كتاب قيم جدير بالتداول والتشجيع ، بل نرى وجوب ترجمته لا لنظرته العميقة فى الاسلام وتاييده اياه ، وتادبه الفائق مع علمائه الاقدمين فحسب ، بل لأن مجرد الاطلاع على المراجع الاصيلة التى يسجلها يشعر كثيرا من مثقفى المسلمين النزهاء الحساسين بالخجل العميق لأنهم لم يروها قبل استعراضهم هذا السفر الجليل .

السيدة أسماء

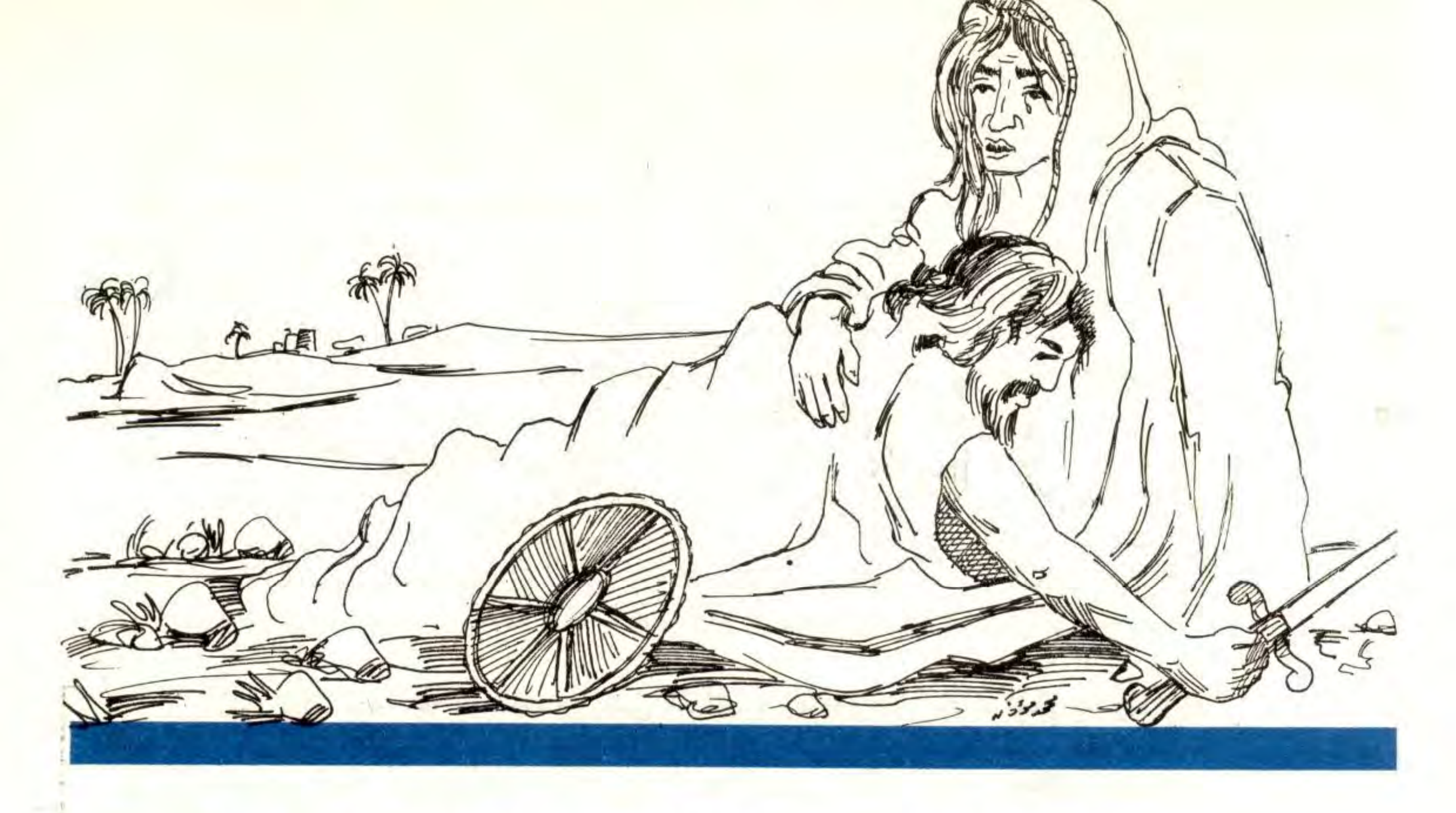
للأستاذ: محمد لبيب البوهي

دار دولاب الأيام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وقد أتم الله نعمته على الناس ، وارتضى لهم الاسلام دينا ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وامتلأت عدلا وفضلا وعلما ، وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار مولاه الكريم ، ولحق به بعد ذلك أبو بكر ، ثم عمر ، ثم بقية الراشدين ، وتقف بنا الأحداث عند سيدة مؤمنة فاضلة هى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وعن أبيها وعن كل المؤمنين والصالحين الى يوم تقوم الساعة .

ذات النطاقين

وأسماء هى صاحبة القصة المعروفة يوم الغار ، اذ ضربت المثل الأعلى فى الشجاعة فى حادث الهجرة يوم كانت تحمل الطعام الى النبى صلى الله عليه وسلم وأبيها اذ هما فى الغار ، وكانت من الذكاء بحيث أدركت بأن قدميها ستتركان أثرهما على الرمال حين تسير ، فيعرف المشركون المكان ، فكانت تأخذ معها خادما لها يرعى الغنم ، وتسير بحيث تجعل الأغنام من خلفها ، فتطمس الأغنام معالم قدميها ، وقد شدت الى كتفيها اناءين بحزام لها هو نطاق قد شقته ، فجعلته شطرين ، ولذلك سماها النبى صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين ، وهى التى وضعت بعد الهجرة أول مولود يولد فى الاسلام هو عبد الله بن الزبير الذى حملته حين وضعته الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتناوله بيديه الشريفتين ثم قبله ، ودعا له بالخير .

هذه مقدمة يسيره عن أسماء ، لندخل بعد ذلك الى بعض الأحداث التى أشرقت فيها فضائل هذه السيدة الكريمة ، فقد كانت قد نيفت على المائة من عمرها ، وما زالت تجلس لتعليم المؤمنين الذين كانوا يأتون الى حلقة درسها من كل فج عميق ، فقد كانت فى شيخوختها مصباحا منيرا من مصابيح العلم ، وامتحنتها بعد ذلك الأيام بأقسى ما تمتحن به امرأة وأم .



ذلك انه لما تولى معاوية الثانى امر الخلافة ، لم يرض عنه اهل الحجاز ، وأسرعوا الى عبد الله بن الزبير وهو ولد السيدة اسماء ـ يبايعونه فى مكة ، لما يعلمون من علمه وورعه ، وعجز الأمويون عن اخضاع عبد الله ، فحاربوه فأرسل عبد الملك بن مروان قائد جيوشه الحجاج بن يوسف على راس جيش كبير ، فحاصر مكة ، وذهب يضربها بالمنجانيق ، وهى أشبه ما تكون بالقنابل تصنع من الحجارة ، فتوضع فى المقاليع الهائلة ، ويرمى بها الناس والدور ، وذهب الحجاج يلتمس من أنصار عبد الله ضعاف النفوس ، فيغريهم بالمال الكثير ، والجاه العريض ، والضعف فى كل زمان ومكان كائن فى الناس ، والشيطان يغوى هؤلاء بالعاجل من زينة الحياة وترفها ، ويهون لهم ما يكون من شأن الخيانة وعاقبتها ، ويلتمس لهم من ذات أنفسهم أسبابا ينيم بها ما قد يكون هناك من بقايا الضمير ، فانفض عن عبد الله انصاره أو أكثرهم ، وبقى وحيدا أو شبه وحيد ، يلوذ بالحرم ، يسأل الله من هذه الفتنة النجاة .

وعلمت امه العجوز أسماء بمأساة ولدها عبد الله ، وما هو فيه من شدة وبلاء ، وانصراف أعوان ، ووقوفه فى مواجهة الشر الكبير وحيدا .

وكانت الأم حينذاك فى المدينة ، فأسرعت بالسفر الى مكة ، تتحامل على ضعفها ، وفى قلبها ما يكون فى قلوب الأمهات من الهم والغم ، والاشفاق على ولدها الذى لا تدرى أتصل الى مكة فتراه حيا ، أم تكون سيوف الفتنة قد ناشته من كل جانب ، وأذاقته كأس المنايا ، فلا يقدر لها ان تراه .

وأسرع اليها الحجاج يطلب اليها أن تطلب الى ولدها تسليم نفسه ، وسيضمن له حينذاك العفو والعافية ، وتركها على هذا الرجاء تذهب الى ولدها فى مكانه من داخل الحرم .

وشدت من قامتها حتى علت على الأحداث . وتصاغرت الدنيا تحت قدميها ، وتداخل بعضها فى بعض ، وتركت كل شىء جانبا ، وأمسكت قلب الأم بقبضة من حديد ، ونحت كل عاطفة جانبا لتشد من أزر ولدها بما يجعله يواجه الدنيا والأحداث والفتن بروح المؤمن الذى لا يساوم فى الحق ولا يلين .

لقد لقيها عبد الله قرير العين ، وأسرع فدفن وجهه فى صدر الأم الحنون ، وشعر بدفء الحياة والأمن فى أحضان الأمومة ، ثم أخذ بيدها ، وأجلسها الى جانبه ، وراح يلتمس منها نصحا ، فقال رضى الله عنه : « يا أماه لقد خذلنى الناس حتى من كان منهم من خاصة أهلى ، فلم يبقى معى الا الله ، وها هى ذى جيوش الحجاج تحاصرنى ، وان قوتى لن تقوى على مواجهة بأسهم ، وان رسل الحجاج وعبد الملك يصلون الى تباعا يعرضون على أقصى ما يتمنى المرء من رغد ودنيا ونعيم ، ويضمنون لى الأمن والعافية والسلامة .

ونظرت الأم المحطمة القلب ، الملتاعة الفؤاد الى ولدها ، واطرقت رأسها ، وظن انه لمس وترا من قلبها ، وأنها ستوصيه بما توصى به كل أم فى مثل هذه الساعة ، وهى تتمنى لودها العافية والنجاة .

وطال صمتها ، واربد وجهها ، وارتعشت شفتاها ، وهبت بعد ذلك واثقة كالطود ، واخذت تمسح راس ولدها فى عطف ومودة ، فأسرع مرة اخرى ، ولاذ برحاب حنانها وعطفها وبرها ، يلتمس آخر ما فى الوجود من قطرات الحنان ، وجاءه صوتها هادئا قويا وقورا مستأنيا تشرق كل حروفه بنور الايمان ..

اى ولدى عبد الله . تلتمس منى الراى والمشورة !؟ انك اعلم يا ولدى بنفسك فان كنت على حق ، واليه تدعو فقد قتل على الحق أصحابك ، فلا تمكن من نفسك بنى أمية ، وان كنت انما تريد الدنيا فبئس العبد أنت ، اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك .

وعاودت تمسح راسه فى رفق ، ثم ودعته بنظرة تتصارع فى وميضها اقصى ما عرفته البشرية من حنان وحب ، وهى تدرك انها تودع أحب الناس فى الدنيا الى قلبها ، لا تودعه وداع السلامة والنجاة من الأحداث ، وانما تودعه وهى تلقى بقلبها الى سيوف الطغيان .

لقد تصورت دماء الولد العزيز تترقرق تحت لحيته ، تحت ضربة منتظرة من سيف أحمق مجنون ، فشدت من جفنيها حتى تحبس الدمع بارادة لم تعرف لها الدنيا مثيلا ، وانصرفت وهو ينظر اليها ، وكانها تعلو بقامتها ، وتعلو فوق هضاب مكة وفوق الدنيا باسرها ، واخذ ينظر اليها قبل ان يتوارى شبحها ، وفى اذنيه طنين يملأ عليه رحاب نفسه « لقد قتل على الحق اصحابك ، فلا تمكن من نفسك بنى أمية ، وان كنت تريد الدنيا فبئس العبد انت ...

وصرخ صرخة ارتجت لها أعماق نفسه ، وأسرع من خلفها يصيح بجماع قلبه وروحه وايمانه ، رحماك يا أمى رحماك ... لبيك ربى لبيك .. وحمل سيفه وحيدا ، وتقدم ليلقى سيوفا ظامئة منذ بعيد الى دمه ، فتوقفت أمه لتراه فى معركة لا أمل له فيها . **توقفت الأم لترى السيوف تناله من جميع انحائه حتى سقط امامها ، فانحنت تقبله ، ولم تزل تضمه الى صدرها حتى أمر الحجاج ان تنحى ، وان تعلق جثته اياما ثلاثة فى مكة عبرة للآخرين .**

وظلت فىمكانها أمامه لم تبرحه ، وكان حديثا صامتا تعجز عن فهمه الدنيا يدور بين روحه وروحها من وراء عالم الفتنة ودنيا الناس ..

كانت عيناه مفتوحتين ، وكأنه يريد أن يعبر بهما تعبيرا يلمس به قلبها . ويلتمس رضاها ، ويشكرها على برها ونصيحتها ، ويطمئنها على ايمانه ، ويبشرها بما لقى هناك .

تباركت يا أماه فهل انت راضية ؟ لقد محضتنى خير نصح يا أماه ... فما دنيا الحجاج !؟ وما دنيا بنى أمية !؟ وما دنيا الناس جميعا بازاء ما يلقاه فى سبيل الحق شهيد ؟!!



في الايــــلاء

قلت لزوجتي (تحرمي على لمدة اربعين يوما) ولا اقصد الطـــلاق ورجعت اليها وعاشرتها معاشرة الازواج بعد أسبوع من اليمين . فما حكم الشريعة .
(ن . ع — وزارة الكهرباء والماء — الكويت) .

الاجـــابة :

الحلف على تحريم الزوجة المدة المذكورة يعتبره بعض الفقهاء من قبيـــل الايلاء وبعض الفقهاء يرى أن أقل مدة الايلاء أربعة أشهر ، وبناء على ذلك لا يكون قوله المذكور ايلاء .

وبما أن السائل قرر انه لا يقصد به طلاقا — فعلى رأى من يقول انه ايلاء فيكون حنثه في يمينه خيرا قال عليه السلام : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه ، وليأت الذى هو خير ، ويجب عليه كفارة اليمين . وهى اطعام عشرة مساكين يوما أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة وعلى رأى من يقول ان القول المذكور لا يعتبر ايلاء يكون قوله من قبيل الكنايات ، وحكم ذلك أنه لا يقع به يمين الا بالنية وما دام لم يقصد طلاقا فلا يقع به شيء ولا كفارة عليه .

الحج عن الغير

شخص مقيم في الاراضى المحتلة التى اغتصبتهـــا اسرائيل ولا يستطيـــع الخروج منها منذ مدة طويلة وهو مسلم بلغ من العمر أكثر من تسعين عاما . فهل يجوز لابنه أن ينيب عنه في الحج ويسقط عنه بذلك فريضة الحج .
(عبد الله تدوم) .

الاجـــابة :

الحج من الاعمال التى تقبل الانابة عند الأحناف والشافعية والحنـــابلة ولا تقبل الانابة عند المالكية .

وبما أن الشخص المسئول عنه يعتبر زمنا لكبر سنه فضلا عن عدم تمكنه من تأدية فريضة الحج فيعتبر عاجزا عن أدائه ومن أسباب العجز كبر السن ومنها أيضا وجوده في مكان لا يستطيع الخروج منه ، فيجـــوز لابنه أن ينيب عنه من يحج عنه ، باعتبار أن ذلك من قبيل البر بالوالدين والاحسان اليهما قال تعـــالى « وبالوالدين احسانا » .

واذا حج عنه فيسقط فرضه — ويرى الحنابلة أنه لو قدر على الحج بعـــد ذلك فلا يلزم بأدائه مرة أخرى — ويشترط في النائب أن يكون قد حج الفرض .

حج الصبي

رجل يريد الحج ومعه ابنه الصغير وعمره سنة . فماذا يفعل له من أعمال الحج وهل ينوى عنه الاحرام ويطوف عنه .

(ف — ق — الكويت) .

الاجـــابة :

من شروط وجوب الحج البلوغ فلا يجب على الصبى ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة لقوله عليه السلام : (أيما صبى حـــج عشر حجج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام) . والصبى غير المميز لا يصح منه الاحرام ولا مباشرة أى عمل من أعمال الحج ، ولكن الولى يحرم عنه ، وعليه أن يحضره المواقف ، فيطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة .

وفى الحديث : أن امرأة أخرجت صبيا من محفته وقالت يا رسول الله هل لهذا حج ، قال نعم ولك أجره .

ويتبين مما سبق أن مثل الطفل المذكور لا يصح منه الاحرام ولا مباشرة أى عمل من أعماله ، ويحرم عنه الولى ويحضره المواقف ويطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة ولكن لا تسقط عنه الفرض حين يصل سن التكليف وهو البلوغ .

فى النكـــاح

زنا رجل بامرأة وولدت بنتا من مائه . فهل يصح للزانى الزواج من هـــذه البنت ؟

(حسين عبد الله حسين / قطر) .

الاجـــابة :

يقول أبو حنيفة : ان من زنى بامرأة أو لمسها أو نظر الى العضو المخصوص منها بشهوة ، ترتب على ذلك حرمات المصـــاهرة ، فيحـــرم على الزانى التزوج بفروع المزنى بها ، وبأصولها وتحرم المزنى بها على أصول الزانى وفروعه .

ويقول الشافعية : أنه يجوز للرجل أن يتزوج بنته المخلوقة من مائه زنا لأن ماء الزنا لا حرمة له ، ولكن يكره له نكاحها .

ويقول المالـــكية : ان البنت المتخلقة من ماء الزانى فى تحريمها خلاف ، والمعتمد الحرمة .

ويقول الحنابلة : ان وطء الزنا يثبت به حرمة المصاهرة على الصحيح من المذهب ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها وحرمت على أبيه وابنه .

وواضح مما سبق أن الأحناف والحنابلة والمالكية يحـــرمون على الرجـــل التزوج من بنته المتخلفة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .

التزوج من بنته المتخلقة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .

وبناء على هذا نفتى بأنه لا يجوز لهذا الرجل أن يتزوج من بنته من الزنا .

فى الميراث

توفى شخص عن :

زوجتين ، وثلاثة أخوة لام ، وأخ من أب .

فما نصيب كل وارث ؟

(م . ع . ج ـــ طالب بمعهد الامامة بالكويت)

الاجـــابة :

بوفاة شخص عن زوجتيه وثلاثة أخوة لام وأخ لاب ، يكون توزيع التركة بينهم على الوجه الآتى :

للزوجتين الربع مناصفة بالتساوى بينهما فرضا لعدم وجـــود فرع وارث للمتوفى ، وللأخوة للأم الثلث فرضا مثالثة بالتســـاوى بينهـــم ، لا فرق بين ذكر وأنثى ، والباقى للأخ لأب تعصيبا ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين ان كانا .



يا حاج

من أدى فريضة الحج في ديارنا يضاف الى اسمه تشريفا وتعظيما لقب (حاج) فيقال مثلا : يا حاج ، أو الحاج فلان ، أو الحاجة فلانة ، فهل يجوز هذا في الاسلام .

(رمضان ارسلان بابا) .
مفتي دارنده ــ تركيا

ونجيب الاخ الكريم بأن هذه عادة مستحدثة لم تكن معروفة في عصر الرسول الكريم ، ولا في عهد الخلفاء الراشدين ، ولا زمن الائمة الاربعة ، وانما درج عليها كثير من المسلمين في العصور المتأخرة ، وقد ذاعت وشاعت ، فأصبحنا نسمعها في لغة التخاطب بين الناس ، ونقرؤها في الرسائل ، ونطالعها في الصحف في اعلانات التهاني والوفيات ، بل نراها في بعض البطاقات الشخصية ، وقد اتخذ بعض الناس هذا اللقب وسيلة لتملق الحكام والرءساء ، أو للتباهي والتفاخر وكثيرا ما نجد هذا اللقب متبوعا بالاسم منقوشا بخط جميل على الحجارة أو الواح الرخام في واجهة بعض المساجد او المنشآت الخيرية ، أو القبور مثل : انشأ هذا المسجد ولي النعم جناب الوالي الحاج .. أو افتتحت هذه المدرسة في عهد السلطان الحاج .. أو أنشيء هذا السبيل صدقة على روح الحاجة .. أو هذا قبر المرحوم الحاج .. وهكذا .

وقد شاهدت بنفسي بعض الذين أدوا فريضة الحج يغضب على محدثه أشد الغضب اذا جرده من هذا اللقب ، ولم ينعته بهذا النعت ، بل انه ليذهب في دفاعه عن لقبه (الحاج) وحرصه على أن يضاف الى اسمه ــ الى القول لمن جرده منه بأنه تكبد مشقة السفر الى الارض المقدسة ، وانفق أموالا طائلة في أداء هذه الفريضة . كأنه انما سافر وأنفق ليشترى لقبا لا ليؤدي فريضة من فرائض الله التي أوجبها على عباده القادرين .

وفريضة الحج كأي فريضة من فرائض الاسلام يؤديها المسلم طاعة لله عز وجل في اخلاص ورجاء للقبول دون اعلان ولا مباهاة ، ومثل هذه الفريضة مثل سائر الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة ، فكما لا يقال يا مصل أو يا مزك أو ياصائم فكذلك لا ينبغي أن يحرص الحاج على أن يلقب بهذا اللقب .

المصاحف العثمانية

ويسأل الاخ أبو فارس من درعا ــ بسوريا ــ عن عدد المصاحف العثمانية ، وعن الموجود منها الآن .

وأحب قبل الاجابة عن سؤال الاخ ان اشير الى ان جميع المصاحف المعتمدة المتداولة الآن فى جميع الاقطار — هى مصاحف عثمانية بمعنى أنها موافقة تمام الموافقة للرسم العثمانى الذى كتبت به المصاحف فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأقره عليه جميع الصحابة الموجودين فى عصره .

والثابت أن هذا الخليفة الراشد جمع القرآن الكريم من الصحف فى مصحف واحد سماه المصحف الامام ، واحتفظ به لنفسه ، وأمر بنسخ عدد من المصاحف على نسقه تكفى حاجة الامة ، وارسل هذه المصاحف الى الاقاليم الاسلامية ، وانفذ مع كل مصحف حافظا ثقة يقرىء أهل الاقاليم ويلقنهم القراءة والنطق الصحيح الموافق لقراءة أمين الوحى جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتف سيدنا عثمان بارسال المصاحف فحسب اذ أن المعول عليه فى نقل القرآن الكريم هو السماع والتلقى ، لا مجرد القراءة والمطالعة .

وقد روى أنه رضى الله عنه استبقى بالمدينة المنورة مصحفا غير مصحفه الخاص ، وأمر زيد بن ثابت أن يتولى قراءة القرآن لأهل المدينة ، وبعث عبد الله ابن السائب مع مصحف الى مكة ، وأنفذ المغيرة بن شهاب الى الشام مع مصحف الشام ، وأرسل الى الكوفة مصحفا مع الحافظ أبى عبد الرحمن السلمى ، وسير عامر بن عبد الله القيس الى البصرة مع المصحف البصرى .

وبهذا يبلغ عدد المصاحف التى استنسخها سيدنا عثمان ستة : المصحف الامام الخاص به ، والمصحف المدنى العام ، والمصحف المكى والمصحف الشامى ، والمصحف الكوفى ، والمصحف البصرى .

وقيل انه رضى الله عنه ارسل مصحفا سابعا الى البحرين ، وثامنا الى اليمن ، وينقل أنه بعث مصحفا الى مصر .

ولا يوجد دليل قاطع على وجود شىء من هذه المصاحف الآن ، ويرجح العلماء أن المصحف الموجود ، الآن فى خزانة الآثار النبوية بالمسجد الحسينى فى القاهرة منقول عن المصاحف العثمانية وليس واحدا من المصاحف التى استنسخها سيدنا عثمان .

المساجد في الكويت

ويستفسر الأخ عبد الله العبد العزيز من الكويت فى رسالته عن عدد مساجد الكويت وتاريخ بنائها وأسماء مؤسسيها ، وقد أجاب عن سؤاله فضيلة الشيخ عبد الرحمن الفارس مدير ادارة شؤون المساجد فقال :

عدد المساجد بدولة الكويت (٢٢٥) مسجدا منها (٥٣) مسجدا بمدينة الكويت (محافظة العاصمة) و (٣٩) مسجدا بضواحيها و « ١١ » بقراها .

و (٣٣) مسجدا بضواحى محافظة حولى ، و (٥٩) بقراها و (٩) مساجد بمدينة الاحمدى (المحافظة) و (٣١) بقراها .

وايمانا من الوزارة برسالة المسجد ودوره فى التربية فقد قررت انشاء مسجد (الدولة الكبير) على مستوى عالى وعالمى ، وتسمى المساجد بأسماء مؤسسيها أو بأسماء الصحابة والتابعين وتابعيهم من رجالات الاسلام الاعلام .

وقد طبعت الوزارة سجلا مصورا بأسماء المساجد ومؤسسيها وتاريخ بنائها ، وهو موجود بالمكتبة العامة للوزارة لمن شاء أن يستزيد من هذه المعلومات .

بأقـــلام القـــرّاء

الهند فى القرن ١٩ م

كتب الاستاذ حبيب ريحان الندوى المدرس بمعاهد الجامعة الاسلامية بليبيا

تحت هذا العنوان يقول :

يعتبر القرن التاسع عشر فى تاريخ الهند الاسلامية قرنا مهما جدا . ففى هذا القرن بدأ الاستعمار الغربى يوطد أركانه بعد فشل الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ وبدأ المسلمون فى الهند يشعرون بكيانهم المستقل وبدينهم وشريعتهم وعلومهم ، فقام العلماء المسلمون المخلصون بواجبهم وقامت حركات عديدة من اهمهـــا :

١ ــ حركة ديوبند . السلفية التى تدعو الى الكتاب والسنة ، ولكنها لا تؤمن بالتطور حتى فى وسائل التعليم .

٢ ــ وقامت (حركة عليكره) : الحديثة التى تؤمن بالتطور وتدعـــو الى الأخذ من الغرب فى كل شىء بدون قيد ولا شرط .

٣ ــ وقامت حركة ندوة العلماء الجامعة بين القديم والحديث التى تؤمن بالله المشرع وبمحمد خاتم الأنبياء وتؤمن بالدين الاسلامى وتؤمن بالتطور والأخذ من الغرب أيضا ولكن فى الحدود التى رسمها الاسلام وفى ضوء القوانين التى سنتها الشريعة السمحاء وتؤمن بأن العقيـــدة غير متطورة لأنها حقيقـــة أزلية طبيعية أصدق من الحقيقة الهندسية .

ولكل من هذه الحركات الثلاثة كيان مستقل ، فبتأثير حركـــة « ديوبند » قامت « دار العلوم ديوبند » لتعليم العلوم الاسلامية ، وقامت (جامعة عليكره) لتعليم العلوم الغربية ، وقامت (دار العلوم لندوة العلماء) لتدريس العلـــوم العربية والاسلامية بمنهج حديث مع البحث فى العلوم الحديثة أيضا .

دائرة المعارف : ولا يمكن لأية نهضة علمية أن تقوم على التعليم المدرسى فحسب ، بل لا بد لها من المقومات الثلاثة : وهى الترجمة والنشر واحياء التراث القديم ، فقامت فى الهند دائرة المعارف العثمانية سنة ١٨٨٨م بحيدر آباد لتقوم بهذه الأعباء الثلاثة الكبرى . وهى تعتبر هيئة علمية كبيرة .

النشر : ومن حيث النشر فعندها مطبعة عربية حديثة ومطبعة انجليزية كاملة ومطبعة اردية نشرت منها مئات الكتب فى اللغة الاردية .

ترجمة التراث الغربى : ومن حيث الترجمة فانهـــا ترجمت كل التـــراث الغربى فى العلوم والرياضيات والاقتصاد والفلسفة والطب وغيرها الى اللغـــة الاردية ، وتترجم كل يوم جهود العباقرة من الغربيين الى اللغة الاردية ، وأدت دائرة المعارف بهذا العمل فائدتين عظيمتين . أولهما أنها أعطت للغة الارديـــة ثـــروة ضخمة لا يستهان بها . وثانيهما أن الجامعة العثمانية فى حيدر آبـــاد كانت تدرس من قديم كل العلوم الغربية الحديثة فى اللغة الاردية مستندة الى كتب دائرة المعارف المترجمة واصطلاحاتها بينما الجامعات الأخرى تدرس العلوم الغربية الانجليزية ، وبهذا العمل المجيد أحيت دائرة المعارف اللغة الاردية ، وجعلتها صالحة للنمو والبقاء رغم كل الظروف ورغم كل الأعداء .

مجلة انجليزية : وتصدر دائرة المعارف العثمانية مجلة اسلامية فى اللغة الانجليزية من ٣٠ سنة ، تحت ادارة الدكتور عبد المعيد خان ، والدكتور نفسه رئيس دائرة المعارف الآن .

احياء التراث الاسلامى : ولكننا فى هذه المقالة القصيرة لا نريد تبيان أعمال النشر والترجمة من اللغة الانجليزية او الاردية وغيرها ، بل نتكلم على احياء التراث الاسلامى القديم ، فدائرة المعارف العثمانية لم تقتصر فى هذه الناحية بل تعتبر اعمالها فى هذا المضمار مشرفة للغاية فانها طبعت حتى الآن أكثر من ٤٠٠ من المخطوطات العربية القديمة مع تصحيحها وتنقيحها .

زرع قلب محل قلب آخر ليس عمرا جديدا للانسان

ويتناول الأستاذ محمود سليم دوعر من الكويت هذا الموضوع فيقول :

نشرت وسائل الاعلام المختلفة أن أطباء بجنوب أفريقيا زرعوا قلب انسان محل قلب انسان آخر ، وشغل الناس بهذا الحادث ، حتى أن بعضهم جعله من أبرز ما كان بعام ٦٧ وقالوا عن هذا المريض انه (أشهر مريض فى العالم) .. ولا شك أن هذا يدل على تقدم الطب وفنونه ، وهذه ليست الطفرة الأولى بالتقدم الانسانى ، بل الانسان هذه سنته ، يسير بتقدم كلما تقدمت به الحياة ، منذ آدم حتى تقوم الساعة بفضل ما أنعم الله عليه (بالعقل) .

ولكن .. ليس هذا هو الموضوع الذى أردناه ، بل أردنا أن نضع بعض النور على تساؤلات قسم من الناس حول زرع القلب ، هل هو عمر جديد للانسان الذى زرع به القلب الجديد .

والجواب ان عمر الانسان محدود واجله معلوم لا يتعداه ولا ينقص عنه لحظة واحدة ، وما مسألة وقوف قلب انسان ثم حركته بعد تدليكه وما وجود قلب محل قلب ، الا حالات للانسان وليست أسبابا للحياة .

وان زرع القلوب لا يطيل عمرا لا لانسان زرع له قلب ولا ينقص من عمر انسان أخذ منه قلب ، بل لا يجوز أن نعد الانسان ميتا الا بنهاية أجله .

فلا يستغربن مسلم من زرع القلوب ، وكل ما فى الأمر تقدم فى الطب لا ينكر دون اختصاص ذلك بالحياة أو الموت .

ساعود للاقصى

وتلقينا من الشيخ محمد على قطب ــ صيدا ــ لبنان ــ هذه الأبيات الملتهبة :

مزقت طرسى قد هجرت قصيدى	وسئمت لحنى بعد كل نشيد
أخفيت لحظى كى أوارى عبرتى	خجلا وعارا بعد كل مجيد
وجرعت كأسى مترعا بمرارة	كالسم يسرى أو دبيب صديد
وسفحت دن الحب فوق ربوعها	(قدسى) فديت ترابها بوليدى
لن أغبق اللذات .. أو نمسى معا	فالمجد ظلى والخفا لليهودى
سأهدم الأسوار عبر حدودها	سأغز فى الأعداء كل حديد
سأسعر النيران فى جوف الثرى	حمما تحطم فى (جنين) تيودى
سأثور بالقرآن فوق جبالها	سألقن التاريخ صدق وعودى
سأعود للأقصى أقبل ركنه	وأبث فى أفيائه تغريدى
فتشع من فوق المآذن هالة	ويرجع الناقوس لحن العيد

قالت صحف العالم

المقاومة العربية ومصير اسرائيل

تتحدث صحيفة الشعب اللبنانية عن المقاومة العربية فى الأرض المحتلة فتقول :

ان اسرائيل باصرارها على احتلال أراضى الدول العربية وباصرارها كذلك على أعمال القمع والارهاب الجماعى للمواطنين العرب فى المناطق المحتلة ، لن تؤدى قط الى تحقيق حالة مستقرة من السلام والأمن فى منطقة الشرق الأوسط .

وان مخططات القادة والعسكريين الاسرائيليين العدوانية تحت زعم حماية أمن اسرائيل وسلامتها ، لن تجلب السلام أو الأمن للآلاف من الاسرائيليين بل سوف تقحمهم فى مؤامرات عسكرية لا يمكن الزعم قط بأنها تتعلق بالوجود الاسرائيلى ، ذلك انها تتعلق فى الحقيقة بالمؤامرات العدوانية للاستعمار ضد شعوبنا المسالمة وتحقيق المخططات الاستعمارية فى محاولة القضاء على حركة التحرر العربى ، والقضاء على حركة التصنيع والتقدم العربية ، والقضاء على أى محاولة مقبلة من جانب العرب للسيطرة على مواردهم الخاصة التى تشكل جانبا أساسيا من بعض احتياجات العالم الغربى الاستراتيجية .

ولذلك فليس هناك من نتيجة تنتظر الاسرائيليين بسبب اصرارهم على احتلال أراضى الدول العربية بالقوة سوى المزيد من المقاومة وسوى المجابهة على الصعيد المسلح ، كذلك فان دورها العدوانى فى الوطن العربى سوف يزيد بشكل مطرد من نشاط المقاومة العربية وفى اتجاهها أكثر نحو اتحاد وتنظيم أوسع لصفوفها .

الى مؤتمر وزراء التربية العرب

ونشرت صحيفة الرأى العام الكويتية المذكرة التى رفعتها جمعية الاصلاح الاجتماعى الى مؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت مؤخرا ، وقد تضمنت المذكرة المقترحات الآتية :

١ ــ تدريس الدين الاسلامى فى جميع مراحل التعليم من رياض الأطفال الى المرحلة الجامعية ، واختيار مدرسى الدين من المتخصصين بهذه الدراسة .

وأن يكونوا قدوة حسنة ومثلا أعلى يقتدى بهم طلابهم . ويكون لهم أسلوبهم واطلاعهم الواسع العميق الذى يمكنهم من عرض حقائق الاسلام عرضا يرى فيه الجيل الحاضر طريقه الى السكينة والأمان .

٢ — العناية بدروس القرآن الكريم وتعميم التلاوة حتى ختم القرآن والاكثار من آيات الحفظ والاحاديث النبوية وتنظيم المسابقات لحفظ القرآن الكريم وزيادة حصص للدين تكفى للحفظ والتلاوة .

٣ — فصل التفتيش الدينى عن تفتيش اللغة العربية ، وتخصيص موجه دينى لكل مدرسة وانشاء مصلى فيها مهيأ بما يناسبه وتخصيص وقت يكفى للصلاة .

٤ — الاهتمام بدراسة السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى ، ودراسة الفتوحات الاسلامية وأعلام الفكر الاسلامى ورجالات التشريع وما لهم من مواهب متعددة وما ظهر لهم من انتاج أثار دهشة العلماء ، والعناية بالفقه الاسلامى وتوضيح مزايا التشريعات الاسلامية وافضليتها على غيرها .

٥ — تدريس الجغرافيا الاسلامية لتوضيح كيفية انتشار الاسلام فى العالم وحدود الوطن الاسلامى وثرواته وامكانياته والأماكن الاسلامية المقدسة ، وبيان ما لها من تاريخ مجيد فى نشر الدين وتدريس قضية فلسطين على أنها قضية اسلامية .

٦ — ربط المناهج الرياضية والكشفية والجوالة بمعنى الجهاد فى الاسلام .

٧ — يراعى فى وضع المناهج أن تكون مبنية على عقيدة الأمة .

٨ — تقوية الصلات الثقافية مع البلدان الاسلامية والاهتمام بنشر اللغة العربية بين الشعوب والجاليات الاسلامية وتخصيص منح دراسية للدول الاسلامية وخاصة الافريقية .

٩ — فصل الطلبة عن الطالبات فى جميع مراحل التعليم باستثناء رياض الأطفال ، ويراعى فى المناهج اعداد الفتيات وتوجيههن الوجهة السليمة .

١٠ — الاهتمام بأخلاق الناشئة فى المناهج والتوجيه والاعتزاز بالتراث الاسلامى وبعث روح البطولة والعناية بالقصص والتمثيليات الاسلامية .

١١ — رفع المستوى العلمى بما يكفل تخرج الخبراء والمتخصصين فى الشئون العلمية التى تمس حياتنا ، ولكى تكتفى أمتنا اكتفاء ذاتيا بخبراتها وعلمائها عن الخبراء الأجانب .

١٢ — العناية بتعميم الروح الدينية وجعلها تسرى فى كل مرافق الحياة ، وذلك عن طريق توثيق الصلة بين البيت والمدرسة ومجالس الآباء والمسابقات التشجيعية والنشرات والمحاضرات والحفلات وأجهزة الاعلام ودورها الكبير فى حماية المجتمع من وسائل الاغراء والأفكار المنحرفة .



موجز تفسير القرآن الكريم

كتاب صدر عن دار الثقافة الاسلامية فى بغداد ، وهو الجزء الثانى من مجموعة أجزاء كتاب « موجز تفسير القرآن الكريم » من تاليف الشيخ عبد الجبار الأعظمى ، وقد أورد المؤلف فى هذا التفسير الآية فتفسير مفرداتها ثم التفسير العام كما ذكر المناسبة التى نزلت فيها كل آية ، والتفسير واضح الاسلوب مرتب المعانى بعيد عن الغموض والتعقيد ، والجزء الثانى من هذا التفسير يحتوى على (١٣٠) صفحة وثمنه (٢٥٠) فلسا .

تاريخ النظم القانونية

كتاب من تاليف الدكتور محمود سلام زناتى استاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت تناول فيه بالبحث والدراسة حالة المجتمعات البشرية والوقوف على صور النظم القانونية فيها مقسما كتابه الى ثلاثة أجزاء خص الأول منها بالمجتمع البدائى والثانى بالمجتمع القبلى والأخير بالمجتمع المدنى .

والكتاب يقع فى (٤٤٠) صفحة والناشر دار النهضة العربية ــ ٣٢ شارع عبد الخالق ثروت ــ القاهرة .

المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم

كتاب من تاليف اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمى العراقى ويقع فى جزأين شاملا لجميع المصطلحات العسكرية التى وردت فى القرآن الكريم . وقد فصل المؤلف كل مصطلح عسكرى ورد فى الذكر الحكيم فى ثلاث مواد فاورد فى المادة الأولى بعض الآيات القرآنية كأمثلة لاستعماله وذكر فى المادة الثانية مشتقاته ومعانيه اللغوية وسجل فى المادة الثالثة مقارنة بين المصطلح العسكرى الوارد فى القرآن الكريم ومثيله المستعمل فى الجيوش العربية هادفا من ذلك توحيد المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية .

والكتاب من طبع دار العلم للملايين فى بيروت وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر ص . ب (٤٢٩٥) ــ بيروت ــ لبنان .

الأركان الأربعة فى ضوء الكتاب والسنة

للاستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى وقد تحدث فيه مؤلفه عن أركان الاسلام الاربعة وعن وضعها السماوى وحقيقتها الشرعية ومكانتها فى الحياة الفردية كما قررها الكتاب والسنة وفهمها المسلمون فى مختلف العصور والأجيال ، والكتاب مطبوع فى مطابع معتوق اخوان ــ وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان ويقع فى ٢٨٦ صفحة .



الكويت

● أكد سمو أمير البلاد المعظم أن الكويت تملك قوة دفاعية عصرية رادعة قادرة على صد أى عدوان يمكن أن يقوم به عدو ، وهذه القوة العسكرية ليست للكويت وحدها بل للعرب أجمعين .

● أدى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فريضة الحج وقد التقى هناك بجلالة الملك فيصل والمسئولين وأجرى معهم محادثات حول الوضع الراهن .

● بعث ممثلو الدول العربية فى المجلس العربى لمحو الأمية المجتمعون فى دورتهم الرابعة بتونس يشكرون سمو أمير البلاد المعظم لتشجيع سموه للعلم وتبرعه للصندوق العربى لمحو الأمية .

● أقامت وزارة التربية فى مختلف معاهدها ومدارسها احتفالا بيوم المعلم ، وقد وجه سمو أمير البلاد المعظم تحية الى المعلمين والطلاب والآباء والأمهات حثهم فيها على مواجهة مسئولياتهم للحاق بركب العلم .

● طلبت بعض المدارس الاسلامية فى أمريكا من وزارة التربية تزويدها ببعض الكتب التى تدرس فى المرحلتين الابتدائية والاعدادية للاستفادة بها .

● أكد سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية أننا فى الظروف الراهنة أحوج ما نكون الى عقد مؤتمر قمة عربى جديد ، ودعا الى الوقوف صفا واحدا أمام التحديات التى تواجه الأمة العربية .

● سيزور البلاد فى الشهر القادم (مايو) رئيس وزراء ليبيا على راس وفد ليبى وستستغرق الزيارة عدة أيام .

القاهرة : وجه الرئيس عبد الناصر كلمة الى الفرقة الكويتية على خط القتال فى السويس شكرهم فيها على مشاعرهم الطيبة كما وجه التحية الى شعب الكويت وأميرها المعظم .

● زار سماحة رئيس الاتحاد الاسلامى الصينى فى ماليزيا فضيلة شيخ الازهر وقد عبر الضيف عن أمانيه فى أن يتبوأ المسلمون العرب مكانة الزعامة ، كما كانوا فى الماضى .

● يقوم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بالاتصال بكبار المفكرين ورجال السياسة والاقتصاد لاعداد بحوث ورسائل حول قضية فلسطين والعدوان الصهيونى .

● اشترك الازهر فى المؤتمر الدينى العالمى الذى عقد فى براغ فى الشهر الماضى وقد تضمن مناقشة قضية فلسطين وبعض القضايا العالمية وموقف الأديان منها .

● زار وزير التربية والتعليم فى جمهورية اليمن الجنوبية فضيلة شيخ الازهر وقد طلب الوزير مساعدة الازهر الثقافية والدينية ، فوعده فضيلة شيخ الازهر بذلك .

السعودية : اجرى امين عام رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة عدة اجتماعات هامة مع الزعماء والعلماء المسلمين الذين وفدوا لحج بيت الله الحرام وقد تركزت المحادثات حول وسائل انقاذ القدس ونشر الدعوة الاسلامية .

● أصدر وزير المعارف تعميما على جميع المناطق التعليمية بوجوب أداء صلاة الجماعة فى حينها والمحافظة على الاخلاق الاسلامية .

● ستتعاون السعودية مع باكستان على انشاء بنك مشترك بينهما فى نطاق التعاون الاقتصادى للدولتين المسلمتين .

● بلغ عدد الحجاج الذين وفدوا على الاراضى المقدسة هذا العام لأداء فريضة الحج قرابة ٤٠٠ الف حاج .

العراق : تركزت المحادثات التى اجراها سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير خارجية الكويت فى بغداد حول تأكيد عروبة الخليج ومستقبل التعاون الاقتصادى بين البلدين ، وقد قال سعادة الشيخ صباح لقد وجدنا انفسنا متفقين حول كل النقاط .

● سيزور سمو أمير الكويت المعظم العراق قريبا .

الاردن : أصدرت اسرائيل عدة قرارات باعتبار المناطق العربية التى احتلتها فى الضفة الغربية وسيناء ومرتفعات الجولان مناطق غير عربية ، كما غيرت الاسماء العربية لهذه المناطق بأسماء اسرائيلية .

● وزع يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة وثيقة دولية تثبت ملكية المسلمين لحائط المبكى فى القدس .

● قدمت الاردن لمؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت فى الشهر الماضى وثائق تثبت تحريف الصهاينة للقرآن الذى يدرس فى الضفة الغربية بعد أن غيرت اسرائيل مناهج التعليم العربية .

السودان : انتقل الى رحمة الله الزعيم السودانى السيد على الميرغنى بعد عمر ناهز التسعين عاما قضاها فى خدمة الاسلام والعروبة . والوعى الاسلامى تنعى العالم العربى والاسلامى الفقيد العظيم وتسأل الله له فسيح الجنات .

● أكد الرئيس الازهرى فى افتتاح الندوة العلمية لأسبوع القرآن الكريم انه لا سبيل الى مواجهة الصهيونية والاستعمار الا باتحاد الأمة الاسلامية فى جميع بقاع الارض واعتصامها بكتاب الله الكريم .

الجزائر : سيوضع ميثاق جديد لحزب جبهة التحرير يعتمد على العقائد الاسلامية وعلى ميثاق الحزب .

باكستان : أصدر المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى روالبندى عدة قرارات باسترجاع مدينة القدس والمناطق العربية المحتلة والعمل على نشر التعاليم الاسلامية فى بقاع الارض .

موريتانيا : أصدر مؤتمر الشعب العام لتخطيط سياسة الدولة العليا قرارا بجعل اللغة العربية لغة رسمية لجمهورية موريتانيا الاسلامية بدلا من الفرنسية .

اندونيسيا : اعلن جنرال سوهارتو رئيس جمهورية اندونيسيا بالوكالة عن تشكيل حزب اسلامى جديد شكل رسميا من ست جمعيات اسلامية مستقلة ومن المنتظر ان يكون الحزب الجديد من اقوى الاحزاب الاندونيسية .

اقرأ في هذا العدد

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ــ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ــ ص ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص ب ٢٢
جـدة : الدار السعودية للنشر ــ ص . ب : ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ــ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكـش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر آخر للمسجد النبوى من الجهة الشرقية ويظهر فى الصـــورة باب جبريل عليه السلام .

تصوير : عظمت شيخ



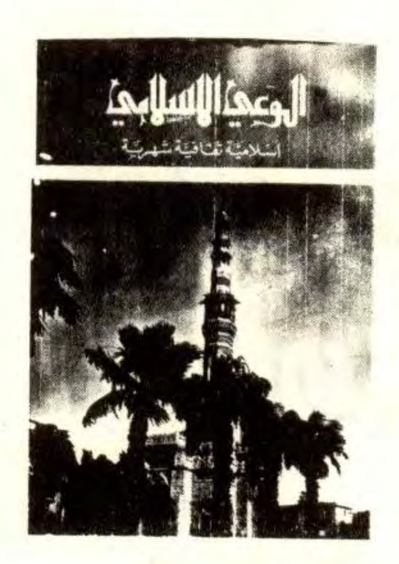
إسلامية ثقافية شهرية

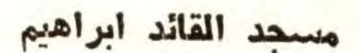
السنة الرابعة – العدد الثامن والثلاثون – غرة صفر سنة ١٣٨٨ هـ – ابريل « نيسان » ١٩٦٨ م



سمو أمير البلاد المعظم وجلالة الملك فيصل المعظم فى مادبة العشـــــاء الكبرى التى أقامها سمو الأمير المعظم على شرف ضيفه الكبير فى قصر المسيلة العامر .

صورة الغلاف





مسجد القائد ابراهيم

من أفخم المساجد التى بنيت حديثا فى مدينة الاسكندرية ويعد تحفة من روائع العمارة الاسلامية ، ويمتاز بجمال موقعه ، وتطل مئذنته الشاهقة على البحر الأبيض المتوسط .

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن والثلاثون

ــ السنة الرابعة ــ

غرة صفر سنة ١٣٨٨ هـ

ابريل « نيسان » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص . ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

كلمة معالي وزير الأوقاف في الاحتفال بذكرى الهجرة.

أقامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوى بذكرى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام فى مسجد السوق الكبير وتولت الاذاعة والتليفزيون نقل هـذا الاحتفال وقد افتتحه سعادة الوزير عبد الله المشارى الروضان بهذه الكلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسـلام على سيدنا محمد نبى الهجرة والجهاد وعلى آله وصحبه .

نعيش هذه الساعات المباركة ، فى استقبال عامنا الجديد ، وفى ظلال ذكرى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، حينما غادر أحب البلاد اليه ، مكة المكرمة قبل أن تصبح دار اسلام ، مع النخبة المختارة من أصحابه السـابقين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضـلا من الله ورضـوانا ، متجهين الى المدينة المنورة حيث توفرت البيئة الصالحة لحماية الدعوة والداعية .. وقيض الله لهم من أهلها أنصارا مخلصين ، يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صـدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فارتحل عليه الصلاة والسـلام مع أصـحابه تاركين ديارهم وأموالهم ، مؤملين ما عند الله من عوض طيب واثقين بما وعدهم من نصر وتأييد .

نتيجة ما قدموه من صـبر وتحمل وجهـاد .. وقد وصف الله ـ عز



وجل ـ هــذه الحــال وأثر الهجرة فيها فقال (واذكروا اذ أنتم قليل مســتضعفون فى الأرض تخــافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) .

واننا كلما استقبلنا عاما هجــريا جديدا ، تداعت الى خواطرنا تلك المواقف الخالدة من رسول الله وأصحابه ، واستلهمنا من وحى تلك الذكرى روح الجهاد وبذل النفس والنفيس ، لنشر دعوة الاسلام ، وحماية دياره من كيد الظالمين ، والقضاء على الاطماع الصــهيونية الغادرة .. تلك الاطماع التى تمتد الى دار الهجرة نفســها ، وهى الارض التى طهرها النبى عليه الصلاة والســلام من دنس اليهود الماكرين ، بعد أن لقى الأهوال من كيدهم ومؤامراتهم .

فلنذكر دائما أن مكمن الخطر فى اليهود ، وأن شرهم الذى كان متوقعا اصبح اليوم واقعا ، فها هم قد دنسوا مدينة القدس الخالدة .. والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وها هى آثار عدوانهم ما تزال ماثلة ونواياهم التوسعية تتجسم فى اعتداءاتهم المتكررة ، ففى كل يوم لهم ســطو على ممتلكات الأفراد ، وعدوان على مخيمات اللاجئين العزل ، وهجمات على ديار المســلمين ، يجوســون خلالها

بالنار والحديد مستأسدين على الآمنين من النســـاء والأطفال تقتيلا وتشريدا ، بعد أن أقض مضاجعهم نضال الفدائيين واقتناصهم رؤوس الشر ، وزاد غيظهم صمود المجاهدين على الثغور يقتلون من العـــدو المتجاسر ما لم يكن فى حســـبانه ويقضى نحبه منهم من كتب الله له الشهادة وصدق ما عاهد الله عليه .. فتحية من عند الله الى أرواح الشهداء وبارك الله فى المرابطين على الثغور ، ونصر المجاهدين فى كل واد من ربوعنا .. فيتحتم الآن على المســـلمين فى جميع بقاع الأرض ، أن يستنفروا كل قواهم للذود عن ديار الاســـلام وتخليص مسرى رسول الله وحماية ديارهم ، وذلك لا يتحقق الا بالعـــودة الى دين الله والاستمساك بالعروة الوثقى كتاب الله وهدى رســـوله .. واحياء روح الجهاد بالنفس والمال لنعيد ذكرى معـــارك الاســـلام الخالدة .

هذا وان ذكرى الهجرة مليئة بالدروس الحية فى كل وقائعها ، من الصبر والتضحية والبذل والتآخى والمشاطرة .

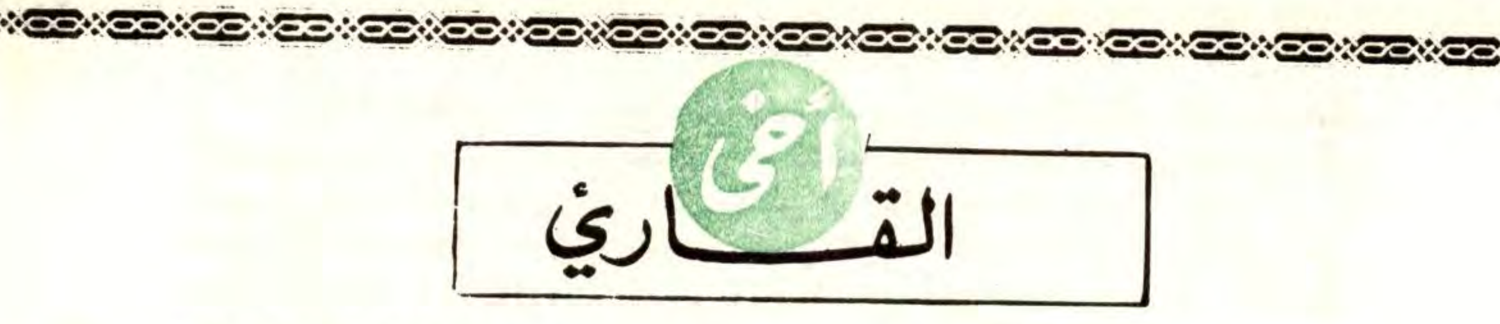
وجدير بنا أن نذكر بالاكبـــار والتقـــدير ذلك الرعيل الأول من الصحابة ممن أدوا دورهم كاملا بالهجرة والنصرة والجهاد ، وجعلوا من أنفسهم وقودا لدعوة الاســـلام ، حتى غدت منارا خالدا على مر الزمن .. يهدى الانسانية التائهة الى سواء السبيل .. ومن أجل هذا نحيى تلك الذكرى المجيـــدة ، امتثالا للتوجيه الالهى الكريم اذ يقول : ((وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)) .

ويقول (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

وفى الختام .. لا يسعنى فى هذه الذكرى الا أن أرفع أســـمى آيات التقدير والاحترام الى مقام حضرة صاحب السمو أميرنا المعظم وولى عهده والشعب الكريم .

راجيا المولى العلى القدير أن يعيد هذه الذكرى على المســـلمين والعرب ، وقد تحررت أوطانهم وتأكد انتصارهم وتحقق ما يصبون اليه من عزة وتقدم ورقى وازدهار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



كتبت مجلة ((الحوادث)) اللبنانية تقول : ان الحاخام الاكبر فى اسرائيل منع زواج بنت رئيس الوزراء السابق (بن جوريون) من ضابط يهودى .. وذلك لأن أمها كانت مسيحية وتهودت ، ولكنها لم تثبت يهوديتها . وقدم بن جوريون شهادات تثبت أنها تهودت عند زواجه بها منذ (٢٥) عاما فى بريطانيا ، ولـــكن الحاخام لم يعترف بهذا ، وفشلت كل الجهود التى بذلها رئيس الوزراء السابق وأنصاره وكبار المسئولين لتسهيل الاجراءات ، فلم تجد زوجة بن جوريون وابنته بدا من الانصياع ، وتقديم طلب اشهار يهوديتهما وللحــاخام أن يقبل الطلب أو يرفضه بعد ذلك ..

خبر له معان متعددة يهمنا منها :

١ ــ أن الحاخام وقف فى وجه تيار رئيس الوزراء السابق وأنصاره وكبار المسئولين ، وتمسك بوجهة نظره الدينية ، ورفض كل الشهادات التى قدمت له ، وكان من الممكن أن يعتمدها ويجامل ، ولكنه أبى ..

٢ ــ أن رئيس الوزراء السابق اضطر للخضوع لرأى الحاخام الاكبر ، وتنفيذ ما يراه من وجهة نظره الدينية ، دون أن يتطاول عليه ويرميه بالجمود والتأخر وغير ذلك من الالفاظ المشابهة !!!

ومعنى هذا وذاك كما قالت المجلة ((أن الحاخام يتمتع بنفوذ ســياسى (وصحته دينى) قوى أكثر بكثير مما تتمتع به أية شخصية دينية فى العالم)) .

وهذا معنى واضح من الخبر . وقد عللت المجلة لهذا النفوذ فقالت : ((لأن مثل هذا النفوذ هو جزء سياسى ضرورى فى الحركة الصهيونية لتعبئة اليهود ، سواء لتلبية نداء الهجرة أو لغير ذلك من القضايا)) .

وأضيف الى هذا أن الدولة كلها تقوم على أساس دينى ، وكل حركة فيها تنبعث أصلا من العقيدة الدينية ، وهذا هو السر فى هذا التجمع الغريب من نوعه على أرض اسرائيل : وطن يضم أشتاتا لا تلتقى فى جنس ، ولا لغة ، ولا ثقافة ، ولا منبت ، يعنى كل أسباب التفرقة والتشتت متوفرة بينها ، لكنها مع هذا متآلفة متعاونة بصورة غريبة .

وسبب ذلك شىء واحد . هو : العقيدة الدينية التى جمعتهم ، وحملتهم على أن يتركوا رفاهية أوربا وأمريكا ليعيشوا فى صحراء النقب ، وفى أماكن لم يطرقها انسان من آلاف السنين .

ونحن لا ندهش لهــــذا كما يدهش بعض الناس ، فقد عرفنا ما فعلته العقيدة الدينيــة فى نفوس العرب ، حين جاء الاســلام ، فقاموا بما يشبه المعجزات .

ولكننا نندهش لأننا ـ مع هذه الشواهد من الماضى والحاضر على ما تفعله العقيدة ـ نجد بعض الناس يحاولون ـ لحاجة فى نفوسهم ـ على مجتمع يقوم على العقيدة الدينية ، وبعض آخر يخشى أن يعلن تمسكه بدينه ، خوفا من أن يتهم بأنه غير عصرى ، وغير متمدن !! فى الوقت الذى نجد فيه دولا تقوم على عقيدة لا دينية ، وتجعل ذلك أساس وجودها وبرنامج عملها .. وتجد (دلاديل) لها فى كل مكان حتى من بين المسلمين ـ مع الاسف الشديد !!

وهؤلاء المسلمون بشهادة الميلاد ، هم أشد الناس تحمسا لمهاجمة قيام دولة على أساس من العقيدة الاسلامية ، بحجة أن ذلك تعصب دينى لا يليق بالقرن العشرين !! فى الوقت الذى يدينون فيه بعقيدة يتفانون فى العمل لها ، وينسون دينهم وأصولهم وتاريخهم ويتنكرون لكل ذلك من أجلها !!
وسبب تحمسهم هذا مفهوم ، لأن قيام المجتمع على أساس التعاليم الدينية سيجعله ينفض كل خبث يأتى من الشرق أو الغرب . وليس ذلك من صالحهم !

أرأيت ـ أخى المسلم ـ فى كل مكان هذه اللعبة التى يخوفونك بها : التعصب ؟! ويريدون أن يحملوك باسمها على التنصل من ولائك لدينك وأمجادك ، والتجرد من العقيدة الكريمة التى تصلك بخالقك ، وتوفر لك القوة والعزة ، فى الوقت الذى يدينون هم فيه بالولاء لغير ربهم وغير أرضهم وتاريخهم وأمجادهم !!

وهذه اسرائيل قامت على أساس دينى مستمد كله من التوراة .. اللغة العبرية التى كانت من الاثريات بعثوها ، لأنها لغة دينهم . والاسماء العبرية للأماكن كما جاءت فى التوراة أطلقوها .. والخطوات التى رسمتها التوراة ، والتوجيهات التى جاءت بها ، كل ذلك يتمسكون به ، ويسيرون على هديه .. وقد ذكرت لك فى عدد سابق ما صرح به بن جوريون نفسه : (من أن الاماكن التى ذكرتها التوراة لا بد أن يحصلوا عليها ويحتلوها) . لم نجد منهم واحـدا يخجل من الاعلان عن نفسه بأنه يتبع التوراة ، ولم نجد الدولة نفسها تتحاشى ذلك ، بل ان زعماءها وقادتها يعلنونه ، ويفخرون أمام العالم كله به ..
لم يعملوا حسـابا لأحد يتهمهم بأنهم : متعصـبون دينيون ، أو غير عصريين .
ولم يحجموا عن اعلان تمسـكهم بدينهم ، خوفا من أن يقـال عنهم : متاخرون !!
بل مضوا فى سبيلهم ، وجمعوا اليهود من أنحاء العالم بسـلاح الدين والعقيدة .. وساروا جميعا فى الطريق باسم اعادة أمجادهم وتاريخهم القديم ، وأرضهم ـ أرض الميعاد ـ !! وأقبلوا على العلم والتبحر فيه ، والتخصص فى كل فروعه ، وسبقونا وسبقوا الكثيرين فى العلم والاختراعات و « التكنولوجيا » فلم تعقهم عقيدتهم التى يتمسكون بها عن ميدان السبق فى العلم والصناعة ..

فهل وجدنا فى العالم كله من يخاصمهم ، لأنهم أقاموا دولتهم على أساس دينى ، وساروا على هدى من كتابهم المقدس ؟! لا ..
حتى الذين كان المفروض فيهم الا يلتقوا معهم ، لما فعلوه بعيسى عليه السلام ـ تلاقوا معهم ، وكانوا ـ ولا يزالون ـ أكبر عون لهم علينا !!

ولو كان الاسلام حقيقة دين تاخر وجمود ـ كما يزعمون ـ لكان لهؤلاء الذين يخشون احياء تعاليمه أو الذين ينفرون أو ينفرون الناس منه عذرهم !!

ولكن الاسلام بعقيدته وتعاليمه أكبر دافع على التقدم والنبوغ ، فى كل جانب تعرفه البشرية ..

فان كنا نريد حرية فالاسلام أبو الحرية بمعناها الحقيقى لا بمعناها المصطنع الذى نراه فى عالمنا الآن ..

وان كنا نريد عدالة اجتماعية فالاسلام قد سبق بتحقيقها منذ أربعة عشر قرنا ، على صورة لا يزال العالم بأفكاره قاصرا حتى عن القرب من ظلالها .

وان كنا نريد كرامة ، فالاسلام هو الذى حقق ويحقق أسمى معانى الكرامة للانسان ..

وان كنا نريد قوة وعزة ، فالاسلام دين القوة والعزة .

وان كنا نريد علما ، فالاسلام هو الدين الحى الذى يقوم على العقل ، ويحرص على التبحر فى كل علم .

ولا أريد هنا أن ألجأ الى شواهد لذلك كله فقد تكفلت الكتب به ، وأصبح امرا معروفا حتى لدى المنصفين من علماء الغرب .

ولكنى أريد أن اذكر فقط شاهدا واحدا من القرآن ، ذاك هو الامر الذى وجهه الله لنا فى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

هذا الامر وحده كاف لأن يقيم أقوى دولة وأعزها ، على احدث طريقة عصرية فى أى مكان وأى زمان ..

فهو يوجب على المسلمين أن تكون فى أيديهم أكبر قوة فى العالم ترهب ولا ترهب ، تخيف ولا تخاف ، بحيث يكون لهم النفوذ الاول والاعلى فى هذا العالم ، دون استغلال هذه القوة طبعا فى الاعتداء والصلف ، لأن الله لا يحب المعتدين .

فهل يمكن تحقيق أمر الله هذا الآن مثلا ، دون أن يكون المسلمون أسبق الناس وصولا للقمر ، وأقواهم علما واختراعا وصناعة واقتصادا وخلقا ؟ أو بمعنى جامع أقوى الناس فى كل جانب من جوانب الحياة ؟

وهذا أمر واجب التنفيذ لا مجرد اشارة من بعيد ..

آية واحدة يمكن أن نجعلها شعارا لأقوى دولة فى العالم ، ومنارا لها الى هذه القوة ..

فالاسلام ـ اذن ـ لا يقبل تلك الافتراءات التى يوجهها اليه بعض ابنائه ، من أنه دين تأخر أو جمود .. الخ ..

وليس لمسلم أى مسلم العذر فى بعده عن الاسلام ..

ولقد ظل المسلمون عشرات أو مئات السنين يعيشون كالايتام على مآدب اللئام . مآدب الغرب والشرق . وهم وجلون من الاقبال على دينهم ، متجهون الى غيره ، فما الذى استفادوه طوال هذه السنين ؟.

وهذه اسرائيل تعلن وتفخر بانها دولة دينية ، تقوم على اساس التوراة وتعاليمها .. فما الذى ضرها ؟.

وهذا هو الحاخام الاكبر فيها يتمتع بسلطة دينية لا تتمتع بها أية شخصية دينية فى العالم . والدولة نفسها هى التى تساعده على هذا وتخضع له .. لأنها فى حاجة فعلا الى سلطة دينية تساندها وتستنفر كل القوى لمؤازرتها .. فهل خسرت شيئا بتدعيم النفوذ الدينى فيها ؟.

ان الروح الدينية هى أكبر حافز على النهوض ومجابهة الاخطار ، ولقد عرفت اسرائيل كيف تستفيد منها ، وتستغلها فى السطو على أرضنا ، وفى تثبيت أقدامها على بطوننا ، كما عرفت كيف تستفيد من بعدنا عن ديننا ، ومما نرتكبه من أخطاء وحماقات واختلافات !!

ومن قبل استطاع المسلمون أن يهزموا جحافل الغرب التى هاجمتهم باسم العقيدة ، ويطهروا بلادهم منها ، لانهم قابلوا العقيدة بالعقيدة ، وكان هتافهم : الله أكبر .. وفى مقدمتهم قائدهم يصيح : وا اسلاماه ..

وقد ذكرت مجلة (الحوادث) أيضا أن هذا الحاخام هو الذى أصدر الفتوى التى تقول : ان كل يهودى يقبل اخلاء شبر واحد من الاراضى المحتلة — الاراضى العربية — يعتبر كافرا ، لأن هذه الاراضى المحتلة تقع جميعها فى أرض الميعاد ، ولا يملك أى يهودى حق تسليم ذرة واحدة من هذه الاراضى ، الا اذا كان كافرا)) .

((وكانت هذه الفتوى هى السبب فى أن ٩٤ فى المائة من الاسرائيليين عارضوا الانسحاب فى آخر احصاء بين الرأى العام ، وكانت هذه النسبة أقل بكثير قبل أن يصدر الحاخام الاكبر فتواه هذه)) .

أرأيت كيف يتغلغل النفوذ الدينى فى نفوسهم ، وكيف يتقبلونه ؟

كل شىء هناك يقوم على أساس الدين : الهجرة من بلاد الرفاهية الى الشظف فى اسرائيل باسم الدين ، والعمل باسم الدين . والعطلة باسم الدين ، والحرب باسم الدين ، حتى الاعتداء الوحشى يرتكبونه باسم الدين !!

ومع ذلك لم يتهيبوا أن يعلنوا ولاءهم لدينهم ، ولم يدمغهم أحد بتاخر ، ولم يخاصمهم لأنهم يعملون بدينهم ..!!

ونحن نتهيب ، أو نتهرب ، أو نتنكر ، أو نتهجم ، وننتظر مع ذلك النصر من الله ..

ونسينا الوعد الصادق ، والقول الحاسم : ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) . والله لا يخلف الميعاد .

ترى : الى أين نسير ؟

ربى . أن الهدى هداك ..

للشيخ : عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد

مدى الآيات المحكمات والآيات المتشابهات



للأستاذ: محمد عزة دروزه

قال الله تعالى : (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) . آل عمران ٥ و ٦

١ ــ سبب نزول الآيات

اوجه الروايات انها نزلت فى مناسبة وفد نصارى نجران اليمن الذى قدم الى المدينة . فقد تناظر هذا الوفد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى عليه السلام فلما افحمهم قالوا له : الست تقول انه من روح الله وكلمته . قال : بلى . فقالوا : هذا حسبنا ، فنزلت لتندد بهم لاحتجاجهم بالآيات المتشابهة وتركهم الآيات المحكمة التى تنزه الله عن الولد وتحكى قول عيسى عليه السلام انه عبد الله ورسوله وانه يدعو الناس الى عبادة الله وحده ربه وربهم ، وتقرر ان مثله « كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . والرواة متفقون على ان صدر سورة آل عمران نزل فى مناسبة قدوم هذا الوفد ومناظرته مع النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا يقوى وجاهة الرواية .

والتأويلات التى يرويها المفسرون عن المؤولين من اصحاب رسول اللــه وتابعيهم لمعنى الكلمتين عديدة .

فمما اولت به (المحكمات) أنها كل ما يعول عليه فى القرآن من احكام وما يعمل به من حلال وحرام . او انها الآيات الواضحــة التى لا تحتمــل تأويلات عديدة . او انها الحقائق التى لا تتحمل مراء ولا جدلا . او انها أركان الاسلام . او انها عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما كلفوا به لعاجلهم وآجلهم . ولم نطلع فى هذا على حديث نبوى أو قول صحابى وثيق . وعلى كل حال يمكن أن يقال استلهاما من روح الآية ومن جملة (هن أم الكتاب) انها تعنى الآيات التى لا تتحمل تأويلات عديــدة ولا مراء ولا اشتباهــا والتى فيهــا الى ذلك عقائد وتقريرات ومبادىء واحكام ووصايا واضحة غير منسوخة فى الشؤون الدينية والدنيوية .

أما كلمة المتشابهات فقد قيل انها ما سوى الأحكام والحلال والحرام او انها ما استأثر الله تعالى بعلم حقيقته . او انها المجازات والتشبيهات . او انها ما تتحمل تأويلات عديدة أو انها المتشابهة فى الصفة المختلفة فى النوع . ولم نطلع كذلك على اثر نبوى او صحابى وثيق . والذى نستلهم من روح الآية انها الآيات التى تتحمل وجوها عديدة من التأويل بسبب سبكها أو الفاظها أو مقامها واللــه تعالى اعلم .

٣ ــ آيات القرآن نوعان :

والآية الأولى تقرر بصراحة كما هو ظاهر ان القرآن يحتوى نوعين مــن الآيات . واحدا محكما وهو على ما يتبادر المبادىء والأسس والأحكام التى لا تتحمل تأويلات عديدة وتكون المرجع للنوع الثانى . وآخر متشابها وهو ما عدا ذلك من الآيات التى قد تختلف أساليبها والفاظها والتى اريد بها على ما يتبادر التشبيه والتمثيل والتقريب والترغيب والترهيب والوعظ والتذكير والتنبيه والتنويه والتنديد والتبشير والانذار بقصد تدعيم النوع الأول . وقد يدخل فى عداد ذلك الآيات التى فيها صفات الله عز وجل وروحــه وأعضاؤه وحركاته وكلامــه . والملائكة والجن وابليس والشياطين والمعجزات . وخلق الأكوان ومشاهدهــا ونواميسها . ومشاهد الحياة الأخروية . وكل هذا يمكن أن يتشابه فهمه على الأذهان او تتعدد وجوه تأويله . أو يعجز العقل البشرى بعامة أو عقول بعض الناس عن ادراك حكمته ومداه . او يبدو للمشرع وغير المتمعن وغير الراسخ فى العلم أن فيه تغايرا أو تباينا او تناقضا .

والمتمعن فى آيات وفصول النوع الثانى هذا يلمح فيه بكل قوة هدف تدعيم المبادىء والأسس والعقائد والتقريرات والأحكام والتلقينات التى احتوتها آيات وفصول النوع الأول . من وحدانية الله المطلقة وربوبيته الشاملة واستحقاقه وحده للعبادة والاتجاه اليه والاعتماد عليه ونبذ كل ما سواه ومن صدق الرسالة النبوية وشمولها واستمرارها ومن حقيقة الحياة الأخروية وحكمتها . ومن كل ما فيه الحق والعدل والخير والسعادة والنجــاة للانسان والانسانيــة فى الدنيا والآخرة .

٤ ــ احاديث نبوية حول الآية

ولقد اثرت فى ذلك أحاديث عديدة . من ذلك حديث رواه الشيخان عن عائشة قالت (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال : فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) . وحديث رواه مسلم جاء فيه (سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلين اختلفا فى آية فعرف فى وجهه الغضب وقال : انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب) وحديث اخرجه ابن مردويه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به) وحديث أخرجه الحافظ أبو يعلى عن حذيفة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (ان فى أمتى قوما يقرأون القرآن . ينثرونه نثر الدقل . ويتأولونه على غير تأويله) وحديث أخرجه الامام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : (سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا . ضربوا كتاب الله بعضه ببعض . وانما أنزل الله كتابه ليصدق بعضه بعضا . فلا تكذبوا بعضه ببعض . فما علمتم به فقولوا به وما جهلتم فكلوه الى عالمه) وروى أبو داود حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه (المراء فى القرآن كفر) . وفى هذه الأحاديث تدعيم لما فى الآية من اطلاق عام يشمل كل موقف مماثل للموقف الذى رجحنا أنها نزلت فى مناسبته . وتلقين بما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين المخلصين من الآيات المتشابهة . وتحذير من ابتغاء الفتنة والشبهات والجدل فيها . وكل هذا متساوق مع ما فى الآيتين .

٥ ــ روايات عمن يدخل فى نطاق التنديد فى الآية والاحاديث .

ولقد روى المفسرون عن علماء التابعين أن الآية والأحاديث فى حق الحرورية والخوارج والسبئية والقدرية . والأولون هم أول فئات الخوارج الذين خرجوا على على رضى الله عنه لأول مرة . والخوارج هم الذين استمروا فى الخروج على الأمويين والعباسيين . والسبئية هم الذين ينسبون الى مذهب عبد الله بن سبأ اليهودى الذى تنسب اليه بدعة القول بوصاية على رضى الله عنه عن النبى بعده ثم برجعته ثم بألوهيته . والقدرية هم فرقة لم تؤمن بالقدر وكانت تقول ان الانسان خالق افعال نفسه أو الفرقة التى كانت تقول ان الانسان لا تأثير له فى عمله وأنه مجبر عليه . والمتبادر أن هذه الأقوال من وحى الوقائع التى وقعت فى صدر الاسلام . ولقد قال الطبرى بعد أن أوردها ان المعنى بها كل مبتدع بدعة فى دين الله فمال قلبه اليها تأويلا منه لبعض متشابه آى القرآن ثم حاج به وجادل أهل الحق وعدل عن الواضح من أدلة الآيات المحكمة ارادة منه بذلك اللبس على أهل الحق المؤمنين . وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان وأى أصناف البدعة كان وفى هذا السداد والصواب والتساوق مع اطلاق العبارة القرآنية .

٦ ـ الشذوذ عن توجيه الآية والأحاديث

ومن المؤسف أن كثيرا من المسلمين لم يتقيدوا بالتوجيه الجليل الذى احتوته الآية والأحاديث . وانصرف همهم الأكبر الى الانشغال والجدل فيما يدخل فى نطاق المتشابهات التى عددناها أكثر بكثير مما انصرف الى النوع الأول الذى هو الجوهرى المحكم من كتاب الله ورسالة رسوله . ولقد اداهم ذلك الى الاغراب والتورط فى التخمين والتخيل والتزايد . والناظر فى كتب التفسير المطولة يجد الشىء الكثير الذى يعكس ذلك الاهتمام . ويجد الأقوال والروايات المعزوة الى مسلمة اليهود وغيرهم والتى فيها الكثير من الخيال والمبالغة والتناقض والكذب والاغراب حول المتشابهات المذكورة هى التى تشغل الحيز الأوسع من هذه الكتب رغم ما فيها وما تؤدى اليه من تشويش وتغطية على النوع الأول . ورغم ما فيها من أشغال ذهن واستنفاد جهد على غير طائل . ورغم تحذير كتاب الله ورسوله . وقد أدى ذلك الى استمرار ذلك الانصراف والانشغال الى اليوم حتى لا يكاد السائلون عما فى القرآن يسألون عن غيرها .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد . فهناك من أول آيات المشاهد الكونية تأويلا فيه كثير من التمحل والتجوز بسبيل استخراج نظريات فنية وكونية . أو اثبات كون القرآن احتوى حقائق علمية وفنية لم يكن يعلمها الناس سابقا وثبتت مع تقدم العقل البشرى والعلوم مهما كا نفى ذلك من تجوز وتمحل ثم من تعريض لكتاب الله للجدل والتنقض عند اختلاف النظريات وتباينها واخراجه من نطاق قدسيته وهدفه الذى هو هداية البشر وصلاحهم وسعادتهم ونجاتهم فى الدنيا والآخرة . وعلى غير طائل ولا ضرورة . لأن القرآن ليس فى حاجة الى ذلك لاثبات كونه وحيا من الله تعالى . ودلائل ذلك ومظاهره ساطعة فى كل فصل من فصوله ، وليس القرآن يعد كتاب فن وطبيعة وفلك .

وكثيرا ما يكتبون مثل هذه الفصل تحت عنوان آية سورة فصلت (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ...) والآية فى صدد الحجاج مع المشركين فى زمن النبى والتنديد بهم فلا محل لأخذها وحدها والاتكاء عليها . وما بعد هذه الجملة تم الآية التالية دليل حاسم على ذلك .

وهناك من فعل ولا يزال يفعل ذلك فيما ورد فى القرآن من قصص دون أن ينتبه الى أن القرآن ليس كتاب تاريخ ولم يقصد بما ورد فيه السرد القصصى وتقرير الأحداث لذاتها وانما قصد التذكير والموعظة والعبرة بقصص يعرفها السامعون جزئيا أو كليا ، وفى كل مقام من مقامات القصص يظهر هذا القصد واضحا . كما أنه واضح فى تكرارها مرارا .

ومن الواجب أن يوقف عندما اقتضته حكمة التنزيل منها وبالأسلوب الذى جاءت عليه والذى يتحقق به الهدف القرآنى من القصة بدون تورط فى التخمين والتزيد والنقاش .

وهناك من حاول استخراج الغيب والأسرار من بعض الآيات والحروف . هناك من زعم أن القرآن ظاهرا وباطنا . وجرى فى متاهات وتخيلات عجيبة من المعانى والاستنباطات واللعب بالألفاظ . وشطح الى ما يكاد يكون هذيانـــا بسبيل اظهار هذا الباطن . منهم من فعل ذلك بتأثير النزعة الصوفية وتورط فى متناقضات واستنباطات عجيبة فى صدد صفات الله وانبيائه وملائكته وخلقه . وصرف آيات القرآن المحكمة منها والمتشابهة عن مداها الواضح وهدفها الملموح بقوة الى ما يشبه المعميات . وما قد يؤدى الى الكفر البواح . ومنهم من فعل ذلك بســـــبيل تأييد الهوى المذهبى والبــــدع المتنوعة . وهناك من كذب على الله ورسوله وأصحابه مما نفضل عدم التبسط فيه .

٧ ــ تاويلات واجتهادات فى صدد (وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)

وهناك من زعم أن للقرآن ظاهرا وباطنا . وجرى فى متاهات وتخيلات عجيبة

فهناك من قال ان (الواو) السابقة لكلمة (الراسخون) واو عطــف ، وان العبارة تفيد أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله أيضا . وهناك من قال : انها استئنافية وان الجملة التى بعدها مستقلة عما قبلها وان العبارة تفيد أن الراسخين فى العلم لا يتمحلون فى التأويل ويكتفون بايكال ما اشتبه عليهم فهمه وتأويله الى الله ويقولون آمنا به كل من عند ربنا . ويدعون الله أن لا يزيـــغ قلوبهم بعد اذ هداهم .

ومما دلل عليه القائلون بالقول الأول والآخذون به أنه لا يصح أن يكون فى كتاب الله ما لا يعرف تأويله وما لا يفهمه أحد ما .وللامام ابن تيمية كلام طويل فى صدد البرهنة على وجاهة هذا القول أورد فيه حججا عقلية ونقلية قوية . وقد يكون هذا القول متسقا مع تلقينات القرآن الكثيرة المنطوية فى آيات كثيرة والتى تقرر ان الله أنزل كتابه ليتدبر الناس آياته وأنه أحكم أياته وفصلها لقوم يعقلون وأنه أنزله لتبيينه للناس وليتفكروا فيه وتبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وليبين للناس ما يختلفون فيه الخ .

ومع ذلك فانه يتبادر لنا أن كلا القولين وجيه ووارد فى وقت واحد ، فان كلمة (تأويله) يصح أن تكون بمعنى (حكمته والمقصود منه) ويصح أن يقـــال حينئذ انه ليس فى متشابهات القرآن التى عددناها ما يمكن أن يعجز الراسخون فى العلم عن لمح حكمته والمقصود منه فضلا عن محكماته . وان الآيــــات التى اشرنا اليها آنفا هى فى هذا المدى .

ويصح أن تكون هذه الكلمة بمعنى (السر والكنه والماهية) ويصح حينئذ أن يقال ان فى المتشابهات ما لا يمكن أن يعرف سره وماهيته أحد من البشر . فالقرآن مثلا يقرر أن عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه . وأن الله نفخ فى أمه وفى فرجها من روحه . فان الأفهام البشرية فى اعتقادنا بما فيها أفهــام الراسخين فى العلم تظل قاصرة عن ادراك ذلك وماهيته . ولا يحل المسألة أن يقال ان ذلك يشير فى جملته الى مافى خلق عيسى عليه الســـــلام من اعجاز ربانى اذا أريد من كلمة (تأويله) السر والماهية ، لأن سر هذا الاعجاز وماهيته

يظلان على كل حال غير ممكنى الادراك والفهم بالنسبة للعقل البشرى ومثل هذا يقال فيما ورد فى القرآن من صفات الله تعالى الذاتية والفعلية واعضائه وحركاته . والوحي والنبوة والملائكة والجن وابليس . وخلق آدم من تراب ونفخ روح الله فيه . وخلق الكون . والحياة الأخروية ومشاهدها . مما يجب الايمان به لأن القرآن اخبر به . فان العقول البشرية لا تدرك سرها ادراكا تاما .

ولا يكفى فى ذلك أن يقال انها سر الله وحكمته وانها فى نطاق قدرته . لأن هذا القول لا يمكن أن يوصف بأنه علم تأويلها اذا أريد بالكلمة السر والماهية . وان كان يمكن أن يقال ان العقول البشرية والراسخين فى العلم يستطيعون ان يلمحوا حكمة الله ومدى هدفه فيها .

٨ ــ هل كان الرسول يعلمها ؟

وقد يسائل سائل عما اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم أيضا لا يعلم تأويله اذا أريد بالتأويل السر والماهية ؟ ونحن لا نرى من غير الجائز وبسبب الطبيعة البشرية التى يشترك فيها النبى صلى الله عليه وسلم مع سائر البشر ان لا يعلم سر واجب الوجود وسر الحياة والكون والمغيبات وسر الملائكة والجن وابليس وماهية نفخ الله من روحه فى آدم وفى مريم وعبارة (كلمته وروحه) بالنسبة لعيسى عليه السلام . ولقد أمره الله بأن يقرر أكثر من مرة انه بشر . وانه لا يعلم الغيب . وهناك احاديث نبوية كثيرة يكل فيها العلم والسر لله تعالى فى بعض الأمور المذكورة مما يفيد أنه لا يعلمها . وهناك آيات كثيرة مما يدخل فى نطاق المتشابهات والأسرار المذكورة لم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث صحيح فى تأويلها . وقد كان يأمر اصحابه بأن يكلوا ما لا يعلمونه أو ما لا يستطيعون فهمه من متشابهات القرآن الى الله ولا يتجادلوا فيها ولا يضربوا بعض القرآن ببعض . ولهذا مغزى كبير فيما نحن فى صدده . ومعلوم أن السلف الاسلامى الأول درج كما هو المأثور المتواتر على عدم الخوض فى كيفيات وماهيات ما ورد فى القرآن من صفات الله وحركاته ومشاهد كونه وسائر تلك الأسرار والمغيبات والمتشابهات والاكتفاء بالقول : (آمنا به كل من عند ربنا) . والمتبادر أن ذلك هو نتيجة لتلقين النبى صلى الله عليه وسلم وتنبيهه وتحذيره . والمتبادر كذلك أن هذا الموقف الذى يراه كثير من الأئمة فى مختلف العصور انه الأولى والاسلم هو نتيجة لذلك .

ونعتقد أن هذا لا يتناقض مع ما أوجبه الله على رسوله من تبيين ما انزله عليه . فهو مكلف ببيان الأحكام والمحكم وما علمه اياه من تأويل المتشابهات واطلعه عليه من الأسرار . وقد قام بما هو مكلف به من دون ريب . ولو كانت تلك الأسرار مما كان يعلمه أو مما علمه الله اياه لكان حتما علمها للناس تنفيذا لأمر الله وقياما بمهمته .

ولقد روى عن ابى عباس قوله ان التفسير على اربعة انحاء . تفسير لا يعذر احد فى علمه . وتفسير يعرفه العرب من لغاته . وتفسير يعلمه الراسخون فى العلم . وتفسير لا يعلمه الا الله . وهذا القول يروى عن عائشة وعروة وغيرهما من اصحاب رسول الله وتابعيهم .

والمتبادر أن فى هذا القول توفيقا سديدا بين القولين . والله تعالى اعلم .



عن عائشة رضى الله عنها ، أن امرأة من الانصار (١) قالت للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : كيف أغتسل من الحيض ؟ ، قال : خذى فرصة (٢) ممسكة (٣) فتوضئى (٤) بها ثلاثا ، ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم استحيا فاعرض بوجهه ، أو قال: توضئى بها فاخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبى صلى الله عليه وسلم » .
رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

للشيخ : على عبد المنعم

المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ قلت لصاحبى مالى أراك تبدو شارد الفكر ، مبلبل الخاطر ، مضطرب النفس ، لا تشعر بما يدور حولك ولا تلقى بالا للعابرين أمامك ، ماذا دهاك ، وأى خطب اعتراك ؟ هل هناك نازلة لم تسبق بمثيل ، أم أن بعد الوطن قد أضناك ، أم أن التى جئت تخطب ودها فى بلاد الفرنجة قد أشاحت وماطلت ؟! ، لا تدعنى ألقى أسئلة ولا أتلقى جوابا ! فما هذا عهدى بك ، ولا هو من شنشنتك ، فكل صنو هنا أو هناك يخبر صراحتك ، وتدفق حديثك كالسيل انحدر من عل ، فقال : على رسلك ، لا تسترسل هكذا فى أسئلتك ، فما المصاب واحد ولكنه عديد ، ولا النازلة فريدة وانما هى خطوب وأحداث ، وما يجرى على أرضنا إن هو الا حصاد زرع سابق ، وثمرة ما رويناه بجهلنا ، وعدم حيطتنا ، واشتغالنا بتوافه الأمور وسفسافها عن النظر والتأمل فى المستقبل الذى أصبح واقعنا الآن ، حاضر يزعج الأصدقاء ، ويهلك الواقعين فيه ، وهكذا تغرق السفينة لأن الربان وأصحابه لم يأخذوا على يد مأفونهم الذى رام الراحة من عناء السقيا

---

(١) هى أسماء بنت يزيد بن السكن (بالسين المهملة المفتوحة ، والكاف المفتوحة أيضا ، وكانت تسمى خطيبة النساء أى واعظتهن .

(٢) فرصة : بكسر الفاء وبالصاد المهملة ــ فى مختار الصحاح : الفرصة : قطعة قطن أو خرقة تمسح بها المرأة الحيض ، فى المصباح المنير : الفرصة على وزن سدرة : قطعة قطن أو خرقة تستعملها المرأة فى مسح دم الحيض ، ولا بن سيده : تثليث الفاء .

(٣) ممسكة بضم الميم الاولى وفتح الميم الثانية : ثم سين مهملة مشددة مفتوحة ، أى مطلية بالمسك وهو الطيب المعروف

(٤) فتوضئى : المراد بالوضوء هنا معناه اللغوى ، أى تنظفى من الوضاءة وهى الحسن (بضم الحاء وسكون السين المهملتين) .

من أعلاها فخرقها ليندفع الماء من أسفلها ، فاستراح لحظة خاطفة(١) فهلك الى الأبد . وهلك معه مرافقوه السقلاء لأنهم لم يحاولوا الضرب على يده .

هل سمعت أحداث المشرق ، مشرقك ، وطنك ، اخوتك ، قومك ، هناك يستأسد الجبان الرعديد ، ويتهاوى المقاتل الصنديد(٢) فهل خلت البقاع من آهليها . أم أن أم دفر لها ثار قديم عندنا تجتره الآن . أم ماذا ؟ لا أدرى كيف ادير القول ؟! ثم تأمل . انظر . ماذا يفعل الأعداء وماذا يكتب موجهو العصر من ابنائنا ورصفائنا . وناولنى صحيفة عربية . وأشار الى عنوان وكاتب ومقال طويل وبحث مستفيض . ظننته لأول وهلة وقبل التأمل . مقالا فى فنون القتال . وتكوين الرجال . وضم الصفوف . ودراسة الواقع المحزن . ووصف علاج . ودلالة على دواء . واقالة عثرات الى ميدان الجهاد . فى هذا الظرف العصيب الذى لا يدرى احد فيه ايصبح بين أهل وولد . أم تطلع عليه شمس الغد ، وهو فى العراء منبوذ ، أو فى جوف الأرض مدفون ، أو تخطفه الطير أشلاء . لا يدرى . نعم لا يدرى ! . واذا المقال المدبج المنمق عن الجنس وما أدراك ما الجنس . وأنا لا أفهم — وان كنت فاهما — معنى الجنس(٣) بهذا المعنى . فرجعت الى لغتى الفصحى أسائلها ، ولغة أخرى قد تكون هى مصدر تلك المفاهيم ، فقال صاحبى : لا عليك من التحكك بالألفاظ ، وانما اقرأ وأسمع (بفتح الهمزة وكسر الميم) . وقرأت ولم أسمع (بضم الهمزة وكسر الميم أيضا) لأن المجلس عام ونحن نقتعد ركنا قصيا نتعاور القول ، قرأت كلاما يريد كاتبه أن يدرس الجنس فى مدارس الشرق ، وأن يعلم فى البيوت ، وأن يعرف فى النوادى ، وأن يلم به الناشئة ، لأنه شىء يغير مجرى حياتهم ، ويؤثر فى مستقبل أمرهم ، وان لم تتدارك حكومات الشرق هذا الأمر الخطير ، وتجلس (بضم التاء المثناة من فوق) الولد الى جانب البنت فى كل المراحل الدراسية ، وتدعهما يتلاقيان على البلاجات وفى الشوارع والمقاهى والحافلات التى تجوب البلاد — ان لم تفعل حكومات الشرق هذا . فقد ادلهم الخطب وزاد فداحة ، واستشرى الشر ولا يمكن تداركه ، ولا نستطيع أن ننازل الأعداء ، ولا نتمكن من صدهم عن أرضنا . أرض الآباء والأجداد . ومسرح حياتنا . ومرابع أولادنا . ومنبت قوتنا . وضرب صاحبى كفا بكف فى ألم مرير . وتقلص وجهه وتشنجت عضلاته حتى خشيت عليه أن يهلك غما ، ويتلاشى أسفا على ما يتجه اليه الموجهون ، وما يضيع فيه وقتهم . ثم اتجه الى بكليته ليقول : تأمل الاسلام ورسول الاسلام . وقواعد الاسلام . وتوجيهات الاسلام . تر أدبا وعفة . وتدرك حسن التأنى للافهام والتفهيم . ثم دعنى أفصح لك عما أريد من واقع الحياة . ولنختر بيئة من البيئات التى ينعتونها متزمتة !! ولنسائلها . هل يجهل ناشئتها علاقة الرجل والمرأة جهلا مطبقا . هل لا يدرون وظيفة كل عضو فى الهيكل الذى يحملهم أو يحملونه !.

---

(١) الفاء للترتيب والتعقيب لان الغرق يعقب الخرق دون ابطاء .

(٢) يشير الى أحداث الاردن الاخيرة مع اسرائيل .

(٣) الجنس المنطقى — هو الكلى المقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة فى جواب ما هو !

والجواب : أن هذه أمور معروفة مدروسة تجرى مع الدم منذ جــرى ، وتلاحق النفس على أول نفس للمرء فى الحياة ، فالأم ـــ دائما ـــ تعلم بنتها كيف تتطهر من الدم اذا أدركها البلوغ ، والاسلام يوضح فى دروسه الجبرية المفروض تعلمها على كل فتى وفتاة ابان السابعة من العمر ، أى والعود غض رطيب ، ودليل ذلك قول الرسول الكريم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليهــا لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) . ومعلوم بداهة من الشريعة أن الصلاة لا تصح بدون وضوء شرعى ، والوضوء يستلزم غســـل أعضـــــاء وازالة الأدران عن أعضاء ، وتلك الأعضاء يذكرها فقه الاسلام بأسمائها ولا يكنيها ، ويعلم الناشىء الصغير وأخته ما هو القبل وما هو الدبر !! وفى حديث الباب سؤال امــــرأة وجواب رسول ، وتوضيح أم المؤمنين ، فواعظة النساء على عهد رسول اللــه تستفسر منه عليه الصلاة والسلام ، عن الطهارة من الحيض ، وكيف يغتســل منه ، وهو عليه الصلاة والسلام يجيبها فى أدب نبوى كريم ، وما استحيــاؤه صلى الله عليه وسلم الا ليوجه نساء المسلمين أن يتعلمن ليعلمن ، وأم المؤمنين عائشة تعرف الأحكام بدقة وهى كمعلمة توضح أدق توضيــح ولا تستحى من الحديث عن أعضاء خاصة مع نساء المؤمنين وهن يعلمن بناتهن ، وهكذا تمضى السلسلة الكريمة المتواصلة ، ومن له بنات يعلم تمـــام العلم كيف يصلن الى الطهارة من النجاسات الناجمة عن الحيض والنفاس وغيرهمـــا ، يصلن الى المعرفة عن طريق أمهاتهن ، وهى طريق أكثر سلامة ووضوحا وأقل عثرات ، وكذلك الولد واجب عليه شرعا أن يعرف أحكام الغسل ومن قبلها أحـــكام الوضوء ، ويجر ذلك الى الكلام الصريح الواضح عن الأعضـــاء التى يهمه أن يعرف عنها ما يريد ، وبهذا لا نحتاج الى دراسة أكثر من دراسة الفقه الاسلامى فى هذا الموضوع ، فلا يمكن للمعلم الواعى الفاقة الملم بحكمة التشريعـــات الاسلامية أن يصد الطالب عن سؤال أو يمتنع عن اجابة ، وقد زاولت التعليم فى مختلف مراحله وصنوفه سنين وسنين ، وما صددت طالبا عن سؤال أبدا ، وما تركت مسألة دون توضيح كامل شامل ، وخبرت الشباب خبرة طويلة ، فى مختلف الأسنان والأعمار وأفضوا الى بما يريدون وما تنطوى عليه نفوسهم فى صراحة ووضوح ، وكانت الشريعة دائما هى مصدر الجواب المقنع الشـــافى الواقى .

٢ ـــ الحق ـــ أن الاســـلام دين ونظام لأمة تعمر الكون ، وتعمره بـــكل ما تحمله الكلمة من معان كريمة ، ولكن ـــ واأسفاه ـــ جهل المسلمين باسلامهم جعله بعيدا عن مجرى حياتهم ، والاسلام يعنى بالناشئة من كل نواحيها يعلــم ويوجه ، ويعطى الدروس فى أسلوب عف مفهم فاحص لا التواء فيه ، ولـــكنه ينأى عن مهاوى الردى ، ويباعد بين الوليد ـــ ذكر أو أنثى ـــ وبين مســـاقط

الزلل الأخلاقى ، وقد قال شراح الحديث من العلماء السابقين رحمهم اللـــه : يستفاد من هذا الهدى النبوى الكريم أن العالم يجب أن يكنى بالجواب عن الأمور المستورة ، وأن المرأة تسأل عن أمور دينها ، وتكرير الجواب لافهام السائل .

وأقول : ان دراسة الفقه الاسلامى فى عباداته وغير العبادات ، فرض على كل مسلم ومسلمة اذ بدونها لا يدرى شىء عن طرائق العباد ولا الدخول فيها ، ولا ينفع التقليد فى العبادة ولا المحاكاة ، وتعلم العبادات يصل بالناشئة المسلمة الى معرفة كل ما تهم معرفته فى هذه الحياة خاصها وعامها جنسيـــة وغير جنسية وتدقيق النظر فى حديث الرسول وحوار السيدة السائلة وجوابه لها ثم شرح أم المؤمنين يوضح تماما أنه لا بد وأن تعرف المرأة كـــــل شىء عن أخص ما يخصها تقول عائشة : ان امرأة سألت النبى صلى الله عليه وســـلم عن غسلها من الحيض فأمرها كيف تغتسل قال : خذى فرصة من مسك فتطهرى بها ، قالت كيف أتطهر بها ؟ قال : سبحان الله تطهرى بها ! قالت عائشة فجذبتها فقلت لها : تتبعى بها أثر الدم » . . وما بعد ترك الرسول من توجيه . . وقد تحدث الفقهاء عن أشياء قد يظنها من لا اطلاع له على الفقه الاسلامى أن البحث فيها وليد العصر الحاضر ، ولا يعلم أنها قد قتلت بحثا فى عصور سلفت ، وما ذاك الا لأن الانسان هو الانسان فى رغباته وميوله وشهواته فى كلياتها لم يتغير منه شىء منذ أن دب أبواه على وجه البسيطة .

٣ — وعودا الى التعقل والبحث والاستقصاء فى دراسة ما معنا ، وما بين أيدينا من الاستنارة بآراء الغير فى بعض [illegible] لم تطـــرق وما أقلها . والواقع أننا فى حاجة الى وعى نابع من [illegible] أخلاقنا من عقـــائدنا من أرضنا من محيطنا ، وكثير من النبات المزهر [illegible] الثمر ، العبق الأرج ، يذبل ويذوى اذا غرس فى منبت لا يناسبه [illegible] ق به ، والفضائل الانسانيـــة معروفة ومدروسة والطريق اليها وا[illegible] نا فى هذه الأيام الى استعمال الحكمة والتوافق والبعد عن تمييع [illegible] جة ملحة ولا شك ، ويعجبنى كاتب معاصر ، يسطر مقالاته فى احدى ال[illegible] المستنيرة تماما ويغـــذيها بخبرته الطويلة فى حقول ثقافية مختلفة ، [illegible] فى الشهر الماضى موضوع الواقع المرير الذى يعيشه الشرق العربى [illegible] علاجا حكيما محكما ، فلمثله يهدى القول وفى مطالعة كتاباته لا يضيع [illegible] (١) ، والله الموفق المستعان .

---

(١) سأعود لهذا الموضوع موضوع الحديث مره أخرى بعون الله تعالى .

البوذية وتعاليمها

للأستاذ : أحمد حسين

فى المقال الماضى المنشور بالعدد ٢٦ تحدث الأستاذ أحمد حسين عن الهندوكية باعتبارها الأرض التى نبتت فيها بذرة البوذية وتفرعت وامتدت فى الهند وفى خارجها ، واليوم يحدثنا عن بوذا وتعاليمه ، وعن البوذية باعتبارها احدى الديانات التى يدين بها مئات الملايين فى جنوب وشرق آسيا .

شخصية جوتاما بوذا :

ان ما يفرض البوذية فرضا على كل باحث فى الأديان ، هو شخصية معلمها جوتاما بوذا (١) والتى تمثلت فيها الفضائل كلها وأصبحت علما على المثالية الأخلاقية ، وما ظنك بانسان يعتزل الجاه والغنى والثروة والسلطان ، ليحيا حياة الحرمان والتجوال بحثا خلف الحقيقة ، حتى اذا استضاء بنورها ، كرس بعد ذلك حياته الطويلة من أجل نشرها بين الناس ، لاحلال السكينة فى قلوب الأفراد ، والسلام والحب بين الجماعات ، ولما كانت هذه صفات الرسل وأخلاقهم ، وتلك هى أهدافهم فهى جديرة بالدراسة والتأمل ، ولنعرض عليك الآن سيرة بوذا بشىء من التفصيل الموجز .

حياة بوذا :

ولد الامير سدهاراتا (سدهاتا) جوتاما على أرجح الآراء فى القرن السادس قبل الميلاد فى الناحية الشرقية من الهند ، فى المنطقة التى تقع بين مدينة بنارس (٢) وجبال الهملايا حيث كانت تقيم قبيلة ساكيا ، وكان والد سدهاتا من أمراء هذه القبيلة ، وأصحاب السيادة عليها .

---

(١) اسمه الأصلى جوتاما Gautama **أو سدهارتا** Siddhartna **أما كلمة بوذا أو بدها** Boddha **فلقب معناه العظيم . « الوعى »**

(٢) أتيح للكاتب ان يزور مدينة بنارس وأن يشهد الآثار البوذية المقدسة بها ، (اقرأ له أمة تبعث) .

وعاش سدهاتا منذ ميلاده ، كما يعيش أمثالـــه من ابناء ذوى الجـــاه والسلطان مدللا منعما ، لا هم له الا اللهو واللعب والاستمتاع بالحياة ، والعب من ملذاتها ، حتى اذا بلغ التاسعة عشرة من عمره ، وأصبح فى زهرة الشباب زوجه أبوه من ابنة عمه الجميلة الفاتنة « باسودهرا » ، والتى لم تلبـــث أن أنجبت له غلاما جميلا أسموه راهولا ، وهكذا تحققت له كل أسباب السعادة المادية ، ولكن القدر كان يعد لسدهاتا مصيرا مختلفا كل الاختلاف عما كان يتوقع لمثله من حياة .

الشيخوخـــة :

وتختلف القصص التى تروى عن سدهاتا ، والمشاهـــدات التى غيـــرت مجرى حياته ، ولكن الجوهر فى هذه القصص واحد ، فقد خرج الامير سدهاتا ذات يوم من قصره للتنزه ، وامتطى احدى المركبات التى كان يقودها تابع له . وبينما الأمير فى أوج نشوته ، اذ وقعت عيناه لأول مرة على شيخ كئيب أثقلت السنون كاهله ، فأصبح يدب على الأرض دبيبا ، متكئا على عصاه ، وقد تقوس ظهره فاهتزت مشاعر سدهاتا لهذا المنظر الكئيب ، وساءل تابعه ما شأن هذا الرجل ، فقال له تابعه هذه سنة الحياة ، وقدر كل انسان اذا امتد به العمر ، انها الشيخوخة يا مولاى .

فأحس سدهاتا بالاكتئاب ، وعزفت نفسه عن النزهة ، فعاد أدراجه الى القصر .

المرض :

ومضت فترة نسى فيها سدهاتا ما أحزنه من فكرة الشيخوخة ، وعـــاد للتنزه مرة أخرى ، وتعمد أن يسير فى طريق غير الذى سلكه أول مرة ، فاذا به يصادف هذه المرة مشهدا هز نفسه بأعنف مما هزها المنظر الســـابق ، اذ وقعت عيناه على انسان شوهه البرص ، وهده المرض ، فراح الناس يتحامونه ويتحاشون الاقتراب منه ، وسأل سدهاتا تابعه : وما هذا ؟

ــ انه المرض يا مولاى أحد سنن الحياة الانسانية .

واغتم سدهاتا مرة أخرى ، وزهد فى نزهته وعاد أدراجه الى القصر .

المـــــوت :

وخرج سدهاتا مرة ثالثة من طريق ثالث ، فوقعت عيناه على جثة ميت سقط فى الطريق وقد تعفنت جثته وأصبح منظرها بشعا .

ولم يحتج سدهاتا هذه المرة لسؤال تابعه ، فقد كان هذا الاخير يهمس فى أذنه قائلا : وهذا يا مولاى نهاية الحياة .

وكان هذا المنظر الأخير كفيلا ، بأن يفسد شهية سدهاتا ، لا عن النزهة هذه المرة فحسب ، بل وعن مسرات الدنيا ومباهجها ، وشغل بمشكلة الحياة التى صدعته مظاهرها من مرض وشيخوخة وموت فى خاتمة المطاف ، وراح يسائل نفسه ، أى شىء هذه الحياة التى يغشاها الالم من جوانبها ؟ ما هى حقيقتها ، ما سرها ؟ أمن المستطاع التغلب على آلامها ؟

وقرر الأمير الشاب أن ليس هناك فى الدنيـــا ما يعلو على كشـــف هذه الحقيقة ، وقرر أن يكرس حياته للبحث عنها .

حيـــاة النسك والتشـــرد :

وفى ليلة جميلة مقمرة والقصر يغص بكل أسباب المسرات دخل سدهاتا الى حجرة نوم زوجته وكانت نائمة فقبلها قبلة الوداع ، وكذلـــك قبل طفلـــه المولود ، وانسل فى هداة الليل خارجا من القصر ، وأسرع يغذ السير مبتعدا عن النعيم الذى كان يعيش فيه ، وعندما قابل فى طريقه أول متسول فقيـــر • عرض عليه أن يبادله أسماله البالية بملابسه الثمينة ، فرحب المتسول بالصفقة وهو لا يكاد يصدق ، وكان فرح سدهاتا بالاسمال البالية ، يفوق فرح المتسول بملابس الأمير .

ويقال : إن ســــــدهاتا جوتاما (١) . قد التقى بعد ذلك ببعض الرهبان الهندوكيين ليتلقى على أيديهم علم الحياة واسرارها ، فلقنوه التعاليم الهندوكية التى تقوم على أن تعذيب الجسد يؤدى الى سمو الروح وخلاصها ، فراح جوتاما يأخذ نفسه بأنواع من المشقات . وضروب تعذيب الجسد وتجويعه ، الى الحد الذى لفت اليه أنظار النساك . فالتف حوله خمسة منهم وجعلوه زعيما لهم • لأنه كان أكثرهم تعذيبا لجسده ، حيث كان يلقى بنفسه بين الاشواك والحصا • ولا يتبلغ فى اليوم الواحد (على ما تقول القصص) الا بحبة أرز واحدة .

وكان أصحابه الخمسة يبكون من فرط الألم لشدة ما يعانيه جوتاما مـــن المشاق ، وتقول بعض الروايات إن جوتاما قد أمضى فى هذا النوع من الحياة سبع سنوات ، اقتنع فى آخرها بأن تعذيب الجسد لم يزد حياته الا اضطرابا وقلقا وتشويشا ، وأنه أصبح أبعد عن الحقيقة مما كان من قبل ، فقرر فجأة أن يضع حدا لهذه الحياة ، وطلب من أصـــحابه أن يحضروا له الطعـــام ليأكل ، والشراب ليشــــرب ، فان ذلك خير الف مرة من تعذيبه لجســــده بالجـــوع والحرمان (٢) وفزع النساك الخمسة من هذا التصرف الذى اعتبروه تجديفـــا وكفرا ، فانفضوا عن جوتاما واعتبروه قد سقط وهلكت روحه .

الاشراق والتنوير :

وسار جوتاما قاصدا العودة من جديد الى مسقط رأسه ، وجلس يرتاح فى ظل احدى الاشجار فى غابة أرويلا ، ويتناول طعامه ، فاذا بالمقام يطيب له فى ظل الشجرة ، ويحس الرغبة فى البقاء تحتها بعض الوقت ، وتروى بعض القصص أن جوتاما سمع صوتا داخليا يقول له بكل جلاء ووضوح : نعـــم فى الكون حق أيها الناسك ، هنـــاك حق لا ريب فيه ، جاهد نفســـك اليوم حتى تناله ، وهبطت على جوتاما سكينة عظيمة عمرت قلبه ، وعندما استيقـــظ فى الفجر لم يكن هو جوتاما ، الذى كانه بالأمس ، بل «أى المتنور» ، فقد أشرقت الحقيقة فى نفسه واستضاءت ، فأدرك سر الآلام التى يتكبدها البشر ، وعرف أسبابها وطريق علاجها ، ولم يشأ بوذا أن يحتكر هذه الحقيقة التى اكتشـــفها لنفسه ، بل بدأ ينشرها ويعلمها للناس ، وكان النساك الخمسة الذين تبعـــوه فى فترة نسكه هم أول من استجاب الى تعاليمه الجديدة ، ثم جمع بوذا حولـــه ستين شابا راح يلقنهم مبادئه وتعاليمه ، وطلب منهم أن ينشروها فى الآفاق ، فاستجابوا لدعوته ، وظل بوذا يدعو لتعاليمه خمسا وأربعين سنة بعد أن أصبح يطلق عليها اسم النظام أو عجلة الشريعة .

---

(١) يغلب على اسمه ابتداء من هذه المرحلة كلمة « جوتاما »

(٢) انظر كيف اهتدى بوذا الى حكمة الاسلام بالنسبة للطعام حيث يدعو الى الاعتدال فلا افراط ولا تفريط ، ففى ذلك الاعتـــدال مزاج للجســـــد (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المســـرفين) .

روح التعاليم البوذية :

وليس هناك ما يكشف عن السر الذى مكن دعاة البوذية من نشرها فى الآفاق الأسيوية ويكشف فى الوقت ذاته عن جوهر التعاليم البوذية من هـذه القصة التى تروى عن حديث دار بين بوذا وأحد تلامذته قبل بعثه الى أحـد القبائل للتبشير بينها .

بوذا — ان رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب ، فاذا وجهوا اليك الفاظا بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك ، فماذا انت فاعل ؟

بورنا — أقول لا شك ان هؤلاء قوم طيبون ليلو المريكة ، لأنهم لم يضربونى بأيديهم ويرجمونى بالحجارة .

— فان ضربوك ورجموك بالحجارة ؟ .

— أقول انهم طيبون لينون اذ لم يضربونى بالسيوف .

— فان ضربوك بالسيوف ؟

— أقول انهم طيبون لينون اذ لم يحرمونى نعمة الحياة نهائيا .

— فان حرموك الحياة ؟

— أقول انهم طيبون لينون اذ خلصوا روحى من سجن هذا الجسد السىء بلا كبير الـم .

قال بوذا — أحسنت يا بورنا انك تستطيع بما اوتيته من الصبر والثبات ان تسكن فى بلاد قبيلة سرونا بارنشا ، فاذهب اليهم يا بورنا ، وكما تخلصت فخلصهم . وكما وصلت الى الساحل فادخلهم معك ، وكما تعزيت فعزهم معك . وكما وصلت الى مقام النرفانا الكاملة فأوصلهم اليها مثلك .

فذهب بورنا اليهم وكانت النتيجة : ان آمنوا كلهم بالبوذيـــة واتبعـــوا مذهبه . وعاش بوذا ما عاشه من حياته وهو مثل حى لكل الفضائل التى بثها ودعا اليها . ولم يعهد عليه أنه خانها أو حاد عنها فى يوم من الأيام ومما يتعجب منه فى سيرته أنه لم يصب بمكروه أثناء بثه دعوته على كثرة من كانوا يترصدون لقتلـــــه .

ومات بوذا فى هدوء تحت احدى اشجار الغابة وقد بلغ الثمانين ، واحرق تلامذته جسده بعد ثمانية أيام على عادة الهنود ، ووزع الرماد المتخلف من الجثة الى ثمانية اجزاء بعث بكل جزء منها الى احدى نواحى الهند وغيرها من الجهات التى رأوها لائقة بـــه .

انتشار البوذية فى الهند ثم انحسارها :

سادت البوذية بلاد الهند عقب وفاة بوذا ، حتى اوشكت ان تعمهـــا . ولكنها عادت الى الذبول والانكماش والانحسار تحت ضغط الديانة الهندوكية . وكان يمكن أن تذوب البوذية فى الهند منذ عصر مبكر ، لولا ان اعتنقها الملـــك اشوكا فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وجعل منها دينا رسميا للدولة ، وتعتبر فترة حكم اشوكا فى الهند من أزهى صفحات الحكم لا فى الهند وحدها بل الدنيـــا كلها . حيث كان عهد سلام وبناء وانشاء ونشر للرحمة بكل وسائلها ، وقـــد ارسل اشوكا دعاة ومبشرين بالبوذية الى انحاء العالم ، حتى لقد بعث بهم الى الاسكندرية فى ذلك الوقت ، وكان ذلك مبدأ قيام البوذية فى سيلان وفى غيرها من دول آسيا الجنوبية الشرقية ، ولكن البوذية التى بدات تزدهر خارج الهند عادت من جديد للذبول فى الهند نفسها . . حتى انحسرت منها تقريبا ويحســـن بنا بعد ذلك أن ننتقل لعرض التعاليم البوذية .

الحقائق الأربعة النبيلة :

لخص بوذا لب تعاليمه فيما أسماه الحقائق النبيلة الأربع :

الحقيقة الأولى : الحياة الم .

منذ يولد الانسان حتى يموت والأكدار تلاحقه والآلام تسيطر عليه . فالشيخوخة الم ، والمرض الم ، والموت الم ، وتعرض المرء لما يكره ألم ، والتفريق بينه وبين ما أو من يحب الم . والاخفاق فى تحقيق مأربه الم .

الحقيقة الثانية : سبب الألم .

رغبات الانسان وشهواته سواء كانت مادية أم معنوية ، والرغبة فى الصيرورة ، وشهوة اللذات وشهوة الحكم والسلطات هذه كلها هى سبب الآلام ، لأنها ليست سوى نار تحرق صاحبها ، وكلما تحققت الرغبات ولدت رغبات جديدة أكثر اشتعالا فكأنها النار يصب عليها البترول .

الحقيقة الثالثة : ايقاف الألم .

عن طريق التحرر والخلاص بابادة الشهوات والرغبات وطردها نهائيا — وهذا هو جوهر البوذية .

الحقيقة الرابعة : كيفية منع الألم .

يمكن كبح جميع الشهوات والقضاء على كل الرغبات باتباع الطريق المثمن اى ذى الثمانية مبادىء .

١ — **الادراك الصحيح** — للحقائق الأربع النبيلة .

٢ — **الأهداف الصحيحة** — بالتخلى عن الملذات وعدم اضمار الحقد او الحسد او الكراهية او رغبة الايذاء .

٣ — **القول الصحيح** — الابتعاد عن كل زور وبهتان فى القول وعن السب والاهانة وكل الألفاظ الخشنة أو الثرثرة الفارغة .

٤ — **السلوك الصحيح** — وهو العمل بفضائل الحياة مع الضغط على التحذير من القتل واخذ ما ليس من حق الانسان ، وكل صنوف الاستهتار أو التحلل أو الاستغراق فى الشهوات (انظر الوصايا العشر الآتية) :

٥ — **الجهد الصحيح** — وفى هذا المبدأ يقول بوذا : لسنا فى الحقيقة الا ثمرة لما يعتمل فى تفكيرنا ، فعندما يتكلم الانسان ، أو يتصرف بفكرة شريرة ، فان الألم يتبع ذلك على الفور — واذا تكلم او تصرف بأفكار خيرة فان السعادة تتبع ذلك كما يتبع الظل الشىء دائما .

٦ و ٧ — **ويندرج تحتها ضبط النفس** ، ويقول بوذا فى شرح هذا المبدأ — اذا كان هناك رجل قد انتصر على ألف رجل فى ألف معركة ، وثمة رجل انتصر على نفسه فان هذا الأخير هو أعظم الرجلين (١) .

٨ — **النشوة الصحيحة** — وتلك هى ختام المراحل التى لا يحصل عليها الانسان الا من خلال التأمل والتفكير العميق للوصول الى الاشراق الروحى . فيصبح الانسان حرا من كل العواطف التى تربطه بالحياة ، ويدخل بذلك الى حالة السكينة والسلام سكينة النرفانا ، (وسوف نتحدث عنها فيما بعد) .

---

(١) وفى مثل هذا القول المأثور رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر — جهاد النفس .

(١) وفى مثل هذا القول المأثور : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر — جهاد النفس .

وصايا البوذية العشر :

هذه الوصايا تحدد السلوك الصحيح مما أشرنا اليه سابقا فى (٤) :

— لا تزهق روحا .
— لا تأخذ ما لا تستحق .
— لا تــــزن .
— لا تكذب أو تغش أحدا .
— لا تســـكر .
— كل باعتدال ولا تأكل شيئا ابدا بعد الظهر .
— لا تشهد رقصا ولا تسمع غناء أو تمثيلا .
— لا تلبس حليا ولا تتعطر ولا تتخذ زينـــة .
— لا تنم فى فرش باذخة .
— لا تقبل ذهبـــا ولا فضة .

والوصايا الخمس الاولى واجبة على كل بوذى على الدوام . والخمس الاخيرة واجبة الاتباع فى أيام الصوم ، أما الرهبان فان عليهم اتباع الوصايـــا كافة فى سائر الاوقات .

أوجه الكمـــال العشـــرة :

الكمال الأول — العطـــاء — وهو أن يعطى الانسان بلا تحفظ .

الكمال الثانى — الواجـــب — وهو أن يؤثر الانسان الموت على أن يفرط فى واجبه .

الكمال الثالث — النبـــذ — وهو أن ينظر الانسان الى وجوده فى هـــذه الدنيـــــا . كأنه سجن وان يترقب اطلاق سراحه .

الكمال الرابع — الفراسة والبصيرة — وهو أن يسأل الانسان الحكماء دائما لاغتنام البصيرة .

الكمال الخامس — الجرأة — وهو التمسك بالشجاعة فى مواجهة الذات .

الكمال السادس — الصبر — كما تحمل الأرض كـــل ما عليها من نقـــاء وفساد لا تحس جذلا أو استياء فكذلك يجب أن يكون الانسان .

الكمال السابع — الصدق — وهو أن يثبت الانسان فى طريق الصدق لا يحيـــد عنه أبـــدا .

الكمال الثامن — القرار — كما يجثم الجبل الصخرى صامـــدا لا تزحزحه الزوبعة فكذلك يجب أن يصمد الانسان فى قراره اذا أبرمه .

الكمال التاسع — الرحمة والشفقة — كما يطفى الماء غلة الصالح والطالح على السواء ويطهر أرجاسهم ، كذلك عليك أن تعامل صديقك وعدوك سواسية فى الرحمة والشفقة .

الكمال العاشر — الهدوء — كما تنظر الأرض هادئة الى ما على ظهرها من فاسد وطهور ، كذلك تلقى أنت الأفراح والأتراح فى هـــدوء اذا اردت بلـــوغ الحكمـــة .

للحديث بقية



يسرنا ويسر القراء ان يستجيب العالم الكبير والكاتب الحجة الاستاذ محب الدين الخطيب لرغبتنا في الكتابة لقراء الوعي الاسلامي . ولقد قضى الاستاذ محب الدين حياته الحافلة المديدة ان شاء الله في الذود عن دين الله وعن عزة المسلمين . وقد اغراني حديثه الذي استمعت اليه في تليفزيون الكويت في برنامج « شخصيات اسلامية » والذي تحدث فيه عن شخصية سيدنا عثمان رضي الله عنه . في عدة حلقات اغراني بدعوته للكتابة في هذا الموضوع ، فلبى الدعوة مشكورا ومقدرا » .

نشأته :

ولد عثمان بن عفان بمكة فى السنة السادسة من عام الفيل ، فى اسرة كانت اقوى أسر قريش عصبية وجاها وثروة وعددا ومكانة . وأبوه عفان هو ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، وقصى بانى مكة من حول الكعبة وحرمها ، ومؤسس مجد قريش الذى قال فيه شاعرهم :

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا — به جمع الله القبائل من فهر

وعثمان يشترك فى النسب القريب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف بن قصى .

وأم عثمان هى أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، فهى تشترك فى النسب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف كذلك .

بل ان قرابة امه من النبى صلى الله عليه وسلم اقرب من ذلك بكثير لانها هاشمية النسب من جهة امها ، فهى بنت البيضاء ام حكيم بنت عبد المطلب بن

هاشم بن عبد مناف بن قصى ، فأم ذي النورين بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسبك هذا قرابة قريبة بين عثمان وبين المبعوث بأكمل رسالات الله صلوات الله وسلامه عليه .

ولأروى — أم عثمان — اخت هى سعدى بنت كريز ، دخلت فى الاسلام مبكرة ، وكانت ترغب فى أن يهدى الله ابن اختها عثمان للاسلام ، وأن تسعد بأن تراه صهرا للنبى صلى الله عليه وسلم على بنته رقية ، فتزداد اواصر القرابة وثوقا بين الفرعين الكريمين من بنى عبد مناف : فرع هاشم ، وفرع بنى عبد شمس . وكان مما يحبب ذلك اليها أن رقية الهاشمية وعثمان العبشمى الصهر المرجو لها كانا من أجمل قريش جمالا ، ومن اكملها كمالا .

كان عثمان مع جمال صورته كامل الأخلاق ، مستجمعا لصفات الخير ، فكان — مع الصدق الذى هو خلق جبله من اهل مكة — حيا حليما ، كريما رحيما ، لذلك كان محبوبا من قريش جميعا ، من بداية نشأته الاولى ، وكانت الامهات يناغين أطفالهن فى مهادهم ، فيخاطبنهم بحنان :

أحبك والرحمن حب قريش عثمان

ولما كان عثمان يسمع بما يدعو اليه رسول الانسانية صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق ومعاليها لا يجد شيئا من ذلك غريبا عليه ، بل ان هذه الرسالة تدعو الناس جميعا الى مثل ما يشعر عثمان بأنه متحل به من الاخلاق التى جعلته محبوبا الى قريش ، حتى ضربت نساؤها الامثال لمحبتهن فلذات اكبادهن بمحبة قريش لعثمان .

من هنا كان لعثمان فى بدء ظهور الدعوة الاسلامية عواطف متجاوبة مع هذه الدعوة من أخلاقه التى فطره الله عليها ، فكان ذلك مع قرابة النسب بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم الى عبد مناف بن قصى ، وكون امه أروى بنت عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، كل ذلك كان من الاواصر والميول النفسية التى سهلت على أبى بكر الداعية الأول للرسالة المحمدية مهمته فى اكتساب قلب عثمان ، وجعله أحد القلوب القليلة الأولى المؤمنة بآخر رسالات السماء الى الارض .

هذه خلاصة نشأة عثمان ، وهى نشأة فيها اعداد من الله ليكون عثمان حجرا من الاحجار الأولى فى بناء الاسلام .

اسلامه واصهاره الى النبى صلى الله عليه وسلم :

كان عثمان — كسائر شباب أسرته — مشتغلا بالتجارة ، وكان أبو بكر من أعيان تجار مكة ، وكان مؤلفا لقومه ، يدعو الى الاسلام من يثق به ، وكانت له مع عثمان صلات تجارية تتخللها أحاديث عن احداث البلد ، وكان أهم أحداث البلد فى ذلك الحين قيام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى رسالته العظمى للانسانية كلها ، وكانت تعقد بينهما مجالس فى فناء الكعبة لهذا الغرض .

نقل الحافظ ابن حجر فى (الاصابة) عن كتاب (شرف المصطفى) لأبى سعد النيسابورى ، أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الملقب بالديباج روى عن أبيه عن جده ، أن جده الاعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال :

« كان لى مجلس من أبى بكر ، فأتيته فأصبته فى مجلسه ، ولا أحد عنده ، فجلست اليه فرآنى متفكرا ، فسألنى عن أمرى — وكان رجلا رقيقا — فأخبرته

بما سمعته من خالتى ، فقال لى : ويحك يا عثمان ، والله انك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل . هذه الأوثان التى يعبدها قومك اليست حجارة صما لا تسمع ولا تبصر ، ولا تضر ولا تنفع ؟ قلت : بلى والله انها لكذلك . قال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته الى جميع خلقه فهل لك أن تأتيه وتسمع منه ؟ فقلت : نعم . فوالله ما كان باسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على بن أبى طالب ، يحمل ثوبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه أبو بكر قام اليه فساره فى اذنه ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقعد ، ثم أقبل على فقال : يا عثمان ، أجب الله الى جنته ، فانى رسول الله اليك والى جميع خلقه . قال عثمان : فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت ، وشهدت أن لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله . ثم لم ألبث أن تزوجت رقية)) .

وذلك لأن خالته سعدى كانت من ورائه ، ووراء رقية حريصة على اتمام هذا الزواج .

قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة سعدى بنت كريز ، بعد أن نقل هذا النص من قول عثمان نفسه عن كتاب (شرف المصطفى) : « وكان يقال : احسن زوجين رآهما انسان رقية وزوجها عثمان » ، ويقول أبو المقدام مولى عثمان : بعث النبى صلى الله عليه وسلم مع رجل بهدية الى عثمان ، فاحتبس الرجل ، أى تأخر فى العودة ، الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم ، ما حبسك الا كنت تنظر الى عثمان ورقية .

وفى اسلام عثمان ومصاهرته النبى صلى الله عليه وسلم تقول خالته سعدى :

هدى الله عثمان الصفى بقوله	فأرشده ، والله يهدى الى الحق
فتابع بالرأى السديد محمدا	وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وانكحه المبعوث احدى بناته	فكان كبدر مازج الشمس فى الافق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتى	فأنت أمين الله أرسلت فى الخلق

ويقول الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : قيل انه ولدت له رقية ابنا ، فسماه عبد الله ومات ، ثم ولد له عمرو فاكتنى به الى أن مات . هذا ما عرفه التاريخ من خبر اصهار عثمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هجرته الى الحبشة :

بعد اسلام عثمان واصهاره الى النبى صلى الله عليه وسلم اشتدت الحال على المسلمين فى مكة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان من قبل يلين فى دعوة قريش الى الاسلام ، ثم اشتد فى ذكر أوثانهم ومعبوداتهم ، فتألبوا عليه . وائتمروا على المسلمين ، وشرعوا فى ايذائهم ، قال ابن اسحاق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه ، وانه لا يقدر أن يمنعهم من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد . وكانت هجرة الحبشة عند دخول النبى صلى الله عليه وسلم شعب عبد المطلب ، وفترة عيشه فى حمى أبى طالب .

كتب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فى زمن خلافته الى عروة بن الزبير يسأله عن هجرة الحبشة . فكتب اليه عروة : « أما بعد فانه — يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم — لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى انزل عليه ، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ، حتى ذكر طواغيتهم . وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكروا ذلك عليه ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال ، واغروا به من اطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه ، الا من حفظه الله منهم وهم قليل ، فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من ابنائهم واخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الاسلام ، فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء . فلما فعل ذلك بالمسلمين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشى لا يظلم أحد بأرضه ، وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش ، يتجرون فيها ، يجدون فيها رفاغا (هنيئا) من الرزق ، وأمنا ، ومتجرا حسنا ، فأمرهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. » .

قال ابو جعفر الطبرى : فاختلف فى عدد من خرج الى ارض الحبشة ، وهاجر اليها هذه الهجرة الاولى ، فقال بعضهم : كانوا فى البداية احد عشر رجلا واربع نسوة ، وهم : عثمان بن عفان معه امراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة الاموى ، معه امراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام الاسدى ، ومصعب بن عمير من بنى عبد الدار سدنة الكعبة ، وعبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وابو سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، معه امراته أم سلمة بنت ابى امية المخزومية ، وعثمان بن مظعون الجمحى ، وعامر بن ربيعة العنزى حليف بنى عدى بن كعب ، معه امراته ليلى بنت ابى حثمة ، وابو سبرة بن ابى رهم العامرى ، وحاطب بن عمرو ابن عبد شمس ، وسهيل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر ، وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة . خرجوا من مكة حتى انتهوا الى الشعيبة ، منهم الراكب والماشى . ووفق الله للمسلمين من اهل هذه الهجرة الاولى — ساعة جاءوا الشعيبة — سفينتين للتجار حملوهم فيهما الى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان مخرجهم فى رجب فى السنة الخامسة من حين نبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركب المهاجرون ، فلم يدركوا منهم احدا . قالوا وقدمنا ارض الحبشة فجاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه .

قال الطبرى : فكان اول من خرج من المسلمين من بنى امية بن عبد شمس ابن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ومعه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى الحافظ الذهبى فى تاريخ الاسلام عن أنس بن مالك قال : خرج عثمان برقية بنت رسول الله الى الحبشة فأبطأ خبرهم ، فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد ، قد رأيت ختنك ومعه امرأته ، فقال : على اى حال رأيتهما ؟ قالت : رأيته حمل امراته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ، ان عثمان اول من هاجر بأهله بعد لوط .

بعض جوانب من اخلاقه وشخصيته وفضائله :

كانت الأخلاق الغالبة على ذى النورين عثمان السكينة والحلم والرحمة ، وطول العبادة والسخاء والكرم والعدل ، وحب العافية فى الدين والدنيا ، للفرد وللجماعة .

روى عبد الله بن المبارك عن الزبير بن عبد الله أن جدته أخبرته — وكانت خادما لعثمان — قالت : كان عثمان لا يوقظ نائما من أهله الا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه للصلاة .

وكان وضوؤه وصلاته كأنهما وضوء النبى صلى الله عليه وسلم وصلاته ، وفى كتب السنة بيان كيف كان الناس يتعلمون وضوء النبى صلى الله عليه وسلم من وضوء عثمان .

بئر رومة

ومن أمثلة كرمه عقب هجرتهم الى المدينة أن يهوديا كان يملك بئرا يحتاج المسلمون الى تناول الماء منها ، فلا يمكنهم اليهودى من ماء هذه البئر — واسمها بئر رومة — الا بالثمن الذى يجهدهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشترى بئر رومة فيجعلها للمسلمين ، يضرب بدلوه فى دلائها ، وله بها مشرب فى الجنة ؟ فأتى عثمان اليهودى فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر الف درهم ، فجعل عثمان نصف البئر للمسلمين[1]، وقال لليهودى : ان شئت جعلت على نصيبى قرنين نستقى عليهما ، وان شئت فلى يوم ولك يوم . قال اليهودى : بل لك يوم ولى يوم . فكان اذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين . فلما رأى اليهودى ذلك قال لعثمان : أفسدت على ركيتى (بئرى) ، فاشتر النصف الآخر ، فاشتراه عثمان بثمانية آلاف درهم ، وصارت البئر كلها مباحة للمسلمين فى كل يوم يستقون منها مجانا وبلا اى حرج .

ومن عجائب الاقدار فى تقلبها ، وعجائب الناس فى مكافأتهم للمحسنين من رجالهم على احسانهم ، أن يحاصر دعاة الفتنة أمير المؤمنين عثمان فيمنعوه الشرب من ماء رومة ، ومن كل ماء ، فيشرف عثمان على دعاة الفتنة ويقول لهم : السلام عليكم ، فما يرد عليه أحد ، فقال لمن هناك من المسلمين الأولين : أنشدكم الله ، هل تعلمون أنى اشتريت بئر رومة من مالى وجعلت رشائى فيها كرشاء رجل من المسلمين ؟ فقيل : نعم . فقال : فعلام أمنع من مائها وافطر على الماء المالح ؟! لأنه كان صائما ، واذا أراد أن يفطر لا يجد الا ماء بئر مالح فى داره .

شراؤه الارض لتوسعة المسجد

ولما ازداد عدد المسلمين بعد الهجرة الى المدينة ، وضاق المسجد النبوى بالمصلين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد فى مسجدنا ؟ فاشترى عثمان رضوان الله عليه موضع خمس سوارى من الارض ، فزاد فى سعة المسجد ما يوسع على المسلمين .

فلما كانت الفتنة منعوه فى آخر الامر من الصلاة فى المسجد ، الذى زاد فيه من ماله ، وهو فى أقل التقدير له حق الصلاة فيه كما كان يصلى فيه على

مقربة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بين الهجرة والوفـاة النبوية ، فخاطبهم معاتبا وسائلا : هل منع من الصلاة فى هذا المسجـد أى مسلم قبل أن يقع المنع عليه ؟!

تجهيـز جيش العسرة

وفى غزوة تبوك ــ وكانت تسمى غزوة العسرة ، لشدة من الحر وجدب فى البلاد ، وحين طابت الثمار والظلال فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها فى الحر والجـدب ــ فحض النبى صـلى الله عليه وسلم اهل الغنى على النفقة والتبرع بالركائب ، لحملان المجاهدين فى سبيل الله ، فحمل رجال من اهل الغنى فاحتسبوا ، وانفق عثمان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق احد أعظم من نفقته ، فقد بلغ ما جهزه عثمان بنفسـه لجيش العسرة تسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الألف بخمسين فرسا ، ثم زاد ذلك حتى بلغ الف بعير وسبعين فرسا .

وليقارن المسلم ذلك بحال عثمان لما قتل ، واحتيج الى حمله للقبر الذى يوارى فيه ، كيف حمل ؟ ، وكيف واراه اهل الحق والخير بالخفاء والستر على مالا يرضاه الله ورسوله وصالح المؤمنين .

فى أيام خلافته

وفى أيام خلافته فتحت الفتوح ، وسارت رايات الاسلام عزيزة ظافـرة فى كل فج ، حتى دخلت فى الاسلام بلاد المسلمين التى فى روسيا الآن مجتازة الدربند التى كانوا يسمونها باب الابواب ، مما لم تبلغه دولة الاكاسرة فى اقوى عصـورها .

وكانت الامة فى عدل ورخاء ومحبة وتناصف . روى السدى عن السرى ابن يحيى عن ابن سيرين قال : كثر المال فى زمن عثمان ــ ولم يكن المال فـى زمانهم الا الفضة والذهب ــ حتى بيعت جـارية بوزنهـا ، وفرس بمائة الف درهم ، ونخلة بألف درهم .

وقال الحسن البصرى سمعت عثمان يخطب وهو يقول : يا أيها الناس ، ما تنقمون على ، وما من يوم الا وانتم تنفقون فيه خيرا ؟

قال الحسن : وشهدت منادى عثمان ينادى : يا أيها الناس اغدوا علـى عطيتكم ، فيغدون ، ويأخذونها وافية . يا أيها الناس اغـدوا على ارزاقكم ، فيغدون ، فيأخذونها وافية . حتى والله سمعته إذناى يقـول : اغـدوا على كسوتكم ، فيأخذون الحلل . واغدوا على السمن والعسـل . قال الحسن : أرزاق دارة ، وخير كثير ، وذات بين حسن . وما على الارض مؤمن يخـاف مؤمنا الا يوده ، وينصره ، ويألفه . فلو صبر الانصار على الاثرة ــ اى كما أوصاهم النبى صلى الله عليه وسلم ــ لوسـعهم ما كانوا فيـه من العطـاء والرزق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلوا السيف مع من سل ، فصـار عن الكبار مغمدا ، وعلى المسلمين مسلولا !!

لماذا ولى أقاربه

روى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن ابيه قال : لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه ، ولعله يشير الى تولية عثمان اقاربه من بنى أمية ، وهم كانوا أهل كفاءة وبراعة فى صناعة الحكم ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول من ولى هذه الاسرة الاحكام ، وبولايتهم كان

الخير والرزق والسعه والعدل ، وسائر ما وصف به الحسن البصرى المجتمع الاسلامى ايام خلافة عثمان ، فرجال عثمان كانوا بين فاتح ظافر لا نظير له ، وبين حاكم حليم عادل لا مثيل له .

وبعد وقعة الجمل لما ولى على عبد الله بن عباس على البصرة غضب الاشتر وقال : فلان على البصرة ، وفلان على اليمن ، وفلان على الحجاز ، ففيم قتلنا الشيخ اذن ؟ ويعنى بالشيخ ذا النورين ، يشكو من ولاية على اقاربه ، وغضب وركب فرسه وتوجه الى الكوفة ، فترك على أعماله ، ولحق بالاشتر مسرعا لئلا يثير عليه فتنة كالتى أثارها على عثمان .

ان ادارة عثمان العادلة ، وطريقته الرحيمة فى الحكم ، وتوسعه الباهر فى الجهاد والفتوح ، وادخال الامم فى دين الله افواجا ، قد جعل مدة خلافة عثمان لا يكاد يكون لها نظير فى اذاعة الاسلام واشاعته ، وهذا هو اللائق بعثمان ، وما كان يرجوه له ويدعو له به خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يعلم بوحى من الله ، ان عثمان سيكون من اهل الشهادة والجنة .

روى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن احد كرام التابعين ، عن طلحة بن عبيد الله احد العشرة المبشرين بالجنة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان » .

وفى كتاب فضائل الصحابة من صحيح الامام مسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى عثمان : ألا أستحيى من رجل تستحيى منه الملائكة » ؟ .

وقال النزال بن سبرة : قلنا لعلى حدثنا عن عثمان . قال : ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى « ذا التورين » .

وقيل للمهلب بن ابى صفرة : لم قيل لعثمان « ذا النورين » . فقال : لانه لم يعلم ان احدا أرسل سترا على ابنتى نبى غيره .

وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : سألت ربى ان لا يدخل النار احدا صاهر الى او صاهرت اليه .

وفى صحيح البخارى عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : كنا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبى بكر أحدا ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم .

وقال عبد الله بن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة : بايعنا خيرنا ولم نأل .

ووصفه على بن أبى طالب بعد انقضاء أجله فقال : كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا واحسنوا ، والله يحب المحسنين .

وقال على فى عثمان بعد انتهاء الفتنة : من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الايمان . والله ما أعنت على قتله ، ولا أمرت ولا رضيت ، ويؤيد قول على فى ذلك فعله طول مدة الفتنة ، فقد جعل ابنيه — الحسن والحسين — فى حراسة عثمان ، وامرهما أن يطيعاه فى الدفاع عنه ، وأن يكونا عونا له فى كل ما يطلب ويرغب مما يستطيعانه . ولما كان اليوم الاخير — يوم الشهادة لعثمان — كان الحسن بن على أحد الجرحى فى الدفاع عنه .

وروى موسى بن طلحة قال : اتينا عائشة رضى الله عنها نسألها عن عثمان ، فقالت ، اجلسوا أحدثكم عما جئتم له . انا عتبنا على عثمان رضى الله عنه فى ثلاث خصال — ولم تذكرهن — فعمدوا اليه ، حتى اذا ماصوه كما يماص الثوب بالصابون ، اقتحموا عليه الحرم الثلاث : حرمة البلد الحرام ، وحرمة الشهر الحرام ، وحرمة الخلافة . ولقد قتلوه وانه لمن أوصلهم للرحم وأتقاهم لربه رضى الله عنه فى الخالدين .

شهيد مؤتة

جَعفر الطيّار

له صادق الحب فى خافقى … شهيد بفردوسه الشاهق

أهيم باخباره النيرا … ت وأهفو لايمانه الصادق

وأسعى الى ورده ظامئا … لانهل من فيضه الدافق

وأشدو الأغاريد فى مدحه … وإطراء اسلامه السابق

وما كان شعرى لآل النبى … سوى مقول بالشذا عابق

قبست الهدى من ينابيعهم … ولذت بدوحهم الوارق

تغلغل منذ الصبا حبهم … بنفسى وأهديتهم خافقى

وما الحب إلا لأربابه … أولى الفضل والمحتد السامق

وهل صيغ قلبى لغير الهوى … وللحب فى طوره الفائق

وهذا يراعى لفى لهفة … لتسطير مجد الفتى الباسق

واحلاله فى رياض القريض … بموضعه الزاهر المشرق

فتى قد أتاه نداء الهدى … فلباه تلبية العاشق

وسار الى الروم فى جحفل … به كل مستبسل حاذق

فما بينهم فارس مارق … وهل فى الميامين من مارق

ترفرف فى الأفق راياتهم … الى النصر رفرفة الواثق

وليس الجهاد لصحب الرسول … سوى منية المولع الوامق

وفرحتهم بصليل السيوف … اذا أطبق النقع من حالق

* * *

جعفر بن أبى طالب ذو الجناحين . شهيد مؤتة وخطيب المهاجرين الى الحبشة .

كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث جيشا لغزو الروم فى السنة الثامنة للهجرة وأعطى الراية لزيد بن حارثة ، فان قتل فالراية لجعفر بن أبى طالب ، فان قتل فلعبد الله بن رواحه ، وقد قتل الثلاثة فى مؤته على مرحلتين من بيت المقدس ، وقتل جعفر بعد قطع يديه قبل الغروب وهو صائم وفى جسمه أكثر من تسعين جرحا ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ، ويروى عنه أنه لما فقد يديه أخذ الراية بأحضانه الى أن قتل ، وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه ، جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء،وقد أخذ الراية بعد الشهداء الثلاثة خالد بن الوليد الذى استطاع أن ينقذ الجيش بخدعة حربية نادرة المثال ويعود به للمدينة . وكان جيش العدو يفوقه خمسين مـــرة ..

فالى أحفاد زيد وجعفر وعبد الله وخالد أهدى قصة الأجداد لعلها تنفع فى مثل هـــذه الأيام الشـــداد .

للأستاذ : فاضل خلف

وســـار الشهيد على دربـــه ... لســاح القتـــال بلا عائـــق
يصوم لخالقـــه فى النهـــار ... ويســـجد فى ليلـــه الغاسق
الى ان بدا الروم فى زحفهـم ... يموجون فى عســـكر حانـــق
فهب الكمى : فتـــى هاشـم ... وأفصح عن صيتـــه الناطـــق
وجاهـــد وهو حليف الوغـــى ... وجالد بالصــارم الصـــاعق
وأصبح وهو ربيـــب العلـــى ... يذود عـــن العلـــم الخافـــق
ولابـــن أبى طالب صولـــة ... بســـيف لهام العـــدا فالـــق
يشـــق صـــفوفهم ظـــافـــرا ... ويرفل فى نصـــره الســـاحق
الى أن أتـــاه نـــداء الســماء ... وموئلهـــا الخالـــــد الشائق
فحزت يداه بســـاح الجهـــاد ... وخر اللواء مـــع البـــــارق
وقد أسلم الروح فى مؤتـــة ... وطار اشتياقـــا الـــى الخالق
ومؤتـــة خطت بســـفر الخلود ... فصولا عن المعجـــز الخـــارق

* * *

وجـــاء الـــى المصطفى أمـــره ... وأصغى الـــى الخبـــر الطارق
فأسمع أصـــحابه الأوفيـــاء ... حديثا عـــن الواهـــب الرازق
جناحان فى الخلد ــ بشراكم ــ ... أعدهما اللـــــه للباشـــــق
يطيـــر بفردوســـــه جعفـــر ... ويرشف من كوثـــر رائـــــق

قضاء الله في بني إسرائيل (١)

للدكتور: محمد سيد طنطاوي

جامعة البصرة

الامم — ولا سيما — فى أوقات الشدائد والمحن ، احوج ما تكون الى الايمان العميق ، والاخاء الوثيق ، والتفكير السليم ، والاعتبار بسنن الله فى خلقه ، ونبذ الاشاعات الضارة التى تحول بينها وبين ما تصبو اليه من عزة وطمأنينة .

ومن الاشاعات الكاذبة التى روجها ضعفاء النفوس فى الأيام الأخيرة اشاعة تقول :

« ان انتصار اليهود على المسلمين فى الحرب القريبة الماضية أخبرت عنه الكتب السماوية) ثم يدعمون مزاعمهم هذه بقوله تعالى : ((**وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)) (٢) .**

ولا شك أن هذه الآيات أبعد ما تكون عما أشاعه أولئك المضللون ، او المضللون الذين يهدفون من وراء أكاذيبهم الى أن يرضى المسلمون بالذل والهوان ، وأن يستسلموا لأنها — فى زعمهم — أمر أخبر عنه القرآن الكريم :

ويهمنا بهذه المناسبة أن نوضح أمرين رئيسيين :

أولهما : تفسير الآيات الكريمة :

وثانيهما : بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد مرتى افسادهم فى الأرض .

---

(١) هذا المقال مقتبس من رسالة حصل بها الكاتب على (الدكتوراه) بتقدير (ممتاز) فى التفسير والحديث ، من جامعة الأزهر — كلية أصول الدين ، وكان موضوعها (بنو اسرائيل فى القرآن والسنة) وتبلغ صفحاتها زهاء سبعمائة صفحة .. وستطبع قريبا — باذن الله .

(٢) سورة الاسراء الآيات ٤ — ٨ .

ولتوضيح الأمر الأول نقول :

قوله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب . . » معناه : واوحينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب ـ وهو التوراة ـ وحيا مؤكدا واعلمناهم فيه على لسان نبيهم موسى ـ عليه السلام ـ بما سيقع منهم من افساد كبير فى أرض الشام مرتين ، كما قال تعالى (لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) اى : لتعصن الله تعالى ، ولتخالفن أمره فى أرضه مرتين ، ولتستعلن على الناس بغير حق استعلاء عظيما ، يؤدى بكم الى الخسران والدمار .

فان قال قائل : وما الفائدة فى ان يخبر الله بنى اسرائيل فى كتابه انهم يفسدون فى الأرض مرتين ، وانه يعاقبهم على ذلك عقابا أليما ؟ .

فالجواب : ان اخبارهم بذلك يفيد أن الله لا يظلم الناس شيئا ، وانما يعاقبهم بما كسبت أيديهم ، ويعفو عن كثير ، وان رحمته مفتوحة للتائبين ، كما يفيد أن الأمم المغلوبة على أمرها : تستطيع ان تسترد عزتها المسلوبة ، وكرامتها المغصوبة وأوطانها المنهوبة ، متى استقامت على أمر الله ، وأخذت بأسباب القوة والنصر فى كل شؤونها .

ثم بين ـ سبحانه ـ ما سيحل بهم من عقوبات بسبب فسوقهم عن أمره فقال تعالى (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) اى فاذا جاء وقت عقابكم ـ يا بنى اسرائيل ـ على المرة الأولى من افسادكم فى الأرض ، سلطنا عليكم عبادا لنا ذوى قوة وبطش فى الحرب ، فأنزلوا بكم الهوان ، وترددوا بين مساكنكم لقتلكم ، وسلب أموالكم ، وهتك أعراضكم ، وتخريب دياركم ، وكان ذلك العقاب لكم ، وعدا نافذا لا مرد له ولا مفر لكم منه .

ثم أخبر ـ سبحانه ـ انه نصرهم على أعدائهم حين أصلحوا أنفسهم فقال تعالى : (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) . اى : أعدنا لكم الدولة والغلبة على أعدائكم الذين قهروكم واذلوكم بعد ان احسنتم العمل ، وأمددناكم بالأموال والبنين ، وصيرناكم أكثر عددا ، وأعز ناصرا ، فعليكم أن تقدروا هذه النعم وتؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى تعرفون صدقه كما تعرفون أبناءكم .

وقوله تعالى بعد ذلك : (ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها) بمثابة التعليل لما قبله ، فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم : رددنا لكم الكرة على أعدائكم وغمرناكم بنعمنا بعد أن أصلحتم شأن أنفسكم ، لتعلموا سنة من سنننا التى لا تتغير ولا تتبدل وهى أن الفساد فى الأرض عاقبته الدمار وتخريب الديار ، وان الاحسان والطاعة عاقبتهما النصر والاستقرار .

ثم بين ـ سبحانه ـ انه سيكون منهم افساد كبير مرة ثانية ، وانه سيبعث عليهم من يذلهم فقال تعالى : (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) اى : فاذا جاء وقت عقابكم على المرة الثانية من مرتى افسادكم ، سلطنا عليكم أعداءكم ليجعلوا آثار الكآبة والذلة بادية على وجوهكم ، وليدخلوا المسجد الاقصى فاتحين غالبين كما دخلوه أول مرة ، وليدمروا ما ظفروا به تدميرا شديدا .

وكان من مظاهر مفاسدهم فى المرتين ، تحريفهم للتوراة ، وتركهم العمل بها ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، واخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل . . . الخ .

ثم بين سبحانه أن هذا الدمار الذى حل بهم قد يكون طريقا لرحمتهم ، ان فتحوا قلوبهم للحق ، فقال تعالى : (عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) .

اى : لعل ربكم ان يرحمكم ويعفو عنكم متى أخلصتم العبادة واحسنتم العمل ، فان من سنته سبحانه أنه لا ينزل بلاء الا بذنب ولا يرفعه الا بتوبة ، أما اذا عدتم الى المعاصى ، فانه سيعود عليكم بالعقاب والتعذيب . ولقد عادوا الى المعاصى فسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة ولهم بعد ذلك فى الآخرة جهنم وبئس المهاد .

قال ابن عباس : (عادوا الى المعاصى فسلط الله عليهم المؤمنين فأذلوهم وقهروهم) .

هذا ، وقبل ان نتحدث عن الأمر الثانى نسوق بين يديه هذه المقدمات :

ا ـــ لم يرد عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حديث صحيح فى بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد مرتى افسادهم .

ب ـــ الافساد فى الأرض قد حدث من اليهود كثيرا ، والمقصود من قوله تعالى (لتفسدن فى الأرض مرتين) انما هو أظهر مرتين حدث فيهما الافساد منهم ، ومما يدل على تكرر معاصيهم ومفاسدهم قوله تعالى (وان عدتم عدنا) كذلك مما يدل على أن التسليط عليهم مستمر الى يوم القيامة قوله تعالى (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . .) .

جـ ـــ الرجوع الى التاريخ الصحيح هو الذى يعيننا على معرفة المسلط عليهم بعد مرتى افسادهم .

د ـــ نعتقد أن المقصود من سياق الآيات ، بيان سنة من سنن اللـه فى الأمم حال اصلاحها وفسادها ، وقد ساق القرآن ، هذا المعنى بأحكم عبارة فى قوله تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) .

ويعجبنى فى هذا المقام قول الامام الرازى : (واعلم انه لا يتعلق كثير غرض فى معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم ، بل المقصود أنهم لما أكثروا من المعاصى سلط الله عليهم أقواما آخرين فقتلوهم وأذلوهم) (١) .

ومع ايماننا بأن الآيات واردة لبيان سنة الله فى خلقه وانه لا يتعلق كثير غرض من معرفة الأقوام الذين سلطوا على بنى اسرائيل بعد مرتى افسادهم ، الا اننا نحاول التعرف على أولئك الأقوام الذين اختلف المفسرون فى شأنهم اختلافا كبيرا ، واضطربت أقوالهم عنهم اضطرابا شديدا فنقول بايجاز شديد .

الرأى الذى نختاره أن المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد افسادهم الأول فى الأرض ، هم جالوت وجنوده ، ونستند فى اختيارنا لهذا الرأى الى أمور من أهمها ما يلى :

اولا : صرح بعض المفسرين بأن القوم الذين أخرجوا بنى اسرائيل من ديارهم هم جالوت وجنوده ، قال ابن جرير : قال ابن عباس (بعث الله عليهم فى الأولى جالوت فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهم الخراج ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا فى سبيله فبعث لهم طالوت فقاتلوا جالوت وانتصروا عليه ، وقتل جالوت بيد داود . .) (٢) .

---

(١) التفسير الكبير للرازى جـ ٢٠ ص ١٥٦ طبعة عبد الرحمن محمد ولابن كثير وأبى حيان كلام يشبه كلام الرازى فراجعهما .

(٢) تفسير ابن جرير جـ ١٥ ص ٢١ طبعة الحلبى الآيات ٢٤٥ ـــ ٢٥٢ .

ثانيا : ذكر القرآن الكريم فى سورة البقرة قصة القتال الذى دار بين بنى اسرائيل وبين جالوت وجنوده ، وبين فيها ما يدل على انهم كانوا قبل ذلك القتال مهزومين مستذلين ، ويتجلى هذا المعنى فى قولهم لنبيهم (وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فهذا القول منهم ـ كما حكاه القرآن ـ يدل على انهم قبل قتالهم لجالوت كانوا قد هزموا على ايدى اعدائهم هزائم منكرة اضطروا معها الى الخروج من ديارهم ومفارقة أبنائهم ، والذين اوقعوا بهم هذه الهزائم هم جالوت وجنوده كما قال بعض المفسرين .

ثالثا : قوله تعالى (ثم رددنا لكم الكرة عليهم . .) صريح فى ان الله نصر بنى اسرائيل ـ بعد أن تابوا وانابوا ـ على أعدائهم الذين جاسوا خلال ديارهم ، ولقد كان هذا النصر نعمة كبرى لهم ، لأنه أتاهم بعد أن أخرجوا من ديارهم وبعد أن اعترضوا على اختيار (طالوت) ملكا عليهم ، وبعد أن قاتل معه عدد قليل منهم ، أما أكثرهم : فقالوا : (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . .) .

رابعا : قوله تعالى (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) ينطبق على العهد الذى تولى فيه داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ حكم بنى اسرائيل ، ففى ذلك العهد ازدهرت مملكتهم ، وصاروا اكثر نفيرا من أعدائهم . . وتاريخهم قبل ذلك وبعد ذلك ، هو فى مجموعه سلسلة من المآسى والنكبات التى حلت بهم بسبب ظلمهم وبغيهم من مختلف الشعوب وفى شتى العصور .

هذا ما نرجحه فى بيان المراد بالعباد الذين سلطوا على بنى اسرائيل بعد افسادهم الأول فى الأرض ، أما المراد بالعباد الذين سلطوا عليهم بعد افسادهم الثانى ، فيرى جمهور المفسرين انهم البابليون بقيادة (بختنصر) فقد غزاهم ثلاث مرات الأولى سنة ٦٠٦ ق.م ، والثانية سنة ٥٩٩ ق.م . والثالثة سنة ٥٨٨ ق.م ، وفى هذه المرة الثالثة ، قتل زهرة شبابهم . وهدم هيكلهم ، وساق الأحياء منهم اسارى الى بابل ، وقد ظلوا فى أسره زهاء خمسين سنة ، ثم انقذهم منه (قورش) الفارسى الذى تربى فى حجر (أستير) اليهودية . . وهذا الرأى ليس ببعيد عن الصواب لما ذكرنا من تنكيله بهم ، ولكنا نؤثر عليه ان يكون المسلط عليهم فى هذه المرة ، هم الرومان بقيادة (تيطس) لأمور اهمها :

اولا : الذى يتتبع التاريخ يرى أن رذائل اليهود فى الفترة التى سبقت تنكيل الرومان بهم أشد وأفحش من رذائلهم التى سبقت اذلال (بختنصر) لهم ، وبالتالى كان تسليط الرومان عليهم أنكى وأقسى ، فهم ـ على سبيل المثال ـ قبيل بطش الرومان بهم كانوا قد قتلوا من انبياء الله زكريا ويحيى ـ عليهما السلام ـ ، وحاولوا قتل عيسى ، واتخذوا لذلك جميع السبل ، ولكنهم لم يفلحوا لأسباب خارجة عن ارادتهم ، وقد قتلوا ـ فعلا ـ شبيه عيسى ظنا منهم انه عيسى عليه السلام .

ثانيا : التاريخ الصحيح لا يؤيد ما ذكره المفسرون من أن الله تعالى سلط عليهم (بختنصر) بعد افسادهم الثانى فى الأرض بسبب قتلهم لزكريا ويحيى عليهما السلام ، وذلك لأن ، بختنصر يسبق عصرهما بخمسة قرون على الأقل ،

وقتل اليهود لهذين النبيين الكريمين ، ومحاولتهم قتل عيسى ، كان فى عهد حكم الرومان لفلسطين (١) ، ولم يكن فى عهد (بختنصر) البابلى .

ثالثا : ضربات الرومان فى ذاتها كانت أشد وأقسى على اليهود من ضربات (بختنصر) .

فقد وصف المؤرخون النكبة التى أوقعها بهم الرومان بأوصاف تفوق ما انزله بهم (بختنصر) ، يقول أحد الكتاب كان (تيطس) فى الثلاثين من عمره حينما وقف سنة ٧٠ ميلادية أمام أسوار أورشليم على رأس جيشه ، وأخذ سكانها من اليهود يعانون أهوال الحصار ، وسرت فيهم المجاعات ، فكانوا يخرجون على أيديهم وأرجلهم كالأشباح الذابلة ، تسبقهم الشائعات بأنهم قد ابتلعوا الذهب فى بطونهم ، فكان جند الرومان يتصيدونهم فى الظلام ، ثم يشقون بطونهم بحثا عن الذهب .. وبعد أن اقتحم الرومان (أورشليم) استباحوها ، ثم أحرقوا هيكل اليهود ودمروه ، وتحققت نبوءة المسيح حين قال : (ستلقى هذه الأرض بؤسا وعنتا وسيحل الغضب على أهلها ، وسيسقطون صرعى على حد السيف ، ويسيرون عبيدا الى كل مصر ، وستطأ (أورشليم) الأقدام) (٢) .

رابعا : ضربات الرومان ــ من حيث آثارها على اليهود ــ أشنع من ضربات (بختنصر) وذلك لأنهم بعد تنكيل (بختنصر) بهم ، استطاعوا أن يعودوا الى فلسطين تحت حماية (قورش) الفارسى ، أما بعد تنكيل الرومان بهم فقد مزقوا شر ممزق وانقطع دابرهم كأمة ، وقضى على كيانهم كدولة أو ما يشبه الدولة .

يقول صاحب (تاريخ الاسرائيليين) بعد وصفه لما حل باليهود على يد (تيطس) :

(الى هنا ينتهى تاريخ الاسرائيليين كأمة ، فانهم بعد خراب أورشليم على يد الرومان ، تفرقوا فى جميع البلاد ، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التى نزلوا فيها) (٣) .

ولهذه الأسباب نرجح أن المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد افسادهم الأول فى الأرض هم (جالوت وجنوده) والذين سلطهم عليهم بعد افسادهم الثانى هم الرومان بقيادة (تيطس) .

أما الحقيقة التى نعتقدها ونكررها فهى أن الآيات الكريمة مسوقة لبيان سنة من سنن الله فى خلقه ، وهى أن الأمم التى تفرط فى جنب الله ، وتنتهك حرماته ، وتهمل الأخذ بأسباب النصر الروحية والمادية ، هذه الأمم ــ فى كل زمان ومكان ــ مصيرها الفشل والخسران .

أما الأمم المؤمنة بربها ، القوية فى كل شأن من شؤونها ، فان العاقبة ستكون لها ، وما يصيبها من هزيمة فى بعض المواقف ، ما هو الا نوع من الامتحان الذى يصقل النفوس ، ويميز الخبيث من الطيب ، وهذا وعد الله (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) .

والعاقل هو الذى يعتبر بسنة الله التى لا تتبدل ولا تتحول .

---

(١) حكم الرومان لفلسطين استمر من سنة ٦٣ ق.م الى سنة ٦١٤ ميلادية ، ثم خضعت لحكم الفرس من سنة ٦١٤ الى سنة ٦٢٨م ، ثم عادت الى حكم الرومان من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٣٦م ثم فتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ الموافق ٦٣٦م ..

(٢) من مقال للأستاذ عمر طلعت زهران ، عنوانه (تدمير أورشليم) نشر بمجلة الأزهر المجلد ٢١ ص ٤٧ .

(٣) تاريخ الاسرائيليين ، ص ٧٧ لشاهين مكاريوس طبعة المقتطف سنة ١٩٠٤ م .

كان عمر مجتهداً وعبقرياً في اجتهاده

محمود مؤذن

للأستاذ: محمد البلتاجي

من الحقائق المسلم بها فى تاريخ الفكر البشرى بعامة ان اتحاد الغاية والهدف لا يتضمن بالضرورة اتحاد المقدمات والوسائل . فكثيرا ما تتفق الغايات المقصودة مع الاختلاف الكبير فى الوسائل والمقدمات المتبعة فى الوصول اليها.

وهـذا يصدق الى أقصى حد على هذا التعليق الذى أقدمه هنا حول مقال « حول اجتهادات الخليفة عمر بن الخطاب » للاستاذ محمود مهدى استانبولى الذى نشر فى العدد الحادى والثلاثين .

فبالرغم من اتفاقى التام معه فى أن الذين نظروا الى التشريعات العظيمة التى تمت فى خلافة عمر بن الخطاب على أنها مخالفات منه لنصوص التشريع ـ قد جانبوا الحق فى نظرهم هذا ، وبالرغم من اتفاقى معه أيضا فى ان هذه التشريعات كانت تطبيقا لهذه النصوص ، ولم تكن بأى حال من الاحوال مخالفة أو تركا لها . بالرغم من ذلك فاننى اختلف معه تماما فى المقدمات ، ووجهات النظر ، والمقررات التى ساقها للوصول الى هذه النتيجة التى اتفق معه عليها تماما . وذلك على التفصيل الآتى :

— ١ —

قال الأستاذ استانبولى : « وقد رأيت ان ابحث هـذا الموضوع الخطير لاثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد **لم يكن مجتهدا** ، انما كان متبعا لنصوص الشريعة » .

وانى أقول : ان البحث الموضوعى قد اثبت بما لا يدع مجالا لأية مخالفة ان عمر بن الخطاب كان أكبر مجتهد فى تاريخ التشريع الاسلامى ، بأوسع ما تحمله كلمة (الاجتهاد) من معنى ومضمون . وسوف تبدو هذه الحقيقة واضحة فى مناقشتى للأمثلة الثلاثة التى ساقها كاتب المقال . بل اننى لأذهب الى القول بأن البحث الموضوعى قد أثبت أن عمر لم يكن مجتهدا فحسب ، بل كان ذا منهج عبقرى متميز فى الاجتهاد ، تمثل فى خطة عقلية كان يصدر عنها فى مجال تطبيقه لنصوص التشريع ، مما لا يتسع المجال هنا لتفصيله .

ثم ، هل هناك تعارض بين أن يكون عمر ــ أو غيره ــ مجتهدا ، وبين أن يكون متبعا لنصوص الشريعة فى الوقت نفسه (كما تدل على ذلك الفقرة التى تنفى عن عمر صفة الاجتهاد لتثبت له صفة اتباع النصوص) ؟ اننا لنذهب الى القول ــ ومعنا عشرات من الأئمة والمجتهدين والفقهاء ــ الى أن ضرورة اتباع نصوص الشريعة نفسها تتطلب فى كثير من الأحيان فكرة الاجتهاد ــ بطرقه المتعددة ــ فى هذه النصوص وحولها . وتبدو هذه القضية أيضا واضحة فى مناقشتى للأمثلة التى سيقت فى المقال المذكور .

— ٢ —

ثم يقول كاتب المقال : ان عمر بن الخطاب أخطأ فهم المقصود بقوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) فضيق هذا المقصود حيث حصرهم فيمن وجد منهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون من وجد بعده . مع أن الآية تتسع لمن وجد منهم فى كل عصر . فمضمون هذا السهم أوسع فى الحقيقة من فهم عمر فيه . ولأن عمر أخطأ فى هذا الفهم (فلا يجوز أن يتخذ فعل عمر هذا مثالا للمنهاج الفقهى الواقعى) !

ونحن لا نعطى عمر ــ أو غيره من الصحابة او المجتهدين ــ صفة العصمة عن الخطأ فى اجتهاده . لأنه أولا: بشر ، يجوز عليه فى نهاية الأمر ما يجوز على سائر البشر من الخطأ والنسيان والجهل ببعض الأمور . وثانيا : لأنه لم يعط نفسه ، أو اجتهاده ، هذه الصفة . فقد كتب أحد كتابه فى احدى مسائل اجتهاده : هذا ما رأى الله ورأى عمر . فقال له عمر : بئسما قلت! قل : هذا ما رأى عمر ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمن عمر (١) . وقال عمر أيضا : السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأى (أى احتمال الخطأ فيه بحكم أنه رأى) سنة للأمة (٢) . وقال مرة على المنبر : أيها الناس ، ان الرأى انما كان من رسول الله مصيبا ، ان الله كان يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف (٣) . وقد كان من خطة عمر ومنهجه فى اجتهاده الا يجعل نتيجة اجتهاده ــ هو أو غيره من الناس ــ نصا تشريعيا ملزما لا احتمال فيه لخطأ أو اعادة نظر (٤) .

لا نعطى عمر اذن صفة العصمة عن الخطأ فى الفهم والاجتهاد بصفة عامة ، ولكننا مع ذلك نقول : ان عمر فهم موضوع المؤلفة قلوبهم الفهم الصحيح الذى كان فيه ذلك العبقرى الملهم الذى لم يفر أحد فريه . والذى كان الحق يدور معه حيث دار ، كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) .

الفهم مشترك

وقد شارك عمر فى هذا الفهم أبو بكر الصديق وباقى الصحابة وهذه الموافقة موافقة يمكن اعتبارها نوعا من (الاجماع السكوتى) الذى لم نعلم أحدا

---

(١) اعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ٦٢ وأبطال القياس والرأى لابن حزم ص ٥٨ .

(٢) أعلام الموقعين جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) المرجعين السابقين .

(٤) انظر : منهج عمر بن الخطاب فى التشريع (دراسة مطولة حصل بها كاتب هذه السطور على درجة الماجستير فى الشريعة الاسلامية من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز سنة ١٩٦٦م ص ٣٦٢ ــ ٣٦٤ .

(٥) انظر الصحيحين ، وسائر كتب السنة فى باب فضائل الصحابة .

خالفه . فقد أعطى رسول الله المؤلفة قلوبهم . وجاء الى أبى بكر فى خلافته رجلان ممن كان يعطيهم الرسول تأليفا لقلوبهم ، وطلبا منه أن يعطيهما أرضا قائلين له : ان عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فان رأيت أن تعطيها ايانا . . فكتب لهما كتابا بذلك — وليس فى القوم عمر — فانطلقا اليه ، ليشهد لهما ، فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله منهما ، وتفل فيه فمحاه ، ثم قال لهما : ان رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ قليل ، وان الله قد أغنى الاسلام وأعزه اليوم ، فاذهبا فاجهدا جهدكما كسائر المسلمين ، فالحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . فرجعا الى أبى بكر متذمرين ، وقالا مقالة سيئة ، فوافق أبو بكر عمر على ما فعله ، ورجع الى رأيه ، فقالا له : الخليفة انت أم عمر ؟! فقال ابو بكر : هو ، ان شاء (١) .

وقد استمر عمر على منعه سهم المؤلفة قلوبهم — الثابت بنص القرآن — فى خلافته هو بعد وفاة أبى بكر . ويقول الجصاص (المتوفى سنة ٣٧٠هـ) « فترك أبى بكر الصديق النكير على عمر فيما فعله ، بعد امضائه الحكم ، دليل على أنه عرف مذهب عمر حين نبهه اليه » (٢) . ويقول كمال الدين ابن الهمام (المتوفى سنة ٨٦١هـ) : « فلم ينكر احد من الصحابة على عمر ، مع ما يتبادر منه الى كونه سببا لاثارة الثائرة ، أو ارتداد (٣) بعض المسلمين ، فلولا اتفاق عقائدهم على حقيقته لبادروا الى انكاره » (٤) .

لم ينفرد عمر اذن برأيه فى المؤلفة قلوبهم ، بل وافقه عليه ابو بكر الصديق ، وباقى الصحابة دون مخالف ، مما يمثل نوعا من (الاجماع السكوتى) الذى يعتبره بعض العلماء مصدرا تشريعيا لا يحتمل الخطأ . لكنا لن نسلك هذا الطريق فى محاولة اثبات أن فهم عمر فى المؤلفة قلوبهم هو الفهم الصحيح . وانما أردنا فحسب أن ننبه الى أن صفة الخطأ فى الفهم يجب الا تسند لعمر وحده ، بل لأبى بكر الصديق أيضا وباقى الصحابة الذين لم يخالفوه فى فهمه . فما هو هذا الفهم الذى نذهب الى انه هو — وحده — الفهم الصحيح الصادق لنص القرآن ؟

لا يوجد مؤلفة

مما لا شك فيه أن سهم المؤلفة الثابت بنص القرآن لا يستطيع عمر — أو غيره من الناس — الغاءه أو نسخه — الا أن عمر مع هذا أوقف العمل به فى خلافة أبى بكر وخلافته هو ، وذلك لسبب بسيط جدا هو انه لم يكن فى عصرهما مؤلفة حتى يعطون هذا السهم ، لأن نصوص السنة التى جاءت مفسرة للقرآن تدل بوضوح على أن الحكم بوجود مؤلفة أو عدم وجودهم فى اى مجتمع اسلامى مرهون بوضع الجماعة الاسلامية ، فان احتاجوا الى تأليف القلوب فحينئذ يوجد المؤلفة ، ويستحقون نصيبهم المفروض فى القرآن ، وان لم يحتج المسلمون

---

(١) انظر : فتح القدير لابن الهمام جـ ٢ ص ١٥ وأحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ١٥٢ — ١٥٤ وتاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٢٧٥ مع اختلاف يسير فى الرواية لا يمس مضمونها الفقهى .

(٢) احكام القرآن جـ ٣ ص ١٥٣ .

(٣) لثبوت سهم المؤلفة بنص القرآن الكريم ، انظر سورة التوبة آية ٦٠ .

(٤) فتح القدير جـ ٢ ص ١٤ — ١٥ .

الى تأليف القلوب فكيف يوجد (المؤلفة) اذن ؟ وكما يدل كلام عمر السابق فى منعه اعطاء الأرض — فان الاسلام فى خلافة ابى بكر وبعدها كان عزيز الجانب ، وكان يحقق انتصارات متوالية يرث بها الامبراطوريتين الفارسية والرومانية . فكيف يحتاج عندئذ الى تأليف قلوب بعض الأعراب ؟

ومن ثم فانه لم توجد فى هذا العصر حاجة بالمسلمين الى تأليف القلوب ، فلم يوجد من يطلق عليه وصف (المؤلفة قلوبهم) ، وبذلك توقف الاعطاء بهذا السهم ، حتى يحتاج المسلمون الى تأليف القلوب ، فيوجد المؤلفة عندئذ ، فيعطون بهذا السهم .

وفى كلمة واحدة ، كان وجود (مؤلفة) أو عدم وجودهم مرهونا بوضع الجماعة الاسلامية ، وليس مرهونا بمجرد وجود عدد من الناس يطلبون العطاء بهذا السهم ، دون أن يحتاج المسلمون الى تأليف قلوبهم .

وكما يقول الجصاص فان سهم المؤلفة قلوبهم مقصور على الحال التى يكون عليها أهل الاسلام من قلة العدد ، وكثرة الكفار ، واحتياج المسلمين عندئذ الى التأليف . وكما يقول ابن الهمام : فعدم الدفع للمؤلفة فى خلافة أبى بكر وعمر تقرير لما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نسخ له ، لأن الواجب هو اعزاز الدين ، وكان بالدفع فى عهد الرسول ، وقد اصبح بعدم الدفع فى حال عزة المسلمين .

لا خطأ ولا ابطال

لم ينسخ عمر والصحابة اذن نص الآية ، ولم يبطلوا العمل بها ، كما انهم لم يخطئوا فهمها ، ولم يخصصوه ببعض مفهومه ، حيث لم يذهب عمر — أو غيره من الصحابة — الى وقف العمل بهذا السهم الى الأبد ، انما كانوا ينظرون الى ظروف عصرهم فحسب . ولم يقل واحد منهم مطلقا — وما كان له ان يقول — ان هذا السهم أوقف بعد وفاة رسول الله حتى نهاية العالم . ويبدو الفارق بين الحالين واضحا حين يحتاج المسلمون بعد ذلك الى تأليف القلوب ، وقد حدث هذا بالفعل فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، حين تألف قلب البطريق واعطاه الف دينار ، لحاجة المسلمين ومصلحتهم عندئذ ، وعملا بالآية والسنة (١) .

فالأمر فى المؤلفة قلوبهم « ماض أبدا » كما يقول أبو عبيد القاسم (٢) ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ) وان كان الحكم بوجودهم أو عدم وجودهم يرجع الى التقدير الحكيم لولى أمر المسلمين فى كل عصر . ويوافقه فى هذا أبو جعفر الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) والشوكانى (المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ) وغيرهم (٣) . وقد كان هذا ايضا من قبل رأى أبى حنيفة والشافعى (٤) وغيرهما من كبار الأئمة ، الذين فهموا رأى عمر ووافقوه ، كما وافقه الصحابة.

---

(١) أنظر كتاب : الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٢٥٨ .

(٢) الاموال ص ٦٠٧ .

(٣) انظر : جامع البيان جـ ١٠ ص ١٠٠ ونيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٣٤ .

(٤) انظر مثلا : بداية المجتهد لابن رشد جـ ١ ص ٢٥١ .

والأمر فى المؤلفة قلوبهم فى خلافة أبى بكر وعمر يشابه الأمر باعطاء سهم للفقراء أو الغارمين فى نفس الآية . فاذا لم يوجد فى مجتمع ما من ينطبق عليه وصف (الفقراء) أو (الغارمين) فحينئذ يوقف العمل بهذين السهمين دون أن يكون هذا الايقاف نسخا للنص أو خطـأ فى فهمه ، حتى يوجد من ينطبق عليه أحد الوصفين .

ثم ، أليس هناك تناقض واضح بين أن يقول الأستاذ استانبولى فى أول مقاله انه يبحث هذا الموضوع الخطير ليثبت للملأ أن عمر لم يكن مجتهدا ، ثم يقول بعد ذلك فى آخر مسألة المؤلفة قلوبهم : ان عمر (اجتهد فيها) فأخطأ الفهم المقصود من النص فيها ، فله أجر الاجتهاد لقول رسول الله صلى الله عليـه وسلم : (اذا أصاب الحاكم فله أجران ، وان أخطأ فله أجر) ؟!!

— ٣ —

فى حد السرقة

وفى المثال الثانى الذى يسوقه الأستاذ استانبولى يقول ان عمر فى وقفه تنفيذ حد السرقة فى عـام المجاعة لم يكن مجتهدا (فانه لا اجتهـاد فى مورد النص ، انما هو اتباع لنص قوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وقوله سبحـانه (فمن اضطر فى مخمصة غير متجـانف لاثم فان الله غفور رحيم) .

وبصرف النظر عن أنه جعل عمر بن الخطـاب « يجتهد » فى نص قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) ويخطىء — فان جملة (لا اجتهاد فى مورد النص) — وهى احدى مقررات أصول التشريع الاسلامى — انما تقال وتصدق حين يكون النص — بالنظر الى الواقعة التى يطبق فيها — واضحا كل الوضوح لا يحتاج الى أى فكر أو تأمل ، فلا يحتاج الا الى مجرد التطبيق ، وذلك مثل قوله تعالى : (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) (١) أما اذا احتاج النص — بالنظر الى الواقعة التى يطبق فيها — الى نظر وتأمل ، فحين ذلك يجب الاجتهاد فى تفهم معانيه ومقاصده . وكمثال على ذلك — من آيات المواريث أيضا — فان قوله تعالى فى نفس الآية السابقة : (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) واضح أنه فى ميراث الأخـوة لأم ، كما أن قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا أخوة رجالا ونســاء فللذكر مثل حظ الانثيين) (٢) . واضـح أنه فى ميراث الأخوة الأشـقاء ، أو لأب . فميراث الاخوة جميعا ثبت بالنص القرآنى . هذا صحيح ، لكن كيف نورثهم مثلا لو وجد الأخوة الأشقاء مع الاخوة لأم فى مسألة مثل (المشتركة) ؟

وتنشأ صورتها اذا توفيت امرأة وتركت زوجها ، وأمها واخوتها لأمها ، واخوتها لأبيها وأمها . وقد حدثت هذه المسألة فعلا فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكان ميراث الأخوة فيها ، مع وجود نص القرآن عليه فى آيتين — مجالا لاجتهاد كبير بين الصحابة . انقسموا فيه الى قسمين بين تشريك الأخوة الأشـقاء مع

---

(١) سورة النساء ١٢ .

(٢) سورة النساء ١٧٦ .

الاخوة لأم فى الثلث بعد نصيب الزوج والام او عدم تشريكهم (١) بل ان عمر ابن الخطاب راجع فيها نفسه بعد عام كامل ، فرجع عن اجتهاده فيها الى غيره ، مع عدم قطعه بالصحة المطلقة ــ التى لا تحتمل أى مراجعة أو تعديل ــ لاجتهاده الأخير ، ومن ثم فانه لم يلغ العمل باجتهاده الأول حيث قال : تلك على ماقضينا ، وهذه على ما نقضى (٢) .

اذن فالقول بأنه (لا اجتهاد فى مورد النص) ليس على اطلاقه ، انما له مقيدات خاصة يعرفها الأصوليون والفقهاء . وكنا نحسب من قبل أن هذه حقيقة من بديهيات التشريع الاسلامى لا تخفى على الكاتب ولا على الذين يرددون هذا القول . .

ثم ان النص القرآنى فى قطع يد السارق من النصوص التى تحتاج لاجتهاد كبير عند تطبيقها فى مسائل واقعية كثيرة . ومن ثم يقول فيه القرطبى (المتوفى سنة ٦٧١ هـ) بحق : (وظاهر الآية يقتضى العموم فى كل سارق ، وليس كذلك . .) ثم يأتى بالاخبار التى خصصت عموم الآية وبينت المراد منها ، وكل خبر منها يحتاج تطبيقه هو الآخر الى اجتهاد كثير لفهمه ، والتعرف على مدى تحقق مضمونه ــ أو عدم تحققه ــ فى السراق الذين تبحث حالتهم (٣) .
والنصان اللذان أوردهما الأستاذ استانبولى بعد جملة (لا اجتهاد فى مورد النص) يحتاجان ــ فى الموطن الذى يستدل بهما فيه ــ الى اجتهاد ليصبح كل منهما دليلا فيه . وذلك أنه يستشهد بقوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وقول : (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) على أن سقوط الحد عن السارق المضطر عام المجاعة ثابت بحرفية النص فلا يحتاج الى اجتهاد ، ولهذا لم يكن عمر فى هذا التشريع مجتهدا .

ولست أوافقه على الاطلاق فى هذا ، لأن الآيتين لم تردا فى السارق مضطرا كان أو غير مضطر . انما وردتا فى المضطر الى اكل ما لا يحل من الأطعمة المحرمة فى أصل تشريعها . حيث نجد فى سورة المائدة قوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب . الى أن قال : فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) (٤) كما نجد فى سورة البقرة : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) (٥) ونجد فى سورة الأنعام : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر

---

(١) أنظر مثلا : أحكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ١١١ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٢٨٩ وتفسير القرطبى جـ ٥ ص ٧٩ .

(٢) أحكام القرآن جـ ٢ ص ١١١ واعلام الموقعين جـ ١ ص ١٣١ وراجع فى نظرة عمر لنتيجة اجتهاده هذا : اعلام الموقعين جـ ١ ص ٧٤ .

(٣) انظر : تفسير القرطبى جـ ٦ ص ١٦٠ ــ ١٧٣ .

(٤) آيــة ٣ .

(٥) آيــة ١٧٣ .

غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم)(١) ونجد فى سورة النحل : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم)(٢) ، وهذه الآيات الأربع كلها تأتى فى سياق ما يحل وما يحرم من الطعام(٣) . فلا تحتوى بأصل معانيها أى تشريع له صلة مباشرة بالسرقة ، انما هى تحتوى اباحة الأقدام على تناول بعض الطعام المحرم لضرورة حفظ الحياة ، حين ينعدم وجود ما احله الله من الطعام من غير الميتة وما شابهها ، ومن ثم لا يقال فيها أبدا ان عمر أوقف تنفيذ حد السرقة عام المجاعة اتباعا لحرفيتها دون أى اجتهاد . هذا كله مع اتفاقى على أن هذه الآيات كان لها شأن فى تشريع عمر هذا . لكن هذا الشأن هو (القياس) الذى هو أبرز طرق الاجتهاد فى التشريع الاسلامى .

فلا بد من اتباع القياس العقلى لنصل من هذه الآيات الى اسقاط الحد عن السارق المضطر حيث نقول : أباح الله الميتة ــ المحرمة فى أصلها ــ للمضطر ، حفظا لحياته ، ومن ثم يقاس عليها كل طعام حرام فى أصله ، فيحل للمضطر ، بجامع أن الاضطرار يبيح الحرام ، ومتى أبيح للانسان أن يسرق ما يحفظ عليه حياته فقد سقط عنه حد السرقة .

هذا هو التكييف الفقهى للاستشهاد بهذه الآيات هنا . وعليه فلا يسقط الحد عن كل سارق باطلاق عام المجاعة ، فلا يسقط على من يجد مع المجاعة ما يحفظ عليه حياته وحياة من يعولهم ، وايضا لا يسقط الا عن من يسرق قدر ما يحفظ هذه الحياة ، دون من يستغل هذا التشريع لبث الفوضى وانتهاب أموال الناس ، بغية الغنى والثراء وتكديس المال الحرام ، لا دفع الجوع والموت . وكل هذا قياسا على ما جاء فى اباحة الميتة من قوله تعالى : (غير باغ ولا عاد) ، أى غير مجاوز قدر الضرورة والحاجة ، كما فسر .

فنحن نوافق كاتب المقال على أن عمر استند الى هذه الآيات فى ايقافه حد السرقة عام المجاعة ، لكننا نخالفه تماما فى قوله : ان هذا كان عملا منه بحرفية النصوص ، وليس فيه أى اجتهاد . لأننا نرى أن هذا كان منه اجتهادا طريقه القياس العقلى .

ويرى هذا الرأى أيضا كثير من الفقهاء والدارسين منهم ابن القيم (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) الذى ينقل عنه كاتب المقال بعض آرائه . حيث يقول ابن القيم ــ بعد أن يروى تشريع عمر هذا ، وموافقة العلماء له فيه : (وهذا محض قياس ، ومقتضى قواعد الشرع ، فان السنة اذا كانت سنة مجاعة وشدة ، غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه الى ما يسد به رمقه)(٤) . والى جانب هذا القياس الذى استند اليه عمر فان اضطرار

---

(١) آية ١٤٥ .
(٢) آية ١١٥ .
(٣) انظر الآيات المجاورة لها فى السور الأربع .
(٤) اعلام الموقعين : جـ ٣ ص ٢٣ .

السارق فى المجاعة ؛ مع وجوب بذل ما يحفظ عليه حياته على كل من يملك ما يفيض عن حاجته — وقد دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة — قد أوجد للسارق شبهة قوية فى المال المسروق تدفع عنه الحد ، « لا سيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد رمقه . وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم ، والسارق لغير حاجة من غيره ، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه ، فدرىء)(١) .

والى جانب هذين الاعتبارين : القياس على النص ، ودرء الحدود بالشبهات ، فاننا نجد فى بعض الروايات خبرا يروى عن النبى يدل بحرفيته — دون أى اجتهاد — على اسقاط الحد عن السارق فى المجاعة ، حيث يروى السرخسى (المتوفى سنة ٤٩٠ هـ) عن مكحول ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا قطع فى مجاعة مضطر)(٢) . وهذا الخبر — وحده — هو الذى يصلح نصا حرفيا اتبعه عمر دون أى اجتهاد لاسقاط الحد عن السارق . وعلى اية حال ليس هناك ما يمنع من مؤازرة النص بالقياس او غيره من القواعد التشريعية المعتبرة التى تكفى وحدها حتى عند عدم وجود النص الحرفى .

— ٤ —

ثم ينقل الأستاذ استانبولى عن ابن القيم أن الامام مخير فى الأرض المفتوحة عنوة بين قسمها أو وقفها — وهذا حق — ثم يقول : (فيكون عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — اختار فى أراضى العراق ما فعله الرسول فى مكة) — وهذا أيضا حق — لكن ، ألا نرى بوضوح أن هذا الاختيار فى حد ذاته يحتاج الى نوع من الاجتهاد فى التعرف على ما يحقق المصلحة فى عهده ؟ والا فلم لم يختر عمر أن يقسمها كما قسم رسول الله أرض بنى قريظة وشطر خيبر ؟

والجواب هو أن مثل هذه القسمة لم تكن لتؤدى الى مصلحة عامة للمسلمين فى عهده ، كما صرح بذلك فى قوله لمخالفيه : (اذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره ؟ وقوله : (أرايتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . ارايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرضون والعلوج ؟ (٣) .

---

(١) المرجع السابق . وابن القيم يشير بهذا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ادرأوا الحدود بالشبهات) وهى قاعدة تشريعية متفق عليها .

(٢) المبسوط جـ ٩ ص ١٤٠ .

(٣) أنظر الخراج لأبى يوسف ص ١٤ — ١٥ ونلاحظ أن عمر يقول عن اختياره هنا : (هذا رأى) ويقول عن فكرة تقسيم الأرض التى أشار بها مخالفوه أولا : (ما هذا برأى) أى لا يحقق المصلحة العامة . والتعبير بالرأى يدل على أن المسألة مجال للاجتهاد والرأى ، وقد وافق الصحابة جميعا فى النهاية على رأى عمر .

والأستاذ استانبولى نفسه يقول فى نهاية مقاله عن عمر بن الخطاب : (وقد كان اجتهاده ينحصر فى تقديم نص على آخر رأى فيه مصلحة للمسلمين) ولا أجد مفرا أيضا من أن أقارن بين هذا القول وبين قوله فى أول مقاله : (وقد رأيت أن أبحث هذا الموضوع الخطير لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد لم يكن مجتهدا) أما فى آخر مقاله فقد أثبت له انه كان « مجتهـــدا » وكان (ذا رأى) وكان رأيه هذا يحقق (مصلحة) للمسلمين فى عهده .

ولست أدرى لم يحاول كاتب المقال — فى بعض كلامه — أن ينفى عن عمر صفة الاجتهاد ، مع أنه ينقل عن رسول الله انـــه شرع الاجتهاد ، وأخبـــر أن المجتهد دائر فيه بين الأجر والأجرين ؟ أما قوله — حين يثبت وصف الاجتهـــاد لعمر — ان اجتهاده كان فى فهم النص لا فى تركه فنحن نقول فيه : ان كل مـــا يستحق وصف (الاجتهاد) فى التشريع الاســـــلامى انما هو الذى يدور فى دائرة فهم النص الخاص أو النصوص العامة . أما التارك للنص فلا يعد مجتهدا ، بل لا يعد مسلما ان استباح تركه عمدا .

. . . أريد أن أصل من ذلك كله الى أن عمر بن الخطاب لم يكن مجتهـــدا فحسب ، انما كان أكبر مجتهـــد اسلامى بأوسع ما تحمله هذه العبارات مـــن مضمون . وقد أثبت فى دراستى[1] عنه التى استقصت كل مسائله وتشريعاته انه كان عبقريا فى اجتهاده ، لم ير أحد من الناس يفرى فريه كما قال عنه رسول الله . وقد وصـــل بى البحث الموضوعى الى أنـــه — مع اجتهاداته الكثيـــرة العظيمة — لم يخالف نصا واحدا من نصوص التشريع الاسلامى ، وانه — فى بحثه عن علل النصوص . وغاياتها فى بعض مراحل اجتهاده — انما كان يفعل ذلك بغية تطبيق النص تطبيقا صحيحا ، لا بغية تركه ، وانه كان يصدر فى بحثه العميق الدقيق فى النصوص عن يقين ، ثبتت صحته ، بأنه حين تفهم النصوص — مضافة الى ظروف تطبيقها فى أى زمان ومكان — فهما صحيحا ، فان تطبيقها على ضوء هذا الفهم ، لا بد أن يؤدى الى تحقيق مصالح الناس فى أى عصر .

وفى النهاية ، لماذا نحاول اغفال فكرة (الاجتهاد) وقد أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فيما ليس فيه قرآن ولم تمض فيه منه سنة ، وذلك فى حديث معاذ بن جبل ، ذلك الحديث المشـــــهور ، الذى يرويه ابن القيم[2] وغيره ممن ينقل عنهم الأستاذ استانبولى بعض نصوصهم ؟.

---

(١) وقد سبقت الاشارة اليها .

(٢) راجع : اعلام الموقعين جـ ١ ص ٧٠ ، ٧٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٢٤٣ وحديث الاجتهاد أخرجه ابو داود والترمذى والدارمى وغيرهم وقال فيه الغزالى : (تلقته الأمة بالقبول ، ولم يظهر أحد فيه طعنا أو انكارا) انظر : المستصفى جـ ٢ ص ٢٥٤ .

من
مزامير
التوبة

الضمير الهارب

للأستاذ : محمود حسن اسماعيل

وقفت طويلا على ســـدتك
كأنى ســـبابة أومأت
أنادى ، وأجـــار فى حومـــة
وأنشـــق ذاتين .. ذاتا تنـــوح
وكلتاهما من رياح الضـــمير
تصـــيحان من غير ذكر ، ولا
أجرنى يا رب ، مـــن كل شيء
من الليل ، يسحق فيه الظـــلام
من النور ، يفضـــح سر الطريق
من الفجر ، يفهق منه الضـــياء
من الخطـــو ، يوغل طى الدروب
من الشـــدو ، أعصره للجمال
من الحب ، تصـــهرنى ناره
من القلق السابح المســـتطير
من الطهـــر ، يغرف منى العبير
من الاثم ، طير شـــجى المثـــاب
من النفس ، تورق عنـــد الدعاء
من العقل ، يحمل نعش الضمير
من الناس ، ما أنا فيهم ســـوى
أجرنى !! فمـــا زلت فى كل شيء
وما زال وجهى خلف الضـــباب
يمد اليك انعتـــاق الضـــمير
ويدعوك ، وهو كفيف النـــدامة
أجرنى ! فمـــا لى يد فى الذى

أنادى ربى النور فى ســـدرتك
بقلب المصـــلى الى كعبتك
من الصـــمت تهدر فى حضرتك
وأخرى تســـبح من خشـــيتك
صـــدى ذائب فى صدى موجتك
صـــلاة تؤوب فى خيمتك ..
يســـد طريقى الى ومضتك ..
خطـــاى الضريرات عن نظرتك
اذا جئت أشرب من كرمتـــك
فيغـــرق دنيـــاى فى هالتك
وينسى اتجـــاهى الى ساحتك
وأنســـاب هيمان فى نشـــوتك
رمادا شـــقيا على ضـــفتك
عـــلى زورق ذاب فى لجتـــك
عذابا يضـــوع لدى جنتك
يغنى ، وينـــدس فى رحمتك
ويقطفها العقـــل من ســـاحتك
ويهـــرب خزيان من ســـكتك
رؤى عابد ضـــل عن آيتك ..
صـــدى كبلته كوى لمحتك
هوى يســـتشف ســـنا راحتك
فيرتد خزيان عـــن رؤيتـــك
حيران ، يصرخ مـــن وهلـــتك
سقانى لظى التيه فى طاعتك !!

القيم العليا للفكر الإسلامي

للأستاذ: أنور الجندي

ماذا يمكن ان يعطى جوهر الفكر الاسلامى العرب والمسلمين ، وماذا يمكن ان يعطى البشرية والفكر الانسانى العالمى ؟

الواقع ان هذا الفكر قد اعطى وما يزال يعطى الفكر الانسانى مزيدا من الخير والحق .

ففى المجال الانسانى ، مجال حقوق الانسان ، يبدو الفكر العربى الاسلامى مصدرا غزير المنابع للمساواة وحرية العبادة ، حيث لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا ابيض على اسود والناس سواسية كأسنان المشط ، ويكاد يكون مصدر حقوق الانسان واضحا فى كلمة عمر بن الخطاب .

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

وفى مجال العدل والرحمة :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قيل يا رسول الله ، نعرف كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال ترده عن الظلم » .

وفى الحرب . احترام للوعود والعهود ، ولا تستخدم القوة الا لرفع ظلم ، وحماية كاملة للطفل والشيخ والعباد العاكفين فى الصوامع .

ولقد كان للعلم فى مجال الفكر الاسلامى مقام خطير .

« فلا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتصرفوا به وجوه النـاس ، وهو دعوة عامة . كن عالما أو متعلما أو مستمعا واياك والرابعة فتهلك » . والرابعة هى أدعاء العلم .

وأبرز مفاهيم العلم فى الفكر الاسلامى العربى المطـابقة بين الكلمة والسلوك .

ولقد اهتز القاضى المجاهد « أسد بن الفرات » لفضل العلم عندما خرج على رأس الجيش الزاحف الى صقلية وهاله ما رأى من كثرة المودعين له من العلماء والوجوه ورجال الدولة وعامة الناس ، وقد صهلت الخيل وضربت الطبول ونشرت البنود ، فقال : والله يا معشر الناس ما ولى لى اب ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من سلفى مثل هذا قط . وما رأيت ما ترون الا بالاقلام ، فأجهدوا

انفسكم واتعبوا ابدانكم فى طلب العلم وتدوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخرة .

وقد ظلت مزية الفكر العربى الاسلامى هى القدرة على الجمع بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، وبين الدين والعلم . وهو ما تتطلع اليه الانسانية الآن حيث يقول دعاة المذهب الانسانى : إن تطور الانسان يجب أن يمتد فى ابعاد ثلاثة فى وقت واحد هى : الابعاد المادية والثقافية والاخلاقية ، ويقول جوستاف لوبون : اننا مسيرون بثلاث حقائق هى الحقائق العاطفية والحقائق الدينية والحقائق العقلية .

وقد وصل « برجسون » الى أن الذهن البشرى وحده لا يستطيع فهم حقائق الحياة .

ويبدو جوهر الفكر الاسلامى حول بناء انسان ممتاز ، ويدعو الى التحرر من استهلاك طاقاته الجسدية والمادية ، على أساس من القصد لا الاسراف . وتتمثل انسانيته فى التعالى عن الصغائر ، فالفكر الاسلامى يعمل على التكوين الفردى الانسانى التقدمى ، فالغنى غنى النفس ، وذو البأس تعرف قدرته فى مواقع اللقاء ، وذو الامانة يعرف عند الاخذ والعطاء ، والاخوة تعرف عند النوائب ، ولكل أجر جزاء ، ومن يحصل على الاجر يعمل بضمير ، والزكاة ليست صدقة ، والعمل شرف ، والعلم من المهد الى اللحد ، والعمل للدنيا والآخرة ، والناس تتكافأ دماؤهم وأموالهم ، والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص .

وقد كان للفكر الاسلامى آثاره الواضحة العميقة فى النهضة الاوروبية مرتين .. الاولى : فى ثورة الاصلاح الدينى فى القرن السادس عشر بقيادة مارتن لوثر وكلفن ، وكانت آراء — ابن رشد قد خلقت مدرسة ضخمة لها فى قلب أوربا ، فلم يلبث أن نادى (كلفن) بما ينادى به الفكر الاسلامى العربى فقال « ان الصلة بين الانسان والله هى السبيل الوحيد للغفران ، وأن لا قوة الا بالله ، وليس لرأى بشرى حرمة التقديس » .

والثانية : فى نقل الغرب للفكر العربى الاسلامى فى مجال العلم ، وقد بدا فضل المسلمين واضحا على الادب والفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والطبيعة والكيمياء والطب والموسيقى والفنون والصناعة والزخرفة والعمارة ونحن لم نكن عالة على اليونان ، وكان استمدادنا من منبعين أساسيين : القرآن الكريم وكلمات محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى مجال استقلالية الفكر العربى الاسلامى ، يبدو اعلامنا وقد خالفوا آراء أرسطو وأفلاطون فى كثير من النظريات فلم يتقيدوا بها ، بل أخذوا منها ما يتفق مع (روح الاسلام) وقال ابن سينا إن الفلاسفة يصيبون ويخطئون كسائر الناس .

وقد رفض المسلمون الخرافات الوثنية وتعدد الاله وطابع الاباحة فى الفكر اليونانى .

ودعا (جابر بن حيان) الى اجراء « التجربة » وقال ان واجب المشتغل فى الكيمياء هو العمل واجراء التجربة ، وان المعرفة لا تحصل الا بها .

وفى هذا يقول جوستاف لوبون عن هميرلد : ان القاعدة عند العرب المسلمين هى « جرب وشاهد ولاحظ » تكن عارفا .

وقد كان المسلمون أكثر دقة فى هذا المجال الى درجة حملتهم على التعالى عن اخذ آراء الغير ونسبتها الى انفسهم ، قال ابن الهيثم : ان وجدت كلاما حسنا لغيرك فلا تنسبه لنفسك واكتف باستفادتك منه ، ويقول ابن حزم « ما

مذهبى ان انضى مطية سواى » وعنده ان « التقليد حرام ، وانه لا يحل لأحد ان يأخذ بقول أحد منْ غير برهان » .

وقد سبق المعرى دانتى الى كتابة الكوميديا الالهية بكتابه المعروف « رسالة الغفران » وقد أخذ دانتى مادة الكوميديا التى كتبها أساسا من جوهر الفكر الاسلامى .

وزين العابدين الآمدى (٧١٢ هـ) هو اول من ابتكر الكتابة البارزة للعميان .

ونظرية « التطور » قال بها اخوان الصفا فى رسائلهم ، وذكرها ابن مسكويه فى كتبه ، قبل دارون ، وقد وردت كلمة « التطور » بمفهومها فى الطبقات الكبرى للسبكى ومقدمة ابن خلدون من غير أن يذهبوا مذهب دارون فى أصل الانسان .

وطريقة البحث العلمى المنهجى ، وضع أصولها ابن الهيثم وابن رشد وابن حزم والجاحظ ، قبل ان يقول بها فرنسيس باكون فى القرن السادس عشر .

كما سبق ابن الهيثم « بيكون » فى الطريقة « الاستقرائية » وسما عليه ، وكان أوسع منه أفقا وأعمق تفكيرا فقد جمع ابن الهيثم بين الاستقراء والقياس ، وقدم الاستقراء على القياس ، وحدد الشرط الاساسى فى البحث العلمى وهو « طلب الحقيقة » دون أن يكون لراى سابق أو نزعة من عاطفة أيا كانت دخل فى الامر (راجع تراث العرب العلمى لقدرى طوقان) .

وقد وضع علماء المسلمين أساس النظريات الاقتصادية ، فظهر كتاب (الخراج) ليحيى بن آدم القرشى ٢٠٣ هـ وكتاب (الاكتساب فى الرزق المستطاب) للامام الشيبانى ٢٣٤ هـ وكتاب الخراج لأحمد حنبل فمقدمة ابن خلدون .

وابن حزم دافع عن كروية الارض بالعقل والدين ، وسبق (كانت) فى نظرية (المعرفة) بسبعة قرون والفارابى فكر فى (أمم متحدة) منذ قرون ، وعنده ان الدين والفلسفة لا يتناقضان ، وابن رشد دعا الى مشاركة المرأة الرجل فى خدمة المجتمع والدولة .

ويرى الفارابى : ان السعادة ممكنة على وجه الارض اذا تعاون المجتمع على نيلها بالاعمال الفاضلة ، وابن ماجد هو الذى قاد (فاسكودى جاما) فى طوافه حول الارض .

وأخذ (دافيد هيوم) نظرية « الغزالى » فى أن الامور تتم بارادة الله لا بالاسباب الظاهرة وفى علوم الطب سجل (الكرك) ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية الى اللاتينية ، وقال : ما عرفت أوربا المدنية الا بعد أن مرت على لسان أتباع محمد .

وما تزال قواميس اللغات الاوروبية تعج بالكلمات العربية سواء ما يتعلق منها بالحاجات اليومية أو الاطعمة أو الالبسة أو العقاقير ، وكذلك الامر فيما يتعلق بالملاحة .

وأشار جورج سارطون الى فضل المسلمين على العلم فقال : انهم لم ينسخوا من المصادر اليونانية أو السنسكرتية (الهندية) ولكنهم جمعوا بين المصدرين ثم لقحوا الآراء ، وهذا هو الابتكار ، فالابتكار هو حياكة الخيوط المتفرقة فى نسيج واحد . وقد أكد العلماء بأن المسلمين هم مبدعو « التجربة » بالمعنى الدقيق للكلمة ، وأول من جعل من الوقائع المعزولة عن متنها نقطة الانطلاق لكل بحث .

وقد تأكد أن الغزالى فى دراسته للدولة او المدينة يعقد المقارنة بينها وبين جسم الانسان ، ويرى الباحثون أن الغزالى فى ذلك أسبق من الفيلسوف هربرت سبنسر الذى عمد الى نفس المقارنة ، فالغزالى يشبه الملك بالقلب ، واصحاب المهن الحرة بأعضاء الجسم والشرطة بعصب الانسان ، والوزراء بحس الادراك والقضاء بالشعور .

ومصدر الفكر الاسلامى يلتمس اساسا من القرآن الكريم كتاب الاسلام والعربية ، وليس أدل على اثر القرآن فى الفكر والثقافة العربية من كلمة جورجى زيدان فى كتابه آداب اللغة العربية يقول :

« وتأثير القرآن فى أخلاق اهله ومعاملاتهم اليومية والبيئية لا يخلو من التأثير فى عقولهم وقرائحهم وآرائهم فالصيغة القرآنية او الاسلامية تظهر فى مؤلفات المسلمين ، ولو الفوا فى الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية والطبيعية ، فضلا عن العلوم الاسلامية والشرعية والادب .

والقرآن اشد تأثيرا فى المسلمين من سواه لأنهم مكلفون بحفظه قبل كل علم ، وهو داخل فى كل شىء من أمورهم الدينية والدنيوية ، واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية وأحوالهم العائلية ، حتى الطعام واللباس والشراب والنوم ، وهذا ما لا نراه فى الاناجيل مثلا ، فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط ، ولا نجد فيها شرعا او حكومة أو أحوالا شخصية او نحو ذلك .

وبالجملة فان للقرآن تأثيرا فى آداب اللغة العربية ليس لكتاب دينى مثله فى اللغات الاخرى » .

ولقد صارت اللغة العربية التى نزل القرآن بها اساسا « لغة عالمية » ادهشت الباحثين فى تطورها ونموها على النحو الذى يصوره أرنست رينان فى كتابه « اللغات السامية » يقول :

« ان من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، فبدأت فجأة فى غاية الكمال سلسة أى سلاسة ، غنية أى غنى ، كاملة ، بحيث لم يدخل عليها منذ يومنا هذا اى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت أول أمرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى .

ومن أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال الى درجة أنها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة » .

وقد أعطى « الفكر الاسلامى العربى » طابعه وروحه فى كل مجالات الفكر .

فى مجال العلوم والفلسفات ، أعطى « منهج البحث العلمى » الذى عرفه الغرب من بعد ، وكانت له الاوليات الاساسية فى دراسات التاريخ والاقتصاد . وفى مجال التربية كان للكلمة العربية آثارها ومكانها ، فان الآراء التى أعلنها

ابن سينا ونادى بها وما تزال حية وقد اثبتتها الآن دراسات التربية الحديثة . ونظرته هى اليوم موضع التطبيق من حيث التوجيه المدرسى وفقا لميول الاطفال وقدراتهم ، والتوجيه المهنى والاخذ بنظام التعلم الفردى والجمعى فى وقت واحد ، والتعلم وفق قاعدة الانتقال من السهل الى الصعب .

ونظرات الغزالى فى التربية هى ايضا اليوم مصدر نظريات العصر كنظرية التعليم بالترابط والتداعى حيث يكون الترابط فيه بين فكرة واخرى وهو ما صوره الغزالى فى قوله « على الطالب الا يدع فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته طالبا التبحر ، لأن العلوم متفاوتة وبعضها مرتبط ببعض » .

وكذلك « الطريقة القياسية الحديثة » حيث يبدأ التدريس من الجزئى الى الكلى .

ويصور هذا المعنى « بيارد دودج » فى كتابه التربية الاسلامية فى العصور المتوسطة والذى يلخصه أساسا فى عبارة الرسول « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

ويقول عن مفهوم التربية الاسلامية « ان التربية تفاعل بين المعلم والطالب وتجاوب بين نفسين وعقلين فى جو من الحرية والاحترام ، وليس للمنهاج شأن يذكر » .

وقال : ان التربية الاسلامية تهدف الى نشدان الحقيقة والخير لذاتهما ، وعندما ندرس سير علماء المسلمين الذين انقطعوا للعلم نعجب بالتصرف العلمى والجلد اللذين كانا يتجليان فى العالم الاسلامى ، فلا غرض مادى ، ولا هوى سياسى ولا سعى لشهرة زائلة ، بل وقف العقل والنفس للوصول الى الحقائق والسعى اليها ، ولقد كانت التربية الاسلامية تعنى بالاخلاق والفضائل ، ولقد ادرك المربون بالبداهة ان تدريب العقل واستيعاب الحقائق هما جزء من عملية تدريب الطالب ولكن الغاية القصوى هى تهذيب النفس وتقويم الاخلاق » .

ومما يذكر فى هذا الصدد ان العلامة « العبدرى » هو اول من دعا الى ان يلعب الاطفال باللعب بعد المكتب حتى تذهب عنهم آثار التعب والملل .

ويمكن ان يصحح هذا خطأ شائعا حاول « التغريب » اذاعته ، وهو ان الغرب اول من دعا الى التعليم المجانى الملزم ، والواقع ان المسلمين قد بدأوا ذلك منذ فجر الاسلام ، وقد اشار ابو الحسن المقايسى فى دراسته المسماة « رسالة احوال المعلمين والمتعلمين » الى ان التعليم حق لكل صبى ، وواجب على الدولة وهى مكلفة به ، اذا لم يكن اهله قادرين على الانفاق عليه ودفع أجر معلم الكتاب من بيت مال المسلمين .

وثانيا : تعليم البنات ، لأن الاسلام عام لجميع الناس تمثلا بقول الرسول « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ولا ننسى هذا حديث النبى صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » . ولقد اخذ كثير من الدول الغربية هذا الحديث واعتبرته شعارا لها ، وظن بعض شبابنا انه من صناعتهم وانه غير مسبوق فى الفكر الاسلامى .

وترد هذه الكلمات على كل ما يوجه للفكر العربى الاسلامى من اتهامات وهى تعطى الدليل الاكيد على خطأ الراى القائل بأن فكرنا روحى خالص . ذلك ان فكرنا يمثل امتزاج الروح والمادة بالعقل . ويؤكد ايضا ان فكرنا لا يعطى

روح التشاؤم ولا السلبية ولا الانحراف ولا الاحساس بأن الحياة عبث كما تعطى بعض الفلسفات .

وهذه الكلمات تدلل بالبرهان على ان المسلمين كانت لهم عقليتهم ومقومات فكرهم وانهم لم يستمدوا علومهم وفلسفتهم من فكر اليونان ولا من أى فكر آخر . وهى ليست قاصرة على الاخلاق وحدها ، أو عاجزة عن استنتاج المعانى او مجاراة الزمن .

وتكذب ايضا ما يقال من أن فكرنا فكر « غيبى » أو فكر التواكل والتسليم ، بل انها لتؤكد الواقعية والعصرية والايجابية للفكرة الاسلامية بأوضح دليل واجلى برهان .

وفى ضوء هذه اللمحات السريعة تتكشف الحقيقة الواضحة من ان مفاهيم الاسلام تلتقى بالحياة ولا تنفصل عنها ، وأنها تستطيع أن تعطى طابع الابداع والايجابية والعصرية والتطور والحركة ، وليس صحيحا ما وصفت به من انها كانت تتطلع الى العالم الآخر وحده ، فلقد كانت تمزج بين نظرتى الدنيا والآخرة ، ولم يمنعها ذلك من الكشف والبحث والعلم والعمل الايجابى المنتج فى مجال الحضارة الانسانية .

وليس من العدل او الانصاف ان يحاكم الفكر الاسلامى بفترة الضعف التى مر بها العالم الاسلامى حين لم تكن قيم الاسلام هى التى حالت دون التقدم ، أو هى التى وقفت بالمسلمين وقنة الجمود ، بل كان تركها واهمالها هو السبب فى الانفصال الذى وقع بين جوهر الفكر الاسلامى وبين التطبيق ، فليس الاسلام سبب التخلف بل أن المسلمين تخلفوا عندما انسحبوا من مقومات فكرهم .

ولقد كان الفكر الاسلامى قادرا على الحياة دائما وعلى التخلص من النظريات التى تحاول ان تفسد جوهره ، فقد حارب فى فترات نموه ، التقليد الاعمى والجمود والخرافات ، وحرص كثير من أعلامه كالاشعرى والغزالى وابن تيمية على حمايته من تجاوز الفلاسفة أو تجاوز الصوفية .

وقد عاش دائما واقعية الحياة واستطاع أن يتجدد وأن يجتهد متخلصا من قيود التقليد ، وقد اعطت النماذج المتعددة ، لمفاهيمه وقيمه قدرة المفكرين المسلمين من فقهاء وائمة على ملابسة أحوال العصور وتعرف حاجات الناس ، وايجاد حلول ايجابية تقدمية حية لكل حالة ، مقدرين تطور الزمن وتغير البيئات .

فالفكر الاسلامى يمثل خطا موحدا متصلا ، عماده الانسان ، وبناء كيانه النفسى والمادى معا ، وايجاد حلول لمختلف قضاياه ومشاكله . ولقد يذهب بعض الدارسين هنا وهناك يبحثون عن كلمات شرقية او غربية حديثة ليجدوا فيها عصارة التجربة الانسانية الايجابية . وما من كلمة هنا وهناك ، الا وقد مرت على لسان العربية وفكر الاسلام .

وقد أعطت الكلمة المستمدة من القرآن ، تلك القوة الذاتية التى مكنت من مقاومة كل عدوان ، وحماية المقومات .

وما زال الفكر الاسلامى فى جوهره ومنابعه قادرا على اعطاء الانسانية فيضا من الكرامة ، واقامة العدل الاجتماعى ، وتوثيق بناء الحضارة على اساس التضامن والمساواة والاخوة . وفى أزمة الانسان والضمير العالمى اليوم يجد الفكر الاسلامى طريقا جديدا ليكون بلسما للانسانية وعلاجا لها من ازمتها الحاسمة .



عبد المنعم النمر

كلكم يبكى :

لعل مما يشفع للمجلات الشهرية عند القراء فى عدم متابعة الاحداث بالسرعة المطلوبة أنها تصدر كل شهر ، وليست كالصحف اليومية والاسبوعية .. واننى أكتب لك هذا بعد حادث الاعتداء الغادر على الاردن فى الثانى والعشرين من ذى الحجة الماضى — الحادى والعشرين من مارس الماضى أيضا ، وعدد المحرم تدور به المطبعة فلم يبق أمامنا الا عدد صفر نلتقى فيه معك بخواطرنا ..

لقد استوقف نظرى ونظر كل عربى ما جاء فى رسالة الملك حسين للملوك والرؤساء ، فى يوم العدوان ، يطالبهم فيه بعقد مؤتمر القمة فيقول :

« واذا كان مدى هذه العمليات أو منتهاها غير معروف فى هذه اللحظة ، فان الذى لا ريب فيه هو أن فى طليعة الاسباب التى تسهل على العدو قيامه بالعدوان تلو العدوان وتشجعه على اقتراف المزيد منه معرفة العدو معرفة دقيقة واكيدة بحقائق الوضع العربى تجمعا وحشدا واعدادا » .

« فبينما يعمل العدو يدا واحدة ، وهدفا واحدا ، فانه يعرف حقيقة الامكانيات والطاقات التى وضعتها الامة العربية وقياداتها فى الميدان ، وهو ايضا يعلم أننا نكتفى بالتحدث عن الصف العربى ووحدته ، من غير أن نعمل جديا على بنائه عربيا سليما ، يتطابق فيه مع المضمون الذى كان لصفنا العربى والاسلامى يوم كان لنا آباء وأجداد يؤثرون الموت فى سبيل الله والوطن والعقيدة على كل عرض فى هذه الدنيا الزائلة » .

« اننا لا نعرف حتى هذه اللحظة الى أين ستنتهى معارك اليوم الدامية ، وان كنا نخوضها بكل العزم والتصميم ، دفاعا عن قدسية وطننا ، وشرف عروبتنا .. ولئن اخذتم تسمعون عنا ، وليس منا ، بعد هذا اليوم ، فلأننا — والله — قد طالت نداءاتنا ، وتوالت ، ولم يبق لدينا من مزيد الا أن نهيب بكم للمرة الاخيرة أن تلتقوا فى الحال بمستوى القمة ، وكونوا بعون الله قمة فى مواجهة اصعب ظروف ، واقسى منعطف تاريخى يجابه أمتنا فى تاريخها كله » .

وهذه الحقيقة التى يعبر عنها الملك حسين فى رسالته من « أننا نكتفى بالتحدث عن الصف العربى ووحدته من غير أن نعمل جديا على بنائه .. الخ .. وان من الاسباب التى تسهل على العدو قيامه بالعدوان تلو العدوان معرفته معرفة دقيقة بحقائق الوضع العربى الخ .. » .

اقول هذه الحقيقة المرة لم تعد بعيدة حتى عن فهم العربى الامى فى الحقل ، او فى الصحراء ، فهى ليست جديدة بالنسبة للشعب العربى كله .. بل ان الذى يحزنه ويدميه هو عدم تجاوب المسئولين عن هزيمته وعاره مع هذه الحقيقة ..

ولكن الجديد الذى لفت نظرى هو أن المسئولين عنا على مستوى الملوك والرؤساء أخذوا هم الآخرون يتحدثون عن هذه الحقيقة فى رسائلهم التى ردوا بها على الملك حسين !!

فلمن يتحدثون ؟!

وفي وقت آخر سمعت وقرأت نداء موجهـا من أحد الرؤساء الى الامة العربية أن تتحد لمواجهة العدوان .. نعم الى الامة !! والامة تستغيث من هذا التفرق ، وتطالب الرؤساء بالاتحاد وهى متحدة فعلا . ليس هناك ما يفرقهـا برغم ما بين رؤسائها من خلاف . فمن يطالب بالاتحاد ؟!

نحن نتحـدث ونطـالب الرؤســاء بان ينتبهـوا لهـذه الحقيقـة ، ويعملوا على مستواها ، لاننا لا نملك الا الحديث ، أو ــ فى الحقيقة ــ بعض الحديث !! اما الرؤساء الذين يملكون العمل والبت ، والذين طال انتظار شعبهم العربى الكبير لخطوة منهم نحو هذه الحقيقة ، فلمن يتحدثون ؟ ومن يطـالبونه بالعمل ؟

عجيب والله امرنا .. الهزيمة وقعت للفرقة والاختلاف . والنصر ومحو العار معلق امرهما بالاتحاد : اتحاد الرؤساء وجمع الطاقات العربية كلها .

فمن الذى يحول دون محو العار وتحقيق الانتصار ؟ من الذى يؤخر يوم النصر ؟

لقد تحيرت ــ والله امام هذه الظواهر ، وكاد راسى ينفجر ، وان كانت اوقاتى كلها لا تخلو من دهشة وحيرة والم من واقعنا الذى نعيش فيه ، مثل كل عربى . وذكرنى ما يمر بنا بحادث طريف ، ولكنه مرير ، يروى عن رجل من صلحاء هذه الامة ..

فقـد جلس الحسن البصرى يوما يعظ النـاس ، ويذكرهم بالله واليوم الآخر ، حتى ابكاهم . فلما انتهى من درسه ، واخذ يستعد للانصراف ، بحث عن مصحفه الذى كان بجواره ، فوجده قد سرق ، فتغيظ الرجل الناسك ممـا حدث ، ولم يستطع السكوت ، والتفت الى هؤلاء الذين لم تجف دموعهم وقال لهم فى الم مر : كلكم يبكى ، فمن سرق المصحف ؟!!

حكمـة :

قال لى :

كان المسئول العربى الكبير يتحدث ، وانا اسـتمع الى حديثه بشغف ، فكان مما قاله : اننى احرص على أن اتيح للشعب ان يبدى رايه بحرية وصراحة ، بالرغم مما يشوب هذه الحرية احيانا من مظاهر المرض وسوء الاستغلال .. لأن الحرية تتيح لى أن اعرف كل شىء عن الشعب ، واقف على آلامه وآماله ، وعلى التيارات التى يتاثر بها .. فاعمل بقدر الطاقة على ان احقق للشـعب آماله ، وابعـد عنـه آلامه ، ثم لا يغيب عنى ــ وقـد وقفت عـلى التيـارات والنزعات ــ ما يرمى اليه هـذا من كلامه ، وذاك من تصرفه ، وتنكشف امامى بعض خبيآت النفوس .. فاتصرف على ضوء ما أعرفه ، ولا انخدع بالمظاهر ، ثم احتاط فى الوقت المناسب لبعض هذه التيارات الضارة ، واقى الشعب شرورها ..

قلت له : هذا ارقى ما يصل اليه حاكم من تفكير وحكمة ، فيجنى هـو والشعب معه ثمرات هذه الحكمة ..

قال لى صديقى : الا تعرف ان اللورد كرومر حين كان يحكم مصر باسـم الاستعمار الانجليزى ــ وهو من دهاة السياسيين الانجليز المعروفين ــ كان يحلو له احيانا أن يطلق للصحافة الوطنية حريتها ، تتحدث بما تشاء ، وتعارض كما تشاء ، ليقف على التيارات التى تسود الوطنيين فى مصر ، وتشغل أفكارهم ، فيبنى سياسته على ضوء ما يعرفه من خلال هذه الحرية . وقد تحدث عن هذا

فى مذكراته ، واشاد بهذه السياسة التى اتبعها ، لأنها أتاحت له أن يعرف كل شىء عن الشعب . ولو أنه استعمل الضغط والـكبت ، وقيد حرية الصحافة والكلام لما استطاع أن يحصل على المعلومات التى أتاحتها له حرية الصحافة ، هذا فوق أن الحرية تصرف كثيرا من الانفعالات المكبوتة ، فلا تكون هناك ضرورة للبحث عن مسارب ضارة للأمة وللحاكم معا ..

قلت له : انها لحكمة حقا ولـكن العجيب فى الامر أن ما ادركه كرومر الداهية الذى ينتسب الى الامة الداهية بعد أن تعلم ودرس وتقلب فى المناصب واستفاد مع العلم بالتجارب .. أدركه هذا المسئول العربى بفطنته وحرص على تطبيقه بسماحته وحكمته .. وان كان الموقف يختلف بالنسبة للاثنين .

فكرومر المستعمر كان يتخذ من حكمته طريقا لتثبيت دعائم الاستعمار ، وتمكين قبضته من عنق الشعب .. أما هذا الحاكم العربى الوطنى فانه يتخذ منها طريقا لاسعاد شعبه ، وتقديم المزيد من الخدمات له ، وصيانة بنيـانه من الهزات التى تعرضه للخطر .. والكسب النهائى فى الحالة الاولى للمستعمر لا للشعب .. أما فى الحالة الثانية فالكسب للشعب وللحاكم معا ..

وبمثل هذا تساس الامم بابنائها ، وتخدم بحكامها .

ومن أجل هـذا تسعى الامم المستعبدة وتجـاهد ، وتضحى ، لتـاخذ استقلالها وحريتها ، وتحكم نفسها ، وتتخلص من حكم الغرباء عنها ، لتنعم بعد التضحية والعذاب باليد الرحيمة من ابنائها ، الذين يحرصون على مصلحتها ، ويوفرون لها حريتها وكرامتها ، ويعوضونها ما عانته من عذاب وتنكيل ، وما بذلته من دماء وتضحيات ، من أجل استقلالها . فتنعم بالحرية الحقة بعد الكبت او بعد الحرية المصطنعة الملغمة ، وتنعم بالامن بعد الخوف ، وبالرفاهية بعد الضيق ، وبشعورها بانها تشارك فى حكم نفسها ، وتحمل تبعات نهضتها ..

ولهذا كان من الخطر كل الخطر على معنى الحرية والاستقلال أن تجـد الامة من ابنائها الذين يتسلمون ــ بعد الاستقلال ــ مقاليد الحكم فيها ، استهتارا بتبعاتهم ، وتنكرا لأمتهم ، وتشبثا بالحكم يلغى فى نفوسهم كل معانى الحرية والاستقلال والعدل ، ويدفعهم الى حكم الامة بالسياط ، وارغامها على ما لا تريد بالخوف والارهاب ، واراقة الدماء ، والعبث بالارزاق والكرامات ، والقوانين والحرمات ، مما لم تكن الامة تراه تحت حـكم الاستعمار .. أو كانت تنتظر الخلاص منه بالاستقلال ..

نعم . من الخطر كل الخطر أن ينقلب المحاربون للاستعمار ، الى جلادين لأبناء أمتهم بعد زوال الاستعمار . وقاتلين فيهم روح الاباء والشمم التى دفعتهم من قبل لمشاركتهم فى حرب المستعمرين .. فمن العسير أن تمنع أى انسان من المقارنة بين ما كان يراه ويشعر به فى عهد الاستعمار ، وبين ما يراه ويشعر به فى عهد الاستقلال . ومن الكارثة أن يخرج انسان بنتيجة ليست فى صالح القيم التى ظل يجاهد السنين الطوال من أجلها ، من الكارثة أن ترتفع أصوات تبكى الايام الماضية وما كان فيها من حرية واحترام لدماء الناس وأمنهم على قلة ذلك .

فليتق الله فى شعوبهم وفى المعانى الحلوة الكريمة أولئك الذين يتيح الله لهم السلطان والحكم ، وليكونوا رحماء عادلين كما وصف الله المؤمنين .

عبـــادة :

يشعر الذين يقرءون القوانين أو يدرسونها عادة بشيء من الجفاف النفسي يزهدهم في قراءتها اللهم الا اذا كانوا محتاجين اليها في امتحان أو في قضية من القضايا .. لذلك تجد كتب القوانين كتبا خاصة لا تقرأ الا عند الضرورة .. وما وجدنا انسانا ـ كما أعتقد ـ يقضي فراغه في قراءة القانون ..

ومن هنا لاحظت أن الآيات التشريعية التي جاءت في القرآن الكريم تنفرد بميزة لا يشاركها أي تشريع فيها .. فتلاوتها عبادة يقبل المسلم عليها ، ويقرؤها المصلي في صلاته ، ويستمع الناس الى قراءتها من القراء في خشوع .. واذا وجد المسلم فراغا أو مللا أو ضيقا فانه يلجأ الى القرآن الكريم يشرح به صدره ، وفيه هذه الآيات التشريعية ، لا فرق في ذلك كله بين عالم متخصص وغير عالم .. ومن هنا يمتزج التشريع بالنفوس .. وتحس ما له من قداسة مستمدة من قداسة الله تعالى ، منزل الآيات الكريمة ، ومشرع هذه التشريعات .

وهذه ميزة ـ كما قلت ـ ينفرد بها التشريع الاسلامي .. ميزة يمـكن للحاكم الرشيد أن يستغلها لتوفير أسباب الأمن والرخاء للأمة عن طريق سيادة القانون ، ومعرفة الناس به ، وخضوعهم ـ دينا ـ له . وهي ميزة تحقق له راحته ، كما تحقق للأمة راحتها وهدوءها ، واستقامة الأمور فيها ..

ميزة .. ولكن ـ مع الأسف ـ لا نستغلها ، وفرصة .. ولكن لا ننتهزها .. وهذا من سوء حظ هذه الأمة ، ومن أسباب ما تعانيه من بلاء ومحن ..

ما رأينا قانونا أو تشريعا يتعبد الناس بتلاوته ، ويقرؤونه في صـلاتهم كتشريعنا ..

وما رأينا قانونا أقرب الى قلوب الناس من قانوننا ..
وما رأينا أناسا يهملون ـ مع كل ذلك ـ قانونهم مثلنا ..
أليس ذلك هو الفشل الذي نعوذ بالله منه ، ونرجوه أن ينجي هذه الأمة من شره ؟!

هبي ريح الجنة :

طالما أهبت بالفلسطينيين أن يكونوا صـادقين مع الله ومع أنفسـهم وبلادهم ، ويقدموا الدليل العملي على اخلاصهم لقضـيتهم ، وهم أول الناس اكتواء بالنار وأكثرهم احساسا بلهيبها ، وقلت لهم فيما قلت : ان الموتة الطبيعية لكم هناك .. على أرضكم شهداء .

ولا زلت أؤمن بأن عشرة آلاف يهبون أرواحهم لبـلادهم ، مع التخطيط المحكم ، وفي وقت متلاحق ـ كما يفعل الفيتناميون ـ يمكنهم أن يغيروا وجه التاريخ في المنطقة ..

ولقد جاءت أخبار معركة الكرامة وما بعدها مبشرة بأمل جديد في العمل الفدائي البطولي ، ولقد كنت وأنا أقرأ ما نشر عن أعمال الفدائيين في المعركة بين شعورين : شعور بالألم لهؤلاء الذين استشهدوا ، وشـعور بالفرح لأن العمل الجدي في سبيل الأرض السليبة ، والكرامة المهدرة قد بدأ وبدأت الدماء

والارواح تبذلان جديا فى سبيلهما .. وفى الوقت نفسه كنت أحدث نفسى بما بلغه هؤلاء الشهداء من منزلة عند الله ، كما يحدثنا القرآن الكريم والرسول العظيم .. ووجدتنى أردد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتمنى أن يقتل فى سبيل الله فيحيا ليجاهد فيقتل ثم يحيا فيقتل وذلك لما للشهداء عند الله من منزلة وكرامة قررها الله سبحانه وهو يقول : « لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

اذكر هذا واقول : ضمن هؤلاء الشهداء الجنة ، فما أسعدهم .. لقد دخلوا المعركة ليدافعوا عن دينهم وارضهم ومقدساتهم .. وليست هناك غاية اكرم من هذه الغاية يلقى المسلم ربه فى سبيلها ..

لقد هبت ريح الجنة على « الكرامة » وعلى كل شبر من الارض السليبة سقط فيه شهيد ..

وهبت مع ريح الجنة ريح الرضا من الله ، تشفى جراحات النفوس من الأحياء ، وتوحد قلوبهم ، وتجعلهم جميعا فدائيين يحرصون على الشهادة واللحاق بمن سبقوهم عند ربهم يرزقون ..

شىء واحد اسفت له خلال المعركة وهو عدم توفر الأسلحة الحديثة السريعة فى يد المناضلين الفدائيين واضطرارهم لاستعمال السكاكين والعصى امام جنود الأعداء المسلحين . أما كفى ما فات من زمن ومن تهديد العدو لنا لنستعد بمثل اسلحته أو بما يقاربها على الأقل ؟!

ان المؤمن كريم على نفسه وعلى ربه وعنده من الشجاعة والاستبسال وحب الاستشهاد ما يانف معه ان يربط بجنزير فى دبابته كما يفعل الأعداء ..

فهيا يا اتباع محمد ويا احفاد خالد وابن الجراح .. هيا الى رياض الجنة ، والى رياض أرضكم ، فان عدوكم جبان ، وما جعله يستاسد الا ما ظهر فيكم من قبل من حب الدنيا وكراهية الموت . واطلبوا الموت توهب لكم الحياة ..

قال لى :

ماذا دهى امريكا التى تمثل الحضارة الغربية حتى نرى فيها ما نرى من قتل للأبرياء ونار وحرائق وتخريب ؟

قلت له : هذا امر طبيعى واقل مما ينتظر لحضارة او لمجتمع يقوم على البغى والعدوان والصلف ، لا على غير الامريكان فقط بل على الامريكان أنفسهم كذلك لا لشىء الا من اجل لونهم . فهل رايت تفاهة فى التفكير ، وسقوطا فى المدنية والحضارة ، كهذه التفاهة ، وهذا السقوط ؟!

قال : والنتيجة ؟

قلت : اقرأ قوله تعالى « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم ملبسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .

رحلة إلى



قام الاستاذ المحقق العلامة الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة (العرب) وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق برحلة الى المدينة يحقق فيها الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته . ونشر هذا التحقيق في مجلة (العرب) .

وقد نشرنا في العدد السابق القسم الأول من هذا التحقيق وفيما يلي القسم الاخير منه .

ويحسن ايراد وصف موجز للطريق العـــام الذى سار عليه الصـــلاة والسلام بقربه ولم يسلكه .

ولقد عنى المتقدمون بتحديد مواقع هذا الطريق عناية كبيرة كما عنى ملوك المسلمين المتقدمون باصلاحه ووضع العلامات التى تحدد المسافات فيه لانه الطريق الذى يصل بين المدينتين الكريمتين من أقرب المسافات ولكن هجران هذا الطريق منذ أن اختل الامن فى أثناء العهد العباسى جعل الناس ينصرفون عنه لوقوع أكثر منازلة بين أودية وجبال تحتلها القبائل الذين كثيرا ما تقســـو عليهم الحياة وتضطرهم الى النهب والسلب أثناء عجـــز ولاة تلك النواحى عن تأمين ذلك الطريق .

وكان من أهم الامور التى دعت الى تحديد منازل هذا الطريق سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وسيره فيه أثناء أسفاره من المدينة الى مكة ، والمتقدمون كانوا يعنون بتتبع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصـــة مســـاجده .

وقد كان من أبرز من عنى بتحديد منازله من العلماء المتقدمين عالم يدعى

ابا عبد الله محمد بن احمد الأسدى (١) ولا نعرف عن هذا العالم الا ما اورده السمهودى مؤرخ المدينة عنه فهو يقول (انه من المتقدمين يؤخذ من كتابه أنه كان فى المئة الثالثة)(٢) وقد ذكر أن له منسكا حدد فيه أمكنة المساجد النبوية ، وأورد السمهودى ذلك التحديد مفرقا فى كتابه .

ويظهر مما نقل السمهودى عنه انه من جهة العراق لوصفه مواضع تقع فى طريق البصرة الى مكة فى نجد (٣) ومواضع أخرى تقع فى طريق الكوفة كتحديده للطريق من فيد الى المدينة(٤) وقد حدد مواقع فى طريق المدينة الى مكة ، الطريق النجدية مثل (أفاعية)(٥) وحدد الطريق من ذات عرق وهو ميقات أهل المشرق (٦) .

وقد نقل القاضى عياض فى شرح مسلم عند الكلام على اهاب عن عالم يدعى الاسدى ووصفه بأنه من مشائخه ولا نعلم هل هو هذا أم غيره ؟
يحدد المتقدمون مراحل هذا الطريق على النحو الآتى :
ـ من المدينة الى الشجرة (٦) أميال ، ومعروف أن الشجرة فى ذى الحليفة مكان الاحرام المعروف الآن بأبيار على .

ويستمر الطريق القديم مع الطريق الذى تسلكه السيارات الآن الى المسيجيد ومن اشهر المواضع القديمة فيه (الروحاء) . ولا تزال معروفة وكانت لها شهرة قديمة ، ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال وهو فى وادى الروحاء مشيرا الى الجبل العظيم الممتد عن يسار المتجه الى مكة : (ما اسم هذا الجبل) ؟ فقالوا : (ورقان) فقال : اسمه (حمت) جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه وبارك لأهله فيه اتدرون ما اسم هذا الوادى يعنى وادى الروحاء ؟ هذا سجاسج لقد صلى فى هذا المسجد قبلى ٧٠ نبيا ولقد مر بها ـ يعنى الروحاء ـ موسى بن عمران فى ٧٠ الفا من بنى اسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى ابن مريم حاجا أو معتمرا) والحديث من رواية ابن زبالة ومعروف مقامه عند المحدثين .
ولقدم الروحاء نشأت فكرة وجود قبر مضر بن نزار فيها ، كما اشار الى ذلك البكرى فى (معجم ما استعجم) .

ويشاهد المرء غرب البئر والمسجد آثار بناء قديم ومقابر كثيرة هناك ، وتبعد الروحاء هذه عن المدينة بما يقارب ٨٠ كيلا ، وبعد الروحاء بأربعة أكيال يمر المسافر بطرف جبل عن يمينه يسمى عرق الظبية ، بجواره مسجد متهدم وآثار قبور بطرف المسجد ، وللمسجد هذا ذكر عند المتقدمين حيث يعدونه هو ومسجد الروحاء من المساجد النبوية والذى يعنينا من هذا هو الاشارة الى قدم هذه المواضع .
ومن الروحاء الى المسيجيد القرية الكبيرة الآن ٨ اكيال ، والمسيجيد اسم

---

(١) وفاء الوفاء ٦٨/١ الطبعة الاولى
(٢) المصدر السابق ١٦٤/٢
(٣) وفاء الوفاء ٢٢٨/٢
(٤) نفس المصدر ٢٦١/٢
(٥) المصدر السابق ٢٤٨/٢
(٦) نفس المصدر ١٨٣/٢ .

حديث ويعرف قديما باسم المنصرف بفتح الصاد وفيه مسجد يعرف بمسجد الغزالة لا يزال معروفا وهو قديم أيضا ذكره البخارى فى صحيحه .

وسيل وادي الروحاء يفضى الى المنصرف ولهذا يسمى منصرف الروحاء ، ويجتمع مع أودية النازية ورحقان ووادى الجى ثم تفيض هذه الاودية على الصفــراء .

والطريق القديم ينصرف من المنصرف ذات اليسار متجها صوب الجنوب تاركا الطريق المعروف الآن بيمينه .

ومن الأمكنة القديمة التى كان يمر بها هذا الطريق الرويثة ، وكانت من أشهر منازله ، فيها آبار وحياض ويقع بقربها جبلان يدعى الشرقى منهمــا (الحسناء) ويدعى الغربى (الحمراء) ولا تزال آثار قرية الرويثة باقية بعد أن ينزل المرء فى الوادى يشاهد تلك الآثار عن يمينه ، ويحــدد المتقدمون المسافة بينها وبين الروحاء بـ ١٥ ميلا على وجه التقريب .

ومن الرويثة الى السقيا وهذه درس اسمها وتعرف الآن باسم أم البرك ، وقد نقل السمهودى عن الاسدى أن فى السّقيا أكثر من ١٠ آبار وأن عندها بركة وفيها عين غزيرة الماء تصب فى بركة المنزل ، وهى تجرى الى صدقات الحسن بن زيد عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقطعت ثم عادت فى سنة ٢٤٣ هـ ثم انقطعت فى سنة ٢٥٣ هـ وعلى ميل منها تقع صدقات الحسن ، فيها من الآبار المزروعة ٣٠ بئرا وفيها ما أحدث فى أيام المتوكل ٥٠ بئرا ، ماؤهن عذب وطول رشائهن قامة وبسطة وأقل وأكثر ، وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها (تعهن) انتهى كلامه . وهذه السقيا تعرف قديما بسقيا بنى غفار تفريقا بينها وبين السقيا التى فى وادى الجزل ، وتقع السقيا هذه فى أعلى وادى القاحة حيث يلتقى بوادى تعهن .

وقبل السقيا هذه يمر المسافر بواد عظيم هو وادى الجى وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذا الوادى ليس له ذكر عند المتقدمين وهذا سهو منا فقد ذكروه .

جاء فى رسالة عرام بن الأصبغ السلمى : « ورقان جبل أسود عظيم ينقاد من سيالة الى المتعشى بين العرج والرويثة ، ويقال للمتعشى الجى ، وبسفح ورقان من عن يمين : سيالة ثم الروحاء ثم الرويثة ثم الجى » .

وقال ياقوت فى المعجم : « جى بالكسر واد عند الرويثة بين مكة والمدينة ويقال له المتعشى ، وهناك ينتهى طرف ورقان وهــو فى ناحية الجبل الذى سال بأهله وهم نيام فذهبوا والله أعلم ! » وهذا القول لنصر الاسكندرى .

ان الطريق من المسيجيد الى أم البرك المعروفة قديما بالسقيا ، يتجه الى الشرق ثم الى الجنوب ، وعندما يقبل على أم البرك ، ينعدم اتجاهه الى الجنوب فيتجه شرقا يميل نحو الشمال ، ولا يزال على هذا الاتجاه حتى يصل مدينة رابغ .

أما الطريق الحديث ، فانه من المسيجيد يتجه غربا ثم يأخذ فى الاتجاه صوب الجنوب عندما يصل بلدة بدر ويستمر بمحاذاة البحر .

وأهم المواضع الأثرية الواقعة على الطريق القديم بعد السقيا : عين تعهن وقد ضعفت هذه العين منذ أمد طويل ، ولم يبق الآن سوى آثارها ، يدعها المرء عن يساره اذا اتجه من السقيا الى الأبواء .

يسير المتجه فى وادى القاحة ، والسقيا فى هذا الوادى ، ويلتقى بوادى تعهن بعد السقيا بكيلين اثنين تقريبا ، ثم يدع وادى القاحة بيمينه وينزل فى واد يدعى ثقيب بفتح الثاء وكسر القاف ، له ذكر من الشعر القديم وفيه آثار عمران لا يزال باقيا منها موضع يدعى البستان وهو بستان كاسمه . وثقيب من روافد وادى القاحة ، ومنه طريق الى الفرع فى اتجاه أعلى الوادى ، وبعد ثقيب بما يقارب عشرة اكيال واد يدعى (نعا) فى ملتقاه بوادى القاحة آثار بنيان وعمران قديم .

ثم يستمر السير فى وادى القاحة ، وعلى بعد عشرة أكيال من وادى نقا للمتجه نحو مكة هناك يلتقى وادى النخل بوادى القاحة ، وهذا الوادى من اشهر الأودية ، وعند التقائه تتسع الأرض وتكثر آثار العمران القديمة حول المكان المعروف الآن باسم : بئر مبيريك .

ويذكر المتقدمون ، أن بين السقيا وبين الأبواء فى الوسط بينهما عين تدعى عين القشيرى وهى عين كثيرة الماء ، ويقال للجبل الايسر المشرف عليها قدس وأوله فى العرج ، وآخره وراء هذه العين . ويقال للجبل الذى يقابلها يمنة يقال له باقل ، وللوادى الذى بين هذين الجبلين وادى الأبواء [1] . ان هذا الوصف ينطبق على الموقع المعروف الآن باسم بير مبيريك والتى يقال بأنها منسوبة الى أحد مشايخ قبيلة زبيد اهل رابغ فى العصر الحاضر ، وانه حفر هذه البئر منذ عهد قريب فى هذا الموضع فنسبت اليه ، ولا يزال يعرف بوادى الأبواء .

وعلى بعد خمسة عشر كيلا توجد القرية المعروفة باسم الابواء ، وكانت الى عهد قريب تعرف باسم الخريبة وفى سفح الجبل الواقع بقرب مدرسة هذه القرية يوجد آثار قبر منسوب الى آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ، وبقربه مسجد قديم . والمتقدمون يذكرون من المساجد النبوية ، مسجد الأبواء .

ومن الابواء يأخذ الطريق ذات اليسار متجها صوب الشرق ، وبعد ١٩ كيلا يصل الى ثنية هرشا ، وهذه الثنية تجزع طرفا يمتد من الحرة حرة رهاط يمتد معترضا الطريق الى الغرب حتى يقرب من البحر فيما بين رابغ ومستورة ، وفى هذا الطرف قسم يدعى باسم هرشا فيه ثنيتان الغربية منهما أسهل من الشرقية لتعبيدها وفى هذه الثنية ورد المثل :

خذ انف هرشا أو قفاها فانما ... كلا جانبى هرشا لهن طريق

وقد حرف هذا الاسم فى بعض الكتب الحديثة الى حرشا [2] وقد مهدت ثنية هرشا قبل عشر سنوات لمرور السيارات عندما كان هذا الطريق مسلوكا قبل اصلاح الطريق الحالى طريق الخبت ، وكان الطريق القديم الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة ثم كان المسلمون قديما يسلكونه .

كان يمر بهذه الثنية . ويحدد المتقدمون المسافة بينها وبين الابواء بثمانية أميال ، وقد سلكتها بالسيارة فبلغت من الثنية الى مدرسة الابواء ، ١٩ كيلا وهذا يقارب تحديد المتقدمين .

---

(١) وفاء الوفاء) فى الكلام على مسجد الرمادة .

(٢) مسافات الطرق فى المملكة .

وبقرب الابواء تقع (ودان) وليست على الطريق . ولكنها فى اسفل الابواء ، وادى الابواء يفيض فيها والذى يقصدها ينحرف اليها ذات اليمين قبل وصوله الى الابواء ، وبعد صدوره منها يعود الى ثنية هرشا ، ولا يمر بالأبواء .

وتقع (ودان) بحسب ما حدده المتقدمون بقرب قرية مستورة اذ وادى الأبواء يفيض فى البحر عندما يحف مستورة من جهة الجنوب .

وودان هى بلدة الشاعر نصيب المشهور التى يقول فيها :

اقول لركب موجفين لقيتهم	قفا ذات أوشال ، ومولاك قارب
قفوا حدثونى عن سليمان اننى	لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى انت أهله	ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

يقصد الخليفة سليمان بن عبد الملك .

وممن عرف من شعراء هذه النواحى الشاعر خارجة بن فليح المللى وكان يسكن وادى ملل وهذا الوادى لا يزال معروفا ويقع بين الفريش الذى يبعد عن المدينة بـ ٤٩ كيلا وبين وادى تربان الذى يصب فى ملل ويبعد عن المدينة ٣٣ كيلا .

ومن (تربان) : الشاعر عروة بن أذينة الكنانى .

ومن هرشا يتجه الطريق الى الجحفة هذا الطريق القديم ، وتقع الجحفة فى الجنوب الغربى من بلدة رابغ ، ولا تزال معروفة ، وتبعد عنها بـ ١٩ كيلا وكان المتقدمون يحرمون من رابغ قبل محاذاة ميقات الاحرام ، لأن طريق رابغ يأخذ الساحل ويدع الجحفة بيساره ، ووادى الجحفة يصب فى البحر عند نقطة تبعد جنوبا عن رابغ بـ ٢٠ كيلا .

والجحفة كانت قديما مدينة أثرية فى العهد الجاهلى وفى صدر الاسلام ، ولا تزال آثار المسجد النبوى قائمة وقد بنى بقربه مسجد حديث .

ويشاهد المرء على ضفاف الوادى آثار العمران من آبار ومزارع وقبور واساسات بالصخور .

ومن أغرب ما يشاهده المرء بقرب الجحفة وعلى مسافة ١٠ اكيال تقريبا غرب المسجد يشاهد آثار بناء واطلال قصر لا تزال قائمة يدعى (قصر عليا) ويحوك أهل تلك الجهة حوله أخبارا تتعلق بأبى زيد الهلالى وبصلة عليا هذه به . والعرب فى هذا العصر كثيرا ما ينسبون كل شىء قديم الى قبيلة (بنى هلال) كما كان المتقدمون ينسبون كل شىء قديم الى قبيلة (عاد) .

وهذا القصر مبنى بحجارة الحرة السوداء وبالجص بناء محكما وهو شبه مربع ، ولا تزال جدران الجهة الغربية والجهة الجنوبية قائمة سامقة الارتفاع .

ويحيط به من داخله محاريب كثيرة باستطالة الجدارين القائمين . وهذه المحاريب ممتدة بامتداد الجدارين من الداخل وليس فيها نوافذ .

ويظهر أن هذا معبد قديم .

وهو يقع على الضفة الغربية من واد يدعى بالفايضة يفيض فى وادى الجحفة .

وعلى بعد ٢٠٠ خطوة تحت القصر فى بطن الوادى ، توجد بئر مطوية بالصخر وحولها آثار الزراعة مما يدل على أنها كانت عامرة الى عهد قريب

وفى فناء القصر ، توجد بعض الاشجار ، مما يدل على أن الماء كان متصلا به .

هؤلاء المتشاعرون

للدكتور: عبد الرحمن عثمان

الاستاذ المساعد للادب والنقد فى كلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

هناك كلام يسميه أصحابه بالشعر الحر كما يسمى الخارجون على القوانين خروجهم حرية .. ونحن مع احترامنا لاشخاصهم وأفكارهم ، لا نستسيغ هذه التسمية التى يطلقونها على كلامهم وما يضيفونه اليه من نقط وعلامات تعجب واستفهام .. ولا نرى لتشبثهم بهـذه التسمية الا اجلالهم للشعر وحبهم للانتساب اليه مع عجزهم عن حقيقة مواصفاته . وقد جاءتنا كلمات من هذا القبيل لها معناها الجميل لكنا لم ننشرها لان أصحابها يدعون أنهـا شعر . ونحن لا نقرهم على هذه التسمية ، ولهذا رحبنا بمقال الكاتب الناقد لهذا اللون من الادعاء .

« الوعى الاسلامى »

لا جدال فى أن الظواهر التى تطرأ على الفنون تستمد وجودها من قوانين البيئة فى مفهومها العام ، اذ الفن فى حقيقته لا يعدو أن يكون تعبيرا جميلا عن البيئة ، ونتاجا شرعيا لنظامها المتطور دائما الى ما يبدو أنه الافضل والامثل . وعلى هذا فالظواهر الفنية التى قد نظنها مستحدثة فى هذا المجال ، ليست الا براعم جديدة ، تخلقت من جيشان الحياة والنماء فى الجذور الضاربة فى أغوار البيئة ، التى تفصح عنها الفنون بوسائلها المختلفة .

واذا كان المقام يحتاج الى شاهد يفسر الصلة الوثيقة بين البيئة وما تستحدثه فى الفنون من ظواهر متنوعة ، فان الادب الاوربى فى الامم اللاتينية يصلح شاهدا على تأكيد هذه الصلة وتقويتها ، بل والتعليل لها على وجه فيه شمول ، فاذا تتبعنا العوامل التى تأثر بهـا الادب الفرنسى مثلا منـذ القرن السادس عشر الميلادى حتى الآن ، نلاحظ فى وضوح تأثير البيئة الفرنسية على الادب فيما كانت تنادى به جماعة (الثريا Lapeiade) التى تألفت خلال ذلك القرن من سبعة شعراء فرنسيين تحت زعامة الشاعر المشهور : (رونسار Ronsaro) (١٥٢٤ ـ ١٥٨٥ م) ويكفى فى هذا المقام أن نشير الى الكتاب الذى أصدره الشاعر (دى بللى Du Bellay) عضو هذه الجماعة بعنوان (دفاع عن اللغة الفرنسية) ، فقد ندد فيه الشاعر بأولئك الذين يكتبون

الى الشعب الفرنسى باللغة اللاتينية ، ويتجاهلون لغته التى تحددت قسماتها وتأثرت بها اذواق الجماهير ، واهاب بالشعراء والناثرين أن يستعملوا اللغة المحلية مع تطويرها فى نطاق المفردات ، اما بالاقتباس من اللغات القديمة ، واما بصقل الالفاظ التى يتحدث بها الشعب صقلا يجعلها صالحة فى الاستعمالات الادبية .

وهذه الظاهرة التى تناولت مادة الادب من ناحية الالفاظ نراها تتجدد فى نطاق الموضوعات والنماذج التى يقصد اليها الاديب فى فنه ، فقد شهد مطلع القرن التاسع عشر الميلادى حركة قوية لصرف الادباء عن استلهام النماذج الاغريقية واللاتينية القديمة ، بتوجيههم الى أن يتخذوا من مشاعرهم — فى ارتباطها بمجتمعهم الذى يعيشون فيه — مصادر الهامهم ، وقبلة آدابهم ، فاستقام للبيئة بهاتين المحاولتين أن تطبق قانونها ، وتفرض نظامها على الفن الكلامى كما اشرنا اليه فى مطلع هذا الحديث .

□□□

ونحن حين نحسن الظن بالادعياء فى الادب العربى ، نعترف لهم بأنهم يعلمون بعض هذا أو كله ان أرادوا ، فاننا لن نخسر شيئا اذا صدقناهم فيما يدعون ، وربما نكسب بهذا التصديق راحة من عناء الجدل ، واعراضا عن ملاحاة الجاهلين . . واذن فمن الاحسان لأنفسنا أن « ننبذهم » بالعلم ، أو « نتهمهم » بالمعرفة ، وأن نعود لنستغفر الله على ما فرط منا فيما قدمنا من حديث مقتضب عن الآداب اللاتينية فى غرب أوربا ، لأنهم يعرفون أخبارها كما يعرفون انفسهم ، ويعشقون آثارها عشقا يملك عليهم قلوبهم وعقولهم جميعا ، فعالمهم وجاهلهم فى ذلك سواء . . !! والذين لا يجيدون منهم لغة أوربية — وهم كثرة — يعشقون تلك الآداب على طريقة الشاعر بشار بن برد الذى اهتدى بحسه المرهف الى « أن الاذن تعشق قبل العين احيانا » .

والادعياء فى الادب العربى حين علموا او سمعوا بالتطور الذى احدثته البيئة فى الآداب اللاتينية ، تنادوا مسرعين الى اعلان ثورة عارمة على كل ما هو عربى قديم ، متذرعين بأن التطوير فى مجال الشعر العربى وانقاذه من تبعية « الخليل بن احمد » مما تقتضيه روح العصر ، وتفرضه قوانين البيئة . . !!

وقد ذكرت بهذا قصة ذلك المخبول الذى رأى مريضا يشكو الما حادا فى عينه ، فقال له : ولم تحتمل كل هذه الآلام ، ولا تصنع صنيع اخى حينما كان مريضا فى العام الماضى ؟ فتجدد أمل الشفاء عند المريض ، فسأله — وهو لا يعلم أنه مخبول — : وماذا صنع اخوك ؟ فقال : كان يشكو من ضرس ، فلما خلعه استراح وذهب عنه الالم !!

واصحابنا — عافاهم الله — لا يعلمون أن هناك ذوقا عربيا قد استراح منذ نشأة الشعر حتى الآن الى الموسيقى التى ضبطها الخليل فى عروضه ، فاستطاع بهذا النغم الرتيب أن يفرق بين جنس الكلام ، وأن يعرف الشعر بموسيقاه وتآلف الحانه ، وأن يهتدى الى النثر بما عرف له من مزايا وصفات ، وبهذه المزية أصبح الذوق العربى العام هو الحكم الذى لا راد لحكمه ، والقاضى العدل الذى لا ينقض قضاؤه .

واصحابنا هؤلاء قد تعبوا واتعبوا فى الدعوة الى (الشعر الحر) ، كأن الشعر من قبلهم كان مستعبدا فحرروه !! فلعلهم راجعون الى صوابهم حين يستمعون الى هذا الحديث ، فأما اذا أصموا آذانهم عنه فان واجب القراء على يقتضينى أن أوضح لهم المقام ، لأن من بين القراء شبابا عربيا تعقد عليه العروبة آمالا كبارا ، وترتقب منه سدادا فى الفكر وعمقا فى الفهم .

□□□

قد اطمأن الذوق العربى من لدن المهلهل بن ربيعة وامرىء القيس حتى يومنا هذا الى الموسيقى السارية فى الشعر ، فأحبها حبا شديدا يحسه كلما عابثت وجدانه ، أو حركت فى جوانب نفسه نشوة لا تعدلها نشوة . وقد ضبط فن العروض ببحوره المختلفة أوتار المعزف الذى يعزف عليه شعراء العربية ، فتتابعت الالحان شجية ساحرة لا نشاز فيها ولا اضطراب ، وربما دعت الحاجة الملحة الى اضافة وتر جديد الى المعزف أو اهمال آخر على الا يخل ذلك بالانسجام العام فى تعاطف اللحون ، وتآخى الالحان ، وهذه الحقائق يعرفها كل من عرف طبيعة الشعر فى لغته أو فى غير لغته ، وهى من قبل ومن بعد حقائق ثابتة ثبوتا لا يقبل الجدل أو المناقشة .

والحق أن المقام يحتاج الى استعراض سريع لما طرأ على هذه الموسيقى الشعرية ، من تعثر فى الاوزان ، أو بذل المحاولات فى استحداث موسيقى جديدة ، لندرك أن أصحاب « الشعر الحر » من شعراء التفعيلة فى عصرنا مقلدون فى أسوأ ما يكون فيه التقليد ، ولنستيقن أن بينهم وبين التجديد الذى يدعون أضعاف ما بين السماء والارض :

— ١ —

فالشاعر الجاهلى « عبيد بن الابرص » معاصر لنشأة الشعر العربى كما يقول الجاحظ فى كتابه الحيوان ، وكان ينبغى أن يغتفر له النقاد العرب اضطرابه فى الوزن الشعرى ، ولكن محمد بن سلام الجمحى يعيب شعره بقوله : « وعبيد ابن الابرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له الا قوله :

اقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

ولا أدرى ما بعد ذلك .

وقصيدة عبيد هذه تكاد تشبه النثر فى كثير من أبياتها ، وهى لا تلتزم بحر البسيط الذى نظمت عليه ، ولهذا يقول الشاعر أبو العلاء المعرى :

وقد يخطىء الرأى امرؤ وهو حازم كما اختل فى وزن القريض (عبيد)

فاختلال الشعر بميله عن النغم الموسيقى الذى يستسيغه الذوق العربى من الامور التى تخرج به عن مجال الفن الشعرى ، حتى لو كان صادرا من شاعر شهد حداثة الشعر مثل عبيد .

والنزوع الحقيقى الى ابتكار أوزان جديدة فى المجال الشعرى ما نجده عند فحول الشعراء العباسيين أمثال أبى العتاهية ومسلم بن الوليد ، فقد دفعهم تنوع الاغراض الشعرية واتساع آفاقها الى استحداث أنغام تلائم البيئة الجديدة وميلها بالاذواق الى الرقة والخفة ، فهذا أبو العتاهية يستجيب الى نغم يراه منسجما من توالى صوت المدق وضرباته المتعاقبة فى دكاكين القصارين ، فيحاول محاكاة ايقاعاته فى شعر جرى على لسانه ، فيقول :

للمنون دائرات يدرن صرفها
حتى ينتقيننا واحدا فواحدا

والوزن كما نرى لا صلة له ببحور الشعر المعروفة ، ولكن الشاعر نظم به نزوعا منه الى اقرار مبدأ الحرية للشعراء فى ابتكار الاوزان الملائمة التى تستسيغها أذواقهم ، وهذا منهج حسن من حيث المبدأ ، لأن تقييد الشاعر يخمل موهبته الفنية ، ومع هذا فان على كل شاعر — بالغا ما بلغ — حين ينزع الى

التجديد ان يلائم بين فنه والذوق العام الذى يقدم له نتاجه ، وتلك هى القاعدة التى حاول أبو العتاهية ان يتمرد عليها ، فقد لامه اهل الذوق فى عصره على أنه يقدم للجمهور شعرا لا تستريح اليه أسماعهم لاضطراب موسيقاه ، فلم يجد الشاعر الكبير ما يقوله لهؤلاء المعترضين اكثر من تلك الدعوى العريضة التى لا تقنع احدا ، فهو عند نفسه كما قال للساخطين على تجديده : « أنا اكبر من العروض » !!

وأخذ شعراء الفرس زمن العباسيين يتجهون الى ابتكار الاوزان باستعمال ما يرونه مناسبا من النغم الفارسى المستعمل فى شعر تلك اللغة ، فاستعملوا فى العربية « الدوبيت » ، و « السلسلة » و « القوما » و « المواليا » و « كان كان » ، وقد عكس بعضهم بحور الخليل بن احمد ونظم بها شعرا عربيا ساغته أذواق ، وانصرفت عنه أذواق ، فمن ذلك قولهم فى مقلوب بحر المديد :

من لقلبى العامرى بالذى يتمنى من وصال القصى

– ٣ –

وفى الأندلس كثرت الدواعى الى التجديد فى الميزان الشعرى ، اذ بلغ الولع بالغناء اقصاه ، فاحتاج الشعراء الى نوع من القصيد يساير الغناء ويلاحق ضروب الأنغام المستحدثة ، فتعلقت همم الكبار من شعراء الأندلس الى ابتكار أوزان جديدة فكانت « الموشحات » .

واول من اقتحم هذا الميدان الشاعر المجيد مقدم بن معافر الفريرى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وتبعه احمد بن عبد ربه المتوفى عام ٣٣٨ هـ ثم برع فى هذا النمط الجديد عبادة القزاز المتوفى عام ٤٢٢ هـ .

وهذه المحاولة الأندلسية لم يكن من غايتها نبذ القديم ، أو الخروج من دائرة الذوق العربى ، وانما كان غايتها توسيع نطاق الفن العربى ، واسباغ شىء من الخفة والرقة على مقاطعه وأوزانه .

ولعل فيما يقرره عبد الرحمن بن خلدون اشارة الى ان الشعر بلغ فى البيئة الأندلسية مبلغا عظيما ، مما حمل الشعراء على الاستزادة من الأوزان ، يقول ابن خلدون :

« وأما أهل الأندلس ، فلما كثر الشعر فى قطرهم ، وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ من التنسيق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون فيه فنا سموه « الموشح » ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة » .

– ٤ –

والتجديد فى الأوزان الشعرية امنية راودت عزائم فحول الشعراء فى مختلف العصور ، ومن حق هؤلاء الفحول أن يرسلوا فى قصائدهم نغما جديدا ، لأنهم اهل حذق وذوق وبصر ، وهم أصحاب حاسة فنية لا تتأتى لغيرهم ، فاذا أبيح لهم ان يجربوا وزنا حسبوه شجيا ثم عدلوا عنه بعد محاولة أو محاولتين فليس لهذا من معنى الا انهم وهموا أولا فى استقامته واعتداله ، فلما تبين لهم عوجه واضطرابه ونبوه عن الأذن أنكروه ، ولم يأنسوا اليه ، وهذا ما نجده عند باعث الشعر الحديث محمود سامى البارودى ، وما نطالعه عند شوقى وخليل مطران .

ففى ديوان البارودى قصيدة واحدة تجرى على وزن اخترعه الشاعر وليس لها ثانية فى سائر شعره ، لأنه ــ فيما يبدو ــ آثر السلامة ورجع الى طبعه الشعرى الذى لم يخذله أبدا ، فمن أبياتها قوله :

املأ القدح واعص من نصح
وارو غلتى بابنة الفرح
فالفتى متى ذاقها انشرح

وقد تبعه شوقى فى قصيدته المشهورة التى مطلعها :

مال واحتجب وادعى الغضب
ليت هاجرى يشرح السبب
عتبه رضى ليته عتب

وأما خليل مطران فقد خرج فى القصيدة الواحدة الى أوزان عدة متأثرا بطبع الأندلسيين فى الموشحات ، وربما يعمد الى وزن مبتكر ليقحمه فى تلك الاوزان المعروفة لنا ، وخير مثال لهذا ما نراه فى قصيدته التى عنوانها « نفحة الزهر » فقد استهلها ببيتين من مجزوء الكامل وهما :

باسم المليكة فى الازاهر ذات الجلالة والبهاء
يهدى اليك بيان شاعر أزكى التهانى والدعاء

ثم يعدل فى هذه القصيدة الى وزن آخر من بحر الرمل فيقول :

انظريها تجديها زهرا واقرئيها تجديها فكرا
تلك أشباه المنى فى لطفها لبست حسنا فجاءت صورا

ولكنه قبل أن ينتهى منها يلجأ الى وزن مبتكر فيقول :

قالت الوردة ذات النهى والامر فى الزهر
يا وصيفاتى بنات النور والعطر فى الفجر

ولعلنا لا نأسف كثيرا على هذه الجولة السريعة فى تراثنا القديم والحديث ، فقد استعرضنا فيها مواقف التجديد الاصيلة التى حاولها فحول من شعراء العربية ، نعرف لهم موهبة وحذقا فى فنون اللغة ، ورواية وفهما لأدبها ، وما يتصل به من قواعد وقوانين ، وتلك فائدة قد تعوضنا كثيرا عما سنفقده بالحديث عن شعراء التفعيلة والدعاة الى الشعر الحر ، أولئك الذين ينبذون ما نعرفه لشعرنا العربى من ضوابط ، أو الذين يتخففون من قواعده عالمين بها أو جاهلين .

ومجمل دعوة هؤلاء تنحصر فى الثورة على القوانين التى وجهت الشعر العربى وجهته المعروفة منذ نشأته حتى الآن ، والانتقاض على الميزان العروضى ، والتخلص من قيد القافية ، ويحتجون لهذا : بأن الحياة متطورة ، وأن موضوعات الشعر مرتبطة بهذا التطور ، وأن مشاعرهم فى حاجة الى الانطلاق مع ركب الزمن المجد فى سيره ، وأن احساسهم بجمال الطبيعة ينزع بهم الى معانقة أشواق الحياة وتأمل المستقبل ، ولا سبيل الى ذلك الا بالحرية فى التعبير ، واطراح كل المعوقات التى تكمن فى أوزان الشعر وقوافيه المأثورة .. !!

وهؤلاء الأغرار يحسبون انهم بهذا الهدم دعاة تجديد وأســــاتذة مذهب مبتــكر . لأن أحلام اليقظة تخيل لأصـــحابها أوهاما أخطر مما يظن الظانون ، فمنطقها يقوم دائما على اهتبال ما يلوح لها أنه نتائج لمقدمات وهمية لا ترقى اليها العقول . لأنها خارجة عن نطاق الأفكار .

وقد يصبح وهم التجديد لديهم عقيدة ثابتة حين تحتضنهم وسائل الاعلام فى بعض الأقطار العربية . وحين تساندهم هيئات ذات طابع تجارى أو مذهبى فى أقطار معروفة . ونحن — مع هذه القوى المساندة — لا نجزع على مصير شعرنا العربى لا فى حاضرنا ولا فى مستقبلنا . فان استساغة الأذواق العربية الأصيلة لمثل هـــذا الغثـــاء أمر نراه بعيد الاحتمال فضـــــلا عن حدوثه وتأثر الأذواق به .

فاذا قيل لهؤلاء المتشاعرين : ان ما تذيعونه فى دواوينكم وثيق الصـــلة بالنثر المضطرب والانشاء الضال . وليس له أدنى صـــلة بالشــــعر ومفهومه الفنى . أجابوا : بأن له من الشعر وزن « التفعيلة » الواحدة من البحر الواحد العروضى . وفيه من مفهومه موسيقاه المطردة فى وجدان الشاعر الحر مصورة فى المقطع . ومستمرة فى تمطيط الحروف حينا . والهمس بها حينا آخر حسبما يقتضيه لحس الشاعر !!

وما ابتناه فى مستهل هذا البحث يبطل ما زوروا من حجج ، وارتجلوا من براهين . وتوضيحا لذلك نشق على أنفسنا بدراسة عابرة لجوهر المشـــكلة ، وهى دراسة كما يقول الاستاذ العقاد خليقة « بالدراسة ، كما يدرس العلماء عوارض الامراض والعلل والنكبات . على أنها خليقة كذلك ألا تحمل طابع القدوة والاحتذاء .

ونحن نعرف أن موضوعات الشعر متطورة مع الحياة دون حاجة منا الى تصريحات « هيئة الشعر الحر » فكثيرا ما اتعب مؤرخو الأدب انفســـــهم فى دراسة ما طرأ على الشعر فى مختلف العصور من ظواهر وتغييرات اثرت فى ألفاظه وموضوعاته وأوزانه . والفحول من شعراء العربية لم يصادفوا مشقة تذكر فى الملاءمة بين فنهم وبين تلك الحياة المتجددة أبدا ، فالشعراء من أمثال بشار بن برد . وأبى نواس . وأبى تمام . وابن الرومى ، والمتنبى ، لم يتمردوا يوما على ميزان الشعر بحجة أنه قيد يحول بينهم وبين ما يريدون الافصـــــاح عنه . بل انهم استطاعوا أن يوقظوا الحياة فى قصائدهم ، وأن ينشروا صور الطبيعة جديدة فيما نقرأ لهم . ولم يحدثنا علماء النفس أن بشارا مثلا مات وفى نفسه شيء من العروض . ولم يشر ناقد الى أن التزام الوزن سد على شاعر قدير منافذ الخيال . أو قعد به عن تلقف الخاطرة التى قد تســـنح لفــكره من بعيد .

والبحور العروضية لا تغيض أمام السابحين المهرة ، ولا تقذف بهم على شطآنها . وانما تشد الى قيعانها أولئك الذين لا يحسنون الســــباحة أو الذين يحسنونها فى المياه الضحلة التى تركد فى البرك وتسيل فى الغدران ، فالملكة الأصيلة قادرة أن تنظم — فى يسر — صور الحياة المتكاثرة فى لحون شعرية لها من الوزن سحر الموسيقى ومن القافية حسن الايقاع الرتيب .

والعجز عن تلك المساوقة الفنية لا يرادفه الا فتور فى الموهبة ، وكلال فى نهج البيان . ومن ثم يصير تجديد العاجزين أسوأ من تقليد القادرين .

على أن هناك فرقا بين قوانين الفنون وبين القيـــود التى تطرأ عليهـــا ، فانتظام الموسيقى فى القصيدة العربية قانون التزمه الذوق العربى ، وقاعدة

تحد مفهوم الشعر منذ جرى على الألسنة . وبهذه الموسيقى المتطورة استقل الشعر عن النثر ، وصار قسيما له فى الفن الكلامى . فأما القيود فهى التى لا تتصل بطبيعة الفنون ولا يتوقف عليها المدلول الحقيقى لجوهر الفن ، وانما تعرف طريقها اليه بوسائل خارجية ذات علاقة قريبة أو بعيدة فى التوافق أو التنافر بمفهومها الذى يحدد قسماتها ويفصح عن ملامحها الاصيلة . وعلى سبيل المثال فان الاهابة بالشعر أن يلتزم غرضا واحدا يعتبر قيدا له ، وعلى الشاعر حينئذ ان يحطم هذا القيد ويستعلى عليه ، وأن يسلك بفنه المسلك الذى يراه قريبا الى طبعه ولصيقا بوجدانه ، فتنوع الاغراض والموضوعات يمنحه الحرية الكاملة فى اختيار ما يلائم تكوينه الفنى ، واذن فلا معنى لأن يسلب هذه الحرية ويحرم من حقه فى الاختيار .

ومن هنا يظهر بطلان ما يروج له شعراء التفعيلة من وجوب التخلص من الوزن والقافية لأنهما قيد « للحرية الفنية » وتعويق للموهبة عن الافصاح والتصوير ، فاذا شئنا أن نسمى الأشياء بأسمائها ، فان دعوتهم تلك ليست الا أمنية ساذجة يراد منها ابطال الفن الشعرى جملة ، لأنهم يهيبون بالشعراء أن ينفصلوا عن اخص ما نعرف له من قوانين وقواعد . ولكن تشبثهم بالتزام « التفعيلة » من البحر العروضى يشير الى الحقيقة الثابتة دون أن يصرحوا بها ، وتلك الحقيقة هى انهم مرغمون على الاعتراف الضمنى بأن : الميزان الشعرى قانون وقاعدة فيما يسميه العقلاء شعرا . وما أشبههم فى هذا بالطفل الذى يلح على والده ان يشترى له حلوى يشتهيها . . فاذا زجره أبوه ، وهم بالانصراف دونه ، تعلق الطفل بأطراف ثوب والده . . وعينه تلتهم الحلوى من بعيد ، فاذا شاء « الشاعر الحر » أن يرى فى القوانين الشعرية قيودا ، فيرسل أحاديثه على غير قاعدة ، فخليق به عندئذ الا يزعم للعقلاء — ما يزعمه لنفسه — انه شاعر ، وحسبه عندنا أنه صاحب فن « مشكل » لا هو من قبيل الشعر . . ولا هو من قبيل النثر .

فأما اهمالهم للقافية التى تستريح لها الأذن فليس لديهم تعليل شاف لهذا الاهمال المعيب ، فما تكاد تقرأ لهم الا مقطوعات مختصرة كل الاختصار قد اختفت فى سراديبها الأفكار ، وشاهت الصور فى معارضها ، ولو انهم تعلقوا بنظم القصة الطويلة ، لكان لهم مندوحة فى العدول عن حرف الروى ، لأن القافية مهما اتسعت مادتها وكثرت مرادفاتها لا تتسع لهذا اللون ، الذى يستدعى آلاف الأبيات حتى تصل القصة الى نهايتها ، ولكن اكثر ما لهؤلاء — كما نقرأ لهم — مقطعات وسطور تقصر أو تطول حتى تتساوى بالنقط . وعلامات التعجب والاستفهام . . !!

ولو ان اصحابنا هؤلاء سلكوا سبيل الموهوبين فى استخدام « الرجز والتوشيح والتسميط » لأغناهم ذلك عن قيد القافية فى المسرحيات والقصص .

واذا سلمنا لهم ان الموسيقى الشعرية متحققة فى استعمال التفعيلة والتزامها . فان من حقنا أن نسأل عن سر هذا الاختزال وغايته ، فاذا كان من غايته توفير الحرية للشاعر كى يتاح له تصوير دقائق الفكر واستيعاب « أشواق الحياة وترانيم المستقبل » كما يزعمون ، فان قصيدة واحدة من شعرهم المترنح كافية فى اقناعنا أنهم قد جددوا فى شكل الشعر أو فى مضمونه بما تحمل من شكل جديد أو مضمون مبتكر . . فأما حين يصبح منهجهم الذى يتنادون به وسيلة من وسائل العبث والسخرية بالعقول ، أو يصير الى تقليد المحدثين من شعراء أوربا . . فان الأقلام العربية مسئولة عندئذ عن حماية الأذواق ، وتنبيه الناشئة من أبنائنا الى ما وراء هذا العبث من هدم أو ارتزاق .

أعدها : أبو نزار



النفير النفير

« يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » .

الحرية

ولا يقيم على خسف يراد به ... الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثى له أحد

منهج تربية وخطة دراسة

عهد الرشيد الى الاحمر النحوى بتعليم ابنه الامين ، ووضع له منهج تربيته وخطة دراسته فكتب اليه :

يا أحمر : ان أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين .

اقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته ، فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباها فعليك بالشدة والغلظة .

ابراهيم واسماعيل

قال ثعلب فى أماليه : الاسماء الاعجمية لا تعرف العرب لها تثنية ، ولا جمعا .

فأما التثنية فتجىء على القياس . مثل ابراهيمان واسماعيلان ، فاذا جمعوا حذفوها فردوها الى أصل كلامهم ، فقالوا أباره ، وأسامع ، وصغروا الواحد على بريه وسميع .

التاريخ فى العهد النبوى

قال أبو الريحان البيرونى فى كتابه الآثار الباقية :

كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمون كل

سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها له عليه الصلاة والسلام .

فالاولى بعد الهجرة سنة الاذان ، والثانية سنة الامر بالقتال ، والثالثة سنة التمحيص ، والرابعة سنة الترفئة ، والخامسة سنة الزلزال ، والسادسة سنة الاستئناس ، والسابعة سنة الاستغلاب ، والثامنة سنة الاستواء ، والتاسعة سنة البراءة ، والعاشرة سنة الوداع ، فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة .

المد يحمل البريد

لم يكن لجزيرة (سنت كيلدا) بشمال سكوتلندا بانكلترا مواصلات للبريد انما الذى يحمل بريدها هو مد البحر . ولذلك كانت تجمع الخطابات منها فى اوعية من الصفيح ومعها النقود المقابلة لما يلزم لها من طوابع ، ثم تلقى هذه الأوعية فى البحر مربوطة بعوامات من جلد الماشية ، ويعلق بها قطع من الخشب طافية ويكتب عليها بريد (سنت كيلدا) الرجاء فتحه .

وتحمل تيارات البحر معظم هذه الرسائل الى (جزائر شيتلان) ومنها تحملها بواخر البريد الى انكلترا .

ذكاء معاوية

يروى أن عبد الرحمن بن حسان الشاعر شبب بابنة معاوية ، وبلغ ذلك ابنه يزيد ، فغضب ، وطلب من ابيه أن يقتله ، فقال له معاوية : لا ولكن اداويه بغير ذلك .

ثم دخل عبد الرحمن على معاوية فأكرمه واستقبله أحسن استقبال ، وقال له : ان ابنتى الأخرى عاتبة عليك ، قال : فى أى شىء ؟ قال : فى مدحك أختها وتركك اياها قال : فلها العتبى وكرامة . أنا ذاكرها ، ولم يكن لمعاوية غير بنت واحدة فخرج عبد الرحمن وأخذ يشبب بالبنت الثانية ، وبلغ شعره الناس ، فعرفوا كذبه .

البيت الغنى

لما ولى المنصور الخلافة لقيه احد معارفه القدامى وكان فقيرا ، فسأله المنصور : ما عيالك ؟ قال : ثلاث بنات والمراة وخادم لهن ، فقال له : أنت أيسر العرب . اربع مغازل يدرن فى بيتك ، ولم يعطه شيئا .

اخلاق الخلفاء

قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون يوما ، فنادى بالخادم : يا غلام ، فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانيا وصاح : يا غلام ، فدخل غلام وهو يقول : ما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟! كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام . يا غلام الى كم يا غلام !! فنكس المأمون رأسه طويلا ، فما شككت أن يأمرنى بضرب عنقه ، ثم نظر الى وقال : يا عبد الله : ان الرجل الذى حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، واذا ساءت اخلاقه حسنت اخلاق خدمه ، وانا لا نستطيع أن تسوء اخلاقنا لتتحسن اخلاق خدمنا .



للمستشرق الدكتور مونتجمرى وات
عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبرة

عرض ومناقشة للأستاذ : عبد الحميد فرحات

ينبغى ان ننظر بتحفظ شديد الى كل ما يصـــدر فى مكتبات الغرب عن الاسلام . وينبغى ايضا أن نتخذ امام هذه المؤلفات الغربية موقفا واضـــحا ومحددا يختلف بالطبع من كتاب الى كتاب ومن باحث الى باحث . ويمكن أن يقال بصفة عامة أن الكتب الغربية عن الاسلام تتحرك فى اتجاهات ثلاث . .

هناك أولا . . اتجاه يعرف أصحابه ـــ وما اقلهم ـــ حقيقة الدين الحنيف ، ويقومون فى أمانة العلماء ونزاهتهم بتسجيل ما للدين الاســـلامى من مميزات وفضائل . وعلينا أن نستفيد ببحوثهم ونترجمها الى العربية ، ونستقدم من كان منهم على قيد الحياة الى بلادنا للتعارف والتباحث .

وهناك ثانيا . . اتجاه يعرف أصحابه ـــ وما أكثرهم ـــ الحقيقة ، ويقومون بتشويهها وتلويثها ، بدافع من سوء النية والتعصب الموجه بالدرجة الاولى الى المسلمين العرب . وعلينا التحرك السريع المدروس بغير انفعال أو تشـــنج للكشف عما فى أفـــكارهم من ســـخافات وتفاهات . بمقارعة الحجة بالحجة ، والرأى بالرأى . وفضح ما خلفها من سوء نية وتعصب ، لأن السكوت والتزام الصمت أمام هذا اللون من الدعايات هو بلا شك ضدنا . وليس لصالحنا .

وهناك ثالثا . . اتجاه يرفض أصحابه ـــ وما أخطرهم ـــ كل الاديان ، ومن بينها الاسلام بالطبع . وعلينا الاسراع بمحاصرة هذا النوع من الكتب فى أضيق نطاق . وفى الوقت نفسه نصدر من جانبنا ما يناهض هذا الاتجاه ويقضى عليه . ويقلل من أخطاره .

ويصبح هذا التحفظ الذى أشرت اليه ، أكثر ضرورة ، وأشد الحاحا فى كمه وكيفه ، اذا أدركنا الدور الخطير الذى تقوم به الصهيونية والاستعمار العالمى خلف كل كلمة تكتب ضد الاسلام هناك ، وهو الدور الذى توظف وتوجه فيه امكانيات لا حدود لها بهدف تدمير المقدرات الروحية والخلقية للانسان المسلم .

أما الكتاب الذى أقدمه اليوم لقارىء « الوعى الاسلامى » فيقع فى الاتجاه الأول ، وصاحب هذا الكتاب الاستاذ الدكتور مونتجمرى وات M. Watt عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبرة . ولقد أصدر الاستاذ وات فى عامين متتاليين كتابين عن الاسلام ، أما الكتاب الأول فهو « الاسلام والجماعة المتحدة » Islam and the United Group الذى صدر فى فبراير عام ١٩٦٦ ، ومن يريد معرفة شىء عن هذا الكتاب الرجوع الى بحث أستاذنا الراحل العقاد « ما يقال عن الاسلام » ، ففيه من التلخيص والتحليل عن هذا الكتاب ما يفيد .

وأما كتابه الثانى وهو موضوع هذا المقال فهو « الاسلام والحضارة » Islam and Culture والذى صدر فى مارس ١٩٦٧ م .

ويقول العقاد — رحمه الله وعوضنا عنه — عن المستشرق وات : لقد كان لهذا الرجل فضل تفسير التاريخ الاسلامى بالكشف عن دور العامل الاقتصادى جنبا الى جنب مع العوامل الروحية والاجتماعية .

وأود أن أضيف الى ما رآه العقاد بأن هذا الرجل مفكر موسوعى ، قد سلح نفسه بقدر كبير من الثقافة فى مختلف فروع المعرفة . غير انه يستقطب دائما كل روافد ثقافته كى تصب فى مجرى التخصص الرئيسى الذى أراده لنفسه ، وهو الدراسات العربية والاسلامية ، ولهذا تلتقى فى مؤلفاته بالكثير من لمسات الفيلسوف ، وعالم النفس ، والمؤرخ ، والجغرافى . وهؤلاء جميعا يلتقون وينصهرون فى رجل واحد جعل اثبات ما للاسلام من فضائل هدف أهداف حياته .

وثمة فضيلة أخرى لهذا الأستاذ المستشرق . فلقد روعه العدوان الصهيونى الأخير على أرض (القداسات) كما يسميها . ومن ثم رفض العدوان ، وكتب يفضح الصهيونية ، وانطلق لسانه بين زملائه وأصدقائه وتلاميذه يقول قولة الحق ، وحتى وصل به ايمانه بالقضية العربية الى حرج موقفه مع ادارة الجامعة التى أنذرته بالطرد .

وبهذا الموقف المشرف يكون الاستاذ مونتجمرى وات ثانى مفكر انجليزى حر يقف بجانب الحق العربى ، ويكون قد سبقه على نفس الطريق المؤرخ الانجليزى صديق العرب المنصف « توينبى » الذى وضع قضية اسرائيل كلها فى مهب الرياح بمناظرته المشهورة مع (ياكوف هيرزوج) سفير اسرائيل فى كندا صباح يوم ٣١ يناير عام ١٩٦١ .

وكتاب الأستاذ وات هذا « الاسلام والحضارة » بحث طيب يسجل فيه صاحبه الدور الحضارى للدين الحنيف . وبرغم ان هذا هو الموضوع الرئيسى للكتاب ، الا ان المؤلف قد نثر فوق صفحاته العديد من التفاصيل الفقهية الدقيقة ، والكثير من المقارنات العديدة بين الأديان . وهذا الذى عمله المؤلف يجعل من محاولة تلخيص الكتاب ومناقشته فى صفحات محدودة مسألة عسيرة بل وقليلة النفع . الا ان هناك ثلاث قضايا عنى بها المؤلف . وجعلها تسير

متوازية على امتداد صفحات كتابه ، والأصوب والأفيد أن نقف أمام قضـــاياه الثلاث ، لنرى من خلالها كيف يفكر الرجل ، وكيف يثقب بفـــكره كل محاولة لتشويه الحقائق .. وسط ظروف تبدو الحقيقة داخلها ــ أية حقيقة ــ كتجارة بائرة ، يحل بالمشتغل بها الفاقة الأبدية .. !!

انسانية الاسلام

ثمة ادعاء يقول أن أى دين له خواص وسمات محلية ، وأنه يؤدى مهمته فى حدود هذه الخواص والسمات فقط ، ولقد جعل الأستاذ وات قضيته الاولى فى ابطال هذا الادعاء ، والقول بأن الاسلام هو خاتم الأديان ومن ثم فهو يصلح دائما مهما اختلف المكان أو امتد الزمان . وقد انطلق المؤلف الى هذا الهدف من مقدمة فلسفية خالصة قائلا : ان التصور الخالص يلزمنا بتصور أصل أو جذور أو نواة أو جوهر لأى شىء من الأشياء ، ولقد كان الدين على مر العصور هو جوهر الوجود . أو كما يفضل تسميته بروح العـــالم Animamundi **وكما يتهاوى جسد الانسان بعد خروج الروح منه ، فان العالم ينهار اذا ما زال الدين منه ، أى أن العـــلاقة بين الدين والوجود خالدة خلود العـــلاقة بين الجوهر ، والعرض .**

ويدلل الأستاذ وات على مقدمته الفلسفية هذه باستعراض شامل لتاريخ الأديان أكانت ديانات منزلة أم غير منزلة ، أكانت تقـــول بتعـــدد الآلهـــة Polytheism أم تقول باله للشر وآخر للخير Ditheism أم تقول باله واحد لا شريك له Theism وخلال هذا العرض الشيق لتاريخ الأديان يضع المؤلف يد القارىء على حقيقة هامة ، وهى أن كل الديانات السماوية ما عدا الاسلام تحمل كل مبادئها وتعاليمها شكل التحذيرات والمواعظ Admonitions وليس فى هذا الشكل ما يعيب هذه الديانات التى كان يترك كل دين منها للدين الذى يليه مهمة شرح ما به من تحذير ووعظ ، وأن يكمل كذلك ما فيه من نقص . ولما كان الاسلام هو خاتم الأديان المنزلة ــ وهذه مسلمة لا يجب نقاشها ــ كان لا بد من اشتماله على كل فضائل الديانات السابقة ، وأن يزيد عليهـــا ما يفيد البشرية مستقبلا . ولهذا يقول الأستاذ وات أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى تخطى مستوى المواعظ والتحذيرات الى مستوى تســـجيله لجملة العقائد المشرعة Legal dogmas **وهو يعنى بهذا أن العقائد الاسلامية تصلح أصولا تستمد منها البشرية كل القوانين التى تسير حياتها .** ويضـــيف المؤلف الى هذا بأن الدليل على انسانية هذا الدين أنه قد نشر جناحيه فوق رقعة كبيرة من العالم ، وأنه يكسب مع كل صـــباح جديد المزيد من المؤمنين به ، هؤلاء الذين بلغوا بحسب آخر احصاء خمسمائة مليون مسلم .

ولا يفوت هذا الباحث أن يقول هنا ــ فى عتاب الصـــديق ــ بان على الجهات الاسلامية المسئولة عن نشر الدين مضاعفة الجهد التبشـــيرى الذى تقوم به ، وأنهم لا يقومون ــ فى رأيه ــ بالجهد الكافى لانجاح مهمتهم ، وهو يذكر علماء الاسلام وفى مقدمتهم رجال الأزهر والأعضاء الدوليين بمجمع البحوث الاسلامية ، بأن هناك فى العالم مناطق واسعة ، لم يعرفها الاسلام بعد ، وهى مناطق يقع أغلبها ، فى آســيا وافريقيا على مقربة من الدول الاســـلامية الرئيسية .

وهناك فى ختام دفاع المؤلف عن الاسلام وبيان انســانيته وصلاحيته فى الحاضر وفى المستقبل « هدية » يقدمها الرجل للمشرع الاسلامى فيقول : ان اسماء الله الحسنى Attributes of God بالعدد والشكل الذى جاءت به فى الاسلام تصلح لأن يستمد منها أى قانون انسانى ، وأن تحليل القوانين مدنية كانت أو دينية يجعلنا ندرك أنها تحتوى على بعض ما فى أسماء الله الحسنى من دلالات ومعانى .

دين الروح والعقل

وفى القضية الثانية يناقش المؤلف موقف الاسلام من العلم والفكر ، وهو يفرد لهذه المسألة ثلاثة فصول مطولة بعنوان : « الاسلام ــ العقل والروح » Islam - Reason and Spirit وهو ينتهى من خلال هذه الفصول الى أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يؤاخى بين الروح والعقل ، والذى لا يرى تعارضا بين الدين والعلم ، ومن ثم أصبح الحديث عن خلاف العلم والدين فى العالم الاسلامى غير ذا أهمية بالمرة .

ويصل المؤلف ــ كعادته ــ الى هذه النتيجة بعد دورة كاملة حول قصة الخصومة الشهيرة بين العلم والدين . ومن البداية يعترف فى حزن عميق بأن اوربا المسيحية كانت منذ القرن التاسع عشر « الرحم » الذى تخلقت فيه كل صنوف الالحاد atheism وأن أوربا هى التى أصابت الشرق بهــذا الخطر الجسيم .

ويقول المؤلف أن خلاف العــــلم والدين قد رجع فى جوهره الى تعصب وجمود رجال العلم من جهة ، ورجال الدين من جهة أخرى . فالعلماء قد تعصبوا للقانون العلمى ، رغم كونه نسبيا ، يصلح فى حدود ظروف معينة ، وظنوا أن منهجهم هو المنهج الوحيد للامســاك بالحقيقة . ورجال الدين قد تعصــــبوا لعقيدتهم ، فلم يفرقوا بين الأصول والفروع ، وبين ما يصح فيه الاجتهاد وما لا يصح .

ويقول الأستاذ وات فى دهشة : لقد فات العلماء أن العــــلم بقوانينه ومنهجه يتعــامل فى حدود معطيات facts العالم المــادى ، وأنه يفشــل بالضرورة فى الوصول الى منشىء ، أو مبدع أو خالق هذا الكون Creator ومن نفس هذه النتيجة يصل المؤلف الى نتيجة أخرى ، وهى أن الاسلام لا ينظر الى الانســان بوصفه عقلا فقط ، بل من حيث هو عقل وروح وشعور feeling وارادة Will وجملة من القوى غير المنظورة ، يقال عنها الحاسة السادسة أو الحدس أو الالهام Intuition وأن الاسلام يحترم فى الانسان هذا كله ، ويدعوه الى استخدام كل طاقته للوصول الى الحقيقة فى مجال المادة ، وأيضا فى مجال ما وراء المادة .

ولا يمل الباحث على امتداد عرضه للموضوع من أن يؤكد رحابة الدين الحنيف ، وتشجيعه للعلم والفكر ، وأن يؤكد كذلك أن رجل الدين المسلم ، لم يكن فى تعصبه بالدرجة التى كان عليها رجل الدين المسيحى فى القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذى شــهد بداية الانتصـــارات العلمية فى علوم الفلك (كوبرنيكس) والحياة (دارون) وغيرها ، وأن يؤكد أيضـــا فى تفاؤل : أن القضية كلها قد أصبحت بالنسبة للدين الاسلامى تحل نفسها يوما بعد يوم ، وعن قريب سيأتى يوم تكون العلاقة بينهما لقاء فوق أرض المحبة والتفاهم التام ، ويكون هدفهما معا هو : اطلاق كل قوى الانســـان ــ كعقل وروح وارادة ، وشعور والهام الى ناحية الحقيقة المحدودة « العالم » وغير المحدودة « الله » خالق هذا العالم .

(بقية على صفحة ٨٦)

قصة

حارس البستان

خلاء فى خارج مدينة طرسوس فى القرن الثانى للهجرة . يظهر فى الخلفية (الباكجروند) بعض أسوار المدينة وحصونها .

على الطريق الجادة يلتقى اثنان عليهما سيما الزهاد . كلاهما يحمل مزودة واداوته ويتوكأ على عصا . أما أحدهما فخارج من المدينة راحل عنها وأما الآخر فداخل اليها . الأول ابراهيم بن أدهم والثانى شقيق البلخى .

ابراهيم : السلام عليكم .

شقيق : وعليكم السلام ورحمة الله (ينظر اليه) اغلب الظن انك من اهل خراسان .

ابراهيم : نعم انا من خراسان .

شقيق : انا ايضا من خراسان . من بلخ اتعرف بلخ ؟

ابراهيم : انا من بلخ .

شقيق : (يعانقه بحرارة) اهلا وسهلا بأخى وابن بلدى . سائح فى ارض الله ؟

ابراهيم : بل فقير التمس رزقا .

شقيق : علام اذن لم تنزل بطرسوس ؟

ابراهيم : لم استطع ان اجد بها عملا يقيم صلبى فقررت الرحيل .

شقيق : ان لم تستطع أن تجد عملا فى طرسوس فان تجده فى اى مكان آخر .

ابراهيم : انت مقيم فى طرسوس ؟

شقيق : لا ، ولكن لى فيها احبابا وأصدقاء . ان شئت عدت اليها معى فدللتك على العمل الذى تنشده .

ابراهيم : شكر الله لك . انت ايضا رحلت من خراسان فى طلب الرزق ؟

شقيق : الرزق يا اخى فى كل مكان حتى فى بلخ .

ابراهيم : (يبتسم ابتسامة خفية للهجة الاعتداد بالنفس التى أحس بها فى كلام شقيق) ففيم اذن هاجرت ؟

شقيق : التمس الطريق . .

ابراهيم : الطريق الى الله ؟

شقيق : هو ذاك .

ابراهيم : فالله موجود فى كل مكان حتى فى بلخ .

شقيق : (يحس بالوخز) هذا حق ، ولكن الوصول اليه يحتاج الى مجاهدة وسياحة من قبل الطالب .

ابراهيم : أنت اذن من المجاهدين السائحين ؟

شقيق : ارجو الله ان يتقبل ويوفق .

ابراهيم : سمعت من بعض الصالحين أن المرء اذا أخلص سريرته تقبل الله منه ووفقه .

شقيق : هذا حق . نسأل الله ان يرزقنا الاخلاص .

ابراهيم : سمعت ايضا يا اخى ان الله لن يرزقنا الاخلاص الا اذا اخلصنا .

شقيق : هذا كلام نفيس . هيه ما اراك الا من المريدين . انت سائح مثلى تلتمس الطريق .

ابراهيم : انا ماش فى الطريق .

شقيق : ان كان لى أن انصحك يا اخى فاياك والغرور .

ابراهيم : الغرور احيانا فى ان تظن بغيرك الغرور .

شقيق : منذ كم سرت فى الطريق ؟

ابراهيم : منذ سبع سنين .

شقيق : أنت اذن غير ملوم .

ابراهيم : وانت منذ كم ؟

شقيق : منذ عشرين سنة وما زلت فى اول الطريق .

ابراهيم : يقول الله تعالى (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) .

شقيق : هل لى ان اسألك ؟

ابراهيم : تريد أن تمتحنى ؟

شقيق : اذا اذنت .

ابراهيم : افعل .

شقيق : ماذا ترى فى مقامى الشكر والصبر .

ابراهيم : هل لى ان اسمع رايك اولا ؟

شقيق : انا ان وجدنا شكرنا وان لم نجد صبرنا .

ابراهيم : يا اخى هكذا كلاب بلخ ان وجدت شكرت وان لم تجد صبرت .

شقيق : فماذا تقول انت ؟

ابراهيم : انا ان وجدنا آثرنا وان لم نجد شكرنا .

شقيق : (فى طرب وفرح وقد زال ما كان يجده من الحرج فى اول الأمر) الله . الله . انت الضالة التى انشدها ، الحمد لله اذ هدانى اليك . انت ابراهيم بن ادهم .

ابراهيم : (يتغير وجهه) وانت شقيق البلخى .

شقيق : عجبا .. كيف عرفت ؟

ابراهيم : كما عرفتنى انت .

شقيق : كلا انا لست مثلك يا بن ادهم . انت رجل مشهور .

ابراهيم : قاتل الله اللسان . لا يوتى المرء الا من لسانه .

شقيق : اللسان اداة التسبيح يا ابن ادهم .

ابراهيم : ما نفع تسبيح اللسان اذا لم يسبح القلب ؟

شقيق : الله . الله . ائذن لى يا سيدى أن الازمك .

ابراهيم : بل ائذن لى يا سيدى ان أودعك .

شقيق : لم يا سيدى الاننى عرفتك ؟

ابراهيم : نعم .

شقيق : انى اعاهدك يا سيدى ان اكتم سرك فلا يعرفك احد .

ابراهيم : انك تريد ان تلازمنى .

شقيق : لا ، لن الازمك . بحسبى أن أجتمع بك بين الفينة والفينة ، فانى أعرف أنك تنتقل من بلد الى بلد هربا من معرفة الناس لك .

ابراهيم : نعم .

شقيق : فسأكون لك عونا على التخفى والتنكر فلا يعرفك أحد . هلم بنا الى طرسوس . سأبحث لك فيها عن عمل يناسبك .

ابراهيم : ولا تدعونى باسمى !

شقيق : اقترح أى اسم لأدعوك به .

ابراهيم : ادعنى أبا اسماعيل الخراسانى .

شقيق : يا أبا اسماعيل أى نوع من الاعمال تختار ؟

ابراهيم : أى عمل ينأى بى عن الناس ، ولا يشغلنى عن ذكر الله .

شقيق : انى اعرف صاحب بستان فى الضاحية فما ترى لو تعمل ناطورا عنده فى البستان .

ابراهيم : عمل حسن . اذهب بى اليه .

فى البستان . بستان كبير . فى الخلفية يرى قصر صاحبه .

كوخ صغير على باب البستان يقيمه الناطور (ابراهيم بن أدهم) وأمامه مصطبة يجلس عليها وهو يذكر الله .

(يظهر شقيق البلخى)

شقيق : كيف وجدت المكان يا أبا اسماعيل ؟

ابراهيم : جزيت خيرا يا شقيق . لقد أحسنت اختياره .

شقيق : اذن فأذن لى أنصرف .

ابراهيم : الا تجلس قليلا . (يقدم كسرة خبز) شاركنى هذا الطعام .

شقيق : انا على الشرط يا .. يا أبا اسماعيل (يخرج) .

ابراهيم : الحمد لله . الآن أستطيع أن اقيم هنا ما شاء الله ان اقيم (يبدأ فى أكل الخبز) .

(تظهر امرأة فقيرة على باب البستان)

المرأة : عابرة سبيل يا سيدى . جائعة مستحقة أطعمنى مما أطعمك الله .

ابراهيم : خذى يا سيدتى . هذا رزقك أنت (يعطيها كسرة الخبز) .

المرأة : نصف رغيف . كل ما سخت به نفسك ؟

ابراهيم : ما عندى غيره . فاعذرى وسامحى .

المرأة : أعطنى شيئا من الفاكهة .

ابراهيم : ما عندى يا سيدتى .

المرأة : وهذا البستان كله .

ابراهيم : هذا لصاحبه وليس لى . انما أنا ناطور .

المرأة : اتخشى ان يحاسبك سيدك اذا قطعت لى تفاحة أو عنقود عنب ؟

ابراهيم : اذا عدت غدا فسأعطيك من الفاكهة بعد استئذان المالك .

المرأة : غدا ؟ لو استطيع أن انتظر الى غد ما مددت يدى بالسؤال . اطفالى فى البيت يتضاغون من الجوع .

ابراهيم : حسنا . انتظرى (يغيب قليلا ثم يعود ومعه تفاحتان وعنقود من العنب فيناول ذلك للمرأة) .

المرأة : جزيت خيرا .. لن يعلم بهذا أحد (تخرج) .

ابراهيم : (يتمتم) تفاحتان اثنتان وعنقود عنب . ما أظن ثمن ذلك يزيد على درهم واحد . فليأخذ منى درهما ونصف درهم على سبيل الاحتياط .

(بعد ايام من حوادث المشهد السابق)

ابراهيم : (لمعتوق وكيل صاحبة البستان) خذ هذا يا سيدى .

معتوق : ما هذا يا أبا اسماعيل .

ابراهيم : ثمن تفاحتين أخذتهما من البستان أمس .

معتوق : كل يوم تأخذ شيئا من البستان وتعطينى به ثمنا ؟ والله لا ادرى أنت ناطور عندنا أم تاجر ؟

ابراهيم : انا يا سيدى ناطور .

معتوق : اسمع يا هذا . ان مالت نفسك الى شىء من البستان فكله ولا حرج عليك .

ابراهيم : كلا يا سيدى انى لا استحل ذلك .

معتوق : قد اذنت لك .

ابراهيم : ما يدرينى هل ترضى سيدتك مالكة البستان اذا علمت أم تسخط .

معتوق : ما شأنك بمالكة البستان ؟ أنا هنا مكانها .

ابراهيم : شكرا لك على كل حال . لكن دعنى وما اخترت لنفسى لو تكرمت .

معتوق : كما تحب يا أبا اسماعيل . اسمع الآن قبل ان انسى . ان السيدة المالكة تنوى زيارة البستان اليوم ، ومعها صديقاتها من علية القوم ، فاجمع لها شيئا من التفاح ، ومن العنب ومن الرمان . تخير أجود ما فى البستان .

ابراهيم : سمعا يا سيدى (يخرج) .

معتوق : (يتمتم) يظن اننى سأسلم هذه الدراهم للسيدة المالكة . يا له من احمق لكن من يدرى لعله يغتال لنفسه كثيرا من الفاكهة ، ويظهر لنا ورعه هذا خديعة منه ، لئلا تنكشف خيانته . انه كثير الصلاة كثير الذكر . لكن الا يجوز أن تكون هذه حبائله ؟ حبائل الشيطان ؟

غرفة فى القصر الذى فى البستان .

تجلس السيدة المالكة ومعها صديقتان لها حول مائدة وقد رفعت الصحاف ، وجاء دور الفاكهة فقدمت أطباق التفاح والعنب والرمان .

احداهما : هذه الفاكهة من بستانك ؟

المالكة : نعم . لا يوجد فى طرسوس كلها أجود فاكهة من هذا البستان .

الثانية : (تأكل من تفاحة فتكف) وى . هذه تفاحة حامضة .

المالكة : حامضة ؟

الاولى : (تأكل من عنقود عنب) والعنب ايضا حامض .

المالكة : حامض ؟

الاولى : الا تصدقين ؟ ذوقى ان شئت .

الثانية : وذوقى هذه التفاحة .

المالكة : (تتذوق من التفاح والعنب فتثور غاضبة) قبح الله هذا الوكيل ، يقدم لنا الفاكهة التى لم تنضج (منادية) معتوق ! يا معتوق !

معتوق : (يدخل) لبيك يا سيدتى .

المالكة : لا لبى الله لك صوتا . ما هذا الذى قدمت لضيوفى يا أحمق ؟ تفاح حامض وعنب حامض . قبحك الله . أتستأثر بالحلو وترمى لى ولضيوفى الحامض ؟

معتوق : معـــذرة يا مولاتى . الناطور هو الذى جمع الفاكهة .

المالكة : ويلك كيف تعتمد عليه فى أمر كهـذا ؟ لمـــاذا لم تتخير انت بنفسك ؟

معتوق : ما خطر ببالى يا مولاتى انه لا يحسن اختيار الفاكهة .

المالكة : انت مسـئول ايضا عن اختيار هـذا الناطور . الست انت الذى عينته ؟

معتوق : بلى يا مولاتى لما بلغنى من صلاحه واستقامته .

المالكة : ادعه لى الساعة .

معتوق : حالا يا مولاتى (يخرج منطلقا) .

المالكة : (تتخير من الأطباق ما تراه جيدا فتقدمه لصديقتيها) هذا حلو ، كلى يا فاطمــــة . وانت يا خديجة كلى من هذا العنقود .

(يدخل معتوق ومعه ابراهيم)

المالكة : انت الذى جمعت لنــا الفاكهة اليوم ؟

ابراهيم : (خجلا يتقى النظر نحو النسوة) نعم يا سيدتى .

المالكة : اقصدت ان تحرجنى امام ضيوفى بتقديم هذا التفاح الحامض والعنب الحامض ؟

ابراهيم : معاذ الله يا سيدتى ان اقصد ذلك .

معتوق : الم أؤكد عليك ان تتخير اجود ما فى البستان ؟

ابراهيم : بلى وقــد ظننت انى فعلت ولكن لعلى اخطأت .

المالكة : ويلك تعـين ناطورا لا يميز بين الحلو والحامض ؟

معتوق : يا مولاتى غـير معقول انه لا يميز بين الحلو والحامض . لقد صار له عندنا اليوم عام ونصف عام فلو كان طفلا صغيرا لميز .

ابراهيم : (متلعثما) انا . انا .

المالكة : انت ماذا ؟ تكلم !

ابراهيم : انا لم اذق شيئا مما فى البستان .

المالكة : طوال هذه المدة لم تذق شيئا ؟ اضـحكن معى وتعجبن من هذا الناطور ! (يقهقهن ضاحكات)

معتوق : يا أبا اسماعيل لقد كنت اظنك صـــالحا فما حملك على أن تكذب ؟

المالكة : وكذاب ايضا ؟ اى ناطور هذا ؟

ابراهيم : انا والله ما كذبت .

معتوق : هـــذه كذبة ثانيـــة . يا مولاتى انه كثيرا ما يطلب منى ان اقتطع من اجره الشـــهرى دراهم معدودة يزعم انها ثمن ما استهلك لنفسه من فاكهة البستان فى بعض الايام . فكيف يزعم الساعة انه لم يذق شيئا من البستان قط ؟

المالكة : ما تقول فى هــذا ايها الناطور الورع ؟

ابراهيم : يا سـيدتى ارجو ان تبحثوا لكم عن ناطور غيرى فانى لم اعد اصلح لهذه المهنة .

النسوة : (يتضاحكن) مسكين . ان كان لا يصلح ناطورا فلأى شيء يصلح ؟

ابراهيم : سامحينى يا سـيدتى فيما بدر منى دون قصد :

المالكة : اذهب يا معتوق فاعطه حسابه .

معتوق : تعـــال معى يا أبا اسماعيل (يخرجان)
(شـــقيق البلخى ومعتوق أمام مصطبة ابراهيم وقد ظهر فى وجه شقيق الاسف والحزن) . .
معتوق : اقسم لك ما طردناه نحن ولكنه هو الذى استعفى .

شقيق : لا بد انكم احرجتموه .
معتوق : بل هـــو الذى أحرجنى امام سيدتى ، واحرج ســـيدتى أمام ضيوفها . والله لولا مكانه منك لكان لى معه شأن آخر .

شقيق : انت تظن انه كذبك حين قال انه لم يذق شيئا من البســـتان قط ؟

معتوق : لست اظن ظنا بل أوقن وأجزم .

شقيق : انت لا تعرف هذا الرجل يا معتوق . لو كذب من فى الارض جميعـــا ما كذب هذا (تنظر المرأة الفقيرة على باب البســـتان وتتطلع الى الرجلين)
معتوق : ما خطبك ؟ ماذا تريدين يا امرأة ؟

المرأة : سأنتظر حتى يجىء .

معتوق : من ؟
المرأة : الناطور .
معتوق : ماذا تريدين منه ؟

المرأة : (فى حذر) لا شىء . . حتى يجىء هو .

شقيق : (بلطف) يا ســـيدتى قولى ما عنـــدك ولا تخافى فأنا من اصدقاء الناطور .
معتوق : هل كان يعطـــيك من فاكهة البستان ؟

المرأة : نعم . جزاه الله خيرا . أين هو يا سيدى ؟
(يتبادل شقيق ومعتوق النظر)

معتوق : انتظرى قليـــلا (يغيب لحظة)

المرأة : (لشـــقيق) أين الناطور الطيب يا سيدى ؟

معتوق : (يعود بشىء من الفاكهة فيعطيه للمرأة) خذى .

المرأة : الناطور هو الذى أوصاك ان تعطينى ؟

معتوق : نعم .

المرأة : جزاه الله خيرا وجزاكما انتما أيضا خيرا . ســـيفرح أطفالى اليتامى بهذه الفاكهة (تذهب) .

شقيق : ارأيت يا صـــاحبى لقد فاتك خير كثير اذ تركته يرحل عنك . أتدرى من كان هذا الرجل ؟

معتوق : من ؟

شقيق : ابراهيم بن ادهم .

معتوق : (فاغـــرا فاه مـــن الدهشة) ابراهيم بن أدهم ؟

شقيق : نعم . نعم .

معتوق : لأبحثن عنه فى المدينـــة واعيده .

شقيق : هيهـــات . لا بد أنه قد ترك المدينة الى مدينة أخرى .

معتـــوق : هلا أخبرتنى من الاول يا سيدى ؟

شقيق : لو عرف أنك عرفته ما رضى أن يبقى عندك ساعة واحدة .

معتوق : وا اســـفاه على كنز ما علمت به الا حين ضاع !

حضارة الاسلام

وتحت عنوان رئيسي هو الحضارة الاسلامية Islamic Civilization وفي جملة فصول متوالية يعرض المؤلف قضـــيته الثالثة ، فينطلق كما عودنا بوضع النتيجة التى وصل اليها أولا وهى : **لم تعرف البشرية قبل ظهور الاسلام دينا سماويا أو غير سماوى قد قامت عليه حضـــارة بالمعنى الســـليم لكلمة حضارة .** وعلى هذا ، فلم يكن هناك فى رأيه حضارة يهودية قامت على الديانة اليهودية ، وكل ما هنالك ثقافة يهودية ، ولم تكن هناك حضارة مســـيحية بل ثقافة مسيحية ، والفارق كبير بين الثقافة والحضارة ، فالاولى محلية Local محدودة والثانية واسعة وشاملة وأكثر انسانية .

وهذا المعنى العميق للحضارة قد تحقق بالنسبة للاسلام ، ومن ثم كانت الحضارة الاسلامية التى ضمت فى رحابها شعوبا مختلفة الى حد كبير . ولكن ، لماذا كان للاسلام حضارة ولم يكن لغيره ؟ أو ليكن السؤال بشكل آخر ، ما هى اسس الحضارة الاسلامية ؟

يجيب الاستاذ وات على هذا السؤال قائلا :

هناك أولا ذلك العصب الدينى الذى يلتقى حوله المسلمون ، وهذا العصب الدينى ينبض دائما وأبدا بكل ما هو انسانى وبناء .

وهناك ثانيـــا ذلك الدور الهـــــام الذى جعل من كل مســـــلم مبشرا Missionory وجعل العمل على نشر الدين شرطا تفضيليا بين المسلمين ، ويقول المؤلف فى هذا الموضوع بالذات انه لو قام كل مســـــلم بتنفيذ الدعوة والتكليف كما ينبغى لصار الاســـــلام هو أســـاس الحـــكومة العـــالمية Cosmopolitism التى يحلم بوجودها السياسيون .

وهناك ثالثا ذلك القدر العظيم من التيسير الموجود فى الاسلام ، فالله لا يكلف نفسا الا وسعها ، وهذا التبسيط Simplicity من شـــأنه أن يحبب الناس فى الدين ، فيدخلون فيه أفواجا مما يوسع من القاعدة الاسلامية .

وهناك رابعا تلك الرحابة الرائعة الموجودة فى الاســـــلام والتى أصبح الاسلام بفضلها دينا يرفض الانغلاق حول نفسه ، ومن ثم يقول الاستاذ وات : ان الاسلام بسبب رحابته لم يتعصب لثقافة معينة أو لحضارة معينة ، بل على العكس ، فهو دين يحترم العقل غير الاسلامى الى درجة انه قد فتح صدره لكل ما هو مفيد من الثقافات والحضارات الاخرى .

ثم هناك أخيرا ذلك التنسيق الشيق بين ما فى تركيب الانسان من ماديات وروحانيات ، فلم يطلب الاسلام التضحية بالدنيا من أجل الآخرة ، وانما طلب بذل اقصى جهد من أجل صالح الدنيـــا والآخرة ، من أجل النفع فى أمور الدين والدنيا ، **ولذا فالاسلام كما يقول الاستاذ وات : هو دين الحاضر والمستقبل ، دين اليوم والغد ، دين الانسانية ما شاء رب الانسانية أن يقوم لها مقام .**

وما أحسب بعد هذا كله ، أن كلمات هذا المقال ، تعطى الاستاذ المستشرق مونتجمرى وات حقه ، أو تعطى كتابه « الاسلام والحضارة ٢٨٠ » صفحة حقه أيضا . وكل ما قلته عن الرجل وكتابه لا يتعدى فى تقديرى مجرد اشارة ، وان كنت أتمنى أن يترجم هذا البحث الطيب وينشر مسلسلا فى احدى المجلات العربية الاسلامية ، ثم تجمع الاجزاء المنشورة بعد ذلك فى كتاب ، وبهذا الاســـلوب نستطيع ان نعرف قارىء المجلات أو قارىء الكتب بهذا البحث العظيم .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

التوكيل فى الزواج

شخص يريد الزواج من بنت بالغة رشيدة . فهل يجوز لها ان توكل شخصا آخر ليجرى عقد الزواج بالنيابة عنها سواء كان عقد الزواج فى بيتها أو فى مكان آخر . (محمود) .

الاجابة :

يجوز التوكيل فى كل تصرف يصح ان يباشره المرء بنفسه والقاعدة : « أن كل عقد جاز أن يعتده الانسان بنفسه جاز أن يوكل به غيره » ، والوكيل مقيد فى تصرفاته بما يأمره به الوكيل ، فان خالفه لا ينفذ تصرفه عليه ويشترط فى التوكيل أن يملك الموكل حين التوكيل ما يوكل فيه ، فلا يصح التوكيل فيما لا يملكه .

وقد اختلف الفقهاء فى التوكيل فى عقد الزواج ، فيرى الأحناف أن للمرأة الحرة البالغة الرشيدة أن توكل غيرها فى النكاح ، لأنها تملك اجراء العقد بنفسها لعدم اشتراطهم الولى بالنسبة لها ، ويؤولون الأحاديث الواردة بشأن الولى بأنها خاصة بغير البالغة الرشيدة ، ويستندون الى قوله عليه الصلاة والسلام : « الأيم أحق بنفسها من وليها » والأيم هى من لا زوج لها بكرا أو ثيبا ، ويرى جمهور الفقهاء من مالكية وشافعية وحنابلة أن المرأة لا يجوز لها التوكيل فى عقد النكاح اذ لا بد فيه من وجود ولى — لأنه ليس لها حق توليه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا نكاح الا بولى » . ولقوله : « ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل » . ومن لا يملك شيئا لا يجوز له أن يوكل غيره فيه . فوليها هو صاحب الشأن فى أن يباشر العقد بنفسه أو يوكل غيره عنه .

وعلى هذا يجوز للبنت البالغة الرشيدة بكرا كانت أو ثيبا أن توكل غيرها فى اجراء عقد زواجها — على رأى الأحناف ولا يجوز لها أن توكل غيرها فى هذا العقد على ما ذهب اليه جمهور الفقهاء .

فى الطلاق

تزوجت امرأة زواجا شرعيا صحيحا وتركتها بالسودان منذ سنة ١٩٦٥ حيث حضرت للعمل بالكويت — والمكاتبات بيننا مستمرة وهى تعرف مكانى وعملى ، ولكن حدث أن أخى أجرى طلاقها منى دون أخذ توكيل منى أو تفويض . فما حكم الشريعة فى هذا الطلاق ؟ . (أحمد محمد على) .

الاجابة :

الزواج شرعا هو عقد بقيد حل استمتاع كل من الرجل والمرأة بالآخــر ، وركنه الايجاب من احد الزوجين والقبول من الآخر ، واذا تم على هذا الوجه مستوفيا شروطه فلا ينفصم عراه الا الطلاق أو الموت ـ والزوج هو وحده دون سواه الذى يملك أن يرفع قيد النكاح ـ وله أن يطلق بنفسه أو يوكل عنه .

وبما أن السائل لم يطلق كما لم يفوض أو يوكل اخاه فى طلاق زوجتـــه المذكورة فيكون هذا الطلاق الذى حصل بدون علمه غير صحيح ، وتكون هى فى عصمته ، ولا يحل لها أن تتزوج بغيره ، اذ أن عقد زواجهما لا يزال قائما ـ ومن ثم فكل عقد عليها لرجل غيره يكون باطلا وغير مقبول شرعا .

فى الشفعة

لى بيت يلاصق بيت جارى والحائط بيننا واحد وجارى رهن بيته ثم أراد بيعه للمرتهن . فهل يجوز لى أن آخذه بالشفعة ؟

(محمد حمود الراسبى) .

الاجابة :

الشفعة هى حق تمليك العقار المبيع كله او بعضه جبرا للشفيع مقـــابل دفع الثمن المناسب والمصروفات التى قام المشترى بدفعها .

وقد وردت بها السنة فى أحاديث كثيرة ، فقد روى عن عبادة بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة بين الشركاء فى الأرضين والدور . واختلف الفقهاء فيها فقال البعض : ان القياس يأبى ثبوت الشفعة لأن الشفيع يتملك ملكا صحيحا له بغير رضا المشترى وذلك لا يجوز ، وفى الحــــديث : « لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه » فلا يحل لأحد أن يدفع الضر عن نفسه بالاضرار بغيره فالشفعة عقبة فى سبيل حرية تصرف المالك فى ملكه ، ومن ثم فقد تدفع البائع أن يترك فى عقد البيع مساحة صغيرة من العين المبيعة ليمنع تلاصق الملك المبيع لملك الشفيع ، وقد يهبها البائع للمشترى ، وقد تكون سببا فى أن يبالغ الطرفان فى الثمن .

وبناء على ذلك ذهب جمهور الفقهاء الى عدم جواز الشفعة للجار ، وخالف أبو حنيفة الجمهور ، فذهب الى الجواز كما أجاز التحايل لاســـقاطها بأن يهب البائع الى المشترى الجزء المجاور للشفيع حتى لا يتمكن الجار من الشفعة ، هذا من حيث الحكم الشرعى فى حد ذاته ، أما من حيث حكم القضاء فانه فى بلـــد يجوز أن يختلف عن الآخر نظرا لاختلاف المذهب فبعض البلاد يجوز أن يأخذ برأى الامام الشافعى والامام مالك ، فيمنع الشفعة ، وبعضها يأخذ برأى الامام أبى حنيفة ويجيز الشفعة . فعليه البحث عن الجواز وعدمه فى التشريع المعمول به فى بلده .



اشراف رضوان البيلى

التقويم الهجري

وقعت على اثر يفيد ان النبى صلى الله عليه وسلم ارخ بالهجرة . فقد جاء فى كتاب تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ٢٥٦ عن أبى طاهر بن محمش الزيادى انه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران ، وأمر عليا رضى الله عنه أن يكتب فيه أنه كتب لخمس من الهجرة ، .. فكيف يتفق هذا مع ما هو معروف من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى وضع التاريخ الهجرى .

واذا كانت الهجرة النبوية تمت فى شهر ربيع الأول كما هو معروف فلم لم يجعل هذا الشهر مبدأ للتاريخ الاسلامى بدلا من المحرم .

سمهان الراشد ــ الكويت

لم يكن للعرب قبل الاسلام مبدأ ثابت يؤرخون به أحداثهم ، بل كانوا يؤرخون بأشهر الحوادث التى تقع بينهم ، فاذا وقعت حادثة كبيرة أرخوا بها الى أن يقع حدث آخر كبير فيؤرخون به ، ويتركون التأريخ بالحادثة السابقة عليه وهكذا .

ومن أشهر الحوادث التى أرخوا بها بناء الكعبة ، وكان ذلك فى ١٨٥٥ قبل الميلاد ، ثم أرخوا بانهيار سد مأرب ، باليمن والمرجح أن انهياره كان سنة ١٢٠ ق . م . ولم يستقر تأريخهم بهذا الحادث ، بل أرخوا بعد ذلك بموت كعب بن لؤى جد الرسول السابع ، وقد مات سنة ٦٠ ميلادية ، ثم أرخوا بعام الفيل بعد هذه الحادثة ، ولما هاجر الرسول الى المدينة أرخوا بالهجرة ، ولما شرع القتال فى السنة الثانية من الهجرة أرخوا بها ، ولما حج الرسول حجة الوداع فى السنة العاشرة أرخوا بها ، فلم يكن لهم تاريخ ثابت ، وقد أرخ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى نجران بالهجرة جريا على هذه العادة المتبعة فى العرب من قديم .

اما الذى جعل الهجرة نقطة ثابتة لمبدأ التاريخ الاسلامى فلا يتغير بتجدد الحوادث فهو سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد وردت عدة روايات تؤكد هذا . قال ميمون بن مهران : جمع عمر وجوه الصحابة ، فقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت ، فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ، فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم ، فقيل : انه يطول ، وانهم يكتبون من عند

ذى القرنين . فقالوا : يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس . فاستحضر عمر الهرمزان ، وسأله عن ذلك ، فقال : ان لنا حسابا نسميه (ماه روز) معناه حساب الشهور والأيام ، فعربوا الكلمة وقالوا : مؤرخ ، ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ، ثم طلبوا وقتا يجعلونه مبدأ لتاريخ دولة الاسلام قال قرة بن خالد : فأراد عمر والناس أن يجعلوا المبدأ من البعثة النبوية ثم عدلوا عن ذلك ، وقالوا من الوفاة ، ثم عدلوا وقالوا من المولد ، وقال على رضى الله عنه : منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك يعنى يوم هاجر ، فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة ، فلو كان الرسول اشار بجعل الهجرة مبدأ ثابتا لتاريخ المسلمين لنزلوا على رايه ، ولما كان هناك مجال للاقتراحات السابقة .

وقد اتخذ اول المحرم من السنة التى هاجر فيها النبى مبدأ للتاريخ مع ان الهجرة لم تقع فى هذا اليوم ، فالثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غادر مكة فى الأيام الأخيرة من شهر صفر ، ومكث ثلاث ليال فى غار ثور ، ثم خرج منه ليلة غرة ربيع الأول قاصدا المدينة ، ووصل الى قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول ، واستراح هناك ايام الثلاثاء والأربعاء والخميس ، ثم شرف المدينة يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول .

وانما اعتبر المحرم مبدأ للتاريخ ولم يعتبر شهر ربيع الأول الذى تمت فيه الهجرة مبدأ له لأن المحرم هو أول شهور السنة عند العرب ، وتغييره يحدث اضطرابا فى التاريخ ، ومما يذكر أن التاريخ الميلادى لم يحسب من مولد المسيح عليه السلام فقد ولد فى ٢٥ ديسمبر ، وانما حسب من يناير السابق عليه لأنه كان مبدأ للسنة من عهد سابق على مولد المسيح ببضعة قرون .

المقاييس الزمنية

ما هو الأساس الذى بنى عليه تقسيم الزمن الى سنة وشهر واسبوع ويوم ، ومن الذى وضع أسماء الشهور العربية .

سعيد الفرا ــ لبنان

وضع الانسان من اقدم العصور مقاييس للزمن وهى اليوم والسنة الشمسية والشهر القمرى ، واعتمد فى هذه المقاييس على حركة الأرض حول نفسها ، وحركة الأرض حول الشمس ، وحركة القمر حول الأرض .

فاليوم هو الفترة التى تتم فيها الأرض دورة واحدة حول محورها ، ويبدأ اليوم عند العرب من غروب الشمس ويمتد الى غروبها التالى ، فالليل سابق النهار ، وعند الافرنج يبدأ اليوم من نصف الليل ، ويمتد الى نصف الليل التالى ، فالنهار يقع بين نصفى ليلة .

والسنة الشمسية هى المدة التى تتم فيها الأرض دورة كاملة حول الشمس .

والشهر القمرى هو المدة التى يتم فيها القمر دورة كاملة حول الأرض .
والأسبوع هو سبعة ايام وليست له علاقة بالأجرام السماوية .
وكانت للشهور العربية اسماء غير الاسماء الحالية ، وفيما يلى اسماؤها القديمة وما يقابلها من الأسماء الحالية :

	الاسم الحالى	الاسم القديم
١	المحرم	المؤتمـــــر
٢	صفر	ناجـــــر
٣	ربيع الأول	خـــــوان
٤	ربيع الآخر	صـــــوان
٥	جمادى الأولى	حنتـم
٦	جمادى الآخرة	زبـــاء
٧	رجب	الأصـــم
٨	شعبان	عــادل
٩	رمضان	نــافق
١٠	شوال	واغــل
١١	ذو القعدة	هــواع
١٢	ذو الحجة	بــرك

ويقال ان الأسماء الحالية وضعت فى عهد كلاب بن مـــــرة فى منتصف القرن الرابع الميلادى ، وقيل وضعت فى مبدأ القرن الخامس .

لن يهزم التلمود الا القرآن

أما لهذا الليل أن ينجلى .. أما لهذه الغمة أن تنكشف .. أما لهذا العار ان يغسل .. ولو تركت للقلم ينفس عن الالم الحبيس المحرق لملأت الصفحات « بأمات » لا نهاية لها نطالع الصحف ، ونســـــمع الأخبار ، ونقرأ التصريحات والبيانات ، ونتتبع الاجتماعات واللقاءات ونلاحق الوساطات ، ولو تركت نفسى تملى على قلمى « واوات » من هذا القبيل لما توقفت عن الاملاء .

كادت السنة تمضى على « وكسة » ٥ حزيران ، والعـــــــدو لا تنقطع اعتداءاته ، ولا تفتر تحدياته ، فالى متى يظل الأقصى فى قبضة اليهود ، والى متى تظل فلسطيننا الحبيبة مرتعا للغاصبين . فهل الى مرد من سبيل ؟..

فوزان الشعار

يا صاحب « الامات » و (الواوات) لا يبلغ بك اليأس مداه حتى يجعــل الدنيا فى عينك أضيق من سم الخياط ، ولو أنك قرأت قول الله عز وجل « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » لتجدد أملك وقوى عزمك ، وعظمت ثقتك بالوصول الى الأقصى والعودة الى الوطن السليب .. ان حياة الأمم نصر وهـــزيمة . والأمة الباقية هى التى تصمد للهزيمة ، ولا تستسلم لها ، ولو كانت الأمم تقوم على النصر وحده لما كتب الله على رسولنا صلى الله عليه وسلم تجربة أحـــد وحنين . ان النصر لم ينتزع منا ، وانما سرق منا فى اغفاءة غشيتنا حتى ظننا انفسنا ايقاظا ونحن رقود ، ويقظتنا فى ايقاد جذوة العقيدة فى قلوبنا ونفوسنا وصدورنا . فى استيلاء العقيدة على مشاعرنا وأحاسيسنا . فى سيطرة العقيدة على اهوائنا وشهواتنا ، حين يقول الأب لولده انى برىء منك حتى تجاهد . وحين يقول الولد لأبيه بيتنا فى ميدان المعركة ، وحين تدفع الأم وحيدها الى ساحة القتال ، وتشيح بوجهها عنه اذا تلكأ .. حين تقول الخطيبة لخاطبهـــا لا يضمنا مضجع حتى تأتى برأس بن غوريون ، وتحز رقبة ابن ديان .. حين تقول العروس لزوجها بيت عرسنا فى القدس وحيفا وعكا ويافا فى داخــل الوطن الحبيب .. حين توجد هذه العقيدة بهذه القوة ننصر القرآن ، ولا يهزم التلمود الا القرآن .

قالت صحف العالم

الذين حطموا أسطورة قوة العدو

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة الدعوة السعودية تقول :

جميع الدلائل والوقائع والأحداث السريعة المتلاحقة تحمل فى طياتها نذر حرب يهودية عدوانية جديدة واسعة النطاق .. لا نقول ان الشرق العربى الاسلامى ينتظر انفجارها المدمر بين سنة وسنة أو شهر وآخر بل بين يوم وآخر ان لم نقل بين ساعة وساعة .. ذلك أن المسافة الزمنية فى تجدد العدوان والغزو اليهودى الاستعمارى المجرم على الأمة العربية — أصبحت مسافة تخنقها الأحداث ويطويها مرور الوقت سريعا مع اتضاح فشل الحل السياسى ويأس العدو من تحقيق مآربه التى علقها على عدوان ٥ حزيران الماضى .

كان عدوان اسرائيل يوم الخميس الماضى على مخيمات اللاجئين شرقى نهر الاردن يستهدف فى التخطيط الصهيونى اكثر مما اعلن رسميا وهو الزعم بأنه لمجرد تدمير مراكز الفدائيين العرب .. كان يستهدف احتلال الضفة الشرقية من النهر والمساومة على البقية الباقية من المملكة الأردنية ، فاما أن تتحقق مطالبها بقيام مفاوضات بينها وبين العرب مجتمعين ، أو كل دولة بمفردها أو يستمر التهامها للبلاد العربية قطرا بعد قطر ما دامت تشعر بتفوقها العسكرى ومساندة بعض الدول الصليبية الكبرى لعدوانها وعجرفتها .. ولكن الفدائيين ورجال الجيش الأردنى الباسل لقنوها درسا قاسيا لعله أول درس يلقنه العرب لاسرائيل منذ هزيمتهم فى حرب حزيران الماضى .. وردوها خاسرة مندحرة .. ولكن ليس معنى هذا أنها لن تعاود الكرة بل هى تستجمع قواها وتختلق الأسباب والمعاذير الواهية الرعناء لمعاودة العدوان على مستوى تعتقد انه يضمن لها النصر وبالتالى التوسع والامتداد على مزيد من الأراضى العربية .

ان للعرب ان يفخروا بما حققه رجال المقاومة الفلسطينيون والجيش الأردنى من نصر حاسم فى معركة الخميس الماضى .. لقد رفعوا رؤوس العرب عالية وأثبتوا للعالم أجمع أن الجندى العربى حين يؤمن بقضيته ويمسك السلاح بيده ويتدرب جيدا على استعماله فانه يفعل به الأعاجيب ويحطم به أسطورة التفوق التكنولوجى لجنود العدو مهما بلغت قوة هذا العدو وحشده واستعداده

تعليق اردني

ونقلا عن وكالة انباء الشرق الأوسط ننقل للقراء هذا التعليق :

اكدت الصحف الاردنية ضرورة عقد مؤتمر القمة العربى الخامس ودعم الأردن فى كفاحه ضد العدوان الاسرائيلى .. وقالت الصحف ان العدوان لم يعد يهدد الأردن وحده ولكن يهدد الأمة العربية كلها ، ويجب أن يدرك العرب جميعا ذلك .

جاء ذلك فى معرض تعليق الصحف الاردنية على المؤتمر القومى الذى عقده الملك حسين ملك الأردن وتحدث فيه الى كبار الشخصيات الأردنية عن تطورات الموقف الراهن .

وشنت صحيفة الدستور الأردنية هجوما كبيرا على الوضع العربى وقالت ان الأردن يتعرض لأشد أنواع الضغط السياسى من جانب العدو والى اشد الخذلان من الجانب العربى فى الوقت نفسه .

وقالت الصحيفة ان العرب يعترفون نظريا بأن قضية فلسطين هى قضيتهم جميعا ، ولكنهم عمليا يتصرفون وكأن القضية قضية أردنية أو مصرية فقط .

وقالت صحيفة الدفاع انه ليس من شفيع لهذه الأمة العربية ان هى لم تلق بكل ثقلها فى الموقف الحالى الذى قد لا يكون بعده أية مواقف حاسمة أو اية مواقف على الاطلاق .

علم على الحرمين ذكرهم

وطالعتنا صحيفة الحياة البيروتية بالقصيدة التالية : للشاعر اللبنانى جورج صيدح

حجوا جناح الله واعتصموا ... يا قاضى الحاجات كن لهموا
الله يسمع ما يخالجهم ... ان سد آذان الورى صمم
والركن يلمس فى شعائرهم ... شكوى تضيق ببثها الكلم
ما كان يوم النحر يشهدهم ... عربا يطوق نحرهم عجم !
طافوا ، ولولا أنهم خجلوا ... من ربهم عادوا وما استلموا
ان الحجيج يحثهم أمل ... غير الحجيج يحزهم ألم
علم على الحرمين ذكرهم ... بالثالث الهاوى به العلم
بالمسجد الأقصى ، بجيرته ، ... بمآتم فى العيد تنتظم
بخلائق نحران وما سمعت ... ذكرا عليه ينحر الغنم ،
بفواجع فى الدور نازلة ... لم تنج من أهوالها الخيم
حملت فلسطين الوفود الى ... قبر الرسول اليه تحتكم
تستشفع الأضحى وحرمته ... فى موطن هانت به الحرم
فى أمة « للبيت » زاحفة ... والغاصبون ببيتها ازدحموا ..
ساح الوغى تشتاق همتها ... فى القدس ان كانت لها همم ..

* **

قسما باوطان اقدسها ... ان جاز بالقدوسة القسم
للعرب أوضاع اذا انحطمت ... اضلاع اسرائيل تنحطم
نحن البراكين التى خنقت ... لم يرم فى أحشائها ضرم
لا ينصر الله العباد اذا ... كرمت أصولهمو وما كرموا

بأقلام القراء

الايمان اولا

تلقينا من الأستاذ توفيق على وهبة من القاهرة كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

قبل أن ندخل أى معركة يجب أن نعرف أولا لماذا نحارب ؟ اننا نحارب فى سبيل الله من أجل اعلاء كلمته ودفع العدوان عن أرض الاسلام . ان الدفاع عن الدين وعن الأرض وعن المسلمين فرض على كل مسلم ومسلمة . فالقضية الفلسطينية ليست قضية سياسية فقط ، وليست قضية تشريد مليون ونصف مليون عربى ، وانما هى قبل كل هذا قضية هذا الدين ، فاليهود هم الأعداء الألداء للأديان وللبشرية جمعاء : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » انهم يحاولون القضاء على الاسلام حتى يمكنهم البقاء فى أرض فلسطين التى اغتصبوها « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

يجب أن يعرف جنودنا البواسل انهم يجاهدون فى سبيل الحفاظ على دين الله واعلاء كلمته ، وعليهم أن يقاتلوا اليهود بكل شدة حتى يقتلوهم : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم .. »

والجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال وبكل ما يملك المسلم ، فالتطوع فى صفوف الجيش أو المقاومة الشعبية ، والتبرع بالمال أو الدم ، وتقديم العون للقوات المحاربة جهاد فى سبيل الله .

من واجبنا أن نؤمن بالله وبعدالة قضيتنا وأن نقف صفا واحدا ضد عدونا لا ترهبنا قوته ولا من يقفون وراءه فقد وعدنا الله بالنصر على اليهود حيث قال : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » . كما بشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق النصر على اليهود فقال : « يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر للمسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى تعال فاقتله » . فيومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

الجمال

وتلقينا من الشيخ محمد سليمان الأشقر أمين مكتبة وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت كلمة بهذا العنوان جاء فيها :

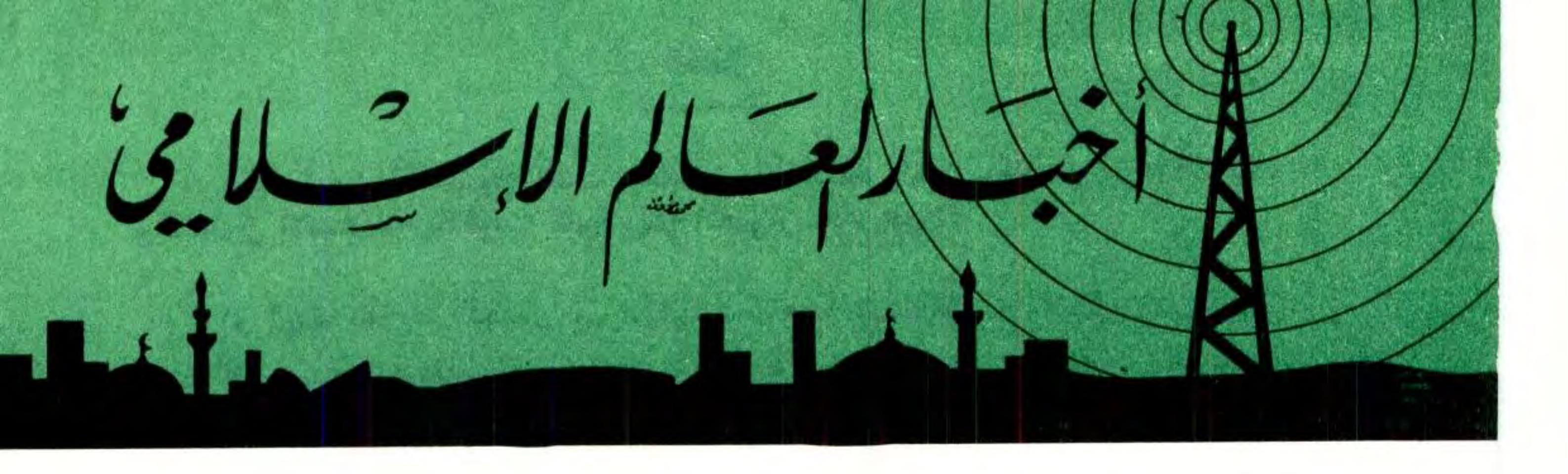
لو أردنا تعريف الجمال ، وتحديد معناه لما استطعنا ، ولكن نقول على وجه التقريب : انه تناسب فى شكل الشيء ولونه وسائر صفاته . وهذا التناسب يبعث فى النفس الانسانية قوة الاحساس بالجمال ، والشعور به ، والابتهاج له . ومن الناحية المقابلة بث الله تبارك وتعالى الجمال فى مخلوقاته المتنوعة . فالجمال نراه فى تركيب الذرة ، ونراه فى صور الجمادات المختلفة من الجبال والأنهار والبحار والشمس والقمر والنجوم . ونرى الجمال أيضا فى اصناف النبات ، فنراه فى أوراق الشجر ، ونراه فى أزهارها ذات الأشكال الدقيقة ، والألوان المتناسقة والروائح العطرة . ونراه فى المناظر الخلابة للحدائق الغناء ، والغابات الملتفة والمروج الخضراء . (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) . سورة ق .

هذه ولو ترقينا فى سلم الموجودات من الجماد والنبات الى الحيوان لرأينا صورا من الجمال أعجب ، وأجلب للنظر والعبرة ، فنرى الأشكال الرائعة والألوان الزاهية فى الطيور كالطاووس والعندليب والببغاء وغيرها ، ونرى الى جانب ذلك الأصوات الجميلة التى تمتع السمع ، والحركات البديعة فى الرفرفة والطيران .

والجمال الانسانى ظاهر وباطن : فالظاهر هو الصورة الحسنة ، واللون الحسن ، والهيئة والقامة المعتدلة ، والأعضاء المتناسبة . وقد شرع الله لنا تكميل الجمال الظاهر بلبس الثياب الحسنة التى تستر ما يقبح ظهوره من السوءات ، وتزيد فى الجمال بأشكالها المختلفة .

وعرض هذا الجمال الانسانى للأعين التى لا يحل لها ، واستخدامه كسلعة فى سوق الدعاية والاعلان والتجارة ، هو حط للكرامة الانسانية ، وفتنة شيطانية يمقتها الله ورسوله والمؤمنون .

أما الجمال الانسانى الباطن ، فهو فى هذه النفس الانسانية العجيبة ، التى وهبها الله القوى المختلفة من الاحساس والشعور والعواطف والانفعالات ، والادراك والنظر والفهم والتعقل والتدبر . وجمال النفس فى أن تكون هذه القوى متجهة نحو أهداف الخير والنفع لبنى الانسان ، وأن تكون دافعة الى سلوك الطريق السوى فى الحياة ، الذى يوصل الى رضوان الله فى دار كرامته . وأن تكون النفس متصفة بالحلم ، والصدق ، والشجاعة ، والتواضع ، طاهرة من أدناس الحسد والبغضاء والكبر والمذلة والتفاهة .



الكويت

قام جلالة الملك فيصل بزيارة البلاد لمدة ٤ أيام ابتداء من ٨ ابريل الماضى . كما قام جلالة الملك حسين بزيارة سمو أمير البلاد المعظم وأمراء الخليج .

احتفلت الكويت رسميا وشعبيا بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلا كبيرا تحدث فيه معالى الوزير وبعض السادة العلماء .

رفعت اللجنة الدائمة للمعونات برئاسة سعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية توصياتها الى مجلس الوزراء بشأن مطالب بعض الهيئات الاسلامية فى الخارج .

● أخرجت وزارة الاوقاف كتابها الثانى من سلسلة التراث الاسلامى وهو كتاب « الجمان فى تشبيهات القرآن » وكان كتابها الاول الفوائد فى مشكل القرآن . .

اختتمت وزارة الأوقاف موسمها الثقافى الثالث بمحاضرتين ألقاهما الدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان الاسلامية .

القاهرة :

قام رئيس جمهورية الصومال بزيارة للجمهورية العربية المتحدة استمرت عدة أيام . كما قام الملك حسين بزيارة قصيرة للقاهرة .

افرج عن (٢٠٠) من المعتقلين من الاخوان المسلمين وبذلك — كما قالت الأهرام — لا يبقى منهم فى السجن الا المحكوم عليهم بالفعل .

بلغ عدد الطلاب الوافدين على القاهرة للدراسة (٤٠) الفا من (١٢٩) دولة منهم (٣٠) الفا من العرب عدد الذكور منهم (٢٤٨٩٨) وعدد الاناث (٥٠٩٨) (احصائية) .

السعودية :

رحب جلالة الملك فيصل فى اجتماع عقد مع الشيخ احمد بن على آل ثانى حاكم قطر فى الرياض باتحاد امارات الخليج ووعد بمساعدته وتدعيمه على أوسع مجال .

أمر جلالة الملك فيصل بتشكيل مجلس من العلماء لاقامة حدود مرئية لجبل عرفات بعد ما لوحظ أن بعض الحجاج يخطئون فى الوقوف بعرفة .

قررت وزارة المعارف معادلة الشهادة الثانوية للمعهد الدينى بالكويت بثانوية دار التوحيد بالسعودية .

العراق :

قام عظمة حاكم البحرين بزيارة الى العراق فى الشهر الماضى وقد اجرى مباحثات هامة حول تأكيد عروبة الخليج وحمايتها . كما قام الملك حسين بزيارة

قصيرة لبغداد .

قبلت جامعة الأزهر (٤٦) طالبا عراقيا هذا العام .

الأردن :

فشلت الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الاردن فى النيل من حركة المقاومة العربية وقد اعلن زعيم منظمة فتح أن الفدائيين باستطاعتهم ارجاع الحق الى نصابه اذا حصلوا على الامكانيات اللازمة .

دعا جلالة الملك حسين مجددا بسبب تكرر العدوان الاسرائيلى الى عقد مؤتمر قمة عربى .

اعترفت اسرائيل فى مذكرة بعثتها الى القيم الدولى على الآثار فى الأرض العربية بأنها قصفت بالقنابل والصواريخ الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية كما اعترفت بضرب قبة الصخرة وتحطيم الباب الأوسط للمسجد الأقصى وتحطيم متحف الآثار الفلسطينى .

لبنان :

شكل المجلس الوطنى الفلسطينى من مائة عضو وقد مثلت فيه منظمة فتح ومنظمة تحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومنظمتان سريتان اخريان .

الجزائر :

بلغ عدد سكان الجزائر وفق آخر احصاء اثنى عشر مليونا ومائة الف شخص منهم ٨١ر٥ يتكلمون العربية و ٤.ر يتكلمون الفرنسية ونسبة الأمية ٦٤ر٦ والمثقفين بالعربية ٨٥ر٥ .

المغرب :

قام جلالة الملك الحسن بعدة زيارات الى عدد من الأقطار الاسلامية منها تركيا وايران والسعودية .

ليبيا :

بدأ السيد عبد الحميد البكوش رئيس وزراء ليبيا فى ٢ ابريل الماضى جولة فى عدد كبير من دول العالم لشرح السياسة الليبية تجاه القضايا العربية .

الباكستان :

وضع معهد البحوث الاسلامية فى باكستان مشروعا كبيرا لاعداد كتب وموسوعات علمية عن تاريخ العرب والحركات الاصلاحية .

قامت مظاهرات ضخمة فى كراتشى احتجاجا على الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الأردن وقد أعلن الرئيس ايوب خان أن باكستان تضع كل امكانياتها الاقتصادية والعسكرية مع الأردن وأنها مستعدة لتقديم اى معونة للدفاع عن العرب .

أعرب الرئيس خان عن اسفه الشديد لغرق باخرة تحمل (٤٤٤) حاجا باكستانيا بالقرب من ميناء دبى فى الخليج العربى وقد غرق فيه حوالى (٢٠٠) شخصا . ومما يذكر أن أمير دبى والأهالى هناك جمعوا تبرعات للمنكوبين .

الهند :

انشأت الجامعة الاسلامية فى عليكرة مركزا للدراسات تتناول شئون بلدان غرب آسيا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومنها تركيا وايران وافغانستان والدول العربية .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جـدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



هنا يرقد منقذ المسجد الأقصى البطل صلاح الدين فى مقبرته الخاصة به بجانب المسجد الأموى بدمشق .
من من زعماء المسلمين يشتاق الآن لمثل هذه البطولة ؟

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

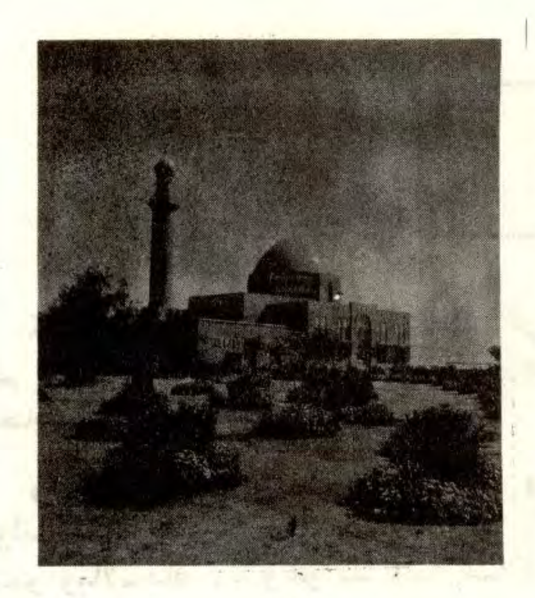
السنة الرابعة – العدد التاسع والثلاثون – غرة ربيع الأول ١٣٨٨ هـ – مايو ١٩٦٨ م





الجالية الاسلامية فى بلجيكا تؤدى صلاة الجماعة فى مسجد بروكسل ..

صورة الغلاف



مسجد أبى عبيدة بن الجراح .. يقوم على ربوة عالية فى مدينة الاحمدى ، وهذا هو اسمه الجديد بعد أن عملت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية على اطلاق أسماء مشاهير الصحابة على مساجدها .

وقد تأسس فى ١٩٥٧/٣/١٥ ..

« تصوير : عظمت شيخ »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد التاسع والثلاثون

ــ السنة الرابعة ــ

غرة ربيع الاول سنة ١٣٨٨ هـ

مايو « آيار » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت





كلما اطلت علينا ذكرى ميلاد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، اطلت علينا معها حقائق تاريخ عملاق ، ولد مع ولادته ، وأخذت تتميز ملامحه وشخصيته منذ بدأت رسالته . .

واذا كان العظماء فى التاريخ قد وضعوا بصماتهم على صفحاته . . فان رسولنا العربى العظيم قد صنع تاريخا بأكمله ، فيه كل مميزات التاريخ الحافل بالسمو وبالامجاد . . وهو — عليه صلاة الله وسلامه — الوحيد الفريد فى ذلك ، من بين عظماء البشر ، ذلك لأن الله لم يتركه لتفكيره الخاص — وكان أسمى تفكير — بل كان سبحانه يرعى خطاه ، ويحرس فكره ، ويرسم له خطته وعمله . . ويرعاه فى سلمه وحربه ، وصحوه ونومه ، وقوله وفعله . .

تضيق امامه الدنيا بأحداثها ، فيتولى الله تفريجها ، وتبدو له المشكلات ، فتمده رعاية الله بعلاجها ، وتحاك ضده المؤامرات ، فينزل عليه الوحى بكشفها . وتضعف من حوله بعض النفوس ، فيعالج الله ضعفها ، ويشد بالقرآن عزمها . . وتلك ميزة كبرى انفرد بها رسول الله بين اخوانه المرسلين . وكان نزول القرآن الكريم عليه المرة بعد المرة هو الذى يتكفل بذلك كله . .

وميزة أخرى انفرد بها أيضا ، ذلك انه لم يكن مجرد واعظ . . يقول وينتهى بذلك واجبه . بل كان رسولا مبلغا ، ومؤسس دولة وحكم . .

صحيح أن الله قال له ، وهو يواسيه فى شدائده : « ما على الرسول الا البلاغ » لكنه بين هذه القضية وشرحها فى آية أخرى « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » — فكان مع التبليغ مشرعا ومنظما وقائد حرب ، ومصلح دنيا ، وبانى أمة ، وهادى طريق أما حساب الناس ومجازاتهم فالى الله . .

ومن هنا ثقلت مسئوليته ، واتسعت رسالته . . ومع ثقل المسئولية ، واتساع مهام الرسالة ، لم تنته حياته الكريمة على هذه الارض ، حتى كان قد ادى رسالته ، وارسى دعائم الحياة على عمد من صنع الاله ورعايته . . وترك من بعده تلامذة له وأصحاب ، أمناء أقوياء ، يتابعون السير على خطاه ، ويحرصون الحرص كله على هداه ، ويمكنون للدولة الجديدة التى أسسها ، ويوسعون حدودها ، وينشرون الهدى فى ربوعها فكانت أمة وكانت حضارة . .

وحين يفكر الذين يقدرون العظمة فى العظماء ، وينصفون فيما يستنتجون ، يقطعون بأن محمدا وتاريخه ليسا من صنع نفسه ، ولا من صنع

اسرته ، ولا بيئته ، ولكنه من صـــــنع الاله الذى اختاره واجتباه ، وحياه أكرم تحية حين ناداه « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

انه ليس تابعا من اتبـــاعه هو الذى يقول له هـــــذا ، وليس قريبا من أقربائه ، أو ملكا من ملوك الارض . . ولكنه الله جل شأنه ، وعزت كلمته ، هو الذى يقول له هذا ويقرره « ومن أصدق من الله حديثا » ؟

نعم . الله ، مالك الملك ، وخالق الخلق ، هو الذى يكرم محمدا ، ويثنى عليه هذا الثناء . وهو مع ذلك او من أجله يزداد لله خشية وتواضعا وتقربا ، ويقول « أفلا أكون عبدا شكورا ؟ » .

ذلكم هو محمد الذى يقول الله فى شأنه « من يطع الرســـول فقد أطاع الله » .

ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

ويقول : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعـــوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

ويقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ويقول : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ويقول : « ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما » .

ويقول : « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم . يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » .

اخى :

ذلك قليل من كثير مما أثنى الله به على حبيبه ومصطفاه ، وما قرره بشأنه . . لم يجاره أو يسم اليه بشر غيره . واذا كان لكل منا فى هذه الحياة عظيم من الناس يمنحه قلبه واخلاصه وحبه ، ويتخذه مثلا أعلى يقلده ، ويقتدى به ، فهل هناك فى عظماء البشر جميعا من اثنى الله عليه ومدحه كما اثنى على محمد ؟

هل هناك من سماه الله : هاديا وبشيرا ، وســـراجا منيرا ، كما سمى محمدا ؟

هل هناك من البشر من أعلن الله عنه أن طاعته من طاعة الله كما أعلن عن محمد ؟

هل هناك من البشر من أعطاه الله هذا التفويض العام : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » كما أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم ؟

هل هناك من البشر من قرر الله عنه أنه : « حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » كما قرر عن محمد . .

ومن يكون أجدر بالحب الذى يملأ قلوبنا ، ويفوق حبنا لأنفسنا . . غير محمد ؟

ومن أولى بأن يكون قدوتنا . . . غير محمد ؟
ومن يكون أجدر بالحب الذى يملأ قلوبنا . . غير محمد ؟

رسول قائد ، أثنى الله عليه ، وكمله ، وتقرأ هذا الثناء عليه فى كتاب الله الخالد الذى تؤمن به . .

فكيف يجوز لك أن تتركه لتتعلق بغيره ؟ . . وكيف يجوز لك أن تتخلى عن الاقتداء به ، ثم تروح تتعلق بزعامة هذا أو ذاك ، وتتفانى فى الاخلاص لهم ، وتصادق أو تخاصم من أجلهم ، وتسير وراءهم ، حتى ولو أعلنوا خصومتهم لرسولك وقائدك ؟ . .

كيف ؟ أتستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟

وكيف ؟ وانت دائما حريص على الذى هو خير ، حتى فى أتفه الاشياء التى تملكها . فما بالك بأمر يتعلق بمصيرك ؟ . .

ثم بلغة المنطق المفهوم بالضرورة : من من الناس تأتمنه لتسلمه قيادك ، وتمنحه ثقتك ؟

انسان شهد الله له واثنى عليه ؟ أو انسان مهما قيل فيه من أوصاف العظمة التى يخلعها عليه أمثاله من الناس ، ففيه زوايا من النقص معروفة أو مستورة ، ولا يمكن أن يكون كاملاً من جميع الجوانب . ؟

انسان سار بوحى الله ، وهدايته ، وفى حراسته ، وطريقه مأمون ، ووصوله بك الى النهاية السعيدة مضمون ، أو انسان يسير وراء نزواته ، ويتخبط فى شهواته ، يتعثر بين الخطأ والصواب ، وينخدع حتى بالسراب ؟ .

من أولى بالاتباع ، والاقتداء ، والحب والاخلاص ؟
اذا شكوت أو شكى احد حولك مرضا ، بحثت عن أمهر الأطباء .

واذا كانت لك قضية لجأت الى أمهر المحامين ، ليحسن الدفاع عن وجهة نظرك ، ويصل بك الى الحق الذى تريده . .

واذا كانت امامك مشكلة — أية مشكلة — استشرت أوثق الخبراء فيها ، واستنرت بآرائهم . .

واذا كانت لك حاجة عند انسان استعنت عليه بأحب الناس الى قلبه ، وأكثرهم حظوة لديه واخذت تتودد لهذا الانسان . .
وهذا كله فى أمور الدنيا العارضة والمطامع الزائلة . .

فكيف بك وأنت حريص الحرص كله على أن يرضى الله عنك ويوفقــك ، ويلطف بك ، ويسهل لك أمورك فى دنياك ثم تحظى بنعيمه وجنته فى اخراك ؟

فمن تختار ليصل بك الى هذا الهدف ويحققه لك ؟
أتختار رجلا لا يعرف الله ، ولا يعترف بوجوده ويقول عنه سبحانه ــ فى تبجح ــ انه خرافة ؟!

أتختار رجلا ليس على صلة طيبة بربه وان كان يؤمن به ؟!

قال لى من تختار ليكون دليلك الى رضا الله ، وهاديك الى جنته ؟ . .

من تختار لينظم لك حياتك ، ويرتب لك شــئونك فى هذه الدنيا ترتيبــا يرضى عنه مولاك ، ويحقق لك السعادة فى أخراك ؟ . .
ألست عاقلا تحسب الأمور ، وتستخلص النتائج ، وتختار الأحسن لك ؟

انهما طريقان . .
طريق يقوم عليه هاد واحد من قبل رب العالمين ، يرشدك ، ويقودك فى هذا الطريق المعبد ، لتصل الى النهاية السعيدة وتستقر فيها آمنا .

وطريق آخر تتشعب منه المسالك ، وتكثر فيه « المطبات » والتعاريج ، وله دعاته الكثيرون ، كل يعرض بضاعته ، ويزين لــك طريقته . . يغريــك بالشهوات ويجذبك اليه بالأمنيات ، حتى يبعدك عن ربك ورسولك ، ويدفعك الى متاهات الضلال ، ويلقى بك فى تيه الضياع والخسران . . وفى النهايــة تلتقى أنت وهو فى أتون النيران « يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هــم ينصرون » . .

فأى طريق تختار لنفسك ؟
قل لى يا أخى . .

فى تجارتك تريد أن تربح ، وفى وظيفتك تريد أن ترقى . . وفى كل عمل تتولاه تريد أن تكون السباق فى الحصول على أحسن الثمرات . .

فكيف أنت وصلتك بالله ؟
ألا تختار الدليل الذى يحقق لك الربح ويهيىء لك الرقى ، ويوفر لك اطيب الثمرات ؟

انه رسولك وهاديك حبيب الله ومصطفاه ، الحريص علينا . الرحيم بنا . . حتى فى الآخرة يأخذ بيدنا ، ويشفع لنا عند الله . .
انه محمد ، الرحمة المهداة . حبيبى رسول الله

يا رب احسنت بدء المسلمين به فتمم الفضــل وامنح حسن مختتــم

مدير ادارة الدعوة والإرشاد



قلب وكلب

للشيخ : علي عبد المنعم

المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

« عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان رجلا رأى (١) كلبا يأكل الثرى (٢) من العطش فأخذ خفه فجعل يغرف (٣) له به حتى أرواه (٤) فشكر الله له (٥) فادخله الجنة (٦) .. »

رواه البخاري

١ - يموج عالمنا المعاصر ويضطرب بغارات تشن ، وحروب تستعر ، وأجسام تهاوى تحت وقع القنا والقنابل ، وأرواح تصعد الى بارئها شاكية ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وتسائل الزمان فيجيبك : ما أنا الا ليل ونهار ، وعاء يحتوى الباغم والصامت ، ويظل المحسن والمسيء ، ويدب في أرجائه حامل السم وبائع البلسم ، ولقد عييت بما عنه تسأل ، ولم أجد جوابا يشفي الغليل ، ويريح القلب العليل ، راقبت الكائنات فوجدت الجماد يتحرك ليغير موضعه فيكشف عن خبيء ، أو يرتفع لصد عاد ، وألفيت العجماوات تتهارش ولكن

---

(١) رأى : في سياق الحديث الشريف بمعنى أبصر .

(٢) الثرى : في مختار الصحاح : بفتح الثاء المثلثة والراء المهملة مقصورا ، هو التراب الندى ، وأما الثراء بالمد فهو كثرة المال ، وليس مرادا هنا . وفي رواية أخرى للحديث الشريف : كلبا يلهث ، وورد في المختار أيضا : اللهثان بفتح الهاء ، العطش ، وبسكونها ، العطشان ، والمرأة لهثة ، وبابه طرب ، واللهاث بالضم ، حر العطش ، ولهث الكلب أخرج لسانه من العطش أو التعب وكذا الرجل اذا أعيا وبابه : قطع .

(٣) يغرف : (بفتح الياء المثناه التحتية وكسر الراء) في المصباح المنير : غرفت الماء غرفا من باب ضرب ، أخذت منه وهو في موضعه .

(٤) أرواه : جعله ريان ، ضد عطشان .

(٥) فشكر الله له : قال المتقدمون رحمهم الله ورضى عنهم : معنى الشكر الثناء أو المجازاة .

(٦) ورد هذا الحديث الشريف بروايات أخرى : منها (بينما رجل يمشى بطريق فاشتد عليه الحر ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى نزل بى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى من البئر فسقاه) وفي رواية : فشكر الله له فغفر له ، قالوا يا رسول الله : ان لنا في البهائم لأجرا ؟ فقال : ان في كل كبد حرا رطبة أجر .

بمقدار ما يملأ المعدة الخاوية ، ويسد الرمق ، ويمسك الذماء ، فما دام المفترس ملىء البطن ، فلا يفكر فى الاعتداء(١) فقد يمر الغزال بالأسد فلا يلتفت اليه حينا ، والثعبان لا يعض الا اذا ديس ، والكلب لا ينبح الا اذا أهيج ، والقطا اذا أمن الاساءة صار اليفا ، منظر رائع تراه فى الحرم الشريف ، يمسك الرجل بالحب فى راحته فيسقط عليه الطائر يلتقطه ، ثم يعود الى جوه الطليق بملء حريته ، مرفوفا بأجنحته شاكرا حسن الصنيع .

دع ذا : وتأمل الانسان ذلك الحيوان الذى اسموه عاقلا ، تجد العجب العجاب ، الذى حير الفلاسفة ، وأعيا العباقرة ، تجده أخضع ما باينه ، ووضعه قيد البحث والدرس ، وعجز فى الوقت نفسه عن أن يخضع شهوته(٢) فجمع الشىء ونقيضه ولكن فى غير تقابل(٣) وصب جام احساساته الحيوانية البحتة على نفسه ، كالشاعر الهجاء الذى قبح وجهه حين أبصره فى مرآته ، وأزكى الانسان نار الصراع فى غير موضع نزاع ، فتطايرت اشلاؤه تحت وطأة ممزقها ، وقسوة مفترسها ، وعج بها الكون ، واكتظ الفضاء حتى عافتها وحوش الفلاة ، ولوت عنها أعناقها عقبان الهواء ، فأزكمت الأنوف بما ثار من روائحها الكريهة التى عجت بها الدنيا المعاصرة ، فما نجت من شرها قارة ، ولا تخلص من آثارها قطر ، فى آسيا قتال ، مثله فى افريقيا ، أثارته دولتان يعجز عقلاؤهما — ان وجدوا — عن تعليل اثارتها ، ادعتا انهما كبيرتان ولكنه كبر مادة وكثرة عدد ، وتضاؤل تفكير ، وانعدام روح .

٢ — قال صاحبى ، الصراع عبر التاريخ موجود ، لم يخل منه عصر ، ولم ينج من شره مصر ، ولكن صراع الأقدمين من الممكن تعليله ، أو تبريره ، فقد تستطيع أن تلتمس لهياجه عذرا ، فقد كانت آفاق الارض منعزلة تماما ، فالمرء فى قرية أو مدينة لا يدرى ما يدور فى القرى والمدن المجاورة ، فغزا مدفوعا بحب الاستطلاع ، وأحيانا تحت وطأة الجوع ، وأما الآن فقد تلاشت المسافات ، وقضى على الفوارق الطبيعية ، ومن الممكن تبادل الانتاج دون عناء أو مشقة ، فالتاجر الآن فى أقصى المعمورة يستورد انتاج مصنع فى الطرف الآخر منها بمفاوضات مباشرة لا تديرها حكومة ولا تحرسها طائرات قتال ، ولا تدفع اليها غريزة استملاك ، وانما رائدها المصلحة مصلحة الطرفين ، ونفع الجانبين ، يلتقى المشترى مع المنتج فى جو اخوة حانية يحدوهما النفع العام ، ويسوس لقاءهما خير المجتمع المنقولة اليه البضائع والمنقولة عنه ، والسائح الذى قدم ماله طائعا مختارا راضيا لقاء مشاهد لم يعهدها ، ومناظر يستجليها ، يقابل

---

(١) ذلك الأعم الأغلب وله وضعت القواعد والشاذ لا حكم له .

(٢) المراد بالشهوة هنا ، الرغبة الملحة التى تقوى حتى تلاشى الارادة ، وقد تضعف حتى تتلاشى هى وكلا الوصفين مذموم ، والممدوح ، الاعتدال .

(٣) ولهذا لا يعد تناقضا على مذهب ارسطو ، وان عد واقعيا عين التناقض .

فى كل مكان يحل فيه بالتبجيل والتيسير والاكبار ويقفل عائدا الى مسقط راسه بعد أن يكون صداقات ، ويكتسب ثقافات ومعارف ، ويغنم صحة وراحة ، فالشعوب الآن مندمجة فى بعضها حتى لا تستطيع أن تميز المقيم فيها من المسافر ، ولا الغريب من صاحب البلد ، ولقد جبت بلادا من أرض الله واسعة فما رايت غربة ولا شعرت بفرقة ، ففى كل مكان لقاء كريم مع رحابة صدر ، وفى كل موطن صديق قد تفوق صداقته أخوة اللحم والدم ، فعلام القتال يا عقلاء البشر ، ولماذا النزاع والصراع يا أرباب المبادىء وحراس الانسانية ، وسدنة السلام كما تدعون ؟! أو كما استقر فى صفحات مكتوبة مطوية ، وتلاشى واقعا وتطبيقا . هل من مجيب ؟!

٣ ـــ قال صاحبى : لقد شطت ، ولحدود الحديث تجاوزت فما الربط بين كلام النبوة الذى جعلته عنوانا وبين ما جرى به القلم ؟ وما درى صاحبى ـــ وهو يدرى ـــ أن صاحب الغيب الذى عنده مفاتحه يأخذ بيد البشر الى مسرح الحوادث لتلمسها لمسا وتحس بها فى موضع قد يظن السامع أو الملتقى أنه بعيد وما هو ببعيد ، فمن رحم حيوانا أعجم كان بالانسان أرحم ، ومن عرف أن مغفرة الله منوطة بكل ذات كبد رطبة ، بدأ بنفسه ثم بمن يليه ، فابتعدت عن الفعل السيىء فعاله ، واتجهت الى النافع المفيد حركاته وسكناته ، وذلك توجيه السماء على لسان خير الأنبياء ، لا يسلك الطريق المباشر وانما يضرب الأمثال ليجذب الانتباه ، ويوقظ مكامن الادراك ويوجه القلوب القاسية حتى تلين ، ويشحذ العزائم لفعل الخير ، فهذا حيوان ضال فى فلاة ، لا يضير الرجل موته ولا تنفعه حياته ، وسيان فى سباق جولانه الحياتى فنى الكلب أم عمر ، فلماذا يتحمل النزول الى أغوار البئر والصعود منها ، ولماذا يمسك بفيه خفه ، ويتلمس بيديه طريق النجاة ، ويتحاشى السقوط فى الأعماق ، ماذا يفيده فعله هذا عاجلا ، لا شىء فى رأى ماكيافلى العصر وجزارى الانسانية ، حماة المادة وأعداء الروح ، نسوا أو تناسوا حتى نسوا شيئا كامنا يحسونه ولا يرونه ، يستكن بين جوانحهم حقيقة لا تنكر ، ويهال عليه تراب المادة كى لا يظهر ، شعور ، احساس ، ضمير ، تعبر به الانسانية مفاوز الحياة ، وتجتاز على ضوئه طرقها المتشعبة ، ماضية الى مصيرها المحتوم آمنة ، راضية ، نافعة ، منتفعة ، يسقى الكلب فيستريح القلب ، وأى قلب ، القلب ذو الاحساس الانسانى الدفين الذى أنبته الله ولم تقتله المادة العفنة النتنة ، ثم ينطلق من مجال الاحسان مع الحيوان الأعجم الى مجال أرحب ، والى فضيلته أقرب ، فيزيل الضر عن أخيه ، ويدرك أنه اذا آذى انسانا فانما آذى نفسه التى بين جنبيه ، ويجرنى الحديث ـــ والحديث ذو شجون ـــ اذ أذكر حادثة مرت بتاريخ شخص عزيز على الله ، تبدو فيها حيوية الضمير ، وانبعاث الروح الكريمة المؤمنة بقيوم السماوات والأرض الى الخير ، جاءنى يوما ذلك

العزيز مهتاج النفس ، قلق البال ، لا يدرى كيف يدير القول ، فهدأت من ثائرته ما شاء الله أن يمكننى من ذلك ، وبدأ يقص مثار ثورته النفسية الأليمة ، قال : ان فلانا وسمى شخصا لا أعرفه (هيولى) وانما أخبره وظيفة وعملا ، قد اساء الى ، وبالبحث تكشف النقاب عن اساءات له متكررة بنفس الصورة مع كل طالب حق لديه ، مع انه غريب عن الديار ، وفد اليها طالبا القوت التى أعياه العثور عليه فى مسقط رأسه ، فجشعت نفسه حين اشتمت رائحة القتار ، فلم يكفه الحلال الذى ينساب بين يديه ، فراح يطلب المزيد فى الممنوعات دينا وعرفا وقانونا وأخلاقا وانسانية ، فأسلمته متلبسا بجريرته الى من اقاله من عمله ، وكان ذلك أخف العقاب ولكنى اشعر الآن بمرارة وأسى فقد اكون جانيا على من يعول ، ولا ادرى كيف الخلاص من عذاب الضمير فأنجدنى : وكان الجواب الذى كان ، والذى لا يوجد دواء انجع منه لتلك النفوس الكريمة ، ورضى محدثى بالجواب وأجرى نفقة دائمة لا يزال يبعث بها من ماله الحلال الى ذلك الذى فارق وظيفته وما فارقته متاعب النفس الآثمة ، وذكرنى هذا الصاحب بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى خلاصته : ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت صخرة فهو يخشى أن تقع عليه ، ومن ران على قلبه العصيان يرى ذنوبه كذبابة مرت بأنفه فقال بها هكذا ، وأشار الرسول بيده الشريفة اشارة من يدفع الذباب عن وجهه .

ومن تأمل الحروب الجارية ، والعداوات الأممية السارية ، وجد أن الانسان عند المتزعمين للعالم المعاصر لا يعدل كلبا ولا يساوى شربة ماء .

٤ ــ وقال صاحبى وقد هاله أمر الانسانية المعاصرة عجبا لهذا المخلوق وأى عجب ، تسمو روحه حتى لا تقف أمامها حدود المادة ولا تعوقها قيودها ، وتضعف أحيانا حتى تتلاشى فى بيداء الجهالة بالله والبعد عن رحابه حتى يتساوى الجمل الهائج والرجل الغاضب ، ويعوى الذئب فيأنس السارى ، ويرتفع صوت انسان فيفر منه فرار السليم من الأجرب . وقد قيل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى ... وصوت انسان فكدت اطير

وجعل صاحبى يدير القول ، وختم حديثه بمقالة المتصوف الضارب فى اغوار التاريخ مثلا والسارى عبر الأيام عملا وواقعا ، ذلك المتصوف الذى دعا لقاتله حين ظلمه ، تتلوه باسم الدين ، باسم الحرية ، باسم الانسانية ، فمضى ضحية شهوة أخيه الى الدماء ، يلتمس له العذر ، ويردد : تلك حكمة الله ولا اعتراض . .

دع الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحكم فى دوران الفلك
فلا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

وانفض المجلس ، وأنا لا ادرى متى ترحم الأكباد الرطبة ، ومتى يلجأ الناس الى بارئهم ولكن : (فان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا) . وصدق الله العظيم .



السماء في القرآن وفي العلم

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

كنت عرضت على صفحات (الوعى الاسلامى) (١) قضية كبرى تقول : ان القرآن الكريم محيط بالفطرة احاطته بالدين ، مجملها كمجمله ، ومفصلها كمفصله ، لكن تلك الحقيقة العظمى لم توضح بضرب الأمثال . ثم جاء الأستاذ على الطنطاوى وطرح للمناقشة رأيا له فى : ما هى السماء فى القرآن وفى علم الفلك الحديث(٢) ، لم أجد أحداً على طول الفترة بعده تناوله بتمحيص(٣) ، فالآن أتناول موضوعه كمثال يوضح كيف أن القرآن الكريم محيط بفطرة هذا الكون المشهود احاطته بالدين ، الا أن الدين قد وكل الله سبحانه تفصيل مجمله وتطبيق مفصله فى القرآن الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، أما فطرة عالم الشهادة فقد وكل سبحانه الى علمائها ، شرح ما أجمل وما فصل منها فى كتابه العزيز ، فى آيات من عجائبها أن ترد فيها مادة (علم) بالمعنى الحديث

---

(١) عدد جمادى الثانية سنة ٨٦ .

(٢) عدد المحرم سنة ٨٧ .

(٣) جاءنا من الاستاذ البهى الخولى بحث فى هذا أجلناه حتى ينتهى من سلسلة بحوثه عن المرأة .

كما هو واضح من موضوعها فى مثل قوله تعالى : (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) وقوله عز وجل (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين) بكسر لام (العالمين) .

والقرآن الكريم أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون ، فان الهداية التى جاء القرآن من أجلهـا تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون بمـا ينكرون ، فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته ، وحاملا على تكذيبه . وهى أيضا تقتضى ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نـزول الوحي به ، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته فى عصور العلم الـكوني التى علم الله الذى أنزل القرآن أنها سـتكون . وتجنب هذين العائقين عن قبـول هداية القرآن هو من بدائع اعجاز أسلوبه ، ومن أكبر الدلائل على أنه حقا من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون .

سماء وسماء

والسماء فى العلم هى سماء الشمس والقمر والشهب والكواكب والنجوم والسدم . **أما فى اللغة** التى نزل بها القرآن فالسماء متعددة المعانى : هى سماء العلم هذه ، وهى أيضا السماء الزرقاء التى تبدو النجوم كأنها فيها وهى فوقها . ثم هى تطلق أيضا على السحاب ، وعلى ما ينزل من السحاب من أمطار .

فالناظر فى موضوع السماء فى القرآن الكريم وفى العلم ، عليه أن يميز فى الآيات القرآنية بين ما هو خاص بالنجوم وما اليها ، وما هو خاص بسماء جو الأرض من سحاب وما اليه من زرقة الطبقات العليا من هوائـه التى هى عادة أول ما يفهم الناس من لفظ السماء ومن وصفها .

فالسماء فى قوله تعالى (ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر) . ليست هى سماء الكواكب والنجوم ، ولكن هى سماء السحاب الذى ينزل الله منه المـاء المصرح به فى قوله تعالى من سورة الواقعة : (افرأيتم الماء الذى تشربون . أانتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟) واذن فأبواب السـماء المذكورة فى الآية الكريمة من سورة القمر هى أبواب سماء السحاب على المجاز .

كذلك قوله تعالى فى سورة الملك : (فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) يدل ، اول مـا يدل ، على ما يلقى البصر اذا نظر الى السماء الزرقاء وما يبدو وراءها من قمر وكواكب ونجوم بالليل وشمس بالنهار ، اذا لم يكن فى الليل أو النهار بين الناظر وبينها حاجب من سحاب او غبار . كذلـك تصدق الآيـة الكريمة على منظر السماء ، اذا تجاوزنا السماء الزرقاء بتجاوز الغلاف الهوائى ، كما تجاوزه ملاحو الفضاء فى القميرات والسفن الفضائية ، فان السماء عندئذ تبدو كمـا بدت لهم سوداء حالكة ولو كانت الشمس طالعة ، وتتراءى الشمس والنجـوم فيها أجساما مضيئة من غير أن يكون لأضوائها أثر فى تخفيف ذلك الظلام ، لأن الضوء فى ذاته لا يرى ، وليس فى ذلك الجو المظلم ما يشتت ضوء الشمس ويعكسه الى العين أينما توجه بصرها ، كما يحدث فى جو الأرض اثناء النهار .

فلولا الهواء وما يحمل فى جو الأرض ، لبدت السماء للناس حالكة السواد حين تكون الشمس طالعة ، ولكانت الظلال على سطحها سوداء مثل ظلال القمر وسماته ، اذ هو قد فقد هواءه منذ زمن بعيد . فشتان بين نهار الأرض ، ونهار

القمر . وشتان ثم شتان بين سماء الأرض . تضيء جوها الشمس فلا يلقى العين منه الا نور — كما نبه الله اليه فى سورة الشمس بقوله سبحانه : (والنهار اذا جلاها) — وبين السماء اذا تجاوزنا جو الأرض وغلافها الهوائى بالنهار ، فلا تقع العين منها الا على ليل مظلم تبدو الشمس فيه قرصا فيه زرقة . والى ليل السماء هذا وآية الله فيه أشار القرآن الكريم بل صرح به فى قوله تعالى (وأغطش ليلها) فى سورة النازعات . اذ هاء التأنيث راجعة الى السماء السابق ذكرها فى قوله تعالى (أانتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) .

والمفسرون أجمعون لم يخطر ببالهم أن السماء من وراء جو الأرض سوداء حالكة والشمس طالعة ، ففسروا الليل بليل الأرض الذى عهدوه ، رغم اضافة الليل فى الآية الكريمة الى ضمير راجع الى السماء لا الى الأرض التى لم تذكر الا فى الآية بعدها فى قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) وهذا مثال للحقيقة الكونية تذكر فى القرآن ، قبل أن يهتدى اليها الانسان من علم ، فيصرف الانسان النص عن معناه الحرفى الذى يجهله ، الى أقرب معنى يعرفه .

ولو أنه لزم النص وكان منطقيا معه حسب القاعدة النحوية التى قعدها ، لسبق علم الفلك الحديث الى حقيقة عن السماء لم يكشفها العلم الا بعد قرون من نزول القرآن .

لكن لعل من الاسراف أن نتوقع من قدامى المفسرين ، أو من محدثيهم الذين لم يدرسوا جانبا كافيا من العلم الكونى أن يتصوروا سماء حالكة السواد والشمس فيها طالعة لاحجاب دونها ، وقد كانوا يظنون نور النهار ممتدا الى أقصى الكون ، واقصاه عندهم كان السماء الزرقاء التى كانت تضيئها الشمس بالنهار ، وتنيرها الكواكب والقمر بالليل . حتى كبير المفسرين المحدثين الشيخ محمد عبده رحمه الله لم يخطر بباله أن المعنى الحرفى للآية الكريمة قد يكون صحيحا فيبحثه ، ولو بحث لاهتدى الى التفسير الصحيح الحديث كما اهتدى اليه — مختصر طبعا — فى تفسير قوله تعالى (بناها) من الآيات السابقة وقوله تعالى (والسماء وما بناها) من سورة الشمس فى تفسيره جزء (عم) كما سنراه بعد اذا حان موعده ، لكنه عند تفسير قوله تعالى (وأغطش ليلها) لجأ الى التأويل فقال : (ونسبة الليل الى السماء لأنه يكون بمغيب كواكبها) ونظنه أراد مغيب شمسها فالكواكب انما تظهر بالليل . لكن هكذا جاء النص فى تفسير جزء عم ، طبع مجلة المنار وطبع كتاب الشعب .

وقد زاد الفخر الرازى علة أخرى لنسبة ليل الأرض الى السماء ، هى حركة الفلك ، وذلك اذ يقول فيما فسر به الآية الكريمة : (انما أضاف — ولعلها أضيف — الليل والنهار الى السماء لأن الليل والنهار انما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها . ثم غروبها وطلوعها انما يحصلان بسبب حركة الفلك) وهو تعليل لو صح كان وجيها . لكنه مبنى على النظرية الفلكية التى فسر بها فلاسفة اليونان ظواهر الشروق والغروب فى السماء . والتى تقول بأن القمر والزهرة وعطارد والشمس والمريخ والمشترى وزحل مغروزة فى أفلاك كروية شفافة تدور بها من المشرق الى المغرب حول الأرض الواقفة فى مركزها المشترك ، ومن ورائها فلك النجوم الثوابت . وهى نظرية ظلت سائدة الى أن أبطلها علم الفلك الحديث . حين أثبت أن القمر وحده هو الذى يدور حول الأرض بحركة ذاتية . لا بدوران فلك يحمله . وأن الأرض سيار يدور والسيارات الأخرى حول الشمس بحركة ذاتية أيضا ، فى مسارات فى الفضاء هى أفلاكها ، كل منها على شكل

قطع ناقص ، الشمس فى احدى بؤرتيه أو مــركزيه ، الا أن فلك الأرض يكاد يكون دائرة لتقارب بؤرتيه ، وأن للأرض حركة أخرى حول نفسهــا ، اذ تدور حول محور لها أمام الشمس من المغرب الى المشرق دورة واحــدة فى اليوم ، ينشأ عنها الليل والنهار ، فتبدو الشمس والسيارات الباقية كأنها تدور حــول الأرض من المشرق الى المغرب .

والقرآن الكريم قد دل على كل هذا ، وعلى غيره من الحقــائق الفلكية ، تارة تصريحا ، وتارة تنبيها عن طريق الاشارة ، بأسلوبه الدقيق المعجز الذى يزداد الناظر فيه فوزا بأسراره ، كلما ازداد أخذا بالمنطق الصــارم فى تفهم آياته ، والاستنباط منها ، طبق ما تقرر من قواعد اللغة الكريمة التى أعدها الله لتحمل معانيه .

مع هذه الآية

والآيات المتعلقة بالسماء وظواهرها كثيرة فى القرآن الكريم . لــكن من أصرحها فى ابطال النظرية الفلكية اليونانية ، وأملئها بالحقائق العلمية عن طريق الاشارة اللغوية الدقيقة ، قوله تعالى فى سورة الأنبيــاء : « وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل فى فلك يسبحون » الآية ٣٣ . فالفعــل (يسبح) يستلزم الحركة الذاتية ، اذ لا سباحة ولا سبح بدونها فهذه كلمــة قرآنية دلت بجزء منها على بطلان ما قال به فلاسفة اليونان من فلك مادى لكل من الشمس والقمر يتحرك الغير بحركته لتدليه منه ، أو لانغرازه فيه .

والفعل بعد ذلك يدل على صفات فى الحركة . فمنها الاسراع — من وصف العرب الجواد بالسابح اذا كان عظيم السرعة فى سهولة ، من قول الزمخشرى فى تفسير (والسابحات سبحا) فى سورة النازعات (التى تسبح فى مضيها أى تسرع) — ومنها الابعاد فى السير كما فى القاموس من معــانى (السبح) ، والمسافة التى يقطعها القمر فى مداره حول الأرض أعظم بكثير بداهة من محيط الأرض . . أما الشمس فقد أثبت العلم لها حركة فى فضاء الكون سرعتها نحــو اثنى عشر ميلا فى الثانية فى اتجاه النجم الذى يسميه الافرنج (فيجا Fega) ويسميه العرب النسر الواقع (١) .

فمسار الشمس فى حركتها العظيمة هذه هى فلكها ، واسراعهــا فى سيرها قد أشار اليه الفعل (يسبح) فى آية سورة الأنبياء ، وصرح به الفعــل يجرى فى آية سورة يس اذ يقول الحق سبحانه (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) وليس يعلم الا الله بعد ما بينهــا اليوم وبين ذلك المستقر ، ولا متى تصل اليه بعد الذى قطعته فى جريها نحوه منذ نزل الوحى بالآية الكريمة فى سورة يس .

هل الضمير للجمع

وبقى ضمير الجمع فى الفعل (يسبحون) وما يدل عليه فى الآية الكريمة من سورة الأنبياء . وللوقوف على دلالة هــذا الضمير طــريقان حسب مرد الضمير فى الآية الكريمة ، واحتمــال أن تكون أداة التعــريف فى (الشمس والقمر) للعهد أو للجنس . فاذا كان مرد الضمير اليهما وحدهما تحتم أن تكون

---

(١) أنظر دليل المصطلحات العلمية الملحق بكتاب النجوم فى مسالكها ، للعالم الفلكى جينز ترجمة الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى من كتب لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(ال) للجنس والا لجاء الضمير على التثنية واذن فالنص الكريم يدل على أن فى السماء شموسا وأقمارا . وما كان ذلك ليخطر ببال أحد يرى بعينيه شمسا واحدة ، وقمرا فردا ، الى أن جاء علم الفلك الحديث فأثبت صحة هذا الوجه فى الآية الكريمة ، اذ اثبت أن كل نجم فى السماء ، شمس وأن شمسنا ان هى الا نجم متوسط بين النجوم .

فالشعرى مثلا التى يقول الله فيها (وانه هو رب الشعرى) اكثر ضوءا من الشمس ستا وعشرين مرة ، واعظم منها كتلة ، ولولا انها تبعد عنا بنحو خمسين بليون ميل لأحرقت الأرض وما عليها . كذلك اثبت الرصد أن فى السماء اقمارا الى قمرنا ، وان اقتصر ثبوت ذلك اليوم على المجموعة الشمسية : فللمريخ قمران صغيران ، وللمشترى تسعة اقمار منها أربعة كبار ، ولزحل تسعة اقمار منها واحد صغير ، وليورانوس أربعة أقمار كبار ، ولنبتيون قمر صغير ، ولا قمر لعطارد ولا للزهرة ، ولم يعرف لبلوتو ــ أبعد السيارات عن الشمس ــ قمر . وبلوتو أبعد من الأرض عن الشمس أربعين مرة(١) .

هذا طريق . أما اذا كانت (ال) للعهد فيتحتم أن يرجع ضمير الجمع فى الآية الكريمة لا الى الشمس والقمر فقط وهما اثنان ، ولكن اليهما والى الليل والنهار معهما ، ويكون لكل من الليل والنهار اذن حركة فى فلك . والليل والنهار يتعاقبان على جو الأرض . ففلكهما اذن هو جو الأرض وغلافها الهوائى . وتعاقبهما فى كل مكان حيث يتبع الضوء الظلمة وتخلف الظلمة الضوء اذا انسلخ عن جو مكان ما ، هو حركة فعلية يدل على كيفيتها قوله تعالى فى الآية الخامسة من سورة الزمر (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) . وفى القاموس أن التكوير (لوث العمامة وادارتها) وفى الكشاف عند تفسير الآية (والتكوير اللف واللى . يقال كار العمامة على راسه وكورها) .

وقد جاء الزمخشرى فيه بأوجه ، ليس منها الحركة ، مع أنها أساس اللف واللى . لكن العلم اثبت حرفية معنى التكوير حين اثبت للأرض لفا ودورانا حول محورها أمام الشمس ، ينشأ عنها النهار والليل ، طبق الخواص التى اودعها الله فى الضوء ، فسبحان الذى بكلمة أو بكلمات قليلة فى كتابه يدل عباده على آية أو عدد من آياته فى الخلق ، كما دل بكلمة (يكور) على حركة الأرض حول محورها وحركة الضوء فى جوها ، وعلى شكلها ايضا ، وكما دل بقوله سبحانه : (كل فى فلك يسبحون) فى موضعها من آية سورة الأنبياء على آيات متعددة له فى الخلق ، تعدد الاحتمالات اللغوية التى فى الآية الكريمة . فكل احتمال منها يدل على آية فى الخلق أو آيات كانت تجهلها البشرية كلها حين نزل القرآن .

---

(١) هذا وما قبله عن السير فرانك ديسون فى فصل (الفلك) من كتاب العلم اليوم وغدا .

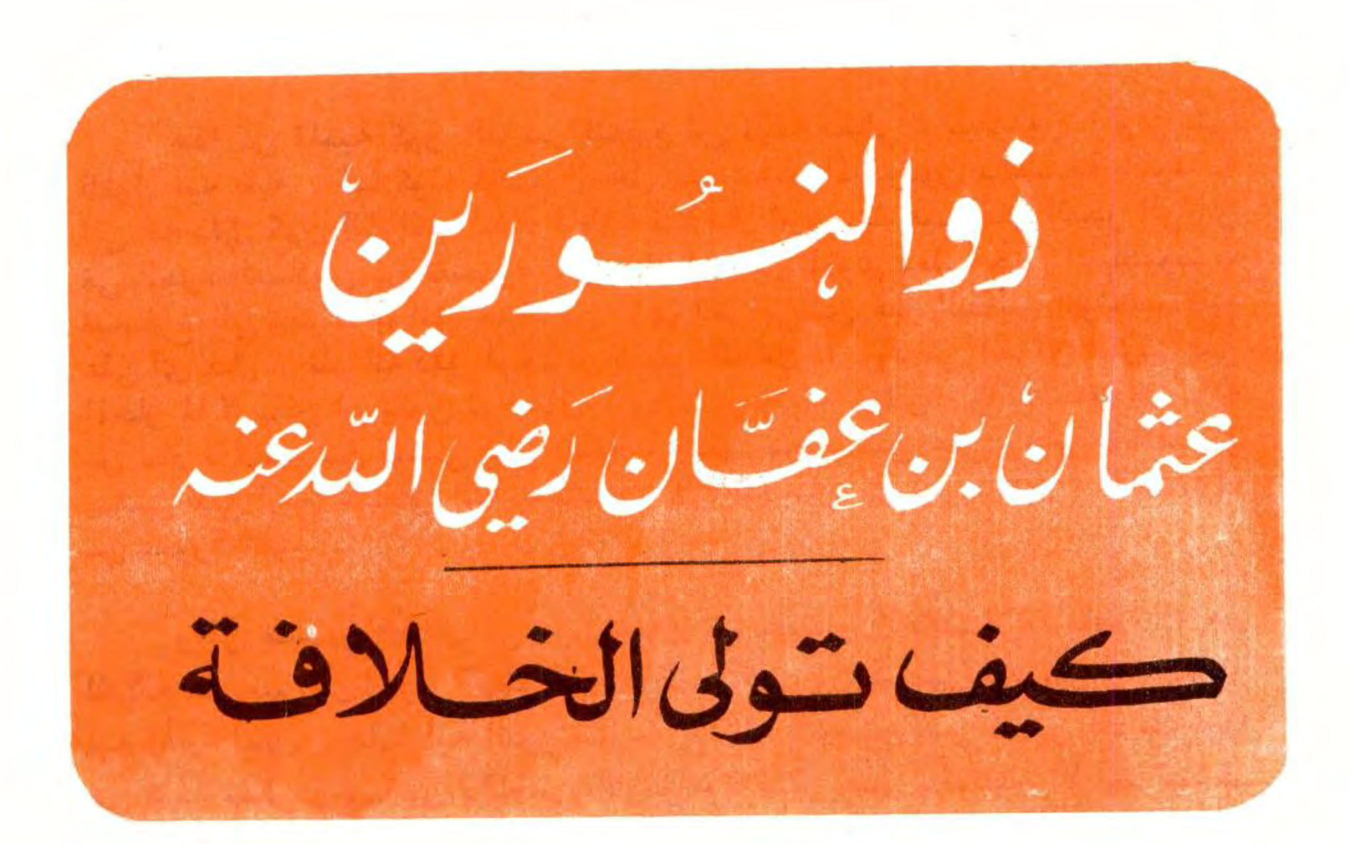
هذا من ناحية كون الضمير للجمع فى قوله تعالى (يسبحون) وان بقى للقول فيه بقية . أما كونه لجمع العاقل فقد ذهب المأخوذون بالفلسفة اليونانية الى أنه دليل كون الكواكب أحياء ناطقة كما قال ابن سينا فيما ذكر الفخر الرازى فى الجزء السادس من تفسيره . وهذا مثـــل للهوى يغلب حتى الفيلسوف ، فيسارع الى فهم ما يوافق هواه من الآى القرآنى من غير التدقيق الواجب عليه على اى حال . فلو أنه دقق لوجد أن ضمير العاقل قد ورد فى القرآن الكريم على المجاز لما لا يمكن أن يكون فيه عقل ، وذلك فى قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، ان الله على كل شىء قدير) الآية (٤٥) من سورة النور .

واذن فضمير العاقل فى (يسبحون) ، كضمير العاقل فى (منهم) ، هو للدلالة على سر من أسرار الخلق وسنن الفطرة فى ما استعمل الضمير له ، يشبه فيه أهل العقل . فأما آية النور فقد صرح الله سبحانه بسر ضمير العاقل فيها فى قوله تعالى (وما من دابه فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وهى الآية (٣٨) من سورة الانعام . السابقة على سورة النور فى تاريخ النزول وفى ترتيب المصحف معا . فالضمير فى آية النور كأنه تذكير بما سبق التصريح به والتنبيه اليه فى آية الأنعام . أما ضمير العاقل فى (يسبحون) فالمجاز فيه أوضح وأظهر حتى من المجاز فى ضمير آية النور ، لأنه فى آية الأنبياء راجع الى مالا حياة فيه قط ، من ليل ونهار وشمس وصفها الله فى آية أخرى بأنها سراج وهاج ، وقمر يستمد نوره من الشمس .

وقد علل الفخر الرازى ضمير العاقل فى (يسبحون) بقوله ردا على ابن سينا (انما جعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة) وهو تعليل قاله الفراء من قبل فيما ذكر أبو حيان فى تفسيره . لكن السباحة ليست خاصة بالانسان ، فدواب البحر أمهر منه فيها ، بل وبعض حيوان البر . فـــكان ينبغى لمثل الفخر أن يتوقف ويفوض الى الله ما دام لم يجد تعليلا يليق بجلال القرآن .

والتعليل فى مثل هذا ينبغى أن يتطلب فى القرآن نفسه . والدليل اليه هو قوله تعالى (قالتا أتينا طائعين) فى الآية (١١) من سورة فصلت : (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) .. وطاعة الله هى التى من شأن العقلاء . فنزول السماء والأرض على أمر الله طوعا لا كرها ، اشارة الى تمام نفوذ سنن الله فيهما ، هو العلة التى تليق بجلال الآى القرآنى فى ذكرها بضمير العاقل فى آية فصلت ، وذكر ما لهما من ظواهر واجرام فى آية الأنبياء ، وسورتا فصلت والأنبياء مكيتان كلتاهما ، لكن فصلت سابقة على الأنبياء فى تاريخ النزول ، نزول الوحى بهما ، فكأن ضمير العاقل فى آية الأنبياء جاء ليذكر بأخيه فى آية فصلت الذى جاء ومعه تعليله الصريح ، كالذى كان من تذكير الضمير فى آية النور بالحكمة المصرح بها فى آية الأنعام .

للبحث بقية .



للأستاذ: محب الدين الخطيب

فى حديث عمرو بن ميمون من صحيح البخارى (رقم ٣٧٠٠) انه لما طعن أمير المؤمنين عمر قال له النـــاس : أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف ، قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض : فسمى عليا وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وقال ــ يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شىء ــ كهيئة التعزية له ــ فان أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك ، والا فليستعن به ايكم ما أمر ، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، زاد المدائنى ، وما أظن أن يلى هذا الأمر الا على أو عثمان ، فان ولى عثمان فرجل فيه لين ، وان ولى على فستختلف عليه الناس ، ثم ذكر وصيته للخليفة من بعده ، وآخرها : وصيته بالأعراب خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الاسلام ، ووصيته باهل الذمة ان يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وان لا يكلفوا الا طاقتهم » .

قال عمرو بن ميمون ــ فلما قبض (رضوان الله وسلامه عليه) خرجنا به ، فانطلقنا نمشى (فلما بلغ موكب الجنازة منزل عائشة) سلم عبد الله بن عمر وقال : يستأذن عمر بن الخطاب قالت عائشة : أدخلوه فادخل ، فوضع هناك مع صاحبيه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضوان الله عليه) . فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط . فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمرى الى على ، وقال طلحة : قد جعلت أمرى الى عثمان ، وقال سعد : قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن ابن عوف .

فقال عبد الرحمن بن عوف (يخاطب عثمان وعليا) أيكما تبرأ من هــذا الأمر فنجعله اليه (أى نجعل اليه اختيار الخليفة) والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه ، فأسكت الشيخان ، فقال عبد الرحمن ــ أفتجعلونه الى ؟ (أى أنه يتبرأ من أن يكون هو الخليفة ، ويقوم باختيار من يتولاها) والله على أن لا آلو عن أفضلكم . قالا : (أى قال عثمان عن نفسه وعن طلحة ، وقال على عن نفسه وعن الزبير) نعم (أى وافقا وصاحباهمــا على أن يتولى الاختيار عبد الرحمن بن عوف بعد أن تنازل عن أى حق له فى الولاية) . فاخذ عبد الرحمن بيد أحدهما (وهو على) فقال : لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى الاسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ ثم خلا بالآخر (وهو عثمان) فقال مثل ذلك . زاد المدائنى أن سعد بن أبى وقاص أشار عليه بعثمان ، وأن عبد الرحمن دار تلك الليالى كلها على الصحابة ، ومن وافى المدينة من أشراف الناس ، لا يخلو برجل الا أمره بعثمان . فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعه ، فبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه » .

هذه وثيقة تاريخية عن شـــاهد عيان وهو عمرو بن ميمون حفظها لنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه ، عن أشياخه وهم من خيرة الرواة وأصدقهم ، وليس فى أخبار التاريخ خبر يضارع هذا الخبر فى صحته وصدقه .

خطبة عثمان بعد ولايته الخ

روى الطبرى فى تاريخه عن سيف عن بدر بن الخليل عثمان عن عمه قال : لما بايع أهــل الشورى عثمان ، خرج وهو أشدهم كآبة ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال :

« انكم فى دار قلعة ، وفى بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم ، صبحتم أو مسيتم » .

« الا وان الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور » .

« اعتبروا بمن مضى ، ولا تغفلوا ، فانه لا يغفل عنكم » .

« أين أبناء الدنيا واخوانها الذين أثاروها ، وعمروها ، ومتعوا بها طويلا ؟ الم تلفظهم ؟ » .

« ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فان الله قد ضرب لها مثلا ، والذى هو خير ، فقال عز وجل (٤٥ الكهف) : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا .

فلما انتهى الخليفة الثالث من خطبته ، أقبل الناس يبايعونه البيعة العامة بعد بيعة أهــل الشورى الذين اختارهم عمر الفاروق من صفوة الصحابة الذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض .

كأنى بالخليفة الراشد عثمان عندما تمت له البيعة فى المسجد النبوى ، وقام يخطو نحو منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناجي الأمة فيما ينبغى لها وهى تستقبل عهدا جديدا ، انه كان يتمثل حال الاسلام وأهله فى زمن حامل رسالته صلى الله عليه وسلم وصاحبيه الكريمين ، وأنهم كانوا فى الجيل المثالى الذى لم تر الانسانية نظيرا له فى جميع الدهور قبله ، ويخشى أن لا يأتى نظير له فى الدهور المنتظرة بعده ، فنظر بنور الله نظرة ثاقبة الى ما يتوقعه بعد الفتوح الواسعة التى بشر بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه صلوات الله عليه ما كان يخشى الفقر على أمته فى المستقبل القريب ، وانما كان يخشى عليهم اتساع الدنيا بين أيديهم ، وانشغالهم بها عما كان فيه الناس الى يوم الناس هذا ، من ايثار الآخرة على كل ما يخالف طريقها ، فكان عثمان وهو يرقى درجات المنبر النبوى يعالج فى ذهنه هذا المعنى العظيم ، الذى أراد أن يلفت اليه أنظار اخوانه الذين ولاه الله أمرهم ، وكان يرى أنه خير ما ينصح به لأمته ويناجيها به ، فضرب لهم من كتاب الله مثل الدنيا والآخرة ، وأن زينة الدنيا قصيرة زائلة كالنبات ينمو بماء السماء حقبة قصيرة ، ثم يعود هشيما تذروه الرياح ، وخير من هذه الزينة القصيرة الأمد الزائلة سريعا ، أن نتعاون جميعا على ايثار الأعمال الصالحة الباقية ، كالذى كنا عليه فى العهد النبوى وامتداده فى خلافتى الصديق والفاروق رضوان الله عليهما .

هذا ما نصح به الخليفة الجديد للأمة التى ولاه الله أمرها ، وقد بقى عثمان كما كان أسبق الناس الى السخاء بماله فى مرضاة الله للخاصة والعامة ، وما تعارضت مصلحة الدنيا ومصلحة الآخرة فى مدة خلافته الا كان مؤثرا مصلحة الآخرة على مصلحة الدنيا الى أن نال سعادة الشهادة ، رحمة الله ورضوانه وسلامه عليه فى الأولين والآخرين .

موقف عثمان من عبيد الله بن عمر فى حادث مقتل الهرمزان

روى الطبرى فى تاريخه (٥ ــ ٤٢) عن التابعى الجليل سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق قال عند وقوع شهادة أمير المؤمنين عمر : « مررت على أبى لؤلؤة عشى أمس ومعه جفينة النصرانى من أهل الحيرة والهرمزان ، وهم يتناجون فلما فاجأتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، فانظروا بأى شىء قتل عمر ؟ وخرج فى طلب القاتل رجل من بنى تميم ، فرجع اليهم التميمى ــ وقد كان ألظ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه ، وجاء بالخنجر الذى وصف عبد الرحمن بن أبى بكر ، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر ، فانتظر حتى مات أبوه ، فاشتمل على السيف وأتى الهرمزان فقتله » .

فلما تولى عثمان بعد البيعة له كان فى أوائل ما اهتم به مقتل الهرمزان بسيف عبيد الله ابن عمر ، وعند الطبرى فى ذلك روايتان : (احداهما ــ فى ٥ ــ ١٣ ــ ١٤) أن عثمان عرض على القماذبان بن الهرمزان أن يثأر لأبيه من قاتله وهو عبيد الله فأعلن أنه تركه لله وللمسلمين .

والرواية الثانية (فى ٥ ــ ٤١) أن عثمان جلس فى جانب المسجد ، ودعا عبيد الله وكان محبوسا فى دار سعد بن أبى وقاص ــ وهو الذى نزع السيف من يد عبيد الله ــ فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار ، أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق ، فقال على : أرى أن تقتله ، وقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، ان الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث (أى مقتل الهرمزان) كان ولك على المسلمين سلطان ، انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، قال عثمان : أنا وليهم ، وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالى .

موقف عثمان من أبي ذر الغفارى
واقامتـــه فى الربـــذة

سنة الاسلام فى اقتناء المال والتصرف فيه ما برحت قائمة — فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة خلفائه الراشدين ، وفى مذاهب الأئمة المتبوعين — على اساس الاباحة لكل مسلم أن يقتنى المال من حله ، بلا تحديد مقدار له ، ثم أن يضعه فى مواضعه التى أباحها الاسلام لاهله ، وأن يخرج زكاته بالنظام الشرعى الذى استقر منذ بدء الاسلام ، وقد حث الاسلام كل مسلم على السخاء فى الانفاق فى سبيل الله وفى مرضاة الله ، وفى سعادة المجتمع .

ولا شك أن المال فى نظام الاســـــلام وسيلة لسد حاجات الفرد والجماعة ، فهو فى حكم الأمانة لله ، تحت يد من ساقه الله اليه ، يتصرف فيه بالمعروف ، ومن الخطأ اعتبار جمعه غاية مقصودة لذاتها ، فاذا تصرف فيه المسلم باعتدال ، متوخيا سد حاجاته الذاتية وحاجات ذوى قرباه ، واداء ما عليه من الحقوق الخاصة والعامة ، ولم يمسك يده عن البذل فى مرضاة الله ، فان الاسلام لا يمنعه من أن يكون فى أمانته ، وتحت تصرفه أى مقدار من المال ، من غيـــر تحـــديـــد .

هكذا عاش أغنياء الصحابة وفى طليعتهم أمير المؤمنين عثمان ، وأخوه عبد الرحمن بن عوف ، وقبلهما الصديق الأعظم أبو بكر ، وسائر تجار الصحابة من اصحاب الالوف الى اصحاب الملايين ، وهكذا عاش الأغنياء بعدهم من أئمة الدين كالليث بن سعد واضرابه ، وعبد اللـــه بن المبارك واضرابه ، وهم فى ذلك من صالحى المؤمنين ، حتى لقد جرت المناظرات ، وقدمت فيها الأدلـــة والبراهين ، فى أى المسلمين أحب وأقرب الى الله وأكثر مثوبة عنده — الغنى الشاكـــر ، أم الفقيـــر الصابر .

على هذا مضى المسلمون فى صدر الاسلام الى أن كان زمن خلافة أمير المؤمنين عثمان فخالف هؤلاء جميعا صاحب رسول الله صلى اله عليه وسلم أبو ذر الغفارى فرأى أن المسلم لا يجوز له أن يبيت وعنده دينار واحد زائد عن قوت يومه ، وكان يرى اقتناء المسلم لاكثر من حاجته اليومية يجعله من الذين قال الله فيهم فى الآية (٣٤) من سورة التوبة (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) .

ان أبا ذر كان صادق اللهجة فى كل ما يقوله بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم له ، ولكن مذهبه فى اقتناء المال ، ولو كان من حله ، لا يوافق ما قام عليه نظام الاسلام فى المال ، ولو عمل المسلمون كلهم بمذهب أبى ذر لكان معنى ذلك إبطال فريضة الزكاة ، ولتعطل كثير من مصالح الدولة والملة ، ولاقفلت أبواب المعونة العامة ، والخير الشامل ، وأن جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما عالمهم عبد الله بن عمر بن الخطاب كانوا يعلنون أن « ما اديت زكاتـــه فليس بكنز » .

أبو ذر وأبن سبأ

نقل الطبرى (٥ — ٦٦) واكثر المصادر الاسلامية أن اليهودى ابن السوداء عبد الله بن سبأ ورد الشام فلقى أبا ذر فقال له : يا أبا ذر ، ألا تعجب الى معاوية يقول « المال مال الله ، الا إن كل شىء لله » كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين ، فاتى أبو ذر معاوية فقال : ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين« مال الله » ؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا

(البقية ص ٤٦)

طفولة.. ونبوة

على أذرع الضـــــوء .. فى قلب مـــــكة .. كان ينام الصغير اليتيم
يداه على صـــــدره .. هائم بعينيه خلف الفضـــــاء العظيـــــم
صـــــديق لكل شعاع يطل .. صـــــديق لكل ســـــحاب يهيـــــم
عميق التأمل .. فذ البراءة .. طفـــــل .. نبى .. وسيم .. قسيـــــم
على شفتيه استراح الخلـــــود .. وألقى مراســـــيه من قـــــديم

× × ×

وتأتى المراضـــــع .. من كـــــل صوب .. ويمضين عنه الى من سواه
يتيم ؟ وماذا وراء اليتيم ؟ ســـــؤال يعـــــذب قلب الحيـــــاة
وتمضى به مرضـــــع .. لوحت لهـــــا فى ابتهـــــال برئ يداه
وكالضوء .. والعطر .. كان الصغير .. وكانت خطاه .. وكانت رؤاه
على كـــــل واد له وقفـــــة .. وفكر .. ونجوى .. وألف صـــــلاة

× × ×

وحين أتم الـــــرضاع .. وعاد الى أمه من رحيـــــل الرضـــــاع
أصاخ الى ألف ذكرى .. وذكرى .. تحـــــدثه عن أبيه الشجـــــاع
(لقد كان حـــــرا .. وكان جميـــــلا .. وكان صديقا لكل الجيـــــاع)

للأستاذ: محمد أحمد العزب

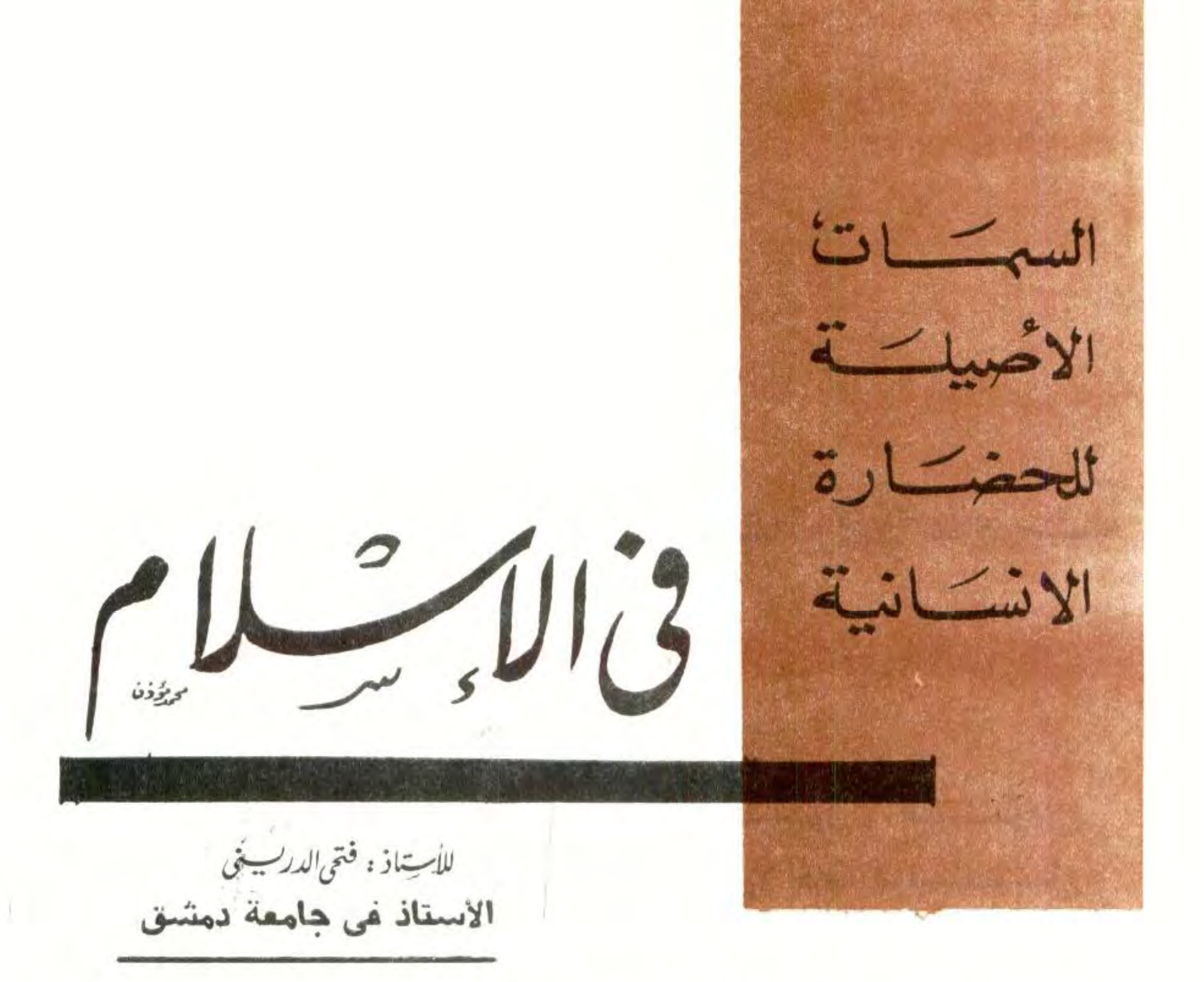
ويرجو الفتى أمه ان تزور به قبـــره ... ليقـــول : الـــوداع
فيرتحـــلان الى يثرب .. شعـــاعا يفـــرد خلف شعـــاع

x x x

وترجع قافلة الزائرين .. بجرحين .. جـــرح الأسى والغيـاب ..
وتمضى .. وبعض الـــردى خلفهـا .. يمزق صحو الربى والشعاب
وآمنة الخير .. تخبو .. وتكتم عن طفلهـــا كل هذا العـــذاب
ويصفر ضوء النهار حـــزينا .. ويعـدو وراء الضباب ضبـــاب
وتشهق أم الصغير .. وتمضى الى رحلـــة الصـــمت تحت التراب

x x x

تراب من البـــدء والمنتهى تراب فاين يـــكون الخـــلود ؟
وتملأ قلب الصـــغير الدمـــوع .. ويركض فى مقلتيـــه الشرود
ويمضى .. على مهل .. واجمـــا .. يحلق خلف حـــدود الحـدود
ويمضى يحلق .. حتى يطيـــر الى أبد غارق فى السجـــود
يدوى بصوت جليل .. جليل .. تباركت يا رب هـــذا الوجـــود



للأستاذ : فتحى الدرينى
الأستاذ فى جامعة دمشق

أ ــ لعل ابرز سمة للحضارة الانسانية فى الاسلام هى تقريرها للقيمة الذاتية للانسان الفرد ، لأنه ــ فى نظرها وفى الواقع أيضا ــ هو الكائن الحى الحر المتحرك المفكر ، وذو الشخصية الذاتية العاملة والمسئولة ، ولكنه ــ مع ذلك ــ مرتبط بجماعته ارتباط تعاون فى دائرة البر والصالح العام .

ب ــ كان طبيعيا اذن أن تنطلق الحضارة الاسلامية ، فى الاصلاح الاجتماعى ، والاتجاه الانسانى من نقطة اصلاح (**الفرد**) فاتجهت الى ضميره أولا ، لتسمو به نحو الكمال ، وذلك عن طريق : (الايمان) بالله تبارك وتعالى ، ليصبح هذا (الضمير الدينى) مركز قيادته لنفسه ، وليملك القدرة ــ بعد ذلك ــ على قيادة غيره .

جـ ــ هذا ، ومن شأن هذا (الضمير الدينى) السامى اليقظ أن يقوى فيه (**الارادة الذاتية الخلقية**) التى تقاوم هواه ونزعاته الانانية الفردية ، لتوجهها الى المشاركة الاجتماعية ، فكأن هذا الأيمان ــ فى واقع الأمر ــ قوة دافعة للفرد لاستخدام ملكاته وطاقاته فى سبيل الخير ، واجتناب الشر ، بعد أن حررته العقيدة الصافية من الشعوذة والخرافة والكهانة والأوهام والأساطير ، ووضعت أمامه انموذجا مثاليا للحياة الصالحة بوسعه أن يحققه ، وقد فعل ، كما يشهد بذلك تاريخ فجر الاسلام ، فأصبح فردا ، اجتماعيا وانسانيا ، يتسم سلوكه (بالاستقامة) اذ يقوم بدوره الايجابى الحضارى الذى يبدو فى (العمل الصالح المثمر البناء) وفى (الجهاد) باستماتة فى سبيل ما يعتقد .

د ــ وسر انسانية (الحضارة) فى الاسلام ، أنها تتسم (بالواقعية) وتفتح الباب على مصراعيه لمن أراد أن يسمو الى (المثالية) .

أما واقعيتها فتبدو فى أنها اعتبرت الانسان (كلا) لا يتجزأ ، اذ اقرت

طبيعته (المادية والروحية) فنأت عن التطرف والغلو المادى بالقوة عينها التى حاربت بها ، « الروحية السلبية » التى تقضى بالانطواء على الذات ، والزهد فى الدنيا ، واحتقار الحياة ، فكانت بذلك حضارة الانسان المتكامل ، المتساوى الأبعاد ، المتوازن القوى والملكات واذا كان هذا سر انسانيتها فهو بالتالى سر خلودها .

د ــ ونتيجة لذلك ، لم تحل بين الفرد والاستمتاع بالدنيا ، وما فيها من خيرات وثمرات ، بل حثته على الا ينسى نصيبه من الدنيا ، ولكنها ــ فى الوقت عينه جذرته من أن يتخذ المال او الجاه أو النفوذ وسيلة للعبث والفساد فى المجتمع ، قال تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » وقال مع ذلك : (ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

هـ ــ تعمقت الحضارة فى الاسلام خصائص الانسان فوجدته مهيئا للخير والشر « وهديناه النجدين » « فألهمها فجورها وتقواها » فوجهته الى خصائصه الخيرة ، وزودته بالضمير الحى اليقظ القائم على خشية الله تعالى ، وقوت فيه (الارادة ــ الخلقية) وهذا هو معنى « التزكية » فى قوله تعالى : « قد افلح من زكاها » وطلبت اليه أن يصون هذه الخصائص من الانحراف ، أو بالأحرى طلبت اليه أن يكون (انسانا) لا أن يكون ملكا ، أو أن ينحدر الى دركات الحيوان الأعجم ، فكانت بذلك حضارة انسانية واقعية خالدة لملازمتها لخصائص الوجود الانسانى نفسه .

و ــ وتبلور اتجاهها الانسانى فى أنها لم تتخذ من العنصرية او العرقية سندا لها ، لأن العنصرية عدوان على أصل الفطرة ، ووحدة المنشأ ، والله يقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » ، وقال جل شأنه ، « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » ، ولكن ليس معنى الانسانية هنا أن الأمة التى اصطبغت بهذه الحضارة تذوب فى غيرها بل على معنى أن علاقات أفرادها ، بعضهم تجاه بعض وعلاقاتها مع الأمم الأخرى وموقفها منها ، فى السلم والحرب ، وطريقة حياتها ، ووجهة نظرها فى الحياة ، تتسم بالطابع الانسانى ، ولا ريب أن الأمم متفاوتة فى هذه الخصائص ، وبذلك قضت على بواعث الاستعمار واغراضه قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا » وقال جل شأنه « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

ز ــ ومن هنا جعلت « الكرامة الانسانية » حقا انسانيا مشتركا اقتضته الجبلة الآدمية (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

ح ــ غير أنها لم تقرر حق الكرامة الانسانية هذا فى حيز النظر فحسب ، بل شرعت من المبادىء ما يكفل تحقيق هذه الكرامة فى حيز العمل ، فأرست مبدأ (العدل المطلق) حتى بين الأعداء ، ليكون العدل حقا انسانيا مشتركا كذلك وليكون أساس التعامل والقضاء والحكم ، قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » وقال تعالى : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ط ــ كما ارست مبدأ « المساواة » فى الحقوق والواجبات وفى (جعل الاعتبار الانسانى ، وكان هذا ركنا من اركان السياسة الخارجية ، وقد تبدى

تطبيق هذا المبدأ في أروع صورة لم تعرفها الانسانية في تاريخها الطويل ، تلك هي صورة المساواة المطلقة في الاتجاه الى الله سبحانه في جبل (عرفات) وهم يؤدون مناسك الحج ، شعثا غبرا ، وفي لباس بسيط موحد ، يستوى فيه الغنى والفقير ، والكبير والصغير ، وذو الجاه والمغمور ، ذلك مثل أعلى للمساواة لم تظفر الانسانية بتحقيقه الا بعد أن جاءت حضارة الاسلام .

ى — تدخلت في جميع شئون الفرد والمجتمع فأيقظت في الأول وعيه لذاته ، من حيث هو كائن حي حر مستقل مسئول كما أيقظت فيه وعيه لمجتمعه : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وأقرت للمجتمع صالحه العام ، وأقامت منه رقيبا على تصرفات الفرد حتى لا يعبث بالسفينة على مصلحة المجتمع الجوهرية ، وهذه الرقابة هي ما يطلق عليها اليوم « بالرأى العام » الذى يستلزم « المسئولية الجماعية » وهما اللذان يقررهما قوله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وقوله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

ك — عملت على استقرار المجتمع وأمنه عن طريق اقامة « التوازن » ورأت تحقيق ذلك التوازن في العدالة الاجتماعية ، لا في طغيان رأس المال : فعمدت الى توجيه غريزة « التملك » حتى لا تكون الملكية — كسبا وانتفاعا — معقلا للانانية الفردية ، وحتى لا تتحول الى جشع واستغلال يقضى على مالها من « وظيفة اجتماعية » .

ل — كما رأت تحقيق ذلك « التوازن » في التعاون المثمر بين الفرد والفرد وبين الفرد والمجتمع ، وبالعكس ، وبين هؤلاء والدولة ، في سبيل الخير العام والصالح المشترك ، وبذلك حالت دون جنوح الفرد الى الاستجابة لدواعى أنانيته الفردية المسرفة ، أو غرائزه العمياء ، فيبقى في طفولته البشرية ، هذا من جهة .

م — ومن جهة أخرى حملت الدولة على ان تضع نصب عينيها (مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع) اقرارا منها بمكونات الواقع ، وأرست من القواعد المحكمة ما يزيل التعارض بينهما على وجه يتفق ومقتضيات العدالة ، وقررت القاعدة المحكمة التى تحتكم في تصرفات الرئاسة العليا في الدولة واعوانها ، التى تقضى بأن تصرف (الامام على الرعية منوط بالمصلحة) ثم عمدت في سبيل تحقيق (التوازن) الى ازالة العقبات التى تعترض سبيله ، من الثروة أو الجاه أو العصبية ، فلم تجعل أيا من هذه عنصرا في تقييم الانسانية ، بل ناطت تقييمها بالعمل الصالح البناء « الذى يصدر عن (الذات) قال تعالى : (ولكل درجات مما عملوا) .

ن — ثم اتجهت اتجاها عالميا ، فضلا عن اتجاهها الانسانى ، وتبدو عالميتها في استيعابها لكل ما سبقها من حضارات لم تفرق في ذلك بين شرقية وغربية ، ما دام ذلك لا يمس عقيدتها ، ولا يناقض أهدافها ، (الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيثما وجدها) ولكنها — مع ذلك — لم تضمحل أمام هذه الحضارات ، بل على العكس هضمتها ، لتنتج لنا حضارة انسانية ذات طابع خاص متميز ، لم يعرف التاريخ الانسانى له مثيلا في السمو والعمق والسعة والشمول ، ومما لا ريب فيه أن الحضارة لا تقوى على الحياة اذا لم تكن حية تعطى وتأخذ ، وتؤثر وتتأثر ، ولكن في حدود معالمها الأصيلة وبذلك كانت ذات اسهام واضح في كل نواحى الفكر والحياة .

المرأة وعمل التكسب في الخارج

ليست قضية المرأة بالتى يقضى فيها بالنظر العابر ، أو الخطرة الطارئة ، فانما هى قضية الطبيعة ، وقضية الكون الروحى ، ومكان الانسان منهما .. ولا يستقيم لنا الراى السليم فى أمر من أمور الانسان أو غيره الا اذا رجعنا فيه الى أصالة نواميسه وحكمة خلقه ..

وقد اقسم الله تعالى بما « خلق الذكر والانثى » .. وهو تعالى أقدس واحكم من أن يريد بقسمه مجرد ظاهر الانوثة والذكورة ، أو أنه مهد السبيل للذة ما ، بين جنسين من خلقه .. انما يريد التنبيه الى شأنه تعالى فى الحكمة ونظام الخلق ، فانه اذا خلق كائنا ما ، خلقه على وفق نواميس خاصة به غاية فى الدقة ، تحقق وظائف وثمارا هى فى مستوى دقة نواميسها .. فيكون الكائن بهذا آية افتكار ، واعتبار ، واستدلال ، تثير فى القلب أقصى طاقات الاعجاب ، وتستنزل العقل على حكم الاذعان للصانع جل شأنه ، وينفتح للب بذلك من معارف صفاته تعالى ما هو لباب العبرة والعلم . فاذا كان الله تعالى أخفى عنا حكمة خلق العالم ، فان ثمة حكمة تبدو للاذهان ، هى أن غايتها بالنسبة لنا معرفة الله تعالى بما هى حافلة به من دقائق العبر ، وعجائب النواميس ، فاذا كانت نواميس الكائنات تقيم لكل كائن نظام وجوده ، وتؤدى له من الوظائف ما فيه مصلحته الخاصة ، فان أقدس منفعة لها هى دورها الذى تؤديه فى الدلالة على الله .. ويمتاز الانسان من الكائنات بمقدرته الخاصة على فهم تلك الدلالات فى نفسه وفى كل كائن .. فهو ككل كائن آية تحمل من آثار صفات الله ما هو لباب العبرة والعلم ، ولكنه ينفرد من غيره بمواهبه التى تقرأ له أو تستخلص رحيق المعرفة فى كل آية ، ولذا كان هو رأس كائنات هذه الارض المنفرد من بينها بخطاب الوحى ورسالة السماء .

على ضوء هذه الحقيقة ندرك أن قسم الله بما خلق الذكر والانثى يتضمن تقرير نواميس الذكورة والانوثة ، وما تؤدى من وظائف وغايات روحية وحسية ، ويرشد الى ما تنفرد به تلك النواميس والوظائف من دلالتها على الخالق ، وهى حكمة وجودها ، وبها استحقت أن يقسم بها الله ، فان النواميس والوظائف ليست معظمة لذاتها ، بل لما تتضمن من الاثار الدالة عليه تعالى .

وبما أن نواميس الكائنات وخصائصها ليست مرادة لذاتها ، بل لدلالتها على الله ، فان ما انفرد به الانسان من مواهب فهم تلك الدلالات ليس مرادا لذاته ، بل لما يحصل بها من صدق المعرفة .. ومعرفة الله على حق ، هى داعية عبادته تعالى على حق ، واذن ، فوجود الانسان كله — روحه وحسه — ليس مرادا لذاته ، بل لمعرفة الله وعبادته التى هى ثمرة المعرفة واليه الاشارة بقوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

على هذا الفهم لحقيقة الانسان ، وحكمة وجوده ، وصلته بعالم الروح ، ومكانه بين كائنات الطبيعة ، يجب أن نعالج قضية عمل المرأة وكل قضية أخرى لها .. فاننا بذلك نلتزم النهج الحق .. وكل نهج سواه لا يفضى الا الى الخطأ .

(٢)

واذا كان الامر مرجعه الى نواميس تتكون منها حقيقة المرأة والرجل فاجراء كل منهما على نواميسه هو المنطق الذى تقتضيه فطرته .. ويحقق ثمرته الخاصة الروحية والحسية ، ويحقق الحكمة العامة من وجوده : معرفة الله وعبادته .. ويكون كل منهما على أتم قدرته وصلاحيته لما خلق له ، ويكون من تحصيل الحاصل أن نقول : ان المرأة صالحة للحمل والولادة ، والارضاع ، والحضانة ، ولتحقيق ثمار الزوجية والامومة ، وسائر عمل الاسرة والبيت .. ويكون من هذا القبيل أيضا أن يقال : ان الرجل صالح لأعمال التكسب فى الخارج ونحوها .

وانما يكون عجزها او عجزه ، اذا أراد أحدهما ، أو اريد له ان يقوم مقام الآخر ، فان معناه أنه يراد لناموس ما أن يؤدى عمل ناموس آخر ، كأن يراد لقانون الجاذبية أن يؤدى مهمة قانون التكاثف ، أو أن يراد لقانون الأجسام الطافية أن يؤدى عمل المغناطيس ، وهو محال ، لانحصار كل فى خصائص معينة ، وعجزه أن يخرج عنها أو يضيف اليها أخرى «ولن تجد لسنة الله تحويلا»

ولذا فليس من نواميس الذكورة أن تعمل عمل المرأة ، وليس من نواميس الأنوثة أن تؤدى مهمة الرجل وهذا معنى ما أسلفنا من أن الاسلام يعتبر صفة الأنوثة من صفات العجز عن التكسب أى أن « مجرد الأنوثة عجز » فان الاسلام قد نظر الى محض السنن ، وعجز كل منها أن يحقق عمل غيره فقانونا الزوجية والأمومة ، قانونان روحيان ، لهما قدرتهما على تحقيق أقدس قيم الحياة ، ولكنهما سنة عجز اذا أريد التكسب .

والثدى الذى يلقم الطفل ، والرحم الذى يجن الجنين فى قراره المكين ، يعملان لصميم الحياة ، ولكنهما فى ميدان التكسب سلبيان ، والسلبية عجز .

وقد وهبت من الحنان ، وذكاء العاطفة ، ورهافة الحس ما هو ضرورى لتحقيق ظروف العمل لقانونى الزوجية والأمومة .. ولتمهيد نفس الطفل والزوج لتلقى ثمار هذين القانونين .. وتأهيل نفسها لاحتمال المشقة والتضحية ، حتى يكون من عبقريتها ألا تفرق بين الألم واللذة فيما تعانى من رعاية الولد ، ولترى المرأة — اى بذكاء العاطفة ورهافة الحس — جانب البأس فى الرجل فتذوق منه طعما يملأ وجدانها بالاعجاب والرضا .. وذلك لب قانون « القوامية » (١) ونبع احساسها واقرار نفسها به ..

---

(١) نقصد بالقوامية المعنى الذى يتضمنه قول الله تعالى « الرجال قوامون على النساء » .

ويقابل ذلك من الرجل أنه يجد به معنى يرتاح اليه لا يجده في صراعه مع الحياة .. معنى التسليم ببأسه والرضا بامتيازه ، وهو طعم يرضى طموحه ويؤكد ثقته بنفسه ويجند عناصر القوة والعزيمة فيه .. وهو من عوامل السكن الذى قرره القرآن ولذلك كله — قطعا — من الثمار والآثار ما تطهر به النفوس ، وتوثق روابط الأسرة ، ويتقدس المجتمع ، فهو لون من العبقرية يجدى على الحياة مالا تجدى عبقرية أخرى .. ولكنا اذا أردناه للتكسب كان هو العجز بعينه ..

وقد أوتيت حظا من العقل على قدر ما تفهم به نفسها ، وواجبها ، ومكانها من الحياة ، وما تثمر لها ، وما تحصل من آيات معرفة الله ، وما تسوس به وظائفها ، وما يلابسها من صلات وعلاقات ، وهو حظ ليس بالقليل ، لأن تلك المهام ليست بالهينة ، ولكنها لا تذهب فيه الى مدى عبقرية الرجل لأن الطبيعة فى توزيع المواهب والمزايا على الكائنات كافة ، ترعى الاختصاص ولا تمنح منها الا القدر الذى يتحقق به المراد ، فذكاء العاطفة لديها ليس بحاجة الى عبقرية العقل لكى تدرك مثلا جانب البأس فى الرجل فيتحقق السكن وقانون القوامية .. كما أن قوة الذهن لدى الرجل ليست بحاجة الى « عبقرية العاطفة » لاختراع فلسفة أو جهاز أو تفطن لمكيدة ، أو رأى يصرع به شمل عدوه .

فثمة حظ مشترك بين الرجل والمرأة فى لين العاطفة ، ولكنه لا يذهب فيه الى مداها وقد أوتى هذا الحظ بالقدر والكيفية التى تجعله مأنوسا فى معاملته . ويقابله حظ آخر مشترك بينهما فى العقل ، ولكنها لا تذهب فيه الى مدى الرجل ، وقد أوتيت هذا الحظ — كما أسلفنا — بالقدر والكيفية التى تفهم بها نفسها وواجبها ، وتحقق ثمار وظائفها الحسية والروحية .

فاذا قيل : ان الرجل يستطيع أن يستعمل حظه من العاطفة فى تحقيق السكن وقانون القوامية .. أو ان المرأة تستطيع أن تستعمل حظها من العقل كما يستعمله الرجل فى أعمال التكسب بالخارج فهو خطأ محض ، لأنه لم ينظر الى « اطار المواهب » التى تلابس ذلك القدر من العاطفة لدى الرجل ، ويتحدد له مهمته بينها ، ولا الى « اطار المواهب » التى تلابس ذلك القدر من العقل لدى المرأة وتحدد له مهمته بينها .. ومواهب الانسان انما تعمل بجمعها متآزرة متعاونة على غايتها فى اطارها العام ، فاذا حاولنا سلخ احداها من تماسكها وتناسقها أى صرفها عن غايتها الى مهمة أخرى ، كان فى ذلك من تشويش نواميس الانسان ما هو الفساد عينه وكان فيه من سوء التدبير ابتغاء المصلحة من غير قانونها .. وكان فيه من الاستحالة توجيه قانون الى غير مهمته .. وهى ضروب من العجز ، لا ضرب واحد يتعدى خطرها الى افساد ما هو اعم ، ولا يقتصر على السلبية فى عدم تحقيق المنفعة .. وحينئذ تكون الذكورة صفة من صفات العجز اذا نظرنا الى جدواها فى عمل الانوثة ، والأنوثة صفة من صفات العجز اذا نظرنا الى جدواها فى ميدان التكسب .. وهو المعنى الذى لحظه الاسلام حين قرر من عجز الأنوثة ما قرر .

(٣)

على أن ثمة عوارض طبيعية تشترك مع منطق النواميس فى تقرير عجز المرأة عن عمل التكسب فى الخارج .. تلك هى العادة الشهرية — الحيض — والحمل تسعة أشهر .. والولادة والنفاس ونرى أن نضيف الى ما نعرف ويعرف الناس كافة من حكم الواقع فى ذلك — حكم الطب الذى يقرر — على علم — مختلف الآثار النفسية ، والعقلية ، والبدنية التى تحدثها تلك العوامل فى كيان « المرأة

العام » وننقل فى ذلك بعض ما أثبته السيد العلامة أبو الاعلى المودودى فى كتابه « الحجاب » قال « قد أثبتت بحوث العلم وتحقيقاتـــه أن المرأة تختلف عن الرجل فى كل شىء من الصورة والسمت .. والاعضاء الخارجية .. الى ذرات الجسم والجواهر الهيولينيه (البروتينية) لخلاياه النسيجية .. ومع بلوغها سن الشباب يعروها المحيض الذى تتأثر به افعال كل أعضائها وجوارحها ، وتدل مشاهدات أساطين علمى الاحياء والتشـــريح على ان المرأة تطرأ عليها فى مدة حيضـــها التغييرات الآتية :

١ — تقل فى جسمها قوة امساك الحرارة ، فتنخفض حرارتها .
٢ — يبطؤ النبض ، وينقص ضغط الدم ، ويقل عدد خلاياه .
٣ — وتصاب الغدد الصماء ، واللوزتان ، والغدد اللمفاوية بالتغيير .
٤ — ويختل الهضم ، وتضعف قوة التنفس .
٥ — يتلبد الحس ، وتتكاسل الاعضاء ، وتتخلف الفطنـــة ، وقوة تركيز الفكر .

وكل هذه التغييرات تدنى المرأة الصحيحة الى حالة المرض ادناء يستحيل معه التمييز بين صحتها ومرضها .

ويكتب الطبيب « أميل نووك » الذى هو محقق كبير فى هـــذا الفرع من العلم « ان ما يعهد فى الحوائض عامة من الامراض هو الصـــداع ، والتعب ، ووجع العظم ، وضعف الاعصاب .. وتخلف المزاج .. واضطراب المثانة .. وسوء الهضم والغثيان فى بعض الحالات » .

وقد أورد أقوالا لبعض الاطباء والعلماء فى تأييد ما تقدم وتقرير أثره فى قدرتها على العمل الى أن يقول عن الحمل :

« وأشد على المرأة من مدة الحيض زمان الحمل ، فيكتب الطبيب ريبريف ، لا تستطيع قوى المرأة ابان حملها أن تتحمل من مشقة الجهد البدنى والعقلى ، ما تتحمله فى عامة الاحوال .. وان عوارض الحامل ان عرضت لرجل أو امرأة غير حامل لحكم عليه أو عليها بالمرض بدون شك ففى هذه المدة يبقى مجموعها العصبى مختلا على اشهر متعددة ، ويضطرب فيها الاتزان الذهنى وتعود جميع عناصرها الروحية فى حالة فوضى دائمة » .

وقد أورد أقوالا لبعض الاخصائيين فى تأييد ذلك وتقرير أثره فى قدرتها على العمل ثم قال عن النفاس : (أما عقب وضع الحمل فتكون المرأة عرضـــة لأمراض متعددة ، اذ تكون جروح نفاسها مستعدة أبدا للتسمم ، وتصبح أعضاؤها الجنسية فى حركة لتقلصها الى حالتها الطبيعية قبل الحمل ، مما يختل به نظام جسمها كله ويستغرق بضعة أسابيع فى عودته الى نصابه .. وبذلك تبقى المرأة مريضة ، أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل ، وتعود قوة عملهـــا نصف ما تكون فى عامة الاحوال ، أو اقل منه) (١) .

ذلك قول العلم والطب فى أثر عوامل الحيض ، والحمل والولادة والنفاس فى قوى المرأة الذهنيـــة والنفسية والبدنية ولا جدال فى انهـــا آثار تسهم فى تصديق ما يقرر الاسلام من معنى عجز الانوثة عن التكسب .

فعجز المرأة مقدور لها بثلاثة عوامل :

الاول : ان خصائص الانوثة ومواهبها — كقانون الزوجية ، والامومة ، وذكاء العاطفة ، ليست أسبابا للتكسب .

---

(١) صفحات : ٢٢٧ — ٢٢٨ — ٢٢٩ — ٢٣٢ — ٢٣٥ — من كتاب « الحجـــاب » للسيد المودودى .

الثانى : ان حظها من العقل الذى لم تبلغ فيه مدى الرجل ، فصل على قدر ما تفهم به نفسها وواجبها ، ومكان وظائفها من الحياة ، وتدبير أفضل الظروف لتلك الوظائف .

والعامل الثالث : ما يطرأ على قواها البدنية ، والنفسية ، والفكرية من ضعف بسبب عوارض الحيض والحمل والولادة على ما بينا .

وقد أصدق الواقع هذه الحقائق عمليا ، فما من عمل زاولته المرأة من غير وظائفها الاصلية فى البيت أو خارجه — الا وكان الرجل متفوقا عليها فيه ، ومما ذكره الاستاذ العقاد فى ذلك « ان المرأة تشتغل باعداد الطعام منذ طبخ الناس طعاما قبل فجر التاريخ ، وتتعلمه منذ طفولتها فى مساكن الاسرة والقبيلة ، وتحب الطعام وتشتهيه . . ولكنها بعد توارث هذه الصناعة آلاف السنين لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذى يتفرغ لها بضع سنوات ، وصناعة التطريز وعمل الملابس من صناعات النساء القديمة فى البيوت ، ولكنها تعول على الرجال فى أزيائها ولا تعول على نفسها ، ولا تفضل معاهد « التفصيل » التى يتولاها بنات جنسها (١) » . وذكر عقب ذلك أمثلة لصناعات وأمور عرفت بها النساء قديما ، فتفوق فيها الرجال عليهن فيها على حداثة اشتغالهم لها . .

وقد حدثنى اثنان من الاطباء أحدهما عميد احدى كليات الطب عندنا فى مصر ان المرأة تفضل الاطباء من الرجال لعلاج نفسها من الامراض النسوية وغيرها ، وقد كان المظنون أن ظهور العنصر النسوى فى عالم الطب فى بلادنا العربية الاسلامية الشرقية المحافظة سيتيح للاسر التى تتحرج من اطلاع الرجال على دخائل نسائها عيادات يتخلصون بها من هذا الحرج ولكن التجربة لم تحقق للمحافظين ولا غير المحافظين ، الاستغناء عن العيادات الاخرى فعادوا اليها . . ويقول الاستاذ محمد زكى عبد القادر الصحفى المفكر المعروف : « ان المرأة ستتجمد فى مجال الحكم عند عدد محدود من النساء البارزات ، كما تجمدت فى مجالات أخرى من مجالات العمل كالهندسة ، والطب ، والمحاماة ، والتجارة ، والزراعة ، فعلى رغم أن بلوغ مناصب العمل البارزة فى هذه المجالات لا يتطلب من الجهد ، والمقدرة ، والاستعداد ما يتطلبه بلوغ مقاعد الحكم ، فان تأثير المرأة فى هذه المجالات ظل محدودا ، ولا يبشر بتقدم كبير ، لأن طبيعتها تفرض عليها الاتجاه الى أعمال أخرى أقرب الى استعدادها وظروفها الخاصة المعروفة (٢) .

وبيانات ديوان الموظفين عندنا — أثناء وجوده — وشهادات المسؤولين فى المؤسسات والمصالح المختلفة الآن ، وهى شهادات وبيانات مدعمة بالارقام والامثلة الحاسمة تقرر بما لا حيلة فى دفعه نقص الكفاية الانتاجية واضطراب النتائج فيما تمارس من عمل ، وذلك هو الاثر الحتم لعجزها فى ميدان لم تؤهل له .

---

(١) كتاب المرأة فى القرآن : ٦ ، ٩ ، ١٠ للاستاذ عباس العقاد من فصل قيم أبطل فيه مساواة المرأة للرجل فى العبقرية فأجاد وأقنع .

٢ — من احدى كلمات « نحو النور » التى تنشرها جريدة اخبار اليوم للاستاذ محمد زكى عبد القادر .

لا يستوي حق بغير حماة

ياسيدى يارسول الله ...

القول فيك معطر الكلمات ... يا صاحب الآيات والسورات

أيام مولدك الكريم مضيئة ... فى كل ماض فى الزمان وآت

يوم أتى بك للوجود فانه ... تاج الزمان وغرة السنوات

تتعاقب الأيام فى دوراتها ... وترد كل جديدة لمنوات

وضياك ينصو (١) كل يوم نوره ... ويزيد فى الاشراق والنفحات

فالحق أنت وانت اشراق الهدى ... ولك الكتاب الخالد الصفحات

ان شرق القوم الكبار وغربوا ... فاليك حتما منتهى الخطوات

ضلت علومهم برغم نبوغهم ... وتعرضوا لمهالك خطرات

وتنكبوا سبل السلام وأقبلوا ... يتشدقون باجوف الكلمات

لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا ... ما غير دينك سلم لنجاة

علمتنا سر الحياة وقدتنا ... للخير والتوفيق والبركات

جنبتنا الزلل الكبير وصنتنا ... من شهوة تطغى ومن نزوات

من يقصد الدنيا بدونك يلقها ... تيها من الأهوال والظلمات

**

(١) من نصا ينصو .. أى يمتد نوره .

للأستاذ: محمد التهامي

لما أراد الله جل جلاله ... ان ينقذ الدنيا من العثرات

أهداك ربك للورى يا سيدى ... فيضا من الأنوار والرحمات

يا صاحب الحق الكبير عرفته ... وبسطته فى حكمة وأناة

وطلعت فى الليل البهيم مؤذنا ... بالحق والانوار والصلوات

ودعوت للخيرات قوما ضللوا ... ما كان أبعدهم عن الخيرات

ودعوت حتى كنت أصبر من دعا ... واقمت بين اساءة وأذاة

فصبرت ثم رحلت ثم ضربت فى ... أعناقهم فى عزة وثبات

فحظيت بالنصر المبين مؤزرا ... واقمت حقك خافق الرايات

وضربته مثلا لكل مكابر ... لا يستوى حق بغير حماة

يا سيدى لما ذكرتك أشرقت ... نفسى وهامت بالسعادة ذاتى

ألقاك فى الليل البهيم وفى الضحى ... القاك فى صحوى وفى غفواتى

القاك فى الحق المجلجل فى دمى ... فى زحمة الدنيا وفى خلواتى

القاك من حولى وبين جوانحى ... فى بسمتى تاتى وفى عبراتى

فلأنت فى خيرى تزيد دعاته ... ولأنت فى شرى ؟ تذود دعاتى

ولأنت فى قلبى وملء نواظرى ... وخواطرى ومشاعرى وحياتى

« ١ »

الزكاة فى العمارات والمصانع

هل تجب ؟ وما نصابها ؟ وما مقدارها ؟ وكيف تزكى ؟ ومتى ؟

للأستاذ : ي . ق

الاول : وجوب الزكاة فى هذه الأشياء بين المضيقين والموسعين . .
الثانى : كيف تزكى هذه الأشياء ، وكم يكون الواجب ؟
الثالث : كيف يحسب النصاب فيها ؟

* * *

المبحث الأول

وجوب الزكاة بين المضيقين والموسعين . .

تعددت أنواع المال النامي فى عصرنا تعددا واضحا ، فلم يعد مقصورا على الماشية والنقود وسلع التجارة والارض الزراعية .

فمن الأموال النامية فى عصرنا : العمارات التى تعد للكراء والاستغلال ، والمصانع التى تعد للانتاج ، والسيارات والطائرات والسفن التى تنقل الركاب والبضائع والأمتعة ، وغير ذلك من رؤوس الاموال الثابتة أو شـبه الثابتة ، وبعبارة أدق : رؤوس الاموال المغلة النامية غير المتداولة التى تدر دخلا وفيرا على أصحابها ، فماذا تقول شريعة الاسلام وفقهاؤها فى زكاة هذه الأشياء ؟

ان الجواب عن هذا السؤال يختلف باختلاف وجهة المضيقين والموسعين فى ايجاب الزكاة .

وجهة المضيقين فى ايجاب الزكاة . .

أما الذين يميلون الى التضييق فى الأموال التى تجب فيها الزكاة فيقولون :

١ — ان الرسول — صلى الله عليه وسلم — حدد الأموال التى تجب فيها الزكاة ، فلم يجعل منها ما يستغل او ما يكرى من العقارات والدواب والآلات

فى احدى المقالات القيمة التى تنشرها « الوعى الاسلامى » الغراء ، عن « الاقتصاد الاسلامى » للأستاذ الكبير الدكتور محمد عبـــد الله العربى ، تعرض لوجوب الزكاة فى العمارات المؤجرة والمصانع ونحوها ، كما تعرض لزكاة كسب العمل والمهن الحرة . وتبنى الدكتور رأيا أصدره ثلاثة من فقهائنا المبرزين فى هذا العصر ، وهم : الشيخ محمد أبو زهرة مد الله فى عمره ، والشيخان : عبد الوهاب خلاف وعبد الرحمن حسن ، رحمهما الله (١) .

ولما كان الرأى الذى اختاره شيوخنا الثلاثة ، وتبناه الدكتور العربى — وهو وجوب الزكاة فى غلة العمارات والمصانع ونحوها بمقدار العشر أو نصفه — مصادما لما ألف الناس سماعه وقراءته فى ذلك ، وكان للموضوع خطره وأهميته فى حياة المسلمين — فقد أحدث كثيرا من الجدل والنقاش ، وطلب الى بعض الاصدقاء أن أشارك بجهدى الضعيف ، مبينا ما انتهيت اليه فى هذا الامر ، حيث عشت عدة سنوات فى « فقه الزكاة » وأعددت فيهـا بحثا ضخما ، لم يقدر له أن ينشر بعد .

ولم يسعنى أن أرفض هذه الرغبة ، فالموضوع هام ، ويتطلب تعـــاون الباحثين ، وادلاء كل منهم بدلوه ، والحقيقة بنت البحث ، كما يقولون .

وسيشتمل موضوعنا على ثلاثة مباحث :

ونحوها ، والأصل براءة الناس من التزام التكاليف ، ولا يجوز الخروج عن هذا الأصل الا بنص صحيح صريح عن الله ورسوله ، ولم يوجد فى مسألتنا .

٢ — يؤيد هذا أن فقهاء المسلمين فى مختلف الأعصار ، وشتى الأقطار ، لم يقولوا بوجوب الزكاة فى هذه الأشياء ، ولو قالوا به لنقل عنهم .

٣ — انهم نصوا على ما يخالف ذلك فقالوا : لا زكاة فى دور السكنى ، ولا أدوات المحترفين ، ولا دواب الركوب ، ولا أثاث المنازل ونحوها .

واذا يكون الحكم عندهم : أن لا زكاة فى المصانع وان عظم انتاجها ، ولا فى تلك العمارات ، وان شهق بنيانها ، ولا فى تلك الســـيارات والطائرات والسفن التجارية ، وان ضخم ايرادها .

فاذا قبض من ايرادها شىء ، وبقى حتى حال عليه الحـــول ففيه زكاة النقود ٢/٢١٪ بشروطها المدونة ، وان لم يبق الى الحول نصـــاب أو ما يكمل نصابا فلا شىء عليه .

والتضييق فى أموال الزكاة مذهب قديم ، عرف به بعض السلف ، وتبناه ودافع عنه الفقيه الظاهرى ، ابن حزم ، وأيده فى الأعصر الأخيرة الشوكانى ، وصديق حسن خان ، حتى قالوا : لا زكاة فى عروض التجارة ، ولا فى الفواكه والخضراوات ونحوها !!

ومن أوضح العبارات فى ذلك ما قاله صاحب « الروضة الندية » ردا على من قال : « فى المستغلات صدقة » : ان ايجاب الزكاة فيما ليس من الأموال التى تجب فيها الزكاة باتفاق — كالدور والعقـــار والدواب ونحوها — بمجرد تأجيرها بأجرة من دون تجارة فى أعيانها ، مما لم يسمع به فى الصدر الأول الذين هم خير القرون ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فضلا من أن يسمع فيه بدليل من كتاب أو سنة(٢) .

---

(١) نشر هذا البحث فى العدد : ٢٩ .

(٢) الروضة الندية ج ١ ص ١٩٤ .

وأما المتوسعون فى الأموال التى تجب فيها الزكاة ، فيقررون وجوبها فى الأشياء المذكورة من مصانع وعمارات ونحوها ، وهو رأى بعض العلماء المعاصرين ، أمثال أساتذتنا الأجلاء : أبى زهرة وخلاف وعبد الرحمن حسن ، وهذا الرأى هو الذى أرجحه ، استنادا الى الأمور الآتية :

١ ــ أن الله اوجب فى كل مال حقا معلوما ، أو زكاة ، أو صدقة ، لقوله تعالى : « والذين فى أموالهم حق معلوم » وقوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة » وقوله صلى الله عليه وسلم : « ادوا زكاة أموالكم » من غير فصل بين مال ومال .

وقد رد ابن العربى على الظاهرية الذين نفوا وجوب الزكاة فى عروض التجارة لعدم ورود حديث صحيح فيها ، فقال : قول الله عز وجل : « خذ من أموالهم صدقة » عام فى كل مال على اختلاف أصنافه ، وتباين أسمائه ، واختلاف أغراضه ، فمن أراد أن يخصه فى شيء فعليه الدليل »(١) .

٢ ــ أن علة وجوب الزكاة فى المال معقولة ، وهى النماء ، كما نص الفقهاء الذين يعللون الأحكام ، ويعملون بالقياس ، وهم كافة فقهاء الأمة ما عدا جماعة قليلة من الظاهرية والمعتزلة والشيعة ، ومن هنا لم تجب الزكاة فى دور السكنى ، وحلى الجواهر ، وآلات الحرفة ، وخيل الجهاد بالاجماع ، وكان القول الصحيح سقوط الزكاة عن العوامل من الابل والبقر ، وعن حلى النساء المستعملة المعتادة ، وعن كل مال لا ينمى بطبيعته أو بعمل الانسان .

واذا كان النماء هو العلة فى وجوب الزكاة ، فان الحكم يدور معه وجودا وعدما ، فحيث تحقق النماء فى مال ، وجبت فيه الزكاة ، والا فلا .

٣ ــ أن حكمة تشريع الزكاة ــ وهى التزكية والتطهير لأرباب المال ، والمواساة لذوى الحاجة ، والاسهام فى حماية الدين والدولة ــ تجعل ايجاب الزكاة هو الاولى والأحوط لأرباب المال أنفسهم ، حتى يتزكوا ويتطهروا . وللفقراء والمحتاجين ، حتى يستغنوا ويتحرروا ، وللاسلام دنيا ودولة ، حتى تقوى شوكته ، وتعلو كلمته .

وقد قال الكاسانى فى دلالة العقل على فرضية العشر : (ان اخراج العشر الى الفقير من باب شكر النعمة ، واقدار العاجز ، وتقويته على القيام بالفرائض ، ومن باب تطهير النفس من الشح ومن الذنوب ، وتزكيتها بالبذل والانفاق ، وكل ذلك لازم عقلا وشرعا) . ا هـ . فهل يكون شكر النعمة ، ومساعدة العاجز ، وتطهير النفس وتزكيتها بالبذل ، لازما عقلا وشرعا لصاحب الزرع والثمر ، غير لازم لصاحب المصنع والعمارة والسفينة والطائرة ونحوها . مما يدر من الدخل أكثر مما تدره أرض الذرة والشعير بأضعاف مضاعفة ، وبجهد أقل من جهدها ؟

---

(١) شرح الترمذى ج ٣ ص ١٠٤ .

١ ــ أما قولهم : لا زكاة الا فيما أخذ منه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الزكاة ، فنقول : ان عدم نص النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أخذ الزكاة من مال ما ، لا يدل على عدم وجوب الزكاة فيه ، فانما نص النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الاموال النامية التى كانت منتشرة فى المجتمع العربى فى عصره ، كالابل والبقر والغنم من الحيوانات ، والقمح والشعير والتمر والزبيب من الزروع والثمار ، والدراهم الفضية من النقود .

ومع هذا أوجب المسلمون الزكاة فى أموال اخرى لم يجئى بهــا نص ، قياسا على تلك الأموال ، أو عملا بعموم النص ، وتطبيقا لما قرر من حكمة فرض الزكاة .

أ ــ من ذلك ما قاله الامام الشافعى فى الرسالة عند زكاة الذهب ، قال : وفرض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الورق (الفضة) والنقود الفضية صدقة ، واخذ المسلمون فى الذهب بعده صدقة ، اما بخبر من النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يبلغنا ، واما قياسا على ان الذهب والفضــة نقد الناس الذى اكتنزوه ، وأجازوه أثمانا على ما تبايعوا به فى البــلدان ، قبل الاسلام وبعده . ا هـ(١) .

واحتمال وجود خبر نبوى لم يبلغ الشافعى فى عصره ــ مع حاجة الناس الى تناقل هذا الخبر ــ احتمال ضــعيف ، فالعمدة هو القيــاس ، وبهذا جزم القاضى الفقيه أبو بكر ابن العربى ، فذكر فى شرح الترمذى ، فى بيان الحكمة فى ذكر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الفضة ، ونصابها ، ومقدار الواجب فيها ، وترك ذكر الذهب ، قال : ان تجارتهم انما كانت فى الفضــة خاصــة معظمها ، فوقع التنصيص على المعظم ليدل على الباقى ، لأن كلهم أفهم خلق الله وأعلمهم ، وكانوا أفهم أمة وأعلمها ، فلما جاء (الحمير) الذين يطلبون النص فى كل صــغير وكبير ، طمس الله عليهم باب الهدى ، وخرجوا عن زمرة من استن بالسلف واهتدى(٢) . وهو يعنى بكلمته الاخيرة العنيفة الظاهريين الذين ينفون القياس ، ولا يلتفتون الى العلل .

ب ــ ومن ذلك أنه لم يرد نص صحيح صريح بوجوب الزكاة فى العروض التجارية ، ومع هذا نقل ابن المنذر الاجماع على وجوبها ، ولم يخالف فى ذلك الا الظاهرية الذين تعلقوا بشبهات واهية .

جـ ــ ومن ذلك : أن عمر أمر بأخذ الزكاة من الخيل ، لما تبين له أن فيها ما تبلغ قيمته مبلغا عظيما من المــال ، وتبعه فى ذلك أبو حنيفة ، ما دامت سائمة ، واتخذت للنماء والاستيلاء .

د ــ أن أحمد أوجب الزكاة فى العسل ، لما ورد فيه من الأثر ، وقياسا على الزرع والثمر ، وأوجب الزكاة فى كل معدن ، قياسا على الذهب والفضة ، ولعموم آية « ومما أخرجنا لكم من الأرض » .

---

(١) الرسالة ص ١٩٣ ، ١٩٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر .

(٢) شرح الترمذى ج ٣ ص ١٠٤ .

هـ — أن الزهرى والحسن وأبا يوسف أوجبوا فيما يستخرج من البحر من لؤلؤ وعنبر ونحوهما الخمس ، قياسا على الركاز والمعدن .

و — أن كل مذهب من المذاهب المتبوعة ادخل القيـــاس فى الزكاة فى احكام عدة ، كقياس الشافعية غالب قوت البلد ، او غالب قوت الشخص على ما جاء به الحديث فى زكاة الفطر من التمر او الزبيب او الحنطة او الشعير . وكقياسهم كل ما يقتات على الاقوات الأربعة المذكورة ، التى جاء بها النص فى عشر الزرع والثمر .

٢ — وأما قولهم : ان فقهاء الاسلام فى جميع اعصاره وامصاره لم ينقل عنهم القول بذلك فلأن بعض هذه الأموال النامية لم ينتشر فى عصرهم انتشاره فى عصرنا ، مما يدفع الفقيه الى الاجتهاد والاستنباط ، وبعضها لم يكن موجودا قط ، بل هو من مستحدثات الأزمنة الأخيرة .

ومع هذا وجد من اقوال الفقهاء ما يدل على وجوب الزكاة فى هـــذه الأشياء ، كما سنذكر بعد .

٣ — وأما نص الفقهاء على اعفاء الدور والآلات ونحوها من الزكاة ، فهو عين الصواب ، ولكن هذه الأشياء التى أخرجها علماؤنا من وعاء الزكاة غير ما نحن فيه ، فدور السكنى غير العمارات الاســـتغلالية ، وآلات المحترف كالقـــدوم والمنشار ونحوهما ، غير الماكينات والاجهزة التى تنتج وتعمل وتدر ربحا ودخلا (!!) ودواب الركوب غير هذه السيارات والطائرات والجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ، وأثاث المنازل غير محلات الفراشة التى تؤجر اثاثها ومقـــاعدها ومعـــداتها للنـــاس ، فما أخطأ علماؤنا حين قرروا أن لا زكاة فيما ذكروا من الأشياء ، بل طبقوا بدقة وبصر ما اشترطوه لوجوب الزكاة . أن يـــكون المـــال ناميا ، فاضلا عن الحاجة الأصلية لصاحبه ، ولهذا علل صاحب « الهـــداية » الحكم بعدم الزكاة فى الأشياء المذكورة بقوله : لأنها مشغولة بالحاجة الأصلية . وليست بنامية أيضا(١) .

ووضح ذلك صاحب « العناية » فقال : يعنى أن الشغل بالحاجة الأصليه وعدم النماء ، كل منهما مانع من وجوبها . وقد اجتمعا هنا : اما كونها مشغولة بها ، فلأنه لا بد له من دار يسكنها ، وثياب يلبسها .. الخ . وأما عدم النماء فلأنه اما خلقى كما فى الذهب والفضة . واما باعداد للتجارة . وليسا موجودين ههنا(٢) .

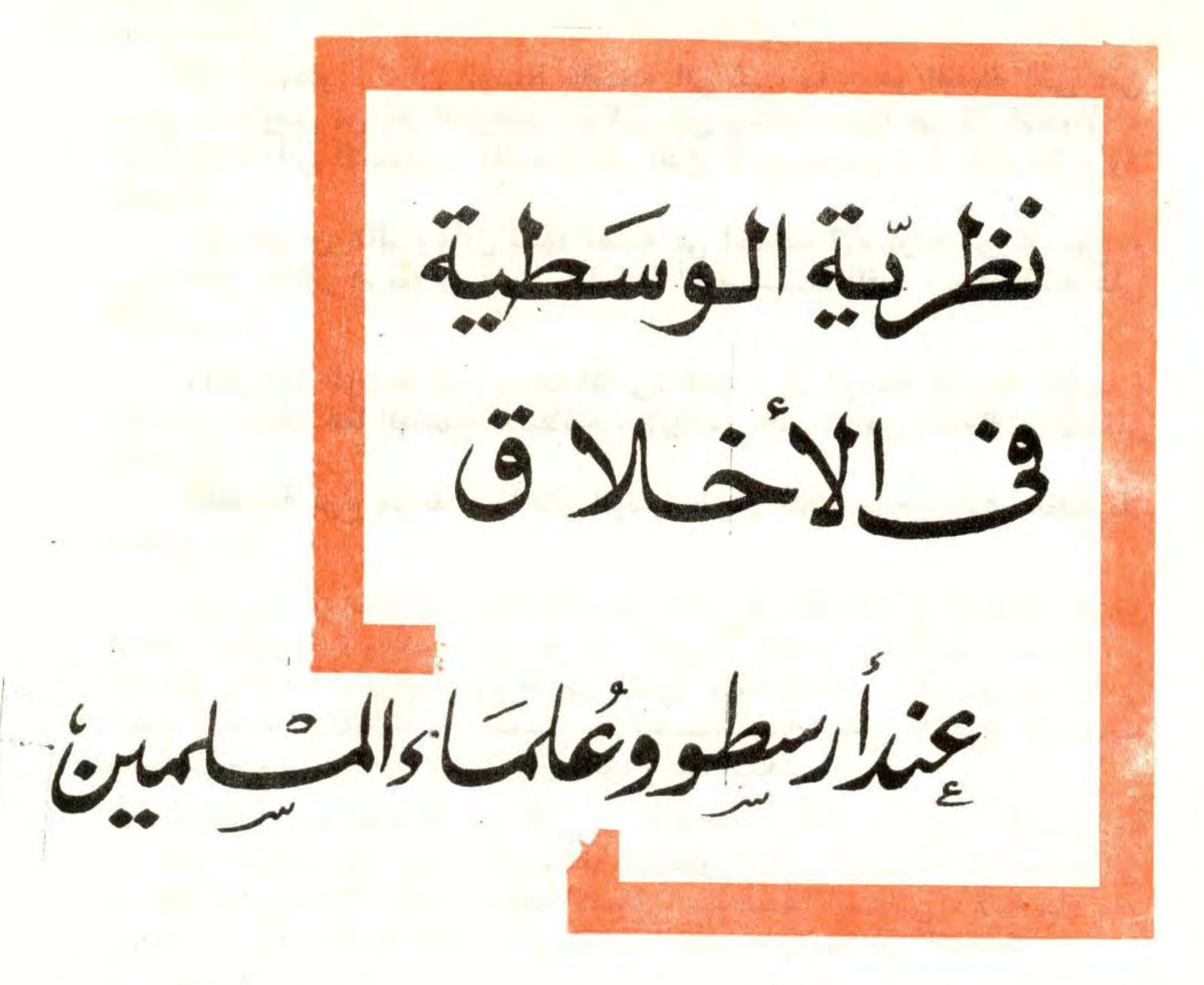
وعلى هذا اتفق الفقهاء : أن لا زكاة فى دار اتخذها صاحبها للســـكنى . وهذا من العدل والتيسير الذى جاء به الاسلام . وان كنا نرى كثيرا من قوانين الضرائب فى الدول المعاصرة تعمد الى أخذ ضريبة على العقار . ولو كان سكنا لصاحبه ، وقليل منها — مثل التشريع الامريكى — هو الذى نص على اعفاء مالك المبنى من الضريبة اذا كان يتخذه لسكناه .

هذا الى أن تعليل فقهائنا لعـــدم وجوب الزكاة فى الدور والثياب وآلات الحرفة ونحوها بأنها مشغولة بالحاجة الأصـــلية ، وبأنها غير نامية ، يدل — بمفهوم المخالفة — أن ما اتخذ منها للنماء ولغير الاستعمال فى الحاجة الأصلية يصبح صالحا لوجوب الزكاة .

---

(١) الهداية مع فتح القدير ج ١ ص ٤٨٧ .

(٢) العناية . نفس الصفحة السابقة .



نظرية الوسطية في الأخلاق عند أرسطو وعلماء المسلمين

عرض للنظرية ونقد لها

للدكتور : أحمد الحوفي

أستاذ بجامعة القاهرة وجامعة بغداد

تتراءى الأخلاق الاسلامية فى القمة أمام الباحث المنصف ، اذا ما وازن بينها وبين النظريات الأخلاقية المتعددة القائمة على أساس من العرف أو المنفعة ، أو السعادة الفردية ، أو العامة ، أو الضمير أو القوة أو الوسطية ، فان فى كل منها عجزا وقصورا وهبوطا عن الأوج الرفيع الذى تطل منه الفضائل الاسلامية .

فليكن هذا الحديث عن نظرية الوسطية ، لأنها كانت أكثر المذاهب شيوعا ، وأعظمها تأثيرا على الدارسين والباحثين منذ وضع أرسطو (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق . م) مقياسا للأخلاق وأساسا للفضائل : أنها وسط بين طرفين ، واعتدال بين رذيلتين .

عند أرسطو

قال أرسطو : « ان الوسط بالنسبة الى شيء ما ، هو النقطة التى على بعدين متساويين من كلا الطرفين ، والتى هى واحدة بعينها فى كل الأحوال . أما بالاضافة الى الانسان ، فالوسط هو الذى لا يعـــاب ، لا بالافراط ، ولا بالتفريط .

وكل انسان عالم وعاقل يجهد نفسه فى اجتناب الافــراط من كل نوع ، سواء أكان بالأكثر أم بالأقل ، ولا يطلب الا الوســـط القيم ، ويفضلــه على الطرفين ..

ولكن هذا الوسط ليس وسط الشيء عينه ، بل الوسط بالنسبة الينــا ، وأنا أعنى بالكلام هنا الفضيلة الأخلاقية ، لأنها هى التى تختص بانفعالات الانسان وأفعــاله .

فالفضيلة نوع وسط ، ما دام الوســط هو الغـــرض الذى تطلبه بلا انقطاع » (١) .

ثم ضرب أرسطو امثلة للحد الوسط ، فقال ان الاعتدال أو العفة وسط بين الفجور والخمود ، والسخاء وسط بين الاسراف والبخل ، والكبر وســـط بين الوقاحة والضعة ، والحلم وسط بين الفتور والشراسة ، والصدق وسط بين النفج (الادعاء والمبالغة) والتعميه ، والبشـــاشة وســـط بين الفظــاظة والسخرية ، والصداقة وسط بين الملق والشراسة . (٢)

ولقد اعجب بهذا المذهب كثير من العلماء ، وجــاراه بعض فلاســـفة المسلمين ، ولعل مرد هذا ، الى مكانة ارسطو ، والى ان مذهبه هذا يدعو الى الاعتدال ، والاعتدال خلة يرضاها الاسلام ، ويحمدها النـــاس ، لأنه يدل على الاتزان ، وعلى سلامة التقدير ، وصواب التدبير ، والبعد عن الشطط .

عند الغزالى

وحسبنا أن نذكر أن الغزالى (٤٥٠ — ٥٠٥ هـ) ذهب الى أن أمهـــات الأخلاق واصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والفقه والعدل ، وقال : ان المراد بالحـــكمة : حالة للنفس تدرك بها الصـــواب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية .

أما العدل : فهو حالة للنفس وقوة بها ، تسوس الغضب والشهـــوة ، وتحملهما على مقتضى الحكمة .

وأما الشجاعة فهى : انقياد قوة الغضب للعقل فى اقدامها وفى أحجامها .

وأما العفة فهى : تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع .

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلهــا ، اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير ، وجودة الذهن ، وثقابة الرأى ، واصابة الظن ، والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ، ومن افراطها تصــدر الجريزة — الخبث والخداع — والمكر والدهاء ، ومن تفريطها يصدر البله والغفلة والحمق والجنون .

---

(١) علم الأخلاق لأرسطو ٢٤٥/١ .
(٢) علم الأخلاق ٢٥٠/١ — ٢٥٧ .

وأما الشجاعة فيصدر منها الكرم والنجدة والشهامة والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها ، وافراطها ، وهو التهور ، يصدر منه الصلف والبذخ والتكبر والعجب ، وتفريطها تصدر منه المهانة والذلة والجزع والخسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب .

وأما العفة فيصدر منها السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والظرف وقلة الطمع ، وميلها الى الافراط أو التفريط يحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير ، والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء ، واستحقار الفقراء وغيرها .

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع وهى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، والباقى فروعها .

ولم يبلغ كمال الاعتدال فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ثم قال الغزالى ان الامساك حيث يجب البذل بخل ، وأن البذل حيث يجب الامساك تبذير ، وبينهما وسط هو المحمود ، وهو الجود أو السخاء أو الكرم ، اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا به ، وقد قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » (٢) ، وقال تعالى : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٣) ، فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض (٤) .

وردد الفكرة نفسها فى كتاب آخر ، فقال : ان الحكمة فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة : فضيلة القوة الغضبية ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، والعدالة : وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب .

وذكر أن الحكمة وسط بين رذيلتين هما الخب — الخداع — والبله ، وهما طرفا افراطها وتفريطها ، وأن الشجاعة وسط بين التهور والجبن ، والعفة وسط بين الشره — افراط الشهوة — والخمود .

ثم عقب على هذا بأن العدل لا تكتنفه رذيلتان ، بل ان رذيلة الجور هى المقابلة له (٥) .

وهكذا جعل يطبق مذهب الوسطية ، فالكرم وسط بين البذخ والشح ، والنجدة وسط بين الجسارة والجبن ، وكبر النفس وسط بين التكبر وصغر النفس ، والحلم وسط بين الاستشاطة والبلادة ، والوقار وسط بين الكبر والتواضع (٦) .

عند ابن مسكويه .

كذلك رأى ابن مسكويه (٤٢١ هـ) أن الفضائل أوساط بين أطراف ، وتلك الأطراف هى الرذائل ، ثم قال انه من الصعب وجود الوسط ، وأن التمسك به

---

(١) الاحياء ٤٦/٢ .
(٢) سورة الاسراء ٢٩
(٣) سورة الفرقان ٦٧
(٤) الاحياء ٢٢٥/٣
(٥) ميزان العمل للغزالى ٦٧ — ٧٤
(٦) الميزان ٧٥

بعد وجوده أصعب ، ولذلك قالت الحكماء : اصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها ، ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطئها أعسر وأصعب[1] . غير أنه مع هذا جعل يطبق النظرية كما طبقها سواه .

نقد نظرية الوسط :

لكن هذه النظرية ــ على قدمها وذيوعها ــ ليست سليمة من القصــــور والعيوب .

١ ــ ولقد يتضح قصوّرها اذا ما طبقناها على كل فضيلة من الفضـــائل . فالشجاعة مثلا ليست وسطا بين التهور والجبن ، وان كان التهور رذيلة والجبن رذيلة ، بل الشجاعة فضيلة حيثما كانت وكيفما كانت ، ما دامت سندا للحق . ودفاعا عن العرض والمال والحياة ، وحماية للضعفاء من جبروت الطغاة وعدوان الأقوياء .

ولن تكون الشجاعة فى حال من أحوالها هذه مذمـــومة ، ولن تكون فى مجاوزتها الحد المألوف رذيلة توصف بالتهور ، لأن التهور ليس شجاعة انحرفت عن الوسطية الى طرف التهور كما يقول دعاة الوسطية ، بل التهـــور رذيلة ، لأنه حمق وخرق وخطل فى التدبير وعجز عن ضبط النفس وغفلة عن الحـــزم وعن تدبر العواقب .

ليست الشجاعة دائما الا يخاف المقدم ، فانها كما تكون فى الاقـــدام تكون فى الاحجام ، وكما تكون فى الاستهانة بالمخاوف تكون فى توقى بعض المخـــاوف ، وفى تقديرها ، وفى التغلب عليها ، لا للاستكانة لهـــا .

وهذه الشجاعة درجات ، أولاها فضيلة ، وعلياها فضيلة ، بل أفضـــل الفضيلة ، وهى الفداء والبطولة والاستشهاد . وكذلك الكرم تتفاوت درجاته من جود بالقليل الى جود بالكثير الى بذل للأكثر الى سخاء بالمال كله ، ولكل حالة من هذه الحالات بواعثها واهدافها السامية .

فقد يجود الشخص فى سبيل الخير بالعشرة أو بالمئة ويسمى كريما ، لأن طاقته لا تحتمل اكثر من هذا ، أو لأن الصالح العام لا يوجب عليه فوق هذا .

وقد يجود شخص بالآلاف أو بمئات الآلاف ، ولا يسمى مسرفا ، لأن ثراءه يتسع لهذا السخاء ، أو لأن مصلحة الأمة توجب هذا السخاء وتقتضيه .

على أن هذا الشخص أو ذاك يوصف بالاسراف اذا بذل المال القليل فى عبث لا يمت الى الخير بسبب ، أو أنفق الكثير فى هوى من أهواء نفسه ، وقد كان فى القليل غناء ، أو انفق اقل القليل فى معصية الله او اضرار الناس .

وهل يستطيع الناس أن يصفوا بالاسراف غنيا لا وارث له يخرج عن ماله كله للفقراء ، او يشيد به مدرسة او مسجدا او مصنعا ، أو يشترى به سلاحا للدفاع عن الوطن ؟ .

ان هذا الغنى لا يوصف الا بأنه بلغ ذروة الأريحية والسخاء .

تحديد الوسط صعب

وهل يستطيع احد ان يصف بالتهور البطل المقدام الذى يستهين بالحيـــاة ليفتدى دينه او وطنه او عرضه ؟

وهذا الذى نقوله فى نقد الوسطية فى الفضائل كلها ، نقـــول مثله فى نقدها فى الرذائل كلها ، كالجبن والبخل والفجور وغيرها .

---

(١) تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ٢٠ .

٢ ــ على أن نقطة الوسط بين الرذيلتين لا يمكن تحديدها ، فكيف تعرف ؟ ومن الذى يحكم بأن هذه النقطة هى الاعتدال دون غيرها ؟ وهل الوسط بين رذيلتين محدود ، أو ممكن التحديد ، مثل منتصف طريق معروف الطول ؟ وأين ذلك المقياس الذى يعين المنتصف الذى عناه ارسطو وسواه ؟ وانه ليسترعى النظر حيرة أرسطو فى تعيين الوسط ، فقد ذكر أن ادراك الوسط فى كل شىء أمر صعب جدا ، كما أن استكشاف مركز دائرة لا يتيسر لجميع الناس ، ولهذا كان على من يريد اصابة ذلك الوسط أن يبتعد عن الرذيلة التى هى أشد ما تكون تضادا مع هذا الوسط ، لأن هذين الطرفين أحدهما أكبر اثما والآخر أقل (١) .

وقد سبق قول ابن مسكويه انه من الصعب جدا وجود الوسط ، وان اصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها .

٣ ــ ونستطيع أن نفهم من كلام أرسطو نفسه أن الوسط متنقل غير ثابت ولا محدد ، فهو تارة يقول أن المراد الوسط بالنسبة الينا (٢) ، وتارة يقول أن بعض الأطراف تشبه الوسط ، فالتهور به بعض شبه بالشجاعة ، والسرف به شبه بالسخاء ، ولكن المفارقة الكبرى تتبين بين بعض الأطراف وبعض (٣) .

٤ ــ فاذا ما راعينا أن الفضيلة ليست دائما متساوية البعد عن الطرفين تبين لنا أن الوسط بين رذيلتين ليس هو الفضيلة ، لأن الشجاعة أبعد عن الجبن من بعدها عن التهور ، والكرم أقرب الى جانب الاسراف منه الى جانب البخل ، والعفة أدنى الى الخمود منها الى الفجور ، وهكذا .

٥ ــ على أن بعض الفضائل لا يتحقق فيها أنها أوساط بين رذائل ، فالصدق ليس وسطا بين الكذب وشىء آخر ، انما الصدق صدق فحسب ، والكذب كذب فحسب ، والعدل ليس وسطا بين الجور وشىء آخر ، بل العدل عدل خالص والجور جور خالص ، والعفة ليست وسطا بين الفجور والخمود ، بل العفة هى العفة .

وقد ذكر ارسطو ان الوسط القويم بين طمع غال فى المجد وقعود تام عن المجد ليس له اسم خاص (٤) ، وذكر أن الصدق ليس وسطا بين رذيلتين (٥) ، وحار فى التواضع فلم يعده فضيلة (٦) .

ولعلنا ما زلنا نذكر أن الغزالى ــ وهو من دعاة نظرية الوسط ــ جهر بأن العدل لا تكتنفه رذيلتان ، وقال إن الرذيلة المقابلة للعدل هى الجور .

شبهة وردود :

قد يتبادر الى الخاطر أن فى بعض الآيات القرآنية مدحا للوسط بذلك المعنى ودعوة اليه .

١ ــ فالكرم مثلا وسط بين البخل والاسراف ، لقوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

---

(١) علم الأخلاق ٢٦٢/١ .
(٢) علم الأخلاق ٢٤٥/١ .
(٣) علم الأخلاق ٢٥٩/١ .
(٤) علم الأخلاق ٣٢/٢ .
(٥) علم الأخلاق ٤٣/٢ .
(٦) علم الأخلاق ٢٥٠/١ .

لكن هذا الفهم غير صحيح ، لأن الآية الكريمة مسبوقة بقوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا »(١) ، ومعنى هذا أن الله سبحانه أمر عباده بصلة أقاربهم وبصلة المساكين وأبناء السبيل ، بعد أن أمرهم فى آية سابقة ببر آبائهم وأمهاتهم ، ثم نهاهم عن التبذير وهو الانفاق فى المعاصى وفى غير الحق ، ونهاهم عن التقتير وهو البخل بالمال فى الخيرات والطاعات ، وهذا هو المعنى الذى روى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ومجاهد وقتادة وابن زيد .

أمّا الانفاق فى الخير وفى الحق فقد قال فيه مجاهد : لو أنفق انسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ، ولو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا(٢) ، وروى عنه قوله : لو انفقت مثل ابى قبيس ذهبا فى طاعة الله ما كان اسرافا . ولو انفقت صاعا فى معصية الله كان اسرافا(٣) .

واذن فقد نهى الله عن البخل فى الحقوق التى أوجبها على الأغنياء فى أموالهم ، ونهى عن السفه فى الانفاق ، لأن السفيه باتلافه لن يجد ما ينفقه على نفسه فيما بعد ، ولن يجد ما يعطيه اذا اراد العطاء ، فيلوم نفسه ويلومه غيره .

على أن بعض المفسرين ذهب الى أن المراد بالبسط انفاق المال فى المعاصى وفيما يسخط الله تعالى وفيما لا ينبغى انفاق المال فيه(٤) (!!!)

والذى يصح استنباطه من هذا أن القرآن الكريم أمر بفضيلة هى الجود بالمال على المحتاجين من الأقرباء والمساكين وابناء السبيل ، وفى اعزاز الدين وحمايته والدفاع عنه ، ونهى عن رذيلة هى : البخل ، وعن رذيلة اخرى هى : الاسراف ، قال تعالى : « كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين »(٥) .

فليس فى الآيات ما يفهم منه أن الكرم وسط بين رذيلتين ، بل الذى يفهم أن القرآن نهى عن رذيلتين هما البخل والاسراف ، وبين هاتين الرذيلتين درجات من الكرم تختلف باختلاف مقدرة المنفقين ، فقد يكون انفاق شخص معتدلا وهو أقرب الى البذل الكثير ، وقد يكون انفاق آخر معتدلا وهو شديد القرب الى الحرص والتقتير ، وربما يسخو الشخص بماله كله فى نصرة الحق والخير وهو براء من التبذير .

وعلى غرار هذا الفهم ينبغى تفسير قوله تعالى : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »(٦) . لأن القوام هو الاستقامة والاعتدال .

مع الرسول وصحابته

ولنرجع الى مشرق الاسلام لتطالعنا أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الاسراء ٢٦ — ٢٩ .

(٢) تفسير الطبرى ١٥/٥٣ .

(٣) الطبرى ١٩/٢٣ .

(٤) الطبرى ١٥/٥٦ .

(يضعف هذا التفسير أن الله يقول : « ولا تبسطها كل البسط » ومعنى هذا أن يبسطها بعض البسط وهذا يؤدى الى جواز انفاق شىء من المال فى المعاصى . وهو فاسد . (الوعى)

(٥) سورة الانعام ١٤١ .

(٦) سورة الفرقان ٦٧ .

وأعمال صحابته بما ينقض نظرية الوسطية فى كل فضيلة من الفضائل ولنتخذ الكرم نموذجا للتطبيق .

لقد كانوا أسخياء بأموالهم فى حماية الدعوة ، وفى مؤازرة الرسول ، وفى محاربة الذين يصدون عن سبيل الله ، وفى الانفاق على الفقراء من المسلمين الذين فقدوا أموالهم فى سبيل الله ، أو عجزوا عن الكسب ، وفى رعاية اليتامى والأيامى ، وفى تحرير الأرقاء ، وما شاكل هذا من جليل ونبيل .

وكان النبى وبعض صحابته يعطون وهم فى حاجة الى ما يعطون ، ويبذلون الكثير وهم فى حاجة الى القليل ، وهذه هى الدرجة العليا من الكرم التى امتدحها الله تعالى فى قوله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (١) . فمثلا حملت الى النبى تسعون الف درهم ، فوضعها على حصير ، ثم قام اليها فقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها .

وأتى بمال من البحرين فقال : انثروه فى المسجد ، وكان اكثر مال أتى به ، فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه ، فما راى أحدا الا أعطاه ، وما قام وتم منها درهم .

وكان من الصحابة من يتصدق بثلث ماله ، ومنهم من يجود بنصف ماله ، ومنهم من يسخو بماله كله .

قال عمر بن الخطاب : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، ووافق ذلك مالا عندى ، فقلت : اليوم اسبق ابا بكر ، فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله : ماذا ابقيت لأهلك ؟ فقال : مثله . وجاء ابو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله :ما ابقيت لأهلك ؟ فقال : ابقيت لهم الله ورسوله : فقلت : لا اسبقه ابدا .

كذلك كان عثمان بن عفان ، فقد اشترى وحده بئرا من يهودى بالمدينة بعشرين الف درهم ، وجعلها ملكا للمسلمين ، واشترى وحده موضع خمس سوار (اى اعمدة) زاد بها مساحة مسجد المدينة ، وهو الذى مد الجيش الاسلامى فى غزوة تبوك بتسعمائة بعير وخمسين فرسا وألف دينار .

فها هنا سخاء كثير ، لكنه ليس من الاسراف فى شىء ، لأن البذل فى الطاعات لا يوصف باسراف ، فقد سمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف ، فقال له : لا اسراف فى الخير .

٢ ــ اما قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٢) ، فان الوسط هو الاعتدال والشرف والخير ، ومنه رجل وسيط فى قومه اى شريف حسيب .

وذلك ان الناس كانوا قبل الاسلام قسمين : قسم يلتزم بالمادية المحضة كاليهود والمشركين ، وقسم يعيش فى روحانية خالصة كالرهبان من النصارى واصحاب الرياضات من وثنيى الهنود ، فجاء الاسلام جامعا حق الروح وحق الجسد .

والمراد انكم عدول خيار تستمتعون بالحقين ، وتبلغون الكمالين ، وستكونون شهداء على الناس الذين فرطوا فى دينهم بتهالكهم على دنياهم ، وعلى الناس الذين تغالوا فى دينهم واهملوا دنياهم ، وسيكون الرسول شهيدا عليكم فيما وافقتم فيه سنته أو خالفتم لأنه المثل الأعلى فى رعاية دينه ودنياه .

---

(١) سورة الحشر ٩ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟ قال أبو ذر : فلا تقله . قال معاوية : فانى لا أقول انه ليس لله ، ولكن سأقول ((مال المسلمين)) . وأتى ابن السوداء الصحابى الجليل فقيه أهل الشام أبا الدرداء فقال له : ما قال لأبى ذر ، فأجابه أبو الدرداء : من أنت ؟ أظنك والله يهوديا . وأتى ابن سبأالصحابى المجاهد عبادة بن الصامت فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر .

قال القاضى أبو بكر بن العربى — ووقع بين أبى ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام مالم يكن يقوله فى زمان عمر ، فاعلم معاوية بذلك عثمان ، وخشى من العامة أن تثور منهم فتنة ، فان أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم ، وانما هى مخصوصة ببعضهم ، فكتب عثمان الى أبى ذر أن يقدم المدينة ، فلما قدم اجتمع اليه الناس ، فقال أبو ذر لعثمان : أريد الربذة ، فقال له عثمان : افعل ، فاعتزل . قال القاضى الاندلسى ابوبكر بن العربى : ولم يكن يصلح له الا ذلك لطريقته .

((والربذة)) ضاحية من ضواحى المدينة تبعد عنها ثلاثة أميال ، وتتوفر فيها راحة السكن والعزلة ، وأبو ذر نفسه هو الذى اختار الاقامة فيها كما روى المؤرخ الكبير ابن خلدون فى بقية الجزء الثانى من تاريخه (ص ١٣٩) قال : ان أبا ذر استأذن عثمان فى الخروج من المدينة ، وقال ((ان رسول اللهصلىالله عليه وسلم أمرنى أن أخرج منها اذا بلغ البناء سلعا)) فاذن له عثمان ونزل الربذة وبنى فيها مسجدا ، واقطعه عثمان صرمة من الابل ، وأجرى عليه رزقا وكان يتعاهد المدينة بين حين وآخر ، قال ياقوت فى معجم البلدان — وكانت الربذة من أحسن منزل فى طريق مكة .

والذى تحصل عندى من تتبع نصوص الشريعة فى أمر المال ، ومراقبتى لتطبيق هذه النصوص فى سيرة السلف وعملهم بها ، أن المسلم بعد أداء زكاة المال يكون فى امتحان من الله كيف يحسن التصرف فى ماله بما يرضى الله ويزيد المسلمين قوة وسعادة وعزا ، فان كان تاجرا فمن طريق التجارة ، أو مزارعا فمن طريق الزراعة ، أو صاحب مصنع فمن طريق الصناعة ، والاسلام فى دور قيامه استفاد من ثروة أغنياء الصحابة عونا ويسرا وقوة ، وتجارة التاجر المسلم اذا أغنت المسلمين عن متاجر أعدائهم تعتبر قوة لهم ، بقدر ما يصدق صاحبها فى هذه النية ، وكذلك مصنع الصانع المسلم ، وزراعة الزارع المسلم ، والنية فى هذه الأمور أمرها عظيم ، وميزانها العمل عندما تمس الحاجة اليه .

وبالجملة فان للمسلم أن يكون غنيا بلا تحديد ، بشرط أن يكون ذلك من حله ، وأن يكتفى منه بالصرف على ما يكفيه بالمعروف ، محاولا دائما أن يحرر نفسه من العبودية والانقياد للكماليات ، فضلا عن توافه الحضارة وسفاسفها ، وبعد أن يؤدى زكاة ما يملك يعتبر ما زاد عن حاجته كالأمانة لله تحت يده ، فيتصرف فيها بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسرا وعزا وسعادة .

أما طريقة أبى ذر فى أن لا يبيت المسلم وعنده مال ، فليست من مصلحة المسلمين ، وطريقة بعض أغنياء المسلمين الآن — فى أن يعيشوا لأنفسهم ومتعهم غير مبالين بعزة الاسلام وقوة دولته وحاجة أهله — ليست من الاسلام ، والاسلام لا يعرف الذين لا يعرفونه ، ولى فى ذلك مقالة فى صدر جزء شوال سنة ١٣٧٤ هـ. من مجلة الأزهر ، لعل فيها ما يزيد هذا الموضوع بسطة ووضوحا .

((للبحث بقيــة)) .



أهل الحديث

للدكتور: تقى الدين الهلالى

مكناس ـــ المغرب

ندبنى الاستاذ رئيس تحرير مجلة (الوعى الاسلامى) الى المشاركة فى تحرير مقالات هذه المجلة المباركة ، التى أسست لايقاظ المسلمين ، ونشر الوعى فى نفوسهم ليزدادوا تبصرا ، واستنارة فى أمر دينهم ودنياهم ، ويعيدوا للاسلام عزته ومجده ، ففكرت فى الموضوع الذى أطرق بابه ، فبدا لى موضوع شريف يهم كل قارىء من المسلمين ، وكل طالب علم من المحصلين ، الا وهو معرفة أهل الحديث ، نضر الله وجوههم ، فانه موضوع مع شرفه وفضله قل من يشتغل به فى هذا الزمان ، واذا علمنا أن حديث النبى صلى الله عليه وسلم هو خير الكلام بعد كلام الله تعالى ، ولا يمكن تدبر الكتاب العزيز ، ومعرفة معانيه الا بالعلم بأحاديث نبيه الكريم لقوله تعالى فى سورة النحل ٤٤ (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) .

فالتفكر والتدبر للقرآن متوقفان على بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحديث هو الاصل الثانى من أصول الاسلام التى عليها تقوم الشريعة ، وبها تستنبط الاحكام . روى مالك فى الموطأ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله .

قال مؤلف تنقيح الرواة فى تخريج أحاديث المشكاة : سنده هذا المرسل بحديث (أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم من رواية معقل بن يسار عند الحاكم باسناد حسن . وأيضا له شاهد عن ابن عباس يرفعه عند الحاكم والبيهقى (انى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه) الحديث ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد . اهـ . .

وفضائل علم الحديث كثيرة ، والمراد هنا ذكر نبذة فى فضل اهل الحديث ، قبل ذكر تراجم اهل الحـــديث من الصحابة والتابعين ، والائمة المجتهدين فمن بعدهم .

قال استاذى العالم الربانى عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباكبورى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ فى مقدمة كتابه (تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى) ص ٦ ما نصه : وقد ورد فى فضيلة علم الحديث واهله احاديث كثيرة ، وانا اقتصر هنا على ذكر خمسة احاديث .

الاول : روى الترمذى عن ابن مسعود قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اولى الناس بى يوم القيامة اكثرهم على صلاة . وقال : هـــذا حديث حسن غريب . قال القارى فى المرقاة شرح المشـــــكاة : ورواه ابن حبان فى صحيحه ، ذكره ميرك . والاحاديث فى هذا الباب كثيرة .

قال ابن حبان عقب الحديث : فى الخبر بيان صحيح على ان اولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فى القيامة يكون اصحاب الحديث ، اذ ليس فى هذه الامة قوم اكثر صلاة عليه منهم . وقال غيره : لانهم يصلون عليه قولا وفعلا . ا هـ .

وقال الخطيب فى كتابه شرف اصحاب الحديث : قال لنا ابو نعيم : هذه منقبة شريفة تختص بها رواة الآثار ونقلتها ، لانه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر ما يعرف لهذه العصابة نسخا وذكرا .

وقال ابو اليمن بن عساكر : ليهن اهل الحديث هذه البشرى ، فقد اتم الله تعالى نعمه عليهم بهذه الفضيلة الكبرى ، فانهم اولى الناس بنبيهم واقربهم — ان شاء الله تعالى — وسيلة يوم القيامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يخلدون ذكره فى طروسهم ، ويجددون الصلاة والتسليم عليه فى معظم الاوقات فى مجالس مذاكرتهم ودروســـــهم ، فهم ان شاء الله تعالى الفرقة الناجية ، جعلنا الله منهم وحشرنا فى زمرتهم . ا هـ .

الحديث الثانى : روى الترمذى عن ابن مسعود قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله امرءا سمع منا شيئا ، فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ اوعى من سامع . وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفى الباب احاديث اخرى ، وقال القارى : خص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء ، لانه سعى فى نضارة العلم ، وتجديد السنة ، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله ، وهذا يدل على شرف الحديث وفضـــــله ودرجة طلابه ، حيث خصهم النبى صلى الله عليه وسلم بدعاء لم يشرك فيه احدا من الامة ، ولو لم يكن فى طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة سوى ان يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنما ، وجعل فى الدارين حظا وقسما . ا هـ .

وقال القاضى ابو بكر بن العربى : قال علماء الحديث : ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبى صلى الله عليه وســـلم نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها ، فأداها كما سمعها . الحديث . .

قال : وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ، ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته . ا هـ

والى هذه النضرة اشار ابو العباس العزفى بقوله :

اهل الحديث عصابة الحق فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة لألاؤها كتألق البرق
يا ليتنى معهم فيدركنى ما ادركوه بها من السبق

الحديث الثالث : روى الطبراني فى الاوسط عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم خلفائى ، قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يروون احاديثى ، ويعلمونها الناس .

قال القسطلانى فى ارشاد السارى بعد ذكر هذا الحديث : ولا ريب ، أن اداء السنن الى المسلمين نصيحة لهم من وظائف الانبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فمن قام بذلك كان خليفة لمن يبلغ عنه ، وكما لا يليق بالانبياء عليهم السلام ان يهملوا أعاديهم ولا ينصحوهم ، كذلك لا يحسن لطالب الحديث وناقل السنن أن يمنحها صديقه ، ويمنعها عدوه ، فعلى العالم بالسنة ان يجعل أكبر همه نشر الحديث فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه حيث قال : بلغوا عنى ولو آية . الحديث رواه البخارى .

قال المظهرى : أى بلغوا عنى أحاديثى ، ولو كانت قليلة . قال البيضاوى : قال : ولو آية ، ولم يقل : ولو حديثا ، لأن الامر بتبليغ الحديث يفهم منه بطريق الاولوية ، فان الآيات مع انتشارها وكثرة حفظتها تكفل الله تعالى بحفظها وصونها عن الضياع والتحريف . ا هـ .

وقال مالك رحمه الله تعالى : بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيامة عن تبليغهم العلم كما تسأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقال سفيان الثورى : لا أعلم علمًا افضل من علم الحديث ، لمن اراد به وجه الله تعالى . ان الناس يحتاجون اليه حتى فى طعامهم وشرابهم ، فهو افضل من التطوع بالصلاة والصيام ، لأنه فرض كفاية . ا هـ .

الحديث الرابع : روى البيهقى فى المدخل عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين . . كذا فى المشكاة .

قال القسطلانى بعد ذكره من حديث اسامة بن زيد : وهذا الحديث رواه من الصحابة ، على وابن عمر وابن عمرو ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر بن سمرة ، ومعاذ ، وأبو هريرة ، وأورده ابن عدى من طرق كثيرة ، كلها ضعيفة ، كما صرح به الدارقطنى وأبو نعيم ، وابن عبد البر . لكن يمكن أن يتقوى بتعدد طرقه ، ويكون حسنا كما جزم به العلائى ، وفيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية ، وتعظيم لهذه الامة المحمدية ، وبيان لجلالة قدر المحدثين ، وعلو مرتبتهم فى العالمين ، لأنهم يحمون مشارع الشريعة ومتون الروايات ، من تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ، بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه اليها .

وقال النووى فى أول تهذيبه : هذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم وحفظه ، وعدالة ناقليه ، وان الله تعالى يوفق له فى كل عصر خلفاء من العدول يحملونه ، وينفون عنه التحريف ، فلا يضيع ، وهذا تصريح بعدالة حامليه فى كل عصر ، هكذا وقع ، ولله الحمد ، وهو من اعلام النبوة . ولا يضركون بعض الفساق يعرف شيئا من علم الحديث ، فان الحديث انما هو اخبار بأن العدول يحملونه ، لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئا . ا هـ

على أنه قد يقال ما يعرفه الفساق من العلم ليس بعلم حقيقة لعدم عملهم ، كما أشار اليه سعد الدين التفتازانى فى تقرير قول التخليص ، وقد ينزل العالم بمنزلة الجاهل ، وصرح به الشافعى : ولا علم الا مع التقى ، ولا عقل الا مع الأدب ، ونظمته فقلت من بحر الطويل :

ولا خير فى علم اذا لم يكن تقى — ولا خير فى عقل اذا لم يكن ادب

ولعمرى ، ان هذا الشأن من اقوى أركان الدين ، وأوثق عرى اليقين ، لا يرغب فى نشره الا صادق تقى ، ولا يزهد فيه الا كل منافق شقى .

قال ابن القطان : ليس فى الدنيا مبتدع الا وهو يبغض اهل الحديث . وقال الحاكم : لولا كثرة طائفة المحدثين على حفظ الاسانيد لدرس منار الاسلام ، ولتمكن أهل الالحاد والمبتدعين من وضع الاحاديث وقلب الاسانيد . ا هـ

واقتصر على هذا فى ذكر اقوال اهل العلم فى فضائل أهل الحديث نثرا ، وأما النظم فمن أجمل ما قيل فى ذلك ما أنشده القسطلانى فى مقدمة شرحه لصحيح البخارى لأبى بكر حميد القرطبى الاندلسى رحمه الله :

نور الحديث مبين فادن واقتبس — واحد الركاب له نحو الرضى الندس

واطلبه بالصين فهو العلم ان رفعت — أعلامه برباها يا ابن أندلس

فلا تضع فى سوى تقييد شارده — عمرا يفوتك بين اللحظ والنفس

وخل سمعك عن بلوى أخى جدل — شغل اللبيب بها ضرب من الهوس

الى أن قال :

واقف النبى وأتباع النبى وكن — من هديهم أبدا تدنو الى قبس

والزم مجالسهم واحفظ مجالسهم — واندب مدارسهم بالاربع الدرس

واسلك طريقهم والزم فريقهم — تكن رفيقهم فى حضرة القدس

تلك السعادة أن تعلم بساحتها — فحط رحلك قد عوفيت من تعس

وقد اقترح على العالم السلفى محمد حسين الفقى الحجازى الجدى سنة ١٣٤١ هـ حين حججت أول حجة تخميس هذه القصيدة ، وكنت مشغول البال بالاهتمام بالسفر الى الهند فى طلب علم الحديث ، فلما وصلت الى دلهى عاصمة الهند ، واستقررت فيها ، استجابت القريحة لطلب العالم المذكور فنظمت

تخميسها ونشرته فى دلهى مع قصائد أخرى سميتها (الهـدايات) وقد نقله بتمامه استاذنا الاحوذى ، المتقدم ذكره ، مصـــدرا له بقوله : وقال بعض الاعلام ، اثبته هنا الا بيتا واحدا ، وهذا نص التخميس .

ان كنت تطلب علمـــا جد ملتمس وحرت اذ غم عنـك الرطب باليبس

فاســـمع لنصح لبيب أى محترس

نور الحـديث مبين فادن واقتبس واحد الركاب له نحو الرضى الندس

واقطع علائق من تحصـــيله منعت تنظر شموس الهدى فى الافق قدطلعت

وحجب غى ترى عن قلبـك ارتفعت

فاطلبه بالصين فهو العلم ان رفعت أعـــلامه برباها يا ابن أندلس

ولازم الدرس واغنـــم من فوائده لا تقنـــع الدهر من حلوى موائده

وأشرب فديتك عـــلا مـن موارده

ولا تضع فى سوى تقييد شـــارده عمـرا يفـوتك بين اللحظ والنفس

دع الكلام فما فيه ســـوى الخطل وانبذ مجالســـه تحفظ من العـلل

فذاك شر ابتـــداع جاء بالخـــلل

وخل ســمعك عن بلوى أخى جدل شغل اللبيب بهـا ضرب من الهوس

الله يعـــلم كم ســيق من ضرر للنـاس من أجله فى البدو والحضر

اقبح بهـا بدعة تدنى الى ســـقر

الى أن قلت :

ورد بقلبك عذبا من حياضـــــهما تغسل بماء الهدى ما فيه من دنس

شد الرحال اليهم كى تجالســـهم واحذر فديتك يوما أن تعاكســـهم

لا تحسدنهم ولكن كن منافســـهم

والزم مجالسهم واحفظ مجالســهم واندب مدارســـهم بالاربع الدرس

واطلب مودتهم وكن صـــديقهم وكن مجالســـهم تشرب رحيقهم

وقرهم كلهـــم واعرف حقوقهـــم

واســلك طريقهم واتبـــع فريقهم تــكن رفيقهم فى حضرة القـــدس

هى الشريعة فانظر فى ســماحتها كفيلة للنفـــوس باســـتراحتها

فى حظـــرها حكمة وفى اباحتهـــا

تلك السعادة ان تلمم بســـاحتها فحـط رحلك قد عوفيت من تعس



للشيخ : عبد المنعم النمر

تقـــدير يســـتحق التقدير

صورة طيبة كريمة من تقدير العلماء العاملين وتكريمهم ، رأيت ألا تمر دون أن أسجلها ، ويعرفها قراء الوعي في كل مكـــان .. في وقت قل فيه من يقـــدر العلماء الذين يقفون حياتهم ونشاطهم على خدمة الاسلام والمسلمين ..

في يوم الأربعاء الرابع من شهر صفر عام ١٣٨٨ هـ. الأول من شهر مايو ١٩٦٨ ، انتقل الى رحمة الله العالم الجليل الشيخ محمد محمد المدنى الذى عرف في كل ركن من أركان العالم الاسلامي ببحوثه وأحاديثه الاسلامية في الاذاعـــة والتليفزيون ، وعرفه تلامذته أستاذا للشريعة الاسلامية ، وعميدا لكلية الشريعة بجامعة الأزهر ، وأخيرا أستاذا ورئيسا لقسم الشريعة بجامعة الكويت ، كمـــا عرفه قراء « الوعي » ببحوثه الفقهية العميقة ..

ولقد ظل عليه رحمة الله في مستشفى الصـــباح ، منذ عاد من فريضـــة الحج ، حتى لقي ربه ، بين الأسى والأسف عليه ، من جميع الذين عرفوه ، من قريب أو بعيد ..

والصورة الطيبة الكريمة التى أحببت أن أسجلها هنا بالشكر والتقدير هى ما أصدره مجلس الوزراء الكويتي في جلسته المنعقدة يوم الأحد ٨ صفر ـــ ٦ مايو من : « صرف المخصصات المالية للمغفور له الأستاذ الشيخ محمد محمد المـــدنى أستاذ الشريعة ورئيس قسم الشريعة والدراســـات الاسلامية بكلية الحقـــوق بجامعة الكويت اعتبارا من تاريـــخ وفاته في ٦٨/٥/١ جتى نهايـــة اعارته في ٦٨/٨/٣١ تقديرا للجهود المشكورة التى بذلها فضيلته في مجال الثقافة والبحث الاسلامى » .

ان ما يعنيني في هذا القرار ، ويعني القراء ، وكل محب للاسلام ، مقدر لعلمائه ، هو المعنى الكريم الذى يحمله هذا القرار ، ويعبر عنه صراحة مـــن (تقدير للجهود المشكورة التى بذلها فضيلته في مجال الثقافة والبحث الاسلامى)

انه تقدير من دولة الكويت لجميع العاملين في خدمة الاسلام في كل مكان ، يقابلونه بالشكر والتقدير وعرفان الجميل .

شيء غريب !!!

جاء في جريدة « الحياة » البيروتية بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٦٨ : « ان اسرائيل خطت خطوة أخرى في تنفيذ سياستها التوسعية على أساس خريطة خيالية تريد أن تنبشها من بطن الماضي السحيق . فقد أعلن رئيس مجلس الآثار الاسرائيلي ان خريطة لما يزعم انه « لمملكة اسرائيل » الوارد ذكرها في التوراة يجرى إعادة رسمها على أساس نتائج عملية مسح للآثار في مناطق جبال **(اليهودية والسامرية) (وهو الاسم الجديد الذى اطلقه العدو على الضفة الغربية المحتلة ومرتفعات الجولان السورية المحتلة) . ا.هـ .**

يستطيع القارىء أن يأخذ من هذا الخبر صورة عن الروح الدينية التى يترسمها الصهيونيون في خطواتهم ، كما جاء في التوراة ، وهو يؤكد ما قلناه في افتتاحية العدد الماضى ، ونادينا من أجله الحكام المسلمين جميعا ألا يتهيبوا من إعلان احتضانهم لدينهم ، والسير على تعاليمه ، لأن في ذلك حبل النجاة . .

هذه ملاحظة لا بد منها ، قبل أن انتقل بالقارىء الى شىء آخر ، لفت نظرى ، أضعه أمامه كذلك ليفكر فيه . .

فقد جاء في المنجد الجزء الخاص منه بالأدب والعلوم ص (٣٦٠) المسمى بمعجم أعلام الشرق والغرب ما يأتى عن مدينة (عمواس) بالنص :

عمواس أو عمَّاوس : بلدة في سهل **اليهودية (فلسطين)** حدث فيها الطاعون الجارف مات فيه نحو (٢٥) الفا منهم أبو عبيدة ومعاذ بن جبل ويزيد ابن أبى سفيان (٦٣٨) . ا.هـ .

وهذه الطبعة الثامنة عشرة تم طبعها كما جاء في آخر الكتاب في كانون الثانى (يناير) ١٩٦٥م ، وقد حرص واضعو المنجد على أن يذكروا اسم المنطقة بأنه « اليهودية » كما جاء الاسرائيليون بعد احتلال الضفة الغربية ، وغيروا الاسم الحالى واطلقوا على المنطقة اسم « اليهودية » !!

وهذا الجزء من المنجد الخاص بأعلام الشرق والغرب اضيف للمنجد في اللغة سنة ١٩٥٦ . . يعنى أن واضعى المنجد سبقوا الصهيونيين في اطلاق هذا الاسم : (اليهودية) على المنطقة وابرازه بعشر سنوات وأكثر !!

شىء غريب !! اليس كذلك ؟ !

وفي دائرة المعارف الاسلامية :

واذا كان الشىء بالشىء يذكر ، فاننى أذكر أن الصديق المؤمن اللواء محمود شيت خطاب ، حين كان يزورنا في منتصف المحرم مررنا على مكتبة وزارة الأوقاف . وحين وقع نظره على مجلدات : « دائرة المعارف الاسلامية » المترجمة من الانجليزية مد يده الى أحد المجلدات ، وبحث فيه عن كلمة « عمواس » ، ولفت نظرى الى خطأ وقع فيه المؤلفون والمترجمون معا . . أما الذى وقع فيه المؤلفون فهو انهم ذكروا أن أبا عبيدة مات في عمواس ، والصحيح انه مات بسبب طاعون عمواس ، ولم يمت ولم يدفن فيها ، والطاعون أو أى وباء يسمى غالبا بالبلدة التى ظهر منها وانتشر . . وفرق بين مات في عمواس ، ومات بسبب طاعون عمواس . .

أما الخطأ الذى وقع فيه المترجمون للعربية فهو خطأ لا يغتفر لهم فقد كتبوا اسم « عمواس » هكذا (أمواس) فكتبوها كنطقها بالانجليزية . وترجموا حرف الـ (A) الذى تكتب به العين فى الانجليزية . الفا مهموزة (أ) وهذا إن دل على شىء فهو يدل على عدم إلمام المترجم بالتاريخ . وكان من الضرورى أن يرجع الى العربية فى ذكر اسماء البلاد والأشخاص . فيكتبها بالأسماء الأصلية فى العربية . والا لجاز له أن يكتب اسم (على) مثلا حين ترجمته من الانجليزية (الى) !

وشكرا للرجل البحاثة اللواء محمود شيت خطاب . .

علاقة الاسلام باللغة العربية :

المغرب العربى ظل مدة طويلة تحت الحكم الفرنسى . الذى كان يهدف فيما يهدف الى القضاء على معالم البلاد العربية الاسلامية . وفى مقدمتها الدين واللغة واستطاع أن يقطع شوطا فى سبيل هدفه . . ولكن ما كادت البلاد تتمتع باستقلالها . حتى سارت مع طبيعتها الاسلامية العربية . ورأينا فيها جهودا طيبة رسمية وأهلية تبذل فى هذا السبيل . . وان قلبنا ليخفق سرورا بهذه الجهود . ويحيى كل من يشارك فيها من قريب أو بعيد .

وأمامى الآن رسالة من الأخ الأستاذ عبد العزيز « بنعبد الله » الأمين العام للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب فى الرباط التابع لجامعة الدول العربية . تحمل أخبارا ومشروعات طيبة تنبىء عن الجهود التى يقوم بها المكتب لخدمة اللغة العربية . . يقول فيها :

« إن المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى . قد نظم فى الموسم الماضى استفتاء حول قضايا ومشاكل اللغة العربية . وقد حظى هذا الاستفتاء باهتمام المفكرين العرب والمستشرقين والمعتنين بالدراسات اللغوية والشرقية فى العالم . إذ حددوا فى إجاباتهم ــ التى نشرنا البعض منها فى مجلة « اللسان العربى » ــ العدد الخامس مع مقدمة وتلخيص وتعليق ــ أنواع المشاكل التى تعترض سير وانتشار الضاد » .

ثم يقول :

ومزيدا فى بحث قضايا اللغة العربية وعلاقتها مع الانسان والعالم قرر المكتب الدائم تنظيم استفتاء آخر حول : « علاقة الاسلام باللغة العربية » .

وهذا موضوع له أهميته البالغة ولا سيما فى هذا الوقت الذى تعالت فيه بعض الأصوات تطالب بأن تأخذ اللغة العامية دورها وأن نكتب للناس بها . .

وشعورا منا بأهمية هذا الموضوع ننشر هنا نص هذا الاستفتاء . .

« السؤال : هل هناك تلازم أو ارتباط ما بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ؟ وفى حالة الإيجاب ما هو مدى هذا التلازم أو هذا الارتباط ؟ .

ومع هذا السؤال العام اسئلة ايضاحية جانبية تزيد الموضوع وضوحا وهى :

١ — هل تناصرون الرأى القائل بوجود علاقة سببية بين الاسلام واللغة العربية .. وأنه لولا الاسلام لما تأتى للغة العربية أن تنتشر فى العالم ، كما أنه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ؟ — مهما كان جوابكم هل يمكنكم أن تتفضلوا بالاستدلال على صحة رأيكم بواقع بيئتكم الإقليمية وبماضيها ؟

٢ — هلا تلاحظون فى بلدكم بصفة خاصة ، وفى البلاد الاسلامية بصفة عامة أن الوعى الاسلامى والوازع الدينى يقويان ويضعفان ، تبعا لما يعترى لغة الضاد من قوة وضعف ، وأن العكس بالعكس ؟

٣ — ما هو مدى تأثير الفكر الاسلامى عن طريق لغة القرآن فى اللهجات أو اللغات الإقليمية فى الأقطار الاسلامية غير العربية ، أو لدى الجاليات الاسلامية فى الأقطار الغربية أو الآسيوية ؟ .

٤ — إذا كان هنالك تأثير ما للمجتكم الإقليمية فى تعابيركم العربية المحلية فما هى نسبته ومداه ؟

٥ — ما هى المكانة التى يجب أن تحتلها العربية فى بلدكم بالنسبة للغات الأجنبية ؟ » ا.هـ .

والمكتب ينتظر من المعنيين بهذه الدراسات أن يسهموا بالكتابة فى هذا الموضوع ويوافوه بما يكتبون على عنوانه : (22 شارع المرابطين — الرباط — ص.ب 290) .

وبهذه المناسبة أحب أن يعلم القارىء أن المغرب العربى يكتب أرقامه بهذه الصورة التى نسميها نحن أجنبية علما بأنها فى الأصل صورة عربية . أما صور الأرقام التى نستعملها فى المشرق الآن فهى مأخوذة أصلا من الهندية ..

ونحن من جانبنا نتمنى للقائمين بهذا المكتب كل توفيق فى سبيل خدمة لغة القرآن الكريم ولا سيما فى هذا الجزء الغالى من الوطن العربى الاسلامى .

وصية الشيطان :

مساكين هؤلاء المسلمون السذج ، الذين يقعون فى حبائل ما يسمى بوصية الشيخ احمد خادم الحجرة النبوية ، فيتعبون ويكتبون على أمل أن يثابوا وهو : « كأمل ابليس فى الجنة » كما يقال .. مساكين هؤلاء بجهلهم وسذاجتهم ، ولقد كتبنا من قبل ننبه الى هذا الدجل ، وهذه الشعوذة ، ونهيب بالعقلاء من المسلمين ألا يكونوا من الغفلة الى حد أن يصدقوا بهذه الوصية المزعومة .. ولكن لا يزال هناك أناس يتخذ العنكبوت من عقولهم عشا يبيض فيه ويفرخ مثل هذه الخرافات .. ومن هؤلاء هذا المسلم الساذج (المغفل) الذى أتعب نفسه ، وكتب الى من أجل أن يكسب ثوابا ، وهو لم يكسب الا أوزارا ، ولا تشفع له نيته الطيبة ، ولا عقليته الساذجة .

إنها وصية اخترعها شيطان ، يعاونه عليها شياطين مثله ، حتى ولو لبسوا لباس الأتقياء ..

وان كل مسلم تروج عنده مثل هذه الوصية الشيطانية إنما يعلن عن نفسه ويدمغها بالجهل ، والبعد عن فهم الدين وتعاليمه الواضحة . .

وإنني أهيب بكل مسلم متنور أن يحارب مثل هذه الخرافة حوله ما استطاع ، فقد عاشت زمنا ، ويجب أن تموت كما تموت الطفيليات . .

وقبل أن انتهى من الكلام حول هذه الوصية الشيطانية أدعوكم معى للضحك على عقلية هذا المرسل الذى كتب على غلاف الرسالــة « الكويت ــ المجمع الإسلامى ــ أو الهيئة ــ أو غير ذلك ــ مواطن من الجمهورية المتحدة ، وبجانب ذلك على الظرف وهذا بيت القصيد « هذه دعوة اسلامية هامة » !!

مسكيــن !!

انه متحمس لدينه ، ولكنه ضل السبيل اليه . . ليته يقرأ هذا ، ويتوب الى الله مما فعل ، لعل الله يغفر له ترويجه لهذا الضلال ، أو هذه الدعوة اللاإسلامية . . أو هذه الوصية الشيطانية .

قال لــى :

قال لى محدثى وهو يلفت نظرى إلى شىء هام :

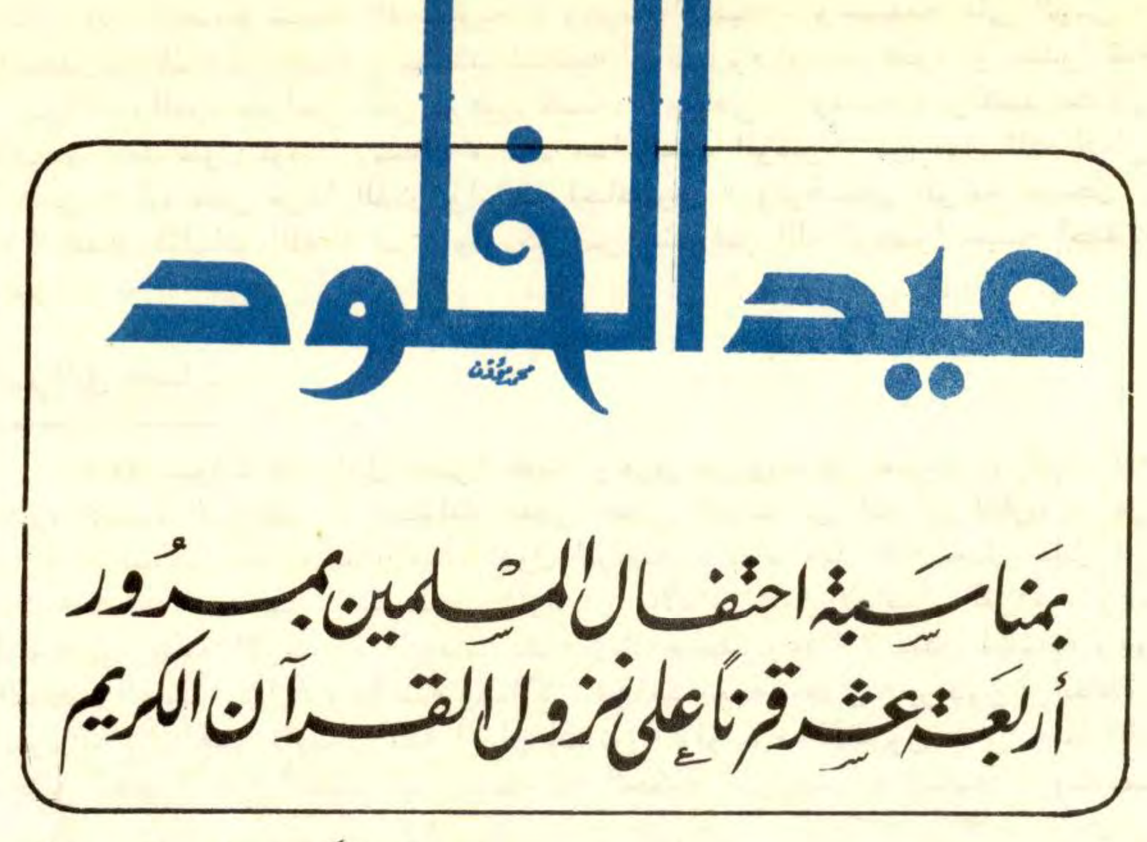
إن « الوعى الاسلامى » تحدث رعبا فى صفوف اللادينيين والمنحرفين . . وكلما ظهر عدد منها وقع كالصاعقة على رؤوسهم . . « وركبهم العفريت » الى حد أنهم يحاولون بمختلف وسائلهم الشيطانية أن ينفذوا للجهات المسئولة لتمنعها من دخول البلد الذى يباشرون نفث سمومهم فيه . فاذا لم ينجحوا فى ذلك عمدوا بوسائل أخرى للحيلولة بينها وبين النـــاس ، حتى أنهــم يوصى بعضهم بعضـــا بشرائها واعدامهـــا !!

قلت له : هذا بشير خير . فمن قبل تواصى عبدة الأصنام ، وقال بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه لعلكم تغلبون) ومع ذلك شـــق القرآن طريقه الى القلوب ، لأنه حق من الحق تبارك وتعالى . . وتهاوت الأصنام وعبادها ، وارتفعت راية الرحمن . .

ولو أن « الوعى الاسلامى » ضعيفة ، ما حفل بها رءوس الشياطين ، وان لها ــ والله ــ لجنودا فى كل بيت ، وفى كل بلد وقطر ، هم جنود الله . . وما يعلم جنود ربك الا هو . .

وان المسلم قد يغفل عن دينه حينـــا ، أو يهمل بعض تعاليمه ، ولكنه حين يرى استئســاد الهررة عليه ، لا يتركهم حتى يدوسهم تحت قدميه . .

واذا كانت بعض المجلات الملتزمة التى تصدر فى البلاد العربية ، بلغـــة عربية ، وفكر غير عربى ، تعرض بنا ، وتحمل علينا ، وتتهمنا بالرجعية . . فذلك لأنهم أحسوا وقع « الوعى الاسلامى » وخطرها عليهم ، ونقضها لكل ما يغزلون أو يغزل لهم . ونحن ــ والله ــ نرحب بكل المعانى التى يقصدونها من كلمــــة (الرجعية) ونحبها ، ونعبد الله بها . ونحيا عليها ، ونموت عليها ، ونلقى بها الله يوم الحساب ، غرة بيضاء فى جباهنا ، وحسنات ثقيلة فى ميزاننا . ولا نقول لهم الآن الا ما علم الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يقوله لأعدائه : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون » .



للشيخ كمال عون

نعم . أربعة عشر قرنا من الزمان مضت على بدء نزول هذا القرآن من سماء الحق على عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، فكانت أربعة عشر من الشهود العدول ، فى يد كل شاهد مائة دليل ، يزكى كل دليل ويدين به مئات الملايين من البشر ، فى مدى الأرض الاسلامية الفسيحة على وجه هذه البسيطة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، يشهدون جيلا بعد جيل أنه كتاب الله ، وانه على حاله ، كما أنزل يوم أنزل ، بلفظه وأدائه ، لم تحرف فيه آية ، ولم تسقط منه كلمة ، ولم ينخرم فيه حرف .

ومن هؤلاء عشرات الألوف من العلماء والباحثين فى البيئات المختلفة ، والعصور المتطاولة يقضون حياتهم عاكفين ، يتقربون الى الله سبحانه بتفهم آياته ، وتعلم أحكامه ومدارسة شريعته ، وينتجون فى ظل القرآن الكريم ، وعلى هداه ، أروع ما عرفت البشرية فى تاريخها الطويل من التراث العلمى فى كل فنون المعرفة ، ثم لا يشعرون أنهم استنفدوا كل ما فيه ، أو أتوا على جل ما يحتويه ، بل علموا أنهم أمام آيات الله وكتابه المسطور ، وأنه سيظل مفتوحا أمام البشر ، يأخذون منه حاجتهم ، كما سيظل الكون بأرضه وسمائه كتاب الله المنشور ، حتى يرث الله الأرض ويطوى السماء .

القرآن والعالم :

ومن خلف هؤلاء جميعا أمم العالم بعلومها وعلمائها ، وساستها وقادتها ، ومنهم الناقدون والحاقدون ، وفيهم الباحثون والدارسون ، وبينهم المستشرقون وأتباع المستشرقين ، والقرآن الكريم يراوحهم ويغاديهم بصوته المدوى لا فى سماء العروبة والاسلام وحدها ، بل فى سماء الشرق والغرب واذاعاتهما كذلك ،

يعلن على الجميع نسبته السماوية . وعزته الالهية . وعصمته على الزمن . ومنعته من الخلائق أجمع . متحديا شانئيه أن يغيروه أو يضاهئوه او يجدوا فيه مغمزا . والقوم حراص على توهين كلمته . ونقض عروتـــه . ولكنهم يجدون انفسهم بعد طول ترداد ومحال . أمام هذا العهد الوثيق . من قول الله العلى القدير « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وبرهـــان الواقع يسجل : « لا تبديل لكلمات الله » ـــ « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيـــه اختلافا كثيرا » .

اسرائيل ايضا :

ولقد سولت لاسرائيل نحيزة خبيثة وعرق موروث فى تحريف ما أنزل الله على الأنبياء السابقين . فحاولت تغيير بعض كلمات من القرآن الكريم . فى اذاعات قدمتها منذ بضعة أعوام لدول افريقية . فقام جند الله بعمل جليل فى خدمة كتابه . وسجل المصـــحف المرتل . بالأداء المتقن لأفاضل القراء . وعم نشره فى جميع الأرجاء . « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » . أرادوها فتنة وضلالا . فجاءت نعمة وهدى « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ان حفظ الله تعالى لمعجزة هذا الكتاب أمر قضت به الحكمة . وتمت به النعمة . وناسب رسالته وشاكل موضوعه . فالاسلام وارث النبوات . وخاتم الرسالات . والدين الباقى ما بقى على الأرض انسان . فكان لزاما أن تخلد حجته ، وتبقى علـــى الزمان معجزته ، لا خبرا يرويه مؤمن . ولا حديثا يمارى فيه جاحد . ولكن عيانا يراها الناظرون ، وآيات يتلوها القارئون . وحكما يعقلها العالمون ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » .

التحدى بالقرآن :

لقد تحدى الله العرب ـــ وقد بلغوا أقصى ما تبلغه سليقة انســـانية فى لغتها ـــ أن يأتوا مجتمعين أو منفردين بمثل القرآن حكما صادقا ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله بلاغة وأسلوبا ولو كانت العشر مفتراة ومتخيلة ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فلما اتضح لهم عجزهم ضرب عليهم بحكمه القاطع بأنهم وشهداءهم والانس والجن مجتمعين لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وكشفت حجة الله البالغة التى أعجزت العرب عن تقاصر القوى البشرية مهما استحكمت وتعاظمت عن اللحاق بمداهـــا ، فكانت بهذا حجة الله على العالميـــن .

من وجوه الاعجاز :

ولقد أفرغ العلماء والباحثون جهدهم فى تبين وجوه الاعجاز . وما يزالون يكشفون بتقدم العلم كل جديد . فتحدثوا فى بيان اعجاز القرآن عن :

١ ـــ لفظه ومبناه . وأسلوبه ومعانيه . وذاك أصل الاعجاز فيه .

٢ ــ وما ذكر من أنباء السابقين مما لم يكن لاحد به علم . ولا ورد ذكره فى الكتب السالفة كعاد وثمود وغيرهما . وأكد صحتها البحث الحديث ، وما قدم علماء الحفريات والآثار من جهود . كذلك صحح القرآن الكثير مما أخطأ فيه السابقون أو حرفوه .

٣ ــ وما أخبر به من امور غيبية لاحقة تحققت على ما اخبر به من مثل : « غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » ــ « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » ــ « والله يعصمك من الناس » . . الى غير ذلك كثير .

٤ ــ وما تضمنه من علوم ومعارف سبقت ما عرف البشر حينذاك وما تزال سابقة : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » ــ « وارسلنا الرياح لواقح » ــ « ومن كل شىء خلقنا زوجين » .

٥ ــ وما قرره من عقائد وعبادات ، وفضائل وآداب وتشريع سياسى واجتماعى فضل كل ما سبقه من الشرائع السماوية ، وما لحقه من النظم الوضعية التى تحتاج دائما الى التغيير والتبديل ، على حين سلامته من التغيير وغناه عن كل تعديل .

٦ ــ وفى وروده بهذا كله على لسان النبى الأمى الذى لم يقرأ صحيفة ولم يكتب سطرا ، وقد تفجرت به من رمال الصحراء ينابيع العلم والحكمة ففاضت على العالم كله ، واقامت الممالك والدول تؤمن بالقرآن ، وتمضى على سننه ، وتقيم المعاهد والمدارس لتقوم بدراسة هدايته ، وتبليغ رسالته .

ونكتفى الآن بالحديث الوجيز فى نقطتين هما فى الحقيقة على هامش اعجازه وهداه .

أولاهما : عن سورة الكوثر واعجازها :

والكلام فيها سؤال يقول : اذا كان القرآن بروعة مبناه ، وجلال معانيه ، وما تضمن من عقائد وآداب وعلوم وتشريع معجزا للعرب وغيرهم فكيف تعجز سورة فى سطر واحد من سطروا الأسفار والطوامير ؟ وكيف لا يتفق مثلها لخاطر بليغ أو لعقل أريب وقلم كاتب ؟ .

وفى الجواب :

نسوق ما قالوا من أن ادب الأديب هو أسلوبه ، وما قالوه بعبارة أخرى من أن الأسلوب هو فكر الأديب وصورة من عقلية الكاتب ، ومن هنا فبيان الخالق الحكيم فى كتابه روح من أمره يبعث الحياة والهدى ، والله يقول : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا . . » فكيف إذا يبلغ احد المخلوقين مضاهاة احكم الحاكمين ؟ .

ثم نظر العلماء فيما نظروا من السورة الكريمة لفظة الكوثر (للخير الكثير الجامع) فى أولها ، وكيف لا تغنى كلمة فى اللغة غناءها ، وترتب الأمر بالصلاة والنحر على ذلك وما فيهما من بشرى التمكين والنصر فى وسطها ، ثم نبأ الغيب الصادق عن العدو الشانىء فى آخرها .

وأنت واجد بعد ذلك الكثير من رضا البلاغة ومنتهى آمادها ، من افتتاحها بضمائر العظمة فى جملة خبرية مؤكدة ليشاكل ذلك تحقق العطاء سابقا ولاحقا . مع الجرس الموسيقى فى الآية الكريمة ، ثم الوصل والفصل كل فى موضعه ،

ولطف أمره عليه الصلاة والسلام بالصلاة لربه ، وما فى الرب من معانى التربية والانعام مقرونا بكاف الخطاب تشريفا ، وغيره وغيره .

فليس الأمر اذا أمر سطر من الكلام ، ولكنه الاعجاز ــ كما ترى ــ فى سطـــر .

ودعنى أسأل غير بعيد ، وربك يقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس » .

هؤلاء الألى بنوا ناطحات السحاب ، وصنعوا قاذفات العـــذاب ، وعتوا بعابرة المحيطات ، وفجروا بالهابطات على قمر السماء ، أتراهم مع هـــذا كله انشأوا من الملكوت شيئا ، أم تراهم أخرجوا من الطين والماء نبتا ؟ كلا انهم عن الخلق لمعزولون ، وعن سر الحياة محجوبون ، وانهم لهم المخلوقون ، وفى حدود المادة وحدها بأمر خالقها مصرفون .

ان السورة القصيرة من القرآن فى حدود ثلاث آيات هى ــ وان صغرت حجما ــ كالبنية الحية لا تصنع فى مخابر العلماء ولا تنزل فى خواطر البلغاء ، ولا تنالها أقلام الأدباء ، وذلك بأمر يفوق طاقة الجميع هو فيها سر الحياة .
وكما عجز الناس أن يخلقوا من الكون ذرة كذلك عجزوا أن ينشئوا من القرآن سورة .

* * *

ان سورة الكوثر فى اعجازها بالنسبة الى اعجاز القرآن الكريم كسر الحياة المستكن فى أيسر الكائنات مماثلا فى حقيقته ما استكن فى أعظمها ، يعجز الخلائق بوسائلهم عن الاتيان بمثله ، وان سلكوا اليه كل سبيل .

والثانية : **عن القرآن والمعجزات السابقة :**

عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبى الا أوتى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا يوحى ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

فالمعجزات السابقة كالعصا واليد لموسى عليه السلام ، وابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى من معجزات المسيح عليه السلام ، ومثلها معجزات سائر الأنبياء ، وكذا المعجزات الحسية لنبينا عليه الصلاة والسلام كانشـــقاق القمر وتسبيح الحصا ونبع الماء من بين اصابعه وغيرها هى آيات بينات عجزت القوى البشرية عن الاتيان بمثلها ، ولكنها محدودة لوقتها ، وبأداء دورها فى الشهادة لمن أجراها الله على يديه بصدق نبوته ، وصحة رسالته ، فتراها وقد انتهت بمجرد وقوعها ماضية الى ذمة التاريخ ، تاركة الانسان منها حيث هو لم يتقدم بها خطوة الا بما يتمثله من هدى الأنبياء ، وتعـــاليمهم الموحى بها ، أما القرآن واعجازه لمن استبصر فالأمر فيه جد مختلف ، انه وحى ، وفى هذا الوحى اعجاز عقلى وعلمى يشهده كل من شاء ، ويشـــــهد به كل منصف من العقلاء والعلماء .

ان المرء ذا العقل والحجا يتحسس لسانه وعقله أمام حيوية البيان وروح القرآن فاذا هما فى العجز سواء ، بيد أن القرآن حينما أعجز الانسان من داخله ــ مستقر الانسانية فيه ــ ملك هذا الداخل قلبا ولسانا ، ليسمو به الى آفاق يسعد بالسمو اليها ، فاذا هو فوق مستوى نفسه درجات ودرجات .

انه يعجز الانسان ليسلم زمامه الى داعى الله ، فيتولاه قائدا ومرشدا وهاديا ، فاذا كانت المعجزات الحسية اعجازا وحسب ففى القرآن اعجاز واعلاء ، فيه اعجاز وفيه بناء .

ان معجزة القرآن جاءت لتبنى الانسان عقلا وقلبا ولسانا ، وآدابا وسلوكا وتشريعا ، فيبنى لنفسه كل جميل وأصيل ، ويدرأ عن حياته كل قبيح ودخيل .

فى حياة المؤمنين :

* * *

ان الدارس الباحث يتفقه بالنظر فيه فيفتح له من الفهم والفقه أبوابا ، ويرود به من العلوم والمعارف آفاقا ، ويسن له تشريعا وآدابا وخلقا .

وان البليغ يتمرس بأسلوبه ويحتذيه فى وضوحه وبلاغة ايجازه ، فغايته أن يفيد مما وعى فى ذوقه وفهمه وبيانه .

وان المتحدث يدعم قوله بشاهد منه فلا يرى منصف بعد شاهده مقالا .

وان القاضى يستشهد بنصه فيقيم للعدالة ميزانها الذى لا يحيف ولا يجور .

وان القارىء ليتلوه متدبرا فاذا هو بما تلا من القرآن استدرج نصيبا من النبوة بين جنبيه .

* * *

ولكن الأمر اكثر من ذلك فى حياة المؤمنين ، ان المؤمن يحيا به ويحيا فيه ، ان على كل مؤمن فرضا لا زما كى تقبل منه صلاة وترفع له عبادة أن يتصل بهذه المعجزة كل يوم مرات ومرات ، وفى كل مرة يثنى على الله ، ويخلص العبادة لمولاه ، ويسأله من خلال آيها ونور هداها أن يهديه الصراط المستقيم ، وأن يلحقه بمثله العليا ممن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، مصونا من سبيل المغضوب عليهم وسبيل الضالين .

ان هذا قدر ضرورى من جملة ما أودع فى أم الكتاب ، لا يحرم أنواره مؤمن ، اذ لا صلاة بدونها ، فاذا مضى المؤمن فى رياض القرآن وفراديس معانيه ، وخاطب مولاه بآياته ، وناجاه بكلامه استقبل من فيض ربه وفضله العميم ما شاء الله ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

هذه لحقيقية :

فالقرآن للمؤمنين كما وصفه الحق تعالى : نور « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » — « واتبعوا النور الذى أنزل معه » .

والقرآن هداية : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » — « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

والقرآن شفاء ورحمة : « قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » .

والقرآن روح وحياة : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » — « أو من كان ميتا فأحييناه (ضالا فهديناه) وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

(البقية ص ٦٩)



أعدها : أبو نزار

« قل هل تربصون بنـــا الا احـــدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون »

(قرآن كريم)

من جهز غازيا فى سبيل الله . فقد غزا . ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا .

رواية
لم تتم فصولهـــا

بعثت أوروبا بجنودها الصليبيين . وقذفت بهم لفتح فلسطين . وطلع عليهم صلاح الدين الأيوبى . وحرض المؤمنين على القتال . وانقض بهم على الأعداء واستنقذ بيت المقدس ، فى اكتوبر سنة ١١٨٧م وخرج الصليبيون مخذولين من بيت المقدس بعد ان استولوا عليه نحو قرن .

والتاريخ يعيد نفسه فاليوم تؤيد أوربا وأمريكا هؤلاء الصهيونيين وستتم الرواية أخيرا كما تمت أولا : فالله يهب نصره لمن أخلص له وصـــــدق وعده وبذل الأرواح والأموال لتكون كلمة الله العليا وكلمة الكافرين السفلى .

قصة زوج وزوجـــة

لقى الشعبى شريحا القاضى فسأله عن حاله فى بيته . فقـــال شريح من عشرين عاما لم أر ما يغضبنى من أهلى . قال له : وكيف ذلك ، قال شريح : من أول ليلة دخلت على امرأتى . رأيت فيها حسنا فاتنا ، وجمالا نادرا ، قلت فى نفسى : فلأطهر وأصلى ركعتين شكرا لله . فلما ســـــلمت ، وجدت زوجتى تصلى بصلاتى ، وتسلم بسلامى . فلما خلا البيت من الأصحاب والأصـــدقاء ، قمت اليها فمددت يدى نحوها . فقالت : على رسلك يا أبا أمية . كما أنت . ثم قالت : الحمد لله احمده واستعينه . وأصلى على محمد وآله . انى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك . فبين لى ما تحب فآتيه . وما تكره فأتركه . وقالت : انه كان لك فى قومك من تتزوجه من نسائك . وفى قومى من الرجال من هو كفء لى . ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا . وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله : امساك بمعروف أو تسريح باحسان . أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولك . . !!

قال شريح : فأحوجتنى والله يا شعبى الى الخطبة فى ذلك الموضـــع . فقلت : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلى على النبى وآله وسلم ، وبعــد ، فانك قلت كلاما ــ أن تثبتى عليه يكن ذلك حظك ، وأن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما رايت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت :

كيف محبتك لزيارة أهلى . قلت : ما أحب أن يملنى أصهارى . فقالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ، ومن تكره فأكره ، . قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء ، قال شريح : فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حولا لا أرى الا ما أحب . فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فاذا بفلانة فى البيت . قلت من هى ؟ قالوا : ختنك « أى أم زوجك » فالتفتت الى وسألتنى : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة . قالت : يا أبــا أمية ان المرأة لا تكون أسوأ حالا منها فى حالين : اذا ولدت غلاما ، أو حظيت عند زوجها ، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرا من المـــرأة المدللة . فأدب ما شئت أن تؤدب وهذب ما شئت أن تهذب .

فمكثت معى عشرين عاما لم أعتب عليها فى شىء الا مرة واحدة وكنت لها ظالما . . هكذا فلتكن النســاء . .

معيشـــة قائـــد

ولى عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح قيادة الجيـــوش كلها التى أرسلت لفتح الشام ، ولما قدم عمر الشام استقبله أبو عبيدة ، فقال له عمر : اذهب بنا الى بيتك . ولعله كان يقصد استطلاع عيشة قائده ، فقال له أبــو عبيدة : وما تصنع عندى ؟ ما تريد الا أن تعصر عينيك على . ثم دخل منزله ، فلم ير شيئا ، فقال : أين متاعك وأنت أمير ؟ ثم سأله : أعندك طعام ؟ فقام أبو عبيدة الى جونه فأخرج منها كسيرات ، فبكى عمر ، وقال ، غيرتنا الدنيا كلنـــا غيرك يا أبا عبيدة !!

تغيير الأسماء القبيحـــة

قال أبو داود : غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اســـم العاصى ، وعزيز ، وعتلة وشيطان والحكم ، وغراب ، وحباب وشهاب ، فسمى ، هشاما ، وسمى حربا سلما ، وسمى المضطجع المنبعث ، وأرضا تسمى عفرة ســماها خضرة ، وشعب الضـــلالة سماه شـــعب الهدى ، وبنى الزنيـــة سماهم بنى الرشد ، وسمى بنى مغوية بنى رشـــدة .

بين أبى الدرداء وزوجته

قال أبو الدرداء لامرأته : اذا رأيتنى غضبت فرضنى ، واذا رأيتك غضبى رضيتك ، والا لم نصطحب ، وانشد :

خذ العفـــو منى تســـتديمى مودتى	ولا تنطقى فى ســـورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقـــرك الـــدف مـــرة	فـــانك لا تـــدرين كيـــف المغيـــب
ولا تكثر الشـــــكوى فتذهب بالقوى	ويأباك قلبى والقـــــلوب تقـــلب
فانى رأيت الحب فى القلـــب والأذى	اذا اجتمعا لم يلبـــث الحب يذهـــب

النؤاسيّ

الرصين المُنيبْ

للدكتور: علي شلق

« كثير من الناس لا يعرف عن أبي نواس الا أنه شاعرماجن كثير الدعابة حتى أن بعض المثقفين دهشوا لما سمعوا أن لأبي نواس شعرا في الزهد ومناجاة الخالق يفوق مـا قاله الشعراء المعروفون بالزهد ـ ولهؤلاء ونظرائهم يتحدث الدكتور علي شلق الذي يعيش بذوقه الأدبي وروحه مع أبي نواس ، وله فيه دراسات جديدة مطبوعة » .

الـــوعي .

الحسن بن هانيء ، الملقب بـأبي نؤاس ، كان شاعرا ماجنا ، لكنه كان عميق الايمان ، اسـتجاب لاشراقه بعد أن انقشعت عن بصره التماعات من سراب الغواية ، فبان **وراءها لون ذاته الحميم** ، يرتسم صورا صورا عن الانابة ، والشوق الى رحاب اللـه ، ليغيب في مداه الذي لا تدركه الأبصار ، وتحن اليه البصائر .

لمقي في أوقيانوس الوجود ، لم يعايش أبا يتمثله في معاطاته ، وما وثق بأم يطمئن الى اسـتقامة طريقها .

والمكان مدينة البصرة عاصمة الفكر الأولى قبل بغداد في الاسـلام ، وسيدة مدرسة العقل ، لم تصل الى فلكها المدينة ، ولا الكوفة .

والزمان : القرن الثاني الهجري ، ترك البصرة بعد انغماره في آفـاق الكوفة مع (والبة) الى بغداد مدينة العالم الأولى آنـذاك كما يقـول (بروكلمـن) . درس في بـصرة (المربد) ذلك الجسر الفكري بين بلاد العرب ، والفرس والصـين ، والهند ، من جانب ، وملتقى تيارات السريان حفظة التراث اليونـاني ، العابر من أثينا الى الاسكندريـة ، فأنطاكية فجنديسابور .

وعى الجدل والكلام ، والفقـه ، والقراءات ، والفلسفة ، والرواية ، واللغـة والأدب ، والرياضـيات ، والعلوم التطبيقيـة ، ونـاقش في المذاهب « فأرجأ » ولم « يعتـزل » وحفظ الحديث ورواه ، وفهم القرآن وحفظه . الشيء الذي دفع الدكتور طه حسين أن يقول عنه : « وانما كان

ذا مكانة عالية ، وعالية جـدا (١) ؛ مثلما قيل فيـه : « أقل مـا فى أبى نؤاس قول الشعر » .

يكفى أن يكون من أسـاتذته فى دراسة القرآن الكريم « يعقـوب الحضرمى » (٢) الذى دفع اليه خاتمه اعجابا باتقانه فن القراءة ، ودرس النحو على « ابى زيد بن ثابت » (٣) ونظر فى كتاب سيبويه (٤) .

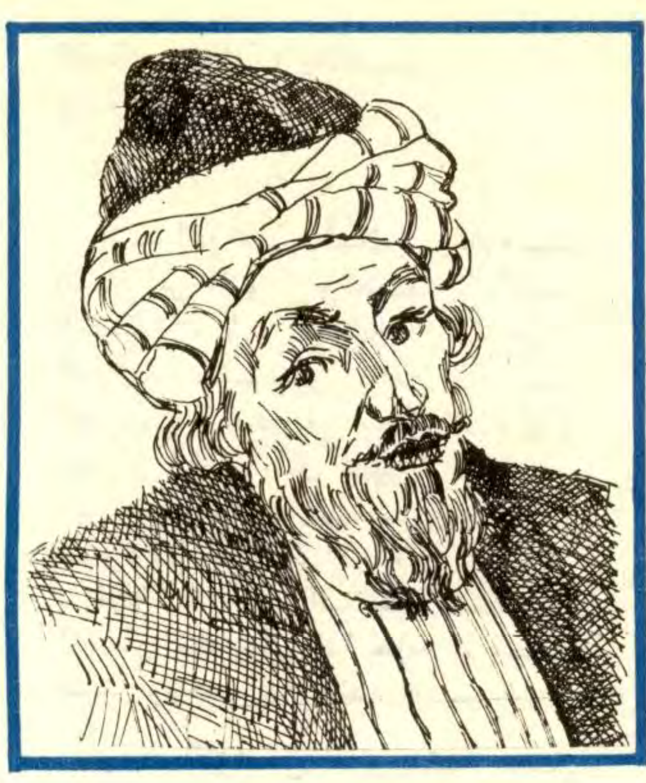
قرأ الحديث الشريف ورواه على عدة شيوخ منهم (ابـن زيـاد) و (يحيى القطان) و السمان) (٥) .

وقرأ شعر ذى الرمة على الراوية (ابن حبيب الناشىء) (٦) . أمـا تخرجه فى فنون الشعر فعلى (خلف الأحمر) (٧) ثـم حضر مجلس أبى عبيـدة (والهيثم الكـوفى) (والسجستانى البصرى) وسمع من (الأصمعى) (٨) .

قال عنه ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (٩) : « كان أبـو نؤاس متفننا فى العلم ، وقد ضرب فى كل نوع منه بنصيب ، ونظر مع ذلك فى علم النجوم ، وعلم الطبائع ، واتقن الموسيقى ، وعرف الفارسـية على الأغلب ، شافه الاعراب ، ثم عـاد الى البصرة .

. . . . .

عقد المستشرق الألمانى (نولدكه) فصلا فى كتابه عن الأدب العـربى وشعره ، مقارنا بينه وبين (هنريخ



هينى) فأظهر علو كعب شاعرنا على شاعر الألمان ، واستطالة آفاته .

وعده (لويس جرده) المستشرق الفرنسى فى رسالته (انسـانية الاسـلام) من كبار الانسـانيين المسـلمين فى عصر بنى العباس :

« .. الذين هم بلا شك ليسـوا للجمهور العربى الاسلامى فحسب ، بل للمعطيات الفكرية لجميع البشر المتحضرين » .

وقـد عنى بدراسـته كبـار المستشرقين من طراز « بروكلمن ، فون كريمر ، أهلـورد ، نلينـو ، سوفاجه ، جود فرواده مومبين ،

---

(١) حديث الأربعاء جـ ٢ ص ٥٤
(٢) ابن منظـور جـ ٦ .
(٣) شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٥٢ .
(٤) شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٤٠ .
(٥) شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٥٥ .
(٦) ابن منظور جـ ٧ .
(٧) ابن منظور جـ ٤٤ .
(٨) ابن منظور ص ٣٠٥ .
(٩) ابن منظور ص ٣١٤ .

كليمان هيوار ، بلاشير ، بلا ، وسواهم . (١)

. . . . .

نشد النؤاسى الخلاص باللذة مثلما نشده ابن الرومى بالطبيعة . والمتنبى بالتعالى ، و (نيتشه) بالانسان الأعلى ، وشوبنهور بالفن . لكن النؤاسى لم يجد فى بحار اللذة لؤلؤا بعد أن غاص ، بل شهق وهو على الشاطىء يفتش عن الجوهر ، ودار ببصره فى الجهات الأربع ، ثم صاح : يا الله . « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده » .

زهد النؤاسى ، وسكب عصارة روحه فى شعره ، فتخطى ميوعة ابى العتاهية ، وعد شاعر الزهد والتوبة فى الاسلام ، مثلما كان قبل ذلك شاعر المجون ، يقابله (بودلير) الفرنسى شاعر الشيطان والخطيئة، الذى صار من بعد شاعر التجاوز فى المسيحية .

هنا تبرز حقيقة وجودية هائلة ، تتمثل فى أن من عرف الشر واقلع واناب ، كان ذلك اقوى فى دفعه الى الخير والهداية .

قيل لعمر بن الخطاب : فلان لا يعرف الشر (٢) فقال : (ذلك ادعى أن يقع فيه) من هذا الاطار اقصوصة : « الصبى الشاطر » فى المسيحية ، وتوبة المجدلية .

. . . . .

ذكر ابن قتيبة أن الرشيد قال : (لو تمكنت الدنيا من النطق لما وصفت نفسها بغير قول أبى نؤاس :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق (٣)

. . . . .

اننى عندما أستعرض زهدياته . يتصور لعينى وجه راعب ، بعينين هلوعتين ، وجبهة يتحدر عنها الصبيب ، وفم فاغر يرتعد ، ويدان راعشتا الابتهال ، يذكرنى بصورة (هنرى ده وروكيه) عن البائس . فأردد معه أبياته تلك التى تشبه الجمر يكوى ، واللهب يشوى ، تقذفه أضالع النفس المنطلقة بكل وجودها وابعادها نحو من بيده وحده الغفران والخلاص .

تعاظمنى ذنبى ، فلما قرنته
بعفوك ربى ، كان عفوك اعظما(٤)

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » .

ثم يرتجف من هول الذنوب التى تتمثل فى خاطره وتتصور فى باله مرحلة مرحلة ، فيخشى أن تكون العاقبة ظلال شجرة الزقوم ، تلك التى طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فيستغيث فى لهفة تتفجر من الأعماق :

لو أن دون النفس واقية
لفديتها بالمال والولد (٥)
ما حجتى يوم الحساب اذا
شهدت على بما جنيت يدى ؟

---

(١) من أراد الاستزادة فليقرأ كتابنا عنه (ابو نؤاس بين التخطى والالتزام) نشر دار الثقافة ببيروت .

(٢) لا نظن أن المراد هنا أن فلانا لم يفعل الشر بدليل الجواب بعده .. ورحم الله من قال : واعرف الشر لا للشر ولكن لتوقيه . (الوعى)

(٣) الشعر والشعراء ص ٣٢٧ .

(٤) الديوان ص ٢٠٠ .

(٥) الديوان ص ١٩٣ .

وربما سئمت نفسه من دجل المجتمع ، وتدليس الناس ، أطماعا ، أصباغا ، منازع ، ومسارب ، مع الشطار ، فى درك (عصابة السوء) او لدى الكبراء ، والأمراء ، والخلفاء فينفض عن كاهله غبارهم ، ويغرق فى تأمل ذاته ، ثم يمد بصره فى الأفلاك ، فيرى كل شىء هباء ، الا حقيقة البارى سبحانه ، فهو وحده الملجأ ، والمستغاث :

لو لم تكن لله متهما
لم تمس محتاجا الى احد (١)

واذا سأله سائل : « كيف تترك متع بغداد ، ومرابع قطربل ، وكلواذى ، ودير حنة : من ذات الأكيراح ؟ هناك الحياة وقد خبرتها يا ابن هانىء ، فدعك والزهد ، وارجع فى حاضرتك .

ساعتئذ يجيب الشاعر ، وقد خبر حلو الحياة ومرها ، اجابة الصادق الذى ينسل خيوط نوله من الواقع :

ان مع اليوم فاعلمن غدا
فانظر بما ينقضى مجيىء غده (٢)
ما ارتد طرف امرىء بلذته
الا وشىء يموت من جسده

فيقول السائل : « ومالك يا حسن ؟ لا تزال فيك بقية شباب » فتدمع مقلتا الشاعر وينشد :

دب فى السقام سفلا وعلوا
واراني اموت عضوا فعضوا (٣)

ذهبت جدتى بطاعة نفسى
وتذكرت طاعة الله نضوا

لهف نفسى على ليال وايام
تمليتهن لعبا ولهوا

قد اسانا كل الاساءة فاللهم
صفحا عنا ، وغفرا وعفوا

ثم يشيح بوجهه عن المسول له السوء ويردد :

يا سواتا مما كسبت ويا
اسفى على ما فات من عمرى (٤)

. . . . . .

افر اليك منك واين الا
اليك يفر منك المستجير

واكثر ما كان يهز اعماق النؤاسى رؤيته القبور، وتصوره المصير هوة تفتح بلعومها لابتلاعه ، فينفرط عقد طمأنينته ، ويركع مبتهلا الى ربه ليصفح عن ماضيه :

الا تاتى القبور صباح يوم
فتسمع ما تخبرك القبور ؟ (٥)

فان سكونها حرك تنادى
كان بطون غائبها ظهور

. . . . .

ايا من ليس لى منه مجير
بعفوك من عذابك استجير (٦)

---

(١) ابن منظور ص ٦٣ .
(٢) الديوان ص ١٩٢ .
(٣) الديوان ص ٥٨٠ .
(٤) الديوان ص ٦١٠ .
(٥) الديوان ص ٦١٣ .
(٦) الديوان ص ٦١٠ وهذه القصيدة تذاع الآن ضمن الابتهالات الدينية ..

انا العبد المقر بكل ذنب
وانت السيد المولى الغفور

فان عذبتنى فبسوء فعلى
وان تغفر فانت به جدير

. . . . .

ما حجتى فيما اتيت وما
قولى لربى ، بل وما عذرى ؟(١)

لكن الشاعر التائب يثق بعفو الله ويطمئن لمرضاته فى مثل قوله :

انقضت شرتى وعفت الملاهى
اذ رمى الشيب مفرقى بالدواهى(٢)

ونهتنى النهى فملت الى العد
ل واشفقت من مقالة ناه

ايها الغافل المقيم على السهو
ولا عذر فى المقام لساه

لا باعمالنا نطيق خلاصا
يوم تبدو السماء فوق الجباه

غير انى على الاساءة والتفريـ
ـط راج لحسن عفو الله

. . . . .

على أن الحسن بن هانىء ، ارتفع بشعره الى مرتبة النجوى والدعاء ، ساعة صفت نفسه ، وهو يلبى فى الحج ، فنسى الوجود كله ، الا شيئا واحدا ، جلال الله فأخذ يردد ، والحجاج حوله يرجعون فى خشوع غامر :

الهنا ما اعدلك
مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك

لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك

ما خاب عبد سالك
انت له حيث سلك

لولاك يا رب هلك

. . . . .

واخيرا لا اجد فى شعر النساك او الزهاد العرب ، واحدا بلغ من صدق النية ، وخلوص القصد ، فى عذوبة نغمة ، وجلال تعبير ما بلغه ابو نؤاس فى تضرعه الى الله ، ابتهالا يصعد بمجامر الكون ، حتى تسبح النجوم بالبخور ، والعبير :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة
فلقد علمت بان عفوك اعظم(٣)

ان كان لا يرجوك الا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم

ادعوك رب كما أمرت تضرعا
فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم

مالى اليك وسيلة الا الرجا
وجميل عفوك ، ثم انى مسلم

---

(١) الديوان ٦١٠ .

(٢) كتابنا عنه ص ٣٦٥ .

(٣) الديوان ص ٦١٨ .

ويلاحظ ان هذه القصيدة وسابقتها فى الحج تغنيان الآن فى الابتهالات والمناسبات الدينية
(الـوعى)

والقرآن ذكر وشرف : « لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » .. « بل اتيناهم بذكرهم » .. « وانه لذكر لك ولقومك .. » .

نحن والقرآن :

ونحن بحمد الله امة القرآن ، وان بيننا وبين كتاب الله نسبا لا ينفصم ، ولنا به حسب لا يزول ، فمن قبل قامت به دولة الاسلام فى بلادنا العربية ترسل الهدى والنور على العالم المعمور اذ ذاك ، ثم لم يخب ذلك الضياء منذ اشتعل، وقامت الدراسات الدينية والمدنية فى كل بقاع الاسلام ، وقام الازهر فى مصر من اكثر من الف عام وكثرت معاهده يحمل رسالة الله ويبلغها الى المسلمين . وقام غير الأزهر كذلك بنصيبه المحمود فى دراسة القرآن واشاعة نوره فى العالمين .

وفى الحديث عنينا بمدارس القرآن ومكاتبه ، واقيمت للقرآن اذاعة خاصة كاملة الى جانب خطة فى كل الاذاعات العربية ، فوصلنا القديم بالجديد ، وضممنا الطارف الى التليد ، فما عسى يحول بيننا نحن العرب وبين الحياة الحقيقية فى نور القرآن ؟ .

أخى فى الاسلام :

هل ترى للمسلمين دواء بغير القرآن ؟

هل تنتظر لهم شفاء فى سواه ؟

هل تصلح لهم نهضة لا ترتكز على هداه ؟

هل تجد غير القرآن ارفق بأهل القرآن واوفق لهم ، يشفى قلوبهم ، ويجمع شتيتهم ، ويرفع بالايمان ارواحهم ، ويملأ بالشجاعة والأمل نفوسهم ؟

هل تظن العرب فى معاركهم ودفاعهم عن مقدساتهم واوطانهم يردون كيد الناس بغير صحيح الايمان ؟

انما يرد كيد الناس ايمان العرب المستمد من بأس الله ، ذلك الايمان الذى يجعل من كل مؤمن قوة موصولة بمدد السماء ، فاذا قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم زادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

بروح القرآن تسرى فى كيان امتكم ايها العرب تردون عنكم حديد الناس ومكر الشياطين ، والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

فاللهم عزمة من عزمات التوفيق والهداية ، ترفعنا الى مستوى حياة القرآن ، فاذا نحن على الجادة فى حياة حرة كريمة ، بناءة رائدة « خير امة اخرجت للناس » .

اللهم وفق الأمة وقادتها للعمل بالقرآن ، والحياة كما رسم القرآن ، وسدد خطانا واكتب لنا بالقرآن عزا ونصرا ومجدا خالدا . والسلام .

بَنى الإسلام لايج

ألا ما للملاحة والفتون   بمهجة مدنف صنو الأنين

وما انا فى الهوى يا أخت مى   وحقك غير مأسور رهين

سعيد فى هواك وكيف يشقى   محب المصطفى الهادى الأمين

حبيب الله خير الخلق طرا   أمام الأنبيا والمرسلين

محمد الذى جاء البرايا   بخير شريعة وأجل دين

نظام لا يعادله نظام   يجل عن المثالب والطعون

منار هدى ومنهاج قويم   الى سبل الرشاد المستبين

توسط لا ترى فيه انحرافا   ولا شططا عن الحق المبين

فحاشى أن يسير الى يسار   ويأبى أن يميل الى يمين

يوافق ما يراه العقل خيرا   بحكم القسط فى كل الشؤون

به قاد الأنام بخير نهج   الى الاسعاد فى دنيا ودين

سل التاريخ عنا كيف أنا   بنينا المجد فى ماضى القرون

ثقافتنا أنارت كل درب   لأوروبا على مر السنين

وزودنا بنى الدنيا جميعا   بمختلف المعارف والفنون

...ي ركود

للأستاذ: عبدالعزيز العندليب

بما انهمرت عليهم من علـــوم ... كهاطـل وابل الغيث الهتــون

ملكناها شمـــالا فى جنــوب ... من (الوادى الكبير) الى (سيؤون)

بنى الاســلام .. لا يجدى ركــود ... أفيقـوا من كراكم والــركون

معين الفضـــل فيكم .. اقصدوه ... فخير الــرى من هــذا المعين

دعوا عنــكم خــلافات تفشت ... فــكانت علـــة الداء الدفـين

فمـــا خاب الألى يقفون جمعــا ... ويعتصمـــون بالحبـــل المتين

ولا تخشى الجمـاعة أى ســوء ... اذا استنــدت الى الركن الـركين

اليك أبا البتــول أبث شــكوى ... هى النفثـات من صــدر حزين

قد اتبع الهــوى فينـــا اناس ... وعاثوا فى حمى الحـــق المبين

فيطعن فى الشريعة كـــل غــر ... ويسخر من هــداها كــل دون

وتتحفنـــا الجـرائد كـــل يوم ... مقـــالة حـاقد وغـــد مهين

همو أبنـــاؤه جـــاروا عليــه ... وشر مصـــابه جـــور البنين

وليس على الشريعـــة أى ضـير ... فمـــا أقـــوالهم غير الطنيـــن

وان يك ثم للتيـــار جـــرف ... فلن يقـــوى على الحصن الحصين

من أعلام الصالحين في العصور الحديثة : « ١ »

السيد محمد بن علي السنوسي

للدكتور : محمود زيادة

أستاذ التاريخ بالجامعة الاسلامية ـ البيضاء

كان العالم الاسلامى فى نهاية القرن الثامن عشر قد وصل الى درجة كبيرة من الضعف والتفكك ، وبدات مطامع الغرب تظهر بشكل واضح ، وحدثت القارعة الكبرى التى هزت العالم الاسلامى هزة عنيفة تلك هى غزو فرنسا لمصر سنة ١٧٩٨م فنبهته من غفلته واثارت كرامته . فها هو ذا يواجه مرة أخرى بعد / خمسة قرون حربا صليبية جديدة متنكرة فى ثياب مختلفة . فلا يلبث حتى ينهض من رقدته ثائرا عليها ، وقد اجتمعت له قواه الكامنة . ثم اذا هو فى نهاية الأمر منتصر عليها ، وهذا الانتصار الذى اتيح للمسلمين هو عامل كبير من عوامل النهضة الحديثة ، فقد اخذت اليقظة تفرض نفسها على الشعوب الاسلامية ، وتنبهه من غفلته ، فيثبت شخصيته ويقوى كيانه لمواجهة الخصم الذى ما زال يناوشه ويتربص به .

وكان العالم الاسلامى فى موقفه هذا يتجاذبه تياران لتحقيق غايته والوصول الى اهدافه . اما احدهما فكان قد اخذ بمظاهر المدنية الأوربية فيرى التوجه نحو أوربا الغالبة المتفوقة . فما غلبت فى نظره الا بما تصطنعه من علم وحضارة فليأخذ المسلمون عنها اساليبها فى التشريع والادارة ، وما الى ذلك .

واما التيار الآخر فيرى الرجوع الى الاسلام ومبادئه السامية . بعد تنقيتها من كل شائبة خالطتها ، وتصفيتها مما علق بها من خرافات وأوهام فى عصور التخلف والضعة ، فتعود الأمة الاسلامية كما كانت أمة قاهرة غالبة ، فان آخر هذه الأمة لا يصلح الا بما صلح به اولها ، وكان من اشهر زعماء هذا التيار السيد / محمد بن على السنوسى / فمن هو ؟ وما دعوته ؟ وما آثارها فى النواحى المختلفة ؟ ذلك ما نريد الحديث عنه .



التعريف به :

هو محمد بن على السنوسى الخطابى من قبيلة مجاهر من جهات « مستغانم » بالجزائر ، فجده عبد الله بن خطاب المجاهرى ، ويتصل نسبه بمؤسس دولة الأدارسة بالمغرب « ادريس الأول / بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علىّ بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فهو اذن شريف النسب . نبيل الحسب » .

ولد الامام السنوسى يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ١٢٠٢هـ ــ ٢٥ ديسمبر سنة ١٧٨٧م بمحلة يقال لها « الواسطة » فى مقاطعة وهران بالجزائر فهو جزائرى الأصل والمولد ، ويظهر أن أبناء البيت السنوسى كلهم منتسبون الى العلم ، فان والد السيد محمد بن على وجده واعمامه وابناء أعمامه ، والكثير من نسائهم مثل جدته لأبيه السيدة / الزهراء / وعمته السيدة (فاطمة) كانوا علماء فنشأ فى هذا الوسط العلمى الصالح ، وتأثر به تأثرا قويا ، وكان والده السيد (على) يجمع الى العلم والصلاح الفروسية والرماية . لذلك تجد السنوسية ينزع بهم عرق الى السيف . كما ينزع بهم عرق الى القلم .

وقد توفى والده (السيد على) فى الخامسة والعشرين من عمره ، فكفلته بعد وفاة ابيه عمته السيدة / فاطمة / وكانت اكثر تربية السيد / محمد / على يد هذه السيدة العظيمة التى وصفها من عاصرها بأنها كانت من فضليات اهل زمانها ، فكانت متبحرة فى العلوم ، منقطعة للتدريس والوعظ يحضر دروسها ومواعظها الرجال .

وقد عنيت هذه السيدة بتربية ابن اخيها لما توسمته فيه من باهر النجابة وحيث كانت اسرته من الأسر المعنية بالعلم المعروفة بالتقى والورع المتجهة الى الدعوة والارشاد ، فقد كان طبيعيا ان يكون اتجاهه الى طلب العلم ، فجلس

الى علماء (مستغانم) يأخذ عنهم ، وهو يتمثل الغايـــة التى يود أن يتهيأ لها ، وينتهى اليها من خلال البيئة التى ولد فيها ، والجو الذى كان يتنفسه صغيرا أن يكون عالما داعية ، وهذا الاتجاه جعله كثير التأمل فى حالة المسلمين . فكان يمضى وقته فى التفكير فيما يرى حوله من احوالهم ، وما وصل اليه الاسلام على أيديهم وانتهى الى العطل من اجل الدين وتوحيد صفوف المسلمين . لأن العالـــم الاسلامى مريض . بل وفى حالة تدهور مخيف ، ووصل الى أن هذا التدهور ما هو الا نتيجة لخمول العلماء ، وانصرافهم الى الراحة والدعة ، وابتعادهم عن اجهاد الجسم والعقل فى نشر كلمة الله العلى العظيم ، واحياء نور الاسلام .

وعندما وصل الى هذا أراد أن يتزود من العلم ليكون له سلاحا وعدة فى المستقبل ، فرحل الى فاس سنة ١٨٢٢ ، والتحق بجامع القرويين محط رحال العلماء ، وقبلة المتعلمين بالمغرب الأقصى ، فأخذ العلم بالرواية من أفاضل علماء فاس . ولم يلبث طويلا حتى اجتاز مرحلة طيبة فى العلوم التى درسها ، وحصل على المشيخة الكبرى وعين مدرسا بالجامـــع الكبير بمدينة فاس ، وفيها نـــال شهرة علمية عظيمة ، وصلاحية كبيرة .

ولكن دعوته الى جمع كلمة المسلمين ، وتطهير النفوس . لم تثمر ثمرتها ، فقد توجست حكومة السلطان الخطر من دعوته ، وخشيت أن تتحول الى دعوة سياسية تعصف بالحكم والسلطان فشددت الحكومة مراقبته .

ولما وجد ذلك قرر الارتحال فى أواخر عام ١٨٢٩ ، ولكنه لم يعد الى بلده وصار ينتقل من مكان الى آخر حتى بلغ (عين مهدى) فـــدرس بها الطريقـــة التيجانية ، وكان اثناء اقامته بفاس قد درس الطرائق : القادرية والناصريـــة والحبيبية والشاذلية والجزولية ، وكان شيخ الشاذلية الشيـــخ / العربى بن احمد الدرقاوى / — وهو من أكبر الشخصيات الدينية فى المغرب واقواهـــا نفوذا — ولعل صلة الشيخ السنوسى به . كانت مما سدده فى السبيل التى اختارها . كما كانت هذه الصلة من الأسباب التى وجهته الى دراسة الطرق الدينية التى كان المغرب يعرف عددا كبيرا منها دراسة متعمقـــة مســـتبصرة مستقلة . جديرة أن تكشف له عن مزاياها وعيوبها .

وبعد أن قضى وطره من عين مهدى . قصد اغوات — فى جنوب الجزائر — لأهمية موقعها الصحراوى فهى تعتبر احدث مفاتيح الصحراء فقضى بهـــا بعض الوقت ، ونشر دعوة الاصلاح بين القبائل القاطنة فيهـــا ، وفى رجـــال القوافل التى تمر من تلك المحطة ، ثم ارتحل منها الى بلاد كثيرة فى الجزائر .

وفى هذا الوقت سنة ١٨٣٠ . احتلت فرنسا الجزائر ، ففكر فى العودة الى وطنه . لكنه رأى من الخير أن يستمر فى سيره نحو الشرق ، ليروى غلته من الاطلاع على احوال العالم الاسلامى ، ويضع الخطة الاصلاحية وليحج بيت الله الحرام ، وبعد ذلك يعود الى وطنه ، فسار متجها نحو الشرق فزار (قابس) وطرابلس وبنغازى . . ثم سار فى طريقه نحو الشرق ، وهو لا يكف عن التأمل حتى بلغ مصر فأقبل عليها متهلل النفس ، متفتح الخاطر ، فقد كانت صورتها فى نفســه . مما كان يبعثه الى التطلع اليها ، ويهيج فى نفسه الحنين الى لقـــاء علمائها وشهود مجالسها ، والقاء دروسه فى أزهرها ، ولكنه لم يجد فى مصر وأزهرها ما كان يرجوه . فقد كان أمر شيوخها قد تغير منذ أخذ أمير مصر فى ذلك الحين (محمد على) يضرب بعضهم ببعض ، ويسلبهم المنزلة الرفيعة التى

كانت تتيح لهم ــ بزعامة السيد عمر مكرم ــ أن يصرفوا شئون البلد بما تقتضيه شريعة الله فى قوة وحزم .

دخل الامام السنوسى الى مصر ، واتجه أول ما اتجه الى الأزهر يجعله ميدان نشاطه فأخذ يبث تعاليمه ، ويدعو الى اصلاح أمر المسلمين ، والانظار متطلعة اليه والنفوس متعلقة به لصدق لهجته ، فكان ذلك مما أثار حوله الريبة من ناحية السلطات الحاكمة . كما أثار عليه نوازع الحقد والحسد من ناحية بعض شيوخ الأزهر فاشتدت حملتهم عليه واتهموه بالابتداع فى الدين . فلم يجد الامام السنوسى مناصا من ترك مصر .

لكن كانت هذه التجربة ذات فائدة عظيمة لأنها زادته بصيرة فى أمره وايمانا بما كان قد وقر فى نفسه من قبل وهو أن ينأى بدعوته الاصلاحية عن مثل هذه المواطن فمضى فى طريقه الى الحجاز .

وفى مكة التقى بالعارف بالله السيد / أحمد بن ادريس الفاسى الذى كان رئيسا للخضيرية ، فاجتمع به ولازم دروسه ، وتوثقت العلاقات بينهما وظل امره على ذلك حتى ارتحل الشيخ / أحمد / الى اليمن بسبب ما لقيه من عنف رجال الحكومة ومعارضة علماء الحجاز ، فسار معه ، وأقام فى اليمن حتى توفى ابن ادريس سنة ١٨٣٥ فعاد ثانية الى مكة .

آثار رحلات الامام وأهميتها فى الاصلاح :

ان انتقال السنوسى من الجزائر الى فاس ، ثم توجهه نحو المشرق حتى وصل الحجاز واليمن ، واقامته فترات فى كثير منها ، ومقابلته العلماء فى كل قطر نزل به جعله يدرس فوق العلوم الدينية والعربية المذاهب الصوفية والعلوم الفلسفية والاجتماعية بعمق حتى صار حجة يقتدى برأيه . كما أنه فى أثناء تجوله فى البلاد كان يختلط بأفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم ، ويدرس طبائعهم ، ويتعرف اتجاهاتهم فأكسبه ذلك معرفة واسعة بأخلاق الناس ، ومعرفة مواطن الضعف فيها ، فأخذ يرسم الخطة لعلاج أمراض الشعوب الاسلامية والعربية ، والأخذ بيدها الى الخير الذى جاء به الاسلام . كما أنه عرف أيضا المجتمعات الاسلامية فالمجتمع المدنى معقد ومتحلل بسبب تعرضه لفتن الحياة الأوروبية ، والمجتمع البدوى بعيد عن هذا التحلل وذاك التعقيد ، وهو فى الوقت نفسه ملتقى الاسلام والوثنية . الاسلام فى صورته المشوهة ، والوثنية البدائية التى تنحسر شيئا فشيئا أمام المد الاسلامى . كما رأى الزوايا التى يقوم عليها أصحاب الطرق الصوفية .

شهد ذلك كله ودرسه دراسة عميقة ، وربما كان اتجاهه بعد ذلك الى البادية واتخاذها ميدان نشاطه ومجال دعوته يرجع الى اقامته فى تلك الرحلات فترة غير قصيرة فى الصحراء والسودان ، فقد أقنعته أن الدعوة فى البادية اقرب استجابة من الدعوة فى الحاضرة ، لتغلغل الفساد فيها ، وتعقيد الحياة الاجتماعية ، وسيطرة الأهواء السياسية بها ، ووجود الأجانب الذين يزينون فى المدن ولأهلها ما يأباه الدين ، ولا تقره الشريعة الاسلامية . فرأى أن يبعد بدعوته الاصلاحية عن المدن وضجيجها ، وما فيها من حياة صاخبة .

فما تلك الدعوة ؟ وما أسسها ؟ ومتى نفذت ؟ وأين ؟ وما آثارها فى مجرى التاريخ الاسلامى ؟ هذا ما ستعرفه فى المقال التالى .

الدفاع المدني وجرائم الحرب في الفقه الإسلامي

للدكتور : جمال الدين الرمادي

تقدم الأستاذ وهبه الزحيلى الموفد من جامعة دمشق برسالة الى كلية الحقوق بجامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه فى القانون فى موضوع . « آثار الحرب فى الفقه الاسلامى » .

ويعد هذا البحث الذى تقدم به من امتع واخصب البحوث القانونية التى قدمت الى الكلية فى السنوات الأخيرة فى مادة الشريعة الاسلامية ، وقد تضمنت الرسالة ثلاثة أبواب وخاتمة .

الباب التمهيدى : ويشمل عموميات عن الحرب وفيه فصلان ، الفصل الأول فى تعريف الحرب شريعة وقانونا وتاريخ الحروب وعلاقة المسلمين بغيرهم وما يتفرع عن ذلك ، والفصل الثانى عن كيفية بدء الحرب .

أما الباب الأول فيبحث فى الآثار المترتبة على قيام الحرب ، وهو يتضمن خمسة فصول ، انقسام الدنيا إلى دارين أو ثلاث وأثر الحرب فى العلاقات السلمية ، واثرها فى العلاقات السياسية الدولية ، والأسرى والجرحى والقتلى ، وأثر الحرب فى الأشخاص والأموال والجرائم المرتكبة أثناء الحرب .

اما الباب الثانى فيبحث فى الآثار المترتبة على انتهاء الحرب كانتهاء الحرب بالاسلام وآثاره ، وانتهاء الحرب بالصلح بقسميه المؤبد والمؤقت ، وانتهاء الحرب بترك القتال أو التحكيم .

وقد اشتمل البحث الذى قام به السيد وهبه الزحيلى على فصول ممتعة عن الاستعداد للحرب والدفاع عن حياض الوطن ، واخذ الترتيبات الكفيلة لحماية المواطنين من بلاء الحرب مما يعبر عنه فى العصر الحديث بأساليب الدفاع المدنـــى .

ويستفاد من هذا البحث أن الباعث على القتال فى الاسلام هو دفع العدوان وارساء قواعد الحرية الدينية لشعوب الأرض ، وللعدوان مظاهر مختلفة فكان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم على صورتين : احداهما أن يهاجم الأعداء النبى صلى الله عليه وسلم فيرد كيدهم فى نحورهم ، والثانية أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ، فكان على النبى صلى الله عليه وسلم أن يمنع ذلك الاعتداء على حرية الفكر والعقيدة . وعلى هذا النهج سار المسلمون ، فما كانوا يفاجئون قوما بحرب الا بعد أن يظهر روح العداء منهم أو معارضة الدعوة والوقوف فى وجهها والتحقير من شأنها ، ولكنهم ما كانوا ينتظرون مهاجمة العدو لهم فى بلادهم وذلك جريا على القاعدة الاجتماعية الفطرية التى قررها على بن أبى طالب « ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا » .

وذكر فى مغنى المحتاج ما قاله الشافعية « وجوب الجهاد ووجوب الوسائل لا المقاصد اذ المقصود بالقتال انما هو الهداية وما سواها من الشهادة ، وأما قتل الكفار فليس بمقصود ، حتى لو أمكن الهداية باقامة الدليل بغير جهاد كان اولى من الجهاد » .

فالاسلام يفضل سلوك السلام بصفة اصيلة كلما أمكن ذلك ، وان اعلان الحرب هو آخر الدواء الذى يعالج ما استعصى من الأمراض الوبائية القاتلة أو الضارة لمصلحة المجموعة البشرية ، وقتل الكفار ليس مقصودا لذاته وما الحرب الا ضرورة اجتماعية لدفع البغى ومنع الظلم ، وقد برر القتال فى الاسلام فى حالة العدوان وهى حالة اعتداء مباشر او غير مباشر على المسلمين او اموالهم او بلادهم بحيث يؤثر فى استقلالهم او اضطهادهم وفتنتهم عن دينهم أو تهديد أمنهم وسلامتهم ومصادرة حرية دعوتهم أو حدوث ما يدل على سوء نيتهم بالنسبة للمسلمين بحيث يعتبرون خطرا محققا .

حالات الدفاع الوقائى

ويمكن أن تحصر اوجه مشروعية الجهاد بما نسميه «حالات الدفاع الوقائى» وهــى : ــ

١ ــ كفالة حرية العقيدة ومنع الفتنة فى الدين قال تعالى « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير (الآيات من سورة الحج ٣٩ ــ ٤١) « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (البقرة ١٩٣) .

٢ ــ الحرب لنصرة المظلوم فردا أو جماعة قال الله تعالى « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها» (النساء ٧٥) وقد ناصر الرسول عليه السلام خزاعة على قريش[١] فى هدنـــة الحديبية ، بعد أن استنصروا به ، واقر حلف الفضول وقال : « ان الاسلام لا يزيده الا شدة » .

واذا قيل بأن هذه الحالة تدخل فى شؤون الغير ، والتدخل اعتداء قلنا ان التدخل مشروع اليوم للسلامة الاجماعية ولاحقاق الحق وازهاق الباطل ، وهو مشروع أيضا دفاعا عن الانسانية فى حالة اضطهاد دولة للأقلية من رعاياها .

٣ ــ الدفاع عن النفس ودفع الاعتداء عن البلاد قال الله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (البقرة ١٩)

وفى صدر المقارنة نتبين ان هذه الحالات التى تتطلبها حماية المعترف بالدعوة الاسلامية لا تخرج عن كونها استعمالا لحق من حقوق الدولة الطبيعية المعترف بها فى القانون الدولى الحاضر ، وهى حق البقاء ، وحق الدفاع الشرعى ، وحق المساواة ، وحق الحرية ، وحق الاحترام المتبادل . وكلها تبرر مشروعية الباعث على القتال فى الاسلام الذى حددناه بوجود عدوان ، ولا يفهم من كلمة « عدوان » هو أن يكون المسلمون فى حالة سلبية مطلقة ، وانما قد يكون لهم دور ايجابى فى البدء بالقتال عند توافر مقتضياته كما أن حق الحرية يخول للدولة حق التدخل دفاعا عن حقوقها أو رعاياها أو دفاعا عن الانسانية .

---

(١) كان هذا بمقتضى الحلف المقصود بينهما وبمقتضى هدنة الحديبية التى نقضها القرشيون . (الوعى)

فالأصل فى علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم . والحرب عارض لدفع الشر واخلاء طريق الدعوة ممن وقف أمامها ، وتكون الدعوة الى الاسلام بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان ، ويقول فقهاء القانون الدولى ان الحالة الطبيعية بين الدول هى السلام ، والحرب حالة وقتية عارضة مهما كان سببها .

فالسلم اساس العلاقات الدولية حتى يتيسر تبادل المنافع والتعاون على بلوغ النوع الانسانى درجة كماله ، واعتبر القانون الدولى الحرب ضرورة قصوى يلجأ اليها ، وهى الدواء الأخير اذا استعصى الداء .

ولا بد لحماية السلام من اتخاذ التدابير الكافية لتحصين الحدود والثغور ، واعداد العدة الملائمة تجاه أى عدوان ، مما نطلق عليه اليوم وسائل الدفاع المدنى ، ولا سيما والدول اليوم سرعان ما تتناسى كل اعتبار لمعاهدة اذا وجدت أن مصالحها لا تحصل عليها الا بالحرب ، كما حدث فى العدوان الثلاثى الغاشم على مصر سنة ٥٦ .

وقال فخر الدين الرازى فى تعليل الأمر باعداد العدة فى قوله تعالى « ترهبون به عدو الله وعدوكم » فإن الله تعالى ذكر ما لأجله أمر باعداد هذه الأشياء فقال « ترهبون به عدو الله وعدوكم » وذلك ان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون لــه مستكملون لجميع الأسلحة والآلات خافوهم ، كما جاء فى تفسير المنار . ويؤيد ذلك قول الله عز وجل « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » (الحديد ٢٥). فقد جمعت الآية بين القوى كلها من كمال الوعى النفسى والعقلى والروحى العام ، والاستعداد الاجتماعى عند جميع أفراد الأمة ، وسيطرة المثل العليا الواضحة الموحدة على الشعور الجامع ، المثل فى الاعتصام بالله بالاجتماع على أمره وشريعته ورضاه .

وقد كان المسلمون لا يألون جهدا فى تحصين مدنهم وحمايتها من المعتدين ، كما حدث فى غزوة الأحزاب أو الخندق ، فعندما بلغ الرسول اجتماع الأحزاب على مهاجمة المسلمين حفر الخندق ، وعمل الرسول بنفسه فى الخندق ترغيبا للمسلمين فى الأجر . وعمل معه المسلمون حتى احكموه .

وكان الخندق شمالى المدينة لأن الجهات الأخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت ، وقد اختلف المؤرخون فى مكان الخندق وطوله ، ويظهر لنا أنهم خطوه من الجهة الشرقية الى الشمال فالغرب، ثم الى الجنوب قليلا واذا صحت الراوية القائلة بأن الرسول قد وكل الى كل عشرة من المسلمين أن يحفروا قطعة من الخندق طولها أربعون ذراعا فاننا نستطيع أن نستنتج أن طول الخندق قد بلغ اثنى عشر الف ذراع على الأقل اذا فرضنا أنه لم يعمل فى حفر الخندق الا رجال الجيش الذى اتفقت المصادر على انهم كانوا ثلاثة آلاف .

وفرغ المسلمون من حفر الخندق قبل وصول قريش على الرغم من تسلل المنافقين وهربهم أثناء العمل دون استئذان الرسول .

وقد كان هذا الخندق من الوسائل الوقائية لحماية المسلمين ورد اعتداء المشركين ، وتم حفره بمشورة سلمان الفارسى ، وهو من الاستحكامات الحربية التى لم تعرفها العرب قبل ذلك حتى دهشت قريش عندما رأته ، وقال قائلهم « والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » .

وكان المسلمون لا يتوانون فى حماية الاهلين من هجمات العدو وانشاء الاستحكامات الحربية والحصون المنيعة واكوام الصخور والحجارة الكبيرة .

جرائم الحرب

هذا بالنسبة الى الدفاع عن الأهلين اما بالنسبة الى الجرائم التى ترتكب فى اثناء الحرب فقد قسم الفقهاء المسلمون الدار الى دارين دار سلام ودار حرب اما دار الحرب فتشمل جميع البلاد التى ليس فيها ولاية ولا تسود فيها أحكام الشريعة ، وذلك أيا كانت أنظمتها القانونية أو السياسية .

ورعايا دار الحرب يسمون « حربيين » ولا يلزم أن يكونوا أعداء دائما . فقد يرتبطون بميثاق مع المسلمين فيسمون « معاهدين » ولا يشترط فى الميثاق ان يدفعوا الينا مالا — وهؤلاء مع المستأمنين يعتبرون أجانب عن الدولة الاسلامية بحسب الاصطلاح الحديث فى التفرقة بين الوطنى والأجنبى .

واما دار السلام فتضم جميع الأقاليم الاسلامية مهما كانت متباعدة عن بعضها ، ورعاياها هم المسلمون وغيرهم من الذين يقيمون فيها اقامة دائمة . ويعرفون بالذميين ، وأما المستأمنون فهم الذين دخلوا دار الاسلام بأمان مؤقت لمدة دون السنة ، فهم يشبهون الأجانب الذين يقيمون فى دولة أخرى اقامة مؤقتة لمدة لا تتجاوز سنة .

وقد اختلفت الأحكام القضائية باختلاف الدارين ، فاذا ارتكب المسلم شيئا من الأسباب الموجبة للعقوبة لا يعاقب عند الحنفية حتى ولو رجع الى دار الاسلام لانه لم يقع الفعل موجبا للعقاب اصلا لعدم ولاية امام المسلمين على دار الحرب وليس لأمير السرية اقامة الحد عليه اذا لم يفوض فى ذلك .

فاذا كان الجيش بقيادة نفس الامام فله اقامة الحد فى دار الحرب ، وكذلك ان وقعت الجريمة فى دار الاسلام ثم هرب الشخص الى دار الحرب فلا يسقط عنه اقامة الحد لوقوع الفعل موجبا للعقاب فلا يسقط بالهرب .

اما اذا وقع من المسلم فى دار الحرب ما يوجب تعزيرا لا حدا أى مما ليس له عقوبة مقدرة فى الشريعة كجرائم الحرب ، والجرائم التى تضر بالمصلحة العامة فان الحنفية نصوا على أنه لا يؤديه الأمير لأول وهلة ، ولكن ينصحه حتى لا يعود الى مثل ذلك أملا للعذر ، فان عصاه بعد ذلك أدبه الا أن يبين فى ذلك عذرا ، فحينئذ يخلى سبيله بعد ان يحلف اليمين على قوله .

واستدل الحنفية على رأيهم بحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه كتب الى عماله ان لا يجلدن أمير الجيش او السرية احدا حتى يخرج الى الدرب قافلا لئلا يلحقه حمية الشيطان فيلتحق بالكفار .

وكان ابو الدرداء رضى الله عنه ينهى ان تقام الحدود على المسلمين فى ارض العدو مخافة أن تلحقهم الحمية فيلحقوا بالكفار فإن تابوا تاب الله عليهم وان كان الله تعالى من ورائهم .

وقال جمهور الفقهاء مالك والشافعى واحمد وابو ثور والامامية والزيدية والأوزاعى واسحق اذا صدر عن مسلم ما يوجب حدا أو تعزيرا فى دار الحرب فانه يستحق العقاب عليه الا الحنابلة قالوا لا ينفذ العقاب الا فى دار الاسلام .

وقال الاوزاعى لا ينفذ قطع السارق فى دار الحرب والباقون قالوا يقيم الحد فى دار الحرب ولا يؤخر الى بلد الاسلام ، لأن اقامة الحد طاعة ، فاذا

خيف من اقامة الحد ببلد الحرب من حصول مفسدة فانه يؤخر ذلك للرجوع لبلدنـــا .

والملاحظ ان مذهب الحنفية يمكن المجرم من الافلات من العقوبة مما يؤدى الى كثرة ارتكاب الجرائم وامكان النجاة من العقوبة ، فيتذرع المجرمون بهـــذا المذهب وتشيع المفاسد ولا سيما فى مثل ظروف اليوم نظرا لسهولة المواصلات وامكان هرب المجرم من بلد الى آخر .

والدول اليوم وان كانت تسير على مبدأ اقليمية القضاء فى محاكمة المجرم ، وتوقيع العقاب عليه الا انه قد يمتد حق الدولة فى القضاء الى خارج اقليمهـــا استثناء استنادا مثلا الى سيادتها الشخصية على رعاياها الموجودين فى الخارج وبذلك فلا يفلت المتهم من العقاب ولا يفر من وجه العدالة .

ويؤيد الباحث مذهب الجمهور حرصا على الفضيلة والشرف والأمانة وحفظ النفس ، وهو مقتضى اطلاق نصوص القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم الفعلية دون استثناء احد فى دار الاسلام او دار الحرب .

ولذلك هم سعد بن أبى وقاص يوم القادسية بجلد أبى محجن الثقفى حينما شرب الخمر ، وقد حبسه فى القيد لولا ان سلمى ابنة حفصة اطلقت سراحه . ليقاتل مع المسلمين بعد ان عاهدها على أن يرجع الى القيد ، ثم عفا عنه سعد وقال — لا والله لا اضرب اليوم رجلا ابلى الله المسلمين ما ابلاهم وخلى سبيله ، فقال أبو محجن قد كنت اشربها اذ يقام على الحد واطهر منها فأما إذ بهرجتنى فوالله لا اشربها ابدا .

هذا قليل من كثير مما ورد فى هذه الرسالة التى حصل بها الأستاذ وهبه مصطفى الزحيلى على درجة الدكتوراه فى القانون من جامعة القاهرة .

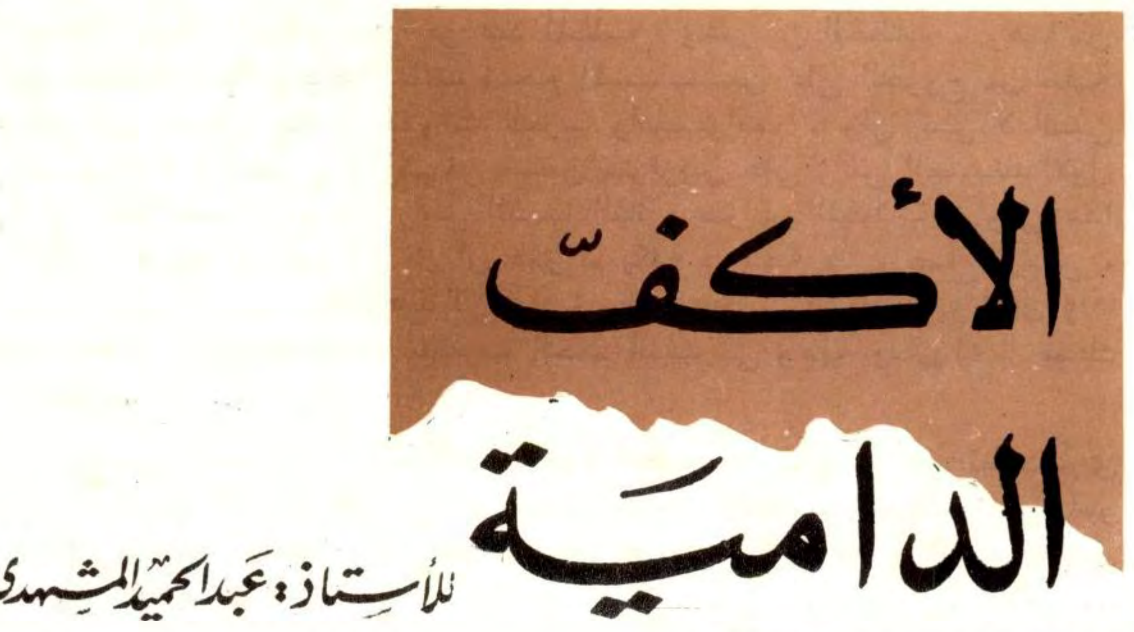
(الوعى الاسلامى)

لم يتطرق الدكتور الرمادى للحديث بشىء من التفصيل عن بقية الرسالة من الباب الثانى الذى يتحدث عن انتهاء الحرب والآثار المترتبة عليها وهو باب حافل وممتع ومهم علما بأن هذه الرسالة القيمة استحقت مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بتبادلها مع الجامعات الأجنبية .. وقد أخرجها الدكتور فى كتاب ضخم فى أواخر عام ١٣٨٢هـ أوائل عام ١٩٦٣ .

وتحت يدى الآن الطبعة الثانية منها الصادرة فى سنة ١٣٨٥ — ١٩٦٥م فى ٨٩٥ صفحة مهداة من المؤلف وقد صدر الدكتور وهبه هذه الطبعة بكلمة : تحدث فيها عن سرعة نفاد الطبعة الأولى وعن تقدير الجامعات والهيئات والقراء لها وعن الرسائل التى تلقاها من الجامعات العربية والأجنبية وكلها تشيد بهذه الرسالة القيمة التى كشفت عن ثراء الفقه الاسلامى وغناه بالمبادىء التى تجابه كل حالة من حالات الحرب والسلم بما يعالجها سلما وحربا ..

وبجوار شهادة الدكتوراه التى حصل عليها الدكتور وهبه من جامعة القاهرة حصل على شهادة العالمية من كلية الشريعة مع اجازة التدريس من الأزهر الشريف .. وهو الآن يشغل منصب عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق ..

ورسالته هذه تعتبر مرجعا عاما فى موضوعها فهو كما قال فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة رئيس لجنة التحكيم فى مناقشة الرسالة (لم يدع صغيرة ولا كبيرة فى الحرب وآثارها الا اتى بها) .



الأكفّ الدامية

للأستاذ : عبد الحميد المشهدى

« ما لأحد عندنا يد . الا وقد كافيناه بها ، ما خلا أبا بكر . فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة » .

حديث شريف

بيت الله الحرام يطل ساخرا على الطوافين عــراة الأبدان من رجــال ونساء . والاوثان حول البيت وفوقه تفيض بالبلاهة والجهل والغباء . وتجــار المال حول زمزم يملأون الجو ضجيجا وشتما وشحناء . وشيوخ قريش تتوافد صامتة حزينة على دار الندوة مع أول خيوط الظلماء . وخادم النــار يغـذيها بالاحطاب لتشتعل الدار وما حولها بالضياء . (١)

وكؤوس الخمر تدور على الجالسين عساها تذهب بما فى نفوسهم من كمد ولأواء . وعمرو بن هشام يسوى من ثيابه ، ثم يمشــط لحيته ، ثم يطلق صوته راعدا فى المجلس بكلمة « وبعد » .. فشخصت اليه الابصار وســاد المجلس صمت رهيب . ثم قال .

ــ ما وراءكم أشياخ قريش .

ابى بن خلف ــ وحقك لقد بلغ السيل الزبى . ولا ندرى الى متى ينتهى بنا المطاف حول هذا المذمم . (٢)

الوليد بن المغيرة ــ حقا أن سحب الخطوب تتجمع وتتفاقم تقطع الليل الحالك . وان الأمور تسير على غير ما نريد لها ، واذا كان اســلام عثمان بن عفان وعامر بن عبد الله الجراح (٣) وعبــد الــرحمن بن عوف ، وابن ابى قحافة (٤) ــ قد أخرج الدعوة الجديدة من محيط المستضعفين الى دائرة ذوى

---

(١) كانت المحال العامة تضاء ليلا باشعال النار فى أحد أركانها .

(٢) ضد معنى كلمة محمد .

(٣) الشهير بابى عبيدة بن الجراح .

(٤) يقصد أبا بكر .

الجاه والمال ــ فان اسلام حمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب . وهما من تعرفان شجاعة وقوة وجاها ــ قد شجع المسلمين على الخروج من ظلمة جحورهم الى شمس مكة ، وندوات العرب وأسواقهم . وأن أنس لا أنسى خروجهم من دار الأرقم بن الأرقم فى صفين متوازيين على رأس الصف الاول حمزة بن عبد المطلب ، وعلى رأس الصف الثانى عمر بن الخطاب . وفى هذا من التحدى لقريش ما فيه . . بل ان عمر لم يكفه خروجه على اجماع قريش ، ودخوله فى دين محمد . بل ذهب الى دار قريبه عمرو بن هشام « أبو جهل »(١) متحديا اياه وأخبره باسلامه . فضرب الحكم الباب فى وجهه وقال له . قبحك الله وقبح ما جئت به .

عتبة بن ربيعة ــ ان تطورات الدعوة الجديدة ــ تسير فى نظرى باندفاعات هذا الأحدب القمىء ، الاصفر الوجه القضوب السفيه(٢) يتظاهر بالزهادة فى الخمر والقمر (٣) ، ويتعالم على قريش بما يعرفه من سلاسل النسب بين العرب .

لقد ضلت قريش طويلا . باختيارها له ــ أمينا على أموال الديات وابلها وعروضها . وسارت خلفه تصدقه وتثق برأيه وتأتمنه . فانقلب عليها يسفه أحلامها ، وينال من آلهتها ، ويشوه من عاداتها ، وينتقص من كبرائها ، ويفرق بين جماعتها . يتقيل(٤) بذلك خطى صاحبه محمد .

لقد كنت اتوقع له الموت ، بعد أن صافحت النعل رأسه ، حتى غاب عن وعيه . غير أنه لم يلبث أن افاق . . صحيح أنه لم يعد يجاهر بقرآن صاحبه فى المسجد . ولكنه ابتنى له مسجدا بفناء داره ، ليستعلن فيه بما زعم انه ينزل على صاحبه من فوق سبع سماوات . ولما لم يشفه ذلك من قريش لجأ الى ابن الدغنة(٥) ، فأجاره ، دخل فى حمايته . ولكنه لم يحترم هذه الحماية . وراح يؤذى قريشا بما اعتاد أن يؤذيها به ، وينفق على رعاع المسلمين وابقيهم(٦) بصورة ستوصل أولاده قريبا الى حضيض الفاقة والاملاق ثم لا يلبث بعد هذا أن يفرض نفسه على المعركة . . فيتدخل لانقاذ صاحبه من يد من كادوا يفتكون به . فكان أشبه بريشة فى مهب الريح ، ثم يستأسد منفعلا ويقول (اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . وقد جاءكم بالبينات من ربكم) ، ثم أدرك بعد انفعاله أنه فقد احدى ضفيرتيه فى المعركة(٧) ، على أن هذا الذى

---

(١) المعروف بأبى جهل .

(٢) المبذر لماله .

(٣) القمار .

(٤) يقتدى .

(٥) بشدة وضمة على الدال وضم الغين زعيم الاحابيش .

(٦) جمع آبق وهو الشريد الضائع .

(٧) كان لابى بكر ضفيرتان على عادة السادة الكماة فى العرب على انه لا يفتنا أن نذكر أن كل ما ورد على لسان هذا المشر العنيد فى وصف أبى بكر ــ لم يكن الا تحريفا وتشويها وتأويلا خاطئا من وجهة نظره الى الخليفة الاول يرضى الله عنه سيما ما يتصل بابن الدغنة سيد الاحابيش فانه الذى منع أبا بكر من الهجرة الى الحبشة وأدخله فى جواره . تقديرا لفضائله . ولكن قريشا قد أزعجها أن يجهر أبو بكر بالقرآن حول الكعبة فحملت ابن الدغنة زعيم الاحابيش على استرجاع جواره الذى منحه لابى بكر فخضع لها واسترجعه .

فقد فتوته لم يفقد قدرته على تحريك الأحداث ، وتأليب كبار أصـــحابه على قريش . وحماية الدعوة وصعاليكها من بطش العرب فى كل مكان . فهذا رجل جدير بأن نتخلص منه قبل صاحبه محمد .

أبو جهل ــ سنخلصك قريبا من الجميع .

المطعم بن عدى ــ علام هـــذا التهـــديد والوعيد . ان مرور الأعوام الطويلة قد أثبتت قلة الخطورة علينا منهما . فعلى الرغم من خـــروج بعض أشراف قريش على اجماعها . وما أنفقه ابن أبى قحافة من أموال استغرقت أكثر ثروته(١) لتحرير العبيد والاماء ــ فان عـــدد المســـلمين فى مدى اثنتى عشرة سنة أو تزيد ــ سبعون ــ مسلما او تزيد قليلا . واذا كانت الدعــوة عاشت الى اليوم . فذلك بفضل نفوذ أبى طالب . ومال خديجة بنت خويلد . واسراف ابن أبى قحافة . وقد هلك الأولان فى عـــام واحد . وان ثقيفــا(٢) حين ردته من الطائف رداً مهينا ــ لم يستطع دخــول مكة الا مستجيرا بى . فهل دعوة محمد فى مثل وضعها الحــاضر يمكن أن تعيش طويــلا .؟ لا ارى ذلك .

أبو جهل ــ ليته بعـــد كل ما صب عليه من أحزان وآلام ومتاعب ــ ينتهى عن السير فى طريق دعوته وانك لتعلم أنه حين دخل مكة فى جيرتك . وجاء الى المسجد فى حمايتك قلت مازحا . هذا نبيكم يا بنى عبــد مناف . قد وافاكم فحمى عتبة بن ربيعة وقال . وما تنكر أن يكون منا نبى أو ملك ؟ فعلــم محمد بذلك . فانتفض ثائرا وقال (أما أنت يا عتبة فوالله ما حميت للـــه ولا لرسوله . ولكن حميت لأنفك . واما انت يا أبا جهل . فوالله لا يأتى عليك غير كبير من الدهر حتى تضحك قليلا وتبكى كثيرا . واما انتــم يا معشر الملأ من قريش . فوالله لا يأتى عليكم غير كبير من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون وانتم كارهون) فهل يتفوه بمثل هذا الكلام رجل نالت منه متاعبه واحزانه ؟ لا بد من وضع نهاية لهذه الحالة .

شيبة بن ربيعة ــ الرأى عندى الا نهون من أمر هذه الدعوة وصاحبها ، والا نستخف بثمارها ونتائجها وان كانت محدودة . لانها عناصر عنيدة . آثرت عقيدتها على الأهل والمال والروابط العائلية ، لشراء ما زينه محمـــد لهم . فخروجهم مهاجرين الى الحبشة مرتين . وركوبهم اخطار البحر ، ووحشـــة النأى ، وصعوبة البحث عن الرزق ، واحتمال الاذى ، والحــرمان ، ومغبة المقاطعة ــ كل هذا لا يدل الا على شىء واحد . هو ان هذه الروابط الجديدة بين المسلمين ــ شىء لا يمكن التغلب عليه . وان الغد يشير الى أحـــداث وتغيرات خطيرة .

المطعم بن عدى ــ لا زلت عنـــد رايى ايها القـــوم . وان الامر دون ما صورتم . ولو أن جماعة محمد لهم من القوة والترابط ما يتفق وما ذكر ابو جهل

---

(١) أنفق أبو بكر ثروته بمكة ٣٥ ألف درهم وهاجر الى المدينة بخمسة آلاف درهم .

(٢) قبائل تسكن جبال الطائف وما حولها .

وشيبة بن ربيعة — لما ارتد عن الاسلام من أصحابه من ارتد ، حين سمعوا مقالته عن الاسراء من مكة الى بيت المقدس ، وعروجه منها الى السماء ، ثم عودته الى مكة ولما يبرد فراشه .. الأمر الذى بادر بتصديقه ابن ابى قحافة ، وهو مغمض العين مغلق الذهن . بل راح يمعن فى طريق التصديق ويقول (اننى لأصدقه فيما هو أعظم من ذلك . انى لأصدقه فى خبر السماء ينزل عليه .. أفلا أصدقه فى اسرائه الى بيت المقدس وعودته قبل ان يصبح ؟

الوليد بن المغيرة — كل دعوة لها أنصار . وكلما اتسعت دائرة الأنصار استقبلت شتى الطباع والاتجاهات ، ومثل دعوى الاسراء لا تحتملها بعض العقول .

اصوات — لا بل كل العقول . ويستمر فى كلامه ..

ولعل هذا البعض هو الذى صبأ من دين محمد الى سواه ، ولكن الكثرة من اصحابه ظلت على دينها مؤمنة بما جاء به نبيها . وليس فى هذا كله ما يدعو الى القلق . وانما الذى يدعو الى القلق هو لقاءات محمد بزعماء الحجيج كل عام من كل حدب وصوب .

واذا كان عدد المهاجرين الى الحبشة من اصحاب محمد فى رحلته الاولى قد بلغ ستة عشر . وفى الرحلة الثانية وبعد عامين تقريبا ، قد بلغ المائة — فانهم لم يبلغوا هدفا . ولم يحققوا غرضا . بل آثروا السلامة وحسن الجوار ، بل أن منهم من آثر النصرانية على الاسلام لقاء العيش الرغيد فى بلاد الزرع والضرع ، ثم جاء الباقون لتستقبلهم قريش بما هم أهله من عذاب ونكال .

واذا كان هذا الرهط من المسلمين لم يحققوا فى هجرتهم غرضا — فان محمدا وحده قد استطاع فى لقاءاته بزعماء يثرب فى مواسم الحج أن يدخل فى دينه ستة عند أول لقاء ، ثم اثنى عشر فى ثانى لقاء . ثم اثنين وسبعين رجلا وامرأة فى ثالث لقاء (١) وأمر عليهم اثنى عشر نقيبا منهم ، ولعل فى تصاعد عدد المقبلين على الدعوة بهذه السرعة ما يدعو الى التشاؤم والقلق . ولو أن محمدا قد استطاع أن يهرب مع أصحابه الى يثرب ، فسوف لا يمر وقت طويل حتى يدق علينا أبواب مكة . أو على الأقل يقطع علينا طريق التجارة الى الشام فى رحلة الصيف .

وهنا فغر الجميع أفواههم ، وساد المجلس صمت رهيب ، ولم يقطع هذا الصمت الا قعقعة داوية . وزلزلة هاوية . فزع لها الجالسون . وفر بسببها من المجلس آخرون ، ثم انجلى الموقف عن صخرة ضخمة تحدرت من جبل ابى قبيس ، فكتمت أنفاس الركية(٢) وحولت النور ظلاما دامسا . وكادت تقضى على خادم النار لولا فراره . وأمسى القوم فى ليل من التشاؤم بالمستقبل . واضطراب من الحادث اليم .

ومن أقرب الحانات الى دار الندوة . سارت قدما مخمور حتى وقع فوق بعض المجتمعين . فعاد اليهم الفزع . وصاح فى وجهه بعض من أصابه الهلع .

---

(١) كان ذلك فى السنة الثانية عشرة من البعثة (٦٢١ م) .

(٢) حفرة النار .

ولكن الصيحة لم تفلح فى ازالة غفوته . أو رد صحوته . بل راح يتحسس صدر الأخنس بن شريق وهو يهتف :

سلمى .. سلمى .. ردى على .. ماذا دهاك ؟. لم لا تردين ؟. هل انت وسنانة ؟. ام انت سكرانة ؟. أم بك مس من الجن ؟. اعرف يا سلمى انك تكرهين رائحة الخمر . ولكنك ترحبين بآثار السكر ؟.

ثم ارتفعت يد المخمور الى وجه الأخنس ثم توقفت بسرعة الملسوع .. ثم صاح من جديد .. سلمى .. سلمى من النائم فى فراشى ؟ من المحموم . الذى اختار لنفسه المصير المحتوم ؟. اين سيفى . اين رمحى . اين جوادى ؟.

كان السكران يقول ذلك نصف مغمض . ويده هائمة فى الفضاء فى كل اتجاه .. فارتفعت قهقهة المجتمعين . وتتالت طرف المتندرين . فأفاق السكران من سباته .. وعرف مواضع خطواته . وكان خادم النار قد لم جمراتها وجمع شتاتها .. وتأججت من جديد السنتها .. فضرب أبو جهل كفا بكف . وصاح فى القوم : عود على بدء .

ابو سفيان بن حرب — اذا كان الامر كما ذكر ابن المغيرة — فان الموقف اصبح خطيرا . واننا اصبحنا بين الحياة والموت . ولا بد من عمل حازم .

اصوات مدوية — الموت لمحمد واصحابه .

ابو سفيان — وكيف ذلك فى وجود بنى هاشم ؟

ابى بن خلف — لم يعد لبنى هاشم خطورتهم المعروفة بعد موت ابى طالب .

ابو سفيان — ولكنا لا نريد لقريش أن يقتل بعضها بعضا . بل نريدها ملحمة سريعة لا يقتل فيها سوى محمد .

عتبة بن ربيعة — وابن ابى قحافة فهو الذى يمون محمدا بعد موت زوجته خديجة . ويساعد الدعوة من ماله حتى نفد او كاد . ولقد علمت أنه اشترى ناقتين وراح مولاه عامر بن فهيرة يعلفهما له من ورق السمر[1] منذ اربعة اشهر . وان مثل هذا العلف فى مثل هذه المدة لا يكون الا لرحلة طويلة وخطيرة .

ابو سفيان — اعود فأقول وكيف تقتل محمدا .

عتبة بن أبى ربيعة — بل وصاحبه أبا بكر .

شيبة بن أبى ربيعة — أن نختار من كل قبيلة شابا جلدا ثم يقتحمون عليه منزله . ويضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل . فلا يستطيع بنو هاشم أن يثأروا من هذه القبائل مجتمعة ولا تقف دونها فترضخ للواقع . وتلوذ بالصمت الرزين .

اصوات — مرحى .. مرحى .

أبو جهل — على بجفنة مليئة بالدم نغمس فيها ايدينا جميعا . توثيقا لما اتفق عليه . ورمزا للتضحية اذا اقتضى الأمر . انقاذا لشرف قريش وقصاصا لآلهتها .

اصوات — مرحى .. مرحى .

اصوات اخرى — لقد تم النصر !!

---

(١) بضم الميم واحدة سمره شجر معروف فى علف الابل .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

في الزواج

السؤال :

اريد الزواج من امرأة بدون علم والدى . فهل يجوز لى ذلك شرعا .

(أ. ع. م ـ طالب بالمعهد الاسلامى ببغداد) .

الاجابة :

اذا كان السائل بالغا عاقلا رشيدا كامل الأهلية فلا ولاية لأحد عليه فى الزواج ، وكافة التصرفات الأخرى ـ ولعل السائل باعتباره طالب علم بالمعهد الاسلامى اعتقد أن الزواج لا يصح الا بولى كالأب ـ مع أن المقرر أن الولاية لا تكون الا على القاصر وفاقد الأهلية كالمجنون والمعتوه والصبى المميز ، هذا بالنسبة للذكور ، أما الأناث فلا يصح عقد الزواج عليهن بدون ولى على ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من مالكية وشافعية وحنابلة . وخالفهم فى ذلك الامام أبو حنيفة حيث قال :

ان البالغة العاقلة لها أن تزوج نفسها بمن تريد . غاية الأمر أن لوليها حق الاعتراض اذا تزوجت بغير كفء ومن الأفضل أن تكل عقد زواجها الى الولى . أما بالنسبة للذكور الذين بلغوا سن الرشد وأهليتهم كاملة فلا سلطان لأحد عليهم فى جميع تصرفاتهم من زواج وغيره .

هذا من حيث صحة التصرف وعدمه .

وبقيت ناحية مهمة وهى حسن العلاقة بينك وبين والدك والتقاليد المرعية فى هذا الموضوع للابقاء على الصلة الطيبة بين أفراد الأسرة . وهذه تجب مراعاتها واعطاؤها حقها من الاعتبار فى ضوء الظروف الخاصة ، والعوامل المحيطة بكم . . حتى لا يكون الزواج سببا فى قطيعة الرحم . والله يوفقك .

التلفزيون والصلاة جماعة

السؤال :

نجلس فى البيت لمشاهدة التلفزيون ونرى قوما يصلون خلف امام بالتلفزيون فهل يصح لنا أن نصلى معهم وتكون الصلاة مقبولة ؟.

(ابراهيم محمد)

الاجابة :

صلاة الجماعة مشروعة وتفضل صلاة الفرد قال عليه الصلاة والسلام « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » وذلك لما فيها من تجمع المسلمين فى مكان واحد يتعارفون فيه ويتآلفون . ولذلك اشترطوا لصحة

اقتداء المأموم بالامام الا يوجد فاصل بينهما يحول بين امكان اتصال الامام والمأموم كطريق او نهر أو مسافة بعيدة خارج المسجد — ولا شك أن من يجلس فى بيته ويرى التلفزيون يكون بينه وبين الامام مسافات فضلا عن اختلاف المكان مما لا يحقق معنى الجماعة المقصودة فى الاسلام — ومن ثم فلا تصح الجماعة على هذه الحالة ، ومن صلى كذلك فان صلاته تكون باطلة .

في الوصية

رجل عنده أولاد — بعث بأحدهم للدراسات الجامعية خارج بلده ، وانفق عليه مصاريف كثيرة ومعروفة ، وباقى أولاده كان ينفق عليهم من مأكل ومشرب وكل ما يحتاجونه ، ولا يعرف ما أنفقه عليهم لأنهم معه وفى بيته .

فهل يجوز للوالد أن يوصى لباقى أولاده المقيمين معه بما يوازى المبالغ التى صرفها على ابنه الذى سافر للتعليم خارج بلده .

(مسلم — العراق) .

الاجابة :

الوصية من الأحكام الشرعية التى ورد بجوازها الكتاب والسنة . وهى تصرف فى التركة مضاف الى ما بعد الموت بمعنى أن الموصى له لا يستحق الوصية الا بعد وفاة الموصى — وقد منعت بالنسبة للوارث — لأنها توجب نزاعا بعد الوفاة ، والدين الاسلامى يحث على التواد والتراحم ، وأجيزت اذا اجازها الورثة ، وذلك مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله أعطى كل ذى حق حقه ألا لا وصية لوارث الا أن تجيزها الورثة » لأن الوصية من غير اجازة الورثة تؤدى الى قطيعة الرحم .

وكون الوالد صاحب المال ، يريد أن يعدل بين أولاده باحتساب ما انفقه على الولد الذى سافر — وبتعويض باقى أولاده بمثل ما أنفق يعتبر أمرا محمودا ، ولكنه غير مأمون العاقبة فى حالة الوصية بالذات ، على انه يستطيع أن يعوضهم عن ذلك بأى طريق أثناء حياته لأن الوصية لا تستحق الا بعد الموت ، وهى غير جائزة لوارث للحديث السابق .

وعلى هذا يجوز للأب فى أثناء حياته ان يعطى أولاده ما يقابل ما انفقه على ابنه المسافر بطريق غير طريق الوصية أما بطريق الوصية فغير جائز الا أن اجازتها باقى الورثة ولا تستحق الا بعد الوفاة .

في الميراث

توفيت امرأة عن :

زوج — وبنت من زوجها الذى مات وهى فى عصمته — وبنتين من زوج آخر قبله . فما نصيب كل وارث .

(أحمد نايف) .

الاجابة :

بنات المتوفاة سواء كن من زوجها الأول أو الثانى — هن بناتها ولا فرق بينهن فى الارث منها لأنها أم لهن جميعا . وبوفاتها عن زوجها وبناتها الثلاث فقط يكون تقسيم تركتها حسب البيان التالى :

للزوج الربع فرضا ١٢/٣ والثلثان ١٢/٨ للبنات الثلاث فرضا بالتساوى والباقى وهو ١٢/١ يرد على البنات بالتساوى فتصير للبنات ثلاثة ارباع التركة . وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين ان كانا .

والله أعلم



رضوان المبيلي

مولد النبي ..

لقد اكرمنى الله بحج بيته الحرام اكثر من مرة . وفى كل مرة حاولت التعرف على المكان الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكنى أخفقت ، وقد سألت عنه عددا وفيرا من اهل مكة . فلم يستطع احد أن يدلنى عليه ، فأين هو ؟ ولماذا لا يهتم المسلمون بهذا المكان العظيم المبارك الذى شهد أول اطلالة لخاتم المرسلين على الدنيا ؟ (عثمان الفضلى — السودان)

يا سيدى : لا يضير رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا الاسلام . ولا المسلمين أن يكون مكان مولده الشريف قد عفى عليه الزمن ، ودرست آثاره . ولا يرفع من قدر رسول الله ، ولا الاسلام . ولا المسلمين أن يكون هذا المكان قصرا منيفا ، أو متحفا مشيدا ، وحسب رسول الله من رفعة القدر وخلود الذكر أن اسمه الشريف يتردد كل يوم مرات ومرات على السنة الملايين من المسلمين مقرونا بالتعظيم والتبجيل . والاقرار برسالته . وحسبه من نباهة الشأن ورفعة المنزلة أن الشهادة له بأنه عبد الله ورسوله الطريق الوحيد الذى لا معدى عنه الى الدخول فى الايمان والاسلام .. وما دلالة الأحجار الجامدة . والعمد الصامتة . وما قيمتها ، وما اثرها بجانب هذه الدلالة الحية الناطقة ، المستمرة الباقية ما بقى الليل والنهار . وهل بعد هذا تخليد وتشريف ورفعة وصدق الله « ورفعنا لك ذكرك » .

أما من الناحية التاريخية ، فقد ذكر (العياشى) فى رحلته تعليقا على هذا الموضوع (ويبعد عندى كل البعد تعيين ذلك — مكان المولد الشريف — من طريق صحيح لما تقدم من الخلاف فى كونه اى المولد بمكة ، أو غيرها ، وعلى القول بأنه فيها ففى أى شعب من شعابها ، وعلى القول ، بتعيين الشعب ففى اى الدور ، وعلى القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار ، والولادة وقعت فى زمن الجاهلية ، وليس هناك من يعنى بحفظ الامكنة ، لاسيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، وبعد مجىء الاسلام قد علم من حال الصحابة وتابعيهم عدم اهتمامهم بتعيين الامكنة التى لم يتعلق بها عمل شرعى ، لصرفهم اعتناءهم — رضوان الله عليهم — لما هو أهم من ضبط الشريعة ، والذب عنها بالسنان واللسان ، وكان ذلك هو السبب فى خفاء كثير من الآثار الخ ..)

ولا يخفى يا سيدى أن تشييد الدور ، واقامة المتاحف ، وتخليد الآثار من مظاهر الترف لدى الأمم ، والأمة الاسلامية فى الصدر الأول كانت فى شغل شاغل عن هذا كله ، فلا يحزنك انك لم تعرف من مكان المولد الشريف ، وقد عوضك الله عن ذلك ما يروى ظمأك الى رسوله وشوقك اليه فشرع لك فى صلاتك التى تؤديها كل يوم مرات ومرات أن تخاطبه عليه الصلاة والسلام كأنك قريب منه ، حاضر معه ، تشاهده ويسمعك .. ألست تقول فى تشهدك فى الصلاة : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ؟

ظلموها !!

تذكر كتب السيرة النبوية أن امراة فى الجاهلية عرضت نفسها على عبد الله ابن عبد المطلب ، وطلبت منه أن يتغشاها فأعرض عنها ، فلما تزوج عبد الله السيدة آمنة وحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم — لقيته هذه المرأة مرة ثانية ، ولكنها أعرضت عنه ، فلما سألها عن سبب اقبالها عليه فى المرة الاولى واعراضها عنه فى المرة الثانية — أجابته بأنها كانت ترغب فيه أولا طمعا فى النور الذى كان يتلألأ فى جبينه ، وانه لما انتقل منه هذا النور لم تجد سببا لاقبالها عليه فى المرة الثانية ، فهل هذه الحادثة صحيحة ، ومن هذه المرأة ؟

سيد حسين — ج . ع . م

لا يكاد كتاب من كتب السيرة النبوية يخلو من ذكر هذه الواقعة ، ويسوقها الرواة للاستدلال بها على اكتمال رجولة عبد الله وقوة شخصيته ، وأنه كان مطمح أنظار الفتيات فى عهده ، ومناط أمالهن لما كان يتمتع به من بسطة فى الجسم والعقل وقوة وجاذبية تغرى النساء بالتعلق به . ويؤكد الرواة بهذه القصة أمرا آخر وهو شرف عبد الله ونبله وعفته وطهره ، وبعده عن النزوات والزلات على خلاف ما هو معروف عن كثير من الشباب وخاصة فى الجاهلية حيث لا دين يعصم ولا خلق يردع .. ويستنتجون من هذا وذاك طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم من لدن آدم عليه السلام ، وأنه ما زال يتنقل فى الأصلاب الماجدة والأرحام الطاهرة حتى حملت به أمه آمنة ..

وهذا كله أمر ثابت مقطوع به لجميع الأنبياء والمرسلين فان الله عز وجل لم يصطف نبيا ، ولم يبعث رسولا الا وهو فى ذؤابة قومه حسبا ونسبا عفة وشرفا فضلا عن أن يكون هذا النبى والرسول خاتم الأنبياء وسيد المرسلين الذى يتحدث عن نفسه فيقول : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

والى هذه النقطة من القصة لا غبار عليها ولا مطعن فيها . الا أن الرواة ذكروا أن هذه الفتاة طلبت من عبد الله أن يواقعها سفاحا ، ولا أدرى لماذا تورطوا فى هذا ؟ وما الذى حملهم على التجنى عليها فى أخطر شىء يمس المرأة وهو شرفها وعرضها ؟ هل هو مجرد اثبات عفة عبد الله وطهارته ؟ وهل هذه الصفة لا تثبت الا اذا كانت هذه الفتاة ماجنة خليعة ؟ لماذا لا تكون الفتاة عرضت نفسها على عبد الله ليتزوجها اعجابا به وحبا له ، وجاء رفض عبد الله لهذا العرض لرغبته فى السيدة آمنة وطاعة لوالده عبد المطلب الذى كلمه فى شأنها ، ويدعم هذا ما روى من أن عبد المطلب عقد قرانه على هالة بنت وهيب فى نفس المجلس الذى عقد فيه لابنه عبد الله على آمنة بنت وهب .

على أن سياق القصة يوحى بأن هذه الفتاة رغبت أولا فى عبد الله حين رأت النور يتلألأ فى جبينه فطمعت فى أن تكون حاملة هذا النور ، وأن تحظى بهذا الشرف الرفيع الذى كثيرا ما حدثها عنه أخوها ورقة بن نوفل ، ويؤكد هذا الفهم ما ذكره الرواة من رغبتها عن عبد الله بعد تزوجه بالسيدة آمنة ، وحمله منه وانتقال النور النبوى اليها ، فهل كان الدافع لهذه الفتاة أولا طيش عارض أو نزوة طارئة انه يبعد كل البعد أن تكون فتاة بهذا العقل والطموح تطمع فى أن تنال شرف الأمومة لنبى آخر الزمان من طريق غير مشروع .. فأنصفوا هذه الفتاة وهى قتيلة بنت خويلد صاحبة الشرف الرفيع والاصل العريق

بأقــــلام القــــرّاء

في ذكرى المولد النبوي

بعث الأستاذ عبد المنعم البحقيرى من نوسا الغيط كلمة فى هذه المناسبة يقول فيها :

انها ذكرى الانسان الذى أنقذ البشرية من الجهـل وحررها من البـدع والضلال وسار بها فى طريق أمين نحو بناء شخصيتها واتساع دولتها .

والانسان العاقل هو الذى يستفيد من المناسبات وهل هناك مناسبة أغلى من مناسبة المولد النبوى ؟

تعلمنا المناسبة كيف ربى الرسول قومه على الايجابية بمحاربة السلبية الضارة .. يعلمهم كيف يقومون الخطأ ..

وكيف ربى أصحابه على الحب والاخلاص والصداقة البريئة دون أطماع ولا منافع بل تحابوا بروح الله وابتغاء وجه الله .

لله درك ايها الرسول العظيم .. أيها الأب الرحيم .. أيها الانسان الكامل .. منك نتعلم ومنك نتعظ أنتَ القدوة الطيبة .. أنت المثل الطيب .

كيف استطعت أن تحول البيئة القاسية : الى حب واخـلاص الى قلوب موحدة الى نفوس طاهرة .. الى ايثار ومودة الى تسابق فى وجه الخير والبر .. الى الحب وبالحب وحده انتصرت دعوتك .. وملأت بنورها الدنيا .

سيدى رسول الله .. تحية اليك .. وتحية الى دعوتك وتحية الى الرجال الذين آمنوا بك ونصروك وايدوك .. تحية الى دعوتك السمحة والى خصالك الطيبة .. تحية لك سيدى رسول الله فى يوم ميلادك .. فى يوم هجرتك .. فى يوم مماتك .. تحية اليك منقذ البشرية ورسول الانسانية .

. . . . .

نظرة حديثة في موضوع الزكاة

ويقول الأستاذ عبد الرحمن أحمد شادى معلقا على ما جاء فى رسـالة (الصيام والزكاة) التى وزعتها المجلة مع عدد رمضان الماضى ..

سرتنى بعض النظرات الحديثة فى موضوع الزكاة مثل ابقاء سهم المؤلفه قلوبهم لمن دخلوا الاسلام وحرمتهم أسرهم من مواردهم القديمـة فيجب على

المسلمين تبنيهم وحل مشاكلهم التى ظهرت بسبب دخولهم فى الاسلام .. واختصاصهم بكل الوان العون والرعاية .. فأولها العون المادى ، ومنها شمول كلمة فى سبيل الله لكل جهد يبذل لرفع راية الاسلام فى اى ميدان ولجميع وجوه الخير مثل انشاء المدارس والمساجد والمراكز الاسلامية وجمعيات التحفيظ وتكفين الموتى الخ ..

وأزيد على هذا أن معظم الأئمة يرون وجوب الزكاة فى كل ما يزرع للقوت ويصلح للادخار كالحبوب المعروفة مثل القمح والشعير والذرة والأرز والعدس والحمص الخ .. ولا زكاة عندهم فى الخضر والفواكه والقطن والكتان الخ ..

ومن النظرات العصرية ترجيح رأى الأحناف وهو القول بوجوب الزكاة فى كل ما زرعه الانسان ونبت من الأرض لا فرق فى ذلك بين ما يتخذ قوتا وبين غير القوت كالخضروات والفواكه والقطن والقصب الخ ..

لأن بعض البلاد تعتمد على غلة واحدة كالقطن مثلا وزراعة الحبوب فيه قليلة أو نادرة وتستورد الحبوب اللازمة لقوتها من البلاد الأخرى وقد ساعدت وسائل النقل الحديثة على تسهيل عملية التصدير والاستيراد وأصبحت الأفضلية للغلة التى تدر دخلا أكبر ..

فلو سرنا مع رأى جمهور الفقهاء فى اشتراط الزراعة للقوت أو الصلاحية للادخار لضاعت زكاة ملايين الأفدنة ، وملايين الجنيهات على الفقراء والمساكين بحيث تترك نصف الأراضى المزروعة فى اقليم من الأقاليم بدون زكاة لأن أهلها يفضلون الايراد الأعلى وليست الزراعة للقوت فى المقام الأول عندهم كما كان الحال فى العصور القديمة ..

ولأنهم يخاطرون بالاعتماد على غلة واحدة كالقطن أو الشاى أو البن أو القصب أو الفواكه أو البرسيم أو الخضروات .. افتترك كل هذه الأراضى الشاسعة بغير زكاة .. وتحتم الزكاة على الأراضى القليلة التى تزرع حبوبا يشتريها زراع البطيخ أو القطن مثلا بثمن بخس ..

وهناك أراض لا تجوز فيها زراعة الحبوب فتظل طول عمرها فى زراعة الخضروات أو الفاكهة أفتبقى هذا الأمد الطويل بغير زكاة ..

ومن النظرات العصرية فى موضوع الزكاة دراسة الزكاة فى العمارات السكنية والقصور التى تبنى للاستغلال والايجار . فهل من العدل أن نطالب فلاحا اخرجت له الأرض نصابا من الحبوب ونترك صاحب العمارة يحصل من دخلها فى شهر واحد أكثر مما يناله الفلاح البسيط من فدان أو أكثر فى عام كامل وكذلك الحال فى السيارات المؤجرة الخ ..

اننا فى حاجة الى الكثير من هذه النظرات العصرية فى موضوع الزكاة حتى لا يفلت منها الأغنى الذى ينمى أمواله ويستغلها فى ميادين بشر جديدة ليست موجودة فى العصر الذهبى للفقه وللاجتهاد .

الجهـــــاد
عدة الاسلام وقوة المسلمين :

نشرت صحيفة الدعوة السعودية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

متى يؤدى المسلم فريضة الجهـــاد اذا لم يؤدها اليوم ؟ دينه يتقحم عليـــه الكفر . محاربيه مع الصهيونية ، ووطنه تتفجـــر على جوانبـــه الدواهى مـــن الاستعمار ، واخوته فى فلسطين أخرجتهم دول النصرانية من ديارهم وأموالهـــم ليدخلوا فيها من صنعوا الصليب للمسيح ــ حسب اعتقادهم ــ من سلائل يهوذا وشعبه فى أقطار العروبة وديار الاسلام لا يزال فى معترك الخطوب ومشتبك المطامع يجار بالشكوى ، ويصرخ من الظلم ويغضب للكرامة ويثور للحق فلا ينال من الضمير الغربى الا ما تنال هبة الريح من الصخر الأصم .

والجواب : ان المسلم المؤمن لا يزال على ذكر من أن دينه قرآن وسيف . وتاريخه فتح وحضارة ، وشرعه دين ودنيا وحربه جهاد وشهادة ، وحكومتـــه خلافة وقيادة ، فهو مجاهد أبدا ، لا ينفك عنه الجهاد أصغره وأكبره ، فاذا لـــم يجاهد عدوه جاهد نفسه ، واذا لم يراقب ثغوره راقب ضميره ، والمسلمون منذ استيقظ وعيهم أدركوا أن علة ما أصابهم من الاستعباد والاســـتعمار انما هى اعتمادهم على الحق دون القوة ، وعلى القول دون العمل .

وأصل ذلك الضعف . والضعف يجافى طبيعة العربى ، وينافى حقيقـــــة المسلم ، فتنادوا من وراء الحدود المصطنعة والستور المضروبة بلســـان الأدب والهام الروح ووحى العقيدة الى العمل سرا وعلنا للاستقلال الذى يحرر ، ثـــم الى الألفة التى تجمع ، ثم الى الوحدة التى تقوى ، ثم الى القوة التى تدافع .

وهذه المراحل الوعرة المهلكة التى تؤدى الى الحرية والعزة لا يقطعها الا الجهاد الفدائى الذى فرضته شريعة الله واقتضته طبيعة العرب .

وذلك الجهاد الفدائى هو بذل المال والنفس فى سبيل فكرة سامية ، كاعلاء كلمة الله ، وتكريم ذات الانسان ، وتحقيق حرية الوطن .

هو فرض عين على كل مسلم قادر اذا وقع المسلمون فى خطر عام لا يقدر على دفعه قوم دون قوم ، كالاستعمار والصهيونية .

والقيام به لا يتقيد بزمن ولا أرض ولا جنس .

مثله فى ذلك مثل الأركان الخمسة للاسلام ، ولكنه يختلف عنها فى أمـــر دقيق : ذلك أن العمل بهذه الأركان قائم بين المســـلم وربه فلا وازع لها الا مـــن ضميـــره .

أما عقيدة الجهاد فقائمة على الصلات بينه وبين ربه ووطنه وولده ومالـــه وتراثه وذكرياته وأمانيه ، فهى لا تزال حية فى نفسه على تراخى الزمن وشدة الترك ، كالنار فى البركان الهادىء ، تسكن ولا تنطفىء ، وتكمن ولا تظهر ، حتى اذا أثارتها الحمية لدين يهان ، أو لوطن يهاجم ، انفجرت فى نفوس المســـلمين انفجار الحمم فما تذر من شىء أتت عليه الا دمرته .

أعمال الفدائيين في الصحف الأجنبية

طالعتنا مجلة (اليقظة) الكويتية بترجمة لما نشر فى الصحف البريطانية عن أعمال الفدائيين ، وننقل فيما يلى ترجمة لما نشرته صحيفة (الفايننشال تايمز) اللندنية :

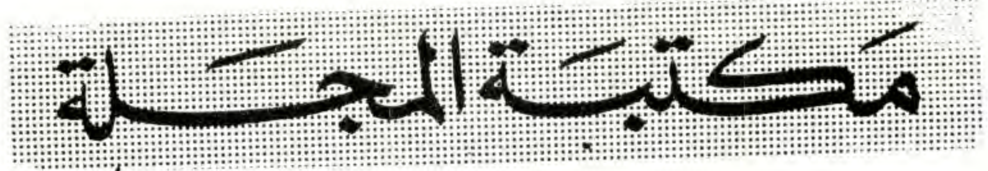
يبدو أن الفدائيين العرب خرجوا كأقوى مجموعة بعد القتال الذى دار ضد اسرائيل فى أعقاب غارتها على الأردن بتاريخ ٦٨/٣/٢١ والذين زاروا معسكر الكرامة هدف الهجوم الاسرائيلى قالوا انه لا يزال يغص بالفدائيين .

لقد خرج الفدائيون العرب الآن الى العلانية فى الأردن والناس يعلقون أهمية بالغة على الملاحظة التى وردت فى تصريحات الملك حسين فى مؤتمره الصحفى فى عمان اذ قال : « اننا سنصبح جميعا فدائيين » وقد تحدثت منظمات الفدائيين العرب فى سلسلة من البيانات عن دورها البطولى فى مقاتلة الغزاة الاسرائيليين وأكدت منظمة (فتح) أن نتيجة المعركة قد حطمت اسطورة التفوق الجوى والتكنولوجى الاسرائيلى . وقالت صحيفة الدستور الأردنية شبه الرسمية ان معركة الكرامة قد نسفت اسطورة (اسرائيل لا تهزم) . وتشير التقارير الواردة من عمان الى الحماس الذى عم سكان الأردن ، وقد خرجت الجماهير فى عمان بعشرات الألوف للاشتراك فى جنازة الذين استشهدوا فى المعركة ضد اسرائيل ، وقام كثير من هؤلاء بعد ذلك بامتطاء الدبابات والسيارات المدرعة الأخرى التى استولى عليها الأردنيون من الاسرائيليين وجروها الى العاصمة لعرضها أمام الجمهور ، وقد أدى القتال الذى اعتبر نصرا كبيرا للعرب الى رفع معنويات الشعب العربى حتى أكثر من حادثة اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات فى أكتوبر الماضى . ويقول المراقبون أن مركز الملك حسين ربما يكون قد تعزز نتيجة ذلك . وهم يشيرون الى النظام الذى ساد جنازة الشهداء فى عمان على الرغم من اشتراك هذا العدد الهائل من الناس بحيث لم يقع حادث واحد ، وهذا له أهمية كبيرة خاصة اذا ما تذكرنا الاضطرابات التى حدثت ضد الملك حسين فى أعقاب غارة اسرائيلية على قرية السموع الأردنية فى نوفمبر ١٩٦٦ .

طهر بلاد القدس

وطالعتنا صحيفة الحياة البيروتية بقصيدة للأستاذ أحمد بن سودة السفير المغربى نقتطف منها ما يلى :

وكيف يرى الانسان فى الأرض متعة ... وقد أصبح القدس الشريف ملاهيا
يجوس به الأنذال من كل جانب ... وقد كان للأطهار قدسا وناديا
عتا بها ، صهيون فدنس طهرها ... وصيرها للمومسات مغانيا
فمهلا بنى «غريون» ان مصيركم ... الى الدرك الأدنى قريبا وماتيا
فان عدتم عدنا ، وعيد منزل ... من الحكم القهار يقصم باغيا
فأين خليل الله يحمل فأسه ... يحطم أوثانا ويفحم عاتيا ؟
وأين كليم الله يظهر سره ... يهزىء سحارا ويفضح خاويا ؟
واين مسيح الله ينقذ مهده ... بآياته العظمى يدك الرواسيا ؟
وأين رسول الله يرسل جيشه ... يظلله القرآن فى الله غازيا ؟
وأين سيوف الله فى كف خالد ... وكف على كف ترد الأعاديا ؟
وحمزة ؟ والمقداد ؟ أين جميعهم ؟ ... جميعهم باعوا النفوس الغواليا
وأين صلاح الدين والجيش حوله ... ينظم أبطالا ويجزى جواريا ؟
وأين ابن تاشفين ؟ وطارق قبله ... لأجل رضى البارى يجاهد راضيا



اعداد : عبد الستار محمد فيض

عبد الرحمن الاوزاعى

دراسه مفصلة تعتبر الاولى من نوعها ، وهى تتناول تاريخ شيخ الاسلام الامام الاوزاعى ، والمؤسسات المنسوبة الى اسمه والتقاليد الشعبية المتاثرة بمكانته الروحية مع مجموعة من الرسوم والوثائق التوضيحية من تاليف الشيخ طه الولى أحد علماء بيروت . والــــكتاب يحتوى على ٢٥٤ صفحة وقامت بطبعه دار صادر ببيروت ــ لبنان .

من تاريخنـــا

مجموعة مقالات وبحوث فى ميادين التاريخ والاجتماع والصحافة والادب وهى بحوث ممتعـــة مفيدة تجمع بين جمال الاسلوب وبساطة التعبير للكاتب الاسلامى المعروف الاستاذ محمد ســـعيد العامودى رئيس تحرير مجلتى الحج ورابطة العالم الاسلامى .

ويتألف الكتاب من تسعة بحوث ، وكل بحث يصح أن يسمى كتابا بمفرده ، وهو من منشورات الدار السعودية للنشر ويحتوى على (٢٤٤) صفحة .

وحى الفــؤاد

ديوان شعر فى (٤١٥) صفحة للشاعر فؤاد شاكر ، ويبحث هذا الديوان فى مجالات كثيرة متنوعة ، ففى المجال الاسلامى انطلقت من هذا الديوان صيحات مدوية ترفع عقيرتها بالدعوة الى الله والحض على الخير والبر ، وفى المجال العربى سجل هذا الديوان كل ما له مساس بالحياة العربية السياسية والاجتماعية والديوان فوق كل هذا يعتبر سجلا تاريخيا كبيرا للاحداث العربية والاسلامية ــ وقد قامت بطبعه مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بالملكة العربية السعودية .

تحفـــة العروس
او
الزواج الاسلامى السعيد

كتاب يبحث فى الموضوعات الجنسية التى بحثها الاسلام بدقة وطرافة وتفصيل هادف الى بناء الاسرة على أسس اسلامية سامية قائمة على دعائم القوة والخير والجمال ، كما أنه يعطينا صورة كاملة عن البيت الاسلامى ، كما كان فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ليكون نموذجا واضحا لـــا يجب أن تكون عليه البيوت الاسلامية .

والكتاب يحتوى على (٢٠٠) صفحة ومن منشورات مكتبة كرم بدمشق .

الوجيز
فى العسكرية الاسرائيلية

مجموعه محاضرات القاها اللواء الركن محمود سيت خطاب على طلبة قسم البحوث والدراسات الفلسطينية بمعهد البحوث والدراسات العربية جمعت فى كتاب يقع فى (٢٢٥) صفحة .

ويشمل الوجيز فى العسكرية الاسرائيلية فصولا كثيرة أهمها : لماذا خلقت اسرائيل ..؟ السوق الاسرائيلى . التعبئة ودعوة الاحتياط ، والتجنيد والتشريع فى اسرائيل وغير ذلك .

وقد اتسمت هذه البحوث بالموضوعية والصراحة فى محاولة لبناء الاساس القوى الرصين للبحوث التى يجب أن تكتب عن العسكرية الاسرائيلية . وذلك لاشاعة الثقافة العسكرية السليمة من جهة ولاطلاع الشعب كله على حقيقة عدوهم لكى يستعدوا له ويعملوا على مقاومته من جهة أخرى .

واحترقت القاهرة

مؤلف هذه القصة الاستاذ أحمد حسين الذى شارك فى الاحداث السياسية المصرية السابقة على الثورة مشاركة ايجابية طوال ربع قرن ، وقد اختار الاستاذ أحمد حسين العمل الفنى وهو القصة لتصوير هذه الحقبة من تاريخ حياته الممتزج بتاريخ مصر لتكون القصة فى حد ذاتها عملا جديدا مبدعا خلاقا يضم الى سجل أعماله .

والقصة ثلاثية ومقسمة الى ثلاث حلقات :

الحلقة الاولى بعنوان : (أزهار) وهى قصة مصر فى الثلاثينيات ، والحلقة الثانية بعنوان : (الدكتور خالد) وهى قصة مصر فى الاربعينيات . أما الحلقة الثالثة وهى التى بين أيدينا فبعنوان : (واحترقت القاهرة) وهى تلقى الضوء على تاريخ مصر بعد الحرب العالمية الثانية حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والظروف والملابسات التى أدت لحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ والكتاب يقع فى (٥٥٨) صفحة ومن طبع المطبعة العالمية ١٦ شارع ضريح سعد بالقاهرة .

صفارة الانذار

ديوان من تأليف الاستاذ سعد البواردى الملحق الثقافى السعودي لشئون الاعلام والنشر وهو مجموعة قصائد من الشعر الحر قيلت بعد عدوان يونيو ٦٧ والديوان فى (٩٨) صفحة . ومن طبع مطبعة الغريب ، بيروت — لبنان .

المعتدون اليهود
من أيام موسى الى أيام دايان

أول كتاب عربى يظهر بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ليناقش العدوان اليهودى على البلدان العربية ويرجعه الى أصوله العقائدية والتاريخية ، ويثبت بالنصوص القاطعة أن وجود اليهود الحالى فى فلسطين لا يرجع الى اضطهاد الدول لهم ، ولكن يرجع الى تحقيق مخطط قديم ورد فى التوراة ، والى حقد دفين تأصل فى نفس اليهود ضد العرب منذ خمسة وثلاثين قرنا ، وكتاب الاستاذ محمد صبيح عن هذا الموضوع يوضح أبعاده الحقيقية ويضيف حلقة جديدة الى سلسلة دراساته التاريخية السابقة . والكتاب يقع فى (٢٩٤) صفحة وقامت بطبعه مطبعة العالم العربى ٢٣ شارع الظاهر بالقاهرة . ويطلب من مؤلفه ٣٩ شارع الفلكى القاهرة .

جغرافية الاندلس وأوربا

كتاب من تحقيق الدكتور عبد الرحمن على الحجى جمع كل النصوص التى بقيت من كتاب المسالك والممالك لأبى عبيد البكرى ، والمتعلقة بجغرافية الاندلس وأوربا ، وقد اعتنى المحقق بضبط كل لفظة والتعليق عليها مع الشرح والتعريف كما ذكر جميع المراجع العربية والاجنبية ، التى لها صلة بهذا الموضوع .

والكتاب يقع فى (٢٥٨) صفحة ومن جمع دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ص. ب ٦٣٤٧ بيروت — لبنان .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت :

اعداد : عبد المعطى بيومى

● قام سمو أمير قطر بزيارة لأخيه سمو أمير البلاد المعظم استغرقت أربعة أيام ابتداء من الأحد ١٢ مايو ١٩٦٨ ، وقد أجريا مباحثات هامة تناولت تدعيم الوضع العربى ولا سيما فى الخليج .

● زار البلاد السيد / عبد الحميد البكوش رئيس الوزراء الليبى لمدة ثلاثة أيام من ٨ مايو وقد صرح سيادته بأن الكويت وليبيا بامكانهما القيام بدور هام فى الشئون العربية والاسلامية وشئون الشرق الأوسط بوجه عام .

● وافق مجلس الوزراء على التبرع بمبلغ ٣٢ ألف دينار لنشر الثقافة الاسلامية وانشاء بعض المساجد والمراكز الثقافية الاسلامية فى بعض البلاد العربية والأجنبية وفق توصية معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية .

● احتفل فى مدينتى تونس وصفاقس بالاسبوع الثقافى الكويتى الذى افتتحه وزير الثقافة التونسى عرضت فيه الكويت الصور والرسوم والطوابع البريدية ومطبوعات التراث العربى وما تصدره من مجلات ، وقد اقبل عليها الشعب اقبالا منقطع النظير مما ينبىء عن تلهف شديد للثقافة العربية .

● منحت حكومة تايلاند سعادة وزير الخارجية الكويتى وسام الفيل الأبيض من الدرجة الأولى كما منحت معالى وزير العدل أيضا الوشاح الأكبر لوسام تاج تايلاند تقديرا لخدماتهما لمؤسسة الايتام الاسلامية فى تايلاند .

● وجه النادى العربى الثقافى فى بيروت الدعوة للكويت للاشتراك بمعرض الكتاب العربى الرابع عشر الذى سيقام بقاعة اليونسكو فى بيروت خلال الفترة الواقعة بين ١١/٢٥ ، ١٩٦٨/١٢/٧م

● أصدرت الحكومة عدة قرارات مالية حول منع التعيين وتنظيم الاعارة والتعاقد والاحالة على المعاش وذلك لمعالجة التضخم الوظيفى وتطبيقا لسياسة التقشف .

● القاهرة : أجريت مباحثات هامة بين المتحدة وسوريا حول الوضع الراهن ..

● عقد فى قاعة محمد عبده بالأزهر الشريف مؤتمر كبير لأئمة المساجد والوعاظ وأساتذة جامعة الأزهر حضره السيد / حسين الشافعى وزير الاوقاف والدكتور عبد العزيز كامل نائب الوزير وذلك لبحث شئون الدعوة .

● يعد الدكتور عبد العزيز كامل نائب وزير الاوقاف خطة جديدة للوزارة تستهدف توسيع قاعدة الدعوة الاسلامية بدل الخطة الحالية للوزارة وهى منذ خمسين سنة .

● استقبل فضيلة شيخ الأزهر مستشار المركز الاسلامى بالنمسا وقد جرت مباحثاتهما حول الشئون الاسلامية العامة .

● أثيرت ضجة صحفية حول ما قيل من ظهور طيف السيدة مريم فى احدى الكنائس . والموضوع يكتنفه الغموض والتهويل ..

● الرياض : التقى فى الرياض فى الشهر الماضى أصحاب الجلالة الملك الحسن ملك المغرب والملك حسين ملك الأردن والملك فيصل الذى قال « لسنا ولله الحمد قلة ولسنا ضعفاء ولكن ينقصنا شىء واحد ينقصنا قبل كل شىء الايمان بالله سبحانه ووحدة العمل والاخلاص .. »

● وضع الملك فيصل مبلغ عشرة ملايين جنيه استرلينى كاعتماد خاص ، تحت تصرف الحكومة الاردنية كما قدمت امارة « أبو ظبى » (١٤) مليونا من الجنيهات ضمن جهد مشترك لاعطاء أكبر قدر من التأييد العملى للأردن .

● قدم الى المملكة رئيس المركز الاسلامى بروما وقد أوضح أن المنشآت والجهود التى يبذلها المركز بحاجة الى العون المادى من الغيورين على الدين حتى تواصل العمل وتستمر فيه .

● بغداد : اعلن الرئيس عارف فى حديث له ان هزيمتنا بسبب تفرقنا . وأن الواجب على الدول العربية دعم العمل الفدائى .

● تعمل لجنة التبرعات للعمل الفدائى الفلسطينى على جمع مليون دينار لهذا العمل خلال ثلاثة اشهر .

● الاردن : قام جلالة الملك حسين بجولة واسعة لزيارة المتحدة وليبيا ولندن وباريس كما قام السيد بهجت التلهونى رئيس الوزراء بزيارة المتحدة والعراق ولبنان ضمن الجهد الذى تبذله الأردن لرد العدوان .

● احرزت المقاومة العربية للاحتلال الاسرائيلى تقدما كبيرا رغم اقامة اسرائيل للحاجز الالكترونى ، وقد استعمل العرب الصواريخ الموجهة لأول مرة فى احدى هجماتهم الاخيرة كما أعلنت منظمة فتح عن نفسها كمسئولة أمام الشعب عن الكفاح .

● وجه يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة واديكى بورما رئيس منظمة الأغذية والزراعة بالامم المتحدة نداء الى دول العالم يناشدانها تقديم المعونات العاجلة لحوالى (٣٠٠/٠٠٠) لاجىء حرب عربى فى الاردن اذ ان المعونة التى رصدها لهم برنامج الاغذية ستنتهى فى مايو الجارى .

● طلب وزير الثقافة الأردنى من القيم الدولى على الآثار المعين من قبل اليونسكو منع اسرائيل من تحديها لمشاعر المسلمين بالاستمرار فى حفرياتها فى ساحة الحرم القدسى الشريف والمناطق الاخرى .

● لبنان : شيعت لبنان بـ (٦٠) ألف مواطن عربى وممثلين عن سائر الهيئات اللبنانية جنازة الشهيد الشاب خليل الجمل اول لبنانى يستشهد على الارض العربية السلبية ، وبهذه المناسبة أعلنت « فتح » أنها تقبل جميع المتطوعين من غير الفلسطينيين للعمل الفدائى .. لقد فتح باب الجنة للراغبين.

● السودان : أسفرت انتخابات السودان عن فوز حزب الاتحاد الديمقراطى برياسة الشيخ على عبد الرحمن بـ (١٠١) مقعدا وكل من جناحى حزب الامة بـ (٣٦ ، ٣٠) مقعدا وحزب الميثاق الاسلامى بـ (٣) مقاعد ، والحزب الشيوعى بمقعد واحد وسقط السيد صادق المهدى رئيس أحد جناحى حزب الأمة ، بينما فاز الأزهرى ، ومحمد محجوب والشيخ على عبد الرحمن .

● ليبيا : من المنتظر أن يتم قريبا تزويد ليبيا بأسلحة بريطانية للدفاع الجوى تبلغ قيمتها أكثر من مائة مليون جنيه كما جرت عدة مباحثات بين فرنسا وليبيا بهدف تزويد الجيش الليبى ببعض الاسلحة .

● تونس : قطعت تونس علاقاتها الديبلوماسية مع سوريا !! كما قام الرئيس بورقيبة بزيارة لكندا أو الولايات المتحدة واسبانيا .

● الجزائر : قرر مجلس الوزراء الجزائرى عدم تعيين أى موظف جزائرى اعتبارا من ١٩٧١ اذا لم تكن لديه معرفة كافة باللغة العربية .

● اندونيسيا : اثناء زيارة الامبراطور هيلا سلاسى قوبل بمظاهرات وهتافات عدائية من الشعب بسبب سوء معاملته للمسلمين فى الحبشة وارتيريا .. واتخذت الحكومة احتياطات مشددة للمحافظة عليه .

● باكستان : وقف مندوب باكستان فى مجلس الأمن على عادته موقفا مشرفا من القضية العربية وحمل على اسرائيل حملة عنيفة .

● ابلغت سفارة الأردن فى باكستان وزارة خارجيتها بان عددا كبيرا من الشباب الباكستانى قد سجلوا اسماءهم متطوعين لازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

● ايران : عقد فى طهران فى الشهر الماضى مؤتمر الامم المتحدة لحقوق الانسان وقد أصدر المؤتمر عدة قرارات منها استنكار معاملة اسرائيل للعرب واستنكار التميز العنصرى .

● افغانستان : قام الرئيس التركى جودت صوناى بزيارة افغانستان وقد أجرى مع الملك محمد ظاهر شاه مباحثات هامة .

● فينا : احتفل فى فينا فى الشهر الماضى بانشاء مركز اسلامى حضره سفراء الدول العربية والاسلامية وأعضاء الجالية الاسلامية فى النمسا .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ــ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـــاض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢

جـــــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص . ب : ٢٠٤٣

بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـــى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ــ السيد رجا العيســى

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكـــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبـــيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر ا[illegible] يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

جانب من ميناء الكويت حيث تزدحم فيه بعض السفن التى تســـتعمل للنقل القصير أو السفر الى الهند ..



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الاربعون ـ السنة الرابعة ـ غرة ربيع الثانى ١٣٨٨ هـ ـ يونيو (حزيران) ١٩٦٨ م





يقوم وفد من كبار المعنيين بالشئون الاسلامية فى جنوب كاليفورنيا بامريكا بجولة فى بعض الدول الاسلامية لجمع تبرعات لاقامة مركز اسلامى نرعى شئون المسلمين دينيا وثقافيا هناك ، وفى هذه الصورة يستقبل سمو الشـــيخ جابر الأحمد ولى العهد ورئيس مجلس وزراء الكويت الوفد برياسة الدكتور عبد المحسن البيلى أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة جنوب كليفورنيا وعضوية الدكتور صبرى الفرا والدكتور الهادى من كبار الاطباء هناك ..

صورة الغلاف



منظر خارجى لمبنى قاعة الامــام الشيخ محمد عبده للمحاضرات وبرج الساعة فيها ، بجوار الجامع الأزهر .. وهى قاعة حديثة فسيحة مجهزة بأحدث الأجهزة .. وبجوارها بعض كليات الجامعة الأزهرية ، وترى الى اليسار جزءا من حديقة الادارة العامة للأزهر .. وعلى خطوات منها مسجد الامام الحسين رضى الله عنه .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الاربعون

ـ السـنة الرابعة ـ

غرة ربيع الثانى سنة ١٣٨٨ هـ

يونيــو « حزيران » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميه بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسـة

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويـت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسـا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـة
ص. ب ١٣ هاتـف ٢٢٠٨٨
الكويـت

معالى وزير الأوقاف يقول

رسول الله هو قدوتنا فى الصبر والجهاد

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ونقل مراسم الحفل التليفزيون والاذاعة ، وقد افتتح معالى السيد/عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف الحفل بهذه الكلمة المركزة الجامعة :

ان لكل أمة أياما تعتز بها ، وذكريات كريمة غالية فى تاريخها لا تنساها ، ولكنها تكون أشد ذكرا لها ، حين تمر عليها مناسباتها ، فتعيش معها بقلبها ووجدانها ، وتاخذ منها العبرة والدرس ليومها وغدها .

وإننا اليوم والعالم الاسلامى كله معنا وذكرى ميلاد الرسول الأعظم تمر بنا لفى أشد الحاجة الى أن ناخذ من ذكرى هذا اليوم يوم ميلاد الهدى والنور نقطة تحول فى تاريخنا الحاضر . كما كان يوم الميلاد بدء ميلاد تحول جديد فى تاريخ البشرية .

ان عظمة يوم المولد ترجع الى ما كان للوليد اليتيم بعد ذلك من اختيار الله له ، ليتم برسالته الرسالات ويختم بنبوته النبوات . ويخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويبنى بهذه الرسالة أمة ، ويؤسس على مبادئها حضارة ودولة .

ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله ومصطفاه ، وأحب الخلق اليه وأكرمهم عنده ، وكان الله سبحانه قادرا على أن ينصره دون حرب ولا جهاد ، ولكن الله أراد أن يجعل من حياة رسوله مثلا وقدوة لعباده فى كل ميدان من ميادين الحياة ، وهو سبحانه يقول لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، ولقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته بعد بعثته مجاهدا صابرا ، مع المشركين تارة ، ومع اليهود تارة ، ومع الروم تارة أخرى وكانت عدته وعدة أصحابه فى هذا الجهاد الايمان والصبر والثبات وحسن التأهب والاستعداد .

خاض معارك كثيرة ، وانتصر وانهزم ، فلم يحمله الانتصـــار على الغرور ، ولم تدفعه الهزيمة الى اليأس ، بل ظل قوى الايمان بالله ، شديد البأس على أعدائه ، حتى جاء نصر الله والفتح ، واتم له الدين ، وأكمل عليه نعمته . واذا كانت الأمة الآن تعيش اقسى ايامها وتمتحن امتحـــانا شـــديدا فى ايمانها وثباتها ، وتقف وجها لوجه أمام قوى الشر المتجمعة عليها ، فلقد امتحن رسول الله من قبل امتحانا شديدا ، وتالبت عليه قوى الشر فى الدنيا كلها ، فلم يضعف له ايمان ، ولم تهن فيه عزيمة ، لا هو ولا أصحابه المؤمنون به الذين باعوا الدنيا كلها رخيصة فى سبيل عقيدتهم وايمانهم بربهم ورسولهم .

ولقد وقف أعداء الله اليهود من رسولنا موقف العدو الألد يتربصون به ويؤلبون قوى الشر عليه ، يحسن اليهم فيســـيئون اليه ، ويهادنهم فيتآمرون عليه .. « وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدى المؤمنين » .

وان التاريخ الآن ليعيد نفسه ، ويقف أعداء الله من الاسلام وأتباعه نفس الموقف الذى وقفه أجدادهم من قبل وصدق الله العظيم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

فلنجعل من ايماننا ويقظتنا واتحاد كلمتنا وصبرنا فى جهاد عدونا سلاحنا وعدتنا للقضاء على أعدائنا .

واننا لنحيى بكل قلوبنا هؤلاء الأبطال الفدائيين الذين باعوا أرواحهم رخيصـــة فى سبيل دينهم وتطهير ديارهم من أعداء الله : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

أولئك الذين فتحوا باب الجنة وميدان الخلود لرجال هذه الأمة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وفى ختام كلمتى يسرنى ان أرفع أسمى آيات التقدير والاحترام الى مقام حضرة صاحب السمو أميرنا المعظم وولى عهده والشـــعب الكويتى الكريم ، وأحيى اخوانى المسلمين فى كل مكان . وأسال الله جلت قدرته أن يجمع كلمتنا ويوحد على الحق قلوبنا حتى تعود علينا هـــذه الذكرى الكريمة ونحن فى فضل من الله بالعزة والانتصار .

والسلام عليكم

بسم الله الرحمن الرحيم



أبناؤنا وبناتنا ..

رجال الغد .. وأمهات المستقبل ..

تكثر الشكوى منهم ، ومنهن .. ويقول الآباء والامهات : اننا كلما وجهنا اليهم أو اليهن نصحاً ، أو أبدينا لهم أو لهن رأيا لا يتفق وهواهم .. رفضوه .. واذا ألححنا عليهم بدافع الشفقة والحب تخلصوا من هذا كله بانهم أبناء القرن العشرين .. وأن زماننا انتهى ، واننا نتحدث من خلال الماضي ، الذي لا تصلح أفكاره للحاضر والمستقبل .. وهكذا ..

وتفيض المرارة بالآباء وهم يذكرون هذا ، مشفقين على أولادهم من هـذا الانفصال الفكري الذي يتوهمونه ، والذي يتحدون منه سلما للاعتداد بآرائهم ، والاستخفاف بما عداها ، حتى ولو كانت آراء الوالدين ، عصيرة الحنان والحب والتجربة .. والحرص على مستقبل أولادهم ..

والذي يشكو منه الآباء ظاهرة واضحة ، جديرة بالتفـكير والعنـاية والدراسـة ، فهي لا تخص بلدا أو مجتمعا عربيا دون آخر .. فما تنقلت في بلد او مجتمع الا سمعت هذه الشكوى ، ولمست هذه الظاهرة ، لا بالنسـبة للآباء وحدهم ، بل بالنسـبة كذلك للمدرسين والمربين .. وهي ظاهرة تمرد خطيرة ، تحجب عن الشـباب ذخيرة التجارب التي يختزنها الآباء والمربون ، وتجعله كأنه يسير في صحراء ، دون هاد أو دليل ، أو كأنه نبت شيطاني طفيلي ليس له جذور ولا أصول ، سرعان ما يطير مع الهواء .. يجف ورقه ، وتتناثر آثاره ..

هذا النوع من الشباب يحطم بيديه المصـباح الذي يضيء له الطريق ، ويزيح اليد الرحيمة التي تمتد اليه تساعده على النمو الفـكري والاجتماعي ، وعلى تهيئته للاضطلاع بدوره كاملا في حياته المسـتقبلة .. ويقع من حيث لا يدري في يد النصابين والمحتالين والمضللين الاجتماعيين ، يكيفون حياته على ما يريدون لا على ما يريده له أرحم الناس به ، وأكثرهم حدبا وعطفا عليه ..

والشبان بهذا لا يعرضون أنفسهم وحدهم للخطر ، بل يعرضون مجتمعهم الذي سيتولونه لعوارض الضعف الصحي في أفكاره وأعماله ، ويصنعون مجتمعا ضعيفا ، لا حصانة فيه ضد العدوى التي تتوافد عليه من كل اتجاه .

ولست القي اللوم كله على الجيل الجديد من أبنائنا وبناتنا كما يفعل بعض الناس .

كما لا القي اللوم كله على الوالدين في بيوتهم ، ولا المدرسين والمربين في مدارسهم ، أو قاعات محاضراتهم .. فهؤلاء جميعا مجني عليهم كأبنائهم وطلابهم .. وكل واحد منهم ــ أبا كان أم مربيا ــ يبذل قصـارى جهده ، وعصـارة فكره ، وكل حيله ، لينشئوا الجيل الجديد على خير ما يحبون ويشتهون ، ولكن حيلهم تقصر عما يريدون .

فمن الملوم اذن ؟

هنا يجب أن نتصارح ، فليس الأمر أمر صفقة تجاريه تربح أو تخسر ، او زرعة تنمو أو تبور ، وانما هو أمر الجيل القادم الذى سيأخذ على عاتقه مسئوليات هذه الأمة ، ويعطيها من نفسه ما يجدد شخصيتها وملامحها ، وما يصلها بتراثها وأمجادها ، ويحفظ عليها كيانها ، ويجدد لها قوتها ، ويدعم مثلها وقيمها . ويحقق الآمال التى نعجز عن تحقيقها . أو التى لا يسعفنا زماننا بتحقيقها ..

انه أمر امتداد هذه الأمة للمستقبل ، وتسليم أمانة نموها ومثلها لجيل يبنى على ما بناه الآباء ، ويزيدون عليه قوة وارتفاعا واتساعا .. لا لجيل يتنكر لماضيه ، ويهدم ما بناه الأولون .

واننا جميعا — وفى مقدمتنا أصحاب القدرة الفعلية على التوجيه — يجب أن ندرك أننا نعيش هنا فى الشرق الاسلامى العربى — تحت ضربات عاتية تأتينا من الخارج ، تغزو فينا العواطف ، والعقول ، والشارع والبيت ، والحانوت والمكتب ، والمصنع ، وكل شىء فى حياتنا .. وان من الطبيعى فى مثل هذه الحالة أن يكون لذلك كله تأثيره وآثاره فى حاضرنا ومستقبلنا .. واننا فى مثل هده الحالة بين أمرين :

اما أن نستسلم ، ونلقى بأنفسنا فى أحضان هذه التيارات ، توجهنا وتؤثر علينا كما تشاء هى ، لا كما نشاء نحن ، وتصنع منا دمى لها تلعب بها وتحركها ، وتقتل فينا كراة الدم التى تجرى فى عروقنا من آبائنا وأجدادنا ، وتقضى على كل نزوع فينا للاعتزاز بتاريخنا ، أو استعادة أمجادنا ، وتقطع صلاتنا بماضينا .

واما أن نؤمن بأننا ورثة الذين علموا الدنيا ، وبثوا فيها الحضارة ، وكانوا خير أمة عرفتها البشرية : دينا وخلقا ، وعلما وعملا .

وأننا لسنا السفهاء الذين يضيعون أمجادهم ، أو يبيدون ثرواتهم .

ولسنا الضعفاء الذين يفرون من مسئولياتهم ، أو يفرطون فى أماناتهم ، أو يستهينون بكراماتهم .

ولسنا الامعات الذين يعيشون على موائد غيرهم ، ويميلون مع الريح حيث تميل ..

ولسنا نرضى بأن نكون أمة كاللقطاء ، لا رابط لها يربطها بأصولها .

ولسنا نرضى بأن نكون أمة ممسوخة مشوهة .. لا تناسق بينها وبين أرضها وجوها ، بل لا تناسق فى معالم تفكيرها ..

ولا يمكن لنا أن نترك أبناءنا فريسة لتربية لا تتفق مع ماضينا ولا حاضرنا ولا مستقبلنا ، ولا تتلاقى مع آمالنا : فى أن يكون غدنا أفضل من يومنا وأمسنا ، وأن يحتل أبناؤنا وأحفادنا مراكز الأجداد العظام فى ركب الحياة : دينا وخلقا وقوة .

أمران لا ثالث لهما :

أما الاستسلام للتيارات الوافدة الغريبة : غربية أم شرقية ، فتشكلنا كما تريد ، وتخلق منا مسخا مشوها ..

واما مقاومة هذه التيارات وبذل كل الجهود لاثبات شخصيتنا ، والحفاظ على مقوماتنا .

ولا أظن أن هناك أحدا يختار الأولى على الثانية .. الا اذا كان عميلا على أمته متآمرا عليها ..

فبقى بعد ذلك من يتحمل العبء لتحقيق الثانية ..

وهو عبء ليس بالهين ، فهو لا ينهض به الآباء وحدهم ، لأن جهودهم جهود أفراد مبعثرين ، وكثيرا ما تضيع جهودهم أمام التناقض البين فى مجتمعهم ..

ولا ينهض به المربون والمدرسون وحدهم ، لأن جهودهم كذلك جهود أفراد محكومة بالمجتمع الذى يعيشون فيه ، وبالتخطيط الذى يسيرون عليه .. وكثيرا ما تضيع رغباتهم وجهودهم أمام السيل الجارف من التناقضات ، التى تفشى مجتمعهم ، برغم أنوفهم ..

فالأمر اذن ليس أمر الآباء ولا المربين وحدهم ، ولكنه أعظم من هذا كله وأخطر .. لأن وسائل التربية والتأثير على النشء الجديد ، وعلى الأفكار والاتجاهات عموما لم تعد قاصرة على البيت ، ولا على المدرسة ، بل تعددت وسائلها ، واتسع ميدانها . وخرجت عن طوق الآباء والمربين .. وأصبح من الضرورى أن يتحمل هذا العبء معهم من يقدر عليه .

وانه لعبء ضخم يتناسب مع ضخامة الهدف النبيل الذى نسعى اليه ونرجوه ، وهو تثبيت شخصية الأمة ومقوماتها وصيانتها من الانحراف والانهيار ..

عبء يحتاج الى تخطيط شامل ، والى تعبئة كاملة ..

وليس هناك من يستطيع حمل هذا العبء أولا الا الحكومات التى تعتبر مسئولة عن حاضر الأمة ومستقبلها ، والتى تهيمن على وسائل التأثير والتوجيه ، وتملك من قوة التقنين والتوجيه والردع ما لا يملكه الأفراد أو الهيآت .

فليس من المعقول أن نلقى العبء كله على البيت ، والشباب يرى فى ((السينما والتليفزيون)) ويقرأ فى الصحف والمجلات ما يمكن أن يهدم كل توجيه كريم تلقاه فى البيت !!

ليس من المعقول أن نلوم الشباب أو البيت أو المدرسة فى الوقت الذى نسمح فيه بمعاول الهدم تهوى على كل ما يبنيه البيت والمدرسة فى نفوس الناشئة من معان كريمة ..

ان الحكومات التى ترعى شئون رعاياها فى كل بلد هى المسئولة اولا عن صنع الجيل الجديد ، وتربيته على أساس من الخلق القويم ، والعلم المكين ..

وهى المسئولة عن صيانته من الغزو الفكرى المنحل ، والانحراف الخلقى السقيم ..

وأية حكومة تقصر فى أداء واجبها ، أو تتهاون فى حمل مسئولياتها من هذه الناحية تعتبر شريكة من حيث تدرى أو لا تدرى مع الذين يتآمرون على هذه الأمة ، ليزلزلوا بنيانها ، ويشوهوا حاضرها ، ويمسخوا مستقبلها ..

ان الصحافة لها نفوذها على النفوس ، وكذلك ((التليفزيون والسينما)) والاذاعة ، وليس من المقبول أن يقفز أناس الى مكان التوجيه فى هذه الأجهزة ، يكتبون ، أو يتحدثون ، أو يعرضون للجماهير ما يحلو لهم ، دون أن يكون هناك مخطط مرسوم ، هدفه : صيانة أخلاق الأمة ، وتدعيم الروح الدينية فى نفوس أبنائها ، والحفاظ على معنوياتها ..

ليس من المقبول فى أمة تدين بالاسلام أن يقفز الى مكان التوجيه فيها أناس لا ثقة لهم بدين ، أو لا تجاوب فى حياتهم بينهم وبين تعاليم دينهم وآدابه .

ليس من المقبول أن يسمع الابن فى البيت من التوجيه الدينى والخلقى ما يجده موضع استخفاف فيما يقرؤه لبعض الكتاب ، أو يراه فى بعض التمثيليات والأفلام ..

وليس من أمانة الرعاية التى وضعها الله فى عنق الحكام أن تترك أية حكومة اسلامية ، فى أى بلد اسلامى الجيل الجديد من أبنائها ، نهبا سائغا لبعض الموجهين الذين لا هم لهم الا عزل الشباب عن دينهم وتعاليمه وأخلاقه ..

ليس مقبولا أن نسمع من القادة حرصا على أخلاق الأمة ، وتكوين جيل سليم الخلق ، ثم نرى معاول الهدم تنهال تحت سمعهم وبصرهم على أخلاق الأمة ، وبنيان الشباب ..

اننا فى عالمنا الاسلامى الذى يحتمل واجب الحفاظ على الاسلام والنهوض به ، نعيش فى متناقضات ، ونخبط فى متاهات لا ندرى الى أين نسير ؟

هل نحن حقا أمة اسلامية تحترم انتسابها للاسلام ؟

هل نحن حقا أمة تتطلع الى المستقبل ، وتعمل له على أساس سليم من عقيدتها وأخلاقها ؟

لقد دق بعض الكتاب والموجهين على نغمة أن التمسك بالدين رجعية ، وأن الحفاظ على الآداب والتقاليد الاسلامية تأخر وهمجية ، فالتقط الشباب مثل هذه الكلمات والأفكار — سواء تأثروا بها حقيقة ، أم لم يتأثروا — ليستعملوها سلاحا ضد كل من يدعوهم الى الدين والتقاليد الكريمة !!

فهل نلوم الشباب وحدهم ونترك هؤلاء الكتاب والذين فتحوا لهم الطريق ، وهيئوا لهم مراكز التوجيه والقيادة ، وعبدوا لهم الطريق ، لينفثوا هذه السموم ؟

ان فينا ظاهرة مرضية خطيرة تؤذن بشر مستطير — يجب علينا جميعا العمل لتطهير المجتمع منها .. فبعض الناس يتخذ من مهاجمة الدين وتعاليمه وآدابه سلما للشهرة ، ورواج البضاعة ، ونجد بعض الصحف والاذاعات ودور النشر ترحب به ، وتقدمه للجمهور على أنه مفكر عملاق ، وحلال معضلات !! وهذا اتجاه من شأنه تفشى هذا الوباء ، وشيوع العدوى به ، واغراء الشباب بالسير فى هذا الطريق ، الذى يوفر لهم الشهرة واللمعان فى المجتمع الذى يعيشون فيه !! ولهذا نجد بعض الشباب فى المدارس والجامعات والمجتمعات يسلك هذا الطريق الوعر ، تشبها بهؤلاء الذين اشتهروا على حساب النيل من دينهم .. وطمعا فى أن ينالوا ما نال هؤلاء من شهرة !!

فماذا يعنى هذا ؟ ومن المسئول عن رواج هذه السيئات ؟

وقد تقول ان الشعب كذلك يشارك فى بناء مثل هؤلاء الرجال .. ولكن ماذا يفعله الشعب وهو يرى أجهزة الاعلام على اختلاف أشكالها ، وعلى قوة تأثيرها تركز عليهم الأضواء ، وتصب فى سمعه وبصره أن هؤلاء هم قادة الفكر ، وعمالقة الأدب وأطباء النفوس والمجتمع ..

الا أن رعاية الشعوب أمانة ، وبناء الجيل الجديد وحسن اعداده أمانة ، ووضع الرجل الصالح فى المكان المناسب أمانة .. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة » .

ولكل أمة ساعة ، قبل أن تقوم الساعة ..

« وان الله سائل كل راع عما استرعاه : حفظ أم ضيع » .

مدير إدارة الدعوة

عبد المنعم النمر

للشيخ: عبد الجليل عيسى

عميد كليتي اللغة العربية وأصول الدين سابقا ـ جامعة الازهر

لمن يكون النصر من الله

قال تعالى :

« الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

تكلمنا في المقال السابق[1] على الآيات من ٣٨ الى ٤٠ من سورة الحج ، وكان آخرها (ولينصرن الله من ينصره) .

وبعد ما وعد سبحانه بنصر كل من ينصره ، ويكون ذلك بنصر دينه والعاملين به ، ودفع كيد الخصوم عنه حتى تطهر الأرض من المفسدين الذين لا يريدون الا علوا على عباد الله ، وسيطرة عليهم ، وابتزازا لأموالهم ، واستغلالا لجهودهم .

بين في هذه الآية الأخيرة بعض صفات هؤلاء الذين ينصرون دين الله بقوله : « الذين ان مكناهم في الأرض » ، أيّ أرض كانت ، اتسعت رقعتها أو ضاقت ، اذا مكن الله لهم من التصرف في شئون أهلها ، وولاية أحكامهم ، وقيادة أمورهم فانهم يحافظون على القيام بهذه الامور الاربعة :

اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

واذا كان النصر على الأعداء هو أسمى مطالب الاحرار ، وأنه لصعوبة نيله يبذل الرجل الأبي في سبيله كل ما يملك من نفس ومال ، فما هو السر اذن في أن يربط سبحانه بينه وبين هذه الأمور الاربعة ؟ لا جرم أن لكل واحد منها من الآثار النافعة للفرد ، وللمجتمع ما يجعلها جديرة بهذه المنزلة .

فاقامة الصلاة ، اى اداؤها كاملة الأركان والشروط الظاهرة والباطنة ، لها ثمرات كثيرة في سعادة الأمة وأفرادها . فمن شروط اثمارها أن تكون مستوفاة حقها ظاهرا وباطنا ، فالظاهر الاطمئنان في ركوعها وسجودها ، وتأمل المصلي فيما يقرأ ويقول ، من ذكر وأدعية .

والباطن استشعاره خشية الله ، وهو واقف بين يديه فيها ، فلا يصرفه عنها شاغل ما مهما كان عظيما . ولمنزلة الصلاة هذه كانت أول شيء يطلبه خليل الله ابراهيم عليه السلام من ربه لنفسه ولذريته فيقول : « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي » آية «٤٠» من سورة ابراهيم .

ومن اجل هذه المنزلة للصلاة أيضا طلب سبحانه من خاتم المرسلين صلى

---

(١) العدد ٢٥ من الوعي .

الله عليه وسلم ، أن يأمر أهله بها ، ويصطبر على مشاقها ، فقال : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » آية «١٣٢» من سورة طه . ومن ثمرات هذه الصلاة أنها لو اديت على الوجه الذى طلبه سبحانه فانها تكف صاحبها عن كل فحش ، وتقصيه عن كل منكر ، كما جاء ذلك فى آية «٤٥» من سورة العنكبوت . ومن ثمراتها أيضا أن يتعود المؤمن على الاستهانة بالشدائد ، وتحملها بقلب مطمئن ، وعزيمة صلبة ، انظر فى ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » . ومن ثمار الصلاة أيضا أنها تمحو الخطايا والسيئات ، ومن منا ليس له خطايا وسيئات ؟ فكلنا فى حاجة شديدة الى هذه العبادة المطهرة ، قال تعالى : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » آية «١١٤» من سورة هود . ومن ثمارها أيضا أنها فى الصدارة من الصفات التى تضع بين صاحبها وبين التذبذب فى دائرة الجزع ، والبخل ، سدا منيعا ، قال تعالى : « ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون » آية «١٩» وما بعدها من سورة المعارج .

وبعد ذلك اذا رأينا رجلا يصلى ولا تكسبه صلاته ثمرة من هذه الثمرات الثمينة ، تحتم أن نجزم أن صلاته ليست هى الصلاة التى طلبها الله سبحانه من عباده ، بل تكون أشبه بصلاة من قال فيهم سبحانه « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » آية «١٤٢» من سورة النساء ، وقانا الله شر ذلك .

الأمر الثانى مما يستجلب نصر الله ، الزكاة التى شرعها الله ، تحمل بين جنبيها ابتلاء للعباد ورحمة . ابتلاء لصاحب الثراء ، هل يشكر أم يكفر ، هل يشكر مسديها فيمد يد العون للمحتاج من خلقه ، فيزداد من الله فضلا . او يكفر فيقبض يده الى عنقه ، فيكون ما بخل به عليه نارا يكوى بحرها يوم القيامة .

وهى أيضا ابتلاء للعقل المعدم . هل تحول بينه وبين الحسد ، فلا يمد عينيه لما ليس له ، ولا يتمنى زوال نعمة أنعمها الله على غيره .

وهى أيضا رباط تراحم قوى متين ، اذا أحسن أداءها صاحب الفضل ، فانه يأسر بها قلوب المعوزين ، فيضعونه فى سويدائها ، ويحيطونه وماله بسياج من محبتهم ، تجعل عوامل الافساد لا تجد للحقد والحسد الى قلوبهم سبيلا .

والمتأمل لما جاء فى القرآن فى هذا الموضوع يعلم أن المسلم مطالب باسداء البر لكل من يصلح البر حاله ، سواء كان ذلك البر عن طريق الزكاة المعهودة أو غيرها . والزكاة المعهودة هى ما جاءت فى آية «٦٠» من سورة التوبة (انما الصدقات للفقراء والمساكين ... الخ) . وجاء فى غيرها قوله تعالى فى وصف المتقين : (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) آية «١٩» من سورة الذاريات ، وقوله سبحانه فى سياق الكلام على تقسيم التركات (واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) آية «٨» من سورة النساء .

ويتجلى أن فى المال حقا غير الزكاة المعروفة فيما جاء فى قوله سبحانه : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة .. الخ » آية «١٧٧» من سورة البقرة .

فنرى أنه سبحانه تعرض لبذل المال فى هذه الآية مرتين ، الأولى ايتاء

المـال المحبب لدى النفوس المذكور فى قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) آية «٩٢» من سورة آل عمران ، وعين الجهات التى يبذل فيها وأنها ست ومنها ذوو القربى . والثانية فى قوله تعالى : (وأقام الصـلاة وآتى الزكاة) والزكاة قرينة الصلاة هى التى قاتل الناس عليها الخليفة الأول أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، ومصارفها ثمانية معروفة أوسع مما ذكر فى الفقرة الاولى .

فتبين من المجموع أن فى المال حقا غير الزكاة ، وقد جاء صريحا فى هذا المعنى الحـديث الذى رواه ابن ماجه ، والترمذى ، عن فاطمة بنت قيس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى المال حقا سوى الزكاة » ثم ذكر هذه الآية (ليس البر أن تولوا وجوهكم .. الخ) .

وقال مالك بن أنس : يجب على المسـلمين فداء أسراهم ، وان استغرق ذلك أموالهم ، اذا كان بيت المال لا يفى بذلك .

وقال محققو العلماء فى تفسـير قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .. الخ » آية «١٠٣» من سورة التوبة ، قالوا : ان المراد من الصدقة هنا هى كل ما ينفقه المؤمن تقربا الى الله تعالى على وجه يدل على صدق ايمانه ، وعلى أن الله طهره من كل آثار الشح ، والنفاق ، وغير ذلك من أمراض القلوب ، فهى تزكى نفس صاحبها ، وتنمى فيها الفضائل الانسـانية وتزيدها استعدادا للخير .

وانما كان الاسلام حريصا على كثرة الحث على البذل فى سبيل الخير ، وفى مصالح الأمة ، لأن الله سبحانه يعلم ان المال هو عماد حياة الناس الخاصة والعامة ، كما يعلم أنهم متفاوتون فى الاسـتعداد ، والكسب ، والتثمير ، فلا يسـتغنى بعضهم عن بعض ، فلما كان للمال هـذه المنزلة فى حياة الناس مع حرص النفوس على الشح به ، جاء الدين مرشدا لهم الى ما يطهر نفوسهم ، ويصلح احوالهم ، فشرع لهم من الأحكام ما يحفظهم من شرور فتنة المـال ، واوجب على ذى السعة فى الرزق أن يبذل من النفقات والصدقات ما يبدل الثروة الى حسنات .

قال صاحب المنار : لقد قال بعض علمـاء الاجتماع من الغربيين ان أكثر الثورات ، والحروب ، كان المال هو أهم الاسباب المؤثرة فيها .

واذا كان هذا الكلام صادقا فى جملته ، فان الاسلام جاء لعلاج هـذا المرض الوبيل ، وأدرك ذلك وانتفع به الخلفاء الراشدون ، ومن سـار على سيرتهم ، فعاشوا عيشة أوساط الناس ، فكانوا بعملهم خير قدوة لغيرهم من الأمة ، **وقد قال العلماء : القدوة الحسنة تفعل ما لا يفعله ألف واعظ ، أو خطيب مصلح .**

مرض عبادة المال الذى لوث به نفوس الغربيين أشرار الخلق من اليهود ، حتى اتخذوا منهم مطايا لاستعباد الالوف من العمال ، وتسـخيرهم لمصالحهم الشخصية ، مرض لولاه لما كان هناك سبب لظهور هذه المبادىء البراقة التى خدعت العمال ، والفقراء حتى وقعوا فى شباكها ، وأمسوا كالانعام والدواب التى لا تنال من الطعام الا بمقدار ما تعيش لتعمل فقط .

ولا منقذ للامم من هـذه الفتنة الا العمل بالدين الذى جاء خاتما لشرائع الله ، ولاصلاح حال البشر ، وقد تفتحت الآن عيون بعض عقلاء الافرنج فأدركت الحاجة الى مبادىء تنقذ البشر من هذا الشر المسـتطير الذى حول كل خيرات الأرض الى أسلحة تدمير ، وفتك ، وتخريب .

ونحن نقول وبحق : انه لا يصلح لذلك الا هـذا الدين الذى جاء به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، جامعا للمبادىء الآتية :

أولا : جاء باقرار الملكية الشخصية واحترامها ، لأن ذلك اقوى حافز على

هذا المبدأ حرم أكل أموال الناس بالباطل ، وحرم الربا ، والقمار ، وكل ما فيه أخذ مال الغير من طريق غير مشروع .

ثانيا : حرم أن يكون المال دولة بين الاغنياء فقط ، لا ينـــال منه المحتاج نصيبه الذى فرضه الله له .

ثالثا : أمر بالحجر على السفهاء الذين يضيعون أموالهم فيما يضر أمتهم ولا ينفعهم .

رابعا : فرض حقا للفقراء فى أموال الأغنياء ، وأوجب على الحاكم اخذه منهم وصرفه فى وجوهه التى بينها له مما ينفع المحتـــاج ، ويعود بالنفع على مجموع الأمة .

خامسا : حرم ادخار القوت الفائض عن حاجة مالكه فى زمن المجاعة ، لما فى ذلك من مظاهر قسوة الانســـان على أخيه الانســـان ، مما يجر الى المصائب والشرور .

سادسا : فرض نفقة القريب المحتاج على قريبه الغنى ، حتى تبقى علاقة التراحم بين الأقرباء مصونة مما يقطعها ، ويا ويل أمة تقطعت أرحامها ، فانها تصبح مجموعة وحوش ضارية ، لا مجموعة انسانية .

سابعا : أوجب على القادرين انقاذ المضطر من بنى الانسان من كل جنس أو دين ، وضيافة الغريب كذلك ، الذى لا مأوى له ما لم يـــكن مرتكب جناية توجب هدر دمه .

ثامنا : جعل بذل بعض المـــال كفارة لبعض الذنوب ، كافطار يوم من رمضان ، أو مظاهرة الرجل من زوجته ، التى أوجب الله تعالى فيها على الرجل اطعام ستين مسكينا آية «٤» من سورة المجادلة ، أو حنث فى يمين ، الى غير ذلك من كل التصرفات التى تشعر بأنه حاد عن أوامر الشرع ، فجعل بذل المال كفارة لذلك .

تاسعا : رغب بعد كل ذلك فى صدقات التطوع حتى جوز لصاحب المـــال أن يوصى بثلث ماله للمحتاجين من الأمة .

عاشرا : فضل الغنى الشاكر على الفقير الصابر ، لأن الغنى الشاكر هو الذى ينفق ماله على الفقراء ، خيره متعد لغيره ، وأما الفقير الصابر ، فخيره قاصر على نفسه .

حادى عشر : مع كل ذلك أباح الله سبحانه للمؤمن الزينة التى اخرجها لعباده ، وطيبات الرزق ، بشرط عدم الاسراف والتباهى على الناس ، والاغراق فيما تشتهيه نفسه ، لا يشعر برقابة دين ، ولا وخز ضمير .

وهل رأى عاقل أروع فى الترغيب فى البذل ، والتنفير من الشح والبخل ، مما قاله سبحانه حاصرا الفلاح فيمن اتقى شح نفسه (ومن يوق شـــح نفسه فأولئك هم المفلحون) آية «٩» من سورة الحشر .

أما الامر الثالث والرابع اللذان تجب المحافظة عليهما ليســتجلب المؤمن نصر الله ، وهما الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فهما القطب الأعظم فى الدين ، الذى جعله الله سبحانه سبب امتياز أمة محمد صلى الله عليه وســلم على الأمم جميعا . وما دهم الامة الاسلامية من الضعف والتفكك حتى صار كل فرد منها يفعل ما يريد الا من يوم أن أهمله أمراؤها ، واستهان به أهل الصدارة فيها . ولدقة مسالكه ، وحاجة القائم عليه الى الحكمة والبصر بأخلاق الناس وعوائدهم ، حتى تكون دعوته فى اطار الحكمة والموعظة الحسنة ، ولأن منه ما هو مطلوب من كل فرد من أفراد الأمة ، ومنه ما هو مطلوب من الذين يفقهون دقائق الدين ، ويعلمون المجمع عليه ، والمختلف فيه ، ومنه ما لا يقـــوم به الا أولياء الامور ، الذين بيدهم التنفيذ ، ولا يجوز لغيرهم أن يتولاه . لمـــا كان كل هذا رأينا أن نفرده ببحث مستقل ان شاء الله تعالى .

في ذكرى
الهزيمة

سنة ثقيلة مرت على الأمة منذ هزيمتها المرة في ٥ يونيو الماضي . وكأنها سنوات ، بل كأن كل ساعة أو لحظة فيها ســنة .. والألم يقض المضاجع ، ويعتصر القلوب ، ويلهب العزائم ليوم الثأر ، وما كان هناك واحد من الأمة ينتظر أن تمر سنة على جراحاتنا المفتوحة ، ودمائنا المهدورة .. ويأتى الخامس من يونيو دون أن تــكون الأمة كلها قد أخذت أهبتها واستردت هيبتها ، لكن فداحة الهزيمة ، وعدم استيعاب الدرس استيعابا كاملا على كل مستوياتنا قد حال بيننا وبين ما كنا نؤمله .. ولــكن الى حين ، فان الأمة لا يمكن أن تصبر طويلا على جراحاتها ، ولا أن تترك أحدا يتهاون في مصيرها .. ولقد تحدثت الأمة كلها على لســان قادتها حديث العزم والتصميم ، والوعى السليم ، في هذه الذكرى الأليمة ..

ونحن نسجل هنا بعض ما تحدث به القاده ، عهدا بينهم وبين الأمة نسأل الله أن يعينهم على تحقيقه ، وأن يكون حديثنا في العام الآتى عما أحرزناه من نصر ان شاء الله .

الكويت ..

اكد سعادة وزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله الصباح أن الكويت بتوجيه من حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائد الأعلى للقوات المسلحة تقف بكل طاقاتها وامكانياتها في معركة العرب المصيرية ضد المخططات التوسعية الصهيونية ، وقال ســعادته في تصريح خاص لمنــدوب الاذاعة والتلفزيون ان الكويت وهي تســتعيد ذكرى العدوان الاسرائيلي الغاشم على الأمة العربية في الخامس من يونيو من العام الماضي لتؤكد من جديد وقوفها مع شقيقاتها العربيات واصرارها على مواصلة الكفاح حتى تستعيد الأمة العربية حقوقها المغتصــبة ، وأعلن أن الجيش الكويتي ســيبقى بمقدمة صفوف الفداء مدافعا عن الوجود العربي ، وحيا ســعادة وزير الداخلية والدفاع الــكفاح البطولي الذي يخوضه الفدائيون الفلسطينيون لتحرير وطنهم .

وقال سعادة الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية :

لسنا الآن بصدد ايجاد التفسيرات لما حدث في مثل هذا اليوم من العام الماضي ، فان الذي حدث قد صار في سجل التاريخ ، لكننا نقف عند هذه المناسبة لا لنستذكر مآسيها بل لنستخلص عبرها ، ولا لنأسف على نتائجها ، بل لنشحذ الهمم لاجتثاث جذورها ، وللحقيقة نقول — بأن ما كان في الخامس من يونيــو المــاضي كان من الممــكن ألا يكون ، لو سرنا على طريق المحبة والتآخي وانكار الذات ، وجعل التضامن العربي أساس عملنا ، لا هدف لنا سوى العدو ، ولا غرض سوى استعادة الحق العربي في فلسطين .

ولعل من أعظم عبر النكسة التأكيد على التضامن العربي باعتباره الأسلوب

الفعال المؤدى الى الثأر للكرامة العربية . وقد تجلى هذا التضامن فى مؤتمر الخرطوم ، الذى أكد بأن استرداد الأراضى العربية المحتلة مسؤولية جميع الدول العربية .

كما تخلص العرب منذ النكسة ، من كثير من الأساليب التى كانوا يستخدمونها لتوضيح قضيتهم ، فلم نكن نراعى المفهوم العلمى فى دعايتنا ، واعتمدنا على كون الحق بجانبنا ، دون تطوير أساليب ابراز هذا الحق ، حتى قال بعض من فى الغرب ، بأن العرب أسوأ محامين لأعدل القضايا . ومنذ النكسة برز الأسلوب العلمى فى الدعاية واسلوب التحرك السياسى بدلا من الجمود . وبدأ الرأى العام العالمى يدرك بأننا دعاة سلام ، نراعى حق شعب فلسطين . ولسنا هواة دماء .

سيكون النصر حليفنا اذا سرنا بروح التضامن وبروح المشاركة ووضعنا خطط التنسيق وحددنا أسلوب العمل المشترك الذى يحدد مسؤولية كل منا الى طريق النصر ، وان ينصركم الله فلا غالب لكم . وسينصرنا الله بحسن توكلنا عليه .

وقال معالى السيد عبد الله مشارى الروضان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية :

علينا نحن المسلمين والعرب أن نأخذ من ذكرى الخامس من حزيران عبرة فى الاعتماد على انفسنا لاسترداد حقوقنا السليبة .

وقال الوزير ان ذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء يجب ان تكون حافزا لنا . . لتحطيم أسطورة الاحتلال الغاشم . . والبدء فى مسيرة كبرى يعلن فيها الجهاد المقدس حتى النصر الأخير .

وأعرب وزير الأوقاف فى ختام تصريحه عن امله بأن تحتفل الأمة الاسلامية والعربية بذكرى مولد النبى الكريم على ارض القدس بعد أن تطهر من الأعداء اللئام .

وفى القاهرة . .

وجه الرئيس جمال عبد الناصر حديثا الى الأمة قال فيه :

أيها الاخوة . لقد كان حرصى شديدا على أن التقى بكم اليوم فى ذكرى مرور عام على تجربة عشناها وعاشتها أمتنا العربية كلها بالمرارة والألم . ومهما كان ما نشعر به جميعا فى هذا اليوم فلقد أحسست بحاجتى الى لقائى معكم أفضى به ببعض خواطرى واستمد منكم على المسئولية الكبيرة عونا وسندا ، ثم تكون الذكرى عهدا جديدا نؤكد به فوق الأحزان كلها وفوق الصعاب ايماننا وتصميمنا على استعادة الحق كاملا وعلى السير فى طريقه الى النهاية .

ليس المهم هو حساب الأيام ، ولكن الأهم هو حساب النصر ، على ان الشرط الذى أراه ضروريا لكرامة هذا الدرس ولتكريمه هو الا تكون الأيام ضائعة ، والا تتسرب ساعاتها من أيدينا فراغا . وأعتقد أيها الأخوة ان هذا الشرط مكفول ، وأن عملنا محفوظ به ومصان .

ثم قال :

وفيما تحقق ايجابيا خلال هذا العام الذى مضى فانه تعنينا مجموعة من الحقائق لا شك فيها ولا شبهة حولها .

أولا : ان القوات المسلحة المصرية تعيد بناء نفسها رجالا وسلاحا ، علما وتدريبا بشكل لم يكن متوفرا لها فى يوم من الأيام .

ثانيا : ان الأمة العربية بالاجماع تدرك أنها سوف تواجه معركة يتقرر فيها مصير العربى الى عشرات السنين وربما مئات السنين ، ومن هذا الادراك

الاجماعى فان الأمة العربية تملك من ارادة التصميم ما لم تكن تملكه فى يوم من الأيام .

ثالثا : ان العمليات الشجاعة التى تقوم بها المقاومة الفلسطينية فى وجه مخاطر شرسة . كما ان الوقفة المجيدة للجماهير الفلسطينية فى الضفة الغربية وفى غزة رفضا للاحتلال . وتحديا لسيطرته وجبروته . وتحملا مؤمنا صامدا . كلها علامات تحول هام واساسى بالنسبة للنضال الفلسطينى .

ثم ختم خطابه فقال :

ايها الاخوة المواطنون . ان الآلام العظيمة تبنى الأمم العظيمة اذا وعت وتعلمت . . ان نار المحنة لا تحرقها وانما تساعد على نضوجها . . والصدمة لا تحطمها . ولكن تكسر اغلالها وتحررها . ومن وسط الظلام الكثيف ينبثق شعاع الأمل . .

ايها الاخوة المواطنون . . فلنفتح صدورنا اليوم لشعاع الأمل . ولتكن ثقتنا بالنفس غير مترددة . فان الثقة بالنفس على الحق هى الثقة بالله صاحب كل حق وناصره . . وليكن رضا الله رحمة تحيط بكل شهدائنا . ولتكن روحه القدسية عزما يشد أزر ابطالنا . ولتكن لنا من لدنه شجاعة العقل . وشجاعة القلب . لنقرر ما لا بد أن نقرره . ونتحمل ما لا بد ان نتحمله . ونحقق ما لا بديل على الاطلاق من تحقيقه : نصرا كريما عزيزا واضحا . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفى عمان . .

وجه جلالة الملك حسين خطابا بهذه المناسبة قال فيه :

ان العالم الذى عاشه الانسان والأمة العربية كلها منذ ٥ يونيو الماضى قد صنع للانسان العربى وللأمة العربية ما لم تصنعه سنوات وسنوات . وقال : اننا عبرنا خلال هذا العام من ظلمات النكسة الى دنيا اليقظة الحافلة بالأمل العظيم .

وقال ان الأمة العربية اخذت بعد النكسة تتساءل كيف تعمل لحماية حقها فى صمت وعزيمة . واوضح ان درس النكسة قد علم العرب أنهم أمة واحدة تواجه اخطارا واحدة لا سبيل لردها إلا بالتضامن الصامد . .

وفى دمشق . .

اهاب الدكتور نور الدين الأتاسى رئيس الدولة السورية . فى بيان القاه من راديو دمشق بالدول العربية التى لا تربطها حدود مشتركة مع فلسطين المحتلة والتى لم تساهم حتى الآن فى المعركة ان تتحمل مسئولياتها الفعلية فى الدفاع عن الاراضى العربية . وقال لقد مضى عام على النكسة التى حلت بشعبنا نتيجة العدوان الصهيونى الاستعمارى . وما تزال هذه القوى ماضية فى الاعداد والتخطيط لتنفيذ مؤامرات متلاحقة بهدف القضاء على ارادة الكفاح والصمود لدى الجماهير العربية وفرض الصلح والاستسلام على الشعب العربى .

وفى الخرطوم

اعلن السيد اسماعيل الازهرى رئيس مجلس السيادة السودانى ان بلاده تؤيد الكفاح المسلح للفدائيين العرب . وانها لن تتردد فى المساهمة بكل ما لديها من قوة لتصعيد هذه المقاومة . وقال : اننا سنظل نسعى لعقد مؤتمر قمة عربى فى أقرب فرصة ممكنة . واكد ان الدول العربية لن تستسلم للضغوط الاستعمارية للتراجع عن موقفها وهو عدم التفاوض مع اسرائيل أو عقد صلح معها .

حقيقة وشريعة ..!!

للشيخ : محمد الغزالى

جلست يوما أختم الصلاة وأردد الألفاظ المائة المأثورة ، متدبرا ما تدل عليه من تسبيح وتحميد وتكبير ، بيد أن الشيطان سرق فكرى دون أن أدرى ، فاذا أنا أسرح فى إحدى القضايا ، أستعرض أحداثها وأتتبع مراحلها وأتوجس من نتائجها !! وغصت فى أعماق القضية العارضة حتى ارتطمت بقاعها ولسانى يحصي آخر الكلمات المائة التى تعقب الصلوات المكتوبة ، لتكون ذكرا بعد ذكر ، وتحية بعد تحية !!

وشعرت بتناقض بين بين حالي ومقالى ، وساءلنى ضميرى : اكنت حقا تذكر ربك ، وتسبحه وتحمده وتكبره ؟

ولم يكن للكذب مجال ، لقد كان فؤادى فى واد آخر ، وان كان لسانى يردد ما تعوده من كلمات . .

لقد كنت حاضرا كغائب ، أو غائبا كحاضر ، وما أستطيع الزعم بأنى فيما هممت كنت من الذاكرين !!

ان البون بعيد جدا بين الكلمات التى ننطق بها ، وبين معناها المصاحب لها ، المخبوء تحت حروفها . .

لو كانت ادارة الألفاظ على الشفتين تثبت معانيها للفور كما تدير أزرار الكهرباء فتسطع المصابيح للفور ، لكنا فى حال غير الحال ، ووضع غير الوضع ! ولكن المسافة شاسعة بين الكلمات ودلالتها الملاصقة .

وكم فينا من ببغـــاوات تجرى على أفواههم كلمات جليلة ، فاذا ذهبت تلتمس حقائقها فى نفوس القائلين ، وجدت الفراغ او وجدت النقيض .

والمؤسف أن أغلب معاملتنا لله يسيل من هذه العين الحمئة !!

ان أسوأ ما يعترى الفرائض المكتوبة والعبادات الرتيبة أن يؤديها المكلفون وهم فى شبه غيبوبة ، لا تلاحق عقولهم معانيها ، ولا تحصل نفوسهم حكمتها . .

ويقول علماء النفس : ان درجات الحس تتفاوت عند مباشرة المرء لشتى الأعمال ، فقد يقع الاحساس فى بؤرة الشعور وذلك فى حالات الانتباه الكامل ، وقد يهبط الوعى الى حاشية الشعور عند ملاحظة أمور مألوفة .

وهناك منطقة شبه الشعور التى تصحب القيام بأعمال معتادة ، وأظن بعض الدواب تشارك البشر فى هذه الحالة ، فهى اذا دربت على أشغال معينة أدتها بدقة — دون وعى طبعا .

والتكاليف الدينية يوم تؤدى على أنها عادات مجردة ، ليس معها الصحو العقلى المطلوب تصبح الى الأدواء أقرب منها الى الأدوية . .

بل ان الكفار الصاحين الايقاظ اذا التقوا فى ميادين الحياة بعابدين من هذا النوع المخدر الغافى سرعان ما يسبقونهم سبقا بعيدا ويغلبونهم غلبا اكيدا . .

ان الله شرع الدين موضوعا وشكلا ، معنى ولفظا ، يقظة نفسية ، وحركة بدنية ، فمن أخذ الظاهر من هذا كله وترك الباطن فهو يعبث بالدين ، ويتخذه لعبا ولهوا . .

ويحسن أن نفرق هنا بين عدة أحوال ، فان المؤمن الجاد الصادق عندما يشرع فى نسك ، يقبل على الله معقود العزم حسن القصد . .

وربما اختلس الشيطان شيئا أو أشياء من عبادته ، فهو يحزن لذلك ويتعلم الحرص والحذر ، ومراتب المؤمنين فى مدافعة هذه الغارات لا حصر لها . .

وخيرهم من تنجح مجاهداته فى صيانة عمله جوهرا ومظهرا ، وأعجزهم من استغفله الشيطان فشتت لبه فى متاهات ليس لها آخر كلما تقرب الى الله بعمل . .

ولا بد من استبعاد النيات الملتاثة فى هذا المجال . .

اننى أحيانا أسمع الأغنية الدينية تصف مناسك الحج أو تعرض حياة الرسول ، فيمتلىء قلبى بالرقة والضراعة . . ثم أستحضر سيرة المغنى والملحن والعازفين فأحس فجوة رهيبة بين جلال ما يقال وفساد من يقول . .

ان الفرق الماهرة فى أداء هذه الألحان الدينية هى هى التى تستفز الشهوات الساكنة ، وتزين مزالق الشر لألوف من الخلق وتجدد نشاط الأشرار كى يسترسلوا فى غوايتهم . . ولذلك عندما أسمع مناجاة الله على لسان مغن أو مغنية أسأل النفس : أهذا ذكر الله حقا أم هى صنعة الكلام والتطريب وحسب ؟؟

ولم التمثيل بالغناء الدينى ؟

هل تتبعت مجالس القرآن التى تحف بنفر من القراء المشهورين ورأيت ما يسود هذه المجالس من صخب وخفة ؟

ان الصياح الطائش الذى يفتعله بعض السامعين يستخف للأسف هؤلاء القراء فتراهم ينسون الكتاب ومنزله ، وما ينبغى له من اجلال وتوقير ، ويحولون الآى الى نغم معجب للجهال يزيدهم ولها على وله !!

ثم ينفض الحفل الماجن دون أن ينشرح بذكر الله صدر أو تدمع لخشيته عين ، أو تنعقد على طاعته ارادة ، ويئوب القارىء والسامعون الى بيوتهم وهم يخوضون فى غضب الله خوضا !!

ان ما يطلب من الناس ليس شيئا صعب التصور أو عسر المنال ، مطلوب من الانسان العاقل أن يعى ما يقول ، وأن يعنيه ، وأن يفقه ما يسمع ويستوعبه ، فهل هذا تكليف بما يبهظ الهمم ؟ مطلوب من المصلى اذا وقف بين يدى الله أن يعرف من يناجى ، فاذا قال : الله أكبر ، كان شعوره أنه فى حضرة الكبير المتعال عاصما له من الالتفات الى غيره ، ومحرما عليه الاشتغال بأمر دونه ، وهذا سر تسمية افتتاح الصلاة بتكبيرة الاحرام .

مطلوب من التالى للوحى أن يفك أغلاق قلبه فاذا نودى سمع ، واذا بصر رأى ، واذا استثير نشط ، وقد جاء فى وصف عباد الرحمن : « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

العلاقة بالله — على الحقيقة لا على التجوز — تطلب البعد عن آفتين : التوهم أو الخيال ، والتميل أو التصنع . . الآفة الأولى تجعل المرء يرسل القول

الأمل السامى غاية سهلة .

وقوانين الايمـــان لا تدع المؤمنين طويلا بازاء هذه الأوهام ، بل ترميهم بالأحداث تلو الأحداث حتى ينكشف معدن النفس ، فاما ثبت الانســـان عندما يقول وتحمل تبعاته كاملة ، واما انهزم وبدا عواره ، وفى ذلك يقول جل شأنه : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين . ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

والأمل فى الاستشهاد قبل مواجهة العدو شىء عظيم . وأعظم منه وادل على صدقه ألا يتبخر الحماس عند اللقاء ، ويتغلب حب الحياة وايثار السلامة . .

ان الله تبارك اسمه يبغض أصحاب المزاعم العريضة . فاذا دقت ساعة الجد وجدت الثرثارين خرسا « لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » .

أما الآفة الأخرى التى تبعد ذويها عن جوهر الدين فهى أخذ العبادات من مراسمها البادية ، وبذل الجهد فى اتقان الظاهر وحده .

ولو عقلنا لأدركنا أن القليل مع صحو الضمائر أفضل من كثير لا روح فيه ، تأمل فى حديث ابراهيم الخليل عن ربه . انه حديث ليس فيه كشف لمجهول ، ولا تصوير لمعنى مبتدع ، انه يتناول أقرب المحسوسات الينا : « الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين » .

ان الرجل العامى يجد هذا الكلام قريبا من حسه ، ولـــكن حقائق هذا الكلام هى التى فاتت العباقرة فزاغوا .

ليس الأمر تزويق عبارات بليغة ، ولا شرح فلســـــفات عويصة ، الأمر لا يتطلب أكثر من أن يقرأ المســـلم فاتحة الكتاب ، فيعنى كل كلمة ينطق بها ، ويكون قلبه مرآة نقية لما احتوت من حمد الله ، وثناء عليه ، وتعاهد معه ، وتطلع الى هداه ونعمته .

هذه هى الحقيقة التى تحدث عنها التصوف ورجال التربية .

لا دلالة لهذه الكلمة غير ما قلنا ، أن يلتزم المسلم بشريعته مبنى ومعنى ، أن ينفعل بتعاليمها لبا وقلبا وجسدا ، أن يرقى الى مســتواها فكرا وعاطفة وسلوكا . .

لا تعريف للحقيقة غير ما أوضحنا فى الكلمات الآنفة ، أن يتطابق الفؤاد مع اللسان عند ذكر الله ، وأن تتعانق الروح والجسد عند الانقياد لأمره .

ولبعض الصـــــوفية كلام متهافت يوهم ان الشريعة شىء والحقيقة شىء آخر . . !

يقول ابن عجيبة فى شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى : « الأعمال عند أهل الفن ـــ يعنى فن التصوف ـــ على ثلاثة أقســـــام عمل الشريعة ، وعمل الطريقة وعمل الحقيقة أو تقول عمل الاســـلام وعمل الايمان وعمل الاحسان أو تقول عمل أهل البداية وعمل أهل الوسط وعمل أهل النهاية ، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده أو تقول الشريعة لاصلاح الظواهر والطريقة لاصلاح الضمائر والحقيقة لاصلاح السرائر . . الخ .

وهذا كلام مضطرب مدخول يقوم على التلاعب بالألفاظ والعبث بالمفاهيم فان الشريعة اصلاح للظاهر والباطن معا ، وهى عبادة ونية واحسان ، ولا ينفك أحد هذه العناصر عن الآخر .

ويوغل ابن عجيبة ـــ غفر الله له ـــ فى خطئه ، فيصور لقرائه أن الكتاب والسنة أقسام ، بعضها يشير الى الشريعة ، والآخر يشير الى الحقيقة فيقول :

(البقية ص ٢٩)

أقـرآن جـديد ؟

إنها الفتنة الجديدة الكبرى في الاسلام

(هل يطيق مسلم اى مسلم ان يرى مصحفا فى أوله سورة اقرأ ثم المدثر والمزمل .. ويرى سورة البقرة وزميلاتها المدنيات فى آخر المصحف ، ويرى آيات نزعت من هذه السورة لتوضع فى سورة أو فى مكان آخر ؟ ذلك هو ما ازعج سماحة الشيخ نديم مفتى طرابلس وشمال لبنان وعضو مجمع البحوث الاسلامى بالأزهر فارسل الينا هذه الكلمة الخطيرة المستعجلة ((لننشرها سريعا)) قبل أن يخطر على بال صاحب المشروع اخراج هذه الفتنة الى حيز الوجود ، وطبع هذا المصحف المبتدع فى لبنان . ونحن وكل الذين عرفوا عن طريق هذه الرسالة من المسئولين والعلماء وكل الذين سيعرفون امر هذا المشروع الجديد عن طريق المجلة او غيرها يستنكرون كل الاستنكار ان يطبع مصحف مخالف فى ترتيب سوره وآياته المصحف المتداول الذى جمعه وامر بكتابته سيدنا عثمان ، واجمع عليه الصحابة رضى الله عنهم جميعا ، واجمعت الأمة بعلمائها وائمتها وعامتها عليه ، واذا كانت الأمة لا تزال حتى الآن متمسكة ببقاء الرسم العثمانى كما هو خوفا من تغيير فى شكل بعض الكلمات ، فكيف تقبل أن ترى مصحفا مقلوب الملامح فى سوره وآياته بحجة ترتيبها حسب نزوله ، واننا لنرجو أن نسمع نحن وغيرنا رأى فضيلة المفتى العام فى لبنان الشيخ حسن خالد ، كما نرجو المسئولين فى لبنان الا يسمحوا باخراج هذا المشروع ، حتى يعرضوه على الأزهر ومجمع البحوث فيه كما هو الشأن فى طبع المصاحف المتداولة .. فلسنا فى حاجة الى فتن تمزق الصفوف وتثير النفوس . وانا لمرتقبون) .
فلسنا فى حاجة الى فتن تمزق الصفوف وتثير النفوس . واذا كان صاحب المشروع يريد الفائدة دون اثارة فتن فليخرجه فى شكل بحث كما فعل العلماء السابقون . وانا لمرتقبون) .

الوعى الاسلامى

نداء خطير من سماحة مفتي طرابلس وشمال لبنان
الشيخ نديم الجسر
إلى كل مسلم وإلى كل دولة إسلامية

ألقى الى البريد رسالة عنوانها (الكتاب النادر الفذ ترتيب سور القرآن حسب التبليغ الالهى ، فاسترعى نظرى ، أول ما استرعاه ، قول العنوان (حسب التبليغ الالهى) بدلا من القول المشهور (حسب ترتيب النزول) ، ثم استرعى انتباهى أن على هذه الصفحة الخارجية التى تحمل اسم الرسالة وكاتبها (ولا تحمل ، فى العادة الغالبة ، شيئا سواهما) كلاما لا يبشر بخير ، وان كان أريد به التبشير بالخير .. وذلك فى فقرتين .

الأولى منهما تقول (أعظم مشروع دينى قام به الفيلسوف الأعظم الميرزا باقر الملقب بابراهيم ذى الروح العطرية) .

والثانية منهما تقول : (ليس المراد من هذا الترتيب ان يحل محل القرآن المجيد الذى جمعه الخليفة الامام عثمان بن عفان ، وانما يراد منه أن يكون الى جانبه للاستعانة به على الفهم والاستنباط والعمل ، كما أوضح ذلك العلامة الأكبر السيد محمد رشيد رضا رفيق الأستاذ الجليل الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية) .

وتساءلت : هل المراد اختراع مصحف جديد غير مصحف عثمان الذى اجمع المسلمون على التعبد به وحده ؟ أم المراد وضع كتاب علمى يشرح ويوضح تاريخ النزول لكل سور القرآن وآياته ؟

وكان يردنى ، الى حسن الظن ، اسم ناشر هذه الرسالة ، الذى يدعو الى الاكتتاب المالى فى سبيل (طبع القرآن الجديد) ، فقد عرفته من أربعين سنة ، رجلا مسلما مؤمنا ، غيوراً على الاسلام ، مدافعا عنه فى جريدته (البلاغ) البيروتية ، فاستبعدت أن يصدر منه عمل ، يدرك هو ، بذكائه واخلاصه ، أنه يؤدى الى فتنة خطيرة فى دين الاسلام .

ثم كان يردنى ، الى سوء الظن ، ذلك التعظيم والتضخيم لشأن الكتاب بوصفه أنه (أعظم مشروع دينى قام به الفيلسوف الأعظم الميرزا باقر) ، فلو كان الكتاب الموضوع عبارة عن مؤلف علمى تحقيقى يشرح ويوضح تواريخ

نزول سور القرآن ، لما استحق أن يوصف بأنه (أعظم مشروع دينى) لأن علماء الاسلام قد سبقوا الى بيان تواريخ نزول السور فى كتب كثيرة ..

وزادنى ميلا الى اساءة الظن تلك الجملة ، التى أراد كاتبها ، من تصديرها وابرازها فى صدر الصفحة الخارجية ، اظهار التبرؤ من أن يكون قصده أو قصد أبيه المؤلف (احلال الترتيب الجديد محل القرآن المجيد) فدل ، بهذا التبرؤ ، على أن الامر مريب ولولا هذه الريبة لما كان فى الأمر ما يحتاج الى هذا التبرؤ والتطمين والاحتماء ، وراء اسم الامامين السيد رشيد رضا والشيخ محمد عبده ، فالتأليف فى بيان تواريخ نزول الآيات والسور أمر مباح فعله كثير من العلماء الأعلام ..

ومن خطوات هذا التردد دخلت الى صفحات الرسالة وقرأتها أكثر من مرة ، وخرجت منها الى ما يشبه القطع والجزم بأن المراد (ايجاد قرآن جديد ومصحف جديد ، على ترتيب نزول السور ، يضاهى مصحف عثمان) . فتجسمت أمامى (المعركة المنتظرة) التى صرح بتوقعها أحد أكابر العلماء عند تقريظه الرسالة نفسها بقوله :

(وقد تدور ، كما أخال وألمح بظهر الغيب ، حول هذا الكتاب الجليل ، معركة كلامية ، يشترك فى اقتحامها الموالف والمخالف ، والمسلم وغير المسلم ، ويكثر الجدال والقيل والقال ..) وأردت بهذا النداء دعوة المسلمين الى أن يقفوا فى وجه هذه المعركة قبل اشتعالها واحتدامها فكتبت هذه الكلمة . أطلب فيها من الدول العربية والاسلامية العمل على منع طبع هذا الكتاب ، (بشكل مصحف جديد) والوقوف فى وجه انتشاره فى بلاد العرب والمسلمين درءا لفتنة خطيرة لم يسبق لها نظير فى الاسلام .

الاجماع على مصحف عثمان ..

ومهما تعددت الأقوال فى ترتيب سور القرآن ، فان الاجماع (الفعلى) قد استقر من عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، على الأخذ بالترتيب الذى جاء فى مصحفه ، وترك ما عداه تركا نهائيا وأبديا ، وحرق ما سواه من المصاحف ، وهذا الاجماع الفعلى قد تحقق من ذلك الحين بالأمور الآتية :

١ ـ جمع عثمان القرآن على ترتيب السور الوارد فى مصحفه ، وأمر بحرق ما سواه من المصاحف .

٢ ـ أجمع القراء من الصحابة كلهم على اعتماد الترتيب للسور الذى ورد فى مصحف عثمان ، ولم يظهر من أحد منهم اعتراض أو مخالفة ، ولو كان هذا الترتيب للسور موضع خلاف أو اعتراض لما سكتوا ، ولما أقروا هذا الترتيب اقرارا دائما مستمرا فى عهد عثمان وما بعده من العهود منذ أربعة عشر قرنا الى يومنا هذا .

٣ ـ بعد أن جمع عثمان القرآن فى مصحف واحد (أرسل الى كل أفق بنسخة من هذا المصحف وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) . وتلقى جميع الصحابة والقراء أمر الاحراق بالقبول والرضى ونفذوه ، ومنهم الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى قال (لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا) (انظر فضائل القرآن لابن كثير) .

٤ ـ ومن هذا اليقين قال الامام أبو بكر الانبارى (فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو اخرها افسد نظم القرآن) . (انظر الاتقان للسيوطى ج ١ ص ٧٧ وما يليها) .

٥ ـ ومن هذا اليقين نفسه شدد السيد رشيد رضا رحمه الله على أن ترتيب جميع السور الذى ورد فى مصحف عثمان هو (توقيفى) عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد ما ذهب اليه ابن كثير (من أن ترتيب السور من عند أمير المؤمنين عثمان بن عفان) بقوله (هذ خطأ) بل ان السيد رشيد لم يرض حتى باستثناء سورتى (الأنفال وبراءة) فى قول الامام البيهقى (ان ترتيب جميع السور توقيفى عن النبى صلى الله عليه وسلم الا الأنفال وبراءة) فقال السيد رشيد (انه لا يعقل أن يرتب النبى صلى الله عليه وسلم جميع السور الا (الأنفال وبراءة) ثم قال (التحقيق ان وضعهما فى موضعهما (توقيفى) وان فات عثمان أو نسيه ، ولولا ذلك لعارضه الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن ، (انظر تعليق السيد رشيد على كتاب تفسير ابن كثير الذى طبع مع كتابه (فضائل القرآن) فى مطبعة المنار بمصر) .

٦ ـ وهكذا يظهر بجلاء أن قول السيد رشيد (فى كتابه تاريخ حياة الشيخ محمد عبده عن الميرزا باقر رحمه الله (وقد عنى بجمع القرآن على ترتيب النزول للاستعانة به على الفهم والاستنباط والعمل) لا يريد به السيد رشيد أن يفتى بجواز احداث (مصحف جديد غير مصحف عثمان) . كما أراد صاحب المشروع أن يوهم الناس عند نقله بعض كلام السيد رشيد فى الصفحة ٤ من الرسالة ، بل ان قول السيد رشيد (للاستعانة به على الفهم والاستنباط والعمل) يحمل بذاته الاشارة الى عدم جواز طبع القرآن على ترتيب النزول بشكل مصحف مبتدع) ، وانما الذى يجوز شرعا هو وضع مؤلف علمى اعتيادى تذكر فيه تواريخ نزول الآيات والسور ، مع أدلتها ، وهذه الاشارة من السيد رشيد هى كالتبرئة للميرزا باقر من بدعة اختراع مصحف جديد غير مصحف عثمان ، وأرجح أن يكون التبرؤ من هذه البدعة مأخوذا من كلام السيد الباقر نفسه ، عندما تحدث الى السيد رشيد وبين له قصده من جمع القرآن على ترتيب النزول . .

ولولا ما نكنه لأخينا الأستاذ ابن الباقر من المودة لنقلنا هنا جميع كلام السيد رشيد رضا بحروفه ، ففيه أكثر من برهان على أن قصده ما ذكرنا ، ولم يخطر بباله ان يتجاسر مسلم فى الأرض على ابتداع قرآن جديد فى مصحف جديد . ولو فعله انسان ، فى غفلة من الدهر ، لكانت فتنة كبرى تصدها عن بلاد العرب والاسلام ، الدول العربية والاسلامية ، والمسلمون من ورائها بالحديد والنار .

هذا ما اردنا أن نكتبه ، واننا لنرجو من مجلتكم الكريمة الواسعة الانتشار العظيمة الاعتبار فى بلاد العرب والاسلام ان تدعو الدول العربية والاسلامية ، وعلماء المسلمين ، والمجلات والصحف العربية والاسلامية ، للوقوف فى وجه هذه الفتنة قبل ايقاظها وان تكرر هذه الاستغاثة فى كل عدد من اعدادها بعناوين بارزة تلفت انظار حكام الدول والعلماء والكتاب . والله المستعان ، وهو سبحانه القائل (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

رأي العلم في ظهور مريم عليها السلام كما قيل في هذه الأيام

للدكتور : محمد جمال الدين الفندي

رئيس قسم الفلك ـ جامعة القاهرة

ماحدث كان ظاهرة طبيعية تكررت

لأهل العلم الطبيعي قول غير الذي قيل في تلك النيران ، أو ذلك الوهج الذي ظهر خلال فترة من ليالي متعاقبة امتدت نحو شهر .

وعندما نكتب عن تلك الظاهرة الطبيعية باسم العلم لا نعتبر هذا الكلام خارجا عن حدود كونه ملخصات ما أثبته العلم في هذا الشأن ، من حقائق مدروسة لا تحتمل الجدل ، ولا تقبل التأويل ، ولكل شأنه وتقديره :

ولطالما كتبنا في مجلة « الوعي الاسلامي » تحت عنوان : القرآن وعلم الفلك ، مظهرين ما في كتاب الله العزيز من حقائق علمية ، تبهر العقول ، وترد كيد المكابرين ، وقد ألف قراء المجلة كتاباتنا العلمية .

والعلم الطبيعي لا ينكر حدوث تلك الظاهرة ، واستمرارها في بعض الليالي لعدة ساعات ، بل يقرر ذلك ، ولكن على أساس أنها مجرد وهج ، أو ضياء أو نيران متعددة الأشكال غير محدودة المعالم ، بحيث تسمح للخيال الخصب أن يلعب فيها دوره ، فينسج تحت تأثير العقائد المختلفة ، ما شاءت الظروف أن ينسج من ألوان الصور وأشباه البشر .

انها من ظواهر الكون الكهربائية التي تحدث تحت ظروف جوية معينة تسمح بسريان الكهرباء من الهواء الى الأرض بمقادير ، تكفي لأحداث الوهج عبر الأجسام المرتفعة نسبيا ، والمدببة في نفس الوقت ، شأنها في ذلك مثلا

اننا نجل مريم عليها السلام ونضعها فى المكان العظيم الذى وضعها فيه القرآن الكريم ، ونحترم شعور كل انسان ، ولكنا مع ذلك نحترم عقلنا ، ولا نسمح لموجات التهويل أن تجرفه فى طريقها حتى تضيع معالمه ، واننا لنرحب الترحيب كله باية بادرة حقيقية تثبت دعائم الايمان فى النفوس ، ولكنا لا نرحب باية بادرة تقوم على التخيلات والفروض والمبالغات . لأن الحقائق يجب أن تحترم ، ويجب على كل الذين يحترمون عقولهم أن يتشبثوا بها احتراما لأنفسهم وقد ظن بعض الصحابة حين انكسفت الشمس يوم وفاة ابراهيم ابن الرسول العظيم أن الشمس انكسفت لوفاته .. فلم يرض الرسول هذا الظن ، وبادر بتصحيح الأمور . تصحيحا للدين واحتراما للحقائق والعقول ، فقال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » .

وقد سرنا — ونحن فى وجل وحيرة مما يكتب كثيرا ويذاع حول هذه الظاهرة — أن يسعفنا العالم المؤمن الدكتور جمال الدين الفندى بهذا البحث القيم الذى خص به « مجلة الوعى » ليجلو للقراء حقيقة هذه الظاهرة التى شغل بها الناس فى وقت كان يجب الا يشغلوا فيه الا بماساتهم ، وطريق الخروج منها ، فلا يعلو صوت على صوت الثار واسترداد الكرامة ..

ويبقى على كل قارىء مؤمن ان يلفت نظر كل من يعرفه الى هذا البحث القيم الذى يضع الامور فى نصابها .

الوعى الاسلامى

فى أمكنة وأزمان متعددة .

شأن الصواعق التى هى نيران مماثلة ، ولكن على مدى اكبر ، وشدة أعظم ، وشأن الفجر القطبى الذى هو تفريغ كهربى فى أعالى جو الأرض . ولطالما أثار الفجر القطبى اهتمام الناس بمنظره الرائع الخلاب ، حتى ذهب بعضهم خطأ الى انه ليلة القدر ! وذلك لأنه يتدلى كالستائر المزركشة ذات الألوان البديعة التى تتموج فى مهب الريح .

ومن أمثلة الظواهر المماثلة لظاهرتنا هذه ايضا — خصوصا من حيث ظهور الأضواء وسط الظلام — السحب المضيئة العالية المعروفة باسم (سحاب اللؤلؤ) . وهذا السحاب يضىء ويتلألأ وسط ظلام الليل ، لأنه يرتفع فوق سطح الارض ، ويبعد عنها البعد الكافى الذى يسمح بسقوط اشعة الشمس عليه ، رغم اختفاء قرص الشمس تحت الأفق . وتضىء تلك الأشعة ذلك السحاب العالى المكون من ابر الثلج ، فيتلألأ ويلمع ضياؤه وسط ظلام الليل ونقاء الهواء العلوى فيتغنى به الشعراء .

وتذكرنا هذه الظاهرة كذلك بظاهرة السراب المعروفة ، تلك التى حيرت جيوش الفرنسيين اثناء حملة نابليون على مصر ، فقد ظنوا أنها من عمل الشياطين ، حتى جاءهم العالم الطبيعى مونج بالخبر اليقين ، وعرف الناس أنها من ظواهر الطبيعة الضوئية .

وظاهرتنا التى تهمنا وتشغل بال الكثيرين منا تسمى فى كتب العلم (نيران القديس المو) أو (نيران سانت المو) . ونحن نسوق هنا ما جاء خاصا عنها فى دائرة المعارف البريطانية التى يملكها الكثيرون ويمكنهم الرجوع اليها .

والنسخة التى تحت يدنا هى : (الموسوعة الميسرة الطبعة الحادية عشرة) . ففى الصحيفة الأولى من المجلد الرابع والعشرين تحت اسم (نيران القديس المو) « St . Elmes Fire » تجد ما ترجمته بالحرف (نيران سانت المو — هى الوهج الذى يلازم التفريغ الكهربى البطىء من الجو الى الارض . وهذا التفريغ المطابق لتفريغ (الفرشاة) المعروف فى تجارب معامل الطبيعة ، يظهر عادة فى صورة رؤوس من الضوء على نهايات الأجسام المدببة التى على غرار برج الكنيسة وصارى السفينة ، او حتى نتوءات الاراضى المنبسطة . وعادة تصحبها ضوضاء طقطقة او ازيز .

وتشاهد نيران سانت المو اكثر ما تشاهد فى المستويات المنخفضة من الأرض خلال موسم الشتاء اثناء وفى أعقاب عواصف الثلج .

واسم سانت المو هو لفظ ايطالى محرف عن سانت ارمو ، واصله سانت أراموس وهو البابا فى مدة حكم دومتيان ، وقد حطمت سفينته حوالى ٢ يونيو عام ٣٠٤ . ومنذ ذلك الحين اعتبر القديس الراعى لبحارة البحر المتوسط الذين اعتبروا سانت المو بمثابة العلامة المرئية لحمايته لهم . وعرفت الظاهرة عند قدماء الاغريق ويقول بلن فى كتابه (التاريخ الطبيعى) انه كلما تواجد ضوءان كانت البحارة تسميهما التوءمان واعتبرا بمثابة الجسم المقدس) . انتهى ما جاء بدائرة المعارف البريطانية — .

على هذا النحو نرى ان الظاهرة خدعت الأقدمين ، وان التاريخ يعيد نفسه ، وان اهل العلم الطبيعى لا يتحدثون عن خوارق الطبيعة ، وانما يرجعون كل شىء الى قانونه السليم العام التطبيق .

والذى خلق الكون ، ووضع نظامه ، يهمه بقاء ذلك النظام قائما من غير تبديل أو تحوير على هيئة الخوارق ، لأن فى هذا الثبوت وحده دليل وجوده ، وبرهان سيطرته . فكيف يعمد الخالق اذا الى تغيير سننه ، وتبديل نواميسه من أجل اثبات ذاته أو ارضاء الجماهير ؟ ! هذا هو منطق العلم وكلام أهل العلم .

ولما كانت لتلك النيران بعض الألوان المميزة بطبيعة الحال فنحن نرجع فى ذلك الى بعض ما عمله العلماء الألمان أمثال جوكل « Jockel » فهو يبين فى كتابه « Dasgewiter » من التجارب التى اجراها فى المانيا انه اثناء سقوط الثلج تكون الشحنة موجبة واللون أحمر ، أما اثناء تساقط صفائح الثلج فان الشحنة تكون سالبة ، ويصحبها أزيز ، كما يغلب اللون الأزرق .

وقد أجرى كاتب هذا المقال بعض القياسات فى أجوائنا المتربة ، فوجد أن الشابورة الترابية تساعد على تبادل الشحنات الكهربائية ، وانه قد تحدث تفريغات كهربية فى عواصف الرمال ، تحكى عواصف الرعد المعروفة ، هذا وللكتل الهوائية المختلفة ، وتبادلها بين خطوط العرض من آن الى آخر ، تأثيراتها العظمى فى تغير الجو والكهربائية الجوية .

وفى كتاب الكهربائية الجوية لمؤلفه شونلاند نجده يقول فى صحيفة (٢٨ : (.. تحت الظروف الجوية الملائمة نجد أن القمم البارزة على سطح الأرض مثل صوارى السفن اذا ما تعرضت لمجالات شديدة من حالات الكهربائية الجوية ، يظهر وهج التفريغات واضحا جليا ، ويسمى نيران سانت المو) .

والآن قارن هذا كله بالأوصاف التي وردت مثلا في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٦٨/٥/٦ التي تقول : (هيئة جسم كامل من نــور يظهر فوق القباب الأربع الصغيرة لكنيسة الزيتون ، أو فوق الصليب الأعلى للقبة الكبرى ، او فــوق الأشجار المحيطة بالكنيسة الخ) .

وتقول (اما الالوان .. فقد اجمعت التقارير حتى الآن على انها الاصفر الفاتح المتوهج والأزرق السماوى الفاتح) .

ونحن عندما نرجع بالذاكرة الى الحالــة الجويــة التي سبقت او لازمت اشتداد الظاهرة هذه ، حتى لفتت النظر ، نجد ان البــلاد كانت تجتاحهــا فى طبقات الجو العلوى موجة من الهواء البارد جدا الذى فاق فى برودته هواء أوروبا نفسها ، مما وفر الظروف الملائمة لتولد حالات عدم الاستقرار الجــوى وعواصف الرعد .

ويضيف ملهام Milham **فى كتابه المتيورولوجيا** Meteorology **قوله فى صحيفة ٤٨١ : (انه احيانا تنبعث رائحة من الوهج ..) . وقد سمعنا من تحدثوا كذلك عن انبعاث العطور من تلك الأضواء . وتفسيرنا العلمى لها انها من نتاج التفاعلات الكيميائية التى تصاحب التفريغات الكهربائيــة والتى تكون مركبات مثل الأوزون .**

وخلاصة القول انه يجب أن نتوقع حــدوث الوهج الناجم عن التفريــغ الكهربى من الهواء الى الأرض على الأجسام المدببة مثــل النخيل والابــراج ونحوها ، وعندما يكون التغير فى الجهد الكهربى كافيا ، والظروف ملائمة من حيث انتشار الظلام وارتفاع الجسم المتصل بالأرض .

وقد ذكر ولسون العالم البريطانى فى الكهربائية الجوية أن التفريــــغ الكهربى البطىء للأجسا مالمدببــة التى على الأرض انمــا يلعب دورا هاما فى التبادل الكهربائى بين الجو والأرض ، خصوصا عن طريق الشجر والشجيرات وقمم المنازل وحتى حقول الحشيش . وليس من اللازم أن ينتهى الجسم الموصل بطرف مدبب أو يبرز الى ارتفاعات عظيمة لتحقيق التبادل الكهربى .

وفى ضوء هذه الحقائق كلها نطرح الاستفهامات الآتية :

١ ــ اليست رؤوس التفريغات الكهربائية هى التى يطلقون عليها اســم الحمام ؟

٢ ــ هل الروح تتغير الوانها حسب اطياف انبعاث الغازات الموجودة فى الجو مثل الأوكسجين والازوت ؟.

٣ ــ الظاهرة الطبيعية التى نتحدث عنها تحدث فى الهواء الطليق اعلى المبانى والشجر ، ولا تحدث داخل المبانى . أو ليس ذلك عين ما شوهد ورصد ؟

٤ ــ لا يمكن مشاهدة الوهج فى ضوء النهار . ولكن ما الذى يمنع رؤية العذراء نهارا ؟ ولماذا لا تجىء الا فى الليل ؟ وتحت ظروف جوية معينة ؟

٥ ــ ظهور الوهج لا يتم الا متقطعا ، ولا يحــدث بانتظام تبعا للظروف الجوية الملائمة ، فهل هذه الظروف هى عينها التى تلائم ظهور الروح .؟

٦ ــ ماذا يكون الوضع لو علمنا ان الظاهرة تحدث فى اماكن اخرى من مصر وغير مصر ؟!

٧ ــ اذا كان الوهــج روحا ، فلماذا لا تظهر داخل الكنيســة ، بدلا من الأسطح الهوائية ؟ ثم لماذا أختفت فى عيد ميلادها ؟

اننا جميعا نجل ونحترم شعائر الأديان ونحفظ لمريم عليها السلام قداستها ونرتفع بها فوق الذى وصف .

الوعى الاسلامى :

ولا تزال فى اذهاننا واذهان الكثيرين تساؤلات اخرى يمكن ان نطرحها أيضا :

١ ــ من اين لنا ان ما رآه الناس صورة السيدة مريم ؟ هل عرفوا صورتها الحقيقة ، فوجدوا فى الطيف ملامح هذه الصورة الحقيقية ؟

٢ ــ واذا كان ما راوه يشبه الصورة المرسومة لها المتداولــة فى كل مكان . فهذه الصورة لا تمثل صورتها الحقيقية لأنها صورة تخيلها الرسام بعد وفاتها بقرون عديدة . ولا يمكن ان تظهر السيدة مريم بملامح الصورة المتخيلة .

٣ ــ ثم قيل انها ظهرت فى شكل حمامتين . فمن الذى أنبأنا بذلك ؟

٤ ــ ثم هل كانت مريم فى حياتها تبرىء الأعمى من عمــاه ، وتشــفى المرضى من أمراضهم حتى ندعى هذا لطيفها المتخيل ؟. والذى ذكره القرآن أن ذلك كان معجزة لعيسى عليه السلام لا لغيره .

٥ ــ ثم أن كثيرا من المتصلين بالجمعيات الروحية فى مصر يتحدثون عن بعض العلاجات التى كانت تحدث لبعض المرضى ليلا وهم فى بيوتهم دون أن يدخل عليهم طبيب فمن الذى كان يعمل ذلك لو صح ؟.

٦ ــ وفى العام الماضى قامت ضجة فى صحيفة الاخبار بمصر حول رجل اعمى من قرية « الدلجمون » قيل إنه كان يجرى بعض العلاجات المشابهة لما قيل عن ظهور العذراء ، وانتهت الصحيفة الى ان ذلك تدجيل ودعوا الى تقديم الرجل للمحاكمة مع أن الكثيرين ممن اتصلوا به اقروا بصحة مــا كان يقال عنه مــن علاجات ليلية . وقيل إن ذلك كان بوسلطة استخدامه الجان .. فما الفرق بين ما قيل عن الرجل وما قيل الآن ، اننا مع تقديرنا التام بل وتشوقنا لكل ما من شأنه تدعيم الروح الدينية فى النفوس ، فاننا لا نحب مطلقا أن يقوم هذا التدعيم الا على اسس متينة لا تزعزعها الشبهات والعواصف ، لأنها بغير ذلك تصيبها هزات رد الفعل العنيفة فتزلزلها وتقضى عليها وليس هذا من مصلحة الدين ، ولا العقلاء المخلصين .

« أشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) مع قوله صلى الله عليه وسلم (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) والجواب ــ كما يزعم ابن عجيبة ــ أن الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة ، أو بين تشريع وتحقيق ، فقد يشرعان في موضع ويحققان في آخر ، وقد يشرع القرآن في موضع وتحقق السنة هذا الأمر في موضع آخر » . فقوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة وقوله صلى الله عليه وسلم (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . تشريع لأهل القدوة وهم أهل الحقيقة .. الخ) .

وهذا كلام باطل ، لا ينطوى الا على الفراغ والدعوى .. وليس فى دين الله أهل شريعة وأهل حقيقة . ولا انقسم الوحى الالهى الى فريق لهؤلاء وفريق لأولئك .

أما الاشكال الذى أورده فاليك تفسيره .

اتفق أئمة المسلمين على أن العمل لا بد منه لدخول الجنة ، وأنه سبب شرعى مطلوب لا يستثنى منه بشر ، ولا يدخل بدونه أحد . وقد تظاهرت الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة جميعا .. قال تعالى : (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) وقال : (وتلك تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وقال : (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة ..) وقال فى المستقيمين (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) الخ ..

ولكن المطلوب من العابدين لله أن يتواضعوا له وأن يكبروا حقه وأن يخافوا لقاءه مهما قدموا من صالحات قال تعالى : « والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات » .

ويؤتون ما أتوا . ليس معناها فعل المعاصى والحذر من عقباها ! بل معناها فعل الطاعات والحذر من عدم قبولها ، لأنها دون ما يجب لله أو دون ما يحسن المرء .

وبهذا المعنى جاء الحديث الشريف فهو نهى عن الاغترار بالعمل وليس نفيا لقيمة العمل ، انه نهى عن الاطمئنان الى العمل والاستكبار به والجراءة على الله بعد اتمامه وليس نهيا عن التزود بالصالحات والاستكثار منها .

وغريب أن يفهم عوام المسلمين من الحديث الشريف أن العمل لا لزوم له ، فلم نزل القرآن ؟

ولماذا جاهد نبيه ربع قرن لأبلاغه واقامة الأمة عليه .

الحديث نفى لأن يكون العمل ثمنا حقيقيا للجنة ، وليس نفيا لأن يكون سببا حقيقيا لدخولها .

نعم ، فان الخلود الدائم فى نعيم مقيم ليس الثمن المكافىء لعبادة الله سنين عددا ، ذاك لو خلت العبادة من شوائب الرفض ، فكيف وأكثرنا لو فحص عمله رد فى وجهه ثم كيف لو حوسب الانسان على النعم المغدقة عليه فى الدنيا ، وقيل له : عملك نظير بعض هذه النعم !!

الحديث ليس مناقضا للآيات ، ولا للأحاديث الأخرى ، وانما هو كما قلنا كسر للغرور البشرى وتذكير برحمة الله وتجاوزه وصفحه .

وعلى ضوء هذا التفسير نعرف أن ما ذكره ابن عجيبة وغيره عما يسمى حقيقة وشريعة لا أصل له فى الاسلام ، فدين الله واحد لجميع خلقه .



البوذية وتعاليمها

بوذا بين الرسالة وإنكار الإله

للأستاذ: أحمد حسين

تحدث الاستاذ أحمد حسين فى مقاله الماضى عن نشأة بوذا وتعاليمه الخلقية الانسانية التى اتاحت للبوذية الانتشار السريع فى الهند وما حولها .. ويكمل الحديث عن بوذا فى هذا المقال ، وينتهى بذلك من عرضه للأديان المهمة فى عالمنا لينتقل بعد ذلك الى حديثه عن الاســـــلام حديثا مقـــارنا ..

مثالية رفيعة ـــ أهو رسول ؟

تحدثنا من قبل عن التعاليم البوذية . تلك التى يقف امامها الـــــكثير من متصوفى الأديان المختلفة مبهورين لعظمتها ، حتى ليقول لنا علامة اسلامى كبير وهو المرحوم محمد فريد وجدى : ان امر بوذا هذا عجيب ، ولا يبعد ان يـــكون واحدا من المرسلين ، ولا يمنعنا عن الجزم بذلك ما يصــــــادفنا فى مذهبه من المقررات الظاهرة البطلان ، فلا شك انها من وضع الكهان ، وخرافات الرهبان وقد حدث مثل ذلك فى اكثر الأديان . والله اعلم (دائرة معارف القرن العشرين مادة بوذا) ومحمد فريد وجدى فى ذلك لم يخرج على قواعد الدين الاسلامى ، اذ يتصور انسانا لم يرد اسمه فى القرآن على انه رسول ، ذلك ان القرآن الكريم قد نبه الى انه لمْ يذكر جميع الرسل الذين عرفتهم الارض بالاسم :

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » ..

كما اشار القرآن ، ان الله قد بعث فى كل امة رسولا : « ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان أعبدوا الله » .

وقد كنت قبل ان اتعمق البحث ، ممن يميلون الى راى محمد فريد وجدى ، من انه ليس هناك ما يمنع ان يكون بوذا رسولا بالفعل ، وان تأليهه بعد موته ، لا يعدو ان يكون من مثل ما حدث للمسيح بعد موته ، وكان يعزز هذه النظرة عظم الاثر الذى تركه بوذا وتعاليمه .

بوذا ينفي عن نفسه أنه رسول :

على ان ما يقطع أن بوذا لم يكن رسولا ، أنه هو نفسه قد نفى عن نفسه أن يكون رسولا من الله ، ذلك لانه قرر أنه لا يعرف الله ، ويؤثر ألا يتحدث عنه ، فهو القائل : لست أعرف شيئا عن الله ، ولكنى أعرف الكثير عن بؤس الانسان .

ويقول بطريقة يشتم منها السخرية : ان النساك الذين يتكلمون عن الله ، لم يروه وجها لوجه ، فهم كالعاشق الذى يذوب كمدا ، وهو لا يعرف من هى حبيبته ! أو كالذى يبنى السلم وهو لا يدرى : أين يوجد القصر ! أو كالذى يريد أن يعبر نهرا فينادى الشاطىء الآخر ليقدم له !

وقد لخص العلامة رادها كرشنن الذى كان رئيسا لجمهورية الهند فى بحث له عن الديانة البوذية أن بوذا — لا يقرر العقائد ولا يؤسس دينا .

ليس رسولا ولم يجىء بدين ..

وهكذا ينبغى أن نجزم أن بوذا لم يكن رسولا ، ولم يجىء بدين ، ودليل ذلك لا يستفاد فقط من أقواله السابق الاشارة اليها ، وانما من خلو كل تعاليمه من مناسك أو طقوس او صلوات ، فضلا عن قرابين تقدم لهذا الاله ، وكل ما يوجد الآن فى البوذية من هذا القبيل ، هو من وضع أتباعه ، ومن وحى تأليه بوذا بعد وفاته ، والتى تختلف من قطر الى قطر ، ومن شعب الى آخر .

مصلح اجتماعى ودينى ..

والتقييم الصحيح لشخصية بوذا وتعاليمه ، انه معلم هندى عظيم ، جاء ليصلح المعتقدات الهندية والمجتمع الهندى ، فهو مصلح اجتماعى دينى .

وأما كونه مصلحا اجتماعيا فذلك يستفاد من انكاره نظام الطبقات ، ودعوته الى الغائه بالانضمام الى نظامه ، وعجلة شريعته ، وهو يقول لنا فى هذا الصدد :

اعلموا انه كما تفقد الانهار الكبيرة اسماءها عندما تصب فى البحر ، كذلك تبطل الطبقات الاربع عندما يدخل الشخص فى النظام ويقبل الشريعة[1] .

وقد لا يفسر نجاح التعاليم البوذية فى عصرها الاول ، الا دعوتها لالغاء نظام الطبقات فقد كانت طبقة الحاكمين أنفسهم (الكاشتريا) والتى ينتمى اليها بوذا تئن من نير استبداد البراهمة واستعلائهم ، فوجدوا فى هذه المبادىء البوذية سندا لتحطيم هذا النير .

بوذا المصلح الدينى ..

كما أن موقف بوذا السلبي من قضية الالوهية ، يرفعه الى مرتبة المصلح الدينى بالنسبة للديانة الهندوكية ، فحيث تؤله الهندوكية كل العناصر ، وتجعل الآلهة بلا عدد أو حصر وتسيطر على حياة الناس ، وعلى كل دقيقة ، بطقوس العبادة لهذه الآلهة المختلفة ، والقرابين التى يجب أن تقدم لها ، فان الوقوف موقفا سلبيا من هذا الخضم من الآلهة والقول بأنه (أى بوذا) لا يعرف شيئا عن الله ولكنه يعرف الكثير عن بؤس الانسان .

---

(١) أى أن شرط الغاء الطبقات اعتناق البوذية .

هو اعظم صيحة احتجاج فى وجه هذه المعتقدات الفاسدة فى الالوهية[1] .

بوذا يعمل فى اطار الهندوكية ..

أما لماذا نعتبره مصلحا للديانة الهندوكية ، ولم يخرج عن اطارها ، فمرجع ذلك الى ان تعاليم بوذا قد اخذت من معتقدات الهندوكية الرئيسية التى اشرنا اليها من قبل وهى : الكارما او قانون الجزاء ، والتناسخ ، ووحدة الوجود والانطلاق ، أساسا تعتمد عليه .

فقد راينا كيف ان قانون الجزاء فى الاعتقاد الهندى ، قد استلزم تناسخ الارواح ، لتستوفى كل روح ما لها وما عليها فى جسد جديد ، ورأينا كيف عمد الفكر الهندى الى ايقاف عملية التناسخ التى يمكن أن تظل تعمل الى ما لا نهاية ، وذلك عن طريق ما أسموه بمرحلة الانطلاق حيث يصل اليها الانسان بايقاف ميوله ورغباته ، والقيام بأى عمل صالح أو طالح ، فان ذلك من شأنه أن يطلق روحه نهائيا لتندمج مع براهما .

هذه الافكار الثلاثة من جزاء ، وتناسخ ، وانطلاق ، هى بذاتها أساس البوذية ، فبوذا يدعو الناس للتخلص من رغباتهم وشهواتهم ، ليوقفوا قانون الجزاء ، وبالتالى عملية التناسخ ، ويصلوا الى حالة الانطلاق بعد أن صك لها اسما جديدا وهو النرفانا .

فلنستمع اليه وهو يقول :

ان الحياة كلها من الولادة الى الموت لهيب وحريق ، انها نار الشهوة ، ونار البغض والعداء والهوى ، ومن هم أولئك الخدم الذين يشعلون هذه النيران ؟ انهم العواطف الست والحواس الست . ان العين ترى الاشياء الجميلة مزخرفة اللون ، والاذن تسمع الاصوات الحلوة ، والانف تشم الروائح الطيبة ، واليد تشعر بنعومة الريش والحرير ، والفم او الحلق يقول ان ثمر المانجو لذيذ حقا ، والقلب يتأثر بالأشياء المرغوبة . هؤلاء هم العبيد الستة الذين يسعون لتنفيذ أوامر سيدهم فيجمعون الحطب لتزداد النار اشتعالا .

ولكن هناك طريق لاخماد هذه النار ، اتبعوا الصراط السوى المنير ، ان هذا الصراط مستقيم لا عوج فيه . أما بابه فهو تطهير الذهن ، ونهايته السلام والحنان لكل الخلق من الاحياء .

وهذه النهاية التى يمكن أن يصل اليها الانسان الذى يسيطر على هواه ونفسه هى التى سماها بوذا بالنرفانا ، حيث تقف عملية تكرار المولد ، وتناسخ الارواح .

---

(1) الا ان هذا القدر فيه غير كاف فى ان نطلق عليه لقب « المصلح الدينى » فاذا صح انه اعترض على هذا الخضم من الآلهة ، فانه لم يقدم بدلها ما يخلص الناس من هذا الخضم .. ولو انه فعل لقضى على الكثير من هذه الطقوس ، بل ولجنب اتباعه الوقوع فى عبادته ، واضافة اسمه الى هذا الخضم من الآلهة . فهو حقا مصلح اخلاقى اجتماعى وحسب .

« الوعى »

حالة النرفانا ـ ما هى ؟

وعندما يصل بوذا للحديث عن النرفانا ، فانه يغرق فى الغيبيات والضباب ، وهو الحريص على الا يتكلم الا على ما يفهمه جيدا ـ فلنسمع اليه يصور لنا حالة النرفانا :

النرفانا أيها المريدون ، هى طور لا أرض فيه ولا ماء ، لا نور فيه ولا هواء ، لا فيه مكان غير متناه ، ولا غفل غير متناه ، ليس فيه خلاء مطلق ، ولا ارتفاع الادراك واللا ادراك معا ، ليس هو هذا العالم ، ولا ذاك العالم ، لا فيه شمس ولا قمر ، أيها المريدون هى طور لا أقول عنه باتيان ولا بذهاب ولا بوقوف ، لا يموت ولا يولد ، هى من غير أساس ، من غير مرور ، من غير انقطاع ، ذلك نهاية الحزن(١) .

ولا يمكن الجزم فى نسبة هذا القول الى بوذا فى وصف النرفانا ، فقد يكون هذا التعريف لها من وضع احدى مدارس البوذية العديدة ، والامر المتفق عليه أن تعريف النرفانا من أشق الامور فى الديانة البوذية ، وقد تضاربت فى شأنها الآراء .. فهناك من يقول انها حالة يبلغها الانسان فى الحياة ، وهناك من يقولون : بل بعد الموت .

طريقة حياة وسلوك ..

والتقييم الصحيح للتعاليم البوذية وبوذا ، أنه بمثابة احد أصحاب الطرق الصوفية الذين نجدهم فى كل دين ، ويكثر أتباعهم بحسب قوة شخصيتهم ومدى فضيلتهم ، واستقامة سلوكهم ، ولا جدال أن بوذا بلغ فى ذلك القمة ، فكانت هذه الوصايا وهذه التعاليم التى تحض على الزهد والاستقامة والعفة والرحمة والحب . والتى على جمالها ومثاليتها يؤخذ عليها مأخذان ..

١ ـ اغفالها قضية الالوهية ..

أما المأخذ الاول ـ فهو اغفالها لقضية الالوهية كما قدمنا ، وكان يتعين على بوذا اذ قد قطع نصف الطريق بتجاهل الآلهة الهندوكية أن يدل على الاله الصحيح ، ولكنه لما لم يفعل وتصور أنه يستطيع أن يرسم السلوك الانسانى بغير حاجة الى فكرة الالوهية فقد أحدث هذا الفراغ الذى سده أتباعه من بعده بأن رفعوه هو الى مرتبة الالوهية ، وانشأوا له التماثيل راقدا وجالسا ، وأقاموا فوقها المعابد والهياكل ، وتقدموا لها بالقرابين فدل ذلك على أن الانسان لا يستطيع أن يحيا حياة مثالية أخلاقية فاضلة ، الا أن يستند فى ذلك الى فكرة الالوهية .

ولم يكن تأليه بوذا بالامر الصعب فى الهند ، حيث تحل الآلهة فى كل شىء ، فقد اعتبروا بوذا أحد تجسدات « فشنو » الاله الحافظ ، أو هو التجسد

---

(١) اديان الهند الكبرى للدكتور محمد شلبى .

التاسع كما يقولون . وفي غير الهند من البلاد التي دخلت اليها البوذية ، أصبح بوذا هو احد تقمصات الاله السائد في هـــذا الاقليم ، واقيمت له التماثيل ، وانشئت له الهياكل ، وعبد على هذا الاعتبار . وهكذا لم تعد التعاليم البوذية ، بناء قائما في الهواء ، بل على اساس مكين بعد ان سد ما فيها من فراغ .

هزيمة البوذية في الهند ..

على ان سد الفراغ باعتبـــار بوذا هو الاله ان كان قد نفع في البـــلاد الآسيوية التي دخلت اليها البوذية فأبقى عليها وحافظ على كيانها ، فقد كان هو السبيل لمحو اثرها من الهند كدين ، ذلك انه ما دام هو احد تجسدات «فشنو» فان أمره قد انتهى الى ان يوضـــع تمثاله الى جوار الحشـــد من تماثيل الآلهة الهندوكية ، دون أن يحس اى هندوكي في ذلك بشيء جديد أو متميز .

اما من حيث قواعد الســـلوك التي دعا اليها بوذا وحثه على القصـــد والاعتدال ، والسير على الطريق المســـتقيم ، والبعد عن كل عنف وازهاق للروح . فذلك كله لا جديد فيه بالنسبة للتعاليم الهندوكية التي تتسع لكل شيء . ولذلك فسرعان ما ذابت البوذية في خضم الهندوكية .

ويعتبر انحسار البوذية عن الهند بعد انتشارها الذريع ، وازدهارها في عهد « اشوكا » الذي توحدت الهند فيه لأول مرة في تاريخها تحت ظل البوذية ، وان يحدث هذا الانحسار من غير اضـــطهاد أو اكراه من اى نوع كان ، وانما تحت تأثير مجرى الزمن ، واســـقاط الجماهير لها ، فان ذلك هو الدليل على فشلها كدين قادر على الصمود في وجه الزمن وفي وجه باقي المعتقدات الأقل صلاحية منها[1] .

ويجب ان نقول للانصاف ، ان صاحب التعاليم لم يدع كما قدمنا انها دين .

٢ ــ تعاليم للقلة من بني البشر ..

واذاكان انعدام فكرة الالوهية قد أسقط عن البوذية بالميزان الصحيح ، ان تكون دينا فان المثالية المطلقة التي صيغت بها التعاليم البوذية ، ان صلحت أن تكون سلوكا للقلة من البشر الممتازين (المتصـــوفة) الذين يختارون طريق الزهد والتجرد ، والامتناع عن كل عمل وانتاج ، الا التفكر والتأمل ، واشـــاعة الحب والخير والرحمة بين الناس ، نقول اذا صلح ذلك لقلة من الناس ، فانه لا يصلح للغالبية العظمى من البشر ، الذين يجب أن يعملوا وينتجوا ويزرعوا ويصنعوا ويتاجروا ، ويتحمسوا ويكتشفوا ويخترعوا ويعمروا ، ولو أن البشر جميعا أخذوا بالمذهب البوذي ، وسعوا جميعا للوصـــول الى درجة النرفانا ، فكفوا عن السعي والعمل والانتاج لتوقفت الحيـــاة الانسانية ، ولـــا وجد الرهبان البوذيون من يقـــدم لهم الطعام والكســـاء ليواصلوا ترهبهم ، ولرأوا

---

(١) من الضروري ان نضيف الى هذا ان فشلها في الهند كدين راجع الى انه في ذلك الوقت كان دينا بغير اله خاص به كما سبق للكاتب ملاحظة ذلك .. اما بعد أن عمل الكهان على تأليه بوذا فقد اعتمد الدين على اله في نظرهم واستكمل بذلك قوة الصـــمود كما نرى البوذية الآن كدين له خصائصه الخلقية والالوهية في الامم البوذية .

« الوعي »

انفسهم وقد عادوا الى حالة الطبيعة الاولى . حيث يجب على كل انسان ان يشقى ويكدح ويعمل عملا متواصلا للحصول على قوته اليومى .

فالتعاليم البوذية اذن هى سبيل لتهذيب نفوس القلة من البشر ، وهى من هذه الناحية جديرة بكل تقدير واعتبار . وقد أحدثت تأثيرا فى سلوك معتنقى سائر الاديان والمعتقدات الاخرى ، وباستطاعتنا أن نلمس أثرها فى حياة متصوفة بعض المسلمين والمسيحيين ، ولعل هذا التأثر يتجلى أعمق ما يتجلى فى عصرنا الحديث فى شخصية وتعاليم كاتب روسى عظيم وهو ليوتولستوى ، أو شخصية وتعاليم الزعيم الهندى العظيم محرر الهند ونعنى به غاندى[1] .

على أن الأديان لا تأتى للقلة من الناس ، وانما يجب أن تكون صالحة للكافة ، وهذا هو ما يسقط صفة الدين عن البوذية من ناحية أخرى .

وعلى الدين المثالى ان يرسم طريق المثل الاعلى الذى ينبغى على كل انسان أن يسعى لتحقيقه فى نفسه ، ومع ذلك فينبغى الا يحرم الانسان العادى الذى لا يستطيع تحقيق هذا الكمال ، من أن يظل عاملا فى الحياة على هدى من هذا الدين ، بل وأن يجعل مزاولة النشاط الانسانى فى شتى ضروب الانتاج اللازم لحياة البشر جزءا من تعاليم هذا الدين وطريقا لكسب ثواب الله ورضاه ، لا خروجا عليه أو على كماله .

الدين الاسلامى ..

ولعل هذا الدين المثالى متحقق فى الاسلام ، فهو الدين الذى تجمع تعاليمه بين أرفع التعاليم الاخلاقية التى تدعو لها البوذية ، من زهد واعتدال ورحمة وتسامح ومحبة وصفاء نفس ، وبين الدعوة الى الاخذ بأسباب الحياة البناءة المتطورة الخلاقة ، واذ ترسم القمة التى يمكن للانسان أن يبلغها ، فهى تحدد له الخط الذى ينبغى الا يهبط عن مستواه وبين هذين الحدين : الاعلى والادنى ، يسعى كل انسان قدر جهده وطاقته لتحقيق ما يمكن ان يحققه من خير وصلاح لنفسه وللناس (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

وأحسب أن الوقت قد حان بعد أن استعرضنا ثلاثا من الاديان العالمية ، أن نصل الى نتيجة هذه المقدمات كلها والتى لم نقدمها الا لنكون أكثر فهما وتقديرا للاسلام وتعاليمه عندما نعرض لها ، أقول : أحسب أن الاوان قد آن لنرد على السؤال الذى ما فتئنا نتساءله : لماذا الاسلام ؟

---

(١) من الضرورى هنا أن نشير الى حقيقة قد تخفى على كثير من الناس . وهى ان غاندى ينتسب الى أسرة ليست هندوسية أى ليست من اتباع الديانة الهندوسية وانما تتبع المذهب الجينى . وهو احد الاديان الموجودة فى الهند ، وان كان اتباعه قليلين جدا ــ حول المليون ــ ومؤسس هذا الدين هو « مهاويرا » ولد سنة ٥٩٩ ق. م أى قبل بوذا الذى ولد سنة ٥٥٧ ق. م وتعاصرا مدة خمسين سنة لكنهما لم يلتقيا وتعاليم هذا الدين تلتقى كثيرا مع تعاليم البوذية فى اعتراضها على الآلهة وعلى الطبقات وعنايتها بالسلوك وعدم الايذاء الى غير ذلك من التعاليم التى يمكن ان نعدها مشتركة بين البوذية والجينية فشخصية غاندى اذن ــ وتعاليمه يمكن ارجاعها الى دينه الاصلى لا الى البوذية .

راجع تاريخ الاسلام فى الهند ص ٤٨ وما بعدها ، وكفاح المسلمين فى تحرير الهند ص ٨٦ــ٨٩ .

« الوعى »



في ماضيه - وحاضره - ومستقبله

تعليل بعض الأحكام ومرونة بعض النصوص

للشيخ: زكريا السبري

أستاذ مساعد ــ جامعة الكويت

لعله من المفهوم لنا جميعا أن الغاية من الشريعة الاسلامية ــ فى جملتها وتفصيلها ــ هى منع المفاسد من دنيا الناس ، وجلب المصالح لهم ، وسياسة الدنيا بدين الله . بالحق والعدل والخير . وتحقيق السعادة البشرية والرحمة الالهية للناس أجمعين .

أما الله ــ سبحانه ــ فانه غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ، ولا تضره معصية ، وانما النفع أو الضرر يعود على العباد أفرادا وجماعات ، بحسب استجابتهم لربهم ، واستقامة سلوكهم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . لا يختلف فى ذلك حكم عن حكم ، حتى ما كان داخلا فى العبادات .

يقول الله سبحانه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم .. » .

ويؤكد هذا المعنى أن القرآن الكريم يذكر أحكامه مقرونة بعللها ، وبالمصالح التى تترتب عليها .

يشرع القصاص ويقول : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

ويأذن بالحرب دفاعا عن الأديان والأوطان ، ودفعا للظلم ، ومنعا للفساد فيقول :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

ويأمر ببلوغ الغاية فى اعداد القوة الحربية مع اليقظة التامة وعدم الغفلة ارهابا للعدو ، حتى لا يغريه الضعف او الغفلة بالاعتداء لتحقيق أغراضه الظالمة فيقول :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ويقول :

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

ويحرم الخمر لأنها رجس ضار بالجسم والعقل ، وعمل شيطانى ضرره اكثر من نفعه ، وسبب للعداوات والخلافات ، وصارفة عن القيام بالطاعات والواجبات فيقول :

« يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون » .

وقد كان هذا شأن السنة النبوية المطهرة ، التى تعلن فى احدى جوامع كلمه — عليه الصلاة والسلام :

« لا ضرر ولا ضرار » وتبين الأهداف الاجتماعية ، والمصالح البشرية فيما تشرعه من أحكام .

يدعو الرسول الى الزواج بالنسبة للقادرين ، والى الرياضة الروحية بالنسبة لغير القادرين ويبين ما فى الأمرين من مصلحة « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » .

ثم لا يترك الخاطب يتزوج على عمى وجهل بمخطوبته ، بل يرشده الى النظر اليها ، حتى يتبين رغبته فيها أو رغبته عنها ، ويتم الزواج عن بينة ، فتكون بينهما الألفة والمودة ، ويقول للمغيرة بن شعبة ، وقد أراد أن يخطب امراة : « انظر اليها فانه احرى أن يؤدم بينكما » اى تدوم المودة بينكما ، ثم ينهى عن زواج المراة على عمتها أو خالتها أو بنت اخيها أو بنت أختها ، ويقول : « انكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » .

ويقصر الوصية على الثلث جمعا بين مصلحة الموصى ، ومصلحة الموصى له ، ومصلحة الورثة . يقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : « جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى من وجع اشتد بى ، فقلت يا رسول الله : قد بلغ بى من الوجع ما ترى وانا ذو مال ، ولا يرثنى الا ابنة لى ،

افأتصدق بثلثى مالى ؟ قال : لا ، قلت : فالنصف ؟ قال : لا . ثم قال الرسول : الثلث والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » .

ويمنع البائع من أخذ ثمن المبيع اذا أصابته جائحة سماوية ، لأنه يكون اكلا للمال بالباطل ، وعوضا بلا مقابل ، واثراء بلا سبب ، فيقول : « ان بعث من اخيك ثمرة فأصابتها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا ، بم تأخذ مال أخيك » .

وينهى عن المناجاة والمسارة بين اثنين فى حضور ثالث لا رابع معه ، حتى لا يؤدى ذلك الى وحشته وحزنه ، لشعوره بعدم الثقة به أو التكلم عنه بسوء ، فيقول : « اذا كنتم ثلاثة يتناج اثنان دون الثالث ، فان ذلك يحزنه » .

ويطيل معاذ بن جبل فى صلاته الجامعة ، فيدعوه الرسول الى التخفيف حتى لا يتضرر المصلون فيقول : « من صلى بالناس فليخفف ، فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة » .

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث فى مختلف أنواع العلاقات وهى كلها تنطق بأن الشريعة معقولة المعنى ، واضحة الهدف ، تستهدف مصالح الأفراد والجماعات :

ولا بد لشريعة تتجه الى هذه الغاية الكبرى فى عمر الدنيا الطويل ، وآفاقها الرحبة من ان يكون فى نصوصها ومصادرها ما يتسع لحاجات الناس المتجددة والمتعددة ، وأغراضهم الصحيحة ، فى شتى بقاع الدنيا ، جيلا بعد جيل ، مهما تعددت الحضارات واختلفت المدنيات .

مرونة وشمول ..

ولا بد لها أن تكون من المرونة والسعة والشمول ، بحيث تتسع للحرية الفكرية الرشيدة ، والرأى النزيه الأمين .

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم وبيانها فى السنة النبوية بالاحكام ، مفصلة فيما لا يتغير بتغير الزمان والمكان : كالمحرمات فى الزواج وأنصبة الوارثين ، وبالاحكام مجملة فى قواعد كلية بالنسبة لما يتغير ويتطور ، ويختلف باختلاف البيئات فى جوانب الدنيا الواسعة ، وتتابع العصور فى مدى الزمن الطويل ، تاركة تفصيلها واختيار ما يتلاءم من أحكامها الجزئية لأهل الذكر وأولى الأمر فى كل زمان ومكان .

ففى النظام الدستورى لم يحدد القرآن أو السنة شكلا معينا للحكومة ، ولا لتوزيع سلطاتها ، ولا لاختيار أهل الحل والعقد فيها . واكتفى بتقرير العدل والشورى والمساواة أساسا فى الحكم .

« واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .
« وشاورهم فى الأمر » .
« وأمرهم شورى بينهم » .
« انما المؤمنون اخوة » .
« المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .
« الناس سواسية كأسنان المشط » .
« ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

وفى التشريع الجـــزائى يقتصر على بيـــان العقوبات الخاصة بأمهات الجرائم ، التى يشتد خطرها ، ويتساوى اثرها فى كل عصر ومصر ، تاركا ما عداها من الجرائم ــ وما اكثرها ــ الى اهل الذكر ، يحددون لها من العقوبات ، ما يكفى لردع المجرم ، وتطهير المجتمع .

وفى النظام المالى يفرض فى المال ضريبة الزكاة ، للانفاق على المحتاجين ، والصرف على المصالح العامة ، ويترك بعد ذلك لكل امة ان تشرع ما يناســبها من غير اسراف ولا تقتير .

وفى العلاقات الدولية يقيمها على الســلام والعدل ، مع الوفاء بالعهد ، ودفع الاعتداء .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

« وقاتلوا فى ســـبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتــدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

« واما تخــافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على ســـواء ان الله لا يحب الخائنين » .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

وفى المعاملات يضع اساســـها وهو التراضى والوفاء بالعقود وعـــدم الاستغلال : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تــكون تجارة عن تراض منكم » .

« أحل الله البيع وحرم الربا » .

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

« يأيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » .

وقد جاءت السنة لتوضح هذه الاسس وتبينها للناس . .

وبهذا تبين لنا الفرق بين هذه النصوص العامة وبين النصـــوص التى جاءت فى سورة النساء فى المحرمات من النساء ، وفى انصبة الورثة .

وانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم ــ الى الرفيق الأعلى ، بعد ان بلغ رسالة السماء الى أهل الأرض ، وأعلن الوحى ختامه ، وترك الرســـول فى المسلمين ما ان تمسكوا به لن يضلوا بعده أبدا ، كتاب الله وسنة رســوله . وكانت أظهر معجزاته ــ عليه الصلاة والسلام ــ هـــذه الشريعة الباهرة ، المشتملة على خير نظام فى جميع العلاقات الى أن تقوم الساعة ، فى عهد كان يغلب فيه الظلم ، وتغطيه الظلمات .

ولقد واجه صحابته من بعده حوادث ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية بيان خاص بها ، ولا حكم قاطع فيها ، فاجتهدوا فى تفهم حكم الله على ضوء النصوص واستهداف المصلحة ، واختلف فهمهم فى هذا وذاك ، تبعا لما

بينهم الى رأى واحد يجمعون عليه .

كثر القتل فى حفاظ القرآن فى معركة اليمامة ، وخاف عمر على القرآن من الضياع ، فأشار على أبى بكر بجمعه ، فتوقف أبو بكر وقال : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال به عمر يقنعه ويقول له : والله انه خير ومصلحة للاسلام ، حتى اقتنع ابو بكر ، ووافق الصحابة ، واجتهد ابو بكر فاستخلف على المسلمين عمر ، واجتهد عمر فلم يستخلف أحدا عليهم ، وترك الامر شورى فى ستة من الصحابة .

واجتهد ابو بكر ايضا فراى ان الجد اب ، فيأخذ حكم الأب فى الميراث ، ويرث وحده دون الاخوة ، ويوافقه عمر ، ثم يرجع عن رأيه بعد ان يسمع راى زيد بن ثابت ، الذى يرى مشاركة الاخوة للجد فى الميراث ، لأن صلتهم بالأخ لا تقل عن صلة الجد به .

ويقول عمر قبل وفاته : انى كنت قد رأيت فى الجد رأيا فان رأيتم ان تتبعوه فاتبعوه ، فيجيبه عثمان : ان نتبع رأيك فانه رشد ، وان نتبع راى الشيخ يعنى أبا بكر فنعم ذو الرأى كان .

ويجتهد عمر ، فيمضى الطلاق الثلاث على من طلق زوجته ثلاثا بكلمة واحدة . ويقول : ان الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو انا امضيناه عليهم .

ويجتهد عثمان فيورث المطلقة بائنا من زوجها اذا مات ، معاملة له بنقيض مقصوده ، وزجرا لأمثاله ، حتى لا يتخذ الناس من الطلاق البائن وسيلة للتهرب من فرائض الله فى الميراث .

ويجتهد على فى المطلقة يتزوجها رجل فى عدتها من زوجها الأول ، فيجيز لهما ابتداء الزواج بعد انتهاء العدة ، لزوال المانع ، بينما يرى عمر تحريمها على هذا الرجل الثانى حرمة مؤبدة ، عقوبة على مخالفة حكم الشرع ،ومن استعجل الشىء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

ويجتهد على فيفتى بالزام الصناع قيمة ما يضيع من أمتعة الناس ، التى تكون تحت أيديهم حتى يحافظوا عليها ، ولا يدعوا ضياعها ، ويقول فى ذلك : « لا يصلح الناس الا ذاك » .

وتقتل امراة وخليلها ابن زوجها ، ويكتب بذلك يعلى بن أمية الى عمر بن الخطاب يسأله الحكم فيتوقف عمر ، لأن شريعة القصاص المساواة ، فلا يقتل اثنان فى واحد ، ثم يفكر فيرى أن معنى ذلك ضياع دم المقتول ، واغراء الناس بالقتل فى جماعة حتى لا يكون قصاص . ويستشير عليا فيقول له : يا أمير المؤمنين ، أرأيت لو أن جماعة اشتركوا فى سرقة جمل ، فأخذ هذا عضوا وهذا عضوا ، أكنت قاطعهم ؟ فيجيبه : نعم ، فيقول له على : فكذلك « ويطمئن عمر ويكتب الى يعلى : اقتلهما ، فلو اشترك فيه أهل صنعاء كلهم لقتلتهم » .

وينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التقاط الابل الضالة ، ويقول لسائله عنها : مالك ولها ، معها سقاؤها وحذاؤها ، دعها حتى يأخذها ربها « يعنى بذلك أنها مصونة فى الصحراء ، لا خوف عليها من جوع أو عطش أو يد تمتد اليها ، ترد الماء وترعى الشجر ، حتى يعثر عليها صاحبها .

ويجرى العمل على ذلك فى عهد أبى بكر وعمر . ثم يأمر عثمان فيما بعد بالتقاطها خوفا عليها من السراق ، ويأمر بتعريفها اى بحصر اوصافها ثم بيعها اذا لم يعرف صاحبها حتى اذا جاء صاحبها أعطى ثمنها .

ثم يرى على فيما بعد أن بيعها واعطاء صاحبها ثمنها قد لا يغنى غناءها ، ويأمر ببناء دار يحفظ فيها الابل الضالة ، وينفق عليها من بيت المال ، حتى اذا جاء صاحبها وعرفها أخذها .

وهكذا يتغير الحكم فى هذه المسألة تبعا للمصـــــلحة التى تظهر فى كل عهد .

وانقضى عصر الصحابة تاركا من القــواعد والتطبيقات ثروة تلقاها عنهم التابعون ، فتابعوهم فى الاجتهاد فى فهم النصوص وتحقيق المصلحة .

جاء فى السنة أن الناس قالوا : يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا ، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم — ان الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وانى لأرجو ان القى الله وليس فى عنقى مظلمة لاحد منكم .

وذلك أن الرسول — كحاكم — راى انه مطالب برعاية مصلحة الكافة ، وأن نظره لمصلحة المشترين ليس أولى من نظره لمصلحة البائعين ، التى تتعارض كل منهما ، فليحـــكم بينهم القـــانون العادل : قانون العرض والطلب الطبيعى ، ولتكن التجارة عن تراض ، ولتقل الأسعار وترخص فى هذا الاطار ، ورحم الله عبدا سمحا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، ولكن سعيد بن المســيب وربيعة بن عبد الرحمن وغيرهما من فقهاء التابعين ، رأوا ضرورة التسعير الجبرى بعد أن تغيرت الأحوال الاقتصــــادية ، وضعف الوازع الدينى فى النفوس ، ودعت الحاجة والمصلحة الى التسعير .

وفى شهادة الشهود لم يكن يشترط فى قبول شهادة الشاهد الا أن يكون عدلا ترضى حاله وامانته ، فكان عمر يقبل شهادة الوالد لولده ، والولد لوالده ، والأخ لأخيه ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » ويقول : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفســـكم او الوالدين والأقربين » ثم ترك بعض التابعين العمل بما رآه عمر ، يقول الزهرى : « لم يكن يتهم سلف المسلمين الصالح فى شهادة الوالد لولده ، ولا الأخ لأخيه ، ولا الزوج لامرأته ثم ظهرت أمور حملت الولاة على اتهامهم ، فتركت شهادة من يتهم من قرابة ، وكان ذلك الولد والوالد والأخ والزوج والزوجة . . » .

« للبحث بقية »

أثر الإسلام في إحراز النصر ٢

اللواء : محمود شيت خطاب

تحدثنا فى مقالنا السابق عن الصفات التى يرى الاســلام ضرورة اعداد الجندى المسلم عليهـــا من أجل النصر الذى وعد الله به عبـــاده المؤمنين .

فكيف ربى الاسلام جيش المسلمين ، بعد أن ربى كل فرد من أفراد هذا الجيش ؟

عمل الاسلام على تقوية معنويات(١) المجاهدين . قال تعالى « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال »(٢) .

وحث الاسلام على الاهتمام باعداد القوة المادية ، قال تعالى : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (٣) ، وقال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »(٤) .

كما حث الاسلام على انشاء المعامل الحربية لصنع الاسلحة ، وذكر بالحديد بصورة خاصة للاستفادة منه للأغراض العسكرية : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للنـــاس وليعلم الله من ينصره ورســـله بالغيب ان الله قوى عزيز »(٥) .

وأعد الاسلام تنظيمات عملية للاعفاء من الجنـــدية ، واعلان الحرب والدعوة الى الجهاد ، وتطهير الجيش وأساليب القتال وقضايا الكتمان ، والهدنة والصلح ، والاسرى والمحافظة على العهود .

---

(١) انظر بحث المعنويات .
(٢) سورة الانفال (الآية ٦٥) .
(٣) سورة النساء (الآية ١٠٢) .
(٤) الانفال (الآية ٦٠) .
(٥) الحديد (الآية ٢٥) .

فقد حصر الاسلام أسباب الاعفاء من الجندية فى الضعف ويشمل : المرض والعجز والشيخوخة وعدم القدرة على الانفاق . قال تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله »(١) . وقد نصت الآية على عدم القدرة على الانفاق لأن الجندى كان يلتزم حينذاك بنفقته وأدوات حربه . وقد زال هذا السبب الآن . .

وحذر القرآن الكريم من انتهاز غفلة العدو المعاهد وأخذه على غرة غدرا ، قال تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين)(٢) ، فتطلب الآية الكريمة طرح العهد عند توجس الشر من العدو ، وتطلب أن يكون هذا النبذ صريحا .

وحذر الاسلام من التباطؤ فى تلبية داعى الجهاد والتثاقل عنه . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير)(٣) .

وأمر بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان ، ومن الذين يختلفون عن افراده بالعقيدة ، حتى يكون الجيش كله مؤمنا بعقيدة واحدة ، يعمل لتحقيقها ، ويبذل كل ما يملكه فى سبيلها ، وبذلك يستطيع الفوز فى الحرب ، قال تعالى : (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا)(٤) « ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » ٤٦ — ٤٧ .

ونظم الاسلام المواضع الدفاعية موزعا المقاتلين على تلك المواضع : (واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال)(٥) . وابتكر الاسلام أسلوبا جديدا فى القتال لم تكن العرب تعرفه من قبل هو أسلوب الصف ، اذ كانت تقاتل بأسلوب الكر والفر : (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا)(٦) . ويطلق اسم هذا الاسلوب من القتال على سورة من سور الذكر الحكيم ، هى سورة الصف .

ويحذر الاسلام من اذاعة الأسرار العسكرية ، ويجعل اذاعتها من شأن المنافقين ، ويطالب المؤمنين بالرجوع الى القيادة العامة ، كما يطالبهم بالتثبت مما يصلهم من انباء قبل الركون اليها والعمل بها : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك

---

(١) التوبة (الآية ٩١) .

(٢) الانفال (الآية ٥٨) .

(٣) التوبة (الآية ٣٨ — ٣٩) .

(٤) الاحزاب (الآية ٢٠) .

(٥) آل عمران (الآية ١٢١) .

(٦) الصف (الآية ٤) .

ويمكن أن نطلق الصف الآن على كل تنظيم حربى يراه القائد فى وضع الجيش المحارب تجاه عدوه دون أن نتمسك بحرفية الصف الواحد والمهم هو التماسك والتعاون فى الجيش المحارب وأسلحته المختلفة .

(الوعى)

فيها الا قليلا)(١) . « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » سورة النساء . الآية ٨٣ .

وامر الاسلام بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب اذا جنح اليها الأعداء ، وظهرت منهم علامات الصدق والوفاء . قال تعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله)(٢) .

وخير الاسلام القائد بين أن يمن على الأسرى ويطلقهم من غير فدية أو مقابل ، أو يأخذ منهم الفدية من مال ورجال وذلك حسب اقتضاء المصلحة . قال تعالى : (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء)(٣) .

وحث الاسلام بصورة خاصة على المحافظة على العهود ، واوجب الوفاء بها ، وحرم الخيانة فيها ، والعمل على نقضها ، وارشد الى أن القصد منها احلال الأمن والسلم ، محل الاضطراب والحرب ، وحذر أن تكون وسيلة للاحتيال على سلب الحقوق والوقيعة بالضعفاء . قال تعالى : (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة)(٤) .

(١٠)

هذا غيض من فيض مما جاء فى القرآن الكريم من آيات كريمة لتربية الجندى فردا ولتربية الجيش جماعات .

ومما ذكرنا يتضح أن الجندى المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزنى ولا يخون ولا يغش ولا يتجسس على جيشه ، يخلص لواجبه اعظم الاخلاص ، وينسى نفسه فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين . يتحلى بالضبط المتين ، فيطيع الأوامر وينفذها بأمانة واخلاص واندفاع . يصبر فى البأساء والضراء وحين البأس ، ويتحمل المشاق العسكرية صابرا محتسبا ، يتصف بالشجاعة والاقدام ، ويثبت فى الميدان ولا يفر أبدا ، ولا يولى يوم الزحف ، حذرا يقظا ، لا يستهين بعدوه ، يجاهد بماله وروحه فى سبيل الله ، ولا يتخلف عن الجهاد مطلقا .

هذا الجندى المسلم ، بهذه الصفات الرائعة ، هو بالتأكيد عنصر مفيد فى جيش له تعاليمه المتينة الرصينة فى التنظيم وفى التجنيد وفى الدعوة الى الجهاد . فى جيش نقى من الدخلاء والملوثين ، لا يغدر ولا يخون ولا يجور على احد له تعاليمه القوية فى القتال وفى الاسلام ، وفى التمسك بالعهود والمواثيق ، وفى معاملة الأسرى معاملة انسانية رفيعة .

هذا الجيش الذى يعد كل متطلبات القتال سلاحا وعتادا وقضايا ادارية ومعامل عسكرية ، لا يمكن أن يغلب أبدا .

وغزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، والفتح الاسلامى العظيم ، خير شاهد على ما نقول .

---

(١) الاحزاب (الآية ٦٠) .
(٢) سورة الانفال (الآية ٦١ ــ ٦٢) .
(٣) سورة محمد (الآية ٤) .
(٤) سورة النحل (الآية ٩١ ــ ٩٢) .

لقد انتصر المسلمون الأولون ، لأنهم كانوا تربية عملية تمشى على الارض لتعاليم الدين الحنيف .

وحين أعرض المسلمون عن دينهم ، وتركوا تعاليمه السماوية ، تداعت عليهم الأمم وأصبحوا غثاء كغثاء السيل .

لقد أعزهم الله بالاسلام ، ولن يعزوا بغيره .

والاسلام ليس نسبا ولا ارثا ولا منطقة جغرافية ، بل هو عمل وتضحية وفداء .

والمسلمون الذين يصومون ويصلون ويؤدون الفرائض ، ثم يقعدون عن الجهاد فى سبيل الله ، حينما يكون الجهاد فرض كفاية أو فرض عين ، ليسوا مسلمين حقا .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق) .

(١١)

والسؤال الكبير الذى يدور على كل لسان اليوم : لمـــاذا اندحرنا فى فلسطين هذا العام ؟

وأســباب الاندحار كثيرة ، من أهمها أن العرب تخلوا عن عقيــدتهم السمحاء .

انه لا جيش قوى بدون معنــويات عالية ، وقد أثبتت الأحــداث ، أن معنويات الجيوش العربية لم تكن عالية بحيث تتحمل أعباء حرب طويلة الأمد بصمود وتضحية وفداء .

لم يكن من المتوقع مطلقا ، أن تنهار الجيوش العربية بهـــذه السرعة المذهلة ، والقول بأن تفوق تفوق اسرائيل بالقوة الجوية لا يبرر أبدا سرعة انهيار الجيوش العربية بشكل يندى له الجبين .

وقد تعلمنا من دروس تاريخ الحرب ، أن المعنويات أقوى من السلاح ، وأن الجيش الذى يتحلى بالمعنويات العالية ينتصر فى النهاية مهما طال الأمد على أعدائه .

ان المعنويات ترتكز أولا وآخرا على العقيدة ، فما هى العقيدة التى كانت الجيوش العربية تؤمن بها ؟

هل هى المبادىء المستوردة شرقية كانت أم غربية ؟!

هل هى الشعارات التى لم تتجاوز اللســــان هتافا وصراخا والتى لم تخالط القلب والوجدان ؟!

هل هى عبادة الأشخاص والعمل من أجل الأمجاد الشخصية ؟!

كل تلك الأمور وأمثالها لا يمكن أن تسمى عقيدة منشئة بناءة ، يمكن أن يضحى الجندى فى سبيلها بروحه مقبلا غير مدبر ، والروح أغلى ما يملــكه الانسان .

ان العرب يمتلكون عقيدة هى أقوى العقائد وأصلبها ، وقد قادت العرب الى النصر والى قيادة العالم قرونا طويلة .

وهذه العقيدة ، تحث على الجهاد بالمال والنفس ، وتحث على الشجاعة والاقدام ، وتأمر بالصبر والصمود ، وتنهى عن التولى يوم الزحف ، وتغرس فى النفوس الطاعة .

ولست أعرف عقيدة غير الاسلام ، تبنى كل هذه الفضائل العسكرية فى العقول والنفوس معا ..

فماذا فعلنا لغرس هذه العقيدة فى أبناء الشعب قاطبة ومنهم الجيش ؟
لا شيء أبدا .. لا شيء على الاطلاق ..

لقد حارب الاستعمار بوسائله الجهنمية هذه العقيدة ، وبذل كثيرا من الجهد والمال لتحقيق أهدافه الهدامة ، وكان ما بذله الاستعمار أمرا طبيعيا بالنسبة لأهدافه ، لأنه يعلم أن الأمة بدون عقيدة ، لا قيمة لها فى الحياة ولا خطر منها عليه .

وكان من المتوقع أن يتبنى العرب عقيدتهم بعد نيل حريتهم ، ولكن العكس حدث تماما ، فقد بدأ حكام العرب أول ما بدأوا بمحاربة عقيدتهم ، فنفذوا عن طيبة خاطر وبحماسة شديدة أهداف المستعمرين .

هل يبنى الشعب العربى باشاعة الفحشاء والمنكر بين أبنائه ؟
هل يبنى هذا الشعب بالأغانى الخلاعية والأفلام الداعرة وقصص المخدع والاستهتار بالقيم الروحية ؟

ماذا فعلنا لغرس مبادىء الدين الحنيف فى أذهان التلاميذ والطلاب فى المدارس والجامعات ؟!
ماذا فعلنا لغرس تلك المبادىء بين أبناء الشعب ؟!

ماذا فعلنا لغرسها فى نفوس العسكريين ؟!
لقد حاربت جيوشنا بدون عقيدة ، لذلك فرت بعد الصدمة الأولى بشكل لم يسبق له نظير .

ولو أن العسكريين استقر فى نفوسهم ، أن الرجل لا يموت الا بأجله ، وأن الشهادة فى سبيل الله من أعظم الدرجات ، وأن الفرار يوم الزحف من الكبائر ، وأن الجهاد أفضل العبادات ، وأن جهاد ساعة خير من عبادة ستين عاما .
لو استقر فى أذهان العسكريين مثل هذه المثل العليا النابعة من صميم الاسلام ، لكان لهم شأن فى الحرب أى شأن ، ولصبروا وصابروا ورابطوا فى الميدان .
انى أطالب المسؤولين باقرار التعليم الدينى فى المدارس والمعاهد والجامعات على أسس رصينة سليمة ، وغرس مبادىء الدين الحنيف فى نفوس العسكريين ضباطا وجنودا بالدروس والمحاضرات ومراقبة سلوكهم الشخصى مراقبة دقيقة ، ومحاربة أسباب اشاعة الفوضى الاخلاقية والترف ، والعمل على غرس الفضيلة والخلق الكريم بين أبناء الجيش خاصة والشعب عامة .
فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب اقفالها ؟

(١٢)

لقد عزا قسم من المفكرين العرب انتصار اسرائيل الى تفوقها على العرب فى العلوم التطبيقية (التكنلوجيا) .
ولعل هذا التفوق العلمى سبب من الاسباب ، ولكنه ليس السبب الاول والاخير .

ان الولايات المتحدة الامريكية متفوقة على فيتنام الشمالية تفوقا عظيما فى الناحية العلمية ، ولكن فيتنام لم تستسلم ولم توقف القتال .

وعزا قسم من المفكرين العرب انتصار اسرائيل الى التفوق الجوى .

ولعل هذا التفوق الجوى سبب من الأسباب ، ولكنه ليس السبب الأول والاخير .

ان الولايات المتحدة الامريكية متفوقة على فيتنام تفوقا ساحقا فى الجو ، ولكن فيتنام لم تستسلم ولم توقف القتال .

لقد استطاعت فيتنام أن تكبد الولايات المتحدة مائة الف عسكرى منهم ستة عشر ألف قتيل واربع وثمانون الف جريح (١) .

واستطاعت فيتنام أن تسقط ثلاثة آلاف طائرة من طائرات الولايات المتحدة الامريكية (٢) .

ان الصمود وحده هو الذى حقق لفيتنام الشمالية هذا النصر . ولا صمود بدون عقيدة (٣) .

لقد صرح مسؤول اسرائيلى كبير ، أن عوامل انتصـــارهم على العرب خمسة ، على رأسها العامل الروحى .

وحين احتلت اسرائيل القدس القديمة يوم ١٩٦٧/٦/٦ ، زحفت جموعهم وعلى رأسها رئيس الدولة حفاة حاسرى الرأس الى حائط المبكى !!

وذكر أحد رجالات اسرائيل ، أنهم انتصروا على العرب لأنهم يؤمنون بالله . فهل صرح مسؤول عربى مثل هذا التصريح حتى اليوم ؟!

واذا كان يهود يؤمنون بالله ، فبماذا يؤمن العرب ؟

وهل فكر العرب بالعودة الى تعاليم الدين الحنيف ، ليكون لهم سندا وعونا فى الشدائد والملمات ؟!

أم لا يزال العرب يعتبرون الدين وتعاليمه من الامور الثانوية ؟!

ان الناحية العلمية التطبيقية واعداد الطائرات والدروع والاسلحة والعتاد ، واكمال التدريب والتجهيز ، كلها تدخل فى نطاق الاعداد العسكرى الذى أمر به الاسلام .

ولكن الناحية المعنوية ، وهى التمسك بالعقيدة ، لا تقل أهمية للجيش والشعب على حد سواء من الاعداد المادى .

---

(١) أعلن ذلك مسئول أمريكى يوم ١٩٦٧/١٠/٦ وأذاعته جميع محطات الاذاعة العالمية ونشرته الصحف .

(٢) أعلن ذلك خلال شهر أيلول ١٩٦٧ .

(٣) « الوعى الاسلامى » وهؤلاء وان لم تكن عقيدتهم سليمة فى الله لكنهم لهم عقيدة يؤمنون بها ويتفانون فيها . فليس بلازم أن تكون سليمة فى الواقع بل يكفى أن تكون سليمة فى نظر صاحبها المؤمن بها فتجعله يتفانى ويضحى من اجلها .

« البقية على ص ٥٣ »

الفدائيون..!

من فى سبيل الحمى والحق قد ذهبوا ؟ — ولا يمنون ان ارواحهم وهبوا ..

من يعملون وفى صمت ؟ هديتهمو — الضرب فى الحرب لا الاشعار والخطب

عشرون عاماً نصوغ القول ، فانتفضوا — وغيّروا القول بالنيران تنسكب

عشرون عاماً ، ولم نسمع خطابتهم — فليخطب المدفع الرشاش واللهب

عشرون عاما بنى الأعداء انفسهم — فيها ، ولم نبن صفا عنده داب

فهب للحرب من ابنائنا نفر — لم يرضهم أن يقال : العرب قد نكبوا

هم ينكرون على الدنيا ذواتهمو — لم يعرف اسم لهم فيها ولا لقب

لكن افعالهم عبر الأثير سرت — وافصحت عنهم الأقلام والكتب

القفر والخندق المسحور يعرفهم — والقصر يعرفهم ، والمنزل الخرب

لا عين للانس فى الصحراء تبصرهم — الطير ترقبهم ، والنجم والسحب

اضحوا كجن به الاعداء فى هلع — او كالقضاء وكالاقدار ترتهب

لا يخفق القلب فى اضلاعهم فزعا — وللعدو قلوب منهمو تجب

دوت قنابلهم فى كل ناحية — والريح تهتف : هيا اقبلوا وثبوا

مالت عليهم ذرا الاغصان حانية — قد شفها الوجد لا بل هزها الطرب

والارض تفتح للابطال اذرعة — وكيف لا ؟ وبها ام لهم واب ؟

أرواحهم فى سبيل الله قد بذلوا — دماءهم فوق وجه الأرض قد سكبوا

وهم شباب تروق العين طلعتهم — العمر كالزهر والآمال ترتقب

ابناءهم تركوا ، لم يحفلوا بهمو — ان مسهم ظما او مسهم سغب

نسوا العشائر والاحباب خلفهمو — انساهم الحيف او انساهم الغضب

للأستاذ: محمد الهادي اسماعيل

مدرس أول اللغة العربية — الكويت

لن يذكروا ولدا ، او يذكروا عملا … حتى يردوا من الأعداء ما اغتصبوا

فلا حياة على الدنيا بلا ظفر … وليس للعصر الا العز والغلب

صبوا — بنى سادة الدنيا — لهيبكمو … فالقيد يصهره فى أرضنا اللهب

عظام آبائكم فى الارض قد صرخت … تقول : هبوا ولا تبكوا وتنتحبوا

هيا أجيبوا نداء من حناجرها … تلك الحناجر فيها الصمت والصخب

ارواح جند (صلاح الدين) حائمة … عليكم الآن لا تنفك تقترب

فى ذلك الركن صولات لهم ، وهنا … فتح مبين ، وهذا التل قد ركبوا

هيا صلوا الماضى المهجور يحملكم … جسر من الدم والأرواح ينتصب

مآذن القدس قد حنت لصوتكمو … هاماتها نكست ، والوجه مكتئب

ويهتف المسجد الاقصى : أتتركنى … يا بن الحنيفة وسط الرجس أضطرب ؟

ترنو الديار لمرآكم بمقلتها … فيها الحنين وفيها العطف والحدب

تود لو تحتويكم بين أضلعها … وليس تملك الا الدمع ينسكب

من ذاك يمنعنى بيتى ومزرعتى … لا كنت ان عاش فى ماواى من سلبوا

الموت والنسف للأوغاد فى وطنى … بذلكم حكم الاسلام والعرب

يايها العربى الحر فى وطن … دانت له الأرض والعليا له نسب

امدد الى النصر اسبابا نتيه بها … للنصر كم مد فى تاريخنا سبب

جاهد بروح وأموال تجود بها … ان فاتك الجود بالارواح فالنشب

بالنفس والمال لا تبخل على وطن … ثمن شروا بهما الجنات قد كسبوا

الأرضُ لنَا والحَق لنَا

آمن بالحق ليسترجع

نشدو بالشعر لكى نرفع — من روح الشعب فلا يخضع
لنحطم يأسا قد يبدو — ونثير جبانا قد يخنع
كى نلقى الصدمة فى صبر — ونقيل العثرة لا نجزع
فالشوط طويل يربحه — الأكثر صبرا فالأشجع
فأتى من يعكس مقصدنا — بمعاول تهدم ما نرفع
لا يعرف الا شق الجيب — ولطما فى خد اسفع
ويصيح الخونة قد باعوا — وأضاعوا الأرض فلن ترجع
فى لفظ مملوء فحشا — يلوى الأعناق بما يسجع

● ●

فسمحت لنفسى ان أمحو — ما تنشر يا طبلا يقرع
فالأرض لنا والحق لنا — آمن بالحق ليسترجع
هو جد هذا لا هزل — والهزل يضر وقد يصرع

● ●

فكلامك اما عن خبث — كالعقرب تلدغ أو تلسع
او ان كلامك عن جهل — لا تدرى ماذا قد تصنع
فالناس تميل لأن تسمع — من يهذى بالفحش المقذع
والسم بلفظ معسول — يسرى فى الشعب وان أمتع
فكلامك يخفى اخطارا — بل يخفى المقتل والمصرع

● ●

دعوى الأعداء كما تدعو — ولأنت صداها المسترجع
هم قالوا القائد مسئول — والشعب برىء كى نقنع

* الى الضاربين على كل نغمة تدعو الى اليأس والخذلان .
* الى كل من يرى انه برىء من النكبة براءة الذئب من دم ابن يعقوب .
* الى الذين يريحهم ان يلقوا بالمسئولية على غير‍هم .
* الى الذين يحرفون الكلم عن مواضعه الذين يحولون الشعر الجاد كلاما هازلا وفحشا ما جنا بقصد ان ينالوا من روح الشعب ويثبطوا من عزيمته .
* الى هؤلاء جميعا .
* والى المناضلين الاحرار الصامدين الثابتين مهما عصفت من حولهم العواصف او نعق الناعقون .
* اهدى هذه الكلمات .

للأستاذ: أحمد عنبر

فنردد انا ليس لنا — فى النكبة كف أو اصبع
كصغير، يقطع دفتره — ويقول « برىء لم اقطع »
والطفل كذلك عادته — يخشى أن يزجر أو يصفع
أنعيش كهذا الطفل بلا — تفكير أو رأى ينفع ؟
أو نرجع للنوم الهانى — والغازى نتركه يشبع

● ●

انا لست أبرىء من تعنى — ممن لم يثبت فى الموقع
ضعفوا أو خانوا أو باعوا — أو كانوا أدنى أو ارفع
لكن من أين هم نبتوا — ما جاءوا من قفر بلقع ؟
فهم منا وكما كنا — فى المنهج كانوا والمشرع
فدليل ادانتهم باد — ودليل ادانتنا انصع

● ●

النكبة كانت موجعة — وحديثك يجعلها اوجع
والجرح يعالج كى يشفى — وكلامك يفتحه أوسع
فحديثك فحش منحرف — عن أصل الداء عن المنبع

● ●

ان كنت تريد الحق اذن — فانظر فى نفسك واسترجع
استرجع حالك فى الماضى — من قبل حزيران الأبشع
فالحال شنيع فى الوادى — والقمة حالتها اشنع
والحال مخيف فى المزرع — والحال مخيف فى المصنع
والحال فظيع فى الملهى — والمنزل حالته افظع
والمعبد خال ليس به — من يعبد ربا أو يركع

خلينـــا دربا يهـــــــديـنا   لسراب فى درب يلمـــــع
لم نحـــكم أمر معيشـــتنا   وتركنـــا الحبـــل لمن يرتع
واليـــوم صـــحونا من نوم   لنـــكيل اللـــوم لمن يخـــدع
والخـــادع نحن زرعنـــاه   فحصـــدنا ما كنـــا نزرع
فاللـــوم لنـــا فردا فردا   والحـــق احق بأن يتبـــع

● ●

فاذا ما عشـــنا فى خلف   وضـــلال عنـــه لا نقلع
نلقى باللـــوم على بعض   فلنـــا عظـــة يوم المرجـــع
فى يوم الحشر محـــاكمة   للناس بلا عمـــل يشـــفع
قال الأتبـــاع لخـــالقنا   « اللـــوم لمن كنـــا نتبع »
وعـــذاب الله يضـــاعفه   عدلا للتـــابع والمتبـــع

● ●

الجـــرح عميق محتـــاج   لدواء شـــاف أو مبضـــع
والداء بداخل انفســـنا   عالجـــه وحـــاول أن تسرع
نظف أدرانك نظفهـــا   وابدأ من قاع المســـتنقع

● ●

جـــدد ايمـــانك جـــدده   ان الايمـــان هو المرجـــع
اصـــلح احوالك بالتقـــوى   ولغـــير الله فلا تخشـــع
فالمؤمن لا يخشى احـــدا   والمؤمن حقـــا لا يجـــزع
بالتقـــوى والايمـــان ترى   شعبا كالصـــخرة لا يصـــدع
فالحقـــل تطيب ســـنابله   والمنزل يصـــلح والمصـــنع
والملهى يغـــلق أبوابـــا   ويضـــيق المســـجد بالركع
والحـــاكم يحـــكم منتصـــحا   لا يخشى وثبـــة من يطـــمع

● ●

فالقـــوة نجمعـــها حتى   نلقى الاعـــداء بمـــا نجمع
بدلا من فرقتنـــا نســـعى   لنلم الشـــمل ونســـتجمع
ونســـير بوحدتنا صـــفا   صـــفا مرهوبا لا يدفـــع
فالبـــاطل بالقـــوة زاه   والحـــق مع القـــوة اروع
ان كنت محقـــا وقويا   بلســـانك تنطـــق والمدفع

● ●

فهنـــالك حجتنا تســـطع   والعـــالم اجمعه يخضـــع
والغـــاصب يترك مغـــلوبا   أرض الاحـــرار فلا يرجـــع

● ●

وخلاصـــة قولى يـــا قومى   فالنصر وســـائله اربـــع
القـــوة ، تحميها التقـــوى ،   والصـــبر ، ووحدتكم اجمع

فلا بد من العودة الى الله تائبين منيبين ، ولا بد من العودة الى تعـــاليمه السماوية ، وعند ذاك لن نغلب ابدا .

ان الذى يحتاج اليه العرب اليوم ، هو الايمان بالله ، والايمان بالعلم ، وحينذاك سيقول يهود كما قال أسلافهم من قبل : ان فيها قوما جبارين .

(١٣)

واأسفاه على القدس ..

واأسفاه على بلد الانبياء والمرسلين ..

واأسفاه على مسرى النبى صلى الله عليه وسلم ..

ولكن القدس لا يمكن انقــاذها بالاسى والاسف ، حتى ولو ابيضت عيون المسلمين من الدمع .

وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » (١).

ونصر الله ايمان به ، وثقة بقدرته ، وعمل بتعاليمه ، ثم اعداد لمتطلبات القتال التى أمر بها « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الانفال الآية ٦٠ .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الذين ينصرهم فقال : « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » (٢) .

فأين هم هؤلاء حتى ينصرهم الله .. اين ؟!

ان المؤمن لا ييأس ..

والمؤمن لا يقنط ..

واسرائيل اذا انتصرت ساعة ، فلن تنتصر الى قيام الساعة ..

ان الله يغار على قبة الصخرة أن يرتفع عليها علم اسرائيل ..

ويغار على المسجد الاقصى أن تنتهك فيه الحرمات ..

ويغار على مسرى النبى صلى الله عليه وسلم أن تقترف فيه الموبقات .. ومصير يهود معلوم ، وأنا واثق من نصر الله ..

وقد أعد الله لليهود يوما عصيبا « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ..

فهل نعود الى الله ، ونعمل بتعــاليمه ، لينصرنا على اسرائيل ، وعلى اعدائنا جميعا ، أم لا نزال بحاجة الى النكد ات والنكبات ؟!

---

(١) سورة الحج (الآية ٤٠) .

(٢) سورة الحج (الآية ٤١) .

علماء
فنانون

الإمام القرافي

لم تكن دعوة الاسلام دعوة رهبانية تخلق الانفصال بين الدين والحياة ، ويصبح الفرد ذا وجهين فى حياته ، وجه لله ، ووجه

لرغباته ، وجه للدين ، ووجه للدنيا ، كما دعا بعض من ينتسب الى غير

الاسلام « دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر » .

وقد انقاد لهذه الدعوة — مع الأسف — بعض من أبناء المسلمين ممن لا يعرف عقيدته حق المعرفة .

ولكن دعوة الاسلام كانت دعوة حياة ، بُنيت على أساس من القيم ، فتكاملت دينا ودنيا ، والله لى ومعى

فى مصنعى ومسجدى ، وكفاحى لأسرتى ووطنى من ايمانى بالله .

ومن هنا كان علماء الاسلام وفقهاؤه عمالا وتجارا ، لا يمنعهم فقه ولا تفسير ولا إمامة عن العمل ،

فكان منهم الفقيه البزاز « تاجر الأقمشة » وكان منهم الصوفى

الخواص . وكان منهم النحوى الزجاج (يشتغل بصناعة الزجاج) ،

وكان منهم الفقيه المحدث (القفال) — صانع الأقفال — (١) .

وكان كل عالم يعطى علمه ودينه بقدر ما يعطى دنياه ، لذلك لا نعجب

أن يكون من بين هؤلاء العلماء أو الفقهاء فنانون ، اشتغلوا بالفنون وتشكيلاتها .

فمثلا نرى أبا بكر محمد بن الحسن — النقاش — القارىء

---

(١) كان المروزى القفال — من أئمة الشافعية فى القرن الرابع والخامس الهجرى فى مصر — يصنع اقفالا دقيقة يزن الواحد أربع حبات . ا هـ حسن عبد الوهاب (توقيمات الصناع) ، ابن خلكان جـ ١ ص ٢٥٧ .



للأستاذ: عبد المجيد وافى

المفسر(١) ، يتعيش من نقش السقوف والجدران ، والنقش والزخرفة فرع من فروع الفنون الاسلامية عريق فى أصالته ، عظيم

فى روعته — وفيما نراه فى سقوف مساجد فرج بن برقوق ، والمؤيد وقايتباى وغيرها من القصور

والبيوت الأثرية فى مصر وسورية وتونس والمغرب والأندلس دون حصر — المثل الباقى على روعة ذلك الفن الباهر .

والمتتبع لكتب التراجم والسير ، يجد الكثير من أخبار علماء وأدباء وشعراء ، لم يعزلهم أدبهم ولا علمهم

ولا شعرهم ، عن الاحتراف لطلب الرزق ، عملا بروح الاسلام « ماأكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من

عمل يده ، وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

وفى كتاب من كتب علم أصول الفقه ، وجدتنى أمام اسم من الأسماء لم أكن أظن الفن كذلك يجمعنى واياه ، هو : شهاب الدين

— أبو العباس — أحمد بن ادريس ابن عبد الرحمن ، الصنهاجى (قبيلة من قبائل المغرب) ، البهنسى — والبهنسة بلدة بصعيد مصر — ولد فيها الامام المصرى — المشهور بالقرافى(٢) .

ولشهرته بالقرافى طرفة ، ذلك أن كاتب السجلات فى الأزهر نسى اسمه ساعة التسجيل ، وكان الامام طالبا يأتى من جهة القرافة « المقبرة »

فكتبه فى سجلاته — القرافى —

---

(١) وفيات الاعيان جـ ١ ص ٦٩٩ .

(٢) ولد سنة ٦٢٦ هـ وتوفى سنة ٦٨٤ هـ ودفن بدير الطين (دار السلام) بجهة مصر القديمة بالقرب من القاهرة .

فجرت عليه النسبة ، وصــارت له علما .

وهو بين المــالكية لا يحتاج الى تعريف فهو صاحب كتاب (الذخيرة) الفه فى فقه المالكية مقارنا بالمذاهب

الأخرى فى ثمانية عشر جــزءا ، مخطــوط فى مكتبتى الأزهــر والقرويين ، وقامت كلية الشريعــة بالقاهرة بطبع جزئه الأول(١) .

كما اشتهر بكتابه (الفــروق) الــذى يدل على احاطته بدقائق التشريع وفهم أمين لخصائصه .

الف فى العقــائد ، والفقه ، واصول الفقه ، كما الف فى الــرد على شبه أهــل الكتاب ، والف فى اللغة ، والرياضيــات ، والفلك ، والمنطق ، وعلم الكلام ، ومع ذلك كله كان فنانا عظيما ، ولــكن كيف ذلك :

بينما أنا فى اثره ابحث عن راى له فى الدلالات ، أطالع مخطوطا له فى علم أصول الفقه(٢) ، وصلت الى فصل عنوانه « الكلام فى اللغات » بداه الامام بالــــكلام عن الدلالة الصوتية ، وعقب ذلك بسـؤال : « هل مجرد الصــوت يدل على صاحبه » ؟

واعتقدت أن جواب الشيــــخ بحكم عصره : « نعم » ، وان كــان عصرنا والعلم الحديث يقول : لا ، حيث الأصوات على أجهزة التسجيل والاســـطوانات تصنع نقــلا عن أصحابها أو تقليدا لهم .

ولكن الامام أجاب : « لا يكفى أن نسمع الصوت فنقول انه لا بد من



شخص صاحب لهذا الصوت ، لأن الصوت يصنع فى غير الانسان » .

واستدل على ذلك بما سمعه من الوزير الأديب الفقيه (القــاضى الفاضل) وزير صلاح الدين .

يقول القاضى الفاضل : ان رجلا جاءه وأخبره بمكان تمثــال ينطق ، فطلب القاضى الفاضــل الى ذلك الرجل ان يأخذه الى حيث يوجــد التمثال ، وعندما بلغه وجده صامتا

لا يتكلم ، فاستفسر منــه عن ذلك الذى يدعيه من كلام التمثــال ، فأشار الرجــل الى ثقب فى رأس

---

(١) كان ذلك باشراف عميد الكلية يومذاك ــ فضيلة المرحوم الشيخ محمد المدنى ــ ثم وقفت ظروفه فى سبيل نشر العلم وطبع بقية اجزاء الكتاب .

(٢) مخطوط فى ثلاثة أجزاء تحت عنوان : « نفائس الاصــول شرح المحصول » بدار الكتب المصرية ..

الريح يدخل الى قلب التمثـال من ثقب آخر فى دوى شـديد فترة ثم سكن ، فرفع الرجل يده عن الثقب ، فخرج الهواء على هيئة صـوت يحكى تاريخ المدينة التى كان فيهـا ومن بناها ، فى جملة محدودة ، حتى اذا انتهت خفـت الصـوت حتى تلاشى بخروج جملة الهواء ، واصبح الصوت حنينا كالحلق المبحوح .

وكلما أعاد الرجل سـد الثقب امتلأ التمثال هواء حتى اذا رفع يده عاد الى نفس الجملة السابقة لايزيد عليها » .

فيعقب الامام القرافى على حكاية الـوزير قائلا (١) : « ومن ذلك أن الكلام — يعنى فى الانسان — أصله الريح الذى هو النفس ، فاذا ضغطه الانسان ، حدث الصـوت من غير حرف ، فان قطع الصوت فى مقطع مخصوص حدث الحرف المبـاشر لذلك المقطع ، فصار الصوت عارضا للنفس ، والحرف عارضا للصوت » .

وهذا فهم دقيق لعمـل الحلق وأوتار الصوت ، ثم يقول : « ولكن يشترط فى المجرى ملوسة خاصة ، وصقال خاص ، فان تغير بطـل الكلام ، الا ترى الى الانسـان اذا خشن حلقه بكثرة الصياح انقطـع كلامه ، أو بكثرة الرطوبة ، كمـا يحدث فى النزلات الباردة انقطـع كلامه أيضا » .

« فمن استطاع أن يصنع مجرى على هذه الصورة ، تأتى له أن يتحيل هذا الصنم — يعنى التمثال — صنع هذا المجرى ، وسلط عليه الريح من مكان ينزل منه ، ويخرج من رأس هذا الصنم .. الخ كلامه » .

كل هذا كـان استدلالا منه على عـدم دلالة الصـوت على وجود شخص صاحب له ، وهـو وان كان عملا هنـدسيا دقيقا فى صنعته وفهمه ، لكنه ليس مطلوبا لنا ، وانما مطلوبنا دليل آخر ساقه الفقيه الفنان للدلالة على نظـريته ، ساقه استطرادا فأدى الى الحديث عن الأشكال الفنية وصناعتهـا وتحريكها وتلوينها ، ثم تنافسه هو فى صناعة مثلها .

فتحـدث مضيفا مستدلا على صنعة الصوت فى الجماد :

« وبلغنى أن الملك الكامل (٢) ، وضع له شمعدان ، كلما مضى من الليل ساعة انفتح منه باب وخـرج منه شخص يقف فى خـدمة الملك ، فاذا انقضت عشر سـاعات طلع الشخص على أعلى الشمعـدان وقال : « صبح الله السلطان بالخير والسعادة ، فيعلم أن الفجر قـد طلع » (٣) .

كل ذلك الذى يرويه الامام فى سبيل أن يدلل على صناعة الصوت فى غير الانسان ، ولكن مـرادنا ، والذى منه عرفنا اشتغال الفقيـه العالم بالفنون ، هو ما قاله بنفسه عن نفسه بعد ذلك مباشرة :

---

(١) ص ١٠٨ جـ ١ مخطوط (نفائس الاصول)

(٢) المرجع السابق .

(٣) هذا قريب مما نراه فى عصرنا من ساعات — صنعت فى اليابان او أوربا — اذا بلغت انصاف الساعات او ارباعها او تمامها ، تفتح فيها ابواب ، فتخرج طيور تغرد أو فرسان تضرب البوق ، وما اشـبه ذلك .

« وقد عملت أنا هذا الشمعدان — يقصد مثيلا له — وزدت فيه أن الشمعة يتغير لونها كل ساعة ، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد الى البياض الشديد الى الحمرة الشديدة ، فى كل ساعة لها لون ، وتسقط حصاتان من طائرين ، ويدخل شخص ويخرج شخص غيره ، ويغلق باب ويفتح باب ، فاذا طلع الفجر ، طلع الشخص الى أعلى الشمعدان ، وأصبعه على اذنه — يشير الى الأذان — » (١) .

من هذه العبارة عرفنا القرافى الفنان المهندس الميكانيكى ، فنان لأنه صنع هذه الصور والشخوص فى تلك الآلة التى سموها شمعدانا ، لأنها تحمل الشمع ، ولكننا الآن نسمى مثلها ساعة زمنية ، وهو فى صناعتها مهندس يرتب حركة على حركة سابقة ، ويؤقتها توقيتا زمنيا دقيقا ، مرتبطا بتوقيت الفلك . ولا غرو فقد كان القرافى الفقيه فلكيا رياضيا الى جانب فقهه .

---

(١) فى عصر الامام القرافى نفسه ، يصف ابن جبير الأندلسى — فى رحلته أيام صلاح الدين — ساعة كبيرة دقاقة كانت فى المسجد الأموى بدمشق ، وكان فى تلك الساعة تماثيل صقور وكان لهذه الساعة طيقان — فتحات — بعدد ساعات النهار (من النحاس) ، وعند انقضاء ساعة من النهار يسقط صنجان من النحاس أيضا من كل طاق واحدة فى فمى الصقرين المصنوعين من النحاس ، وتحت كل صقر طاس من نحاس منقوب ، فاذا انتهت ساعات النهار ، ألقى كل صقر بندقه (أى صنجاته) من فمه فى الطاس ، فترجع بسرعة متتابعة الى غرفة فى آخر الساعة محدثة دويا عظيما ، وكان لهذه الساعة نظام اضاءة فى الليل غريب فى الحبل « الهندسية » من النظام الاول .

وفى كتاب (معرفة الحيل الهندسية) لابن الجزرى — مخطوط مؤرخ ٧١٥ هـ — ١٣١٥ م — محفوظ بمتحف المتروبوليتان بنيويورك — وصف لساعة دقاقة — والعصر قريب من زمن القرافى ومن زمن ساعة دمشق — ولها رسم فى المخطوط ، وهى على هيئة فيل يحمل برجا فيه أشخاص وحيوانات ، وحركة الساعة عند كل نصف ساعة على التوالى : يصفر عصفور بأعلى البرج فيلقى رجل يجلس فى شرفة بأعلى البرج ، كرة من صندوق فى يده ، يتلقفها أفعوان كبير فى فمه الواسع ، ثم يلقيها فى اناء فوق ظهر الفيل أمام البرج ، وعندئذ يدق رجل جالس داخل البرج طبلا بعصا فى يده ، ويطرق رجل آخر — جالس على رقبة الفيل — بمطرقة على صنج من نحاس فوق رأس الفيل .

والكثير من هذه التحف التى أبدعها فنانو المسلمين نهبت فى عصور تخلفنا قبل حملة نابليون وبعدها ، وكنائس الغرب ومتاحفه مليئة بمثل هذه التحف ، ويأبى السارقون أن ينسبوا الفضل لأصحابه وانما ينسبون مخترعاتهم الحديثة وأصولها لأمثال دافنشى ، والغريب أن دافنشى فى القرن — ١٥ الميلادى — نفسه يقول فى مدوناته — المحفوظة بالأسكوريال بمدريد — انه اطلع على مؤلفات عربية ونقل عنها .

ولله الأمر من قبل ومن بعد ..

في هذا الحديث فنان يحـــدثنا عن فنه ، وما صنع منه ، وما زاد فيه عن غيره ، ويتابع خطوه وراء صنعة الصوت في غير الانسان فيقول :

« ولكني عجــزت عن صـــنعة الكلام » .

افبعد أن وصفت هيئة مخـــرج الصوت ومقاطعه في مجرى النفس أيها الامام تقف عاجزا عن صنعـــة الصوت انه يصر ويحاول حتى يقول عن نفسه ثانية :

(ثم صنعت صورة حيوان يمشي ويلتفت يمينا ويسارا ويصفــر ولا يتكلم) .

وهكذا يصل بفعله هو الى صناعة نوع من الصوت ، ويستدل بصنعته على ما وصف وشرح . ولـــكنه من وراء ذلك يطلعنا من نفســـه على فنان مصور مهندس ، يصــــور الصـــــورة ، ويصنــــع التمثال ويحركه ، ويحاول صنعـــة الصوت ، كل ذلك يصنعه ثم يصفه ولا يرد على ذهنـــه ، أو يتبـــادر الى خاطره ـــ وهو العالم الفقيـــه الامام ـــ حرمة التصوير أو حلـــه ، بل هو لم يذكر حتى الخـــلاف بين الفقهاء حول هذا الأمر .

أم وجه الـــروايات والأحـــاديث وجهتها ، ونسبها الى أســــبابها ، ففهم الأمر على وجهـــه وسار بفنه وفقهه معا ؟

أم تراه قد سوغ لنفسه الخروج على الشريعة وأحكامها ؟ معاذ الله أن نظن به ذلك فهو قد اجتهـــد اجتهـــاد الفارسي ، ومكي ، وابن النحاس .

وغاية الأمر أن الامام القرافي كان فنانا صناعا ، فلم يبخل علينا بوصف صنعته ، وحفظت لنا كتبه ذكـــر ما صنع ، وكان شجاعا ، فلم يتبرأ من الصـــورة وصنعتها ما دامت لن تعبد من دون الله .

بقيت كلمة أقولهـــا لمن اتهموا فقهاءنا بالجمود ، أقول ان الامـــام القرافي الفقيه قد ألف ممـــا ألف كتاب (المنـــاظر) في الهندســـة والرياضيات ، فهل يستطيعون في الفقه وأصول التشريع شيئا .

ولكن العلم كله لله يهب لمن يشاء بحساب ، ولمن يشاء بلا حســـاب ، ولو بحثنا لوجدنا للقـــرافي قرناء وقرناء ، ولكن الجهد قاصر واللـــه المعين .



للشيخ : عبد المنعم النمر

هل يصبح الكذب حقيقة ؟

لا يمكن للذين يؤمنون بالوحدة والجامعة التى جمع الله عليها المسلمين أن يقبلوا الطعن فى رجل من علمائنا لا لشىء الا لأنه نادى بجامعة اسلامية تضم شتات المسلمين .. ولا يمكن للذين يعرفون قيم الرجال والوفاء أن يمر عليهم بسهولة ما يكيله الأحياء من اتهامات غير بريئة للذين لاقوا ربهم شرفاء كرماء وكانوا من رجالاتنا الذين نفخر بهم ، وزادتنا الأيام اعتزازا بذكراهم ، وبما كانوا يتمتعون به من عزة نفس ، واباء ضيم ، وحرص على كرامة العالم أو على كرامة منصبهم الاسلامى الكبير .

ماذا يضير المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر الأسبق اذا كان قد قال « ان الجامعة العربية خطوة فى طريق اقامة جامعة اسلامية » ؟ كيف يعد هذا عيبا فى نظر الاستاذ التابعى أو فى نظر الأستاذ عبد الجليل الراوى الذى روى عنه الأستاذ التابعى فى عدد أول مايو الماضى من آخر ساعة ؟

ان ما قاله الشيخ المراغى عليه رحمة الله هو أمل كل مسلم ، حين قاله ، والى الآن ، والى أن تقوم الساعة ، تلبية للوحى الالهى وتقريره ، « انما المؤمنون اخوة » ، وتحقيقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد » .

فهل تخلينا نهائيا عن الاسلام وطبيعته وتعاليمه ، حتى يعد مثل هذا القول من سيئات الشيخ المراغى ؟ ومن نحن اذن ؟ عرب ؟ وما قيمة العرب بغير الاسلام ؟ لم يعتز العرب ، ولم يكن لهم تاريخ مجيد الا بالاسلام ، ولقد كانوا قبل الاسلام كما قال عمر رضى الله عنه « أذل الناس فأعزهم الله بالاسلام ومن يطلب العزة بغير الاسلام أذله الله » .

وماذا كسبنا من اهمال الجامعة والروح الاسلامية ، والاكتفاء بالضرب على وتر القومية مراعاة لأحلام وأوهام ؟

ولماذا ترتفع الأصوات ، وتشتط الأقلام ، الى حد التهوين بجامعة يضمنا تحتها رابط الهى من صنع الله ؟ ولمصلحة من يكتب هذا الكلام فى وقت تجب العناية فيه بتجميع المسلمين حولنا ، ليشدوا أزرنا فى نكبتنا ؟

أليس من الواجب عقلا ودينا ومصلحة أن ننمى هذه الصلات ، ونبذل جهدنا لضم المتفرقين واصلاح الشاردين ؟

المرحوم الشيخ المراغى كان من أنصار الاحتلال البريطانى ... وأن الانجليز أشاروا على فاروق بتعيينه شيخا للأزهر » ؟

والصحيح أن الشيخ المراغى عينه الملك فؤاد سنة ١٩٣٥ . لا فاروق وانه جاء لمشيخة الأزهر بعد ثورة أزهرية عاتية قام بها الطلاب والعلماء ، وصدر بسببها قرار رسمى بالغاء السنة الدراسية ، ثم اضطر المسئولون تحت ضغط الأزهريين والشعب معهم الى تعيين الشيخ المراغى .. وكنت ممن سجن وعذب وفصل من الأزهر بسبب هذه الثورة .. فهل هذه هى حقائق الكاتب الكبير المحترم ؟ !! وقس على هذا قوله :

ان الشيخ المراغى كان من أنصار الاحتلال !!

من الذى وقف أمام الانجليز فى ذلك الوقت وعارضهم فى دخول مصر الحرب ، وقال قولته الحادة المشهورة « ان هذه الحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » ؟

هل الكاتب المحترم هو الذى وقف هذا الموقف او الشيخ المراغى هو الذى قالها على الملأ ؟ . لقد كنت أنا ممن يستمعون اليه ، وكان شيخا للأزهر ، فأقض مضاجع الانجليز ، وقامت أزمة حادة فى وقتها ، وحاول رئيس الحكومة حينذاك أن يخفف الشيخ من حدته ، فهدده وهدد الانجليز بترك منصبه ، وكانوا يعرفون عاقبة ذلك فسكتوا على مضض ؟

ان الكاتب لم يلفق هذه الاساءة للشيخ الا لأن الشيخ عليه رحمة الله كان ينادى بجامعة اسلامية .

ويسىء اليه بعد أن مات بأكثر من عشرين سنة ، وقد كان الكاتب يصول ويجول يوم أن قال الشيخ ما قال ، فهل فكر فى أن يكتب حينذاك وينتقده فى دعوته لجامعة اسلامية ، كما يكتب وينتقد فى هذه الأيام ؟

وحتى اذا أراد ان يكتب بعد هذه المدة الطويلة ، الم يكن من الحصافة والرعاية للمصلحة وللشعور الاسلامى الكريم الذى يتجمع حولنا الآن ان يخرج من مذكراته وذكرياته بعض الأخطاء الأخرى التى دونها أو التى يتذكرها ويتخيلها ؟!!

ان أخانا التابعى .. الكاتب الكبير قد شاخ وكبرت سنه .

فتش عن اليهود ..

سألنى ماذا تعنى كلمة « عبد » فى القرآن ؟ .

قلت : لها معان متعددة تختلف باختلاف الموضع الذى تستعمل فيه .

قال : هل تأتى كلمة « عبد » بمعنى أسود ؟

قلت : لا .. لم يستعملها القرآن ولا الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تأت فى العربية — حسب علمى — بهذا المعنى مطلقا .

قال : وما معنى : « ولعبد مؤمن خير من مشرك » قلت له يراد بكلمة العبد هنا الرقيق أسير الحرب الذى ضرب عليه الرق ، وصار مملوكا لمن أسروه .. بغض النظر عن لونه ..

قال لى : اننى أسألك هذا السؤال لأننى كنت أصلى مرة فى مسجد « كارديف » بانجلترا .. وذكر الخطيب هذه الآية ، فخرج اثنان من المصلين وكانا من « نيجيريا » غاضبين محتجين ، وهما يقولان : كيف يهيننا الخطيب ويحتقرنا ؟ ألأننا سود البشرة ؟!..

قلت له : انهما لم يفهما معنى كلمة «عبد» هذه فى القرآن على حقيقتها التى

بينتها لك . بل فهماها على ان المراد بالعبد : الأسود — وهذا فهم خاطىء وغير صحيح بالمرة ... وانتهى الحديث بيننا : ولكنى ظللت أفكر ..

ان كثيرا من الناس يطلقون كلمة « عبد » أحيانا على اســـود البشرة ، لا يقولون اســود ، بل يقولون « عبد » وكلمـــة عبد من معانيهــا الصحيحة « الرقيق » ومن هنا نشأت الحساسية الشديدة من كلمة « عبد » حينما تطلق على اسود البشرة ، لأنها تصبح فعلا كلمة مهينة بالنســبة له ، والاســتعمال العامى الخطأ لهذه الكلمة هو السبب ..

فالأخوان اللذان غضبا لم يفهما المراد من الكلمة فى القرآن ، ولكنهما بلا شك كانا متأثرين بما عرفا عن الاستعمال العامى لهذه الكلمة ، وظنا — خطأ — ان هذا الاستعمال هو المراد فى القرآن ..

ولا شك ان هذا اللبس الذى وقع فيه الأخوان يقع فيه كثيرون غيرهما .. فقد حدثنى احد المبعوثين الأزهريين لشرق افريقيا عن مشكلة كان سببها شبيها بما وقع فى مسجد « كارديف » ، اذن هناك فهم خاطىء لمعنى كلمـــة « عبد » يستولى على الكثيرين من اخواننا فى افريقيا ، ومن الضرورى أن يفرقوا بين استعمال الكلمة فى القرآن وفى اللغة العربيـــة الفصحى ، وبين اســـتعمالها العامى احيانا البعيد عن الصواب .

ومن الضرورى كذلك على الذين ينطقون العربية أن يرتفعوا بذوقهم ، فلا يستعملوا هذه الكلمة فى احاديثهم الا فى معناها العربى الأصيل الذى استعمله القرآن فيه وهو « الرقيق المملوك » سواء كان لونه أبيض او اسود أو اصـــفر او احمر ..

ومع ذلك ظللت افكر : من أين تسرب هذا المعنى الخطأ الى اللسان العامى او الى الأفهام السطحية ؟ . ومرت بذهنى أشياء يمكن أن تكون أصل هذا الخطأ ولكنى مع ذلك لم اركن اليها تماما ..

ثم صادف فى اليوم نفســـه أن امسكت بكتاب جديـــد جاءنى من مؤلفه « الأستاذ محمد صبيح » واغرانى عنوانه « المعتدون اليهود من أيام موسى الى أيام ديان » بالبدء فى قراءته على الفور .

ولم امض فى قراءة الكتاب كثيرا ، حتى توقفت عند الصفحة العاشرة وهو يقدم لنا « اخلاق اليهود من توراتهم .. وقلت : وجدتها .. من هنا تسرب هذا الخطأ فى استعمال كلمة « عبد » على خلاف ما جاء به القرآن واللغة العربية .

واقرا معى ما جاء تحت عنوان **« نوح واستعباد السود »** .

« نستطيع ان نمر سريعا بخلق البشرية فى سفر التكوين ، لكى نقف عند جزء من قصة نوح فى الأصحاح التاسع ، بعد الطوفان .. » قالت القصة :

« ابتدأ نوح يكون فلاحـــا ، وغرس كرما ، وشرب من الخمر فســكر ، وتعرى داخل خبائه فأبصر حام ابو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويـــه خارجا ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا الى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما الى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره ، علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لاخوته ، وقال مبارك الرب اله سام . وليكن كنعان عبدا لهـــم . ليفتح الله ليافث ، فيسكن فى مساكن سام . وليكن كنعان عبدا لهم » .

وحام هو ابو كنعان ..

وما نأخذه من هذه القصة ، أن هناك دعاء قديما قدم نوح عليه الســـــلام بأن تكون سلالة حام مستعبدة مسترقة .. وعندما قسمت الأرض الى اجناس ، كان من نصيب السود أن يكون جدهم حام ، ليكون الساميون اى اليهود غير الملونين هم السادة يخدمهم الملونون غير البيض .

وهكذا نشأت فكرة الاسترقاق على أساس اللون ، من تلاوة الصفحات الأولى للتوراة .. ولا عبرة بأن يقول قائل ان الرق فى العصور الأولى ، كان فريضة مقررة على الضعفاء جميعا . فهذا شىء ، والرق الأبدى بسبب اللون . والاستبعاد المطلق من حق الانسانية فى المساواة والحرية ، انما هو الذى تعنيه لعنة نـــوح !!

ونوح — يعلم الله — برىء من هـــــذه التفرقة فانما هو واحد من انبياء الله » ا هـ فاليهودية اذن بتوراتها الملفقة هى السبب فى اطلاق هذه الكلمة (عبد) على ذوى اللون الاسود أما القرآن الكريم فانه ينكر التفرقة على أساس اللون ويقول . . « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وفتش عن اليهود كما قيل : فتش عن المرأة . .

يا وزراء التربية .. هل يصح هذا ؟

نحن أمة تستمد وجودها وكيانها من الاســـلام ومن القرآن الكريم مهما يبدو فينا من تقصير . وما جاء به القرآن من أخبـــار يجب ان نتلقـــاه بالقبول والاذعان دون أن يبدو منا أى شك فيه ، والا كنا معرضين أنفسنا لأن نكون فى موقف الذين كفروا أو يكفرون به . .

أظن أن هذا كلام مسلم به لا يمكن أن يكون مثار نقاش أو جدل . . .

ومما يجب أن نسلم به كذلك انه لا يجوز لنا أن نعلم أولادنا فى المدارس شيئا يعارض نص القرآن الكريم ، ويؤدى الى تكذيبه ، لا يجوز أن نعرض خبرا من الأخبار التى جاء بها القرآن للشك فيه أمام اية نظرية علمية قائمـــة على الافتراضات ، فان خبر القرآن صـــادق يقينا . أما النظريـــة فهى محل بحث ومناقشة مثل كثير من النظريات . . التى تروج زمنا ثم يثبت بطلانها . .

أقول هذا بمناسبة ما قرأته فى كتاب يدرس لأبنائنا فى المدارس الثانوية فى . « علم الأحياء » ففى الكتاب فصـــل بعنوان — « فصيلة الرئيســـيات » « الحيوانات العليا » . .

وفى هذا الفصل تكلم المؤلفون عن التطور الذى حدث فى الحيوانات العليا حتى وصل للانسان حسب تصنيف الدكتور « سمبسون » !!

ثم قال تحت عنوان « الانسان » :

تبين لنا مما سبق أن الانسان قريب الشبه تركيبيا من القردة . **ولا بد أنه تطور من نفس الأصل الذى تطورت منه هذه القردة .. الخ .. » ا هـ**

هذه « اللابدية » التى تستعمل فى موضوع علمى كهذا تفيد عند العلمـــاء القطع بهذا التطور . . الذى مر فى أدوار حيوانية كثيرة جدا حتى وصـــل الى الانسان . .

وهذا الكلام أو هذه « اللابدية » « السمبسونية » تقف أمام حديث الله فى القرآن الكريم عن خلق آدم موقفا معارضا تماما .

حتى لا يبقى أمام القارىء أو التلميذ الا أن يؤمن أو يعتقد بصـــحة ما جاء فى هذه النظرية الفرضية أو بصحة ما جاء به القرآن . . اما هـــذا . . وأما ذاك . .

والكتاب يسوق هذه النظرية سوق الأشياء المسلم بها مما جعله يستعمل كلمة « لابد » فأين اذن خبر القرآن عن خلق الانسان الأول « آدم » ؟

أهمله الكتاب تماما أو بمعنى آخر كذبه ولم يعترف به !!

واذا كان من الضرورى أن ندرس لأولادنا النظريات العلمية التى تدرس فى أنحاء العالم حتى يكونوا على علم بهذه الدراسات وعلى اتصال بها . فانه

كان من الضرورى — ونحن نؤلف لطلاب مسلمين فى دول اسلامية تقدس القرآن — أن نعنى بعد سرد هذه النظرية بذكر ما جاء به القرآن عن خلق الانسان الأول .. « آدم » ولو من طريق عرض رأى آخر فى خلق الانسان . فما بالك اذا كان كلاما مقدسا ، وخبرا حقا من الله سبحانه وتعالى ، والايمان بصدقه هو الايمان ..

ماذا يقول هؤلاء فى قوله تعالى « واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » سورة الحجر .

وفى آية البقرة يقول « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها .. » الى آخر القصة التى ذكرتها الآيات من أمر الملائكة بالسجود له وتمرد ابليس على هذا الأمر ..

ثم فى آيات أخرى تعرض ، وجود آدم وحواء فى الجنة ، ووسوسة الشيطان لهما ، وهبوط آدم وحواء الى الأرض . الخ هذه الآيات التى تصور لنا أصل خلق الانسان ، وكيف أن الله خلقه من تراب .. ثم سواه ونفخ فيه من روحه .. الخ ...

وهذا شىء وما تفيده نظريات التطور شىء آخر ..

فكيف نعنى بتلقين أولادنا هذه النظريات التى تعارض ما جاء فى القرآن ، دون أن نشير الى رأى القرآن فى هذا الموضوع ؟!

كأن النظريات أمر يقينى يجب أن يؤمن به الطلاب ، وينبذوا ما عداه مما جاء به القرآن !!

فهل يجوز هذا فى بلاد اسلامية تقدس كتاب الله وتؤمن به ؟

اننى أدعو وزراء التربية فى البلاد الاسلامية ، وكل المسئولين معهم الى ان يراجعوا مثل هذا ، ويتحاشوا أن يلقنوا طلابنا ما يتعارض مع كتاب الله . ويعرضه للتكذيب والاستنكار ..

فذلك أول الواجبات على مسئول اسلامى يرعى تربية الجيل الاسلامى الناشىء ..

ثم كنت انتظر وينتظر الكثيرون مثلى من علمائنا المخلصين لدينهم ممن تخصصوا فى علوم الاحياء الا يعيشوا بأفكارهم أسرى نظرية فرضية وأسرى تقسيم « سمبسونى » بل كنت أود أن تظهر شخصيتهم وعقليتهم الاسلامية فى أمر كهذا .. فلا يندفعوا ويدفعوا كل الأجيال التى يعلمونها الى احضان نظرية تقرر عكس ما يقرره القرآن . وينحازوا الى جانب النظرية مسلطين معاول الشك والانكار على كتاب الله .

كنت — ولا زلت — انتظر رأيهم فى أمر كهذا ، باعتبارهم مسلمين يؤمنون بالقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

واننى أرحب بكل بحث يتقدم به عالم مؤمن مستنير فى هذا المجال ..

رجاء :

ارجو من اخوانى الكتاب الأفاضل أن يحرصوا على ذكر مراجعهم فى كل ما ينقلونه من آيات أو أحاديث أو غيرهما حتى يتسنى لنا وللقراء الرجوع اليها عند الحاجة .. كما أرجو أن يعنوا بوضوح خطهم وتصحيح ما يكتبونه على الآلة الكاتبة قبل ارساله الينا ..

صبحة الإسلام

للأستاذ: علي هاشم رشيد

يا صحابي متى يطل الصباح ... ومتى النفس بالمنى ترتاح
ومتى تملأ العروق دماء ... ومتى تحضن الشراع الرياح
ومتى يملأ القلوب يقين ... انما العزم للعلا مفتاح
ومتى نرفع الأذان بيافا ... واذا الفجر بالربى ينداح
عزمات وأمنيات حسان ... في نفوس ما أوهنتها الجراح

***

يا صحابي على الرمال حديث ... سطرته حوادث سوداء
أيقول التاريخ ذلوا وهانوا ... واذا العيش والممات سواء ؟
أنقر الظلام والظلم فينا ... وبأرض الجدود حل البلاء ؟
ليس هذا ما ترتضيه المعالي ... شرعة الله عزمة وفداء

***

اخوتي الغرهل ترانا وعينا ... ما الذي حل بالبلاد وصارا
أترانا نرى الأمور بصدق ... فنرى العار في الحقيقة عارا ؟
أترانا نحس طعم هوان ... حل في أرضنا الحبيبة نارا ؟
ونرى الهون اذ بنونا جياع ... في ضياع بين الورى لا يجاري
أم ترانا عن كل ذاك عمينا ... واستكنا مذلة واصطبارا ؟

***

انه الخطب يا صحابي جسيم ... ليس تجدي في رده الأعذار
انه سبة الزمان وعيب ... ما روت مثل شؤمه الأخبار
حين نرضى الحياة والخصم باق ... في ربانا وتحتويه الديار
ويداس الأقصى فترتجف الجدران ... غضبى وترعد الأحجار
أين أين الاسلام ؟ بل أين قومي ... فلقد دنس الحمى الفجار

***

يا رجال الاسلام غابت صلاة ... عن ربى القدس ثم غاب الصيام
غاب عن مسجد الاله سجود ... وجفاه يا قوم ذاك القيام
فجهادا كما تشاء المعالي ... وانطلاقا يزول منه الظلام
نقتدي بالرسول فعلا وعزما ... ليس يجدي يا قوم ذا الكلام
هذه شرعة الاله جهاد ... يرتضيه لدى المعالي الكرام



في عهودنا المضيئة وعهودهم المظلمة

للدكتور محمد أبو شوك
رئيس قسم الأمراض الباطنية
بالمستشفى الأميرى ـ الكويت

اذا استعرضنا تاريخ انشاء مستشفياتنا منذ العصور الاسلامية الاولى فاننا نجد أن هناك صفحات ناصعة تدل دلالة قاطعة على مدى ما أحرزه المجتمع الاسلامى من تقدم فى كل مجالات الحياة .

ولعلنا فى هذا المجال نسترشد برسول الاسلام حينما أمر بالتداوى كما نصح أصحابه به على أيدى اخوانهم حتى الذين لم يسلموا منهم بعد كالحارث ابن كلدة وغيره ممن كانوا يمارسون التطبيب فى تلك الأيام .

وليس عجبا ان نعلم أن رسول الله أمر بجعل خيمة خاصة لعلاج الجرحى وتضميدهم فى الحرب فى جميع غزواته . وكانت تقوم بهذه المهمة الشاقة السيدة/نسيبة وغيرها من فضليات المسلمات .

وعلى هذا النهج القويم سارت الدولة الاسلامية تمد يد الرحمة الى المرضى فى كل زمان ومكان الى أن جاء عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فكان مستشفاه المسماه « البيمارستان » والذى أوقف له من ماله الخاص الشىء الكثير ، وسهر على مرضاه أمهر الأطباء فى ذلك العصر ، وخصصت جل أسرته للمرضى الذين يشكون ضعفا فى قواهم العقلية .

ونظرة فاحصة الى معاملة العرب لمرضى العقول فى تلك الآونة ، والى الغرب فى هذه الفترة من الزمان ، بل والى نهاية القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ترينا الفرق الشاسع البين بيننا وبينهم .

• (صورة مشرقة) ••

فلننظر معا الى كتاب أرسله مريض الى ابنه يصف له المستشفى الذى كان فيه ، وذلك قبل الف سنة أو يزيد ، لترى معى الى أى حد وصلت هذه المستشفيات التى انتشرت فى دمشق ، وبغداد ، وفى قرطبة (التى زاد عدد مستشفياتها عن الخمسين مستشفى) ثم فى القاهرة وغيرها من الامصار .
يقول الوالد :

« ابنى الحبيب

تسالنى ان كنت بحاجة الى نقود ، فاخبرك بانه عندما أخرج من المستشفى سأحصل على لباس جديد وخمس قطع ذهبية ، حتى لا أضطر الى العمل حال خروجى مباشرة ، فلست بحاجة اذن الى أن تبيع بعض ماشيتك . انى الآن فى قسم العظام ، وعند وصولى الى المستشفى حملنى ممرض الى قسم الرجال ، واخذت حماما ساخنا ، والبسنى ثيابا نظيفة من المستشفى ، وحينما تصل ترى الى يسارك مكتبة ضخمة ، وقاعة كبيرة ، حيث يحاضر الرئيس فى الطلاب . واذا نظرت وراءك يقع نظرك على ممر يؤدى الى قسم النساء .

فاذا ما سمعت موسيقى او غناء ينبعثان من قاعة ما فادخلها ، وانظر بداخلها ، فلربما اكون هناك أشنف اذانى بسماع الموسيقى . وكل شىء هنا جميل للغاية ونظيف جدا ، الاسرة وثيرة واغطيتها من الدمقس الأبيض ، وفى كل غرفة من غرف المستشفى تجد الماء جاريا ، وفى الليالى القارصة تدفأ الغرف ، واما الطعام فحدث عنه ولا حرج ، فهناك الدجاج ، أو لحم الماشية ، يقدم يوميا لكل من بوسعه ان يهضمه » .

من هذا نرى الصورة المشرقة التى كانت عليها مستشفياتنا ، والتى توفرت فيها من أسباب الراحة والرفاهية ما لا تجد بعضه الآن . فى الوقت الذى كانت تفتح فيه أبوابها لكل أبناء الشعب دون تمييز .

ولم يكن اقامة المستشفيات وقفا على الخلفاء والسلاطين والأغنياء . وانما ساهم فى ذلك الأطباء ، مثل سنان بن ثابت ، وثابت بن سنان ، وثابت بن قرة وحفيده ، كما أنشئت المستوصفات المتنقلة بين القرى . وفى عام ٩٢٣ م أيام الوزير ابن الفرات أسست فى بغداد عيادة جامعة على نفقته الخاصة ، وخصصها للمواطنين العاملين تحت امرته ، وكانوا يعالجون فيها دون مقابل .

مستشفيات كبار ••

ولناخذ قصة أكبر ثلاث مستشفيات عرفت وذاع صيتها ، لتقف معى على مدى اهتمام خلفاء المسلمين بالمرضى ، وبهذه المستشفيات فى ذلك العصر .

مستشفى عضد الدولة فى بغداد باقسامه الواسعة :

عندما عزم عضد الدولة على انشاء مستشفى اختار أشهر الأطباء قاطبة فى هذا العصر هو « الرازى » ووكل اليه اختيار المكان الملائم لاقامتها فهداه تفكيره الى تعليق قطع كبيرة من اللحم ، فى أنحاء متفرقة من بغداد ، وذلك لمدة ٢٤ ساعة ، وانتقى المكان الذى لم يتلف فيه اللحم الى درجة كبيرة . هذه القصة ان دلت على شىء فانها تدل على مدى اهتمام الخلفاء كما تدل على عناية الأطباء

باختيار المواقع الصالحة للمســـــتشفيات . ثم ان عضد الدولة اختار لهذا المستشفى أكفأ الأطباء فى ذلك العصر أمثال الرازى وثابت بن سنان وغيرهما .

وثمة قصة أخرى فى رحاب هذا المستشفى نذكرها ، لنقف سويا على مدى الاهتمام البالغ بأمر المستشفيات . فقد روى عن ثابت بن سنان رئيس الأطباء فى مستشفى عضد الدولة ، أنه أرسل الى الوزير على بن عيسى بتقرير يشرح فيه : أن دخل المستشفى من الأملاك التى أوقفت عليه قد قل كثيرا ، وأن المرضى يشكون شدة البرد ، وقلة الطعام ، وندرة الدواء . فماذا كان من أمر الوزير على بن عيسى ؟

لقد كتب على ظهر رسالة ثابت بن سنان الى مدير الأملاك ابن صقر هذه العبارات :

« لك أنت ــ رعاك الله ــ أن تقرأ بنفسك ما جاء فى هذا الكتاب ، وهو أمر ذو شأن للغاية ــ فعليك أن تبعث للمســـتشفى بكامل نصيبه من الاملاك ، مهما تكن الظروف ، فالأمر جليل يتعلق ببيت المرضى ، حيث ينتظرون هناك العون والمساعدة . اخبرنى عن حقيقة هذا النقص فى أموال المستشفى ، وتخفيض التموينات خلال الشهر المنصرم ، خاصة فى فصل الشتاء هذا ، حيث البرد لا يزال قارسا قتالا . ابذل ما فى وسعك ، واسرع فى دفع حصة المســتشفى من الاموال ، حتى يشعر المرضى بالدفء ، ويصلهم الغذاء الجيد ، ويـــكون لهم العناية الطبية السليمة . أخبرنى ــ كان الله فى عونك ــ بكل ما ســتقوم به لتحقيق هذا الأمر » .

فأى اهتمام بعد هــذا الاهتمام ، وأية رعاية ، تلك التى كانت تحظى بها هذه المستشفيات من القادة المسلمين .

المستشفى النورى بدمشق :

ومستشفى آخر كان له مكانته ذلك هو المستشفى النورى بدمشق الذى قام على بنائه السلطان نور الدين زنكى ، وبذل له من المال الــكثير ، وعين له أشهر الأطباء فى عصره ، وأقام به مكتبة ضخمة جمعت كتبا ومخطوطات قيمة ، وفضلا عن أنه كان مستشفى كبير يؤمه مختلف المرضى ، كان فى الوقت نفسه بمثابة مدرسة للطب . فكانت الدراسات الواسعة على المرضى ، والنقاش فيما استعصى من حالات ، ولقد تخرج من هــذه المدرســة على يد (ابن الداخوار) رئيس أطباء المستشفى النورى الكبير ، أطباء ذاع صيتهم مثل ابن أبى أصيبعه وابن النفيس .

ونظرة الى ما كتبه ابن أبى أصيبعه عن رئيس أطباء المســتشفى النورى ترينا كيف كان المستشفى يسير على أكمل وجه :

« كان دأب أبى الحكم رئيس أطباء مستشفى النورى فى دمشق القيــام بزيارته للمرضى صباح كل يوم ، ليستخبر عن أحوالهم ، ويستعلم عن رغباتهم ، وكان يصحبه فى تجواله هذا رهط كبير من مساعديه الأطباء والممرضين ، وكان كل ما يصفه للمرضى من أدوية أو حميات (بسكون الميم طعام خاص) يســجل بلا ابطاء ، ويعمل به بلا توان ، وبعد جولته هذه كان يذهب الى حى القصبة ، ليعاين النبلاء وموظفى الدولة ذوى الشأن ، ثم يعود الى المستشفى ، فيجلس فى القاعة الكبيرة بين كتبه وأوراقه ، ليحضر محاضراته التالية . وكان يأتى اليه

اطباء وطلاب كثيرون يجلسون بين يديه ، ويسمعون له ، ويحفظون عنـــده ، ويجــادلونه فى الامور المســتعصية والحالات النادرة التى صــادفتهم فى مستشفياتهم » .

مستشفى المنصورى بالقاهرة ..

أســسه المنصور (قلاوون) واختار له أحسن تصــوره ، بما فيه من ثمين الأثاث ، فكان أعظم المســتشفيات وأغنــاها على وجه الارض آنذاك ، وكان يستهلك سنويا ما قيمته مليون درهم . ولننظر معا كيف انشأ السلطان قلاوون مستشفاه .

فلقد مرض قلاوون ، وادخل المستشفى النورى بدمشق ، وبعد شــفائه طافت به أمنية : انه اذا تربع على العرش فانه يبنى مســتشفى يــكون أعظم مســتشفى على وجه الأرض ، فلما كان له ما اراد ، وتربع على عرش مصر ، بنى مستشفاه المنصورى ، وعندما انتهى من بنائه ذهب اليه ، وطلب قدحا من عصير الليمون من المستشفى وشربه ، وقال : « انى قد وهبت هذا المستشفى الى اندادى واتباعى ، وخصصته للحكام والخدم ، للجنود والامراء ، للــكبار والصغار ، للأحرار والعبيد ، للرجال والنساء على السواء » . ولقد سهر على راحة المرضى فى هذا المستشفى الكبير العظيم مشــاهير الأطباء امثال : ابن النفيس وابن ابى أصيبعه وابن رضوان وغيرهم .

وفى كل هذه المستشفيات وغيرها التى انتشرت على أرض الامبراطورية الاسلامية من شرقها الى غربها وفى أندلسها ، والتى بلغ تعــدادها فى مدينة قرطبة وحدها أكثر من خمسين مستشفى ــ اقول فى كل هذه المستشفيات كانت العنــاية بالمرضى مضرب الأمثال فى العلاج والنظــافة ، وفى الكشف على المرضى .

ونظرة واحدة الى ما كان يقوله ابن رضوان رئيس أطباء القيروان وهو ينصح الأطباء عند الكشف على المرضى ترينا المســتوى الذى وصــلت اليه مستشفياتها والعلاج فيها :

« افحص الجسم كله ، ولا تكتف بموضع الألم والشكوى ، اسال مريضك عن عاداته وامراضه التى اصيب بها ســابقا ، ما هى آلامك ، وكيف تعيش يا هذا ؟ تأمل مريضك وانظر الى وجهه ، ولون سحنته ، وشــعره ، وعمق تنفسه ، وفى حالة المريض ان كان هادئا أو مضطربا ، بطيئا أو مندفعا ، ناحلا او بدينا . لا تنس يا بنى ان تفحص حالة المريض النفســية . اساله عن بعض الأمور ، وتيقن ان كان يجيب عن وعى أم لا ، مره بالقيــام ببعض الأعمال ، لتمتحن طاقته الاجمالية وطاعته ، لتعرف ان كنت تستطيع الاعتماد على كلمته فى تناول الدواء بنظام ، وابحث عن ميوله كاشفا عن اسباب اثارته ومواضيع اذيته . حقق فى مدى قوة اذنيه ، بان تسر اليه ــ عن بعد ــ بعض كلمات ، وامتحن حالة عينيــه بان تطلب من المريض ان ينظر الى بعــد ، والى قرب ، واكشف عن اللسان ثم اختبر قوة المريض ذاتها ، بان تحمله اثقالا ينقلها وراقب حركاته فى مشيته جيئة وذهابا ، ودقق فى جس نبضه بعنــاية فائقة ، ودع المريض يستلقى على ظهره لتتاكد من حالة عضــلاته ومدى نموها ، ثم افحص الكبد والكلى ، بان تتلمس مواضعهما باصابعك وافحص ماءه وبرازه » .

وكان كل شيء يسجل في سجل المريض ، ويحفظ في ملف خاص ، وكان لدى المستشفيات ملفات عن الفحوصات بكاملها ، وعن الكشف بأجمعه ، وعن العقاقير التي اســـتعملها المريض ، ومدى تأثيرها عليه ، والملاحظـــات التي شوهدت .

فنظرة واحدة الى ما كان يجري في هذه المستشفيات في القرون الوسطى ــ قرون الغرب المظلمة وقروننا المضيئة ــ نرى الى أى مدى وصل أطباؤنا ، والى أى مدى كانت عليه حالة مستشفياتنا ــ مما لا يختلف كثيرا عن مستشفياتنا في عصرنا الحديث .

أما في الغرب :

ثم تعال معي لنرى ماذا كان عليه الغرب في هـــذه الحقبة من الزمن اننا نرى المجب العجاب . وتكفيك هـــذه القصة الغربية التي لها مغزاها : « كان عندنا في بلادنا فارس كبير القـــدر ، فمرض ، وأشرف على الموت ، فجئنا الى قس كبير من قساوستنا ، وقلنا : تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلانا ؟ قال نعم ومشي معنا ، ونحن نقول : انه اذا وضع يده عليه عوفي من مرضه . فلما رآه قال : أعطوني شمعا ، فأحضرنا له قليلاً من الشمع ، فلينه مثل عقد الأصبع ، وعمل كل واحدة في جانب أنفه ، فمات الفارس ، فقلنا له قد مات ، قال نعم كان يتعذب سددت أنفه حتى يموت ويستريح » !!

لقد كان الأطباء في هذه الحقبة في الغرب هم رجال الكنيســة ، وكانوا هم المســـيطرين على الطب ، ومداواة المرضى ، ولقد اعتبر التداوى بعقاقير غير عقـــاقير الكنيسة وأدوية الروح أو ممارسة مهنة الطب ، واجراء العمليـــات الجراحية بآلات ، عملا أقل من مركز الكنيسة ، ودون جلال الروح وقدسيتها . واعتبر جس النبض أمرا دنيئا مهينا . فهذا جريغوريوس التوري يقول : « ماذا بوسع الأطباء أن يحققوا بآلاتهم . ان وظيفتهم تسبب الآلام أكثر من العمل على تخفيف وطأتها ، وانهم عندما يفتحون العين ، ويعملون فيها بمباضعهم الحـــادة تجريحا وتنظيفا ، يدفعون المريض في أهوال الموت قدما ، قبل ان يعينوا العين على الابصار ثانية » .

وقد أثر عن القديس بنلوس الروسانوى أنه رفض وهو مريض أن يعالجه طبيب يهودى تلقى علومه الطبية عن العرب قائلا : « قال أحد أصحابك اليهود إنه لخير لي أن أعتمد على الله من أن أعتمد على البشر ، وأنا أيضا في غنى عن طبك عندما أعتمد على الله ، وأسلم أمرى له ولسيدنا يسوع المسيح » .

ثم لننظر معا ما قرره السندوس الكنسي في مدينة نانت سنة ٨٩٥ « كل كاهن ملزم أن يعود كل مريض من رعيته ، وأن يرشه بالماء المقدس ، ويشاركه الصلاة ، ثم ينبغي له أن يقبل منه اعترافه في غياب ذويه ، ويحثه على تصفية أموره الدينية والدنيوية معا على أكمل وجه ، وبناء على هذا فليس ثمة علاج بدون اعتراف » أى أنه لا يعالج المريض الا بعد اعترافه .

ولقد قيل ان أفضل المستشفيات التي أنشئت باديء ذى بدء في بلاد الغرب كانت مستشفيات أوتيل ديو (فندق الله) في باريس ، وهاك وصف المستشفى الكبير في باريس : **«لكان ثمة قش كثير موضوع على الأرض يتزاحم عليه المرضى ، واقدام بعضهم الى جانب رؤوس الآخرين ، الأطفال قرب الشـــيوخ ، والرجال بجانب النساء ، بشكل يدعو الى العجب ، وكان ذوو الأمراض البسيطة بجانب**

ذوى الأمراض المعدية ، والتى تعانى من ألم الحمل ، بجوار الطفل الذى يعالج سكرات الموت ، والمصاب بالتيفوس الذى يهذى من الحمى ، ومريض السل الرئوى الذى مزق صدره السعال ، والذى يبصق دما . الطعام شىء يقدم لهم فى قلة ، وفى أوقات متباعدة ، والكمية قليلة ، لا تزاد الا اذا أشفق على هؤلاء المرضى رجل وجيه من اعيان المدينة ، وأرسل لهم شيئا من الطعام . وكان المبنى الذى يضم المرضى يزدحم بأخطر الحشرات . أضف الى ذلك فساد الهواء فى الداخل لدرجة لا تطاق ولا تحتمل ، وكان الداخلون الى القاعة يسدون أنوفهم باسفنجة مبللة خلا . وكانت جثث الموتى من المرضى تترك مدة أربع وعشرين ساعة ، قبل ان تنقل فيشاطر المرضى الجثث المكان فى هذا الوقت ، وتفوح الروائح النتنة فى الأجواء ، وينقض البعوض ويهجم ممعنا نهشا وأكلا من اللحم العفن » .

هذا ما قالته الدكتورة : ويفريد هونكه المستشرقة الالمانية فى كتابها : « شمس االعرب تسطع على الغرب » وفيها نرى الى أى مستوى وصلت المستشفيات الأوروبية فى العصور الوسطى ، عصر الظلام عندهم وعصر النور عند العرب .

وبينما كنا نبنى المستشفيات لمرضى العقول . كان الغرب يعتقد ان هذا المرض ما هو الا لعنة من السماء ، حلت بصاحبها . عقابا له على اثم ارتكبه ، او ان شيطانا دخل لنفسه ، فكان هؤلاء يوضعون فى سجون مظلمة ، وقد قيدت ايديهم وارجلهم ، او يعزلون عن العالم وعن اهلهم فى (المستشفى السجن) أو (البيت العجيب) أو (برج المجانين) أو (القفص العجيب) كما كانوا يسمونها ، ويسلم امرهم الى رجال أشداء لا يعرفون الى الرحمة سبيلا .

حتى فى القرن التاسع عشر كان هنالك عالم أوروبى يدعى (يوستينوس كارنير) Yustinus Kerner يحث أساتذة الطب فى جامعة « ميونخ » على أن يكتبوا عن مرض (تسلط الشيطان من اثم المرض ، وطرق الشفاء القاتلة بطرد الشيطان بالقوة بالصلاة والدعاء للقديسين » .

هذه صورة أضعها أمام ناظريك يا أخى المسلم لترى كيف كنا وكيف كانوا ، صورة مشرقة وضاءة لنا ، وصورة مظلمة جاهلة لهم فى عصر كان وضاء عندنا ، ومظلما قاتما عندهم ، ولست أبسطها للفخر فحسب ، ولكن لنشحذ الهمم ونرقى حتى نصل الى مستوانا اللائق بنا ؛

فان التأخر الذى أصابنا لا يرجع الا الى ضعف هممنا ، وبعدنا عن روح ديننا ، ذلك الدين القيم الذى فهمه الأوائل واستمدوا منه روح النهضة العظيمة التى وصلوا اليها . .

ان الاسلام هو دين العلم والبحث والتقدم فى كل مجال من مجالات الحياة . . ولو كنا حقا أبناء بررة لهذا الدين ما هبط مستوانا الى هذه الدرجة التى نشكو منها . . والتى شوهت جمال الاسلام فى نظر أولئك الذين لا يعرفونه . .

واذا كان الشعور بالنقص أول درجة من درجات السعى للكمال ، فاننا نستبشر خيرا فى مستقبلنا ، وفى الحركة العلمية التى تسود المجتمع الاسلامى . وفى الروح الدينية التى أخذت تسرى فى النفوس حنينا الى مجد يبنيه أبناء الاسلام بعقولهم وسواعدهم ، والله مع العاملين .



ان مشاعر التعصب لجنس من الأجناس ماتت فى دمى لأنى مسلم .

غير أن التحمس للعروبة وأدبها غلبنى فى هذه الآونة !! اذ احسست كأن التضحية بالعرب ولغتهم بعض ما تكنه السياسة الدولية فى ضميرها الملوث ، وبعض ما تسخر له أتباعها وأذنابها فى ربوع الشرق الأوسط .

محمد الغزالى

انس نفسك

قال ابليس : انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين .
وقال النمروذ : انا أحيى وأميت .
وقال فرعون : انا ربكم الأعلى .
وقال قارون : انما أوتيته على علم عندى .
وقال صاحب الجنتين : انا أكثر منك مالا وأعز نفرا .

والا

فاخرج منها فانك رجيم	عاقبة ابليس
فبهت الذى كفر	عاقبة النمروذ
فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم	عاقبة فرعون
فخسفنا به وبداره الأرض	عاقبة قارون
فأصبح يقلب كفيه	عاقبة صاحب الجنة

الحاطوم = الهاضم

قال الحسن : ان قوما لبسوا هذه المطارف العتاق ، والعمائم الرقاق ، وأوسعوا دورهم ، وضيقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم .. طعام أحدهم غصب وخادمه سخرة ، يتكىء على شماله ، ويأكل من غير ماله حتى اذا أدركته الكظة قال : يا جارية هاتى لى حاطوما !! ويلك وهل تحطم الا دينك ؟ أين مساكينك ؟ أين يتاماك ؟ أين ما أمرك الله به ؟ أين ؟ أين ؟

من أدب الزوج فى الاسلام

دخلت امرأة على عمر بن الخطاب ، ومعها زوجها أشعث أغبر قبيح المنظر ، فقالت : يا أمير المؤمنين . لا أنا ولا هذا . خلصنى منه ، فنظر عمر الى الرجل ، فرآه رث الثياب غير محسن ولا مزين ، فعرف ما كرهت منه ، فأشار الى رجل ، فقال له : اذهب به فحممه ، وقلم أظفاره ، وخذ من شعره ، وائتنى به ، فذهب ، ففعل ذلك ، ثم أتاه به ، فتبدل الزوج خلقا آخر ، وأصبح وضيئا وسيما حسن المظهر تفوح منه رائحة الطيب ، فأومأ اليه عمر أن خذ بيد زوجك ،

سبحان الله ! أبين يدى أمير المؤمنين تفعل هذا ؟ فلما عرفته ذهبت معه ، فقال عمر : هكذا فاصنعوا لهن ، فوالله انهن ليحببن أن تتزينوا لهن ، كما تحبون أن يتزين الكم .

هذا خلقنا

قال الشاعر العربى لزوجته :

اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له ... أكيلا فانى لست آكله وحدى
أخا طارقا أو جار بيت فاننى ... أخاف مذمات الاحاديث من بعدى

وهذا ليس خلقنا

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتْن خمائصا

....

وضيف عمرو ، وعمرو : ساهران معا ... فذاك من كظة ، والضيف من جوع

المحافظة على كيان الأسرة

قال الأحنف بن قيس تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقرى : بينا هو قاعد بفنائه ، محتب بكسائه ـ أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف ، فقيل له : هذا ابنك قتله ابن أخيك ! فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت الى ابن له فى المجلس فقال : قم فأطلق عن ابن عمك ووار أخاك ، واحمل الى أمه مائة من الابل ، فانها غريبة .

ثم أقبل على القاتل ، فقال له : قتلت قرابتك ، وقطعت رحمك ، واقللت عددك .

الهقعة

الهقعة ثلاثة كواكب صغار يقال انها رأس الجوزاء . قال ابن عباس لرجل طلق امرأته عدد نجوم السماء : يكفيك منها هقعة الجوزاء ، وطلوعها لتسع خلون من حزيران . يقول ساجع العرب : اذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ، ورجعوا الى النجعة .

ضعف الذاكرة

قال أحد الظرفاء : ان ضعف الذاكرة أصبح فى هذا العصر من أكبر نعم الله ، ولما سئل لماذا ؟ قال : انك تقرأ اليوم المقال ، أو تسمع الحديث الذى كنت قرأته أو سمعته منذ عام لنفس الكاتب أو المتحدث فتنسى أنك قرأته أو سمعته من قبل .

لا

لا ظفر مع بغى .. ... ولا شرف مع سوء أدب
ولا صحة مع نهم .. ... ولا عذر مع اصرار
ولا ثناء مع كبر .. ... ولا راحة مع حسد
ولا صداقة مع خب .. ... ولا سؤدد مع انتقام

اعرف عدوك

كتب تخشاها إسرائيل

أمر عسكري إسرائيلي يحظر على العرب قراءتها

ع . ن

جاءنا بالبريد صورة نشرة أصدرها (جيش الدفاع الاسرائيلي) في (الضفة الغربية من الأردن) ليمنع العرب وقراء العربية من الاسرائيليين قراءة بعض الكتب العربية ، التي تفضح اسرائيل ، وتبرز جرائمها وخططها العدوانية ، وليس هناك من شك في أن الذي حمل الصهيونيين على اصدار هذا الحظر هو ما لمسوه من جدية هذه الكتب . وما حوت من حقائق تدينهم ، وتفضح مخططاتهم وجرائمهم .

والصهيونيون بهذا منطقيون مع مصالحهم وأهدافهم ، ويبقى علينا أن نكون منطقيين مع مصالحنا وأهدافنا ، ونعمل بكل ما نستطيعه وتستطيعه أجهزة الاعلام العربية كلها على نشر هذه الحقائق ، التي تضمنتها هذه الكتب بصورة واسعة . لا بالكلمة المقروء فقط ، ولكن بالكلمة المسموعة التي لا تقف أمامها الحدود ولا أوامر الحظر ...

ونحن نضع أمام القارىء صورة لأمر الحظر هذا ، مع كشف واضح بالكتب التي وردت فيه ، كي يستطيع القارىء معرفتها ، ويعنى بقراءتها .

ولعل من المناسب هنا أن ألفت النظر كذلك الى الكتب والنشرات التي يصدرها مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت . باعتبارها كتبا ذات أهمية وحساسية خاصة بالنسبة لنا في هذه الظروف

צבא הגנה לישראל

[illegible]

צו מס' 1

צו בדבר פרסומים אסורים

פרסומים אסורים 1. בתוקף סמכויותי לפי תקנה 88(1) לתקנות ההגנה (שעת חירום), 1945, וסעיף 8 לצו בדבר איסור פעולות הסתה ותעמולה עוינת (אזור [illegible]) (מס' 101), התשכ"ז—1967, הנני אוסר בזה את היבוא, ההדפסה והפרסום של כל פרסום מן המפורטים בנספח לצו זה [illegible], התרופה [illegible] הפרסום המסורים עלולים לפגוע בבטחון הציבור ובסדר הציבורי באזור.

תחילת תוקף 2. תחילתו של צו זה ביום כ"ד באלול תשכ"ז (28 בספטמבר 1967).

השם 3. לצו זה ייקרא "צו בדבר פרסומים אסורים (מס' 1) (אזור [illegible]), התשכ"ז—1967".

جيش الدفاع الاسرائيلي

نظام الدفاع (الطوارئ) لسنة ١٩٤٥

امر رقم ١

أمر بشأن نشرات [illegible]

نشرات محظورة ١ـ عملا بالصلاحية المخولة لي بموجب المادة ٨٨ (١) من نظام الدفاع (الطوارئ) لسنة ١٩٤٥ والمادة ٨ من الامر بشأن حظر اعمال [illegible] (منطقة الضفة الغربية) (رقم ١٠١) لسنة ٥٧٢٧ـ١٩٦٧، فاني احظر بهذا استيراد وطبع ونشر كل نشرة من النشرات الوارد تفصيلها في ذيل هذا الامر حيث ان استيراد وطبع ونشر النشرات المذكورة من شأنها المساس بأمن الجمهور والنظام العام في المنطقة.

بدء سريان ٢ـ يبدأ سريان هذا الامر اعتبارا من ٢٢ ايلول ٥٧٢٧ (٢٨ ايلول ١٩٦٧).

الاسم ٣ـ يطلق على هذا الامر اسم "أمر بشأن نشرات محظورة (رقم ١) (منطقة الضفة الغربية) لسنة ٥٧٢٧ـ١٩٦٧".

נספח — ذيل

١ـ الشقيري انطون حبين :
مؤامرة اليهود على الشعوب المقررات الصهيونية او خلابط الجلسات السرية لحكماء اسرائيل.

٢ـ مورخ نوفل : طبع جمعية التمدن الاسلامي في دمشق :
اهداف الصهيونية

٣ـ خليفه التونسي :
الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون

٤ـ الكتب السياسية القاهرة :
بروتوكولات حكماء صهيون

٥ـ ماهر نسيم، المكتبة الدولية، دار المعارف في مصر :
الشيوعية والصهيونية

٦ـ انطون الشقيري :
الصهيونية سافره، مقررات اليهود

٧ـ صباح نصيف :
بروتوكولات حكماء صهيون

٨ـ ابيل الشقيري حرب ـ بيروت :
مؤامرة اليهود على المسيحية.

٩ـ حامي محمود العقاد :
الصهيونية العالمية

١٠ محمد علي طه : الهلال ـ القاهرة
فلسطين والضمير الانساني

١١ عمر رشدي القاهرة :
الصهيونية وربيبتها اسرائيل

١٢ العميد محمد فايز القصري :
حرب فلسطين عام ١٩٤٨

١٣ عبد الرحمن وسامي صمت :
الصهيونية والماسونية

١٤ كتب توبة :
الصهيوني العالمي

١٥ عبد الله التل :
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ـ القاهرة.

١٦ احمد يوسف احمد :
الشعب الدخيل اسرائيل ـ القاهرة

١٧ صبري ابو المجد :
نهاية اسرائيل ـ القاهرة

١٨ الدكتور رياض بارودي :
اليهودية العالمية ـ بيروت

١٩ محمد عطية واكد :
اسرائيل في الميزان

٢٠ محمد عطية واكد :
اسرائيل وكر الاستعمار

٢١ علي محمد علي وابراهيم الصاوي :
اسرائيل قاعدة عدوانية.

٢٢ احمد عبد الكريم :
تحويل نهر الاردن ـ الجمهورية العربية المتحدة.

٢٣ محمد سعيد الفاتح :
الظاهور الخامس لصهيون اخطر تقريرات عن الصهيونية العالمية

٢٤ الكتب السياسية :
شعب اسرائيل عندما يحكم

٢٥ الصهيونية في الستينيات ـ اليهودية العالمية والفاتيكان

٢٦ شاكر عمر :
العرب واسرائيل ـ بيروت

٢٧ جون جورج سكوت :
الحكومة السرية في بريطانيا

٢٨ محمد عزت دروزه :
تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم، مصر

٢٩ الدكتور راد ورد سيدهم :
مشكلة اللاجئين العرب

٣٠ ر. مكوري :
الصهيونية، نشأتها واثرها الاجتماعي ـ مصر

٣١ عبد الغفار السهار :
فلسطين للعرب

٣٢ د. وقان البهنداوي :
قضية فلسطين ـ المملكة الاردنية الهاشمية، وزارة التعليم والتربية ١٩٦٤

٣٣ س. ماجي :
المفسدون في الارض او جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، ١٩٦٥

٣٤ محمد علي الزعبي :
اسرائيل بنت بريطانيا البكر ـ بيروت

٣٥ عبد الفتاح طباره :
اليهود في القرآن ـ بيروت

٣٦ عبد المنعم شميس :
اسرار الصهيونية

٣٧ عرفان حجازي :
الصهيونية

٣٨ عبد العزيز ازوجي :
محنة كارثة فلسطين العربية

٣٩ وزارة الثقافة والارشاد بغداد :
فلسطين والغزو الحضاري الجديد

٤٠ احمد سراج طايع :
صفحات مطوية من فلسطين

٤١ مشني الرضي :
الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار

٤٢ يوسف الحاج :
في سبيل الحق، هيكل سليمان او الوطن القومي اليهودي ـ بيروت

٤٣ـ توفيق لطفي :
نحن واسرائيل

٤٤ محمد علي الزعبي :
الماسونية منشئة ملك اسرائيل

ד' בתשרי תשכ"ח (8 באוקטובר 1967)
٤ تشري ٥٧٢٧ (٨ تشرين الاول ١٩٦٧)

מאיר כהני — مئير كهاني
צנזור — المراقب

.. فهى فى مجموعها تقدم للقارىء باللغة العربية وغيرها ، معلومات وافية ودقيقة ، عن كل ما يجب معرفته عن فلسطين ، وعن اسرائيل وما يجرى فيها ، وهذه المعلومات كلها قائمة على دراسات علمية ، واحصائيات دقيقة .

ولقد مضى الوقت الذى كنا نقيم فيه الحواجز عمدا بيننا وبين معرفة عدونا ، وعرفنا مدى الخطأ الذى ارتكبناه فى حق انفسنا . فعدوك لا بد أن تعرفه معرفة دقيقة حتى تستطيع أن تنازله ، وتضربه فى مقتله ..

ومن أجل هذا اضع أمام القارىء أيضا أسماء بعض الكتب والنشرات التى اصدرها مركز الأبحاث فى بيروت ، والتى هى أيضا من النوع الذى تخشاه اسرائيل ، مما يؤكد حاجتنا الى الكثير من مثل هذا المركز ليقدم لنا ما نحتاج الى معرفته من شئون عدونا . فان عدونا يملك الكثير من مراكز الأبحاث المتخصصة المزودة بكل الامكانيات ، وهى تمده وتمد بعض الدول الغربية كذلك بحاجتها من المعلومات المدروسة عن الشرق . فى الوقت الذى لا يوجد لدينا فيه الا مركز ابحاث واحد فى بيروت ، لما يستكمل عوامل القوة والنمو حتى الآن . وفى حاجة الى مؤازرة ، الى أن تقوم كل دولة من دولنا بمثل ما قامت به اسرائيل فى هذه الناحية ..

ومع أن العرب جميعا ليس لهم الا هذا المركز بامكانياته الضعيفة ، التى استطاع أن يصدر فى ظلها بعض الأبحاث والكتب ، التى ستعرف شيئا منها ، فاننى قرأت للدكتور صايغ مدير المركز حديثا فى مجلة (الحوادث) اللبنانية ، يفيض بالمرارة لعدم عناية القراء العرب ، بل ولعدم عناية الحكومات العربية بتشجيع هذه الأبحاث والكتب المتخصصة ، وعدم قيامها بشراء كميات منها توزعها على مدارسها وجامعاتها ومكتباتها واجهزة الاعلام فيها فتساعد المركز على مهمته من ناحية ، وتتيح للكثيرين معرفة عدوهم من ناحية أخرى ..

وان « الوعى الاسلامى » لتشد على يد القائمين بهذا المركز والعلماء المتعاونين معه ، وتسهم بأسلوبها فى خدمته وخدمة القراء العرب معا ؛ فتقدم اليهم أسماء بعض ما صدر عن المكتب من ابحاث وكتب ، وواثقة أن الكثيرين سيجدون فى ذلك شيئا مما يأملون ويحبون ، ونرجو أن نوفق فى المستقبل الى تقديم تلخيص وعرض لهذه الكتب .

ونقدم للقارىء — اولا — الأمر العسكرى (الاسرائيلى) بحظر بعض الكتب :

وهذا هو ما جاء في المنشور

جيش الدفاع الاسرائيلي

نظام الدفاع (الطوارىء) لسنة ١٩٤٥

أمـــر رقـــم (١)

أمر بشأن نشرات محظورة

نشرات محظورة : ١ ـ عملا بالصلاحية المخولة لى بموجب المادة ٨٨ (١) من نظام الدفـاع (الطوارىء) لسنة ١٩٤٥ والمادة ٨ من الامر بشأن حظر أعمال ودعاية معادية (منطقة الضفـة الغربية) (رقم ١٠١) لسنة ٥٧٢٧ ـ ١٩٦٧ ، فانى احظر بهذا استيراد وطبع ونشر كل نشرة من النشرات الوارد تفصيلها في ذيل هذا الامر ، حيث أن استيراد وطبع ونشر النشرات المذكورة من شأنها المساس بأمن الجمهور وبالنظام العام في المنطقة .

بدء سريان : ٢ ـ يبدأ سريان هذا الامر اعتبارا من ٢٣ ايلول ٥٧٢٧ (٢٨ ايلول ١٩٦٧) .

الاسم : ٣ ـ يطلق على هذا الامر اسم أمر بشأن نشرات محظورة (رقم ١) (منطقة الضفة الغربية) لسنة ٥٧٢٧ ـ ١٩٦٧ .

ـ ذيـــل ـ

١ ـ الخوري انطون يمين : مؤامرة اليهود على الشـعوب ـ المقررات الصهيونيـة او مضابط الجلسات السرية لحكماء اسرائيل .

٢ ـ مردوخ زريق : طبع جمعية العمدان الاسلامى فى دمشق ـ اهداف الصهيونية .

٣ ـ خليفة التونسى : الخطر اليهــودى بروتوكولات حكماء صهيون .

٤ ـ الكتب الســياسية القـــاهرة : بروتوكولات حكماء صهيون .

٥ ـ ماهر نسيم ، المكتبة الدولية ـ دار المعارف فى مصر . الشيوعية والصهيونية .

٦ ـ انطون الخورى : الصهيونية سافرة ، مقررات اليهود .

٧ ـ عجاج نويهض : بروتوكولات حكمــاء صهيون .

٨ ـ اميل الخورى حرب ـ بيروت : مؤامرة اليهود على المسيحية .

٩ ـ عباس محمود العقاد : الصهيونيــة العالمية .

١٠ ـ محمد على علوبه : الهلال ـ القاهرة فلسطين والضمير الانسانى .

١١ ـ عمر رشدى ـ القاهرة : الصهيونية وربيبتها اسرائيل .

١٢ ـ العميد محمد فايز القصرى : حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

١٣ ـ عبد الرحمن وســامى عصـمت : الصهيونية والماسونية .

١٤ ـ كتب قومية : الصهيونى العالمى .

١٥ ـ عبد الله التل : خطـر اليهوديـة العالمية على الاسلام والمسيحية ـ القاهرة .

١٦ ـ احمد يوسف احمد : الشعب الذليل اسرائيل ـ القاهرة .

١٧ ـ صبرى أبو المجد : نهاية اسرائيل ـ القاهرة .

١٨ ـ الدكتور رياض بارودى : اليهوديــة العالمية ـ بيروت .

١٩ ـ محمد عطية واكد : اسرائيــل فى الميزان .

٢٠ ـ محمد عطية واكد : اسرائيل وكـر الاستعمار .

٢١ ـ على محمد على وابراهيم الحصانى : اسرائيل قاعدة عدوانية .

٢٢ ـ احمد عبد الكريم : تحويل نهر الاردن ـ الجمهورية العربية المتحدة .

٢٣ ـ محمد سعيد الفاتح : الطابــور الخامس لصهيون اخطر تقريرات عن الصهيونية العالمية .

٢٤ ـ الكتب السياسية : شعب اسرائيل عندما يحكم .

٢٥ — الصهيونية فى الستينيات — اليهودية العالمية والفاتيكان .

٢٦ — شاكر عمر : العرب واسرائيل — بيروت .

٢٧ — جون جورج سكوت : الحكومة السرية فى بريطانية .

٢٨ — محـــمد عزة دروزه : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم . مصر .

٢٩ — الدكتور ادورد سيدهم : مشـــكلة اللاجئين العرب .

٣٠ — م. كنورى : الصهيونية ، نشاتها واثرها الاجتماعى — مصر .

٣١ — عبد الغفار الجبـــار : فلســـطين للعرب .

٣٢ — ذوقان الهنداوى : قضية فلسطين — المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة التربيـــة والتعليم — ١٩٦٤ .

٣٣ — س. مماجى : المفسدون فى الارض او جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبـــر التاريخ ١٩٦٥ .

٣٤ — محمد على الزعبى : اسرائيل بنت بريطانية البكر — بيروت .

٣٥ — عبد الفتاح طباره : اليهود فى القرآن — بيروت .

٣٦ — عبـــد المنعـــم شـــميس : اسرار الصهيونية .

٣٧ — عرفان حجازى : الصهيونية .

٣٨ — عبد العزيز ازولى : محنة كارثـــة فلسطين العربية .

٣٩ — وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد : فلسطين والغزو الططارى (يريد التتارى) الجديد .

٤٠ — [illegible] راج [illegible] : صفحات [illegible] من فلسطين.

٤١ — فتحى الرملى : الصهيونيـــة أعلى مراحل الاستعمار .

٤٢ — يوسف الحاج : فى سبيل الحق ، هيكل سليمان او الوطن القومى اليهودى — بيروت .

٤٣ — توفيق لطفى : نحن واسرائيل .

٤٤ — محمد على الزعبى : الماصـــونية (يريد الماسونية) منشئة ملك اسرائيل .

٤ تشرى ٥٧٢٧ (٨ تشرين الاول ١٩٦٧)
منير كهانى
المراقب

وهذه بعض منشورات مركز الأبحاث :

(١)

سلسلة « دراسات فلســـطينية »

١ — « الاستعمار الصهيونى فى فلســـطين » ، للدكتـــور فايـــز صايغ (بالعربية والانجليزية والفرنسية) .

٢ — « الهدنـــة فى القانـــون الدولى » ، للدكتـــــور عابـــدين جبـــارة (بالانجليزية) .

٣ — « المطامع الصهيونية التوسعية » ، للأســـتاذ عبـــد الوهاب كيالى (بالعربية) .

٤ — « الكيبوتز : المزارع الجماعية فى اسرائيل » ، للأستاذ عبد الوهاب كيالى (بالعربية) .

٥ — « الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلى » ، للأستاذ بسام ابو غزالة (بالعربية) .

٦ — « المقاطعـــــة العربية لاسرائيل » ، للأســـتاذ مروان اســـكندر (بالانجليزية) .

٧ — « المباى : الحزب الحاكم فى اسرائيل » ، للأستاذ ابراهيم العابد (بالعربية) .

٨ — « نظرة فى أحزاب اسرائيل » ، للدكتور أسعد رزوق (بالعربية) .

٩ — « الهستدروت » ، للآنسة ليلى سليم القاضى (بالعربية) .

١٠ — « العنف والسلام » ، للأستاذ ابراهيم العابد (بالعربية) .

١١ — « التسلل الاسرائيلى فى آسيه » ، للأستاذ أسعد عبد الرحمن

١٢ — « ميزان القوى العسكرية » ، للدكتور أنيس صايغ (بالعربية) .

١٣ — « الدبلوماسية الصهيونية » ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية) .

١٤ — « العرب فى اسرائيل — جـ ١) ، للأستاذ صبرى جريس

١٥ — « المنظمة الصهيونية العالمية » ، للأستاذ أسعد عبد الرحمن

١٦ — « عوامل تكوين اسرائيل » ، للآنسة انجليقا الحلو (بالعربية) .

١٧ — « أخطار التقدم العلمى فى اسرائيل » ، للأستاذ يوسف مروة

١٨ — « التخطيط فى اسرائيل » ، للأستاذ بسام أبو غزالة (بالعربية) .

١٩ — « اسرائيل قبيل العدوان » ، للأستاذ رفيق مطلق (بالعربية) .

٢٠ — « البترول العربى سلاح فى المعركة » ، للشيخ عبد الله الطريقى

٢١ — « العرب فى اسرائيل — جـ ٢ » ، للأستاذ صبرى جريس

٢٢ — « فى الأدب الصهيونى » ، للأستاذ غسان كنفانى (بالعربية) .

٢٣ — «اسرائيل فى أوروبه الغربية» للأستاذين عقيل هاشم وسعيد العظم

٢٤ — « المياه الاقليمية فى القانون الدولى » ، للأستاذ احمد الشقيرى (بالانجليزية) .

٢٥ — « التصويت والقوى السياسية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة » للأستاذ مصطفى عبد العزيز (بالعربية) .

٢٦ — « الموشاف : القرى التعاونية فى اسرائيل » ، للأستاذ ابراهيم العابد (بالعربية) .

٢٧ — « سكان اسرائيل : تحليل وتنبؤات » ، للأستاذ أحمد حجاج (بالعربية) .

٢٨ — « المقاطعة العربية فى القانون الدولى » ، للأستاذ جوزيف مغيزل (بالعربية)

(٢)
سلسلة « كتب فلسطينية »

١ ــ « الاقتصاد الاسرائيلى » ، للدكتور يوسف صايغ (بالعربية) .
٢ ــ « نحن والفاتيكان واسرائيل » ، للأستاذ أنيس القاسم (بالعربية) .
٣ ــ « تحرير ــ لا مفاوضة » ، للأستاذ أحمد الشقيرى (بالانجليزية) .
٤ ــ « مؤتمرات القمة العربية وقضية فلسطين » ، للآنسة ليلى سليم القاضى (بالانجليزية) .
٥ ــ « الاعداد الثورى لمعركة التحرير » ، للأستاذ أنيس القاسم (بالعربية) .
٦ ــ « المقاومة العربية فى فلسطين » ، للأستاذ ناجى علوش (بالعربية)
٧ ــ « الحرب الفدائية فى فلسطين » ، للمقدم محمد الشاعر (بالعربية)
٨ ــ « دراسات فلسطينية » ترجمة ١٣ دراسة وبحثا صدر معظمها من المركز بالعربية أو الانجليزية ، (باللغة الألمانية) .
٩ ــ (بلدانية فلسطين المحتلة) ، للدكتور أنيس صايغ (بالعربية) .
١٠ ــ « يوميات هرتزل » ، اعداد الدكتور أنيس صايغ وترجمة السيدة هلدا شعبان صايغ (بالعربية) .
١١ ــ « من الفكر الصهيونى المعاصر » ترجمة ٢٢ مقالا صهيونيا عن العبرية والفرنسية ، (بالعربية) .

(٣)
سلسلة (ابحاث فلسطينية)

١ ــ (حفنة من ضباب) ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية) .
٢ ــ (الصهيونية والعنصرية) ، للدكتور حسن صعب (بالانجليزية) .
٣ ــ (فلسطين والقومية العربية) ، للدكتور أنيس صايغ (بالعربية) .
٤ ــ هل لليهود حق دينى بفلسطين ؟ » ، للدكتور فايز صايغ (بالانجليزية)
٥ ــ (مشروع الدولة العربية المتحدة) ، للأستاذ أحمد الشقيرى (بالعربية) .
٦ ــ « نزعات متأصلة فى الحركة الصهيونية » ، للدكتور منذر عنبتاوى (بالعربية) .

(٤)
سلسلة (حقائق وارقام)

١ ــ « هل تعلم ؟ عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية » ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية والألمانية والروسية والاسبرانتو) .
٢ ــ « الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية من ١٩٤٧ حتى ١٩٦٥ » ، للدكتور فايز صايغ (بالانجليزية والفرنسية والاسبانية) .

٣ ــ « التمييز ضد العرب فى اسرائيل فى حقل التعليم » ، للدكتور فايز صايغ (بالانجليزية) .

٤ ــ (اسرائيل فى الميدان الدولى) ، للآنسة ليلى سليم القاضى (بالعربية) .

٥ ــ (القضية الفلسطينية فى ٣٣ مؤتمرا دوليا) ، للآنسة ليلى سليم القاضى (بالعربية) .

٦ ــ (المساعدات الأميركية والألمانية الغربية لاسرائيل) ، للأستاذ أسعد عبد الرحمن (بالعربية والانجليزية) .

٧ ــ (عرض موجز للقضية الفلسطينية) ، للأستاذ الحكم دروزة (بالعربية والانجليزية والفرنسية) .

٨ ــ (الصحف الاسرائيلية) ، للآنسة سلوى حبيبى (بالعربية) .

٩ ــ (الحياة السياسية فى اسرائيل) ، للأستاذ رفيق مطلق (بالعربية)

١٠ ــ (المعهد الافرو ــ آسيوى فى تل أبيب) ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية) .

١١ ــ (التمثيل الدبلوماسى العربى) ، للأستاذ هانى أحمد فارس (بالعربية) .

١٢ ــ (المؤسسات العلمية والثقافية والفنية فى اسرائيل) ، للأستاذ يوسف مروة والآنسة نورما دندن والدكتور م. ص. (بالعربية) .

١٣ ــ « علماء الطبيعة فى اسرائيل » ، للأستاذ يوسف مروة (بالعربية) .

وهناك ابحاث واعمال اخرى لمركز الابحاث هذا ، لم يتسع المقام لذكرها هنا . . ونحن نرجو أن نكون بذلك قد أتحنا لمحبى الاطلاع والدراسة من الأفراد والهيآت فرصة لاشباع رغبتهم ، أو تحقيق مصلحة لأوطانهم .

ان من الضرورى أن تعرف كل شىء عن عدوك ، لتستطيع أن تضربه فى مقتله . وتستفيد بكل ما تعرفه عنه لمصلحتك . . والعدو نفسه يحرص على هذا الحرص كله ويجعله من ضروريات المعركة . وقد قرأت فى كتاب « المعتدون اليهود » للأستاذ صبيح هذه الأسطر .

« من الواجب الآن أن نشير الى أن كمية المعلومات المتاحة للعدو كثيرة جدا وأن من الاوراق التى وجدت مع البعض خرائط تفصيلية لمواقع آبار فى سيناء منها ما تعرفه مراجعنا الزراعية ومنها ما لا تعرفه ، وقد تكون آبارا مهجورة ، ولكنها صالحة للاستعمال بمعالجة يسيرة » !!

الى هذا الحد وصلت معلومات للعدو عنا . . واذا كانت معرفة الأمور الدقيقة متروك أمرها لجهات الاختصاص فان على كل قارىء عربى أن يعرف الكثير والكثير عن عدوه ، فانه اذا كانت الحكمة التى نعرفها « أعرف نفسك » ضرورية ، فمن الضرورى كذلك أن نرفع شعار « اعرف عدوك » ونجعله فى مقدمات الحكم البديهية الضرورية بالنسبة لنا . . والله يتولانا . .

(ع. ن)

قصة إسلامية قصيرة



نور الله

للدكتور: نجيب الكيلاني

شعر (الأسير الرومى) بما يشبه الاختناق . وضاقت الدنيا فى عينيه . وأخذت دقات قلبه تتزايد بصورة مزعجة ، انه الانتظار القاتل ، والانتظار شىء مقيت رهيب ، لأنه يحمل فى طياته الغموض والقلق والرعب الذى لا نهاية له .. ان الأسير يتمنى فى هذه اللحظات أن ينقض عليه جندى مسلم بسيفه ، ليفصل رأسه عن جسده حتى يستريح ، ويترك الدنيا بما فيها من عناء وشقاء .. ولكن هيهات . انه الانتظار الكئيب الأسود .. شىء أفظع من الموت .. وتجمعت فى رأسه المتعب المكدود خليط من الذكريات .. انها حياته بحلوها ومرها ، بآمالها الباسمة ، وصورها البائسة الحزينة .. ومن خلال الخليط العجيب تبدو صورة (ماريانا) متألقة حية بكل بهائها وفتنتها الطاغية ، وابتسامتها الوادعة الآسرة . وهذا الصوت يقول له :

ــ « أى ولدى العزيز ، وتلميذى النجيب (هيدرا) سيكون لك المجد فى الأرض والسماء اذا نفذت ما آمرك به . أنت تجيد اللغة العربية ، وتحسن الطعان والنزال ، وتتمتع بذكاء نادر .. ولذا اخترناك لهذه المهمة العسرة .. ان تأتى لنا بمعلومات كافية عن جيش المسلمين الوافد من الجنوب » .

هذه الكلمات ما زالت منقوشة فى ذاكرة الأسير الرومى ، تلك الكلمات التى فاه بها (الراهب بطرس) أحد رجال الدين المشهورين فى الدولة الرومانية . وأخذ الأسير يستطرد فى تذكره للأحداث والكلمات الحاسمة التى قالها الراهب :

ــ « .. أى ولدى .. ان أبانا الذى فى السماوات قد شاءت ارادته أن تقوم عنا بهذه المهمة .. وقيامك بها يعنى أنك قدمت لوحيدتى الغالية (ماريانا) اعظم صداق وانك قد قدمت أروع تضحية لتفتح الطريق أمامك الى جنة الله » ..

وطأطأ الشاب رأسه فى حيرة ، وتمتم فى صوت خافت :

ــ « أبتاه . الطريق وعر شاق .. »

ــ « أعرف ذلك يا هيدرا .. »

ــ « وخير لى يا أبتاه أن أخوض المعركة الى جانب جنودنا »

ــ « لماذا ؟؟ »

ـ « لم أخلق للعمل الذى تقترحه على ، كل انسان يعرف ما يجيد »
وارتسم الضيق على وجه الراهب ، وهتف :
ـ « لقد وعدت القائد بذلك ، وقرارى لا رجعة فيه .. و .. »
والتفت الراهب خلفه ليجد وحيدته ماريانا قادمة ، ترفل فى أثوابها الحريرية الفاخرة ، والابتسامة الساحرة ترتسم على ثغرها الجميل ، وقالت مريانا :
ـ « لسوف يذهب أبتى ، سترافقه عناية الله ، وتصاحبه بركاتك ، وتلاحقه دعواتى كلما أشرقت الشمس أو جن الليل .. وسينجو من هؤلاء الوحوش الكاسرة .. »
أفاق الأسير من ذكرياته وهواجسه ، على صوت أحد الحراس يقول له :
ـ « جئتك بالطعام والماء »
ـ « حسبتكم ستتركوننى أموت جوعا .. »
قال الحارس فى دهشة :
ـ « أيها الانسان .. ان نبينا قد أوصانا خيرا بالأسرى ، ونحن نمضى على الطريق الذى رسمه لنا ديننا .. وأنت صاحب قضية لم يبت فيها بعد ، ألا يجوز أن تكون بريئا .. »
وهم الحارس أن يستطرد فى بيانه ، لكن أذان المؤذن لصلاة العصر تردد فى آفاق المعسكر الكبير ، فتراجع الحارس فى أدب وهو يقول : (معذرة .. هذا وقت الصلاة ..) .
ومن خلال كوة صغيرة فى الخيمة التى يجلس فيها الأسير ، رآهم يتوافدون من كل مكان ، ويتراصون فى صفوف منظمة دونما جلبة أو فوضى ، ثم رآهم يركعون ويسجدون فى خشوع كبير ، يتشابهون فى أزيائهم البسيطة ، وتحركاتهم المتزنة الوئيدة ، ليس فيهم من يلبس طيلسانا فاخرا ، أو تاجا مرصعا ، لم يلفت نظره بريق أخاذ ، أو موكب فخم مزركش ، ولم يستطع أن يميز الأمير من الفقير ، ولا الجندى من القائد . ثم هرول الأسير صوب باب خيمته ، وقال لأحد الحراس :
ـ « لم لا يصلى أميركم معهم ؟؟ »
ـ « انه هناك .. ألا تراه .. ذلك الذى يحرك السواك فى فمه » .
تطلع الأسير ، وهتف فى دهشة : (مستحيل) انه نحيف أسمر الجبهة .. ليس بالطويل ولا بالقصير ينتعل نعلا رخيصا ، ويلبس بردة تكاد تكون بالية .. »
قال الحارس باسما :
ـ « نحن هنا نزن الرجال بميزان آخر » .
ـ « كيف ؟؟ »
استعاذ الحارس من الشيطان الرجيم ، وبسمل ثم قال :
ـ « ان أكرمكم عند الله أتقاكم .. »
ـ « من قال هذا ؟ »
ـ « الله .. ونحن نعرف قائدنا الهمام .. انه حجة فى ايمانه وصبره وتقواه وحسن بلائه .. ولهذا نسير خلفه حتى لو خاض بنا البحار ، أو صعد الجبال .. » .
وأطرق الأسير ساهما يفكر ، ثم هتف سائلا :
ـ « ما هى أعظم أمنية فى حياتك ؟؟ »
ـ « أن أموت شهيدا فى سبيل الله .. »
رفع الأسير رأسه فجأة ، وسدد نظرات ذاهلة الى الحارس العربى ذى

الكلمات البسيطة المعبرة ، وتذكر الأسير فاتنة قلبه (ماريانا) ، تلك التى كانت السبب الأول فى قبوله القيام بهذه المهمة العسرة ، ولم لا ؟؟ ألم تكن ماريانا أعظم حقيقة ملأت قلبه وروحه ، وبعثت الحيوية الدافقة الحارة فى جسده وفؤاده ؟؟ لم يكن يكترث كثيرا لدعوات الراهب أو بركاته ، ولم يكن يفكر فى جنة أو نار ، كانت (ماريانا) هى الجائزة الكبرى التى يحلم بالحصول عليها .. وها هو ذا قد وقع أسيرا فى قبضة المسلمين ، بعد أن جاب القفار ، وجد فى السير بالليل والنهار ، وظل ممزقا بين الخوف والرجاء ، والقلق والتربص ، واخيرا وقع بين أيدى المسلمين فضاع كل شيء .. لن يعود الى ماريانا !! والجنة ؟؟ انه لم يفكر فيها منذ البداية ، وتلك هى الحقيقة المرة ، وهو لا يستطيع أن يخدع نفسه وان خدع العالم أجمع .

وافاق الأسير على صوت الحارس يقول :

ـ « رب أشعث أغبر ، لو أقسم على الله لأبره » هكذا يقول رسولنا الكريم ..

رفع الأسير عينين مبللتين بالدموع وقال :

ـ « حدثنى عن الله .. ماذا تعرف عنه ؟؟ لا شك أنك قرأت الكثير من الفلسفة .. »

قال الحارس فى هدوء وبساطة :

ـ « لقد عرفت الله من كتابه .. ارتاحت نفسى لكلماته .. وتشربها عقلى فى يسر غريب .. انه واحد أحد فرد صمد لا والد ولا ولد .. » .

قال الأسير : « يبدو أنك من كبار رجال الدين ، انك تبسط القضايا بطريقة سهلة متعمقة » .

ـ « كلنا يعرف ذلك .. الصبية الصغار يعرفون ذلك .. »

وقطع عليهما الحديث وافد جديد ، وبعد أن أقرأهما السلام ، قال :

ـ « كيف حال الأسير ؟؟ »

ـ « انه بخير يا سيدى القائد .. »

وصرخ الأسير فى فزع : « القائد !! »

ـ « أجل .. اننى هو » ..

لقد حانت ساعة المنية .. معذرة يا سيدى .. ان ما فعلته كان خطيئة كبرى .. لكن قلبك الكبير يتسع لحماقات مثلى .. لا شك .. لا شك فى ذلك .. »

وانفجر باكيا ثم ارتمى على قدمى (القائد) يبللهما بالدموع ، فتراجع القائد وهو يتمتم (حاشا لله) ثم استطرد :

ـ « أتريد شيئا ؟؟ »

ـ « اعرف أن من حقكم ان تلهبوا ظهرى بالسياط ، وأن تمزقوا جسدى بسيوفكم ، أو تحرقوه بالنار .. ان التجسس عقوبته القتل .. » .

قال القائد فى هدوء :

« لا تفزع .. لا تفزع يا رجل .. لك حقوق الأسير كاملة ، ولن تنالك يد بأذى ، وليس عندنا سر نخاف من اذاعته ، وليست هذه أولى المعارك ، ولن تكون آخرها ، ان أردت أن تعرف عددنا أو عددنا ، فلن يضيرنا ذلك فى شيء .. الحرب ليست عددا وعتادا ، ولكنها قلوب مؤمنة بالحق والخير ، تتحرك بنور الله ، وهذه حقيقة لا نكتمها عن أحد .. » .

وصمت القائد برهة ، ثم عاد يقول :

ـ « ان قتلك لن يزيد المسلمين قوة ، أو يزيد الرومان ضعفا ، بل ان تركك حيا قد يزيل الغشاوة عن عينيك ، ويفتح قلبك لنور الله .. وهل دعوتنا

تريد شيئا سوى الخير والهداية لبنى البشر من كل جنس ولون ؟؟ حسن .. انك تعرف القراءة والكتابة .. فان أمكنك أن تعلم عشرة من الأميين فلسوف يطلق سراحك .. » .

انفرجت أسارير الأسير ، وفاض وجهه بشرا ، وبانت البهجة فى عينيه ، على الرغم مما يبللهما من الدموع وانحنى قائلا : « اشــكرك يا سيدى : اننى مدين لك بحياتى » .

لم ينم الأسير ليلته ، كان عقله نهبا لصراعات وأفــكار وذكريات عديدة ، وفى النهاية اســتقر رأيه على عمل حاسم .. أجل لن يتردد لحظة فى تنفيذ ما ارتآه ، ليتهمه المســلمون بالخيانة وليرموه بالغدر .. لكنه لن يحجم .. وفى الليلة التالية ، كانت الظلمة دامسة ، وابتسامات النجوم قد اختنقت خلف ركام من السحب الكثيفة ، والريح تزأر دون هوادة ، والبرد يكاد يجمد الأطراف ، وتمتم الأسير بينه وبين نفسه قائلا :

ــ « لسوف أهرب .. أجل .. وسأعود الى عاصمتى والى أســتاذى الراهب .. واليك يا ماريانا .. من العار ألا أؤدى مهمتى على الوجه الأكمل كما رأى الراهب ، وكما رأت حبيبة الفؤاد .. » .

القلب واجف مرتعش من هول الرعب ، والظــلام يختزن أسرارا وعيونا واشباحا لا حصر لها ، والطــريق غامض مهول محفوف بالشــوك والخطر والعذاب ، وطلائع المسلمين تجوب النواحى ، والموت يترصده من كل جانب . لكنه ســيهرب لا بد من الهرب .. لا قيمة للموت .. ســيحاول أن يقهر نوازع الخوف .. انه يشعر شعورا يشبه اليقين بأنه سينجو .. وتسلل عبر الظلام ، تاركا الخيمة الصــغيرة ، والحــارس القريب الذى وثق به بعد أن أخذ يعلمه القراءة .. ومضى الأسير الهارب فى الطريق الشاق الطويل حتى بلغ العاصمة .. هب الراهب من مقعده : « هل أتيت يا هيدرا ؟ » .

سدد هيدرا اليه نظرات عاتبة وقال :

ــ جرعة ماء .. ومقعدا .. »

ــ « استرح يا بنى .. لو علمنا بمقدمك سلفا لدقت لك الأجراس أيهــا الفارس الهمام .. تكلم .. ماذا وراءك من أنباء ؟؟ اننى لا أطيق صــبرا ، اننى انتظر اليوم الذى نسحق فيه أولئك الوحوش على أحر من الجمر .. » .

قال هيدرا فى هدوء :

ــ « جئتك بالخبر اليقين .. » .

ــ « مرحى .. مرحى .. تكلم .. »

ــ « لتأت ماريانا أولا .. » .

صفق الراهب بيديه وهو يقول : « يا لغبائى .. كدت أنسى .. » ثم هتف بصوت عال :

ــ « ماريانا .. ماريانا .. لقد قدم هيدرا .. أسرعى لاستقباله .. »

ارتمت ماريانا على صــــدره ، فتلقاها بفتور ملحوظ ، عللته لأول وهلة بالتعب الذى عاناه ، والجهد الــكبير الذى بذله ، ونظر هيدرا اليهــا .. ذلك الجمــال الرائق ، وتلكما العينــان الفاتنتان ، وذلك الفم المثير ، آه .. ماذا وراءه ؟؟ لا شىء غير الخواء .. والفراغ الروحى .. والآثام المختبئة .. وبدا وجهها كعملة ذهبية ذات بريق بارد وتمتم هيدرا قائلا : « يا ثمن النجــاح فى الصفقة الآثمة .. » .

قال الراهب : « ماذا تقول ؟! يبدو أنك متعب .. » .

ــ «اننى منهوك الجسد ، لكن روحى فى القمة من الصفاء والانتعاش .. »

ــ « لم يخب ظنى فيك يا ولدى .. فما هى معلوماتك ؟! » .
تنهد هيدرا وقال :
ــ « عرفت السر الأكبر . عرفت السلاح الخطير الذى ينتصرون به .. »
قالت ماريانا وأباها فى صوت واحد :
ــ « ما هو ؟ »
تمتم هيدرا فى ذهول :
« الحرب ليست عددا وعتـادا ، ولكنها قلوب مؤمنة بالحق والخـير ، تتحرك بنور الله .. »
وصمت لحظة ليتذكر كلام الحارس ، ثم قال :
ــ « ان أعظم أمنية لديهم الموت شهداء فى سبيل الله .. »
صرخ الراهب فى صبر نافذ :
ــ « ان ما أريد معرفته هو : عـدد الجنـود ، المؤن التى يمتلكونها ، خططهم ، نقط الضعف فيهم ، موعد هجومهم المرتقب .. ذلك ما نريده يا هيدرا العزيز .. »
ومضى هيدرا فى حديثه قائلا :
ــ « وهم لا يقتلون الأسرى ولا يعذبونهم . بل ويطلقون سراح الأسير اذا علم عشرة من الأميين القراءة والكتابة .. انهم قوم يعرفون الله .. ويعرفون واجبهم المقـدس .. يتحركون فى ثقة وصـبر ويقين فريد .. انه شىء يراه الانسان فى كلامهم وسلوكهم وعبادتهم .. وبهذا ينتصرون .. » .
ضرب الراهب بقبضته المتشنجة على منضدة أمامه وقال :
ــ تكلم عن سـلاحهم السرى الذى أخبرتنا عنه .. هل جئت تبشر بدين محمد أو لتكشف عن سوآتهم ؟! »
قال هيدرا وقد تساقطت الدموع من عينيه :
ــ « يا أيها الانسـان الجديد .. بشراك .. بشراك .. »
التفت الراهب الى فتاته وقال :
ــ « انه يهذى ، ترى هل أصابه الخبال ؟ »
قدمت ماريانا نحوه ، وأخذت تربت على كتفه فى حنان بالغ وتقول :
ــ « ماذا جرى لك يا حبيبى ؟! هل تألمت كثـيرا ؟! أتراك جائعا ؟ » فلم يعرها التفاتا . كانت يدها الحانية اللدنة تتحرك فوق جسـده ، وكأنها يد من رخام ، ونظراته الشاردة تجوب الغرفة الواسعة ذات البساط الأحمر الفاخر ، والقناديل الملونة الثمينة ، والستائر الحريرية ، والروائح الزكية ، وعاد يتمتم فى شرود :
ــ .. يا أيها الانسـان الجـديد .. بشراك بشراك .. « لقد عرفت الله .. » .
وقرر الراهب بعـد نظراته الفاحصة أن هيدرا مريض ، وأنه يجب ان يستريح أولا ، حتى يجمع شتات نفسه ، وتهدأ أعصـابه ، اذ لا شك انه قد تعرض لانتقام شـديد ، وعذاب فوق طاقة البشر ، مما أثر على قواه العقلية والنفسية .
وأخذوه الى حجرة النوم ..
وفى الصباح بحثوا عنه فلم يجدوه ..
وقرر جنود الجبهة من الرومان أن هيدرا قد انطلق راكبـا جواده نحـو الجنوب .. الى الشام . الى المكان الذى يعسكر المسـلمون فيه استعدادا للانقضاض على الرومان .. حيث يفتحون الطريق للانسـان الى غد حر .. شريف ..

الفتاوى

هذا استفتاء موجه الأستاذ مصطفى الزرقا خبير الموسوعة بوزارة الأوقاف والجواب عنه رأينا أن ننشره هنا للتفاصيل المهمة التى جاءت فيه :

والسؤال : في الطلاق

تزوجت من فتاة مسلمة وبعد أسبوعين من زواجنا ذهبت الى بيت أبويها ومكثت فيه شهرا وكنا فى وئام تام خلال الأسبوعين الأولين لزواجنا ، ثم ذهبت لردها الى بيتى فرفض والدها رفضا باتا . فالتمست ذلك بوساطة الجماعة المسلمة هنا ، ولكن دون جدوى اذ أنكر أبوها أنه زوجني البتة . وفى الاسبوع الفائت تزوجت زوجتى الشرعية شخصا آخر دون أن تطلق منى ، أو أن ترد لى ما أنفقته عليها .

فالمرجو الآن بيان حكم الشريعة الاسلامية فى الأمرين التاليين :

١ ــ هل تستطيع الزوجة فى الشريعة الاسلامية أن تطلق زوجها ؟ واذا كان كذلك فعلى أى أساس ؟

٢ ــ هل تستطيع المرأة المتزوجة أن تتزوج شخصا آخر دون أن تطلق من زوجها الأول ؟

(أيوب أحمد دادا)
(أوغنــدا)

الجواب :

ج١ : الطلاق فى شريعة الاسلام له طريقان : طريق اختيارى . وطريق قضائى اجبارى :

أ ــ فبالطريق الاختيارى جعلت الشريعة الطلاق بيد الرجل . فهو الذى يستطيع تطليق زوجته بمحض اختياره اذا لم تطلب له العشرة معها . وعندئذ عليه أن يؤدى اليها المتبقى من مهرها فى ذمته (المؤجل ان كان) . لكن ليس من المستحسن دينا أن يطلق الرجل زوجته دون سبب مبرر بل يكره ذلك شرعا . وإن كان الطلاق يقع بارادة الزوج وتعبيره . لأنه أدرى بواقع حال زوجته . وأسرار حياتهما الزوجية ومدى راحته معها وملائمتها له عمليا . وهو الــذى ســيكلفه التطليق مالا من مهر ونفقــة عدة . ثم نفقة حضــانة للأم عن الأولاد الصــغار ان كانوا . ذلك لأن المفروض غالبا أن الرجل يكون هو الأكثر ترويا وتعقلا فى ايقاع الطلاق . لهذا السبب . ولا سيما أن الرجل يستطيع فى نظام الاسلام تزوج امرأة أخرى مع بقاء الأولى ان شاء . فطريق الزواج بالأخرى ان أحب ذلك ليس مسدودا عليه ما دامت الأولى فى عصمته حتى تكون رغبته فى

الزواج بالأخرى دافعا الى تطبيق الأولى كما فى النظم غير الاسلامية التى تمنع تعدد الزوجات . فلاعتبارات كثيرة (هذه بعضها) كان الطلاق الاختيارى فى شريعة الاسلام بيد الرجل لا المرأة

على انه يجوز أن يشترط فى عقد الزواج باتفاق الطرفين اعطاء الحق للمرأة بتطليق زوجها بمحض ارادتها متى شاءت ، كما يجوز بعد الــزواج أن يفوض الزوج الى الزوجة تطليق نفسها ان شاءت . وحينئذ يصح منها ايقاع الطلاق . وهذا فى الحقيقة عائد الى ارادة الزوج نفسه .

ب ــ أما بالطريق القضائى فتستطيع المرأة أن تطلب الى القاضى تطليقها من زوجها فى حالات كثيرة منها ما اذا تركها دون نفقة ، أو غاب غيبة منقطعة ، أو ارتكب جريمة وحكم عليه بالســجن مدة طويلة ، أو وجد فيــه مرض يمنع المعاشرة الزوجية أو أصيب بالجنون .. وكذلك اذا أساء معاملتها . وفى هذه الحالة الأخيرة اذا طلبت الزوجة من المحكمة تطليقها لهذا السبب يعين القاضى حكمين (من أهل الزوجين إن أمكن والا فمن غير الأهلين) ، ويعقدون مجالس عائلية مع الزوجين يحاولون فيها الاصلاح بينهما فان لم يمكن الاصلاح يقضى القاضى بالطلاق بينهما اذا تبين له أن الزوج هو المذنب ، وهذا حكم المذهــب المالكى . على أن بعض القوانين الشرعية فى بعض البلاد الاسلامية والعربية (كما فى ســورية) أوجبت على القاضى فى هذه الحالــة (حالة عدم امكان الاصلاح والتوفيق) الاســتجابة لطلب التطليق القضــائى ولو كان الزوج غير مذنب ، نظرا الى المصلحة ، لأن الحيــاة الزوجية الصالحة أصــبحت متعذرة لاستحكام التنافــر . وعندئذ تكون الحقوق الماليــة فقط هى ذات التبعية للذنب ودرجة صلة كل من الزوجين به :

فالحقوق المالية الناشئة من الزواج والطلاق (المهر ، نفقــة العدة) تقع كلها على عاتق الزوج اذا ثبت انه هو المسيء ، وفى حالة العكس تسقط حقوق المرأة . واذا كان الذنب مشتركاً توزع الحقوق المالية بينهما بنسبة درجة ذنب كل منهما تجاه الآخر .

ج٢ : لا تستطيع المرأة المتزوجة فى شريعة الاسلام أن تتزوج ثانية الا من بعد وقوع الطلاق بينها وبين الزوج السابق بالتطليق الاختيــارى أو القضائى (المبين آنفا) وانقضاء مدة العدة الواجبة على الزوجة وهى ثلاث دورات طمثية ان كانت ممن يأتيهن الطمث أو ثلاثة اشهر ، أو بعد ولادتها ان كانت حاملا وقت الطلاق ، لأن شريعة الاسلام أباحت تعدد الزوجات ، ولم تبح تعدد الأزواج بحال من الأحــوال .

واذا تزوجت المتزوجة ثانية قبل طلاقها وانقضاء عدتها من الزوج الأول فالزواج الثانى باطل ، واذا أعقبته معاشرة زوجية كانت حراما اذا كان الزوج يعلم الحقيقة ويستحق بذلك الطرفان عقوبة شرعية .

أما فى القصة المسؤول عنها فاذا كانت الزوجة واهلها ينكرون أمام القضاء تزويجها منك سابقاً فلا يحق للقاضى الحكم ببطلان الزواج الثانى ما لم تثبت أنت بالمثبتات المقبولة شرعا زواجكما بصورة صحيحة مقبولة .

بريد الوعي الاسلامي

بإشراف: الشيخ رضوان البيلي

حول قصة داود عليه السلام

كان يتحدث حول تفسير قوله تعالى : « ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه . وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

فقال ان التسع والتسعين نعجة المقصود بها المرأة ، ومعلوم أن هذا القول من الاسرائيليات التى لا يعتد بها . قال ابن كثير فى تفسيره : « ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم حديث » .

وقال أحد المفسرين : « ان الخصمين اللذين تسوروا المحراب هما ملكان جاءا ليمتحنا النبى داود الذى ولاه الله الملك ليقضى بين الناس بالحق والعدل وليتبين قبل اصدار الحكم ، وقد اختارا أن يعرضا عليه القضية ، صورة مثيرة ولكن القاضى ينبغى عليه ألا يتعجل .. وما ذكر من اسرائيليات فان طبيعة النبوة تتنزه عنه ولا يتفق مع قوله تعالى : « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

وكنا نود من المتحدث الفاضل أن يفسر القرآن بالقرآن وبالسنة وأقوال التابعين ، ويتجنب الأمور التى لم تصح ، فان المسلمين يرغبون فى سماع ما يفيدهم ويزيدهم ايمانا واستمساكا بعقيدتهم .

(عبد الرزاق الصالح المطوع ــ الكويت)

لم ينج واحد من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام من كيد خصومه له فى حياته ، ولا من الدس والافتراء عليه ، بعد مماته ، والذين تفننوا فى هذا الدس وتولوا كبره هم من بنى اسرائيل أعداء الله وأعداء رسله وأعداء الحق فى كل جيل وزمان وقد سجل عليهم الوحى الالهى هذه الخسة والدناءة . فهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله من بعد ما سمعوه ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، وقد وقع فى حبائلهم بعض المفسرين ، فدونوا أكاذيبهم ومفترياتهم فى تفاسيرهم . كما حدث بعض القصاص والوعاظ ! اما عن غفلة واما لنقدها والرد عليها ، ورحم الله المحققين من علمائنا فقد تتبعوا هذه المفتريات الاسرائيلية وأفردوها بمؤلفات تكشف عن زيفها وبهتانها .

والاسرائيليات التى وردت فى تفسير هذه الآيات الكريمة واضحة الزيف والبطلان لأنها تتنافى مع مقام النبوة والرسالة وفى الآيات الكريمة نص الهى ــ كما ذكرت ــ يشهد بعلو مقام سيدنا داود عليه السلام وبراءته من كل ما نسب اليه « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

وما نظن أن المتحدث ترك التعقيب على هذه المفتريات فهو من الأساتذة الكبار المشهود لهم بغزارة العلم وقوة الحجة .. وهذا لا يمنع أنا معك فى الرأى الذى يقضى بوجوب أن نجنب السامعين ما يبلبل عقولهم ويجعلهم فى حيرة من أمرهم لأنهم ليسوا فى مستوى واحد من القدرة العقلية والثقافة الاسلامية . وأن نقتصر فى التحدث اليهم على ما يفيدهم وتربو به عقيدتهم ويزداد ايمانهم

وانا نتطلع الى اليوم الذى يعكف فيه علماؤنا على تجريد كتب التفسير والوعظ من هذه المفتريات .

بقى بعد هذا ان نقرر اننا نميل الى ترجيح الراى الذى يرى ان القصة من أولها الى آخرها . وبجميع تفصيلاتها قصة واقعية حقيقية على ظاهرها الذى تدل عليه الألفاظ بوضعها اللغوى فالخصمان رجلان من بنى آدم لا من الملائكة والنعجة هى انثى الضأن . وان الرجلين جاءا الى داود فى اليوم الذى خصصه للعبادة وتسورا عليه المحراب واقتحما الحجرة ، وانهما ينويان اغتياله وهـذا امر شائع فى بنى اسرائيـل ، وقد قتلوا قبـل ذلك اشعيا وزكريا ، والقرآن الكريم يسجل عليهم ذلك « ويقتلون النبيين بغير الحق » وانهما لما رأيا يقظـة الحراس افتعلا هذه القصة مبررا لاقتحام المحراب على داود ، وأن هذا الدافع دافع الاغتيال لم يغب عن ذهن داود عليه السلام . فخطر له أن ينتقم منهمـا ولكنه رجع عن هذا الخاطر لأنه رأى ان مقـام النبوة يقتضى الصفح والعفو فسايرهما فى قضيتهما وحكما بما رأى . . وهذا الخاطر الذى خطر لداود هو الذى يعبر عنـه القرآن الكريم بقوله « وظن داود أنمـا فتناه » أى وظن أن دخولهما عليه فى تلك الخلوة وعلى هذه الكيفية من تسور المحراب ابتلاء من الله تعالى لاغتياله . ولما لم يقدما بتنفيذ ما عزما عليه ، ولم يقع ما كان قد ظنه استغفر ربه من هذا الظن وخر ساجدا لله رب العالمين .

رسالة من نيجيريا

وجاءتنا رسالة مطولة من السيد مصطفى السنوسى أحد المشتغلين بتعليم اللغة العربية والاسلام قال فى آخرها : اننى تأكدت من خلال اطلاعاتى وتجـاربى ان الرابطة الاسـلامية هى خير الروابط . . الخ . .

من بين عشرات الرسـائل التى وردت الى هـذا الباب . اخترت هذه الرسالة ووجدت من نفسى رغبة ملحة فى نشرها ، ولعل السبب فى ذلك أنها تركز على الرابطة الدينيـة فى الوقت الذى أجمع فيه قـادة العرب على أن التضامن الاسلامى بين جميع الدول الاسلامية ضرورة تحتمها التجربة المريرة التى مرت بنا مع الصهيونية الخبيثة .

والتضامن الاسلامى قائم شكلا لا موضوعا . صورة لا حقيقة . فهنـاك تمثيل دبلوماسى ومعاهدات ثقافية واقتصادية بين اكثر الدول الاسلامية ان لم يكن بينها جميعا . ولكن هذه الشكلية والصورة أفقدته قوته ، وسلبته مضاءه . والتضامن المطلوب هو القـائم على العقيدة لا على مجرد المصـالح المشتركة والمنافع المتبادلة . . العقيدة التى تجعل المسلم اخا للمسلم والشعب المسلم اخا للشعب المسلم ، والشعوب الاسلامية كلها امة واحدة لا ينال بعضها من بعض ولا يسلمه الى عدوه . بل يعينه وينصره كما جاء فى الحديث الشريف (المسـلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه) . . التضامن الذى يضع الرسـول العظيم صلى الله عليه وسلم حدوده وابعاده فى قوله : (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) . ولو كان المسلمون يدا واحدة لما جرأت الصهيونية ولا من وراء الصهيونية على غزو المسلمين فى عقر دارهم واستلاب اوطانهم . التضامن الذى تذوب فيه الأطماع والاهواء ويتحول الى أخوة فى الله وفى دين الله . غايتها اعلاء حكمة الله وهدفها اعزاز الاسلام والمسلمين . وبعـد فانا نحيى فى كاتب هذه الرسـالة من وراء المسـافات الشاسعة هذه الروح الايمانية وهذه الأخوة الاسلامية ، ونرجو ان يكون لهذه الرسالة اثرها الفعّال فى نفوس القراء .

العالم الاسلامى ومستقبله

يتحدث الاستاذ أحمد عبد الرحيم أحمد عبد الرحمن فى هذا الموضـــوع فيقول :

ان العالم الاسلامى يتربع على كنوز ثمينة ، ويربض على ثروات معدنية هائلة ، ويملك من حقول البترول أجداها نفعا وأكثرها قوة وازدهارا ، ويتبوأ استراتيجية هامة ، ويشغل من خريطة الدنيا حيزا جغرافيا عظيما .

فالاطار الخارجى الأقصى للاسلام يصل شمالا حتى أعالى الفولجـا غير بعيد عن دائرة العرض ٦٠ شمالا ، ويترامى جنوبا حتى نهاية أفريقيا عند الراس على خط عرض ٣٥ جنوبا ، أما شرقا بغرب فنحن مع الاســلام من خط طول ١٢٠ شرقا حيث الفلبين الى حوالى ٢٠ غربا عنــد الراس الأخضر فهذه شقة تبلغ ٩٥ درجة بالطول ــ ونحو ١٤٠ درجة بالعرض ، أى حوالى ربع وثلث محيط الأرض على الترتيب ، أو مايعادل نصف دورة من دورة الليل والنهار ، ونصف دورة من دورة فصول السنة على التوالى ، وبهذا فان محيط الاســلام يتمدد اساسا بنصف الكرة الشمالى أولا ، وبنصف الكرة القديم ثانيا .

فالاسلام جنوب خط الاستواء اطراف أو أصابع ثانوية ، وهو فى العالم الجديد شظايا سديمية متطـايرة ، وهذا ــ بالمنـاسبة ــ هو النمط الهيكلى العريض لتوزيع السكان العام على الكرة الأرضية ذلك الربع من الكرة الارضية هو اذن الربع الاسلامى .

ويمكننا أن نعبر عن هذا الامتداد النادر بأكثر من طريقة أخرى فنقول :

ان الاســلام يمتد فى قوس محــدد من بكين الى كازان الى بلغراد فى الشمال ، أو فى قاطع من فرغانة الى غانة كما كان يقول مؤرخو الاســلام ، أو فى قاطع آخر من جبل طارق الأطلسى الى سنغافورة جبل طارق الهادى ، أو من مالاجا بالأندلس الى ملقا بالملايو الى قبائل المورو بالفلبين . كذلك يمكن أن تحدد قاعدة العالم الاسلامى فى الجنوب بمحور يمتد من قبائل السنغال حتى قبائل التاجال بالفلبين ، أو من غينيا الى غينيا الجديدة ، أما بالطول فدونك من الفولجا والدانوب حتى الزمبيزى والليمبوبو وبعامة . فتلك أبعاد لا تقل بحال عن نصف مساحة العالم القديم .

والاسلام دين عالمى أو كوكبى بلا مراء رغم ما يدعيه البعض من أنه دين جزئى أو اقليمى أحيانا . أو من أنه دين (أفريقاسى) أحيانا أخرى ــ اذ يوشك الا تكون هناك دولة فى عالم اليوم لا يتمثل الاسلام فيها ولو ببضعة عشرات من الألوف كما فى استراليا أو غرب أوربا مثلا .

وبالعـــالم الاسلامى قابليــات بشرية فائقة ، والمسلمون يمثلون تقريبـا ١٥٪ من مجموع سكان هذا الكوكب الذى يبلغ اليوم قرابة ٣٣٠٠ مليون نسمة وبعبارة أقرب نقول :

ان واحدا من كل ستة اشخاص فى العالم يدين بالاسلام .

ولقد أشار بعض الباحثين الى أن أغلب مناطق العالم الاسلامى يعد من أقاليم النمو السكانى السريع .

كل هذه الأمور تجعــل العالم الاسلامى فى وضـــع يسمح له أن ينمى

أصولها من كتاب الله وسنة رسوله ، وذلك دون أن يتبع أى شكل من الأشكال الشيوعية او النظرية السياسية الغربية .

عودا .. الى الاسلام

وتلقينا من الأستاذ أحمد حسن القضاة برئاسة الأركان بالاردن كلمة بهذا العنوان جاء فيها :

من واجب المسلم — أى مسلم — فى كل زمان ومكان أن يدعو للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، سيما اذا استفحل الخطر بالمجتمع الاسلامى .

ويزداد الواجب أكثر فأكثر على أولئك (الدعاة) و (العلماء) الذين وهبهم الله تعالى شرف العلم والتبصر بآيات الله وسنة نبيه .

لقد حلت النكسة بأمتنا ، ومضى عليها سنة كاملة ونحن لم نغز عدونا كما غزانا مرارا ، بل ولم نأخذ أهبتنا الكاملة ، واستعدادنا (الحقيقى) بالرجوع الى ديننا الذى ارتضاه الله تعالى لنا ، وتهذيب أخلاق مجتمعاتنا طيلة هذه السنة الماضية ، لكى نظهر لعدونا — على الأقل — أننا بدلنا نهجنا الذى كنا ننتهجه قبل النكسة ، وكان السبب المباشر لخذلاننا ، فيخافنا هذا العدو ، وينسحب من أراضينا ؟!

وهذه وسائل اعلامنا فى كل بلد عربى ، ممثلة فى الصحف والمجلات والاذاعات وغيرها لم تغير (أسلوبها) الأول ولا برامجها (القديمة) . فـ (الجعجعة) و (التهريج) و (التضخيم) و (الأغانى المجوجة الرخيصة) والبعد عن النقد (البناء) أو (الواقعية) .. لا تزال هذه الصفات كلها هى نهجها الذى تنتهجه ، وطريقها الذى تسلكه ...

. . . . .

كان الناس يقولون اثر النكسة مباشرة : ان العرب لن يعودوا سيرتهم الأولى التى كانت تسير عليها مجتمعاتهم قبل الخامس من حزيران . فلن يكون هناك انحلال فى المجتمع . ولا هزل فى الأمور الخاصة والعامة على السواء . ولا (خمارات) مفتوحة أو (سينمات) أو أماكن للرقص واللهو والمجون . وسيهجرون عيش (الرفاهية) ويبتعدون عن كل ما من شأنه أن يؤدى الى حياة (الترف) ، حتى يحرزوا النصر على الأعداء ، ويحرروا أرضهم المغتصبة ومقدساتهم . وسيكون هناك استعداد عسكرى وروحى و (عود) الى الله بمعنى الكلمة ، وتمسك بأهداب الدين والفضيلة ، والميل الى حياة (الخشونة) ، ومحاسبة الأنفس على كل هفوة .

هكذا كان الناس يؤملون ويقولون . وهذا هو (الحل المنطقى والمعقول) لمثل هذه النكسة ولغيرها من النكسات .. ولكن !!

وقد يقف متسائل أو متفائل ليقول : ما بال هذا الرجل ؟! هل وصل به اليأس الى هذا المدى لكى يتقول مثل هذا القول ؟؟ فأجيب أخى المتسائل المتفائل : ان هذا هو واقعنا الذى لا يستطيع مكابر فى هذه الأمة أن ينكره . وليست دهشتك يا صاحبى أو تساؤلك هذا الا لأنك لم تألف مثل هذا القول (الصريح) (الواقعى) فى صحفنا ومجلاتنا ووسائل اعلامنا الا قليلا وبين الحين والآخر ...

— اسس التضامن الاسلامي

من سلسلة مقالات تنشرها مجلة الايمـــان المغربية تحت عنوان (واقع العالم الاسلامى) ننقل هذه الفقرة :

اذا تأكد أن التضامن بين المسلمين حقيقة واقعية ملموسة يقربها الجميع وأن عناصر التضامن وعوامل التجمع بين الشعوب الاســـلامية متوفرة متعددة متينة سواء من الناحية الاقليمية الجغرافية أو من النواحى التاريخية والاقتصادية والسياسية ، فان هذا يوجب علينا الاقرار بأن التضامن بين المســـلمين أسمى من أى رابطة سياسية وأقوى من أى تكتل سياسى .

غير أن معارضى حركة التجمع الاسلامى يستندون الى هذه الحقيقة للقول بأن لا ضرورة لهذه الدعوة ولا فائدة منها ، لأنها تحصيل حاصل ، ومصدر هذا الزعم هو سوء فهم مضمون الدعوة وأهدافها ، ان كثيرا ممن يعارضون دعوة التجمع الاسلامى بحسن نية يظنون أن الغرض منها ايجاد تكتل ســـياسى جديد مماثل للتكتلات السياسية القائمة حاليا فى آسيا وافريقيا ، والتى تشترك فيها الدول الاسلامية كل بحسب ظروفها واتجاهاتها ومصـــالحها ، ومعنى ذلك فى نظرهم أن أقل ما يوصف به التكتل الجـــديد انه مجرد تكرار للتكتلات الحالية لا يضيف شيئا لواقع العالم الآسيوى الافريقى سوى البلبلة والتعقيد والغموض .

ولكن هذا النظر الخاطىء يكفى لدحضه أن نوازن بين حقيقة التـــكتلات القائمة حاليا ، وبين التجمع الاسلامى فان تلك التكتلات ســـياسية بحتة فى طبيعتها وأسسها وفى أهدافها ومضمونها أما التجمع الاســـلامى فهو يتجاوز الاطار السياسى فى أهدافه ومضـــمونه وأسسه وطبيعته وينقلنا الى مرحلة التجمع الانشائى والتعاون البناء فى جميع مظاهر حضارتنا المشتركة ، حضارة الاسلام التى صهرت شـــعوبنا وجمعت بينها قرونا طويلة فتركت فيها طابعها المشترك فى نواحى الفكر والعقيدة والاجتماع والاقتصاد والسياسة ، وهو بذلك خطوة تقدمية فى حركة الوحدة العالمية تهدف الى تعميق حركات التكتل وتقويتها وتدعيمها لتدفع الشعوب فى طريق الاندماج .

— ليست المسئولية على العرب وحدهم

نشرت مجلة (دعوة الحق) التى تصدر عن دار العلوم بديوبند مقالا لمدير الجامعة تحت هذا العنوان جاء فيه :

اننا اذا استعرضنا موقف العرب وما أسفرت عنه الحرب الماضـــية من النتائج المؤلمة من الناحية الدينية نتأكد من صحة قولنا : ان القاء المسئولية عن هـــذه النكسة والهزيمة المفجعة على العرب وحدهم ليس مما مصـــدره عدل وانصاف ، وليس من الجائز المعقول أن نقول : انها نتيجة لمجرد سوء أعمالهم وقصر نظرهم فى عواقب الأمور ، بل ان وحدة كلمة الاسلام ورابطة المسلمين الدينية يحتم كل منهما على كل مسلم الاعتراف بالمسئولية عن هذه المأســـاة الأليمة ، فان الوحدة التى ندعيها والتى خلقتها وحدة كلمتنا وعقيدتنا والترابط الذى أحدثه ديننا يوجب علينا كحلقات متواصلة من سلسلة الاسلام طبعا وعقلا وشرعا أن نعد أنفسنا على الســـواء من جملة من ســـببت أعمالهم القبيحة

وأخطاؤهم النظرية والفكرية هذه النكسة والهزيمة والهوان . ويجب أن نجاهر بذلك كما نبرز اجترائنا على جعل العرب وحدهم مسئولين عن هذه النكسة مع هتافنا بالوحدة الاسلامية .

وبعبارة أخرى نقول : ان طرح تبعات الهزيمة على العرب وحدهم لا يمكن الا بعد الاقرار بالانعزال الذى لا يلائم وحدتنا الملية وائتلافنا الدينى ، ومن الظاهر أن الاستسلام لمثل هذا الانعزال والانفراد والاذعان للتفرقة الاقليمية والتقسيمات الجغرافية لا يبقى معه أى معنى لوحدة الكلمة التى نقوم بالدعوة اليها .

والى جانب ذلك لا يجوز فى نظرنا تبرئة العرب من الأخطاء الفكرية والسلوكية كليا . فان معنى ذلك أن ليس فى هذه الأمة فرد أو جماعة ترتكب الأخطاء أو المنكرات . والحال أن الأمة المسلمة قد حاد معظمها عن مقوماتها الدينية وشعائرها وخصائصها الاسلامية . فمن الواجب أن نتمسك بالاعتدال بين الاتجاهين . فنشاطر اخواننا العرب ما أصابهم من آلام النكسة والخسائر الفادحة . ونشعر بمسئوليتنا عن القيام بواجبنا نحو الكفاح والنضال فى قضية البلاد العربية . كما يلزم أن نلفت أنظارهم الى مواضع أخطائهم ومواطن ضعفهم مخلصين فى ذلك بعيدين عن التكتلات السياسية على حسب ما يتطلبه ديننا الحنيف وواجبنا الأخوى والاسلامى .

صحوة

وطالعتنا أخبار العالم الاسلامى التى تصدر بمكة المكرمة فى افتتاحيتها بالكلمة التالية :

مناسبات قليلة ، تلك التى يصحو فيها الضمير العالمى ، ويثوب الى رشده ، أو يثوب اليه رشده ، فيرفع عقيرته بكلمة حق ، أو يجلجل صوته باستنكار كلمة باطل . ومن تلك المناسبات القليلة ، ما حدث فى الأسابيع الاخيرة . سواء فى الأمم المتحدة أو فى غيرها من المجالات الدولية العالمية من اجماع عالمى على استنكار تصرفات الصهيونية المعتدية الباغية ، فى عدوانها على الأردن الشقيق . وفى مواصلة تحدياتها لقرارات الأمم المتحدة . وغيرها من الهيئات العالمية المحترمة ، التى رأت فى تصرفات اسرائيل ظاهرا لئيما ، لم تراع معه أى حق . أو واجب . أو تجاوب مع من رفع عقيرته مهيبا بها أن تنصاع الى دعوة هى من مظاهر السلام أو الرغبة فيه ، أو تلبية الى نداء يدعو اليه .

لقد فعلت اسرائيل فعلتها . فى الاصرار والتحدى . فهل تحسب أن لهذا العمل الفاضح . أى ثمرة تكسبها شيئا من الهيبة المزعومة ، أو الوقار الموهوم ، فما كان لذلك الاستعراض من نتيجة سوى الخيبة والاستهزاء والازدراء . حيث عم جميع العرب السكان الى التزام منازلهم واضربوا عن الخروج من بيوتهم ، وفوتوا على الصهيونية ذلك الغرض الذى قصدوا اليه ان كانوا يزعمون أنهم يخيفون العرب بمظاهر خلابة خادعة . لقد خاب فألهم فى ذلك المظهر الذى فرضوه فى الشوارع والطرقات . وهم يسيرون منتفخو الأوداج . والخوف من العرب والفدائيين يقطع نياط قلوبهم . ويفتت أكبادهم . حتى كانوا من الخوف فى حذر ، وأى حذر ، لا يقر لها قرار حتى انتهت سويعات العرض وعادوا الى جحورهم لائذين مرددين قول القائل :

واذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الحرب وحده ، والنزالا

والموعد معهم ليس ببعيد ان شاء الله ، حتى يطهر الله الأرض المقدسة السليبة من رجسهم وجورهم .

مكتبة المجلة

أعدها: عبد الستار فيض

الاسلام فى وجه الزحف الأحمر

آخر كتاب من تاليف فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى ، يوضح فيه بالحقائق العلمية والتاريخية ما يعانيه العالم العربى والاسلامى من ذبذبة وحيرة ومن فراغ دينى رهيب جعله فريسة للاستعمار الثقافى بعد الاستعمار العسكرى .

وفيه دعوة الى الأمة الاسلامية أن تلم شعثها ، وتصلح شأنها ، وتنقى منابع ثقافتها ، وتفقه الطور الانسانى الذى تجتازه ويجتازه معها الآخرون .

والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة ، والناشر مكتبة الأمل — السالمية — الكويت .

القومية والغزو الفكرى — أخطر من النكسة

كلاهما من تأليف الكاتب المعروف الأستاذ محمد جلال كشك ، تناول فى الاول نشوء الدولة العثمانية ثم سقوطها لتحديد العلاقة السليمة بين العروبة والاسلام .

وهذا البحث ينظر الى القومية كعلاقة نضالية ضد الاستعمار الغربى الذى يعتبر العدو الأول للعرب والمسلمين . وقد ركز المؤلف فى هذه الدراسة على الحركات القومية فى آسيا العربية وأكد الترابط القوى بين العروبة والاسلام .

والكتاب يحتوى على ٣٧٦ صفحة ، وقامت بنشره مكتبة الأمل — الكويت .

أما الكتاب الثانى — أخطر من النكسة — فهو آخر ما أخرجته مكتبة الأمل وهو كتاب صغير لكنه « كالرادار » يكشف كثيرا من الكتاب والموجهين العرب ويبين كيف يتجهون بأخلاقهم ومخططاتهم بعيدا عن خدمة أهداف الأمة العربية ، من الضرورى أن يطلع عليه كل قارىء مهتم بشئون أمته .

الظـاهرة القرآنية

الطبعة الثالثة لهذا الكتاب القيم الذى ألفه الأستاذ مالك بن نبى وترجمه الاستاذ عبد الصبور شاهين ، يبحث فى الظواهر الدينية والخصائص الظاهرية للوحى ويتعرض لموضوعات ومواقف قرآنية ، ويبين القيمة الاجتماعية لأفكار القرآن والكتاب من ٣٦٤ صفحة ومن طبع دار الفكر ببيروت

الفكر الاسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية

من تأليف الأستاذ محمد المبارك ، والكتاب ليس كتابا تقليديا ينقسم الى فصول وأبواب وانما عرض من غير ترتيب مصنوع لعدة موضوعات تتصل بالاسلام والمجتمع الاسلامى والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة ، ومن صنع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع فى بيروت .

الدين والحيـاة

من تأليف العالم الأزهرى الشيخ محمود البرشومى الواعظ العام فى العراق وقد أصدرته وزارة الثقافة والارشاد بالجمهورية العراقية — والكتاب يحتوى على مجموعة كبيرة من الموضوعات التى تتعلق بالمجتمع والحياة والاصلاح ، يقع فى ٢٩٦ صفحة ، ومن طبع دار الجمهورية ببغداد .

القرآن والعـلم

كتاب من تأليف الدكتور جمال الدين الفندى رئيس قسم الفلك وأستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة ، وهو تفسير لآيات القرآن الكريم التى تدخل تحت نطاق العلوم متبعا الأسلوب السهل ، مبينا الحقائق العلمية الثابتة التى وردت فى القرآن الكريم ، كما عرفه القراء فى مقالاته ، والكتاب يضم ٣٧٦ صفحة ، وقامت بطبعه دار المعرفة بالقاهرة .

أخبار العالم الإسلامي

أعدها: عبد المعطي بيومي

الكويت :

● قام سمو أمير البلاد المعظم بزيارة للعراق تلبية لدعوة من أخيه الرئيس عارف للتباحث فى الوضع الراهن ..

● اعلنت وزارة الخارجية عن تمسك الكويت بقرارات مؤتمر الخرطوم ومواصلتها دعم الموقف العربى بكل ما تستطيع .

● تلقت الجهات المختصة من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ميثاق المعلم العربى الذى يبين ان الوطن العربى مهد الحضارات والأديان التى أسهمت فى التقدم الانسانى كما يوضح أن هدف التربية خلق جيل مؤمن بالله .

● زار الكويت وفد اسلامى من جنوب كاليفورنيا ضمن جولة يقوم بها فى الدول العربية لجمع التبرعات لانشاء مركز اسلامى هناك .

● احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تحدث فى بدء الاحتفال معالى الوزير ثم أعقبه فريق من العلماء وقد عطلت المصالح الحكومية والمؤسسات بهذه المناسبة .

● تولت وزارة الشئون الاجتماعية الاشراف على كل عمليات جمع التبرعات للمنظمات الفدائية الفلسطينية .

القاهرة :

● اتخذت وزارة التربية والتعليم عدة خطوات هامة لتدعيم التعليم الدينى .

● أهدى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية ضخمة للدول الاسلامية فى أفريقيا وشمال آسيا .

● يواصل مجلس اتحاد المعلمين العرب اجتماعاته للاعداد لمؤتمر المعلمين العرب الخامس الذى سيعقد فى تونس خلال الفترة ٢٤ ــ ٢٩ أغسطس القادم .

● وجه فضيلة شيخ الأزهر بيانا الى العالم العربى والاسلامى بمناسبة ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أشار فيه الى عظمة المبادىء النبوية فى تحرير الانسان وتحويل العالم من الشر الى الخير وذكر المسلمين جميعا بموقف اليهود العدائى من رسولنا الكريم .

السعودية :

● رصد جلالة الملك فيصل مبلغ (١٥) مليون جنيه لصالح الجيش الأردنى ..

● تلاقى جلالة الملك فيصل فى مطار جدة بجلالة شاه ايران وهو فى طريقه لزيارة الحبشة وأمريكا.

● قام مكتب البعثة التعليميه السعودية بالجزائر بانشاء مكتبة ضخمة تكون مرجعا لطلاب العلم .

● انشأت وزارة المعارف قسما للدراسات العليا فى كلية الشريعة بمكة المكرمة وسيفتح من العام القادم .

العـــراق :

● أرسى الرئيس عارف الحجر الأساسى لجامعة الموصل .

● سيقوم وفد من علماء الاسلام بالعراق للاتصال بكبار علماء المسلمين فى العالم للاشتراك فى الدورة الجديدة للمؤتمر الاسلامى العراقى الذى سيعالج دعم الوحدة الاسلامية كما يبحث موضوع انتهاك مقدسات الاسلام .

الأردن :

● اشتدت هجمات الفدائيين العرب على معسكرات العدو الاسرائيلى ومنشآته .

● أعلن السيد روحى الخطيب رئيس بلدية القدس العربية أن اسرائيل صادرت مساحات كبيرة من الأراضى والعقارات العربية فى القدس مما سيؤدى الى اجلاء أكثر من ستة آلاف عربى عن المدينة وان اسرائيل تنفذ خطة غادرة لتهويد القدس .

● تسلمت الحكومة الأردنية من حكومة قطر نصف مليون جنيه استرلينى لصالح المجهود العربى.

● حطم العرب فى مدينة القدس لافتات أسماء الشوارع العبرية وقد انطلقت المظـــاهرات من المسجد الأقصى فى ذكرى المولد النبوى وقد أصيب (١٥) عربيا بنيران الاحتلال الصهيونى .

● قتل العدو بنيرانه بعض الفتيات المتظاهرات فى غزة ضد الاحتلال الغادر .

لبنـــان :

● قام وفد اسلامى لبنانى برأسه فضيلة الشيخ حسن خالد بزيارة الى العراق .

● استنكرت كل الهيآت فى لبنان محاولة اغتيال السيد كميل شمعون .

السودان :

● اجتمعت الجمعية التأسيسية الجديدة وجددت اختيار السيد الأزهرى رئيسا لمجلس السيادة كما اختارت السيد محجوب ليستمر رئيسا للوزارة الجديدة .

ليبيـــا :

● استقبلت ليبيا الوفد الاسلامى القادم من جنوب كليفورنيا لجمع تبرعات لانشاء مركز اسلامى هناك . وقد اهتم المسئولون والشعب بهذا الموضوع وبدأوا جمع تبرعات سخية له ..

تـــونس :

● أقيم فى تونس أسبوع ثقافى مغربى شارك فى افتتاحه وزير الثقافة المغربى وقد عرضت فيه نوادر المخطوطات من التراث العربى الاسلامى كما عرضت فيه الطوابع البريدية .

الجـــزائر :

● صرح الوفد الصحفى الجزائرى فى حفل استقبال أقامه معهد البحوث الاسلامية فى دلهى الجديدة أن ثورة الجزائر كانت مستمدة من تعاليم الاسلام .

باكستان :

● صرح الشيخ عبد الله رئيس وزراء كشمير الأسبق بأن مشكلة كشمير هى كالسرطان الذى ينهش فى جسم الهند ، وأعلن أن استقلال كشمير هو أفضل حل للمشكلة .

● ستقوم لجنة كراتشى فى المجلس البـــاكستانى لتعليم القرآن بدراسة اقتراح اصـــدار كتب ومطبوعات دينية تساعد الأمهات على تقوية الروح الاسلامية فى نفوس النشء .

ايـــران :

● قام جلالة شاه ايران بزيارة لأثيوبيا ثم الولايات المتحدة ..

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة — ص.ب ١٩ — السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — عمارة ابن الملوح — ص.ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى — السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب ٧٦ — السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — المنامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ — حضرموت — مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان — ص.ب ٢٦١ — السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكش : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة العربية — السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ — السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ — السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

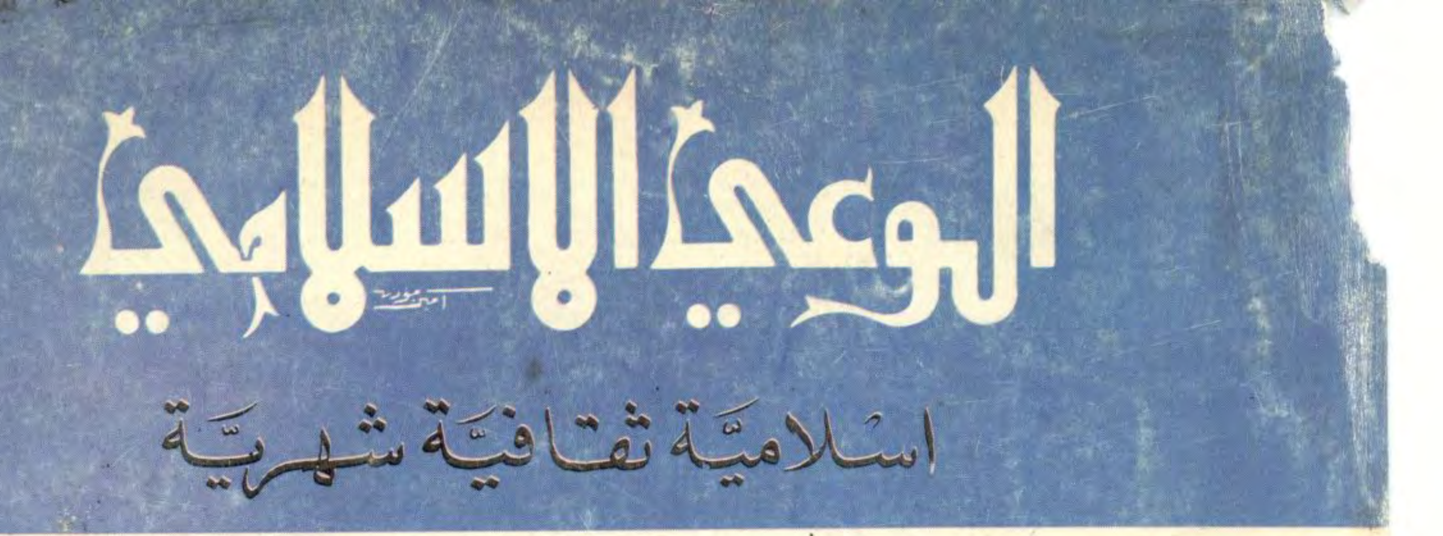
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



صورة الامام القرافى كما تخيلهـــا الأستاذ عبد المجيد وافى .

انظر مقاله عن الامام فى هذا العدد . . .

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت



السنة الرابعة — العدد الحادي والاربعون — غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٨ هـ — ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٦٨ م



اقامت اللجنة الهندية للقضايا العربية فى ٥ حزيران (يونيو) الماضى مؤتمرا بمناسبة مرور عام على الاعتداء الاسرائيلى ، وفى الصورة العليا مستر كرانجيا رئيس تحرير مجلة بلتز يلقى كلمة بهذه المناسبة ، وتحتها مستر كريشنا مينون يلقى كلمته .. ونحن نقدر كل صوت يقف مع قضيتنا العادلة ، ونأسف فى الوقت نفسه للموقف الذى وقفه رئيس رابطة شباب السيخ فى الهند حين اهدى الوزير الاسرائيلى سيفا لتقديمه الى موشى دايان تقديرا لبطولته !!

صورة الغلاف



مدرسة الشويخ الثانوية أول وأضخم مدرسة بالكويت ، افتتحت الدراسة فيها سنة ١٩٥٣ ، وهى تقوم على مساحة واسعة تشمل أماكن الدراسة ومساكن الطلاب والاساتذة وقاعة للمحاضرات ونايا وحماما للسباحة وساحات لمختلف أنواع الرياضة ، وهى تطل على الخليج .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادى والاربعون

ـ السنة الرابعة ـ

غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٨ هـ

٢٦ يوليو « تموز » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

قبل ان تبدو امام الراى العام العالمى ظاهرة التمرد العالمية لطلاب الجامعات كتبت حديثى اليك عن : « أبنائنا وبناتنا » وعن ظاهرة التمرد التى يشكو منها الآباء والمربون ، وتناولت فى حديثى بعض الأسباب التى شاركت وتشارك فى صنع هذه الظاهرة فى مجتمعاتنا . .

وتوجيه الشباب واعدادهم هو — كما قلت — : « ليس امر صفقة تجارية تربح أو تخسر ، أو زرعة تنمو أو تبور ، وانما هو امر الجيل القادم ، الذى سيأخذ على عاتقه مسئوليات هذه الأمة ، ويعطيها من نفسه ما يجدد شخصيتها وملامحها ، وما يصلها بتراثها وامجادها ، ويحفظ عليها كيانها . . » .

لذلك أرى من الضرورى أن أتحدث معك الآن أيضا عن هذا الأمر المهم الفاصل فى مصير أمتنا . .

ولقد قلت فى حديثى الماضى كلاما احب ان اضعه امام القارىء هنا للمرة الثانية . .

« ليس من المقبول ان يسمع الابن فى البيت من التوجيه الدينى والخلقى ما يجده موضع استخفاف فيما يقرؤه لبعض الكتاب ، أو يراه فى بعض التمثيليات والأفلام » .

« وليس من امانة الرعاية التى وضعها الله فى عنق الحكام أن تترك أية حكومة اسلامية فى اى بلد اسلامى الجيل الجديد من أبنائها نهبا سائغا لبعض الموجهين ، الذين لا هم لهم الا عزل الشباب عن دينهم وتعاليمه وأخلاقه » .

« ليس مقبولا ان نسمع من القادة حرصا على أخلاق الأمة ، وتكوين جيل سليم الخلق ، ثم نرى معاول الهدم تنهال تحت سمعهم وبصرهم على أخلاق الأمة وبنيان الشباب » .

ولم أكن فى هذا الكلام اعبر عن راى شخصى فحسب ، ولكنى كنت اعبر عن راى عام يلح فى فرض نفسه على حياتنا لتسير سيرتها الطبيعية ، ولكنه يجد الصدود والاهمال ، ان لم تكن المعارضة الصريحة او المتسترة . .

ودعونا نتصارح فان الأمر امر امة لا امر اشخاص ، يحكمون زمنا ، ثم يطويهم التاريخ فى سجلاته ، كما طوى الكثيرين من قبلهم ، ومن مصلحتهم ان تكون ذكراهم حديثا حسنا لمن وعى . .

ان الأمة لا تصدق ابدا اى انسان يعلن حرصه على مصلحتها وعلى رقيها ونهضتها ، فى الوقت الذى يهمل فيه — أو يعارض — تغلغل الروح والتعاليم الدينية فيها . .

ويخدع نفسه ، ذلك الذى يظن أن سكوت الأمة عن اهمال هذه الروح ،

او الوقوف فى وجهها ، يعبر عن رضاها وموافقتها . .
ويخدع نفسه كذلك ، ذلك الذى يظن أن هناك بديلا عن الروح الدينية يكون له الاثر المطلوب فى رقى الأمة ونهضتها ، وتماسكها فى رخائها وشدتها . .
يخدع نفسه ، ويضيع وقته ووقت أمته ، ويشوه تاريخه . .
لأن هذه الأمة لم تجتمع الا بالدين ، ولم تنهض الا بالدين . . ولا يمكن أن تنهض وتجتمع الا به . .
ورحم الله العلامة ابن خلدون الذى عنى بهـــذه الحقيقة ، وأبرزها ، حين قال فى مقدمته على طريقته التحليلية فى فصل جعل عنوانه « العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين بالجملة » :
« والسبب أنهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة ، وبعد الهمة ، والمنافسة فى الرئاسة ، فقلما تجتمع أهواؤهم . فاذا كان الدين بالنبوءة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشـــــملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة ، الوازع عن التحاسد والتنافس ، فاذا كان فيهم النبى أو الولى الذى يبعثهم على القيام بامر الله ، يذهب عنهم مذمومات الأخلاق ، ويأخذهم بمحمودها ، ويؤلف كلمتهم لاظهـــار الحق ، تم اجتماعهم ، وحصل لهم التغلب والملك . وهم مع ذلك اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق » .
وابن خلدون فى هذا يمزج ايمـــــانه العميق ، بعلمه الدقيق ، ومعرفته النفسية بالطبائع والنفسيات ، ويصل الى هذه النتيجة .
ونحن نعرف أن الدين اقوى وسيلة للتجمع ، سواء أكان القوم عربا أم غير عرب ، نعرف هذا ونؤمن به أفرادا وجماعات ، الا شواذ تنفيهم طبيعة أمتهم . .
وان كانت هـــــذه المعرفة ـــ مع الأسف ـــ قد حال بينها وبين الخروج الى عالم الواقع ، غشاوة على القلوب ، ورخاوة فى العزائم . .
ولهذا رحبت كثيرا بما جاء فى تقرير اللجنة الوزارية التى تألفت فى مصر ، لبحث طرق الاصلاح فى الدولة ، وهى تقول تحت عنوان : « دعم القيم الروحية والخلقية » :
« ان غرس المثل العليا والقيم الخلقية فى نفوس المواطنين يعين على تحقيق كل اسباب النهوض والارتقاء بالشعب ، نحو ما نبتغيه له من أمن وســـــعادة ورخاء . والسبيل الى ذلك :
١ ـــ الاهتمام بالتربية الدينية فى دور التعـــليم فى مرحلته العامة ، حتى نخلق لدى الناشئين الوازع لأداء الواجب ، واستعذاب الاستشهاد ، دفاعا عن الوطن ، وتحصينهم من كل صنوف التحلل والانحراف ، على أن يجرى تدريسها باسلوب يربط بين الدين والواقع الاجتماعى والحياة العلمية العصرية . .
٢ ـــ منع تداول كتب الاثارة الجنسية التى توجه اهتمامات الشـــباب نحو

المفاسد والغرائز الدنيا ، واحكام الرقابة على الأفلام السينمائية والتليفزيونية التي تقدم صورا من الانحرافات ، ونماذج من البشر ، تؤثر تأثيرا ضارا في تشكيل المواطنين ، وتوحي اليهم بتصورات وتصرفات ، تنطوى على الابتذال والاستهتار ، مما قد يصل احيانا الى مرتبة الاجرام » .

وهذا الذى قررته اللجنة الوزارية يتلاقى فى جملته مع ما سبق أن قلته ، ولفت الأنظار اليه فى حديثى الماضى .. وان كنت لم أسترح الى ما ذكرته اللجنة من قصر (التربية الدينية فى دور التعليم على مرحلته العامة) لأن التربية الدينية يجب أن تنمو مع نمو التلميذ حتى يصل الى أعلى المستويات فى تلقيه العلم .. لأن لكل دور ما يناسبه من معلومات وتوجيهات .. والتلميذ فى مرحلة التعليم العامة قد لا يصل الى المستوى الذى يمكن أن نعرض عليه ، أو نناقش معه القضايا العامة للاسلام كطالب الجامعة ، الذى يتفتح ذهنه ، وتكثر المشكلات أمامه ، ويطلع على نظريات وشبهات ، ويحتاج الى شرحها ، أو ازالتها .. وهو فى هذه المرحلة يكون أشد حاجة الى فهم دينه ومبادئه فى الحياة أكثر من حاجة التلميذ فى المرحلة العامة ..

فكيف نتركه اذن فى هذه المرحلة الخطيرة من تفتح الذهن ، وتكون الشخصية ، هدفا سهلا لحملات التشكيك والتضليل ؟

ومن أجل هذا سررت بما جاء فى توصيات اللجنة الوزارية المشكلة لاعادة النظر فى مناهج وكتب التربية الدينية ، على ضوء ما اقترحته لجنة الاصلاح ، من ضرورة العناية بتدريس مادة الدين : منهجا واستاذا ، فى جميع مراحل التعليم بما فيها الجامعات والمعاهد العليا ، لأن هذا هو الذى يتفق مع طبيعة الاصلاح المنشود ، ان كنا جادين فعلا فى هذا الاصلاح ..

على أن الأمر ليس أمر تقرير يوضع ، أو لجان تتخذ قرارات أو توصيات ، أو أمر بلد اسلامى دون بلد آخر ..

بل ان الموضوع ليس موضوع دراسة الدين فى المدارس والجامعات ، والوقوف عند هذا الحد ..

لا .. ان الموضوع الذى يجب أن يأخذ منا اهتمامنا وعنايتنا هو أن تلتزم الدولة باتجاه اسلامى ، لا فى تدريس مادة الدين وحسب ، بل فى كل تصرف .. وقرار .. وعمل .. بحيث يكون مظهرا عاما للدولة ، وخطة تحرسها من الخدش ، وتغار عليها من العبث ، كما نرى فى بعض الدول المذهبية التى تتخذ لها مذهبا فى الحياة ، تجعل ولاءها كله له .

يجب أن يكون لدى الحكومات الاسلامية كلها منهج اسلامى واضح ، تتقيد به ، ويقوم على الولاء الفعلى — لا القولى — للاسلام ، بقدر ما تمكننا منه الظروف ، التى لا نستطيع التغلب عليها أحيانا ..

اننا لا نطلب من الحكومات — وهى صاحبة السلطة القادرة على التنفيذ —

ان تخضع ــ فورا ــ كل شيء فيها ، وكل مرفق من مرافق الحياة عنـــدها ، لتعاليم الاسلام ومبادئه ، لأننا بذلك نكون متعنتين ، وغير مقدرين ، ولا بصيرين بالحياة وظروفها . .

ولكنا نريد ونطالب ، ونلح في المطالبة بولائها الفعلى للاســلام ، وتحديد اتجاهها نحوه ، ثم تسير في هذا الاتجاه ، تنفذ وتطبق ما تستطيع تطبيقه وتنفيذه ــ وهو كثير ــ وتأخذ مع ذلك في تهيئة الجو لتقــدم أكثر في مجــال التطبيق والتنفيذ . .

اننا ندرك الصعاب التي تعترض طريق الاسلام في بلاد الاســلام ، والتي هي ــ مع الأسف ــ من صنع أهله وغير أهله !!

ولسنا تجار كلام ، أو تجار دين ، ولسنا ممن يهوون وضع الألغام في طريق العاملين .

ولكنا مع ايماننا العميق بالاســلام ، وقدرته على صنع الحياة الفاضلة الناهضة الراقية المنتجة ، نؤمن بأن التدرج في الاصلاح يفرض نفسه أحيانا ، ويــكون ضرورة لا بد منها ، كضرورته في علاج المريض ، وانه كان ــ لذلك ــ الطريق الالهي الحكيم لارساء دعائم الاسلام ، وفرض تعاليمه في بيئته الأولى ، ولسنا في ذلك مبتدعين بل متبعين ، ولسنا متهاونين بل حريصين .

ويكفينا شاهدا ومساندا . . ما رواه الامام الشــاطبي في الموافقات عن خامس الخلفاء الراشدين ، الخليفة الزاهد الورع : عمر بن عبد العزيز ، وقد جاءه ابنه عبد الملك يقول له ــ في حماس المؤمن المخلص :

« مالك لا تنفــذ الأمور ؟ فوالله ما أبالي لو أن القــدور غلت بي وبك في الحق » .

فقال له أبوه الخليفة الورع :

« لا تعجل يا بني ، فان الله ذم الخمر في القــرآن مرتين ، وحرمها في الثالثة ، واني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة » . مع الفرق الشاسع بين أيامنا وأيامه .

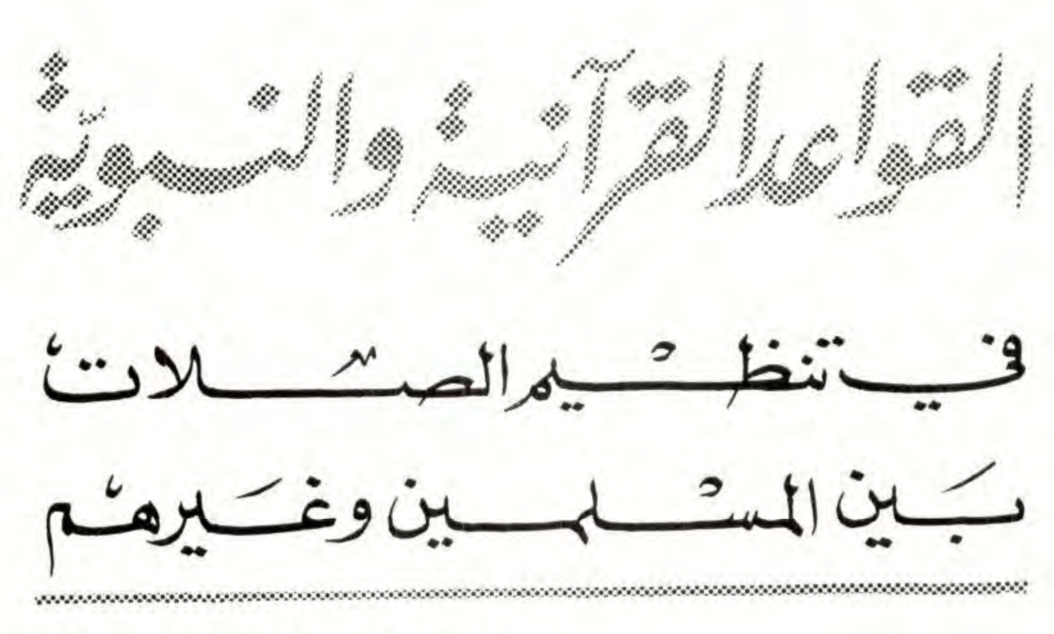
أومن بهــذا ــ ولو أنه قد لا يرضى بعض المتحمسين ــ لأنه هو طريق الاصلاح الســليم في ظروف كظروف مجتمعنا الذي ابتعد كثيرا في حياته عن تعاليم الاسلام وروحه ، وارتبط بغيره في أعماله وأفكاره . .

ولأنني أعتقد أننا بهــذا نفتح الطريق لمن يريد أن يعمل ، ويبرهن على اخلاصه وحسن نواياه . .

والله يهدي الى الحق والى طريق مستقيم .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة



للأستاذ : محمد عزة دروزة - دمشق

فى كتاب الله وسنة رسـولـه نصوص كثيرة تلهم قواعد عديدة فى تنظيم صلات المسلمين بغيرهم . فيها من الانصاف والحق والروعة ما يعد من مرشحات الاسلام للشمول والخلود .

والمستلهم منهما أن غير المسلمين بالنسبة للمسلمين أربع فئات . وهى : الأعداء . والمسالمون . والمعاهدون . والخاضعون .

صفات الفئة الاولى وواجب المسلمين ازاءهم :

والأعداء هم الذين يقـاتلون المسلمين . ويكيدون لهم . ويطعنون فى دينهم ، ويصدون عن الدعوة اليه ، ويمنعون حرية التدين به ، ويفتنون المسلمين عنـه ، ويظلمون المسـتضعفين منهم ، وينكثون ايمانهم وعهـودهم معهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ويبيتون لهم الغـدر والخيـانة ، ويظاهرون عليهم أعداءهم ، ويتآمرون عليهم معهم ، ويضيقون عليهم حتى يخرجوهم من ديارهم ، ويعتدون على أموالهم وأعراضهم ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسـوله ، ولا يدينون دين الحق على ما جاء فى آيات سـورة البقرة ١٩٠ ــ ١٩٤ و ٢١٧ وسورة النساء ٧٢ ــ ٧٦ و ٩١ و ٩٤ ــ ١٠٤ وسـورة الأنفال ١٥ ــ ١٦ و ٣٨ ــ ٤٠ و ٥٥ ــ ٦٠ وسـورة التوبة ١ ــ ١٥ و ٢٩ والحج ٣٩ ــ ٤١ ومحمد ١ ــ ٤(١) .

فكل من فعل واحدا من هذه الأفعال أو أكثر ، وجب على المسـلمين قتاله ومطاردته ، بدون هوادة ولا تهاون ، وبكل وسـيلة ، وفى كل ظرف وموقف ،

(١) اكتفينا بذكر أسماء السور وأرقام الآيات لأن حجم المقال والمجلة لا يتسع للنصـوص . ويحسن بالقارىء أن يقرأ الآيات من المصحف أثناء قراءته المقـال حيث يجعله ذلك أكثر استيعابا للموضوع .

ولو كان فى المسجد الحرام ، والشـــهر الحرام ، الى أن ينتهى من موقفه ويدين بالاسلام أو يخضع للسلطان الاسلامى ، ويؤدى اليه الجزية ، أو يقوم بينه وبين المسلمين عهد صلح ، واذا دان بالاسلام أصبح اخا للمسلمين ، وغفر له ما قد سلف . على ما جاء فى الآيات المذكورة .

ونعتقد أن أوصاف العـــدو المذكورة التى هى من موجبات القتـال فى الاسلام تحسم الجدل الذى يثور أحيانا بين الباحثين فى حد الجهاد الاسلامى . فالقول بأنه للدفاع والمقابلة بالمثل صحيح ، أى أنه ليس قاصرا على سبب قتال الكفار للمسلمين فعلا . بل انه واجب وســـائغ ازاء كل فعل وموقف آخر من الأفعال والمواقف التى عددناها غير القتال الفعلى ، وكل منصف عاقل لا يمكن الا أن يرى كل موقف وفعل من هذه المواقف والأفعال موجبا للقتال حتما الى أن ينتهى صاحبها منها .

ولقد روى الخمسة الا البخـارى عن بريدة قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصــاه فى خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال : اغزوا باسم الله فى ســـبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصـال ، فأيتهن مما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاســلام ، فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دراهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم ، فان أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المســلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجـرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا أن يجاهدوا مع المسلمين . فان أبوا فسلهم الجزية . فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاســتعن بالله وقاتلهم . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذلك ، واجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوا أن تنزلهم على حكم الله فلا تقبل منهم ، ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا[1] » .

والحديث يصف الذين كان يســير النبى صلى الله عليه وسلم جيوشه وسراياه اليهم بصفة (عدوكم من المشركين) تلك العداوة التى يكون اتصف بها بأحد الافعال التى ذكرناها .

أما العدو من أهل الكتاب فآية ســورة التوبة هذه : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (آية ٢٩) قد احتوت موجبات قتالهم والكف عنهم فى حالة عدم اعتناقهم الاســلام اذا خضعوا للمسلمين وأدوا الجزية . وحرف (من) التبعيضى فى الآية يجعل أمر قتال أهل الكتاب خاصا بطوائف منهم تتصف باحدى الصفات المذكورة فيها .. وقد أول بعض المؤولين من أصحاب رسول الله وتابعيهم هذه الصفات بأنها فى

---

(١) ظاهر أن النبى صلى الله عليه وسلم فى نهيه عن اعطاء ذمة الله ورسوله وانزالهم على حكم الله محتاط لئلا يبدو من المســلمين ما يناقض ذلك فيقعوا فى الحرج ازاء الله ورســوله وازاء أعدائهم . وفى هذا ما فيه من حكمة سياسية باهرة .

صدد بيان انحراف هذه الطوائف عما حرمه الله عليهم ورسله وكتبه اليهم وعدم اعترافهم بالحق لأهله ، وعدم التزامهم به مع عدم الايمان الصادق بالله واليوم الآخر . وهذه الصفات يمكن أن لا تكون صفات أهل الكتاب جميعهم . وهذا تأويل سديد يكون به الطوائف المأمور بقتالها اعداء للمسلمين . ومن تحصيل الحاصل أن يقال مع هذا ان الآيات التى تعدد الصفات والمواقف التى توجب قتال من يتصف بها تنسحب على الكتابيين أيضا . وقد يلمح ذلك فى آية التوبة .

فرضية القتال :

وقتال الأعداء فرض صريح فى القرآن كما جاء فى آية سورة البقرة هذه (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٢١٦) وقد انطوى فيها تعليل قوى نافذ الى القلوب والعقول . ولقد روى أبو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا . والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا وان عمل الكبائر) .

والحديث ذو مغزى عظيم ، وحكمته بالغة ، فلا يصح لمسلم أن يتحجج بأية حجة للتهرب من الفرض الواجب عليه . وفى سورة التوبة آيات مهمة جدا فى بابها وهى : (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير ..) (٣٨ — ٣٩) .

وجمهور العلماء يصفون فرض الجهاد بأنه فرض كفاية اذا قام به بعض المسلمين سقط عن باقيهم . استنادا الى بعض الآيات والأحاديث . من ذلك آية سورة التوبة هذه : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١١٢) ومن ذلك حديث رواه الخمسة عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه : (اذا استنفرتم فانفروا) .

وقد يكون القول متسقا مع طبائع الأشياء . فليس من الضرورى ولا من المعقول أن يشترك جميع المكلفين من المسلمين من رجال ونساء وفتيان وشيوخ فى الجهاد كما هو الأمر فى الصلاة والصيام . غير أن هذا لا ينبغى أن يعنى ولا أن يوهم أن قوة فرض الجهاد أخف من قوة فرض الأركان الأخرى . فضلا عن خطر أثره فى حياة المسلمين الخاصة والعامة الذى يفوق أثر الأركان الاخرى فى هذه الحياة . وكل ما هناك أنه ركن اجتماعى وليس ركنا شخصيا . فاذا دعت الحاجة اليه لغاياته المقررة وجب على المسلمين المكلفين من رجال ونساء وفتيان وشيوخ أن يقوموا بواجباتهم بالقدر الذى يكفى لتحقيق الغاية سعة أو ضيقا ، وكل حسب ما يستطيع على اختلاف وجوه الاستطاعة ، مع فضل عظيم يقرره القرآن للمجاهد على القاعد اذا كانت الحالة تسمح له بالقعود ، ولم يكن قعوده تهربا من واجب الجهاد على ما جاء فى آية سورة النساء هذه : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة

وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القـــاعدين أجرا عظيما) فاذا قصروا عن ذلك القدر الكافى اثم المقصرون والمتقاعسون اثم عدم القيـام بفرض خطير من فروض الدين وأركانه ، فضلا عما لتقصيرهم من آثار خطيرة فى حياتهم العامة والخاصة .

ولقد كان بعض المسلمين ومرضى القلوب والمنافقين يتقاعسون عن النفرة الى الجهاد ، ويثبطون ويبطئون ويعوقون عنه ، ويعتذرون بالأعذار الواهية ، فكانت تنزل الآيات القرآنية بالتنـــديد بهم ، وفضـــحهم بأســـلوب قارع قاصم مما هو مبثوث فى سور عديدة منها آيات سورة النساء ٧٢ ــ ٨٣ و ٩٧ وسورة الأنفال ٥ ــ ٨ وسورة التوبة ٣٨ ــ ٧٣ و ٨١ ــ ٩٦ و ١٢٠ ــ ١٢١ وسورة الأحزاب ٩ ــ ٢٥ وســـورة محمد ٢٠ ــ ٢٣ و ٣٧ و ٣٨ وســـورة الصف ٢ ــ ٤ .

وبالاضـــافة الى هــذه الآيات القارعة القاصـــمة فى حق المتقاعسين والمتباطئين والمعوقين والمعتذرين بالاعذار الواهية ففى القرآن آيات كثيرة فيها حث على الجهاد بالمال والنفس فى سبيل الله ، وتنويه بالمجاهدين ، وتبشير لهم بالنصر ، وايذان للمسلمين بأنهم باسلامهم قد باعوا أنفسهم وأموالهم لله مقابل الجنة ليقتلوا ويقتلوا ، وتبشير للشهداء . وتصـبير للمســلمين على مكاره القتال . وتنبيه الى أنه لا يقدم الأجل ، وأن التخلف عنه لا يؤخره . وتقرير بأنه عنوان على صدق ايمـــان المسلم واخلاصه لدينه ، كما جاء فى آيات البقرة ١٥٣ ــ ١٥٧ و ١٩٠ ــ ١٩٥ و ٢١٨ وآل عمران ١٣٩ ــ ١٤٨ و ١٥٧ و ١٦٩ ــ ١٧٨ و ١٨٦ و ١٩٥ و ٢٠٠ والنساء ٧١ ــ ٧٩ و ١٠٠ و ١٠٤ والمائدة ٥٤ والأنفال ٦٠ و ٦٥ و ٦٦ والتوبة ١ ــ ١٥ و ١٩ ــ ٢٤ و ١١١ ، ١١٩ ــ ١٢٣ والأحزاب ٢٢ ــ ٢٣ والصف ١٠ ــ ١٤ حيث يبدو من ذلك العناية العظمى التى أعارها القرآن لهذا الفرض الخطير . وحكمة ذلك واضحة . فهو السبيل الأمثل والأوحد لحماية الاسلام والمسلمين وضمان الحرية والعزة والكرامة لهم ، وردع أعدائهم وارهابهم اذا ما اقتضته الظروف .

ولقد أثرت أحاديث نبوية عديدة متساوقة مع ما احتوته الآيات . من ذلك حديث رواه مسلم والبخارى عن أبى هريرة جاء فيه (والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل) .

وحديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم (لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب)

وحديث رواه الخمسة جاء فيه (سئل النبى صلى الله عليه وســـلم أى الناس أفضل ؟ قال مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله) .

وحديث رواه البخارى والنسائى والترمذى جاء فيه (ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار) .

وحديث رواه مسلم وابو داود جاء فيه (من مات ولم يغز ولم يحـدث به نفسه مات على شعبة من نفاق) .

وحديث رواه الخمسة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع الى الدنيا وأن له الدنيا وما فيهـا الا الشهيد لما يرى من فضل الشـــهادة . فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل

مرة اخرى) وفى رواية (غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .

وحديث رواه ابو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان او فاجرا) .

وحديث رواه ابو داود ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها . فقال قائل ومن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : بل انتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) .

نقاط يحسن عرضها وتجليتها فى هذه المناسبة :

١ — فى سورة محمد هذه الآية (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . .) والآية تفيد أن قتال الأعداء ليس للابادة ، وانما هو للارغام والقهر ، وجعل الأعداء عاجزين عن الأذى ، وأن من واجب المسلمين أن يكفوا عن قتلهم اذا ما تم ذلك .

٢ — فى سورة الأنفال هذه الآية (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) والآية تفيد أن من واجب المسلمين أن يجنحوا للسلم والصلح اذا ما جنح اليهما العدو ويكفوا عن قتاله . ويأتى بعد هذه الآية آية ذات مغزى بعيد فى بابها وهى (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله . .) حيث تفيد أن ما يمكن أن يرد على البال من احتمال كون جنوح العدو للسلم خداعا أو كسبا للوقت ينبغى أن لا تمنع مقابلة جنوحه للسلم بالمثل .
والآيات تفيد أولا : ان القتال ليس لاجبار العدو على الاسلام . وثانيا : انه ليس غاية وانما هو وسيلة فاذا تحققت غايته وهو منع أذى العدو حصل المقصود .

وهناك من قال ان الآيات منسوخة . ونحن نتوقف فى هذا . فليس هناك حديث وثيق يفيد ذلك أولا ، وثانيا ان النبى صلى الله عليه وسلم ظل يعمل بها طيلة حياته . ومن ذلك الصلح الذى عقده مع قريش المعروف بصلح الحديبية .
ومن ذلك ما تفيده آيات سورة التوبة هذه : « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا . . » وهذه (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) وسورة التوبة من آخر ما نزل من القرآن .

استدراك مهم . .

ومن الواجب أن نستدرك أمرا فى مسالة الصلح . فهذه انما تنطبق على عدو له وجود وكيان وبلاد يعيش فيها قبل أن يصبح عدوا للمسلمين . أما اليهود فى فلسطين فانهم لم يكن لهم فيها وجود وكيان ، وانما جاءوا اليها من بلاد اجنبية مختلفة غزاة ، وساعدهم طواغيت الاستعمار ، فاغتصبوها بالنار والحديد من أهلها المسلمين والعرب ، وأقاموا عليها دولتهم بعد أن قاتلوا العرب ، واقترفوا معهم كل جريمة ، وسفكوا دماءهم ، وهتكوا أعراضهم ، وقتلوا أطفالهم ونساءهم وشيوخهم ، ومثلوا بهم أبشع تمثيل ، ودنسوا مقدساتهم ، وشردوهم عن مواطنهم ، واستولوا على أموالهم وأملاكهم . ولذلك

فان مقابلة جنوحهم الى السلم لا تجب على المسلمين ، لأنهم انما يفعلون ذلك على أساس احتفاظهم بما اغتصبوه من وطن المسلمين وأموالهم وأملاكهم وبدولتهم التى أقاموها على أنقاضهم .

وهم فى موقفهم هذا صاروا أشد أعداء العرب والمسلمين . وظهرت بذلك معجزة القرآن مرة أخرى بعد أن ظهرت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بوصفه اياهم بأشد الناس عداوة للذين آمنوا .

وصار من واجب جميع المسلمين أن يقاتلوهم بكل قوة وشدة ، وبدون هوادة ولا تهاون ، حتى ينتقموا منهم ، ويشتتوا شملهم ، ويقوضوا دولتهم ، ويستردوا أموالهم وأراضيهم ، ويطهروا الأرض من رجسهم ، ويعيدوا لها صبغتها العربية الاسلامية . وكل تهاون فى ذلك وتخاذل عنه ، وتسامح فيه ، اثم عند الله عظيم ، وخطر على الاسلام والمسلمين وبلادهم جسيم .

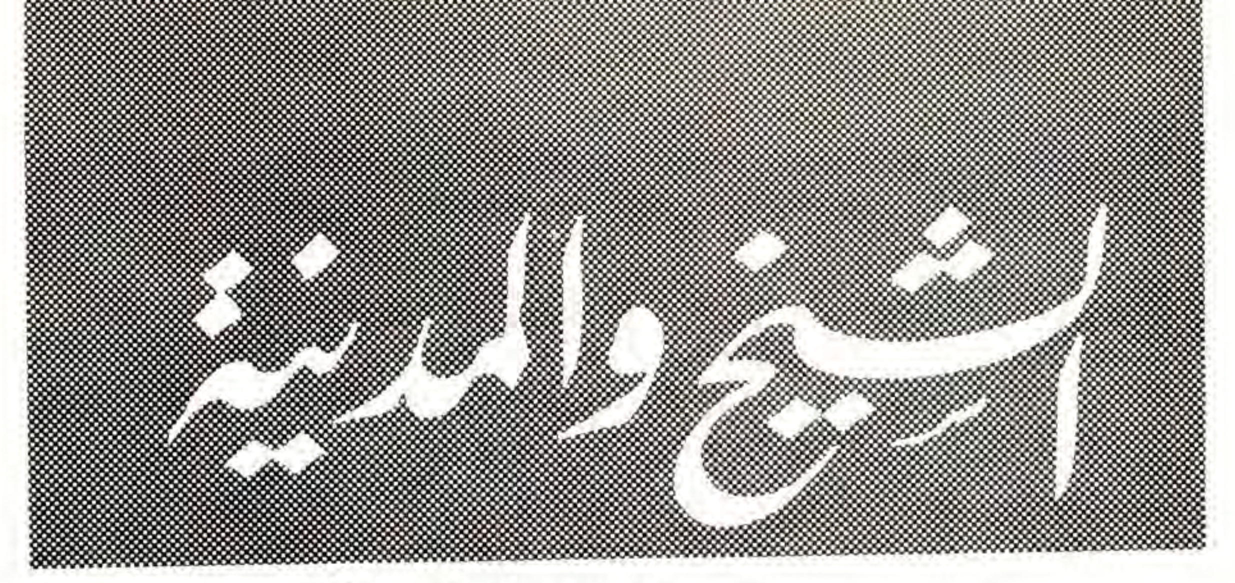
٣ ــ وفى سورة البقرة هذه الآية (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) وفى سورة الأنفال هذه الآية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) . حيث ينطوى فى الآيات تلقين عظيم المدى بوجوب بذل المال المقتضى لاعداد القوة على أنواعها ، وبأوسع قياس يمكن ، لأن ذلك من شأنه أن يرهب الأعداء المعروفين وغير المعروفين ، وقد يغنى عن القتال الذى هو وسيلة لا غاية . وبأن التقصير فى ذلك مؤد بالمسلمين والاسلام الى التهلكة ..

٤ ــ فى سورة النساء هذه الآيات : (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل اللله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما . وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) ثم هذه الآيات أيضا (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) وفى هذه الآيات موقف من نوع خاص وهو غير موقف المسلمين الذين لهم مكان وكيان ازاء أعداء لهم مكان وكيان كما هو واضح . فهى توجب على المسلمين الذين يكونون تحت سلطان غير مسلم ، يقف منهم موقفا ما من مواقف العدوان المذكورة ، قبل هذا ــ أن يتمردوا عليه ويقاتلوه بأية وسيلة ، ولو بالخروج من أرضه لايجاد الوسيلة الى قتاله وارغامه . وتندد بالذين يحتجون كذبا بالضعف وعدم القدرة[1] .

((للبحث بقية))

---

(١) كما تندد بالمسلمين الآخرين الذين لا يمدون يدهم للمستضعفين من اخوانهم ولا يساعدونهم فى محنتهم التى يقاسونها تحت هذا العدو الباطش بهم والآيات بذلك تتمشى مع منطق الاسلام الذى يجعل المسلمين جميعا جسدا واحدا .. يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .
((الوعى))



للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ — لو تتبعنا أخطاءنا فى هذا العصر ، فى تلك الحقبة التى نعيشها ، فى الفترة القصيرة التى مرت بنا — ومهما طالت الفترات فهى قليلة فى عمر الزمان — اقول لو تتبعنا ما وقعنا فيه من مخالفات على بساط الواقع البحث ، لألفيناها تربو على الحصر ، وتتجاوز العد ، وان هذه النتائج لهى جنى مقدمات لم نحضر زمانها ولا اجدادنا وانما تضرب فى غور الزمان الى مدى بعيد(١) ، فالأمة العربية لسانا ونسبا وموقعا ، قد حملت امانة لم تطق حملها السموات ولا الأرض ، ومضت بها هينة لينة تسوس الدنيا وتحكم أواصرها ، ونمت فى ظلها حضارات ، وبرزت فى العلوم اسماء واسماء ، وخلدت على ضوء المعرفة الحقة نتائج عقول وعقول ، وكانت ذات أثر فعال فى تطور الفكر الانسانى ونموه ، وانتقاله من مرحلة الى اخرى أرفع شأنا واعز مكانا ، وشواهد ذلك لا تحصى ، ولا تحتاج الى شاهد من أهلها ، فقد بنيت على أساسها معارف جديدة ، **وكانت مرحلة لا بد منها لكى تصل المعرفة الى ما وصلت وما ستصل اليه من تقدم وازدهار ورقى واضطراد نمو .. ذلك كان(٢) .**

٢ — ... ومع هذا بدأ المسيطرون على الأمور يلعبون على غير المسرح الحقيقى ، وناديهم لم يوصد ، ولم يمنعوا عنه ولم يذادوا عن حوضه ، مكان فسيح ، وناد مريح ، وعطاء وافر ، وبحر فيضه زاخر ، وقف الأبناء فى زماننا والأجداد فى زمانهم على السلم لا نزلوا ولا صعدوا ، تركوا الماضى وراءهم ظهريا ، فلم يصيخوا له سمعا ، ولم يلقوا اليه بالا ، وغفلوا عن الآتى ، عن الغد الذى يلاحقهم فلم يعدوا لمفاجآته عدة ، وصاروا نارا يأكل بعضها بعضا ثم يحور الجميع رمادا ! هذا .. فى اللحظات التى عاصرهم فيها وعاش قبلهم وجاء من بعدهم ، من حمل حقد الدنيا مجتمعا عملا وقولا وبناء وجدا ومذاكرات، مال يرصد ، وجمعيات تجمع شتات الرءوس الخربة(٣) لتتخذ مدرجا وسلما

---

(١) والعيب فينا اننا نكررها هى هى محورة بما يتناسب مع زمان وقوعها ، وضمير الجمع يشمل حملة الشريعة جميعا وكل مسلم من حملتها ومسئول عنها ، وان تنصل هنا فسوف لا يجد حجة تنفعه هناك .

(٢) ونامل ان يعود .

(٣) من غير المؤسسين لانهم وسيلة الهدف .

يرقى(٤) عليه الى الهدف الأصيل ، قالت تلك الطغمة الجادة والتى لبست حينا جلد الحمل على هيكل ذئاب ، لنا ميراث اغتيل ، وحق اغتصب ، ولئن ووري جانبيه التراب :. **فسننتقم من ورثته مهما بعد المدى بينه وبينهم ، فهذا مكاننا ولا بد لنا من الوصول الى غايتنا . والطرف الآخر فى غفلته ساه ، وفى هواه لاه ،** يرضى بمذاق حلو فى لحظة عابرة تعقبه مرارة الأبد ، فانتفخت بطون ، وورمت أوداج ، وانعكست فعال ، فقريب اليه يساء ، وغريب اليه يحسن ، وكان من النتائج ما وقع فى الواقع الذى — لسوء طالعنا — عاصرناه ، ومع ضعفنا حملنا آثاره ، ولكن . سننفض الغبار ، ونجلو الصدأ .

٣ — تأمل معى ما مضى — وتابعه فى الحاضر — تجد عداوة فى غير موضعها مع أهل وولد ، فهذا يفتك بأخيه لأنه يتوقع أن سيقف فى طريق ولايته، وذاك يجرد جيشا لقتال صنوه لأنه يستعجل السلطة والاقتدار ، وثالث يرسل عيونه وراء أبناء أبيه ، وينوشهم بسلاحه واحدا واحدا لخصومات متخيلة ، ووراء هذه الحوادث كلها — فى مجرى التاريخ القديم والمعاصر — عيون صغيرة ، وأجسام قميئة ، ونفوس منطوية على شر يراد بالجميع لا يستثنى ، وانما يصدم الكبير بالصغير حتى يتفتتا جميعا ، ثم يقفز هو على صدورهم ليجز رقابهم وحينذاك يخلو له الجو ليبيض ويصفر ، ففى كل مكان أمير المؤمنين ومنبر ، وتوالى الزمان صورا مكررة وفصولا معادة ، وان اختلف الجواد ومكان الحلبة فهل من مدكر .

يعيى المفكر بتاريخنا والذين ملأوا فراغه ظلالا لا حقيقة ، وان خطأ واحدا قد جر الى أخطاء ، وان بابا فتح لعدو مستتر فى زى صديق قد جنى على الأمة كلها جناية لا يمحوها كر ليل ولا مر نهار ، وانما يعفى آثارها ايمان بالله ، ثم بالحق المضاع ، وعزم وصدق وحزم ، ووفاء واقدام ، وانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، وما نحن بكافرين أبدا .

٤ — برز فى الزمان رجال لم يسمع لهم ، وضاء كتاب ثم أول وكثر تأويله وتجاوز حملته(٥) وما هم بحملته فقد حملوه ولم يحملوه — حدود ما ورد فيه ، **وهم يدعون السير على ضوء وحيه وهداه ، صدقت به السنة فانبتت من** أماكنها ، وامتدت به أيد فلم تعد الى مواضعها ، وماجت به رءوس فانفصلت عن أجسادها . . وهناك . . هناك بعيدا عن الوادى . . نشأت جماعة ونبتت فكرة صارت عندهم عقيدة(٦) ، وحملها من غره سرابها ، وقدمها للعالمين قوانين ونظما تدعى الدفاع عن المظلومين وهى ظالمتهم ، ورد الحقوق الى أصحابها وهى تجتاح محارمها ، كلام معسول ولكنه فى التطبيق العملى مفقود الأثر ، همهم امتلاك الدول ولدابهم — بغير سلاح مسنون — امتلكوها .

وهنا نقف قليلا نتذاكر ما بين أيدينا ، هل فيه الكفاية والغنية أم أن زمانه مضى مع الزمن الذى مضى ، وطالعت وفكرت وراجعت مفكرين على مستوى رفيع وتأملنا ، فلم نجد فى مقال القوم جديدا فقد فى قديمنا ، ولا بابا لخير فتح كان موصدا ، ولا كنزا عثروا عليه كان خافيا ، وانما الفينا العكس ، والعكس الحقيقى بل التناقض فى أوضح صوره ، وأدناها لمن أراد فهما وعقلا ولو قليلا ،

---

(٤) بالبناء للمجهول .

(٥) هم المسلمون جميعا ؟!

(٦) ولدت فى دولة ونمت فى أخرى وتزايد نسلها حتى كاد يعم العالم القديم جميعا ؟!

فالانسانية فى أدق مدلولاتها لا وجود لها عندهم وانما الكل آلة — قالوا — لنمحو الطبقات ، ونظامهم ثبتها ، وقالوا : لا مال لأحد ، وجعلوا ما يطلب بالمال فى القمة المسيطرة وصاحوا ليساس الناس بغير سلاح ، واعملوا السلاح فى رقاب الأحرار ، وان صاح صائحهم ألما قضوا عليه كمدا ، وان عافت الأرض الدم أجبروها على قبوله ، فحفروها لتبتلعه على رغمها ، ومهما صرخت تحت معاولهم فلا يسمع لها .

والآن لنستغفر لذنوبنا ولذنوب أجدادنا ، ولنعد الى بارئنا ، ولنبسط كتابنا ولنصح :

هاؤم اقرؤوا كتابيه ، تريدون نظاما .. ! هورب النظام وعدو الفوضى ، تطلبون قوة فى اتحاد ... هو أول داع اليها ، ترفعون عن الفقير أصر فقره .. ما الحب الطريق التى رسمها لوصول كل ذى حق الى حقه .. تنادون بنظافة اليد وطهارة القلب .. ما أشد حرصه على تنفيذ ما به تنادون ... تعالجون المرضى وتنشئون المشافى ، تشيدون المدارس وتهدمون الجهل .. تعمرون .. تبنون .. هى دعوته الى التعمير والبناء .. تتعاطفون وتتراحمون .. هذا نهجه وذاك مسلكه ..

والآن لنستغفر لذنوبنا وذنوب أجدادنا .. ونستعين بالله العلى القادر ، لنعمل بعد أن طال وكثر تولنا ولننظم شملنا ، ونسهر على تنفيذ ما نريد كما سهر عدونا ، ونصبر ونصابر وان طال المدى ، فالموقف لا يحتمل التسويف ، وكفى النائمين نوما ، وكفى المخالفين مخالفات ، ولنمض معا ولا ننظر الى مثبط أو معوق عن الوصول الى حقنا الى كرامتنا الى تحقيق انسانيتنا كأناس لهم ما لغيرهم من البشر من العيش الحر فى أرضهم ، فى وطنهم ، فوق ترابه وتحت سمائه ، فقد امتلأ الكأس حتى فاض ، وأصبحنا لا نستطيع أن نرفع الطرف أمام التاريخ ، الذى لا ندرى ماذا سيكتب عنا غدا فى هذه الفترة من الزمان ، سيصفنا بالجبن والنذالة ويسمنا بالتقصير والخور ، ان نحن توانينا ولم نمض سراعا الى هدفنا الى تحرير وطننا من أرجاس المعتدى الأثيم ، واعادة مشردينا الى ديارهم التى بنوا ، وأرضهم التى نبتوا بين نباتها وطعموا ثمارها ، وتكونت لحومهم وعظامهم من غلاتها .

اهيب بكل قادر على التفكير ان يفكر جديا ، وبكل قادر على العمل ان يعمل فورا دون توان ، وأؤمل أن يصيخ سمعا أولئك المثبطون فيكفوا شرهم عنا ، ولنتجه كلنا صفا واحدا وقلبا واحدا الى الجهاد فى أشرف ميدان وأعز مكان على الله وعلى الناس فنخلصه من العدو الشانىء الحقود ..

والآن : لنستغفر لذنوبنا ولأجدادنا .. ونغسل عارنا بدمائنا ، فليكتب الكاتبون وليبذل الواجدون ، وليسر الى ميدان الشرف القادرون حتى نكون جديرين بوراثة خير الأنبياء وأكرم الآباء أخوتنا . اليس من آبائنا القائل : لنا الصدر دون العالمين أو القبر ، حولوها الى عمل كما فعل ونفذ . اليس منهم المنادى : أحد أحد شاهت الوجوه ، وانتصر الحق وانتصر فعلا ، أين شبابنا : أين كهولنا ! أين ثراؤنا ! اين سلاحنا ؟! هيا نمضى على بركة الله حتى لا نلاقى الاهانة فى كل مكان ، والاحتقار مع مضى الزمان ، فالعدو الكاشح جاد ومثابر ، وقد ملك ناصية الأمر فى أماكن كثيرة من العالم المعاصر ، واستأسد حين استنوق الجمل ، وتجمع مع تفرق قوانا ، وهو فى كل أحواله ثعلبان ماكر

وحية رقطاء .

٥ ــ اصغيت الى (ديار) قال : مر بى منذ بضعة أيام أستاذ فى جامعة . . ودعانى لمرافقته الى دولة غير الدولة التى أقضى فيها حاضرى ، فلنمض بعيدا عن صخب الجماهير الثائرة ــ هنا ــ فى عنف وتنظيم ، مطالبة بحقوق ومدافعة عن مطالب ، ثورة شلت كل مرفق عام فى المدن والريف ، ولا يعلم متى تنتهى ، وبدأ المسئولون يعالجون فى رفق وحزم ولكن الداء عيــاء ، يلوح فى الجو أن الطبيب نطاسى ماهر ، لبيت لأرى معالم الحياة فى دولة مجاورة قد أجد فيهــا جديدا ، وفى هذه القارة كل يوم جديد من الأفكار ، وجديد من العمل والانتاج ، وصحبته حتى اذا وصلنا الى الحدود اجتزناها فى رفق ويسر كما يجتــاز أى عابر (بوابة الجهراء الى الشويخ(٧)) وهذا حدث يثير انتباه الشرقى لما يرى بين بلاد شقيقة من تعقيد الاجراءات فى مثل هذه الحــالة ، وأدرك الأستاذ ما يدور فى رأس مرافقه . فقال : لا تعجب فهذا هو الوضع فى بلادنا ، فلكل دولة فى هذه القارة حدود ، ولكن بمقدار ما يعرف المزارع فى الريف أن لأرضه حدودا لا يصح لغيره أن يفلحها الا باذنه ، أما أن يزوره أو يتحــدث معه عبر الحدود فهذا لا يستدعى كبير اهتمام !. . . وواصلنا المسير الى أطراف مدينة . . لم يطلعنى على معاهد العلم فيها ، ولا دور اللهو أو المعالم القديمة ، وانما دلف بى الى مبنى فسيح لا أعدو الحقيقة اذا قلت انه مدينـــة مستقلة ، شيدت فى طرفها النائى غرفة فسيحة مؤثثة على نسق قديم ، وذوق جميل ، وفى الصدر منها جلس شيخ مهيب تحيط به آلات اتصال تربط مصـــانعه بالعالمين القــديم والجديد ، رحب بنا الشيخ وهش للقائنا ، ورغم أنه تجاوز الثمـــانين فسمعه لا يزال سمعه لم يحوجه الى ترجمان ، وعيناه الحادتان عيناه يوم كان شارخا ، وكل مظهره يدل على حيوية وقوة ، الا أن لون شعره قد حال الى ضد ما كان عليه فى صباه ، وقبع فى هدوء وتنسيق فوق جبهة عريضة كأنه حارس يقظ يرد العادى ويدافع المهاجم ، وقدمنى الأستاذ اليه على أنى صديق موال من الهند(٨) ومظهر (ديار) يؤيد الوصف وان كان عربيا ، وجرى الحديث بينهما يعـــالج الأحداث الحاضرة ، وأنا أنصت وأشارك قليلا ولكن بمقدار ما يوجد للقــول مجال ، واذا الشيخ يتنفس الصعداء ويدور فى كرسيه « اللولبى » فى فتــوة ابن العشرين ربيعا كأنه يزيح عن صدره آلام سنين وسنين ، وينتصب واقفــا كأنما نشط من عقال ثم يعود الى مجلسه فى هدوء متكلف ، ويواصل الحديث : الا تدرى يا . . . انى استرحت وقرت عيناى ولو قضيت الآن ما أسفت لشىء ، فها أنذا أرى التابوت(٩) يعود الى موضعه وبهذا تحقق ما رجوته وما كان يثيره أبى وما تواصى به أجدادنا كابرا عن كابر ، وها هم أولاء حراسه الموعودون به ، ولقد وضعت كل ذرة فى مصانعى هذه ، ومثلها فى دول أخرى تحت أمر الرجل الذى شرف أصلابا ينتمى اليها حين فتح مدينة ، وحقق أحلاما وغلب أمة تمثلها عدة دول ، كل دولة منها تفوقه عديدا ، وها هو ذا قد مارس حقا مشروعا فى توراتنا(١٠) : ويقول « ديار » هنا : شعرت بنار تثور فى مفـــاصلى غلا منها

---

(٧) هما ضاحيتان من ضواحى الكويت .

(٨) هكذا بالنص ولا أتزيد .

(٩) اقرأوا سورة البقرة .

(١٠) هكذا تعبير الشيخ يعنى (التوراة) .

دمى ، وهممت بالرجل لولا بقية من تفكير حارس ، وادرك ذلك صاحبى ، فضغط على قدمى ، واتجه الى الشيخ يطلب مسكنا لداء يثور بالهندى كلما سار طويلا ، وشكرت معتذرا عن العلاج فما دوائى الا شربة من دمه[11] ، وتعجل صاحبى مستأذنا ، ولما ابتعدنا صاح بى : هكذا رايت راى العين صورة من الواقع العملى الذى يعيشه المطالبون ــ ان صدقوا ، وما هم بصادقين ــ بحق متوهم قد مرت آلاف السنين ، ولو رام كل شعب ما يرومون ما استقرت بأمة أرض ، فأكاد أجزم انك لا تجد أمة نبت أجدادها الابعدون فى الوطن الذى تشغله ، بل ان ملوكا فى قارتنا هذه لا يمت نسبهم الى الشعوب التى يحكمونها بصلة دم أبدا وفى العالم الجديد اشباه وأشباه ... وهنا ــ كما يقول « ديار » مرت أمامى قوافل تاريخنا محملة بالمآسى ومتى ؟ فى المواقع الفاصلة دائما ، ولم أستطع لهذا تعليلا ، وان كان له تعليل منطقى معقول .. ورن فى اذنى صوت الأستاذ : لن يجمع شتاتكم الا جامع السماء ، فما اكثر المبادىء التى تعج بها الدنيا المعاصرة ، وكل يزين (طبقه) ليقدمه لآكليه شهيا فى مظهره ، وقد يكمن السم فى الدسم ولسوء الحظ أو لحسنه عند البعض قد وصلت هذه المذاهب فى خطورتها الى مدرجات الجامعات واعتنقها أساتذة وطلاب ، ولا ارى لدائكم علاجا أفضل من الالتفاف حول كتاب العرب الفريد فى صفائه الأول دون شرح أو تعقيد[12] ، وقلت أتعنى القرآن ؟ فأجاب وهل فى الدنيا اكمل منه ، فان سمعتم وعملتم والا كانت النتائج التى ترون ، وما ترون هو البداية لنهاية لا يعلمها الا صاحب الغيب ، وقال (ديار) وعدت الى نفسى فلم أجد الا الاستغفار لذنوبنا ولأجدادنا وتقصيرنا معا ، والعزم على مواصلة الكفاح فى الحقل الذى يرد كرامتنا ، ويضم صفوفنا ، ويجمع قلوبنا ، ومواطنو هذه المنطقة من العرب مدعوون لنفير عام ، ومعهم مسلمو الدنيا فى كل بقعة من بقاع المعمورة لانقاذ المسجد الأقصى ، ومهد المسيح اثباتا لوجودهم وتحقيقا لرجولتهم وانسانيتهم ، والله المستعان .

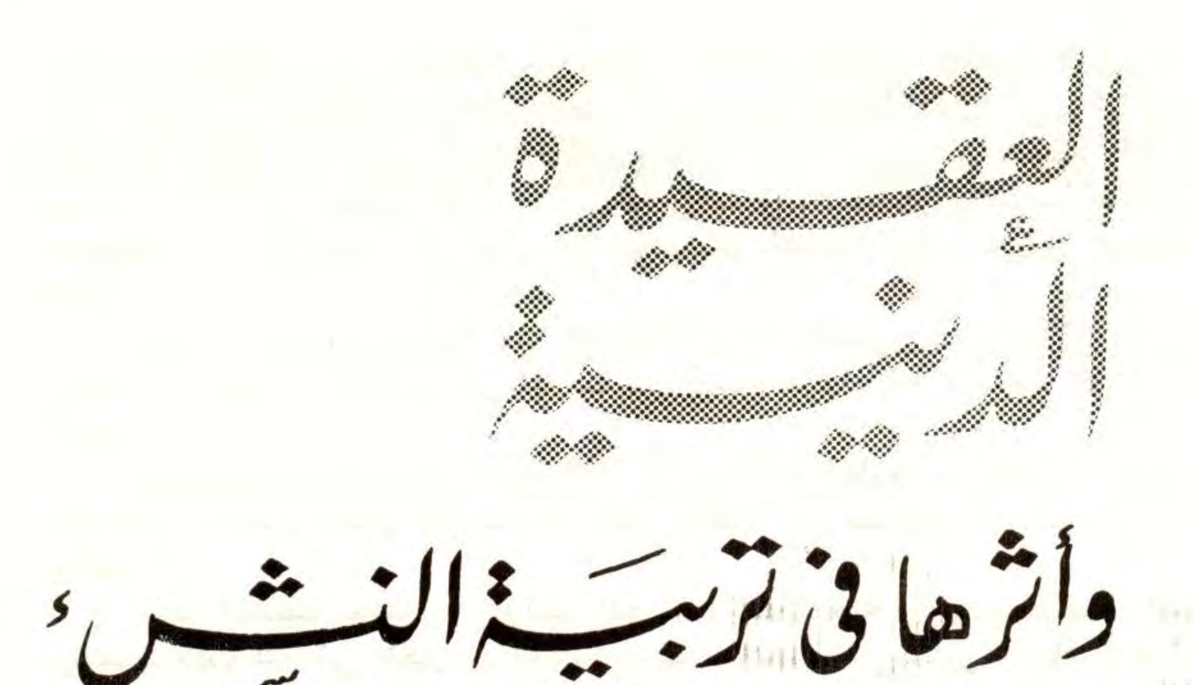
باريس ــ على عبد المنعم

---

(١١) هكذا حلا للاستاذ ان يقول .

(١٢) .. حماس السيد (ديار) يقرب الى القارىء صورة (البالون) الواهى الجدران الذى ينتفخ بقليل من الهواء ثم ينفجر عند اقل صدمة ، ويذكر باصوات طالما صرخت ثم ذهبت أدراج الرياح ، والطبل الاجوف هو اكثر قوة من غليان دم (ديار) ، والمرحلة الآتية تحتاج الى عمل ومثابرة ، واتقان للعمل واحكام للمثابرة ، ومثل هذا الموقف يدفع أمثال الشيخ ــ ماليا وسنا وقوة ــ الى محاكاته على اضعف الايمان حتى نمضى وننتج ونصل وحتى لا يصدق علينا (اسمع جعجعة ولا ارى طحنا) واكرر : هذه مواقف عملية يا (ديار) ويا (آل ديار) فاستغفروا ربكم ثم امضوا حيث تؤمرون ..





العقيدة الدينية وأثرها فى تربية النشء

للدكتور : محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بجامعة الازهر

عندما تحدق بالبلاد ظروف عسيرة ، وتنزل بها محن قاسية تؤلم الكبير والصغير ايلاما شديدا وليس ايلاما من النوع المادى الذى يرهق الضعفاء ، أو يزعج الجبناء ، أو ينال من أفئدة المترددين والانهزاميين ، بل هو ايلام معنوى ناشىء من خدش عزة الأمة المتأصلة فى الرفعة ، والمتعودة على الشموخ ، حين تجد أن تلك المحنة قد نزلت بها على يد ذنب قذر من أذناب دولة مستعمرة غادرة ، لا تاريخ لها ، ولا ماض يشرفها ، ولا وراثة شهمة ترفع من قدرها .

عندما تلقى احدى الأمم العريقة كأمتنا مثلا نفسها فى هذه الحالة ، تشعر بألم قاس يحز فى قلبها ، وتحس احساسا باطنيا فعالا بأن عاملا قويا يدفعها الى ضرورة التفكير الجدى ، والتأمل العميق فى معانى الاحداث المحيطة بها ، والاخطار التى تتعرض لها الأمة العربية كلها . وسرعان ما تجد أن مقدمة الخطوة الاولى هى العمل السريع الحاسم الحازم على التخلص من هذه المحنة بطريقة عزيزة كريمة ، تحتفظ للأمة جمعاء بهيبتها كاملة غير منقوصة ، وان مؤخرة هذه الخطوة هى النظر العاجل فى اعادة تكوين الشباب ، وتقويم تربيته ، وتقييم جميع حركاته وسكناته ، وتعويده على الصدق فى القول والاخلاص فى العمل . وهذا لا يتيسر الا اذا ربى الشباب تربية دينية تعتمد قبل كل شىء على العقيدة والايمان .

ونحن فى هذا لا نلقى الكلام على عواهنه ، فقد اثبتت الوقائع المادية صحة هذه الدعوى مرارا ، ونشرت فى تقارير رسمية . فحين روعت الهزيمتان

المادية والمعنوية جيش الحلفاء فى احدى مواقع الحرب العالمية الثانية ، استدعى المسئولون اطباء نفسيين ليدرسوا حالات المنهزمين أو دعاة الانهزام ، فلما فعلوا تبين لهم ان اولئك وهؤلاء جميعا ممن فقدوا العقيدة الدينية وصاروا لا يؤمنون بشىء البتة ، وبالتالى فقدوا الايمان بالغاية فانهارت معنوياتهم ، وأصبحوا لا يجدون فى نفوسهم الهدف الذى يستحق التضحية بالحياة .

ومن ثم فانه حين نزلت الآية الكرية « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » كان لها — كما أجمع الرواة — اثر بعيد الغور فى النفوس .

من هذا كله يتبين ذلك الأثر الرائع الذى تطبع به العقيدة نفوس المؤمنين ، وتهون عليهم التضحية بالمال والحياة فى سبيل الشرف والكرامة والعزة .

واذا اغضينا مؤقتا عن مواقف الحرب والتضحية واسترجاع الهيبة وتضميد ذلك الخدش العارض الذى أصابها ، ونظرنا الى سير الحياة العامة وشؤونها العادية التى لا تستقيم الا بالفضائل والاخلاق ، الفينا أن عشرين فى المائة يمتنعون عن الجرائم خوفا من القانون ، وأن عشرة فى المائة منهم فقط يمتنعون بدافع الاخلاق الاجتماعية أو المدنية ، وأن سبعين فى المائة يمتنعون لا عن الجرائم فحسب ، بل عن صغائر الآثام والسيئات بدافع الدين .

فينبغى — اذن — أن يقدر المربون الذين تعنيهم استقامة الشباب ، وصلاح المجتمع ، أن ترفع المؤمنين الحقيقيين عن الغدر والخيانة والخداع ، هو ترفع أصيل ، صادر من القلب ، ثابت مدى الحياة ، بينما أن امتناع الخائفين من القانون هو امتناع الروغان ، وان الفرق بين الامتناعين كالفرق بين المرأة التى تصون عرضها من كل قلبها وعقلها ، والأخرى التى تصونه خوفا من بطش زوجها أو أسرتها أو من كشفها أمام المجتمع ؟ وشتان ما بين حالة الثقة والطمأنينة ، وحالة المراوغة الظاهرية .

على انه قد يغلب على أوهام فريق من شبابنا السطحيين ان التمسك بالدين أو السير على نهجه القويم ، وصراطه المستقيم ضرب من التأخر أو الجمود ، وذلك خطأ شنيع فادح الكوارث والنكبات .

وربما كان هذا الشباب الساذج كان فى النصف الاول من هذا القرن معذورا فى انزلاقه فى هذه الهوة ، اذ أن المستعمرين الذين كان لهم فى البلاد العربية سماسرة ، وأعوان ذوو قوة وسلطان ، كانوا قد أعدوا ميزانية خاصة وضعوها تحت أيدى أولئك السماسرة الخونة ، تصد انفاقها فى افساد تربية الشبان وعقولهم وعقائدهم . وقد نجحوا فى الوصول الى هذه الغاية ، فنقشوا فى أذهان انصاف المثقفين ، ان أداء الفروض الدينية من : صوم وصلاة وزكاة وما الى ذلك من التكاليف ، من شأنه ان يجلب الى أصحابه الاهانة والاستهزاء .

ولقد خلقت هذه المحاولات الاستعمارية الخطرة فى نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية ، كان من نتائجها أن دفعتهم الى التهاون فى اقامة الشعائر الدينة ، التى هى مناط التماسك والترابط . وتلك هى الغاية الجهنمية التى رمى اليها المستعمرون ، لأنهم يعلمون تمام العلم انه متى عم الاستهتار بالعقيدة ، ساد الانحلال ، ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه ، ومتى انهار الكيان تثبتت اقدام الاستعمار . وسر ذلك أن المستعمرين قد حنقوا على

اهل هذه التعاليم القوية المتينة ، فودوا أن يعملوا على ضعضعة قواهم ، ومحو هيبتهم ومقاومتهم ، وقد استعملوا لهذه الغاية سلاح أزلاق الشباب فى هذا الاستهتار بالشعائر الدينية ، وابعاده عن فهم مغزى الأوامر السماوية ، وأغلقوا دون عقوله أبواب الحضارة الاسلامية الأصيلة ، وفتحوا أمامه لمعان المدنية الغربية المادية .

ولكن لو ان المسلمين المسئولين عن تربية الشباب وقيادته نحو الحياة الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية السليمة ، قد فهموا دينهم حق الفهم ولقنوا الشباب مبادئه وتعاليمه على أصولها ، وراقبوا تطبيقها مراقبة دقيقة ، لو انهم فعلوا ذلك لاحتقر الشباب سخرية الساخرين منهم ، ولتباهوا بقوة الايمان ، وثبات العقيدة ، والمحافظة على تأدية الواجبات الدينية والدنيوية ، ولنظروا الى المثل العليا المرسومة فى دينهم ، وتطلعوا الى السمو المثل فى مبادئهم وشعائرهم ، ولأيقنوا أن هذه المبادىء ، وتلك الشعائر من شأنها أن تقودهم الى الحرية والسعادة ، بل الى الرفعة والسيادة ، لا عن طريق الاستبداد والطغيان ، والاستعلاء والتحكم فى شؤون الغير ، بل بوساطة المبادىء العالية المسعدة وذلك لأنه اذا انتصرت فى قلوب المؤمنين روح الخير التى تمثل الألوهية على الارض ، تعهدت العلائق بين الانسان وربه بالتقوية والتنمية ، ومتى تقوت هذه العلائق ، جعلت النفس المؤمنة ، تتلقى اوامر السماء بهيئة نقية صافية ، ثم تمليها أولا على حياتها العملية الخاصة ، لكى يطبق العلم على العمل ، فتتحقق الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب » .

واذا تم له ذلك ، أفاض تلك الاوامر الالهية على بيئته ومجمعه ، وقد تتسع الدعوة حتى تعم الانسانية جمعاء ، فتصلح حالة الدنيا ، ويسودها الوئام والسلام ، وتعمها العدالة والنصفة ، ويحل الرضى محل النزاع ، وتشغل المحبة من النفوس موضع البغض والحفيظة . ومن آيات ذلك ان الاوامر الالهية ، كانت منذ غابر العصور ، وستظل ، تقتاد بنى الانسان الى الفلاح والكمال ، اذا وضعوها موضع الاحترام والعناية والتطبيق ، ولكنها — ولا قدر الله — تشهد دمارهم وفناءهم ، اذا هم سحبوا عليها أذيال الاهمال والنسيان .

فاذا كانت كل الظروف والاحوال شاهدة بأننا كنا فى أشد الحاجة الى ارشاد الأوامر السماوية ، وقيادة الكتاب الكريم ، والسنة الغراء ، لجميع اقوالنا وافعالنا وخطواتنا وتصرفاتنا ، وان ذلك كله كان قبل ان نختلط بالأجانب ، ونتعرض لما هب علينا من ربوعهم من عواصف الفتن والغوايات ، فكيف بنا بعد أن انهمرت علينا من أصقاعهم سيول المادية ، والميوعة والتحلل ، والزندقة ، والالحاد ؟

نعم ان الذين ينظرون الى الامور نظرة سطحية عائمة ، تفتنهم روعة المدنية الغربية البراقة ، التى يؤلف انتاجها العلمى والادبى والفنى والثقافى الوانا لماعة ، لشبح مدنية زائفة ، تعلن أنها راقية مصقولة . وتزعم أنها بعيدة عن كل عنف وقسوة . ولكن النظرة الفاحصة تكشف للأدقاء المتعمقين حقيقة هذه المدنية ، وتبين فى وضوح ان الأزمات الخلقية الراهنة النابعة من الغرب ،

تنم عن غلظة وفظاظة ، لا نظير لهما الا بين الوحوش الضارية ، وان الحربين العالميتين الأخيرتين ، قد كشفتا لنا عن حقيقة هـذه المخلوقات التى يعتبرهـا القشوريون عندنا ينابيع المدنية ، وان الحالة الراهنة تظهر لنا أن كل ما بينهم ، هو عبارة عن كفاح وحشى حاد دائم ، مخبوء تحت ستار الحقد والغل والجشع المغطى بالنفاق الكثيف حينا ، والخفيف أحيانا ، وأنهم غارقون فى معارك طاحنة لا نظير لها فى عهود البشرية الاولى التى يطلق عليها أولئك المتبجحون الماجنون اسمى العصر الحجرى ، والعصر الحديدى .

وذلك لأنهم استخدموا فى ضرواتهم البغيضة مقدرتهم العقلية ، ووسائلهم التكنولوجية ، ومخترعاتهم الميكانيكية ، التى تزلزل تنوعاتها وتجـديداتها المتوالية ، جميع النظريات العلمية السـابقة بمباغتاتها المفاجئة ، فتقضى على مظاهر الاعتدال والاتزان ، ولا تلبث أن تحقق رجحـان احدى الكفتين حينا من الزمن ، سرعان ما يزول ، ويتخلى للكفة الاخرى عن ذلك الامتيـاز . وهكذا دواليك صعودا وهبوطا تتابعهما الابصـار والعقول والقلوب بـلا ثبات ولا استقرار .

وتلك بالاجمال هى حرب الفروض والتكهنات والرهبة والفزع والتسابق على الاسلحة المدمرة والجاسوسية والتنافس فى مضـاعفة الميزانيات لتقوية مصانع التخريب والتقويض . ومن المجون ايضا أنهم يسمونها حروب المذاهب والمبادىء ، وكان الأولى بهم أن يطلقوا عليها اسم «حروب القهر على التمذهب» أو الاجبار على اعتناق المبادىء ، ولو لم تسترح لها العقول ولا القلوب .

غير أن هناك من بنى الانسـان أفرادا وجماعـات ، يعرفون واجباتهم ، ويدركون أن الضرورة تحتم عليهم مجاراة أولئك الذين ليس لهم من الانسـانية الا اسمها ، ولكن اخلاصهم لبلادهم ، وأملهم فى انقاذ مبادئهم من مخالب هذه الوحوش الضارية ، يتطلبان منهم أن يسايروهم فى الاستعداد اسـتجابة لأمر كتابهم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » لا سيما أنهم يعلمون تمام العلـم زجاجية ذلك السلام الظاهرى الزائف ، الذى ينادى به أولئك المنـافقون ، ويوقنون بامتلاء قلوبهم بالحفائظ والتحفزات ، للهجوم فى كل لحظـة من لحظات النهار والليل .

ولا ريب أن هؤلاء الاناس الجديرين باسم الانسانية يعلمون أنه حين يجد الجد تتحدد مسئوليتهم وتبدو هائلة . ومن ثم يستعدون لتلك الساعة ، ويعدون مشروعاتهم التى ستتلاقى مع أمثالها ، والتى هم يتنبأون بها ، ويحسـبون حسابها ، كأنهم يتغلغلون فى أعماقها منذ الآن ، لكى يستطيعوا ــ بفضل اتقان دراستها ــ أن يردوا على كوامن مشروعات اعدائهم والا تأخذهم ابتـكارات أولئك الاعداء على غرة .

لذلك كله نحن ندعو الأمة العربية خاصة والأمم الاسلامية عامة أن تتكتل لمواجهة هذه الأخطار الوحشية ، وأن تعتصم بحبل الله القوى المتين ، وأن تنقب فى دينها عن تلك المبادىء العالية ، التى هى وحدها القديرة على تعميم السلام ، وانقاذ اللبشرية من هذه الوهدة ، التى هى سائرة على حافتها ، والتى لو لم تفشها تلك المبادىء السماوية ، لتردت فيها ، وقضى عليها القضاء الاخير . ونهيب بالمسلمين الا يقفوا سلبيين أمام هذه السـيول العارمة ، والعواصف العاتية ، والاحداث المجتاحة ، فليس أبغض الى الاسلام ، ولا أبعد عن تعاليمه

من السلبية والجمود .

كما ندعوهم الى ان يصونوا أبناءهم وبناتهم عن التحلل والميوعة باحكام تربيتهم على النماذج الاسلامية ، اذ أن التربية هى الوسيلة المثلى التى يؤسس بها كل مجتمع فى قلوب أبنائه الدعائم الجوهرية لوجوده الخاص ، وهى الأثر الخالد الذى تتركه الاجيال الناضجة فى نفوس الاجيال التى لم تنضج بعد ، ولم تهيأ لحسن مزاولة الحياة الاجتماعية . وهدفهـا الرئيسى هو أن تنشىء وتنمى فى تلك الاجيال الشابة مزيجا من الشعور بالحاجـة الى العوامل الدينيـة والاخلاقية والعقلية ، الى جانب القوة البدنية التى هى ضرورية لقوام المجتمع بوجه عام ، وللأوساط التى تحيا فيها بنوع خاص .

ومنشأ ضرورة التربية و الحاجة الماسة اليها هو ن الطفل لا يحمل معه الى الحياة الا طبيعتـه الفردية بالانانيـة الغريزيـة ، ولكنه يحمـل أيضا الاستعداد لتعلية تلك الانانية وترقيتها . ومعنى هذا أن المجتمع ـ بازاء كـل جيل جديد ـ يكون أمام صحيفة بيضاء ينبغى أن يبذل جهوده لينقش عليها مـا يجعلها صالحة للحياة والسعادة المسـعدة للغير اى أن المهيمنين على أمـوره يجب عليهم ـ عن طريق أصلح المناهج ـ أن يمزجوا بذلك الكائن الأنانى كائنا آخر عادلا معتدلا ، قادرا على قيادة حياة خلقية واجتماعية ، لا تستطيع الوراثة أن تحققها له .

ولما كانت هذه الجهود فى أشد الحاجة الى مدنية دائمة السـير الى الامام ، لتكلل مساعيها بالنجاح ، وتضمن لباذليها الفوز بنتائج جهودهم .

ولما كان كل متأمل فى المدنية الغربية المادية ، يتضح له تمام الاتضاح انها سائرة الى التدهور والانحدار بخطوات واسعة نرجو الا تهوى بسببها الانسانية كلها الى الحضيض .

ولما كانت الحضارة الاسلامية هى وحدها المسـتقيمـة المعتدلة المتزنة السائرة الى التقدم والرفعة ، ولم تكب عبر التاريخ فى أية نكسة الا بسـبب تقصير أبنائها أو انحرافهم عن مبادىء دينهم القويم .

لما كان كل ذلك من الحقائق الواقعية الناصـعة ، فان أقل ما يحقـق الانسانية من مسكة العقل ، يحتم على المهيمنين على شؤون الاطفال والمراهقين الا ينشئوهم الا على مبادىء التربية الاسلامية ليضمنوا لهم الاستقامة والقـوة والشهامة والعدالة والسهر على اسعاد المجتمع الذى يعيشون فيه ، بل على اسعاد الانسانية جمعاء « لا يؤمـن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » « واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » .

واكثر من ذلك أن مبادىء الاسلام لا تقف عند تسـوية الغير بالنفس الا بازاء المسلم العادى ، أما المسلم الذى يتطلع الى مزيد من السمو ، ويمد عينى قلبه الى وفرة من رضاء ربه ، والى رفعة منزلته الخلقية ، ولا يكتفى بمستوى الأخيار ، بل يرنو الى مكانة الأبرار ، فهو يفضل الغير على نفسه ، ويقف فى الدرجة الثانية أو الثالثة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .



قدسيّة الهدف ومقوّمات النصر

للدكتور: وهبة الزحيلى
عميد كلية الشريعة ـــ جامعة دمشق

لست فى هذا المقال قائدا يخطط لمعركة ، ولا مسؤولا ذا سلطة يتكلم عن نتيجة حرب بالأرقام والوثائق ، ولكنى امرؤ كسائر الملايين من مسلمى العالم هزته كارثة الهزيمة الاخيرة التى حلت بأمتنا ، فبات القدس الشريف والمسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومعراج ومسرى رسول الاسلام مثار الاحزان والآلام العميقة التى تتفطر منها القلوب ، وأصبحت بلاد المسلمين والعرب فى أيدى أعداء المدنية والانسانية ، والديانات السماوية ، يعيثون فيها فسادا ، ويتملكهم الغرور والخيلاء ، فيهددون ويتوعدون ، ويتحدون العالم بما تهيأ لهم من دعم كبير ، وظروف مواتية تعاون فيها الحقد والبغى والعداء المستحكم للنيل من كرامة الاسلام والمسلمين وشرفهم وعزتهم ..

فانطلقت أصور ما يتفاعل فى نفسى وما يجول فى خاطرى من تأملات وملاحظات ، حول واقعنا المر الاليم ، مقارنا ومحاكما أوضاع أمتنا فى ماضيها وحاضرها .

حالة المسلمين والعرب :

ان أغلب بلاد المسلمين قد عانت من ويلات الاستعمار الشىء الكثير ، وحينما تهيأ الاستقلال الوطنى لأوطانهم جند المستعمر كل طاقاته ، وحشد كل امكانياته السياسية والفكرية والعسكرية لابقاء الضعف فينا ، وتقييد الانطلاق المنتظر نحو بناء مجدنا ، والوقوف بكل اصرار وعناد أمام وثبتنا الجبارة نحو غد مشرق أفضل ، فلم يتمكن المسلمون والعرب من اعداد نفوسهم فى فترة الاستقلال القريب العهد اعدادا كاملا ، وحاول العدو والصهيونية العالمية أن تلعب دورا فى القاء بذور التفرقة بين الاخوة والدول العربية ، فاستضعفنا العدو ، واستمرأ فعله ، وتأثر الناس بالاوهام والدعايات ، وكادوا يحسون العجز من نفوسهم لولا عناية الله ورحمته بنا .

ومع ذلك كله فمما لا شك فيه أن المسلمين والعرب توحد بينهم فى كل آونة ظروف الملمات والمصائب والاحداث ، فهم أبعد ما يكونون عن التغاضى عن احوال أعـــدائهم ومؤامراتهم ، وهم أصلب النــــاس فى الصمود الطويل أمام الغزاة الطامعين ، وانى لمؤمن كل الايمان أن لدينا من الطاقات ما يمكننا بعون الله من النصر ، وأن جميع أفراد هذه الامة يسترخصون فى وقت الشدة كل غال ونفيس ، يقدمونه فى سبيل الصالح العام ، ولكن ينبغى على القواد أن يحسنوا الاستفادة من ذلك ، وأن يتولوا تنظيم تلك القوى المتحفزة بما يحقق الامل المرجو . فنحن أخوة وأمة واحدة ، فى الآلام والآمال ، والمصير المشترك . يقول سبحانه : « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. » الآية .

متطلبات المعركة :

الايمان ، التضحية والايثار ، البأس والاقدام .

نحن الآن فى مجال التربية والتعليم والتوجيه والاعداد أحوج الناس الى أن نفهم القتال بأن أساسه الايمان الصادق بالله عز وجل ، والعقيدة القوية ، والاحساس بقدسية الهدف فى الدفاع عن دين الله ، وأرض الوطن ، وحرمات البلاد والحق والعدالة والحقوق والواجبات الدينية . فلا يكون احراز النصر من أجل عصبية أو قومية أو حزبية أو طائفية ، فالوطن للجميع ، ولا بديل عن الايمان يمكن أن يبذل المقاتل نفسه من أجله ، أو يضحى بحياته ، ما لم يكن هناك أصل مقدس يعتمد عليه ، ويحارب فى سبيله ، فلقد اثبت التاريخ أن العرب انتصروا بالايمان والجهاد فى سبيل الله ، وهذه طبيعة أصيلة فى نفوس ابناء أمتنا . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » فمن خلا عن هذه الخصلة فليس فى سبيل الله بل أن النصر منه بعيد ، فالقتال من أجل طلب المغنم ، أو اظهار الشجاعة ، أو الرياء ، أو الحمية لأهل أو عشيرة أو صاحب ، أو الغضب لجلب المنفعة ، وكل ما يتناوله المدح والذم ، كل ذلك ليس فى سبيل الله .

ولقد كان حسن الصلة بالله ، والايمان الخالص به ، هو ركيزة الانتصار وأساس الغلبة فى حروب المسلمين ، وهذا مثل من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـــا أقبلت قريش بغرورها الى وادى بدر فى موقعة بدر الكبرى : « اللهم هذى قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى » ولقد ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بمكة يدعو فيها أصحابه الى الايمان قائلا : « ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذّبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم ــ العرب ــ خاصة ، والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا ، وانها لجنة أبدا أو لنار أبدا » .

فالمؤمن يعلم أن الاجل محتوم ، وأن الحرب لا تقـــدم ولا تؤخر فى أجل الانسان ، وأن الجهاد للآخرة لا للدنيا ، وأن طريق العرب والمسلمين الى تحرير الاجزاء المغتصبة هو الجهاد المقدس القائم على الايمان الحق الذى يحشد من أجله آلاف الطاقات المادية والمعنوية والبشرية من كل بلاد الاسلام ، وأن الشهداء



أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يسجلون لأمتهم أخلد صفحات العزة والفخار : « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » « من اغبرت قدماه فى سبيل الله ، حرمه الله على النار » « والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل » .

فلا يظنن الشهيد أنه مات فداء غيره ، فأصبح نسيا منسيا ، فهو ان استشهد فى سبيل الله مؤمنا به ومصدقا برسله مدافعا عن كيان أمته وبلاده ، فهو مع الابرار والصديقين ، وفى أعلى الجنان يوم الخلود فى الآخرة ، فهو رابح على كل حال : ان مات ، فله حسنى الشهادة ، وان بقى حيا تكون له مثوبة وكرامة الجهاد ، وان انتصر المسلمون عزوا به ، وسادوا فى الارض وحققوا المجد والخلود ، وجنى هو ثمرات الانتصار : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين » .

والايمان والحرب يتطلبان التضحية والايثار ، فلن يتمكن المسلمون من تقرير مصير المعركة الفاصلة لجانبهم مع العدو الصهيونى الا اذا سالت الاباطح والجبال والوديان بالدماء الزكية الطاهرة ، وجند الناس كافة امكانياتهم المالية والبشرية فى سبيل المعركة المقدسة : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به » .

والمعركة تتطلب الايثار : أن يؤثر الناس المقاتلين بكل ما يحتاجون اليه من امداد ومعونة وقوة واسعاف ومال ورجال ، فهذا أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وابن عوف ، والزبير ، وطلحة بن عبيد الله ، وغيرهم من سلفنا الصالح ساهموا مساهمة فعالة فى تجهيز الجيوش الاسلامية ، يقدم بعضهم كل ماله ، وبعضهم نصف ماله ، وبعضهم يجهز جيشا بكامله ، وبعضهم يبذل نفسه رخيصة فى سبيل الله ، مستشعرا ريح الجنة فى المعركة . لذا وصف الله المؤمنين بقوله سبحانه : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » : أى حاجة .

ومن المعلوم أن حالة المسلمين اليوم مع الصهاينة الاشرار تقتضي أن يكون الجهاد المسلح فرضا عينيا على كل قادر على حمل السلاح بتنظيم القادة والاعتماد على القوتين : المادية والروحية .

والمعركة تتطلب الصرامة والبأس والشجاعة والاقدام وانكار الذات والسرعة فى قلب المعركة لصالحنا : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير » .

علائم النصر

العلم ، الاعداد ، الاخلاص فى القتال ، التوقيت الملائم للمعركة ، الصدق فى اللقاء والاستماتة فى سبيل الله .

قيل فى أعقاب الهزيمة الأخيرة : ان العلم غلب الجهل ، وهذا حكم صادق لحد ما ، فان عوامل الفشل : التخلف والجهل والتراخى الطويل فى التهيئة والتعبئة القائمة على أساس من الوعى والعلم والمعرفة واعداد أسباب القوى بأمضى سلاح وأحدث أسلوب .

فلا ينكر أحد تغير وسائل القتال ، وتفنن البشرية فى ابتكار أساليب جديدة فى الحروب ، ونحن مطالبون بأن نعبىء للمعـــركة كل القوى العلمية والفكرية والآلية ، جاء فى الاثر : « قاتلوهم بمثل ما يقاتلونكم به » وقال عليه الصــلاة والسلام : « الحرب خدعة » وقال تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقديما قال الشاعر العربى :

الرأى قبل شجاعة الشجعان　　　　هو أول وهى المحل الثانى

ويلاحظ أن العدو يجدد دائما فى عملياته الحربية ، والمسلمون والعـــرب عليهم أن يقوموا بتدريبات على أحسن طراز وأقومه ، فقد كـــان من أهم عوامل انتصار المسلمين فى الماضى هو التكتيك الحــــربى الرائع ، واستعمـــال كل ما تستدعيه الحرب من مبادىء الاستكشاف والتعرض والمفاجأة أو مباغتة العدو والتطويق والمطاردة وغيرها من مبادىء الحرب .

وذلك كله يتطلب اخلاصا فى العمل ، وتفانيا فى أداء الواجب ، وتمثيلا صادقا للأمة ، واستهانة بالراحة ، والعمل السريع اليقظ الذى تقتضيه سرعـــة المعارك الحديثة ، ونبذ الخلافات الشخصية والمنـــازعات الداخلية ، وتوجيه الدعم الحربى نحو صالح الجماعة ، والمحافظة على وحـــدة الأمة وكيانها ، والتخلص أولا من العدو المشترك .

ودخول المعركة تنتهز له الفرصة المواتية ، والتوقيت المناسب ، واستغلال الظروف التي تضع العدو تحت الأمر الواقع ، وفى ظـــلال رهيبة من النيران والرعب والخوف والذعر .

والثبات فى القتال أمام هجمات العدو وعدم الفرار الا لضرورة حربية من أهم دعائم الحرب : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلـكم تفلحون » « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم » .

ومن أمثال العرب : « الشجاعة وقاية والجبن مقتلة » وقد عرف العرب بالنجدة والمروءة ، والتضحية الرائعة ، والشجاعة الفذة والبطولة الخـــارقة . وأما عدونا فقد بين الله سبحانه أنه مفطور على المراوغة والجبن والغدر والنذالة فهم لا يواجهون أحدا الا ضمن الآليات : « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » . وقد رأينا أخيرا كيف يربطون قائد الدبابة بالجنزير حتى لا يفر ويتركها . .

وأما المسلمون فقد مثل آباؤهم أروع الامثلة عند لقاء الاعداء ، وهم اليوم كذلك أيضا اذا أحسن قيادهم ، فهذا سعد بن معاذ الانصارى سيد الاوس يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل الخروج الى معركة بدر : « قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لمـــا أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منـــا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر بالحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر علي بركة الله » .



نفسية المقاتل :

بهذه النفسية المؤمنة الصادقة المخلصة كان المسلم يقاتل ، وهكذا ينبغى أن يقاتل ، محبا للموت ، كارها للحياة الذليلة ، مقبـــلا على الله ، مدبرا عن الدنيا ، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاؤها ليس برخاء ، انما النعيم والرخاء فى الآخرة ، كما قال سيدنا عبادة بن الصامت رضى الله عنه . وعندما كان الفرس والروم يهابون الموت ، سارعت الهزيمة باللحاق بهم وقد جنبنا الله سبحانه هذا الخوف ، لأنه لا يجتمع مع الايمان ، فقال سبحانه : « يأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم : انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » « الذين آمنوا يقـــاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت (الاوثان والضلالات) فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

واذا كان العربى لا يقيم على ضيم أبدا ، ولا يرضى بالذل والهوان ، فانه ان شاء الله سيطهر الارض من رجس المشركين ، ويعلى كلمة الله تعالى ، وتظهر هذه النفسية فى قول شاعرنا العربى أبى فراس الحمدانى حيث قال :

ونحن أنـــاس لا توســــط بيننـــا لنا الصـــدر دون العـــالمين او القبر
أعز بنى الدنيـــا وأعلى ذوى العـــلا وأكرم من فوق التـــراب ولا فخـــر

وليست اعتداءات اليهود المتكررة أمرا جديدا على البشرية ، فهم الذين كانوا سبب الحروب العالمية الحديثة ، وهم الذين حدثنا القرآن الـــكريم عن طبيعتهم ونفسيتهم ، فقال تعالى واصفا حالهم : « لتجدن اشد الناس عـــداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفـــأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين » .

القيادة الحكيمة الصارمة :

تتطلب الجيوش والمعارك كفاءات ممتازة ، وقيادة سليمة حكيمة ، وادارة حازمة صارمة تعرف المواقف ، وتدبرها على أساس منطقى ، لا ندم فيه . ولقد حدثنا التاريخ عن ضروب فذة للقيادة الراشدة فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبى وقاص ، وشرحبيل ابن حسنة وعلى بن أبى طالب وأبى عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام والمقداد ابن الاسود وطارق بن زياد وموسى بن نصير والحجاج بن يوسف وجعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وصلاح الدين الايوبى وغيرهم .

ولعل أهم صفة للقائد هى الايمان المطلق بالله ، وبضرورة الجهاد والثقة بالنفس وسعة الافق ، والاخلاص للبلاد ، ومعرفة المواقع والرجال ، والدقة فى معرفة الآليات ، واليقظة والحذر ، والذكاء والحكمـــة ، والجراة والصرامة ، والتدرب الطويل على المعارك والحروب ، ونحو ذلك من كل ما يمثل القوة والسمو والفهم والحذق وضبط النفس .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .



عثمان المفترى عليه

للأستاذ : محب الدين الخطيب

(١) رد اعتبار الحكم بن ابى العاص ..

من المؤاخذات التى يذكرها المتحاملون على عثمان زعمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبى العاص من المدينة ، وان عثمان اعاده .

وقد تناول هذه المسالة بالتحقيق اعلام المسلمين ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه العظيم ((منهاج السنة)) فى الجزء الثالث ص ١٩٦ . وقبله قاضى الأندلس الامام ابو بكر بن العربى فى ((العواصم من القواصم)) ص ٧٧ . والامام ابو محمد ابن حزم فى كتاب ((الامامة والمفاضلة)) المدرج فى الجزء الرابع

من كتابه « الفصل فى الملل والنحل » . ومجتهد الزيدية السيد محمد بن ابراهيم الوزير اليمنى فى كتابه « الروض الباسم » ، بل من هم ابعد الناس عن محاباة امير المؤمنين عثمان ومنهم الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع فى كتابه « سرح العيون » .

وخلاصة ما دارت عليه أقوال هؤلاء الاعلام :

١ – ان نفى انسان من بلد الى بلد يكون بتغريبه عن بلده الى بلد آخر ، والحكم بن أبى العاص كان وطنه مكة ولم ينف منها الى غيرها ، ولم نعرف أن الحكم هاجر الى المدينة حتى يطرد منها .

٢ – قول شيخ الاسلام ابن تيمية ان قصة طرد الحكم ليس لها اسناد نعرف به صحتها .

٣ – قوله ان كثيرا من أهل العلم طعن فى نفى الحكم وقالوا هو ذهب باختياره ، أى أنه اختار الاقامة فى بلده .

٤ – اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد عزر رجلا بالنفى – وهو ما لم يثبت فى قصة الحكم ، لم يلزم أن يبقى نفيا دائما ، قال ابن تيمية – بل غاية النفى المقدر سنة . والتوبة مبسوطة ، فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الاسلام ، وصارت الأرض كلها مباحة له كما قال الامام ابن حزم .

٥ – قال القاضى ابن العربى – قال علماؤنا قد كان أذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال – أى عثمان – لأبى بكر وعمر فقالا له : ان كان معك شهيد رددناه ، فلما ولى قضى بعلمه فى رده .

وإذن النبى صلى الله عليه وسلم لعثمان رواه أيضا الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع ، قال ابن الوزير والمعتزلة من الشيعة والزيدية يلزمهم قبول هذا الحديث لأن راوى الحديث عندهم من المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة .

٦ – كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فقبل صلى الله عليه وسلم شفاعته فيه وبايعه ، فكيف لا يقبل شفاعته فى الحكم ؟ وقد رووا أن عثمان سأله أن يرده فأذن له فى ذلك .

٧ – ان قصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح معروفة بالاسناد ، وأما قصة الحكم فقد ذكرت مرسلة ، وذكرها مؤرخون يكثر منهم الكذب فيما يروونه .

(٢) اعطاء عثمان خمس الخمس لابن ابى سرح ..

ومن المؤاخذات التى يذكرها المتحاملون على عثمان اعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن سعد بن أبى سرح .

وقصة ذلك على ما فى تاريخ الطبرى (٥ — ٤٩) أن عثمان لما أمر ابن ابى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له « ان فتح الله عليك غدا افريقية فلك ما افاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة فضلا » . فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر ، وأوغلوا فى أرض افريقية ، وفتحوها سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله على الجند ما افاء الله عليهم ، وأخذ خمس الخمس ، وأرسل بأربعة أخماس الخمس الى عثمان مع ابن وثيمة النصرى ، فشكا وفد ممن كان معه الى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد فقال لهم عثمان : أنا أمرت له بذلك ، فان سخطتم فهو رد ، قالوا — انا نسخطه ، فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده ، فرده ، ورجع عبد الله بن سعد الى مصر ، وقد فتح افريقية .

وقد ثبت فى السنة تنفيل أهل الغناء والبأس فى الجهاد ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فى مكافأة سلمة بن الأكوع فى اغارة عبد الرحمن الفزارى على سرح النبى صلى الله عليه وسلم (أنظر المنتقى فى أحاديث الاحكام (للمجد ابن تيمية ٤٣١٤ ، وفى غزوات أخرى ٤٣١٩ ، ٤٣٢٠ ، ٤٣٢١) قال القاضى أبو بكر بن العربى على أنه قد ذهب مالك وجماعة الى أن الامام يرى رأيه فى الخمس ، وينفذ فيه ما أداه اليه اجتهاده وان أعطاه لواحد جاز .

من هو سعد ؟

وعبد الله بن سعد بن أبى سرح صحابى من بنى عامر بن لؤى من قريش ، كان أخا عثمان من الرضاعة استجار له عثمان يوم فتح مكة فأجاره النبى صلى الله عليه وسلم ، وحسن اسلامه ، وكان من عظماء المجاهدين الفاتحين ، ولما أراد الله ادخال مصر فى الاسرة الاسلامية كان ابن أبى سرح فى طليعة الصحابة الذين أكرمهم الله بهذا الجهاد ، فكان صاحب الميمنة فى الحرب تحت لواء عمرو ابن العاص ، وكانت له مواقف محمودة فى الفتوح ، وبعد أن استتب الأمر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وادى النيل اختط ابن أبى سرح لنفسه خطة فى بقعة الجهاد المباركة حول الفسطاط الذى قام عليه أول مسجد للاسلام فى مصر .

وروى البرقى فى تاريخه عن الليث بن سعد أنه قال « كان ابن أبى سرح على الصعيد زمن عمر ، ثم ضم اليه عثمان مصر كلها ، وكان محمودا فى ولايته » وهذه الحقيقة التى يقررها الليث بن سعد امام مصر عن امارة ابن أبى سرح على

مصر سنة ٢٥ هـ كانت مقدمة لقيام هذا الادارى العادل بقيادة الجيوش سنة ٢٧ هـ لافتتاح افريقية ، وكان ذلك من أعظم الفتوح . بلغ منه سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وكان العبادلة على جلالتهم تحت قيادة ابن ابى سرح فى هذا الجهاد ، ثم واصل هذا القائد جهاده سنة ٣١ هـ فى غزاة الأساود ، وفى سنة ٣٤ هـ فى ذات السوارى فلما وقعت الفتنة فى المدينة كتب ابن ابى سرح الى عثمان يستأذنه فى القدوم الى المدينة من طريق العريش والعقبة ، واستخلف على مصر السائب بن هشام بن عمير ، فتغلب على مصر محمد بن أبى حذيفة الذى منع ابن ابى سرح من دخول مصر ، فمضى الى فلسطين واختار الاقامة بين عسقلان والرملة واعتزل الناس الى سنة ٥٧ هـ ، وفى صبح يوم من الأيام وهو بالرملة قال ــ اللهم اجعل آخر عملى الصبح ، فتوضأ ثم صلى ، فسلم عن يمينه ، ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه برحمة الله .

(٣) الكتاب المزور على امير المؤمنين عثمان ..

تحدثنا من قبل عن قصة الكتاب الذى زعم من زعم ان امير المؤمنين كتبه الى عامله على مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بأن يقتل محمد بن أبى بكر ، وان ينكل بمن معه من الثائرين على عثمان .

وذكرنا من ادلة تزوير هذا الكتاب ، وانه لم يصدر عن عثمان ولا عن كاتبه مروان ، ان عثمان ومروان كانا يعلمان ان ابن ابى سرح لم يكن وقتئذ موجودا فى مصر ، لانه كتب من قبل الى الخليفة يستأذنه فى المجىء الى المدينة وأنه فارق مصر ، وتغلب عليها محمد بن ابى حذيفة رئيس البغاة وعميدهم فى الفسطاط .

وذكرنا أن زعيمى ثوار العراق الأشتر النخعى وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة ولم يخرجا منها ــ عند خروج جماعتهما من البغاة عائدين من المدينة الى اوطانهم فى المرة الاولى ، مقتنعين بأجوبة أمير المؤمنين عثمان على الشبه التى وجهوها اليه ، فكان من مصلحة مدبرى الثورة أن يبتكروا وسيلة لاعادتهم الى المدينة ، ليجددوا الفتنة ، وكان هذا الكتاب المزور هو الوسيلة المبتكرة لذلك ، وذكرنا شواهد على تعدد الكتب المزورة بايدى رؤساء البغاة .

فتزوير الكتب فى مأساة البغى على أمير المؤمنين عثمان كان من اسلحة البغاة عليه ، وهم حين قدومهم الى المدينة فى بداية الأمر ، كانوا زعموا انهم تلقوا من على وطلحة والزبير رسائل يدعونهم بها الى الثورة على عثمان ، بدعوى انه غير سنة الله ، فالأشتر النخعى وحكيم بن جبلة وامثالهم من منظمى الثورة والدعاة اليها ، هم الذين تكرر منهم تزوير الرسائل من قبل ومن بعد لتحقيق غرضهم السيىء المبيت .

واعجب العجب فى أمر الكتاب المزور على عثمان ، وادعاء انه كتبه الى اميره على مصر عبد الله بن سعد بن ابى سرح الذى لم يكن حينئذ موجودا فى مصر ، أعجب العجب فى ذلك أن قوافل الثوار العراقيين التى كانت متباعدة فى الشرق ، عن قوافل الثـــوار المصريين فى الغرب عادتا الى المدينة معا فى آن واحد ، مع أن الكتاب المزور موجه الى طائفة واحدة منهما وهى قافلة المصريين .

فمسرحية الكتاب المزور مثلت فى الطريق الغربى الذى كان المصريون فيه وحدهم وكان الراكب المستأجر لحمل هذا الـــكتاب يتعرض لقافلة المصريين ثم يفارقها مبتعدا عنها ، ويكرر ذلك المرة بعـد المرة ليثير شـــبهتهم فيه ، وكان المفروض لو كان صادقا وغير ممثل لمسرحية تلقنها أن يختفى عن عيـــون أهل القافلة ، ولا يشعرهم بوجوده ، لكنه لما تراءى لهم المرة بعد المرة ، قالوا له — مالك ؟ قال — أنا رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر أن يصلبهم ويقطع ايديهم وأرجلهم ، فصدقوا ما أريد لهم أن يصدقوه ، ولم يعلموا أن الـــكتاب من تزوير الأشتر وحكيم بن جبلة ، اللذين لم يسافرا مع جماعتهما الى بلديهما ، بل تخلفا فى المدينة (الطبرى ٥ — ١٢٠) ولم يكن لهما أى عمل يتخلفان فى المدينة لأجله ، الا مثل هذه الخطط والتدابير التى لا يفكران يومئذ فى غيرها .

فلما عادت قوافل الفريقين — العراقيين والمصريين — الى المدينة وصـلتا اليها معا كأنما كانوا على ميعاد ، ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين ، استأجروا راكبا آخر خرج من المدينة قاصدا قوافل العراقيين شرقا ، لبخبرهم بأن المصريين اكتشـــفوا كتابا بعث به عثمان الى عبد الله بن ســـعد بن أبى سرح فى مصر بقتل محمد بن أبى بكر (الطبرى ٥ — ١٠٥) .

فقال لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه عند وصـــولهم جميعا فى آن واحد : كيف علمتهم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ، ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر ابرم بالمدينة . (يشير كرم الله وجهه الى تخلف الأشتر وحكيم فى المدينة ، وانهما هما اللذان دبرا هذه المسرحية) .

فاجابه الثوار العراقيون بلسان رؤسائهم — فضعوه على ما شـئتم . لا حاجة لنا الى هذا الرجل ، ليعتزلنا .

وهذا تسليم منهم بان قصة الكتاب مفتعلة وأن الغرض الأول والاخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان ، وسفك دمه الذى عصمه الله بشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(٤) محاباة الأقارب وتوليتهم ..

ومن مؤاخذاتهم لعثمان أنه حابى أقاربه ، وكان يوليهم الادارة فى البلاد ، والقيادة للجيوش . وعثمان لم يول أقاربه محاباة لهم ، بل لكفاءتهم فى صناعة الحكم ، وتفوقهم فى قيادة الجيوش ، ونجاحهم فى انتصاراتهم التى لا يكاد يكون لها نظير .

وليس عثمان أول من ولى رجالات بنى أمية الادارة والقيادة ، بل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أسبق فى اسناد الولايات اليهم ، فقد استعمل عتاب ابن أسيد الأموى على مكة كبرى مدن الوطن الاسلامى فى الصدر الأول ، وولى أبا سفيان بن حرب على نجران ، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص ، واستعمل غيرهم ، وكذلك فعل أبو بكر فى خلافته ، ثم عمر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة : والنقل عن النبى صلى الله عليه وسلم فى استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه ، بل متواتر عن أهل العلم ، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عند كل عاقل فى منتهى الظهور .

واذا كان عثمان قد ولى اقاربه لكفاءتهم وتفوقهم ، فان عليا ولى اقاربه من قبل ابيه وامه كعبد الله بن عباس ، وعبيد الله بن عباس ، وحكم بن عباس ، وثمامة ابن عباس وولى على مصر ربيبه محمد بن ابى بكر الذى رباه فى حجره وتزوج امه بعد وفاة الصديق الأعظم .

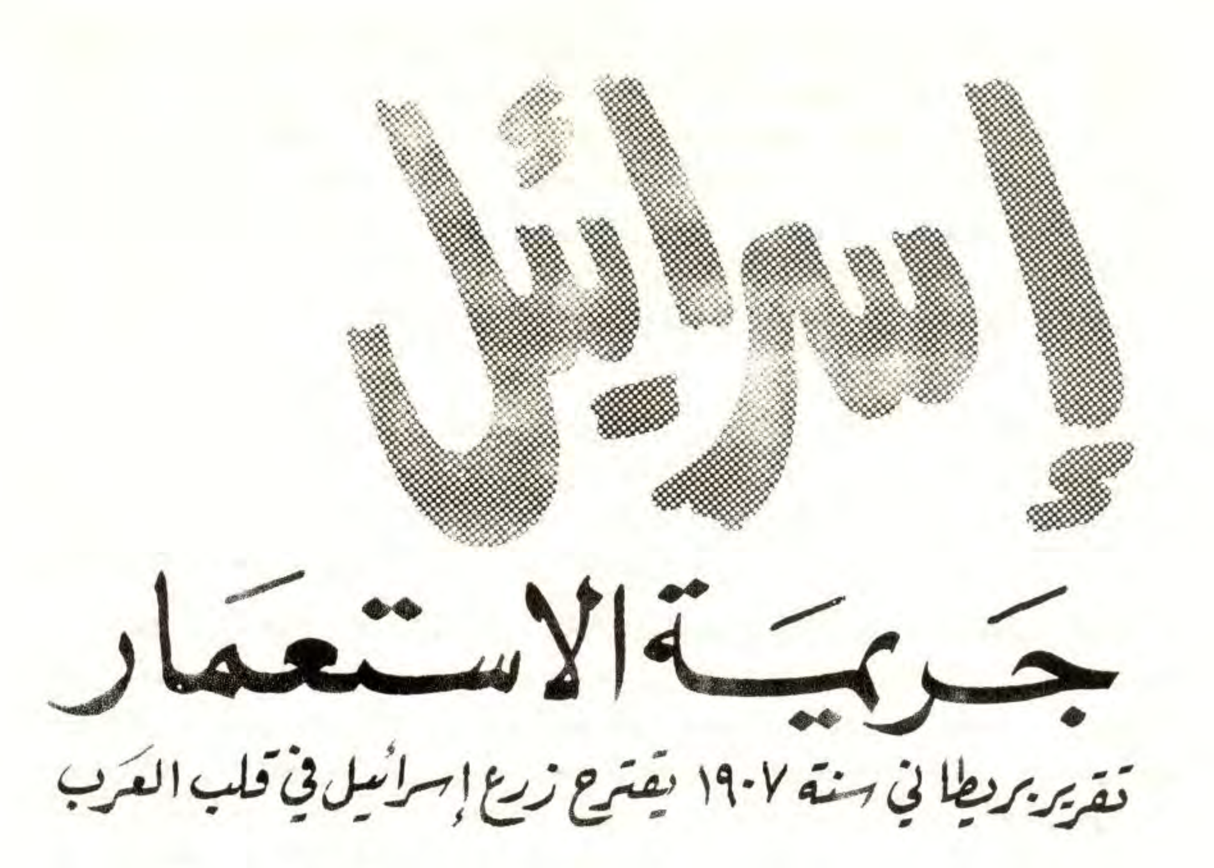
قال ابن تيمية : والذين ينكرون ما ينكرون من ذلك على عثمان فى ولاية اقاربه من بنى امية فان عليا كان فى ذلك أبلغ من عثمان ، واذا ادعى لعلى العصمة مما يقطع عنه السنة الطاعنين ، فان ما يدعى لعثمان من الاجتهاد والذى يقطع السنة الطاعنين اقرب الى المعقول والمنقول (انظر منهاج السنة ٣ — ١٧٣ — ١٧٤) .

(٥) لين عثمان وبعض مظاهره ..

اللين والشدة من الصفات النسبية التى لا يمكن تحديدها فى مختلف الأحوال ، وقد يكون الحاكم لينا فى نفسه ، وفى معاملته لأفراد الناس ، ولا يكون كذلك فى حكمه وتصريفه لأمور الدولة .

وكان أبو بكر موصوفا باللين ، لكنه كان يولى الشديد ، ويستعين به ليعتدل

(البقية على صفحة : ٥٦)



للدكتور : محمد ضياء الدين الريس

رئيس قسم التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة

> **اسرائيل ليست ظاهرة منفصلة أو قائمة بذاتها ، ولكنها اثر الاستعمار أو نتيجته . وهى متلازمة معه ، ولا بقاء لها الا فى حمايته ورعايته .**
>
> **واذا كان الاستعمار القديم الذى أوجدها قد اندثر أو قضى عليه بفضل الجهاد العربى ، فانها تحاول أن تبقى الآن فى حماية الاستعمار الجديد ، وهو الذى لا بد أن تقضى عليه الأمة العربية أيضا .**
>
> **فاسرائيل ما هى الا ظاهرة شاذة مفتعلة ، مضادة لسير التاريخ ، ومناقضة لروح العصر والمدنية المتقدمة . ولذا فان نهايتها محتومة ، ومقضى عليها بالزوال — وذلك اذا أجمعت الأمة العربية أمرها ، واتخذت الوسائل القوية الحاسمة ، لتطهير الوطن العربى من هذا الأثر الاخير للاستعمار ، وهو بقية عصر باد ، أو يوشك أن يصل الى نهايته .**

بدأ وجود هذه الحركة فى أواخر القرن الماضى — التاسع عشر — وكان هذا الوقت هو الذى بلغ فيه الاستعمار الأوربى ذروته . فكان يتسابق ويتدافع للوثوب على الأقطار فى آسيا وافريقيا ، ومنها بلاد الشرق الأوسط . وجاء الاحتلال البريطانى لمصر — ١٨٨٢ — نذيرا بما ينوى الاستعمار أن يفعله بالدولة

العثمانية ، والأقطار العربية المتصلة بها . فحينئذ فكرت جماعات من اليهود ، المكروهين فى أوربا ، أن هذه هى فرصتهم ليلحقوا بركاب الاستعمار ، ويلتقطوا قطعة من بلاد الدولة العثمانية ؟ وولوا انظارهم نحو فلسطين بالذات ، لأوهام وخرافات تملأ اذهانهم ، ولأطماع عدوانية يخفونها حتى تتمكن أقدامهم . فظهرت اذن الحركة الصهيونية ، وهى السعى للعودة الى صهيون — القدس — وفلسطين . فلم تكن الا جزءا من حركة الاستعمار العامة ، ومن موجة الاندفاع نحو الشرق العربى ، الذى كانت الدول الأوربية تتطلع الى تقسيمه والتهامه .

• • •

وحانت الفرصة حين انضمت تركيا الى المانيا والنمسا ضد بريطانيا وحلفائها ، فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) فحينئذ اقتربت لحظة التقسيم ، ونشط زعماء الصهيونية ، فاتصلوا برجال السياسة البريطانية والتقت الأغراض ، وتم الاتفاق على المؤامرة .

فقد كان هؤلاء الساسة من غلاة المستعمرين وأصحاب العقلية البائدة ، الذين يعملون لبناء الامبراطورية ، وتوسيع حدودها ، ويعتقدون أن الاستعمار البريطانى سيبقى الى الأبد . كما أنهم كان يستولى عليهم — أيضا — ويوجههم تعصب دينى ، فهم متأثرون بكتب اليهود وأساطيرهم ومعتقداتهم ، ويشاركونهم الحقد والكراهية للدولة العثمانية والعرب . والاسلام . وهذا الجيل من عتاة المستعمرين هم الذين حكموا بريطانيا ، وتصرفوا فى شئون الشرق الاوسط وذلك من بدء الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى نهاية الربع الأول من القرن العشرين .

• • •

خطة قديمة

وكانت سياسة الاستعمار ازاء الشرق العربى قد تبلورت فى تقرير خاص كتبه خبراء وزارة الخارجية البريطانية فى عام ١٩٠٧ ، وجاء فى هذا التقرير :

« ان الخطر ضد الاستعمار يكمن فى البحر المتوسط ، فعلى الشواطىء الشرقية والجنوبية لهذا البحر يعيش شعب واحد ، تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقومات التجمع والترابط ، هذا فضلا عن ثرواته الطبيعية ونزعته للتحرر . فلو أخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة ، وامكانيات الصناعة الأوربية ، وانتشر التعليم بها ، فستحل الضربة القاضية بالاستعمار الغربى . فيجب اذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة ، وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتاخر ، وهذا يستلزم فصل الجزء الافريقى فى هذه المنطقة عن الجزء الآسيوى . وتقترح اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوى وغريب ، يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا بافريقيا ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة » .

• • •

ولما حانت الفرصة فى اثناء تلك الحرب ، وعرض زعماء الصهيونية على المستعمرين الانجليز مشروع انشاء وطن لليهود فى فلسطين ، واستطاعوا أن يقنعوهم بأن هذا — الى جانب ارضائه لميولهم الدينية — فيه مصلحة للاستعمار وتثبيت للنفوذ البريطانى فى الشرق العربى ، وحراسة لموارد البترول وقناة السويس وكان الاستعماريون اذ ذاك فى ازمة اقتصادية وحربية وجدوا ان

الاتفاق مع الصهيونيين ــ فوق أنه يحقق مطامعهم الاستعمارية ــ سيؤدى أيضا الى مساعدتهم للخروج من الأزمة ، لانضمام الراسمالية اليهودية العالمية الى جانبهم ، وعملها ضد الألمان فى داخل وطنهم بالخيانة وسعيها لاشراك أمريكا فى الحرب الى جانب الحلفاء .

• • •

ومن الوثائق المثبتة للعلاقة الوثيقة بين المشروع الصهيونى والاستعمار الرسالة التى وجهها الزعيم الصهيونى « وايزمان » الى الشعب البريطانى والمسئولين ، ونشرتها صحيفة « المانشستر جارديان » ، والتى قال فيها : .. **« الا ترون أنه يمكننا الآن القول بانه اذا أصبحت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانى ، ووافقت بريطانيا على اقامة مستعمرة يهودية فيها تحت الحماية البريطانية ، فانه فى خلال عشرين سنة نستطيع أن يكون لنا هناك مليون يهودى أو اكثر ، يشكلون حراسة عملية لقناة السويس ؟ » !!**

وفيما يتعلق بالمشاعر الدينية التى كانت تحرك الساسة الانجليز وكانت تقترن بالتعصب ، فان « وايزمان » ــ الذى كان على اتصال مستمر بهم ــ يقول فى مذكراته :

« ينسبون الى فضل الحصول على تصريح « بلفور » .. ولكن الحقيقة أن السبب الرئيسى لفوز اليهود فى الحصول على وعد من بريطانيا بانشاء الوطن القومى اليهودى هو شعور الشعب البريطانى المتاثر « بالعهد القديم » (توراة اليهود) . وان رجالا من أمثال بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين من أعماق قلوبهم ، ومؤمنين بما ورد فى هذا الكتاب ، ونظروا الينا معشر الصهيونيين كممثلين لفكرة يعتقدون فيها اعتقادا كليا » .

• • •

فكانت نتيجة كل هذه العوامل ــ السياسية والدينية ــ أن أصدر اللورد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا وكان أحد هؤلاء المستعمرين المتعصبين ــ تصريحه المنكود المعروف فى نوفمبر ١٩١٧ ، وذلك بالنيابة عن حكومته ، وهو الذى أعلن فيه تأييد بريطانيا للأغراض الصهيونية ، وتعهدها بأن تبذل اقصى ما فى وسعها لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

صدر هذا التصريح فى صورة خطاب وجهه وزير الخارجية الى اللورد (روتشيلد) ــ احد كبار الصهيونيين الرأسماليين ــ ولم تكن بريطانيا قد دخلت فلسطين بعد ، ولم يكن لها أى حق ، قانونى أو دولى فيها ، فكان وعدا صادرا من غير ذى صفة ، ودون رعاية لحق شعب فلسطين فى تقرير مصيره ، فكان تصرفا باطلا .

وكان نص هذا التصريح كما يلى :

« عزيزى اللورد روتشيلد »

يسرنى سرورا كثيرا أن انهى اليك ــ نيابة عن حكومة جلالته ــ التصريح الآتى الذى يعلن العطف على المطامح اليهودية وقد عرض هذا التصريح على الحكومة البريطانية فوافقت عليه .



ان حكومة جلالته تنظر بعين الرضا والتاييد الى اقامة وطن قومى فى

فلسطين للشعب اليهودى . وستبذل أعظم جهودها لتسهيل تحقيق هذا المشروع .

على أنه مفهوم بوضوح أنه لن يعمل شىء يمس الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية التى توجد الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق والمزايا السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر .

وأكون معترفا بالشكر اذا تفضلت بأن تبلغ هذا التصريح الى الاتحاد الصهيونى » .

هكذا كان بدء هذه الجريمة ، او هذا المشروع الصهيونى الذى أسموه فيما بعد « اسرائيل » وقد كان — كما بينته هذه الحقائق — مشروعا استعماريا يهدف الى تحقيق مطامع الامبرياليين البريطانيين وأتباعهم الصهيونيين ، وتدفعه مشاعر دينية تعصبية نابعة من معتقدات ضالة .

وقد وضع هذا المشروع ، واخذ فى تنفيذه دون اعتبار لارادة شعب فلسطين ، بل دون نظر الى وجوده ، فكان مشروعا عدوانيا ظالما مخالفا لكل القوانين والمبادئ . ولذا لم يمكن تنفيذه الا بقوة الاستعمار — قوة السيف والحديد والنار . وعلى مدى ثلاثين عاما (١٩١٧ — ١٩٤٧) رزحت فيها فلسطين تحت الحكم العسكرى المباشر .

ومع أن بريطانيا دخلت فلسطين بمعونة العرب ومتحالفة معهم ، واخذت الانتداب من عصبة الأمم لكى تدرب شعب فلسطين — كما تقول وثيقة الانتداب — على الحكم الذاتى ، الى ان تصل به الى الاستقلال ، فانها غدرت بالعرب وخانت الأمانة ، فأدخلت الشعب السجون ، وفتكت به ، على حين فتحت باب الهجرة لليهود على مصراعيه ، وسلمت زمامها للوكالة الصهيونية ، فكانت هذه جريمة من أبشع الجرائم التى ارتكبها الاستعمار فى تاريخه الممقوت ، بل أكبر جريمة ارتكبها على الاطلاق ضد الانسانية والعدل والقانون .

وبعد أن أتم الاستعمار القديم تنفيذ جريمته ، سلم البلاد الى شركائه الصهيونيين والى الاستعمار الجديد ، ليواصل حماية الجريمة ، واستمرار نتائجها . فتولت « أمريكا » المهمة بدلا من بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية ، فدفعت بالعدوان مرحلة ابعد . واكبر خطورة ، وبذلت جهدها لتكسبه صفة دولية . وكانت نتيجة هذا كله المأساة التى نشهدها ويراها العالم ، وهى اخراج شعب بأكمله من وطنه ، ليعيش لاجئا فى الصحراء أو البلاد المجاورة ، واقامة دولة من الغرباء فى هذا الوطن على أساس الاغتصاب ، وصارت مهمة هاته الدولة المصنوعة أن تشن العدوان من حين لآخر على الدول العربية ، وتنهب الأراضى بالقوة ، وتقضى على الأمن والسلام فى الشرق الأوسط ، وهى فى ذلك تخدم الاستعمار ، فتحقق اغراضه ، بأن تستنزف جهود الدولة العربية ، وتقف حاجزا بينها فتمنع وحدتها ، وتعوق نهضتها ، وبذلك تعمل على اخضاع المنطقة للنفوذ الامبريالى لخدمة مصالحها الاحتكارية ، وفى مقدمتها البترول ، وتنفيذ خططه السياسية او الحربية ، وتظل هكذا قاعدة للاستعمار والتح[illegible] والعدوان فى الشرق العربى .

فالاستعمار الجديد يقف اليوم وراء هذه القاعدة يحميها ويسندها ، [illegible]ـدها بالأسلحة والأموال ، ويدفعها للقيام بأعمال عدوان أخرى ، وهو لا يختلف فى

اهدافه عن الاستعمار القديم ، فله مثل مطامعه الاقتصادية والسياسية ، وتحركه المشاعر الدينية التعصبية وان كانت وسائله مختلفة لأنها ليست بقوة الاحتلال الظاهر ، وانما بالسيطرة المستترة ، أو باستخدام ادوات له لتنفيذ مآربه ، كما أنه أيضا أكثر حماقة لقلة خبرته ، ولأنه يستولى عليه غرور القوة .

غير أنه فى هذا الغرور يكمن السر الذى سيؤدى الى التغلب عليه وفشله فى النهاية ، فهو لا يدرك روح العصر ، ولا يكاد يعترف بما طرأ على العالم من تطور وظهور قوى مؤثرة تعمل للسلام ، وتناضل من أجل العدل واحترام حقوق الشعوب ، كذلك لا يفهم حقيقة الأمة العربية ، ولا ما حدث من تغير فى أوضاع منطقة الشرق الأوسط .

فحين أصدر المستعمرون الانجليز تصريحهم الذى بدأ به العدوان على فلسطين كانت « الدولة العثمانية » التى تشغل هذه المنطقة فى آخر عهدها ، ولم تكن الأمة العربية قد ظهرت بعد على مسرح التاريخ كقوة سياسية أو دولية أو اقتصادية (١) ، لكن قد مضى الآن على هذا التاريخ خمسون عاما أو أكثر ، وقد زالت الدولة العثمانية وحلت محلها الأمة العربية ، فبدأت نهضتها وأثبتت وجودها وكافحت الاستعمار حتى ظفرت بحريتها ، وقامت فيها دول عديدة مستقلة . فالأمة العربية المتوثبة الطامحة هى التى تشغل الآن منطقة الشرق الأوسط ، وهى تعمل بكل دأب واصرار على تحقيق وحدتها ، واستكمال قوتها ، وطرد الاستعمار فى أى شكل من أشكاله من أرضها ، ولا تتم هذه الوحدة والقوة والتخلص من الاستعمار الا باستعادة فلسطين العربية ، وتوحيد الأرض العربية كلها من المحيط الى الخليج ، وازالة القاعدة الباقية للاستعمار « اسرائيل » من هذه المنطقة لتأمن الشعوب العربية على حريتها ، ويزول عنها الخطر الذى يهددها فى كل وقت ، ويتأكد استقلالها وتتضاعف قوتها .

ولذا فان الواجب على الأمة العربية — وهى صاحبة الحق الطبيعى — وقرينة التاريخ ، ومظهر القانون ، والتى تمثل روح العصر ، تعاونها كل قواه التقدمية أن تجمع كل ارادتها وتحشد كل جهودها لتحطيم هذه القوة المادية ، وهذا شىء فى امكانها ، وقادرة عليه — بالبداهة — كل القدرة ، وما عليها الا أن توفر لنفسها الشروط اللازمة لاحراز التفوق الحربى ، وتحقيق النصر .

والتفوق الحربى يتم بالاسلحة الحديثة — ولا سيما السلاح الجوى — والتدريب والمهارة فى وضع الخطط والتنفيذ ، كما أن من أول شروطه الايمان والاخلاص والشجاعة والاتحاد ، وأن توجهه السياسة الحكيمة التي تضمن بلوغه الى هدفه . فحاضر العرب اذن ومستقبلهم مرهون بعلو الهمة وصدق العزم وقوة الايمان والارادة للنهوض بهذا الواجب ، وما بين العرب والوصول الى أهدافهم — من الاستقرار والسلام والمجد — الا أن يسجلوا نصرا خالدا على عدوهم فى موقعة حاسمة تاريخية تضاف الى أمجادهم السابقة ، أيام ظفروا بانتصاراتهم الداوية : فى « اليرموك وحطين ، والمنصورة ، وعين جالوت » . والله ناصر الحق ومؤيد المؤمنين ■■

---

(١) واذا كان اختيار ذلك الوقت بالذات لوضع حجر الاساس لهذا الشر يدل على مهارة سياسية نادرة كان مخططا لها من قبل فان صحوة الدول العربية كفيلة بافساد هذه « الطبخة » والقضاء عليها ، وهذا يتوقف على يقظتنا وجديتنا فى فرض وجودنا على القوى المعادية . « الوعى »

(٤) تاريخكم .. يا شباب الاسلام !!

آمنوا بأنفسكم وماضيكم المجيد

للاستاذ : احمد محمد جمال

استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الرياض

كنت أستمع ، ذات ليلة ، الى محاضرة عن الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه .. ألقاها مدرس مصرى ، فى أحد الأندية الرياضية . وكانت محاضرة قيمة ممتعة . وقام بعض الحضور للتعقيب على المحاضر فى بعض ما ساقه من آراء .. فراعنى أن ينهض أحد الشباب معقبا بكلام سقيم ، يطالب فيه المحاضر بتطبيق مذهب الديكارتية فيما تحدث عنه من تاريخ الامام ، دون أن يبدى رأيا له فى فقرة بعينها من حديث المحاضر أو آرائه ..

كان تعقيبه مجرد تشدق وتظاهر بأنه يعرف شيئا اسمه (الديكارتية) ومفكرا غربيا اسمه (ديكارت) !!

لقد أسفت على هذا الشاب المحسوب على العروبة والاسلام ، وزاد أسفى أنه ليس الوحيد فى دنيا العرب والمسلمين . فهناك الكثير من شبابنا العربى المسلم ينحو نحوه ، ويحيا حياته ، اعجابا واصطحابا لنظريات الغربيين على ما فيها من اعوجاج وانحراف . دون أن يلتفت الى (ماضيه) الحافل بجلائل الفكر النير . وقد صدق عليه قول الشاعر العربى :

واذا فاتك التفات الى الما ... ضى فقد غاب عنك وجه التاسى

ان الديكارتية .. التى يملأ بها ذلك الشاب فمه ، ويرائى بأنه مثقف عصرى ، لأنه ينطق بها ، ويطالب المتحدثين بتطبيقها فى مناهج ابحاثهم ودراساتهم — هى نظرية ديكارت فى البحث العلمى الذى يجب أن يقوم اولا على الشك حتى ينتهى الباحث الى اليقين .

السبق الاسلامى الى مذهب الشك

ولو أن شبابنا العربى المسلم قرأ تاريخه ، ودرس حضارته الفكرية .. لعرف أن المسلمين سبقوا ديكارت وأتباعه وطلابه ، الى نظريته التى يظنون انها حديثة ، وأنها ابتكار غربى جديد .

ونحن ــ المسلمين ــ لا نسمى هذه النظرية « مذهب الشك » كما سماها ديكارت واتباعه ، والمتمدحون ببراعته وبلاغته . وانما نسميها (التوثيق) ذلك المبدأ الذى اخذ به علماء الحديث النبوى لمعرفة حقيقة الرواة ، وللتثبت من نص الحديث المروى ، والاستيثاق من حفظ الراوى ، واتقانه ، وضبطه لما يرويه ، وحسبنا أن نشير الى قواعد الجرح والتعديل ، لنعرف مدى تمسك رواة السنة النبوية بمبدأ (التوثيق) .. أومذهب الشك كما يحب أن يسميه العصريون .

ولم يكتف المسلمون بمذهب التوثيق فى رواية الحديث النبوى وحده باعتباره الأصل الثانى أو المصدر الثانى للتشريع الاسلامى .. بل تجاوزوه الى كتابة التاريخ .. فقارىء كتب التاريخ العربية يلاحظ أن المؤرخين المسلمين يثبتون الأحداث ، ويروون الأخبار عن عدد من الرواة ، كما هو الشأن فى الحديث النبوى ، وان كانت قواعد الجرح والتعديل لا تطبق كثيرا فى رواية التاريخ . كما يلاحظ أن المؤرخين المسلمين يكتفون بتقرير الحقائق التاريخية ، دون أن يدخلوا فيها بآرائهم وأهوائهم .. كما هو الحال فى كتابة التاريخ عند الغربيين .

وقد اخذ بعض مفكرى الغرب المحدثين على المؤرخين العرب نقلهم الأحوال التاريخية الموروثة الى الأجيال التالية بدون نقد أو تعليق ، واتهموهم ــ لذلك ــ بضيق الأفق والعجز عن النقد ...

مع أن النظرية العربية فى كتابة التاريخ هى الأصوب ، والأسلم من تداخل الآراء الخاصة فى صلب الأحداث والأخبار ، مما يبتعد بالرواية عن مبدأ التوثيق ، وقد أيد النظرية العربية فى كتابة التاريخ من المؤرخين الغربيين العصريين : (أكتون) و (كريتون) اللذان ناديا بعدم الاسراف فى تفسير الحوادث ، وطالبا بأن يكتب التاريخ بطريقة موضوعية ، مع مراعاة الأمانة ، فى وصف الأحداث ، والبعد عن المبالغة والتهويل .

وتمشيا مع مبدأ (التوثيق) فى كتابة التاريخ دعا ابن خلدون الى فحص الحقائق ، والتأكد من صحتها ، وتمحيص الأسباب التى أنتجتها .

ومن مظاهر (التوثيق) الذى سبق اليه المفكرون المسلمون : تلك الاجازات التى كان العلماء يمنحونها لتلاميذهم اذنا لهم بالتدريس أو الفتيا أو رواية الحديث النبوى ، بعد أن يستوثقوا من أمانتهم ومقدرتهم وصلاحهم .

وكما سبق الفكر الاسلامى الى مبدأ التوثيق ــ الذى يطلقون عليه اليوم (الديكارتية) ــ فى تفسير القرآن ، ورواية الحديث النبوى ، وكتابة التاريخ .. طبق علماء اللغة ، هذا المذهب فى الاستعمالات اللغوية ، فراعوا فى وضعهم لأصول اللغة العربية وقواعدها ما راعاه علماء الحديث النبوى ــ ومن ذلك تقسيمهم اياها الى متواتر وآحاد . .وعنوا بالمتواتر : لغة القرآن الكريم وما تواتر من السنة وكلام العرب . وكان هذا النوع الدليل القطعى ، واشترطوا للتواتر أن يبلغ عدد النقلة حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب . وأما غير المتواتر فهو ما تفرد بعض اهل اللغة بنقله ، ولم يتحقق فيه شرط التواتر .

امثلة من ائمة التوثيق :

ونضرب بعض الأمثلة من أئمة التوثيق ــ فى المناهج الفكرية الاسلامية ــ

لشبابنا الذى يتغنى بمذهب الشك عند ديكارت . ويجهل أن فى تاريخه الاسلامى سبقا الى ما هو مثله فى موضوعه ، ولكنه افضل واكمل . .

فالامام الغزالى حجة الاسلام — سبق الى مذهب الشك . فهو يقول فى كتابه (المنقذ من الضلال) : انه كان منذ شبابه فى طلبه للعلم يتوغل فى كل مظلمة ، ويتهجم على كل مشكلة ، ويتفحص عقيدة كل فرقة ، ويكشف اسرار مذهب كل طائفة . ولا يغادر باطنيا ولا ظاهريا ، ولا فلسفيا ولا متكلما ، ولا صوفيا ولا متعبدا ولا زنديقا الا بعد أن يعرف دوافعهم ومعارفهم واسرارهم وبراهينهم .

ويقول الغزالى فى كتابه (ميزان العمل) موجها نصيحته الى طالب العلم : اطلب الحق بطريق النظر . ولا تكن فى صورة أعمى مقلد . وانما خذ الحق أينما وجدته » .

وكان شعاره فى عمله الفكرى : « لا تعرف الحق بالرجال ، بل أعرف الحق تعرف أهله » .

ويقول الدكتور عمر فروخ تعليقا على مذهب الامام الغزالى فى تحصيل العلوم والتفقه فى الدين عن طريق الشك الباحث فى حقائق الأمور : « ان هذا الموقف الذى وقفه الغزالى من الدين لا نجده عند معاصريه من الأوربيين . ولا عند الذين جاءوا من بعده . فما كان بالامكان أن يفترض مفكر أوروبى أن النصرانية لا تثبت صحتها الا بالعقل ، كما فرض الغزالى أن الاسلام الموروث عن الوالدين لا قيمة له ما لم يقم فى نفس كل مسلم مفكر برهان على صحته » .

. . . .

والمثال الثانى على سبق الفكر الاسلامى الى مذهب التوثيق : هو الفيلسوف (ابن رشد) الذى يحث على النظر فى الموجودات واعتبار ما تقتضيه منها شرائط البرهان ، فما كان موافقا للحق قبلناه ، وما كان غير ذلك نبهنا اليه وحذرنا منه » .

والمثال الثالث : أبو اسحاق النظام . . الذى يعتبر (الشك) اساسا للبحث ويقول : الشاك أقرب اليك من الجاهد . ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك . ولم ينتقل أحد من اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال « شك » أما (التجربة) فقد استخدمها النظام كما يستخدمها رجال الطبيعة والكيمياء اليوم فى معاملهم ، واجرى تجاربه على الحيوانات والطيور والأفاعى لمعرفة تأثير الخمر عليها !

فأين يقف (ديكارت) ومذهبه فى الشك . . أمام هذه الثروة الضخمة الفخمة من سوابق الفكر الاسلامى فى مذهب التوثيق : شكا فبحثا فيقينا ؟ .

من سوابق التفكير الاسلامى التربوى :

ومن الشبهات والتهم التى يغالط بها شبابنا العربى المسلم : زعم بعض المستشرقين — أمثال كارادى فو — انه لم يوجد فى الشرق ذوق فطرى للتعليم ، ولا ميل للبحث عن المناهج العقلية ، ولا رغبة فى مسائل التربية ، ولا اهتمام بأمر الطفولة الخ . .

ولازالة هذه الشبهات من أذهان شبابنا ، وأبطال هذه المزاعم — نذكر

بعض ما دافع به مفكرونا وعلماؤنا ، ثم نشير الى شىء يسير من حقائق السبق الاسلامى فى مجال التربية والتعليم .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق (ان المسلمين لم يتخلفوا عن غيرهم فى ميدان التربية والتعليم . فقد كتب أئمتهم ومفكروهم فى موضوع التربية والتعليم منذ القرون الأولى . وكانت لهم أنظار طريفة لم يخلق تطاول الزمن جدتها) .

ويقول الدكتور احمد فؤاد الأهوانى فى كتابه (التربية فى الاسلام) : لا نزاع فى أن العرب قد بلغوا فى القرون الأولى الاسلامية درجة عظيمة من الحضارة .. انتشرت من أقصى الشرق الى أقصى الغرب . ولا حضارة بغير علم ، ولا علم بغير تعليم ، ولا تعليم بغير نظام معين يرتب الصلة بين المعلمين والتلاميذ ، ويفصل المناهج وطرق التربية وسائر ما يتصل بالتعليم من أدوات »

اذن فهناك تربية اسلامية ، وتعليم اسلامى منذ القرون الأولى . بل هناك مؤلفات تربوية وضعها مفكرون اسلاميون أمثال ابن كنون ، والقابسى ، والغزالى ، وابن خلدون ، وغيرهم . ولم يضعها المسيحيون العرب كما زعم المستشرق الفرنسى كارادى فو ...

ويتحدث الدكتور الأهوانى فى كتابه عن رسالة (القابسى) فى تعليم الأطفال ، فيؤكد انها من الحجج التى تذهب بالوهم الذى علق بالأذهان ، وهو أن المسلمين لم يهتموا بتعليم الأطفال ، وتثبت أن المسلمين ابتكروا فى التربية آراء جديدة لم يصطنعوها عن العرب المسيحيين ، أو ينقلوها عن التراجم اليونانية واللاتينية ...

ورسالة القابسى هذه ترفعه الى قائمة قادة التربية ، وتضعه فى سجل المبرزين .. فهى ترسم منهجا تربويا رائعا ، يشمل واجب الآباء نحو أبنائهم — ومؤهلات المعلمين ومسؤولياتهم — وطرائق تعليم الأطفال — ومراقبة سلوكهم — وتحديد العقوبات التى ينبغى أن تنزل بالمخالفين منهم مع النهى عن عقوبة الانتقام — وتعويد الأطفال على الاستقلال الشخصى — والرفق فى معاملتهم . وقد دعا القابسى فى رسالته الى تعليم البنات فى حدود طبيعتهن ووظيفتهن ، كما نادى (بالتعليم الالزامى) فدل بذلك على تقدم الفكر الاسلامى التربوى ، وعلى سبقه للحضارة العصرية .

وهناك سوابق تربوية وتعليمية فى رسائل اخوان الصفا — وكتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) لاحمد بن مسكويه — وفى كتاب (السياسة) لابن سينا — ومؤلفات الغزالى — وكتاب (تعليم المتعلم ..) للزرنوجى — وفى مقدمة ابن خلدون الخ .

وحسبنا أن نشير هنا الى سبق ابن سينا الى القول بمسايرة ميول الطفل ثم توجيهه الى الصناعة أو المهنة التى تتفق مع ميوله ، فقد ألزم معلم الطفل أن يسبر قريحته ، ويزن طبعه ، ويختبر ذكاءه .. ثم يختار له الصناعة التى تتفق مع استعداده . وهو رأى — كما يقول الدكتور الأهوانى — من الآراء الحديثة فى التربية وعلم النفس !

كما سبق الزرنوجى علماء التربية الحديثة الى طريقة التكرار الموزع على عدة أيام لضبط المعلومات وتذكرها . هذه — يا شباب الاسلام — صفحات أخرى من تاريخكم تشعركم بالفخر ، وتدعوكم للذكر ، وتلزمكم بالعمل ■■

نسمات من أفياء الأقصى

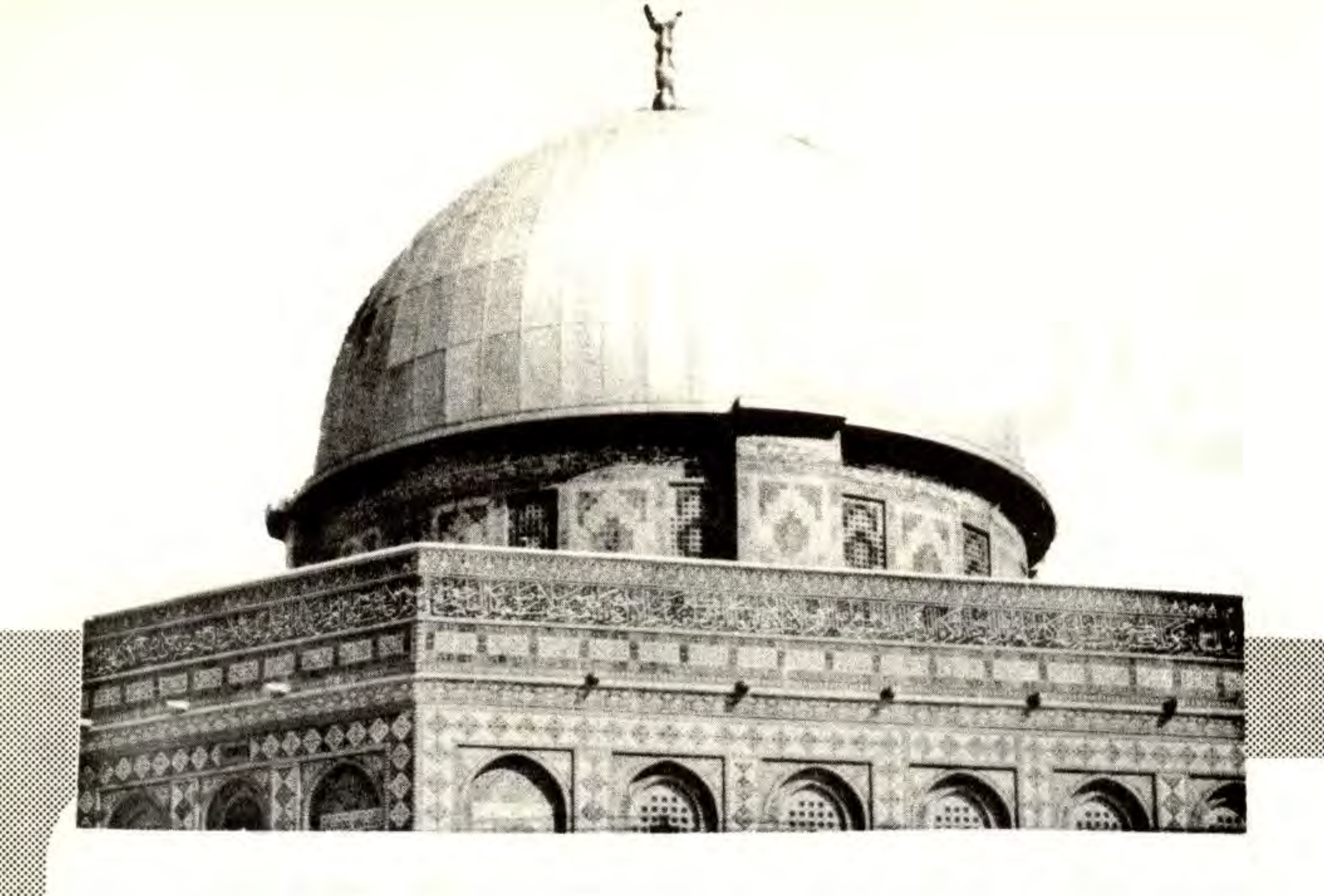
للأستاذ: يوسف العظم - عمان

أشرق الكون بالصباح وحيا — في بلادي مرابعا ونجودا
ومشى الفجر باسما في رباها — يلثم الطير والندى والورودا
تربها طاهر يفوح شذاه — كم حوى عالما وضم شهيدا
وفروع الزيتون والتين باتت — نضرات تداعب العنقودا
وخرير الغدير في افقها الرحب — تناهى ترتيلة ونشيدا
تلك ارض الاسراء والنور تاهت — بالنبيين ركعا وسجودا

✶

كل شبر من ارضها ضمخته — دفقات من مهجة لشهيد
وعلى كل ذروة من رباها — هينمات من دعوة التوحيد
والنجوم التي أطلت علينا — في سماها تروي تراث الجدود
شرحبيل الذي يقود السرايا — ومعاذ وخالد بن الوليد
ولواء الايمان يخفق بالنصر — ويمضي في عزة وصمود
يا لحطين صيحة تتعالى — وتدوي في أرضنا من جديد

✶



ومــع الليـل والظـــلام تراءت — من بعيد فيـــالق العـــدوان

تحمــل المــوت والدمار وترسى — فى بلادى قواعــد الطغيـــان

ولغت فى الــدم الزكى لطفـــل — ولشـــيخ محدودب الظهر فان

وابادت من الصـــغار جموعـــا — روعت بعـــد هـــداة وأمـــان

المحـــاريب أظلمـــت بعـــد فجر — فيـــه تسرى ترتيلة القـــرآن

والأذان الحـــزين دوى جريحـــا — فســـمعنا الاذان غيـــر الاذان

★

سنة الــكون والحيـــاة عرفنـــا — لا يـــلاقى الرمـــاح الا الرمـــاح

أو يخيف العـــدو غـــير رجوع — لهتاف ترتج منـــه البطـــاح

فيه روح اليرموك تسرى يقينـــا — لا صراخ وضـــجة وصـــياح

فيه حطـــين عـــزة وفـــداء — ودمـــاء زكيـــة وجـــراح

فيـــه وعى وعفـــة وضـــياء — فيه حق ورحمـــة وســـماح

ولئـــن مزق الظـــلام حمانا — فليبـــدد ظلامنـــا اصـــباح

إلى الإنسان

كن نسمة حب حانية ... تسرى فى الأفق النشوان

كن نبضة خير من قلب ... تنساب الى قلب ثان

كن فرحة طفل ترسمها ... بضياء القلب .. العينان

كن نورا يشرق من أمل ... يشدو باحب الألحان

وربيعا مزدهرا ، حلوا ... يسرى فى قلب الانسان

أو نبعا بالروح يحيى ... ويعانق روح الظمآن

ويغنى للطير الشادى ... ما بين الأيك الفينان

أو زهرا فى الروض ينادى ... بالعطر .. بسحر الألوان

قد نسق .. لكن فى فوضى ... زادت من حسن البستان

وتفرق .. لكن بنظام ... من صنعة رب الانسان

تسقيه النسمة فى حب ... من نبع الحب الملآن

كن عطرا ينساب طليقا ... كالحلم بدنيا النعسان

كن طيرا بالحب يغنى ... فيثير حنين الأغصان

كن ومضة نور دافقة ... من مشرق نور الايمان

وصلاة من قلب تقى ... تسمو لرحاب الديان

ودعاء يرفعه قلب ... يشكو من ليل الأحزان

وعطاء يمحو مأساة ... صاغتها كف الحرمان

* *

للأستاذ : ابراهيم محمد نجا

كـن سـيفا صلبا بتـارا — لكـن .. فى وجـه الطغيـان
أقتلـه .. مزقـه اربـا — فقتيلـك صنـو الشيطـان
انظر بنيـان الكفـر عـلا — فى أرضـك .. تبـا للبـانى
فاضربـه بمعـولك المـاضى — ينقض أسـاس البنيـان
والشـر الأحمـر منسـاب — فى روضـك مثـل الثعبـان
فاسـحقه بعنـف ويحقـد — او يشـرب من دمـك القـانى

* *

سـتقول ظـلام الليـل طغـى — طغيـان المـوج الغضبـان
والنبـت الأخضر تسـلمـه — للمـوت يـد القيـظ الجـانى
والماء يجف ، لأن الـ — قيـظ يجفف مـاء الغـدران
واقـول ، ففكـر فى قـولى — وتأمـل فيـه بامعـان
هل أشـرق فجر لـم يمحـق — بسـناه دجى ليـل فـان ؟
وهـدى الايمان .. ألم يسـحق — بالعزم .. ضـلال الأوثـان ؟
والنهـر .. أيمتـد بعيـدا — من فـوق صخـور القيعـان
لو أبصـر فى الأرض صـخورا — فارتـد كسـير الوجـدان ؟
هل يظهـر ضـوء لـم ينفـذ — من بين ضـلوع الجـدران ؟
فاثبت .. لا تستسـلم أبـدا — وتقـدم بـين الفرسـان
بعزيمـة جيـش منتصـر — وبقلـب نـبى انسـان

العرب بين دولة الخلافة والاستعمار الغربي

مقدمات ونتائج

للشيخ : طه الولي - بيروت

في هذه المرحلة التاريخية التى تعتبر أخطر مرحلة تمر بها بلادنا ، أجد من الضرورى أن أضع أمام قراء (الوعى) دراسة سريعة عن تطور الحركة العربية التى سبقت الحرب العالمية الأولى ، وما أدت اليه هذه الحركة بالنسبة للبلاد العربية فى أعقاب تلك الحرب الضروس ، ليرى القراء كيف أن للشر الذى يحيط بنا الآن جذورا يجب أن يعرفوها ، ويركزوا جهودهم عليها ليستأصلوها . . ويعرفوا كيف انخدع البعض منا فقام فى وجه الدولة التى كانت فى نظر الغرب تمثل الاسلام ، ومن أجل ذلك عمل على القضاء عليها وجر بعض المسلمين معه ليشاركوه فى عملية الاجهاز التى أرادها ، وحين تم له ما أراد ظهر على حقيقته أخطر عدو للاسلام والمسلمين . .

عوامل تاريخية :

قبل أن تصبح الحركة العربية القومية حقيقة واقعة مرت فكرتها فى مراحل كثيرة ، وكانت أولى بوادر ملامح الوعى القومى عند العرب فى العصور الحديثة سنة ١٨٧٥ ميلادية . وذلك حين تنادى فريق من المثقفين السوريين الى تكوين جمعية سرية تطالب المسؤولين فى الدولة العثمانية باستقلال سورية بكامل حدودها الطبيعية التى كانت فى حينها تضم الأجزاء المعروفة اليوم : فلسطين (التى يحتاها اليهود) والمملكة الاردنية الهاشمية التى هى عبارة عن بقايا أشلاء فلسطين الممزقة فى الضفة الغربية من نهر الشريعة المعروف بالأردن وبلاد البلقاء التى سماها الانتداب الانكليزى شرقى الأردن . والجمهورية اللبنانية التى شكلها الانتداب الفرنسى من بعض ولاية بيروت القديمة مضافا اليها متصرفية جبل لبنان الممتازة والأقضية الأربعة ، حاصبيا وراشيا ومعلقة زحلة وبعلبك . والجمهورية العربية السورية وهى الجزء الداخلى من بلاد الشام الذى احتفظ حتى الآن بالاسم التاريخى لمجموعة هذه المناطق المذكورة .

وكان هدف هذه الجمعية السرية تحديد معـــالم الوجود العربى القومى داخل الامبراطورية العثمانية عن طريق الاعتراف بالعربية لغة رسـمية للبلاد وعدم استخدام الوحدات العسكرية المجندة من أهالى المنطقة الا ضمن حدودهم الاقليمية .

ولم يكن الوعى القومى قد بلغ أشده فى ذلك الحين بين الناطقين بالضاد نظرا لتداخل العاطفة الدينية بالحماس الوطنى ، فجاءت حركة هـذه الجمعية القومية خلجات مبهمة تحاول تلمس الكيان العربى من خلال الاحساس بالذات

وكان هدف هذه الجمعية السرية تحديد معـــالم الوجود العربى القومى لغويا وعســكريا فقط ، وفى ذلك يقول أحد ســياح الفرنجة د. دى ريفوير D. De. Rivoyer فى انطباعاته عن زيارته لسـورية فى أواسـط النصف الثانى من القرن الماضى : « .. ويلوح فى الأفق البعيد طيف حركة عربية ولدت حديثا .. وسيقوم هذا الشعب الذى كان مغلوبا على أمره حتى الآن بالمطالبة عما قريب بمركزه الطبيعى فى عالم الاسلام وفى توجيه مصير هذا العالم » .

الا أن نسمات الفكرة العربية لم تجد فى أفق البلاد الجو الصالح لتفاعلها واستمرارها لأن العالم العربى الممتد من ســواحل الأطلنطى فى الغرب الى الخليج العربى فى الشرق تعرض فى أكثر البلدان لغزو الاســتعمار الاوروبى الذى تسابقت ممالكه وجمهورياته لاقتسـام سلب الامبراطورية العثمانية التى كانت تلقب يومئذ بالرجل المريض .

ففى سنة ١٨٣٠ استولت فرنسا على الجزائر بحجة الثأر لقنصـلها من ضربة المروحة التى وجهها اليه الداى . وفى سنة ١٨٨٠ نزلت جيوشـها فى تونس تحت ستار الحماية . وفى سنة ١٨٨٢ اناخت بريطانيا بكامل جيوشـها البرية وأساطيلها البحــرية على ارض مصر متذرعة بحــادثة احمد عرابى المشهورة . وفى سنة ١٩١١ فاجأت قوات ايطاليا ســاحل طرابلس الغرب بخيلها ونيرانها . وهكذا بدا للنــاس فى الشرق العربى أن بلادهم قد تعرضت من جديد لحرب صليبية تستهدف كيانهم القومى وعقائدهم الدينية فى آن واحد . فلم يجدوا بدا من العودة بعواطفهم الوطنية الى المناخ الدينى فوضعوا أنفسهم طائعين تحت لواء الدعوة الاســلامية الذى رفعه المغفور له ســاكن الجنان السلطان عبد الحميد الثانى بواسطة داعية جرىء قدير هو جمال الدين الأفغانى الذى اتخذ من مصر منطلقا لحركته الفكرية الروحية تحت شعار : تحرير الاسلام من السيطرة الأجنبية : (على أن يكون هـذا التحرير القـومى مقدمة لبعث عقائدى يعقبه توحيد الديار الاسلامية من جديد وتنصيب خليفة عليها يرضى عنه الجميع) .

وبالفعل فان الســلطان العثمانى وجد فى معركة الافغانى التى دعيت يومها : « بحركة الجامعة الاسلامية » ما كان يرجوه من القضــاء على النزعة العنصرية التى كانت تهدد وحدة امبراطوريته بالانحلال والتفكك ، كما وجد فيها ايضا أداة فعالة لوقف انهيار الدولة العثمانية تحت ضربات الغزاة الأوروبيين الذين اصبحوا فى نظر جميع المسلمين ، عربا وغير عرب ، أحفاد الصـليبيين الذين يتوجب على كل مسلم محاذرتهم ومحاربتهم حفاظا على الاســلام وأرضه وأهله من غائلة العدوان والابادة .

بيد أن دعاة العروبة لم يقنطوا من البحث عن الوسيلة التى يستعيدون بها المبادرة مرة أخرى من يد السلطان العثمانى ودعاة سياسته الذكية ، وبالفعل ، فان هؤلاء العروبيين عثروا على هذه الوســيلة بقلم الكاتب الحلبى المعروف



الشيخ عبد الرحمن الكواكبى الذى تحلى بالمرونة واللباقة وســـاير الجماهير العربية من مواطنيه بقبول فكرة الجامعة الاسلامية ، ولكنه ذهب الى القول بأن خليفة العالم الاسلامى لا يجوز الا أن يكون عربيا ومن قريش بالذات . وهذا ما كان عمليا ، يتناقض تمام التناقض مع اغراض الســـياسة العثمانية . بل انه بالعكس ، يتفق تمام الاتفاق مع أهداف الدعوة القومية العربية ولو تحت ستار الفكرة الدينية التى كانت فى ذلك الحين الغذاء الروحى الجذاب لعواطف الناس الوطنية فى ذلك الحين .

ازدهار الفكرة القومية فى الجناح الآسيوى من البلاد العربية :

لقد كان من نتائج وقوع شمال افريقيا العربى فى قبضة الاحتلال الأجنبى ، ان الوطنية العربية فى تلك البلاد اختارت لنفسها الشعارات الدينية للافادة من الروابط الروحية التى تشدها الى دولة الخلافة الاسلامية فى صراعها المميت مع المستعمرين الأجانب ، من أجل الحرية والاستقلال . وكان التناقض الدينى بين افريقيا العربية المسلمة وأوروبا ســـببا رئيسيا فى ابتعاد اخواننا المغاربة عن الشعارات التى رفعها عرب المشرق فى وجه السياسة التركية لتحقيق وجودهم القومى .

وعلى هذا فلقد تابعت آسيا العربية ســـبيلها فى الدعوة الى التمييز بين العنصرين العربى والتركى فى الادارة والجيش والشؤون الثقافية معتمدة على تأييد المراجع الغربية التى كان من مصلحتها توسيع الثغرة بين العناصر القومية التى كانت تشكل المجتمع العثمانى ، والعرب بطبيعة الحال فى مقدمة هـــذه العناصر لأنهم كانوا يشكلون جغرافيا وعدديا اكبر مجموعة داخل هذا المجتمع . وعلى الرغم من حرص القائمين بالفكرة العربية على مراعاة الرأى العام العربى فى شعوره الموالى لدولة الخلافة العثمانية باعتبارها رمزا لوحدة الاسلام فى العالم ، بالرغم من هذا الحرص ، فان بعض اللبنانيين الجبليين لم يســـتطيعوا كبح عواطفهم السلبية من السلطة العثمانية ، فأطلق اليازجى أحد شـــعرائهم المعروفين فى أواخر القرن الماضى صيحته المثيرة المدوية .

« تنبهوا واستفيقوا أيها العرب »

فى قصـــــيدة طويلة تغلى فى أبياتها وكلماتها مراجل الحقد والـــكراهية والاهاجة ضد العنصر التركى . ولكن شعور بعض المفكرين المخلصين بمطامع الاستعمار الغربى ، وادراكهم لما يتحينه من الفرص للانقضاض على بقية البلاد العربية جعلهم يسعون الى ايجاد نظام جديد يكفل للعرب حقوقهم الســـياسية وحريتهم ونصيبهم الفعلى فى ادارة شؤون الامبراطورية دون الانفصال عنها » .

وهكذا بقيت الروح العربية فى أغلب مظاهرها دائرة فى فلك الاســـتمرار العثمانى مع التطلع الى كيان قومى خاص فى اطار هذا الفلك الذى كان جميع المسلمين فى العالم والعرب من جملتهم ، يريدون له البقاء ليكون لهم رداء ومجنا يتقون به غائلة التدخل الأجنبى الذى كان يتحاشاه الجميع ويحاربونه بكل قوة .

الجمعيات العربية فى محاولاتها القومية الاولى :

وعندما أشرف القرن الماضى على نهايته وبدت طلائع القرن الحالى كانت الأحداث الدولية تتوالى بشكل مثير ، الامر الذى جعل أصحاب الفكرة العربية

يبادرون الى تنظيم انفسهم تارة بالسر ، واخرى بالعلن ، لكى يكونوا قادرين على الافادة من الظروف السياسية لتحقيق اهدافهم القومية وفى سنة ١٩٠٨ وقع فى اسطمبول عاصمة السلطنة العثمانية انقلاب سياسى اجبر السلطان عبد الحميد الثانى على اصدار دستور حديث يحد من نفوذ العرش فى ادارة البلاد ، وهو ما كان يطلق عليه فى حينه « المشروطية » ونظرا لتردد عبد الحميد فى تنفيذ هذا الدستور ، ومحاولة العودة بالوضع الى سابق عهده ، فان جمعية الاتحـــاد والترقى التى نظمت الانقلاب ، وفرضت الدســـتور تابعت حملتها التى أدت فى النهاية الى خلع السلطان نهائيا عن الخلافة والملك ، وجلوس اخيه الســلطان محمد رشاد المعروف بمحمد الخامس مكانه فى قصر يلدز .

وكان من الطبيعى أن يحاول دعاة الفكرة العربية مع اركان جمعية الاتحاد والترقى المذكورة ، لعلهم يحققون لفكرتهم بعض أسباب التقـدم داخل اجهزة الدولة التى اصبحت جميعها تحت سلطان هذه الجمعية وانصارها .

بيد أن الوقائع كانت على غير ما اشتهت الآمال ، اذ أن الاتحاديين كانوا أشد من سابقيهم فى التعصب للقومية التركية والحقد على القوميات الأخرى لاسيما العربية بالذات ، اذ سار هؤلاء على سياسة عنصرية متزمتة واصروا على حكم الامبراطورية العثمانية على أساس سيادة العنصر التركى . كما انتهجوا ادارة مركزية شديدة لا تتفق وحركة سير القوى التى ولدتها اليقظة القومية العربية . فما لبث قادة الفكرة العربية أن تراجعوا عن التعـاون مع الحـاكمين الجدد ، وانصرفوا الى تكوين الجمعيات الخاصة ببنى جلدتهم فى البلاد العربية .

وهكذا شهدت الأوساط العربية مولد :

ا ــ جمعية (العربية الفتاة) التى تسعى الى تحقيق اســـتقلال البلاد العربية وتحريرها من الحكم التركى .

ب ــ حزب اللامركزية الادارية العثمانى .

جـ ــ جمعية الاصلاح .

د ــ المؤتمر العربى الأول .

هـ ــ الجمعية القحطانية .

و ــ جمعية العهد .

وكل هذه الجمعيات والأحزاب والمؤتمرات كانت تعمل على تنبيه المشاعر القومية فى البـــلاد العربية ، دون أن تجنح الى الخروج عن دائرة الولاء للتاج العثمانى الذى كان يعتبر آنذاك ، رمزا روحيا لوحدة العالم الاســـلامى ، بازاء القوى الأوروبية التى يؤلف بينها اتجاهها الدينى ..

ومما يؤكد الروح العثمانية عند العرب ، لاسيما المسلمون منهم ، الحادثة التالية .

عندما افسحت الحكومة الفرنسية لقادة العرب بأن يعقدوا مؤتمرهم الاول فى باريس سنة ١٩١٣ ، كان أيوب ثابت ــ أحد الذين تولوا أمانة سر الدولة فى لبنان أيام الانتداب الفرنسى ــ يتردد خلسة على وزارة الخارجية الفرنسية فى باريس ، ويؤكد لموظفيها أن اللبنانيين والســـوريين بأكثريتهم الســـاحقة على اختلاف اديانهم يتمنون أن تحتل فرنسا بلادهم وأن تنقذهم من الظلم التركى .

ولاحظ سليم على سلام المعروف (بأبو على سلام) ـ والد صائب سلام أحد رؤساء الحكومات اللبنانية فى عهد الاستقلال وزميله أحمد مختار بيهم (والد أمين بك بيهم رئيس المجلس البلدى فى بيروت حاليا) ذلك التردد ورجحا أن يكون رفيقهما أيوب ثابت ساعيا الى ترويج السياسة الفرنسية فحفظا الأمر فى صدريهما .

ولما انتهى المؤتمر رأى كبار المؤتمرين أن يزوروا وزارة الخارجية الفرنسية ليشكروها على سماحها لهم بعقد مؤتمرهم فى باريس . وقد قاموا بالزيارة فاستقبلهم الأمين العام لوزارة الخارجية معتذرا بأن الوزير غائب ، وأنه كان يود أن يستقبلهم شخصيا .

وفى أثناء حديث المجاملات وتبادل العواطف بين فرنسا وسورية اغتنم ابو على سلام المناسبة وقال لممثل فرنسا : (يهمنا يا سعادة السفير أن تعرفوا حقيقة شعورنا ورأينا فى مصير بلادنا . فنحن اذا طالبنا باللامركزية وبالحقوق العربية المهضومة ـ فاننا شديدو الاخلاص لسلطنة جلالة أمير المؤمنين الخليفة الأعظم ، ولا يمكن أن ننسلخ عن سلطنته ولا يخطر ببالنا مطلقا أن نطلب حمايتكم ومجيئكم الى بلادنا . وهذا كلام أصدقاء يشكرون لفرنسا عطفها على أمانى العرب وخدماتهم لهم !) .

وقد أيد المرحوم أحمد مختار بيهم كلام زميله ، فامتقع وجه أمين وزارة الخارجية الفرنسية ، ولكنه كتم غيظه اذ كان ينتظر عكس الذى سمعه ! . .) .

ثورة الشريف حسين بن على :

ونتيجة لاحتقان الأوضاع السياسية فى أوربا لاسيما فى بلاد البلقان انفجرت براكين الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ واصطلت بنيرانها الدول الكبرى فى الشرق والغرب على حد سواء ، وقد اختارت الامبراطورية العثمانية جانب ألمانيا فتحالفت معها ضد دول الحلفاء ، وهكذا أصبح المسلمون آليا فى الجهة المعادية للحلفاء الأمر الذى دعا هؤلاء وفى مقدمتهم انكلترا الى استدراج أحد الزعماء المسلمين لشق عصا الطاعة على الخليفة العثمانى ، وبالتالى ايصال تأثير هذا الأخير على مسلمى العالم حتى يأمن الحلفاء على الاستقرار فى مستعمراتهم الاسلامية ، فلا تستجيب شعوبها لداعى الجهاد الذى أعلنه أمير المؤمنين من سدة الخلافة العظمى باسطمبول .

ولم يعد خافيا أن دوائر الاستخبارات الانكليزية بثت عملاءها فى ديار العرب بحثا عمن يستجيب للتعاون معها تحت تأثير العوامل القومية اذا كان ذلك أمرا لا بد منه ، على أن الوفود التى حملت الرغبات الانجليزية الى النافذين فى الجزيرة العربية فشلت فى مهمتها لدى امام اليمن يحيى حميد الدين وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود وغيرهما من أمراء المناطق الموزعين فى هذه الجزيرة ، ولم تجد من يتجاوب معها الا شريف مكة حسين بن على الذى كان يحمل فى نفسه شيئا على المسؤولين فى اسطمبول لأسباب تتعلق بامارته الروحية على الديار المقدسة ، فضلا عن مطامحه فى أن يصل الى خلافة عربية أو على الأقل الى عرش يدعم سلطان ملكيته على البلاد العربية كلها فضلا عن الحجاز نفسه . وعندما انطلقت رصاصة الحسين من شرفات قصره بمكة المكرمة اعلانا للثورة العربية على السلطنة العثمانية تجاوب معها كثير من الضباط العرب فى الجيش العثمانى والتحقوا بالشريف فى مكة المكرمة ليقودوا القبائل البدوية

التى استأجرها الانجليز من أجل اشغال القوات العثمانية بضرب مؤخرتها فى بلاد العرب ، وتخريب مواصلاتها لشل تنقلاتها العسكرية ما بين مركز القيادة وبين المناطق التابعة لها .

وبالرغم من أن الشريف حسينا كان يتصرف وكأنه مقتنع بالوعود والعهود التى قدمها اليه السير هنرى مكماهون باسم الحلفاء ، فان هؤلاء كانوا فى الواقع ينظرون الى حركته الثورية من خلال مصلحتهم العسكرية والسياسية ، وذلك فى اضعاف التأثير المعنوى للجهاد الدينى الذى أعلنه خليفة المسلمين فى اسطمبول ، وبالتالى للحيلولة دون تمكين القوات العثمانية من مساعدة حليفتها القوات الالمانية فى جبهات الحرب الاوروبية ، وهذا ما كشفت عنه المذكرات التى نشرها أركان الجيوش الحليفة وزعماء الانكليز السياسيون فيما بعد .

سايكس ــ بيكو وأثرها على الحركة العربية :

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الاولى حدث انقلاب ضخم فى روسيا القيصرية حولها الى بلاد شيوعية ، وأدى الى انسحاب الروس فجأة من الحرب ، واذاعتهم لكثير من الأسرار والاتفاقات التى كانت خافية على أصدقاء الحلفاء ، والعاملين لحسابهم ، ومن جملة هذه الاسرار والاتفاقات كانت المعاهدة التى اتفق على تنفيذها الانجليز والفرنسيون فى البلاد العربية ، فى حال انتصارهم على أعدائهم من الالمان والعثمانيين .

وخلاصة هذه المعاهدة كما هو معروف ، توزيع البلاد العربية المؤلفة من سورية والعراق بينهما تحت مصطلح سياسى جديد سموه : الانتداب ، وترك شبه الجزيرة العربية لحكامها المحليين من الشيوخ والامراء على أن يكونوا من الناحية العملية بيد السياسة الغربية توجههم بما يتفق ومخططاتها الاستعمارية فى سائر انحاء المنطقة التى تشمل الشرق الأدنى بأكمله .

وصحيح أن اذاعة هذه المعاهدة الغادرة أحدث ردود فعل سلبية لاسيما فى أوساط الضباط العرب ، لكن « الشريف حسين » كان قد بلغ فى تورطه مع الحلفاء ضد خليفة المسلمين الحد الذى لم يعد يسمح له بالتردد أو التراجع عما اخذ نفسه به ، فتابع نهجه تحت شعارات الفكرة العربية ، حتى وضعت الحرب أوزارها ، وأصبح وجها لوجه أمام الواقع المرير ، وهو احتلال الأجانب لبلادنا ، وتقسيمها فيما بينهم الى أجزاء مبعثرة ، فى شكل دويلات هزيلة ، يحكمها فى الظاهر رجال من العرب .

الاحتلال :

فى آخر ايلول سنة ١٩١٨ سكتت أصوات المدافع على كافة الجبهات الحربية فى الشرق والغرب ، وارتفعت اصوات المؤتمرين فى فرسايل ، وهم يتناقشون فى تقرير المصير النهائى للمهزومين فى البلاد التى اعتبرها الحلفاء عدوة لهم ، وكانت بلادنا فى الشرق العربى فى نظرهم بلادا عدوة رغم الجهود التى بذلها العرب من أجل مصلحة هؤلاء الحلفاء ، والاتفاقات الرسمية التى عقدوها مع ممثليهم فى القاهرة .

وعندما رفعت شقيقة الأخوين محمصانى اللذين أعدمهما الاتراك خلال الحرب ، الراية العربية المربعة الألوان على السراى الكبير فى بيروت أمر القائد

الفرنسى بانزالها على الفور لأن السـلطة فى سـورية ولبنان قد انتقلت من العثمانيين المهزومين الى الفرنسيين المنتصرين دون أن يكون لأهالى البـلاد أى رأى أو قيمة فى الموضوع !

وبانطواء العلم العربى عن أفق بيروت ، انتهى الحلم الجميل الذى عاشه البيروتيون لمدة اسبوع واحد ، واختنقت فى الصدور زغاريد الفرح والابتهـاج التى انطلقت بها الحناجر بعد أن بحت من الهتاف لمجد العرب واسـتقلالهم ووحدتهم .

لقد كان نزول مشاة البحرية الفرنسية الى بيروت يجوسون خلال أزقتها وشوارعها بخيلهم ورجلهم فى ٨ تشرين الأول سنة ١٩١٨ ، صـدمة مروعة أيقظت رجال الحركة العربية من أعوان الشريف حسـين ، وابنه الأمير فيصل على الواقع المرير ، الذى انتهى اليه كفاحهم الى جانب الحلفاء ، الأجانب ، ضد دولة الخلافة الاسلامية التى كانت على أى حال تعتبرهم رعية عثمانية ، شأنهم فى الادارة والحكم والجيش شـأن أى مواطن عثمانى آخر مهما كانت لغته او قوميته أو دينه .

على أن العرب لم تذهلهم الصدمة فلم يستسلموا لذل الخيبة والخسران ، ولم يستكينوا لما حاق بأمتهم ووطنهم من سوء المنقلب . فما لبثوا ان تنادوا من جديد للم شعثهم ، وجمع كلمتهم لاستئناف معركتهم القومية ضد الاحتلال الأجنبى الذى رأوا فيه انتهاكا لحرمة العهود والمواثيق الرسمية ، وتحديا معيبا لميثاق الشرف الذى جعلهم ينفكون عـن ولائهم للدولة العليـة العثمـانية ويربطون مصيرهم بأغراض الدول الاجنبية .

اعلان الاستقلال :

وبينما كان الحلفاء مجتمعين فى سان ريمو سنة ١٩٢٠ لتنفيذ ما تعاقدوا عليه فيما بينهم أثناء الحرب من اتفاقات سرية أو علنية ، وقرروا بالفعل توزيع سورية والعراق بين فرنسا وانكلترا على أن تكون الاولى فى شطرها الشمالى من حصة فرنسا ، ويكون شطرها الجنـوبى مع كامل بلاد العراق من حصة انكلترا . .

بينما كان الحلفاء فى هذا الصدد ، تنادى رجال الحركة العربية الى اجتماع قومى حافل فى ٨ آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ أى من السنة نفسها بمدينة دمشق عرين العروبة وظئر الاسلام ، وأعلنوا استقلال سورية — التى تضم أيضـا فلسطين ولبنان — دولة ملكية دستورية يقوم على راسـها الامير فيصل بن الحسين . وحذا حذوهم رجالات العراق الذين انتخبوا الامير عبـد الله بن الحسين ، شقيق فيصل ، ملكا عليهم .

فرنسا وبريطانيا تفرضان سياستهما بالقوة :

ولكن هذا الموقف الصامد للوطنيين العرب فى سـورية والعراق لم يرق للحلفاء الذين وجدوا فيه تحديا لمشروعاتهم الاستعمارية فى المنطقة ، وحائلا دون تحقيق وعودهم التى قطعوها لعمـلائهم من الصـهيونيين ، وبعض الأقليات

الاخرى ، فما عتموا أن فتحوا النار الفرنسية على السوريين فى خان ميسلون ودكوا استقلال ســورية فى ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ ، كما فتحوا النار الانكليزية على العراقيين ، ودمروا مدائنهم وقراهم وحريتهم فى عمليات عسكرية وحشية أظهروا فيها كل ما عنـــدهم من مقدرة على (تمدين) العرب بالنار والحديد والبطش الشديد !! وما هى الا عشية أو ضحاها حتى دخلت سورية الداخلية ثم تبعها العراق فى أتون الانتدابين الفرنسى والانكليزى وتوارى عرشا فيصل وأخيه عبد الله عن دمشق وبغداد خلف حجاب صفيق من قوات الحلفاء التى كانت خلال الحرب صديقة العرب ، ثم أصبحت بعدها العـــدو الذى لا يرحم ! ..

وبزوال استقلال سورية والعراق دخل الكفاح العربى مرحلة جديدة على أساس جديد .

أوضاع عربية جديدة وكفاح عربى جديد :

بفضل القوة العسكرية الساحقة استطاعت عصبة الأمم التى كانت أداة مسخرة لمصـــالح الحلفاء المنتصرين أن تفرض الانتداب الانكليزى على العراق وجنوبى سورية . والانتداب الفرنسى على شمال سورية داخلا وساحلا .

ولقد أتاح هذا التوزيع الاعتباطى لبلادنا بين انكلترا وفرنسا أن تتصرف كل منهما فى حدود منطقتها بما يتلاءم ومخططاتها الاستعمارية محليا وخارجيا .

اما فرنسا فقد قطعت شمال سورية الى أشلاء مشـــوهة ، تفصل بينها حـــدود وهمية مصطنعة وأطلقت على كل شلو منها لقب دولة : دولة حلب ، دولة حماة ، دولة الدروز ، دولة دمشق ، دولة العلويين ، دولة لبنان الكبير .

وأما انكلترا فانها بعد أن أخمدت أنفاس الثورة العراقية بـــكل شراسة وعنف ، وحاولت الانتقام من العراقيين بتقطيع وطنهم الى ثلاث دويلات :

دولة للأشوريين والأكراد فى الشمال .

دولة بغداد فى الوسط .

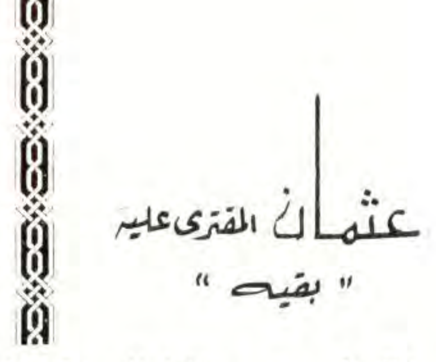
كما أوعزت الى عملائها فى الجنوب بأن يتقدموا الى الحـــاكم الانكليزى بطلب انضمام متصرفية البصرة وأراضى شط العرب الى الادارة الهندية التابعة لوزارة المستعمرات البريطانية .

ولكن هذه المحاولة الرخيصة لم يمكنها أهل العراق من البروز الى حيز الوجود ، وحافظوا على وحدة ترابهم القومى سليمة تحت تاج الملك فيصل الأول رحمه الله .

وفى جنوبى سورية استطاع الانكليز تقســـيم المنطقة التابعة لهم الى جزئين ، أطلقوا على أحدهما لقب : امارة شرقى الاردن ، وجعلوا عليها الامير عبد الله بن الحسين حاكما من قبلهم .

وأطلقوا على الجزء الثانى فلسطين . هيئوه ليكون وطنا قوميا لليهـــود تحقيقا للوعد الذى قطعه الوزير البريطانى بلفور لهذه الطائفة سنة ١٩١٧ جزاء عمالتها للمصالح الانكليزية قبل الحرب وخلالها !

وهكذا أصبح الشرق العربى فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ! ..



بذلك امره ، ويخلط الشدة باللين ، لأن مجرد اللين يفسد ، ومجرد الشدة تفسد ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ومختصره المنتقى للذهبى (ص ٣٦٢) قال : ولهذا كان ابو بكر يستعين باستشارة عمر ، وباستنابة خالد ، وهذا من كماله الذى صار به خليفة رسول الله ، ولهذا اشتد فى قتال اهل الردة ، وبرز بشدته فى ذلك على شدة عمر .

وعمر كان شديدا فى نفسه ، فكان من كماله استعانته بأهل اللين ليعتدل امره ، فكان يستعين بأبى عبيدة بن الجراح ، وسعد بن ابى وقاص ، وابى عبيدة الثقفى ، والنعمان بن مقرن ، وسعيد بن عامر ، وامثال هؤلاء من اهل الصلاح والزهد الذين هم اعظم زهدا وعبادة من مثل خالد بن الوليد .

وعثمان كان يقتدى فى لينه بسلوك ابى بكر فى لينه ، فيستعين لكل امر باكفائه ، ويحل المشاكل المالية بالتضحية لحلها من ماله الخاص ، لذلك كان المجتمع فى مدة خلافته الطويلة اسعد مجتمع نعرفه ، كما وصفه الحسن البصرى ومحمد بن سيرين فيما نقلناه عنهما من قبل .

وبلين عثمان الشخصى الممزوج بوجوه الشدة التى كان يستعين بها وباهلها كانت جيوشه تضرب فى انحاء الأرض فاتحة ظافرة ناشرة كلمة الله فى كل مكان .

وقد يذهب ذاهب الى ان لين عثمان كان اعظم مظاهره موقفه من دعاة الفتنة لما احاطوا به فى المدينة لينزعوا عنه القميص الذى البسه الله اياه باجماع الأمة خاصتها وعامتها ، وما كان هذا من لينه ، بل ليقينه انه مقبل على لقاء الله شهيدا شهادة كان موعودا بها من النبى صلى الله عليه وسلم فى اكثر من مرة .

لكن قد يكون من لينه انه لم يقمع اسبابها الاولى ، وهى تتكون خارج المدينة من دعاة الفتن متسلطا عليهم ابليس اليهود عبد الله بن سبأ ، ولعله تهاون فى مطاردتهم وقمعهم ، وهم لا يزالون فى بداية التآمر والتدبير ، لاعتقاده ان دعوتهم لن تستشرى فى حكم صالح ، ذاق الناس فيه حلاوة العدل والاحسان ، فهو يقول فى نفسه : **انى تجنبت فساد الشدة والاستعلاء على الناس ، ومهدت لهم من أسباب السعادة ما استطعت ، فما اظن ان اللين الذى عندى وهو من فطرة الله يبلغ بهم حد الفساد ، بكفر النعمة والغفلة عما هم فيه من عز الفتوح ، والاغتباط ، بانتشار الاسلام ، والتمتع بثمرات ذلك فى الدنيا والدين .**

ومما لا شك فيه أن من مظاهر اللين الذى فطر عليه عثمان اصغاؤه الى شكاوى الشاكين من ولاته ، ولو بغير حق ، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ان عثمان كان لين العريكة ، كثير الاحسان والحلم ، فكان اذا شكا له بعض الحجاج واليا لهم أن يستبدله فيرضيهم .

((للحديث بقية))



للشيخ : عبد المنعم النمر

رد اعتبار بعد ٣٠٠ سنة !!

قرأت خبرا في صحيفة (الأهرام) الصادرة في الثاني من يوليو فتح شهيتي للكلام ، بعد أن أصابها جو الصيف الحار بالكسل ، كما يصيب المعدة ، ويجعلها تعزف عن الطعام . . كان هذا الخبر هو ما يأتي تحت هذا العنوان :

« اعادة محاكمة جاليليو لتبرئته من حكم عمره ٣٠٠ سنة » :

لنداو (المانيا الغربية) في اول يوليو . رويتر . اعلن الكاردينال فرانز كونج كاردينال النمسا ان الكنيسة الكاثوليكية سوف تعيد محاكمة العالم الايطالي جاليليو ، لاعادة النظر في الحكم الذى كانت قد اصدرته الكنيسة ضده في القرن السابع عشر ، وقال الكاردينال كونج ان لجنة خاصة سوف تؤلف لهذا الغرض في محاولة للتقريب بين العلم والدين ، **وكانت الكنيسة قد حكمت بالاعدام على جاليليو منذ ثلاثة قرون لأنه أعلن أن الشمس — وليست الأرض — هي مركز الكون » اهـ .**

ولا أريد هنا ان أتحدث عما كان يفرضه رجال الدين في الغرب — باسم الدين — من قيود على التفكير ، ومطاردتهم لكل انتاج عقلي يخالف آراءهم . والحكم عليه أو على صاحبه بالاعدام كما حدث لجاليليو . . لا أريد أن أتحدث عن هذا فهو معروف حتى لطلاب الثانوى الذين يدرسون الحركة العلمية في الغرب أو النهضة الأوروبية . . ولكن الذى يشدني للحديث هو رد الفعل الذى تركه الاضطهاد الفكرى في الغرب من تمرد على سلطة الكنيسة العامة في كل شئون الحياة ، وحصر سلطانها في المراسم الدينية الخاصة وداخل جدرانها . . أو ما سمى بفصل الدين عن الدولة . .

هذا الفصل الذى جعلوه منهج حكمهم وتسييرهم لدفة شئون الحياة في الدولة هناك ، كان رد فعل لما عانوه من تدخل رجال الدين في كل شيء ، وفرض سلطانهم على كل تفكير ، ومطاردتهم — كما قلت — لكل ما يخالف آراءهم مما يعتبر الحكم على جاليليو بالاعدام مثلا له . .

هذا الذى حدث في الغرب من اضطهاد الفكر . وما أعقبه من رد الفعل كان حدثا محليا يرتبط بالبيئة التى حصل فيها ، وبالظروف التى أدت إليه . . ومن الخطأ البين أن نأخذ النتيجة التى أدت اليها تلك الظروف الخاصة هناك . ونعلنها في بيئات اسلامية لم تحدث فيها تلك المقدمات ، ونفرضها على مجتمعات

لم تعان من اضطهاد الفكر ما عانته المجتمعات الغربية . . بل كانت على العكس منها تعيش فى ظل الحرية الفكرية المنطلقة الى آفاق البحث فى كل جانب من جوانب الحياة العلمية . .

فمن الظلم البين — إذن — أن نفرض عليها النتيجة التى ادى اليها اضطهاد الفكر ومحاربة العلم والعقل فى مجتمع آخر . . لأن فرض العزل الصحى مثلا على مرضى لا يبيح بداهة أن نفرضه على أصحاء . .

فليس معنى اطلاق شعار فصل الدين عن الدولة هناك أن نتبنى هذا الشعار عندنا ، ونفرضه على تنظيم حياتنا . . ونتخذه قاعدة فى حكمنا على شئوننا . ونحصر الدين داخل المسجد وفى مسائل الطلاق والزواج !!

ولقد كان من سوء حظ بلاد الاسلام أنها ابتليت بالاستعمار . الذى جعل من اهم اهدافه الحيلولة بيننا وبين ديننا ، وأن تكون الطليعة التى تولت ادارة شئوننا ، وتوجيه سياستنا قد تعلمت كلها أو أغلبها فى أوربا ، ولم يكن عندها المام كاف عن دينها . وعادت مأخوذة بما رأته هناك ، وما حصلت عليه من علم ، فساعد هذا وذاك على تبنى هذا الشعار وفرضه على حياتنا ؛ فنتج عن ذلك عزل الاسلام عن الحياة ، وأصبحت النظرة اليه هنا كنظرتهم هناك الى دينهم ، واصبحنا لا نهتم بالدين الا كوسيلة لتدعيم السياسة ، حتى ولو كان الدين بريئا من هذا التدعيم . .

كما أصبحت كلمة الدين السليمة غير مقبولة اذا رئى فيها أنها تخالف الاتجاه السياسى . ونتج عن ذلك وجود أشخاص من المتكلمين باسم الدين يتاجرون به للحصول على مركز ، أو الوصول الى مغنم !!

نتيجة وصلنا اليها هنا لأننا بسوء نظرتنا وفهمنا قلدنا الغرب فى شعار تبناه ، وكان له العذر فيما فعل . بينما لا عذر لنا فى تقليده ، وفى تجهمنا لديننا الذى أعلن حرية الفكر منذ وجوده ، ولم يحدث على مر تاريخه أن حد من انطلاق العقل ، أو فرض علماؤه سلطانهم على العقول فحالوا بينها وبين التفكير الحر .

خطا ارتكبه غيرنا ، فى مجتمع غير مجتمعنا ، وكنا أبرياء من هذا الخطا ، ولكنا مع ذلك تحمسنا لفرض عقوبة هذا الخطا علينا وعلى ديننا وحياتنا ، وتحملنا نحن وديننا أوزار غيرنا ، فكيف يجوز هـذا المنطق ؟ وكيف يعيش ويروج ؟

. . . .

حديث ذو شجون

جاء يقول لى فى اهتمام : نسمع كثيرا فى هذه الأيام : اننا اذا أردنا الانتصار فلا بد من الرجوع الى الدين . فهل صلاتنا وصيامنا وحجنا يضمن لنا الانتصار ، ونحن نعرف أن الانتصار يحتاج الى تدريب وأسلحة . . الخ ؟ . .

قلت له : ان فهمك لمعنى الرجوع الى الدين فهم محدود وقاصر . . ولعل السبب فى تكوين هذا الفهم عندك أنك نشأت فى ظل مجتمع لا يرى من الدين الا العبادات المفروضة المعروفة ، ففهمت أن الدين قاصر على هذه العبادات . . وأن من اداها فقد قام بواجبات الدين كله !!

وهذا ما أراده الاستعمار وأراده الذين سيطروا على شئوننا ردحا من الزمن ، حتى لا يتدخل الدين فى أعمالهم وأساليب حكمهم .. وفهمك هذا ثمرة من ثمرات نجاحهم فيما أرادوه مع الأسف !!

ان الاسلام ينظم كل شان من شئون حياتك ، وله فيها رأى وتوجيه : فى البيت ، والشارع والمدرسة ، والمصنع .. والمزرعة والمتجر .. وفى ديوان العمل ، وفى أسلوب الحكم .. وميدان الحرب .. كل شىء فى حياتك رسم الاسلام له طريقة . وأساسه : الاخلاص والاتقان ، ومراعاة الله المطلع على السر والعلن .

فاذا قلنا الرجوع الى الدين او الرجوع الى الله ، فمعنى هذا مع اداء العبـادات ان نباشر كل اعمالنا باخلاص ونؤديها باتقـان .. لأن الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه . وهو فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص .. ويريد من كل واحد منا أن يجيد عمله مهما يكن نوع هذا العمل .. ويعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به . ويعد لعدوه ما اسـتطاع من قوة ، ولا يفر أمامه لأنه يطلب النصر أو الجنة ..

فلو راعى كل واحد منا دينه فى عمله ، واتقى الله فيه ، لقلت الشكوى ، وقويت الثقة فيما بيننا ، ولم نجد متكاسلا ولا خائنا ولا ماجنا ، ولا مستهترا ، ولا ظالما ، ولا حاقدا حاسدا .. او على الأقل نقضى على كثير من هذه الظواهر الضـارة .. وحينئذ ننهض فى كل مرفق من مرافق حياتنا ، ونـكون بذلك قد اعددنا العدة للنصر على الأعداء ..

هذا فى اختصار معنى الرجوع الى الله ، أو الرجوع الى الدين ..

قال : هذا معنى جميل . ونحن فعلا فى حاجة ماسة الى ان نحقق فى حياتنا هذا المعنى . لأننا بغير الحرص عليه لا يمكن أن نتقدم خطوة .. وسنبقى نكرر الأخطاء ، وتتكرر الهزائم والمآسى . ولكننى وكثيرين معى لم نفهم معنى الرجوع الى الله أو الدين على هذا المعنى الواسع الجميل ..

قلت : الذنب ليس ذنبكم وحدكم ، ولكنه ذنب التربية التى تربيتموها فى جو بعيد عن الفهم الصحيح للدين .. حتى أصبحتم تسخرون من كل داعيـة مخلص .. وتتهكمون عليه ، وتعدونه كأنه دخيل عليكم ، أنتم فى واد وهو فى واد .. مع أنه لا يخترع شيئا ، بل يتحدث ويدعو باسم الله واسم رسوله . ويذكركم بالقرآن وبالسنة .. وأنتم تفضلون هواكم على قول الله وقول الرسول .. وتؤثرون ظواهر المدنية الكاذبة على حقائق الاسلام وآدابه .. مع احساسكم الداخلى بأنكم تسيرون فى منحدر الى هاوية سحيقة .. وتبتعدون عن الله . وصوت القرآن يناديكم : ((**استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم**)) .

وتأمل معى قليلا قوله تعالى : ((**لما يحييكم**)) فالحياة هنا هى حياة الأمة المعنوية الحيـاة القوية الفاضلة العزيزة الناهضـة .. لا حياة الجبنـاء الأذلاء التعساء التى هى الموت الحقيقى . أو التى هى حياة كل حيوان . ومع دعوة الله هذه للحياة بمعناها الجميل نرفض الاستجابة لصوت الله ، ونؤثر عليه

اصواتا اخرى تغرينا بمختلف أنواع الاغراء ، فنسير وراءها غير مدركين تماما لحقيقتها ولا للمآل الذى تدفعنا اليه . .

فهل يذنب الداعى الى الله حين يدعوكم لما يحييكم حتى تتجنبوه وتسخروا منه . بينما تحتفلون بكل داع الى المجون والانحلال ، والى ما فيه فساد الفرد وضياع الأمة ؟؟ !!

قال : انك تصور حقيقة واقعنا المر . . هذا الواقع الذى اسلمنا الى ما هو امر منه . ولا ندرى ماذا يكون فى مستقبل ايامنا ومستقبل اولادنا ؟ ان الأولاد يقبلون على « التلفزيون » حينما يعرض اغنية او تمثيلية فاذا جاء موعد حديث دينى أغلقوه . . وتلك ظاهرة مؤسفة !!

قلت له : هى مؤسفة حقا . . ولكن لو ان الآباء فى البيت اعتنوا بالاستماع لهذه الأحاديث لسرت العدوى أو القدوة الطيبة منهم للأولاد . . ومع ذلك فاننى ارجو ان يعنى المختصون بتخطيط البرامج بتقديم تمثيليات قصيرة قائمة على غرس المعانى الدينية والخلقية فىالنفوس ، ليمكن جذب الجيل الجديد اليها وتربيتهم عن طريقها . . لأننا كمربين وموجهين يجب علينا أن نتحسس الوسائل التى تشد المستمع والمشاهد ، لنصل بذلك الى ما نريد . . والتمثيليات وسيلة مهمة جدا فى هذه الناحية ، بل ان الأغنية التى تلفت الاسماع والقلوب الى المعانى الكريمة وسيلة كذلك لا يمكن أن ننكر أثرها . .

قال : ان هنـــاك تمثيليات أو أفلاما تعرض مشـــــهدا فيه « مأذون » يعقد عقد الزواج ، أو مدرسا للغة العربية فتتعمد عرض المأذون أو المدرس العربى وحديثهما بصورة تثير الهزء والاستخفاف بالدين واللغة العربية معا وهذا بلا شك يترك اثره السيىء فى النفوس .

قلت له : نعم أعرف ذلك واعرف انه من معـــاول الهدم للدين واللغة فى النفوس . . فى الوقت الذى لا نرى فيه رجلا من غير رجال الاسلام يتعرض لمثل هذا ، بل يحاط بالاجلال . . وهذه طريقة خبيثة . لأنه اذا عرض شكل العالم بعمامته فى تمثيلية مثلا بشكل يثير الهزء والضــــحك انطبعت فى الأذهان ــ ولاسيما أذهان الصغار ــ هذه الصورة ، فلا يمكن لهم بعد ذلك أن يثقوا بمن يلبس هذا الزى أو يتقبلوا منه توجيها . . وبهذا يحال بين الشباب وبين التوجيه الدينى من اربابه والمتخصصين فيه . . ومع الأسف نرى بعض كتابنا ورسامى الكاريكاتير عندنا ينسجون احيانا على هذا النهج ويسممون الآبار كما يقال . .

قال : ومتى تنتهى هذه الموجة ؟

قلت : حين تكون هناك عناية مخلصة بالدين واللغة وكل ما يتصل بهما ، وتكون هناك غيرة صحيحة عليهما . .

قال : وممن ننتظر هذه العناية وهذه الغيرة ؟

قلت : من الجميع ، ولكن من المسئولين أولا عن توجيه امورنا ، وقيادة سفينتنا ، فادع الله معى لهم بالتوفيق . .
فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

الزكاة فى العمارات والمصانع

هل تجب؟ وما نصابها؟ وما مقدارها؟ وكيف تزكى؟ ومتى؟

للأستاذ : ي . ق

تحدث الكاتب فى مقـــاله السابق عن الزكاة فى رءوس الاموال النامية كالعمارات والمصانع وغيرهما مما يدر دخلا وفيرا لأصحابها وذكر ادلة القائلين بوجوب الزكاة عليها اجتهادا منهم وادلة الواقفين عند الأشياء المنصوص عليها . وهنا يتابع بحثه لتكملة هذا الموضوع .

المبحث الثانى

كيف تزكى العمارات والمصانع ونحوها ..

الأموال النامية التى أوجب فيها الاسلام الزكاة نوعان :

الأول : نوع تؤخذ الزكاة من أصله ونمائه معا ، أى من رأس المال وغلته ، عند كل حول . كما فى زكاة الماشية وعروض التجارة ، وهذا لتمام الصلة بين الأصل وفوائده وغلاته ، ومقدار الزكاة هنا هو ربع العشر ، أى ٢٫٥٪ .

الثانى : نوع تؤخذ الزكاة من غلته وايراده فقط ، بمجرد الحصـــول على الغلة دون انتظار حول ، سواء كان رأس المال ثابتا كالأرض الزراعية ، أو غير ثابت كنحل العسل ، ومقدار الزكاة هنا هو العشر أو نصـــفه ، أى ١٠٪ أو ٥٪ .

فعلى أى أساس تعامل هـــذه الأموال النامية الجديدة ؟ وكيف نأخذ منها الزكاة ؟ أنأخذ الزكاة من رأس المال ، وما بقى من غلته كما فى أموال التجارة ؟ أم نأخذ من غلته وايراده فقط كما فى الحبوب والثمار والعسل ؟

رأيان قديمان فى زكاة الدور المؤجرة ونحوها ..

ولعل كثيرا من المتصـــلين بالفقه يظنون ، بل قد يؤمنون ان الدور التى



تكرى للناس بأجر ، وتدر فى كل عام أو فى كل شهر مالا وايرادا متجددا . لم ينص أحد من الفقهاء على حكم فى زكاتها ، لأنها لم تكن مما عمت به البلوى ، وانتشر بين الناس ، واحتاجوا فيه الى حكم حاسم .

وهذا التعليل حق ، ولكن وجدنا رغم ذلك من فقهائنا من يقول بتزكيتها ، وان اختلفوا فى معاملتها والنظر اليها : أتعامل معاملة رأس المال التجارى ، فتقوم كل حول ، وتؤخذ الزكاة منهـا ربع عشر قيمتهـا ؟ أم يغض النظر عن قيمتها ، وتؤخذ الزكاة من غلتها وايرادها اذا بلغ نصابا مسـتوفيا لشروط الزكاة ؟

الرأى الأول : أن تقوم وتزكى زكاة التجارة ..

هذا الرأى يعامل مالك العمارة الاسـتغلالية ، والطائرة والسـفينة التجاريتين ونحوها معاملة مالك السـلع التجارية ، فتثمن العمارة كل عام ، مضافا اليها ما بقى معه من ايرادها ، وتخرج عن ذلك كله ٢٫٥٪ ككل عروض التجارة .

وقد وجد فى فقهاء السنة ، وفى فقهاء الشيعة من ذهب هذا المذهب .

رأى ابن عقيل الحنبلى ..

ففى فقه أهل السنة وجدت هذا الرأى للفقيه الحنبلى أبى الوفاء ابن عقيل ــ وهو عالم قوى الذهن ، ناضج الفكر ، خصب الاستنتاج ، وقد نقل عنه هذا الرأى المحقق ابن القيم فى كتابه « بدائع الفوائد » نقل الموافق المقر . قال ابن عقيل مخرجا على ما روى عن الامام أحمد فى تزكيته حلى الكراء : يخرج من رواية ايجاب الزكاة فى حلى الكراء والمواشط ، أن تجب فى العقار المعد للكراء ، وكل سلعة تؤجر وتعد للاجار .

قال : وانما خرجت ذلك عن الحلى ، لأنه قد ثبت من أصلنا أن الحلى لا تجب فيه الزكاة ، فاذا أعد للكراء وجبت ــ فاذا ثبت أن الاعداد للكراء أنشـأ ايجاب الزكاة فى شىء لا تجب فيه الزكاة ، كان فى جميع العروض التى لا تجب فيها الزكاة ينشىء ايجاب الزكاة .

« يوضحه أن الذهب والفضة عينان تجب الزكاة بجنسهما وعينهما . ثم ان الصياغة والاعداد للباس والزينة والانتفاع ، غلبت على اسقاط الزكاة فى عينه ، ثم جاء الاعداد للكراء فغلب على الاستعمال ، وأنشـأ ايجاب الزكاة ، فصار أقوى مما قوى على اسقاط الزكاة ، فأولى أن يوجب الزكاة فى العقار والأوانى والحيوان التى لا زكاة فى جنسها »(١) .

هذا ما ذكره ابن عقيل تخريجا على مذهب أحمد . ونحن نقول : ان ما ذهب اليه الامام أحمد من اسقاط الزكاة عن الذهب والفضة اذا استعملا فى حلى مباح ، ومن ايجابها فى الحلى اذا أعد للكراء ، مذهب قوى ، يستند الى أصل هام فى باب الزكاة وهو : أن لا زكاة فى مال غير نام ، أو مشغول بالحاجة الأصلية ، وانما الزكاة فى المال النامى وهو الذى يدر على صاحبه كسـبا ودخلا .

والحلى المباح المستعمل للزينة واللبس مال غير نام ، ومشغول بحاجة صاحبته ، فاذا أعده للكراء فقد خرج عن ذلك الى حيز النماء ، وأصبح صالحا للدخول فى « وعاء الزكاة » .

وهو قول لمالك أيضا كما ذكر ابن رشد(٢) .

واذا طبقنا هذا على العقارات والأثاث والسيارات والسفن والطائرات والماكينات والأجهزة الصناعية المختلفة ، اتضح لنا هذا الحكم : أن لا زكاة فيها اذا كانت للاستعمال الشخصى ، فاذا أعدت للكراء ، وغدا من شأنها أن تجلب نماء وربحا ، فقد غدت صالحة لوجوب الزكاة ، وزكاتها فى هذه الحال كزكاة عروض التجارة نصابا ومقدارا .

ومعنى هذا أن مالك العمارة أو الأتوبيس أو الطائرة أو الفندق أو محل الفراشة أو أى سلعة تؤجر وتعد للاجارة ــ كما قال ابن عقيل ــ عليه ــ فردا كان أو شركة ــ أن يقوم عقاراته أو ماكيناته ، فاذا عرف قيمتها ضم اليها ما لديه من رأس المال النقدى ، وما له من ديون مرجوة ، كما يصنع التاجر فى رأس ماله ، ثم يخرج ربع عشرها زكاة .

ولا يقال : ان هذه الأشياء رأس مال ثابت ، فيجب أن يعفى من الزكاة ، كما يعفى الأثاث الثابت فى حوانيت التجارة ، لأنا نقول : ان هذه الأشياء الثابتة هنا هى نفسها رأس المال النامى المغل الذى به تجلب المكاسب والأرباح ، وانما يعفى ما لم يكن مقصودا للكسب من ورائه ، كالأرض والمبانى التى توضع فيها الماكينات الصناعية ، لأن الماكينات هى المقصودة ، بخلاف الارض والمبانى فى العمارة والفندق والسينما ونحوها ، فان المبنى نفسه هو الذى يجلب الفائدة والمال .

مذهب الهادوية ..

وفى فقه الشيعة وجدت صاحب البحر الزخار ــ وهو سجل جامع لمذاهب علماء الأمصار أهل سنة وشيعة ــ قد نقل عن الهادوية من الشيعة الزيدية أنهم ذهبوا الى ايجاب الزكاة فى المستغل من كل شىء ، لأجل الاستغلال ، لعموم قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة » . ولأنه مال قصد به النماء فى التصرف فكان كمال التجارة ، فيزكيه اذا بلغت قيمته نصابا(٣) .

اعتراضات المانعين ..

وقد اعترض على هذا الرأى بعض الفقهاء الذين يميلون الى التضييق فى ايجاب الزكاة ، مثل الامام الشوكانى فى « الدرر البهية » ، وشارحها صديق حسن خان فى « الروضة الندية » .

ولا يبعد ممن يقول : ليس فى الخضراوات ولا فى البقول ولا فى أموال التجارة زكاة . أن يقول : ليس فى المستغلات كالدور والدواب التى يكريها مالكها زكاة .

وجملة ما احتج به فى الروضة يرجع الى شبهتين : احداهما : تتعلق بالمنقول من الخبر ، والثانية تتصل بالمعقول من النظر .

أ ــ فأما الخبر فحديث « ليس على المسلم فى عبده ولا فرسه صدقة » وهو يصرح بنفى الصدقة عن فرس المسلم نفيا عاما ، وهذا النفى يشمل حالة استغلاله بالتجارة أو بالكراء .

وأما الشبهة الاخرى فهى أن ايجاب الزكاة فيما ليس من الأموال التى تجب فيها الزكاة . بالاتفاق كالدور والعقار والدواب ونحوها ، بمجرد تأجيرها

بأجرة بدون تجارة فى أعيانها ، مما لم يسمع به فى الصدر الأول الذين هم خير القرون ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فضلا عن أن يسمع فيه بدليل من كتاب أو سنة .

وقد كانوا يستأجرون ويؤجرون ، ويقبضون الأجرة من دورهم وضياعهم ودوابهم ، ولم يخطر ببال أحدهم أن يخرج فى رأس الحول ربع عشر داره أو عقاره أو دوابه ، وانقرضوا وهم فى راحة من هذا التكليف الشاق ، حتى كان آخر القرن الثالث من أهل المائة الثالثة ، فقال بذلك من قال بدون دليل الا مجرد القياس على أموال التجارة ، وقد عرفت الكلام فى الأصل ــ يعنى زكاة التجارة ــ فكيف يقوم الظل والعود أعوج ؟

مع أن هذا القياس فى نفسه مختل بوجوده ، منها : وجود الفـــارق بين الأصل والفرع ، فان الانتفاع بالمنفعة ليس كالانتفاع بالعين(٤) .

ب ــ وخلاصة هذه الشبهة : أن الأصل براءة الناس من التكاليف ، ولم يوجد دليل يوجب الزكاة فى هذه المستغلات ، حتى أن أحدا من السلف لم ينقل عنه القول بزكاتها ، فضلا عن نص من آية أو حديث .

أما القياس على أموال التجارة وزكاتها ، فعلى فرض التســـــليم بثبوت الزكاة فيها ، فقد اختل القياس بوجود الفارق وهو : أن أموال التجارة وسلعها ينتفع بعينها ، فتنتقل العين من يد الى يد بالبيع والشراء ، بخلاف هذه الأشياء ، فانها باقية ، وانما يستفاد من منفعتها فحسب .

تعقيب وترجيح ..

أما حديث « ليس على المسلم فى عبده أو فرسه صدقة » فالذى اخترناه أن نفى الصدقة فيهما انما كان لأنهما من حوائجه الأصلية ، فالعبد يخدمه . والفرس مركبه وعدته للجهاد ، ومن ثم أوجب جمهور الفقهاء منذ الصدر الأول اخراج الزكاة عن العبد والفرس اذا كانا للتجارة ، بل نقل ابن المنذر الاجماع على ذلك . ولم يقف ظاهر هذا الحديث دون ما فهموه وأفتوا به .

وأما عدم النقل عن الصدر الأول ما يفيد ايجاب الزكاة فى هذه الأشياء ، فانما كان لعدم شيوع الكراء والاستغلال فيها بحيث تعم به البلوى ــ على حد تعبير الفقهاء ــ ويظهر الحكم ، ويتناقله الرواة ، وكل عصر له مشكلاته التى تثار ، ويطلب ابرام حكم فى شأنها ، ولم تكن هذه (المستغلات) من مشكلات تلك الأعصار . قال فى (البحر) : وقد ادعى مخالفة الهادوية للاجماع ، وفيه نظر . اذ لم يصرح السلف فيها بحكم(٥) .

أما قياس هذه (المستغلات) على عروض التجارة ، فربما كان له وجه عند النظرة الأولى . اذ كل من المستغلات والعروض رأس مال نام مغل ، وكلا المالكين تاجر يستثمر رأس ماله ويستغله ويربح منه ، وكون صاحب العروض ينتفع باخراج عين الشىء عن ملكه ، وصاحب العمارة والمصنع ينتفع بالغلة مع بقاء العين ، ليس فرقا يوجب الزكاة على أحدهما ويعفى الآخر .

بل قد يقال : ان المنتفع باستغلال الشىء مع بقاء عينه فى ملكه ــ كمالك العمارة وصاحب المصنع ــ ربما كان أكثر ضمانا للربح ، وأمانا من الخسارة ، من صاحبه التاجر الآخر .

هذا ما قد يبدو لأول وهلة ، ولكن عند التأمل يتبين لنا المفارقات الآتية :

أولا : أن أصدق تعريف لعروض التجـــارة هو : كل ما يعـد للبيع من الأشياء ، كما جاء فى حديث سمرة أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يأمرهم أن يخرجوا الزكاة مما يعدونه للبيع . وقد تقدم فى زكاة التجارة .

ومما لا يخفى أن هذه العمارات والمصانع وما شـاكلها لا يعدها مالكها للبيع ، بل للاستغلال ، وانما ينطبق هذا على التجار والمقاولين الذين يشترون العمارات او يبنونها بقصد بيعها ، والربح من ورائها . فهـــذه تعامل معاملة عروض التجارة بلا نزاع .

ثانيا : أننا لو جعلنا كل مالك يستغل رأس ماله . ويبتغى نماءه تاجرا . ولو كان رأس المال غير متداول وغير معد للبيع ــ لكان مالك الأرض والشجر التى تخرج له زرعا وثمرا تاجرا أيضا ، ويجب أن يقوم كل عام أرضـــه أو حديقته ، ويخرج عنها ربع عشرها زكاة ، وهذا ما لا يقبل . ولا يقول به أحد .

ثالثا : أن هذه المستغلات قد يتوقف فى بعض الأحيان استغلالها لسبب من الأسباب ، فلا يجد صاحب العمارة من يستأجرها . ولا يجد صاحب المصنع المواد الأولية اللازمة ، أو الأيدى العاملة ، أو السوق الرائجة .. الخ . فمن اين يخرج زكاتها ؟

ان صاحب العروض التجارية السائلة (المتداولة) يبيعها . ويخرج زكاتها من قيمتها ، بل يمكن عند الحاجة أن يدفع الزكاة من عينها ــ كما رجحنا ذلك ــ ولكن صاحب الدار أو المصنع كيف تؤخذ منه الزكاة اذا لم يكن له مال آخر ؟ لا سبيل الى ذلك الا ببيع العقار أو جزء منه ليستطيع أداء الزكاة . وفى هـذا عسر ظاهر ، والله يريد بعباده اليسر ، ولا يريد بهم العسر .

ومن هنا تظهر قيمة الفرق بين ما ينتفع بعينه كالعروض ، وما ينتفع بغلته كالعقارات ونحوها .

رابعا : يعكر على هذا الرأى من الناحية العملية : أن العمارة أو المصنع ونحوه ستحتاج كل عام الى تثمين وتقدير ، لمعرفة كم تساوى قيمتها فى وقت حولان الحول ، اذ المعهود أن مرور السـنين ينقص من صلاحيتها ، وبالتالى من قيمتها ، كما أن تقلب الأسعار تبعا لشتى العوامل الداخلية والخارجية له أثره فى هذا التقويم ، ولا شك أن هـــذا التقويم الحولى تلابسه صـعوبات تطبيقية ، ويحتاج أول ما يحتاج الى مختصين ذوى كفاية وأمانة قد لا يتوافرون ، كما أن كل هذا يقتضى جهودا ونفقات تنتقص اخيرا من حصيلة الزكاة .

لهذا نرى أن الأولى أن تكون زكاة العمارة والمصنع ونحوهما فى غلتهما ، وهذا ما اتجه اليه الرأيان الآخران .

---

(١) بدائع الفوائد ج ٣ ص ١٤٣ .

(٢) بداية المجتهد ج ١ ص ٢٣٧ ط استانبول سنة ١٣٣٣ هـ .

(٣) البحر الزخار ج ٢ ص ١٤٧ .

(٤) الروضة الندية ج ١ ص ١٩٤ .

(٥) البحر الزخار ج ٢ ص ١٤٨ .

أخطاء المترجمين والنقلة في الأعلام وأسماء الأماكن

للاستاذ : محمد عبد الغنى حسن

جاء فى ((خواطر)) العـدد التاسع والثـلاثين من مجلة ((الوعى الاسلامى)) للأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر ، خـاطرة حول ما وقع فيه مترجمو (دائرة المعارف الاسلامية) من خطأ فى كتابة لفظ (عمواس) هكذا (أمواس) ، لأنهم حين نقلوا اللفظة عن الاصل الانجليزى للموسوعة ترجموا حرف الـ (A) الذى تبدأ به هذه الكلمة فى اللغة الانجليزية الى الف مهموزة ، ظنا منهم أن هذا هو الأصل ، ونسوا أن أصل اللفظة هو حرف (العين) العربيـة التى تحولت فى الانجليزية الى حرف (A) ، فكان الواجب ردها الى اصلها العربى الذى عرفها به العرب ونطقوهـا به منذ أن خلق الله بلد (عمواس) واوجدها فى المعجم العربى ، وفى الأطلس العربى ، وفى كتب الحديث والتاريخ والادب العربى ..

وفضيلة الأستاذ عبد المنعم النمر ، والمؤرخ المحقق اللواء محمود شيت خطاب مشكوران أصدق الشكر على هذا التصـحيح الذى يرد الى لفظة عربية لبلدة عربية اعتبارها ، ويعيد اليها كيانها العربى ، وحلتها العربية الصحيحة ، التى لم يؤثر فيها اعوجاج الألسنة ، والجهل بتاريخ العرب والاسـلام ، على الرغم ممـا يجنح اليه المترجمون فى أحيـان كثيرة من ركوب متن الشطط فى ترجمة الأعلام ، وأسماء الأماكن ، والبعـد بها عن قوامها العربى ، وبنائهـا السليم .

وليس هذا الخطأ أول خطأ تقع عليه العين فيما ينقله النقلة من تاريخنا وتراثنا . ولو أن هؤلاء النقلة كانوا عجما لالتمسنا لهم العذر فيما يقعون فيه . ولكن المسألة أكبر من أن يشفع فيها عذر ، أو يغنى فيها التماس المعـاذير .

فما عذر العربى المسلم حين ينقطع عهـده ، أو تنبت آصرته بماضيه ولغتـه وتاريخه فينسى من الأعلام والأماكن ما لا يجوز أن يتطرق اليها نسيان ، أو يعدو عليها طغيان ؟ وما عذر العربى المسلم حين ينسى قطعة من أرضه ، أو فلذة من تاريخه ، أو بلدا من بلدان أرضه العربية الواسعة فينطقها على غير حقيقتها ، ويديرها على غير وجهها الذى خلقها الله به ، وانبتها عليه ؟

وما زلت اذكر من نماذج هذه الأخطاء الشنيعة ما لا يجوز ذكره الا على سبيل التنبيه اليه ، والتـدليل عليه ، والتذكير بـه ، حتى تتجنبه الألسنة ، وتتحاشاه الأقلام ، ويعود اليه بناؤه العربى الصحيح الذى لم تشوهه عجمة ، ولم تحرفه غفلة .

ومن أشنع وأبشع ما لقيته من تلك الأخطاء ما جاء فى معجم (المنجد) ــ أو على الأصح فى المعلمة الملحقة به ــ وهو قسم قام بعبء تحقيقه والقيام عليه الأب فردينان توتل اليسوعى ، وهو رجـل عربى من حلب ، فلا عذر له حين يكتب اسم زوجة النبى عليه السلام : زينب بنت جحش ــ رضى الله عنها ــ هكذا : (زينب بنت جهش) بالهاء لا بالحـاء . لأنه يترجم عن الفرنسية أخت الانجليزية بلا معرفة بأصول تاريخنا العربى ، فنقل حرف الـ (H) هاء ، كما يفعله النقلة الذين لا يفقهون بدون تثبت أو تكليف الخاطر بالرجوع الى كتـاب من كتب السيرة ، وبهذا نقل اسم أم المؤمنين رضى الله عنها الى غير حقيقته ، ومسخه مسخا بعد به عن أصله الصحيح .

ويرسم الأب فردينان توتل البـاحث العربى اسم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده هكذا : محمد عبدو . وهو رسم غريب لا معنى له . وفيه أثر النقل والترجمة الحرفية . مع أن اضـافة لفظ (عبد) الى الهـاء فيها تحقيق معنى العبودية لله .

وشبيه بما وقع فى لفظ (عمواس) فى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، ما وقع فى المعلمة الملحقة بمعجم (المنجد) فى كلمة (أوالى) التى هى اسـم مكان فى بلاد البحرين ، فقد كتبت هكذا : (عوالى) . وهو نقل أعجمى أيضا . لأنها تكتب بالحروف اللاتينية هكذا : Awaly . فتوهم الأب توتل العربى أن الـ (A) أصلها عين لا همزة ، ولو أنه كلف نفسه الرجـوع الى معجم بلدان أو مصور جغرافى عربى لما وقع فى مثل هذا الوهم الشنيع .

وأعجب من هذا الخلط والخبط فى ترجمة الأعلام والأماكن ما جـاء فى معجم المنجد أيضا من الحديث عن عبد المؤمن بن خلف الدمياطى صاحب كتاب (فضل الخيل) وغيره من نفيس المؤلفات ، فقد جاء فى ص ٦٦ من المعلمة أن اسمه هكذا : (عبد المؤمن بن خلف الضمياطى) !! وهى ترجمة حرفية لا واعية لحرف (D) الافرنجى ، أو لعل الأب الجليل يريد أن يحقق تسمية لغة الضـاد ــ أى لغتنا العربية ــ بمثل هذه الضاد فى مدينة دمياط . . لا ضمياط !!

ومن غرائب الخطأ فى ترجمة الأعلام ما وقع فى المنجد أيضـــا للتعريف بالفقيه العـــالم المصرى نور الدين الأجهورى . فقد جـــاء فيه أنه (نور الدين الأغورى . ولد فى أغور شمالى القـــاهرة) . وليس هنـــاك بلدة فى شمال القاهرة اسمها : أغور وليس هنـــاك فقيه مالكي مصرى اسمه : الأغورى . ولعل هذا من فساد النقل والترجمة عن الفرنسية والحروف اللاتينية . وانمـــا الصحيح أن هناك نور الدين الأجهورى ، وهو منسوب الى بلدة : أجهور ، من أعمال محافظة القليوبية . وهى ترسم بالحروف الافرنجية هكذا :
(aghour) فقرأها الأب توتل بالغين لا بالجيم ، على عادة ابدال الـــ (GH) غينا فى اللغات الأجنبية .

ويذكرنا قلب الدال ضادا فى مدينة (دمياط) على يد الأب العربى فردينان توتل الحلبى بما صنعه الأستاذ توما ديبا المعلوف من قلب اسم الشيخ محمـــد عياد الطنطاوى الرائد الأزهرى المشهور فى بلاد الروس الى محمد عياض .. بالضاد لا بالدال . وأظن أن الأستاذ تومـــا قد ترجم اسم الشيخ المصرى عن حروف لاتينية ترسم هكذا « ayyad » فجعل (حرف D) ضـــادا بدلا من جعله دالا على حقيقته .

واذكر هنا للمرة الثالثة دالا عربيـــة قلبت الى ضاد حين ترجمـــة اسم (ريدان) قائد جيوش الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى . ففى كتاب (الفنـــون الشعبية فى يوغوسلافيا) الذى صدر عن دار المعارف فى سلسلة (مكتبـــة الثقافة الشعبية) ذكر المؤلف اسم هذا القائد هكذا : « ريضان » !! لا ريدان . وهو هنا ينقل ويترجم عن اللغة الأجنبية بلا وعى ، وبدون رجوع الى التـــاريخ العربى . واغرب من هذا أن مؤلف هذا الكتاب حين يتحدث عن الخليفة الحاكم بأمر الله ، فانه يذكره هكذا : الحكيم . فكأنه يترجم حرفيا وبلا وعى اللفظـــة مكتوبة بالحروف الافرنجية هكذا : « Hakim » !!

ومن أعجب ما وقعت عليه العـــين من أوهام المترجمين للأعلام والأماكن العربية ما وقع فى اسم الخليفة الأموى مروان والد الخليفة عبد الملك بن مروان . فقد كتبه مؤلف كتاب « الفنون الشعبية فى يوغوسلافيـــا » هكذا : مرفان !! لأن مروان يكتب باللاتينية هكذا : Mirwan . فترجم حرف « w » الى حرف « ف » بالعربية ! وهـــكذا من أشنع الأوهام التى تدل على انقطاع تام عن تاريخ العرب والاسلام .

ومن أغرب الأوهام والتخليط فى ترجمة الاعلام والاماكن العربية الاسلامية . ما وقع فى ترجمة كتاب (تاريخ أفريقية) لرولاند أوليفر وجون فيج . فقد تولت الدكتورة عقيلة محمد رمضان ترجمته ، وظهر سنة ١٩٦٥ . ولكنه كان مشحونا بأخطـــاء الترجمة التى تدل على بعد المترجمة والمراجع عن تاريـــخ قومها .. فكتبت مدينة (فاس) المراكشية هكذا : « فيز » !! على الطـــريقة الامريكية أو الانجليزية ! ويظهر أن ياقوت الحموى ــ رحمه الله ــ قد كان محتاطا لمثل هذا الوهم أن يتسرب الى هذه اللفظة فضبطها فى كتابه المشهور (معجم البلدان) هكذا : (فاس : بالسين المهملة ، بلفظ فاس النجار ..) .

وفى كتاب تاريخ أفريقيـــة هذا ذكرت مدينة قرطـــاجنة الافريقية هكذا : (كارتيج) !! وهى ترجمة حرفية عن اللفظ الانجليزى . والصواب مـــا تذكره جميع المعاجم وكتب التاريخ العربى الاسلامى من أنها : قرطاجنة .

ومن أوهام الترجمة فى ذلك الكتاب ما جاء عن يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين . فقد كتب اسمه هكذا : (ابن طشفين) !! وهى أيضا ترجمة حرفية عن الانجليزية . فقد ترجم حرف (T) المكتوب به الاسم باللغة الانجليزية الى حرف « ط » ، فصار طشفين . .

وقد ترجمت الدكتورة عقيلة رمضان اسم الحفصيين أو بنى حفص هكذا : الحافصيين ! ولا أدرى من أين جاءت بهذه الألف ، الا أن تكون حرف (A) فى الانجليزية الذى وقع بعد حرف « H » ، وهو المقابل للحاء العربية . .

وكثيرا ما تأتى الأعلام والأماكن العربيـــة فى الكتب المترجمة على غير حقيقتها ، فان قبيلة « صنهاجة » المغربية قد وقعت فى الترجمة العربية لكتاب تاريخ أفريقية هكذا : (سنهاجا) !! فترجم حرف « S » الى حرف سين ، بدلا من الرجوع به الى أصله العربى .

وقد ترجمت الدكتورة عقيلة رمضان اسم الحفصيين أو بنى حفص هكذا : والمصورات العربيـــة التى تنقل عن الفرنجة ، فوجدت أن الوهم يتسرب الى الترجمـــة والنقل فى حروف معينـــة مثل (A) . وهـــل هى الف أو عين . وحرف « D » وهل هو دال أو ضاد . وحرف « H » وهل هو حـــاء أو هاء ، وحرفى gH وهل هما ج . أو غ . وحـــرفى KH وهـــل هما كاف أو خـــاء ، وحرف S » وهل هو س أو ص . وحرف T وهل هو تاء أو طاء .

وما زلت أذكر ما وقع فى أطلس عربى حديث حيث ذكرت فيه بلدة « كوت العمارة » بالعراق هكذا : كوت الأمارة . وما وقع فى أطلس آخر حيث ذكر فيه المخلاف اليمنى المشهور : بيحان . هكذا : بيهان لأن مترجم الأطلس وناقله نقل عن أصل انجليزى أو فرنسى تكتب فيه اللفظة هكذا : Bihan . فتحير الناقل فى حرف الـــ « H » ماذا يترجمه : أيترجمه حاء كما هو الأصل ، أم يترجمه هاء كما وقع فى المحظور !

ولا شك أن ازالة مثل هذه الأوهام فى ترجمة الأماكن والاعلام تحتـــاج الى تفطن ودراية ومعرفة بالتاريخ العربى الاســـلامى وطبقات الرجال وبلدانية الأوطان العربية التى تشرف العربى وتزيده اعتزازا بقومه ، واعتدادا بوطنه ، واستمساكا بعرى تاريخه العظيم .





سيف الله المسلول

فى غزوة الخندق جمع المشركون جيشا عظيما حاصروا به المدينة . فلما طال الحصار عليهم خرج عمرو بن ود فارس العرب . فتوجه الى المسلمين . وقال : من يبارز ؟ فلم يجبه أحد من المسلمين .

فقام على . فقال : أنا يا نبى الله . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أجلس انه عمرو بن ود . فنادى عمرو الثانية وسلط لسانه فى المسلمين . وقال : أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها ؟ فلم يجبه أحد من المسلمين .

وقام على . فقال : أنا له يا رسول الله . فقال له النبى : أجلس انه عمرو بن ود . فنادى عمرو الثالثة فلم يجبه أحد من المسلمين . فقام على فقال : أنا يا رسول الله فقال له النبى : انه عمرو فقال على : وان كان عمرا فأذن له فى الخروج اليه . فلما رآه عمرو قال : من أنت ؟ قال : على . فقال عمرو : ابن أبى طالب ؟ قال : نعم . فقال عمرو : غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك وانى أكره أن أريق دمك . فقال على : وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك . فلما سمع عمرو هذا منه غضب . وكان راكبا على فرسه . وعلى واقف على قدميه . فقال له على : كيف أقاتلك وأنت على فرسك !! فنزل عمرو . وسل سيفه كأنه شعلة وعقر فرسه . وهجم على على . فاستقبله بدرقته . فضربه عمرو فيها . فقدها واصاب رأس على . فضربه على على عاتقه . فسقط عمرو قتيلا . فكبر المسلمون فرحا بقتل عدو الله .

. . . .

الملعـــونة

كان العباس بن على المنصور ينظر الى الخمر . ثم يقول لها : اما المـــال فتبلعين وأما المروءة فتخلعين ، وأما الدين فتفسدين .

الخبز والملح

دعا رجل صديقا له الى منزله . وقال : لنأكل معك خبزا وملحا . فظـــن الصديق ان ذلك كناية عن طعام لطيف لذيذ اعده صاحب المنزل . فمضى معه . فلم يزد على الخبز والملـــح ، فبينما هما يأكلان اذ وقف بالبـــاب سائل الح فى المسألة فقال له صاحب المنزل اذهب والا كسرت رأسك . فقال الضيف للسائل : انصرف فانه صدق فى وعده . وسيصدق فى وعيده .

القلب

قال حكيم : أعجب ما فى الانسان قلبه .
ان سنح له الرجاء أذله الطمع .
وان هاجه الطمع أهلكه الحرص .
وان ملكه اليأس قتله الأسف .
وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ .
وان أسعد بالرضا نسى التحفظ .
وان أتاه الخوف شغله الحذر .
وان اتسع له الأمن استلبته الغرة
وان أصابته مصيبة فضحه الجزع .
وان استفاد مالا أطغاه الغنى
وان عضته فاقة بلغ به البــلاء .
وان جهد به الجوع قعد به الضعف .
وان أفرط فى الشبع كظته البطنة .
فكل تقصير مضر ، وكل افراط قاتل .

أكـــرم من حاتـــم

دخل رجل من الأنصار على عبيد الله بن عباس ، فقال : يا بن عم رسول الله انه ولد لى فى هذه الليلة مولود ، وانى سميته باسمك تبركا منى به ، وان أمه ماتت .

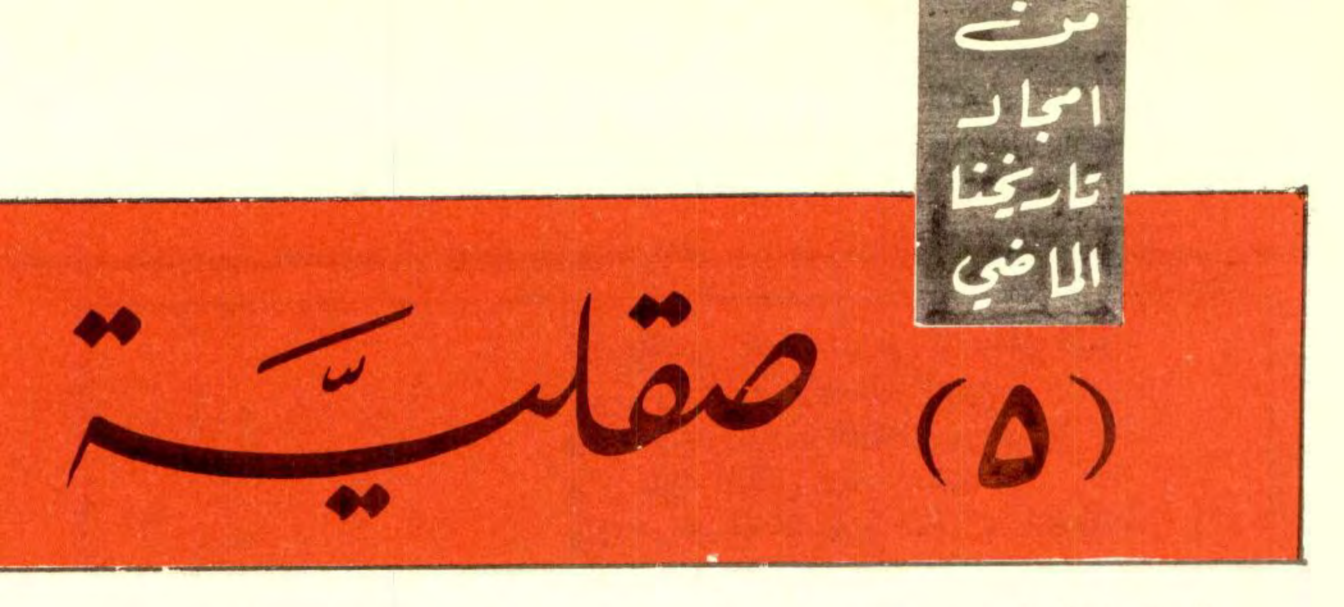
فقال عبيد الله : بارك الله لك فى الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة ، ثم دعا بوكيله ، فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفـــع اليه مائتى دينار للنفقة على تربيته .

ثم قال الأنصارى : عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس ، وفى المال قلة .

قال الأنصارى : لوسبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك ، فصرت له تاليا ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطل كرمك اكثر من وابلـــه .

المنزل الوســـط

دخل على زياد رجل من اشراف البصرة . فقال له زياد : اين مسكنك من البصرة ؟ قال : فى وسطها قال له : كم لك من الولد ؟ قال : تسعة . فلما خرج من عنده قيل له : انه ليس كذلك فى كل ما سألته . وليس له من الولد الا واحد . وهو ساكن فى طرف البصرة ، فلما عاد اليه سأله زياد عن ذلك . فقال له مـــا كذبتك : لى تسعة أولاد . قدمت منهم ثمانية فهم لى . وبقى معى واحد . فـــلا ادرى الى يكون أم على ؟ ومنزلى بين المدينة والجبانة فأنا بين الأحياء والأموات فمنزلى فى وسط البصرة . قال زياد : صدقت .



الدول كالأفراد تحيا وتموت . ولكن المدنية الحقيقية لا تخشى الموت . وليس قياس المدنية الحقيقى بكثرة الإحصاء . أو بحجم المدن . او قيمة الحاصلات والتجارة فحسب . بل بنوع الرجال الذين تخرجهم إلى العالم . والعلوم التى يشيد عليها صرح المدنية .

وقد استولى المسلمون على صقلية فى زمن كانت تتلألأ فيه مدنيتهم فى الشرق والغرب . وأوربة قد عادت وسقطت فى ظلمات الجهل . ولجأ العلم إلى ظل الأديرة الهادىء ، حيث كان الرهبان قد انزووا فى مقصوراتهم . وأخذوا يمسحون رقاقهم القديمة ليكتبوا عليها أصول ديانتهم (١) ، ودخل المسلمون صقلية يحملون معهم دينا جديدا ، ونقلوا إليها كل علومهم ، وصنائعهم ، وقوانينهم . وعوائدهم . ولغتهم . وآدابهم ، وفنونهم ، وظل يتدفق الى الجزيرة طوال الحكم الإسلامى لها — وهى غاصة بذكريات المدنيات القديمة — تيارات الثقافة الشرقية التى كانت ممتزجة بتراث اليونان والرومان الغنى . واستطاع المسلمون بقوة نفوذهم . وتأثير سلطانهم الدينى والسياسى ، وذكائهم وعبقريتهم أن ينتجوا أحسن ثمارها ، فازدهرت على عهدهم العلوم والآداب والفنون ، وتخرج رجال فى كل فرع من هذه الفروع ، وما فيهم إلا العالم ، والأديب والحكيم ، والمنجم والطبيب . والمهندس ، وكانت لهم يد على الجزيرة فى إنهاضها فى مادياتها ومعنوياتها . بتصانيفهم وتحقيقاتهم وصناعاتهم وشاركوا المسلمين فى الأندلس وغيرها فى وضع أساس التمدن العلمى الحديث فى أوربة .

العلوم الدينية والعربية

فنجد أن « العلوم الدينية » قد حظيت فى صقلية بنصيب وافر من العناية والخدمة ، فقد عنى الصقليون بكتاب الله حفظا ، وتجويدا . وتفسيرا . وكانت لهم فى الحديث آثار جليلة ، وألف كثير منهم فى القراءات ، كما نال الفقه والأصول قسطا وافرا من العناية . وتآليفهم فى الفقه كثيرة ومفيدة . فلا عجب إذا نبغ فى صقلية من الفقهاء ، والمفسرين . والقراء ، والمحدثين . والمتكلمين عدد وافر ممن كانت لهم آثار خالدة وتآليف قيمة .

وكذلك « العلوم العربية » فقد كانت مشاركة أهل صقلية فيها عظيمة .

---

(١) الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧ لمحمد كرد على (نقلا عن غوستاف لوبون — حضارة العرب) ، والمدنية العربية فى الغرب ، ص ٢ للويجى رينالدي .

الإسلامية

للدكتور: زكي محمد غيث

وحظهم منها كبيرا . فكان نصيب اللغة جزيلا وافرا . وما كان يرجى من أهل هذا البلد النائى أكثر من أن تكون العربية لغة كتابة وتدوين على قدر المكنة ولكن أبت هذه الهمم الوثابة . والنفوس الطامحة إلا أن تعمل حيث كانت . وفى أية بقعة من بقاع الأرض . فرحل الراحلون فى طلب اللغة ومفرداتها وغريبها . وظهر الحفاظ اللغويون الكبار بصقلية . وكان منهم النحاة المصنفون . وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم . وتركت أثرها القوى فى الجزيرة ، وتكلم السواد الأعظم بها . ورسخت جذورها وبقيت حية حتى بعد زوال سلطان المسلمين السياسى عن صقلية .

والعلوم

وكذلك « العلوم » فإن عنايتهم بها تضارع عنايتهم بالعلوم الدينية والعربية . لأنهم وجدوا إبان ازدهار الحضارة الاسلامية ، وفى وقت كان الاسلام أعظم قوة فى العصور الوسطى . فكان ذلك دافعا لهم على السير مع القافلة ، والاشتغال بالعلوم المختلفة . فساهموا فى دراسة العلوم الرياضية والفلكية والعلوم الطبيعية . والكيمياء . والطب . والصيدلة ، والجغرافيا ، والتاريخ ، ووجد منهم علماء فى هذه الفروع كانت لهم أبحاث ومؤلفات لا يزال بعضها باقيا إلى اليوم .

الفنون

وأيضا « الفنون » فقد تحلل أهل صقلية من القيود التى كانت تحول دون اشتغال المسلمين فى الصدر الأول من الإسلام بالفنون التجسيدية (كالنحت والتصوير) فرأيناهم يتمشون مع روح العصر الفاطمى . ويعيرونها اهتمامهم . فأتقنوا فن النقش والحفر والنحت . بجانب تفوقهم فى الموسيقى والغناء . وكان المسلمون فى صقلية قد أدخلوا معهم فى الجزيرة الأصول الرئيسية لفنهم . من عقود البناء العالية الجميلة ، والمقرنصات ، وقيشانيهم ذى الميناء ، وفسيفسائهم المتخذة من الرخام الملون ، ورسومهم الجميلة ، وبهيج صناعاتهم الصادرة عن علمهم . وهى من الأعمال الخاصة بالمترفين ، وأرباب النعيم ، وكانت مصانع نسيجهم مثالا يحتذى فى اقامة مصانع العهد النورمانى ، وكان فيهم مهندسون برعوا فى فن النقش والزخرفة ، وهندسة البناء ، وقد احتذيت آثار العصر



الإسلامى كأنموذج فى العهد النورمانى . فمهندسو المسلمين الذين كانوا فى خدمة الأمراء المسلمين احتفظ بهم النورمان . فقدموا إليهم ما ورثوه عن أسلافهم . وكانت أعمالهم ذات أثر خالد (١) .

وكذلك كان الشأن بالنسبة « للفنون الفرعية » وهى ما تعرف أيضا بالفنون الصناعية . أو التطبيقية . أو الزخرفية . أو الصغرى . والمقصود بها على كل حال هو : الفن فى الأشياء المنقولة التى ينتفع بها ، أو تتخذ للزينة والزخرف كالنقش . والزخرفة . والنحت على الأحجار ، والحفر على الأخشاب وغيرها من المواد (٢) . فقد برع مسلمو صقلية فى الرسوم المكونة من الأشكال النباتية . وعملوا أشكالا تمثل الطيور والحيوانات ، وكونوا أشكالا هندسية مركبة من خطوط مستقيمة متقاطعة ، وخطوط منحنية ، والفوا الألوان الزاهية وكتبوا بها آيات قرآنية بخط الثلث والكوفى ، وطلوا بها الآنية المختلفة ونقشوا بها على الجلود . غير أنه لم يكن للنقش والحفر عندهم أهمية عظيمة إلا ما كان خاصا منها بالزخرفة . فكان فى غاية الإبداع والإتقان ، أما الصور فقد أهملت بسبب الدين ، فإنه حرمها خشية العودة إلى الوثنية الأولى (٣) .

أما « صناعة النسيج » فقد بلغت شأوا عظيما على أيامهم . فكانت دار النسيج المشهورة التى أسسها المسلمون فى (بلرم) تمد ملوك أوربة بما يحتاجون إليه من الثياب الملكية التى كان يطرز عليها النقوش العربية . والتى كانت تخلب الألباب ببهجتها وتطريزها البديع برسوم الأزهار والصور(٤) . حتى انهم أدهشوا الغربيين (بسندسهم) الفخم الذى كان موضع إعجابهم مما ولد الرغبة عندهم فى تقليده . فأنشأوا لذلك المصانع الكبيرة فى بلادهم ، وكان أكبرها وأفخمها فى ايطاليا(٥) .

وفوق ذلك فإن المسلمين فى صقلية هم أول من عرف الغربيين (بالتطريز . والترصيع) وهذا يدلنا على فن آخر أدخله المسلمون معهم إلى صقلية ، وانتقل منها إلى ايطاليا . ولا تزال توجد أنسجة مرصعة بنقوش وكتابات عربية بديعة مثل التى فى القبعة (البلاتينية) الموجودة فى بلرم(٦) . كما يوجد فى متاحف أوربة وكنائس صقلية أوان معدنية ، وصناديق خشبية عليها زخارف ونقوش صقلية إسلامية . كما توجد جلود كتب مزينة بالزخارف والألوان الزاهية ترجع الى ذلك العصر(٧) .

---

(١) لويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٩ ، وشارل دييل (بالرمو وسيراكيوز) ص ٥٦ .

(٢) تراث الاسلام ج ٢ ص ٣ (هامش للمرحوم الدكتور زكى محمد حسن) .

(٣) لويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٩ ، وللمرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية كلمة بصدد هذه الصور بمناسبة زيارته لصقلية سنة ١٩٠٣م ، أثبتها رشيد رضا فى (تاريخ الشيخ محمد عبده) الذى جمعه عنه .

(٤) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

(٥) لويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٨ ، ١٩ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

وقد كان اعتراض الدين على الصور الآدمية حائلا دون أى تقدم فى (صناعة التماثيل الآدمية) . ولكنهم برعوا جدا فى النحت على الأحجار . والحفر على الخشب وغير ذلك من المواد . وكانت لهم قدرة فنية عظيمة وتفوق فنى بالغ فى اختيار الألوان وصناعتها .

وبعد فإنا نستطيع أن نقرر : أن صقلية كانت ذات ثقافة زاهرة على عهد المسلمين . واستطاعت أن تحتل مكانة رفيعة فى العالم الإسلامى القوى بسلطانه السياسى والعلمى فى العصور الوسطى . وأن تخرج فى مدرستها الخاصة عددا كبيرا من العلماء الأعلام الذين كان لهم اشتغال بمختلف العلوم والفنون . وكانت لهم آثار خالدة وأياد جليلة على الجزيرة فى تكوين حضارتها العلمية والمادية .

يقول غوستاف لوبون (١) : « وقد دلت الآثار على أن العرب لما خرجوا من هذه الجزيرة كانت أكثر رقيا من اليوم الذى دخلوها فيه ، فعظم تأثيرهم النافع فى صقلية . والتحسين الذى يدخله شعب على شعب هو معيار نفوذ الحضارة التى يحملها الأول الى الثانى . فالأثر النافع للعرب فى صقلية جدير بالتقدير والاعتبار » .

تأثيرها على أوربا

أما « مكانة صقلية فى نقل الثقافة العربية » فلا شك أن صقلية كانت نقطة الالتقاء بين قارتين ذاتى ثقافتين . وبمعنى أوضح كانت نقطة الالتقاء بين الشرق والغرب . وهى بحكم هذا المركز الخاص كانت وسيلة لنقل علم العصور القديمة والعصور الوسطى . لأنها كانت مجتمعا لعدة عناصر مختلفة من البشر . ففيها الإغريق الذين يتكلمون اليونانية . والمسلمون الذين يتكلمون العربية . وفريق من العلماء الذين يعرفون اللاتينية ، وكانت هذه اللغات الثلاث شائعة الاستعمال فى السجلات الرسمية ، والأوامر الملكية . كما كانت لغة الكتابة والتخاطب بين اهل الجزيرة ، ولغة العلم اذ ذاك أيضا(٢) .

وقد ترجم هؤلاء العلماء الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية ككتاب (البصريات) المنسوب إلى بطليموس من العربية بعد أن ضاع أصله اليونانى . وككتاب (كليلة ودمنة) العربى إلى اللغة الإغريقية . وقد كان ليهود صقلية كما كان ليهود الأندلس وقتئذ أثر واضح فى أعمال الترجمة هذه ، فقد ترجم الطبيب الصقلى اليهودى (فرح بن سالم) من العربية إلى اللاتينية الموسوعة الطبية التى وضعها (الرازى) ، وكان هذا الكتاب هو الكتاب الطبى الوحيد الهام الذى نقل إلى اللغة اللاتينية فى صقلية ، أما بقية الترجمات فكانت للكتب التى تعالج علم الفلك والرياضيات فى الغالب . وكان لهذه الترجمات الفضل فى تعريف

---

(١) حضارة العرب ، ف ٧ ص ٣١٦ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦١٠ ، وهلال فبراير سنة ١٩١١ م ، ص ٢٧١ .

الغربيين بكثير من الفلاسفة والأطباء والعلماء فى مختلف العلوم والفنون مما كان له أكبر الأثر فى بعث النهضة العلمية الأوروبية الحديثة(١) .

ولم يكن تأثير صقلية قاصرا على (العلوم والآداب) بل كان لها فضل كبير فى تعريف الغربيين (بأساليب الفنون الإسلامية المختلفة) كهندسة المبانى . والنقش والزخرفة والنحت ، وعن صقلية عرفوا أحسن طرق الزراعة والصناعة والتجارة ، فإذا كنا نعجب اليوم من مخترعات أوربة وتقدمها فى العلوم والفنون والآداب والصناعات ، وتفوقها فى الزراعة والتجارة ، فإن الأوربيين بدورهم فى خلال العصور الوسطى كانوا يعجبون بمصنوعات العرب وبارع فنونهم . وكانت تأخذهم الدهشة عند رؤية مصنوعات المسلمين التى كانت تأتى إليهم من مصانعهم ومتاجرهم بصقلية والأندلس . من الأنسجة الحريرية النفيسة ذات التطريز البديع . والألوان الزاهية . والجودة المتناهية ، ومن التحف الثمينة ذات الصنعة البارعة ، والنقوش المتناسقة الجميلة ، ولقد حملت منسوجات صقلية أول صناع المنسوجات الإيطالية على اتخاذها نماذج لهم ، وصارت إيطاليا تصدر المنسوجات إلى مختلف جهات أوربة مقلدة فيها المنسوجات الصقلية . كما تأثرت إيطاليا وأواسط أوربة إلى حد كبير بالطرز الإسلامية فى فن العمارة . وقلد أهلها المسلمين فى معالجة الجلد وزخرفتـــه ، وتكفيت النحاس بالذهب والفضة . أو النحاس الأحمر(٢) .

فصقلية تعتبر بحق إحدى المسالك التى سلكتها الثقافة العربية فى طريقها إلى أوربة ، شأنها فى ذلك شأن الأندلس ، وإن كانت الأندلس أكثر عطاء . وأكثر تأثيرا ، ذلك أن الأندلس قد أقام المسلمون فيها زهاء ثمانية قرون . وكان من بين حكامها أعاظم بنى أمية ممن طالت أيامهم ، وكانوا قد وطنوا أنفسهم على اتخاذها وطنا أبديا لهم لا يلتفتون إلى ما وراءهم إلا بقدر ما يربط أمة بأمة بعيدة عنها ، ولكنها متفقة معها فى النزعة الدينية والعواطف ، على حين كانت صقلية مستعمرة للأغالبة ، ثم للفاطميين من بعدهم زهاء قرن ونصف قرن . ولم تتم فيها حكومة لمصلحة الجزيرة بالذات الا زهاء قرن واحد تحت حكم الكلبيين .

وفوق هذا فان مساحة صقلية تتضاءل جدا بجانب مساحة الاندلس . فهى لا تعدو أن تكون مقاطعة من مقاطعاتها الصغيرة ، وطبيعى والظروف هذه أن تكون نهضـــــة العلم على فروعه ، والفن فى عامة ضروبه فى الأندلس أقوى وأضخم منها فى صقلية . ومن ثم النقل منها الى أوربة .

على أن هذا لا يحط من شأن صقلية ولا ينفى أنها مع صغر مســـاحتها . وقصر فترة الاستقلال فيها تعتبر نسبيا كالاندلس ، فى نقل الثقافة الاسلامية

---

(١) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ ، وهلال فبراير سنة ١٩١١ م ، ص ٢٧١ .
(٢) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

الى أوربة من ناحية الكيف لا الكم على الاقل . لأن ما أفادته أوربة من الثقافة الاسلامية بصفة عامة من كلا البلدين يضع الاندلس فى المرتبة الاولى دون جدال ، ثم تقف من ورائها مباشرة صقلية .

* * *

وقد يكون من المناسب أن نختم حديثنا عن : « صقلية الاسلامية » باثبات شهادة أحد علماء الغرب ـ الذين أنصفوا العرب ـ فى شأن حضارة المسلمين اطلاقا . ومدى ما تدين به أوربة لهم ، ذلك هو المستشرق الفرنسى : **غوستاف لوبون حيث يقول : « .. كان تأثير العرب فى الغرب عظيما ، واليهم يرجع الفضل فى حضارة أوربة .. وتأثيرهم بتعاليمهم العلمية ، والأدبية ، والأخلاقية عظيما ، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذى أثره العرب فى الغرب الا اذا تصور حالة أوربة فى الزمن الذى دخلت فيه الحضارة ،** واذا رجعنا الى القرنين التاسع والعاشر الميلادى يوم كانت المدنية الاسلامية زاهرة باهرة ، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة فى عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون .

وكانت الطبقة العالية المستنيرة فى النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة يقضون الوقت بالتكسب فى ديرهم بنسخ كتب القدماء . وليبتاعوا ورق البردى اللازم لنسخ كتب العبادة .. ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلا بالحاجة الى نفض كفن الجهل الثقيل الذى كان الناس ينوءون تحته ، طرقوا أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون اليه ، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم فى ذلك العهد »[1] .

* * *

بهذا نكون قد أوضحنا عدة جوانب من تاريخ « جزيرة صقلية » فى فترة من فترات تاريخها الزاهر خلال العصور الوسطى ، فلعل ذلك يلفت النظر لناحية من نواحى التاريخ الاسلامى لم تفز بعناية كافية من قبل لتنال ما تستحقه من عناية الكتاب والباحثين مستقبلا ، والله ولى التوفيق .

---

(١) محمد كرد على بك (الاسلام والحضارة العربية) ج ١ ص ١٩٦ ـ ١٩٩ (نقلا عن غوستاف لوبون ـ حضارة العرب) .

قصة الإيمان
بين الفلسفة والعلم والقرآن

تاليف : الشيخ نديم الجسر
عرض ونقد : عبد المعطى بيومى

مؤلف هذا الكتاب القيم هو فضيلة الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس فى لبنان ، وعضو مجمع البحوث الاسلامى بالأزهر والشيخ نديم يعتبر من خيرة الكتاب الاسلاميين الذين لا يجمدون على القديم لقدمه ، ولا يندفعون وراء الحديث للمعانه وجدته ، ولكنه يحكم عقله فى هذا وذاك ، ثم ينتقى لنفسه ولمحدثه وقرائه ما يراه القول الحق ، والتعبير المناسب ، فى منطق معقول ، وأسلوب سلس ، يستهوى الشباب ، ويعجب به العلماء والادباء .

وأهم ما يشغل الشيخ نديم فى مجالسه وكتاباته هم الشباب ، وتعرضهم للتيارات الوافدة ، وحرصه على حماية عقولهم وأفكارهم من الاصابة بهذه التيارات ، حتى يظلوا فى حصانة تقيهم شرور الانزلاق ومآسيه .

والشيخ يؤدى رسالته باخلاص المؤمن . ونزاهة العالم . لا يثنيه عن عزمه اغراء عرض ، أو شهوة مادة . طبع على نفقته من الكتاب الذى نحن بصدده ألف نسخة . وزعها بلا مقابل على الشخصيات والهيئات الاسلامية . ثم أذن لدار الأندلس فى بيروت ، فطبعت منه أربعة آلاف نسخة أخرى دون أجر . غير أجر يتمناه من الله ، ولقد نفدت نسخ الطبعتين جميعا ، ونعتقد أن عشرات الطبعات ستصدر فيما بعد من هذا الكتاب القيم .

وانا أعلم جيدا أنه قد قدمه قبلى كثيرون ، ومع ذلك فان موضوعه هو موضوع كل يوم ، وحديث كل مجلس ، ذلك لأنه فى هدفه يحارب نزعة خبيثة ، ويقرر حقيقة طيبة .

يحارب نزعة استهوت بعض المتفلسفين والمتعالمين ، وهى ادعاء الهوة بين الدين والفلسفة والعلم ، فجاء هذا الكتاب يثبت اتفاق هذه الثلاثة : النظر العقلى الخالص ، والبحث العلمى المجرد ، والوحى الالهى المنزل . على قضية الايمان .

والكتاب فى اثباته لهذه الحقيقة . وحربه لتلك النزعة ، جهاد عال ومخلص فى سبيل الحق ، مؤيد بالأدلة والبراهين التى جمعت فى عقد متسلسل . تسلم حباته بعضها الى بعض ، فى منهج يبرز ثقافة الشيخ ، وسعة اطلاعه وتمكنه .

ولقد اختار الشيخ لهذا البحث العميق أن يسلك به سبيل القصة الجذابة .

حتى يستهوى القراء ، ويخفف عنهم جفاف البحوث العلمية ، والأدلة العقلية . وهو فى هذا ــ بلا شك ــ قد بلغ هدفه الذى يرمى اليه .

فالشيخ فى خيال ينتزعه مما حوله يفترض بادىء ذى بدء وجود شخص اسماه (حيران بن الأضعف) طلب العلم فى جامعة (بشــاور) فى البنجاب ، فلم يقنع منها بالقشور التى كان يكتفى بها شيوخه ، بل تطلع الى آفاق أوسع للمعرفة ، ولكن أســـاتذته الجامدين لم يهيئوا له الفرصـــة المبتغــاة للتعمق والدرس . فاتســـعت هوة الخلاف بينهم وبينه ، حتى امتلأت صدورهم عليه ، وأصبح واضحا أنه لم يعد له مكان فى هذه الجامعة ، ولو اقتصر الأمر على ذلك لكان هينا عليه ، ولكن الذى زاد من حيرته وعذابه أن هؤلاء الشيوخ بجمودهم كانوا يفتحون بابا لغرور بعض العلماء الســـطحيين ، فتعمق الهوة عنده بين الدين والعلم والفلسفة . الى أن حدثه أبوه بشيخ له قديم ، يقيم الآن فى قرية (خرتنك) من أعمال سمرقند ، هو الشـــيخ أبو الموزون ، وهو وحده الذى يستطيع أن يشفى غلته ، ويروى ظمأه .

ولم يدر الوالد أنه حين حدث ولده بذلك ، أنه هيأ له الطريق ليرحل عن جامعته الى « خرتنك » . . ! وهناك عرف أن لقاءه مع الشيخ صعب لا ينال ، لأن الشيخ الموزون لا يرى أحدا ولا يراه أحد ، يختفى نهاره بين الرياض المحيطة بمسجد الامام البخارى فى خرتنك ، فاذا غربت الشـــمس عرج على سياج البستان ، حيث يضع خادم المســـجد الطعام على طريقه فيأخذه ثم يأوى الى المسجد ، ليقضى ليله كله فى ركوع وسجود دائمين .

ولكن حيران مع ذلك كله التقى بالشـــيخ ، وقص عليه القصص ، فرثى الشـــيخ لحاله ، وطلب منه دفترا ، ووعده بلقائه كل ليلة عند ضريح الامام البخارى ، وفى هذه اللقاءات أخذ حيران يسأل ، والشيخ يجيب ، ويســـجل اجابته حيران ، فكانت حصيلة هذا الحوار « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » .

وتمثلت فى تلك الليالى الهادئة بجوار الضريح ، رحلة البشرية كلها منذ البدء ، بحثا عن الحقيقة ، وغوصا فى أعماق الوجود الى سر الوجود ، وتساميا من الكائنات الى مصدر الكائنات ، مع الفلاسفة الأولين فى بلاد اليونان ، الى الفلاسفة المســـلمين فى الشرق ، ثم فى أوربا ، ومع العلماء الطبيعيين الذين رأوا فى نواميس الطبيعة هداهم الى الايمـــان بالله ، ومع القرآن حيث فصل قضية الايمان وأدلتها باعجاز فاق كل اعجاز .

ولعل المؤلف قد رأى أن محاولات المصريين والهنود القدامى فى البحث عن الله والايمـــان به لم تـــكن محاولات منتظمة ، حيث بدأ باليونان . هؤلاء الذين شاقهم البحث عن الله من طاليس الذى رأى أن مصدر الكائنات هو الماء الى انكسمنس وانكســـمندر وفيثاغورس الذى كان أول من جرد فـــكرة الاله عن المادة . ثم اكزانوفتس وبارميندس ، ومن جاء بعده حتى ظهور السوفسطائيين الذين ذهبوا الى القول بأن الانسان هو مصدر كل شىء ، فما يراه كل انســـان حقا فهو كذلك . ذلك القول الذى أنتج للبشرية مفكرا لا تزال تذكره وهو سقراط حيث تحولت بعده محاولات البحث عن الله الى مجراها الصحيح بظهور افلاطون وأرسطو اللذين اهتديا الى « نظرية الوجود الميتافيزيقى » والايمـــان بوجود الله .

ثم أصيبت نظرية الوجود الميتافيزيقى بنكسة مادية عند الرواقيين والأبيقوريين أدت الى ظهور الشكاك ، حتى جاءت الفلسفة الأفلاطونية الحديثة تؤكد وجود اله خالق للكون ، وهكذا تكرر الدور الأول الذى بدأ بالمادية على لسان الفلاسفة الأولين ، ثم توسطته السفسطة ثم انتهى بتوكيد وجود الاله الخالق للعالم على لسان الفلاسفة : سقراط وأفلاطون وارسطو .

وبسعة صدر المؤمن العالم ، يقول المؤلف على لسان الشيخ الموزون : أن هؤلاء جميعا وان أخطأهم التوفيق فى كثير من الأحيان ، فقد وصلوا الى الحق فى أحيان أخرى ، وخاصة فيما يتعلق بوجود الله ، دون وحى يرشدهم الى وجوده ، اذ أن الدين والفلسفة الصحيحة لا يتضاربان . والذين آمنوا بوحى الله كالفارابى وابن سينا وابن مسكويه رأوا فى الفلسفة واحة لرياضة عقولهم ، ومجالا لتأييد عقيدتهم ، وأوضح شاهد على ذلك ما يسوقه المؤلف من قصة حى بن يقظان التى تبرز لقاء العقل والدين معا على الحقيقة .

ويعرض الكتاب هنا للامام الغزالى والفيلسوف ابن رشد وخلافهما المشهور ثم يحمل على ابن رشد ويكذبه فى وسيلته وان أنصفه للحقيقة فى هدفه .. يقول الشيخ نديم :

« ولكن الرجل — يعنى ابن رشد — سامحه الله لم يكن مخلصا كل الاخلاص فى وضع هذا الكتاب — تهافت التهافت — وفى تسميته ، ولا مبرأ من حب التحذق واظهار الفضل والسبق فى مضمار الفلسفة . فناقش الامام فى كل ما رد به على الفلاسفة من المسائل مناقشة لم يقصد بها ابطال الحقائق التى دافع عنها الامام ، بل أراد اظهار خطئه فى طريقة الاستدلال ، وتقصيره فى فهم مقاصد الفلاسفة . وقد كان رحمه الله فى غنى عن هذا اللمز والتفيهق مع رجل يدافع عن الدين ، وكان يكفيه أن يتناول المسائل الكبرى ، كوجود الله ، وخلق العالم ، فيبين بأسلوب العالم المخلص العف اللسان أن الفلاسفة لم ينكروها ، ويتأول لهم ما شاء وأراد من أقوالهم من غير غمز أو لمز ، ومن دون أن يسمى كتابه « تهافت التهافت » فى مقابلة تسمية الغزالى لكتابه «تهافت الفلاسفة» ، ففى هذه التسمية من الظلم وقصر النظر ما لا يتفق مع الحق والحكمة والاخلاص والأدب مع الله . فالغزالى انما سمى كتابه « تهافت الفلاسفة » وهو يعتقد أنه يبطل أقوال جماعة يكادون ينكرون وجود الله بما يزعمون من قدم العالم ، وبما يقولون فى علم الله وارادته ، وسواء أكان على حق فى فهمه لأقوالهم ، أو على غير حق — كما يظن ابن رشد — فانه على كل حال رجل مخلص يدافع عن الله ، ويدعو الى الايمان ، ويسد على الناس باب الشبهات . فأى داع يدعو لأن يسمى عمله هذا تهافتا من غير تفكير ، بما ينجم عن هذه التسمية من تصغير لقدر الكتاب ، وتزهيد للناس فيه ، وتشكيك لهم بما ينطوى عليه من الحق والخير » .

ومن الوقفة التى طالت مع الغزالى وابن رشد ينتقل الحوار الى أبى العلاء المعرى ويصف الكتاب أبا العلاء بأنه لم يكن فيلسوفا بالمعنى الاصطلاحى لهذه الكلمة ، وانما كان من أصدق الناس ايمانا بالله ، وصبرا على بلائه ، وانما كان شكه فقط فى الامور الاخرى كالقضاء والقدر ، وحكمة الخلق ، وحقيقة الروح والنفس .

وليت شعرى ماذا يكون الايمان بعد ذلك وما قيمته أن لم يمنح المؤمن

راحة النفس ويقين القلب ، خاصة وقد أعطى الدين الجواب المرضى لهذه الامور واعتبر الايمان بالقضاء والقدر ركنا للايمان .

والى أوربا بعد ذلك يتجه الحديث عن فلاسفتها العباقرة ، حتى يصل الى علمائها ، ويقف عند داروين صاحب مذهب النشوء والارتقاء ، ويعرض المؤلف هنا للرسالة الحميدية لوالده الشيخ حسين الجسر ، حيث يناقش داروين والطبيعيين لينتهى الى أن هذا المذهب وغيره من مذاهب العلماء لو ثبتت فانها لا تتعارض مع الدين .

ومن الأفق الواسع لتلاقى العباقرة من الفلاسفة والعلماء يهبط التلميذ وشيخه الى « ليلة الامتحان » حيث يقرران معا ان الدين الحق لا يتعارض مع النظر العقلى الخالص ، والبحث العلمى الصحيح ، ثم راح الشيخ يتلو على تلميذه آيات القرآن التى ضمت كل أنواع البراهين العقلية الدالة على وجوده تعالى وكمالاته .

وهذه الفصول الاخيرة من أروع فصول الكتاب وأهمها حيث تشرح بوضوح انعدام حظ المصادفة فى خلق هذا الوجود وتسييره ، وتتصفح آيات الله فى السماء والأرض والقمر ، وكيف ينزل المطر والمعجزة فى جريان الفلك فى البحر ، وما يشير اليه هذا مما عرفه العلم بعد ذلك فى قانون أرشميدس ، ثم الماء والهواء وقوانين الصوت والضوء حتى قانون النسبية ذاته .

ثم هبط بهما التطواف الهادىء المتأمل فى ملكوت السموات والأرض الى النفس ، وما خلق الله للانسان من قلب ولسان وأذن ، وما بث فيه من عواطف مما ينفى وجود أى أثر للمصادفة .

ومرض التلميذ الحيران ، ثم خرج من المستشفى ، وافتقد أستاذه خمسة أيام ، فلما سأل عنه أبلغ بأن شيخه سبقه الى الله ومات . وترك له وصية طويلة . كانت وحدها العزاء للتلميذ الحزين . وكان ختامها :

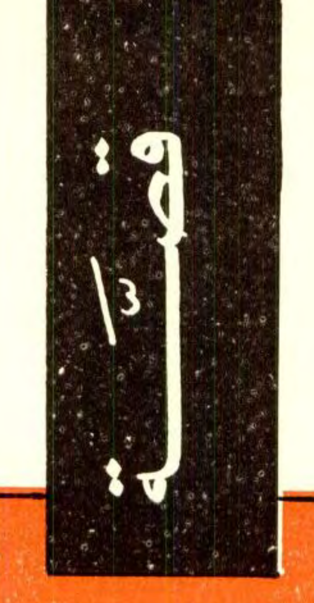
« يا حيران بن الأضعف : احفظ هذه الأمالى التى أمليتها عليك مع هذه الوصية الاخيرة وانشرها على الناس لعل الله يشرح بها صدور الحيارى ، ويصلح بالهم ، ويهدى من يشاء منهم الى الطيب من القول والى صراط الحميد .

يا حيران بن الأضعف : ان كان فى الأجل فسحة تلاقينا والا فترحم علينا »

والى هنا يبلغ الشيخ نديم قمتين : قمة الوصول الى الهدف الذى قصد اليه من كتابه ، وقمة العاطفة القوية التى تشده نحو أبيه العلامة الشيخ حسين الجسر أو التى تشد حيران الى الشيخ الموزون . حتى سمعت أن المؤلف كلما قرأ هذه الوصية فاضت عيناه بالدمع وانطلقت منه الدعوات لأبيه . .

وبعد . . فلا أظن — للحق والأمانة — أننى قد أغنيت عن قراءة الكتاب بهذه الكلمات المتواضعة فانه كتاب لا يغنى عن قراءته الا قراءته ، وحسبنا أنه كتاب رائع ، وأروع ما فيه أنه للعصر الذى كتب فيه . . هذا العصر الذى يموج بالانحراف والشك . . فهو للشباب يهدى الحيارى منهم ، وللشيوخ يقدم لهم فى خريف العمر الوسيلة المقنعة الى الايمان الذى يهتدى اليه الفيلسوف المخلص ، والعالم الحق ، والمؤمن الصادق .

■■



ذو الأصابع الـ...

قال الاستعمارى المتعصب (رديارد كبلنج) شاعر الامبراطورية البريطانية التى غربت عنها الشمس (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) . وهــذه اصدق كلمة قالها ذلك الرجل الجهنمى الذى تمنى أن تضم الامبراطورية البريطانية تحت جناحيها جميع ما على الارض من ممالك وأمصار .

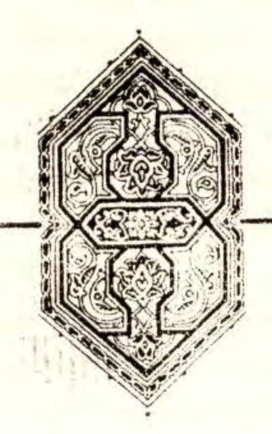
والشرق بروحانيته وطهارته وصفائه وكونه مهبط الأديان السماوية وغير السماوية ، لا يمكن أن يلتقى بالغرب فى جحوده ووحشيته وانانيته وعبادته للمادة وحدها ، وجنوحه الى الشر واندفاعه الى مهاوى الجرائم والمنكرات .

ولقد كان الغرب — حتى فى أيام جاهليته البشعة — يحقد على الشرق ، ويحاول أن يبيد ما عليه من اناس وخيرات وكنوز ، وما حديث (الاسكندر الاكبر) عنا ببعيد .

وفى القرون المظلمة ، التى كان الغرب يعيش فيهـــا على الجهل والفقر والمرض ، تجمعت فلول من ممالكه واماراته ، واعتزمت أن تغــزو الشرق تحت راية صليب المسيح ، مع ان المسيح برىء من أصحاب هــــذه الحروب ، التى اقترنت باسم صليبه ، فقد كان السيد المسيح عليه السلام يدعو الى السلم ، والى الرحمة ، والى التعاطف بين الناس جميعا ، لا فرق بين غربى وشرقى ، ولا بين أمير وفقير ، وكان يحرم الحروب ، وهو القائل (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) .

لم يكن الدين المسيحى هو الذى دعا هــــذه الوحوش من الغرب للحروب الصليبية ، ولكن كانت هناك أسباب كثيرة هى التى اضطرت جيوش الغرب الى ان تتجه الى الشرق . منها افلاس خزائن كثير من الدول الغربية وخلافات شديدة بين هذه المملكة وتلك على ما حققه المؤرخون .

وشاءت ارادة الله أن يضــعف بعض الحاكمين فى الشرق ، وأن تجرفهم الخلافات الشخصية الى أبعد مدى .. الى الخيانة حيث يستعين البعض منهم



للأستاذ : محمد علي غريب



ـلاثـة

بالصليبيين على أخيه المسلم دون رادع من دين ومن ضمير .

وهكذا كانت حال المسلمين ، لا لأنهم كانوا غير قادرين على الدفاع عن سيادتهم ، بل لأنهم تنازعوا فيما بينهم ، فاستطاع عدوهم أن يملك بعض المناطق فى بلادهم .

ومن بين الذين أقامهم الأوربيون على فلسطين ذلك الوغد المسمى (الملك جون) والذى كانت تلقبه زوجته السفاحة (القديس جون) كان هذا الوغد وحشا ضاريا لا يتورع من انتهاك الحرمات ، وارتكاب الجرائم والنزول الى مستوى السفلة والأنذال .

كان يبغض المسلمين بغضا شديدا ، وكان يتمنى أن لو كان لهم رأس واحد لقطعه واستراح منه ، وكان لا يحترم معاهدة ، ولا وعدا قطعه على نفسه ، وقد كانت بينه وبين البطل الاسلامى صلاح الدين الأيوبى معاهدة تقضى بألا يتعرض للمسلمين ، وهم فى طريقهم الى الحج ، غير أن هذه المعاهدة لم تكد تتم ، حتى مزقها هذا الصعلوك الغادر ، اذ سلط جنوده البغاة على قوافل الحجاج المسلمين فأبادهم عن آخرهم .

ولما بلغ هذا النبأ المروع مسامع البطل صلاح الدين أقسم انه لا بد أن يقتل هذا الشرير الغادر .

ولقد بر صلاح الدين بقسمه هذا . فلما دارت رحى الحرب بين جيوش المسلمين وجيوش الأوربيين ، وانتصر المسلمون انتصارا رائعا ، جئ بهذا الملك النذل الى صلاح الدين فقتله شر قتلة ، جزاء حنثه فى معاهدته ، واقترافه جريمة من أبشع الجرائم الانسانية ..

فى هذا العهد الذى ظهر فيه هذا الملك الكريه على مسرح السياسة فى بلاد المسلمين ، كان جنوده أشد منه بغيا وارتكابا للجرائم ، وتحررا من كل قيد انسانى يعصمهم من الهبوط الى الدرجات السفلى واقتراف المنكرات فى غير

ما حياء ولا خجل .
وكان من بين هؤلاء الجنود ما لا يمكن ان يسمى انسـانا ، وان كانت له ملامح الانسان ومظهره ، وكان يدعى (جورج فينست) .
كانت حياته كلها تقوم على الخمر والنساء ، وكان بعض زملائه يصـفونه بأنه فى الحرب جبان رعديد لا يستطيع أن يخوض معركة الا توارى وراء الجنود ، فلا يصيبه من أحداثها شىء ، ولكنه عندما ينفرد من عقال الحرب يصبح وحشا كاسرا ، تقوده غريزته الدنيئة الى اشباع بطنه وجسده بما خلق له وهو الخمر والنساء .
وكان زملاؤه الجنود يضيقون بشروره وآثامه ، فلا يحبون أن يلتقوا به ، ولا أن يجتمعوا معه على مائدة واحدة .
كانوا يعرفون عنه أنه اذا شرب كؤوسا من الخمر انقلب الى شـيطان رجيم ، يضرب ويحطم ويقتل ولا يرده عن ذلك قانون ولا عرف ولا نظام .
وعلى مسافة غير بعيدة من القدس كانت تقع (قرية أبو العـافية) وقد محيت من الوجود منذ مئات السنين لاسباب لا سبيل الى تقصيها الآن . كانت هذه القرية هادئة وادعة ، تضم عائلات مترابطة متعاونة فيما بينها ، ولا يكاد يصيب أحدا من أبنائها سـوء حتى يجتمع أهل القرية كلهم عنـده يواسونه ، ويخففون عنه ما أصابه ، ويبـذلون غاية جهدهم فى أن ينهض من كبوته بما يقدمونه اليه من معونة ومساعدة .
وكان لشيخ هذه القرية ابنة وحيدة اسمها (هند) على غاية من الجمـال والفتنة ، مع خفر وحياء شـديدين ، وطهارة وبراءة تجعلانها خليقة بالزوج المناسب ، الذى تحفظ عليه عرضه وتصون شرفه .
وكان لها ابن عم وهو خطيبها واسمه (ابراهيم) وكان الحب بينهما أقوى ما يكون ، مع عفة ونزاهة ، ولم يكن أحد فى القرية يستطيع أن يرفع عينيه الى وجه هند ، وينظر اليها نظرة خاطئة ، فقد اتفق أهل القرية ــ على ما تقضى به عاداتهم وتقاليدهم الكريمة السامية ــ على أن الفتاة المخطوبة لا يجوز النظر اليها احتراما للعرف المتبادل .
وكان ابراهيم فتى متين البنيان ، قوى الجسم ، وسـيما جريئا ، لا يهاب الخطر بل يتحداه ، وكان قد أنف من بقائه فى القرية وجيوش المسلمين تتصارع مع أعداء الله ، فغادرها ليلحق بجيش صلاح الدين .
ولقد أبلى ابراهيم فى حروب صلاح الدين بلاء شـديدا ، وبرزت مواهبه العسكرية فى جرأة وشجاعة ، حتى استحق أن يذكر اسمه عند صـلاح الدين مقترنا بالحمد والثناء .
فقربه صلاح الدين اليه ، وجعله من خاصته ، وأغدق عليه من بره وعطفه ما جعله يضاعف فى ساحات الوغى من مقدرته وبسالته .
وندع ابراهيم الى شأنه فى معاناة الحروب ، ومجالدة الاعداء لنعود مرة أخرى الى قرية « أبو العافية » حيث كان أهلها يتخفون فى بيوتهم بعد أن ذهب شبابهم الى الحرب ، وبقى فيها العجائز والنسوة والاطفال .
ولا يدرى الا الله أية ساعة نحس جلبت الى هـذه القرية الآمنة المطمئنة قدمى هذا الغول البشع (جورج فينست) .
لقد قدم اليها ومعه عشرة من رفاقه ، وكان أهل القـرية يعلمون جيدا ما الذى يقصد اليه هؤلاء الذئاب ، فكانوا يخفون فتياتهم فى أمكنة مظلمة ، حتى لا

تقع عليهم أعين أولئك الأنذال .
وانفرد « جورج » وحده بالسير فى جهة قصية ، وشاءت المصادفة السيئة أن يقع بصره على (هنـــد) وراح يركض ، حتى أمسك بها ، وحاول جاهدا أن يغتصبها ، ولكنها قاومته ببسالة ، وأمسك النذل بســكين يتهددها بها ، فلما تظاهرت بملاينته ، والخضوع له ، ترك السكين تسقط من يديه على الارض ، وعندئذ التقطتها هند وصوبتها نحوه فجن ، وأراد أن ينتزعها منها ، فاستطاعت أن تمزق اصبعين من أصابعه .
وحينئذ تملكته ثورة طاغية ، فلم يفـكر فى الفتـــاة ، ولكنه راح يطعنها بالسكين حتى لفظت أنفاسها وهى بريئة طاهرة .

وربط الوغد يده بمنديل ، ووقف مهتاجا يعـــوى من الألم ، وعــاد الى المعســكر ، وكان أهل القرية قد تجمعوا على صرخات الفتاة ، ولم يــكن فى طاقاتهم أن يمنعوا عنها هذا الاعتداء الوحشى ، فلما انقلب جورج الى معسكره اقتربوا من الفتاة ، وعرفوا حقيقة ما حدث ، وكان بكاء ، وكان عويل .
وظلت القرية فى حزن دائم على هذه الفتاة التى ضحت بروحها فى سبيل شرفها وعفافها ، ولم يحتمل والدها الشيخ وقع هذه المأســـاة على قلبه فمات كمدا . ومضت الأيام .
وبرز اسم صلاح الدين ، وكان على راس جيوش الاوربيين مخلوق ليس من دم ولحم ، بل هو من حجر صلب اسمه (ريتشارد قلب الأسد) تخلت عنه نوازعه الانسانية جميعها ، فأصبح تمثالا من حجر ، الا أنه حجر يؤذى ويسىء .
وقد وصفه انجليزى من أبناء وطنه اسمه (تشارلس كالتون كوفن) فقال عنه وهو يتحدث عن أخيه (جون لاكلاند) :
« أنه (ريتشارد قلب الأسد) الذى اتصف بالشجاعة ، ولكنه كان شريرا ، ليس للرحمة فى قلبه سبيل ، وكان قائد جيوش الحروب الصـــليبية ، وحارب العرب فى فلسطين ، وكان صـــلاح الدين الأيوبى على راس العرب ، وقائد جيوشهم وفى يوم ما طلب الى طاهيه أن يحضر له لحم الخنزير الطازج لغذائه ، ولكن الطاهى لم يكن لديه لحم خنزير ، ولم يكن يدرى من أين ياتى به ، فاضطرب وقلق ، لأنه اذا لم يوجد على المائدة اللحم المطلوب ، فان ريتشـــارد لا محالة سيقتله ، وكان قد سمع أن لحم الانسان يشبه مذاقه لحم الخنزير ، فقتل أسيرا عربيا ، وطبخ بعض لحمه ، ووضعه على المائدة ، ومدح الملك الطعام ، وربما ظن فى نفسه أن اللحم ليس لحم خنزير فقال للطاهى : احضر لى رأس هـــذا الخنزير حتى أراه .
ولم يدر الطاهى ماذا يفعل ؟ انه اذا لم يقدم الرأس فان رأسه ولا شك ســيقطع ، وامتلكه الفزع ، وأخذ يرتعد فرقا ، وأخيرا احضر راس الأســير العربى ، فضحك الملك وقال :
اذن لا حاجة بنا الى لحم الخنزير ، ما دام لدينا ستون ألف اسير عربى !! ولم يزعجه انه اكل لحم آدمى ، وأرسل اليه صلاح الدين ثلاثين رسولا ألا يقتل الاسرى ، فاقام لهم مادبة ، وبدلا من أن يزينهـــا بالأزهار ، قتل ثلاثين عربيا ، ووضع رؤوسهم على المائدة ، وبدلا من أن يجيب طلب صلاح الدين ، ذبح ستين الف عربى بين رجال ونساء وأطفال فى السهل الشرقى لمدينة عكا » .
هكذا كانوا فى حروبهم مع المســـلمين ، غير أن الله جلت قدرته أراد أن

ينتقم للشهداء فدحرت جيوش صلاح الدين جيوش الأوربيين ولم يبق منهم الا فلول هائمة شاردة .

فى هذه الأثناء عاد ابراهيم ، خطيب هند الى قريته ، وهو ظافر منصور ، ولم يكن يزدهى ببطولته ، ولا يغتر بشـــجاعته ، فقد كان يؤمن فيما بينه وبين نفسه بأنه انما يؤدى الواجب نحو دينه ووطنه وحسب .

وكانت أنباء فروسيته قد سبقته الى قريته (أبو العافية) وكذلك الحظوة التى نالها لدى البطل صلاح الدين .

واستقبله أهل القرية بحفاوة بالغة ، ولكنها كانت حفاوة مشـوبة بالحزن والأسى ، ولم يلبث طويلا حتى عرف الحقيقة ، ووقع نبأ الـــكارثة عليه وقوع الصاعقة ، فلم يستطع أن ينطق بحرف ، وظل أياما يسير فى طرقات القرية هائما لا يدرى ماذا يفعل ؟ لقد رووا له ما حدث ، وكان الذى حدث فظيعا ، لا يمـكن تصويره ، ثم ذكروا له مع الاعجاب أن فتاته دافعت عن عرضها وشرفها ، وانها بترت اصبعين من أصابع الوحش الذى أراد الاعتداء عليها من يده اليمنى .

وقال ابراهيم :

ــ صفوه لى وصفا دقيقا شاملا .

ووصفوه فقالوا :

انه ضخم الجثة فارع الطول يغطى شعر لحيته وجهه كله .

وغادر ابراهيم القرية ، يضرب فى فيافى الارض على غير هدى ، يبحث عن هذا الجبان الذى استغل ضعف فتاة مسـكينة طاهرة ، وراح يختلط بفلول الأوربيين ، الذين بدد شملهم صلاح الدين ، حتى حسبه بعض الأهلين ضالعا مع هذه الوحوش الكاسرة ، وراحوا يبتعدون عنه ، ويتهربون منه .

ولم يكن يبالى شيئا من اهتمام الناس به ، أو قلة مبالاتهم لشأنه ، فان له من وراء سعيه الدؤوب غرضا أسمى هو أن يعثر على هذا القاتل الدنىء ليجرعه غصة الموت .

وعثر على ضالته أخيرا منفردا وحده فى احدى الحـــانات ، وقد عرفه باصبعيه المبتورتين ، فاقترب منه ، وراح يحدثه عن ســهرات حمراء فيها خمر ونساء ، وعندئذ استيقظ الوحش الكامن فى أعماق هذا الغول البشرى ونهض ليرتوى من هذه السهرات الحمراء .

وقاده ابراهيم الى منزل أحد أصدقائه ، يقيم قريبا من هذا المـكان ، فلما احتوتهما غرفة مستطيلة ، أحضر ابراهيم الخمر وجلس يتظاهر بالشراب ، وكان (جورج) هذا قد شرب حتى لا يستطيع الحراك .

وفى لغة السكارى التى يشوبها التلعثم كان جورج يســأل فى عصبية وجنون :

ــ أين .... أين .... النساء ؟

وكان ابراهيم يهدىء من ثائرته ، حتى اذا اطمأن الى انه راح فى غيبوبة السكر ، ولن يستطيع أن يحرك اصبعا ، قام اليه ابراهيم وحز راسه بسكين ، فكان له فى نزعه الاخير خوار اشد عنفا من خوار الثور الذبيح .

وبعد ذلك حمله ابراهيم بمساعدة صديقه ، والقيا به فى أوحال الطريق .

فى هذه الأيام كانت جنود المسلمين مظفرة ، وفلول الأوربيين مبعثرة ، فلم يعد أحد يهتم برؤية جثة لواحد منهم ملقاة فى العراء .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

حق الطـلاق

السـؤال :

أولا : أريد الزواج من امراة اشترط اهلها لاتمام عقـد الزواج أن تكـون العصمة بيدها . فهل يجوز لها التنازل عن هذا الحق بعد العقد ؟

ثانيا : اذا كان الزوجان قد بلغا سن الرشد . فهل عقد زواجهما بدون ولى صحيح ؟.

أرجو بيان حكم الشرع فى السؤالين .

م ـ ط ـ ع / الكويت

الاجابـة :

بالنسبة للسؤال الاول : الأصل فى الزواج ان تكون العصمة بيد الرجـل دون المرأة ، فالرجل هو الذى يملك الطلاق ، وقد شرعه الله واستقل به الزوج لأنه يحتاج الى كثير من التريث والتفكير ، خصوصا وان الطلاق يترتب عليه تبعاته المالية من حلول مؤخر صداق ونفقة عدة على الرجل الى غير ذلك من الامـور التى تجعله يفكر فيما يحدثه من طلاق قبل أن يقع فيه . وقد ذهب الفقهاء الى أن للزوجة ان تشترط عند الزواج أن تكون العصمة بيدها ـ بشرط أن تبدأ المـرأة بالشرط فتقول زوجتك نفسى على ان أمرى بيدى فيقول الزوج قبلت ويكون هذا القول بنفسها او بوليها او بوكيلها والمؤمنون عند شروطهم ـ وبما أن الزوجـة قد ملكت هذا الحق فلا مانع من تنازلها عنه برضاها لأنه خلاف الأصل . بخلاف الزوج فانه لو قرر أنه لا يصح له طلاقها فلا يعتد باقراره لأنه حق ثابت له أصلا . ومن باب التزام ما لا يلزم ، فلو طلقها رغم تعهده بعدم طلاقها فانه يقع طلاقه .

وبالنسبة للسؤال الثانى : وهو صحة الزواج بدون ولى فقد ذهب جمهور الفقهاء من مالكية وشافعية وحنابلة الى ان الزواج لا بد فيه من ولى استنادا الى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (من أنكحت نفسها بغير ولى فنكاحها باطل باطل ، باطل) والى قوله عليه الصلاة والسلام أيضا : (لا نكاح الا بولى وشاهدى عدل) . وذهب الحنفية الى جواز ذلك بالنسبة للبالغين الراشدين .

وخلاصة القول بالنسبة للسؤال الأول وهو اشتراط العصمة بيد الزوجة

فهو جائز شرعا كما يجوز لها التنازل عن هذا الحق بعد العقد .
وبالنسبة للسؤال الثانى وهو الزواج بدون ولى فهو غير جائز على رأى جمهرة الفقهاء . جائز عند الأحناف .

فى الطـــلاق

السـؤال :

حلفت بالطلاق بالثلاثة مرتين فى مكان واحد — انى ما اعطى والدتى نقودا ولا انوى طلاق زوجتى ، وذلك من مدة أربعة أيام ، ثم اعطيت والدتى نقدية بعد يومين ولم يسبق ايمان طلاق قبل ذلك .
فما حكم الشريعة ؟

(ش. م. ع)

الاجابــة :

الحلف بالطلاق بالثلاث بلفظ واحد او بالتكرار فى مجلس واحد لا يقع به الا طلقة واحدة رجعية على ما جرت عليه الفتوى اذ أنه كان الأمر على هذا فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبى بكر وسنتين من خلافـــة عمر ، وبما أن السائل حلف بعدم اعطاء والدته نقودا ، فهو من قبيل الطلاق المعلق ويقع الطلاق عند حصول المعلق عليه .
وبما ان السائل — اعطى والدته نقودا بعد حلفه فيقع يمينه طلقة واحـــدة رجعية ، وله مراجعتها بالقول أو بالفعل فى أثناء العـــدة وتحل له بعقـــد ومهر جديدين بعد انتهائها .

. . . .

التركة الملوثـــة

السـؤال :

رجل صاحب أعمال واسعة ومعاملاته معظمهـــا مع البنـــوك تحت ضغط طبيعة العمل واتساعه ، ودخل فى اعماله معاملات ربوية ثم توفى هذا الرجل .
فهل يجوز لولده أن يأخذ حصته من تركة والده ، وهل يعتبر آثما اذا كان مصرفه وطعامه فى بيت أبيه ؟

مسلم فى العراق

الاجابــة :

ضغط العمل واتساع التجارة ، وما الى ذلك . كل هذا لا يبيح التعامـــل بالربا فى أى ظرف من الظروف .
أما بالنسبة لأخذ الولد نصيبه من تركة والده فجائز ، قال تعـــالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، وقال أيضا : « كل نفس بما كسبت رهينة » . فبوفاة الوالد تكون تركته ميراثا لورثته كل واحد منهم يأخذ نصيبه منها ولا شأن لهم فى كون التركة فيها شىء من الربا أو ليس فيها والاثم على الوالد لا عليهم .
وبالنسبة لمصرفه وطعامه فى بيت أبيه فالأب ملزم شرعا بالانفاق على أولاده من طيب ماله ، والواجب عليه ان يطعمهم من حلال ، والاثم عليه هو اذا أطعمهم من مال حرام وليس عليهم شىء . .



باشراف : الشيخ رضوان البيلى

حول تمثيل الأنبياء :

لماذا يعارض علماؤنا فى ظهور نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على شاشة السينما ، أو على خشبة المسرح أو فى التمثيليات الاذاعية والتليفزيونية مع أننا نشاهد صورة المسيح والكليم عليهما الصلاة والسلام فى أفلام سينمائية قوية ، ولم نسمع أن أحدا من رجال الديانتين عارض فى هذا .. ألا ترون معى أن الزمن تغير ، وأن صناعة السينما والتمثيل تطورت وأن السينما والمسرح من أقوى أجهزة الاعلام ، وأوسعها انتشارا ، وأعظمها جاذبية واغراء .

لماذا لا يستغل المسلمون هذه الأجهزة الاعلامية التوجيهية ، فى التبشير بديننا ، وابراز مواقف البطولة الخالدة لنبينا .. أى فائدة يجنيها الاسلام من هذا التشدد فى الحظر والمنع مع أننى لم أطلع على نص فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله يمكن الاعتماد عليه أو الاستدلال به على هذا المنع والتحريم ؟

(مسلم)

بعد الاكبار والتقدير للدوافع الخيرة التى املت هذه الرسالة ، وبعد الاشادة والتنويه بما شغل به السيد المسلم نفسه من البحث عن أحدث الوسائل وأنجحها لتبليغ الدعوة ونشر الاسلام .. بعد هذا كله نوضح أن ظهور نبينا عليه الصلاة والسلام على شاشة السينما ، أو تمثيله على خشبة المسرح .. الخ . أمر يتصل بديننا ، وما يتصل بالدين لا نقلد فيه غيرنا من أصحاب الديانات الأخرى ، وليس عملهم حجة لنا أو علينا وسواء أرضى أرباب هذه الديانات عن تمثيل انبيائهم أو لم يرضوا فان للمسلمين رأيهم المستقل ، وحكمهم النابع من عقيدتهم ، المستند الى فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله — على أن ما نرضاه لنبينا نرضاه لاخوانه الأنبياء والمرسلين ، وما نأباه لنبينا ننزه عنه جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .. وبناء على هذا لا يكون ظهور صورة المسيح والكليم وغيرهما من الأنبياء والمرسلين مبررا ومسوغا لتمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم .

يا سيدى : ان تعظيم وتكريم أنبياء الله ورسله أصل عندنا من أصول العقيدة لأن الله عز وجل أمرنا بتوقيرهم وتعظيمهم وتنزيههم عن كل نقص ، وقد أجمع العلماء على أن من عاب نبيا أو عرض به تعريضا يضع من شأنه فهو كافر مرتد .. وتمثيل النبى هو قيام انسان آخر بتقليده فى أقواله وحركاته وسكناته فى موقف من المواقف ، ومهما بلغ الممثل من اتقان دوره والبراعة فى تمثيله والاندماج فى شخصية من يقلده كما يقولون فانه لن يكون كالنبى الذى يمثله تماما ، وهذا يؤدى الى الزيادة أو النقص . وهو كذب على النبى وكذب على الله .. على أن الشخص المقلد لم يتجرد من شخصيته الأصلية بما فيها من عيب ونقص ، ونحن نتصور أنبياء الله ورسله فى أعلى مراتب الكمال الانسانى ، فاذا عرضت شخصياتهم هبطت من هذا المستوى العالى ، وهذا يؤثر على ما وقر فى النفوس من تمجيد هذه المثل الرفيعة . وان الله عز وجل قد حال بين شياطين الجن وبين الظهور فى صورة الأنبياء والمرسلين رحمة بالناس وتعظيما لسفرائه الى خلقه . روى الامام البخارى ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : **من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل في صورتي .**

ان تمثيل الأنبيـــاء والمرســـلين يعرضـــهم ولا شك الى شيء من النقص والمهانة ، وهذه مفسدة تجر الى الفتن بين الناس . ولهذا عارض علماء المسلمين في تمثيل هذه الشخصيات الكريمة على الله والكريمة على المؤمنين . . وفي غير هذا من أساليب الدعوة ووسائل التبليغ لدين الله غناء وأي غناء .

وأحب أن أذكر الأخ المسلم بأن الافلام الدينية التي ظهرت في الســينما الغربية مثل (الوصايا العشر) و (الرداء) و (كوفاديس) لم تقابل من الجمهور بالرضا والارتياح ، بل على العكس من ذلك لقد كانت موضع نقد لاذع ، ومثار فتن بين المشاهدين ، وقد قابل النقاد فيلم الوصايا العشر بثورة ، ووصفوه بأنه كان جنسيا أكثر منه دينيا ، وقالوا : ان الشـــخص الذي قام بدور فرعون فيه كان محبوبا أكثر من الذي قام بدور موسى ، وهل علمت يا أخي أن مخرج هذا الفيلم كان يبحث عن ممثل يسند اليه القيام بتسجيل صوت الله . . اظنك بعد هذا لا ترضى لنا أن نتردى في هذه الهاوية .

■ ■ ■

اخوان الصفا

وردت الينا عدة رســائل يســـتفسر فيها أصحابها عن جماعة (اخوان الصفا) عن نشأتهم وأهدافهم وعصرهم ورسائلهم .

وهذه الجماعة كما شغلت أصحاب هذه الرســائل شغلت من قبلهم آلاف الدارسين والمفكرين عبر عدة قرون ، وأفردوها بمؤلفات عديدة ، كما تحدثت عنها دوائر المعارف العربية والأجنبية .

وتتحدث عنها احدى دوائر المعـــارف فتقول : هي جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية . عاشوا في البصرة في النصف الثـــاني من القرن الرابع الهجري ، ومن أشهرهم محمد بن بشير البستي الملقب بالمقدس ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، ومحمد بن أحمد النهرجوري ، والعوفي ، وزيد بن رفاعة .

سموا باخوان الصفا وخلان الوفاء ، وصبوا معارفهم العالية والفلسفية والدينية في رسائل تزيد على الخمسين ، وهي أشبه ما تكون بدائرة معارف . أو موسوعة في العلوم المختلفة ، وقد كتبت بأسلوب مسهب فيه تكرار وحض على الفضيلة . وتقع هذه الرسائل في أربعة أقسام : قسم في الرياضيات ، وقسم في الجسمانيات (الطبيعيات) وقسم في النفسانيات (العقليات) وقسم في الناموسيات (الالهيات) ولهم رسالة جامعة تجمع وتوضح كل ما في رسائلهم وهـــذه الجمـــاعة اخذت مذهبها من كل علم وقامت على أن الشريعة ملئت بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى تنقيتها الا بالفلسفة .

وقد أحاطت هذه الجماعة نفسها بسياج متين من الكتمان ، وزعموا أنهم لم يكتموا أسرارهم عن الناس خوفا من سطوة الملوك ذوي السلطة ، ولا حذرا من شغب جمهور العوام ، ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لهم ، وشددوا في تداول رسائلهم ، وأوصوا كل من حصل على هذه الرسائل أن يتحرز في حفظها واسرارها واعلانها واظهارها كل التحرز ، ويحرسها غاية الحراسة ويصنها احسن الصيانة .



المجتمع الاسلامى

كتب الأستاذ عبد الستار الهوارى تحت هذا العنوان يقول :

للانسان المسلم رسالة فى الحياة هى ان يكون ذا ارادة ، وللمجتمع الاسلامى رسالة هى ان يحقق العدل والسلم ، ويدفع الأذى والعدوان ، ورسالة المسلم مقدمة لرسالة المجتمع الاسلامى ، اذ لا يتحقق عدل ولا سلم فى مجتمع ، ولا يدفع أذى وعدوان عن مجتمع الا اذا كان أفراده ذوى ارادة ، ذوى مراس على الكفاح ، ذوى قوة على المثالية .

الاسلام بعد ذلك ليس مسئولا عن ضعف المسلم وخضوعه لشهوته ، وليس مسئولا عن ضعف روابط المجتمع الاسلامى او انحلاله ، وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام ، والانحراف فى تطبيقه . كتاب الله ليس مسئولا عما يستورد من الشرق والغرب من فكر فى التوجيه ، وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه .

وسوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه لا يسأل عنه نفر معين من المسلمين ، انما المسلم ما دام قد ارتضى لنفسه أن ينتسب الى الاسلام — عليه أن يؤمن أولا بقلبه بالله ، فاذا آمن حقا بالله عرف الطريق الصحيح اليه **« واتقوا الله ويعلمكم الله »** .

ترد بضاعة من الشرق وأخرى من الغرب . بعضها يدعو الى الالحاد ويكفر بالانسانية وبقيمها . وبعضها الآخر يدعو الى الطغيان ، طغيان المال على القيم الانسانية ، وطغيان النار والحرب والقوة المادية على حق الشعوب فى الحرية والحياة .

واسلامنا لا يتصل بالشرق أو بالغرب . لأنه يقوم على الايمان بالله ، وعلى تمجيد القيم الانسانية ، وعلى مكافحة الطغيان فى أية صورة ، أننا لسنا شرقيين ولا غربيين . اننا مسلمون . اننا دعاة الايمان بالله وحده وبالقيم الانسانية الفاضلة . . اننا مجندون من ديننا لمقاومة الطغيان ، واحلال العدل والسلم محله .

ان اسلامنا لا يعرف مجتمعا يقوم على ارستقراطية المال والشرف ، كما لا يعرف مجتمعا يقوم على خصيصة العمل البدنى وحده ولكن يعرف التفاضل بين أفراده على أساس توجيهه . **« ان اكرمكم عند الله اتقاكم »** . ولذا لا يقر ان تتحكم طبقة فى طبقة ، ولا طائفة فى طائفة .

اسلامنا يعتمد على الضمير فى الانسان . ولذا لا يعرف الارهاب فى دفع الأفراد . اسلامنا يعتمد على الخشية من الله . ولذا لا يخشى طغيانا فيه . من مجموعة على مجموعة .

للمستورد من الغرب او الشرق بريق ، ولكنه بريق خادع ، واسلامنا هو الذهب

الذى لا تتغير قيمته ، ولكننا فى حاجة الى ان نزيل عنه ما لابسه من سوء الفهم ، وانحراف التطبيق .

مشروع لتدارس القرآن الكريم ..

وفى هذه الآونة التى اشتدت حاجة المسلمين فيها الى ما يزكى نفوسهم ويطهر قلوبهم ، وينقلهم من الجو المادى الكدر الذى طغى على الحياة الى جو روحى طهور يقترح الأستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائى المدرس فى كلية الدراسات الاسلامية — بغداد — هذه التجربة التى نرجو أن ينتفع بها المسلمون فيقول :

التجربة من ايران وآمل أن يثير وصفى لها مناقشة جمهور القراء عسى أن نخرج بمشروع مناسب نستفيد منه نحن فى البلاد العربية على وجه الخصوص ، كما آمل أن يستفيد منها شبابنا المغترب فى الشرق والغرب ، وعلى الأخص الشباب المسلم فهو بحاجة ماسة الى هذه التجربة والى معطياتها والى الدفء الروحى الذى يحسه المشاركون بتلك الجلسات التى سأصفها :

والتجربة تقوم على دراسة القرآن وتلاوته فى جو روحى بهيج ففى كل حى يجتمع بعض الناس ويسجلون أسماءهم عند متفقه باعتبارهم يرغبون فى تلاوة القرآن الكريم وفهمه ، وبعد أن يجتمع منهم عدد مناسب يحددون ليلة الجمعة موعدا للاجتماع على أن يكون ذلك فى (دار) أحدهم ، ثم تجهز مصاحف ورحلات توضع عليها حسب العدد ، فاذا آن اوان الاجتماع توافدوا على الدار بعد أن يضعوا مصباحا خاصا أمام الباب ، وبعد أن يكتمل العدد تبدأ الجلسة بتلاوة القرآن من رئيس الجلسة ، وهو فى العادة رجل متفقه فى الدين ، وبعد أن ينتهى من التلاوة يطلب ممن يليه ان يعيد ما قرأ ، وهكذا حتى ينتهى من القراءة آخر شخص مسجل فى (الدورة) كما يسمونها وفى خلال ذلك يكون المتفقه أو رئيس الدورة قد استمع للكل واصلح لهم ما يحتاجون من قراءتهم .

ثم يبدأ بعد ذلك اما بشرح معانى الآيات حينا أو التحدث عن باب من ابواب الفقه أو شرح حديث من أحاديث الرسول الكريم .. وبينما يكون الرجال يقرؤون بصوت مسموع تكون نساء الحى فى الغرف المجاورة تستمع الى هذه التلاوة كما تستمع الى الدروس التى تعقبها .. فاذا انتهى كل ذلك حددوا مكان الجلسة القادمة من الاسبوع القادم .

وهذه الجلسات تكون مفتوحة يستطيع ان يحضرها كل من أحب .. ونظرا لتعدد هذه الجلسات وكثرتها فى المدينة الواحدة فهى تختص عادة بأهل الحى ، ومن النادر أن يطرقها غريب فاذا حضر أحد فهو مجرد مستمع ليس الا ، فاذا رغب بالانضمام للحلقة فعليه أن يسجل اسمه ليعد له مصحف للتلاوة ، ويدخل ضمن اعضاء الحلقة وكل داخل يستقبل بالتشجيع .

واذا بدأ الدرس فلا كلام ولا حديث ، وللجلسة نظام وادب ، وفيها روحانية ، وهى تنهى دائما بدعاء وابتهال الى الله تعالى .. فهى من هذه الناحية جلسة روحية وتلاوة قرآنية ودرس تثقيفى وواسطة تعارف .. وأعتقد أن هذا المنهج — يناسب الأقليات المسلمة والمغتربين بالدرجة الأولى .

الأمة العربية
صاحبة الرسالة الخاتمة

وجاء فى صحيفة الرائد التى يصدرها النادى العربى بندوة العلماء فى لكنو بالهند خطبة طويلة للسيد/أبى الحسن الندوى فى طلابه نقتطف منها :

ان هذه الأمة سوف تبقى بعد هذه النكبة ، أو النكبتين بل بعد خمسين نكبة ــ لا قدر الله ــ فاننى أعيذ سمعى وبصرى وأعيذ ايمانى وعقيدتى ان تكون هناك نكبة بعد هــذه النكبة ، واننى أعيذ الأمة العربية العزيزة ان تكتب لها نكبة اخرى بعد هذه النكبة .

ان هذه الأمة ايها الأبناء الأعزة تبقى مهما توالت النكبات وتتابعت الأزمات ، صاحبة الرسالة الاسلامية ، وصاحبة النبوة الاخيرة ، صاحبة الكتاب الأخير ، صاحبة الأمانة الاخيرة ، صاحبة الاتصال الأخير اتصال الارض بالسماء .

ان هذه الأمة العربية ولو نكبت بأعظم من هذه النكبات ــ كما قلت لكم ــ ولو اقصيت من ميدان القيادة العالمية ، لا تزال موضع الثقة فى التاريخ الاسلامى ، هى موضع الثقة فى تاريخ البعث الاسلامى ، موضع الثقة فى التاريخ الانسانى ، انها أكرم أمة ، وأغنى أمة ، واشرف أمة فى أخلاقها ، ابى الله أن تضيع فى هذه الزلازل والنكبات .

انه لا بقاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة الا ببقاء الأمة التى نزل فى لغتها هذا الكتاب الخالد ، وشرع فى لغتها هذا الدين العالمى ، اندثرت أمم فاندثرت أديان ، وقد يسبق اندثار الأمة اندثار الدين ــ قد تندثر أمة وقد تطوى من سجل التاريخ ومن سجل العالم فيأتى دور الدين الذى كانت تدين به ، وقد يندثر دين لأنه قد ادى رسالته وفقد صلاحيته ، ثم تندثر هــذه الأمم التى كانت تدين به ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد قال : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** فاذا كان هذا الكتاب مضمون البقاء مضمون الخلود ، مكفول القراءة ، مكفول التلاوة ، مكفول الفهم كما قال الله **(ان علينا جمعه وقرآنه)** فقد تحقق أن هذه الأمة العربية كانت ولا تزال باذن الله تعالى مكفولة البقاء . مكفولة الحياة ، فانه لا فائدة فى بقاء هذا الكتاب اذا ضاعت اللغة ، واذا ضاع اهلها فمن يفهمه ؟ ومن يفسره ؟ ومن يعرف مبادئه ومضمراته ومكنوناته ؟

المؤتمر العام للتربية الدينية

نشرت صحيفة الأهرام القاهرية توصيات اللجان الفرعية المنبثقة عن المؤتمر العام للتربية الدينية ، واشارت الى اجتماع اللجنة المكونة من وزير التربية والتعليم ونائب وزير الأوقاف ، والسكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ووكلاء وزارتى الثقافة والارشاد وممثلين من الجامعة العربية

وجامعة الأزهر ومجلس الأمة والهيئات النسائية فقالت :

القى الدكتور لبيب شقير كلمة تحدث فيها عن الأهداف التى ترمى اليها التربية الدينية وهى تكوين العقيدة لدى أبنائنا . والعناية بالأساس الأخلاقى لشخصية الفرد . وجعل الفرد يرجع الى القيم الدينية فى جميع شئون حياته . وهذا كله يقتضى توجيه أبنائنا الى العلم بأن كل شىء فى الحياة يمكن الرجوع فيه الى الدين . ومن ذلك قضايا العلم وموقف الاسلام منها وقضايا الانتاج . ثم قال وفى اعتقادى أن أسلوب دراسة الدين أساس لخلق مقومات النفس عند الطالب . وتحدث بعد ذلك عن دور الجامعات والمعاهد العليا فى هذا المجال . فقال انه يجب أن يكون لها دور فعال ، ونحن نبحث كيف نستثير طالب الجامعة للبحث الدينى .

وأعقبه الدكتور عبد العزيز كامل فدعا الى عقد مؤتمر عام سنوى للتربية الدينية . ثم قال ان لدينا أمرين **أحدهما** أن نضع سياسة قصيرة الأجل تتصل بالدراسة التى يجب تهيئتها للطالب فى أقرب فرصة ، **وثانيهما** سياسة بعيدة الأجل تقوم على فلسفة شاملة . تقوم على تعميق المفاهيم الدينية والقيم الأخلاقية .

وبعد ذلك عرض مقررو اللجان الفرعية التوصيات التى انتهوا اليها . فأوصت لجنة الخطة والأهداف والمناهج بعقد دورات تدريبية . والاتصال بوزارة التعليم العالى لاقتراح تدريس الدين بالجامعات والمعاهد العليا والاستعانة بالتسجيلات الصوتية فى تحفيظ القرآن الكريم . ورفع درجة التربية الدينية فى المرحلتين الاعدادية والثانوية الى ٣٠ درجة . وكذلك باعادة النظر فى مناهج المرحلة الابتدائية . وتعديل بعض موضوعات مناهج المرحلتين الاعدادية والثانوية .

ومما أوصت به لجنة اعداد المعلم للتربية الدينية ، الا يقوم بتدريس الدين بالمرحلة الابتدائية الا المتخرجون من دور المعلمين للشعبة العامة مع الاهتمام باعداد مدرسى المستقبل للتربية الدينية ، وتخريج معلم متخصص للصفين الخامس والسادس مع العناية بمناهج الدين فى دور المعلمين والمعلمات . وبالنسبة لمدرسى الاعدادى والثانوى أوصت بعدم الفصل بين مادتى اللغة العربية والتربية الدينية مع تخصيص مدرسين أوائل ومفتشين ، وعقد حلقات تدريبية لمدرسى التربية الدينية .

وتناولت توصيات لجنة الكتب الدراسية عدة مقترحات تشمل تعديل بعضها واعادة النظر فى البعض الآخر .

وتضمنت توصيات لجنة النشاط الدينى العمل على تهيئة جو روحى فى البيت والمدرسة . وأن يكون لكل مدرسة مجموعة من الرواد الدينيين . مع محاسبة المدرسين الذين يستهينون بدروس التربية الدينية . والتزام الحشمة والوقار فى الزى المدرسى بمدارس البنات . وفتح أبواب بعض المدارس لتحفيظ القرآن الكريم فى عطلة الصيف مع تخصيص مكافآت مغرية لكل من يحفظ جزءا من القرآن . وأن ترصد المناطق التعليمية مكافآت مالية سخية للطالب المثالى ، والمدرس المثالى فى السلوك الدينى .



أعدها: عبد المعطي بيومي

الكويت : صرح سمو أمير البلاد المعظم أن الروابط بين ايران والكويت روابط تاريخية متينة ورحب سموه بالتعاون بين البلدين للحفاظ على استقرار وأمن الخليج .

● تبرع سمو الأمير المعظم لمتضررى فيضان الفرات بالعراق بمبلغ (١٠٠) ألف دينار من حسابه الخاص .

● قام سعادة وزير الخارجية بجولة فى امارات الخليج كان لها أثرها فى نجاح مؤتمر اتحاد الامارات أخيرا .

● قام الفريق حسن العمرى رئيس وزراء الجمهورية اليمنية بزيارة البلاد ضمن جولة قام بها فى تسع دول عربية لشرح الموقف فى اليمن .

● وافقت الكويت على قبول (٣٠) يمنيا للتدريب فى وزاراتها على أعمال الادارة مع التكفل بنفقات اقامتهم ..

القاهرة : شكلت لجنة وزارية لاعادة تنظيم وتدريب الشباب سياسيا ومعنويا وعسكريا من وزراء الحربية والشباب والتربية والتعليم العالى ونائب وزير الاوقاف .

● استقبل فضيلة شيخ الازهر حاكم ولاية كيرالا الهندية وبحثا معا تدعيم الثقافة الاسلامية بين الهند والمتحدة .

● افتتح فى القاهرة المعرض الثقافى « اعرف عدوك » عرض فيه كل ما كتب عن قضية فلسطين وسيطوف المعرض بالاقاليم .

● أعدت الجامعة العربية الاجراءات اللازمة لتزويد امارات الخليج بمكتبات كاملة تشمل القضايا العربية الثقافية والاجتماعية والسياسية .

● بعث المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية كاملة لدول افريقيا الاسلامية وجنوب شرق آسيا .

● اجتمع فى القاهرة المجلس الوطنى الفلسطينى لأول مرة بعد تشكيله من كافة المنظمات والهيئات الفلسطينية لوضع الخطط وتوحيد الجهود لتصعيد العمل الفدائى من أجل تحرير الارض المغتصبة ..

السعودية : استقبل جلالة الملك فيصل القائد العام للجيش الاردنى ..

● قام الأمير فهد بن عبد العزيز بزيارة الى الصومال ضمن تدعيم الروابط بين البلدين المسلمين .

● زار البلاد الدكتور لقمان هرون أمين عام الحزب الاسلامى فى اندونيسيا وصرح سيادته أن المسلمين فى اندونيسيا على استعداد تام للمساهمة مع اخوانهم العرب لتحرير فلسطين .

● شكلت لجنة بوزارة الصحة للنظر فى متطلبات شئون الحج للعام القادم .

● تقوم الادارة العامة للمكتبات بوزارة المعارف بشحن الكتب للمناطق المختلفة دعما للمكتبة المدرسية وفتحا لأبواب المعرفة .

العراق : قام الرئيس قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية بزيارة العراق وقد بحث خلال هذه الزيارة وزيرا التربية فى البلدين امكانية فتح فرع لجامعة بغداد فى عدن .

● أقام السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء بزيارة لايران .

● عطلت الحكومة جريدة الثورة العراقية لنشرها نص محاضرة كانت موضع اعتراض لمساسها بالأديان ، وقد عادت الجريدة للظهور بعد اعتذارها وتعهدها بعدم الخوض فى هذه المسائل .

● نفت العراق اشاعة اسرائيلية بسوء معاملة العراق لليهود هناك وكشف خداع اسرائيل للرأى العام العالمى .

الاردن : وسع الفدائيون الفلسطينيون عملياتهم العسكرية ضد اسرائيل وقد تكون المؤتمر الفلسطينى من جميع المنظمات الفدائية .

● صرح السيد بهجت التلهونى رئيس الوزراء أن الجيش فى وضع ممتاز وأن أى مشروع غير قرار مجلس الامن لا قيمة له .

● بلغ عدد النازحين من الضفة الغربية المحتلة حوالى (٤٠٠) الف نازح منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ م .

السودان : صرح السيد على عبد الرحمن نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية بأن اسرائيل تغذى حركات التمرد فى جنوب السودان وقال ان السودان هو اول بلد افريقى يواجه أضخم نشاط اسرائيلى هدام .

ليبيا : صرح السيد عبد الحميد البكوش رئيس الوزراء أن ليبيا تقدم أقصى ما فى استطاعتها من عون مادى للدول العربية .

● يزور السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان ليبيا فى أواخر يوليو الحالى .

الجزائر : أعلن العقيد هوارى بومدين فى خطاب ألقاه الشهر الماضى أن على الفلسطينيين أن يقاتلوا ويقاوموا والا يهربوا وينزحوا فى كل مرة يجرى فيها قتال مع اسرائيل .

المغرب : استقبل جلالة الملك الحسن وفدا يمثل الاتحاد الفلسطينى وتبرع له بمبلغ (٢٠٩) جنيه استرلينى سيستخدم لانشاء مدارس للأطفال الفلسطينيين .

تونس : نظم المجلس العالمى للمعالم التاريخية لليونسكو بالتعاون مع المعهد التونسى للآثار ندوة تهدف الى تجديد المعالم التاريخية على الساحل الافريقى والآسيوى للبحر الأبيض .

باكستان : زار الرئيس الباكستانى ايران فى (٢٠) يوليو الماضى كما قام السيد أرشد حسين وزير الخارجية بزيارة لتركيا وايران .

الهند : عقد فى نيودلهى مؤتمر كبير لنصرة فلسطين وقد اتخذ المؤتمر قرارا بالتنديد باسرائيل ومناشدة جميع الدول المحبة للسلام العمل على انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة .

غيانا : سيعقد فى شهر أغسطس القادم المؤتمر الدولى الذى يقوم بتنظيمه مجمع البعثات الاسلامية لجزر الكاريبى وأمريكا الجنوبية وقد وجهت الدعوة الى كثير من المنظمات والهيئات الاسلامية فى العالم .

اتحاد امارات الخليج

فى ١٠ ، ١١ من ربيع الثانى سنة ٨٨ الموافق ٦ ، ٧ يوليو سنة ١٩٦٨ اجتمع فى « أبو ظبى » المجلس الاعلى لاتحاد امارات الخليج العربى وضم الاجتماع اصحاب السمو حكام : قطر ، دبى ، رأس الخيمة ، الشارقة ، البحرين ، أبو ظبى ، أم القيوين ، عجمان ، الفجيرة ..

ومما يذكر أن جلسة الاتحاد السابقة التى انعقدت فى ٢٦ مايو الماضى كان قد شابها شىء من الاختلاف فى وجهة النظر بين الحكام ، مما جعل أشقاءهم العرب فى الكويت والعراق والسعودية والجمهورية المتحدة يبذلون مساعيهم الحميدة للتوفيق بين هذه الوجهات ..

وقد كان لهذه المساعى أثرها الطيب حيث استطاع المجتمعون من الامراء أن يصلوا الى نتيجة اجماعية فى الجلسة الاولى من الجلستين اللتين استغرقتهما الاجتماع ، وساد الجميع جو من الأخوة والشعور المتبادل بالحرص على الوصول للهدف الذى يعملون له وينتظره اخوانهم العرب فى كل مكان ..

وقد تلاقت وجهات النظر جميعا على اصدار قرارات تعتبر خطوات أساسية فى قيام الاتحاد وسيره فى طريقه سيرا طبيعيا نحو حياة قوية دائمة ان شاء الله .

و « الوعى الاسلامى » اذ يسرها تلاقى وجهات النظر وزوال شبح الخلاف بين الاخوة الاشقاء ، وتعاونهم فى سبيل الرقى ببلادهم ، ويد الله معهم ترعاهم وتشد أزرهم . ترجو أن يجد القراء على صفحاتها دائما أخبارا طيبة وبناءة عن اتحاد امارات الخليج .

ويسرها أن تكون باكورة أخبارها عن هذه الامارات العزيزة على قلوبنا نبأ نجاح الاتحاد فى اجتماعه هذا ، وبعض القرارات المهمة التى صدرت عنه وهى :

١ ــ تعيين خبير قانونى لوضع مشروع الميثاق الدائم للاتحاد واختيار الدكتور عبد الرزاق السنهورى لهذه المهمة .

٢ ــ أن تكون رئاسة الاتحاد دورية بين الامارات وكذلك مكان اجتماعه .

٣ ــ تشكيل لجنة من ممثلين عن الامارات للبحث فى توحيد النقد والبريد ، وعلم الاتحاد ونشيده وانشاء جريدة للاتحاد .

٤ ــ تعيين مجلس اتحاد مؤقت برئاسة نائب حاكم قطر وولى عهده الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى .

وقد تقرر أن يعقد المجلس الاعلى جلسته المقبلة فى قطر يوم ٢٠ أكتوبر المقبل .

وفى الكويت ادلى سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع باول تصريح رسمى يصدر عن الحكومة قال فيه :

يسرنا أن نستمع الى انباء اتفاق أمراء الخليج العربى على الامور المتعلقة بالاتحاد . وقال : ان هذه خطوة مباركة تهدف الى رفع وتحسين مستوى الشعب وتحقيق الاستقرار فى الخليج العربى لما فيه الخير والمصلحة العامة للمنطقة . والاتحاد دائما قوة .

وأن الكويت ــ كما اعرب صاحب السمو أمير البلاد المعظم ــ على استعداد دائم لدعم الاتحاد وتقديم كافة ما يلزم له ايمانا بسياستها الحكيمة التى استنتها بتوجيهات قائدنا وأميرنا المفدى .

وقد اعرب صاحب السمو أمير أبو ظبى عن تقديره للكويت ودورها الفعال والايجابى فى السعى لتحقيق التقارب بين وجهات النظر داخل الامارات .

اقرأ في هذا العدد

« الى راغبى الاشتراك »

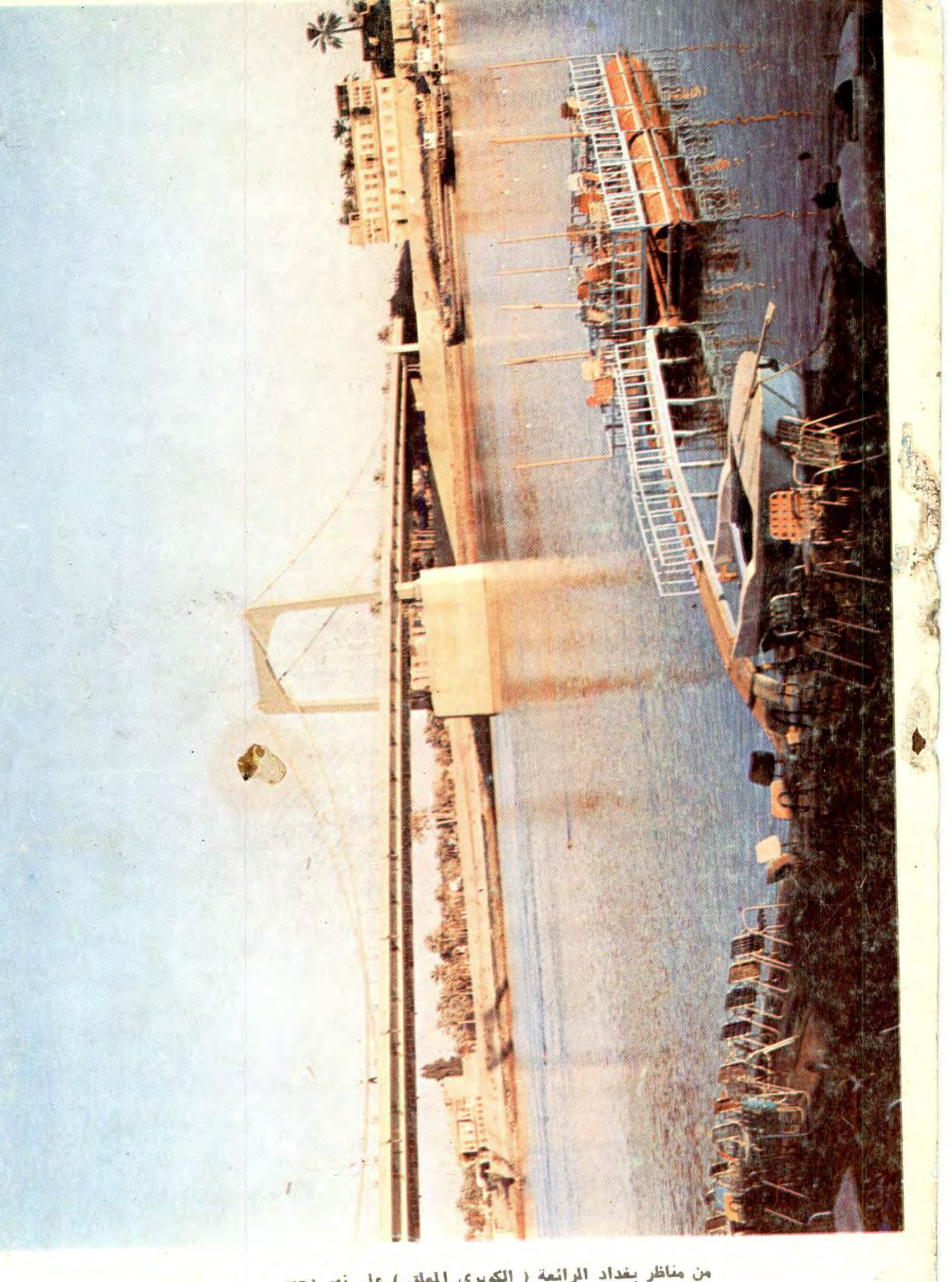
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جـدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



من مناظر بغداد الرائعة (الكوبرى المعلق) على نهر دجله ..

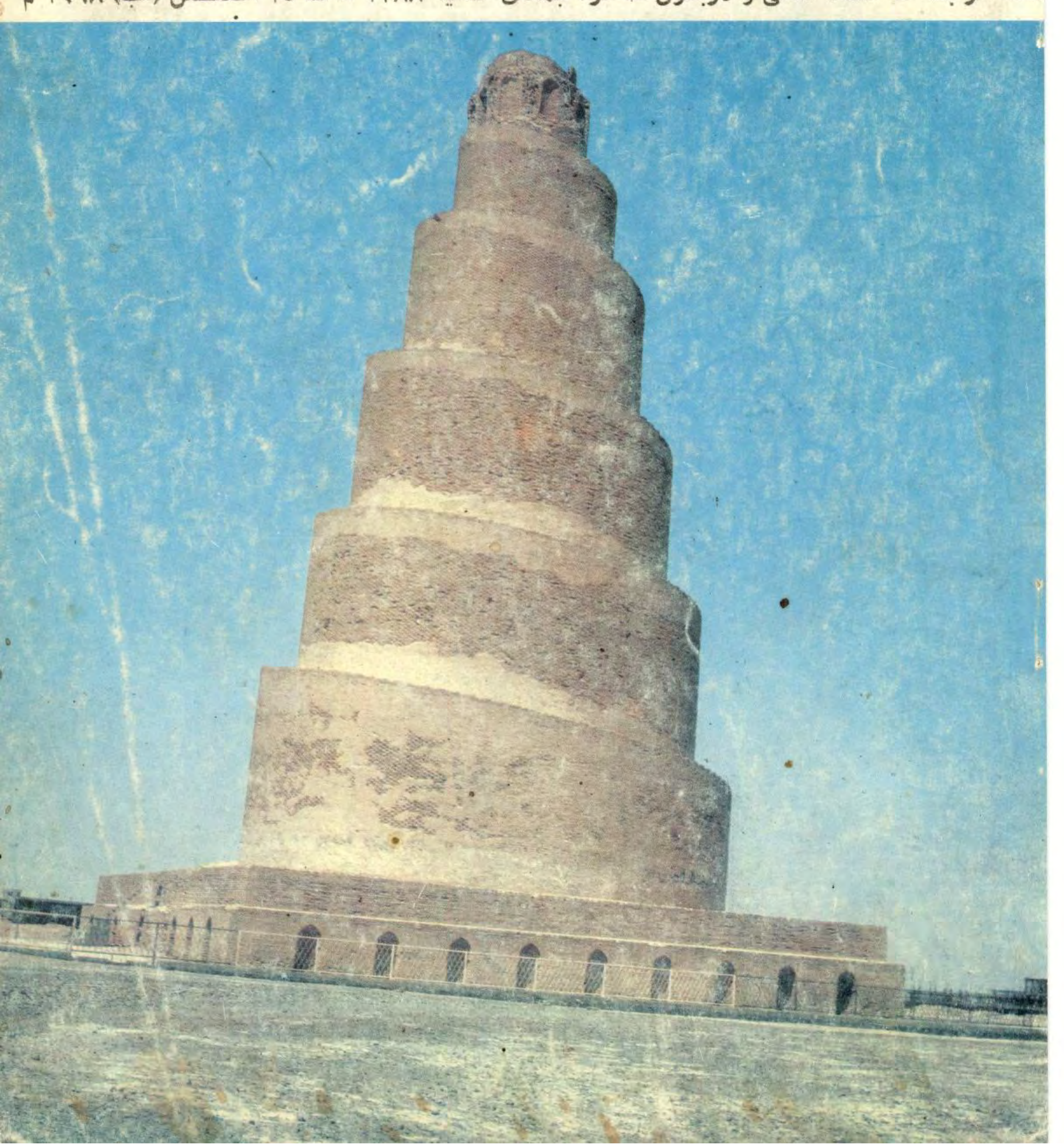
تصوير : عظمت شيخ

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

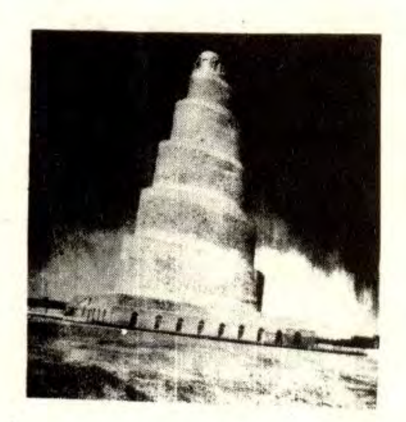
السنة الرابعة ـ العدد الثانى والاربعون ـ غرة جمادى الثانية ١٣٨٨ هـ ـ ٢٥ أغسطس (آب) ١٩٦٨ م





هكذا تظهر الكويت الحديثة في الصورة بمبانيها الشاهقة ، وطرقهـا الفسيحة ، وحدائقهـا الغناء . وهذا المنظر لبوابة الجهراء الأثرية احدى مداخل المدينة .

صورة الغلاف



الجامع الكبير الذى بناه المستنصر بالله ومنارته التى تعرف بالمنارة الملوية لأنها يصعد اليها من الخارج ، وارتفاعها نحو ستين متراً ، وهذا الجامع من أهم الآثار فى سامراء ، ويطلق عليه جامع الجمعة ، وقد مضى على بنائه نحو ألف عام ولا تزال مبانيه قائمة حتى الآن .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة

العدد الثانى والاربعون

غرة جمادى الثانية ١٣٨٨ هـ

٢٥ أغسطس (آب) ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

عاد من رحلته في أوربا الغربية — وكثيرا ما يزورها — وجلس يحدثني عما رآه وشاهده ولاحظه في رحلته ، فقلت له : اى شيء هناك لفت نظرك بصفة خاصة ، وترك آثارا قوية في نفسك ؟

قال : الحرية .. الحرية التي يتمتع بها الناس جميعا هناك ، كما نتمتع جميعا بالهواء والشمس .. هل تتصور أن شخصا ما عندنا مثلا يمكن ان يحتكر لنفسه التمتع بالهواء والشمس ويحول بين الآخرين وبين هذه المتعة ؟ هكذا الحرية هناك . حق للجميع . متعة للجميع .. كالهواء والشمس .. للصغير والكبير ، والرئيس والمرءوس .. حتى لا تجد ميزة فيها لكبير أو رئيس .. والمهم في هذا ان كل انسان يشعر بان حريته جزء من انسانيته وكرامته ، فيحافظ عليها حفاظه على انسانيته ، ويدافع عنها دفاعه عن كرامته .. وان كان هناك لا يضطر الى دفاع عنها ، لانه لا يوجد بينهم من تسول له نفسه أن يخدشها أو يمسها ..

قلت له : هذا هو الشيء المهم الذي لفت نظرك ؟

قال : نعم . فان امثالنا ممن يعشقون الحرية تبهرهم هذه الظاهرة الرائعة الكريمة في حياة هذه الأمم .. وأنت تعرف الحكمة التي نرددها دائما : الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يراه الا المرضى ..

قلت : وهل ترانا مرضى من هذه الناحية ؟

قال : بلا شك .. فان الأمم الشرقية مصابة بالمرض في حريتها .. وان كان هذا المرض يختلف شدة وضعفا في أمة ، عنه في أمة اخرى ، وحتى الآن لم أر في امة شرقية مسلمة حرية كتلك التي رايتها ولمستها في بعض الامم الغربية ، التي زرتها وتتبعت مجرى الحياة فيها .. وأظنك تعرف موقف الشعب البريطاني اثناء الاعتداء الثلاثي على مصر .. وكيف أن بعض الأحزاب والصحف والنقابات ، ومن وراءها من جموع الشعب ، وقفت ضد حكومتها في تهجمها على مصر .. واشتدت معارضتها أثناء هذا التهجم .. وقد كان هناك ما يمكن أن تبرر به الحكومة كبتها للحريات لو فعلت ، باعتبار ان جيشها يحارب .. ولكنها مع ذلك لم تفعل .. وكان ذلك موضع العجب لدى الكثيرين منا ، ولكن لو علم المتعجبون مدى تقديس هذا الشعب لحريته ، وحرصه عليها حرصه على شربة الماء التي يشربها ، أو الهواء الذي يتنفسه ، بل اشد ، لزال عجبهم ..

قلت له : ذكرتني الآن بيوم جاءني فيه أحد أولادي الصغار وفي يده صحيفة كان يقرؤها وقال لي في دهشة واستغراب : اقرأ هذا .. كيف يجوز لواحد من الشعب الامريكي أن ينتقد رئيسه وتنشر له الصحيفة هذا الكلام ؟

قلت له : انهم احرار .. وهذه هي طريقتهم في فهم الحياة ، فهم يعتبرون المعارضة شيئا عاديا ، ويحترمون وجهة نظر الآخرين ، وهم يستفيدون من النقد . بل انهم قبل أن يتصرفوا يحسبون حسابه ، فيحكمون تصرفهم .. وهذه هي فائدة المعارضة ..

قال : الا يعتبر هذا انتقاصا من شان رئيسهم ؟
قلت له : يا بنى .. لو كانت المعارضة انتقاصا ما قبلها الرسول صلى الله عليه وسلم ولاصحابته .. فارتسمت على وجه الشاب الصغير علامة استغراب أشد ، وقال : وهل كان احد من الصحابة يعارض الرسول ؟ ..

قلت له : نعم يا بنى .. كانوا يبدون احيانا وجهة نظر مخالفة لرأى الرسول ، فى الامور التى يعلمون انها ليست بوحى وأمر من الله ، ولذلك كان بعضهم يسال ـ كالحباب بن المنذر فى موقعة بدر ـ أهذا منزل أنزلكه الله ، أم هو الراى والحرب والمكيدة ؟ فلما قال له الرسول : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . ابدى وجهة نظر معارضة لما رآه الرسول ، وأخذ عليه الصلاة والسلام بوجهة نظره ، وكانت من أسباب انتصار المسلمين فى هذه الموقعة ، ولا بد ان هذه الحادثة مرت عليك يا بنى فى دراستك ..

قال : نعم اتذكر الآن انها مرت على ، ولكنّى لم افهم مغزاها كما تقول ..

قلت له : هذا من القصور فى طريقة تدريس الدين والتاريخ الاسلامى .. لأنه لا بد ان يقف المدرس أو المؤلف عند هذه الامور ، ويلفت نظر طلابه الى مغزاها بما يناسب العصر الذى يعيشون فيه ..

وقلت لمحدثى الذى حدثنى عما رآه فى الغرب : اظنك لم تعرف هذه الواقعة ولا مغزاها ؟ ..

قال : نعم . لا اعرفها ، مع انها ذات دلالة قوية فى موضوعنا لصدورها عن رسولنا صلى الله عليه وسلم ..

قلت له : بل هناك ما هو اقوى منها : حادثة وقعت بين الرسول وبين عمر وابى هريرة رضى الله عنهما .. قابل عمر مرة أبا هريرة ، منصرفا من مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليبلغ الناس ـ باذنه ـ حديثا سمعه منه يقول فيه : (من قال لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة) فخشى عمر ـ مع ما فى الحديث من صدق ـ أن يتكل الناس على ظاهره ولا يعملون فصد أبا هريرة ، ومنعه من التبليغ ، واشتد معه وزجره .. فرجع أبو هريرة للرسول يبكى ، ويشكو اليه ما فعله عمر .. وكان عمر وراءه .. فقال له الرسول : ما حملك يا عمر على ما فعلت ؟ ـ ولاحظ أن الرسول لم يغضب لأن عمر عارضه ، وزجر أبا هريرة بل سأل عمر أولا عن وجهة نظره فى معارضته .

فقال له : بابى انت وامى يا رسول الله ، لقد خشيت ان يتكل الناس عليها ، فخلهم يعملون .. ترى ماذا كان موقف الرسول بعد هذا ؟

لقد قدر وجهة نظر عمر ، وأخذ بها ، وتنازل عن رأيه فى التبليغ ، وقال : (فخلهم يعملون يا عمر) . فهل رأيت أروع من هذا فى حرية الرأى ، وتقبل المعارضة ؟

قال : هذا شىء رائع حقا ، وهو فى دلالته على تقدير الحرية والمعارضة

اقوى واعمق من كل شيء آخر نراه من الرجال العاديين الذين وصـــلوا الى مناصب الحكم والرياسة .. لان هذا رســول الله ، وله منزلته التى لا تدانيها منزلة عنــد الله ، وعند اصـــحابه .. ومع ذلك يتقبل الرأى المعارض .. وياخذ به ..

قلت له : هذا مثل من امثلة ، وموقف من مواقف . والمهم فى هذا الشاهد الذى ذكرناه جانب لعله لم يغب عنك . ذلك أن عمر رضى الله عنه ، لم يقدم على ما فعله الا لعلمه ان الرسول صلى الله عليه وسلم يتسع صدره لمعارضته ، اذ لو كان يعرف أن الرسول يغضبه مثل هذا ما أقدم عليه .. ومعنى هذا واضح فى ان الرسول ربى أصحابه على هذه الروح ، وطبعهم بالطابع الذى اراده الله وأمر به « وشاورهم فى الأمر » ، ومبدأ الشـــــورى قائم على الاستماع للرأى المعارض ، وبحثه ، والأخذ به متى كان صالحا أو أصلح من غيره ..

قال : نعم .. هذا جانب يستحق الوقوف عنده ، والتامل فيه فعلا ، لانه لولا شيوع الحرية وفهم الصحابة لها ، ما أقبل أحد على ابداء رأى مخالف لرأى الرسول .. وكان يكفى فى نظرهم أنه رسول الله ، الذى آمنوا به ايمانا ملك عليهم كل دنياهم .. فيوافقون على كل رأى يراه ، وكل أمر يصدره ..

قلت له : ان الله سبحانه وهو الغيور على الانسان ــ خليفته فى الارض ــ وعلى تثبيت المعانى الانســـانية الكريمة وتنميتها فيه ، وعلى اعطائه قدره وقيمته فى الارض ، والحيلولة بينه وبين عبادة الاشخاص وتقديسهم ــ حتى ولو كانوا انبياء ــ لم يطلب من المؤمنين أن يطيعوا الرســـول بدون مناقشة أو معارضـــة الا فيما ينزل به الوحى .. لأن هذا صـــادر عن الله ، وغير قابل للمناقشة ولا للمعارضة ، اذ لا يمكن لأحد أن يدعى علما يفوق أو يساوى علم الله ، أو حكمة تعلو او تقرب من حكمته .. أما ما عدا ذلك مما يصـدر عن الرسول باجتهاده وفهمه وتقديره للامور .. فأمر قابل للشـــورى والمناقشة والمعارضة ، ومن أجل هذا قال الله لرسوله (وشاورهم فى الامر) .

ولو أننا أدركنا السبب والجو الذى نزلت فيه هذه الآية : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » . لأدركنا مدى غيرة الله على الشورى ، وعلى الحرية .

فقد نزلت هذه الاوامر عقب هزيمة الرسول والمسلمين ، بعد أن خرجوا للقاء العدو فى أحضان جبل أحد ، وكان رأى الرسول ألا يخرجوا ، بل يتحصنوا بالمدينة ، ولكن الاغلبية من أصحابه أشارت بالخروج فنزل الرسول على رأيهم وخرج .. ثم كانت الهزيمة ، بعد ما خالف بعض المحـــاربين المؤمنين تعاليمه الحربية ..

ولا بد أن كثيرين قد قالوا يومذاك ، وهم يتلمسون ــ كالعادة ــ أسباب الهزيمة : لو لم ينزل الرسول على رأى أصحابه ما هزمنا .. ومن الاولى أو الواجب بعد ذلك أن نترك الأمر للرسول يقضى فيه برأيه ، ولا نشير عليه برأى .

اعنى حدث ما يمكن أن نسميه : أزمة الشورى ، بجانب ما صب على المخالفين لأمر الرسول من لوم وتقريع .. وكان من المحتمل أن يضمحل أمر الشورى ، وينزل بالمخالفين العقاب الذى يتناسب مع ما ترتب على مخالفتهم من هزيمة بعد انتصار ..

ولكن غيرة الله على كرامة الانسان ، وتدعيم حريته ، وصيانتها من الانحراف بها ، أو الغض منها ، والعدول عنها ، جعلته ينزل قرآنا يسجل فيه هذه الاوامر لرسول الله ..

« فاعف عنهم » لأنهم لم يتعمدوا ، ولكنهم اجتهدوا فاخطئوا ..

« واستغفر لهم » لأنهم حسنو النية ، وفى حاجة الى رعايتك لهم ، ولطفك بهم ، ودعائك لهم . والامر من الله بالاستغفار ايذان بقبوله .

« وشاورهم فى الامر » الذى تعودت أن تشاورهم فيه ، مما لا يدخل فى نطاق الوحى ..

وزالت بذلك أزمة الشورى ، واستقر مكانها ، وعاشت حرية الرأى ، وحرية المعارضة فى كنف هذا الامر الالهى ، واخذتا مكانهما فى المجتمع الاسلامى مع الرسول ، ومع صحابته الكرام ، وظلتا بعد ذلك طابع الحياة الاسلامية ، تقوى حينا ، وتضعف حينا آخر . فهل رأيت فيما قرات أو شاهدت عناية بحرية الرأى ، واقرارا لمبدأ المعارضة ، كهذه العناية نصا وتطبيقا ؟

قال : اننى لم اقرا ولم اشاهد مثل هذا فى عظمته .. وعظمته تنبع من عناية القرآن ، ومن تطبيق الرسول .. ولكنى — ولا أجد غضاضة فى مصارحتك — لم أصل بفهمى الى هذا المعنى الذى ذكرته ، ولم يلفت نظرى اليه اى تطبيق له اراه فى حياة المسلمين الآن ..

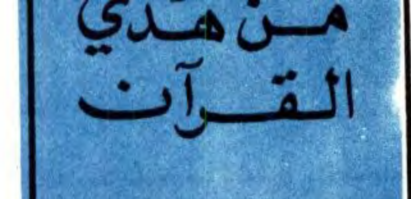
قلت : وهذا هو السبب فى انصرافنا الى الغرب ، وتعظيمنا لكل ما نجده هناك طيبا — بل وغير طيب احيانا — لأننا صحونا من رقدتنا الطويلة ، وركزنا انتباهنا على الغرب وما فيه ، دون أن ندرك قيمة ما عندنا .. وليتنا مع ذلك ناخذ بما هناك مما يرفع شأن الانسان ، ويعزز مكانته ، وينمى ملكاته ، ويفسح المجال أمام طاقاته ..

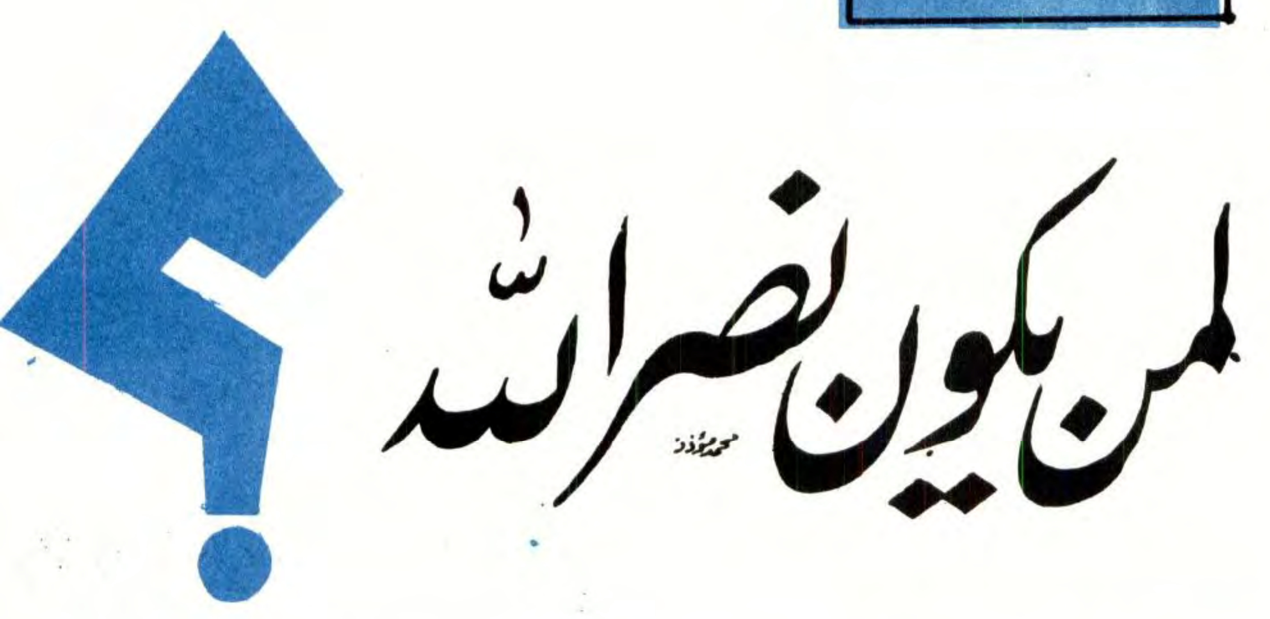
قال صاحبى : نعم . وهذا ما يؤسف له ، ولكن الى اى مدى التزم المجتمع الاسلامى بحرية الرأى وحرية المعارضة بعد عهد الرسول ؟

قلت : ذلك حديثه طويل ، ويحسن أن نرجئه الى جلسة أخرى ، وان كان يكفينا فى الاعتزاز بهذا المبدأ وفى العمل به ما جاء فى القرآن الكريم ، وما عرفناه عن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام مع اصحابه فى ظل هذا المبدأ الانسانى العظيم .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد





لمن يكون نصر الله ؟

التناصح ضروري لعزة الأمة ولكن له مراتب وأساليب

للشيخ : عبد الجليل عيسى

عميد كليتى اللغة العربية وأصول الدين بالأزهر ـ سابقا

سبق أن تحدثنا أثناء شرح آية ٤١ من سورة الحج عن بعض صفات المؤمنين التى يستحقون بها عون الله سبحانه ونصره ، وكان من بينها : أنهم اذا مكن الله لهم من السلطان فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وبينا قيمة هذين الركنين المهمين فى شريعة الاسلام[١] .

والآن نتكلم عن الركن الثالث (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فنقول :

من القرآن

ان من يتأمل اسلوب القرآن فى عرض هذا الموضوع ، يجد أنه عرضه فى صور مختلفة ، وألوان من التعبير متنوعة ، فتارة يعرضه فى صورة الأمر به كما فى آية ١٠٤ من سورة آل عمران[٢] ، و ١٧ من سورة لقمان[٣] ، وأخرى عرضه فى صورة مدح القائمين به المحافظين عليه ، كما فى آيات ١١٠[٤] و ١١٤ من سورة آل عمران ، و ١١٤ من سورة النساء ، و ٥٧ من سورة

---

(١) فى العدد ٣٩ ربيع الثانى .

(٢) « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

(٣) « وأمر بالمعروف وانه عن المنكر » .

(٤) « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

الاعراف ، و ٦٧ من سورة التوبة .

وتارة فى صورة لعن من أهمله كما فى آيتى ٧٨ و ٧٩ من سورة المائدة ، واخرى وصفه فى عداد أكبر الجـرائم التي حرمتها الأديان جميعا كما فى آية ٢١ من سورة آل عمران(٥) و ٦٧ من سورة التوبة(٦) ، وتارة فى معرض نُجاة من حافظ عليه من الهلاك والعذاب كما فى آية ١٦٥ من سورة الاعراف(٧) .

من السنة

وقد جاءت السنة الشريفة فى هـذا الموضوع جارية على نمط الكتـاب الكريم ، فعرضه الرسول صلى الله عليه وسلم فى صور مختلفة ، منها اللين الرفيق ، ومنها المرعد المبرق ، فنراه يمدح القائمين به فى قوله صلى الله عليه وسلم « خير النـاس آمرهم بمعروف ، وأنهاهم عن منكر ، وأتقاهم لله » . وقال « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

ويقول ــ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » وتارة يقول صلى الله عليه وسلم ــ « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث الله عليكم عقابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » وقـال ــ « لتـأمرن بالمعروف ولتنهون عـن المنكر أو ليضربن الله قلوب بعضـكم على بعض ثم يدعو خيـاركم فلا يستجاب له » .

وقال : ــ « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب له » . وجـاء فى السنة الصحيحة أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق ، رضى الله عنه ، خطب يوما فقال : ــ أيهـا الناس انكم تقرؤن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) ــ آية ١٠٥ من سورة المائدة ــ فتضعونه فى غير موضعه ، وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ــ (ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يصيبهم الله بعقاب من عنده) .

شروط الأمر بالمعروف

وقد اشترط بعض العلمـاء ، ومنهم شهاب الدين الصنهاجي المشـهور بالقرافي من علماء القرن السابع الهجرى ، فى كتابه (الفروق) ، اشترطوا لمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شروطا ، منها : ــ

ان يكون عالمـا بما يامر به وما ينهى عنه ، فالجاهل بحكم شىء لا يحـل التصدى له .

ومنها : ــ ان يكون ورعا ليزيد الناس قبولا لنصحه .

ومنها : ان يكون حسن الخلق ليكون رفيقا فى نصحه ، لينـا فى لومه ، فيكون بذلك أبلغ فى استمالة القلوب ، ولذا قال تعالى للرسول الأكرم « فبمـا

---

(٥) « ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » .

(٦) « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف » .

(٧) « انجينا الذين ينهون عن السوء » .

رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » — آية ١٥٩ من سورة آل عمران — ، وقال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما لفرعون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) • آية ١٤ من سورة طه ، وبين سبحانه بعض هذا القول اللين فى قوله (فقل هل لك الى أن تزكى • واهديك الى ربك فتخشى) آيتى ١٨ و ١٩ من سورة النازعات •

ومنها : أن يأمن الناهي عن المنكر ان لا يؤدى انكاره الى منكر أشد منه ، كأن ينهى عن شرب الخمر فيؤدى نهيه الى قتل نفس ، أو نحو ذلك •

ومنها : أن يغلب على ظنه أن انكاره يزيل المنكر ، وأن أمره بالمعروف يحقق وقوع المعروف ، فاذا لم يغلب على ظنه ذلك سقط عنه وجوب الأمر ويبقى أنه مندوب اليه •

وشرط بعضهم ان يكون القائم به صبورا على الأذى ، لأن اذى من يتصدى لذلك متوقع . فاذا لم يكن صبورا واسع الصدر كان ما يفسده اكثر مما يصلحه ، أنظر كيف تنبه لذلك لقمان الحكيم عليه رحمة الله فى وصيته لابنه (يا بنى اتم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) آية ١٧ من سورة لقمان .

ايهما اولا : اليد او اللسان ؟

وهنا أمر يجب التنبه له ، هو أن ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده » ظاهره ان القائم على الأمر والنهى يبدأ أولا باليد ، ثم باللسان ، والحقيقة غير ذلك .

قال ابن العربى فى كتابه (أحكام القرآن) : ان أمر الناهى يجب أن يبدأ أولا باللسان ، كما أرشد سبحانه موسى فى دعوته لفرعون فيما تقدم ، فان لم يفد حاول منعه باليد ان استطاع ، كنزع الكأس من يده ان كان شرابا ، والعصى من يده ان كان يريد ضرب برىء مثلا ، فان لم يقدر على ذلك بأن كان المرتكب جبارا قويا ذا عصبة يخشى بطشها ، كف وأبلغ صاحب السلطة فى الدولة » .

ثم قال : — أما قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده .. الخ » • فقد يظن ظان أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ بالمرتبة الأخيرة وهي التغيير باليد ، بينما المطلوب البدء باللسان على انفراد ، ليكون ذلك أجلب للقبول ، فان لم ينفع لجأ الى اليد ، والحديث غير ذلك ، لأنه بدأ باليد ، والتغيير باليد لا يكون مطلوبا الا بعد العجز عن التغيير بالارشاد والنصح كما تقدم ، لكن يمكن فهم الحديث على وجه صحيح ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم لاحظ فيما يقول حكم العادة الجارية بين الناس من أنهم سيبدءون بالكلام ، فاستغنى بفهم المراد عن التصريح •

فالمعنى : انه يرشد بالقول اولا ، فان لم يسمع منه فليغير باليد ان استطاع ، فاذا لم يستطع باليد ايضا ، اى بعد أن عجز عن تغييره بالارشاد ،

فلينكر بلسانه على مسمع من الناس ، حتى لا يكون سكوته اقرارا للمنكر ، أو يفهم الناس انه لا يبالى بما هو حاصل من المنكر ، فيكون انكاره بلسانه توجيها للغير ، وارشادا لمن هو فى غفلة عنه .

فان لم يفلح حتى فى ذلك فلينكر بقلبه ، تربيــة لنفسه ، حتى لا تتعود المنكر .

ذلك هو المعنى المقصود من الحديث قطعا لأنه اذا كان لا يمكنه التغيير باليد ، فمن البدهى انه لا يمكن أن يكون بالقول ، فضلا عن أضعف الايمان .

ما المراد بالايمان هنا ؟

ثم قال قد نجد أن من أعظم الناس ايمانا من يعجز عن الانكار باللســـان فضلا عن اليد ، فكيف يكون سكوته دليلا على ضعف ايمانه ؟

والجواب أن المراد بالايمان هنا ، الايمان المرادف للاســــلام الذى هو العمل ، لا الاعتقاد ، وهو المذكور فى الحديث الصحيح (الايمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاهـــا قول لا اله الا الله ، وأدناها امـــاطة الأذى عن الطريق) .

والضعيف عن بعض الأعمال كالمريض الذى لا يقدر على الجهاد مثلا ، قد يكون من أقوى المؤمنين ايمانا بمعنى الاعتقاد .

ومما يجب التنبه له هنا هو ما وقع فيه كثير ممن رق ايمـــانهم ، وقويت شهوة حب المال فى نفوسهم ، هؤلاء اذا رأوا ذا سلطان بيده النفع والضر ، يرتكب أفظع الجرائم وهم حضور ، أو يبلغهم متواترا وهم غائبون ، نقول كثيرا من هؤلاء رأيناهم طمعا فيما فى يد صاحب السلطان من متاع الدنيا ، يستترون فى ظل وهمى لهذا الحـــديث قائلين : نحن نكتفى بانكار القلب ، وهذا غـــاية ما نستطيع ، وهم فى صنيعهم هذا كاذبون ، والله يعلم أنهم مخادعون ، وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ، يدرك ذلك منهم من عنده أدنى فطنة ، فانه يجد الرجل منهم اذا مكنته فرصة من ملاقاة هذا الحائد عن الطريق ، فانه يلقاه بثغر باسم ، وسن ضاحك ، وأعين لا تغمض عن مطالعة بهجته ، يدور أحدهم حوله كمـــا يدور الحيوان المعروف ، وهو يحرك ذنبه ، عندما يشـــاهد فى يد صاحبه رغيفا ، لعله يقذف اليه بلقمة منه ، نعم يفعل ذلك كثير منهم وهو فى سعة من الرزق . قد أغناه الله تعالى عن هذه اللقمة التى حذره الله من مغبة ازدرادها على هذه الصـــورة المهينة ، ولعله ممن قرأ أو ســــمع قول الامام الشافعى رضى الله عنه :

أنا ما عشت لست أعدم قوتا .. واذا مت لست أعـــدم قبرا

مخادع كهذا لا يصدق عاقل أنه لم يسمع قول ابن عباس عندما نزل قول الله تعـــالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النـــار) قال رحمه الله : اذا كان هذا حال من لا يصـــدر منه الا مجرد ركون ، ولم يشترك فى قول ولا عمل ، فالويل كل الويل لمن اطرى أو شارك .

وكأنه أيضا لم يسمع قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس مرفوعا (ما من رجل يلتمس رضاء مخلوق بمعصية الخـــالق الا سلطه الله عليـــه) .

ومن أصدق ما قيل فى هذا المقام ماقاله خاتمة العلماء الصالحين المجاهدين

الذين طهر الله سرائرهم من وباء النفـــاق وهو المرحـــوم الشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الأزهر الأسبق فى رسالة له (الدعوة الى الحق) قال رحمه الله:

ولا يحسبن الذين ينقطعون عن ارشاد الضالين ، ووعظ المسرفين ، أن اقبالهم على شأنهم ، واقتصارهم فى العمل الصالح على أنفسهم ، يجعلهم فى منجاة من سوء المنقلب ، الذى ينقلب اليه الفاسقون ، والذى جرت به سنة الله فى الأمم أن وباء الظلم والفسوق اذا ضرب فى أرض ، وظهر فى أكثر نواحيها ، لا تنزل عقوبته بديار الظالمين أو الفاسقين خاصة ، بل تتعداها الى ما حولها ، وترمى بشرر يلفح وجوه جيرانهم الذين تخلوا عن نصيحتهم ، ولم يأخذوا على أيديهم ، قال تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خـــاصة) ومن الفتن ما ينزل على القرى الظالمة ، ويأتى على المؤمنين منهم ، ولو لم يلبســـوا ايمانهم بترك النصيحة وقاموا بالأمر والنهى جهدهم ، فانك تجد فيما تطـــالعه من أنباء الأمم أن الأمة التى يجوس خلالها الظلم والفساد ، لا تلبث أن تسقط من شامخ عزها ، فاما أن تقبض عليها يد أجنبية ، وامـــا أن تحل بها قارعـــة سماوية ، وما كان من نوع هاتين العقوبتين يتناول الأفراد الذين نصحوا لقومهم فلم يقبلوا ، كما يتناول الصبيان ومن لا قدرة له على الجهر بالنصيحة ، روى فى الصحيح عن زينب بنت جحش ، قالت ــ قلت يا رسول الله أنهلك وفينـــا الصالحون ؟ قـــال « نعم اذا كثر الخبث » وعن ابن عمر أنه سمع أباه يقـــول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أنزل الله عذابا أصاب العذاب من كان فيم ، ثم بعثوا على أعمالهم » .

ومن البلية فى سكوت العماء أن العامة يتخذونه حجة على اباحة الأشياء أو استحسانها ، فاذا نهيتهم عن بدعة أو سيئة ، وسقت اليهم الدليل على قبحها ومخالفتها لما شرع الله ، كان جوابهم : انهم فعلوها بمرأى أو مسمع من العالم فلان ، ولم يعترض فعلهم بانكار .

ومن أثر التهاون بالارشاد أن يتمادى المفسدون فى لهوهم ، ولا يقفـــوا فى اشباع شهواتهم عند غاية ، فتقع أعين النـــاس على هذه المنـــاكر كثيرا ، فتألفها قلوبهم ، حتى لا يكادوا يشعـــرون بقبح منظرها ، أو يتفكروا فى سوء عاقبتها .

ومن أثر هذا أن يقبل عليهم الحق بنوره الســـاطع ، ووجهه الجميـــل ، فتجفل منه طباعهم وتجفوه أذواقهم لأول ما يشرف عليها . ا . هـ

هذا ملخص ما قيل فى شروط الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، أمـــا مبحث كونه فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، أو هو لايكون الا من طـــائفة معينة ، أو منه ما هو عام ، ومنه ما هو خاص بالعلماء المختصين ، ومنه ما هو خاص بالامام وصـــاحب السلطة التنفيذية ، فموعدنا ببيـــانه فى مقال آخر ان شاء الله تعالى .

أين الطبيب؟

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ــ قلت يا رسول الله من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسالنى عن هذا الحديث احد اول منك لما رايت من حرصك على الحديث ، اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : ((لا اله الا الله خالصا من قلبه)) رواه البخارى وغيره .

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

أسعد الناس ــ اولاهم واجدرهم ، اى الذى يستحق شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لصدق ايمانه ، وحقيقته اخلاص العبادة لله وحده ، ويرى بعض العلماء أن الشفاعة قد تحصل للعصاة اذا تابوا (الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) (٧٠ من الفرقان) .

بشفاعتك ــ المراد بالشفاعة هنا ما سيحصل يوم القيامة ، وشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام من الامور المقطوع بها لما ورد من الآيات والأحاديث دالا عليها مؤكدا لوقوعها ، وهى أنواع : منها الشفاعة العظمى لسوق الناس من المحشر ، وأورد فيها البخارى حديثا طويلا ومنها الشفاعة لبعض العصاة فيخفف عنهم العذاب ، وفى ذلك تفاصيل أفاض فيها علماء التوحيد فليرجع اليها من أراد تفصيلا وافيا .

أول منك ــ اى اسبق منك ، بمعنى انه لا يسبقك أحد فى هذا المجال ، وقد علل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ، بحرص أبى هريرة على الحديث ، وحبه لاستجلاء الغوامض وبحثه عن اوجه الخير للوصول اليها ، واغتنام فرصة وجوده مع سيد الخلق لتحصيل أكبر قدر ممكن من توجيهاته الشريفة ، وفى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة توجيه لكل من



يتصدى لتعليم الناس وارشادهم أن يكون شديد الاهتمام بمن يعلم ويرشد ، فيعطى كلا على قدر فهمه واستعداده ، ويتفرس أحوالهم ويشجع المجتهد ليزداد اقبالا على التعلم والتحصيل ، ويأخذ بيد الوانى ليلحق الركب ويمضى مع القافلة ، كما أنه لا يصح للعالم أن يكتم علمه عن الناس ، ولا أن يمنعه عن طالبه مهما كانت حاله ، وقد يكون جواب العالم فرض عين عليه اذا تعين للفتيا ، وحينئذ يأثم اذا قصر .

خالصا من قلبه — هو من وصل الى المنزلة القصوى فى الاخلاص لله ولرسوله ، وهو الجدير بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شفاعة لا يعقبها ضرر ، ويظهر اخلاصه ، فى اذعانه وقبوله وعمله ، فنطق اللسان وحده لا يجدى وليس دليلا مطلقا على الاخلاص الكامل ، بل لا بد أن يكون القول صادرا عن ايمان عميق وطمأنينة نفس ، ومؤيدا بالسير على وفق أوامر ونواهى رب العالمين نسأل الله — دائما — التوفيق والسداد .

■ ■ ■

١ — تختلف الأقاليم ، ويتنوع المناخ ، ويتبع ذلك تعدد النبات والحيوان ويتضام البشر ويتجمع فى أماكن قد تكون دولة واحدة ، تباعد أجزاؤها ، فيعيش كل قبيل منعزلا أو شبه منعزل عن الآخرين ، فيكتسب طبائع ، وينطق بلسان يخالف طبائع ولهجات القاطنين فى بقعة بعيدة عنه ، وأمثلة ذلك فى اللسان واللون والعادات أكثر من أن يدل عليها أو أن يطلب لها برهان ، وتجده واضحا بين سكان الحواضر والبوادى ، وبين أرباب الحرف والصناعات المختلفة ، كل فئة تنحاز الى المثيل والمشابه ، وقد يصل التعصب الى شن حروب وتأريث نار عداوة ، وكلما بدا الانسان ازداد جفاوة وغلظة ، فاذا تحضر لانت عريكته ، وربما تلاشت حميته لمنبته ، وقصة الشاعر البادى الذى تحضر معروفة فى تاريخ آداب اللغة العربية ، فمن أخباره أنه وفد على خليفة زمانه فامتدحه قائلا :

أنت كالكلب فى حفاظك للود ، وكالتيس فى قراع الخطوب

فهم به أصحاب الخليفة ، فأشار اليهم أن دعوه ، لقد وصف كأفضل ما عرف وأجمل ما وقعت عليه عيناه وما وعاه من بيئته البدوية ، ولما مضى به الزمان ، وأقام ردحا من الدهر فى الحاضر عاد يتغزل فيقول :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وهكذا يحصل التوافق والانسجام مع الطارف يختفى معه حتى الحنين الى التليد ومرجع ذلك الاختلاف الى تقدير العزيز العليم ، (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين)(١) .

والعيش فى عزلة تامة أو ناقصة ، كان معقولا أو مقبولا فى عصور سلفت ، وأيام مضت ، وقرون تلاشت مع كر الاصباح والامساء ، تلك أمة قد خلت لم تعرف الطيران ولم تبصر الرادار ، ولم تتخاطب على موجات الأثير ، ولم تتراء على بعد عن طريق الأقمار الصناعية ، كما وقع فى هذا العصر ، ما كان حلما وتخيلات ثم أصبح وقائع ملموسة ، ومدركات محسوسة تراها العين المجردة ، وتطن فى الأذن المفردة ، تغلبت المادة على المادة ولم يصل البحث الى

ذلك المستكن الممتنع على الحواس ، ذلك الذى كشف بعض اسرار عناصر وقهر بعضها وادخله المعمل ثم اخرجه منه ليعمل بقوة جديدة على اليوم ، وقديمة عليه أيضا ، كانت خافية ثم وضحت ، ولم تكن معدومة ثم وجدت ، فهو باحث كاشف وليس خالقا مبدعا[٢] هذا الباحث سبق غيره فى ازالة قناع بعض أنواع المادة وسيجىء من بعده (بالتأكيد) من سيجعل بحثه قاعدة وليس قمة .

٢ — فكر ، بم تفكر ؟ أنت تعلم فيم ولا تدرى بم ، بعقلك ، ما هو عقلك ؟ هل يستطيع الاحتفاظ بتلك القوة الخافية ، وهل تجزم باحتفاظك بها ، ان حاولت فشلت ، وان جزمت أخطأت ، فمن العباقرة من مضى مجنونا ، أو رد الى الوراء فعاد كما بدا ، (ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) . الآن ، وبعد الآن ، أصبحت المادة مهددة ، بذلك السلاح المعطى للانسان من الوهاب العليم ، فلا تستطيع الاحتفاظ بأسرارها زمانا ان طال فهو متلاش يوما ما ، ولكن هناك شىء قبع فى مكان واستكن فى أمان لا يمكن الوصول اليه الا عن رضى وطيب خاطر من مالكه ، وقد يحاول القوى ارهاب الضعيف ليتعرف سره ، وما هو باعتراف ، وانما استجابة للقوة ، فهنا يحاول المستضعف (بفتح العين المهملة) أن يرضى المستضعف (بكسر العين المهملة) فيقول له ما يريد كما يريد ، ليخلص من عذابه أو تعذيبه ، والحقيقة بعيدة عن الواقع ، وثمة شىء آخر من يملك القوة التى تجمع كل القوى المتفرقة لتتكامل وتنتج خيرا فى يسر وأمن وطمأنينة ، ليس بعيدا ، وانما هو قريب ، لكن المريض جاهل بالدواء ، والطبيب المتصدى للعلاج أجهل أو اكثر جهلا ، والعالم الوحيد هو الفرد الصمد (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون)[٣] جعل الأنفس تتألم وتمرض لتستطيع أن تعيش وتبقى زمانا مع علم وادراك وفهم ، فلولا الألم ما بحث عن علاج ، ولولا الحاجة ما طلب النفع باعد المسافات ليحاول الانسان قطعها والتغلب عليها ، وفعلا بدأ (ولا يمكن أن يقال انتهى) ، أرسى الجبال الى جوار الصحارى والبحار ليكشف عما يذللها وأحيانا ما يلاشيها ، ثم وضع عقدة لا تقبل حلول الانسان ، ولا تنصاع لمطرقته مهما ثقلت ولا تدخل تحت ما أبيح له البحث عنه أو فيه ، تلك هى : الحياة والموت ، ازرع قلبا مكان آخر ضع كلية بديلا عن أخرى ، اقطع عضوا أوصله بآخر ، والى متى ؟ الى أمد محدود ثم يختفى الأصيل والدخيل ، وينمحى الأثر والمؤثر ، ويقوم على المسرح وجه جديد ليلعب دورا جديدا ، وقد يتصور البعض أنه لو عاش العالم فلان لكان من أضعاف ما كان ، وأظن أنه لو عاش مهما امتد عيشه ما تعدى ما ابدى كما أبدى ، فهذا حده وذاك دوره فى فصول المسرحية التى لا ينهيها الا من بداها سبحانه ، وهنا يتساءل المطالعون لمجرى حوادث العصر ، أليس الأجدى أن نحاول زرع السلام بديلا عن القلوب الواهنة الضعيفة ، وأن نبقى على قلوب شابة فى قوة وتماسك ، فلا نحصدها كل مطلع شمس أو مغيبها بالمئات بل الالوف ، يقولون — هذا حقل وذاك آخر ويعود التساؤل ولا ينتهى من يستطيع أن يحول آلات الدمار الى آلات إعمار والجواب الذى لا جواب غيره هو اتحاد الأهداف لدى الأطراف المعنية ، وهذا كلام جميل — ولكن كيف يتأتى مع اختلاف البيئات والثقافات وتعدد أشكال الاتجاهات والوانها ويمضى المجيب ، لا يتأتى هذا الا بالاخلاص للذى خلق الموت والحياة ،

والا بالجزم من القلب الذى لا نستطيع حده حدا منطقيا الجزم بأنه — لا اله الا الله — وبهذا تسير الانسانية على منهج محدود معلوم ، أمة واحدة ، لها طريق واحد وأمل واحد وسائس واحد ، وموجه واحد هو رب العالمين ، اذا اشتكى عضو من هذه الأمة تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وبهذا نسعد بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فيخفف الله عنا العذاب النفسى والمادى اللذين نعانى منهما وتعانى منهما الانسانية جمعاء ، ثم الشفاعة العظمى هناك ، فى الدار الآخرة ، فى اليوم الذى لا محيص عنه ولا مناص منه (وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون)(٤) .

٣ — تحدث القرآن الكريم عن يأجوج ومأجوج ، وذهب خيال الشراح فى وصفهم وأماكن وجودهم كل مذهب ، حتى تعدى الحقيقة الى الخيال ، وذلك لخطرهم وشنيع فعالهم ، وقال البعض انهم فى أماكن معلومة من الأرض او مجهولة منها ، وانهم سيفسدون ، ويهلكون الحرث والنسل ، وقد يكون ظهورهم ايذانا بأحداث خطيرة تقع فى هذا العالم .

بالأمس القريب رايت بعض من تنطبق عليهم الأوصاف الواردة فى كتب المتقدمين من أولى البصائر ، قوم من بنى آدم لا يعدون النوع ، ولا يتجاوزون اصول بنائه يأكلون ويشربون كما يأكل سائر البشر ويشرب ، يتحادثون بكل لغة ، ويجادلون بعنف ، ولا يقف جدالهم عند حدود المقال ، بل لا يتورعون عن اسالة الدماء وازهاق الأرواح ، وهدم البنيان ، وتقويض المشيد ، وافساد العامر ، ليصلوا الى اهداف لهم خاصة . ولا شك أنه سيكون على أيديهم خراب العالم ، وهنا عجبت للقرآن ومن دقة التعبير ، والقرآن جديد وجديد ولن يكون لعصر خاص ابدا ، أؤكد هذا بقوة ايمان ، وصدق برهان ، فقد وجد(٥) دائما الدليل الذى لا يحتاج الى تعقيب ، وزال عجبى لأنى موقن أنه تنزيل من حكيم حميد ، فعرفت أنه هنا يكمن السر وتقف الأفكار ، اقرأ بامعان بعد بضع جولات فى الأرض ، بعد الطواف بأقطارها ، مع البحث المستفيض والدرس العميق ، اقرأ قوله سبحانه فى محكم الكتاب (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)(٦) صدق ورب الكعبة . **من كل حدب** ثم تأمل قوله سبحانه فى الآية التالية مباشرة (واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين)(٧) . حين تمتلىء الدنيا بهم — وستمتلىء حتما — وتقوى شوكتهم ، فسيبدو لعمى القلوب التى هى فى الصدور ، والذين أعانوهم ، وثبتوا افكارهم ، ومشوا فى ركابهم مخدوعين سيبدو لهم سوء ما فعلوا ، ويروا بأعينهم نهايتهم المؤسفة على يدى يأجوج ومأجوج وحينئذ يقولون بلسان الحال أو المقال — ان استطاعوا نطقا — **يا ويلنا** — ولهم الويل والثبور فى كل مكان ، لقد كنا فى غفلة من هذا ، وارجع الاشارة ولا تتعدى منهج العربية الفصحى . ولا تنس ختام الآية الكريمة — **بل كنا ظالمين** ، فمنهم من نبا فظلم من حاول الافصاح ، والغى الكلمة الحرة الصادقة ، وتبنى الزيف والضلال فضل وهلك ، ولات حين مندم ، لأن قضاء الله لا يبدل (ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) وان أردت الخلاص والنجاة ، وسلوك الطريق المبعد عن الهاوية ، فثق أنه واحد لا يتعدد ، هو طريق الاخلاص قولا وعملا لله ، والنطق بـ (لا اله الا الله) خالصا من قلبك ، ولا تكن اتكاليا ، فسوف يلاحقك يأجوج ومأجوج يحاولون استخراج ما فى قلبك وابداله بشىء

آخر من معارفهم ان استطاعوا .

٤ ــ وهنا أقف قليلا مع عالم عربى فاقه فاحص شرع ينحو نحوا جديدا فى الفكر ، ويتلقى المعارضة برحابة صدر ، وبدأ منهجه يجد صداه فى الأوساط العلمية العالمية ، وهو مخلص ، وربما يصل .. ومن الذى افسح المجال ليأجوج ومأجوج .. هو صاحب الحق الذى نام عنه ، واستكان وقبع ، وهذا لا ينحصر فى جيل واحد من العلماء الباحثين ، وانما له بدء معين وان كان علم ختامه عند علام الغيوب ، فهل يصحو النوم(٨) وهل سيسعد المرضى بطبيب ، وهل سيوجد من يقــول خالصــا مخلصا من قلبه (لا اله الا الله) حتى تنعكس على الارض سلاما وأمنا ، أرجو ، ولا أقول أتمنى(٩) والله الموفق والمستعان .

---

(١) الآية (٢٢) من سورة الروم .

(٢) وكل هذا بالنسبة لعلم الانسان بها يعد جهل ، وأما الخلاق العليم فهو اعلم بما كان وما يكون وما هو كائن ، فلا زمان ولامكان ولا أسرار ولا خوافى ولا ظواهر فى حقه تعالى أبدا .

(٣) الآية (٢٠) من سورة الروم .

(٤) الآية الكريمة (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) ٦٤ من العنكبوت .

(٥) بالبناء للنائب لا لجهل بالفاعل وانما لما تستطيع أن تعرفه من علوم العربية الفصحى .

(٦) الآية الكريمة ٩٦ من سورة الانبياء .

(٧) الآية الكريمة ٩٧ من السورة نفسها .

(٨) بتشديد الواو المفتوحة قبلها .

(٩) صدق ما رأيت ، وحق ما قصصت ، وهذا فى بلد بعيد عن الوطن ولكن قريب ، فلا بعد ولا قرب اليوم والمســئول حصيف ، وذكى ، والعجيب المؤسف لنا خاصة ان القوم فى الأزمات يلجأون الى الله الى بيوت العبادة ويحاولون بكل ما أوتوا من قوة ابعادنا عن ديننا القويم ويجدون فينا من يعينهم ، أليس هذا من العجب العجاب ؟؟



فتنة لايجوز إقرارها أو السكوت عليها

كان لما نشرناه فى العدد الاربعين (ربيع الثانى) لسـماحة الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس لبنان عن المشروع الذى يريد بعضهم اخراجه عن ترتيب القرآن حسب تاريخ النزول وفى شكل مصحف ـ كان له صدى كبير لدى العلماء فى كل قطر اسـلامى وحملت عليه الصحف والاذاعات وحذرت من الاقدام عليه .. ووردت الينا رسائل كثيرة وتعليقات نكتفى منها بهذه الكلمة التى أرسلها فضيلة الشيخ عبد الحميد السائح من الاردن وبالبرقية التى ارسلها علماء الحرمين الى الشيخ حسن خالد مفتى لبنان .

ونحن نرجو أن نتلقى من فضيلة مفتى لبنان ما يفيد عدم موافقة المسئولين هناك على اخراج هذه الفتنة الى حيز الوجود حتى تستقر النفوس .. ويطمئن المسلمون على كتابهم المجيد .

« الوعي »

للشيخ عبد الحميد السائح
وزير الأوقاف والمقدسات الاسلامية
الاردن

قرأت فى مجلة الوعى الاسـلامى العدد (٤٠) تاريخ غرة ربيع الآخر ١٣٨٨ هـ حزيران ١٩٦٨ النداء الخطير الذى وجهه سماحة الشيخ نديم الجسر مفتى شمال لبنان حول مشروع القرآن الجديد ، فرأيت أن أوجه هـذه الكلمة تبرئة للذمة وتلافيا للفتنة .

ان القرآن الكريم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب الوقائع والحوادث وحاجات الناس ، وعندما نزل الآية أو الآيات كان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بوضع الآية أو الآيات فى موضعها من السورة ، كما ثبت فى الصحيح ، وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصلوات الجهرية على مسمع من أصحابه السور الطوال مثل البقرة وآل عمران وغيرهما مرتبة الآيات كما هى مدونة فى المصحف الشريف ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعرض مع جبريل عليه السلام القرآن الكريم ، وفى آخر سنى حياته عرض القرآن على جبريل مرتين ، مرتبا فى آياته وسوره كما هو مدون فى المصحف الشريف أيضا ، وقد أخرج الشيخان والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم القرآن ، وفى حديث للبخارى عن أبى هريرة كان يعرض على النبى صلى الله

عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه ، مما يدل دلالة واضحة على ترتيب آياته وسوره .

وقد حفظ القرآن الكريم أعداد وفيرة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كما سمعوه منه ، مرتب الآيات والسور ، وفى حديث الشيخين والترمذى وأبى داود عن ابن عمرو بن العاص ، قلت يا رسول الله فى كم أقرأ القرآن ؟ قال اختمه فى شهر قلت : انى أطيق أفضل من ذلك ، قال اختمه فى عشرين ، قلت انى اطيق افضل من ذلك ، قال : اختمه فى خمسة عشر ، قلت انى أطيق أفضل من ذلك ، قال اختمه فى عشر ، قلت انى اطيق أفضل من ذلك ، قال اختمه فى خمس ، قلت انى أطيق أفضل من ذلك ، فما رخص لى ، وفى حديث النسائى عن عبد الله بن عمر ما يؤيد هذا المعنى .

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن قسطنطين انه قرأ ختمة على عبد الله بن كثير احد أئمة القراء ، وهو من التابعين ، فلما بلغ الضحى قال كبر حتى تختم ، وأخبره انه قرأ على مجاهد ، فأمره بذلك ، وأن مجاهدا أخبره انه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك . .

وأن ابن عباس أخبره أنه قرأ على أبى فأمره بذلك ، وان أبيا اخبر ابن عباس أنه قرأ على النبى فأمره بذلك ، وهذا يؤيد أن القرآن كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مرتب الآيات والسور على الوجه المدون فى المصحف الشريف .

وقال البيهقى كان القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب وقال البغوى فى شرح السنة ان الصحابة قد جمعوا القرآن وكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقدموا شيئا أو يؤخروه ، ولم يضعوا ترتيبا لم يأخذوه عن الرسول ، وكان يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل اياه على ذلك ، وقال ابن الحصار ان ترتيب السور فى وضع الآيات مواضعها انما كان بالوحى ، فكان رسول الله يقول ، ضعوا آية كذا فى موضع كذا ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ومما اجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف(١) .

وقد كان أصحاب الرسول يجمعون القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم فى قطع متفرقة من الرقاع والعسب واللخاف ، وقد أخرج الشيخان والترمذى عن أنس رضى الله عنه جمع القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار ، أبى بن كعب ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد ، وزيد يعنى ابن ثابت ، قلت لأنس ، من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتى ، كما صح فى

(١) القرآن المجيد للاستاذ عزة دروزة .

أحاديث أخرى أن غير هؤلاء قد حفظوا القرآن الكريم مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله بن مسعود وسالم وأبى ، وأبى الدرداء وغيرهم من أجلة الصحابة .

وبذلك يتبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينقل الى الرفيق الأعلى الا والقرآن محفوظ فى الصدور على الوجه المدون فى المصحف الشريف ، كما كان مكتوبا فى صحف ورقاع متفرقة ، ويشهد لذلك حديث البخارى وغيره عن زيد بن ثابت أن أبا بكر رضى الله عنه أرسل له مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر جالس عنده ، فقال أبو بكر ان عمر جاءنى فقال ، ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى كل المواطن ، فيذهب من القرآن كثير ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال : قلت لعمر وكيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر قال زيد ، فقال لى أبو بكر ، انك شاب عاقل لا تنهمك ، قد كنت تكتب الوحى للنبى صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . .

الى أن قال فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال . . الخ . . .

وكانت الصحف عند أبى بكر الى أن توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر .

فالثابت بهذا الحديث وغيره من الأحاديث الصحيحة أن ما فعله أبو بكر هو الأمر بجمع القرآن ، وهذا يستلزم أن القرآن كان مدونا مرتبا ، ولكنه لم يكن مجموعا فى صحف متتابعة ، فقام زيد ومن معه من الثقات بعملية الجمع معتمدين فى ذلك على الحفاظ ، وعلى القطع التى كانت مكتوبة فى عهد الرسول وأن يشهد شاهدان من أصحاب الرسول على ذلك زيادة فى التثبت والحيطة .

وأما ما فعله عثمان رضى الله عنه ، فقد كان نسخ الصحف التى كانت عند حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سوى ذلك أن يحرق ، كما هو صريح حديث البخارى والترمذى .

اذن ترتيب القرآن على الوجه المحفوظ فى المصاحف الشريفة ، هو الترتيب الذى كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولا يجوز تغييره ولا تبديله ، مهما كانت الاسباب والدوافع ، وهذا لا يمنع أى باحث بحثا علميا مجردا أن يتعرض فى بحثه لكيفية ترتيب نزول الآيات أو السور ، ليستنتج منها ما يظهر له ، ويعرض فى بحث

علمى للمناقشة ، اما اخراج مصحف كامل يختلف فى ترتيبه عن ترتيب المصحف المتداول المعروف ، فهو عمل مخالف لما كان عليه الأمر فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعهد أصحابه ، واجمع عليه المسلمون على اختلاف مذاهبهم وشيعهم ، ولا يجوز لأحد من المسلمين الاقدام على ذلك لأنه يعرض كتاب الله للتغيير والتبديل ، ويخرجه عما تعهد به الله سبحانه من حفظه ، « أنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وقد امتاز القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية ببقاء نصه وترتيبه منذ عهد النبوة الى يومنا هذا ، فالاقدام على اى تغيير لا يجوز السكوت عليه ، بل يجب منعه منعا صارما لأنه يعرض دستور المسلمين للخلل والزلل .

وتحدثنا رواية الصحاح بأن الباعث لسيدنا عثمان على نسخ المصحف المحفوظة عند السيدة حفصة هو ما لوحظ من اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن ، والخشية عليه من ذلك ، فهرع اليه الصحابة طالبين ان يدرك المسلمين من تلك الحالة حتى لا يختلف المسلمون فى كتابهم اختلاف النصارى واليهود .

لذلك كله فانى اهيب بعلماء المسلمين وحكامهم فى جميع الأمصار والاقطار ان يحولوا دون تلك الفتنة ويمنعوا ذلك بكل الوسائل . والله ولى التوفيق .

وهذه هى برقية علماء الحرمين :

سماحة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانية ــ بيروت ــ لبنان :

نحييكم بتحية الاسلام . ونوجه لسماحتكم من مهبط الوحى ، ومن جوار الكعبة المشرفة . نداءنا واستنكارنا للمشروع ذى الأهداف المبيتة والأغراض السيئة . ونعنى بذلك محاولة طبع واخراج وترتيب سور القرآن العظيم الذى يقوم عليه ابن الميرزا باقر . حسب ترتيب التبليغ بزعمه . مغايرا لترتيب سور القرآن العظيم الذى جمعه الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، واجمع عليه الصحابة والمسلمون طيلة السنين والقرون الماضية . وان العالم الاسلامى اليوم فى غنى عن هذه الفتنة العمياء التى يراد بها النيل من الاسلام والمسلمين عن طريق اغلى ما لديهم من تراث . ونحن لا نستبعد ابدا ان يكون لهذه الخطة يد خفية ارادت التشكيك ، واثارة البلبلة ، والعبث بأقدس تراث للمسلمين ، وذلك باثارة فتنة لا يعلم مدى خطرها على الاسلام والمسلمين الا الله . ونحن علماء الحرمين الشريفين وسكانهما نستنكر بشدة هذا العمل

الشنيع ، وهذه الفكرة الخطيرة الضالة الخاطئة . ونسألكم باسم الاسلام والمسلمين فى اقطار الأرض أن تقفوا بما لكم من نفوذ فى بلدكم ضد هذا المشروع ، ونهيب بكم أن تعملوا على ايقاف صاحبه عند حده ، حفاظا على وحدة المسلمين ، ومنافحة عن كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وذلك بما لكم من سلطة فى بلادكم . ونناشدكم الله الا تدخروا وسعا فى سبيل الوقوف والصمود أمام التيارات المعادية للاسلام . ونسأل الله أن يحفظ للمسلمين دينهم الذى ارتضى لهم ، ويجمع كلمتهم على الحق . والسلام عليكم .

عن علماء الحرمين الشريفين

نائب رئيس الجامعة الاسلامية
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رئيس المحكمة الشرعية بمكة
سليمان بن عبيد

رئيس المحكمة الشرعية بجدة
محمد الحركان

المدرس بالمسجد الحرام
السيد علوى مالكى

المدرس بالمسجد الحرام
حسن مشاط

رئيس هيئة التمييز
عبد الله بن جاسر

الرئيس العام للاشراف الدينى على الحرم المكى
عبد الله بن حميد

المدرس بالمسجد الحرام
أمين كتبى

رئيس المحكمة الشرعية بالمدينة
عبد العزيز بن صالح

الرئيس العام لهيئات الامر بالمعروف بالحجاز
عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ

الفقه الاسلامي في ماضيه

فى الحديث الماضى تحدث الكاتب الفاضل عن هدف الشريعة الاسلامية فى درء المفاسد وجلب المصالح ، وعن بعض الأحكام التى جاءت فى القرآن او السنة ومعها اسبابها وعللها وعن التحديد فى بعض الأحكام والعموم والمرونة فى بعضها الآخر لتظل الشريعة مهيأة لمجابهة الأحداث واستنباط الحكم لها .. وكيف ان الصحابة ومن بعدهم فى العصور الأولى فهموا الشريعة على هذا الوجه ..

ويبدأ حديثه اليوم عن الفقه فى عهد الأئمة الذين عرفناهم ..

جاء عهد الأئمة : ابو حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، واحمد بن حنبل ، والليث ، والأوزاعى ، وداود ، والثورى ، وابن أبى ليلى ، وابن شبرمة ، والطبرى ، وغير هؤلاء وهؤلاء ممن لم يكتب لمذاهبهم ما كتب لغيرها من القبول والذيوع والانتشار والبقاء . وكان لكل منهم قواعد فى استنباطه ، استوحاها من أصول الشريعة ، تتفق أو تختلف مع غيره من الأئمة ، وكان الاختلاف بينهم أوسع مدى ، وأكثر تشعبا ، وأقوى أثرا فى حياة المسلمين ، فان السنة لم تكن قد دونت تدوينا كافيا وبعد العهد بها ، وكثر الدخيل عليها ، فكان عند كل فقيه من الأحاديث والآثار ما لا يوجد عند غيره ، وكان عند كل امام من الحوادث والاعراف والملابسات ما لم يكن عند الآخرين .

ونكتفى بمثالين اختلف فيهما الفقهاء اختلافا شمل جميع الصور العقلية التى يمكن القول بها فى المسألة ، ونختار أحدهما فى القانون المدنى ، ويستند الخلاف فيه الى صحة النقل ، ونختار ثانيهما فى القانون الجزائى ، ويستند الخلاف فيه مع النقل الى العقل .

البيع بشرط :

يقول الليث بن سعد : قدمت مكة فالفيت فيها ابا حنيفة ، فقلت له : ما تقول فى رجل باع بيعا وشرط شرطا ، فقال : البيع باطل والشرط باطل ، فاتيت ابن أبى ليلى فسألته ، فقال : البيع جائز ، والشرط باطل ، فاتيت ابن شبرمة فسألته ، فقال : البيع جائز والشرط جائز ، فقلت فى نفسى : سبحان الله ، ثلاثة من فقهاء العراق لا يتفقون فى مسألة !!

فعدت الى أبى حنيفة ، فأخبرته بما قال صاحباه : فقال : ما أدرى دليل



للشيخ : زكريا البرى
استاذ الشريعة المساعد بجامعتى القاهرة والكويت

ما قالاه لك ، ولكن حدثنى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع وشرط ، فالبيع باطل والشرط باطل .

فعدت الى ابن أبى ليلى ، وأخبرته بما قال صاحباه : فقال : ما أدرى دليل ما قالاه لك ، ولكن روى أن بريرة ــ وقد كانت أمة ــ جاءت الى السيدة عائشة تستفتيها فى مال تدفعه لأصحابها حتى يعتقوها ، فقالت عائشة : أرجعى الى اهلك ، فان احبوا ان أؤدى هذا المال لهم ، ويكون ولاؤك اى نصرتك وميراثك لى فعلت ، فذكرت ذلك بزيرة لأهلها فابوا ، وقالوا : أن شاءت أن تحتسب عليك فلتفعل ، ويكون لنا ولاؤك ، فذكرت عائشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فقال لها الرسول : اشتريها واعتقيها ، وليشترطوا ما شاءوا فانما الولاء لمن اعتق ، فالبيع جائز والشرط باطل ، قال : فعدت الى ابن شبرمة واخبرته بما قال صاحباه ، فقال : ما ادرى ما قالاه لك ، ولكن روى ان جابر ابن عبد الله قال : بعت النبى صلى الله عليه وسلم بعيرا واشترطت أن يحملنى البعير الى المدينة . فالبيع جائز والشرط جائز .

الاكــراه :

واذا اكره انسان انسانا على قتل آخر ، فمن الذى يقتص منه ؟ المكره (بكسر الراء) أو المكره (بفتح الراء) .

يذهب أبو حنيفة ومحمد والشافعى فى رواية عنه الى أن القصاص يكون من المكره (الأول) دون المكره ، فان المكره هو المجرم القاتل ، وليس المكره المباشر الا آلة فى يده ، لم يكن لها ارادة واختيار سليم ، فالانسان مجبول على حب الحياة .

أما زفر فيوجب القصاص على المكره (بفتح الراء) لأنه الذى باشر القتل فهو القاتل على الحقيقة دون المكره ، الذى لم يباشر القتل ، وان كان قد حرض عليه تحريضا مجبرا .

أما مالك واحمد والشافعى فى رواية فيوجبون القصاص عليهما (على المكره وعلى المكره) ، لاشتراكهما معا فى الجريمة ذلك باكراهه ، وهذا بمباشرته .. ومحاولته ابقاء نفسه ، وقتل غيره ظلما وعدوانا .

أما أبو يوسف فلا يوجب القصاص لا على المكره ولا على المكره ، ويكتفى

بايجاب الدية على المكره (الأول) ويستند فى ذلك الى أن المكره ليس هو القاتل ، لأن الفعل لم يقع منه ، والحس يشهد بذلك ، وانما القاتل هو المباشر ، لم يكن راضيا بالنتيجة بل مضطرا اليها انقاذا لحياته ، فلا يمكن أن يعد عامدا ، ولا قصاص الا مع العمد .

ونكتفى بهذا نموذجا لاختلاف الأئمة ، وكتب الفقه مليئة بالكثير منها .

ويعنينى أن أقول بعد ذلك .

ان هذا الاجتهاد الذى صدر منهم كان قياما بواجب دينى ، رأوا فى انفسهم قدرة عليه ، وكفاية له ، فجندوا أنفسهم له ، وكانت أدلتهم فيما يذهبون اليه من آراء ، لا تخرج عن كتاب الله وما جاء فى مذكرته التفسيرية ولائحته المتممة ــ وهى السنة النبوية ــ اذا جاز هذا التعبير فلله ولرسوله المثل الأعلى ، ثم اجماع الصحابة ، وقياس ما لم ينص عليه ما نص على حكمه اذا اشتركا فى علة الحكم ، وتحقيق المصلحة ، والاحتكام الى العرف ، وهو صورة عملية من صور المصلحة .

ولم توجد هذه المذاهب الفقهية الاجتهادية البشرية ، لتكون دينا للمسلمين ، ولا عقيدة لهم ، ولا لترسم لهم طريقا معينا لسلوكهم لا يحيدون عنه ، ولا أن تكون ملزمة لهم ، وانما وجدت ــ كما قالوا وقال العلماء ــ باعتبارها آراء فردية رآها أصحابها ، بيانا لحكم الله فيما عرض عليهم من مسائل ، أو تعرضوا له من قواعد ومبادىء ، استنباطا لأنفسهم خاصة ، أو لمن لجأ اليهم واستفتاهم ، وكان الناس بعد ذلك أحرارا ينظرون فى أمور دينهم ، كما نظر هؤلاء الأئمة اذا استطاعوا الى ذلك سبيلا ، أو أن يقلدوا من يرونه أقوى حجة ، وأوضح محجة ، وأصدق نظرا ، وأصح دليلا ، ان كانت لهم قدرة على هذا النظر والاختيار ، أو أن يتقلدوا من اطمأنت اليه قلوبهم ، وارتاحت الى آرائه ضمائرهم .

ولم يكن ذلك حينئذ ، لأن أقوالهم فى ذاتها حجة على الناس ، كأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان ذلك لا يقول به مسلم ، بل كان ذلك لأنهم محل الثقة والقبول ، لظهور عدالتهم ، وسعة علمهم واحاطتهم ، واستقامة افهامهم ومداركهم .

الأئمة يحذرون من التقليد :

ولم يكن احد منهم ــ رضى الله عنهم ــ يرى ولا يدور فى خلده ان اقواله تلزم احدا ، ولا ان رأيه دين يتبع ، وشريعة أبدية خالدة ، بل كان الأمر امر الدليل الذى يستند اليه وأمر المصلحة التى يستهدفها ، وكان مذهب كل منهم فى نظره صوابا يحتمل الخطأ ، ومذهب مخالفه خطأ يحتمل الصواب .

كان ابو حنيفة يقول إذا افتى : هذا رأى ابى حنيفة وهو احسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بخير منه فهو اولى بالصواب .

وقيل له يا أبا حنيفة : هذا الذى تفتى به هو الحق الذى لا شك فيه ،

فقال : والله لا ادرى لعله الباطل الذى لا شك فيه .

ويقول : لا ينبغى لمن لا يعرف دليلى ان يفتى بكلامى .

ويقول صاحبه زفر : **كنا نختلف الى ابى حنيفة ومعنا ابو يوسف ومحمد ابن الحسن ، فكنا نكتب عنه ، فقال يوما لأبى يوسف ، لا تكتب كل ما تسمعه منى ، فانى قد أرى الراى اليوم فاتركه غدا ، وارى الراى غدا واتركه بعد غد .**

ويقول الامام مالك : انا بشر اخطىء واصيب . فانظروا فى رايى ، فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق فاتركوه . ويقول : كل احد يؤخذ منه ويرد عليه ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعندما اقترح عبد الله بن المقفع على الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور وضع قانون عام يلزم الناس جميعا فى الأقطار الاسلامية . واستجاب ابو جعفر لرايه ، استشار الامام مالكا فى حمل الناس على مذهبه كقانون ، فقال : **لا تفعل يا امير المؤمنين ، فقد سبقت الى الناس أقاويل . وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ، فدع الناس وما هم عليه .**

ويقول المزنى صاحب الشافعى وتلميذه : **هذا ما سمعته من الشافعى ، بعد ان نهانى عن تقليده أو تقليد غيره .**

ويقول الامام احمد بن حنبل : **لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا تقلد الليث ولا الأوزاعى وخذ من حيث اخذوا .**

ثم جاء من بعدهم ، فلم يلتزموا بأقوال هؤلاء الأئمة اذا تبين لهم صواب غيرها أو رآها لا تحقق مصلحة أو أنها مستندة الى عرف تغير .

ذهب الامام ابو حنيفة الى الاكتفاء فى قبول الشهادة بالعدالة الظاهرة فى الشهود من غير بحث عن حقيقتها فيما عدا الحدود والقصاص ، ولم يشترط تزكيتهم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ــ يقول : (المسلمون عدول بعضهم على بعض) ثم رأى صاحباه أبو يوسف ومحمد أن الاكتفاء بظاهر العدالة يؤدى الى ضياع الحقوق وأن المصلحة فى تزكية الشهود منعا لهذه المفسدة ، ثم تغير الحال واصبحت التزكية الحقيقية متعذرة ، واصبح المزكون فى حاجة الى مزكين ، وصارت تزكية الشهود امام القضاء عملا صوريا لا يؤدى غرضا ، فرأى الفقهاء من بعدهم الاكتفاء بتحليف الشاهد اليمين .

واتفق فقهاء المذهب الحنفى على عدم جواز اخذ الأجرة على الطاعة ومن ذلك تحفيظ القرآن ، لأن الطاعات يستحق صاحبها الثواب فى الآخرة لا الأجر فى الدنيا ، ثم تغيرت الأحوال ، فأصبح معلمو القرآن ــ على حد تعبير احد الفقهاء ــ اذا انقطعوا لتعليمه مجانا جاعوا ، وان هم اشتغلوا بكسب العيش ضاع القرآن ، فلما رأى الفقهاء ذلك عدلوا عن هذا القول وأفتوا بجواز اخذ الأجر على تعليم القرآن وغيره من الطاعات .

ورأى فقهاء المذهب الحنفى أن الكتابة لا تصلح دليلا كافيا فى الاثبات ،

لأن الخط يشبه الخط ويدخله التزوير الذى لا يمكن معرفته ولا الوصول الى الحق معه ، ثم جاء من بعدهم فذهبوا الى القول بحجتها وكفايتها فى الاثبات ، وبخاصة بعد أن وجد الخبراء الذين يكتشفون التزوير . ويفرقون بين خط وخط مهما تقارب وتشابه ، واذا كان فى الكتابة شبهة ففى شهادة الشهود شبهات ، بعد أن فسدت الذمم وساءت الأخلاق . وكيف لا تكون الكتابة حجة والله سبحانه وتعالى يقول : (يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل . .) .

ومن طريف ما يروى أن مدعيا تقدم الى قاض حنفى بوثيقة كتابية على خصمه ، فقال له القاضى : انها ليست كافية فى الاثبات ، وطالبه : باحضار من يشهد له على حقه . فقال المدعى : ومن الذى قال هذا ؟ قال له : الامام ابو حنيفة : فقال المدعى الذكى : وهل عندك شهود سمعوا ذلك من الامام ، فلم يحر القاضى جوابا .

واذا كانت الكتابة هى الطريق الذى حفظ لنـــا الدين ، ونقل الينا آراء الفقهاء ، فكيف لا تتخذ دليلا فى أمور الدنيا أمام القضاء ؟ !

وسار الفقه الاسلامى فى حياته الطويلة . يقوى نوره ويخبو ، ويتسع نفوذه ويضيق ، يقوى بقوة المسلمين . ويضعف بضعفهم . ويزداد التقدير له كلما ازداد العلم به ، ويقل تقديره به كلما ازداد الجهل به ، ومن جهل شيئا عاداه ، والناس أعداء ما جهلوا .

بين الجمود والتفتح :

ومحاولة من بعض العلماء الى انقاذ ما يمكن انقاذه . من غزو المستعمرين الفكرى ، وجهل الجاهلين من أبناء المسلمين . وتعرض من لا يحسنون الوضوء ولا قراءة التشهد لمنصب الاجتهاد والافتاء . دعوا الى الالتزام بمذهب معين فى الفتوى والقضاء فى الأمور التى انحسر اليها مد الفقه الاسلامى ، وكان فى هذه المذاهب — فى بعض الآراء — ما لو عرف أصحابها نتائجهـــا لعدلوا عنها ، ولو نوقشوا فيها لعدلوها فكان يقيض الله بين حين وآخر بعض المصلحين الذين يتلافون هذه الأمور بالتشريع .

ولقد بدت فى العصر الحاضر نهضة فقهية فى شتى البلاد الاسلامية نرجو لها مزيدا من التأييد والتوفيق .

احب أن اذكر للدلالة عليها مثالين لحكمين جديدين لم يكونا معروفين فى المذاهب الاسلامية بصورة قوية واضحة : أولهما : أن الفقهاء قد اختلفوا فى اكثر مدة الحمل شرعا ، فذهب الحنفية الى أن اقصاها سنتان ، مســـتدلين بما روى عن السيدة عائشة من أن الحمل لا يبقى فى بطن أمه اكثر من سنتين ولو لحظة ، وقالوا انه أمر لا مجال للعقل فيه حتى يكون رأيها ، فلا بد أن تكون قد سمعته من الرسول .

وذهب الليث بن سعد الى أنه ثلاث سنوات . وروى عن مالك أنه أربع

سنوات . وعن الشافعى انه خمس سنوات ، بل ذهب الزهرى الى انه تسع سنوات ، استنادا منهم جميعا الى بعض الأخبار والحوادث التى ظنوها صادقة ، فىو قت لم يكن هناك دليل سواها ، ويوجب الاحتياط فى امر الاعراض والأنساب العمل بها ، ورفضوا الاحتجاج بما قالته السيدة عائشة ، لأنها لم تسمعه من الرسول ، بل قالته برايها بناء على ما عرفته من النساء ، والحوادث لا تؤيدها .

يروى البيهقى ان الوليد بن مسلم قال للامام مالك : ان عائشة قالت : لا تزيد المراة فى حملها على سنتين ، فقال : سبحان الله !! من يقول هذا ؟ هذه جارتنا امراة محمد بن عجلان ، امراة صدق وزوجها رجل صدق ، حملت ثلاثة ابطن ، كل بطن منها فى أربع سنين .

ومع هذا فقد ذهب بعض الفقهاء الى ان اقصى مدة الحمل سنة ، مراعاة للحالات النادرة وذهب بعضهم الى ان اقصى المدة تسعة أشهر عملا بالغالب .

والآن ـــ وقد تقدمت العلوم الطبيعية والتشريحية والطبية ، وعرفت ادوار الجنين ومراحل نموه واكتماله فى العادة ، واحصيت الحوادث الشاذة فـــى الولادة ـــ اصبح راى العلم والطب هو راى الفقه الاسلامى ، والله سبحانه وتعالى يقول : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

ولهذا فقد صدرت فى بعض البلاد العربية والاسلامية تشريعات تستند الى هذا الراى العلمى .

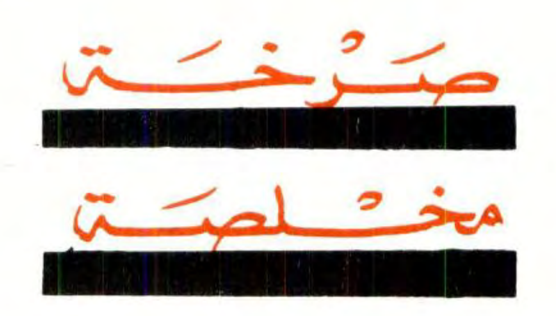
ولا يصح مطلقا ان يقال الآن : ان الفقه الاسلامى يختلف ائمته فى اقصى مدة الحمل بين تسع سنوات وتسعة أشهر وان الطب يخالفهم فى ذلك . انما الحق ان يقال ان رأى الفقه الاسلامى هو راى الطب والعلم .

ثانيهما : ان المشرع المصرى قد استحدث فى سنة ١٩٤٦ م باسم الشريعة الاسلامية ، وبناء على ما راته لجنة من كبار فقهاء مصر ، وعلى راسهم شيخ الأزهر والمفتى ورئيس المحكمة الشرعية العليا حكما يكاد يكون اجتهادا جديدا ، وهو ايجاب الوصية للأحفاد بمثل ما كان يستحقه اصلهم لو بقى حيا ، معالجة لحالة الأحفاد الذين يموت اصولهم فى حياة آبائهم او امهاتهم ، فانهم قلما يرثون فى تركة الجد او الجدة ، لوجود من هو اولى منهم ، مما يصيب بعض الأسر بالاضطراب والاختلال الاجتماعى والاقتصادى .

وقد تابعه فيه المشرع السورى بعد ادخال تعديلات اقتضتها ما اظهره تطبيق القانون من مفارقات .

وبقيت لنا جولة اخيرة فى تاريخ الفقه نصل فيها الى عصرنا الحاضر فالى الملتقى فى عدد قادم ان شاء الله .





بين التوقيت

- ١ -

اريد بالتوقيت : تحديد الأوقات ، يقال : وقته ليوم كذا .

والمواقيت جمع ميقات ، وهو الوقت المضروب للفعل ، يقال : حان ميقات صلاة الظهر ، وحان ميقات الحج ، وحان ميقات دفع الزكاة . والميقات ايضا : الموضع ، يقال : هذا ميقات أهل الشـام : للموضع الذى يحرمون به للحج أو العمرة .

والذى اريده بالمواقيت هنا ، هو الوقت المضروب للفعل فقط .

والتوقيت بالنسـبة للمواقيت ضرورى فى المجتمع الاسـلامى افرادا وجماعات ، وشـعوبا وحكومات . ومحـكومين وحكاما . لأن المفروض فى المجتمع الاسـلامى أن يحرص أعظم الحـرص على التوفيق بين التوقيت والمواقيت ، حتى يؤدى واجباته الدينية تنفيذا لأوامر الدين الحنيف فى أوقاتها ، دون أن تصرفه شـواغل الدنيا ومتطلبات الحياة عن تنفيذ تلك الأوامر نصا وروحا .

الصلاة لوقتها فاذا حل موعد الصلاة ، تجد المؤمن حقا ينسى عمله ، وينسى أعماله ، ولا يشعر بالراحة والاطمئنان ، ما لم يؤد الفريضة لوقتها .

فاذا كان هذا المؤمن فى عمل جماعى ، فانه لا يكاد يفيد شـيئا اذا حل وقت الصلاة ولم يبادر فورا الى ادائها .

واذا كان هذا المؤمن فى حفل رسمى أو غير رسمى ، فان افكاره تذهب بعيدا عن ذلك الحفل ، مفكرا فى الصلاة ، مؤنبا نفسه على تقصيره فى التأخر عن أدائها ، فيكون حاضرا كالغائب ، أو غائبا كالحاضر ، لا يستمتع بما حوله ، ولا يرتاح الى بقائه موزعا بين التفكير فى الصـلاة ، والتأنيب الذى يوخز

بقلم اللواء الركن : محمود شيت خطاب
بغـداد

ـــت والمـواقيـت

ضميره .

وكثيرا ما يتحاشى المؤمن الحق ، حضور الدعوات والاحتفالات والمشاهد التى تصرفه عن أداء الصلاة فى وقتها المعين لها ، وقد يكون فى تغيبه محذور يضر به فردا أو يضر بمصلحة عامة ، ولكن أداء الصلاة أهم على كل حال من كل ضرر فردى أو جماعى .

– ٢ –

فماذا يجرى فى بلاد المسلمين اليوم ؟
هل يوفق المسلمون بين التوقيت والمواقيت ؟

ان الكثرة الكاثرة من المسلمين لا يوفقون بين التوقيت والمواقيت مطلقا ، بل لا يكادون يفكرون فى هذه الناحية ، ولا يكترثون لها ، ويعتبرونها أمرا ثانويا لا قيمة له ولا اعتبار .

والذين يحاولون التوفيق بين التوقيت والمواقيت من المسلمين قليلون جدا ، فقد طغت موجة اهمال هذه الناحية حتى على المسلمين الملتزمين بتعاليم الدين الحنيف .

واذا كان هناك ما يبرر اغفـــال التوفيق بين التوقيت والمواقيت من الذين يسمون بالمسلمين مجازا أو افتئاتا ، لأنهم فى الواقع مسلمون جغرافيون لا اكثر ولا اقل . .

فهل هناك ما يبرر اغفال التوفيق بين التوقيت والمواقيت من المســـــلمين حقا ؟

ولماذا يكون هؤلاء امعات لا يحاولون فرض شخصيتهم المســــلمة على غيرهم ، وهم على حق ، وغيرهم على الباطل ؟

وكيف يكون المسلم الملتزم بدينه ذنبا لغيره ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ؟!

قبل ايام(١) زارني في داري استاذان من الهيئة الادارية لنقابة المعلمين في العراق ، وسألاني ان القي في نادي المحامين ببغداد محاضرة افتتح بها الموسم الثقافي لنقابة المحامين .

ووافقت على يوم المحاضرة ، ولكنني سألتهما عن ساعة البدء بالمحاضرة . وقالا : الوقت المناسب هو الساعة السادسة بعد الظهر !

وقلت لهما : (ان صلاة المغرب تكون الساعة السادسة والنصف ، وانا ملتزم باداء الصلاة في وقتها ، ولا بد ان يكون غيري من الذين سيحرصون على سماع المحاضرة من هو ملتزم التزامي ، واداء الصلاة حسب اعتقادي اهم بكثير من المحاضرة) .

واشهد انهما فوجئا بهذا الراي وهذه الفكرة ، ولكنهما اضطرا للموافقة على القاء المحاضرة الساعة السابعة بعد الظهر حسب التوقيت الزوالي ، لانني قلت لهما بشكل قاطع لا يحتمل المساومة ولا المداورة : « لن القي المحاضرة الا اذا كان موعد القائها بعد صلاة العصر بنصف ساعة او بعد صلاة المغرب بنصف ساعة ايضا » .

وقد ذكرت هذه الحادثة وهذه المحاورة ، لكي يعرف المسلم الملتزم مكانه ومكانته ، فلا ينافق ولا يداجي على حساب دينه .
وقد ذكرت كل ذلك ليكون المسلم الملتزم (قائدا) لا (مقادا) .

- ٣ -

ان المسلمين اليوم لا يوفقون بين التوقيت والمواقيت الا نادرا ، لأن اكثر القائمين على أمورهم ، ولأن اكثر المسلمين ، غير ملتزمين التزاما جازما بتعاليم الدين الحنيف .

هم لا يصلون ، فهم لا يعرفون مواقيت الصلاة ..
وهم لا يصومون ، فيظنون المسلمين كلهم لا يصومون ..
وهم لا يزكون ، فيتوهمون أن غيرهم من المسلمين لا يزكون .

وهم يفضلون أن يقضوا عطلات العيد ، ومنها عطلة عيد الاضحى في مباذل باريس ، وملاهي لندن ، ومسارح بيروت ، لا بين الصفا والمروة وفي البيت الحرام وعلى عرفات وقرب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كان ذلك يوم الاربعاء ١٩ محرم الحرام ١٣٨٨ هـ المصادف ١٧ نيسان ١٩٦٨ م .

وفاقد الشيء لا يعطيه .. !

ومن المؤلم حقا ، أن نطالع فى الصحف ونسمع فى الاذاعة ، أن المؤتمر الفلانى — كمؤتمر وزراء التربية والتعليم مثلا ، قد عقد فى بيروت قبيل حلول عيد الاضحى المبارك ..

والسؤال هو : لماذا لا يعقد المؤتمر فى مثل هذا الوقت ، فى مكة المكرمة ، لكى يؤدى هؤلاء الوزراء أعمالهم فى المؤتمر ، ويؤدون مع أعمالهم فريضة الحج ؟!

وفى كل يوم نسمع بمحاضرات تلقى وبمؤتمرات تعقد ، وبحفلات تقام ، وبدعوات تولم ، وبندوات تدار ، فى أوقات تؤدى الى ضياع الصلاة على كثير من المصلين .

لماذا ؟

البلاد العربية تدين بالاسلام ، ودساتيرها تنص على أن دين الدولة هو الاسلام ، والصلاة عمود الدين ، من تركها ترك الدين ، فهل يضير هذه المحاضرات والمؤتمرات والحفلات والدعوات والندوات والمناقشات .. الخ .. أن تتقدم ساعة أو بعض الساعة أو تتأخر ساعة أو بعض الساعة ؟!

والدول الاسلامية هى ايضا ، لا تتقيد بالمواقيت ولا توفق بينها وبين التوقيت الا نادرا .

فلا عجب ان نجد مؤتمراتهم لا جدوى فيها ، ومحاضراتهم لا تتجاوز الآذان ، وحفلاتهم تقتصر على اللهو والتسلية ، ودعواتهم تشبع البطون ولا تجدى القلوب والنفوس ، وندواتهم يزول تأثيرها بعد انقضاء أمدها ، ومناقشاتهم هوائية لا تفيد صديقا ولا تضر عدوا ..

كل أعمالهم محرومة من (البركة) ، كالسراب يحسبه الظمآن ماء .. ذلك لأن (البركة) من الله سبحانه وتعالى ، والله لا يهب بركته لمن يخالف أوامره ، ولا يريد بها وجهه الكريم .

— ٤ —

ماذا اريد من العرب ؟

اريد منهم ان يفكروا مليا بالمواقيت ، ويوفقوا بينها وبين التوقيت .

اريد من الجامعة العربية ألا تعقد مؤتمراتها فى أيام رمضان دون مبرر ولا ضرورة ، وفى أيام الحج دون مسوغ .

اريد من الحكومات العربية ان تكون مثالا صالحا لشعوبها ، فلا تعقد

البقية على صفحة "٥٠"



لقد حرص الاســـــلام ـ هذا الدين الواعى ـ حرصا عظيما على توطيد دعائم الشخصية الاسلامية لتبقى متميزة عن غيرها بمعالمها الواضحة كالشمس بين الكواكب . صونا لبقاء الأمة الاسلامية وحمايتها من الانحلال ، فانه ليس اسرع لضـــياع الأمة ـ اية امة ـ من فقدان شخصيتها وذوبانها فى تقاليد امة اخرى وعاداتها .

لذا نجد المستعمرين يسارعون ـ اول ما يسارعون ـ الى فرض عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم على الشعوب المستعمرة بمختلف الاساليب والوسائل ، من اجل ضياعها وتلاشيها ، وذهاب ريحها ، ومن ثم اعتناق دين هؤلاء المستعمرين والميل اليهم لتعيش هذه الشعوب على مائدتهم ، وتصبح خدما لهم ، كما حدث لزنوج أمريكا الذين يحيون اليوم عيشة الذل والاســـترقاق ، على الرغم من تشبههم بالغربيين ، وتقليدهم لهم فى كل شىء .

ان الغربيين ينظرون الى غيرهم ـ ولو اعتنقوا دينهم ـ على انهم برابرة وفقا للمبدأ الرومانى الذى قسم العالم قسمين : (غربيين وبرابرة) .

وينبغى ان يتأكد المسلمون أن الغربيين لا يزالون يحملون نفوس الرومان وشراستهم وهمجيتهم ، وان تقدموا ، وتقدمت بهم العصور ، انما يتميزون عليهم بأنهم يحاربون بالقذائف والصواريخ ، بدلا من الرماح والحراب ، فهم لذلك اكثر اجراما ، واشد فتكا من جدودهم الاقدمين ، وقد رأينا جرائمهم فى ســـــورية وفلسطين والجزائر وعمان وليبيا وغيرها من البلدان الاسلامية .

وعلى الرغم من بغض الغربيين للمســـلمين كشرقيين ، فهم يرغبون فى تنصيرهم ـ والعياذ بالله ـ من أجل تحطيم معاقل الدفاع فى نفوسهم ، لمـــا

في معركة إثبات الذات

الأستاذ محمود مهدى الاستامبولى ــ دمشق

يعلمون من قوة الاسلام فى نفوس أتباعه ، وقد أدركوا ذلك فى فتوحات المسلمين لبلاد الشام وفارس ، وقضائهم على امبراطوريتين من أعظم امبراطوريات العالم القديم ، وجربوه فى حروبهم الاستعمارية فى شمال افريقية ، وفى الشرق الاوسط ، لذلك فهم يرغبون فى تخلى المسلمين عن دينهم ، وقد خصصوا من أجل ذلك جميع وسائل الاعلام ، من كتب ومجلات واذاعات وافلام ، وحشدوا جميع قواهم المادية والمعنوية من أجل تحقيق ذلك فى أضخم غزو ثقافى وعسكرى عرفه العالم .

لقد أعلن الاسلام حربا لا هوادة فيها على تقليد المسلمين لغيرهم وأعلن أن « من تشبه بقوم فهو منهم » وفى هذا من التهديد ما فيه ، وقد كان حرص هذا الدين العظيم على تمييز الشخصية المسلمة على غيرها من أول يوم مدعاة دهشة أعدائه حتى راح اليهود يقولون فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم : « ما يريد محمد أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه » .

ومما يؤسف له ، ويبعث فى النفس الأسى والألم أن نجد المسلمين اليوم ــ أغلب المسلمين ــ على الرغم من جميع التوجيهات الاسلامية فى التحذير من التشبه بغيرهم قد عم بينهم داء التشبه بهم فى جميع مرافق حياتهم ، حتى بات من المتعذر التمييز بينهم وبين الاجانب فى عاداتهم وتقاليدهم ، وغدوا تبعا للغرب فى كل ما يأتى به ، حتى ولو كان فيه ضياع الاخلاق وانحلال الذات ومحاربة اقتصاديات الوطن الاسلامى .. وهم لا يعبؤون بكل ذلك ، ظانين أن الامر بسيط لا خطر فيه (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) .

واسوق فيما يلى بعض الآيات والأحاديث فى النهى عن التشبه بالكفرة

والتحذير من تقاليدهم .

جاء فى القرآن العظيم :

* فاستقيما ـ الخطاب لموسى وهرون ـ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون .

* وقال موسى لأخيه هرون : اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين .

* ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم .

* .. ولا تتبع أهواءهم ـ أى أهواء الكفار ـ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك .

* ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ، مالك من الله من ولى ولا نصير .

* ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ، ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون .

أما الأحاديث فهى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

* لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب ؟ قال : فهل الناس الا هم ؟

* خالفوا اليهود فانهم لا يصلون فى نعالهم ولا فى خفافهم .

* اياكم ولبوس الرهبان ، فانه من تزيا بزيهم او تشبه فليس منى .

* .. ومن تشبه بقوم فهو منهم .

ومما ينبغى التنبه اليه بهذه المناسبة ان التهافت على تقاليد الغربيين او التشبه بهم فى عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم قد بلغ أشده فى زماننا ظنا منا بأن ذلك يلحقنا بركابهم ويجعلنا مثلهم ويجلب لنا احترامهم وهذا ظن خاطىء[1] ، فان تقليدهم والتشبه بهم فى هذه العادات والتقاليد لا يزيدهم الا احتقارا لنا ،

---

(١) قال الدكتور طه حسين فى كتابه مستقبل الثقافة فى مصر (ج ١ ص ٤٥) لا .. لكن السبيل الى ذلك ليست فى الكلام يرسل ارسالا ، ولا فى المظاهر الكاذبة والاوضاع الملفقة ، وانما هى واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ـ وهى واحدة فذة ليس لها تعدد وهى : ان نسير سير الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها (كذا) حلوها ومرها ، وما يحب منها ويكره ، وما يحمد منها وما يعاب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخادع ؟؟ ..

بسبب فقدان شخصيتنا وتلاشيها أمامهم ، شأننا شأن القردة التى تضحك منها الناس نتيجة تقليدها لهم ؟

وكذلك هذا التقليد ، وهذا التشبه لا يجعلاننا اقوياء ايضا ، لأن القوة بالعلم الصحيح ، والاستعداد المادى العظيم والصناعة المهنية والعسكرية ، وكل ذلك تراث انسانى مشترك من واجبنا اقتباسه والا كنا متأخرين وضعفاء فى الدنيا وآثمين عند الله يوم القيامة .

ولنعلم أن الغربيين لا يحترمون ولا يهابون الا القوى بصرف النظر عن عاداته وتقاليده .

ومما يؤسف له أن هذه الحضارة الغربية المادية التي بهرت أنظار الكثيرين وخدعت عقولهم ، حتى راحوا يطالبوننا فى الارتماء بين احضانها ، والأخذ بخيرها وشرها تحمل فى طياتها جراثيم الانهيار والسقوط كما تنبأ لها علماء الغرب أنفسهم بسبب انهماكها باللذات وانصرافها الى المادة ، وتخليها عن القضايا الدينية والقيم الروحية .

ولنستمع الآن الى شهادات الفلاسفة والمؤرخين المعاصرين فى هذه الحضارة التي زهدت الكثيرين من المسلمين المغفلين في اسلامهم نتيجة مختلف انواع الدعاية والاعلام حتى ظنوها المثل الاعلى الذى ليس بعده مطمع لطامع .

« جاء فى كتاب « فلسفة الحضارة » :

« .. الخاصة المروعة فى حضارتنا هى أن تقدمها المادى اكبر بكثير من تقدمها الروحي ، لقد اختل توازنها ، فالاكتشافات التى جعلت قوى الطبيعة تحت تصرفنا على نحو لم يسبق له مثيل ، قد احدثت ثورة فى العلاقات بين الافراد بعضهم مع بعض ، وبين الجماعات ، وكذلك بين الدول ، فاثرت معارفنا ، وازدادت قواتنا الى حد لم يكن فى وسع أحد أن يتخيله ، وبهذا أصبحت أحوال الناس المعيشية افضل من عدة نواح ، لكن حماستنا للتقدم والمعرفة واسباب القوة التى بلغناها ، تصور الحضارة تصورا ناقصا معيبا ، فاننا نغالى فى تقدير انجازاتنا المادية ولا نقدر اهمية العنصر الروحى فى الحياة حق قدره .

ولكن الحقائق بدأت تدعونا الى التفكير ، انها تقول بلسان حاد — ان الحضارة التى تنمو فيها النواحى المادية ، دون أن يواكب ذلك نمو متكافىء فى ميدان الروح ، هى اشبه ما تكون بسفينة اختلت قيادتها ، ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة التى ستقضى عليها » .

وقال « ارنولد توينبى » المؤرخ الحضارى المعاصر فى كتابيه : « الحضارة والغرب » و « الحضارة فى محنة » .

« ان الحضارة الغربية تمر الآن فى طور من التدهور والانحلال الذى مرت به الامبراطورية الرومانية من قبل ، من اجل ذلك كانت فنون الصناعة والاقتصاد وغيرهما من المعارف علوما غير كافية لتوفير اسباب الاستقرار والسعادة للمجتمع الانسانى ، وكانت الروابط الروحية والخلقية والفكرية هى العمد التى يقوم عليها صرح المجتمع ويتماسك بها بناؤه » .

وقد عبر العالم النفسانى « قلدوكال » عن ضـــلال الحضـــارة الحديثة وخلوها من الهدف بقوله :

« ان سيرنا أشبه بسير طائرة تقطع محيطا عظيما بسرعة فائقة ، ومع أن ملاحيها لا يعلمون أين هم ؟ ولا الى أين يتجهون ، فانهم يستمرون فى السير ، جادين فى استخدام آلاتهم ، ومؤملين ان ذلك سوف يؤدى بكيفية ما الى نتيجة ما(٢) » . وهيهات هيهات فان السقوط محتم .

ومع هذه الحقائق نرى اكثر زعماء العالم الاســـلامى وقادته ، لا يزالون يبذلون الجهود الجبارة والاموال الطائلة بقصد السير فى طريق الغرب مما كان له اعظم الاثر فى انحطاط المسلمين وشقائهم .

وكان الجدير بهؤلاء القادة والزعماء للعالم الاسلامى ، وهم حملة اعظم تراث اسلامى وذخر حضارى ، ونظام سماوى أن يقودوا قافلة البشرية الضالة نحو المدنية الصحيحة بدل أن يكونوا مقلدين لغيرهم من الســـائرين فى طريق الضلال والهلاك .

وما أروع ما قاله المستشرق لويس ماسينيون :

« .. ومن حق العرب علينا نحو ضـــيوفهم ، والوافدين عليهم من مثلى أنا والاستاذ فانتاجو ، أن نرفع الصوت عاليا طالبين اليهم المقاومة ، أن يقاتلوا هذه الدعاية المذلة التى تقترح عليهم التنازل عن شرفهم وتراثهم ، والاستسلام امام القوة الغربية ورؤوس الاموال المصرفية التى تطلب اليهم الانســـجام فى طريقة تفكيرهم وعملهم مع هذه الحضارة الكاذبة ، حضارة الانسان الآلى التى لم تعد تؤمن بنفسها أو بالذات الالهية ، وتصبو الى اخضاع العالم الى نظامية ثقافية أمريكية بلهاء . ان هذا الانتاج الصـــناعى المغشوش سيسقط سريعا وشيكا . ليصمد العرب فالعالم بحاجة اليهم(٣) » .

ويطيب لى بعد هذا ان اضع أمام القارىء بعض الحقائق التى يقررها هذا الرجل الذى أسلم وفقه الاسلام مع فقهه بالحياة ..

يقول الاستاذ محمد أسد(٤) :

ان السطحيين من الناس فقط ليستطيعون أن يعتقدوا أنه من المـــمكن تقليد مدنية ما فى مظاهرها الخـــارجية من غير ان يتأثروا فى الوقت نفسه بروحها ، ان المدنية ليست شكلا أجوف فقط ، ولـــكنها نشاط حى وفى اللحظة التى نبدأ فيها بتقبل شكلها ، تأخذ مجاريها الاساسية ومؤثراتها الفعالة تعمل فينا ، ثم تخلع على اتجاهنا العقلى كله شكلا معينا ، ولكن ببطء ، ومن غير ان نلحظ ذلك .

ولقد قدر الرسول ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ هذا الاختيار حق قدره حينما قال : « من تشبه بقوم فهو منهم » . وهذا الحديث المشهور ليس ايماءة

---

(٢) نقلا عن كتاب اتجاهات فى التربية الحديثة للاستاذ محمد فؤاد جلال (ص ٣٦) .

(٣) نقلا عن كتاب المعجزة العربية لماكس فانتاجو (ص ٥) .

(٤) فى كتابه الاسلام على مفترق الطرق ص ٨١ ـــ ٨٦ .

ادبية فحسب ، بل هو تعبير ايجابى يدل على أن لا مفر من أن يصطبغ المسلمون بالمدنية التى يقلدونها . .

ان الميل الى تقليد التمدين الاجنبى نتيجة الشعور بالنقص ـ هذا ، ولا شيء سواه ، ما يصاب به المسلمون الذين يقلدون المدنية الغربية . .

وكيما يستطيع المسلم احياء الاسلام يجب أن يعيش عالى الرأس ، يجب عليه أن يتحقق أنه متميز ، وانه مختلف عن سائر الناس ، وأن يكون عظيم الفخر لانه كذلك ، ويجب عليه أن يكد ليحتفظ بهذا الفارق على أنه صفة غالية ، وأن يعلن هذا الفارق على الناس بشجاعة بدلا من أن يعتذر عنه بينما هو يحاول أن يذوب فى مناطق ثقافية أخرى . على أن هذا لا يعنى أن المسلمين يجب أن يصموا آذانهم عن كل صوت يأتى من الخارج ، فان أحدنا يستطيع أن يتقبل مؤثرات ايجابية جديدة من مدنية أجنبية ما ، من غير أن يهدم مدنيته ضرورة ، والنهضة الاوروبية أحسن مثل فى هذا الباب ، فقد رأينا كيف أن أوربه تقبلت المؤثرات العربية فيما يتعلق بالعلم وأساليبه عن طيب خاطر ، ولكنها لم تقبل المظهر الخارجى ولا روح الثقافة العربية قط . . الخ .

ثم يقول : « وفى هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة والتيارات الثقافية المتعارضة لا يستطيع الاسلام أن يظل شكلا أجوف . لقد انقضى نومه السحرى الذى دام أجيالا ، فيجب أن ينهض أو يموت . ان المشكلة التى تواجه المسلمين اليوم هى مشكلة مسافر وصل الى مفترق الطرق ، انه يستطيع أن يظل واقفا مكانه ، ولكن معنى هذا أنه سيموت جوعا ، وهو يستطيع أن يختار الطريق التى تحمل فوقها هذا العنوان : « نحو المدنية الغربية » ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه الى الابد ، أو أنه يستطيع أن يختار الطريق التى كتب عليها « الى حقيقة الاسلام » ان هذه الطريق وحدها هى التى تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم ، وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حى .

أجل ينبغى ان يختار المسلمون من جديد الطريق التى كتب عليها « الى حقيقة الاسلام » . فليس طريق سواها تضمن لهم عزتهم ومجدهم ، وقد جربوه فى الماضى ، فوحد كلمتهم وجعلهم سادة الدنيا وأساتذة العالم ، وجربوا غيره فضلوا وشقوا وباءوا بالخزى والعار .





« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

هذه دعوة الى سبيل الله ، سداتها الرفق ، ولحمتها اللين ، نفتح بها نافذة على هذه السبيل بغية استشراق نسمة نقية من الفكر ، واستنشاق ندوة عطرية من الفهم ، نأخذ بها — أكثر مما اخذنا — جرعة أو جرعات من الصراحة الفائضة ، والمكاشفة الزائدة ، ونثبت بها اقدامنا على الطريق ، بعد ان نتأكد من وضوح هذا الطريق ، وخلوه من العثرات والعقبات ، حين نطلب ان تكون المسيرة على هدى واضح ، وسنن ثابت .

ولسنا نريد فى هذه الدعوة اللينة الرفيقة الى هدم بناء تطاول عليه القدم ، بقدر ما نتطلع الى المعاونة فى رفع الحجب عن صرحنا الشامخ الثابت ، بما

بقلم الدكتور : محمد محمود الدش

وزارة التربية ــ الكويت

يساعد على توضيح الرؤية ، ويجعل وضوحها بعيد المدى على الطريق الذى يمتد أمامنا عبر المستقبل القريب أو البعيد ، ذلك اذا أردنا تعميقا لحياتنا ، وتنسيقا لخطواتنا ، وتقويما لأهدافنا ، وتوكيدا لقيمنا .

ابتداء من هذه النقطة ، وانطلاقا من الايمان بالانسان وبالانسانية وما تعانيه من آلام وجراح ، واعتقادا فى المضمون الدينى الذى يشتاق اليه فراغ المادة فى البشر ، ليملأه بما يرفع قيمة الفرد فى المجتمع ، ويرفع قدره فى نفسه ، ويمنحه ثقة وايمانا بالعمل وجدواه . .

وحفاظا على المجموعة البشرية ، والحضارة الانسانية ، من أن ترتاد مهلكا ان هى تنكبت طريق الاعتقاد السليم ، والخلق القويم ، وانساقت وراء البدع السادرة ، أو انجرفت فى تيار الانحرافات الهادرة . .

ودفعا للعربى المؤمن فى الدرب الممهد المطمئن ، الذى يؤدى الى الاقتباس من النور المستبشر الرائق ، فيمنح القوة والعزم ، على رفع المشعل عاليا ، فى خدمة البشرية ، ومنحها الطمأنينة والسلام والأمن والتقدم . وايمانا قويــا راسخا ، لا يتقلقل ولا يتزحزح ، بدور العربى المؤمن المثقف فى تجنيب البشريه الويلات والشرور ووضعها على أول السمت المضىء ودفعها فيه . .

نرى ان المنطلق الحقيقى لمعالجة قضيتنا يبدأ مع الشرارة الأولى فى تربية الانسان وتعليمه ، وبذلك نلقى بثقل القضية كلها ، وما تتضمنه من مشكلات كبيرة ، وتبعات خطيرة على كاهل التربية ورجالها ، لأنهم فى هذا المجال مناط الأمل ، ومعقد الرجاء فى حل مشكلات القضية ، وتقدير مسئوليتها البعيدة ، وطالما لمع الأمل وبرق الرجاء .

كما نرى أن توضع هذه الغاية الكبرى ، وأن يتجسد هذا الهدف الأسمى ، أمام عينى المربى ، وفوق قمة آماله ، حتى تكون دائما ماثلة أمامه ، وليجعل من توخيها والمحافظة عليها ، العطاء الذى يستطيع أن يمنحه ولده وأخاه ، أعنى تلميذه ، والمنهل الذى يرده ليشرق به بعد رى على الأمانة المودعة فى عنقه ، والأمل الذى تتطلع من خلاله البشرية اليه .

واول ما ينبغى أن نضعه أمام عينيه ، هذه الحقيقة الكبرى التى تصيح فى أعماق الانسان ، كل انسان ، صباح مساء ، بل هى تصرخ فى داخله ولكنه لا يسمعها الا اذا أراد ، ولو شاء لسمع هذه الصرخة أو ذاك النداء فى كل لحظة تمر به فى يقظته وصحوه . تلك الحقيقة نعنى بها تلازم الشقين الأســـاسيين للحياة وتكاملهما من أجل هذه الحياة . وهل تقوم الحياة الا على أساس من تلاحم الروح والمادة وتكاملهما ؟

وعلى أساس من الواقع وأرضه الصلبة ، وفوق قمته الواعية نسجل ان النهضة الحضارية الحقيقية لا تبتنى — فى غير شك أو مراء — الا على تقوية هذين العنصرين وتنميتهما ، وان المجتمع الحضارى الصحيح لا يقوم ولا يقف على قدميه الا اعتمادا على هاتين القوتين ، والحضارة التى لا تقوم عليهما معا تكون حضارة عرجاء شوهاء . .

وما استقامت حركة ولا حياة على عجز ، وما اكتملت نهضة ولا وثبـة بنقص ، ولا يرجى بحال أن تصح لنا مادة بلا روح .

ان نظرة سريعة الى تاريخ الحضارة الانسانية ، وحركته بين شعوب الأرض المختلفة ، فى مصر والعراق والهند والصين وفى أثينا وروما ، وعند العرب والغربيين — لترينا فى وضوح لا يقبل المراء : أى هذه الحضارات اســـــتطاع أن يبقى وأن يطاول الزمن ، كما تنبئنا أيها كان اقدر على الثبات والنضج والتطور فى مقبل الأيام .

ولسنا نقف موقفا متحيزا ولا متعصبا اذا قلنا ان الحضارة العربية هى الحضارة الفذة التى استطاعت أن تتمثل كل الحضارات السابقة عليها ، وأن تهضمها هضما قويا بما فيها من أفكار وفلسفات وعلوم وفنون ، ثم تخرجهـــا الى البشرية عنصرا قويا باهرا له صفاته الخاصة ، وملامحه العربية المتميزة ، ولونه الاسلامى القاهر . وأن كثيرا من علماء الغرب الذين يتخذون المنهج العلمى الصحيح سبيلهم ليؤكدون فى غير تحرج أو مواربة : أنه لولا الفكر العربى والعلم العربى — بما حفظه من آثار الحضارات القديمة ، وبما قدمه من أفكار ومعطيات علمية جديدة — ما قامت فى الغرب هذه النهضة الحديثة التى استطاعت من خلالها الدول الغربية أن تحرز هذا التفوق الكبير على غيرها من أمم الأرض بالاستعمار تارة ، وبالتقدم الصناعى والتكنية تارة أخرى .

لقد ظلت الحضارة العربية تعطى البشرية من انتاجها علوما وآدابـــا وفلسفات طوال قرون عشرة ، أو نحو ذلك . أعطت فيها نماذج قوية من الفكر الخالد ، والقيم العالية ، والعلم التجريبى الناضج ، والأدب الحى الرفيع . . فماذا أعطت حضارة الغربيين لهذه البشريـــة منذ أخذوا علوم العرب ومناهجهم وآثارهم ، وبدأوا يستيقظون بعد سبات طويل عميق ؟؟

والاجابة على هذا التساؤل قريبة جدا ، ماثلة للعيان حين نتلفت من حولنا فى هذا العالم ، لنجد المادية المغرقة قد سيطرت على كل شىء فى حياتنا ، وأن الآلية والمكانيكية هى الهدف الوحيد الذى تتجه اليه هذه الحضارة العارمة الكاسحة ، بما تحمله فى ثناياهـــا من أجهزة التدمير ، وأدوات الفتك وآلات التمزيق ، وعدد التخريب والتشريد .

ونحن لا نضيف جديدا اذا ذكرنا أن كل ما أحرزته هذه الحضارة من تقدم ليس الا من خلال الحروب المدمرة سواء أكان من نتائجها ، أم كان من أجل التهيؤ لها ، ومواصلة اشعال نيرانها .

لقد استطاعت الحضارة الغربية حقا أن تؤدى خدمات للانسان بما هو مادة فحسب ، وذلك حين أراحت جسمه وبدنه وحين يسرت له الحياة المادية

فى البيت والطريق والمعمل ، ولكن أية آلام استطاعت أن تنزلها بنفسه وروحه وأعصابه ووجدانه ، وبما انعكس من هذه الآلام جميعا على قلبه ودماغه ، وباقى اجهزته ، ومقومات صحته وعمره ؟ لقد حطمته معنويا ، ودمرته كذلك جسديا ، ثم أخذت تفكر فى علاج أعضائه ، ورم جسده عن طريق الطب والدواء والجراحات تارة ، وعن طريق العلاجات النفسية والعقلية والعصبية تارة أخرى .

ولكن هل استطاعت هذه الحضارة ، رغم هذا ، أن تشفى آلامه وتضمد جراحه ؟ ان الاجابة تكمن فى هذه العيادات النفسية والمستشفيات العصبية ، والمصحات العقلية التى تملأ مدن الغرب ، واخذت تزحف على مدن الشرق ، مع انتقال أسباب هذه الحضارة المادية الينا ، وانها لتكمن أيضا فى جيوب الناس وحقائبهم وخزاناتهم ، اقراصا للتهدئة ، وجرعات للغيبوبة ، وعقارات للتنويم ، وسموما للتخدير ، وأشربة للسكر ، كل ذلك من أجل هدف واحد هو الانفصال عن واقع الحياة المادية المؤلم ، والغياب عن مسئوليات الانسان عنها ، والابتعاد عن القيام بدوره الطبيعى فيها ، مفكرا واعيا يقظا ، والهروب من هذه المادية المسرفة التى لا يحتمل واقعها ، ولا يطاق فراغها من القيم ، وخواؤها من المضمون العقدى الصحيح .

هذا هو كل ما قدمته حضارة الغربيين الى البشرية وآلامها البدنية والجسدية .. ولقد قدمت فوق هذا كله شيئا آخر من الناحية العقلية والفكرية ، يتجلى فى هذه المذاهب ، والأفكار ، والآراء السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل الفنية أيضا . ونذكر أشهرها على سبيل المثال لا الحصر ؟ الشيوعية المارقة ، والراسمالية الاحتكارية المستغلة ، والميكافيلية ، والنازية ، والصهيونية ، والفاشستية ، والوجودية المنحرفة ، والسيريالية ، واللامعقولية ، وغيرها مما بلبل الأفكار ، وحير الألباب ، واضل العقول ، وخرب الوجدانات والقلوب ، وأدخل الناس فى متاهات لا نهاية لها من الحيرة والقلق والشك والارتياب ، وانزلهم فى منازل من الصراعات النفسية والعقلية لا آخر لها ولا منجاة منها ولا خلاص فيهـا .

دعك من حديثهم عن العدالة الاجتماعية ، وعن الحرية الفكرية ، وعن الديمقراطية السياسية ، فواقع الحال ينبيك بما يجرى بينهم بعكسها وما يطبق فى الحقيقة المؤلمة بضدها ، وأخبارهم تترى كل يوم بحكم الطبقات واستغلال النفوذ ، وسيطرة الأموال ، وتزييف الانتخابات ، واشتراء الأصوات ، وتسلطهم على الحكم عصابات عصابات ، وتحكمهم فى الدول النامية تحكما يباعد بينها وبين النمو ، ويبدد كل أمل لها فيه ، واستنزافهم لثروات الشعوب البائسة الفقيرة ، لتزداد بؤسا وفقرا ، ويضاعفوا هم ترفهم المادى ، وانحلالهم الخلقى ، ثم اثارتهم الحروب المهلكة المدمرة فى كل بقعة من أنحاء العالم المعذب المسكين .. من أجل اغتصاب حرية مطلوبة ، وتجريب أسلحة جديدة وتجارة رابحة فى هذه الأسلحة ، وابادة شعوب وأجناس تناوئهم وتطالب بالتحرر من استغلالهم واستعبادهم .

ان كثيرا من المفكرين والفلاسفة والمؤرخين لا يشكون قيد انملة فى أن حضارة هذه وسائلها وأساليبها ، وتلك اهدافها وغاياتها ، عمرها قصير فى الوجود . ذلك لأنها خلت من المضمون الفكرى السليم الذى يغذيها ، وانفصلت

عن أية قيمة انسانية شريفة تصقلها أو تنميها .

فقد وجهت الحضارة الغربية اهتمامها الى خدمة الفـــرد باعتباره جسدا ومادة ، وبعد أن ميزت أفرادا على أفراد ، وفريقا على فريق ، تمييزا عنصريا واضحا ، وتركت هذا الجسد او هذه المادة خلوا من الشق الانسانى الأهم وهو الروح . واذا كانت راحة الجسد وخدمتـــه تتم عن طريـــق الآلات والأجهزة والأدوات ، فان راحة الروح وخدمتها لا تتم الا بغذاء من الأفكار السامية النظيفة ، والقيم الغالية الشريفة ، والعواطف المصقولة العفيفة ، التى توجه الفرد الى خدمة البشرية ، فى حرية صحيحة ، وفهم رفيع ، ونضج عال ، ووعى صادق ، من أجل حضارة انسانية حقيقية .

وليس من شك فى أن الشق المادى فى الانسان لا يستطيع أن يبقى خاليا خاويا من مضمون يملؤه واعتقاد ينسكب فيه ، أى أنه فى حالة اشتياق دائم الى الشق المعنوى الآخر الذى يكمله ، ويتمم الحياة الصالحة والسلوك القويم . ونحن نلاحظ فى تاريخ البشرية أن المجتمعات الحضارية كانت تنمو وتزدهر وتنمو نحو القوة والبناء والرخاء حين كان يقوى هذا المضمون — على درجات والوان — فى فكرها وضميرها .

ولعلنا لا نبعد كثيرا اذا قلنا ان رواد الفكر والعقيدة كان همهم الأكبـــر وشغلهم الشاغل أن يملأوا ذلك الفراغ فى الانسان بمضمون معنوى تطيب به الحياة ، وتسير على نهج سليم كريم . وكان ذلك من أقدم عصور الحضارة .

وهنا نستطيع أن نلقى نظرة سريعة الى الشعب العربى أيضـــا ، وكيف استطاع بهذه الدفعة القوية من الفكر الاسلامى ان يجتمع بعد فرقة ، وأن يقوى بعد ضعف ، وأن يعز بعد ذلة ، وأن يلمع فى أفق الحضارات بعد خبو ، وأن ينهض نهضة كبرى بعد خمول وضياع ، وأن يحدث أثرا ودويا فى التاريخ بعد أن كان نسيا منسيا فيه ، فأعطى نفسه قيمة انسانية عظيمة ، وأعطى غيره من الشعوب ، حين استطاع أن يستمسك بهذه المجموعة الرائعة الفريدة من المضمون المعنوى الثمين والفكر الخالد ، والتنظيم الفذ ، والمنهج الصحيح ، والســـلوك القويم فكانت الحضارة العربية حضارة انسانية على اتساع معانى هذه الكلمة ، حين اعتمدت على الأساسين الرئيسيين فى خدمة الانسان ، اذ غذت روحه وفكره ووجدانه ، وصقلت مادته ، وعمرت جسده وبدنه ، أى حين اعتمدت فى حضارتها على توجيه الانسان واغنائه مادة ومعنى .

ومن هنا نبدأ الأساس الأول لما نرتضيه من منهج التربية الروحية ، يعتمد من قاعدته الأساسية على فهم واضح ، ووعى صادق ، واحاطة ناضجة ، بأمور عامة كيف تسير ، وأمور خاصة كيف تدور ، ليس بما عندنا فحسب ، فذلك تعصب وغرور ، وانما بما عند الآخرين مما صدق فيه الحس وسلم فيه الفكر ، ونضج به الوجدان . وهو أمر يحتاج الى تفصيل .

واذا كان فلاسفة الغرب وأساتذة التربية وعلماء الأخلاق فيه ، يجدون اليوم فى سبيل ملء الشكل المادى فى الانسان بمضمون اعتقادى أخلاقى يبحثون عنه وينقبون ، ويريدون أن يشكلوه أو يؤلفوه ، ويصنفوه ، وتنشط مدارس مختلفة منهم بالدعوة الى فلسفة انسانية شاملة ، تقوم على الحرية والمحبة والسلام ،

وتمضى مدارس علم الأخلاق فى دراسات موضوعية من أجل تقويم هذا العلم وظواهره واصوله ، لتتخذ من نتائج هذه الدراسات ركائز للدعوة الى بناء المجتمع الانسانى الأفضل وتكوينه ، كما تنهج مدارس التربية الحديثة هذا النهج الذى يضع القيم الخلقية نصب عينيها هدفا وملاذا مما تعانيه البشرية اليوم باسم « الحرية » من فوضى فكرية ، وانحلال خلقى ، ومادية معاشية .

أقول اذا كانت هذه الدعوة الى القيم العليا تنشط هناك ، وتلمع من خلالها فى أيامنا أسماء برتراند راسل ، وجون ديوى ، وهنرى لنك ، والفرد نورث ، واميل دركايم ، وهنرى برجسون ، واندرى لالند ، وكيركجارد وأضرابهم . فأحرى بنا ، — والمضمون لدينا لا يحتاج الى توليف أو تصنيف — أن تنشط مدارسنا ، التى لمعت فى سماء تاريخها أسماء لأساتذة هؤلاء جميعا من أمثال الفارابى وابن سينا وابن رشد وابن حزم وابن باجة وابن الطفيل والغزالى وابن الفارض وابن خلدون وغيرهم .. وغيرهم — ولا تزال القافلة تسير ويتسلم المشاعل لاحق من سابق ، حتى تشرق مع بداية الحركة الجديدة فى الاصلاح والتهذيب على يد رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى وغيرهم ..

واذا كانت الفلسفة التربوية الحديثة فى غاية تطوراتها وأحدث أساليبها توجه كل جهودها الى الجانب العملى للنشاط الانسانى ، فان أساتذة هذا الجانب المخلصين له المجتهدين فيه ، بسيرتهم النموذجية ، وقدوتهم الرفيعة ، وسلوكهم الكريم ، وشخصيتم المتكاملة ، هم الذين قادوا هذا الجانب التربوى العملى المثالى فى البشرية ، على يد معلمهم العظيم الأمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

واذا كانت التربية كما يقول عالمها الكبير جون ديوى أن يصبح الفرد وريثا للحضارة الانسانية فليدلنى واحد من الباحثين على حضارة انسانية أرقى من الحضارة العربية ، وأعنى بالقيم المثالية القوية ، والنماذج السلوكية الفردية والاجتماعية من هذه الحضارة التى تنخلت ونقحت ثم تمثلت كل ما سبقها من حضارات ، وأصبحت بعد ذلك (أستاذا) لما يدعى بعدها بالحضارة الحديثة .

اننا نحب أن تبدأ التربية مشرقة من فكر فتاها وفارسها فى الميدان ، ومن وجدان ذلك المربى الجندى الذى يضع اللبنة الأولى فى بناء أمتنا حين يقف أمام أبنائنا ، وفلذات أكبادنا ، الذين يملأون جنبات المدارس طهرا وبراءة وبساطة وقدسية ، يقف أمامهم وقد ملأت نفسه الثقة والطمأنينة ، انموذجا فى القول وقدوة فى السلوك والعمل ، ومثالا فى الشجاعة والأخلاق ، وينبوعا للقيم الانسانية والتراث الحضارى ، يفيض على هذه العقول الصغيرة الحبيبة ، عينا ثرة من الفكر السليم ، والخلق المستقيم ، تنهل منها الوجدانات البضة وترتوى وهكذا نقف عند أول خطوة على الطريق ، ولها من بعدها بطبيعة الحال خطوات ، وحسبنا هنا أن ندل على استهلال السبيل .





خير البرية فى الخلائق احمد ... صلى عليه الله ، فهو محمد

من عهد ابراهيم ، وهو رسالة ... فى الغيب، يحفظها الزمان الأسعد

بشرى المسيح غدا بها فى قومه ... ومضى بآيات الهدى يتزود

عبر القرون بهن احمد ، واستوى ... فينا ، وفى يده اللواء الأمجد

هذا النبى هو الذؤابة من بنى ... عدنان ، وهو على العروبة فرقد

نعم البشير، وقد أفاض على الورى ... نورا سناه على الصباح مورد

جاء النبى مزودا بذخيرة ... ومضى بها يهدى القلوب ويرشد

ويعد للناس الحياة كريمة ... ويقيم أركان العلا ، ويشيد

وكتابه بيمينه يهدى به ... للرشد ، والله العلى مؤيد

كانت حقيقة دينه فى هديه ... للناس ، ان الله رب ، أوحد

شمس الهداية ، قد غدوت برحمة ... للخلق ، والأيام عيش انكد

كانت قريش تهيم بين جهالة ... جهلاء ، تجثو للضلال ، وتسجد

وتخر للصنم الأصم جبينها ... يا سوء ما اعتصموا به وتزودوا

للأستاذ : محمد هارون الحلو

سلبوا الخلال كريمة واضـــلهم ابليس ، وهو على الغواية مفسد
فسطعت فى حلك الظلام واشرقت بك فى الوجود حقيقة ، لا تجحد
وغـــدوت فيهـــم منذرا ، ومبشر تهدى الى الحسنى ، ودينك ارشد
فى يثرب انبثق الضـــياء ، وهللت بالفرحة الكبرى قلوب تنشـــد
وافاهم الأمـــل الســـنى فعانقوه وآثروه ، وهـــم له نعم اليـــد
لله ما قاموا به نصرة المختـــار ، والمختـــار فيهم ســـيد
قد ملكوه رقابهم ، ومضـــوا على حـــكم النبى ، فآزروه ، وأيـــدوا
وهـــو الحفى ببرهـــم ، وبودهم وهو الـــكريم بمـــا به يتودد
دين الســـلام اقام منه منـــارة للحق تهدى للحجى ، وتســـدد
وبنى اساس العدل ، وهو كرامة فى ظله العـــيش الهنىء الأرغـــد
طوبى لنـــا هـــذا اللـــواء يؤمنا وعليه نمضى للعلا ، ونشـــيد
صلى عليك الله يا شمس الهدى ما رف فى افق الصـــباح مغرد



أرى القـــوم فى قلـــق يسالـــون   أحقـــا غزا الكافرون القمـــــر !؟
ويمضــــــــون فى جــــدل لا يمت الى العـــــلم فى نسب او اثر
فهـــذا يصيح ، دعـــوا الكاذبين   وما لفقوا مـــن غريب الخبـــــر
ولا تتعـــــدوا مفاهيمنـــــــــا   ففيهـــا الهدى والسداد استقـــر
وذاك يؤكـــــد نفى الكتـــــاب   لـــكل اتصـــال بدنيـــا الــــدرر
ألم يقـــل الله ((لا تنفـــــذون))   فليس اذن نحوها من ممـــــــر !
ومن قـــال او صدق القائليـــــن   بغير الذى قد قضـــينا كفـــــر !
.. ويسكت أهل الحجى مطرقيـــن   ولا عى فى القوم لولا الحـــــذر
همو يعلمون بان الفريقيــــــــن   لم يحسنوا فى السماء النظـــــر
فظنوا الوقائع خصم الكتـــــاب   وقالوا : بتكفيبهـــا قد امـــــر !
ومن ظن بين الحجى والكتـــــاب   خلافا غلا فى ركـــوب الغـــــرر
وكيف ... ولا مطمع بالهــــدى   اذا لـــم يـــكونا معـــا للبشـــــر

× × × ×

ليفن أولئـــك أعمـــارهـــــــم   وراء الهوى وعقيـــم الفكــــــر
وينكـــــر مكابرهـــم ما يشـــــاء   من العلـــم والبينـــــات الأخـــر

بقلم : الشاعر المجهول

ولا يسمحوا للغـــواة الكبـــار ... بأن يطمحوا الأمـــانى الكبـــر !

ولا يقبلـــوا أبـــدا أن يكـــون ... أميـــر الضيـــاء كبعض الأكـــر

ولا يأذنـــوا لامـــرىء أن يفكـــر ... فى مـــا وراء حـــدود البصر

فليس للفـــوهم أن يشـــل ... قوى العلم مهمـــا علا واستحـــر

ومن قبـــل دمر هـــذا المـــراء ... صياصى عـــز لنـــا قـــد غبـــر

فســـاد البغاة ، وطار الطغـــاة ... ولما نـــزل فى زوايـــا الحفـــر

ونحتج بالوحى ، وهـــو الـــذى ... حبانـــا قيـــاد النهى والبشـــر

فكنـــا به نور هـــذا الوجـــود ... وسر القضـــاء ، ومعنى القـــدر

ولـــو نحن فئنـــا الى ظلـــه ... لذلت لنـــا نيـــرات المجـــر

ولكننا قـــد مســـخنا الحيـــاة ... ونزعم علـــم الكتـــاب الأغـــر !

ولا نســـتحى مـــن جهـــالاتنـــا ... ولو كـــن فى غيرنـــا لانتحـــر !

فخلـــوا بربكـــم العامليـــن ... يرودوا ويستكشفـــوا ما اســـتتر

ولا تشغلونـــا بأمـــر الأعـــالى ... ونحـــن نكبكـــب فى المنحـــدر

فـــان لنـــا مـــن رزياتنـــا ... صوارف عـــن كل كـــر وفـــر

وأمثالنا مـــن كســـالى الأنـــا ... م لا يصلحـــون لنفـــع وضـــر

وماذا يضـــير غـــزاة النجـــوم ... اذا لم نهبهم جواز الســـفر ؟!

المؤتمرات ولا تدعو الى الاجتماعات فى أوقات الصلاة أو الصيام أو الحج .

أريد من الهيئات العربية والنقــابات والجماعات أن يوفقوا بين التوقيت والمواقيت .

أريد من العرب أفرادا أن يلتزموا بالمواقيت ، فلا يفوتوا على احد صومه أو حجه أو صلاته .

ان العرب بالاسلام كل شىء .. والعرب بدون اسلام لا شىء ..

وأريد من المسلمين أن يلتزموا بالمواقيت أيضا ، وأن يهتموا بأمرها اهتماما بالغا .

ان كل مسلم لا يلتزم بتعاليم دينه ولا يهتم باقامة شعائر الله ليس مسلما على الاطلاق .

والذى يتسبب فى صرف مسلم عن شعائر دينه بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة آثم يتحمل أوزارا على أوزاره ، ما فى ذلك ادنى شك .

وأريد من كل مسلم ملتزم بأداء تعاليم دينه ، أن يعطى درســـا للذين لا يلتزمون بتعاليم دينهم ، وذلك بفرض ارادته ــ وهو على حق صريح ــ على الذين يخالفون أوامر الله الصريحة بعدم التزامهم بالمواقيت .
يخالفون أوامر الله الصريحة بعدم التزامهم بالمواقيت .

أريد من كل مسلم حقا ، أن يأمر بالالتزام بالمواقيت ، ويناهض قولا وعملا كل من لا يلتزم بها .

وأريد من كل مسلم حقا ، أن يتخلف عن كل موعد يتناقض مع المواقيت ..
فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب أقفالها ؟!

« الوعى الاسلامى » تضم صوتها الى هذه الصرخة المخلصة الصـــادرة من قلب رجل مؤمن غيور على دينه بقدر ما هو غيور على اخوانه وبلاده .. وأود الا يأخذ القارىء مسألة الحرص على اداء الصلاة فى وقتها وعلى أن نحدد أوقات ندواتنا ومؤتمراتنا بحيث لا تتعارض مع الاوقات التى تؤدى فيها الصلاة على أنها مسألة هينة ، لانها فى حد ذاتها تعتبر دليلا أى دليل على مقدار حرص المرء على دينه كله ، وتعاليمه كلها ، وتعتبر مقياسا للغيرة الدينية بقدر المستطاع كما أنها تعد مثلا أو درسا ولفت نظر لأهمية التمسك بتعاليم الدين .

ولقد وصلنا الى حالة ــ مع الاسف ــ يعتبر فيها المتمسك بهذه الناحية متنطعا أو متظاهرا بالتقوى . حتى لينظر الكثيرون نظرة استغراب للذى يحرص على أداء الصلاة فى وقتها أثناء حفلة أو نزهة أو سفر .

ولقد اعجبت كثيرا برئيس دولة كان يزور مصر ــ فحرص على أن يضـــع فى برنامج زياراته الذهاب للكنيسة يوم الاحد .. واذا كان كثيرون من الرؤساء المسلمين يعملون هذا أيضا وهو شىء محمود فاننا نرجو أن يكون ذلك دائما ، وأن يكون الرؤساء والرسميون أكثر الناس حرصا على مثل هذه المواقيت حتى يعطوا غيرهم دروسا نافعة بذلك . والناس على دين ملوكهم .



يكتبها : عبد المنعم النمر

فقدان الشخصية هو السر :

كتب الى احد القراء يقول : كلما جاء فصل الصيف بدأنا نحن الشباب نعانى معركة نفسية امام الاغراءات التى تصدر عن المراة بعرضها لمفاتن جسمها .. وحقا نحن الشباب نجد فى ذلك لذة اذ نرى من جسم المراة ما لم يكن آباؤنا فى شبابهم يرونه ، ولكن ما اشد ما نعانيه بعد ذلك وما اكثر ما يدفعنا الى اشياء نندم عليها اشد الندم بعد ذلك .. الا تكتبون وتعملون على حمايتنا من هذه الفتن .. ومن تضييع أوقاتنا .. الخ ..

وانا اقول للشاب الذى لا يزال عنده تماسك الايمان امام هذه الاغراءات ، والذى يطلب حمايته وحماية امثاله .. انك وأمثالك حقا فى حاجة الى حماية .. فان من العسير على الشباب — والشباب جنون كما يقولون — ان يتماسك امام هذه المفاتن التى تعرض نفسها الى حد الابتذال .. وعدم المبالاة .. اللهم الا شاب وهبه الله من قوة الايمان ما يصد به هذا التيار ، وليس من المفروض أن يكون الشباب كلهم على هذا النحو من قوة الايمان .. فلا بد اذن من حمايته والحيلولة بينه وبين الاثارة والتهيج ..

ولكن من الذى يقع عليه أولا عبء هذه الحماية ؟

انه الوالد .. الأخ .. الزوج .. الأسرة كلها .. الرجال فيها والنساء .. لا بد أن يفهموا أن شيوع مثل هذه الأزياء التى تعرض المفاتن الحية للمراة خطر على شباب الأسرة ايضا فكما ينظر الشباب اليهم وتثور غرائزه ، فان شباب الأسرة كذلك ينظر الى غيرهن وتثور غرائزه .

وهذا وذاك له نتائجه الوخيمة ..

ومن غير المعقول يا رجل الأسرة .. أن تصحب معك أختك ، أو زوجتك ، او ابنتك فى الطريق أو فى حفل بعد أن أتقنت اظهار مفاتن جسمها ثم تتركها العيون .

ولست ادرى هل حب الظهور او حب التقليد قد بلغا بنا الى حد ان أمات فى الرجل الشرقى المسلم غيرته ، وافقد المراة الشرقية المسلمة حياءها ..

هل يظن الزوج مثلا ان يصحب زوجته وهى عارية الزنود والصدر وجزء من الأفخاذ فيرى منها الناس ما جعله الله خاصا به ثم يدعى بعد ذلك انه زوج غيور ؟!!

الواقع اننا محتاجون الى تجديد روح الغيرة فى نفوسنا نحن المسلمين بعد أن اضعفها حب التقليد والتظاهر الكاذب وادعاء أن هذه مدنية .. ويعلم الله أن الذين نقلدهم قد ضاقوا ذرعا بما عندهم ، وأن العقلاء والعاقلات فيهم طالما نبهوا الى خطورة ما يجرى لديهم ، ووضعوا أمام العقول والأنظار احصائيات مفجعة لما جرت اليه حالة الاستهتار فى الملابس وفى السلوك .. وكثيرا ما تنشر الصحف والمجلات عندنا مثل هذه التنبيهات والاحصائيات ، ولكننا مع ذلك نجرى وراءهم ونحن معصوبو العيون فاقدو العقول والتوازن ..

ولو كان للمراة المسلمة الشرقية شىء من قوة الشخصية لابت عليها شخصيتها أن تقلد تقليدا اعمى غير مبالية بآداب دينها ولا بتقاليد مجتمعها ..

ومما يؤسف له أن نرى صحفنا ومجلاتنا والنسائية منها بوجه خاص تساهم مساهمة فعالة ، أو تقوم بالدور الأول فى الاغراء بالتقليد ، وتحريض المراة الشرقية المسلمة على اهدار شخصيتها فى الوقت الذى تدعى فيه انها تعمل على تثقيف المراة والنهوض بها ، ولو كانت هذه المجلات او بالأصح لو كان القائمون عليها صادقين فى النهوض بالمراة الشرقية ، والمحافظة على شخصيتها ، لما سارعوا بعرض صور الأزياء والتفصيلات فى كل موسم ، منقولة طبق الأصل عن مجلات غربية ، مع التحريض القوى على أن تحذو المراة الشرقية حذوها فى لباسها .. وأنا اكتب الآن وأمامى مجلة نسائية على غلافها الاول صور لفتيات يلبسن ملابس تعلو الركبة أكثر مما تراه الآن كأنها تخطو خطوة جديدة الى الأمام أو الى .. فوق .!!

وجمعياتنا النسائية على تعددها فى كل بلد مسلم لم نسمع لها حتى الآن صوتا يشجب مثل هذه الملابس ويدعو المراة الشرقية للاحتفاظ بشخصيتها . وكان الأجدر بها أن تعتنى بهذه الناحية ان لم يكن من ناحية الغيرة الدينية فمن ناحية الحفاظ على شخصيتها .. والحفاظ على روحها من التقليد ، والانمياع فى شخصية غيرها ..

حينما كنت بالهند قرأت نداء من احدى الجمعيات النسائية الكبيرة موجها للحكومة كى تمنع أصحاب المحلات من عرض ملابس المراة الداخلية فى واجهات محلاتهم .. لأن هذا غير لائق وفيه خدش للحياء .. والمراة الهندية فى عمومها متمسكة بزيها القومى الذى نشاهده عليها فى بلادنا .. ومع ذلك لم يستطع احد من أبواق التجديد الكاذب أن يتهم المراة الهندية بالتأخر . وهذه رئيسة وزراء الهند امراة لها مكانتها وتقود نحو خمسمائة مليون نسمة وتدير أمورهم .. وما رأيناها تلبس (المينى جوب) ولا شيئا من الملابس الغربية ..

فالعلة عندنا هى فى عقولنا ، فى نفوسنا ، فى فقداننا لشخصيتنا نساء

ورجالا . .

ومع ذلك فاننى لا اعفى المسئولين عنا وعن تدبير امورنا من المسئولية ، فهؤلاء يستطيعون بتوجيهاتهم وتصريحاتهم — وهى كثير — أن يوجهوا أممهم للصواب . وأن يحولوا بينها وبين هذا الانهيار النفسى ، كما يستطيعون أن يلوحوا بالشدة ، بل يفعلوها اذا لزم الأمر ، لأن مثل هذا التبذل ، وعرض المفاتن ، ضرر على الأخلاق ، وعلى الأمن ، وعلى المجتمع من جميع نواحيه . . وهى مسئولية عن هذا كله . . واذا كنا قد أوجدنا فى القانون مادة تعاقب الشاب الذى يتعرض للفتاة أو المراة بكلمة تخدش حياءها ، فلا أقل من أن نكون عادلين ونسوى بين الشاب والفتاة . . فنعاقبها ايضا اذا خرجت للطريق العام ، وهى عارضة لمفاتنها المثيرة ، لأن فى ذلك خدشا لحياء الشباب ، واعتداء على عفافهم . .

اننا تعبنا أيها الشاب من الكتابة ومن الخطابة ومن القاء الدروس والمواعظ . . والتيار قوى والناس تسير مع التيار ولا تلتفت كثيرا للكلام . . ولم يبق الا زجر رادع ممن بيدهم الزجر والردع .

مسجد وخمارة !!

ومع هذه الرسالة السابقة جائتنى رسالة من القارىء « أحمد » فندق كارلتون بالكويت « يبثنا اله مما يراه . . ويهيب بنا أن « نقنع المسئولين فى الوزارات بمنع الصحف والمجلات الخلاعية عربية وافرنجية من دخول الكويت فقد بلغت الجراة ببائعى الصحف الى حد أنهم يقفون على أبواب المساجد يعرضون هذه المجلات الخليعة على المصلين حين خروجهم من المسجد » .

وانا اعتقد ان الأخ (أحمد) ليس هو وحده صاحب هذا الراى أو هذه الغيرة الدينية فالناس جميعا معه يتألمون من ظاهرة انتشار المجلات الخليعة وصورها الغلافية الماجنة المثيرة . . وليس الأمر قاصرا على ما هنا . . بل ذلك أمر عام فى جميع البلاد الاسلامية . . اذهب الى أى بلد اسلامى تر هذه المجلات تأخذ مجالها ، بل ان البائعين وأصحاب المكتبات يعنون بعرضها فى مكان بارز بينما يكادون يخفون (الوعى الاسلامى) وغيرها من المجلات الهادفة البناءة عن العيون .

هذه المجلات الخليعة تجد الطريق أمامها مفروشا بالورود والبسمات . أما (الوعى الاسلامى) وغيرها من المجلات الهادفة البناءة فالأشواك دائما فى طريقها !!

ومع هذا فان القارىء مسئول مسئولية كبيرة حين يشجع مثل هذا المجون ويشترى هذه المجلات ، بينما يضن بفلوسه على المجلات الهادفة التى تغذى روحه وعقله . .

واذا كان الأخ القارىء الغيور ساخطا على بيع هذه المجلات أمام المساجد فليعلم أن فى بعض البلاد الاسلامية ما هو انكى وافظع . . حيث توجد الخمارات والمراقص بجانب المساجد . ويقولون : حرية .

وليتهم وفروا للدين حرية الدفاع عن نفسه كما وفروا حرية الاعتداء عليه ..

الى المعجبين :

الى المعجبين بالغرب ، المغرمين بتقاليده أو تقاليعه ، المولعين بتقليده أسوق هذا الخبر الذى نشرته احدى الصحف تحت هذا العنوان :

« الانحلال فى جامعات امريكا ـ اتحاد للشذوذ فى جامعة كولومبيا »

نيويورك : اعلن رسميا يوم ١٩ ابريل الماضى انه تم تأليف اتحاد للطلبة المصابين بالشذوذ الجنسى فى جامعة كولومبيا الأمريكية ، واصبحت بذلك أول جامعة ينشأ فيها مثل هذا الاتحاد ، وقد انضم للاتحاد حتى الآن ١٢ من طلبة الجامعة من بينهم فتاة » انتهى الخبر .

وقبل هذا عرفنا وعرف العالم كله اقرار البرلمان البريطانى لمشروعية هذا الشذوذ !! واعتباره شيئا عاديا !!

وليس الغريب فى اى مجتمع أن يكون فيه شواذ من هذا النوع .. ولكن الغريب العجيب أن يحتفل بالشذوذ على هذا النحو فى الجامعة أو البرلمان .. وينشأ اتحاد رسمى يضم الطلبة والطالبات الشواذ أو يصدر قانون يبيحه ويحيى أصحاب الحضارة الحديثة بذلك ذكرى قوم لوط الذين قال الله فى مصيرهم (فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) .

اعتذار :

جائتنى رسائل وبحوث متعددة حول ظهور العذراء مريم ، ومحاولة طبع مصحف حسب ترتيب النزول .. أما موضوع ظهور العذراء فاننا نكتفى بما نشرناه فى العدد الأربعين (ربيع الثانى) للدكتور محمد جمال الدين الفندى رئيس قسم الفلك بكلية العلوم جامعة القاهرة .. ولا نحب أن نعود اليه ..

أما الموضوع الثانى فاننا ننشر فى هذا العدد بعض ما وصلنا راجين ان يكون فيه الكفاية للتذكير والتنبيه ويبقى ما بعد ذلك من واجب على غيرنا ، ونعتذر للكتاب وأصحاب البرقيات الذين لم ننشر لهم شيئا فى هذا الموضوع او ذاك ...





العرب قبل الاسلام

بقلم الاستاذ على عبد العظيم

كان العرب فى جاهليتهم أسوأ حالا من الفرس والرومان فان هاتين الدولتين الكبيرتين ــ على الرغم مما انحدرتا اليه من فساد وانحلال ــ كانت لهما حضارة عريقة ووحــدة قوية ، أما العرب فقد عرفوا ظلالا باهتة من حضــارة الفرس والرومان فى أطراف الجزيرة العربيــة ، ولم تكن لهم وحدة تضم شملهم وتلم شعثهم ، بل كانوا قبائل متنافرة ، وعشائر متناحرة ، بأسهم بينهم شــديد ، وأحقادهم متوارثة ، فلا تكاد الحرب تهدأ بينهم حتى تعود لأتفه الاسباب ، ولهذا كانوا يفخرون بالظلم ، ويعدونه رمز القوة ، ومناط الفخر ، وسمة الاعتزاز ، وكانوا يرددون فى أمثالهم : « من لم يتذأب أكلته الذئاب » ويهتف شــاعرهم الحكيم بتجربته العملية وتصويره الواقعى قائلا :

ومن لم يذد عن حوضــه بسلاحه — يهــدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ويهجو أحد شعرائهم ابن مقبل وقبيلته فلا يجد فى النكاية به وبهم أوجع من قوله :

اذا الله عــادى اهل لؤم وخســة — فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل
قبيلتــه لا يخفــرون بذمــة — ولا يظلمون النــاس حبــة خردل
ولا يردون المــاء الا عشــية — اذا صــدر الوراد عن كل منهــل

وهجا شاعر آخر قبيلته فرماها بأنها لا تسرع الى الشر كما تسرع اليه القبائل القوية التى تهب الى القتال ، حينما يدعوها اليه الداعى ، دون أن تسأله عن دوافع القتال ، أو صحة البرهان على دعواه فقال :

لو كانت من مازن لم تستبح ابلى	بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد	ليسوا من الشر فى شىء وان هانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته	سواهم من جميع الناس انسانا
فليت لى بهم قوم اذا ركبوا	شدوا الاغارة فرسانا وركبانا
لا يسألون اخاهم حين يندبهم	فى النائبات على ما قال برهانا

واستحكمت فيهم النعرة العصبية حتى أعمتهم عن الحق الى الضلال ، وعن الرشد الى الغى ، وهتف بهذه العصبية الحمقاء شيخهم وشاعرهم دريد بن الصمة مفاخرا فقال :

وهل انا الا من غزية ، ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

ولهذا كان دستورهم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » ولقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا القول بما يتسق وتعاليم الاسلام السامية ، وذلك بأن ينصر الاخ أخاه اذا كان ظالما برده عن الظلم واذا كان مظلوما بالدفاع عنه .

الخرافات :

وكان العرب فى جاهليتهم قوما أميين يستجيبون للتقاليد البالية ، ويؤمنون بالاوهام والخرافات ، ويقبلون على عبادة الاصنام ، لتشفع لهم عند الله ويستشيرونها فى جميع شئونهم عن طريق القداح ، وكان بعضهم يصنع صنما من التمر ويتجه اليه بالعبادة والتقديس ، فاذا جاع أكله ، وصنع أحدهم من الحجارة صنما ثم عاد اليه فوجده مطروحا على الارض ، وقد بالت عليه الثعالب فركله بقدمه وقال :

ارب يبول الثعلبان براسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

وكانوا لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب وقالوا « ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » وزعموا أن الحياة بعد الموت من « أساطير الاولين » وقالوا « أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون » وكانوا يعتقدون بالكهانة ، ويؤمنون بالزجر والعيافة ، ويستجيبون للعرافين وطراق الحصا ، والرامين بالقداح ، ويزعمون أن الملائكة بنات الله « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون . واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم » وقد حملتهم هذه العقيدة على وأد البنات اما دفعا للعار واما خشية الاملاق « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم » — « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وأياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » وكان العربى يرث

ــ مع ما يرثه من أبيه ــ نساءه ، وله أن يتخذهم زوجات ، حتى جاء الاســلام وقضى قضاءه المبرم على هذه العادات .

ولقد كان العالم كله يتشوف الى دعوة روحية تطهره مما غمره من أرجاس وأوثان ، والى رسالة سماوية تنقذه من الطوفان ، وبخاصة بعد أن طــالع المفكرون ما ورد فى الكتب المقدسة من اشارة لظهور نبى كريم يحق الحق ويبطل الباطل ، وينقذ الانسانية من وهدة الدمار ، وهو الرسول الامى « الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبــات ويحرم عليهم الخبائث ويضــع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » .

وكان المنتظر ان تبزغ انوار هذه الرسالة بين اليهود أو المسيحيين ، وأن تشرق أنوارها فى أمة متحضرة نالت قسطا كبيرا من الثقافة والتهذيب ، تستطيع أن تؤدى به دورها فى نشر هذه الرســالة العالمية الخــالدة بين جميع الامم والشعوب ، أما أن تتفجر هذه الطاقة الروحية القومية بين قوم أميين متنابذين متناحرين ، لم تجمعهم وحدة ، ولم تضمهم رابطة ، وليس لهم تاريخ حضــارى مجيد ، وليس فيهم دين سابق يفيئون اليه ، وأما أن تبزغ هذه الاشعة الربانية فى فيافى الطبيعة الصحراوية بواد غير ذى زرع ، فأمر يفوق حد التصور ، ويدخل فى نطاق المعجزات ، وفيه تتجلى قدرة الله الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى .

واعجب مما سبق ان يحمل لواء هذه الرسالة العظمى شاب أمى ما تلا من قبلها من كتاب ولا خطه بيمينه ، وأن يؤدى رسالته أبدع وأسمى أداء ، وأن يتولى اكبر مهمة عرفتها البشرية فى جميع العصور « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » وبهذا بلغت المعجزة الربانيــة فوق ما يتصوره الخيال .

وهذا الشاب الامى الامين نشأ يتيما فقيرا ، فلم يذله اليتم ، ولم يضعفه الفقر ، ولم تؤثر فيه ــ لا قليلا ولا كثيرا ــ البيئة التى نشأ فيها ، وما هيمن عليها من شرك ، وما تفشى فيها من فساد وانحلال ، لأن الله أعده بيديه ، وصنعه على عينه ، وهذبه فأحسن تهذيبه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، ووصفه بأســمى وصف يتطلع اليه انسان كريم « وانك لعلى خلق عظيم » .

ولقد عجب العرب من اسناد هذه الرسالة السامية اليه فقال قائلهم : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك » ؟

ولج الغرور بأشرافهم وكبرائهم ، فجاهروا بازدرائه ، ولهجوا بالزراية عليه ، والسخرية منه فى عتو وجهل واستكبار « واذا رأوك إن يتخذونك الا هزوا أهذا

الذى بعث الله رسولا » ، « واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون » . وفاتهم أن لله حكمة لا تعدلها حكمة وأنها تظهر تارة للابصار وتارة للبصائر ، وقد تدق أسرارها فتعجز عن ادراكها العقول « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، « والله يعلم وانتم لا تعلمون » .

واذا كانت مقاييس التفاضل بين الناس قائمة على الاموال وعلى الاولاد وهما زينة الحياة الدنيا فان « الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » « وما أموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » .

واذا كان التفاضل قائما بين الناس الآن بالعلم فمن الناس « من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله » .

واذا كان التفاضل قائما على الملكات البيانية من شعر ونثر فمن الناس من يتخذونهما وسيلة للغش والخداع واكل الاموال بالباطل « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » ، واذا كان الناس يتفاوتون فى الدنيا بأنصبتهم من اعراض الحياة وبدرجاتهم فى الهيئة الاجتماعية فعند الله مغانم كثيرة « وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا » .

والله سبحانه ــ حينما أعد محمدا لرسالته ــ اسبغ عليه من آلائه ما رفعه الى أسمى وأسنى الدرجات ، ومنحه من نفحاته ما اغناه ، ووهبه من علمه ما زكاه ، وأعطاه من تأييده ما جعله اعز الرجال « ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى » ــ « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » ثم منحه أسمى المعجزات الخالدة وهى القرآن الكريم الذى يمتاز عن جميع المعجزات السابقة المقصورة على وقت محدود ، ومكان محدود وشهود معدودين ــ بأنه باق على الزمان ، مرتل فى كل مكان ، معروض على جميع القلوب والعقول ، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، وهدى ونور للمهتدين ومنار مشرق للعالمين ، يرتله القارئون ، وتردده الاذاعات العالمية حتى بين الشعوب التى لا تؤمن به ، وتدرسه أرقى الجامعات فى أعلى المستويات ، فيهتدى بنوره المهتدون ، وينحرف عن هدايته المنحرفون الضالون .

مبدا التحول :

تلا محمد صلوات الله عليه آيات الله البينات ، فما كـــادت تلمس قلوب العرب المغلقة حتى بدلتها من ضعفها قوة ، ومن فرقتها وحدة ، ومن قسوتهـا رحمة ومن بغيها عدلا ، ومن غرورها تواضعا ، ومن اثرتها ايثاراً ومن جهلهـا علما ، ومن ضياعها عزا ، ومن بداوتها حضارة ، ومن تابعيتها قيـــادة ، ومن اهمالها ذكرا ، ومن خضوعها سيطرة على العالمين ، وما كان لها من وسيلة لهذا التحول الخطير الا هذا الكتاب الكريم الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

ان جميع كنوز الارض ما كانت لتستطيع أن تؤلف من هذا القطيع الضال وحدة قوية متماسكة كالجسد الواحد أو البنيان المرصوص « والف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم » . وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الظاهرة المعجزة ، ودعا العرب الى التمسك به ، ليتسنى لهم الحفاظ على وحدتهم العجيبة التى صنعها الله « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

ان القرآن الكريم غير تاريخ العالم ماديا وروحيا واجتماعيا وسياســيا وحضاريا ، ونقلــه من حال الى حال « كتاب أنزلناه اليك لتخرج النـــاس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » .

ان القرآن الكريم ليس كتابا دينيا فحسب ، وانما هو جامعة تربوية عالمية ، كونت أجيالا عديدة ، وخرجت دولا شتى ، وأنتجت حضارة مادية وروحية سمت بالبشرية فى أسمى الآفاق ، ولو تمسكت بها البشرية كل التمسك لكانت حالة العالم الآن على غير هذه الحال .

واذا كانت الكليات التربوية تعنى بتثقيف العقول ، فان الجامعة القرآنية تناولت التربية الانسانية من كل الجهـــات ، حيث عنيت كل العنـــاية بتكوين الشخصيات ، ثم بتكوين المجتمعات ، واهتمت بتكوين الاجسام كما اهتمت بتثقيف العقول ، وتناولت جميع المشاعر النفسية ، كما تناولت المدارك العقلية ، وعالجت الشئون المعاشية كما عالجت الشئون الروحية ، ووضعت لكل منها منهجـا واقعيا ومثاليا فى تفصيل وتوضيح دقيق .

هذه المناهج التفصيلية هى موضوع الاحاديث القادمة ان شاء الله .



مائدة القارئ

من كلام النبوة

كيف أنتم اذا طغى نساؤكم ، وفسق شبابكم ، وتركتم ؟
قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟
قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون .
قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟
قال : كيف أنتم اذا لم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر ؟
قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟
قال : والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ؟
قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟
قال : كيف أنتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟
قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟
قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ؟
قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟
قال : كيف أنتم اذا أمرتم بالمنكر ، ونهيتم عن المعروف ؟
قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟
قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون .
قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟
قال : يقول الله تعالى : (بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران) .

جهاد فلسطين

فى مسند الامام أحمد (٥ : ٢٦٩) عن أبى امامة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ، ولا ما أصابهم من الاعداء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك) .
قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟
قال : « ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس » .

التدريب الحربى

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
تمعددوا (أى كونوا أهل عفة وجلد وتقشف كبنى معد بن عدنان) واخشوشنوا واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا ، واحفوا ، وانتعلوا ، فانكم لا تدرون متى تكون الجفلة (المبادرة الى الحرب) .

اعدها : أبو نزار

اليهودية المجرمة

يروى أن اليهودية (زينب بنت الحارث) امرأة (سلام بن مشكم) اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مشوية بعد أن سألت أى عضو فيها أحب اليه فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيه من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فوضعتها بين يديه ، فتنـــاول الذراع ، فلاك منها قطعة فلم يسغها ، وكان معه بشر بن البراء بن معرور ، وقد أخذ منها قطعة ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وســـلم فلفظها ، ثم قال : ان هذا العظم يخبرنى أنه مســـموم ، ثم دعا بها فاعترفت ، فقال لها : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : ان كان كاذبا استرحنا منه ، وان كان نبيا فسيخبره ، ومات بشر من أكلته هـــذه ، ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قتلها به قصاصا .

ساهر الليل

روى أن الأعشى الشاعر المعروف كان يغشى فارس ، وان كسرى سمعه ينشد الشعر ، فسأل عنه فقيل له : هذا شـــاعر العرب ، فقال : ما يقول ؟ فقيل : يقول :

أرقت وما هذا الســـــهاد المؤرق ... وما بى من ســـقم ، وما بى معشق

فقال كسرى : فسروا لنا ما قال .
فقالوا : ذكر انه سهر من غير سقم ولا عشق .
فقال كسرى : ان كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص !!

النفس الأبية

وقالوا : توصل بالخضوع الى الغنى ... وما علموا أن الخضـــوع هو الفقر
وبينى وبين المـــال شـــيئان حرما ... على الغنى : نفسى الأبيـــة والدهر
اذا قيل : هذا اليسر أبصرت دونه ... مواقف . خير من وقوفى بها العسر

اغلى من الذهب

زعموا أنه كان لرجل دعوتان مجابتان ، فدعا ربه أن يجعل كل شىء تمسه يده ذهبا ، فاستجاب له ، فكاد عقله يطير من الفرح .. وانطلق يلمس كل ما يجد ، فيحوله ذهبا حتى جاع ، فأخذ الصحن ليأكل ، فصار ما فيه من الطعام ذهبا ، وعطش ، فحمل الكأس ليشرب ، فصار ما فيه من المـــاء ذهبا ، فقعد جوعان عطشان ، فأقبلت ابنته تواسيه فعانقها ، فصارت تمثالا من الذهب .

فدعا ربه الدعوة الثانية أن يعيد كل شىء لما كان ، لأنه أدرك ان الرغيف للجائع والماء للعطشان والبنت للأب خير من ملك الأرض ذهبا .

صورة عن الإسلام في أمريكا

• مليون مسلم يعيشون في أمريكا دون ارشـ
• يهود أمريكا يقومون بتدريس الدين الإسـ

ليس فى استطاعتنا أن ننكر أن هناك تيارا صليبيا عنيفا يواجه الأمـة الاسلامية فى هذه الأيام ... وقليل هم الذين يحسونه من المسلمين ويقفـون فى وجهه ويبينونه للناس .. وكثير هم الذين لا يشعرون به .. ذلك أنهم في غفلة عما يحيط بهم .. ومن هنا فانهم يشتركون بوعى أو بدون وعى فى تغذية هذا التيار العنيف الذى يكاد يكتسح العروبة والاسلام على حد سواء .

ولسنا ننكر أن الداعية الى الاسلام وسـط هذا الجو المحموم لا بد أن يجابه الأهوال والمشاق .. وبالأخص اذا نظرنا الى ما يملكه الآخرون من أجهزة اعلامية تقلب الأبيض اسـود .. وتجعل الحقيقة وسـط ضجيج الدعايات غائبة عن الجميع .

واذا كنا لا نستطيع أن نرفع المسئولية ــ مسئولية القصور فى مجابهة هذه التيارات ــ عن الجامعات الاسـلامية وأولها الأزهـر بلا شك .. فان الدبلوماسية العربية من ناحية اخرى تشترك فى هذا القصور .. فالدعـوة الى الاسلام ليست وقفا على جهة معينة وليست حكرا لأحد ما .. بل كل مسلم عليه أن يوضح مفاهيم اسـلامه للناس على قـدر استطاعته ، ولو كان ذلك بالمشاركة المادية لمن يحملون هذا العبء الثقيل على اكتافهم .

ومع واحد ممن يواجهون التيارات الصليبية .. مع واحد ممن يحملـون عبء الدعوة الى الاسلام فى أمريكا كان لنا لقاء .. لقاء مع رئيس وفد الجالية الاسلامية فى ولاية كاليفورنيا .. والذى زار الكويت مؤخرا .

يقول الدكتور عبد المحسن البيلى استاذ الدراسات الاسلامية بجامعـة



الدكتور صبرى الفرا والدكتور عبد المحسن البيلى والســـيد محمد السنعوسى مراقب التليفزيون بالكويت

للاستاذ : عبد الفتاح المليجى

ـــادإسلامي صحيح !!
ـــلامي في جامعاتها !!

جنوب كاليفورنيا فى بداية اللقاء .

عن أى شىء تريدنى أن أتحدث ؟..

— عن الاسلام فى أمريكا ؟

— عن الدراسة الاسلامية فى الجامعات هناك ؟

— عن أهمية المراكز الاسلامية فى جميع بلاد العالم ؟

ليكن الحديث عن الدراسات الدينية فى الجامعات الأمريكية .

يقول الدكتور البيلى :

أساسية فى مناهجها — هذا ما ورد فى آخر احصائية لتدريس مادة الأديان فى الجامعات الأمريكية — ولقد تعجب معى اذا عرفت أن الذين يقومـــون بتدريس الدين الاسلامى وحضارته واحد من اثنين :

● اما يهودى متعصب ليهوديته !

● واما مسيحى غير مدرك لمفاهيم الاسلام ومبادئه !

وليس هناك من يقوم بتدريس الاسلام من العرب المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية غير اثنين ... أحدهما المتحدث اليك .. والآخر هو الدكتور اسماعيل الفاروقى الفلسطينى الأصل .. والذى يعمل الآن بجامعة سيراكيوز بولاية نيويورك .

ومن المؤكد أن تدريس الاسلام على أيدى غير المسلمين المتخصصين يسىء الى الاسلام كدين وكحضارة ويشكك فى تعاليمه .. ولعله من المفيد أن نذكر أن الاسلام يواجه حربا صليبية من نوع جديد وبأسلحة تتناسب مع طبيعة النصف الثانى من القرن العشرين . .والسلاح الجديد هو سلاح الكلمة .. وميدان





المعركة هو الميدان الفكرى العلمى المتسع الأرجاء .. واصبح الهدف هو تشكيك المسلمين أولا .. وغير المسلمين ثانيا فى الدين الاسلامى ومبادئه وتعاليمه .

● اذا كان هذا شأن من يقومون بتدريس الدين الاسلامى فى جامعات أمريكا .. فكيف حال الذين يكتبون عنه ؟

ــ الذين يكتبون عن الاسلام فى أمريكا واحد من ثلاثة :

كاتب متخصص درس الاسلام وتعاليمه وعرف مبادئه .. ولكنه ولحاجة فى نفسه يبرز الاسلام ابرازا مشوها .

هناك (١٢٥) جامعة أمريكية قررت جعل مادة الدين الاسلامى مادة

وكاتب سطحى غير عالم وغير متعمق .. ومن ثم تتميز كتابته بالهزال والضعف العلمى .

وكاتب يقتبس من المصدرين السابقين .

ومن هنا كانت صورة الاسلام صورة مهزوزة مشوهة .. بينها وبين حقيقة الاسلام بون شاسع .. ويكفى للتدليل على ذلك معرفة بعض الأسماء التى كتبت كتابات مسمومة عن الاسلام .. والتى تعتبر فى المجتمع الأمريكى الأكاديمى ــ للأسف ــ من أساطين الفكر الاسلامى .

ومن العجيب ــ هكذا يقول الدكتور البيلى ــ أن بعض هذه الأسماء ــ وليس ثمة ما يدعو لذكرها ــ قد دعيت الى كثير من البلاد العربية ووصلت السذاجة الى حد الاعتقاد بأن بعض هؤلاء ليس مسلما فقط .. بل عريق فى الاسلام !

● قطعا هناك هدف من تدريس الاسلام فى الجامعات الأمريكية ؟

ــ يقول أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة جنوب كاليفورنيا .. الهدف هو محاولة تطبيق المنهج اللاهوتى الجديد .. والذى يطلق عليه (النقد الأعلى) ويحاولون تطبيق ذلك على القرآن الكريم .. فعلماء اللاهوت المسيحى اليوم يقومون بدراسة الانجيل والتوراة دراسة شاملة تتشابك فيها عدة لغات قديمة .. كما يساعد فيها علم الحضارة الانسانية (الانثروبولوجى) وعلم البيئة الانسانية (الايكولوجى) .. والغرض من هذا هو (تعديل) الانجيل وكتابته من جديد فى ضوء مكتشفات المنهج الجديد .. وهم فى عملهم هذا يصمون آذانهم عن الحقيقة الذاتية لكل من القرآن والانجيل .. ويدعون فى صلف وغرور أن الله تعالى لم يتحدث العربية قط .. والنتيجة التى يهدفون اليها معروفة سلفا .. الا وهى محاولة التشكيك فى أن القرآن من عند الله .. وأنه كتب .. وأنه عرضة للنقد والتبديل كغيره من الكتب المؤلفة !!

● وماذا عن وضع الاسلام والمسلمين فى أمريكا ؟

ــ بأسلوب المحاضر يقول الدكتور البيلى .. ليكن كلامنا من البداية .. فهجرة المسلمين الى الولايات المتحدة الأمريكية ترجع الى بداية القرن العشرين حين هاجرت مجموعات قليلة الى العالم الجديد .. سعيا وراء الرزق أو طلبا للحرية السياسية التى لم تكن متوفرة فى بقاع كثيرة من العالم الاسلامى آنذاك .. وكانت السمة المميزة للغالبية العظمى من هؤلاء المهاجرين العرب وغير العرب

.. انهم لم يكونوا على حظ كبير من الثقافة أو التعليم شأنهم فى ذلك شأن الكثير من بنى أوطانهم الذين حرموا من نور العلم والمعرفة .

وعلى الرغم من ذلك .. فانهم برهنوا على قدرتهم فى الكفاح والنضال وسط مجتمع يتميز بالمنافسة التى لا تحدها حدود .. بل ان منهم من اصبح من كبار اصحاب الملايين ، وممن اسهموا بنصيب كبير فى انشاء اول مركز اسلامى فى العالم الجديد بمدينة واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية مثل السيد يوسف أبو الهوا الذى اسهم بماله وجهده فى انشاء المركز الاسلامى بمدينة واشنطن .

وفى الفترة الزمنية الفاصلة بين الحربين العالميتين قلت هجرة العرب وغيرهم الى امريكا نظرا لانتشار البطالة والكساد فى المجتمع الأمريكى .. بيد أنه لم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى فتحت أمريكا باب الهجرة أمام الكثيرين لا سيما النازحين من البلاد الأوربية التى يغلب فيها العنصر الأبيض الانجلو ساكسونى .

وقد زادت هجرة العرب وغير العرب من البلاد الاسلامية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وخاصة اليوغوسلافيين الذين هربوا بدينهم وثقافتهم من الزحف الشيوعى اليوغوسلافى .. كما هاجر كثير من الأتراك والهنود الذين تركوا الهند قبل انشاء دولة باكستان .

وفى خلال الخمسينيات وأوائل الستينيات تضاعفت هجرة المسلمين الى العالم الجديد حتى بلغ عددهم فى بعض الاحصائيات ــ حوالى مليون مسلم ــ يتركز بعضهم فى مدينة نيويورك وواشنطن وتوليدو بولاية أوهايو وديترويت بولاية متشجان وسيدار رابيدس بولاية ايوا وشيكاغو بولاية ايلينوى ولوس أنجلوس وسان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا .. وهناك غير ذلك آلاف الأسر المسلمة المتناثرة فى مئات المدن الكبيرة والمتوسطة فى القارة الأمريكية والتى لا تمثل بحكم تشكيلها مجتمعات اسلامية بمعنى الكلمة .

● قلت ان الدكتور عبد المحسن يأخذ فى حديثه طابع المحاضر .. ومن هنا لم تتخذ اجاباته الطابع المباشر .. بل كان يقول كل ما عنده فى نظرى .. وبعض ما عنده فى نظره .

لقد تحدثت كثيرا عن هجرة المسلمين الى امريكا ووضعهم عموما .. فماذا عن الدعوة الى الاسلام هناك ؟

ويقول الدكتور البيلى بأسلوب المحاضر :

كانت هناك حركات تبشر بالاسلام بين الأمريكيين أنفسهم .. ويمكن تقسيم هذا الاتجاه الى ثلاث حركات رئيسية تتجه فى طرق مختلفة ولكنها تقصد ذات الهدف .

● **الحركة الأولى** : هى حركة البهائية التى قدمت الى أمريكا ابان العشرينيات والتى استطاعت أن تبنى لها معبدا من أفخم المعابد التى شاهدتها فى أمريكا على الاطلاق ، وهو المعبد البهائى فى مدينة ديلمت بالقرب من مدينة شيكاغو

بولاية ايلينوى .

وقد يدهش القارىء ــ هكذا يقول الدكتور البيلى ــ **اذا علم ان هذا المعبد قد تكلف بناؤه حوالى ستة عشر مليونا من الدولارات ..** وقد بدىء فى انشائه عام ١٩١٦ .. مع أن البهائيين لا يزيد عددهم فى كل انحاء الولايات المتحدة عن عشرة آلاف شخص ليس بينهم شخص واحد من أصحاب الملايين !!

والشىء البارز الذى يواجه زائر هذا المعبد من الداخل **خريطة ضخمة لاسرائيل !!** ويمكن القول بموضوعية أن البهائية كحركة دينية قد فشلت فى تبليغ رسالتها ودعوتها الى الشعب الامريكى .. **ولا تشكل خطرا حقيقيا على الاسلام أو تعاليمه .**

الحركة الثانية : هى الأحمدية القاديانية .. والحق يقال .. ان القائمين على أمر هذه الحركة فى أمريكا وغيرها من البلاد يمتازون بالنشاط الذى لا يعرف الكلل .. وبالمثابرة والجد فى نشر دعوتهم .. وقد فوجئت بوجود دعاة هذه الحركة فى كثير من الجامعات والمعاهد التى دعيت اليها محاضرا عن الاسلام .. ويبقى هناك سؤال حائر فى خاطرى فيما يتعلق بالمصادر التى تمد هذه الجماعة وسابقتها بالمال لنشر رسالتها وطبع منشوراتها وتوفير اسباب العيش لدعاتها .

ولا شك أن الأحمدية القاديانية تصيب بعض الأمريكيين .. غير أن اسلوبها فى الدعوة ينفر كثيرا لانعدام عامل الكياسة والذكاء فى دعاتها مما يفقدهم الكثير من مستمعيهم .. وليس للأحمدية معابد كالبهائية .. ولكن لا تكاد تخلو مدينة كبيرة من المدن الأمريكية من فروعها ودعاتها .

الحركة الثالثة : هى حركة المسلمين السود التى تبشر بالاسلام بين الأمريكيين السود .. ويرجع تاريخ هذه الحركة الى حوالى عام ١٩٣٠ حين أعلن شخص يدعى (دالاى فرد) والذى قيل كذبا انه من أصل سعودى انه اله ! وانه اختص برسالة الياجا محمد الذى كان سجينا من قبل فى أحد سجون ولاية لويزيانا بجنوب الولايات المتحدة .

وتقوم دعوة المسلمين السود على تمييز عنصرى من نوع آخر .. اذ أنهم يعتقدون بأفضلية الجنس الأسود على سائر الاجناس .. ويذهب دعاتهم وعامتهم الى القول بأن الله تعالى له لون خاص هو اللون الأسود !! وأن الرجل الأبيض هو قرين الشيطان .. وهم يعتقدون بأن الياجا محمدا هو رسول الله الجديد .. ويصلون فى اماكن يقال لها معابد لا مساجد .. وصلاتهم تشبه صلاة المسيحية فى صورتها .. وصيامهم يبدأ فى الأسبوع الثالث من شهر ديسمبر كل عام حتى لا يحتفل اتباعهم بعيد الميلاد المسيحى .. ودعوتهم السياسية تقوم على أساس انشاء وطن قومى للرجل الأسود .. وذلك باستقطاع ولاية كاملة من ولايات أمريكا الخمسين وتخصيصها للجنس الأسود من أتباعهم .

ولا شك ــ يقول الدكتور عبد المحسن ــ أن هذه الحركة هى اكثر الحركات الثلاثة شيوعا وانتشارا ومن احسنها تنظيما .. ويكفى للتدليل على ذلك أن المسلمين السود يمتلكون أسواقهم ومدارسهم ومطاعمهم الخاصة بهم .. ويقدر عدد أتباع الياجا محمد بحوالى نصف مليون .. وقد امتدت دعوته

خارج القارة الأمريكية الشمالية ووجدت آذانا صاغية فى القارة الأفريقية السوداء ...

غير انى اود ان اتطوع بتقديم تحليل بالنسبة لظاهرة المسلمين السود فى أمريكا .. فمن الحقائق المسلم بها أن الرجل الأسود لا يتمتع بحب الرجل الأبيض ولا بعطفه فى المجتمع الأمريكى .. بل ان بعض الأمريكيين البيض من سكان الجنوب ينظرون الى الرجل الأسود على أنه دون مستوى الانسانية .. تضاف الى هذه الحقيقة حقيقة أخرى .. الا وهى أن الاسلام على الرغم من ضعف أهله وتفرقهم ما زال هو القوة الحقيقية التى يخشاها رجال الأديان الأخرى فى أمريكا .. ومن ثم كان هدفهم ربط الاسلام بشىء تعافه نفس الرجل الأبيض حتى تتحول انظاره عن الاسلام كدين بديل .. وحتى لا ينجذب الرجل الأبيض الى بساطة الاسلام ومنهجه العقلى السامى .. وهذه المحاولة تشبه محاولة سيكولوجية قام بها أحد العلماء .. والهدف من ذلك كله أن ترتبط كلمة الاسلام فى أذهانهم بالجنس الأسود .. ومن ثم يجىء بعدهم عن الاسلام .. بل عن التفكير فيه !

● أمام كل ذلك ـــ ما الذى قمتم به هناك .. بل ما هو عمل المراكز الاسلامية اصلا ؟

ـــ المسألة ليست فردية .. بل لا بد أن يكون هنا اجماع على مواجهة هذا التحدى للاسلام .. وأمام كل هذه العوامل يصبح على المسلمين فى شتى بقاع العالم مواجهة التحدى فى ميدانه .. ولا يتم ذلك فى نظرى الا بانشاء مراكز اسلامية لدراسة الاسلام والكتابة عنه بطريقة علمية عصرية يطبق فيها منهج البحث العلمى المعاصر .. ويقوم بالبحث والتدريس فيها علماء متخصصون .. يضاف الى ذلك أن ابناء المسلمين الذين استوطنوا أمريكا يتعرضون دائما لواحد من احتمالين لا ثالث لهما .

ـــ اما أن ينجرفوا فى تيار الثقافة التى يعيشون فيها ويرتدون عن الاسلام .

ـــ واما ان يصبحوا بلا دين على الاطلاق .

وكلا الاحتمالين لا تقبله النفس الواعية الغيورة على الاسلام وأهله .

● لم نسمع بعد عمل المركز الاسلامى ؟

ـــ يقول الدكتور البيلى .. لا تتعجل الحديث فنحن نقوم برحلة من أجل ترسيخ دعائم مركز اسلامى فى ولاية حيوية بأمريكا .. وانت تعلم أن هناك خمسين ولاية امريكية من الواجب أن يكون بها خمسون مركزا اسلاميا ... ولقد قمنا وزملائى برحلة الى بعض الدول العربية للدعوة لانشاء مركز اسلامى بمدينة لوس انجلوس . لأن هذه المدينة بالذات لها موقع حساس . فهى تعتبر ثانى اكبر مدينة فى الولايات المتحدة الأمريكية .. اذ يبلغ عدد سكانها مع ضواحيها حوالى سبعة ملايين نسمة .. وتعتبر مركزا تجاريا وثقافيا وصناعيا يربط بين النصف الغربى لأمريكا والشرق الأقصى مما يجعل انشاء هذا المركز بمثابة المنار الذى يطل على الشرق الأقصى عبر المحيط الهادى .. يضاف الى ذلك عامل المناخ الممتاز الذى تتميز به ولاية كاليفورنيا والذى من اجله يفد اليها كل يوم الف مهاجر



من مختلف الولايات فى الاتحاد الأمريكى .

ولقد كان من نتيجة مناخ المدينة وفرص العمل بها ان بلغ عدد المسلمين هناك حوالى خمسة وسبعين الف ليس عندهم مركز بالمعنى المفهوم .. بل انهم من جيوبهم الخاصة — ومعظمهم من الكادحين — استطاعوا أن يشتروا بيتا صغيرا حولوه الى مسجد للعبادة ومدرسة لتعليم الأطفال .. وقد أصبح هذا المكان فى وقتنا الحاضر غير لائق وغير كاف لاستيعاب المسلمين .

■ ■ ■

وبعـد :

نظرة واحدة على ما تقوم به الصليبية الجديدة فى افريقيا تدعو الغيورين على اسلامهم الى الانفاق بسخاء للقضاء على المؤامرات الموجهة للاسلام فى كل مكان .. واذا كانت المسألة ليست بالسهولة التى يتصورها انسان ما .. فهى أيضا ليست من الصعوبة بمكان .. والدعوة الآن موجهة الى كل مسلم — وخاصة رجال المال والأعمال — ليقوم كل بدوره فى صد هذا التيار ..

ولسنا فى النهاية ننكر أن الدبلوماسية الواعية من شأنها تسهيل مهمة الداعية الاسلامى .. بل يمكن أن يكون لرجال المال والأعمال العرب دور كبير فى ذلك .. وخاصة فى الأماكن التى تحتاج الى راس مال عربى .. وفى هذه الحالة .. تسير السياسة الواعية .. والتخطيط الاقتصادى السليم جنبا الى جنب مع الدعوة الى الاسلام ..

هذا يمكن أن ينطبق على افريقيا بالذات .. أما أمريكا وغيرها من البلاد المتقدمة .. فلا شك أن المراكز الاسلامية يمكن أن تلعب دورا كبيرا فى ازالة الشوائب التى يحرص بعض المستشرقين على وصم الاسلام بها .. ومهمتنا فى هذه الحالة تتركز على تقوية هذه المراكز والاكثار منها والعمل على انتشار الدعاة فى كل مكان .

• •

هذا ومن المعروف ان هناك اتصالات قام بها الوفد من اجل تنظيم حملات لجمع التبرعات من القطاع الأهلى الكويتى لمساعدة هذا المركز .
وقد خصص ثلاثة أماكن فى الكويت لتلقى التبرعات لهذا المشروع ، يمكن الاتصال بها عن طريق السيد محمد السنعوسى المراقب العام بتليفزيون الكويت .

ولا شك ان الخيرين من المسلمين فى الكويت وغيره عليهم عبء كبير فى نجاح هذا المشروع الاسلامى . .بل عليهم العبء كل العبء فى نجاح اى مشروع اسلامى فى اى مكان من العالم .. والواجب يدعونا الا نرمى بالثقل كله على الحكومات العربية والاسلامية فقط — بل يجب على الهيئات الاسلامية ان تكون فى المقدمة دائما ..

هذا هو أملنا والمؤكد انه امل كل مسلم فى العالم .

شخصية اسلامية

الخليل بن أحمد مخترع المعجم

للأستاذ/سعد توفيق حمدى

ما أحلى وأمتع أن نعيش ساعات من حاضرنا مع بعض تراثنا اللغوى والأدبى الخالد ، الذى كان فى وقت ما يملأ أفق وطننا العربى اشعاعا ونورا ، امتد الى أمم أخرى فرقت بينها وبين أمتنا الحدود وجمعتها الانسانية .

ولقد اتيح لى فى الآونة الاخيرة أن أقضى هذه الساعات الحلوة المشرقة فى رحلة مع عالم العربية الفذ (الخليل بن أحمد) ، وكم كانت رحلة ممتعة حقا ، تنقلت فيها بين أعماله الرائعة ، التى أثرى بها لغتنا العربية الخالدة .

والحديث عن شخصية الخليل بن أحمد يطول ، فلقد كان ــ رحمه الله ــ ذا شخصية نادرة متعددة الجوانب ، وكم تعجبت كيف أفرد له صاحب وفيات الأعيان هذا الجزء اليسير من كتابه بحيث لم يزد عن صفحتين ؟ مع أن الخليل بن أحمد كان عالما فذا فى أكثر من فرع من فروع اللغة .. كان اماما فى النحو ، مخترعا لعلم العروض ، ومبتكرا للمعجم العربى ، وفوق هذا كله كان ذا عقلية رياضية رائعة ، وذهن يعشق المسائل العقلية المعقدة ، وان هذا ليظهر لنا بجلاء ووضوح فى وضعه للمعجم العربى فقد اتبع فيه منهجا عقليا معقدا يدل ــ بلا شك ــ على رقى فكره ، وتوقد ذهنه ورسوخ قدمه فى علم الأصوات اللغوية ، وان هذا الرجل الذى وصفه عبد الله بن المقفع بأن عقله أكبر من علمه ، يطوى جوانحه على صفات سامية ، هى بحق أحلى ما يتحلى به العلماء العظام ، فقد كان الخليل ــ متواضعا غاية التواضع ، أنوفا الى أبعد مدى ، معتزا بنفسه وبعلمه ، ولكن بلا غرور أو تكبر ، وان كتب الأدب والتاريخ لتحوى ذخرا من الروايات التى تتحدث عن صفات الخليل هذه ، وعن ترفعه عن ماديات الحياة .

لقد كان الخليل بن أحمد ــ كما قلت آنفا ــ عالما فذا ولو لم يقدم للعربية سوى علومه التى لقنها لتلاميذه لكان هذا فخرا له لا يعدله فخر ، ولو بعث الخليل بن أحمد حيا اليوم لحق له أن يمشى بيننا فى خيلاء ، ولم لا وهو الذى بفضل علمه وتوجيهه وارشاده قدم للغة العربية عالما جليلا أيضا تعتز به العربية وتفخر ، وهو سيبويه الذى وصفه صاحب وفيات الأعيان بأنه « كان

أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه »(١) . بل ان شخصية الخليل لم تظهر قوية واضحة الا فى تآليف تلاميذه ، فظهرت شخصيته فى كتاب سيبويه الذى عده النقاد جامعا لمادته فقط التى اخذها عن أستاذه الخليل ابن أحمد(٢) .

لكن الخليل بن أحمد لم يكتف بذلك بل قدم للغة العربية فوق هذا أفضالا وأفضالا فاخترع مثلا علم العروض وان قصة اختراعه لهذا العلم لقصة لطيفة ممتعة فمما يروى عن ذلك أنه « كان مارا بحداد فاستهواه دق المطرقة المنتظم ، فلما حاول أن يربط بين هذه النغمات الرتيبة ، وبين أوزان الشعر تم له ذلك » (٣) . ومما لا شك فيه أن معرفته الواسعة بعلم الموسيقى والأصوات اللغوية كانت أكبر معين له على وضع العروض ، الذى تذكرنى قصة وضعه بقصة التفاحة التى أوحت الى « أسحق نيوتن » بقانون الجاذبية وكانت الطريقة التى استخدمها الخليل فى وضع هذا العلم ، هو أنه استخدم التفعيلات كموازين للشعر ثم قطع الأبيات حسب هذه الموازين ، وهذا الأمر يؤدى الى شطر الكلمة الواحدة أو ضمها الى أخرى لتكون وحدة عروضية واحدة ، ووضع علم العروض على هذا النحو يكشف لنا بوضوح عن معرفة الخليل العميقة بعلم الأصوات اللغوية ، وما كان يتمتع به من عقلية راقية ناضجة .

أما العمل الذى قام به الخليل وأثار جدلا عنيفا فى الأوساط الأدبية والعلمية على مر قرون طويلة فهو المعجم الذى ابتكره وأطلق عليه اسم « كتاب العين » ولم يكن الخليل بن أحمد عندما وضع معجمه هذا ، مقلدا لليونانيين ولا لغيرهم — كما يدعى بعض الباحثين — وانما كان مبتدعا مبتكرا لم يقلد أحدا ولم يتأثر بأحد . وقد اهتدى الى فكرة وضع معجم لغوى عربى عن طريق تلك المحاولات التى وضعت لشرح غريب القرآن والحديث ، ومن أشهر هذه المحاولات تلك المحاولات الطريفة التى دارت بين نافع بن الأزرق وابن عباس والتى عرفت فى التاريخ باسم « سؤالات نافع بن الأزرق » (٤) فهذه المحاولات — كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين — كانت هى البداية الحقيقية أو التمهيد لوضع معجم لغوى عربى ، ولكنها كانت تفتقر الى التنظيم العلمى الدقيق فضلا عن أن الغرض منها كان هو شرح غريب القرآن والحديث فقط وهذه المحاولات وان لم تفد الخليل بن أحمد كثيرا الا أنها كانت البذور التى اينعت على يديه .

وكانت ثمة أسباب جعلت الخليل بن أحمد يفكر جديا فى وضع معجم لغوى عربى وهذه الأسباب هى :

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ حرف العين ص ٤٨٧ .

(٢) المعاجم العربية للاستاذ الدكتور عبد الله درويش ص ١٣ .

(٣) المعاجم العربية ص ١٤ .

(٤) مذكرة عن المعاجم العربية للاستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين ، وقد أورد بعض أمثلة لهذه المحاورات التى دارت بين نافع بن الأزرق وابن عباس ومنها أن سال الأول الثانى قائلا : أخبرنى عن قول الله تعالى « عن اليمين وعن الشمال عزين » فقال ابن عباس : العزون حلق الوفاق فقال ابن الازرق : وهل تعرف العرب ذلك ؟ فقال ابن عباس : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليه حتى   يكونوا حول منبره عزينا .

أولا : كان البدو الذين يسكنون البادية هم النبع الذى ينهل منه النحاة واللغويون كل ما يحتاجون اليه من الفاظ ، لكن هؤلاء البدو أخذوا يهاجرون الى الحضر شيئا فشيئا ، وأوشكت البادية أن تقفر ، ويجف فيها النبع الفياض ، مما ادى الى التفكير الجدى فى وضع معجم يجمع كل ما توفر لدى النحاة من مفردات ، وكان لدى الخليل بن أحمد — وهو تلميذ — لامام النحاة أبو عمرو بن العلاء الشىء الكثير منها .

ثانيا : تدفق الكثير من الأعاجم على البلاد العربية ، واقامتهم بها مما ادى الى ضرورة وضع معجم يشرح لهم قواعد اللغة العربية ، ويضع أيديهم على أسرارها ، ويشجعهم على تعلمها .

ثالثا : وبسبب هجرة الأعاجم الى البلاد العربية ، خشى النحاة واللغويون على اللغة العربية من الفساد فأصبحت الحاجة ماسة الى وضع معجم يحفظ لها أصالتها ورونقها ، وهى توشك أن تفسد لحنا وتحريفا .

رابعا : ازدهار حركة التدوين فى العصر العباسى الأول .

كل هذه الأسباب شجعت الخليل بن أحمد على تنفيذ فكرته لاسيما وانه كان عالما جليلا ولغويا قديرا يعرف ماذا يكتب ولأى شىء يكتب .

والسؤال الآن : هل سبق أحد الخليل بن أحمد الى وضع معجم لغوى عربى . أم أن معجم الخليل يعد المحاولة الأولى من نوعها فى هذا المجال ؟ واذا كان هناك من سبق الخليل الى وضع معجم لغوى فالى أى مدى استفاد الخليل من هذه المحاولة ؟

قلت فى بداية هذا المقال ان ثمة محاولات قد وضعت لشرح غريب القرآن والحديث ، وأن هذه المحاولات كانت هى البذور الأولى لنشأة المعجم اللغوى ، لكن هذه المحاولات كانت غير منظمة ، وكان الغرض الأساسى منها « اعانة المتعلمين على تفهم المراد من نصوص القرآن والحديث ، وكثيرا ما كانت هذه المحاولات يعتورها النقص والتعديل من راو لآخر »(١) وأول محاولة وضعت لشرح غريب القرآن هى تلك المحاولة التى قام بها « أبان بن تغلب » . ويرجح الدكتور شاهين أن كتاب أبان هذا — والذى لم يصلنا منه شىء — ربما كان على غرار تلك المحاورات التى دارت بين نافع بن الأزرق وابن عباس ، ولم يؤلف بعده أحد الا الخليل بن أحمد وكان ذلك بعد مضى نصف قرن من الزمان(٢) .

وابان بن تغلب هذا هو قارىء محدث ، وقد وصم أحيانا بالزيغ والمجاهرة ، وأخرى بالتعصب للشيعة ، وأكثر تاريخه يبعده عن الاهتمام بمسائل اللغة والتفرغ لها . فأكثر تراجم اللغوين لا تذكره ، وانما كان مشغولا بالصراع المذهبى (٣) فاذا علمنا بعد كل هذا أن ابان بن تغلب قد توفى عام ١٤١ هـ وأن الخليل بن أحمد قد توفى عام ١٧٥ هـ أدركنا مقدار الأثر الذى يمكن أن يفيد الخليل من كتاب وضعه كاتب قليل الشأن فى عالم الكتابة مثل ابان بن تغلب .

---

(١) مذكرة المعاجم العربية للدكتور عبد الصبور شاهين ص ٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٣ .

اضف الى ذلك ان كل من كتب فى غريب القرآن بعد محاولة ابان هذه كان اما معاصرا للخليل بن احمد ، أو تلميذا له ، اذ أن الكتاب الثانى فى غريب القرآن قد وضعه « مؤرج السدوسى » وهو تلميذ للخليل ، وجاء كتابه هذا بعد أن وضع الخليل معجمه الخالد ، وازاء كل هذه الظروف فاننا لا نستطيع الا أن نسلم بالنتيجة التى انتهى اليها الدكتور عبد الصبور شاهين حيث قال « غاية ما يمكن أن يقال فى هـذا الصـدد أن كتب الغريب كانت من نوع المعاجم المتخصصة التى حاولت الوفاء بغرض تفسير النص القرآنى على نحو ميسر وانها تأثرت بفـكرة التأليف المعجمى التى كان الخليل أول محقق لها بصـورة منهجية

لقد كانت طريقة الخليل فى وضع المعجم طريقة فريدة حقا ، بالنسبة الى العصر الذى عاش فيه ، فلو سألنا عالما من علماء ذلك الزمان . كيف تضع معجما لو توفرت لديك المادة اللازمة له ؟ لما خرج جوابه عن أمرين ، فاما أن يقول :

١ ــ أرتبه ترتيبا ابجديا على حسـاب حروف الهجـاء المعروفة (أ ــ ب ــ ت ــ ث) . . الخ . أو يقول :

٢ ــ أضعه مرتبا على حسب أواخر الكلمات فكلمة مثل « ضرب » توضع بحسب آخرها وهو « الباء » ثم ترتب الكلمات بعد ذلك ترتيبا داخليا بحسب أوائلها فتكون الكلمة السابقة فى باب « الباء » فصل « الضاد » وهذا الترتيب هو المعروف بنظام القافية .

أما الخليل بن أحمد فلم يأخذ بأحد الأمرين عندما فكر فى وضع معجمه بل أراد أن يصنفه بطريقة أخرى فما هى يا ترى هذه الطريقة ؟

لقد فكر الخليل وأعمل فكره كثيرا ، حتى اهتدى اليها ، فجاءت مطابقة تماما لعقله الرياضى ودليلا جديدا على عمق احساسه الموسيقى ، فهى طريقة تجمع بين العلم والفن ، وتمزج بينهما مزجا رائعا ، وكان هذا النظـام الذى اتبعه الخليل فى وضـع معجمه هو النظـام التقليبى ، فهو لم يرتب الكلمات ترتيبا أبجديا عاديا ، ولم يرتبها بحسب أواخرها ، وانما رتبهـا بحسب أعمق أصواتها مخرجا ، وهذه الطريقة تقتضى النظر الى جذور الـكلمة ، والاعتماد عليها فى تعيين أعمق أصـواتها مخرجا ، وما دامت طريقته تحكمها القوانين الصوتية ، فانه يستطيع بذلك « أن يعرف المهمل ويميزه عن المستعمل ، وبناء عليه فان الترتيب الصـوتى يكون من الناحية العملية أكثر اهمية من الترتيب العادى » (٢) .

ويمكن تلخيص الطريقة التى اتبعها الخليل بن احمد فى النقاط التالية :

أولا : رتب حروف الكلمات بحسب أعمق الأصـوات مخرجا من الحلق ، فرأى أن « الهمزة هى أعمق الحروف مخرجا ولكنه وجد من تغيرها سببا فى عدها ضمن حروف العلة ، كما فطن أيضا الى أن الهاء تليها فى العمق ولكن الهاء ما هى الا ارسال الهواء خارج الحلق ، ولهذا وجد أن العين أصلح حروف



---

(١) المصدر السابق ص ٤ .

(٢) المعاجم العربية للاستاذ الدكتور عبد الله درويش ص ٧٤ .

الحلق للبدء بها » (١) . ومن ثم كان ترتيبه للحروف على النحو التالى : ع ح هـ خ غ ــ ق ك ــ ج ش ض ــ ص س ز ــ ط د ت ــ ظ ذ ث ــ ر ل ن ــ ف ب م ــ وهمزة ى . .

وهكذا نلاحظ أنه بدأها بأعمق الأصوات مخرجا من الحلق ، وأنهاها بالمجموعة الشفوية التى تنتهى بالميم والواو والألف والياء .

ثانيا : خصص الخليل بن احمد لكل حرف فى معجمه كتابا بداه بكتاب « العين » ثم قسم كل كتاب الى الأقسام التالية .

أ ــ ثنائى ، اى ما كان فيه حرفان صحيحان ولو مع تكرار احدهما مثل « قد » .

ب ــ ثلاثى صحيح ، أى ما تكون من ثلاثة أحرف صحيحة مثل « كتب » .
جـ ــ ثلاثى معتل ، أى ما اجتمع فيه حرفان صحيحان وحرف علة واحد مثل « عصا » .

د ــ اللفيف ، وهو ما اجتمع فيه حرفا علة مثل « عوى » .
هـ ــ رباعى ، مثل « عسجد » .
و ــ خماسى مثل « الهينقع » (٢) .

ثالثا : باتباع هذا المنهج نستطيع ان نحصل على الكلمة ومقلوباتها أيضا فكلمة مثل « ضرب » يمكننا أن نحصل على ست صور لها كما يتضح من هذا المثلث الذى وضح به « ابن دريد » صاحب معجم « الجمهرة » فكرة الخليل ابن أحمد .

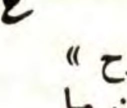
فتكون الصورة ومقلوباتها كما يلى :

١ ــ ضرب
٢ ــ ضبر
٣ ــ رضب
٤ ــ ربض
٥ ــ بضر
٦ ــ برض

ض
ب ر

وهذه التقليبات لأصول الكلمة الثلاثية تتبع أيضا فى الكلمة الرباعية والخماسية .

وثمة شىء آخر فطن اليه الخليل بن احمد ، وهو أن اتباع هذا النظام التقليبى يعطينا صورا للكلمة غير مستعملة فمثلا اذا اتينا بكلمة رباعية مثل « دحرج » تكون كالآتى (٣) :



أ ــ اذا سار حرف الدال يمينا حصلنا على «دحرج» وهى مستعملة .

ب ــ واذا سار يسارا حصلنا على « دجرح » وهى غير مستعملة وهكذا .. ولذا ميز الخليل بين ما

(١) المصدر السابق ص ٧٥ .
(٢) دلالة الألفاظ للاستاذ الدكتور ابراهيم أنيس ص ٢٣٢ .
(٣) المعاجم العربية ص ٧٦ .

استعمله العرب فسماه « مستعملا » ، وما لم تستعمله فسماه « مهملا » .

اما طريقة الكشف فى معجم « العين » فهو أن ننظر الى أصل الكلمة بصرف النظر عن الأحرف الزائدة فيها ثم نرى أى حروفها أعمق مخرجا فنجدها ومقلوباتها فى باب هذا الحرف مثل (عبد) فى باب العين وكذلك (بدع) و (دعب) .. الخ . ومثل (قد) فى باب القاف وأيضا (دق) وهكذا ..

ولقد كان لمعجم « العين » تأثير كبير على العلماء الذين أتوا بعد الخليل مثل ابن دريد الذى تأثر به الى حد بعيد فى معجمه « الجمهرة » ومثل « تهذيب اللغة » للأزهرى و « البارع » لأبى على القالى . فكل هؤلاء اتبعوا منهج الخليل باستثناء بعض التغييرات الطفيفة التى لا تمس جوهر الفكرة الأصلية التى وضعها الخليل بن أحمد .

وعلى الرغم من الشكوك التى اثيرت حول نسبة الكتاب ، وهل هو من وضع الخليل أو من وضع أحد تلاميذه فان البحوث الحديثة(١) استطاعت ان تثبت أن معجم « العين » انما هو من وضع الخليل ، وليس من وضع أحد سواه ، حتى أصبح المثل الأعلى لهذه البحوث . ما قاله أحد المستشرقين :

« ليس من العجيب ان يكون الخليل هو صاحب كتاب « العين » ولكن العجيب الا يسند اليه » .

وبعد ، فهذا هو الخليل بن أحمد العالم العربى العظيم ، وذلك جانب من جوانب حياته الخصبة الثرية التى قضاها فى خدمة اللغة العربية ، فأسدى اليها خلالها أفضالا كثيرة عظيمة .

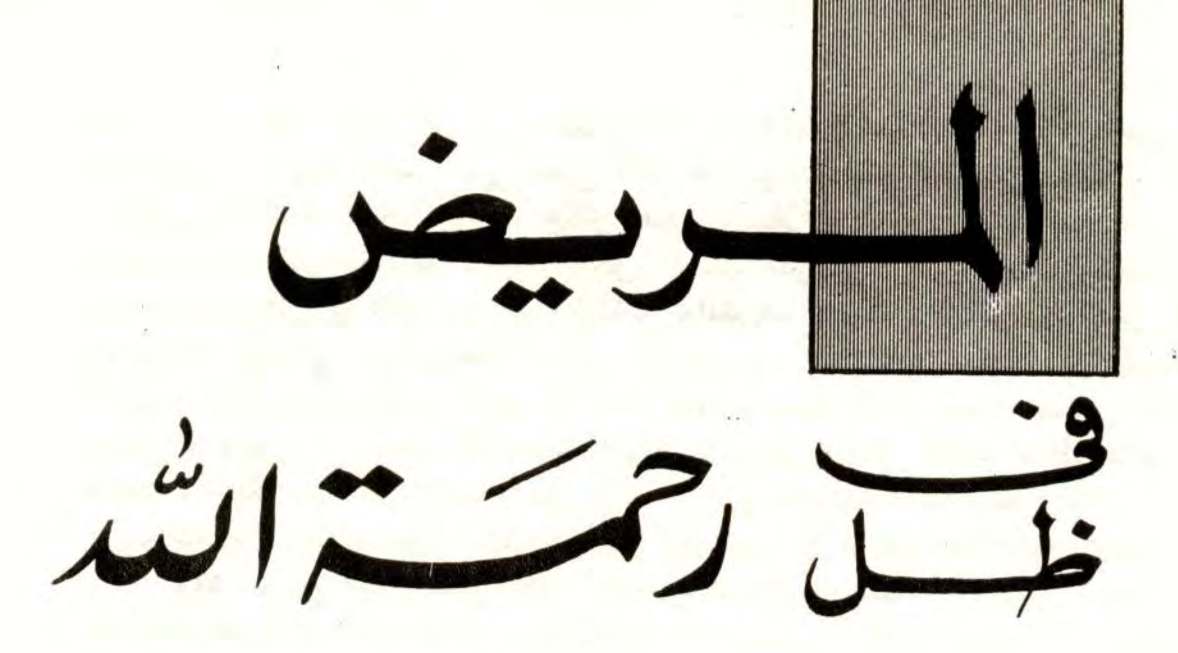
رحمه الله وطيب ثراه وجزاه عن خدماته الجليلة خير الجزاء .

---

(١) بين الأستاذ الدكتور عبد الله درويش فى كتابه « المعاجم العربية » ان الشكوك التى اثارها العلماء حول كتاب الخليل بن احمد كانت اما لحاجة فى نفس يعقوب ، واما لافتقار هؤلاء العلماء الى نسخة أصلية كاملة من المعجم ، واعتمادهم اعتمادا كاملا على الروايات التى اثيرت حوله ، أو على النتف التى ضمنتها بعض الكتيبات الصغيرة التى نقلت عن المعجم .

أما الأستاذ الدكتور عبد الله درويش فقد وفق فى العثور على نسختين من معجم « العين » احداهما عثر عليها فى المتحف العراقى ببغداد ، والأخرى وجدها فى مكتبة احدى جامعات المانيا .

ومن خلال هاتين النسختين اللتين عثر عليهما الدكتور درويش استطاع ان يتوصل الى نتيجة هامة وهى أن معجم « العين » لا يمكن بحال ان يكون من صنع أحد غير الخليل بن احمد ويستدل على ذلك بادلة كثيرة اقواها فىرايى الرسم البيانى الذى أورده فى صفحة ٧٦ وبين فيه الشبه القوى بين دوائر البحور التى ابتكرها الخليل ، وبين ما سماه الدكتور درويش « بدائرة المعجم » فان نظرة واحدة الى هاتين الدائرتين ترينا ان نظرية المهمل والمستعمل فى العروض تشابه الى حد بعيد قرينتها فى معجم « العين » مما يقطع بان مؤلفهما واحد .



للدكتور : وجيه زين العابدين

المرض سنة من سنن الكون يصيب الانسان كما يصيب غيره من المخلوقات وهو (خروج الجسم عن المجرى الطبيعي ويعبر عنه بأنه حالة أو ملكة تصدر بها الأفعال عن الموضوع لها غير سليمة)(١) وقد يكون المرض مؤقتا فيسمى المرض الحاد وقد يطول أمره فيكون مزمنا ..

وما كانت سنة الله هذه عبثا ففيها الحكمة البالغة .. فقد لا يشعر الانسان بنعمة العافية فيمرض فيكون محافظا على قواعد الصحة ويتجنب ما يضره .. وقد يمرض بصورة متكررة بأمراض خفيفة فيتكون في جسمه ما يسمى بالمناعة ضد مرض خطير أو ضد الاختلاطات (٢) هذا ولا بد من المرض أحد مسببات الموت ..

فما هي هذه الرحمة من الله للمريض .. ؟

عيادة المريض :

اوجب الاسلام على المسلم عيادة المريض فقد ورد في الصحيحين أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال حق المسلم على المسلم خمس .. عيادة المريض .. (الحديث) وأمره صلى الله عليه وسلم بقوله كما أخرجه البخاري (أطعموا الجائع وفكوا العاني وعودوا المريض) وقد بينت بمقال أسبق فوائد هذه العيادة ألخصها هنا .. فمنها جلب الطبيب له أو المرض وقضاء حاجته أو حاجة أهله عوضا عنه ، واقراضه الدراهم أو اعطائها اياه ان كان فقيرا(٣) . وغير ذلك .. على أن الدين الاسلامي قد بين هذه الزيارة .. فاذا دخل أحد على المريض فليطمعه في الحياة ويخفف عنه المرض ، ويذكر له أشباهه الذين شفوا من هذا المرض ، فقد أخرج الترمذي أن النبي (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) شرح الكرماني لصحيح البخاري المجلد العشرون ص ١٧٥ .

(٢) مثال ذلك اللقاح ضد الجدري حيث يصاب الانسان بجدري موضعي يقيه الجدر الحقيقي ..

(٣) اذكر وانا صغير قبل اكثر من اربعين عاما كان من عادة بلدتنا ان يزور الناس المريض في داره فيضعون تحت وسادته سرا شيئا من المال ان كان معسرا .

قال (اذا دخلتم على المريض فنفسوا له فان ذلك لا يرد شيئا وهو يطيب نفس المريض) .. وقد خفف النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لمريض مصاب بالحمى (طهور ان شاء الله)(١) .. وكان عليه الصلاة والسلام يضع يده على جبهة المريض أو صدره ويدعو له .. وحق المسلم المريض أن يزار مهما كانت صفته وشخصيته حتى لو كان من عامة الناس وأفقرهم ، وكان الزائر من أخص الناس وأغنيائهم أو كان اماما ويعاد الطفل المريض .. بل يندب عيادة غير المسلم لاسيما اذا رجا فى ذلك الخير ، هكذا فعل سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم(٢) ويجوز أن تعود النساء المريض الرجل ، فقد عادت أم الدرداء (وهى فقيهة) رجلا من أهل المسجد من الأنصار ، وعادت عائشة رضى الله عنها بلالا فى مرضه(٣) وتندب عيادة المريض من أول يوم فلا تؤخر بعد ثلاثة أيام(٤) .

وقد شجع النبى صلى الله عليه وسلم على عيادة المريض ، فقد وردت أحاديث كثيرة فى أجر الزائر منها ما أخرجه مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان المسلم اذا عاد أخاه المسلم ما يزال فى خرفة الجنة) اى ثمرتها .

التداوى :

أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتداوى فقد أخرج مسلم عن اسامة بن شريك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يا عباد الله تداووا) فهو سبب من أسباب الشفاء .. ويدخل فى التداوى ما يجب استعماله للوقاية من المرض .. فهذه رحمة الله على المريض بتوجيهه الى اتخاذ الاسباب ليبرأ بل ليمنع عنه المرض(٥) قال تعالى (وخذوا حذركم) سورة النساء . وفى حديث آخر أخرجه أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما أنزل الله من داء الا وأنزل معه الدواء فتداووا ولا تداووا بحرام)(٦) .

هذا ومن رحمة الله على المريض .. أنه حث العلماء على اكتشاف الأدوية حتى لا يبقى مرض الا ويخففه الطب ويشفيه باذن الله بل ان الاسلام قد جعل هذا الدرس وتتبع العلم للترفيه عن البشرية ، واعمار هذه الارض قد جعل طريقه طريقا الى الجنة .. فمن حديث أخرجه البخارى قال النبى صلى الله عليه وسلم (ومن سلك طريقا يبتغى به علما نافعا يسر الله له طريقا الى الجنة ..)

هذا عدا عون الله وهدايته لمن يفعل ذلك ويقدم عليه قال تعالى فى سورة العنكبوت (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) أخذا بمفهوم الجهاد العام ..

ولا بد وانا أتكلم فى التداوى أن اذكر الحديث المشهور الذى أخرجه البخارى وهو (سبعون ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يرقون

---

(١) من حديث اخرجه البخارى .. وقوله طهور قصده من الذنوب راجع شرح القسطلانى والعينى للبخارى واقول انها طهور ان شاء الله من الجرائيم والمرض ايضا .

(٢) عن أنس أن غلاما يهوديا كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فمرض فاتاه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده فقال اسلم فاسلم أخرجه البخارى .

(٣) من احاديث اخرجها البخارى .

(٤) أخرج ابن ماجة حديثا بعدم زيارة المريض قبل ثلاثة ايام ضعفه العلماء بل قال عنه بعضهم انه باطل راجع العينى فى شرح البخارى .

(٥) وهو ما يسمى بالطب الوقائى وارجو ان اكتب فيه بعد ذلك .

(٦) أخرج البخارى ومسلم ما يشبه هذا الحديث .

ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون)[1] فقد صنفه البخارى فى باب (فضل من لم يكتو) وصنفه ابن أبى الربيع الشيبانى[2] فى (باب كراهية ذلك) ولعله يقصد كراهية الاكتواء والرقية وهو ما يقصد منه بالرقى بالكلمات الشركية وغير العربية[3] .. والحديث يحث على التداوى لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر الحديث (وعلى ربهم يتوكلون) .. والتوكل هو اتباع السنن الالهية التى وضعها لهذا الكون[4] .. مثل السعى للرزق كما فى الحديث (لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) ومثل الامر بالتداوى كما ورد فى الحديث السابق .. هذا ويؤيد ما أذهب اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم (من اكتوى واسترقى فقد برئ من التوكل) أخرجه الترمذى . فالتوكل هو استشارة أهل الخبرة وذوى الاختصاص قال تعالى فى سورة الفرقان « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ومحاربة الخرافات والضلالات فقد سئل أحد الصحابة الا يعلق تميمة فقال (نعوذ بالله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تعلق بشئ وكل اليه) اخرجه أبو داود .

وقد ندب النبى صلى الله عليه وسلم فى التداوى ألا يكره المريض على الطعام والشراب ، فالنفس البشرية قد خصها الله فطرة أن تمتنع عن الطعام فى بعض الامراض مقاومة للمرض وتعجيلا للشفاء .. كما أن النبى صلى الله عليه وسلم كره أن يقسر على أخذ الدواء بالفم فقد أخرج البخارى عن عائشة الصديقة أنها قالت (لددناه فى مرضه فجعل يشير الينا ألا تلدونى) فان ذلك قد يسبب التقيؤ والانزعاج ، وربما آل الى أن يغضب المريض فيؤذيه غضبه ، فيتبع العلم الحديث اعطاء الأدوية عن طريق الرزق مثلا أو الدهان بالجلد أو غير ذلك ، وعلى كل فهذه الالتفاتة الكريمة من النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم هى مبدأ عام فى منع الطبيب من أذى المريض والتخفيف عنه فى مرضه ، وتيسير ما يلزم لتهدئة أعصابه ليقاوم المرض .

ولم يكتف الاسلام (رحمة بالمريض) بالمعالجة الدوائية المادية ، بل قرن هذا الدواء بالقوة المعنوية شأنه فى كل سننه وأوامره .. فمع الدواء الدعاء ، وقد ذكرت فى حديث أسبق أنواع الأدعية الواردة ، أبين منها واحدا قول النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم رب الناس اذهب الباس واشف فأنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما) أخرجه الشيخان .

وقد سمح الاسلام أن تداوى المراة الرجل فقد أخرج البخارى عن الربيع بنت معوذ أنها قالت (كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة . ويفهم من الحديث أن السماح بالتداوى جاء قياسا للخدمة ، ولم يجزم بالحكم[5] وأرى أن ذلك للضرورة القصوى مع مراعاة حجاب المراة المسلمة واتقاء الفتنة .

---

(١) ورد بصيغ كثيرة فيها بعض الزيادات والنقص عند البخارى ومسلم وأصحاب السنن .

(٢) تيسير الوصول كتاب الطب .

(٣) راجع شرح البخارى والعينى والقسطلانى والكرمانى .

(٤) يقول الكرمانى التوكل هو تفويض الامر لله فى ترتيب المسببات على الاسباب فقد لبس النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعين .

(٥) راجع شرح القسطلانى والكرمانى لاحاديث البخارى وهناك حديث آخر (وداوينا الكلمى) اخرجه البخارى فى كتاب صلاة العيد .

عبادة المريض :

خفف الاسلام عن المريض ، فسمح له بالصلاة جالسا أو مضطجعا ، أو حتى بالايماء برأسه أو عينيه ، وأن يختار ما يتيسر له من القرآن حسب قابليته . فان لم يستطع الكلام ذكر ذلك فى قلبه . . ولا يحرمه كونه مريضا من أن يكون اماما يصلى بالناس جالسا كما فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم(١) .

كما سمح الاسلام للمريض أن يفطر فيصـــــوم عدة من أيام أخر ان كان مرضه مؤقتا أما ان كان مزمنا فيكفيه الفداء دون الصوم .

وسمح للحاج المريض أن يحلق رأسه فى وقت يحرم فيه ذلك على السليم ، قال تعالى فى سورة البقرة (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) .

واعتمد النبى صلى الله عليه على ذوى الكفاءة والقابلية البدنية والعقلية فى الجهاد والغزوات ، وعفا عن المرضى والضـــعفاء والذين لا تتحمل قابليتهم البدنية القتال . فعل ذلك فى غزو أحد(٢) وقد رخص الله تبارك وتعالى للمريض والضعيف بالتخلف عن الجهاد بقوله عز وجل فى ســـورة التوبة (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل) . .

ثواب المريض :

أعد الله للمريض أجرا عظيما ان صبر ، وقد وردت أحاديث كثـــيرة فى هذا الثواب أذكر بعضها فعن عائشة كما أخرجه البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما من مصيبة تصيب المسلم ولا وصب (أى مرض) الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها) .

هكذا تكون التسلية للمريض فيصبر والصبر عزيمة ، والعزم قوة عظيمة مساعدة للشفاء من المرض . . وكلما زادت البلوى زاد الاجر ، حتى تكون الجنة للمريض الذى لا يرجى شفاؤه ولمن فقد بصره(٣) وقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن كالخامة اى النبتة الطرية فهو معرض للمصائب ، ولكنه ســـعيد صابر لما يتبع ذلك من خير عميم(٤) .

والانسان ضعيف قد يجزع أحيانا من طول مرضـــه أو شـــدته ، فيتمنى الموت ، وهنا تتجلى حكمة سيدنا المصـــــطفى فى توجيه المريض . . فيقول له (لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى) أخرجه الشـــيخان . هكذا يسكب الرسول صلى الله عليه وسلم من نور النبوة على المريض ، فتكون

---

(١) وردت أحاديث فى ذلك منها فى صحيح البخارى .. وراجع زاد المعـــاد لابن القيم فى حديثه عن غزوة أحد قال النبى صلى الله عليه وسلم : (صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك) البخارى .

(٢) راجع زاد المعاد وتفسير ابن كثير فى آيات الغزوة فى سورة آل عمران .

(٣) ورد حديثان فى البخارى عن ذلك ، حديث المرأة الســوداء التى تصرع ، وحديث من فقد عينيه .

(٤) أخرج البخارى أن النبى صلى الله عليه وســـلم قال (مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة .

هذه الحكمة بردا وشفاء لهذا الجزع والقلق ، وترضى نفسه المضطربة .. اذ أن وضعه بهذه الصورة لا يخلو من التسليم لأمر الله والرضا بقدره[١] وقد رخص الدين للمريض أن يتأوه ويتشكى ولا يخفى ما فى ذلك من راحة نفسية ، وفى القرآن الكريم أمثلة للشكوى منها شكوى أيوب عليه السلام فى مرضه .. والمريض الذى يموت من مرض فى بطنه أو من الطاعون أو من الغرق ، وكان صابرا فى بلواه له منزلة الشهيد ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى هذا المعنى منها ما أخرجه البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (المبطون شهيد والمطعون شهيد) ..

أعراض المرض وعلاماته :

ومن رحمة الله على المريض أن جعل للمرض أعراضا وعلامات كثيرة ترغمه أن يراجع الطبيب أو يبادر للعلاج ، منها الالم الذى هو من نعم الله على عباده اذ لولاه لما أحس المريض مرضه ، فاستفحل وربما يموت[٢] .

ومثل الاعراض العلامات التى يكتشفها الطبيب أثناء الفحص وهى كثيرة جدا ، وكذلك ما علم الله الانسان من استخدام الآلة لاكتشاف المرض كالفحوص المختبرية والشعاعية وغيرها .

معالجة المريض :

يمن الله على عبده المريض أن جعل فى عنق الطبيب المسلم معالجة المريض الفقير مجانا .. لا منة عليه بل واجبا ، زكاة علمه وعافيته .. يسعى اليه الطبيب ان لم يستطع المريض الخروج من داره ، وعليه أن يقدم له العلاج ان تيسر لديه .

هذا عدا ما أوجب الاسلام أن تكون معالجة المريض الفقير واجبا فى عنق الدولة الاسلامية تعالجه بما يتيسر لديها من أطباء وأجهزة ، فان عجزوا وجب عليها ارساله خارج بلادها للمحل الذى يؤمل فيه شفاؤه .. وعلى أن تختار له خيرة الأطباء وأمهرهم فقد أخرج مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم زار مريضا وطلب له الطبيب فجاء اثنان فقال أيكما أطب ؟ هكذا أختار له أمهر الطبيبين . وعلى الدولة الاسلامية أن تعطى راتبا للمريض فى دور النقاهة بقدر الأيام التى تمنحها له اللجان الطبية ، وحسب محصوله قبل المرض ، وحسب شخصيته وهذا ما فعلته الدولة العباسية ، على أن هذا ان وجد فى الدول الغربية الحديثة فانما هو مقدار ثابت قليل لا يتغير حسب الأشخاص مهما كانت منزلتهم ، وقد حرم الاسلام قتل المريض الذى لا يرجى شفاؤه أو تركه بدون علاج بما يسميه الغرب الثيونيزيا Euthanasia اذ يقول الله عز وجل فى سورة النساء (ولا تقتلوا أنفسكم) ويقول (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) .

وبعد فهذا الذى أذكره من جوانب رحمة الله على المريض ليطلع عليه المسلم ، فيرى أى مبدأ قد هداه الله اليه ليبادر الى الاسلام الصحيح فيعمل به ويتوب الى الله ويستغفره .

---

(١) راجع المفصل فى القسطلانى خاصة طلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويوسف عليه السلام تمنى الموت وذاك عند الأجل .

(٢) ذكرت احدى المجلات الطبية عن طفلة ولدت من غير احساس بالألم فقضت معظم حياتها القصيرة فى المستشفى تحت فحص الأطباء وتحاليلهم وأشعاتهم .

أحزان الشيطان

للأستاذ : محمد لبيب البوهى

جلس الشيطان ذات يوم حزينا يفكر ، لقد استعرض سجل اعماله فى احدى القرى ، ثم ضرب وجهه وشق صدره من الغيظ ، وارسل آهة احترقت من نارها سبعة حقول مجاورة .

ان قرية (س) لم يقع فى زمامها حادث كبير مثير من سبعة شهور .. سبعة شهور مضت تباعا .. واسهم الشيطان فى سجل الآثام الكبار لم ترتفع كثيرا .. فواأسفاه ووا حسرتاه ..

واستقبل الشيطان نائبه على هذه القرية ، وانهال عليه لوما وتقريعا .. قال نائب الشيطان وهو يسجد لكبير الشياطين :

يا صاحب الجحيم ، يا من لك القوة السوداء التى تقود بها ملايين الملايين من البشر الى سراديب السعير ، اننى انحنى لك تحية واجلالا ، واسجد لك كما يسجد الابرار من البشر لرب الأرض والسماء ، اسجد لك انت وحدك والتمس عفوك ، واذا كنت ترانى قد قصرت فاننى التمس منك النصح والتوجيه .

قال الشيطان الكبير وهو يمد الى الفضاء اصبعا اخترقت جوف الجبل المجاور :

لست اريد اعذارا على الاطلاق ، انما اريد الاسباب فانه لم تقع فى هذه القرية غير خطايا تافهة الشأن ضعيفة المقدار ، اننى ارى فى سجل اعمالك ، سبعمائة حالة سكر ، بعض الشتائم والسباب ، عراك هنا وخصام هناك .

وهب كبير الشياطين واقفا كالطود ، وراح يصرخ وهو يتميز من الغيظ :



لا .. لست أريد هذه النفايات من بنى البشر ، اريد .. اريد آثاما كبارا من تلك الكبائر التى تهز من هول بشاعتها الارض والسماء .. اريد تاريخا من الخزى والمنكر والعار . يجلل هذه القرية بالخزى .. أريد ذنوبا مما تندى لها الجباه .. وتنحط هامات الشرف الى الوحل ، حين تذكر تلك الامور امام اصحابها ، اريد امورا يمتد سوادها الكئيب من الآباء الى الابناء ، ومن الامهات الى البنات ، فيقال لأحدهم لقد فعل ابوك كذا من عشر سنوات ، فيود لو تبتلعه الأرض من هول ما ارتكب ابوه من الفحشاء .. ثم هز الشيطان راسه حسرة وهو يستطرد :

سبعة شهور مضت دون ان يتم فى هذه القرية شىء من هذا القبيل والتفت الى نائبه وقال :

انك شخت وهرمت ، ولم تعد صالحا الا لكى ترسل الى القطب الثلجى البعيد ، لتذوب كما تذوب الاملاح فى مياه المحيط ، وتكلم نائب الشيطان فى ترية .. س .. فقال :

اننى أواجه فى القرية حربا لم يكن لى بها من قبل عهد انت تعلم يا سيد الجحيم ان اكثر الآثام والمنكرات يأتيها الشباب .. ان اكثرهم يتهاوون فى اتون الملذات كما تتهاوى الفراشات فى النار ، ما أن يلوح لأحدهم شىء من رغبة أو هوى حتى يهرع اليه بل ان منهم اعنى معشر الشباب من يكفل لشيطانه الراحة لأنهم يتحولون تلقائيا الى شياطين من الانس يغرى بعضهم بعضا ، الشباب يتخذون دستور حياتهم من أفلام السينما ، فهم يقلدون فى حلاقة الراس على سبيل المثال بطلا سينمائيا أمريكيا ، ويتأودون فى الحديث كما يفعل نجم

آخر ، وهم يتخذون من زى فلان وفلان من عناكب السينما قدوة لهم ومثالا .

واستطرد نائب الشيطان يقول :

غير أنه قد هبط هذه القرية منذ عام ، فتى معه كتاب ، فهمس الشيطان فى نفسه مرددا متعجبا .

فتى معه كتاب .. ؟

وتلقف مئات من الشياطين الصـــــغار الذين كانوا يحيطون بهذا الجمع العفن هذه الكلمات فصارت تتردد على شفاههم فى عجب شديد .. فتى معه كتاب ..

ثم سأل الشيطان الكبير :

وماذا يحوى ذلك الكتاب ؟

فأجاب نائب الشيطان على قرية .. س :

كتاب من تأليف من يدعى بالامام الغزالى .. انه كتاب الاحياء ، فطأطأ زعيم الشياطين من رأسه ، وهو يردد فى أسى وحسرة : كتاب أنقذ من بين يدى ملايين من البشر على مدار الأجيال . آه .. ما أعجب ما تصـــنع الكلمات ، ثم طلب الى نائبه أن يوضح ماذا فعل الشاب صاحب الكتاب ..

قال نائب الشيطان على القرية ..

كان يقرأ منه ويشرح ، ويسهب للآخرين فى الشرح والايضاح ، كان الفتى نصيحا مخلصا فاقتدى به من الشباب آخرون وجدوا السعادة فى لذة الروح ، فتباعدوا عن لذائذ الابدان آلتى هى مجال نشاطى واجتهادى ، أما الروح فليس لأحد منا عليها سلطان .

قال الشيطان الكبير :

وما تجاربك مع صاحب الكتاب والكلمات ؟

قال نائب الشيطان على قرية (س) ..

أغريته بالراح التى ذهب الشـــعراء كل مذهب متغزلين فى جمالها على مدى القرون والأجيال ، وسردت على مسامعه ما قاله هؤلاء الشـــعراء ، ومن ذلك ما قيل فى وصفها :

حف كاســـــها الحبب

فهى فضـــة ذهب

واهتز الشـــياطين طربا وهم يتذكرون أثر الخمر فى الذهاب بالعقول ، ولكن الشيطان الكبير صرخ صرخة ماد من شدتها الركن القريب من التلال وهو

يصيح :

مجنون أنت وساذج أيها النائب على القرية ، من كان يحمل كتابا كالاحياء لن يقرب الخمر . الخمر صفة التافهين والفارغين ، فلماذا لم تجرب معه وسيلة أخرى ، وهمس مرددا فى هزؤ وسخرية .. لماذا لم تجرب وسيلة أخرى غير تلك التى حف كأسها الحبب . فهى فضة ذهب .. ؟ لماذا لم تجرب السلاح — السلاح الذى لا يفل عند الشباب .. سلاح النساء .. اننى أرى فى قلبه صورة امرأة .. فابحث عنها .. ثم هيىء الوسيلة التى لا تخيب .. وسيلة الخلوة .

ونظر الشياطين بعضهم الى بعض ، وطأطأ نائب كبيرهم رأسه خزيا ثم أجاب : صدقت يا سيد الجحيم .. فى قلب الفتى صورة امرأة .. يتعذب من اجلها لقد شغف بها حبا وراح يخطبها لنفسه فطرده أبوها . فجاء الى العزلة يجتر احزانه وسأعمل كل طاقتى للجمع بينهما فى الصورة التى يندر أن يخيب معها للشيطان أمل .. الخـــلوة .. ووافق الجميع ، وانفض الجمع الاسود العفن ، وذهب نائب الشياطين على قرية .. س .. يفكر ويدبر .

والشىء المؤكد الذى لا ريب فيه أن راجا فتى القرية كان يهيم حبا بتمارا .. كان حبا قويا هز وجدان الفتى مذ رأى صورتها فى احدى الصحف التى احتفلت بها فى ميادين التفوق بالنجاح فى دراستها ، ومنذ ذلك اليوم عزم راجا عزما أكيدا أن يبزها تفوقا فى مجال العلم ليصـــبح جديرا بالتقدم الى أبيها .. لقد تقدمت به الأيام وهو يزداد تفوقا فى دراسته وهو يطوى الجوانح على هـــذه الرغبة الشريفة البيضاء .

وكان الشىء الذى يحرص عليه ، هو أنه اذا كان يقبض على دنياه باليد اليسرى ، فعليه أن يقبض على دينه باليد اليمنى ..

وكما وجد فى كتب العلوم المختلفة بغيته فى التفوق ، وجد فى كتب الامام أبى حامد الغزالى طريق الارشاد ، وقيل عنه انه الطالب الصوفى ، وكان يفخر بهذا اللقب ويظن انه سيفتح له قلب صاحبته التى لم يلقها على الاطلاق ويمهد الطريق الى نيل يدها .

وما أن اتم دراسته وتقدم الى أبيها فى داره واستمع الرجل الى قصته حتى ارسل الوالد فى الفضاء ضحكة مجلجلة ساخرة .

الفتى الصوفى يريد ابنتى ..

وربت على كتفيه وهو يودعه .. لا يا فتى . ان ابنتى لا علاقة لها بالصوف ولا بالتصوف نحن اهل الدنيا ونريد لابنتنا الاكثر جاها ومتاعا .

وكان راجا حريصا على أن يعلم رأى تمارا فى الامر ولكنه ما لبث أن علم انها هى الاخرى ضحكت وأرسلت فى الفضاء ضحكة لا تقل عن ضحكات أبيها الهازئة الساخرة .

كان الصوفى يريدنى زوجة !! يا عجبا .. !! كان سيجعل منى أضحوكة

لاصحابى .

ولما علم الفتى بذلك اشتد غضبه ، وعظم أســـاه ، وكره الدنيا واعتزل الناس فى القرية يعمل مجتهدا لينسى غرامه ، واقسم فى فورة غيظه لئن وقعت الفتاة فى يده يوما ليكونن له معها بالحيلة أو بالقوة أمر يخزى منه اهلها ويندى جبينهم على مدار الأيام .

والتقط نائب الشـــــيطان على قرية .. س .. هـــذا الخيط . واخذ ينتهز الفرصة والايام تدور وتدور حتى جاء فصل الشتاء .. واشـــتد البرد فى هذه البقاع الثلجية ، وخرجت تمارا فى رهط من صاحباتها للرياضة ، والجرى ، والقفز ، وكان نائب الشيطان على قرية س يتابعها حتى جعلها تضل الطريق ، فراحت ساعات وساعات تضرب فى الفيافى على غير هدى وهى تبكى باحثة عن صاحباتها والشيطان يعمل على المزيد من اضـــــلالها .. وقصف الرعد ، وبرق البرق وغرقت الدنيا فى العاصفة والمطر الغزير ، وخرج راجا ليقف على باب داره التى فى الجبل يسبح لرب الكون فى هذه اللحظات من التجليات ، وبينما كان ينظر يمينا وشمالا ليملأ عينيه من جمال الوجود متفـــــكرا فى خلق السموات والارض ، رأى على ومضات البرق شبح فتاة تتخبط تحت العاصفة وهى تحاول أن تلوذ بالجدران .

فلما تقدم نحوها مسرعا بالتحية وتبين ملامحها عرفها ، اما هى فلم تكن قد التقت به من قبل ، وقالت فى هدوء .

لقد ضللت الطريق ، فهل أجد عندك هاتفا لأتصل بأسرتى ؟ وأجاب بصوت مضطرب وقلبه يعربد فى صدره والشيطان يحرك أمامه قسمه القديم ورغبته المحمومة فى الانتقام ، يؤسفنى يا أختاه أنه ليس فى دارى هاتف ، ولكن يمكنك أن تجدى عاصما من هياج الطبيعة اذ لا ريب أنهم سوف يرسلون فى البحث عنك . ولم يكن أمامها مفر من قبول دعوته والا هلكت تحت العاصـــفة وقضى عليها فى هذه البرية .

تفضلى يا اختاه فى هـــــذه الحجرة ، ان دارى متواضعة كل محتواها الحجرة والمدخل ادخلى حجرتى ولسوف أبقى هنا .

اجلسى فجففى ثيابك حتى أعد لك قدحا من شراب ساخن يرد اليك العافية والدفء .

وخرج الى مدخل الدار وراح يشعل مصباحه الزيتى ، وخيالها ما زال يلازمه ويتراقص أمامه بينما أرسلت الســـــماء فى الخارج رعدها القاصف وانفجرت فى أعماقه رعود اشد واقوى وطاف الشيطان بالدار ولمسها بجناحه واقترب من قلب تمارا ومسه مســـــا هادئا رقيقا ورفعت عينيها الى صورته وانفلتت منها صيحة هامسة لنفسها ..

ما اجمله .. !! وما أروع محياه ؟

■ ■ ■

وابتسم الشيطان راضيا وأخذ يقترب من قلب الفتى ليهزه هزا عنيفا ، هذه هى وحدها وقد حان حين قسمك بالانتقام ، وانها لتنظر الى صورتك فى اعجاب والعذارى قلوبهن هواء ، هيا ، فجرب فرصتك ولا تفلتها .. انها ساعة حلوة كلها لذة ومتاع ، تقرب .. ولاطف .. وابتسم ..

■ ■ ■

وانحنى راجا وهو يقدم قدح الشاى والفتاة ترمقه فى اعجاب ، وقد أهدت اليه ابتسامة حلوة ، وراح يجاذبها أطراف الحديث حتى تأكد أنها لم تعرف فيه غير شاب مهذب تطيب له العزلة .

وراح يسأل نفسه ، الم تعرفه ابدا ؟ ألم تره من بعيد !!؟ أم ان هذه اللحية الخفيفة التى أرسلها قد أخفت عنها شخصيته .

لقد بدا له ذلك حقيقة .. وكانت فتاة عصرية من النوع المنطلق ، مدللة ذات جرأة فى الحديث ، فراحت تطرى لحيته ولم تنكر أنها لأول مرة تكتشف أن اللحية الخفيفة تزيد ذوى الوسامة جمالا .

ان الجو مهيأ لما يريد الشيطان ويبغى ولكن الفتى اخذت تتصارع فى أعماقه عوامل شتى . أيقدم وينتهز فرصته أم يحجم ، واخيرا رأى أن يتجول فى الخارج قليلا وأخذ يحرك بالرغم منه عودا ملتهبا من النار التى أعدها لتشيع الدفء وغفل عن نفسه فى غمار الصراع الاحمر المشتعل فى الاعماق فاندس أصبعه بغير شعور فى أعواد النار ولسعته لسعة أشاعت فى جسده القشعريرة والم الحريق ، وكانت هى ترقبه فضحكت متعجبة :

لقد أحرقت أصبعك ..

فهب قائما يشد على أصبعه التى احترقت حتى الجلد ، ان الالم يهز كيانه ومرت فى خواطره ذكريات قراءته ، ترى كيف يكون أمر الذين كلما احترقت جلودهم بدلوا جلودا غيرها .. ؟ وسألته عما يدور فى خاطره ، وقد أمسكت بأصبعه فى رفق ، تدير حولها رباطا من شاش ، فلما قص عليها أمر الذين تحترق جلودهم فى النار .. قالت وقد انتهت من مهمتها ضاحكة وهى تهز كتفيها . تذكر كما يحلو لك .

كانت هناك نيران أخرى من نوع آخر تشتعل فى أعماقه وتشعل فيها الرغبة ، بينما هناك أنوار تتراءى فى الافق تذكره بما يجب أن يكون ، وخرج الى العراء والفتاة فى الداخل ترمقه فى عجب .. واخذ يتجول غير عابىء بالزمهرير ، ولما أحس أنها دخلت الحجرة وتمددت على الفراش وتناومت عاد الى مدخل الدار وجلس متكوما فى الركن ولكن نظراته كانت تتلصص نحو الحجرة .. ها هى تتقلب فى تمام جمالها ، وقد تخففت من ملابسها فبدت كحورية ، واندفع قائما وأخفت نور المصباح .. ووقف هنيهة لا يدرى أيرجع أم يدخل وبالرغم منه تقدم رويدا رويدا نحو بابها ، واغمضت عينيها فزاد ذلك من جمالها الذى كان يتراءى على ضوء القمر المتسلل من زجاج النافذة .

ولمس الكتاب وهو واقف كالصنم الى جوار المكتبة ، وشده شيء ما الى الركن مرة أخرى .. ولاذ بالركن ساعة أو نحوها يرتجف .. ولكن اصواتا بعيدة هامسة كانت تناديه وتذكره بالقسم .. وباللذة .. وبالفرصة المتاحة .. وراح يتذكر ما ينشأ من أخطار الخلوة لقد كان يقرأ عن خطرها فى تحذيرات الكتب أما الآن فانه يجتاز تجربة عملية قاسية .

مرارا ومرارا هم نحوها ثم تراجع .. حتى اضطر ان يشعل النار ويبقى أصابعه التى لم تمسسها النار قريبة منها ، يحاول أن يقترب بها لتحس بنيران الحريق ويتذكر أولئك الذين سوف تتبدل جلودهم كلما احترقت ، فتعود مئات أو الوف أو ملايين الملايين من المرات لتحترق من جديد ، كل ذلك لسبب لذة عارضة عابرة قد تنشأ فى زمن يسير لا يتجاوز خلوة ساعة .

واغمض عينيه تحت وطأة العذاب النفسى من الصراع المحتدم فى الاعماق حتى أشرقت الشمس وجاءت الفتاة لتوقظه .

هذه سيارة أبى .. لقد جاءوا فشكرا لك .

وركبت الفتاة السيارة .. ولوحت له شاكرة وهى تتســـــاءل بينها وبين نفسها .. اى لون من الشباب هذا الفتى العجيب .. !!

أما هو فقد ابتسم وابتسم ـ لقد انتصر على نفسه ، لقد كان قادرا على أن ينتهز الفرصة . ولكن لذة أخرى اخذت تشمل كيانه فى هدوء وأناة .. لذة من نور علوى .

وكان الشيطان يرقب نتائج تدبيره ، فزفر زفرة اذابت جبلا قريبا ، وضرب بقدمه الارض فمادت عشرين ذراعا ، ولكنه أبصر الفتى يمر قريبا منه ، فانحنى حتى كادت رأسه تلمس الارض ، وقال فى نفسه :

اننى أنحنى .. وانحنى لشاب منتصر .. اننى انحنى للنور العلوى رغم احزانى وفشلى .

واقترب منه شيطان صغير يتساءل :

من أين استمد ذلك الفتى قوته وبأسه .. ؟ أمن ذلك الكتاب الذى أغاظك .. كتاب الاحياء !؟

قال الشيطان وهو يمرغ وجهه فى التراب :

ما هذا الكتاب غير قطرة من المحيط الأعظم الذى يحتويه كتابهم الكبير .. كتاب الله .

ومر الشاب شامخا وعلى وجهه نور .

وازداد الشيطان التصاقا بالتراب .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها ..

فى الوصية

السؤال :

والدتى توفيت الي رحمة الله ، وليس لها ورثة سواى وأخي وأختى فقط ، وكانت قد أوصت لى بثلث أموالها ، وعند وفاتها عارض أخى فى الوصية ، ولكن أختى وافقت عليها . فما حكم الشريعة ؟

(على محمد)

الاجابة :

الوصية شرعا تصرف فى التركة مضاف الى ما بعد الموت ، ولا تجوز الوصية لوارث الا اذا أجازها باقى الورثة ، ولو أجازها أحد الورثة وعارضها بعضهم جازت فى حق الذى أجاز وبطلت فى حق الذى لم يجز .

وبما أن أخاك لم يجز الوصية فتبطل فى حقه ويأخذ نصيبه فى التركة جميعها ، ولا تؤثر الوصية عليه وحقه فى التركة هو خمسا التركة كلها .

وبما أن أختك أجازتها فتكون الوصية لك صحيحة بالنسبة لنصيبها فى الثلث ، وتستحق نصيبها فى التركة بعد استخراج الثلث الموصى به أى تأخذ خمس الباقى بعد الوصية ـ وتستحق انت الباقى بعد استخراج نصيب أخيك وأختك على الوجه المذكور .

فى الرضاع

السؤال :

اخوان شقيقان هما غازى ، وغزاى ـ أرضعت زوجة غزاى بنتا أجنبية عنهما ويريد غازى أن يتزوج هذه البنت . فما حكم الشريعة ؟

(م . م)

الاجابة :

برضاع البنت المذكورة من زوجة غزاى ـ صارت هذه الزوجة أما لهذه البنت ، كما يصبح زوجها غزاى أبا لها ـ ويصير غازى عما لها من الرضاع لأنها تصير بنت أخيه من الرضاع ـ قال تعالى فى آية التحريم (وبنات الأخ) وقال عليه الصلاة والسلام (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) ومن ثم فلا يجوز له التزوج منها اذا كان الرضاع خمس رضعات مشبعات متفرقات وفى سن الارضاع .

فى الأضحية

السـؤال :

١ ـ هل يجوز اخراج مبلغ من المال بقيمة الأضحية .
٢ ـ هل يمكن ذبح الضحية فى بلد غير الذى يقيم فيه المضحى لكثرة الفقراء فى ذلك البلد .
٣ ـ هل يجوز انابة شخص فى القيام بها .

(ص.م .ب) وزارة الصحة ـ الكويت .

الاجابـة :

أولا : بالنسبة لاخراج مبلغ من المال بقيمة الأضحية ـ فانـه لا يجـوز استبدال الأضاحى أو الهدى بالنقود ، وليس القصد من الأضاحى الا التقرب بها نفسها الى الله ، قال تعالى : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيهـا خير » وقال : « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .

ومن ثم فان الفقهاء يعتبرون التقيد باراقة الدماء فى مثل هذا .

ثانيا: بالنسبة لذبح الأضحية فى غير البلد المقيم فيه ، فـاذا كانت هـذه الأضحية ليست بنذر فيجوز أن ينقلها كما يجوز له أن يوكل غيره بذبحها نيابة عنه فى مواعيدها الشرعية ، اما اذا كانت نذرا فى مكان معين فيجب عليه أن يلتزم بنذره .

والخلاصة أنه لا يجوز استبدال الأضحية بمال ، أما نقلها الى محـل آخر يتوافر فيه الفقراء فجائز ما لم تكن منذورة فى مكان معين ، كما يجوز له أن ينيب عنه غيره فى ذبحها .

. . . . .

قضاء الوتـر

السـؤال :

رجل أخر صلاة ثلاث ركعات الوتر حتى يصليهن آخر الليل ونسى ذلك . فهل يجوز قضاء الوتر ؟

محمد حمود ـ مدرسة ابن رشد ـ الكويت

الاجابـة :

اختلف الفقهاء فى قضاء صلاة الوتر :

فذهب الأحناف الى أن من ترك الوتر ناسيا وعامدا وجب عليه قضاؤه وان طالت المدة ، ويجب أن يؤخره عن صلاة العشاء لوجوب الترتيب ، فلو قدمه عليها ناسيا صح .

وذهب الحنابلة : الى انه يسن له قضاؤه مع شفعه اذا فات .

وذهب الشافعية : الى انه يسن قضاء الوتر اذا فات وقته ، وكذا كل نفل مؤقت .

وذهب المالكية : الى أنه متى صلى الانسان الصبح فلا يقضى الوتـر لأن النافلة عندهم لا تقضى الا ركعتا الفجر .

يتبين مما سبق أن الأحناف والحنابلة والشافعية يرون أن الوتر يقضى لو فات وقته ، ويرى المالكية انه لا يقضى فى حالة فوات وقته . ولكل مسـلم أن يختار لنفسه ما يزيده قربى الى الله .



حديث الحروف السبعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انزل القرآن على سبعة أحرف) قرأت شرح هذا الحديث لأكثر من مؤلف وكاتب ، ولكني خرجت من هذه القراءات كلها بلا شيء . فهل أظفر بشرح مبسط يسهل على فهم هذا الحديث .

عبد الرزاق الحكيم ـ بغداد .

نص الحديث الشريف يلقى كثيرا من الأضواء على معناه المقصود ، ونصه : روى مسلم بسنده عن ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بنى غفار ـ موضع بالمدينة ـ قال : فأتاه جبريل عليه السلام فقال : ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وان امتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال ان الله يأمرك أن تقرأ امتك القرآن على حرفين ، فقال : اسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : اسأل الله معافاته ومغفرته ، وان أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة : فقال ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرؤا عليه فقد أصابوا .

فالحديث يفيد أن القرآن الكريم انزل على سبعة أحرف ، وان الحكمة من هذا تيسير وتسهيل قراءته على الأمة ، وانه لو انزل على حرف واحد لشق على الأمة قراءته ، ومن الواقع المشاهد نستطيع أن نفهم المعنى المقصود من الحديث فالشعوب العربية مع أنها تنطق بلغة واحدة الا أنها تختلف اختلافا كبيرا فى طريقة الأداء وكيفية النطق ولو انك طلبت من الجزائرى العربى أن ينطق كما ينطق السودانى مثلا لشق عليه جدا أن يكون كيفية أدائه ونطقه موافقا للسودانى تمام الموافقة ، والقرآن لا يكون قرآنا الا اذا كان موافقا فى جوهره (حروفه وكلماته وحركاته وترتيبه) وفى صورته (طريق أدائه وكيفية لهجته) ـ لما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما يحرم المساس بجوهر القرآن كذلك يحرم المساس بصورته بكيفية أدائه ، فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ مثلا موسى وعيسى من غير امالة وكلف العربى الذى لهجته الامالة النطق من غير امالة لعانى من ذلك معاناة شديدة ولما طوع له لسانه النطق الصحيح ، ولو قرأ بالامالة لكان فى ذلك مخالفا للنطق النبوى ، ولهذا كان من تيسير الله على الأمة أن انزل القرآن على هذه التوسعة التى حددت بسبعة أحرف تجمع مختلف اللهجات العربية . قال ابن قتيبة : كان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقرىء كل أمة (قبيلة) بلغتهم ، وما جرت به عادتهم ، ثم قال ولو أراد كل فريق من هؤلاء ـ يقصد القبائل ـ أن يزال عن لغته ـ لهجته ـ وما جرى عليه اعتياده . طفلا ويافعا وكهلا لاشتد عليه ذلك وعظمت المحنة فيه ولا يمكن الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ،

وعظمت المحنة فيه ولا يمكن الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للســـان ، ومتصرفا فى الحركات ، كتيسيره عليهم فى الدين .

من بقايـــا الجاهليـــة

جرت العادة بأن يقول الرجل أو المرأة عندما يعضل عليه أمر : يا شـــيخ فلأن اذا تم هذا الأمر لك شاة فاذا قضى الله ذلك الأمر ساق أو ساقت الشاة وذبحت بالقرب من ضريح الشيخ .

فما حكم الشرع فى هذا النذر ؟

حمد. أ حمد
العباسية ــ السودان

هذا النذر يا سيدى حرام ، ولا يجب الوفاء به ، ولا يثاب الناذر عليه ، لأنه لغير الله أو لأن لغير الله فيه نصيبا ، والله سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ، وكل محاولة لاقرار هذا النذر أو اباحته اعتمادا على سلامة عقيـــدة الناذر أو حســـن نيته كما يفعـــل المتساهلون أو المنتفعون ــ جراة علي الله ورسوله لأن الناذر أشرك مع اللـــه غيره فى القول على الأقل ، والطاعة والعبادة المقبولة يجب أن تكون خالصـــة لله فى القول والفعل . وأولياء الله الذين ينذر لهم الناذرون برآء الى الله من كل ما يغضبه ، وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

انما النذر ما ابتغى به وجه الله ، وانه لا يرد شيئا .

وستجد يا سيد حمد الاجابة على الجزء الأخير من رسالتك فى الأعداد القادمة ان شاء الله .

أبو كبشـــة

نسب مشركو مكة ــ فى موقف الخصومة والسخرية رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الى هذا الرجل ، فقالوا سحركم ابن أبى كبشة . فمن هو أبو كبشة . وهل هو عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول وهذه كنية له ، أم هو رجل آخر ؟ ولماذا نسبوه اليه ؟.

سهيل المطيرى ــ البحرين

أبو كبشة هذا هو الحارث بن عمر ، وهو رجل عاش فى الجاهلية ، وكان من شأنه أنه عبد الأصنام والأوثان ، ثم تحول عنها الى عبادة الشعرى التى ذكرها الله تعالى فى كتابه ، فقال جل شأنه (وانه هو رب الشعرى) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا الى عبادة الله ، وحده ، قال عنـــه المشركون هذا ابن أبى كبشة أى يشبهه فى عبادته غير آلهتهم والأمر فى هذا كما قال الله تعالى حكايـــة عن بنى اسرائيل : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء » يقصدون يا شبيهة هارون فى التقوى والخلق .

فأبو كبشة غير عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول ، ونسبه المشركون اليه لأنه خالفهم فى عبادتهم كما خالفهم أبو كبشه .



يعبرون فيه عن افكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

علل واسباب

السيد حسن التل باذاعة المملكة الاردنية الهاشمية يتلمس طريق الغوث والنجدة وسط الأحداث المظلمة التي تعيش فيها امتنا الاسلامية فيقول :

ماذا علمتنا الهزائم ؟ منطق الأحداث وطبيعة الحياة تؤكد أن نجاح أية قضية لا بد أن تتوفر لها الظروف والأسباب المناسبة ، وأن البناء لا يشاد عاليا متماسكا الا اذا توفر له عقل مهندس ورصيد ممول ، وجهد عامل . فالاوهام لا تبنى البيوت ولا تشيد المساكن ، وكذلك الأمم لا تستطيع أن تمحو عارها ، وتبنى أمجادها ، الا اذا توفر لأبنائها الفكر المتميز ، والقادة العباقرة والجهد الصادق المخلص .

أما الأجيال الاخيرة لهذه الأمة فما زالت تنتظر المعجزة التى تحرر الوطن وتزرع الأرض وتعمر الديار لتفيض بالخير لبنا وعسلا . دون أن تبذل هذه الأجيال الجهد اللازم وتوفر الامكانات المطلوبة للتحرير والبناء . لذلك كانت النتيجة مجموعة من الهزائم يرتبط بعضها بأذيال بعض ، فبعد أن انهزمنا فكريا ، قادتنا هذه الهزيمة الى هزيمة أخرى وهى هزيمة السلوك المتميز ، فذابت شخصيتنا ، وزالت معالمها ، نتيجة لانخراطنا الكامل بمظاهر الحضارة الغربية دون أن نراعي طبيعة تفكيرنا ولا تعاليم عقيدتنا ، وكانت الهزيمة العسكرية نتيجة حتمية لهزيمتنا الفكرية والاجتماعية .

وما لم نقوم الظروف والأسباب والملابسات التى سقطت بنا فى الواقع السيىء ، وسببت لنا كل هذه الكوارث لن نستطيع النهوض من كبوتنا .

فأول الخطوات التى يجب أن تتخذ على صعيد البناء القومى هى المباشرة الجادة لدراسة أسباب الكارثة على الصعيد الاجتماعى والفكرى والعقائدى .

فاذا ما كانت نتيجة هذا التقويم ضرورة العودة الى مقومات شخصيتنا المتميزة على الصعيد الفكرى والاجتماعى بدا التخطيط من هذه النقطة بحيث نحافظ على شخصيتنا مع الانفتاح على الآفاق الواسعة فى ميادين العلم والصناعة ومجالات العمران المختلفة .

أما أن تبقى شخصيتنا بلا هوية وبدون منطلق فكرى متميز فاننا لن نستطيع أن نخطو خطوة واحدة الى الامام بل اننا لا نستطيع أن نقف فى وجه أية موجة غازية على الصعيد الاجتماعى والاقتصادى والعسكرى .

وأحسب أن الاحداث التى عشناها كافية فى أن توقظنا من هـــذه الغفلة التي سحقتنا على الصعيد الفردي والصعيد الاجتماعى على السواء .

الرقابة على الأطباء فى الاسلام

ومن كلمة بهذا العنوان بعث بها الأخ عبد الرحمن الســميط بكلية الطب ببغداد نقتطف ما يلى :

أوفى بن الأخوة القرشي المتوفى سنة ٧٢٩ هـ باب الحسبة على الأطباء حقه أكثر من غيره من المؤلفين ، وله مخطوط مصور فى دار الــكتب المصرية باسم القربة فى معالم الحسبة تحت رقم (١٧١) فى باب : (الصناعات والفنون) تصور مدى تدخل الرقابة الاسلامية على صناعة الطب .

ففى الباب الخامس والأربعــون يذكر المؤلف فى بداية حديثه عن الرقابة على الأطباء بعض الأحاديث النبوية التى تأمر بتعــلم الطب ووجوب ذلك على بعض أفراد الأمة ، ثم يتحدث عن الأطباء فيقول : (ينبغى أن يكون لهم مقدم من أهل صناعتهم .. ليعرضوا عليه بقية أطباء البلد فيمتحنهم فمن وجده مقصراً فى عمله أمره بالاشتغال وقراءة العلم ونهاه عن المداواة) ، وما أشبه ذلك بامتحان المتخـــرجين من كلية الطب حيث يجاز المــاهر منهم ويمنح بذلك شـــهادة البكالوريوس ، ويطلب من الضعيف فى المهنة أن يتعلم ويدرس . ثم يذكر المؤلف طريقة لو اتبعت فى هذا العصر بحذافيرها لردعت بعض الأطباء ممن لا يقيمون وزنا لحياة الحرف عن التمادى فى غيهم ، ولجعلتهم يحرصون فى التشــخيص قبل وصــف الدواء ، اذ يقول المؤلف : « وينبغى اذا دخل الطبيب على المريض سأله عن سبب مرضه وعن ما يجده من الالم ثم يرتب له قانونا (وصفه) من الأشربة وغيره من العقاقير ثم يكتب نسخة لأولياء المريض .. » ، وهكذا يفعل من كل وصفة وعند كل زيارة للمريض اذ يترك نسخة من الوصفة الطبية عند أهل المريض فان برىء المريض نال الطبيب أجره وان مات : « حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور وعرضوا عليه النســخ التى كتبها لهم الطبيب فان رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب ، قال هذا قضى بفروغ أجله وان رأى الأمر بخلاف قال لهم خذوا دية صاحبكم من الطبيب فانه هو الذى قتله بسوء صناعته وتفريطه فكانوا يحتاطون على هذه الصورة الشريفة الى هذا الحد حتى لا يتعاطى الطب من ليس من أهله ولا يتهاون الطبيب فى شىء منه » .



قالت صحف العالم

ما هو واجب العلماء .. ؟

طالعتنا صحيفة الدعوة السعودية تحت هذا العنوان تقول :

علماء الاسلام فى مجتمعات الأمة الاسلامية يتحملون أكبر المسئوليات فى اخطر قضايا الأمة ، وتلك المسئوليات الجسام حملهم الله ثقلها بحكم ارثهم لمسئولية الرسالة النبوية التى هى هداية البشر وارشادهم الى ما خلقوا له (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .. ان العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، كما فى الحديث ..

ولقد كان للعلماء فى العصور الوسطي المركز الاسمى والكلمة المسموعة والسطوة المرهوبة حين كانوا يصدعون بكلمة الحق لا تأخذهم فى الله لومة لائم ثم ما داموا يعلمون أنهم صادقون مع الله ويذبون عن الحق الاسلامى بقوة الايمان الذى يملأ عليهم قلوبهم وافكارهم ، ولو أردنا الاستشهاد على ذلك لاقتضى منا مجلدات لا سطورا عجلى نكتبها فى صحيفة سيارة .

وجاء الغزو الصليبى الاستعمارى الى البلاد الاسلامية فعرف خطورة العلماء على مخططاته الاجرامية التى رسمها ضد الاسلام فأوحى الى صنائعه فى تلك الأجيال بأن يعزلوا (الدين) عن (الدولة) ومن هنا خضدت شوكة العلماء وضعف تأثيرهم وما زال هذا المخطط ينخر فى جسم الأمة الاسلامية حتى يومنا هذا حين نجد أن العلماء لم يعد لهم ذلك التأثير ، وأصبحوا شبه معزولين عن قضايا السياسة والامور الهامة التى تتعلق بالقضايا الجوهرية فى كيان الأوطان وسلامة عقيدتها واستقامة ابنائها ومحاربة أعداء الاسلام .

وها هى الأمة العربية والاسلامية تعيش اليوم أخطر فترة فى تاريخها منذ فجر الاسلام حتى ساعتها الراهنة فاليهود وهم الد أعداء العرب والمسلمين والد أعداء الشعوب جميعها غزوا بلادنا واستولوا على (بيت المقدس) أولى القبلتين لدى المسلمين وعاثوا فسادا فى المسجد الأقصى وجميع المقدسات الاسلامية وشردوا الشعب العربى المسلم من أرضه (فلسطين) .

وآخر ما سمعنا من مكائد اليهود أعداء الاسلام قيامهم بطبع المصحف الشريف طبعات محرفة بما يخفى كفرهم وافسادهم الذى فضحه القرآن وما

يشوه هذا الكتاب المقدس لدى مئات الملايين من المسلمين .. ثم ظهور قرن فتنة جديدة يتبناها فى لبنان المدعو (ابن ميرزا باقر) الذى يدعو الى ترتيب القرآن من جديد حسب ترتيب النزول ..

جميع هذه الأحداث الخطيرة التى تقض مضاجع المسلمين ما هو دور العلماء فى معالجتها والتصدى لها .. وما هو دورهم فيما تعانيه أمتهم من عدوان اليهود المجرمين على أوطانهم ومقدساتها وما يهدد بقية المقدسات الاسلامية وسائر الأوطان العربية بأفدح الأخطار .

ابرز ما فى حادث الطائرة

ونشرت صحيفة الشعب اللبنانية تحت هذا العنوان تقول :

اجمل واحكم ما فى العمل الفدائى الذى أسر الطائرة الاسرائيلية أن منفذيه اختاروا الجزائر مكانا لهبوطها .

اول حسنات هذا الاختيار أنه ايقظ اسرائيل على واقع تجهله أو تتجاهله . الا وهو أن جبهتها مع العدو لا تقتصر على البلدان العربية المحيطة بها . ولا على خط النار المتنقل ابدا مع المقاومة الفلسطينية عبر ما تحتله من أراض عربية ، بل هى تتجاوز ذلك الى حد بعيد ، بعيد جدا ، حتى تصل الى الجزائر ، على الوف الكيلومترات من حدودها المزعومة .

وما يصدق على الجزائر غربا ، يصدق على غيرها من بلاد العرب شرقا وشمالا وجنوبا .

ومن هنا يبدو بحثها عن (حدود آمنة) مع جيرانها حتى لو سلمنا بالمستحيل ورضى هؤلاء الجيران هو ضرب من العبث .

ان (الحدود الآمنة) الوحيدة التى يمكن أن تطمئن اليها اسرائيل ، هى حدود الأمة العربية كلها .. فيوم تبلغ عدن جنوبا ، وحلب شمالا ، والدار البيضاء غربا والبصرة شرقا . يحق لها أن تطمئن ..

لعل اسرائيل تنسى أو تتناسى انها فى حالة حرب مع الجزائر ، وان للجزائر جنودا يرابطون مع اخوانهم المصريين على خط النار . لعلها تنسى أن قادة الجزائر كانوا ولا زالوا — يدعمهم الشعب الثورى رقم ١ فى الوطن العربى الكبير — يقولون بأن القتال حتى النصر هو الحل العادل لانهاء مشكلة اسرائيل والحل الوحيد لانهاء أزمة الشرق الاوسط .

ان كانوا نسوا أو تناسوا ، فقد ذكرهم فدائيو فلسطين بهذه الحقيقة ، حين هبطوا بطائرتهم الاسيرة الى عاصمة الجزائر .

وبعد ، فلسنا ندرى أى قانون دولى يكره الجزائر على تسليم الاسرائيليين الذين وجدتهم على أرضها . انها فى حالة حرب مع اسرائيل . ومن أبسط حقوقها الحربية أن تأخذ هؤلاء الاسرائيليين أسرى .



أعدها: عبد الستار فيض

محمد فى طفولته وصباه

قصة محمد عليه الصلاة والسلام من مولده الى زواجه كتبها بأسلوب قصصى الأستاذ محمد شوكت التونى .

وتناول فيها جميع الأحداث التى مرت بمحمد عليه الصلاة والسلام فى أيام طفولته وصباه وشبابه ورجولته قبل البعثة . والقصة تصوير جميل لحياته الشريفة بأسلوب سهل وعبارات جميلة وتقع فى (٦٣٤) صفحة وقامت بطبعه مطبعة مصر بالقاهرة .

ديوان الماحى

يضم ديوان الماحى كتابين الأول يحوى شعر صاحبه القديم والحديث ، والثانى صفحات من قصص حياته فى ضوء شعره المنبثق من أحداث وتجارب واقعية هى أكثر من خمسين عاما .
كذلك حوى الكتاب وصفا دقيقا لرحلة الشاعر الى العراق وما انطوت عليه من غرائب الأخبار ، وهو للشاعر المعروف الاستاذ محمد مصطفى الماحى ، ومن نشر دار الفكر العربى ويقع فى (٧٦٢) صفحة .

انتشار الاسلام فى القارة الافريقية

كتاب من تأليف المرحوم الدكتور حسن ابراهيم حسن ، وموضوع هذا الكتاب له أهميته بالنسبة الى الاسلام بوجه خاص والى الحضارة الانسانية بوجه عام وهو انتشار الاسلام فى افريقيا . وقد قسم المؤلف هذا الكتاب الى خمسة أبواب بحث فى الباب الأول الطرق التى سلكها الاسلام الى افريقيا الشمالية والغربية وبلاد النوبة والساحل الشرقى ، وعالج فى الباب الثانى وسائل انتشار الاسلام ، وتناول فى الباب الثالث تاريخ هذا الانتشار ، وتعرض فى الباب الرابع الى الدول الاسلامية التى قامت فى افريقيا . أما الباب الخامس والأخير فقد خصصه المؤلف للثقافة الاسلامية والعربية فى شرق افريقيا وغربها والكتاب يحتوى على (٢٤٨) صفحة ، والتزمت بطبعه ونشره مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

من روح الاسلام

كتاب للدكتور عبد الرحمن البزاز جمع فيه عددا من الخطب والأحاديث والمقالات التى القاها أو كتبها فى مناسبات عديدة . وهذه الخطب والأحاديث مستمدة فى جوهرها من روح الاسلام الذى أمد المجتمع بفيض لا ينتهى من المثل العليا ، وجعل النظرة الى الحياة نظرة خاصة لا يرقى الى ادراك معانيها الا الذين عمر الله قلوبهم بالايمان .

والكتاب يقع فى (٢٠٠) صفحة وقامت بطبعه مطبعة العانى ونشرته مكتبة المثنى ببغداد .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت :

* يمضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فترة من الوقت فى ربوع لبنـــان للراحة والاستجمام ، وسيقوم سموه حفظه الله بزيارة رســـمية للولايات المتحـدة فى النصف الاول من ديسمبر القادم .

* صرح معالى وزير الاوقاف والشــئون الاســـلامية بأنه عقد اجتماعا مع ممثلى الهيئات الاسلامية اثناء زيارته للندن ، وبحث معهم المساعدات المـــادية التى تقدمها الوزارة للمشروعات الاسلامية التى تشرف عليها هذه الهيئات .

* تلقت الجهات المسئولة دعوة من جامعة الدول العربية لحضور اجتماعات مجلس الجامعة فى الشهر القادم .

* قام سعادة سفير الكويت فى المملكة الاردنية بزيارة مواقع الفدائيين فى الاراضى المحتلة .

* تقرر افتتاح كليتين جديدتين للمعلمين والمعلمات ، كما تقرر فتح ١٢ مدرسة جديدة و ٢٤١ فصلا .

* تقرر الاشتراك فى الحلقة الخاصة بالخدمات الصـــحية التى تعقد فى تونس فى أكتوبر القادم .

القاهرة :

* سافر الرئيس جمال عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتى للعلاج ، وقد أجمع كبار الأطباء على أنه لا خطر من مرضه وان الشفاء سيتحقق فى القريب العاجل باذن الله .

* تميل الدوائر الدبلوماسية العربية فى القاهرة الى ضرورة دعوة مكاتب المقـاطعة لاجتماع طارىء لبحث التهديدات التى تلوح بها الصهيونية العالمية فى اتخاذ اجراءات انتقامية ضد طائرات وبواخر الجزائر .

* تحاول سلطات الاحتلال اغراء المواطنين العرب بالمـــال على النزوح من قطـاع غزة ، ويقاوم الاهالى العرب بشدة كل وسائل الاكراه والاغراء .

* تعلن نتيجة القبول بالجامعات فى آخر شهر اغســـطس الحالى ومن المنتظر الا يقل الحد الادنى للقبول من القسم العلمى عن ٦٣٪ وفى القسم الادبى عن ٦٠٪ .

* قررت جامعة الازهر قبول الف طالب فى العام الدراسى الجديد .

* تقرر أن تساهم الدولة فى اقامة مبنى الجامعة الاسلامية الجديدة بام درمان .

الرياض :

* قام سمو الامير فهد بن عبد العزيز بزيارة لتركيا استغرقت خمسة أيام ، وصرح سموه بأن بلاده تؤيد العمل الفدائى ، وقال ان واجب تحرير الاراضى الفلسطينية يقع على عاتق الفلسطينيين انفسهم ، وأن واجب الدول العربية والاسلامية مساعدتهم بكل جهد ممكن .

* افتتحت اللجنة الشعبية لجمع التبرعات لاسر شهداء ومجاهدى فلسطين مكتبا لها بمدينة الطائف .

بغداد :

* الف فخامة السيد أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثــورة حكومة جديدة برياسته تتكون من ٢٥ وزيرا ومن بين الســـــادة الوزراء اللواء محمود شيت خطاب الكاتب الاسلامى المعروف .

* صرح وزير الخارجية أن قضية فلسطين هى المحور الاساسى لسياسة العراق فى المجالين الدولى والعربى ، وقال اننا نعمل على تعزيز العلاقات مع كافة الاقطار العربية .

* قرر مجلس قيادة الثورة اطلاق سراح كافة المحتجزين لاسباب سياسية .

* أكد السيد عبد الرحمن يعقوب وزير الاراضى فى ماليزيا اثناء زيارته للعراق أن بلاده تساند الدول العربية فى موقفها ازاء العدوان الاسرائيلى .

عمان :

* أشرف جلالة العاهل الاردنى على وصول دفعة من الطيارين الاردنيين بطائراتهم المقــاتلة الجديدة الى احدى القواعد الجوية الاردنية .

* طلبت الاردن دعوة مجلس الامن لعقد جلسة طارئة لبحث العــــدوان الاسرائيلى الغــادر الاخير على المدن الاردنية .

* كبد الفدائيون العدو خسارة كبيرة فى الرجال والعتاد فى هجماتهم فى الايام الاخيرة .

* أعلن مصدر رسمى أن الحكومة قررت اتخاذ موقف صريح وحازم تجاه عملية ترحيل السكان اللاجئين من قطاع غزة الى الضفة الشرقية .

بيروت :

* وافق المؤتمر الاول لمنظمة المدن العربية على أن تتحمل بلديات المدن نفقات ايواء عدد من ابناء الشهداء ، كما تقرر تقديم المساعدات لبلديات امارات الخليج .

* درس المجلس الاعلى لاتحاد المهندسين العرب موضوع ربط البلاد العربية بشبكة كهربائية ، كما بحث المراحل التى وصل اليها مشروع اعادة بلدة الــــكرامة التى هدمت نتيجة للعـــــــدوان الاسرائيلى .

دمشق :

* تقرر عقد المؤتمر الاول لاتحاد الصيادلة العرب فى دمشق فى سبتمبر القادم ، وسيبحث المؤتمر دور الصيادلة فى المعركة .

الجزائر :

* ينتظر أن تعرض الجزائر موقفها من الطائرة الاسرائيلية وملاحيها على مجلس الجــــامعة العربية فى اجتماعها القادم .

* أعلنت حكومة الجزائر أنه لا يمكن فصل الجانب القانونى المتعلق بالطائرة الاسرائيلية عن الوضع السياسى للقضية .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راســـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـــذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ــ ٧ شارع الصحافـــة

مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ــ ص.ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص.ب ٢٢

جـــــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص. ب : ٢٠٤٣

بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـــدودة

دبــى : ساحل عمان ــ ص.ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ــ السيد رجا العيســـى

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبـــيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغــازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



مبنى رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة .

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة — العدد الثالث والاربعون — غرة رجب ١٣٨٨ هـ — ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ م

اقرأ فى هذا العدد

المقــال	الكاتب	الصفحة

صورة الغلاف



منظر فريد للصخرة المشرفة تتراءى من خلال عقد من العقود الاثرية الشاهقة . وهذا الطفل يترقب عودة المسلمين لانقاذ مقدساته .

(تصوير : محمد باقر)

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة
العدد الثالث والاربعون

غرة رجب ١٣٨٨ هـ

٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

عاد صاحبى الذى حدثتك عنه وعن اعجابه بما فى الغرب من حرية فى الراى ، وتقبل للمعارضة ، وحدثته عما فى القرآن الكريم ، وفى حياة الرسول ، من اعتزاز بهذا المبدا ، وحرص على تطبيقه ، عاد يقول لى : لقد فكرت طويلا — بعد ان انصرفت من مجلسك — فيما ذكرته من القرآن ، ومن وقائع حدثت مع الرسول ، وتجلى فيها حقا اعتزاز الاســلام بحرية الراى بصورة تفوق ما رايته فى الغرب ، وخطر لى ان اسالك اولا عن السر فى احتفــال القرآن بالشورى ، وحرصه على حرية الرأى ، وفتحه المجال امام الآراء المعارضة حتى لرسول الله ؟

قلت له : يا اخى ان الاسلام دين العقل ، واساسه الاقتناع العقلى ، ولا يمكن ان يقوم دين على العقل فى الوقت الذى يمتهنه فيه ، ويكبله ، او يقيده ويصادره .

لقد — رفض الاسلام — بنص القرآن — ان يقوم الايمان بالله على اساس من القسر والاكراه ، لأن فى الاكراه اهدارا لحرية الانسان ، وامتهانا لعقله كما انه يحمل معه دليل ادانة المكره والمكره عليه ، ولعلك قرات او سمعت كثيرا قول الله تبارك وتعالى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وقوله تعالى لرسوله بهذا الاسلوب القوى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ وفى سعة هذه الحرية التى تدخل بها على الاســلام ، تظل تعيش بها وفى نعمتها ..

ثم ان العقيدة الاسلامية التى ترفع الانسان الى خالقه ، وتربطــه هو ومصيره بيده وحده تخلص المؤمن من الخوف ، وتنقى روحه من الخضوع لغير الله ، وتجعل الدنيا أمامه فسيحة ، لا يحدها الا حد وضعه الله ، فى حدود مصلحة الانسان ، وبذلك يشعر بالانطلاق والتعالى على كل القيود المصطنعة .

وايضا فان الاسلام لا يرضى من أتبــاعه الا أن يهبوا أنفسهم له ، وان يحبوا الله ورسوله أكثر مما يحبون أنفسهم وأهليهم وأموالهم ..

ودين يطلب من أتباعه ذلك ، ولا يرضى الا به ، لا يمكن ان يقوم الا على الحرية ، ولا يترعرع الا فى ظلالها .. لأن الاكراه لا ينبت حبــا ، بل ينبت

العكس ، والكبت والضغط لا يولد اقتناعا ، ولكن يولد بغضا وانفجارا .
ومن طبيعة الانسان أن ينفر من الشيء الذى تكرهه عليه ، حتى ولو كان حقا ، وفى مصلحته ، والله خلق الخلق ، وهو يعلم من خلق .

ثم ان الاسلام كذلك دين الوضوح ، ودين الحق ، دين الفطرة المستقيمة ، والمصلحة السليمة ، والحجة القويمة . ودين هذا شأنه لا يخشى العقل ، ولا يخاف الحرية ، بل يدعو الى تحرير العقل والاحتكام اليه ، ويعطى الحرية ويكره من يرفضها او يعتدى عليها ، ولم يشرع الله القتال الا من أجل الدفاع عنها ، وتوفيرها للناس ، وهو يعاقب الذين يرضون بالذل ، ويعيشون تحت ضغط الكبت والاضطهاد. اقرأ ان شئت ((ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم)) حتى هؤلاء الذين لا يستطيعون حيلة للتخلص من الاضطهاد والكبت قال عنهم : ((عسى الله أن يعفو عنهم)) .

وبلغ من اعزاز الاسلام للحرية كذلك أن استنفر الاقوياء لحماية المستذلين المضطهدين ، وتخليصهم مما يعانونه من ضغط ومن فقدان الحرية فقال : ((وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)) .

لهذا كله نرى أن من طبيعة الاسلام الحرص على الحرية فى منبته ومنشئه ، وفى نموه وازدهاره ، فاذا رأيت مسلما يغض من شأن العقل ، أو يقلل من شأن الحرية ، فاعلم أنه من غير منبع الاسلام يشرب ، وعلى غير طريقه ينهج .

واذا عرفت بعد ذلك أو قبل ذلك أن الاسلام أعطى الانسان كل هذا ، دون ثورة ، أو تجمع ، أو تذمر ، وأنه أعطاه الفرد المسلم والجماعة المسلمة ، وأنه لم يعط مسلما أى مسلم الحق فى تقييد حرية الآخرين حسب هواه أو مصلحته بعد أن قال لرسوله : ((فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر))

←

اقول اذا عرفت هذا أدركت قيمة الهبة التى وهبها الاسلام الانسان ، وقيمه تكريمه له ، واعتداده به .

قال لى : لقد ذكرتنى بمقال قرأته اليوم يحلل فيه كاتبه الخلاف الذى وقع بين روسيا وتشكوسلوفاكيا ، أو بين الشيوعيين الحاكمين فى الدولتين .. وأمسك الصحيفة وأخذ يقرأ : (يستحيل أن يخطر على بال عاقل أن الماركسية نقيض أو عدو للحريات العامة ، فالمذهب الذى ينهض على تحرير الانسان من جميع القيود والعوائق المادية والموروثة ، كى يمضى قدما على دروب التقدم الجماعى ، لا يمكن أن يختصم مع الحرية أقصى ما تبلغه الحرية . لكن المسألة مسألة توقيت : متى ينبغى أن تنطلق الحريات من كل عقال ، ومن كل مراقبة فى بلد اشتراكى ماركسى ؟ هنا موطن الخلاف .. الحزب الشيوعى السوفياتى ومن معه يعتقد — فيما يلوح لنا — أن أوان اطلاق الحريات لم يحن بعد ، فالثورة الماركسية لما تنتصر فى كل العالم وهى ما انفكت فى صراع الحياة والموت مع الرجعية الرأسمالية .. الخ) .

قلت له : وماذا ترى فى هذا ؟

قال : اننى وقفت عند مسألة التوقيت هذه ، واعتقادهم أنه لا يصح اطلاق الحرية للانسان الا بعد أن تنتصر الماركسية فى كل العالم !! وأنه مادام هناك أعداء لها فلا يصح اعطاء الانسان حريته ، لأن معنى هذا — لو صح — أنه لا حرية للانسان ، أو أن الانسان الماركسى سيظل بلا حرية حتى تعم الماركسية العالم !! فمتى يتم ذلك ؟ ومتى تصبح الماركسية ولا أعداء لها فى كل العالم ؟ متى ؟ أليس هذا حلما بعيد الوقوع ؟ وكيف تعلق حرية الانسان على شىء كهذا مثل الحلم أو أبعد منه ؟ ألا يشبه هذا تعليق الشىء على مستحيل ؟ والى متى يصبر الانسان ويعيش بلا حرية ؟

قلت له : لعلك لاحظت أن الاسلام أرسى دعائم الحرية منذ نشأ فى مكة ، وترعرع فى المدينة ، بين أعداء يعيشون معه ويحيطون به من كل جانب ، ويكيدون له ، ويدبرون المؤامرات ، ويثيرون الشكوك للقضاء عليه ، ومع كل هذه الظروف الصعبة التى أحاطت به فى نشأته ، لم يقيد الحرية بل اطلقها كما عرفت ، ولم يخش على أتباعه المؤامرات والدسائس ، وبذر بذور الفتن

للتشكيك فيه : لأنه — كما قلت — دين الفطرة ، دين الوضوح والحق ، وكل واحد من أتباعه آمن به عن اقتناع ، فكان لذلك محصنا تحصينا داخليا لا تزعزعه الاعاصير بل انه ليجود بنفسه وماله فى سبيل الدفاع عنه .

قال : هذا هو الشيء الطبيعى الذى تمليه الحقائق ، ويتفق مع منطق العقول ، ومنطق المصلحة ، فليس من المعقول مطلقا أن يأتى الاسلام مثلا بمبدأ كالحرية ، ثم يعلقه ، ويحرم أتباعه من نعمة التمتع به حتى يعم الاسلام الكرة الارضية ، ويصبح جميع من فيها يدينون بالاسلام !!

قلت له : ان الاسلام وهو صنعة الله ، ومن صنعه لا يمكن أن يناقض الطبائع ، او يجافى الحقائق ، فيقوم مبدأ من مبادئه كالحرية مثلا على شرط اتحاد البشر جميعا فى اعتناق الاسلام لأن هذا معناه الغاء هذا المبدأ ، وأمامنا كتاب الله ينطق بالحق ، ويقرر الواقع حين يقول : ((ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم)) . ولا بد أن تعلم وتوقن أن الفرق بين نظام يضعه الله ، ونظام يضعه البشر ، هو الفرق بين الله وبين البشر ، بين الله فى كماله ، وبين البشر فى نقصهم . ولعل من وجوه النقص البارزة فى البشر أن يعرضوا عن الكمال الذى يصدر عن الله ، ويتهافتوا على النقص الذى يقدمه لهم أمثالهم من البشر !!

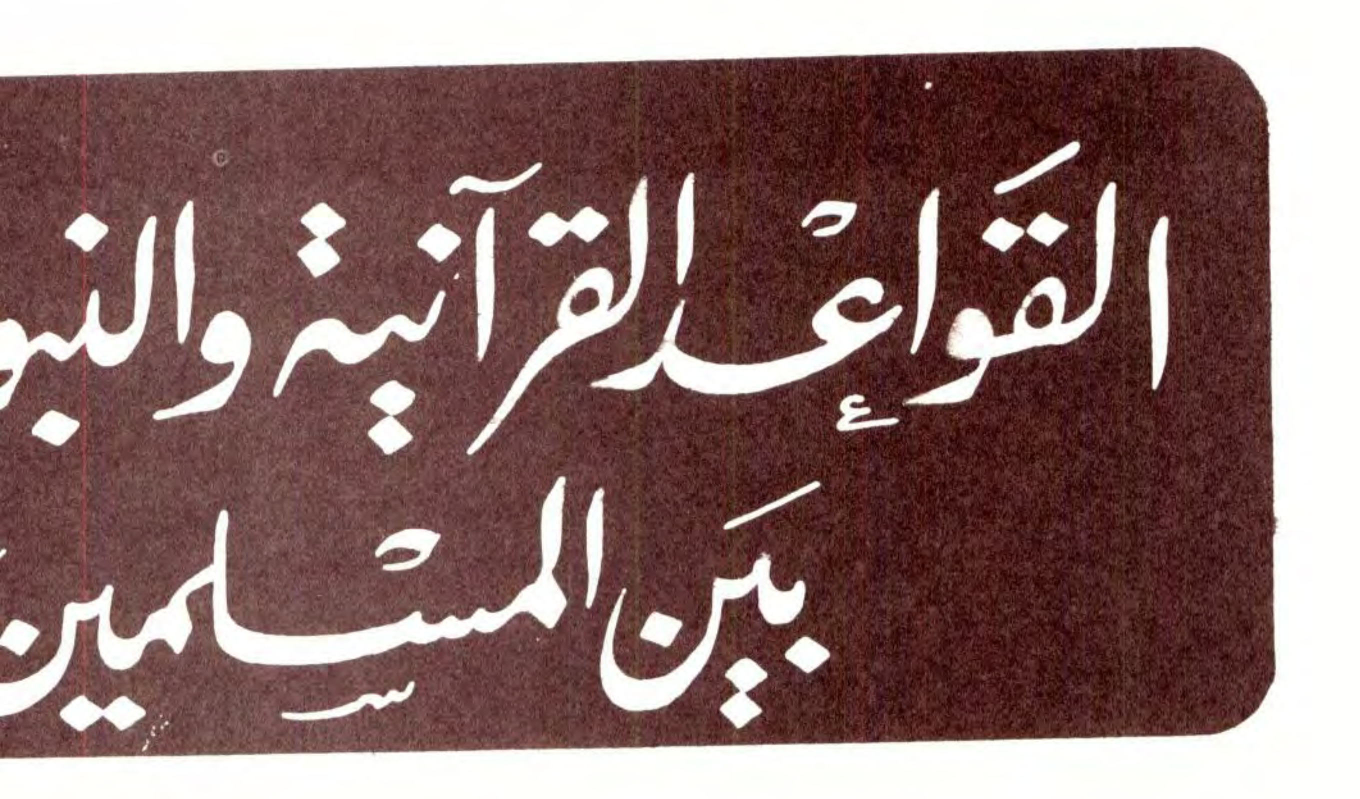
وفى سبيل دفع الناس نحو الكمال يقول لهم : ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) ويقول ((وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)) .

قال صاحبى : آمنت بالله .. ولقد شغلنا حديث الحرية وما يقال عن توقيتها عن أن تحدثنى عما صارت عليه حرية الرأى أو حرية المعارضة بعد رسول الله ..

قلت له : نعم .. وقد طال بنا حديث اليوم فالى مجلس آخر أحدثك فيه عما تريد .

والله المستعان .

مدير ادارة الدعوة والارشاد



شبهات والرد عليها

هناك نقاط يثيرها بعض سخفاء المبشرين وسفائهم فى صدد مبادىء الجهاد الاسلامى وحدوده .

(١) منها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يعلن فى مكة أنه ليس الا بشيرا ونذيرا ، وانه ليس جبارا على الناس ولا مسيطرا ، انقلب فى المدينة الى محارب يسفك الدماء لاجبار الناس على الاسلام ، وهـذا كذب من كل جهة ، فمبدأ الانتصار من البغى اى مقابلة العدوان بالمثل مبدأ قرره القرآن المكى ، حيث جاء فى سورة الشورى هذه الآيات :

(والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون • وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين • ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل • انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم(١)) ومبدأ عدم اجبار الناس على الاسلام ظل هو المبدأ المحكم فى العهد المدنى وبعده الى ما شاء الله ، فقد قرر القرآن المدنى :

(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد

---

(١) بعض الروايات تذكر أن هذه الآيات مدنية ، وليس هناك أثر وثيق فى ذلك ، والآيات منسجمة فى سياقها السابق واللاحق انسجاما تاما وأسلوبها من نوع الاسلوب المكى ، ولذلك فنحن نتوقف فى الرواية ، وقد فعل غير واحد من المفسرين ذلك .



الاستاذ ـ محمد عزة دروزه

من الغى) .. البقره (٢٥٦) ، وآيات الجهاد صريحة كل الصراحة انه كان للدفاع والمقـــابلة بالمثل وردا على مواقف العـــدوان المتنوعة التى كان يقفها الكافرون على ما ذكرناه قبل ، واحداث السيرة النبوية الوثيقة التى تكاد تكون يقينية ان كل سرية سيرها النبى صلى الله عليه وســـلم وكل غزوة قادها انمـــا كانت على اناس اقترفوا عملا او أكثر من أعمال العداء والعدوان ، بل ان القرآن المدنى لم يكتف بالامر بعـــدم الاكراه فى الدين فأمر بالبر والاقســـاط لمن يكف عن المســـلمين اذاه ويسالم ولا يظاهر عليهم كما جاء فى آية سورة الممتحنة هذه **(لا ينهـــاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقســـطوا اليهم ان الله يحب المقســـطين)** . وفى سورة النساء آية (٩) فيها نفس هذا المعنى وهى **(الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤوكم حصرت صـــدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليـــكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ..)** .

٢) ومنها زعمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يغرى أتبـــاعه بالغنائم حتى انها كانت هدفا رئيسيا من اهداف القتال ، وهذا كذلك كذب صارخ ، وفى سورة النســـاء آية(٩٤) مهمة جدا فى بابها تحمل التـــكذيب القاطع وهى **(يا أيهـــا الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا**

تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) وقد نزلت هذه الآية فى مناسبة رواها البخارى ومسلم والترمذى وابو داود عن ابن عباس قال : **(مر رجل من بنى سليم على نفر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له ، فسلم عليهم ، فقالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم ، فقاموا فقتلوه واخذوا غنمه ، فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فنزلت الآية)** وفى رواية يرويها مسلم **(ان النبى صلى الله عليه وسلم غضب وقال لقائد السرية من لك بلا اله الا الله يوم القيامة ، فقال يا رسول الله ، انما قالها مخافة السلاح ، فقال له أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها ام لا ، من لك بلا اله الا الله يوم القيامة ، فما زال يقولها حتى ود انه لم يكن اسلم الا يومئذ)** . وجل آيات الجهاد جعلت عزة الاسلام والمسلمين والدفاع عنهم وارغام اعدائهم الهدف الجوهرى ، ونبهت على توطين النفس على التضحية بالمال والنفس والصبر على ما يؤدى اليه الجهاد من خطر وضرر على الانفس والاموال . وجعلت جزاء الجهاد ثواب الله ورضوانه فى الآخرة على ما يبدو للمتمعن فيها . ثم فى الاحاديث النبوية التى أوردناها قبل ، وما جاء فى بعض الآيات من تبشير بالغنائم واحلالها هو متسق مع طبائع الامور والظروف والاحداث وحسب . بحيث يسوغ القطع بأن ذلك ثانوى ولم يكن فى اى حال هدفا من أهداف الجهاد .

وهناك مسألة يختلف عليها علماء المسلمين ، وفيها شىء مما يتكىء عليه المبشرون والمستشرقون . فقد اول بعض المؤولين كلمة الفتنة فى آية الانفال (٣٩) هذه **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير (٢))** بمعنى الشرك وقالوا ان القرآن يأمر بقتال المشركين الى أن يسلموا ولا يبقى شرك ، وان موقف القرآن من مشركى العرب هو قتالهم الى ان يسلموا . وهو غير موقفه من اهل الكتاب الذى أجاز وقف قتالهم اذا أعطوا الجزية واستندوا فى قولهم الى آية سورة التوبة « **فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)** . ونقول فى تأويل كلمة (الفتنة) بالشرك ان هذه الكلمة واشتقاقاتها وردت فى القرآن كثيرا فى معان عديدة ليس الشرك منها . فقد وردت بمعنى الاختبار والابتلاء فى آيات عديدة منها آية سورة طه « ١٣١ » هذه **(لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه)** ووردت بمعنى رد المسلمين عن دينهم فى آيات عديدة منها آية سورة البروج « ١٠ » هذه **(ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)** ولقد روى البخارى عن نافع عن ابن عمر قال : (كان الاسلام قليلا فكان الرجل يفتن عن دينه أما قتلوه واما عذبوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة) ويصح أن تؤول آية الأنفال والحالة هذه

(٢) وفى سورة البقرة آية مماثلة لهذه الآية بفرق يسير وهى الآية ١٩٣ .

بمعنى : **قاتلوهم حتى ينتهوا من موقفهم العدوانى وتصبح حرية التدين بدين الله مضمونة ولا يفتن احد عنه** ، وهذا يكون بالاسلام او بالخضوع والجزية او بالصلح على ما ذكرناه قبل وليس بالاسلام وحده ، وآية الانفال نزلت عقب وقعة بدر ، ومن الثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم صالح قريشا الذين عنتهم الآية فى الدرجة الاولى بعد بدر بنحو خمس سنين وبقى مشركو قريش على شركهم ، حيث يدعم ما قلناه من أن الانتهاء من الموقف العدوانى الحربى لا يكون بالاسلام وحده ــ أما من ناحية قتال المشركين حتى يسلموا وعدم قبول غير الاسلام من مشركى العرب فهناك دلائل عديدة تسوغ عدم التسليم به ، من ذلك آية سورة البقرة (١٩) التى تأمر المسلمين بقتال الذين يقاتلونهم وعدم تجاوز ذلك ، وآية النساء (٩٠) وآية الممتحنة (٨) التى أوردناها آنفا . وآيتا «٤ ، ٧» من سورة التوبة هذه (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) و **(الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين)** وفى الحديث الذى أوردناه قبل والذى يأمر بالكف عن العدو المشرك اذا ابى الاسلام ، وقبل بالجزية يساق كدليل نبوى بالاضافة الى صلح الحديبه اليقينى ، ولقد قال أصحاب القول ان آية التوبة «٥» نزلت مؤخرا فنسخت ما قبلها من قرآن وسنة ، غير أن المتمعن فى سلسلة آيات التوبة ١ ــ ١٥ يظهر له أن هذه السلسلة فى حق الناكثين لعهودهم ومن جملتها الآية المذكورة التى كانت تعنيهم بدليل انها استثنت المستقيمين على العهد وامرت بالاستقامة لهم والوفاء بعهدهم فى الآيتين (٤ و ٧) منها والآية «١٢» من السلسلة تجعل قول النسخ غير سليم أيضا لانها تأمر بقتالهم اذا نكثوا .

ويساق حديث نبوى رواه الخمسة جاء فيه (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله) . وأخذ الحديث على ظاهره واطلاقه يتناقض مع الحديث الذى فيه أمر بالكف عن المشركين اذا قبلوا بالجزية . ومع آية سورة التوبة (٢٩) التى أمرت بالكف عن الكتابيين اذا أعطوا الجزية ، وهناك حديث رواه أبو داود عن انس نهى النبى صلى الله عليه وسلم فيه عن قتل الشيخ الفانى والطفل الصغير والنساء بحيث يقال انه لو وجب قتل أى كافر أو مشرك لوجب قتل النساء والشيوخ أيضا لانهم مدعوون الى الاسلام ، وليس هناك أى حديث فيما اطلعنا عليه يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم بادأ أو أمر بمباداة طائفة من المشركين أو الكفار بحرب وقتال لانهم لم يسلموا وحسب ، وكل غزواته وسراياه كانت للمقابلة والدفاع والتنكيل والتأديب بسبب موقف عدائى ما ضد الاسلام والمسلمين ومن الجدير بالذكر والتنبيه أن حروب الفتح فى عهد الخلفاء الراشدين سارت فى نطاق سيرة الحروب النبوية والتلقينات النبوية ، فأبو بكر يوصى قواده بأن لا يقتلوا شيخا ولا امراة ولا وليدا ولا راهبا اعتزل فى صومعته وأن لا يقاتلوا الا من قاتلهم ، والجيوش التى سيرها الى بلاد الشام انما

كانت امتدادا لحالة الحرب التى نشبت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين والروم والغساسنة وقبائل مشارف الشام بسبب عدوان هؤلاء على رسل رسول الله وقوافل المسلمين وقتلهم بعض المسلمين ونهب أموالهم وتحشدهم لغزو المدينة ، والحرب التى باشرها خالد بن الوليد فى العراق بأمر أبى بكر كانت بسبب تحريك الفرس وعمالهم فى العراق والخليج العربى لفتنة الردة فيه . وامتداد الحرب الى بلاد الفرس هو امتداد لحالة الحرب الفاشية فى العراق بين المسلمين والفرس وامتدادها لبلاد الترك ثم السند شمالا وشرقا كان بسبب مساعدة هؤلاء الفرس على العرب ، وامتداد الحرب الى بلاد أرمينية كان بسبب مساعدة أهلها الروم على العرب وامتداد الحرب الى مصر وشمال افريقية كان امتدادا لحالة الحرب بين المسلمين والروم الذين كانوا اصحاب سلطان على هذه البلاد . وكان قواد الفتح يعرضون الخطة الثلاثية النبوية على الذين يطراون على بلادهم محاربين وهى الاسلام أو الجزية أو الحرب وكانوا يكفون عنهم اذا ما جنحوا للسلم أو رضوا بأداء الجزية على ما هو مبسوط فى كتب التاريخ القديمة ولا خلاف فيه . .

ولقد ورد ذلك الحديث فى كتب الحديث ثلاث مرات . مرة مطلقا وهى النص السابق ومرة فى سياق وتفسير آيات سورة الغاشية (انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) ومرة فى مناسبة حرب الردة برواية الخمسة عن أبى هريرة جاء فيها . ان عمر اعترض أبا بكر فى عزمه على قتال المرتدين ، وقال له كيف تقاتلهم وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله**) ، وذلك لأن من المرتدين من ظل يعلن انه مؤمن ويقيم الصلاة وانما امتنع عن الزكاة فقال له أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة من المال ، ويتبادر لنا أن السياق المروى فيه الحديث برواية الترمذى تفسيرا لخطة النبى بالنسبة لمن يعصمون بقولهم (**لا اله الا الله**) دمهم ومالهم ، وانه أراد بذلك ترك حسابهم على ما لا يعرف من أعمالهم ونياتهم الى الله لانه ليس مسئولا ولا محاسبا على أسرار الناس وقلوبهم ، حيث يزول بهذا ذلك الاطلاق الظاهرى المحمول على قتال الناس اطلاقا حتى يقولوا لا اله الا الله ، وفى محاورة عمر وأبى بكر التى روى فيها الحديث نفس الدلالة ، فعمر اعترض على قتال من ظل يقول لا اله الا الله . تطبيقا للخطة النبوية ، وكان موقف أبى بكر أيضا مصيب لانه رأى فيه تطبيقا لها أيضا ، ويكون فى هذا الشرح وضع للامر فى نصابه ومنع للتعارض بين أحاديث النبى من جهة وبينها وبين كتاب الله من جهة أخرى ، ويكون فى كل ما تقدم وضع للأمر فى نصابه بالنسبة لصفة العدو وكون القتال هو للاعداء المحاربين المعتدين من الكفار والمشركين الذين وقفوا من الاسلام موقفا عدائيا الى أن ينتهوا من هذا الموقف بالاسلام أو بصلح أو بخضوع وجزية ولا يكون سوانح للتفريق بين كفار ومشركى العرب وغيرهم .

والله تعالى أعلم . .

المرأة والهرة

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض » .

(رواه البخارى)

تمهيد :

١ ــ لم يعرف بالضبط اسم تلك المرأة ، وفى رواية للامام مسلم أنها حميرية ، وله أيضا أنها من بنى اسرائيل ، ولعلها من الطائفة الحميرية التى تهودت ، فنسبت المرأة الى قبيلتها تارة والى دينها تارة أخرى .

٢ ــ فى هرة ــ اى بسبب هرة ، والهرة أنثى السنور ، والهر الذكر ويجمع على هررة كقرد وقردة وتجمع الهرة على هرر كقربة وقرب ، وفى رواية أخرى للبخارى (.. وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى اسرائيل تعذب فى هرة لها)(١) .

٣ ــ (خشاش الارض) : هوامها وحشراتها . ويروى بالحاء المهملة) ، ويراد به نبات الارض .

الشرح :

١ ــ يعنف الانسان أحيانا ، ويقسو قلبه حتى يتجرد من انسانيته ، ويصبح اشد ضراوة من الحيوان المتوحش ، ويبحث عن كل ما يرضى أنانيته ، ويشبع هواه ، ولا يضيره ألم غيره أو شكواه ، ولا يستجيب لدعائه وتوسلاته ، بل من الناس من يتمتع ويسر بمشاهدة غيره فى أتون العذاب ، وكم من (نيرون) مر بالارض واجتاز الحياة ، وكلما تقدم الزمان نمت معه طباع السوء فى الانسان فصار يستخدم العلم والاكتشاف فى الوصول الى أهدافه الخاصة مهما حطم

(١) فتح البارى ص ١٦٦ جـ ٧ طبعة الحلبى سنة ١٣٧٨ هـ .

فى سبيلها من رؤوس بنى امه وابيه ، فدارت رحى الحروب متلاحقة متتابعة عبر التاريخ وأغار القوى على مأمن الضعيف ، فتشتت أسر ، وهلك أطفال ، وبادت حضارات ، ولا زال صاحب الغى سادرا فى غيه ، صور تتكرر وتتجدد مع مر الليالى وكر الايام ، فهل من مدكر .

٢ — جاءت الاديان بكل ملطف ومخفف ، وكان الاسلام خاتمة وقمة فى الدعوة الى الخير ولكن هل استجاب الانسان ؟

الجواب : لا ونعم ، لم يقبل هدى السماء من غلبة عنجهيته وحيوانيته ، فتعاطى وعقر ، وجرد آخر لسانه بكل كريهـة واقذاع ، فزادت المداوات واستعر أوارها ، وتغلب الحق حينا بايمان من أراد الله لهم السداد ، ووفقهم الى ما ينفعهم فى عاجلتهم وآجلتهم ، ولاذ بحمى الله من لاذ ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فليس الخالق مخلوقا ينصاع لترهات الحادثين ، ويتغير كالحرباء لسماع كلمة عابرة من ماجن لا يرعى للحرمات الا ولا ذمة . فهو سبحانه نعم الملاذ والملجأ ، ونعم المعين على الشدائد ، ونعم مفرج الكروب ودافع البلاء ، ان اختبر العباد بشدة فهذا لفائدتهم ، ليصبروا فيؤجروا ، والزمان ماض والفلك دوار .

تعز فلا شىء على الارض باقيا ‏ ‏ ‏ ولا وزر مما قضى الله واقيا

٣ — . . ورسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى السلام يرشدنا ويعلمنا بأعماله ، وبأقواله ، بالسلوك الواقعى ، بالتصوير المحس وتجسيم الاشياء فى عبارات مشوقة الى الخير ومنفرة من ضده ، ومن عاش معه باخلاص وتتبع توجيهاته الشريفة بعناية واهتمام سار معه ، ولاحق خطاه ، وانتهج طريقه ، وصارت الحياة الدنيا عنده لا تساوى جناح بعوضة ، فكل نفس يتردد يصرفه لله ، وكل لحظة تمر يقضيها فى عمل ما يرضيه ، وليس مكلفا بأن يجازى محسنا أو يعاقب مسيئا فأمر ذلك كله الى الله وحده .

وتأمل حديث الهرة والمرأة ، تجد حيوانا أعجم ضعيفا يعبث به طفل آدمى ولا يستطيع دفعه وتأخذه امرأة قاسية ، بعيدة عن هدى الله ، تعيش فى ظلام نفس جاهلة يظلها حقد أسود ويلاحقها طبع دنىء ، فلا تفىء الى أمر الله ، ويشير الحديث الشريف الى ما كان يجب أن تفعله تلك المرأة فى مثل موقفها ، حين تعثر بدابة لا حول لها ولا طول ، فتغذيها وتطعمها وتقدم لها ما يقيم أودها ، ويشد من قواها ، مما أفاء الله عليها من خير وما منحها من عطاء ، أو تتركها تمضى فى سبيلها باحثة عن رزقها منقبة عن قوتها ، فى الفلاة ، فى أرض الله الواسعة تتركها تغدو كما تغدو الطير خماصا وتعود بطانا ، تموء وتلعب ، ففى موائها ذكر الله ، وفى حركتها دلالة على قدرته ، وان منعتها برها فقد تجده فى قلب آخر رحيم ، عند انسان عف كريم وكان للقسوة جزاء ، وما اشده من عقاب يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ، فسوف تدخل النار ، لأنها كفرت بأنعم الله ، ولم ترحم مخلوقا من مخلوقات الله . وقع تحت يدها وصار فى متناول قدرتها القاصرة العاجزة ، وان كان هذا الحيوان أعجم لا يحير جوابا ولا يستطيع كلاما . .

والضد بالضد : فلعلكم على ذكر من حديث القلب الرحيم قلب الرجل عابر

الصحراء الذى أروى الكلب اللاهث الذى اكل الثرى من العطش(٢) ، حيث غفر الله له لقاء صنيعه الجميل واسدائه المعروف الى ذى كبد رطبة دون أن ينتظر عليه جزاء عاجلا ولا شكورا ، والمقارنة بين الحديثين تعطى أن الله تبارك وتعالى يجازى على الاحسان احسانا وعلى الاساءة عقابا (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد)(٣) .

٤ — لا أرى بأسا أن نتعرض لذكر آراء علمائنا الاجلاء الذين تناولوا هذا الحديث بالشرح والتفسير حيث قالوا :

أ — قال القاضى عياض رحمه الله تعالى : يحتمل أن تكون المرأة كافرة فعذبت بالنار حقيقة ، أو بالحساب لأن من نوقش الحساب عذب ، ثم يحتمل أن تكون المرأة قد عذبت بكفرها ثم زيدت عذابا بسبب هذا الفعل الشائن .

ب — وقال النووى رحمه الله تعالى : الذى يظهر أنها كانت مسلمة وانما دخلت النار بهذه المعصية .

جـ — وقال آخرون — سواء كانت كافرة أو مسلمة فانها قد استحقت العذاب بالنار لسوء ما أقدمت عليه من تعذيب حيوان برىء كان فى استطاعتها أن تتركه لحريته ولقدره .

ونخلص من كل هذا الى نظرة خارجية نلقيها على العالم المعاصر أو الغابر أو الآتى :

حيث نجد حروبا استعرت وتستعر فى كل جانب من جوانب الارض أزكتها نفوس رأت فيما رأت أن الخير يجىء اليها عن هذا الطريق فهل فكر مشعلو الحروب فى الاسر والابناء واليتامى والارامل وكل ما ينجم عن هذه الحروب من شقاء وبلاء يزيد الانسانية عذابا وألما ممضا ؟ أفلا ينظرون فى أنفسهم وما مدى العذاب الذى يحيق بهم حين يحل بهم ما يصيبون به غيرهم ؟ ألا يرجعون الى توجيهات السماء المنبثة فيما أوحى الله الى عباده المصطفين الاخيار ؟ ألا يعلمون أن الرزق والاجل محدودان ، وأن علينا أن نعمل ونجد فى توافق وتراحم وتصاف وتحاب وتواد ، وليحصل كل ما يستطيع أن يصل اليه بغير عنف ولا تجن على الآخرين ، بل يجب أن يكون — كما توحى تعاليم السماء — عالم رحمة وسعادة وأمن ، يوصل من الطمأنينة ما يستطيع الى القلوب الواجفة ، ويرقأ ما يستطيع من دموع الثكالى والحيارى ، هل ضاقت الارض بآهليها ، هل جفت أنهارها وغارت بحارها ؟ أم امتنعت أرضها عن الانتاج ومناجمها عن الادرار .

والجواب : لا : ان الخير كثير ، وفضل الله على عباده وفير ولكن حب

(٢) ورد هذا الحديث فى عدد سابق تحت عنوان (قلب وكلب) واريد بالقلب قلب الرجل الرحيم الذى سقى حيوانا ضعيفا وتكلف فى سقياه جهدا ومشقة فجازاه الله بالمغفرة والرحمة ، واستحق أن ينوه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف الذى خلد فعله ما بقى زمان ..

(٣) الاية ٣٠ من ال عمران .

البقية على ص: ٢١

الوليد بن عقبة وولايته الكوفة لأمير المؤمنين عثمان

للاستاذ : محب الدين الخطيب

قد يظن من لا يعرف صدر هذه الامة وسر الله فيما كان فيه من امجاد وتوفيق ، ان امير المؤمنين عثمان جاء بالوليد بن عقبة من عرض الطريق فولاه الكوفة محاباة له لأنه أخوه لأمه ، أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة الانس بأحوال ذلك العصر ومفاخره وفضائل أهله ، فيعلمون أن الوليد بن عقبة قبل ان يكون أخا لعثمان من أمه فانه كان ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه .

وما كان عثمان اول من ولى الوليد شيئا من امر الدولة فى خلافته ، بل ان دولة الاسلام الاولى فى خلافة أبى بكر رضوان الله عليه هى التى تلقفت هذا الشاب القرشى الماضى العزيمة ، الرضى الخلق ، الصادق الايمان ، فاستعملت مواهبه فى سبيل الله الى ان توفى ابو بكر ، وأول عمل له فى خلافة الصديق انه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة ١٢ (الطبرى ٤ — ٧) ثم وجهه أبو بكر مددا الى قائده عياض بن غنم الفهرى (الطبرى ٤ — ٢٢) وفى سنة ١٣ كان الوليد يلى لابى بكر صدقات قضاعة ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة والثقة والكرامة ، فكتب الى عمرو ابن العاص والى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد ، فسار ابن العاص بلواء الاسلام نحو فلسطين ، وسار الوليد بن عقبة قائدا الى شرق الاردن (الطبرى ٤ — ٢٩ — ٣٠) ثم رأينا الوليد فى سنة ١٥ اميرا على بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة (الطبرى ٤ — ١٥٥) يحمى ظهور المجاهدين فى شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم ، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ — مسلمهم وكافرهم وانتهز الوليد بن

عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه الجهة التى لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية ، فكان — مع جهاده

الحربى ، وعمله الادارى — داعيا الى الله يستعمل أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى اياد وتغلب على أن يكونوا مسلمين كسائر العرب ، وهربت منه اياد متوغلة فى الانضول الذى كان تحت حكم الروم البيزنطيين فحمل الوليد خليفته عمر بن الخطاب على كتابة كتاب تهديد الى قيصر القسطنطينية بأن يردهم الى حدود الدولة الاسلامية ، وحاولت تغلب أن تتمرد على الوليد فى نشره الدعوة الاسلامية بين شبانها وأطفالها فغضب غضبته المضرية المؤيدة بالايمان الاسلامى ، وقال فيهم كلمته المشهورة .

اذا عصبت الراس منى بمشوذ
فغيك منى تغلب ابنة وائل

وبلغت هذه الكلمة عمر ، فخاف أن يبطش قائده الشاب بنصارى تغلب ، فيفلت من يده ، زمامهم فى الوقت الذى كانوا يحاربون فيه مع المسلمين حمية للعروبة ، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطقتهم .

بهذا الماضى المجيد جاء الوليد بن عقبة فى خلافة عثمان فتولى له الكوفة وكان من خير ولاتها عدلا ورفقا واحسانا . وكانت جيوشه — مدة ولايته على الكوفة — تزحف الى آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة .

أراد الوليد بن عقبة منذ ولى الكوفة لامير المؤمنين عثمان — ان يكون الحاكم المثالى فى العدل والنبل والسيرة الطيبة مع الناس ، كما كان المحارب المثالى فى جهاده

وقيامه للاسلام بما يليق بالذائدين عن دعوته ، الحاملين لرايته ، الناشرين لرسالته ، وقد لبث فى امارته على الكوفة خمس سنين وداره الى اليوم الذى زايل فيه الكوفة — ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف ومن لا يعرف ، فكان يغشاها كل من شاء متى شاء من ليل أو نهار . ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر من الناس .

فالستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من ستر

وكان ينبغى أن يكون الناس كلهم محبين لاميرهم الطيب ، لانه أقام لغربائهم دور الضيافة ، وأدخل على الناس خيرا حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ، ورد على كل مملوك من فضول الاموال فى كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الامير المثالى طول مدة حكمه . الا أن فريقا من الاشرار واهل الفساد أصاب ببنهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد فوقفوا حياتهم على ترصد الاذى له . ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم أبا زينب ابن عوف الازدى ، وآخر يسمى أبا مورع ، وثالث اسمه جندب ابو زهير ، قبضت السلطات على أبنائهم فى ليلة نقبوا بها على ابن الحيسمان داره وقتلوه ، وكان نازلا بجواره رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل السابقة فى الاسلام وهو ابو شريح الخزاعى حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش خزاعه يوم فتح مكة ، فجاء هو وابنه من المدينة الى الكوفة ليسيرا مع أحد جيوش الوليد بن ←

عقبة التى كان يواصل توجيهها نحو الشرق للفتوح ونشر دعوة الاسلام ، فشهد هذا الصحابى المجاهد وابنه فى تلك الليلة سطو هؤلاء الاشرار على منزل ابن الحيسمان وسفكهم لدمه ، وادى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين ، فأنفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر فى الرحبة ، فكتب آباؤهم العهد على انفسهم للشيطان بأن يكيدوا لهذا الامير الطيب الرحيم ، وبثوا عليه العيون والجواسيس ليترقبوا حركاته ، وكان بيته مفتوحا دائما . وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من شعراء الشمال كان نصرانيا فى اخواله من تغلب من ارض الجزيرة واسلم على يد الوليد ، فظن جواسيس الموتورين ان هذا الشاعر الذى كان نصرانيا لا بد أن يكون ممن يشرب الخمر ، ولعل الوليد أن يكرمه بذلك ، فنادوا أبا زينب وأبا المورع وأصحابهما ، فاقتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد ، فلما فوجىء بهم نحى شيئا ادخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرجه بلا أذن من صاحب الدار ، فلما أخرج ذلك الشىء من تحت السرير ، اذا هو طبق عليه تفاريق عنب ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون من الخجل ، وسمع الناس بالحكاية فأقبلوا يسبونهم ويلعنونهم ، وقد ستر الوليد عليهم ذلك وطواه عن عثمان ، وسكت عن ذلك وصبر ، ثم تكررت مكايد جندب وأبى زينب وأبى المورع ، وكانوا يغتنمون كل حادث ويسيئون تأويله ويفترون الكذب . وذهب الذين كانوا عمالا فى الحكومة ونحاهم الوليد عن اعمالهم لسوء سيرتهم ، فقصدوا المدينة وجعلوا يشكون الوليد لامير المؤمنين عثمان ويطلبون منه عزله عن الكوفة ، وفيما كان هؤلاء فى المدينة دخل أبو زينب وأبو المورع دار الامارة بالكوفة مع من يدخلها من غمار الناس ، وبقيا فيها الى أن تنحى الوليد ليستريح ، فخرج بقية القوم ، وثبت أبو زينب وأبو المورع الى أن تمكنا من سرقة خاتم الوليد من داره وخرجا ، فلما استيقظ الوليد لم يجد خاتمه فسأل عنه زوجتيه — وكانتا فى مخدع تريان منه زوار الوليد من وراء ستر ، فقالتا ان آخر من بقى فى الدار رجلان ، وذكرتا صفتهما وحليتهما للوليد ، فعرف أنهما أبو زينب وأبو المورع ، وأدرك أنهما لم يسرقا الخاتم الا لمكيدة بيتاها ، فأرسل فى طلبهما فلم يوجدا فى الكوفة ، وكانا قد سافرا توا الى المدينة ، وتقدما شاهدين على الوليد بشرب الخمر ، فقال لهما عثمان — كيف رأيتما ؟ قالا : كنا فى غاشيته فدخلنا عليه وهو يقىء الخمر ، فقال عثمان : ما يقىء الخمر الا شاربها ، فجىء بالوليد من الكوفة ، فحلف لعثمان وأخبره خبرهم ، فقال عثمان — نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار .

هذه قصة اتهام الوليد بالخمر كما فى حوادث سنة ٣٠ من تاريخ الطبرى . وعناصر الخبر عند الطبرى ، ان الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد غلهم عليه ، ولم يرد فى الشهادة ذكر الصلاة من اصلها ، فضلا عن أن تكون ركعتين أو أربعا وهناك زيادة للحضين بن المنذر بلفظ « شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان

احدهما حمران انه شرب الخمر وشهد آخر انه رآه يتقيأ » . فكلمة صلاة الصبح وازيدكم من كلام حضين ، وحضين لم يكن من الشهود ، ولا كان فى الكوفة فى وقت الحادث المزعوم ، وانما كان عند عثمان بالمدينة لما أتى عثمان بالوليد ، وحضين لم يسند هذه الكلمات الى انسان معروف . وخبر حضين هذا مروى هكذا عند مسلم ، ومروى أيضا عند أحمد فى موضعين ليس فيهما ذكر للصلاة بلسان حضين ولا غيره ، فلعل احد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من كلام الشهود ، فاقتصر على ذكر الحد ، وروى الخبر فى مسند أحمد فى موضع ثالث عن حضين بصيغة تعارض أصل الخبر فى عدد الركعات . وفى الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن أنه من كلام حضين ، وحضين ليس بشاهد ، ولم يرو عن شاهد ، فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه . وسائر الشهود مغرضون لا يقام بمثلهم حد الله على ظنين من السوقة والرعاع ، فكيف بمجاهد كريم وضع الخليفة فى يده أمانة قطر ، وقيادة جيوش ، فكان عند الظن به من حسن السيرة فى الناس ، وصدق الرعاية لامانات الله ، وكان موضع الثقة عند ثلاثة هم أكمل خلفاء الاسلام أبى بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين .

بقيت ناحية من أمر الوليد لا يكون الكلام على حياته تاما الا باستيفائها ، وهى ما تناقله المفسرون من أنه هو الذى نزلت فيه آية الحجرات ٦ . **(ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)** .

ولقد كنت أعجب فيما مضى كيف تكون هذه الآية نزلت فيه ويسميه الله فاسقا - ثم تبقى له فى نفس خليفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر وعمر المكانة التى سجلها له التاريخ ، واوردنا الامثلة عليها آنفا عند استعراضنا ماضيه فى بضعة عشر عاما قبل أن يوليه عثمان الكوفة . ان هذا التناقض بين ثقة أبى بكر وعمر بالوليد بن عقبة ، وبين ما كان ينبغى أن يعامل به لو أن الله سماه فاسقا — قد حملنى على الشك فى أن تكون آية الحجرات نزلت فيه لا استبعادا لوقوع أمر من الوليد يعد به فاسقا ، ولكن استبعادا لأن يكون الموصوم بالفسق فى صريح القرآن محل الثقة من رجلين لا نعرف فى أولياء الله عز وجل — بعد رسوله صلى الله عليه وسلم — من هو أقرب الى الله منهما .

وبعد ان ساورنى هذا الشك ، أعدت النظر فى الاخبار التى وردت عن سبب نزول هذه الآية ، فلما عكفت على دراستها ، وجدتها موقوفة على مجاهد او قتادة أو ابن أبى ليلى أو يزيد بن رومان ، ولم يذكر احد منهم أسماء رواة هذه الاخبار فى مدة مائة سنة أو أكثر مرت بين أيامهم وزمن نزول الآية ، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة ، وان الذين لهم هوى فى تسوىء سمعة مثل الوليد ، ومن هم أعظم مقاما من الوليد ، قد ملأوا الدنيا أخبارا مريبة ليس لها قيمة علمية ، وما دام رواة تلك الاخبار فى سبب نزول هذه الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الاخبار عليهم ، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم فمن غير الجائز شرعا وتاريخا الحكم بصحة هذه الاخبار المنقطعة التى لا نسب لها وترتيب

الاحـــكام عليها . فالوليد بن عقبة بريء شرعا من نسبة سبب نزول هذه الآية اليه . ولذلك تفصيل فنى أوردته فى التعـــليق على كتـــاب العواصم من القواصم ولا أطيل به هنا لأن المجال فى موقفنا هـــذا يضيق عن استيفائه .

مصحف عثمان وجمعه

روى الامام البخارى فى صحيحه (رقم ٤٩٨٧) حديث أنس بن مالك خادم رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان حذيفة بن اليمان — أحد قادة جيوش عثمان — قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجـــان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمـــان — يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

وفى رواية عمـــارة بن غزية أن حذيفـــة قدم من غزوة ، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك الناس ، قال عثمان : وما ذاك ؟ قال : غزوت فرج أرمينية فاذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبى ابن كعب ، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق . واذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود ، فيأتون بما لم يسمع أهل الشـــام ، فيكفر بعضهم بعضا .

واخرج ابن أبى داود — فى كتاب المصـــاحف — من طريق يزيد بن معـــاوية النخعى قال : ((**انى لفى المسجد — أى مسجد الكوفة — زمن الوليد بن عقبة فى حلقة فيها حذيفة فسمع رجلا يقول : قراءة عبد الله ابن مسعود ، وسمع آخر يقول : قراءة أبى موسى الاشعرى فغضب — أى حذيفة بن اليمـــان — ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : هكذا كان من قبلكم اختلفوا ، والله لاركبن الى أمير المؤمنين**)) .

قال البخارى فى تمام رواية أنس ابن مالك : ((**فأرسل عثمـــان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحف — أى التى دونها زيد بن ثابت فى زمن أبى بكر بالحاح عمر رضى الله عنهم — فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبـــد الله بن الزبير وســـعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشـــام فنسخوها فى المصـــاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتـــم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن — وفى رواية شعيب — فى عربية من عربية القرآن — فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصـــة ، فأرســـل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق**)) .

ان العنـــاية التى بذلها عظيما الاســـلام أبو بكر وعمر ، وأتمها أخوهما ذو النورين عثمان فى جمع القرآن وتثبيته وتوحيد رسمه ، كان لهم بها أعظم المنة على المسلمين ، وبهـــا حقق الله وعده فى قوله سبحانه ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) . وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشـــيوخ الثلاثة أمير المؤمنين على ، فأمضى عملهم ، واقر مصحف عثمان برســـمه وتلاوته ، فى جميع أمصـــار ولايته ، وبذلك انعقد اجماع المسلمين فى الصـــدر الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم بل نقل بعض علماء الشـــيعة هذا الاجماع

على لسان امير المؤمنين على بن ابى طالب . جاء فى كتاب تاريخ القرآن لأبى عبد الله الزنجانى (ص ٤٦) من شـــيعة عصرنا ان على بن موسى المعروف بابن طاوس (٥٨٩ — ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل فى كتابه سعد الســعود عن الشهرســتانى فى مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال : ســمعت على بن ابى طالب عليه السلام يقول : ((**ايها الناس ، الله ، الله ، أياكم والغلو فى أمر عثمان وقولكم حراق المصــاحف ، فوالله ما حرقهـــا الا عن ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعنا وقال : ما تقولون فى هـــذه القراءة التى اختلف الناس فيهـا ، يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يجر الى الكفر ، فقلنا : ما الراى ؟ قال : أريد أن اجمع الناس على مصــحف واحد ، فانكم ان اختلفتم اليوم كان من بعدكم اشد اختلافا ، فقلنا : نعم ما رأيت**)) .

ومما لا ريب فيه أن البغاة على عثمان كانوا فى خلافة على — رضى الله عنهما — يقرءونه فى مصاحف عثمان التى أجمع عليها الصــحابة وعلى فيهم .

نعم ، أراد عبد الله بن مسعود ان يحتفظ بمصحفه ، ولكن لم يرد الله ونصر الله عثمان والحق ببقاء مصحف عثمان هو المصحف المتلو فى أنحـــاء الارض من زمنه الى يوم الناس هذا ، والى يوم القيـــامة ، ولله الحمد على ذلك .

بقية من هدى السنة

الغلبة والسيطرة ، وحب الدماء لدى بعض النفوس هو الذى يملأ الدنيا صخبا ولجبا وعويلا وبكاء وصراخا ، ويملأ جوها غازات خانقـــة وقنابل محرقة ، وطيارات تحمل الموت الزؤام ومدافع تتنفس بالدماء والابادة والافناء ، فيا لله للانسانية المعذبة بأيدى فجرة من أبنائها ، وكفرة من عتاة ظالمين لا يرعون للحق الا وذمة ولا يعرفون للحرمات قيمة ولا قدرا .

٥ — واعود مرة أخرى الى المسلمين فأذكر بكتاب الله القائل : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » وما ورد فيه من قصص الغابرين وعاقبة المجرمين ، ونهاية الظالمين ، وسوء منقلب المعتدين ، كما أذكر بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته الشريفة الى رحمة الحيوان الاعجم والرفق بكل ذات كبد رطبة ، وايضاحه صلى الله عليه وسلم ما اعد جزاء للمتقين ، وعقابا للمتعدين حدود الله ورسوله .

وادعو الله ان يوجهنا الى الاقتناع بما ورد على السنة رسله وانبيائه والا ننساق وراء الآراء الوافدة المبيدة التى تفكك الروابط وتهلك المجتمعات وتقطع الصلات وتزكى روح الحقد والبغضاء ، وصـــدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » فمن فقه وعلم واقتنع اهتدى ، « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى »(٤) .

(٤) الايات الكريمة ١٢٤ — ١٢٥ — ١٢٦ — ١٢٧ من سورة طه .



الاسلام وتكسب المرأة فى الخارج

للأستاذ : البهي الخولي

— ١ —

هناك أمران من الأمور المسلمة فى الفطرة والشرع يجب استحضارهما فى الذهن عند مناقشة ما يسمونه « عمل المرأة » . .

الأول : ان العمل فى ذاته مشروع غير محرم على احد ما دام فى غير معصية ، وقد اتجهت المرأة منذ فجر التاريخ ، أو ما قبله الى أعمال ليست من صميم وظائفها ، ولكنها تلابس تلك الوظائف أو تتصل بها وتؤكدها . . وتطورت تلك الأعمـــال على مر الدهور والأحقاب فكانت ما نعرف . من غسل وطبخ وخبز وخياطة ، وغزل وتطريز ، ونحو ذلك مما بدأ أساسا باحساسها نحو رعاية الطفل والزوج على صورة ساذجة . .

ويلاحظ على هذه الأعمال انها بدأت بباعث وجدانى اختيارى محض لـم يجبرها عليه أحد اذ انبعثت اليه بمحض احساسها نحو ولدها ، تعد له المهاد واللفائف التى تقيه عوارض الجو ، وبمحض ما تحس نحو زوجها من نزوع فيه حب وتأثر بما يبديـــه لها من عطف ورعايـــة . فهى — وان لم تكن من صـــميم وظائفها كالارضاع والسكن — متصلة بها ، ذات أثـــر فى مؤازرة بواعثها . وتحقيق ثمرها . . . وهى باشتغالها بذلك — وجدانيا وعمليا — تؤكد لصوقها بوظائفها واندماجها فى شواغلها ودواعيها . .

وحكم الاسلام فى الاشتغال بتلك الأعمال هو حكم الطبيعة . فان على بن أبى طالب وزوجته فاطمة عليهما السلام لما عرضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قضية عملهما حكـم ان يكون لعلى عمل الخـــارج . ولفاطمة عمل البيت .

وقد راعى الاسلام فى ذلك أن عملها فى البيت لولدها ورجلها يختلـط بوجدانها ، فهو لا يعارض وظائفها الأساسية بل يؤازرها ويوثق روابطها بها .

واذا كانت ذات مهارة فى شىء منه ، ورأت أن تتكسب به فى المنزل فلها ذلك على أن يأذن لها زوجها . وألا يستغرق وقتها ووجدانها وفكرها فيخرجها عن مقتضيات مهمتها الأصيلة .

ولما كان مصير البنت أن تكون زوجة جعل الاسلام من حقها أن تتثقف فى مهمتها ، وما يتصل بها من أعمال البيت والأسرة . على حسب ما تبلغه ثقافة عصرها ، وما تتيحه لها ظروفها الخاصة اعدادا لدورها المقبل . وتهيئة لنفسها

وذهنها له . . .

والأمر الثانى : أن الطبيعة اذ جعلت المرأة أنثى لم يكن ذلك عن خطأ أو عمل جزاف ، بل عن قدر فى علم الله لتحقيق مقاصد لها مكانها من الحكمة والمصلحة . . وان البيت هو المكان الطبيعى الذى تتحقق فيه وظائف الأنوثة وثمارها ، وان بقاءها فيه هو بمثابة الحضانة التى تجنب خصائص تلك الوظائف وقوانينها أسباب البلبلة والفتنة ، وتوفر لها تناسقها فى مجالها ، وتحيطها بكثير من أسباب الدفء والتركيز النفسى والذهنى ونحوه مما يهىء الظروف الضرورية لعملها . .

واذا كان ذلك منطق الفطرة فقد جاء فيه قول الله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن » قال القرطبى : « اى ليس للزوج أن يخرجها من مسكن الزوجية ، ولا يجوز لها الخروج الا لضرورة ظاهرة »(١) ، والمعروف أن هذه الآية نزلت فى المعتدة ، ولكن حكمها يسرى على الزوجة . قال ابن العربى : قال مالك : « ولا تخرج المعتدة دائما ، وانما اذن لها فى الخروج ان احتاجت اليه ، وانما يكون خروجها فى العدة كخروجها فى الزواج لأن العدة فرع الزواج »(٢) .

وقد لحظ أئمة الفقه والتفسير أن البيوت مضافة الى ضمير النسوة فى قوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن » وفى قوله : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » وقوله : « وقرن فى بيوتكن » مع أن البيوت للأزواج لا لهن ، وخرجوا من ذلك بأنها ليست اضافة (تمليك) بل اضافة (اسكان) تقررت لاستمرار لزوم المرأة البيت — الا لحاجة — حتى أضيف اليها(٣) . . والاسكان معناه الزام بالاقامة قال الكاسانى : « ومنها — أى من الأحكام التى تترتب على عقد الزواج — صيرورتها ممنوعة عن الخروج والبروز لقوله تعالى : « أسكنوهن » والأمر بالاسكان نهى عن البروز اذ الأمر بالشىء نهى عن ضده ، ولقوله عز وجل : « لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن » ولأنها لو لم تكن ممنوعة من الخروج والبروز لاختل السكن ، والنسب) .(٤)

فالمقرر فى الفطرة ، وفى الشرع : أن البقاء فى المنزل هو الأصل ، وأن الخروج منه — لمقصد مشروع — هو الفرع ، ومن تطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قوله : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن »(٥) . فعبادة الله — وهى حكمة وجود الانسان ، واشرف مقاصده — يجيز الشرع للمرأة أن تخرج لأدائها فى المسجد ، ولكنه يرى أداءها فى البيت خيرا لها ، لا لأن البيت فى ذاته افضل من المسجد ، فان المعروف أن افضل بقاع الأرض المساجد ، بل لما ذكرنا من تجنب الفتنة والبلبلة والعوارض التى تشوش خصائص الأنوثة ، ولكفالة الاستقرار والتفرغ لمهمتها . .

---

(١) جـ ١٨ ص ١٥٤ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

(٢) جـ ٢ ص ٢٦٦ من أحكام القرآن لابن العربى .

(٣) المصدران السابقان ، وأحكام القرآن للجصاص .

(٤) جـ ٢ ص ٣٣٢ من بدائع الصنائع للكاسانى .

(٥) رواه أبو داود .

فهذان أمران اذا عالج بهما الانسان قضية « عمل المراة » لم يخطىء فيها حكم الطبيعة ولا الشرع .

الأول : ان العمل فى ذاته مشروع على الا يستغرق وقتها ، وفكرها ، ووجدانها فيخرجها عن خصائصها ومقتضيات مهمتها الفطرية .

والثانى : ان البيت هو المكان الطبيعى لتحقيق المقاصد العليا الروحية والاجتماعية التى ارادها الله بخلق الأنثى ، وانه لا يجوز لها الخروج منه الا لمصلحة ، اى لا يكون ذلك دائما كما يقول الامام مالك اجتنابا للمضار التى ذكرنا .

فلها — فى نطاقهما — ان تزاول اى عمل فكرى ، أو بدنى فى البيت أو خارجه ، فى الريف أو الحضر ، بأجر أو بغير اجر ، على أن تلتزم فى ملبسها وزينتها وسلوكها ، وعدم الخلوة ، واذن الزوج على ما سنه الشرع فى ذلك .

لها ان تخرج من بيتها لتعمل فى الحقل ، أو لتبيع ما لا حاجة اليه من الحاصلات ونحوها ، أو لتشترى ما تريد من المتاع والملابس ، والأطعمة ونحوها ، سواء أكان ذلك لمصلحة أسرتها ، أو لمصلحتها الخاصة .. ولها أن تخرج لضرورة علمية لتسمع محاضرة أوعظة ، أو تشهد مؤتمرا أو ندوة ..

ولها أن تفتى الناس فى دينهم ولها أن تلتحق بالجيش وقت الحرب فى أعمال التمريض والاسعاف والخدمةو نحوها .. ولقد ثبت أن النساء كن يخرجن باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الجيش لخدمة الرجال ، وتمريض الجرحى ، والقيام بأعمال الاسعاف ، فقد روى البخارى وأحمد عن الربيع بنت معوذ قالت : (كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ، ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة) .. بل لها أن تحمل السلاح فى الحرب ، وقد ورد فى خبر الرميصاء ، زوج أبى طلحة — فى صحيح مسلم — (أنها اتخذت خنجرا يوم حنين ، فلما سألها زوجها عنه قالت : اتخذته ، ان دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه) ، وقد أخبر زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فلم ينكر عليها ..

— ٢ —

وكل ذلك واضح فى المصالح التى لا تقتضيها أن تخرج كل يوم فتستغرق وقتها وجهدها ، ويترتب عليها اهمال واجبها الأصلى .. أما اذا اتخذ العمل صفة الدوام للتكسب بالخارج ، من حرفة ، أو وظيفة تشدها اليها بمشاغل والتزامات ومسئووليات أساسية كالذى نعهده من حال المرأة العاملة اليوم . فهو غير جائز ، لأنه يخرج عن نطاق الأمرين السابقين : كون البيت هو المكان الطبيعى لتحقيق مهماتها الأساسية .. والا يستغرق العمل وقتها ، وفكرها ، ووجدانها .... أو لأنه يتضمن مضار الخروج عنها على النحو الآتى :

أولا : أن المعروف انها تخرج كل يوم مع الصباح بحكم عملها الرتيب طول الاسبوع .. وطول الشهر .. وطول السنة .. وكل سنة حتى تبلغ سن الاحالة الى المعاش ، أو العجز عن العمل .. وذلك من الوجهة الشرعية لا يحقق معنى « أسكنوهن » الذى قرره الكاسانى ، ومعنى قوله تعالى : « لا تخرجوهن

من بيوتهن ولا يخرجن » ..

ذلك الى ان خروجها هذا الرتيب يجعل حاجتها الى البيت كحاجة الرجل اليه : كلاهما يحتاج اليه للاستجمام من عناء يومه ، ليغادره قويا نشيطا الى عمله صباح اليوم التالى .. فاذا استويا فى حاجة كل منهما اليه ، فهو ابطال لموجب اضافة البيت اليها فى قوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن » ، « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن » فان تلك الاضافة — على ما قدمنا — ليست اضافة « تمليك » بل اضافة « اسكان » تقررت لاستمرار لزوم المرأة البيت ..

واذا ، فخروجها على هذا النحو تعطيل لنصوص كتاب الله ، وابطال لما اراد به تعالى من مقاصد روحية واجتماعية لا تتحقق الا باستقرارها فى البيت . . .

ثانيا : ان عملها الذى أسلفنا الذى يتخذ « روتينا » يوميا يتكرر — كما ذكرنا — طول الأسبوع ، وكل شهر ، وكل سنة حتى تبلغ الاحالة الى المعاش ، أو سن العجز .. وبتكرره واندماجها فيه يصطبغ فكرها بصبغته وطبيعة مشاغله وملابساته .. وينشأ لها احساس يلزمها المواعيد الرتيبة ، وينبه فيها حافز التقرب الى رياسة العمل والجد فيما يرضيها مع حذر الوقوع فيما يجلب لها ملامة ، أو يغير نفس رئيس عليها .. فتتخذ بذلك كل المشابه الفكرية والنفسية لكل موظف بصفة عامة ، ولكل من يعمل مثل عملها ويشغله من أمره ما يشغلها بصفة خاصة ، فهى اقرب الى الائتلاف به من سواه ، ولو كان من جهة غير جهتها .. اذا تحدثا عن ظروف عملهما ، واحداث واقعه ، وما قد يلابسه من علاقة الرؤساء ، وأحلام أو انباء العلاوات والترقيات .. الخ ..

هذا المزاج من الفكر والوجدان الذى يغشى نفسها ، ويخالط فكرها واحساسها ، لا جرم يكون له طابعه فى تصوراتها ، وتصرفاتها ، فلا يقال : انها مندمجة فى سنن فطرتها وشواغل وظيفتها الأولى .. وذلك غير جائز ..

ولا نعنى أن اكتسابها هذا المزاج يفسد استعدادها للحمل والصلة الجنسية ، بل نعنى انه يشوش مزاجها الجامع لخصائص أنوثتها وقوانينها ، فان الأنوثة ليست مجرد تكوين بدنى تحصل به الصلة الجنسية ، بل هى قبل ذلك خصائص من الوجدان والفكر والقوانين لتحقيق ما أراد الله من مقاصد .. فاذا كان ذلك التأهيل النفسى ، وما اليه من قوانين ، هو العدة لتلك المقاصد ، فان اكتساب هذا المزاج الذى يؤثر فى تصوراتها وتصرفاتها يعارض ذلك التأهيل ويحد من قدرته على تحقيق مقاصده ، بقدر ما يدخل عليه من تشويش وتغيير .

ولننظر الى اثر ذلك فى علاقتها بزوجها — نفسيا — فان للوظيفة التى تندمج فيها ، وللمرتب الذى تتقاضاه بجهدها ، وللنصيب الذى تسهم به فى نفقات المنزل ، أثرا يشغل فكرها ونفسها بمثل الأثر الذى يشغل به الزوج نفسه وفكره طول اليوم وكل يوم .. فالتفكير فى العمل ، ورتوبته ، وملابساته ، ومسئولياته واحد لكل منهما .. ونصيبها الرتيب الذى تسهم به فى نفقات البيت ونصيبه الذى يسهم به يقيمهما على مسئولية متماثلة قبل البيت الذى يجمعهما ويطبع فى نفس كل منهما احساسا اقتصاديا له أثره فى « تكييف » العلاقة بينهما .. وهى بحكم عملها ذات احساس بأنها (كاسب) مثله على السواء

.. فأى شىء من تلك العوامل النفسية يمكن أن يؤازر الأسس الفطرية التى يقوم بها الزواج فى الضمير ليكون له فى خارج الضمير أثره واستقراره ؟!.

١ — ان من تلك الأسس أن المرأة سكن للرجل ، فهل يمكن أن يجد ذلك السكن لدى امرأة قد يحضر فلا يجدها ، لأنها فى عملها .. أو يجدها ولكنها مثله مثقلة بتعب الفكر ، والنفس ، والجسم ؟. أو هل يجد ذلك السكن لدى امرأة غاضت رهافة حسها بملالة الروتين ، وقسوة العمل ومسئولياته ، واستبدلت بها طابع المماثلة بينها وبينه ، فاذا لقيته ، لقيته — فى غير تعمل — باحساس أنها (كاسب) مثله .. وأنها صنوه .. فى تبعات اقامة ذلك البيت .. ولمح كل منهما فى الآخر وحدة المزاج الذى طبعه روتين الوظيفة وشواغلها على ذهنه ونفسه .. فلا هى تجد فيه طعم البأس والجزالة المغنية الذى كانت تذوقه برقتها ووداعة حسها فيملأ وجدانها بالاعجاب والرضا ، ولا هو يجد لديها ذلك الطعم الذى يفتقده فى صراع الحياة ، طعم التسليم ببأسه والرضا بامتيازه . وهو الطعم الذى يرضى طموحه ، ويؤكد ثقته بنفسه ، ويجدد له عناصر القوة والعزيمة فيه ؟ .

٢ — واذا كان هو بذلك يفتقد السكن بكل ضروبه فهى بافتقاد طعم البأس الذى يملأ وجدانها بالاعجاب والرضا ، تفقد روح قانون (القوامية) ونبع احساسها واقرارها به .

وقانون (القوامية) هو الذى يتضمن قول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء ... وبما انفقوا من أموالهم » وهو قانون يطبع نفس الأنثى بطابع التقبل ، ويطبع نفس الرجل بالنسبة لها بطابع الايجاب ، ومظهره أن يقوم لها بكل تبعات الحماية ونفقات المعيشة .. وقد قلنا عنه : « انه من القوانين التى لا تنعقد روابط الأسرة الا بها .. فقوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » يتضمن أن من الأسس التى يتكون منها بناء الأسرة أن يكون الرجل وحده مناط المسئولية والتكليف بما هو ضرورى للبيت من ضروب النفقة ، وأن يكون قواما — فعلا — بذلك .. هذا من حيث الظاهر ، أما حيث الباطن فيجب أن يكون مفهوم هذا القول الكريم قانونا نفسيا قائما بنفس كل منهما فى رضا وطمأنينة فاذا هى فقدت نبع احساسها بتلك القوامية ، وفقد هو عنصر الايجاب ، الذى ينيط به التبعات ، فقد خلت الرابطة بينهما من أحد ينابيع الالتئام التى تقوم بها حقيقة الزواج فى الضمير ..

فاذا أدى عمل المرأة الى أن يطبع فى ذهنها ووجدانها تلك الآثار ، ويكون من نتيجته فقدان السكن بكل ضروبه ، وامحاء قانون القوامية ، فهل يمكن أن يقال : انه العمل الذى يؤازر خصائصها ؟ وانه العمل الذى يجيزه الشرع ؟.



مشاعر نفسية وراء بعض الخلافات

للشيخ : محمد الغزالي

المؤمنون افرادا وجماعات يتحرون صراط الله فى مسالكهم كلها ، ويجتهدون أن تقع أعمالهم وفق مراد الشارع الحكيم سواء فى العبادات المنقولة أو المعاملات المعقولة ..

وغير المؤمنين يخطون طريقهم فى الحياة بجهدهم الفكرى ، وتجاربهم الخاصة ، وصلتهم بالوحى الاعلى مقطوعة أو واهية .

وفى الوقت الذى تحكم فيه النصوص السماوية والقواعد الدينية حياة المؤمنين بالله ، نجد غير المؤمنين ينشطون بفكرهم المجرد للتصرف فى هذه الحياة ، ووضع ما يرون من دساتير وقوانين يظنون أنها تكفل مصالحهم وتضمن سعادتهم ..

وقد اتسعت علوم السياسة والاجتماع والاخلاق والاقتصاد وغيرها من العلوم الانسانية البحتة وانفردت بقيادة الانسان على ظهر الارض الى جانب مجموعة من الفلسفات النظرية التى اشتغل بها العقل البشرى من قديم ..

أما المؤمنون بالله ، ونحن فى هذا الفصل نعنى المسلمين خاصة ، فهم يعتمدون على شمول التعاليم السماوية لشئون حياتهم ويستغنون بها عما وراءها من مذاهب ونظرات ..

معتقدين أن فى هدايات الله الغنى الكامل ، وأن الله جل شأنه قد ضبط معاشهم ومعادهم بكلامه وسنة نبيه ، فلا مكان لشىء آخر بعد ..

« الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان .. »

« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط .. »

والحق أن الوحى الالهى فى الرسالة الخاتمة قد كفى وشفى ، فحدد حيث ينبغى التحديد وفصل حيث يستحب التفصيل ، وأجمل وعمم حين يقتضى الامر ارسال التعليمات مجملة عامة .. وحث العقل على أداء وظيفته فى الفقه

والاكتشاف والتبصر والاعتبار . . وحذره أن يجانب الحق بالحدس والتخمين ، وأن يبدد قواه فى اقتحام الغيوب المعجزة . .

كما علمه الادب مع الله ورسوله ، فلا مكان لاقتراحاته حيث يتكلم الوحى ، ولا لابتداعاته حيث مضت السنة . . !!

والمعانى التى قررناها آنفا ليست موضع خلاف بين المسلمين ، ولـكن الخلاف أخذ لونا آخر يقترب اقترابا شديدا من هذا الموضوع ، فقد تساءل اسلافنا غفر الله لهم عن مكانة العقل بالنسبة الى الحظر والاباحة والفعل والترك والاستهجان والاستحسان ، وكانت اجابة كثير منهم أن العقل فى هذا الميدان صفر ، وأن الشرع وحده هو كل شىء . .

وفى هذه الاجابة غموض وجَور . . !

فان العقل يستطيع بنوره الذاتى أن يعرف الشر فى أشياء كثيرة وأن يلحظ الخير فى أشياء كثيرة وقد لفت القرآن الانسان الى أنه بفطرته قادر على التفرقة بين شناعة الجهل وكرامة العلم « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب** » .

والى أنه بفطرته يستقبح الظلم ويأبى الحكم به « **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** » .

صحيح أن العقل الانسانى بحاجة الى عون من الله ، ومدد من الوحى . . بيد أن هذه الحاجة لا تعنى بخس قيمته ، ولا التهوين من قدرته المحدودة فى مجال التحسين والتقبيح لكن جمهور السلف رأى ــ سدا لباب الاستغناء بالعقل ــ أن يجعل الشارع صاحب الكلمة الاولى والاخيرة فى هذا المجال ، ويقرر هذا العلامة الزنجانى فى كتابه(١) : (تخريج الفروع على الاصول) فيقول : ذهب الشافعى رضى الله عنه وجماهير أهل السنة الى أن الطهارة والنجاسة وسائر المعانى الشرعية كالرق والملك والعتق والحرية ، وسائر الاحكام الشرعية ككون المحل طاهرا أو نجسا ، وكون الشخص حرا أو مملوكا ، ليست من صفات الاعيان المنسوبة اليها ، بل أثبتها الله تحكما وتعبدا ، غير معللة !! لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولا تصل آراؤنا الكليلة ، وعقولنا الضعيفة ، وأفكارنا القاصرة الى الوقوف على حقائقها ، وما يتعلق بها من مصالح العباد ، فذلك حاصل ضمنا وتبعا ، لا أصلا ومقصودا ، اذ ليست المصلحة واجبة الحصول فى حكمه . .

واحتج على ذلك : بأن الله تعالى اذا جاز أن يعاقب الكافر على كفره ، والفاسق على فسقه ولا مصلحة لأحد فيه ، جاز أن يشرع الشرائع ، وأن تعلق بها مفسدة ، ولا يتعلق بها مصلحة لأحد !!

ولذلك الله تعالى كلف الانسان ما ليس فى وسعه فقال تعالى « فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » (فأتوا بسورة مثله) وقال للملائكة « انبئونى بأسماء

---

(١) أخرجت جامعة دمشق هذا الكتاب فى السنوات الاخيرة وهو من ذخائر الفقه الاسلامى المقارن .

هؤلاء ان كنتم صادقين » وكل ذلك تكليف للانسان ما ليس فى وسعه ، وذلك ضرر لا مصلحة فيه(٢) .

وسر هذه القاعدة أن الله تعالى مالك الملك وخالق الخلق ، يتصرف فى عباده كيف يشاء ، ولا كذلك الواحد منا ، فانه اذا أضر بغيره كان متصرفا فى ملك الغير بالضرر ، وذلك ظلم وعدوان .. وذهب المنتمون الى أبى حنيفة رضى الله عنه من علماء الاصول الى أن الاحكام الشرعية صفات للمحال ، والاعيان المنسوبة اليها ، أثبتها الله تعالى ، وشرعها معللة بمصالح العباد لا غير ، كما أن الحسن ، والقبح ، والوجوب ، والحظر ، والندب ، والكراهة ، والاباحة ، من صفات الافعال التى يضاف اليها ، غير أنهم قسموا أحكام الافعال الى : ما يعرف بمجرد العقل والى ما يعرف بأدلة الشرع على ما سيأتى :

اما أحكام الاعيان فقد اتفقوا على أنها كلها تعرف بأدلة شرعية ، ولا تعرف بمجرد العقل ، وأنها كلها تثبت باثبات الله تعالى .

واحتجوا فى ذلك بقياس الشاهد على الغائب ، بناء على قاعدة التحسين والتقبيح ، وزعموا أن شرع الحكم لا لمصلحة عبث وسفه ، والعبث قبيح عقلا ، وهو كاقدام الرجل اللبيب على كيل الماء من بحر الى بحر ، فانه يقبح منه ذلك ويستحق الذم عليه .

واذا تمهدت هذه القاعدة فنقول : الشافعى رضى الله عنه حيث رأى أن التعبد فى الاحكام هو الاصل غلب احتمال التعبد ، وبنى مسائله فى الفروع عليه .

وأبو حنيفة رضى الله عنه حيث رأى أن التعليل هو الاصل بنى مسائله فى الفروع عليه ، فتفرع عن الاصلين المذكورين مسائل .. الخ .

ولست هنا بصدد ترجيح مذهب الاحناف ، وتضعيف رأى الجمهور ، فالامر عندى أعمق من ذلك ..

ان المسلمين كافة يعلمون أن الله هو القاهر فوق عباده ، وأنه ليس لبشر ما أن يقف أمامه الا عانى الوجه مكسور الشوكة ..

وان ارادته نافذة فى أرجاء الملكوت لا يعترضها انس ولا جن (الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) .

لكن الله ـ وله المجد الذى لا يبلى ـ خلق السماوات والارض بالحق لا بالباطل ، وسير الكائنات فى البر والبحر والجو بالحكمة لا بالفوضى ، ودبر الامور من الازل الى الابد وفق نظام دقيق ، لا خبط عشواء ولا تقدير مجازف (**وكل صغير وكبير مستطر**) .

فكيف يتصور فى شرائعه أن تتجنب المصلحة او تنطوى على مفسدة ؟

انه حقا لا يسأل عما يفعل ، ولكن لماذا نتصور أن من ذاته فوق المسئولية يجوز أن يصدر عنه ما لا ينبغى ؟ بحجة أنه مالك الملك ؟

---

(٢) سترى خطأ ذلك القول فضلا عما فيه من مغالطة .

الاولى من ذلك ، والادنى الى الصواب ، أن تعرف حدود الدائرة التى يستطيع فيها العقل البشرى الادراك الصحيح والحكم السديد . .

ان الانسان الفرد يتفاوت حكمه فى مرحلتين من عمره على شىء واحد ، وربما استقبح وهو شيخ ما كان يستحسنه وهو شاب .

وربما نسج القصور غشاوة كثيفة او خفيفة على أبصارنا فظننا نفعا لنا ما هو ضار بنا **« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .**

فاذا توهمنا عوجا ما فى مظاهر الخلق ، او جورا ما فى أحوال الناس ، فلنتهم أفكارنا نحن ولنعترف بقلة علمنا بدل أن نقول (لا يسأل عما يفعل) .

وأعتى علماء المادة يعترف بأن ما نجهل أضعاف أضعاف ما نعلم ، وأن حصيلة الذكاء البشرى طوال القرون تشبه عودا من الثقاب أوقد فى ظلمات ليل ضرير الآفاق ، انه ما يرى فى هذا الكون الكبير الا النزر اليسير . .

وقد شاء رب العالمين أن يزود الانسان بالعقل ليستبين به فى نطاق محدود الخير من الشر والخطأ من الصواب ، كما زود العين بالقدرة على الرؤية فى نطاق أبعاد معينة . . وربما أصيبت العين بعاهة عارضة تمنعها من النظر البعيد أو القريب ، بيد أن ذلك لا يعنى أن طبيعة العين العجز عن الرؤية . .

وكذلك لا نسلم لأحد القول بأن العقل عاجز بطبيعته عن ادراك الحسن والقبح فى الاشخاص والاشياء ، ولا نسلم أبدا بأن الكذب والصدق ، والعدل والجور معان متساوية القيمة أصلا حتى تنزل الوحى الاعلى فحسن هذه وقبح تلك .

والذى نراه أن جمهور المسلمين وفى مقدمتهم الامام الشافعى رضى الله عنه يقصدون بكلامهم فى التحسين والتقبيح رفض تحكيم الفلسفة العقلية فى سير الانسان ومصيره ، وحاضره ومستقبله ، وشئون حياته كلها ما دق منها وما جل . .

وهذا مذهب خطير بلا ريب ، بل هو تجاهل لرسالات الله كلها ، واستعلاء على ما جاء بها ، وقبول ما يعجب ورد ما لا يعجب .

ومن فجر الخليقة حاول الانسان ان يعتمد على نفسه فى الفعل والترك والقبول والرفض ، وفى عصرنا هذا أعطى الانسان نفسه حرية مطلقة فى التشريع الخاص والعام ، وتصرف فى شتى التقاليد بالمحو والاثبات . . وجعل حقه فى التحسين والتقبيح فوق ما ترع آفاقه ليلا ونهارا من آيات الله والحكمة . .

وما يختلف مسلم ومسلم فى ان ذلك المسلك مردود جملة وتفصيلا .

واذا كانت هناك الآن مقررات فى علوم الاجتماع والاقتصاد ، او فى ميادين السياسة والقانون تختلف مع نصوص الدين وقواعده العامة فهى فى نظر فقهاء المسلمين قاطبة منكورة مبعدة . .

فان أوامر الله ونواهيه هى المصدر الاعلى ، أو قل هى المصدر الاوحد لما يحظر أو يباح ، وقد عاد الزنجانى فى كتـابه القيم (تخريج الفروع على الاصول) الى هذا الموضوع مرة أخرى فقال : « ذهب جماهير العلماء الى أن التحسين والتقبيح راجعان الى الامر والنهى ، فلا يقبح شىء لعينه ، ولا يحسن شىء لعينه ، بل المعنى بكونه قبيحا محرما ، انه متعلق النهى ، والمعنى بكونه حسنا واجبا انه متعلق الامر . واحتجوا فى ذلك بأن ايجاب العقل شيئا من ذلك لا يخلو : اما أن يكون ضروريا ، أو نظريا .

والاول محال ، فان الضروريات لا تنازع فيها ، كيف ونحن جم غفير وعدد كثير لا نجد انفسنا مضطرين الى معرفة حسن هذه الافعال ولا قبح نقائضها .
والثانى أيضا محال لافضائه الى التسلسل .

وذهب المنتمون الى أبى حنيفة رضى الله عنه من علماء الاصول الى أن الافعال تقسم الى ثلاثة أقسام :

فمنها : ما يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه بديهة ، كحسن الصدق الذى لا ضرر فيه وقبح الكذب الذى لا نفع فيه .

ومعنى استقلال العقل بدرك ذلك عنـدهم : انه لا يتوقف على أخبار مخبر .

ومنها : ما يدرك حسنه وقبحه بنظر العقل كحسن الصدق المشتمل (على الضرر) وقبح الكذب المشتمل على النفع .

ومنها : ما لا يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه أصلا ، دون تنبيه الشرع عليه كحسن الصلاة والصوم والحج والزكاة ، وقبح تناول الخمر والخنزير ولحوم الحمر الاهلية ، وزعموا أن أمر الشرع فى هذا القسم ونهيه ، كاشف عن وجه حسن هذه الافعال وقبحها ، لعلمه بأن امتثال أمره فيها يدعو الى المستحسنات العقلية ، وكذلك الترك فى نقيضها من المناهى واحتجوا على كون العقـل مدركا لمعرفة الحسن والقبح : بأن البراهمـة يقبحون ويحسنون مع انكارهم الشرائع وجحدهم النبوات .

وقد رفض الزنجـانى مذهب الاحناف الذى صوره فى ايجـاز ، وآثر عليه غيره .

والذى نعود الى توكيده أن الله جل شـأنه هو الحاكم المقسط ، وأنه لا يشرع الا ما فيه صلاح أمرنا فى العاجل والآجل ، وأنه منحنا عقولا تستطيع أن تبصر وجه الحكمة فى أغلب ما شرع ، وأن ما يفوتها عرفانه فلقصورها عن الاحاطة بكل شىء ..

وتلك معان لا يختلف الفقهاء فيها ، وما ورد يشعر بخلاف فأساسه الحرج النفسى من مذاهب جائرة عن الطريق الحق أو بتعبير فقهائنا الاقدمين أساسه (سد الذريعة) .



في الشريعة الإسلامية

للشيخ : مناع القطان

تمهيـــد :

في مستهل حديثي عن رفع الحرج في الشريعة الاسلامية احب ان اشير الى الطابع العام الذى تتميز به هذه الشريعة .

لقد تميز الاسلام بأنه دين الحنيفية السمحة الذى يلائم الفطرة ، ويلبى اشواقها فى جوانب الحياة الانسانية المختلفة دون افراط او تفريط .

فللانسان اشواقه الروحية المتصلة بتربية العواطف ، وتهذيب الوجدان ، وتنمية مشاعر الخير التى تنطوى عليها النفس البشرية ، حتى يصفو مشربها ، وتزكو سريرتها (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) وسبيل هذه التزكية التى تورث صاحبها الفلاح أن تتجه النفس الى بارئها ، تدين بوحدانيته ، وتخضع حياتها لشريعته . وتنقاد لأوامره ونواهيه فى تذلل وانكسار ، ولا تستطيع النفس أن تصل الى هذا الا اذا تحررت تحررا كاملا من سلطان أهوائها وشهواتها ، واعلنت عبوديتها لله وحده رب العالمين . وهذا هو لب الرسالات السماوية التى حملها رسل الله الى البشرية عبر التاريخ ، اعذارا اليها ، وبها بعث خاتم الانبياء والمرسلين **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .**

وللانسان مطالبه المادية التى تتصل بكيان حياته ، وتنمية جسمه ، والحفاظ على قواه المنتجة العاملة . حيث أجرى الله سنته فى استقرار الارواح بأجسادها ، وربط معنى الحياة بالصلة الوثيقة القائمة بين هذه وتلك ، وقوام

الحياة المعيشية فى معترك العمل يهدف الى تحقيق مطالب البدن فى الغــذاء والكساء ، والمسكن والمركب ، وسائر ما يستمتع به الانسان مما أحل الله له .

والاسلام يفى بهذه المطالب من وجوهها المشروعة فى الكسب الحلال ، ويثير فى النفس البشرية حوافز العمل الفطرية فى غريزة حب التملك ، ويتولى حراستها من الشطط ، لتنطلق بطاقاتها على هــدى من الله . تكد وتكدح **(فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمــل يده ، وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده)** ويمتد الامل فى هذا الكسب بما يخلفه الآباء للذرية من ميراث .

وهناك المطالب العقلية التى تتصل بالتفكير الانسانى ، واثارة العقــل البشرى للنظر فى الكون وادراك أسراره ، والاستفادة منه . والسعى نحو تحقيق مستوى فكرى لائق فى حقل المعارف الانسانية على اختلاف أنواعها .

ولطالما كان الرقى العقلى مظهرا للتقدم الحضارى ، وسبيلا الى ارساء دعائم المدنية على نهج سديد فى مراحل التطور البشرى ، وبناء الحضــارات الانسانية فى القديم والحديث .

وقد لفت الله أنظار عباده فى القرآن الكريم الى الطريق القويم فى التفكير السليم ، والنظر الصائب ، بما يشحذ الذهن ، ويبعث فيه حرية التفكير ، ولذة التزود بالمعرفة ، وجعل الحواس نوافذ يطل منها الانسان على هذا العالم الفسيح ، ليبصر حقائق الكون ، ويعتبر بما فيه من دلائل قدرة الصانع **(ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) .**

والشريعة الاسلامية بين شرائع الله كلها هى التى تحقق تلك النواحى الشاملة لجوانب الحياة البشرية . فى الاشواق الروحية ، والمطالب المادية ، والرقى العقلى ، فى انسجام متكامل .

فالدعوة الى الايمان بوجود الله ووحدانيته وصفات كمــاله تعتمد على النظر العقلى والتفكير المنطقى **(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) ؟.**

والدعوة الى العبادة للتهذيب النفسى والتربيــة الروحيــة تأتى مقرونة بالسعى فى الارض ابتغاء للرزق **(يايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) .**

وطيبات الحياة التى اباحها الله تعالى لاستمتاع الانسان تأتى كذلك مقرونة بالقربة اليه (وفى بضع أحدكم صدقة) (ولست تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت بها حتى اللقمة تضعها فى فى امرأتك) .

والحد الفاصل فى هذه الامور كلها هو الاعتدال الذى تميزت به الامة الوسط **(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق**

قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) .

وبهذا تميز الاسلام بأنه دين الحنيفية السمحة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(بعثت بالحنيفية السمحة) .**

والشريعة الاسلامية هى مجموعة التكاليف التى شرعها الله تعالى وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم لأمته والمراد بالتكليف خطـــاب الشرع بأمر أو نهى .

ويشترط فى المكلف أن يكون ممكنا ، لأن حصوله مطلوب الشرع ، وكل ما كان مطلوب الحصول يجب أن يكون متصور الوقوع ، وهذا معنى كونه ممكنا ، لأن المحال لا يتصور وقوعه . وما لا يتصور وقوعه لا يستدعى حصوله . اذ أن استدعاء الحصول لا يكون الا لفائدة . وحصول الفائدة مما لا يتصور وقوعه لا يعقل ، واذا ثبت أن المحال لا يستدعى حصوله فلا يكلف به لعـــدم فائدة التكليف ، وهذه المسألة هى المعروفة بمسألة تكليف ما لا يطاق .

وبهذا ثبت فى الاصول أن شرط التكيلف القدرة على المكلف به . كما يدل على هذا نصوص الشريعة التى سنأتى على طرف منها فيما بعد . فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعا .

ولم يخالف فى هذا سوى قلة ممن لا يعتد بهم . واستدلوا على مذهبهم بأدلة تولى علماء الاصول ردها :

ويمكننا أن نوجز ما ذكره الغزالى فى المستصفى من أدلتهم والرد عليها :
استدلوا أولا بقوله تعالى **(ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)** والمحـــال لا يسأل دفعه .

وأجيب بأن المراد ما يشق ويثقل علينا ، فان من شق عليه التكليف بأعمال تكاد تفضى الى هلاكه لشدتها يقال فيه حمل ما لا طاقة له به .

واستدلوا ثانيا بأن الله أخبر أن أبا جهل لا يصدق بالرسالة ، وقد كلفه الايمان ، ومعناه أن يصدق محمدا فيما جاء به ، ومما جاء به أنه لا يصدقه ، فكأنه أمره أن يصدقه فى ألا يصدقه ، وهو محال .

واجيب بأن أبا جهل أمر بالايمان والتوحيد والرسالة ، والادلة على هذا كثيرة فى شواهد الكون يدركها العقل وقد كان عاقلا ، فكان الامكان حاصلا ، لكن الله تعالى علم انه يترك ما يقدر عليه حسدا وعنادا ، فالعلم يتبع المعلوم ولا يغيره ، فيكون هذا من باب المستحيل لغيره لا لذاته .

واستدلوا ثالثا بمثل قوله تعالى **(كونوا قردة خاسئين)** وقوله **(كونوا حجارة أو حديدا) .**

واجيب بأن الامر هنا للتعجيز لا للطلب ، أو لاظهار القدرة كقوله تعالى **(كن فيكون) .**

وقد بين الشاطبى بناء على هذا أن ما تعلق به الطلب ظاهرا من الانسان على ثلاثة أقسام :

احدها : ما لم يكن داخلا تحت كسبه قطعا ، وهذا قليل ، كقوله تعالى **(ولا تموتن الا وانتم مسلمون)** وحكمه ان الطلب مصروف الى ما تعلق به ، وهو هنا استمرار الاسلام الى الموت .

والثانى : ما كان داخلا تحت كسبه قطعا . وذلك جمهور الافعال المكلف بها التى هى داخلة تحت كسبه ، والطلب المتعلق بها على حقيقته فى صحة التكليف بها ، سواء علينا اكانت مطلوبة لنفسها أم لغيرها .

والثالث : ما قد يشتبه امره كالحب والبغض وما فى معناهما ، فحق الناظر فيها أن ينظر فى حقائقها فحيث ثبتت له من القسمين حكم عليه بحكمه .

ثم أشار الى أن هذه الاوصاف الفطرية فى الانسان يتبعها أفعال اكتسابية فالطلب وارد على تلك الافعال . كقوله صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا) وذلك كالنهى عن النظر الى المراة الاجنبية المثير للشهوة الداعية الى ما لا يحل ، وعين الشهوة لم ينه عنه .

وكذلك النهى عن الغضب ، فان الغضب وان كان امرا فطريا الا أن النهى عنه باعتبار لاحقه ، فانه يثير شهوة الانتقام ، كما يثير النظر شهوة الجنس ، كقوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له اوصنى : **(لا تغضب)** مكررا ذلك .

التكليف بما فيه مشقة :

واذا كان شرط التكليف أن يقع المكلف به تحت مقدور المكلف لاستحالة التكليف بما لا يطاق . فهذا يدل على أن التكاليف الشرعية تقع تحت مقدوره ، ولكنه لا ينفى التكليف بما فيه نوع مشقة ، والتكليف فى مدلوله يدل على هذا ، فانه يقال : تكلف الانسان الشىء اذا فعله مع مشقة تناله فى تعاطيه ، وصارت الكلفة فى التعارف اسما للمشقة . قال الراغب : ولذلك صار التكلف على ضربين : الاول محمود . وهو ما يتحراه الانسان ليتوصل به الى أن يصير الفعل الذى يتعاطاه سهلا عليه ، ويصير كلفا به . ومحبا له ، وبهذا النظر يستعمل التكليف فى تكلف العبادات . والثانى مذموم . وهو ما يتحراه الانسان مراآة ، واياه عنى بقوله تعالى **(قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)** .

واذا لم يكن هناك تلازم بين التكليف بالمشاق والتكليف بما لا يطاق ، فقد ثبت فى الشرائع الاولى التكليف بالمشاق . ولم يثبت فيها التكليف بما لا يطاق .

والمشقة فى اصل اللغة من قولك : شق على الشىء يشق شقا ومشقة : اذا اتعبك ، ومنه قوله تعالى **(لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس)** والشق : هو الاسم من المشقة .

رفع الحرج :

وقد دلت النصوص على أن الله رفع عن الامة الاسلامية التكاليف الشاقة التى فرضت على الامم السابقة **(ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا)** **(ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم)** حيث بنيت الشريعة

الاسلامية على اليسر وعدم الحرج ، وشمل رفع الحرج شعب الحياة الانسانية كلها ، فاننا حين نستعرض النصوص الواردة فى ذلك نجد أن الاسلام :

قد رفع الحرج عن حديث النفس وخواطر القلب .
ورفع الحرج فى الدين عامة وفى العبادات خاصة .
ورفع الحرج فى نواة المجتمع بحياة الاسرة .
ورفع الحرج بأسس الحياة الاجتماعية فى التعامل بين الناس .

١ ــ رفع الحرج عن حديث النفس وخواطر القلب :

للانسان خواطره النفسية التى تجيش بصدره من حين لآخر ، وهى ظاهرة يلمسها الانسان بين جوانحه ، ويحس نحوها بالبهجة والسرور أحيانا ، وبالالم ووخز الضمير أخرى .

ولا شك أن هذه الخواطر النفسية ترتبط ببواعثهـــا فى الخير والشر ، فهناك ما يبعث فى النفس حوافز المعروف ويحركها نحوه ، رغبة فى الخير ، واكتسابا للفضيلة ، وطلبا للأجر ، وهناك ما يبعث فيها دوافع المنكر ، ويغريها بارتكابه ويزين لها ما فيه من شر بالصورة الحسنة الجميلة ، وشهوة المتعة اللذيذة .

واذا كانت الاسباب ترتبط بمسبباتها خيرا وشرا فان النظر العقلى قد يقضى بالحساب على تلك البواعث النفسية التى تختلج فى الصدور . وتعتمل فيهـــا فترة من الزمن حتى تظهر آثارها فى الوجود ، ولئن خفيت هذه البواعث على الناس فان رب الناس اعلم بها **(يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور)** .

والتحكم فى خواطر النفس يبدو امرا بعيد النوال ، وان كان من الممكن أن يتحكم الانسان فى كثير من البواعث المؤدية اليها ، فكان من فضل الله على هذه الامة أن رفع الحرج عنها ، فلم يؤاخذها على خواطر السوء التى تخطر بالنفس وان كان يعلم السر وأخفى .

وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة أنه لمـــا نزل قوله تعالى **(لله ما فى السموات وما فى الارض وأن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير)** اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جثوا على الركب وقالوا يا رسول الله : كلفنا من الاعمال ما نطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : ســـمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنـــا غفرانك ربنا واليك المصير ، فلما اقر بها القوم . وذلت بها السنتهم ، أنزل الله فى أثرها **(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)** فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل **(لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)** الى آخر السورة .

وفى رواية لمسلم استجابة الله لدعائهم بزيادة **(ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا**

أو أخطانا) قال : قد فعلت : **(ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال :** قد فعلت : **(ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)** . قال : قد فعلت : **(واعف عنا واغفر لنا وارحمنـــا أنت مولانا فانصرنا على القوم الـــكافرين)** قال قد فعلت .

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوز الله عن أمته فى حديث النفس ما لم يتحول هذا الحديث الى كلام أو عمل : **(ان الله تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل)** .

وزادت منة الله على الامة فى التفرقة بين خواطر الخير وخواطر الشر . فالمرحلة النفسية التى تترجم الى العمل : هى الخاطرة ، والتردد ، والهم أو الارادة . ثم العزم . وحين رفع الله عن أمتنا المؤاخذة على خواطر النفس فى هواجس الشر جعل الرجوع عنها حسنة يؤجر عليها العبد ، بينما يثيبه على هذه الخواطر اذا كانت خيرة وان لم تخرج الى حيز العمل ، ولا يجزيه على السيئة الا بمثلها ، ويجزيه على الحسنة أضـــعافا مضاعفة **(ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة ، فان هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة)** .

٢ ـ رفع الحرج فى الدين عامة والعبادات خاصة :

تدور كلمة (الدين) حول معان يأخذ بعضها بحجز بعض ، فانه يقال : دانه دينا اذا ملكه وحكمه وساسه وحاسبه وجازاه وفى الحديث **(الكيس من دان نفسه)** أى حكمها وضبطها ، والديان : الحكم القاضى .

ويقال : دان له : أى أطاعه وخضع له ، فالدين : هو الخضوع والطاعة والعبادة . وهذا معنى ملازم للأول ومطاوع لها ، يقال : دانه فدان له ، أى قهره على الطاعة فخضع وأطاع ، ويتعدى الفعل بالباء فيقال : دان به أى اتخذه دينا ومذهبا ، بمعنى اعتقده وتخلق به ، وهو معنى تابع للأول . لأن العقيدة التى يدان بها تفرض سلطانها على صاحبها لينقاد لها ويلتزم اتباعها .

وأيا كان معنى الكلمة فانها تدور حول لزوم الانقيـــاد ، وان كان الدين بالفتح يتضمن الالزام المالى ، ويعرف بعض العلماء الدين بأنه وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات .

وتدل كلمة **(العبادة)** على الخضوع والتذلل والاستكانة ، فالعبودية هى اظهار التذلل . والعبادة ابلغ منها لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقها الا من له غاية الافضال ، وهو الله تعالى ، ولهذا قال : **(ألا تعبدوا الا اياه)** .

واذا كان من مستلزمات الدين والعبادة الخضوع والتذلل والانقياد والطاعة فان هذه المعانى لا تحمل فى مدلولاتها حقيقة القهر والاكراه ، وانما تعنى حقيقة الاستجابة الفطرية المركوزة فى طبيعة المخلوق نحو خالقـــه ، باللجوء اليه ، تضرعا وتذللا شعورا بالحاجة ، وتتضح حقيقة هذه الاستجابة فى الانقياد لمـــا جاء به رسل الله .

البقية على صفحة ٥٣

الى أخي العربي المجاهد

حى يا شـــعر فى رحاب الندى   حى خـــير الرجال فى كل حى
وأنشــد فيهم ما شئت من أغنيات   وقواف مســـتلهمات الروى
حى منهـــم قرائحـــا وقلوبا   ذاهبات فى الخــلق مذهب هدى
حى معنى الاخاء عفـــا كريما   فى اهاب من الخـــلاق الرضى
حى معنى النقاء سمحا مصــفى   كالعبـــير المجنح الذهبى
حى معنى الوفاء أبيض صــفوا   كالضـــياء المفضض القمرى
حى معنى الفـــداء أكرم معنى   للأخ المســـلم الأبر التقى
يهب العمر للجهاد احتســـابا   وتقى فاض عـــن فؤاد نقى
تلك أسمى رســـالة يفتديها   أهلها بالدم الطهـــور الزكى
لا يرد الحر المنزه عنهـــا   كيد باغ ولا ائتمـــار غوى

.. .. ..

ضل داع الى الهـــوى وأجير   يســـتجيبان للخنـــا كالبغى
ويســـومان فى المغانم سرحا   حســـنا فى العيون مر الجنى
منزل يرتعـــيه كل جبـــان   آسن الروح ذى فعـــال دنى
ان من راض نفســـه للدنايا   صـــائر للبوار دانى الهـــوى
مودعا روحه أكف الخطـــايا   بائعا للضـــمير بيع الســـبى
عانقت عصبة الشـــياطين منه   قلب مغـــرى بهن غير عصى
والألى آثروا الســـماء جنود   يدرأون الشرور عـــن كل حى
انهـــم فتيـــة أولو حرمات   طهـــرت من قذى وعاب وغى
بذلوا الروح فى الحياة ســماحا   دون من يشوب بذل الســـخى
يشترون الهـــدى به غير بخس   وسواهم فى مســـتراح زرى

.. .. ..



للشاعر : حسن فتح الباب

وملاك الايمـــــان قلب أبى   فى معين من الصـــفاء روى
ومعانى الاثيار أزكى غراســـا   بين جنبى مجـــاهد أريحى
صهرته الآلام فهو شـــعاع   نافذ فى غيـــابة المطـــوى
هو كالجوهر الكريم المصـــفى   كحســـام مهنـــد مضرى
صـــقلته القيـــون فهو رهيف   ذو مضاء على النضـــال فرى
والحضارات نبت شـــلو مدمى   لشـــهيد ثبت الجنـــان أبى
ليس يثنيه جائر مســـتبد   عن هوى فى الجهـــاد جلد رضى
يشـــتفى من غليله وهو صـــاد   باللهيب المقـــدس العـــلوى
ان هوى فى صراعه فهـــو حى   فى ديار الخـــلود أكرم حى
وعلى ثغره بقـــايا نشـــيد   كنجـــيع عـــلى رداء كمى
او متاب على شـــفاه مول   أو دموع تفيض عينـــا نبى

.. .. ..

يا اخى ايهـــا المجـــاهد قدما   طبت نفســـا بنبتك العـــربى
أنت حفل من الفضـــائل زاه   بالحجا الحق والخـــلاق السرى
فى رداء من رائعات الســـجايا   أنت فيـــه الثرى أى ثرى
وكفـــاح على المدى ليس يخبو   فى طريق الى العـــلاء ســـوى
امض فى حومة الفـــدا غير وان   امض فيمـــا آثرت خير مضى

مؤتـــة

« البلدة الأردنية »

بعد ان يغادر المسافر مدينة الكرك متجها جنوبا الى الطفيلة ومعان ، يمر اولا بقرية صغيرة ، ويرى الى الشرق منها آثار بنـــاء كبير ، تهدمت جدرانه بمرور الزمن . اما القرية فهى ((مؤتة)) وأما البناء المتهدم القديم فهو ((المشهد)) .. ولا يلبث المسافر بعد أن يغادر ((مؤتة)) حتى يمر ببــلدة ((المزار)) فيرى جامعا مهيبا تعلوه مئذنتان مرتفعتان ، ويرى قبتين أخريين فى أطراف البلدة . هذا الجامع ، وهاتان القبتان مظاهر عمرانية تشهدها العين ، ولكن تكمن فيها للقلب والنفس ذكريات عزيزة غالية تتمثل فيها معانى البطـولة والتضــحية والفداء ، ذكريات تعبق بها التربة المعطرة بدماء الشهداء بين مؤتة والمزار .

اشتهرت مؤتة بمعركتها التاريخية . فقد كان النبى عليه الصلاة والسلام فى أوائل السنة الثامنة للهجرة قد أرسل الحارث بن عمير الأزدى ومعه رسالة الى أمير بصرى الشام ، فقتله شرحبيل بن عمرو الغسانى سيد مؤتة وهو فى الطريق . ثم ارسل النبى بعد ذلك سرية الى (ذات أطلاح) برئاسة عمرو بن كعب الغفارى وعدد رجالها خمسة عشر رجلا . وفى هذا المكان الذى يقع بين الكرك والطفيلة دعا رجال السرية أهله الى الاسلام ، فأبوا ان يجيبوا . بل قتلوا أصحاب عمرو جميعا ، ونجا هو متحاملا على نفسه حتى بلغ المدينة .

ويذكر الطبرى ان سكان ذات أطلاح هم قبيلة من (قضاعة) ورئيســـهم يدعى سدوس ، واشفق عليه السلام من عقبى السكوت على كلتا الفعلتين . خاصة بعد أن بلغته انباء عن استعدادات الروم العسكرية فى الكرك مع حلفائهم من قبائل العرب (بداء . وقضاعة . ولخم وجذام . وبلى . وأهل البلقاء) ..

كل هذه الاسباب حملت النبى عليه الصلاة والسلام على تجريد حملة غايتها الثأر للقتلى ، وتأديب المعتدين ، واختبار قوة الأعداء ، ومدى استعدادهم . والتعرف على أسباب تجمعهم على أطراف الاردن المتاخمة للحجاز ..

وفى شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة (أيلول ٦٢٩ م) جرد الرســـول الكريم جيشا لا يزد عدد رجاله عن ثلاثة آلاف : وأمر عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « ان أصيب زيد بن حارثة . فجعفر بن أبى طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على النـــاس . فان أصيب . فليرتض

الأستاذ : لطفي ملحس
الكلية العلميه الاسلاميه — عمان

الشهيرة بمعركتها التاريخية »

المسلمون برجل من بينهم يجعلونه اميرا عليهم » وامرهم عليه السلام أن يذهبوا الى حيث قتل الحارث بن عمير الأزدى ، فيدعوا القوم الى الاسلام . فان أجابوا والا فالقتال .

واوصاهم : « الا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ، ولا كبيرا ، ولا فانيا ، ولا منعزلا بصومعة ، ولا تقربوا نخلا ، ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بيتا » وقال لزيد « أوصيك بتقوى الله ، وبمن معك من المسلمين خيرا . اغز باسم الله من كفر بالله » ..

تجهز رجال هذه الحملة الصغيرة التى يمكن ان نسميها « حملة تاديبية وبعثة استطلاع » ، وساروا من المدينة المنورة الى الجوف (دومة الجندل) ومنها شمالا حتى نزلوا معان ، واقاموا بها يومين . وبلغتهم عند وصولهم الى معان انباء مفادها أن الروم قد استعدوا للقائهم فى ارض مؤاب (الكرك) . وان قوتهم تبلغ مئة الف من الروم . ومئة الف من القبائل العربية التى تقيم فى الاردن والمتحالفة مع الروم .

واقام المسلمون يومين يتربصون . وينظرون فى أمرهم ويتشاورون بعد ما سمعوا من الأنباء المبالغ فيها عن حشود الروم الهائلة . فقال بعضهم : نكتب الى رسول الله ، ونخبره بعدد عدونا ؛ فاما أن يرسل الينا مددا . واما ان يأمرنا بأمره ، فنمضى له ، ولكن عبد الله بن رواحة انتهر المترددين والمثبطين وقال لهم : **« يا قوم ! والله ان التي تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ولا كثرة . ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى اكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور ، واما شهادة »** . بهذا القول الحازم قضى عبد الله بن رواحة على تردد المترددين . وكان رضى الله عنه شاعرا ، فقال يصف مسيرهم من معان :

جلبنا الخيل من آجام قرح ... تغر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا ... ازل كأن صفحته أديم
اقامت ليلتين على معان ... فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات ... تنفس فى مناخرها السموم

مؤتة

فلا وأبى (مآب) لنأتينهـــــــــا ولو كانت بهــــــــا عرب وروم

ومضى الجيش من معان الى مؤتة على مسيرة نحو ليلتين . وهناك لقيتهم جموع هرقل من روم وعرب . وقد عبأ (زيد) جيشه . فجعل على ميمنته رجلا من عذره ، يقال له (قطبة بن قتادة) وجعل على ميسرته رجلا من الأنصار يقال له (عبادة بن مالك) . ثم اقتتل الفريقان على مزرعة فى جوار البلدة . وكان زيد بن حارثة يحمل راية رسول الله فقاتل بها حتى تناوشــــته رماح الأعداء وسقط شهيدا . فأخذ الراية جعفر بن ابى طالب ، فقاتل بها حتى احاط القوم به وهو يثير من حوله نخوة المسلمين . فانحوا عليه بالضرب الدراك حتى قطعت يمينه التى يحمل بها الراية ، فأخذها بشماله ، فقطعت ، فاحتضنها بعضديه . ولبث يناضل عنها حتى قتل ، وكان يقاتل وهو يرتجز قائلا :

يا حبذا الجنـــــة واقترابهــــــا طيبـــــة ، وبارد شرابهــــــا
والروم روم قـــد دنا عذابهــــا كافرة ، بعيـــــدة أنســــــابها

على اذ لاقيتها اخرابها . .

وعندما علم النبى بمقتله على هذه الصورة قال : « أثابه الله بجناحين فى الجنة ، يطير بهما حيث شاء » فأصبح يعرف فيما بعد بجعفر الطيار . .

ودعى ابن رواحة الى الرئاسة ، فجاءه ابن عم له ، بقطعة لحم ، وطلب اليه أن يتبلغ بها قائلا : شد بها صلبك فانك لقيت فى ايامك هـــــذه ما لقيت . فأخذها عبد الله من يده وانتهش منها نهشة ، ثم شاهد احتدام المعركة . فألقى قطعة اللحم وبادر للقتال . ومن هنا نستدل على أن المســــلمين فوجئوا بهجوم الروم عليهم وان المعركة استمرت مدة غير قصيرة .

بادر عبد الله بعد قتل صاحبيه الى الجلاد والجهاد وهو يرتجز :

يا نفس الا تقتـــــلى تمـــوتى هــــذا حمام الموت قد صـــليت
وما تمنيت ، فقـــــد اعطيت ان تفعـــلى فعلهمــــا هديت

وطفق يصول بين الصفوف حتى قتل والمعركة على اشـــدها . وهنا أخذ الراية ثابت بن أرقم من بنى العجلان ، وصـــاح ينادى فى اصحابه : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . فانتخبوه ليكون لهم قائدا . ولكنه لم يقبل . وعند ذلك اتفقت الكلمة على خالد بن الوليد . ورأى خالد بثاقب بصره أن لا قبل له بأعدائه مع قلة عدد رجاله ، وكثرة الروم واحلافهم ، ومع بعـــده عن مراكز تموينه ، وامداده ، وقرب أولئك منها . وتجلت عبقرية خالد العسكرية هنا كما تجلت فى المعارك التى خاضها بعد ذلك . وصـــمم على الارتداد المنظم بجيشه حتى لا يتكبد اية خسائر . ورأى أن خير ما يفعل ليضمن ذلك هو أن يوقع فى روع اعدائه انه لا ينوى الارتداد ، بل ينوى الهجوم . أو يقصــــد الى الحيلة . فثبت فى الميدان حتى المساء . .

والذى يقف فى الأرض التى جرت عليـــــها المعركة يرى ان الأرض غير منبسطة تماما . فهناك توجد هضبة ترتفع بين مؤتة والمزار ، وقد حمل المسلمون شهداءهم معهم من ساحة المعركة عند مؤتة الى ما وراء الهضبة على مســـافة كيلو مترين حيث تقع بلدة المزار اليوم . وهناك دفنوا أولئك الشهداء الأبرار . فوجدوا فى جسم جعفر خمسين جرحا ، وفى جسم عبد الله تسعين جرحا بين طعنة رمح وضربة سيف ، وليس منها واحد فى ظهره .

وأثنـــاء الليل عبأ خالد جيشـــه تعبئة جديدة ، وبدل فى مواقفه ، فنقل الميمنة الى الميسرة ، ونقل الميسرة الى الميمنة . وجعل الســـاقة فى موضع المقدمة ، والمقدمة فى موضع الساقة . ورصد من خلف الجيش طائفة يثيرون الغبار ، ويكثرون الجلبة عند طلوع الصـــباح . وفى صبيحة اليوم التـــالى اصطف الجيشان قبالة بعضهما ، فرأت كل طائفة من طوائف الروم وأحلافهم وجوها غير الوجوه التى رأتهـــا بالأمس ، وأعلاما غير الأعلام ، وإذا بالجلبة المنبعثة من خلف المسلمين توهم القوم أن مددا جديدا أقبل من الحجاز ، وكانوا قد ذاقوا منهم أمر المذاق قبل ذلك ، فتوجسوا ، وداخلهم الشك فى قدرتهم على التغلب عليهم . وهكذا نجح خالد فى ايهامه للعدو . فلم يجرؤوا على الاطباق عليه عندما أخذ يدافعهم . ويتراجع بجيشه حذرا من ان يكون قد أعد لهم كمينا للايقاع بهم .

ولقد ابلى خالد فى مدافعته للأعداء بلاء لم يبله قط فى غزواته الـــكبرى على كثرتها . فاندقت فى يده تسعة سيوف . ولم تصبر معه الا صفيحة يمانية . وكان هذا التراجع البارع . والبسالة النادرة المســـتميتة . درءا نافعا للجيش الصغير فى مواجهة الجيش الكبير .. وانسحب جيش خالد عائدا الى المدينة بسرعة مدهشة . لم تتح للروم وأحلافهم وقتا لاعادة النظر فى أمر اللحـــــاق بالمسلمين . والاستفادة من الفرصة السانحة . وكان ذلك الانســـحاب المنظم نصرا مبينا رائعا فى وجه الظروف العسيرة السائدة حينذاك .

وقد ادرك النبى الكريم حقيقة الموقف . وقدره أفضل تقدير . بدليل أنه عند عودة الجيش الى المدينة لقيهم الناس وجعلوا يحثون التراب عليهم ويقولون : يا فرار فى سبيل الله .. فلم يكن من رسول الله الا أن رد أولئك الناس قائلا : ليسوا بالفرار . ولكنهم الكرار ان شاء الله .

ثم ان الرسول صعد المنبر ، وأمر فنودى : الصـــــلاة جامعة . فاجتمع الناس . فخطب فيهم قائلا : باب خير ، باب خير ، باب خير . ثم ذكر استشهاد زيد ، وجعفر ، وعبد الله . وعندما ذكر تأمير خالد نفسه قال : « اللهم انه سيف من سيوفك فانت تنصره » . وعرف خالد منذ ذلك اليوم بلقبه الذى أضفاه عليه النبى وهو (سيف الله) .

مؤتـــة

ونستطيع تقدير النجاح الذى احرزه خالد فى انســـحابه اذا عرفنا أن خسائر الجيش لم تزد على اثنى عشر قتيلا منهم القاده الثـــلاثة الذين ندبوا للشهادة قبل خروجه .. ولو كان خالد من المتهورين المجازفين لغامر بمواصلة الهجوم فى وجه قوات تفوقه عددا وعدة . وتحارب فى أرضها وبلادها ، ولمنى بخسائر اكثر فداحة . وربما أحاقت برجاله الهزيمة . وفى ذلك ما فيه من التأثير على معنويات المترددين من قبائل العرب فى الجزيرة .

وروى أن عشيرة مسيحية تدعى العزيزات التى تقطن الآن فى قضـــاء (مادبا) كانت تعيش فى مؤتة أو فى جوارها يومذاك . فلما قدم الجـــيش الاســـلامى خرج أخوان من هـــذه العائلة للقاء الجيش ، وقدما له الطعام والشراب ، ثم اعتنق أحدهما الاســـلام . وقد كان لصنيعهما أحسن الأثر فى نفس النبى ، وأمر أن لا يستوفى منهما ولا من أعقابهما جزية أو خراج . وظل أمر النبى نافذا مدة ألف وثلثمائة سنة الى أن أخذت الحــكومة التركية تحصل الضرائب من أهل الكرك بعد ثورتهم المعروفة عام (١٩١١) ميلادية .

لمحة عن مؤتة وعن أضرحة الصحابة الكرام

تقع مؤتة الى الجنوب من الكرك على بعد أحد عشر كيلو مترا . وتبعد المزار عن مؤتة ثلاثة كيلومترات جنوبا . وكلاهما على الطريق المعبـــدة التى تربط عمان بالطفيلة ومعان . ويعمل أهل البلدتين بالزراعة وتربية الماشية . ويمكن تقدير سكان مؤتة بثلاثة آلاف نفس ، أما المزار فيربو عدد سكانها على أربعة آلاف . والبلدتان أنشئتا حديثا على وجه العموم ، فقد كان أهلهما قبائل بدوية تسكن بيوت الشعر ، وتنقل مضاربهما من موضع الى موضع . ولم يبدأ العمران على نطاق واسع الا بعد الحرب العـــالمية الاولى . وتقيم فى المزار عشائر الطراونة ، والقطاونه ، والنوايسه ، بينما تقطن فى مؤتة عشـــيرة الصرايره . والمزار بلدة عامرة . وهى مديرية ناحية لما حولها من قرى ، وتتبع محافظة الكرك ، وفيها مجلس بلدى ومخفر للشرطة ، وشـــعبة بريد وعيادة صحية . وفيها كذلك مستنبت تملكه وزارة الاوقاف . وتعتبر أرض بلدة المزار وقفا كذلك . وفى مؤتة كروم عنب وبركة ماء قديمة تمتلىء بالمياه فى الشـــتاء وتستقى المواشى منها فى أيام الصيف . ولا تجد فى البلدتين ينابيع . لذلك يعتمد الأهلون على آبار جمع المياه .. وفى كل من مؤتة والمزار مدرســـة ثانوية متوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات .

أما المشهد فهو بقايا جامع قديم بنى فوق المكان الذى استشهد فيه أولئك الصحابة . وهو يعتبر مكانا مقدسا . ويبعد عن مؤتة حوالى ستمائة متر .. ورحم الله حسان بن ثابت الذى قال :

فلا يبعـــدن الله قتلى تتـــابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجنـــاحين جعفر
وزيد . وعبد الله هم خير عصـــبة ... تواصـــوا واســـباب المنية تنظر

ومؤتة بلدة قديمة . وقد وجدت فيها آثار ، وكتابات بيزنطية عرف منها ان اسمها (هاموته HAMOTHA) وهو على الأرجح تحريف لاسمها العربي .. وجاء في كتب العرب ان مؤتة قرية من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف ، واليها تنسب المشرفية من السيوف روى ابن السكيت قول كثير :

اذا الناس ساموكم من الأمر خطة　　لها خطمة فيها السمام المثمل
أبى الله للشم الأنوف كأنهم　　صوارم يجلوها بمؤتة صيقل

وفي سنة (١٨٨١) زار مؤتة سائح أجنبي ذكر انه شاهد اثنين من الصوى التي كان الرومانيون ينصبونها على جوانب الطرق لمعرفة المسافات . وقد قرأ على احداها باللاتينية : الميل الثالث عشر ، كما شاهد هناك ثلاث شجرات بطم . ووصف المشهد بأنه قبو من الحجارة الضخمة في فجوة من الأرض وقد كتب على بابه الخارجي : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر جعفر بن أبي طالب) الطيار في الجنة .. وكتب على الضريح : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنشأ هذه التربة المباركة العبد الفقير الى رحمة القدير رجاء لرحمة الله ورضوانه مستشفعا عنده بجيرانه « بهادر البدري الملكي الناصري » نائب السلطنة المعظمة بالكرك والشوبك المحروستين .. وكان الفراغ منه في ثاني ذي الحجة سبعة وعشرين وسبعماية .

وكتب على بلاطة رخامية أخرى : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما جدد في أيام مولانا السلطان الملك الصالح صلاح الدنيا والدين صالح مولانا السلطان الملك الناصر محمد ، وذلك في نياية المقر العالي السيفي السر نائب السلطنة الشريفة بالكرك والشوبك المحروستين أعز الله أنصاره .. الفقير الى الله تعالى شمس الدين الهاروني في سنة اثنين وخمسين وسبعماية .

وهذان التاريخان يعودان الى الفترة التي كانت (شرقي الاردن) خلالها جزءا من دولة المماليك .

هذا ولكي تخلد مدافن أولئك الشهداء في المزار جدد بناء مقام سيدنا جعفر ، وأقيم حوله مسجد واسع ذو قبتين كبيرتين ، ومئذنتين سامقتين ، وذلك خلال الفترة (١٩٣٠ ــ ١٩٣٤) وبني كذلك مقام زيد بن حارثة في الطرف الشرقي للبلدة ، ومقام عبد الله بن رواحه خارج القرية من الشرق . أما ضريح سيدنا جعفر فقد جلل بخلعة من القطيفة الخضراء طرزت عليها هذه العبارة : « ضريح ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم سيدي جعفر الطيار رضي الله عنه » .

وهكذا ، نرى تاريخ بلادنا عابقا بالبطولات ، حافلا بالذكريات ، وكلها تهيب بجيلنا المعاصر أن يقتدي بالسلف الصالح في اقباله على التضحية ، والايثار ، وتجرده ، ومروءته ، واخلاصه كي يتاح لأمتنا أن تجدد أمجادها ، وان تحتل مكانها المرموق بين أمم العالم ..

النفس في القرآن

للأستاذ
محمد شوكت التونى

من دلائل اعجاز القرآن استعمال اللفظ الواحد فى مواضع متفرقة من آياته المحكمة بحيث يؤدى استعمالها الى التعبير عن عدة معان مختلفة ، ومثل ذلك لفظ « البر » .

ففى سورة البقرة قال الله تعالى وهو أصدق القائلين . « وليس البر بأن تأتو البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » .

ومعنى البر هنا هو حسن الخلق وجميل الأدب وكمال الاستقامة : استقامة المرء فى تصرفاته مع الناس .

وفى سورة آل عمران قال المولى العزيز « لن تنالوا البر حتى تنفقوا

مما تحبون » والمعنى هنا منصرف الى الجزاء الحسن من الله . وهو الخير اى لن تفوزوا بالخير ورضاء الله وحسن جزائه حتى تنفقوا مما تحبون .

وفى سورة المائدة

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومعنى البر فى هذه الآية العمل الصالح ، وهو ضد الاثم وعكس العدوان. وهذا المعنى يؤكده فى سورة المجادلة قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون » .

وفى سورة الطور نجد البر اسما من اسماء الله الحسنى فهو يقول والعلم علمه والقول قوله . « انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم » .

وقد عبر عن البر بمعنى الطاعة والولاء والمعاملة الطيبة اذ يقول الله جلت قدرته عن يحيى فى سورة مريم « وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا » ويقول عن عيسى « وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » .

وفى سورة الانفطار :

« ان الابرار لفى نعيم. وان الفجار لفى جحيم » وفى سورة المطففين « كلا ان كتاب الابرار لفى عليين » .

والمعنى هنا ان البررة هم الفالحون والعاملون المؤمنون القانتون الصابرون بكل ما يعبر به عن اولياء الله الطائعين المقربين من ملكوت رحمته .

وتأكد هذا المعنى — معنى ان البر هو الايمان الكامل لقوله تعالى فى آية البر من سورة البقرة .

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس . . اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

هذه آيات من آيات الاعجاز ضربنا بها المثل توطئة لبحث النفس فى القرآن وفى سور القرآن وآياته المحكمات آلاف المعجزات التى تحدى بها الله سبحانه وتعالى البشر على ان يأتوا بمثلها فعجزوا منذ « اقرأ » الى اليوم عن ان يأتوا بمثلها لا لفظا ولا تشريعا .

ولقد ورد فى آى الذكر الحكيم لفظ آخر للتعبير به عن معان كثيرة ومختلفة وهى فى ذات الوقت مؤدية الى الغرض موصولة بالفهم . مقبولة فى السمع .

هذا اللفظ هو « النفس » .

فالنفس تستعمل بمعنى الانسان .

ففى سورة البقره يقول عز وجل :

« واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة » . ويقول « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل » . ويقول « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

وفى سورة آل عمران

« وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » .

وفى سورة المائدة

« انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا » .

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » .

وفى سورة الانعام : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » .

وفى سورة يس « فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون » .

وفى سورة الزمر « ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » .

وفى سورة ق « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » .

وفى سورة الكهف . « قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا » .

وفى سورة القصص . « قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس » . « قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون » .

ولقد تحدث القرآن فى اكثر الآيات عن النفس بمعنى الذات وحتى عبر الله سبحانه وتعالى عن ذاته بعبارة نفسه أى ذاته .

« ويحذركم الله نفسه والى الله المصير » . « ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد » .

« كتب على نفسه الرحمة » الانعام

« سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

هذا قليل من كثير مما ورد فى القرآن من لفظ النفس معبرة عن الذات .

أما النفس بالمعنى العلمى الحديث فيعبر عنها القرآن فى آيات سنوردها فيما يلى مع شرحها ومطابقتها لأحدث المبادىء فى علم النفس . وياليتنا نقلنا عن القرآن فسبقنا علماء هذا العلم بألف ومائتى عام .

ولو أن علماء النفس لم يجدوا تعريفا محددا معبرا للنفس فاكتفوا بالقول « بأن النفس هى شىء داخلى له مظاهر خارجية فهى كالكهرباء ، لا لزوم للتعريف بها ، وانما يكفى التحدث والبحث فى مظاهرها ومصادرها ومواردها لأنها لا تزال حقيقة قائمة ولكنها مجهولة لم يصل العلم اليها ، فهى سر من اسرار الله كالروح تماما . وان كان ذلك ليس مانعا من تعريفها بأنها القوة الطبيعية الكامنة فى الجسد الانسانى ، وانها مكمن الخير والشر والمحركة للجسم البشرى فى نوازعه وتصرفاته . وعلم النفس ذاته يعرف بأنه علم الطبيعة البشرية وسلوكها » .

لقد قال الله تعالى فى كتابه :

« وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » (يوسف) . « الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » (يوسف) . « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » (السجدة) . « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى » (النازعات) . « فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (النساء) . « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » (المائدة) . « واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة » (الاعراف) .

« وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » (الاحزاب) . « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » (فاطر) .

« فطوعت له نفسه قتل أخيه » (المائدة) . « فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم » (يوسف) .

« فأوجس فى نفسه خيفة موسى » (طه) . « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه » (ق) . « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب » . (المائدة) .

« وكذلك سولت لى نفسى » (طه) .

« وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون » (الزخرف) .

« ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » (النجم) . « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو اكننتم فى أنفسكم » (البقرة) .

هذا قليل من كثير سردناه لنوضح ان القرآن الكريم قد عرف النفس انها هى مستودع المشاعر والوجدانات والشهوات وهى المحرك لتصرفات الانسان للخير وللشر وسنؤكد ذلك فيما يلى من البحث وهو بيت القصيد :

ولقد تعرض سيجموند فرويد العالم المعروف صاحب المذاهب الحديثة فى علم النفس والكاشف عن العقل الباطن بشرح النفس ورائد هذا العلم بحق . ولا شك فى أن آراء فرويد تعرضت للمجادلة والمناقشة والتسفيه من العلماء الذين لحقوه وخاصة فيما يتعلق بالتحليل النفسى وتأصيل كل نزعات الانسان بغريزة الجنس الا انه لا يزال العلم المنفرد فى هذا الباب — وحسبه أنه الى الآن المعلم الاول فى هذا الحقل وانما يهمنا أن نسرد ما تعرض به فرويد للنفس .

فلقد قسمها أقساما ثلاثة .

١) النفس — وهى باللاتينى « The « pI

وهى مستودع الشهوات وحسب راى فرويد ينبوع النشاط الغريزى وموطن النزعات والميول الفطرية وهى أيضا حسب تعبيره موطن تنازع البقاء بين الغريزة الجنسية وغريزة الموت وهى مدفوعة بمبدأ اللذة

Pleasure, Principle

ولهذا فانها ذاتية لكى تبقى على ذاتها تدأب على السعى وراء الارتواء من معين الشهوات . لا تعترف بالآداب العامة ولا القوانين ولا المنطق وهى مهبط الامانى والنزعات والذكريات المكبوتة

٢) وأما الثانية فهى :

النفس The « EGO »

وهى عبارة عن تجمع متماسك من الملكات العقلية وهى النفس المهذبة نتيجة التفاعل مع البيئة والحياة الخارجية بعاداتها وتقاليدها وقوانينها واديانها وهى أقرب الى العقل والمنطق .

وهى الوسط بين النفس الشهوانية وبين (أنا المثالية) فهى كما يعبر فرويد كالمقيم على الحدود بين الحياة الداخلية للنفس وبين « أنا » العليا المثالية التى هى القسم الثالث من النفس .

٣) « أنا العليا » The super « ego »

أو ما يسميها أيضا بالنفس المثالية

The « ego » Ideal

وهى تتكون من عنصرين :

١ — « الاول » الروح العفوية الموروثة عن المدنيات السابقة وتطور التاريخ الانسانى والتى هى وليدة التقاليد الاجتماعية والثمرة الطيبة للآداب العامة والاخلاق والقوانين والمؤثرات الدينية .

٢ — « والثانى » الروح الدنيوية المكتسبة من التربية المنزلية — باعتبار الوالدين هما المثل الأعلى للطفل وكذلك المربين والمعلمين واهل الدين .

وهنا يقول فرويد ما ترجمته :

« وهنا نجد الطبيعة السامية فى الانا المثالية أو الأنا العليا التى تمثل علاقاتنا بوالدينا ففى صغرنا تجلت لنا هذه الصفات السامية فاعجبنا بها حتى اعتنقناها خلقا ومبادىء ومذاهب .

ويقول العلامة « جونس » معترفا بالذات الكاملة وانها يجب أن تدرب منذ الطفولة بالتهذيب بهوادة وسعة صدر ورفق وحكمة تفاديا من اخذها بالقسوة والعنف وما ينتجه ذلك من أخطر النتائج :

ويقرر جونس ان الذات المثالية تكون فى طور الطفولة شديدة الحساسية حتى لقد تكون بعض الهفوات البسيطة فى نظر الطفل جرما « شائنا » فينشأ فى الطفل

الشعور بالاثم الذى قد يشل تفكيره ويعوق عقله .

ويوافق الاستاذ ادار Eder على ذلك الراى ويحدد من الأطفال أصحاب المزاج العصبى ويقرر أن الذات المثالية لدى هؤلاء الأطفال المرهفى الحس أعظم شأنا وأشد خطرا .

وننتهى دون الاطالة فى البحث الى أن علماء النفس المحدثين قد قسموا النفس الى ثلاث .

فلنلق البصر فى آى الذكر الحكيم حتى نرى كيف جاء القرآن على محمد قبل نيف وألف عام من ظهور هذه التعريفات موضحا تركيب النفس على أساس واضح .

النفس الأمارة بالسوء The Id

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

« وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » (يوسف) .

ولقد سيق هذا القول الشريف فى موطن الهوى والرغبة والشهوة من قصة يوسف عليه السلام .

وفى سورة طه يقول الله تعالى .

« قال فما خطبك يا سامرى . قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى » .

وفى سورة البقرة : « افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم » .

وفى سورة النازعات : « واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى » .

وفى سورة المائدة : « فطوعت له نفسه قتل اخيه .

وفى سورة يوسف « بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل » .

وفى سورة آل عمران « وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق » .

وفى سورة الأنفال « ذلك أن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وفى نفس المعنى فى سورة الرعد « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وفى سورة الفرقان « لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا » .

وفى سورة النمل « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا » .

هذه الآيات تعبر عن النفس الأمارة بالسوء ، النفس الدنيا التى تحمل الحقد والمتعة والبغضاء وتسر اللؤم والمكر ولا تعرف الله ولا تتقيه .

وهى النفس التى جاء علماء علم النفس بعد نيف وألف عام وذكروها وعرفوها واطلقوا عليها اسما وكان الله قد سبق على لسان نبيه الكريم بوصفها وتحديد أبعادها ووضع مكانها فى اجساد عباده .

وفى النفس التى يعبر عنها بالـ Ego وهى التى عرفها العلماء المحدثون بأنها مزج بين العقل والمنطق والصبر والتى وصفوها بأنها المقيمة على حدود النفس الدنيا Id والنفس المثالية Super ego فتلك التى قال عنها الله سبحانه وتعالى :

« لا أقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة » .

فالنفس اللوامة هى الضمير وهى العقل وهى التى تقوم فى الوسط بين النفس الأمارة بالسوء وبين النفس المثالية التى سنورد ذكرها فيما بعد .

وقد أجمع المفسرون على انها النفس التقية التى تلوم النفس الامارة

بالسوء أبدا على ما تصنع وعلى ما فرط منها .

وهى بهذا الوصف المفرد والتعبير الذى لم يتكرر فى آى الذكر الحكيم بحيث أن عبارة النفس اللوامة لم يرد لها ذكر الا فى سورة القيامة .

والله سبحانه وتعالى حين يقسم انما يعظم ما يشرفه بالقسم به وقد شرف الله النفس اللوامة بأن أقسم بها .

والنفس اللوامة هى الضمير الوازع وهى العقل الرادع وهى الخير والتقى وفيها خشية الله .

وهاتان النفسان هما مستقران معا فى أعماق الانسان .

وهما اللذان عبر عنهما مؤلف قصة « دكتور جيكل » التى استمد منها كثير من علماء النفس آراءهم . بأن كل انسان خلقت فيه نفسان أو نفس واحدة لها جانبان جانب الخير وجانب الشر . (يراجع رأى الغزالى والفارابى وابن سينا واخوان الصفا فيما سلف) .

وهذا المعنى مأخوذ من قول الله سبحانه وتعالى فى آياته البينات فى سورة الشمس .

« ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » .

فان النفس خلقت تحمل فجورها كما تحمل تقواها .

وهنا القدر الاعظم الذى فى اطاره ترك الله لعباده المشيئة والاختيار فمن شاء ومن استطاع راض نفسه وروضها وزكاها كالنبات حين يزكو بالسقيا والهواء والشمس والعناية والتخصيب والتشذيب .

ومن لم يشأ ذلك فلم يستطع أن يروض نفسه بل أطلق لغوايتها العنان وجعلها كالنبات الوحشى يخرج شطأه على غير هدى وتمتد فروعه فى السماء وجذوره فى الأرض بلا رادع ولا وازع فهو الذى خاب سعيه ، وقبح عمله وساءت خاتمته . وان كثيرين من المفسرين ليقولون بأن تفسير قوله تعالى « قد أفلح من زكاها » من زكاها الله له . وهنا تكون القدرية الكاملة التى لا مشيئة للمخلوق فيها مع أن الله تعالى جعل قدره هو الاطار العالى السامى الذى لا يدرك ولا يرام أما مشيئة المخلوق فهى عمله وحريته واقتحامه فى داخل هذا الاطار فمن اتقى بارادته فله جنة المأوى ومن فجر بارادته فان عليه اثمه ومثواه جهنم .

وفى قوله تعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

وفى قوله الكريم أيضا « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

وفى غير ذلك من الآيات الكريمة ما يدل على أن الانسان له اختيار ولله الأمر أولا — وأخيرا فاختياره هو عمله الذى يرفعه درجات أو يجعله من المبعدين الفاسقين المغضوب عليهم وذلك محدود بما هو مثبت فى أم الكتاب .

ونرى أن المعنى لهذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى خلق النفس وفيها التقوى والفجور كقوله تعالى « وهديناه النجدين » وأنه بعد ذلك قد نال الفلاح وكمل له الصلاح صلاح أمره وصلاح دنياه وصلاح دينه من زكى التقوى وجعلها تزكو فى نفسه وتنبعث كالنبات الطيب فيتأصل جزعه ويسمن فرعه .

وقد خاب فى دنياه وأخراه من دسى نفسه وتركها ترعى فى وادى الفجور والشهوات وترضع الشر وتفرز المآثم .

فالنفس لانسانها : له خيرها وما يقويه بها وفيها من عوامل الخير ،

وعليه شرها أن تركها لشهواتها ورغباتها وضعفه أمام لذاتها ومغرياتها .

وهى عملية عبر عنها علم النفس الحديث بالتسامى والتصعيد بالنسبة للتزكية Suiblmation أى أن الشخص الذى يتقى الله ويتفيأ رضاءه ويخشى عزته وجلاله ، ويخاف عقابه ، ويطمع فى حسن جزائه وثوابه ، يجاهد نفسه الأمارة بالسوء جهادا عنيفا فى وقت ما ورقيقا فى حادث ما حتى يستطيع أن يغلبها على شرها ويصرعها فى مواطن سوئها وينهاها عن فساد أمرها فيرتفع بها بال Sublimation من النفس الأمارة بالسوء الى النفس اللوامة .

حتى اذا ما استوى له النصر فى جهاده وهو الجهاد الذى سماه الرسول صلى الله عليه وسلم « بالجهاد الأكبر » لم يقف عند هذا النصر ، فانه لا تزال أمامه درجات ومعارج ومسالك ليرقى بنفسه الى ما هو أعلى وذلك ائتمارا بأمر الله سبحانه وعزت كلماته الذى يقول « قد أفلح من زكاها » وليس لحدود التزكية الا الحدود التى رسمها الله ، وجعلها معالم واضحة لكل ذى بصيرة وعقيدة وايمان ودين وهدى وخوف منه وطمع فى رحمته .

فلا يزال بنفسه اللوامه ego يروضها ويعذبها بالمنع والقهر حتى تصل الى النفس المثالية .

أما النفس المثالية فى القرآن فهى النفس التى صورها الله سبحانه وتعالى وصدقت كلماته التامات فى كتابه العزيز بالصورة الدالة على الرضاء الالهى الأعظم ونهاية المطاف فى معارج السالكين وموضع النصر فى معركة الجهاد الأكبر بقوله تعالى فى خطابه الكريم « يأيتها النفس المطمئنة » .

النفس التى صبر صاحبها وصابر وآمن واستوثق وجاهد واستبسل واتقى وخاف فسلم وظفر ... واطمأنت نفسه الى اداء واجبها كاملا وارضاء ربها بالأخذ بما أمر والانتهاء عما نهى وقام بالفرائض وخاف عقبى الفاسدين ، وتنكب طريق الظالمين ، وافتدى الدنيا بالاخرى ، وزهد فى الغرور . واحتقر الدنيا ، ومد بصره وبصيرته ووجدانه ورغباته الى جنة الخلد . واطمأن واطمأنت نفسه الى رضاء ربه وهو نهاية النهايات ، وغاية الغايات وجماع اللذات .

وعندما تكون النفس قد ارتفعت الى نفس مطمئنة ووصلت الى هذا المقام الأسمى ناداها ربها . « يأيتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

هنا مقام الأمل ومقام الرضا ومقام الطمأنينة .. الرجوع الى الله والنفس راضية عما قدمت مرضى عنها من الله .

فلتطمع أعظم أمر واجمل امر منية النفس فى الدنيا والآخرى وتدخل فى زمرة — الصالحين الأبرار المخلصين وترث الجنة .. ونعم المأوى ونعم المستقر .

اللهم اجعلنا من المجاهدين من أصحاب النفوس المطمئنة الراضية المرضية واجعلنا من الصالحين وتوفنا مع الأبرار .. وورثنا الجنة . يا أرحم الراحمين .

رفع الحرج

" بقية "

ونحن نطالع آيات القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنرى ما يرفع عن النفس توهمها مشقة الدين والقيام بما تعبدنا الله به .

يوجه الله سبحانه وتعالى نداءه للمؤمنين بالصلاة التى هى عماد الدين ، بالنص على ركنيها الاساسيين فى هيئتها وما يدلان عليه من تذلل وانكسار **(يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا)** ثم يأمرهم بعد ذلك بما هو اشمل من الصلاة ، بالعبادة التى تعنى انقياد العبد لمعبوده فى شئون الحياة كلها على وجه القربة اليه . فان توجه القلب الى الله بالعمل طلبا لمرضاته وفق شريعته يجعل السلوك الانسانى فى شتى مظاهره عبادة **(واعبدوا ربكم)** .

ثم يأتى الامر بما هو خير فى ذاته ، وهذا يشمل ما كان صلة بين العبد وربه ، وما كان صلة بينه وبين اخوانه **(وافعلوا الخير)** ويرتب الله على هذه الاسباب فى الاستقامة وحسن السلوك رجاء الفلاح والظفر **(لعلكم تفلحون)** .

واذا أخذت الامة الاسلامية نفسها بهذه الاستقامة فقد تهيأت للقيام بأعباء الدين والجهاد فى سبيله اعلاء لكلمته وحماية لحوزته ، وتلك هى الامانة الكبيرة والتبعة الضخمة التى اختار الله لها هذه الامة **(وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم)** .

واذا كانت هذه التكاليف شاملة للدين كله ، وختمت بذروة سنامه فى الامر بالجهاد الذى يوحى للنفس ببذل الجهد ، فان الله سبحانه وتعالى يقرن هذا بواسع رحمته . فان الاسلام بتكاليفه وعباداته هو دين الفطرة الذى لا حرج فيه **(وما جعل عليكم فى الدين من حرج)** وأصل الحرج والحراج : مجتمع الشيء ، وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج ، وللاثم حرج .

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سهولة هذا الدين . ويحذر من التعمق فيه ليأخذه المسلم برفق . فان أحدا لا يبالغ فى الاخذ به الا انقطع به السبيل دونه ، ولكنه القصد والاعتدال **(ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا)** .

ويتجاوز هذا التوجيه النبوى الامر والارشاد الى السلوك العملى **(ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما)** .

(للحديث بقية)





حقد قديم جديد :

منذ شهور يلح على قلمى خاطر وتموج النفس بالأسى لما أرقبه من حقائد قديمة لا تزال تسيطر على الرأى العام فى الغرب ضد الاسلام والمسلمين فى اى مكان وفى كل الظروف والأحوال التى تمر بالمسلمين ، والتى تتاح لهؤلاء الحاقدين . . والمسلمون شبه نائمين أو غافلين ولا أقول (مغفلين) يعومون فى بحر راكد من التسامح أو الاهمال وعدم التنبه لما يحيط بهم ويدبر لهم ، خائفين من أن ينتصفوا لأنفسهم أو لدينهم حتى لا يرموا بالتعصب فى الوقت الذى يتصرف فيه الغرب معنا بدافع من تعصبه وحقده علينا ، ويتمثل ذلك فى كل تصرف من تصرفاته فى الماضى البعيد والقريب وفى الحاضر . .

تمثل ذلك فى وثبة فرنسا على الجزائر وتونس والمغرب ، ووثبة ايطاليا على ليبيا واحتلال هذه البلاد الاسلامية فى الوقت الذى وقفت فيه هذه الدول الغربية وغيرها مع دول البلقان التى كانت تابعة للخلافة العثمانية لتسلخها عن الخلافة ، وتحقق لها استقلالها . . ولم تكن البلاد الاسلامية أقل تقدما ورقيا من دول البلقان ، ولكنها العصبية حملت الدول الغربية على احتلال البلاد الاسلامية ، وحملتها فى الوقت نفسه على تخليص بلاد البلقان من الخلافة الاسلامية . . الغرض فى الحالتين واحد ، هو التعصب ضد الاسلام والمسلمين ، ثم رأينا هذه الدول تساعد اليونان بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى لكى تغزو بجيوشها أرض الخلافة العثمانية فى استانبول وازمير وغيرهما . . حتى هب مصطفى كمال ومعه الجيش والشعب التركى فأوقف المعتدين وردهم . . ثم رأينا ما سموا بالحلفاء يشترطون على مصطفى كمال ومن معه لاجراء صلح أخير ان يلغى الخلافة العثمانية ، ويزيل شبحها من الوجود لا لشىء الا لأنها كانت تمثل فى نظرهم كلمة المسلمين المجتمعة أو دولة الاسلام . .

ثم رأينا صورة من هذا قريبا فى حرب التحرير الجزائرية وما كانت تتعمده البلاغات الرسمية والاخبار الصحفية فى فرنسا وغيرها من ذكر كلمة مسلم أو

يكتبها : عبد المنعم النمر

مسلمين فى كلامهم عن الجزائريين ، لم يكونوا يستحسنون ذكر كلمة جزائرى او عربى بل كلمة مسلم ، قام المسلمون بكذا .. قتلنا من المسلمين كذا ..
ولم يكن هذا الا عملا مقصودا لعتاة المستعمرين العسكريين من الفرنسيين ارادوا به اثارة العصبية الدفينة فى نفوس الفرنسـيين ضد المسـلمين .. ليعينوهم على الاستمرار فى حرب الجزائر وكبت انفاس الجزائريين ..

ولا يمكن ان نخدع انفسـنا فنقول ان موقف الغرب منا فى نزاعنا من اسرائيل وعطفه الدائم عليها انما هو نتيجة الدعاية الاسرائيلية فقط .. لا .. ان هناك عاملا آخر دفينا يسيطر عليه ، وحقدا كمينا يوجهه ويجعله يتناسى كل الحقوق التى لنا ، وينحاز لباطل أعدائنا ..

هذه الروح السوداء فى الغرب أخذت تظهر كذلك الآن فى مجال آخر .. فى نيجيريا التى يكون المسـلمون أغلبية حاكمة فيها فكانت وراء قتل الزعيمين المسلمين العظيمين اللذين كانا يديران دفة السـياسة فى نيجيريا وهما الشهيدان : أحمدو بيللو رئيس وزراء الشمال ، وابو بكر تيفاوا رئيس الحكومة المركزية فى لاجوس ومن أبناء الشمال . وقفت على كثير من جهودهما وروحهما الطيبة فى سبيل الاسلام والبلاد الاسلامية والقضية الفلسطينية لا من الصحف وحدها ولكن من أحد رجالات نيجيريا الشبان وهو الشيخ أبو بكر جومى قاضي قضاة نيجيريا أو كبير قضاتها حتى أرانى حينما كان فى مصر منذ سنوات برقية وصلته من نيجيريا تزف اليه احصائية بعدد الداخلين فى الاسلام من أبناء نيجيريا فى ثلاثة شهور واذكر أن هذا العدد كان نحو ستين ألفا .. وقال ان وراء ذلك كله الزعيم المسلم أحمدو بيللو الذى يرأس جمعية أنصار الاسلام التى تقوم بهذه الجهود بتشجيعه ورعايته .. وعرفت منه أن هذا الزعيم المسلم وقف أمام كل التيارات والاغراءات الاسرائيلية بدافع من اسلامه وحبه للبلاد الاسلامية ودفاعه عن القضية الفلسطينية ..

ولم يكن ذلك كله بخاف على أصـحاب الروح السوداء والأحقاد العمياء فدبروا لهاما دبروا وذهبا شهيدين ..

ذلك كله واكثر منه أعرفه وانوء بحمله واتابع احوال نيجيريا بعـــــدهما والأغلبية فيها للمسلمين الذين يكثرون فى الشـــــمال .. بينما يكثر غيرهم فى الولايات الاخرى التى تكون مع الشمال اتحاد نيجيريا ومنها الولاية الشرقية ، التى انفصلت منذ سنة عن الاتحاد وسمت نفسها (بيافرا) وأعلنت العصـــيان واشهرت مدافعها فى وجه الاتحاد الذى رجع الحكم فيه للمسلمين بعد فترة من استشهاد الزعيمين أحمدو بيللو وابو بكر تيفاوا ..

واصبح الاقليم الشرقى المنفصل يمثل تمردا على الاتحاد وبالتـــالى على الزعماء المسلمين الذين يديرون دفته ..

وهنا تبرز الروح السوداء والأحقاد العمياء لتفعل فعلها فى كسر شوكة الحكم الاتحادى الذى تمثله الزعامة الاسلامية ..

وقد أردت قبل الآن أن ألفت الأنظار الى هذا وكتبت كلمة عن الدول التى بادرت بالاعتراف بالاقليم المنشق .. وما وراء هذا الاعتراف من روح سوداء .. لكنى أجلت ما كتبت وطويته حتى رأيت أخيرا تحقيقا فى مجلة (النهضة) الكويتية لمراسلها فى المانيا .. تحدث فيه عما تكتبه الصحف فى فرنسا والمانيا من تعضيد لحركة الانفصال وتمجيد للانفصاليين وتصوير لهذه الحرب الدائرة الآن بأنها حرب بين المحمديين وبين الرجل الأبيض وأن المحمديين يريدون القضاء على الرجل الأبيض ونفوذه فى نيجيريا وأن مصر تمد المحمديين بالطـــائرات والطيـــارين ليقتلوا الرجل الأبيض ومن يناصره فى بيافرا .. الى غير ذلك مما تعمدت به هذه الصحف اثارة روح عطف قرائها فى فرنسا والمانيا وغيرها على الاقليم المنشق واثارة روح الحقد ضد المسلمين ..

ولعل من آثار ذلك أو من بوادر ما قراناه عن اعتراف فرنســـــا بالاقليم المنشق وعن المساعدات التى تحمل فى طياتها الاسلحة للمنشقين بواســــطة الصليب الاحمر مما حمل القائد الشمالى على التمسك بتفتيش قوافل الصليب الاحمر التى تحمل المساعدات للاقليم المنفصل ..

ورأينا مع ذلك كله اسرائيل تدلى بدلوها وتثأر لنفسها من موقف المسلمين وزعمائهم منها فتؤيد المنشقين وتساعدهم !!

لا أريد بذلك ان أثير من ناحيتنا تعصبا أعمى ولكنى أريد فقط من المسلمين أن يتنبهوا ويعرفوا أنفسهم ، ويعرفوا أعداءهم . ويقفوا الموقف اللائق بوضعهم وبوضع غيرهم لهم .

كم من الصحف والكتاب عندنا ذكروا للزعيمين الشهيدين فضلهما وموقفهما الكريم منا ومن قضيتنا وحدثوا قراءهم عنهما وعن مواقفهما الطيبة ؟

هل رأينا صحفنا تعنى بموقف النيجيريين الذين يدافعون عن اتحـــادهم ويقفون وحدهم أمام الحقد الأسود الذى يهب عليهم من أوربا وغيرها وأذيالها ..

لقد صورت الصحف الغربية الحرب الدائرة الآن فى نيجيريا بأنهـــا حرب بين المحمديين وغيرهم لتكتل القوى ضد المسلمين هناك .. فما هى الصـــحف العربية الاسلامية التى ناصرت قضية الحق والوحدة هناك ؟

ام ان ذلك شيء لا يعنينا ، أم هو الخوف من رمينا من المتعصـــــبين بالتعصب ؟ أم هو (التغفيل) أو شيء آخر لا أسميه أو لا أدريه ؟!!

خيانة للدين والوطن :

ليس هناك ذنب يعادل ذنب ذلك الانسان الذى يتنكر لمصـــالح بلاده ، ويكفر بنعمتها ، ويعيش فيها بجســـمه ، بينما أفكاره وآراؤه تهب عليه من خارجها .. لا تهمه مصالح بلاده بقدر ما تهمه التبعية لمصادر الوحى التى تمده بالآراء والأفكار التى يجب أن يسير عليها فى بلاده .

وفى بلادنا أناس يعيشون على هذه الوتيرة ، ويغرقون فى الذنوب الى ام رأسهم ، لا يستمدون أفكارهم من مصالح بلادهم ، بل يســـتوردون هذه الأفكار كما تستورد السلع الاستهلاكية ، ويعيشون محســـوبين على دينهم ووطنهم ، عملاء للخارج .

ولقد أثار فى نفسى هذا الخاطر واعادنى للكتابة اليه هنا بعد ان نبهت له فى كتابى (الاسلام والشيوعية) و (الاسلام والمبادىء المستوردة) أقول أثار هذا الخاطر فى نفسى ، وحملنى على أن أقدم للقراء الذين يعيشـــون لدينهم ووطنهم ، خبرا قرأته فى جريدة (الانوار) اللبنانية بتاريخ ١٩٦٨/٨/١٦ نقلا عن جريدة الدستور الأردنية ، لا أرى بدا من وضعه بنصه أمام القارىء فيما يلى :

(نشر فى عمان أمس نبأ أثار ضجة كبيرة فى مختلف الأوساط ، ذكر أن الشـــاعرين العربيين سميح القاسم ومحمود درويش المقيمين فى اسرائيل ، تزعما وفد اسرائيل الشعبى الى مهرجان الشبيبة الذى أقيم أخيرا فى العاصمة البلغارية فى صوفيا . وذكرت صحيفة الدســتور التى نشرت هـــذا النبأ أن الوفود العربية فى المهرجان استنكرت موقف الشاعرين العربيين ، وأثار حمل سميح القاسم لعلم اسرائيل دهشة هذه الوفود التى قرأت له قصـــائد وطنية انتشرت فى العالم العربى تندد باسرائيل .

وعندما سئل القاسم — وهو عضو فى الحزب الشيوعى الاسرائيلى عن هذا التصرف ، أجاب بأن حزبه يؤمن بضرورة بقـــاء الكيان الاسرائيلى ، ولكنه يشجب فقط العدوان الاخير على البلاد العربية !! وذكر النبأ أن العنـــاصر الشيوعية التى اشتركت فى وفود الدول العربية وقفت موقف التأييد من وجهة نظر القاسم ودرويش .

وكان رأى هؤلاء جميعا أن الحملة العربيـــة يجب أن تتركز على حكام اسرائيل فقط المرتبطين بالرأسمالية الدولية وبعجلة الاستعمار الامريكى ، ولكن ليس على الكيان الاسرائيلى ذاته) !! ا هـ .

كلام خطير وان لم يكن عندى جديدا فأنا أعرف أن الشيوعيين لا يرتبطون الا بما تقدمه لهم مصادر وحيهم من الخارج .. وذكرت فى كتابى السابقين موقفا

للشيوعيين فى مصر حين اثير موضوع تقسيم فلسطين فى الأربعينيات لم يلتزموا فيه بالرأى العام العربى . ولكنهم التزموا بموقف الحزب الأم فى ذلك الوقت .

والشاعران اللذان يتردد شعرهما فى البلاد العربية بفضل زملاء لهم فى المذهب انما يلتزمان فى موقفهم هذا بآراء الحزب الشيوعى ليس فى اسرائيل ولكن الحزب الأم . بدليل واحد مذكور فى هذا النبأ ، هو ان الشيوعيين المشتركين فى وفود الدول العربية وقفت موقف التأييد من وجهة نظر القاسم ودرويش !!

ووجهة الجميع أن اسرائيل يجب أن تحارب لاعتدائها الأخير فقط على البلاد العربية لا لاعتدائها الأصيل على البلاد العربية ، وانتزاعها من ايدى أصحابها . وطردهم منها حتى صار أكثرهم لاجئين . . هذا الاعتداء لا ترى فيه الاحزاب الشيوعية والشيوعيين فى البلاد العربية ظلما يجب أن يزال . . بل الاعتداء الأخير فقط . أما اسرائيل فيجب أن تبقى . وهم فى هذا يمدونها بتأييدهم ، ويتحمسون لحمل علمها وشعارها ، ولا يرون فى ذلك غضاضة كما فعل الشاعر العربى القاسم ، ولو قيل ان القاسم يعيش فى اسرائيل ، وربما يتلمس أحد البلهاء له عذرا . حتى فى حمله العلم . فما عذر الشيوعيين المشتركين فى وفود الدول العربية وقد اتاحت لهم بلادهم السفر الى هذا المؤتمر وربما على نفقتها — واشتركوا فيه باسمها — ما عذرهم فى موقفهم من تأييد وجهة نظر القاسم ؟ وهل ذهبوا الى هناك ليطعنوا وجهة نظر بلادهم ، وليسخروا من العرب جميعا ، ويستهينوا بحق ابناء فلسطين فى أرضهم . ويسفهوا آراء بلادهم وآراء حكوماتها فى تمسكها بهذا الحق ؟

ثم ان هناك ناحية أخرى خطيرة كل الخطر فى آراء هؤلاء الشيوعيين وهى كما يقولون : ان الحملة العربية يجب أن تتركز على حكام اسرائيل فقط لأنهم فى نظرهم مرتبطون بالراسمالية الدولية وبعجلة الاستعمار الغربى !!

يعنى لو أن حكام اسرائيل غير مرتبطين بعجلة الراسمالية الدولية الامريكية فلا عداء بيننا وبينها ، ولو أن الحزب الشيوعى فى اسرائيل هو الذى يحكم فلا عداء بيننا وبين اسرائيل ، يعنى أن اسرائيل يجب أن تحارب لأنها ليست مع الشيوعيين العرب ، ولكن الذى يشغلهم فقط ويقض مضاجعهم ارتباط اسرائيل بالاستعمار الغربى الذى يعادى الشيوعية !! ولا حساب عندهم لبلادهم واخوانهم العرب !!

ماذا يعنى كل هذا ؟

انه لا يعنى الا شيئا واحدا هو ان الشيوعيين العرب اكبر خطر على بلادهم ومصالحها ، وأنهم يعيشون ويتنعمون بخيرات بلادهم ويتنكرون لها . ويهبون حياتهم وجهودهم لغيرها . .

ومن قبل هذا المؤتمر وبعد نكسة يونيو (حزيران) طلعت علينا مجلة عربية تنطق باسم هؤلاء ، تقول ما قاله هؤلاء الشيوعيون فى هذا المؤتمر . . وتعلن باسم الشيوعية والشيوعيين الذين يصدرونها ويحررونها انها لا تحارب الشعب الاسرائيلى ولكنها تحارب حكامه لأنهم مرتبطون بعجلة الاستعمار الغربى !!

وكأن الذى حاربنا واستولى على ارضنا هم الحكام لا الشعب الاسرائيلى .. وكأن الشعب هناك شعب صديق لنا وقف معنا ضد حكامه !!

لا ندرى كيف مر هذا الكلام الخطير .. ينفث سمومه فى الفكر العربى والموقف العربى ؟!

الا انها العمالة والخيانة لا للدين فقط ، ولكن للأوطان أيضا ..
وانه لكفر بحق الأوطان بعد الكفر بالأديان ..
فماذا بقى اذن من مقومات الانسان ؟!

نصيحة :

نصيحة اتعبنى حملها شهورا ، وربما سنين .. وأنا أريد أن أكتبها ، وان كنت لم أكتمها فى مجالسى ، وهى لا بد أن تأخذ طريقها الواسع الى النفوس حتى أستريح ، وأكون قد أديت الأمانة ..

ان كثيرا من الناس — لاسيما الدساسين الذين يصطادون فى الماء العكر وأصحاب الهوى كلما سمعوا أو قرءوا دفاعا عن الاسلام ، أو الدعوة لفكرة اسلامية لعالم أو كاتب اسلامى يحلو لهم أن يقولوا عن هذا العالم أو الداعى انه من انصار كذا أو انصار كذا !!

وهذا فوق انه دس رخيص ودنىء ، يمثل حمقا ما بعده حمق .. لأن قولهم هذا يعنى أن الدعوة للاسلام .. والدفاع عنه ، والتحمس له ، وقف على هذا الحزب ، أو هذه الجماعة ، وهذا شرف يضفيه هؤلاء الحمقى على هذا الحزب أو تلك الجماعة دون أن يدعوه ، ودون استحقاق أيضا كأنه لا يوجد أزهر من الف سنة ، وعلماء منه بالآلاف يحملون رسالة الاسلام ، ويؤدون واجبهم نحوها !! وكأنه لا يوجد أيضا مخلصون للاسلام من غير علماء الأزهر يعملون له ، ويتفانون فى سبيله وهم لا يعرفون هذا أو ذاك !!

ان استمرار هذه النغمة الدنيئة واستغلالها لا يخدم الذين يستغلونها بسفه لأغراضهم الخبيثة بقدر ما ينتج عكس ما يريدون ..

ولا أعتقد أن الذين يستغلونها غير فاهمين لنتيجة ما يقولون ، وانما أعتقد أن منهم أذكياء يريدون بهذا الدس حاجة فى نفوسهم هى أن يسكتوا كل صوت يعمل للاسلام ، ويخرسوا كل لسان ينطق بكلمة الله ، حتى يخلو لهم الجو ليقولوا ما يريدون ، ويعبثوا بالدين والقيم كما يشاءون ، وليس ذلك من المصلحة فى شىء . مصلحة البلاد التى يدعون الغيرة عليها ..

فليراع هؤلاء الدساسون ، وهؤلاء الجهلاء ربهم ان كانوا ممن يؤمنون بلقائه وحسابه . وليقتصدوا فى توزيع الاتهامات ، وليفطنوا الى انهم يسيئون الى انفسهم وبلادهم فى الوقت الذى يخدمون فيه غيرهم وليتدبروا جيدا هذه الحكمة المعروفة « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .



يوم مع محراب الأقصى

جراحك يا أقصى تقرح أجفانى   وحاضرك العانى يضاعف أشجانى
وان آس فالأحداث تفعل فعلها   بكل شفيف الحس والنفس انسانى
واعلم أن الدمع مارد فائتا   وان فاض كالأنهار . . كالعندم القانى(١)
وما تكسر الأصفاد عنك مقالة   ولن يحطم الأغلال شعر بأوزان
ولا جهد مذياع ولا شدو كوكب   يرنح أعطافا ، ولا فن فنان
فديتك ما يجدى ويغسل عارنا   سوى الثأر من عاد يدل بأعوان
ويبغى بحلم الله ، والله قاطع   وتين الذى يبغى ويملى الى آن
وهذى قبور الظالمين ودورهم   هواتف فى آذان عالمنا الفانى
فمن يؤثر الحق الصراح يعش به   عزيزا ، ويشقى من يتيه بسلطان
فلا ترضوا الضيم المذل بنى أبى   وذودوا عن الأقصى . عن الوطن الحانى
عن العرض فيه يستباح ، عن الهدى   تغاديه فى المحراب أسراب نسوان(٢)
عراة ، يعانقن الصعاليك جهرة   وفى الصخرة الشماء فى غير خذلان

وتنهال من معراج طه دروسه   فتذهب أشجانى ، ويبرأ وجدانى
ويهتف بى الايمان بالله اننا   سنبطش بالأعداء فى كل ميدان
اذا (الهوك) و (الميراج) شدا وثاقهم   فانا ننحيها الى المنزل الثانى(٣)
ونزار قبل السيف بالله وحده   كمن زأروا فى يوم بدر بايمان
وفى يوم حطين تفرس جنده   بليل ، صلاح الدين ، فى غير أعلان
فابصر قوما فى الوضوء ، ومعشرا   يصلى ، ورهطا يجهرون بقرآن
فقال أوتينا النصر بالطهر والتقى   على طغمة هاجوا حمانا بصلبان



للأستاذ : معوض عوض ابراهيم
الاردن ـــ العقبة

وكان نهـــــارا نضر الله وجهه … وددت لو اســـتفتاه قومى واخوانى
ومن لاذ فى الهيجـــــاء بالله ربه … يصب نحر صـــهيون واحلاف دايان

يسائلنا الاسلام : اين عشـــيرتى … ملايين تداحصوا، واين ذووا الشان ؟
واين بناتى من مثـــال نســـيبة … وخولة واللائى سبقن باحســـان ؟
واين من الشـــبان أشـــباه رافع … وحب رسول الله . . ياويح شبانى(٤)؟!
أجاوز أبطـــال الفـــداء فلا أرى … سوى معشر فى الشر خروا لأذقان
ليوث الوغى فى حلق صهيون غصة … ومن خلفهم ذؤبان فى سمت انسان
يقولون فى الأبطال ما لا تقـــوله … أبالسة الدنيـــا ، وأفراخ ايبان
بأيدى الفـــدائيين تخفق رايتى … على كل شـــبر فى بلادى وأوطانى

أجل : نحن نعطى للفـــداء ودادنا … ونجهر فى تأييد أســـلوبه البانى
ونرقب يوم الثأر ما فى صـــفوفنا … جبـــان ، ولا عين لأعدائه ، وانى

---

(١) العندم : دم الغزال .
(٢) تاتيه فى الغداة .
(٣) سكاى هوك والميراج : طيران العدو .
(٤) حب رسول الله اسامة بن زيد بن حارثة .

نظرة متأنّية فى سـورة

لم تكن الا آية واحدة تتحدث عن الاسراء من مائة واحدى عشرة آية فى سورة الاسراء ، ثم تناولت الآيات بعد ذلك الحديث مستفيضا عن بنى اسرائيل ، ورسمت النهج لمجتمع نظيف خال من المنكرات التى تفسده ، أو تجعله يعيث فى الارض فسادا ، ووضعت المعراج الروحى الذى على درجاته يتم الصعود الى الكمال الخلقى ، ووجهت القلوب والأنظار الى مصدر الهدى والفلاح فى كل أمر .

الافساد اليهودى :

فقد انتقل الحديث مباشرة بعد آية الاسراء الاولى فى السورة الى الحديث عن بنى اسرائيل وافسادهم **(وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا)** .. وفى هذا استرعاء لانتباه المصلحين ولفت لنظر العاقلين الى مصدر الفساد والعبث فى الأرض مهددا عمرانها مبددا آياتها .

ان آية الاسراء نصت على هدف الاسراء انه كشف آيات الله فى الكون لرسول الله ليعرف كيف يسير على هدى وبصيرة بقافلة المؤمنين واضعا لأسس الخير والحق والحرية والسلام والعدل والاخاء فى الأرض وبانيا بناء الكمال النفسى والعقلى والروحى شامخا سامقا **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** .

وللحفاظ على تراث البشرية ومقدساتها أن تعدو عليها أيدى الفساد والافساد نبهت الآيات فى الحال الى الخطر الداهم على هذا التراث وهذه المقدسات .

ولكن الآيات التى نبهت الى هذا الخطر الداهم أخطرتنا بأن الافساد مرتان فحسب . فأى خطورة تزعج فى هذا ما دام الافساد اليهودى لا يتعدى حدوثه فى الأرض مرتين ثم ينتهى الافساد ؟

الا أنك لو تمعنت فى الأمر لوجدت أن الافساد الذى يتكرر على هذه الصورة البشعة من الفساد العريض والعلو فى الأرض علوا كبيرا على الرغم من العقوبة الصارمة يوقعها بهم قوم أولو بأس شديد لتبين لك أن هؤلاء ديدنهم الافساد وطبيعتهم



الإسراء

الأستاذ : أحمد حمد

الفســــاد ، ويجب أن يضرب على أيديهم ويحتاط دائما منهم ، اذ كيف يعودون الى الافســـاد العريض فى الأرض بعد أن ينالوا الجزاء القاسى منـــه أول مرة الا اذا كانوا خلقا لا يســـــتطيعون العيش الا وهم يستنشقون نسيم الفساد ؟

ويؤكد ذلك أن الله وصفهم بهذا الوصف اللازم لهم : « **ويسعون فى الأرض فسادا** » ووقف لهم بالمرصاد لئلا يستطيل هذا الفساد ويستمرض ويستغلظ : « **كلما أوقدوا نارا للحرب أطفـــاها الله** » ، (**واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيــامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم**) .

المجتمع النموذجى :

ثم اتصلت الآيات بعد ذلك ترسم صورة للمجتمع النموذجى الذى لا يهتز بهذا الافساد اليهودى والذى هو أصـــل لتطهير الأرض من كل فساد ، فأوضحت أن أســـاس هذا المجتـــمع فى اســـتكمال ملامحه ووضوح صورته هو القرآن : « **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** » وركزت فى ضميره النظرة الموصولة بالدار الآخرة « **وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقـــه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** » ثم اتصلت حتى تـــكون خلاياه على فضائل الأخلاق والســـلوك بادئة بأصغر خلية فى المجتمع وهى الأسرة « **وبالوالدين احســـانا إما يبلغن عندك الـــكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كمـــا ربيانى صغيرا** » ثم كان الخطـــاب لكل فرد وكل جماعة فى مجال هذا التقـــويم النموذجى ، ففى خطاب الأفراد « **وآت ذا القـــربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبـــذر تبذيرا .. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط .. ولا تقف ما ليس لك به علم . ولا تمشى فى الأرض مرحا** » وفى خطـــاب الجماعة : « **ولا تقتـــلوا أولادكم خشية املاق .. ولا تقربوا الزنا .. ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق .. ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن .. وأوفوا بالعهود .. وأوفوا الـــكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم** » .

والعقيدة الصحيحة لا بد ان تكون منطلق هذا السلوك وهـــذه الأخلاق للمجتمع النموذجى ، فعبـــادة الله وحده هى المنطلق الرشيد لكل خلق حميد وكل راى سديد ، ولذلك كان التوجيه الى ذلك فى ثنايا السورة مبتـــدأ الفقرات ومختتمها : « **ولا تجعل مع الله الها آخر .. ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة .. قل لو كان معه آلهة كمـــا يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا .. قل ادعوا الذين زعمـــتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا .. واذ قلنـــا لـــك ان ربك أحاط بالناس ..** » والتوجيه الى الايمان بالدار الآخرة يقترن بالتـــوجيه الى توحيد الله ، فان توحيد الله وصل النفس بخـــالقها ، ووصل النفس بالخالق ربط لها بالأبد فيمتد لها الأمل دون نهاية ، ويتسع لها الأفق دون حدود ، والحياة الدنيا محدودة الأفق قاصرة الأمل قصيرة الغـــاية قريبة الأجل ، ومن هنا تجد هذا الاقتران واضحا فى بعض آيات الســـورة « **وللآخـــرة أكبر درجـــات وأكبر تفضيلا . ولا تجعـــل مع الله الهـــا آخر** » . « **ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا** » (**سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهـــن وان من شىء الا يسبح بحمده ولـــكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفـــورا . واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجـــابا مستورا**) ، (**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتى كتـــابه بيمينـــه فأولئك يقرءون كتـــابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا**) .

الكرامة المشتركة :

وليست هذه الصـــورة المشرقة للمجتمع الا تكريما للانسان وتفضيلا لانسانيته على كثير من مخلوقات هذا الـــكون : « **ولقـــد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » .

فالكرامة شركة بين بنى آدم وهى رحم بينهم جميعا ، فأى انسان مهما كان أمره تطاول على أخيه ليذله أو ليهينه فقد أذل نفسه وأهانها ، لأنه أذل الآدمية فى نفس أخيـــه وأهان الانسانية فى شـــخصه أما الذى يتواضع للنـــاس ويحترم آدميتهم ويكرم انسانيتهم ، فهو الذى يرتفع بقـــدره ويحترم نفسه ويـــكرم انسانيته ، ولذلك قرر الله هـــذه السنة الاجتماعية فى كتابه الكريم : « **انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعـــا ومن أحياها فكأنما أحيا النـــاس جميعا** » « **فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليـــه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** » وكل منهج تربوى أو تطوير اجتماعى ينحو الى تكريم الانسان ورفع اصر الذلة والمهـــانة عنه ــ هو المنهج الأمثل والتطوير المنشود .

أما الاتجـــاهات الاخرى التى تناقض هذا فهى اتجاهات تحمل فى قلبها جراثيم القضـــاء عليـــها ، فالاسرائيليون يعتبرون أن غيرهم من النـــاس حشرات تداس ، والرأســـماليون يعتقدون أن ما عدا

اللون الابيض لا يستحق أن يحيا حياة الكرماء ، والماديون الملحدون يرون أن من لا يدين بمذهبهم لا ينظر اليه نظرة الاعتبار والأمان .

وقد أوضح الله كيفية التكريم الآدمى قبل هذه الآية بآيات قلائل وأظهر عدو هذا التكريم حتى يحترس منه كل آدمى ويحتاط : ((**واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ، قال : أأسجد لمن خلقت طينا . قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**)) .

وهنا نجد أن الذين يقفون مضادين لتكريم الانسان وقد غرهم دينهم أو لونهم أو مذهبهم هم الذين يستحوذ عليهم الشيطان فيجعلهم من حزبه . وهؤلاء لن يكسبوا فى دنياهم وأخراهم الا خسرانا الا أن حزب الشيطان هم الخاسرون . أما الذين يثبتون على مبدأ التكريم . ويتأبون على استحواذ الشيطان فلا سلطان له عليهم ليهونوا أو يهينوا أو يذلوا أو ليذلوا فأولئك حزب الله الا انحزب الله هم المفلحون : ((**ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**)).

المعراج اليومى :

وكيف يكون الثبات على مبدأ التكريم وعدم الخضوع لسلطان الشيطان ؟ انه بالصلة الدائمة بالله والعروج الدائم اليه بالصلاة . فبعد آية التكريم نبه الله رسوله الى أن أمر التثبيت بيده ، ولولا ذلك لاستطاع الشيطان وحزبه أن يسيطروا عليه ولو بعض السيطرة ((**وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا**)) وهذا التثبيت يرتبط بالصلة الوثيقة بين العبد وربه والعروج الروحى الدائم اليه بالصلاة فى وضح النهار وفى غسق الليل ، ولذلك أمره الله بالصلاة بعد ذلك : ((**أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتهجد به نافلة لك**)) ثم كرر الحديث عن الصلاة فى آخر السورة آمرا بالاعتدال بين الجهر والخفوت ، فعلى مدارجه تعرج الروح يقظة مستغرقة فى دعاء الله ومناجاته واصلة أعصاب النفس وأحاسيسها بجلال الله وعظمته : ((**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**)) .

وان كانت الصلاة قد فرضت ليلة الاسراء عندما عرج الرسول العظيم مجاوزا سدرة المنتهى الى عرش الله الأعلى ، فقد بقيت حتى تقوم الساعة معراج المؤمنين اليومى يعرجون عليه الى الله بأرواحهم . ويتذكرون عظمة رسولهم ، ليزدادوا علما بأمر الله ويستمدوا العظمة منه ((**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا**)) .

الاقناع العقلى :

وكما بقيت الصلاة وسيلة العروج الروحى الى يوم الساعة فقد بقى



القرآن مصدر الاقناع العقلى كذلك . ففى أوائل السورة يقول تعالى : **« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »** وفى أواخرها يقول : **« وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا »** هؤلاء الذين أوتوا العلم ، أما الذين أوتوا الجهل فهم على العكس منهم : **« واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ، ولوا على أدبارهم نفورا »** .

وهؤلاء الجاهلون أو العالمون بالظواهر والقشور لا يتعلقون من الحياة الا بظواهرها لا بلبها ، ومن الامور الا بهوامشها لا بصلبها : **«يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا»** .

وقد عرضت السورة صورا من تفكيرهم السطحى المضحك الذى يتعلق بالظواهر والقشور فحسب ، بعد أن عرضت عليهم لب الحياة وحقيقتها ، وصلب الأمر وأصوله : **« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، « ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا . وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه »** .

وكثير من الناس يتجاوز حد الكهولة وهو ما زال يعيش بأفكار الطفولة ، فلا يدرك الا ادراك الأطفال وان رأيته رجلا فى عداد الرجال .

أفلا يرتفع هؤلاء الناس فى مستواهم التفكيرى ويبلغون الرشد فيه ليدركوا هذا القرآن على فقه .
من أراد أن يعرف الحق وأن يعمل بالحق وأن يعيش للحق فليرتفع الى مستوى الرشد فى الادراك ليفقه كتاب الحق : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

ولأن الله الحق هو الذى أنزله فقد ابتدأت السورة بتنزيهه عن كل باطل ونقيصة : **« سبحان الذى أسرى بعبده »** واختتمت بحمده وتكبره لنتوجه اليه دائما بالتسبيح والتحميد والتكبير فى كل أمر **« وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تكبيرا »** .



للدكتور : أحمد الشرباصي

كتاب « فتوح البلدان » قد يوحى عنوانه بأنه كتاب تاريخ ووصف للفتوح فقط ، ولكن هذا غير الواقع . فان الكتاب ذو صبغة اقتصادية واضحة لما فيه من حديث عن كثير من الجوانب المالية والاقتصادية المتعلقة بالبلاد المفتوحة باسم الاسلام . ولذلك لا يصعب علينا أن نعد مؤلفه البلاذرى من رجال الاقتصاد فى الاسلام الذين أسهموا فى تبيان الجوانب الاقتصادية الاسلامية ، وتعاونوا بنسب مختلفة على صنع هذا التراث الفكرى الاقتصادى العظيم الذى تفخر به المكتبة الاسلامية على مر الأيام .

والبلاذرى هو الامام أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى . وسمى بالبلاذرى نسبة الى « حب البلاذر » وذلك فى مناسبة نعرفها بعد قليل .

وقد ولد البلاذرى فى أواخر القرن الثانى الهجرى . ونشأ فى بغداد . وتلقى عن كبار علمائها ، وشغل وظيفة بأحد الدواوين لبعض الخلفاء . وكان جد البلاذرى يقوم بوظيفة الكتابة للخصيب امير مصر فى عهده .

وكان للبلاذرى أساتذة وشيوخ منهم عبد الله بن صالح العجلى وأبو

الحسن المدائنى ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدى ، وعبد الواحد بن غياث ، وأبو الربيع الزهراوى ، وأحمد بن الوليد الأنطاكى ، ومن أهم أساتذة البلاذرى أبو عبيد بن سلام صاحب كتاب « الأموال » ، ومنه استفاد البلاذرى فيما يظن ، دراية ما يتعلق بالنواحى الاقتصادية فى الاسلام ، وما دام البلاذرى تلميذا لأبى عبيد فليس غريبا أن نعد البلاذرى من رجال الاقتصاد فى الاسلام ، وبخاصة أنه قد روى عن أبى عبيد كثيرا فى كتاب « فتوح البلدان » .

واذا كان البلاذرى قد تلقى العلم عن أئمة ملحوظين ، وكان بارعا فى طلب العلم ، فانه بعد أن أتم التعلم كان أستاذا ناجحا ، وقد تخرج عليه طائفة من الأئمة الأعلام ، وحسبنا أن نذكر فى طليعتهم اثنين هما (ابن النديم) صاحب كتاب (الفهرست) الذى يدل على احاطة صاحبه بما فى المكتبة العربية والاسلامية من مؤلفات وآثار فى النواحى الدينية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية وغيرها ، والثانى هو جعفر بن قدامة صاحب كتاب الخراج — ويكفى أن نذكر هذا الكتاب لندرك اتجاه جعفر فى الكتابة عن اقتصاديات الاسلام كما فعل أبو يوسف فى كتابه (الخراج) ويحيى بن آدم فى كتابه « الخراج » .

واذا كان البلاذرى قد استفاد من أستاذه أبى عبيد صاحب كتاب « الأموال » عناية بالأمور الاقتصادية فقد استفاد جعفر بن قدامة مثل هذه العناية من أستاذه البلاذرى فيما يظن .

وكذلك كان من تلاميذ البلاذرى الأئمة عبد الله بن ابى سعد الوراق وأحمد بن عمار ويعقوب بن نعيم ووكيع القاضى . وكان البلاذرى يتقن العربية والفارسية ، كما يتقن الترجمة عن الفارسية الى العربية ، ولا يبعد أن يكون البلاذرى قد استفاد من معرفته الفارسية الاطلاع على النظم الدواوينية والاقتصادية عند الفرس ، فوسع ذلك من أفق ثقافته وخبرته ، ويمكن أن يضاف الى هذا اشتغال البلاذرى المبكر بدراسة التاريخ وما يتعلق به ، حيث بدأ بهذه الدراسة منذ صدر شبابه ، وسجل الكثير من الحقائق فى ميدانه . والتاريخ علم واسع يضم بين جناحيه أمورا سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها .

وكان البلاذرى رجلا رحالة ، يكثر من الانتقال والسفر ليبحث ويشاهد ، ويحقق بنفسه حتى تكون المعلومات التى يذكرها مقرونة بالمشاهدة والاطلاع والتمحيص ، ولذلك زار مدن شمال الشام كلها ، كحلب ومنبج وانطاكية . وزار البلاد الواقعة بين النهرين ، وزار الثغور ، وكان يسمع الروايات المختلفة فى البلاد المتعددة ، ويقارن بين بعض الروايات وبعض : حتى يفحص ويمحص ويخرج بالحقائق الثابتة .

ولقد استطاع البلاذرى بقوة شخصيته أن يقترب من الخليفة العباسى « المتوكل » . وكذلك من الخليفة « المستعين بالله » الذى كان يوسع مكافأته ومعاونته . حيث أعلى شأن البلاذرى ، وعهد اليه بتربية ابنه عبد الله بن المعتز الشاعر العباسى المعروف ، وكان فى سن الخامسة ، فأجاد البلاذرى تربيته وتنشئته .

ومما يدل على مكانة البلاذرى عند الخلفاء وحظوته لديهم ، انه جالس المتوكل فى آخر عهده . وصار من أخصائه المقربين جدا اليه ، واكرمه المعتز بالله . واتصل بالخليفة المأمون ، وقال فيه مدائح . ولكن اكثر هؤلاء الخلفاء تكريما للبلاذرى هو المستعين بالله ، فقد جعله يعيش مستغنيا ، ينفق عن

سعة . ولا يستجدى عطاء من أحد . ولا يضطر الى احتراف حرفة ليأكل منها ، والسبب فى ذلك أنه دخل مع الشعراء على « المستعين بالله » فقال الخليفة للشعراء : « من كان منكم قد قال فى مثل قول البحترى فى عمى المتوكل :

ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لسعى اليك المنبر

فليقل . والا فلا ينشد فى شيئا » .

فأجابوا : ليس فينا من قال فيك مثل هذا .

وانصرفوا . وبعد أيام عاد البلاذرى الى الخليفة ليقول : يا أمير المؤمنين ، قد قلت فيك أحسن مما قال البحترى فى عمك .

فقال الخليفة : ان كان كذلك أسنيت (أى رفعت) جائزتك فهات !

فأنشد البلاذرى قوله للخليفة :

ولو أن برد المصطفى اذ حويته يظن ، لظن البرد انك صاحبه
وقال ــ وقد أعطيته فلسته نعم هذه أعطافه ومناكبه !

فأعجب الخليفة به . وأرسل اليه سبعة آلاف دينار . وقال له . فى رقعة انه فعل ذلك حتى لا يسأل أحدا اذا احتاج ، فان هذه الدنانير تكفيه دون أن يريق ماء وجهه لأحد ، ولم يكتف الخليفة بل تابع له المكافآت والهدايا .

ومما سبق نفهم أن هوى البلاذرى كان مع العباسيين ، ولذلك كان يصف امراءهم بوصف « الخلفاء » بينما هو لا يطلق هذا الوصف على أحد من أمراء الأمويين سوى خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز الذى كان يصفه بوصف « الخليفة » .

ولكن هذا الميل الى العباسيين لم يجعل البلاذرى يحرف الوقائع أو يكتم الحقائق ، ولم يطل المديح فى العباسيين كما فعل غيره ، بل كان أغلب شعر البلاذرى فى الدعابة والهجاء الرقيق ، وان كان أغلب شعره يعد مفقودا ، ويقول عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر عن البلاذرى : « كاتب شاعر راوية أحد البلغاء » .

وذات يوم قال الشاعر محمود الوراق للبلاذرى : قل من الشعر ما يبقى لك ذكره ، ويزول عنك اثمه ، فقال :

استعدى يا نفس للموت . واسعى لنجاة ، فالحازم المستعد
قد تبينت انه ليس للحى خلود ، ولا من الموت بد
انما أنت مستعيرة ما سوف تردين ، والعوارى ترد
أنت تسهين ، والحوادث لا تسهو وتلهين والمنايا تجد

وللبلاذرى مؤلفات غير فتوح البلدان منها كتاب « أنساب الاشراف » وترجمة عهد أردشير من الفارسية الى العربية وقد ترجمه نظما .

وفى أخريات أيام البلاذرى تناول عن غير قصد كمية من « حب البلاذر » فأثر فى عقله وتفكيره تأثيرا واضحا ، حتى اصابته نوبات جنون . واضطروا الى تقييده ووضعه فى (البيمارستان) ــ أى مستشفى الامراض العقلية حتى مات سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) .

يقول عنه المرزبانى : « انه وسوس فى آخر عمره . لأنه شرب البلاذر فأفسد عقله ويقول محمد بن اسحاق النديم « انه شرب البلاذر على غير معرفة فلحقه ما لحقه فى البيمارستان حتى مات . ولذلك قيل له البلاذرى » .

وبيان ذلك أن عارفى فضله حزنوا لما اصابه واطلقوا عليه لقب «البلاذرى» نسبة الى هذا الحب الذى اثر فيه ، وكأنهم يريدون أن يقولوا انه ضحية « حب البلاذر » عليه رحمة الله .

ثم نأتى الى كتاب « فتوح البلدان » . .

نشر هذا الكتاب مرتين فى أوربه قبل أن ينشر فى بلادنا ، ثم قررت شركة طبع الكتب العربية طبعه بمطبعة الموسوعات بالقاهرة ، واصدرته سنة ١٣١٩ هـ ــ ١٩٠١ م فيما يقرب من خمسمائة صفحة .

وقد شرع البلاذرى فى تأليف هذا الكتاب سنة ٢٥٥ تقريبا ، ويبدو انه ألف أولا كتاب « فتوح البلدان » الذى بين أيدينا ثم عاد يحاول توسيعه وتكبيره ، وجمع لذلك مواد كثيرة مفيدة تصلح لكتاب فى أربعين مجلدا ، ولكن المنية أدركته قبل أن يتم تأليف هذا الكتاب الضخم . ولعل هذا هو السبب فى قول ابن النديم ان البلاذرى له كتابان ، كل منهما بعنوان « الفتوحات » أحدهما كبير والآخر مختصر .

وقد تحدث البلاذرى فى كتابه عن « الحمى » فى الاسلام . وهو النظام الذى يحاول بعض الناس أن يقيسوا به « التأميم » فى هذه الأيام ، ثم تحدث عن أموال بنى النضير ، وما فعله الرسول فيها بعد أن تم اجلاء اليهود عقب خيانتهم للمسلمين ، وكذلك أموال بنى قريظة وخيبر وغيرها ، وتحدث عن مكة وحفائرها ودورها وعن البلاد المختلفة ، وحكم أموالها ، والجزية والخراج فيها .

وتحدث عن تعريب الدواوين من الرومية الى العربية ، وهذه الدواوين كانت مهمتها فى الغالب تسجيل الواردات واحصاء النفقات وتقييد أسماء الجنود والموظفين ، وتحديد مرتبات كل منهم ، وكذلك تحديد الحقوق المالية المختلفة لأفراد الأمة ، وعن فتح الشام ومصر والمغرب والعراق وفارس وغيرها ، وعملية مسح الأرض لمعرفة حدودها ، ومقاييسها ، وتقدير ما لها وما عليها . .

وتحدث عن مرتبات المجاهدين والولاة ، وعن نظام العطاء الاقتصادى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ثم تحدث عن أمور كثيرة تتعلق من قرب أو من بعد بالأوضاع الاقتصادية فى المجتمع الاسلامى على هدى الاسلام .

* * *

ومن نماذج ما جاء فى الكتاب ما ذكره البلاذرى عن ناحية اقتصادية هامة تتعلق بالرسل ، وهى مسألة الميراث أو المال الذى يتركه الرسول : لمن يكون ؟ ومن الذى يرثه ؟ فروى البلاذرى عن عروة بن الزبير أن ازواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن عثمان بن عفان الى ابى بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك(١) ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ؟

---

(١) أى عقب وفاة النبى .

أما سمعتن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا نورث ، ما تركنا صدقة ، انما هذا المال لآل محمد : لنائبتهم(١) وضيفهم ، فاذا مت فهو الى والى الأمر بعدى » !

وفى موطن ثان يتحدث البلاذرى عن صنع النقود والقراطيس وعلاقة ذلك بالمجتمع الاسلامى الأول ، فيقول ما نصه : « قالوا : كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتى العرب من قبل الروم الدنانير ، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذى يكتب فى رءوس الطوامير من : قل هو الله أحد وغيرها من ذكر الله . فكتب اليه ملك الروم انكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه ، فان تركتموه والا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه .

قال : فكبر ذلك فى صدر عبد الملك ، فكره أن يدع سنة حسنة سنها ، فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال له : يا أبا هاشم ، احدى بنات طبق(٢) ، وأخبره الخبر . فقال : افرخ روعك(٣) يا أمير المؤمنين . حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها ، واضرب للناس سكا ، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا فى الطوامير .

فقال عبد الملك : فرجتها عنى فرج الله عنك . وضرب الدنانير » .

* * *

ومن امثلة ما جاء فى الكتاب ما ذكره عن ابى المختار يزيد بن قيس الذى شكا الى عمر بن الخطاب ولاة « الأهواز » وغيرهم لأنهم جمعوا الاموال وكنزوا ، وانتهبوا فيما يرى ، ومن الواجب محاسبتهم ومقاسمتهم ، واخذهم بقاعدة : من اين لك هذا ؟ . . وكانت شكوى أبى المختار هذه شعرا ، وفيها يقول :

ابلغ أمير المؤمنين رسالة ... فأنت أمين الله فى النهى والأمر
فلا تدعن اهل الرساتيق والقرى ... يسيغون دين الله فى الأدم الوفر(٤)
فأرسل الى (الحجاج) فاعرف حسابه ... وارسل الى «جزء» وأرسل الى «بشر»
ولا تنسين النافعين كليهما ... ولا « ابن غلاب » من سراة بنى نصر
وما (عاصم) منها بصفر عيابه ... وذاك الذى فى السوق:مولى بنى بدر(٥)
وارسل الى النعمان واعرف حسابه ... وصهر بنى غزوان ، انى لذو خبر
و (شبلا) فسله المال و (ابن محرش) ... فقد كان فى أهل الرساتيق ذا ذكر
فقاسمهم ــ أهلى فداؤك ــ انهم ... سيرضون ان قاسمتهم منك بالشطر

البقية على صفحة ٩٨

(١) لضرورات حياتهم .
(٢) أى احدى الدواهى .
(٣) أى سكن جاشك ولا تضطرب .
(٤) الرساتيق : جمع رستق وهو القرية ، الأدم : التمر ، والوفر : الكثير .
(٥) وصفر : بمعنى خالية : والعياب : جمع عيبة وهى الحقيبة وما يجعل فيه الثياب .

اعدها : ابو نزار



لا يستوون عند الله ..

روى مسلم فى صحيحه عن النعمان بن بشير الخزرجى ـ وكان اول مولود للأنصار فى الاسلام ـ انه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل ما ابالى ان اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقى الحاج .

وقال آخر : ما ابالى ان اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام .

وقال على بن ابى طالب : الجهاد فى سبيل الله أفضل مما ذكرتما .

فقال عمر : لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله ، ولكن اذا قضيت الصلاة سألته لكم .

فسأله عمر فانزل الله هذه الآية (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ان الله عنده اجر عظيم) .

فريضة الجهاد ..

لما جاء بشير بن الخصاصية السدوسى ليبايع النبى صلى الله عليه وسلم اشترط عليه الشهادتين والصلاة وصيام رمضان والزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله .

فقال بشير : اما اثنتان فلا اطيقهما : الزكاة ، وليس لى الا عشر ذود (نياق) هن رسل اهلى (غذاؤهم) وحمولتهم ، واما الجهاد فتقولون : ان من ولى (فر) فقد باء بغضب من الله ، واخاف ان حضرنى قتال ان اكره الموت .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا صدقة ، ولا جهاد ! فيم تدخل الجنة ؟

فقال بشير : يا رسول الله ابايعك عليهن كلهن .

العاقبة للحق

قد يكون الحق معك .. ولكنك لا تحسن الوصول به ، ولا تجيد الدوران معه حول منعطفات الطريق لتتفادى المآزق ، وتتخطى العقبات ، وتبلغ به ما تريد ..

وقد يكون الباطل مع غيرك .. ولكنه يلبسه ثوب الحق ، ثم يجيد الانطلاق معه حتى يصل به الى حيث ينبغى أن يصل الحق .

ولا أطلب منك أن تجيد الالتواء والانثناء حتى تصل بحقك الى مبتغاك .. ولكن أطلب منك أن تصبر وتثابر وتتشبث بالحق ، وتناضل فى سبيله ، وتؤمن ان العاقبة حتما لهذا الحق .

حفيد خليفة يعظ خليفة ..

كان عبد الله بن عبد العزيز العمرى (حفيد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) يسعى بين الصفا والمروة فى موسم الحج ، وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد يسعى مع الساعين ، فلما رقى درجات الصفا هتف به العمرى :

يا أمير المؤمنين : أنظر بطرفك الى البيت .

ولم يكن يومئذ بين الكعبة والمسعى تلك الجدران التى أقيمت فيما بعد ، فنظر هارون الى البيت وقال : قد فعلت فسأله العمرى : كم من الناس ترى ؟

قال الرشيد : ومن يحصيهم الا الله !

قال العمرى : اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يسأل فى القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك مسئول عن الجميع فانظر كيف تكون .

فبكى هارون ، ثم قال العمرى وأخرى أقولها .

قال : قل يا عم .

قال : والله ان الرجل ليسرف ، فى ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن أسرف فى مال المسلمين !!

الامام الشعبى ..

وجه عبد الملك بن مروان الامام الشعبى الى ملك الروم . اظهارا لفضل الاسلام وعلمائه ، فاعجب به ملك الروم ، واستبقاه مدة ، ولم يكن ذلك لاحد عند ملك الروم قبله ، وذلك انه ما ساله عن شىء الا كان التوفيق حليفه ، ثم ارسل معه رسائل الى عبد الملك ومن بينها رسالة يقول فيها : عجبت لقوم يكون فيهم الشعبى ولا يملكونه وانما اراد ملك الروم بهذه العبارة ان يغرى عبد الملك بقتل الشعبى ، ولما قراها عبد الملك عرضها على الشعبى ، فقال الشعبى على البديهة : انما قال ملك الروم هذا القول لانه لم يرك ، فقال عبد الملك : حسدنى عليك فاراد قتلك .

مرآة تتكلم ..

نظر الوزير ابو بكر بن زهر الى المرآة ، فأنشد يقول :

انى نظرت الى المرآة اذ جليت — فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شيخا لست اعرفه — وكنت اعهد فيها قبل ذاك فتى
فقلت أين الذى بالأمس كان هنا — متى ترحل من هذا المكان متى ؟
فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة — ان الذى أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادى يا أخى وقد — صارت سليمى تنادى اليوم يا أبت

من القصص الخالد ..

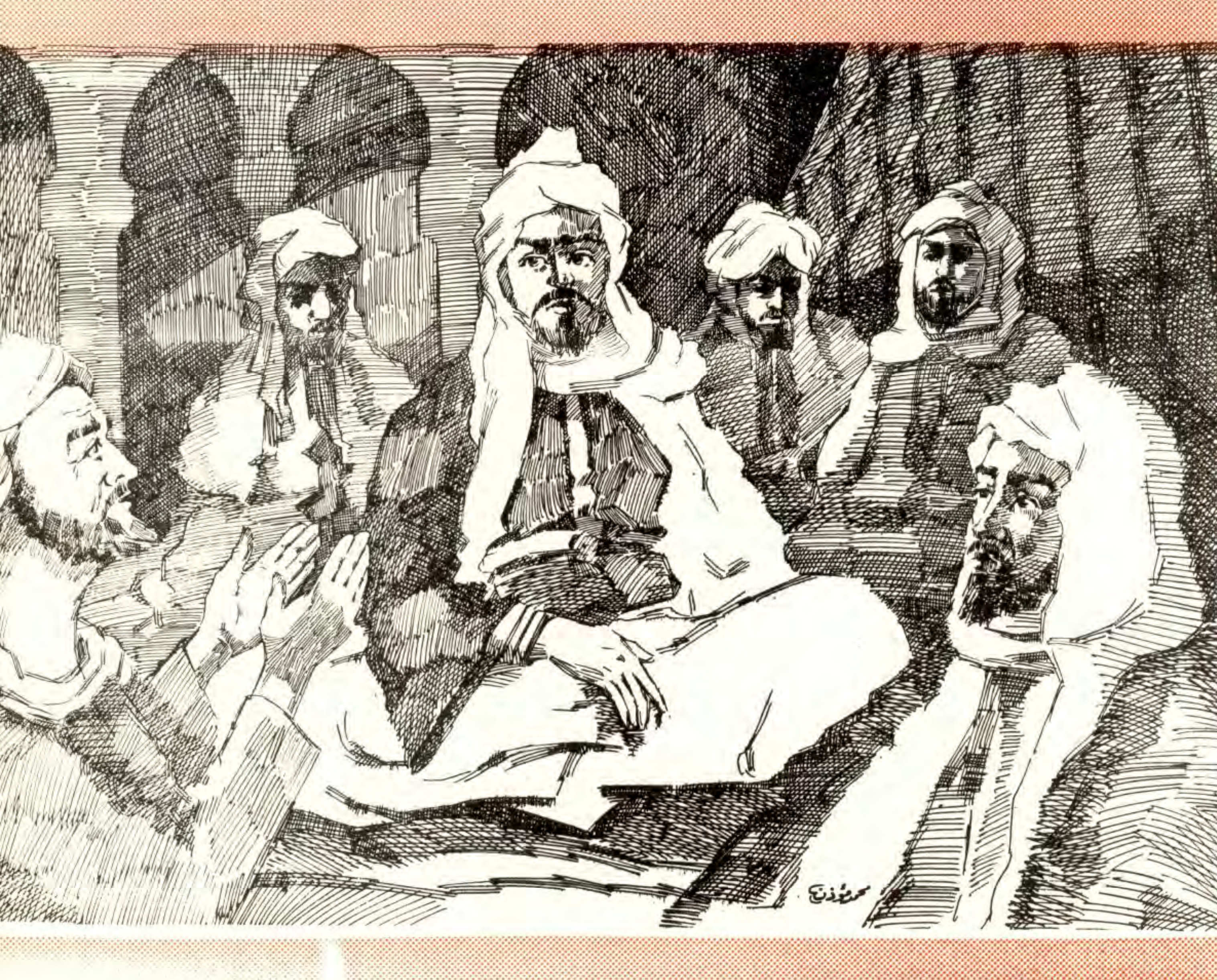
طريق النصر

للأستاذ : أحمد العناني

طال انتظار الناس للشيخ ولكنه لما يحضر .

الردهة الكبرى فى القلعة واسعة الابعاد طولا وعرضا وارتفاعا ، وبريق الاوانى المعدنية الصقيلة كأنما يغامز الوشى البديع على الطنافس المبثوثة فى كل ناحية . وكأنما هذا النشـــــاط الاخرس هو كل دلائل الحياة فى الردهة لولا الانفاس المكتومة من الرهبة والغيظ تشيع فى الصمت ما يشـــبه الانين الخافت الى حين ، كل شىء تسرى فى أعماقه هيبة السلطان المتجهم الصـــامت الا ذلك الاثاث الصقيل الفاره يتغامز بريقه من الزوايا المتقابلة .

وكان رسل الســــلطان من الشام قد انهوا سرد حكايات لهم عما يصيب الناس فى كل يوم من اذى المغول وشراهتهم للنهب وسفك الدم . وهم يودون لو استطاعوا حجب ذلك كله عن سمع السلطان ولكنه كان يســـتزيدهم ويلح عليهم ، ويحرضهم بأسئلته الملاحقة حتى اضطرهم الى سرد احداث تقشعر لها الابدان . حدثوه عما حصل من بعض فلول جيشه المتراجع عن الشـــام بعد هزيمته فى حمص .. لقد اخجلهم تعيير الناس لهم حتى خلع بعضـــهم ملابس الجنود واستعاض منها ملابس اهل الريف وعمال دمشق ، وعما اصاب المدينة



العظيمة من الرعب الرهيب ، فالنساء حاسرات الوجوه حائرات الخطى لا يدرين الى اين يذهبن ، الدموع ملء وجوههن والاطفال على اذرعهن ، تمتزج دموع بدموع ولا من ناصر ولا معين . .

والسلطان يستمع ولكنه سرعان ما يذهل عمن حوله ، وعما حوله وتعود به الذكري الى حمص حين حسب انه انتصر على عدوه الهمجي الرهيب ، وكان السلطان قليل الخبرة بأولئك البرابرة الماكرين ، وكان شابا سمحا طيب القلب ، شاء ان يوسع على جنوده حين ترامى اليه ان المغول جادون في الرحيل عن سوريا كلها ، ولكنهم سرعان ما انقضوا عليه حين فرق جنوده في البلدان فأصابوه بهزيمة منكرة ، وكادت نفسه تطاير شعاعا لهول المفاجأة لولا ان امسك رؤساء جنده بروعه ، وربطوا على قلبه ، فتراجع تراجع الهزيمة الرتيبة التى تكاد تشبه الانسحاب ، وعاد ادراجه بقلب دام الى مصر ، ومنذ تلك اللحظة ما عرف النوم الا غرارا وما كف عن اعداد وتدريب ليلا ولا نهارا ، وفي نفسه يغلى ثأر كالبركان وعلى محياه المفجوع طلائع لهب في الصدر من اجل الثأر . . ولم يعد يترك شاردة ولا واردة من حوادث الشام الا اهتم بها ووزنها وقلب النظر فيها . كأنما يضغط احقاده في الصدر ضغطا . ويجتر ذكرى المه اجترارا ،



ويهيىء ليوم فاصل تمتحن فيه الآمال ، فاما الى سعادة نصر ، أو سكون قبر .

ولما انتهى الرسل من كل جديد مما سمعوا او علموا عن افاعيل المحتلين ، وعذاب المغلوبين والنازحين ، اشار بيده اليهم ان كفاكم فلا تكرروا ، وتصاعدت منه برغمه تنهيدة شديدة ، وزمت شـــفتاه على غيظ أطل من حدقتيه احمرارا كالجمر اللاهب وصمت فما ينبس بكلمة فصمت الناس معه . .

وكان قد أثقل على الناس حتى لم يعد فى وســـعه أن يزيد ، لقد صهر قواهم وابناءهم وأقواتهم وماشيتهم فى الاعداد لمعركة الثأر ، ومع ذلك لم يجد انه بلغ الغاية من ذلك فنادى على المحتسب يســتشيره فى المزيد من المــال والعدد ، فاذا الرجل يقول له « مولاى قد كان قطز احتاج لشىء أهون من حاجتنا فأفتى له العلماء بجمع دينـــار من كل رجل بالغ ، فاجتمع له مال وفير « قال السلطان ، فكرة جليلة فيها فائدة ، فما بالنا لا نعيـدها وحاجتنا لها أعظم مما كانت حاجة قطز » قال « يا مولاى يحتاج الامر الى موافقة قاضى القضاة » قال « فأعد ما يلزم وكلفه بالموافقة وان كنت أرى هذا الرجل عنيدا فيما يراه » قال المحتسب « يا مولاى لن يكون أتقى من ابن عبد السلام وقد اقر قطز على جمع دينار من كل أسرة » قال السلطان « اذا قاضى قضاتنا ابن دقيق العيد مولع بابن عبد السلام ، فان كان ذلك فعل ، فهذا يفعل » . . ولكن الرسل ظلوا يغدون ويروحون الى ابن دقيق العيد ويعودون خالى الوفاض . . وصبر السلطان ثم لم يعجبه الحال ، وجاءه الرسل من سوريا بسوء أحوال الناس فاستشاط غضبا وراح يتوقد كجمر الغضا ، وارسل غاضبا يستدعى قاضى قضـــاته ويتصور راسه ملقى بين يديه وقد فصله عن الجســـد أن تردد صاحبه فى الموافقة . . والسلطان الغاضب صامت كالتمثال ولكنه راض بالانتظـــار والمجلس من حوله ساكن لولا هينمات خفيفة تخرج على حذر من الجلســـاء وعلى أستحياء ، ولو تسربت منها همسة واحدة لما خرجت عن اســـتنكار لابن دقيق العيد حتى لقد وصل سمع السلطان قول احدهم « الشيخ اما انه جن أو التاث عقله فيرد جاره بهمس مريب وعينين جاحظتين » والله ما أخشى الا أن المغول اشـــتروه بمالهم فيزجره صاحبه هامسا بغضب « ويحك ، اما تستحى من الله . . ما هكذا يقال عن ابن دقيق العيد . . »

ويطرق السلطان الى حين ثم يرفع راسه فما يحسب الجالســـون الا انه سيأمر بعض الجند أن يأتوه به حيا أو ميتا ، لكن السلطان مع ذلك لا يقول شيئا فى كل مرة ، ولكن يغـــالب زفرة فى لهاته ثم يقلب بصره فى أرجاء الردهة ، ويعاود الاطراق من جديد ، وما يعلم دخيلة صدره الا الله . .

وثارت حركة بطيئة خارج الردهة ، وسمعت خطى وئيدة تتحرك فى وهن على الادراج المغطاة بالسجاد الفاخر فلا يكاد يصافح الاسماع منها الا وسوسة خجلى مترددة حتى ليظن البعض انه لم يسمع شيئا على الاطلاق ، ولكن نحنحة خفيفة من لهاة رجل لا بد أن يكون شيخا مسنا كابن دقيق العيد قطعت كل شك ، ورفع السلطان رأسه ، وتحركت عن تمتمة خفيفة شفتاه وشاع فى وجهه معلم ارتياح مشوب غير مطمئن ، بينما اعتدل الكثيرون فى المجلس فى أماكنهم وبدا معنى واضح على كل وجه كأنما يصرخ منه صوت يقول « وأخيرا أخيرا .. الحمد لله » ..

ودخل الشيخ الجليل فكأنما نفضت هيبة وجهه على الردهة اجنحة ألف صقر وعقاب تعالى الله الذى يجعل من موات الاشياء أزهى حياة ، ومن الضعف كل الضعف جبروت قوة صاعقة لا تقاوم .. هذا هو قاضى القضاة ابن دقيق العيد ، رجل أبوه من سائر الناس لو ارتحل عن الدنيا ما ترك فيها لوارث نفقة أسبوع .. الجسم منه ناحل والخطو واهن راعش ، فلو تعثر بحصاة أو دافعه طفل فى مزدحم سوق لما ثبتت به على الارض قدماه الرخصتان ، ولا ساقاه الناحلتان .. لكنهما العينان وحاجباهما وما يصدر عنهما من بريق لا يشبه ومض النار ولكنه أفعل منها ، والأسارير المستريحة تحت العينين ليس فيها اثارة قلق ولا امارة جزع .. أسارير مستريحة من آثار الترقب والآمال والجزع والاطماع .. أسارير كأنما مسحت عليها الملائكة بعبير الرضا المعطار .. أسارير تخيف قطعا ولكنها هى لا تخاف لو التهبت حول صاحبها الدنيا ما أصابها من الشرر شىء ولا من الدخان ولعلها هى التى تطفىء الجمر واللهب والدخان .. لان فيها واحة أمن ورضا وسلام ..

ونهض السلطان يرد التحية ويغلب الشيخ على يده حتى يدنيه منه الى جانبه ويهيب به أن يجلس والعيون شاخصة والقلوب معلقة بعجلة الدقائق واللحظات تترقب ما يكون من حال .. ويتردد الشيخ ، ويتأبى على الجلوس ، ويغمض عينيه ويتمتم مرفوع الرأس الى السماء ، ويستخرج من جيبه منديلا كبيرا من الكتان ثم يسقطه أسقاطا على ستائر الحرير التى تغطى المرتبة التى تحته ثم يسمى ويجلس على جانب المرتبة جلسة النافر المتأثم .

قال السلطان « يا شيخ ، كفاك ما شققنا عليك بالحضور الى هذا المكان ، الا تعتدل مستريحا ؟ » ..

قال الشيخ « لا يجلس من جسمى شىء الا على قدر ما يتسع له المنديل ، فانى لاوثر لعينى العمى على رؤية الحرير ، فكيف بى أجلس عليه ، أما والله لا







ينال الحرير والذهب فى الدنيا من رجل الا حرما عليه فى الآخرة » .

تململ بعض الجالسين كأنما يهمون برد على كلام يخيل لهم شيء فى صدورهم انهم مطالبون بالثأر ممن يقوله فى مجلس سلطانهم الحبيب المهيب محمد بن قلاوون . ولكن ما حيلتهم والسلطان ما أجاب منه صوت على كلمة الشيخ سوى طرطقة فى لهاة أحست بجفاف مفاجيء وحر شديد فجفت فيها الكلمات .

قال السلطان « لا أشق عليك يا شيخنا .. لقد أحببت أن يكون رأيك فى أمر مجاهدة المغول على أعين الناس فلا أحتمل أنا وحدى تبعته ، قال الشيخ « ما ذاك يا محمد بن قلاوون ؟ » .

قال السلطان : « ما جئت بشيء من عندى ، ولا بدعة أدخلها على المسلمين وأعوذ بالله من شرور البدع ، وما أريد فى صالح المسلمين أن يضار بعملى المسلمون .. وانى لاعلم أن النصر الذى أقف له عمرى لن يكون بظلم أحد من سائر المسلمين .، ولو أردت شيئا لنفسى لاغضبنى منك ما ترى يا شيخ ، ولكان لى رأى آخر .. ولكنها حرب مع أهماج المغول ندفع بها شرة العار عن محارم الدين ، فهؤلاء رسل الشام يحدثوننا بما يحرم العين منامها عن فظائع المحتلين ، واجرام الطغمة الظالمين .. وتنهد السلطان ، ونظر فى وجه الشيخ وارتعش رعشة خفيفة عالجها بالاطراق وهو يواصل كلامه بصوت خفيض .. قد تعلم يا شيخ ان المحتسب قد أشار علينا بأن نجمع من كل بيت مسلم فى مصر دينارا واحدا وذلك يكفى لآخر ما بقى علينا من الانفاق حتى نعاود الكرة على المغول فاما ان نلقى بهم فى جحيم القصاص الحق الذى استحقوه أو أن ينيلنا ذلك الشهادة فى سبيل الله ..

قال الشيخ « قد قلت للمحتسب أن هذا غير جائز منكم » ..

واحتد ابن قلاوون وبدت على وجهه مخايل ثورة موشكة على التفجر وهو يقول « عجيب والله ما اسمع يا شيخ .. نقول لك ان أستاذك ابن عبد السلام غفر الله له قد أفتى بجمع مثل هذا الدينار فى مثل حالنا هذه فكيف تصر على الا تجيز ما أجاز الرجل ؟ وكيف فى غير هذا المقام تذكرنا كل حين بابن عبد السلام ، وما أفتى به ابن عبد السلام أخبرنا هل هو عندك الصادق المبرور أم المنافق المغرور أم ماذا ؟ » ..

وتطايرت صيحات المتبرعين بالكلام من كل مكان .. مولانا الســـلطان ، مولانا السلطان .، أنا والله دفعت ذلك الدينار .. مولانا الســـلطان دع عنك الشيخ فانه لا يغير كلاما قاله .. أما والله قد تطاول عليكم العلماء ، وقد .. »

وصرخ السلطان وكأنما يسمع استغاثة مسلمة من كيد المغول فما يطيق أن يحبس هتافا من التلبية من صميم الاعماق « كفى يا رجال » من أراد أن يخرج من هنا بسلامة فليمسك بلسانه . حذار فأنا لم أندب أحدا منكم للـــكلام .. وخفتت الاصوات وبسط الصمت رواقه من جديد ، والتقت عينا الشيخ بعينى السلطان وتكلم الشيخ أولا .. « وأنا ايضا أذكر فتوى ابن عبد السلام غفر الله له .. انه لم يصدرها الا بعد أن أحضر سائر الامراء ما عندهم من ذهب وفضة وحلى ، والا بعد أن حلف كل منهم له أنه لا يملك سوى ذلك القدر الذى أحضره ولكن ذلك لم يكف فأفتى ابن عبد الســـلام بما تقولون ، وانه لم يفت بشىء قبل ذلك . وسكت الشيخ .. وساد هذه المرة سكون طويل .

رفع محمد بن قلاوون رأســـه فاذا عيناه تغرورقان بدموع غزار ، وكان صوته عميقا مؤثرا وهو يقول « أما أنا فأشهد أن هذا الكلام حق .. وســـوف ابدأ بنفسى وبهذا الاثاث الذى ترون » .

وساد صمت قصير ولكنه مفعم فى أعماق الحاضرين بحركة صاخبة وارتفع أول صوت وأنا يا مولاى السلطان ، الآن أعود لك بكل ذهبى وفضتى ولا والله لا أدع فى دارى ملعقة عليها وشى فضة الا جئت بذلك لك .

ثم تكاثرت الاصوات حتى بلغت كامل الاجماع ..

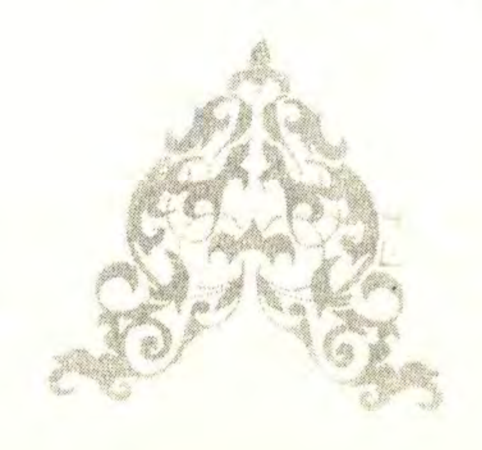
ثم ساد الصمت حين نهض الشيخ يقول « كفـــانى من خائنة الاعين فى رؤية الحرير . ولكنى قرير العين والحمد لله .. أعاننى ربى على الحق فقلته ولكنى أسجد الآن شاكرا ربى أن هون الحق الثقيل على صدر السلطان .

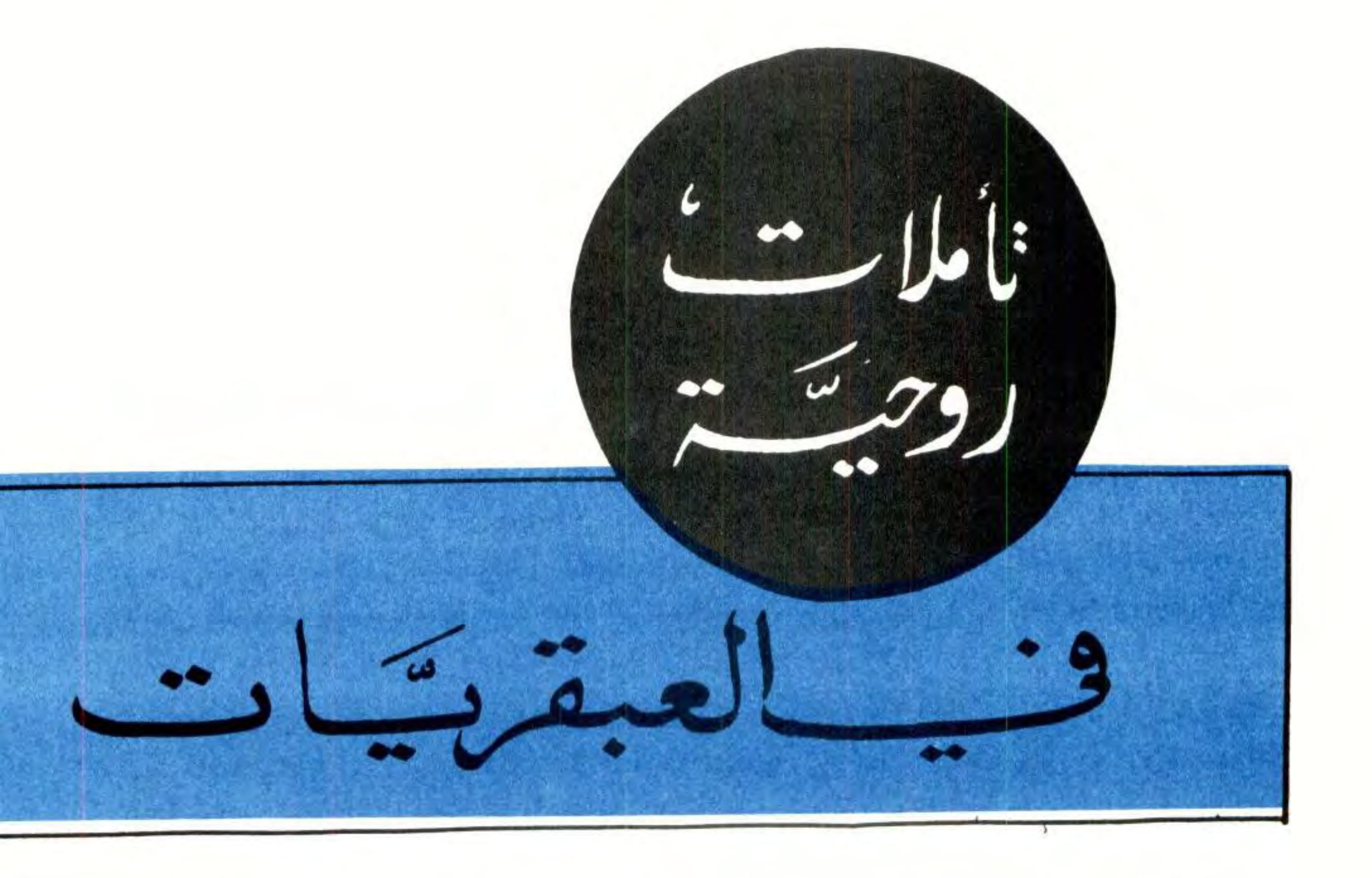
سجد الشيخ وأطال فى سجدته ، وحين خرج منها كانت دمعتان كلؤلؤتين تملآن محجريه ليس عنده من الجواهر وأشباهها سواهما ، فبذلهما وهو يتمتم « الحمد لله .. الآن طريق النصر مكشوفة ، أنت يا ابن قلاوون منتصر ان شاء الله » ..

ولقد انتصر ابن قلاوون نصره الحاسم الذى أزرى بالاساطير وصفى الى الابد أسطورة مناعة المغول .

وعاد الامن الى الذين عادوا أولا الى الله .

*** الحقائق الوجيزة لهذه القصة مروية فى تاريخ الســـلطان الناصر محمد بن قلاوون وليس للكاتب دور ، غير الاطار التصويرى وأسلوب الرواية .**





لا ينكر قارىء أو ناقد ما لـ (العبقريات) الاسلامية ، التى دبجها يراع الاديب العربى المرحوم عباس محمود العقاد ، من مكانة رفيعة فى مكتبة الأدب الاسلامى ، ومنزلة فى قلوب الشباب الواعى المثقف . عالية محمودة .

وفى (العبقريات) العقادية طاب لى أن نمضى . أنا وأخى القارىء العربى ، الى جولة روحية نتأمل فيها ما وراء شوامخ السمات ، وخوالد الذكريات الباقيات .. نستعيد بها الى المهج المشوقة عبيرا شذيا عاطرا ، تسبغ نسائمه الرقاق على الافئدة سكينة وطمأنينة ما أحوج فؤاد الشباب المؤمن اليهما ، يبعثان فيه الاحساس بالراحة والسمو . ويقويان له من خيوط التفاؤل بالمستقبل ، والآمال الوثيقة فى غد أفضل ..

« عبقرية محمد »

محاولة من العقاد باسلة ومشكورة أن يتصدى لرسم صورة جديدة فى حبات عقد السيرة النبوية .. فهو يكتب عن أشرف المرسلين وخاتم النبيين (محمد) كشخصية عبقرية فى تاريخ الانسانية كلها بعامة .. (فهو خلاصة الكفاية العربية ، فى خير ما تكون عليه الكفاية العربية) وهو . (على صلة بالدنيا التى أحاطت بقومه .. فلا هو يجهلها فيغفل عنها ، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق فى لجتها) وأنه أيضا . (أصلح رجل ، من أصلح بيت ، فى أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة على غير علم من الدنيا التى ترقبها .. ذلك محمد بن عبد الله عليه السلام) .

وفى (عبقرية محمد) تبرز بوضوح . خاصية القوة المعنوية ووزنها ذى الاهمية الفعالة فى ترجيح كفة الفوز والغلبة عند النزال .. ولقد وفق العقاد فى لقطاته الفنية من زوايا جديدة لعبقرية نبينا العظيم كرائد فى فنون السياسة والقيادة الحربية والاقناع الفكرى ، مع الكياسة واعطاء المثل الرائعة لماهية العظمة الشخصية فى الانسان . ذلك فضلا على اختصاصه بأرقى درجات

للاستاذ
محمد الحضري عبد الحميد

الإسلامية

النبوة . وفى كلماته عن ابراز فاعلية الروح المعنوية العالية بين صحب محمد وجنده واتباعه ، يقول العقاد مقارنا : (.. وكان نابليون يقول ان نسبة القوة المعنوية الى الكثرة العددية كنسبة ثلاثة الى واحد ، والنبى عليه السلام كان عظيم الاعتماد على هذه القوة المعنوية التى هى فى الحقيقة قوة الايمان . وربما بلغت نسبة هذه القوة الى الكثرة العددية كنسبة خمسة الى واحد فى بعض المعارك ، مع رجحان الفئة الكثيرة فى السلاح والركاب الى جانب رجحانهم فى عدد الجنود . ومعجزة الايمان هنا أعظم جداً من أكبر مزية بلغها نابليون بفضل ما أودع نفوس رجاله من صبر وعزيمة . فالنبى عليه السلام كان يحارب عربا بعرب ، وقرشيين بقرشيين ، وقبائل من السلالة العربية بقبائل من صميم تلك السلالة . فلا يقال هنا ان الفضل لقوم على قوم فى المزايا الجسدية أو المزايا النفسية كما يمكن أن يقال هذا فى جيش نابليون ، وكل فضل هنا فهو فضل العقيدة والايمان) .

اجل . فبالايمان الحق ، المنزه عن كل هوى ، انتصر (محمد) القائد ومحمد الزعيم ، ومحمد النبى ، ومحمد الانسان .

وعن انسانية (محمد) صلوات الله وسلامه عليه . ما أكثر ما فى سيرته الوضيئة الزاكية من فارهات الدعائم لدستور خالد للانسانية جمعاء ..
وبانسانيته ومنهاج رسالته النبيلة حرر الانسان العربى من مستوى مروع فى التخلف ، فرفعه الى مرتبة كريمة تليق به كانسان .. حرر المراة العربية التى كانت سبة ذليلة مهانة فى الجاهلية ، فاذا هى بعد الاسلام (عضو عامل) واذا هى انسانة كاملة الاعتبارات مكتملة الحقوق تتسلم مرفوعة الراس درجتها الرفيعة الجديدة ، التى لم ترق اليها قبل الاسلام ، وما كانت — قط — لترقى اليها فى ظلام الجاهلية . ومن ثم فان الاسلام جاء للمراة العربية وللمراة فى كل مكان بعهدها الذهبى ، الذى لم تشهد مثله فى اى عهد ولا فى اى عصر ، حتى ولا (عصر الفروسية) الذى تغنى به الاوروبيون ، زاعمين انه كان عصر رفعة للمراة . وفى مقارنة أخرى . يقول العقاد معددا فضل الاسلام ونبى الاسلام ،

ومقارنا عصره بالعصر المزعوم انه كان ذهبيا بالنسبة الى المراة . وعن المراة فى تينك الحقبتين يقول : (وكانت ــ يقصد المرأة ــ وصـــمة تدفن فى مهدها فرارا من عار وجودها ، أو عبئا تدفن فى مهدها فرارا من نفقة طعـــامها .. فأصبحت انســــانا مرعى الحياة ينال العقاب من ينالها بمكروه . ولم تــكن فى البلاد الاخرى بأسعد حظا منها فى البـــلاد العربية . فلا تذكر شرائع الرومان واستعبادها النساء ، ولا تذكر المتنطسين فى صدر المسيحية وتسجيلهم عليها النخاسة وتجريدهم اياها من الروح . وكفى أن نذكر عصر الفروسية الذى قيل فيه إنه عصر المرأة الذهبى بين الأمم الاوروبية ، وأن الفرســــان كانوا يفدون النساء بالدم والمال . فهذا العصر كما قال الدارسون له . عصر الحصان قبل أن يكون عصر المرأة أو عصر (السيدة المفداة) ، وقد أجمله (جون لانجدون دافيز) صاحب (التاريخ الموجز للنساء) فقال : (ان عصر الفروســـية كان معروفا بما لحظ فيه من فقدان الشبان على الجملة الاهتمام بالجنس الآخر . ولعلنا نقلل من الدهشة لذلك لو اننا وعينا كلمة الفروسية ، وذكرنا انها لم تكن ذات شــــأن بالســـــيدات كما كانت ذات شأن بالخيل ، على خلاف ما يروق الــكثيرين أن يذكروه) . ويأتينا العقاد بمثال .. : « .. ففى سنة ١٧٩٠ بيعت امرأة فى أسواق انجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشــــــتها على الكنيسة التى كانت تأويها ..

وبقيت المرأة الى سنة ١٨٨٢ محرومة حقها الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة » .

وانسانية نبينا محمد) عليه الصلاة والسلام ذخر نفيس مضيء يمد البشرية فى كل أطوارها بطاقات هائلة الدفع ، من بواعث السمو والرفعة الى المستوى الأرفع الأرقى ، الذى به يسود الانسان السوى ويســــود معه الخير والامن والسلام ، كان صلى الله عليه وســــلم أرق الناس حاشية ، وأكثرهم حنانا ، شفوقا بالصــــغير قبل الكبير ، حفيا بالضعيف قبل القوى . قالت عائشة رضى الله عنها : (كان ألين الناس بســـاما ضحاكا) . وفى رقته المتناهية ، وبره ولطفه اللذين لا حدود لهما . تكفى مأثورة واحدة كمثال يســــتخلص منه عظمة (محمد) وتفرده بالانسانية الكاملة المثلى ، وباستحقاقه لوصف اللطيف الخبير له عندما قال ــ جل جلاله ــ فيه (وانك لعلى خلق عظيم) .. (دخل الحسن ابن فاطمة على النبى صلى الله عليه وســــلم وهو يصلى ، فركب ظهره وهو ساجد فى صلاته .. وأطال النبى السجدة حتى يتيح للصبى أن ينزل عن ظهره على مهل ، وسأله بعض أصحابه . لقد أطلت سجودك ؟ . فقال : (ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله) .

« عبقرية الصديق »

للعقاد نهج حكيم فى تصنيف العبقريات ، ولعل هذا النهج الطيب هو الذى أضفى على عمله الادبى الكبير ذاك مسوغات البقاء .. فمذهبه فى توقير العظمة ليس هو التعصب ، ولا هو التبرير ، وانما : (مذهبنا فى توقير العظمة ، مع التفرقة بين التوقير المحمود والتجميل المصطنع الذى يعيب المصــــور ويضل

الناظر الى الصورة . فليس لنا أن نثبت جمالا غير ثابت . ولكن لنا — بل علينا — متى اثبتنا الجمال فى مكانه . . أن نرفع الصورة الى مقام التوقير) .

وابو بكر الصديق رضى الله عنه ذو صورة مشرقة رائعة البهاء فى تاريخ الاسلام وسجل الزمان . . فهو السباق الى الاسلام ، وهو ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، وهو اول أمير للحج بعث به النبى وهو بالمدينة — وكان ذلك سنة تسع من الهجرة — امتاز بالخلق القويم ، خلق العربى الأصيل ، الذى اذا آمن وثق . بذل الروح مرتخصة فى سبيل الحفاظ على قدسية عقيدته . عرف بحدة فى طبعه كانت تبرز أحيانا ويعيبها البعض عليه ؛ ولا ينكرها ، قال يصف نفسه معترفا بهـذه الحدة ، فى خطبة من أوائل خطبه بعد مبايعته : (اعلموا أن لى شيطانا يعترينى . . فاذا رأيتمونى غضبت ، فاجتنبونى) ، سئل عنه ابن عباس فقال : (كان خيرا كله على حدة فيه) . ولـكن تلك الحدة خلة حميدة فى رأى العقاد الذى يومىء اليها بقوله انها تنم عن سرعة التأثر فيه ، وانهـا : (من خلائق هـذا المزاج . . التى يغـالبها من يحرصون على وقارهم ومروءتهم أن يستـهدفا الحدة أو يندفعا فى عمل غير حميد الا أن يمس الرجل فيما هو من أخص الخصائص التى يقوم عليها مزاجه وتستـقيم عليها عاداته وسماته ، فعندئذ تعسر المغـالبة وتبرز الحـدة من مكمنها ، وهى على حق اذن فى بروزها) .

والصديق اشتهر بالصدق فى الجاهلية والاسلام جميعا ، فكان (ضامن) قريش المقبول الضمان : (لا يعد أحدا الا وفى وصدق الدائن والمدين . ووكلت اليه الديات والمغارم . . فلم يحمل شيئا منها الا اطمأن النـاس ، فان احتملها احد غيره خذلوه ولم يصدقوه) . كان متواضعا ودودا يكره الزهو والخيلاء ، يعنف ابنته — عائشة — اشد تعنيف اذا ما لاح عليهـا أقل ازدهاء ، مما تميل اليه عادة بعض النساء ، من توسـل الى بعض الزينة ، او ادنى اهتمام بمتاع دنيوى من ملبس أو شىء من المزاح فى أوقات الصفاء . وكان عميق الايمان ، كثير التفكير ، طويل الهم والشجن الى حد البكاء المسـترسل الصـامت فى خلواته . قالت عائشـة عنه إنه (غزير الدمعة ، وقيذ الجوانح — أى محزون القلب — شجى النشـيج) ، وانه للتفهم الحق للدين القيم الحنيف ، والرغبة الصادقة فى التماس مغفرة الرحمن ورضـاه ، لا تفتأ توحى اليه فى الخلوة أن البون شاسع والشوط طويل ، فيبكى ليبكت النفس المؤمنة يسـتحثها الى قمة الكمال ، باعثا فيها كل هواجع الطاقات ، تواقا الى التصـعد الى ذرى الآمال الكبار . آمن بالنبى فصدقه بعدها فى كل ما قال : (انى اشهد أنه رسـول الله ، فلم لا أتبعه فيما ارتضاه) ؟ . عرف بأنه « أول أمين سر » لا يفشى قط ما يسر اليه ، رضى أن يغضب منه صفية وصاحبه عمر بن الخطاب عندما عرض عليه ابنته حفصة فلم يجبه بشىء ، الى أن خطبها الرسـول ، عندئذ أوضح الصديق موقفه لعمر فقال : « لم يمنعنى أن أرجع اليك فيما عرضت على الا اننى كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم اكن لأفشى سر رسول الله ، ولو تركها رسول الله قبلتها) .

وهنا يعقب العقاد : (. . فهو فى هذا الكتمان قد جرى على خير سـنة يجرى عليها أمناء الاسرار . اشفق أن يذيع سر الرسول عليه الصلاة والسلام فيبدو له فى العزوف ، فتكون فى ذلك ملامة ، فآثر هو أن يلام على أن يعرض

صاحبه لملام) . ومع ذاك الصمت والكتمان ، وذاك الميل الى النزر اليسير في الـــكلام .. كانت للصديق طلاقة خبيرة بكياسة القـــول ، وفن اللفظ ، ورقة العبارة الذكية الصياغة) .. سأل رجلا يحمل ثوبا : « أتبيعه » ؟ أجاب : (لا عفاك الله) فقال هو : (هلا قلت . لا ، وعفاك الله) ؟ . وعندما نودى يوما في حديث ما : (يا خليفة الله) أنكر اللفظ ورد على الفور غاضبا : (انما أنا خليفة رسول الله) . ورجل له كل هاته الزكانة واللماحة وحب الآداب الرفيعة ، اذ كان يروى الشعر ويحفظ الأمثال ويراجع النبى فى الآيات ، حقيق بأن يصـــدر عنه ما صدر فى معرض النصح ليزيد بن أبى ســـــفيان : (اذا وعظت الناس فأوجز .. فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا) ، ولا عجب اذا كان هو ــ اذن ــ القائل لخالد بن الوليد (أقل من الـــكلام ، فانما لك ما وعى عنك) و : (ان البلاء موكل بالمنطق) .

فليس بعجيب أن يبلغ الصـــــديق الذى كان خلقاه الغالبان : (الكياسة والصدق) ، هذه المنزلة الرفيعة فى مشرق الاسلام ، وليس بمستغرب ــ اذن ــ أن يجيب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عندما يسأل : (يا رسول الله .. أى الناس أحب اليك) ؟ فيقول : (عائشة) .. قالوا : (انما نعنى من الرجال) .. قال « أبوها » .

« عبقرية عمر »

هو (الفاروق) ، الذى فرق بين الحق والباطل لا يختلطان ولو فصـــــلت بينهما شــــــعرة .. ولا غرابة فان (عمر بن الخطاب) كان قويا قوة ذهبت فى الخلود مثلا على نصرة الحق وتطبيق العدل ونشر الأمن واقرار السلم .. فهى قوة فى الخلق والايمان ، وهى قوة فى العزيمة وفى الاضطلاع بجسام المهام .. واشتهر بحدة الفراسة التى هى لا ريب بنت شفافية البصيرة ونقاء الدخيلة . حتى أنه : (كان يميز بين طعم لبن الناقة ، ولبن ناقة أخرى) . كان مهابا كل المهابة ، لدرجة أن النبى العظيم (محمد) كان يوليه احتراما خاصا ، اقرارا منه ــ صلوات الله عليه ــ بما لـــ (عمر) من حق فى أن تصـــــان له مهـــابته لا ينتقص منها . روت السيدة عائشة أنها طبخت حريرة ، ودعت سودة أن تأكل منها فأبت ، فعزمت عليها لتأكلن أو لتلطخن وجهها ، فلم تأكل . فوضعت يدها فى الحريرة ولطختها بها ، والنبى حاضر يضحك فى لطفه المأثور وتجـــــاوزه الكريم واقراره أن لكل وقت دواعيه .. لـــكنه ــ حتى فى مزاح آل بيته ــ لا ينسى البتة ــ دواعى العدالة أيضا ، فيضع الحريرة فى يد سودة ويقول لها : (لطخى انت وجهها) ، أى . واحدة بواحدة ، لا تفضيل ولا غبن .. ففعلت ، وهنا مر (عمر) فنـــــاداه النبى . يا عبد الله .. ثم انثنى يقول لهما : (قوما فاغســـلا وجهيكما) . وتقول عائشة : « فما زلت أهاب عمر لهيبة رســــــول الله اياه » .

وعمر هو العادل الفريد فى عدله ، هو أبو العدل .. « ورث القضاء من قبيلته وآبائه ، فهو من أنبه بيوت بنى عدى الذين تولوا الســـفارة والتحكيم . وكان ابوه الخطاب ، وجده نفيل ، من اهل الشدة والبأس ، وكان عادلا لأن آله

من بنى عدى قد ذاقوا طعم الظلم من أقربائهم بنى عبد شمس ، وكانوا أشداء فى الحرب يسمونهم (لعقة الدم) فاستقر فيهم بغض القوى المظلوم للظلم وحبه للعدل » . وقوته فى الحق وشدة بأسه فى القصاص ترقى الى مرتبة سامية رائدة ، فهو لم يكن يستثنى — على الاطلاق — أحدا من أحكام موازين عدله ، ولا حتى نفسه .

(مر عمر فى سوق المدينة فرأى اياسا بن سلمة معترضا فى طريق ضيق ، فخفقه بالدرة وقال له . امط عن الطريق يا ابن سلمة . ثم دار الحول ولقيه فى السوق فسأله . أردت الحج هذا العام ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فأخذ بيده حتى دخل البيت وأعطاه ستمائة درهم وقال له . يا ابن سلمة ، استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التى خفقتك بها عام أول !

قال اياس : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها . فأجابه عمر . أنا والله ما نسيتها) .

وعمر ليس بالجاف القاسى فى شدته ، كما يتبادر الى أذهان البعض . فما أكثر ما كان ينزل على حكم الظرف ايثارا لعاطفة انسانية ، أو لاقتضاء واجب ، أو لتيسير . وانه هو الذى كان ينهى عن الندب والعويل ، ينزل عن هذا النهى فى موقف حقيق بالاستثناء . . فانه لما مات خالد بن الوليد واجتمعت بنات عمه يبكينه وسئل عمر أن ينهاهن ، لم يفعل ، ولكن قال : (دعهن يبكين على أبى سليمان ، ما لم يكن نقع أو لقلقة ، على مثله تبكى البواكى) .

وهب (عمر) للعدل وللحق كل امكاناته وطاقاته . لم يكن ليتهاون قط فى احقاق الحق ، ضاربا صفحا عن أى اعتبار آخر . فالوالى عنده ليس الا (مجرد شخص كبقية الأشخاص ، معرض للقصاص من أجل أدنى جور على أقل (مواطن) . وليس ذلك فحسب ، بل انه : (قد يأخذ الوالى أحيانا بوزر ولده أو ذوى قرابته ، اذا وقع فى نفسه أنهم يستطيلون على الناس بسلطان الولاية ولا ينهاهم الوالى المسئول عنها) . وكان أبو قحافة — والد أبى بكر الصديق — يعيش حتى قبض ابنه العظيم ، فقال : (رزء جلل . رزء جلل . ثم سأل : (من ولى الامر بعده) ؟ قالوا : (عمر) قال : (صاحبه) . أى — فى ايجاز بليغ كاف — صنوه ، ومثيله ، وقرينه فى عبقرية الكفاءة والجدارة .

« عبقرية الامام »

على بن أبى طالب ، أول هاشمى من أبوين هاشميين . اختارت له أمه اسم (حيدرة) باسم أبيها (أسد) — علم على عبقرية الرجال الخلص الرواد ذوى الذكر الوضىء الساطع فى جبين الانسانية والتاريخ جميعا . وفى الاسلام بخاصة ، فهو . فارس الاسلام . والعقاد يرى أن (مفتاح شخصيته) هو فى كلمتين : (آداب الفروسية) . كابد الانشقاق وعاصر القلاقل . ونجح فى أكثر المواقف فى رأب الصدع وجمع الشمل .

رمز العفة والنخوة . شهما دائما فى السلم والحرب معا . كان يتورع عن البغى ، مع قوته البالغة وشجاعته النادرة ، كان يقول لابنه الحسن : (لا تدعون الى مبارزة . فان دعيت اليها فأجب . فان الداعى اليها باغ . والباغى مصروع) . ومن تمسكه بآداب الفروسية العربية انه : (علم أن جنود الخوارج يفارقون عسكره ليحاربوه . وقيل له . انهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك . فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلونى . . وسيفعلون) . .

ومن مروءته أنه أبى على جنده وهم ناقمون أن يقتلوا مدبرا . أو يجهزوا على جريح . أو يكشفوا سترا ، أو يأخذوا مالا . بل لقد (صلى فى وقعة الجمل على القتلى من أصحابه ومن أعدائه على السواء) . وحدث أن (حال جند معاوية بينه وبين الماء فى معركة صفين وهم يقولون له : ولا قطرة حتى تموت عطشا . . فلما حمل عليهم وأجلاهم عنه . سوغ لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده) . ومن سمات خلقه العربى الكريم أنه فى أعقاب احدى المعارك . وكان عهده رضى الله عنه زاخرا بالفتن والاثارات والمناوشات اتفق له أن كان يزور السيدة عائشة . . فتصدت له امرأة هى (صفية أم طلحة الطلحات) فصاحت فى وجهه وهو يدخل : أيتم الله منك أولادك ، كما أيتمت أولادى . فلم يرد عليها شيئا . ثم خرج فأعادت عليه ما استقبلته به فسكت ولم يرد عليها . قال رجل أغضبه مقالها . يا أمير المؤمنين . أتسكت عن هذه المرأة وهى تقول ما تسمع ؟ . فانتهره وهو يجيب . ويحك . . انا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات . . أفلا نكف عنهن وهن مسلمات) ؟.

وبقدر رفعة منزلته فى مقام الفروسية العربية وآدابها . وبخاصة فى أوقات الحرب . . كان أمام أهل العلم والقراءة . فهو : (أحق من يتكلم بتفقيه أو تفسير) . وهنا تتجلى خواص عبقريته كعربى رائد فى فقه الدين والتراث العربى ، وكرائد عربى فى فنون السياسة وآداب النخوة العربية على صعيديه السلم والحرب معا . كذلك على قدر ما كان عمر بن الخطاب حجة فى القضاء والتشريع والنظرة المنبثقة من مقتضيات العدالة وروحها . . فانه كان كلما استعظم مسألة من مسائل القضاء العويصة يقر فى سماحة الكبار الاصلاء . أن : لا كفاء لها الا (أبا الحسن) — يعنى الامام — لأن الامام . (كان يتجاوز التفسير الى التشريع كلما وجب الاجتهاد بالرأى الصائب والقياس الصحيح) . يؤثر عنه أنه كان أفقه الناس فى علم الوراثة ومعضلات المواريث . فقد (جاءت اليه امرأة وشكت اليه أن أخاها مات عن ستمائة دينار ولم يقسم لها من ميراثه غير دينار واحد ، فقال لها : لعله ترك زوجة وابنتين وأما واثنى عشر أخا وأنت ؟ . . فكان كما قال) !

ذلكم هو على الامام الفارس القائد . والفقيه والأديب . . الرائد العلم فى كل فن من هذه الفنون .

وبعد . . ؟

فما سر . العبقرية ؟ . بل ما سر هذه العبقريات الفرائد الخالدات ؟

ما سر تلك العظمة الشامخة فى البطولات ، ووفرة الحظ فى قوة الشحنات الروحية والمقومات السامية التى حفلت بها سير هذه الشخصيات ؟ . وهل تخضع العبقريات وذووها لشيء من مقاييس أو موازين ؟ . . اسئلة تطوف بالذهن وهو يقف مبهورا أمام صروح شواهق تخلب الالباب وتطل عليه من عليين تتقحم من فوق القمم السامقات ما بين يديه من أدوات الوزن أو القياس . . وفى هذا لسنا نرى ، التزاما بوقفة (التأملات) الروحية ، فى روضة العقاد العربية ، الا أن نستعرض حكما سليما ورأيا صائبا قال به مصنف (العبقريات) . المتفنى ــ عن ايمان واقتناع ــ بصانعى كل هاتيك الامجاد

« البطولة ومقاييس الحكم عليها »

يرى العقاد ــ فى كتابه (عبقرية الصديق) أن الخطأ أن تحوج البطولة الى الدخول فى المعمل لتثبت لك قدرها ، وتثبت لك حقها فى الاعجاب ، وحقها فى العمل ، وحقها فى تحويل تاريخ الانسان ، ثم تثبت لك قدرتها عليه . .

ليس المعمل محل هذا . محل هذا نفس الانسان .

وساءت الدنيا ان كانت نفس الانسان لا تغنيه فى تقويم النفوس ، ولاسيما أعظم النفوس . . افلا يروعنى البطل الا من خلال الأنابيق والأنابيب ؟ . . افلا تملكنى نخوة الاعجاب الا بوثيقة من ايساغوجى ؟ . أفيروقنى الطائر المنطلق فأعلم لم يروقنى ، ويتراءى لى الروح العظيم فأقول : مكانك حتى أرجع الى مائدة التشريح ، والى قارورة الكيمياء ؟ . . ويستطرد العقاد فى حديثه هذا حول عجز وقصور أية (أداة قياس ، أو وزن) عن ادراك كنه النفوس العظيمة . قائلا عن أولئك المشرحين المحللين حاملى المناهج رافعى الانابيب والمساطر . أولئك الذين يظهرون بعد أن تكون العظمة النفسية قد ظهرت قبلهم ، وسطعت ونشرت أنوارها قبل مجيئهم ، يقول عن أولئك الوزانين القياسين .

(ليظهروا (على مهلهم) . ولتأخذ العظمة الروحية حقها من الاعجاب قبل اذنهم . . فلا مناقضة للعلم ولا للمنطق فى ذلك . انما المناقضة أن تعلق دوافع النفوس وبواعث النظرة على شيء لا تتعلق به ولا تتوقف عليه ، وأن نخطىء الواقع ، ثم نخطىء الواقع الصالح ، ولا سند لنا أوثق من الواقع على كل حال ، ولا شفاعة عندنا أكرم من شفاعة الواقع الصالح فى كل مآل) . ورحم الله العقاد وعوضنا عنه بالكثيرين من أمثاله ، النافعين لدينهم ووطنهم وللأجيال من بعدهم .





يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها ..

المطلقة قبل الدخول

السؤال :

رجل عقد على امرأة ولم يدخل بها وبعد أسبوع طلقها . فهل لها عدة وتستحق مهرا ؟

(م. م. ف)

الاجابة :

المقرر شرعا أن الرجل اذا تزوج بامرأة ثم طلقها قبل الدخول بها تطلق منه طلقة بائنة بينونة صغرى ولا عدة لها ، لأن العدة شرعت لتعرف براءة الرحم .

أما بالنسبة للمهر فان الطلاق قبل الدخول يجعل لها الحق فى نصف المهر فقط . قال تعالى : « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » .

فالمرأة المطلقة قبل الدخول لا عدة لها ولها نصف ما سمى من مهر عاجله وآجله .

ولاية المرتد

السؤال :

شخص ارتد عن الاسلام وتريد ابنته الزواج .
فهل له الولاية عليها ــ وما حكم زوجته ، هل تطلق منه ؟

(ع. ك)

الاجابة :

أولا : بالنسبة لولاية المرتد على ابنته التى تريد الزواج ــ فالولاية شرعا سلطة تجعل لصاحبها حق التصرف فى شئون غيره ــ ويشترط فى ولى الزواج أن يكون قريبا وارثا للمولى عليه اذا مات ، وأن تكون أهليته كاملة ، وأن يكون مسلما فى حالة ما اذا كان المولى عليه مسلما لأن الولاية تبنى على الارث ولا ميراث مع اختلاف الدين . والمرتد عن الاسلام لا يرث من بنته فهو محروم من الارث ــ ومن ثم فلا تكون له ولاية على ابنته المسلمة .

ثانيا : بالنسبة لزوجته فانه يجب التفريق بينهما ــ لأن الرجال قوامون على النساء ولا يجوز شرعا أن يكون لغير المسلم قوامة على المسلم .

فى الزكاة

السؤال :

يوجد لدى أموال لأولاد خالى امانة طرفى ــ ولا اعرف عنوان اقامتهم الآن فهل يحق لى أن أخرج زكاة هذه الاموال ؟
(علوى محمد عبد الله ــ من الجنوب)

الاجابة :

الزكاة ركن من أركان الاسلام وتجب فى المال اذا بلغ نصابا وحال عليه الحول ، ويشترط لاخراج الزكاة الملك التام لمخرجها بحيث يكون صاحب التصرف فيها ، وبحيث لا يتعلق بهذه الاموال حق للغير .

وبما أن السائل وان كانت الاموال تحت يده ، الا أنه لا يملكها بل هى ملك أولاد خاله أمانة طرفه ، ومن ثم فلا يجوز له شرعا أن يخرج الزكاة بل يجب عليه المحافظة عليها حتى يحضر أولاد خاله أو يعرف مكان وجودهم فيسلم الاموال اليهم أو يرسلها لهم ، ولا يصح له بأى حال من الاحوال التصرف فيها .

فلا يحق للسائل أن يخرج زكاة الاموال المودعة عنده بصفة أمانة وانما المطالب باخراج الزكاة هم أصحابها وذلك اذا استوفت شروط الوجوب .

فى الميراث

السؤال :

توفيت امرأة عن ولديها فقط ثم توفى احد الولدين بعدها عن اخيه لأمه واخوته لأبيه وهم ولدان وبنت .
فما نصيب كل وارث ؟
هاشم على ــ بالكويت

الاجابة :

بوفاة امرأة عن ولديها فقط تقسم تركتها بينهما مناصفة اذا كانا من الذكور ، أما اذا كانا ذكرا وأنثى فتقسم للذكر ضعف الانثى ــ وبوفاة أحد ولديها عن أخيه لأمه واخوته لأبيه يكون لاخيه لامه السدس فرضا والباقى للاخوة لأب للذكر ضعف الانثى .



باشراف : الشيخ رضوان البيلى

رسالة من استراليا :

اننا شباب مسلمون نعيش فى بلد غير اسلامية .. فى استراليا .. وقد اطلعت على قرآن مترجم الى اللغة الالمانية على يد شيخ باكستانى ، فهل يجوز ترجمة القرآن الكريم الى لغة غير اللغة العربية .

وامر آخر نريد أن نستبين وجه الحقيقة فيه ، وهو اننا نعرف أن المسلم يجوز له أن يتزوج مسيحية أو يهودية أو امراة من اى ديانة أخرى . فهل تحرم هذه الآية الكريمة : « **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم** » ، هذا النوع من الزواج أم لا وما المراد بالمشركة فى الآية .

كما نرجو أن ترشدونا الى تفسير للقرآن الكريم سهل المعانى ، وكيف يمكن الحصول عليه كى يصلنا فى استراليا .

عن الشباب المسلم : **خليل عرفات، رابى**
سدنى — استراليا

ترجمة القرآن :

ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية ليفهمه من لا يعرف العربية ، ومن لا يحسنها جائزة شرعا وذلك بأن تكتب الآية أو الآيات باللغة العربية مستقلة منفصلة عن الترجمة ، ثم يذكر بعد ذلك ترجمة لمعانى الآية أو الآيات .

وترجمة معانى القرآن على هذا النحو واجبة على المسلمين فى كل عصر ، وهى فى هذا العصر أشد وجوبا لأن فيها قياما بواجب التبليغ الذى أوجبه الله على المسلمين ، وكشفا لجمال القرآن ومقاصده لمن لا يعرف العربية ، ودحضا للمفتريات وتفنيد الشبهات التى ألصقها أعداء الاسلام بكتاب الله .

أما ترجمة القرآن ترجمة حرفية بمعنى أن يعمد المترجم الى الكلمة فى الآية فيضع مكانها لفظا مرادفا لها فى اللغة الاجنبية مع المحافظة على أن تكون الترجمة مساوية ومشابهة للأصل العربى فى النظم والترتيب .. هذه الترجمة غير ممكنة وغير جائزة شرعا .

اما انها غير ممكنة فلأن الترجمة الحرفية بهذا المعنى تستلزم وجود مفردات فى لغة الترجمة مساوية تمام المساواة لمفردات القرآن فى العربية ، وتستلزم تشابه اللغتين فى وجوه البلاغة وأساليب البيان ، ولا يمكن أن تتحقق هذه المساواة تماما ولا أن يوجد هذا التشابه بدقة بين لغتين من اللغات .

وهذه الترجمة غير جائزة شرعا لأنها غير ممكنة وما دامت غير ممكنة فمحاولتها ضرب من العبث فضلا عن أن محاولة ايجاد ترجمة حرفية للقرآن ادعاء بوجود مثل للقرآن وهذا تكذيب صريح للآية الكريمة **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** ، ولأن وجود ترجمة بهذا المعنى يعرض الاصل العربى للضياع كما ضاع الاصل العبرى للتوراة والانجيل ، ولو لم تحظر هذه الترجمة الحرفية لوجدت ترجمات كثيرة ، وهذه الترجمات ستكون بلا شك مختلفة اختلافا كثيرا وهذا الاختلاف يؤدى الى تنازع المسلمين واختلافهم كما حدث فى اختلاف اليهود والنصارى على أناجيلهم وتوراتهم .

لهذا كله ولأسباب كثيرة لا يتسع هذا الباب لذكرها كانت ترجمة القرآن ترجمة حرفية حراما شرعا ، أما ترجمة معانيه ، أو تفسيره باللغات الاجنبية فأمر واجب على المسلمين . وعلى السيد صاحب الرسالة أن يحكم على ترجمة الشيخ الباكستانى للقرآن الكريم بأحد هذين الحكمين .

تزوج غير المسلمة :

للمسلم ان يتزوج من المراة المسيحية أو اليهودية مع بقائها على دينها لان الاسلام عامل أهل الكتاب معاملة خاصة اذ انهم أصحاب دين سماوى وان حرفوا وبدلوا . قال تعالى : **(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان)** .

ولا يجوز للمسلم أن يتزوج المشركة وهى التى تعبد الاوثان ومثلها الملحدة التى لا تؤمن بدين . قال تعالى : **(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)** .

وبقى أن نذكر بأن المسلمه خير من الكتابية والمشركة ومن أصدق من الله قيلا **« ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »** .

واما التفسير البسيط المناسب فانى انصحك بالحصول على نسخة من منتخب التفسير الذى وضعته حديثا لجنة من العلماء المعاصرين ويمكن طلبه دون مقابل من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ميدان التحرير شارع الامير قدادار رقم ٣ .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

المسلم المعاصر :

تلقينا من السيد هادى السيد هجر من الناصرية بالعراق كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

ينظر المسلم بفكره المدرك الى الصراع الدائر على مسرح الحياة بين الحق والباطل والشر والخير ينظر الى هذه المفارقات التى لا تبارح واقعه لحظة واحدة ، فتختلجه بين الفينة والاخرى خلجات نفسية ومشاعر ايمانية نابضة بالحيوية يود أن ينفس عنها ويطلق عنانها لازاحة هذا الكابوس الخانق المعتم المتلبد بسحب الشر والرذيلة .

وسؤالى هل تبقى هذه الافكار الاسلامية والمشاعر الخيرة المغمورة بالايمان رهينة صدره وسجينة وجدانه ؟ أو لا بد أن يسلك الطرق الشرعية فى نشر تلكم الافكار وشيوعها بين هذه الاوساط المتضاربة ؟

والجواب على سؤالى هذا يأتى من واقع حاله وشعوره العقائدى وايمانه العميق بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أن يعد ما استطاع من قوة فى تفنيد أقوال مزعومة وآراء باطلة وتسفيه أحلام خيالية ضالة ، وأن يقف الموقف الحازم المتصلب لا يثنى عضوا أو يلوى جيدا قبال هذه الاعاصير الهوج (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) فالاستبسال والثبات الجرىء فى هذه المعركة العقائدية المصيرية تجاه حملة الافكار الدخيلة على واقعنا الاسلامى هى بحق ولعمرى ذروة الانتصار وقمة الشرف والافتخار. ونصيحتى لأخى المسلم المجاهد المزيد من التمسك بالعقيدة الاسلامية الوضاءة ذات الخلق الرفيع والهدف السامى النبيل ، والى الجهاد والفداء من أجل ذيوعها واعلاء كلمتها ، ولا بد أن يتنفس الصبح الجميل وتشرق شمس الفضيلة مهما جيش أعداء الاسلام من زيف وضلال .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

□□□

التفرقة العنصرية :

ومن مقال للأستاذ محمد كامل أحمد بهذا العنوان نقتطف ما يأتى :

يزعم اليهود أنهم شعب الله المختار وأنهم لم يختلطوا بغيرهم من الاجناس وانهم يمثلون جنسا واحدا يتضح فى أشكالهم وسمتهم ولكن الحقائق تثبت زيف هذا الادعاء ، فاليهود اليوم سرى عليهم ما سرى على غيرهم من امتزاجهم بالغير ، وفيهم الطوال والقصار والنحاف والسمان والسمر والشقر ، ويقول رينان : ليس هناك شكل يهودى معين بل هناك أشكال وسحن يهودية متعددة ، والصهيونية تضم جماعة سياسية متعصبة تضم أناسا مختلفى الاشكال والالوان من الفلاشا فى الحبشة والالمان وهم أقرب الى السحن الجرمانية والتاميل وهم يهود الهند السمر والخازار وهم اليهود الذين يسكنون البلاد الطورانية ومن

اصول تركية ثم اليهود الذين كانوا يسكنون اليمن وهم نحاف قصار ويهود شمال افريقيا والشرق الاوسط وهم أقرب الى السحن الشرقية والسامية وتتباين سحن اليهود حتى فى البلد الواحد ، فنرى فى ألمانيا مثلا أنهم فى بادن يتمثلون برؤوسهم العريضة وفى كولونيا وفرانكفورت بوجوههم المفرطحة أو المستطيلة ويرجع تباين اليهود فى السحن والاشكال الى الاختلاط والاندماج طوعا أو كرها مما يسقط حجتهم فى نقاوة عنصرهم ، ومع ذلك فقد استمسكوا بالتفرقة العنصرية كفكرة تلح عليهم (كتاب التفرقة العنصرية . احمد سويلم العمرى . صفحات ٣٤ ــ ٣٦) .

والصهيونية حركة عنصرية لا انسانية ولا ننس أنها كانت مستعدة لتوجيه ضرباتها وتنفيذ مخططاتها ضد أى شعب ومن أى دين ، فقد ناقش زعماء الصهيونية اقامة مستعمراتهم فى عدة بقاع من صقلية الى الارجنتين الى أوغندا وحتى فى داخل اسرائيل نسمع عن اضطهاد اليهود الشرقيين وهذه العنصرية هى سر تعاطفهم على الحكم العنصرى فى روديسيا وجنوب افريقيا .

الشباب المسلم

وهذه الفقرات من رسالة بعث بها السيد خالد درويش :

الشباب المسلم يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء ، اذا تكلم كان رقيقا ، واذا جد فى الطلب كان شديدا خفيا . وكان فى حالتى الحرب والصلح عفيفا نزيها . آماله قليلة . مقاصده جليلة غنى القلب فى الفقر ، فقير الجسم فى الغنى ، غيور فى العسر رءوف رحيم عند اليسر . يظمأ ان ابدى له الماء منة ويموت جوعا ان رأى الرزق ذلة . ان كان بين الأهل كان حريرا فى النعومة . وان كان بين الأعداء كان حديدا فى الصلابة ، كان طلا وندى تتفتح به الأزهار ، كان طوفانا يصطرع به الامواج وترتعد به البحار . اذا عارض فى سيره صخورا وجبالا كان شلالا . وان مر فى طريقه بحدائق كان ماء سلسالا يبارى الملائكة فى الطاعة ويتحدى الكفر والباطل اينما كانا .

الشباب المسلم هو كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء . أما من عداه فشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يربى فى نفسه الروح ليطهر هذا العالم الفاسد بحرارة ايمانه وتوجيهات ربه . ان اذانه لا يزال الصيحة الخالدة التى تدوى فى هدوء الليل وسكون الموت . انه يعيد الى هذا العالم الناعس المتعب حياته ونشاطه . ويؤذن بطلوع الصبح الصادق . وانصرام الليل . نعم .. هذا شباب محمد أمة الخلود أى أمة تضاهيها ، جباهنا تخضع لله وتعلو عمن سواه .. وأيدينا يد مع الله وأخرى مع الناس . أجسامنا فى الأرض وارواحنا فى السماء . لأطفالنا مروءة الرجال . ولرجالنا كرامة الأبطال . ولأبطالنا صفات الخالدين . نقوى فلا نتجبر ونضعف فلا نذل . ونصاب فلا نيأس ونستشهد فلا نبكى ولا نصرخ . تعصف بنا النكبات فنستقبلها صبرا وابتساما . ويراد لنا الذل فنثيرها حربا ضراما . دماء الشهداء عندنا عطر الشباب والرماح وسهام الأعداء فى صدورنا أوسمة الكمال أو العزاء . وخوض المنايا فى سبيل كرامتنا أغنية النساء والأطفال وللمعارك الحمر يربيننا أمهاتنا فى الاسرة والمهود .

مســـتقبلك بيـــدك

طالعتنا مجلة الدراسات الاسلامية التى تصـــدر فى بيروت تحت هـــذا العنوان تقول :

لا تخف لست فى معركة الحياة وحيدا ، ابتهل اليه ، يسدد خطاك ، ينر بصيرتك ، يبدد ظلماتك ، اذ هو وحده سندك وعونك ونصيرك .

استعن به اذ هو القوة المهيمنة على هذا الكون ، وليسمها الناس ما شاءوا ، تتلاش مخاوفك ، يزل قلقك ، تتعذر هزيمتك .

ضع حملك الثقيل فى بابه العالى ، حيث الفرج لأزماتك الخانقة ، والحلول لمشاكلك المستعصية ، والهدوء لأعصابك المتوترة .

ان معرفة الله ، باب يفضى لحياة رحبة سعيدة راضية ، لا تعرف قلقا وأمراضـــا نفسية ، قد تنقلب جسدية أو عقلية .

أنت عزيز ، وعزتك مستمدة من عزة الله ورسوله ، ولذا لا تخشى الكوارث بل ادفع القدر بقدر ، واصبر على ما لم تستطع دفعه لانك مع الله بالوقوف عند حدوده ، وهو معك بعنايته وتوفيقه .

ان ايمانك ، بحر قد تطفو على وجهـــه الكوارث ، لكن لا تبلغ أعماقه الهادئة وان الخوف من الله ، عز واطمئنان وبعد عـــن مواطن الريبة ، اما الذين جانبوا هذا الخوف فقد طاش سهمهم وخارت عزائمهم وخافـــوا كل شىء واحسوا بفراغ ، اذ الايمان لقاح بخلق حصانة . يدفع سموم الأفاعى الناطقة والشياطين المجسدة .

عش فى باب العزيز الكريم ، كن على صلة به ، تعرف عليه (فى الرخاء يعرفك فى الشدة) ولا تكن كفرعون ، آمن ولكن حين ادركه الغرق .

امح المعنويات بالتوبة النصوح اذ (كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) .

لمـــاذا نريد الاسلام ؟

ونشرت مجلة التربية الاسلاميـــة البغدادية مقالا تحت هذا العنـــوان جاء فيه :

نريد الاسلام .. لأن الاصلاح المنشود ليس اصلاحا ماديا فقط وانما هو اصلاح مادى وروحى معا ، وان أزمتنا الحالية ليست أزمة فى النظم السياسية والاقتصادية بقدر ما هى أزمة ايمان واخلاق ، وان الفساد الـــذى نشكو منه فى أوضاعنا ومرافق حياتنا ما هو الا انعكاس لفساد النفوس ، فالنفوس اذن هى الميدان الأول الذى يجب أن يبدأ فيـــه الاصلاح (ان الله لا يغيـــر ما بقـــوم حتى يغيروا ما بانفسهم) وان كل محاولة لاصلاح الاوضاع دون الالتفات الى اصلاح النفوس لا تقل عبثا عن الحراثة فى البحر !! ..

واننا نعتقد بأن الاسلام هو وحده القادر على القيام بالأمر ، والأمر الذى نحتاجه الآن هو ثورة أخلاقية فى أعماق النفوس وحنايـــا الضمائر .

— نريد الاسلام .. لأن فيه اصولا وخطوطا عريضة لأسمى وأعدل وأكمل نظام فى جوانب الحياة جميعـــا من سياســـة واقتصـــاد

واجتماع .

— نريد الاسلام . لانه يجمع ولا يفرق ، فالاسلام وحده الكفيل بجمع شمل المسلمين على اختلاف الاجناس والالوان واللغات والقبائل والشعوب .. هذه كلها تنصهر فى بوتقة الاسلام لتخرج منها أمة عظيمة واحدة متعاونة فى الضراء والسراء .

— نريد الاسلام .. لأننا نفتقد فى هذا الوقت بالذات — أكثر من أى وقت مضى — روح الجهاد ومعانى القوة والصلابة ، ومن اين نأتى بهذه كلها اذا أدرنا ظهورنا للاسلام ؟ .

— نريد الاسلام .. لأننا نشعر بالغربة فى المجتمع الدولى ، وليس لنا الا أخوة الاسلام والايمان تشدنا بستمائة مليون او أكثر من المسلمين .

والواقع اننا نريد الاسلام لسبب أكبر من هذه الأسباب مجتمعة لأنه أصل وهذه كلها وأخرى غيرها فروع له !!..

اننا نريد الاسلام لأنه من عند الله العلى الكبير فالاسلام هو المنهج أو الطريق أو الدين الذى ارتضاه الله — جلت حكمته — لنا (ورضيت لكم الاسلام دينا) أليس من سفه العقل — ومن قلة الحياء أيضا — ألا نرضى بما رضى الله لنا ؟!..

نحن فى حاجة الى تضحية !!

ومن مقال بهذا العنوان نشرته مجلة (رابطة العالم الاسلامى) المكية نقتطف ما يأتى :

ان من شعائر الاسلام الجهاد وهو ذروة فى مدارج التضحية — اذ يضحى المسلم فيه — بأثمن شىء — يضحى بنفسه التى بين جنبيه — ابتغاء رضوان الله ولنصر دين الله ودحر — خصوم الاسلام — وما برحت اعلام الجهاد متطلعة الى السواعد القوية من شباب الاسلام — لترفعها خفاقة الى قيام الساعة وحتى يقاتل آخر هذه الأمة الدجال —

ولن يستقيم الدين أو تكون للمسلمين الصولة والدولة والمكانة المرموقة تحت الشمس — الا ببذل أقصى التضحيات وانتهاج ارفع مخطط للخروج عن التبعية والاعتداد بالشخصية الاسلامية — دون أن تنماع أو تذوب فى شخصية الغير .

اجل نحن فى حاجة الى تضحية — فى حاجة الى أن نسير على درب الأولى ساروا على نهج الهدى وحققوا للاسلام اهدافا عظمى كان من ابرزها امتداد رواقه والتبشير به — حتى بلغ الصين شرقا وأوربا غربا ودوخوا أعظم دولتين كانتا تقتسمان العالم وتفرضان عليه سلطانهما — وتستبدان السيد المتاله .

ترى كيف وقعت هذه المعجزة — كيف تقلص ظل الامبراطوريتين العظيمتين أمام الزحف الاسلامى فى حين أن المسلمين فى كفاحهم — لم يكونوا أكثر عددا ولا أوفر عدة وعتادا من خصومهم بل كانوا على العكس — ولكنهم كانوا يملكون ما هو اعظم من كثرة العدد ووفرة العدة — كانوا يملكون العقيدة التى تدفع بقوتها الى التضحية — الى مصاولة الموت — والاستبسال لورود حياضه — فلا تقف أمام دفعها أية قوة فى الأرض .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد الستار محمد فيض

الكويت :

◎ بعث سمو الامير المعظم برقية مواساة الى جلالة شاه ايران بمناسبة كارثة الزلازل التى ضربت المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد .

◎ أناب سمو ولى العهد ونائب الامير المعظم وزير التربية فى حضـــور الاحتفال بانقاذ آثار النوبة .

◎ صرح معالى وزير الداخلية والدفاع ورئيس مجلس الوزراء بالنيابة بأن الكويت تؤيد كل لقاء عربى يهدف الى توحيد الصف من أجل مستقبل الامة العربية واسترداد الاراضى المحتلة .

◎ تلقت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية سيلا من رسائل الاستنكار للتحريف الذى ورد فى المصحف الذى طبعته اسرائيل ، ومما يذكر ان المسلمين فى اندونيسيا قاموا بحرق ٢٥ الف نسخة من هذا المصحف المحرف .

كما تلقت الوزارة رسالة من عدد كبير من المسلمين فى باكستان يبدون فيها استعدادهم للجهاد فى سبيل الله وتحرير الاراضى المقدسة .

◎ زار البلاد وفود اسلامية من ماليزيا ونيجريا ضمن جولة تقوم بها فى مختلف الدول العربية والاسلامية لدعم الوحدة الاسلامية .

القاهرة :

◎ بعث السيد رئيس الجمهورية برسالة الى المؤتمر السنوى السابع عشر للطلبة العرب فى الولايات المتحدة اكد فيهـــا ان الحل السياسى للقضية العربيـــة ليس هو المنقذ الوحيـــد من العدوان الاسرائيلى .

◎ تضمن البيان الذى صدر عن مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى انعقد فى القاهرة ضمن نطاق الدورة الخمسين لمجلس جامعة الدول العربية : ضرورة تعزيز الجبهة الاردنية وتقويتها ودعم المقاومة الفلسطينية وبذل المزيد من الجهود لانقاذ المدينة المقدسة ، واكد البيان ان التعـــــاون العربى هو الضمان الاكبر لانتصار الامة العربية .

◎ اكدت وكالات الانباء ان الموقف بين العرب واسرائيل يوشك على الانفجار وان العدوان الاسرائيلى متوقع فى اية لحظة .

◎ اجتمع رئيس الوفد الاسلامى السنغالى بالمسئولين للتشاور فى انشاء معهد اســـلامى بداكار .

الرياض :

◎ بحث المسئولون العسكريون مع وزير الدفاع الباكستانى وسائل التعاون العسكرى بين الدولتين .

◎ أوفدت رابطة العالم الاسلامى عدة وفود للقيام برحلات اسلامية واسعة النطاق فى الدول العربية والاسلامية .

◎ تم الاتفاق بين جامعة الرياض وجامعة السودان على تبادل الاساتذة والبعثات الطلابية .

بغـداد :

◎ اكد اللواء رئيس الجمهورية والمشير رئيس جمهورية باكستان للملك حسين ان العراق وباكستان سيكونان عضدا قويا للاردن .

عمـان :

◎ اجتمع جلالة العاهل الاردنى بزعماء المنظمات الفدائية وقال لهم : ان العمل الفدائى يجب الا ينسب الى اى جهة معينة ، وطلب منهم تصعيد العمل الفدائى بشكل اوسع .
◎ قامت المنظمات الفدائية خلال الايام الماضية بعدة هجمات على المستعمرات الاسرائيلية اسفرت عن خسائر مادية وبشرية فى قوات العدو .

بيروت :

◎ ادلى الدكتور عبد الله اليافى رئيس مجلس الوزراء بتصريح قال فيه ان مهمة يارنج لم تتحقق وان القوات العربية لو توحدت قادرة على دحر العدوان .

الخرطوم :

◎ صدر عن جامعة ام درمان الاسلامية توصيات ومقررات الندوة العلمية لاسبوع القرآن الكريم بمناسبة مرور ١٤ قرنا على نزوله ، وقد ضمت الندوة عددا من رجال الفكر فى العالم .

• • •

◎ شكلت لجنة عربية اقتصادية من المختصين فى السفارات العربية والاسلامية فى باكستان لتعقب النشاط الاقتصادى الاسرائيلى .

◎ ضربت الزلازل العنيفة المنطقة الشمالية الشرقية من ايران مما ادى الى وفاة اكثر من ٢٠ الفا وتشريد ما يزيد عن المائة الف من السكان .

◎ اقترح المجلس المركزى للمنظمات الاسلامية عقد اجتماع يشترك فيه مجمع البحوث فى القاهرة ورابطة العالم الاسلامى بمكة والمؤتمر العالمى الاسلامى بكراتشى ، وممثلين عن المنظمات الاسلامية فى العالم لمناقشة القضايا الاسلامية .

◎ وجه المدير العام للاتحاد الاسلامى الكورى نداء الى المسلمين يدعوهم فيه الى المساهمة فى انشاء مسجد فى كوريا ، قدرت تكاليفه بسبعين الف جنيه استرلينى .

◎ تالفت لجنة من كبار المهندسين لوضع التصميمات الهندسية للجامع المركزى بلندن .

البلاذري " بقية "

ولا تدعوني للشـــــهادة ، انني اغيب ، ولـكني ارى عجب الدهر
نؤوب اذا آبوا ، ونغزو اذا غزوا فأنى لهم وفر ، ولسنا أولى وفر ؟
اذا التـــاجر الداري جاء بفــأرة من المسك راحت في مفارقهم تجري[١] !

والحجاج الذي ذكره أبو المختار هو الحجاج بن عتيك الثقفي وكان واليا على الفرات ، وجزء بن معاوية كان واليا على سرق ، وبشر بن المحتفز وكان على جند يسابور ، والنافعان هما أبو بكرة نفيع بن الحارث ، ونافع بن الحارث بن كلدة أخوه ، وابن غلاب ، هو خالد بن الحارث من بني دهمان ، كان على بيت المال بأصبهان ، وعاصم بن قيس بن الصلت السلمي كان على مناذر ، وأراد بالذي في السوق سمرة بن جندب كان على ســوق الأهواز ، والنعمان بن عدي بن نضــلة كان على كور دجلة ، وأراد بصهر بني غزوان مجاشع بن مســـعود السلمي . كان على أرض البصرة وصدقاتها ، وشبل بن معبد البجلي كان على قبض المغانم ، وابن محرش أبو مريم الحنفي كان على رام هرمز .

ويروى أن هذا الشعر بلغ عمر وبحث الأمر فوجد للشاعر عذرا فقاسم هؤلاء الذين ذكرهم أبو المختار ، فأخذ شطر أموالهم ، حتى أخذ نعلا وترك نعلا ، وكان فيهم أبو بكرة فقال لعمر : اني لم آل لك شيئا . فأجابه عمر : أخوك على بيت المال وعشور الابلة ، وهو يعطيك المال تتجر به ، وأخذ منه عشرة آلاف . ويقال قاسمه شطر ماله !

ومن الواضح أن هذا لون من الوعي الشعبي ومن المراقبة المالية للولاة ، ومن حزم عمر في محاربة الطغيان المادي والاستغلال الاقتصـــادي للمناصب والمراكز !

* * *

وفي كتاب « فتوح البلدان » نصوص كثيرة عن الاصلاحات المــالية التي أجراها عمر بن الخطاب في الدولة ، وعن عدالته المثـــالية وزهادته في لذة الدنيا ، وايثاره الحق والواجب على العاطفة والهوى ، ومن أمثلة ذلك أنه عين لأسامة بن زيد عطاء قدره أربعة آلاف درهم ، وعين لابنه هو عبد الله بن عمر ثلاثة آلاف فقط ، فقال عبد الله لأبيه : يا أمير المؤمنين ، فرضت لي ثلاثة آلاف وفرضت لأسامة أربعة آلاف ، وقد شهدت ما لم يشهد اسامة ، فأجابه عمر : زدته لأنه كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وكان أبوه أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك !

رضــوان الله على عمر ، ورحمة الله على البـــلاذري صاحب « فتوح البلدان » ●●

---

(١) الفارة : آنية المسك ، والمفارق : وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ـ ص.ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص.ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ـ ص.ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

قبة الصخرة المشرفة ، تدوى صيحاتها فى أعماق المسلمين .. واسلاماه !!

(تصوير : محمد باقر)



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة ــ العدد الرابع والأربعون ــ غرة شعبان ١٣٨٨ هـ ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨ م



تلك آثارنا تدل علينا ..

اقرأ فى هذا العدد

صورة الغلاف



ساحة الأسود فى قصر الحمراء بغرناطة لا تزال تنبىء عن مجد المسلمين وحضارتهم الغابرة فى الأندلس . الفردوس المفقود .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع والاربعون

السنة الرابعة

غرة شعبان ١٣٨٨ هـ

٢٣ اكتوبر « تشرين الاول » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

عفوا أخى القارىء اذا قطعت اليوم حديثى معك عن نظرة الاسلام وغيره الى الحرية والمعارضة ، لأحدثك عن قضية الحرية الكبرى . حرية الأوطان ، وعن الذى شاهدته فى اطول جبهة واخطرها فى آن واحد .

فقد عشت أياما قليلة فى الاردن أسمع وأشاهد ، وأتنقل على الخطوط الأمامية من الشمال حيث أطللت على مرتفعات الجولان ونهر اليرموك ومشروع سد خالد !! الى جسر الملك حسين فى الجنوب .

ولم أكن بعيدا عن فلسطين وقضيتها فى يوم من الأيام . بل عشت فيها ، وكاننى أتنقل على ارضها وأشعر بشعور المحاربين والنازحين والمضطهدين ، وأعمل من بعيد ما أستطيع عمله ، ثم تبـــكى عيونى ، لتريح قلبى من بعض ما يختزنه من الم ، ويموج به من عـــاصفة ــ ولكنى حينمـــا اقتربت من جسم الكارثة ، ورأيتها بعينى ، تجمدت الدموع ، أو قل انها لم تكن على مستوى ما احسه ، فاستحت أن تعبر عنه .

ولم أكن وأنا مقبل على هذه الأرض الشــهيدة أظن أننى مقبل على أيام ســهلة على النفس ، بل كنت أعتقد أننى مقبل على « وجبة » من الألم الحى المجسم ، وكنت مع ذلك أستعجل الوقت لهــذه (الوجبة) كانها شىء لا بد منه فى حياتى .

وقد كنت على عزم لأن ارى هذه البلاد الرابضة فى وجه العدو فى صيف سنة ١٩٦٦ لأمتع روحى وسط الآلام والأحزان بزيارة بيت المقدس القبلة الاولى لنا .. الا أن الله لم يقدر لى هــذه الزيارة ، وكأنه كان يدخر لى « وجبة » من الآلام أشد وأقسى ، حيث أكون على بعد قليل من الحرم القدسى ، ولا أســتطيع الذهاب اليه ، وحيث أقف على الطرف الشرقى من جسر الملك حســين على نهر الاردن ، وأخطو عليه بضع خطوات ، ولا أستطيع اجتيازه ، لأن العدو زحف من هناك من غرب الحرم القدسى ، الى هنا ، على الطــرف الغربى للجسر ، يتحفز جنوده وراء سلاحهم المصوب الى صدورنا .

ولقد عشت أياما فى عمان ، وفى بعض القـــرى التى تعرضت للضرب والتدمير ، وكان أول انطباع فى نفسى ما لمسته من روح الثبات والاســتبسال عند الجميع ، مع شعورهم بانهم معرضـــون للأخطار ، معرضون لأن يفقدوا حياتهم ، أو يفقدوا أرضهم ، ويفقدوا حريتهم فى وطنهم . والأعصــــاب كلها متوترة ، تتسمع الاخبار ، وتعلق على كل ما تسمع ، تزداد دقات قلبها أو تقل حسب ما تسمع .. انهم يعيشون حقا فى مهب الأخطار ، ويشعرون بان حياتهم التى يحيونها مرهونة بما يتخذه العدو من قرارات ، فهم يعــرفون ألا قوة لديهم تقف أمام ما يريده العدو ، وهم بعد مرور سنة وشهور على المأساة ، لا يحسون تغيرا يذكر عما كان الحال عليه قبل المأســـاة .. ولئن كان اخوانهم من خارج بلادهم يحسون معهم هذا ، الا أن هناك فرقا كبيرا بين الأثر الذى يتركه هذا فى نفوس المعرضين للخطر المباشر ، والبعيدين عن هذا الخطر .

ومن اجل هذا تسمع كثيرا من التعليقات والآراء المتشعبة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ـ لا اليمين ولا اليسار المعروف ـ وتحس حقيقة بما يعيش فيه اخوانك فى مجابهة العدو الشرس .

كنا فى طريقنا بسيارة وزارة الاعلام الى الجبهة .. والسائق يحرك دائما مؤشر المذياع ، يتلقط الأخبار ، فاسأله : وماذا تريد من الأخبار ؟ فيقول : لأسمع فى أى مكان حصل الاعتداء اليوم . ربما كان أمامنا .. انه فى يوم الاعتداء على (السلط) نسفوا على الطريق سيارة (باص) و (تاكسى) وشـــاحنة محملة بالبطيخ ، وفى الشونة الجنوبية نسفوا مدرسة أطفال فاستشهدوا جميعا .

احدى ضحايا معركة السلط ..

واقتربنا من بلدة (السلط) فى طريقنا الى جسر الملك حسـين . ورأيت مبانيها تطل علينا من سفح الجبل ، حتى تصافح الطريق الذى نسير فيه ، فى واد ضيق أخضر ، تكسوه الأشجار وبعض الخضر والمزروعات ..

ويشير صاحبى الى بعض البيوت المهدمة نتيجة الاعتـــداء الاسرائيلى ، وتسير السيارة ، ويشير الى الأشجار والخضر المحترقة بالقنــابل الحارقة ، وبقنابل النابالم . ويتمهل السائق ، لأن القنابل هدمت الطريق ، وأعمال الاصلاح تجرى فيه .. ثم يتوقف ، وننزل لنشاهد حطام السيارات التى حطمتها قنــابل الطائرات بمن فيها وما فيها ، فنرى ما بقى من حطامها قد تطاير محترقا بعيدا



عن الطريق . هذا حطام سيارة (الاجرة) ، وهذه بقايا سيارة الاسعاف ، جاءت لتنقل الجرحى بعد الغارة الاولى ، فادركتها الغارة الثانية ، ولم ترحم الجرحى الذين تحملهم ، ولا سائقها والمرضين بها .. واقتربت من حطام شاحنة البطيخ .. لأرى بقايا البطيخ (مشويا) من النار .. وأقترب أكثر .. فارى تحت الحطام ، وبجانب بقايا البطيخ نبتا صغيرا أخضر .. يشق طريقه من تحت هذه الأنقاض .. انه نبات البطيخ الذى خرج من البذور المتناثرة ، غذاه رشح البطيخ المشوى أو المسلوق ، فنبت ، ووقفت ، وكل تفكيرى وشعورى مع هذا النبات الأخضر الذى خرج للحياة من تحت أنقاض هذا التدمير والتحريق والنسف !!

ولا ادرى كيف قفز الى نفسى هذا الخاطر : هكذا من الشدائد والخرائب ، والدمار والدماء .. ستنتفض هذه الأمة ، لتحيا من جديد ، كما انتفض هذا النبت الأخضر من تحت الأنقاض ، وشق طريقه للحياة : وسبحان الله الذى يخرج الحى من الميت .

وتركت هذا النبت ، وكانه — ولا يزال — يمثل فى نفسى البعث الجديد لهذه الأمة ، وفى قلبى حنو عليه ، ووددت لو تمكنت من احاطته بعنايتى ، حتى يمتد ويتفرع ويثمر ، ووددت لو كان نبتا لشجرة تعمر طويلا .. لتحمل بتاريخ ميلادها تاريخ هذا الاعتداء الذى لن ننساه ، ولن ننسى به غدر الأعداء ، ولتحمل بدء انتعاش هذه الأمة وحياتها الجديدة .

لقد القت الطائرات المغيرة حمولتها المدمرة على البلدة البعيدة عن خط النار ، وعلى اشجارها ومزروعاتها وطرقها دون اية مقاومة .. وذهبت لتترك فرصة لأهل البلد ، يتجمعون كالعادة ، ليستطلعوا ما فعلته هذه الغارة ، فيكونوا حينئذ صيدا سهلا للطائرات التى تعود ثانية وثالثة ، وتلقى حمولات الموت على المتجمعين من الرجال والنساء والأطفال ، فتحصدهم ، وكان من هؤلاء مندوب ومصور للتلفزيون ، خفا لمكان الحادث لتصويره ، وكانهما كانا على موعد مع الاستشهاد ، فذهبا مع أربع وثلاثين من الضحايا الأبرياء !!

وبعد ذلك اسمع اذاعة اسرائيل تتبجح وتستدر الدموع ، لأن القنابل التى انفجرت فى تل أبيب ، لم يفكر الفدائيون الذين وضعوها فى أنها قد تصيب امرأة أو رجلا عجوزا !! اى والله !! هكذا يتبجحون ، ويتذكرون المرأة والطفل والعجوز ، حين يتحدثون عن القنابل المتفجرة فى تل أبيب ، ولا يتذكرون ضحاياهم بهذه الصورة الغادرة من الأبرياء المزارعين ، ومن الأطفال فى مدارسهم ، فى السلط ، أو فى الكرامة ، أو فى أربد ، أو فى الشونة .. وغيرها من القرى فى الاردن ، أو فى السويس والاسماعيلية والقنطرة فى مصر .. حيث يصوبون نيرانهم — فى نذالة — الى المدنيين فى دورهم .

انهم يهود ، وفى نفوسهم حقد متوارث على الاسلام والمسلمين بل على البشرية كلها ، وهو يطفح كلما أوتوا قوة ينفذ منها . ولقد عرفناهم بيننا فى معاملاتهم . ناعمين متذللين ، خاضعين ، حتى اذا تمكنوا خنقوا أو قتلوا وخربوا البيوت . وكم لهم من ضحايا من هذا النوع ، وهم لا حول لهم ولا طول . الا الطرق الملتوية التى أتقنوها . فما بالك اذا تمكنوا ، وكانت لهم طائرات ،

ومدافع ؟!!

انهم لا تردعهم ولا تؤدبهم الا القوة .. وكلما تأخرنا فى اعداد هذه القوة الرادعة ، مكناهم من رقابنا وبلادنا ، وزدناهم قوة وصلافة ..

واذا كان هزلنا قد جعلهم من سـنة ٤٧ بل من قبلها الى الآن يفعلون ما فعلوا ، ويملكون ما ملكوا ، فان من المؤكد أنهم سـينزلون المآسى ببلاد عربية اخرى ــ وان كانت الآن بعيدة عنهم ، لكنهم يمدون اليها أبصارهم ــ اذا نحن جميعا فى أى بلد عربى ، ولاسيما البلاد المحيطة بها أو القريبة منها ، أقول اذا نحن لم نحزم أمرنا ، ونقض فيما بيننا على الصورة الهزلية الهزيلة التى أورثتنا هذا المصير . وليس بعد هذا الذى نعانيه الآن نذير وأى نذير .

ان من الخطر الفادح علينا جميعا أن يتصور البعيدون عن خطوط النـار انهم فى مأمن من شر هؤلاء فيتصرفوا تصرف (اللامسئولين) أو (اللامبالين) أو يكتفوا ببذل قليل ، أو جهد يسير !

فلم يكن أحد يظن فى أواخر القرن الماضى أو أوائل هذا القرن أنه سيرى ما يرى الآن .. وسيعانى ما يعانيه ، ولكن التخطيط المحكم ، والعمل المستمر ، والاخلاص الذى يكمن وراء هذا وذاك من جانب العـدو ، مع الاهمال وعدم المبالاة ، والتفكك من جانبنا هو الذى أورثنا هذا المصير المحزن المبكى ..

لقد عدت من رحلة الأحزان هذه آخر النهـار الى الفندق لأجد أمامى كتابين : أحدهما « نظرات الشورى » جمع فيه الاسـتاذ المعروف محمد على الطاهر ، بعض ما كان يكتبه فى جريدته « الشورى » وغيرها فى العشرينيات . وأوائل الثلاثينيات وهو مطبوع سنة ١٩٣٢ م فلفت نظرى فيه هذا العنوان :

« الأندلس الجديدة » : وقد جاء فى هذه الكلمة التى تحـدث فيها عن نشاط الصهيونيين ومساعدة الاستعمار لهم وتخاذل المسلمين ما يأتى :

« فلسطين هى قلب العالم الاسلامى ، وموضع الحلقوم منه أصبحت فى خطر شديد أيها المسلمون . فلا تخذلوها : فلسطين العربية المقدسـة تذوب العربية فيها الآن ذوب الشمع ، ويجرى فيها اليوم ما جرى فى الأندلس بالأمس ــ وان اختلف الاسلوب ــ فلا تتخلوا عنها أيها العرب فتندموا ، ولكن بعد فوات الأوان ، ويوم لا ينفع الندم » .

فوقفت عند هذا النذير كثيرا وقلت : وكم كانت النذر والتنبيهات ، ولكنها ذهبت أدراج الرياح (وما تغنى الآيات والنـذر عن قوم لا يؤمنون) وسـار الجادون فى عملهم ، ونمنا نحن ، ولهونا ، واختلفنا ، واستهترنا ، فكان هذا المصير المحزن (الأندلس الجديدة) التى نتحمل عارها ، وكان هذا النذير فى ذى الحجة ١٣٥٠ هـ (ابريل ١٩٣٢ م) !!

فمن الذى كان يظن من العرب الذين قرءوا هذا النذير ، أنه سيتحقق فى حياتهم بعد خمسة عشر عاما ، وأنهم سيتحملون وزره وعاره ؟!!..

وأشد نفسي من هذا الكتاب ، لأطلع على كتاب جديد ضخم ، صـــدر فى هذا الشهر بعنوان (جهاد شعب فلسطين) نال به مؤلفه الـــكاتب والزعيم الليبى الاستاذ صالح مسعود شهادة الماجستير من جامعة الازهر ، وهو يرصد كل ما يتصل بقضية فلسطين ، وجهاد شعبها ، رصدا دقيقا مفصلا .. فأختار منه ما كتبه عن الزعيم العربى القائد الشهيد البطل عبد القادر الحســينى ــ الذى يعانى أبناؤه الشبان الآن ما يعانون فى سجون اسرائيل ــ وأقرأ فيتمزق قلبى من الحقائق المخزية التى كانت تجرى فى تلك الأيام ، على يد بعض رجالنا وزعمائنــا وحكوماتنا .. وكيف كان الشعب الفلسطينى فى أواخر جهــاده ، وحين أراد الاستعمار ترك البلاد للصهيونيين ، كيف كان الشــعب ــ رجاله ونساؤه وأطفاله ــ يجاهد حتى بأظافره وأسنانه ، لأنه لم يكن يجد الســلاح البسيط الذى يقابل به الاسلحة الفتاكة التى حصل عليها اليهود ، وكيف ألح الشهيد عبد القادر الحسينى على مندوب الجامعة فى دمشق (الهاشمى) ــ أن يمده بالسلاح المختزن تحت يده فأبى خضوعا للاوامر الصادرة اليه من الجهات العليا !! بحجة أنه يختزن الســلاح لجيش قيل أنه يعد !! نعم .. يعد ! فصرخ البطل فى وجهه ، وقال : انى ذاهب للمعركة لأموت شــهيدا ، وأحملكم ومن وراءكم المسئولية أمام الأجيال ، وعاد ، ورمى بنفسه ، وبالقليلين معــه ، فى معركة غير متكافئة ، وآثر أن يموت شهيدا فى سبيل بلده وشرف أمته ، خير من أن يترك اليهود يعبثون بأرضه دون مقاومة !

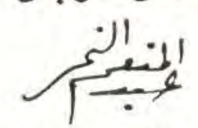
وكان هــــذا فى سنة ١٩٤٧ ومضى عليه عشرون عاما مليئة بالمــآسى والعبر ، والذل والهوان ، دون أن نعتبر أو نتحرك ، أو نتلافى الأخطاء ، حتى نجد أنفسنا فى سنة ١٩٦٨ فى الوضع نفسه الذى كنا فيه ســنة ١٩٤٧ . لا استعداد ، لا ســلاح ، لا تخطيط . الشكوى التى نعرفها ، والتى سمعتها ، هى الشكوى التى كانت من عشرين سنة : لا سلاح !!

والكلام عن فلسطين والحرص عليها ، وانقاذها هو الكلام نفسه .. لم يتغير شىء فينــا ، فكيف ننتظر أن يغير الله حالنــا ، أو يعز شأننا ، أو يحمى أرضنا وقدسنا ؟..

يقولون ان الشدائد تولد فى الانسان الأصيل روح المقــاومة ، فالى متى تطرق فينا الشدائد ، وكأننا حديد بارد ؟! لقد عاش باسم فلســطين كثير من التجار ، لا تجار المال فقط ، ولكن تجار الأهواء ، والزعامة والسلطان ، فالى متى نظل سوائم فى سوق هذه التجارة .. وقد أورثتنا الذل والعار ؟

ومتى يتحرك فينا الايمان : الايمان بالله ، وبحقنا فى أرضـــنا ؟ ومتى تتحرك فينا الشهامة : شهامة العربى المسلم على عرضه وأرضه ومقدساته ..
ولقد مرت ذكرى الاسراء والمعراج ، ونهضنا فاحتفلنا بهـــذه الذكرى ،

وندبنا حظنا ، وبكينا وسالت عبراتنا .. ولم يغب عن ذهنى وانا ألمس هــذا كله ، ذاك القول اللاذع الذى صفع به آخر أمير من أمراء الأندلس كان يبكى لضياع ملكه ((ابك مثل النساء على ملك لم تحافظ عليه مثل الرجال)) .



مدير ادارة الدعوة والارشاد

من احاطة القرآن الكريم بالفطرة

السماء فى القرآن وفى العلم

للأستاذ: محمد أحمد الغمراوي

آيات سورة النازعات التى تأملنا احداها فى المقال الماضى(١) هى آخر ما نزل الوحى به من الآيات المكية المتعلقة بخلق السماء . وسورة النازعات هى الواحدة والثمانون كما هو معروف . وقد ذكرت السماء فى السور الثلاث التى نزلت عقب النازعات ، وهى : الانفطار ، فالانشقاق ، فالروم ، ولكن لم يتعلق بقيام السماء بعد خلقها الا آية سورة الروم ٢٥ وهى قوله تعالى **(ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون)** — وكما تلخص آيات سورة النازعات كل ما سبق نزوله من الآيات المكية متعلقا بآيات الله فى خلق السماء ، تلخص آية سورة الروم ما نزل فى السماء فى السور الثلاث التى نزلت قبلها ، فهى فى شطرها الأول تذكر استمرار السماء على ما خلقها الله عليه فى آيات سورة النازعات ، وفى شطرها الثانى تذكر البعث الذى هو بدء الحياة الآخرة التى من اجل التمهيد لها أنهيت الحياة الدنيا ، بما طرأ على السماء من الأحداث الهائلة التى ذكرتها آيات سورتى الانفطار والانشقاق ، اعدادا لذلك اليوم العظيم **(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار)** الآية «٤٨» من سورة ابراهيم برفع التاء فى السموات .

وآيات الله فى خلق السماء هى من العظم ومن الوضوح بحيث يكفى ظاهرها فى اقامة الحجة على من خوطب بها فيما سيقت له ، ولو لم يطابق مفهومها عنده حقيقة الخلق فى الواقع . فلو فهم (مبناها) على أن السماء قبة مبنية متلاحمة الأجزاء قد علت الأرض كلها ذلك العلو ، أو فهم (بناها) على ما ثقفته به الفلسفة اليونانية حين وجدت طريقها الى الفلسفة الاسلامية ، من أن السماء هى الأفلاك الكرية السبعة الحاملة للسيارات السبعة ، التى أولها القمر ، ورابعها الشمس ، وسابعها زحل ، ومن ورائها كرة النجوم الثوابت ، أو فهم الليل فى **(وأغطش ليلها)** انه ليل الأرض لا ليل السماء عامة فوق جو الأرض وغلافها الهوائى ، وفهم الضحى فى **(واخرج ضحاها)** انه ضحى الأرض لا ضحى السماء ، ونور الشمس وحدها ، لا نور نجوم السماء — لو فهم قوله تعالى **(أأنتم اشد خلقا أم السماء بناها ؟ رفع سمكها فسواها ، واغطش ليلها واخرج**

---

(١) عدد ربيع الاول والآية هى قوله تعالى « أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها . رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها » .

ضحاها .) ذلك الفهم الخاطىء ، كان ما فهمه رغم مخـــالفته للواقع ولحقيقة معنى الآيات الكريمة ، كافيا لأن يقنعه ، ان كان يعقل أمر خلقه هو ، أن الله الذى أنشأ السماء ولو على هذه الصورة التى تصورها ، قادر على أن يخلقه هو مرة أخرى بعد موته ، ليحاسبه على ما فعل فى حياته الدنيا بعد ما حذره وأنذره فى كتابه العزيز .

وقبل أن نشرع فى تأمل مـــا لم يسبق لنا تأمله فى المقال السابق من آيات سورة النازعات ، يحسن أن ننبه الى يقينية هى عند المسلم أشبه ببديهية ، ألا وهى أن فطرة الكون والقرآن الكريم كليهما من عند الله ، واذن فأقل مـــا ينبغى للقرآن على متأمله من أهله ، أن يقف منه موقف علمـــاء الفطرة من الفطـــرة ، فلا يتراخى فى استنباط ، ولا يستكثر نتيجة يؤدى اليها المنطق الصـــارم وان عظمت ، ولا يهمل اشـــارة من اشـــاراته وان دقت ، متـــذكرا أن التناقض مستحيل فى الفطرة وفى القرآن وفيمـــا بينهما ، ومستأنسا بقول للفخر الرازى رحمه الله أصاب فيه كل الاصابة **(ما من حرف ولا حركة فى القرآن الا وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ، ولا تصل الى أكثرهـــا . وما أوتى البشر من العلم الا قليلا) .**

(بناء وبنيان)

فلنستعن بالله ولننظر فيما بقى من آيـــات سورة النازعـــات فى ضوء الآيات القرآنيـــة التى نزلت قبلهـــا وبعدها وضوء الحقائق التى هدى الله بها علماء الفلك الحديث .

(بناها) للفعل « بنى » خمسة مصادر ذكرها القـــاموس ، لم يرد منها فى القرآن الكريم الا مصدران هما « بناء » و « بنيان » لكن الذى يستلفت النظر أن « بناء » لم يرد الا متعلقـــا بالسماء ، وذلك فى قوله تعالى **(الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء)** فى الآية «٦٤» من سورة غـــافر المكيـــة ، وقوله تعـــالى **(الذى جعـــل لكم الأرض فراشا والسماء بناء)** فى الآية «٢٢» من ســـورة البقرة المدنية . أمـــا « بنيان » فلم يرد الا متعلقا بما يبنى الانســـان فى الأرض ، وذلك فى قوله تعالى **(قالوا ابنوا له بنيانـــا فالقوه فى الجحيم)** الآية «٩٧» من سورة الصافات ، وقوله تعالى **(اذ يتنازعون بينهم امرهم فقـــالوا ابنوا عليهم بنيانا)** فى الآيـــة «٢١» من سورة الكهف ، وقوله تعالى **(فأتى الله بنيانهم من القواعد)** فى الآيـــة «٢٦» من سورة النحل وقوله تعالى **(ان الله يحب الذين يقـــاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص)** الآية «٤» من سورة الصف ، وقوله تعـــالى **(أفمن أسس بنيـــانه على تقوى من الله ورضـــوان خير امن أسس بنيانه على شفا جرف هـــار فانهار به فى نار جهنم ، والله لا يهدى القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبـــة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم)** الآيتان « ١٠٨ ، ١٠٩ » من سورة التوبة فى قصـــة مسجد الضرار .

فمادة « بنى » لم ترد على صيغة الاسم فى القرآن الكريم الا فى سبع سور ، أربع مكية وثلاث مدنية . وفى كل مجموعة ، أى فى كل من العهدين المكى والمدنى خصت السماء بالاسم (بنـــاء) وخص مـــا يعهده الانسان فى الأرض بالاسم (بنيان) .

واختصاص السماء فى كتاب الله بأحد الاسمين ، وما يبنى على الأرض

بالاسم الآخر على تعدد المواطن امر له دلالته ، واشارة دقيقة الى أن هناك فرقا بين طبيعة بناية السماء وطبيعة البنيان فى الأرض ، والفرق فيما يبدو أول وهلة أن البناية فى الأرض متلاحمة الأجزاء ، لبنة الى جنب لبنة ، أما السماء فلبناتها الكواكب والنجوم وما اليها ، وليس فيها نجم يمس نجما ، ولا كوكب يمس كوكبا ، والمسافات بينها حتى فى رأى العين بعيدة مترامية ، وهى فيما عرفه العلم وقدره أبعد واعظم من كل ما يخطر للانسان على بال حتى النجوم المزدوجة المعروفة بالتوائم قد كشف العلم أن النجم منها هو فى الواقع نجمان يدور أحدهما حول الآخر دورة فى حقبة متطاولة من الزمن على بعد المسافة بينهما . فالأقرب القنطورى مثلا ، أقرب النجوم الينا بعد الشمس ، يفصل بين نجميه نحو الفى مليون ميل ، وتتم الدورة بينهما فى نحو ثمانين سنة ، كأنما هما جسم واحد يدور حول محور له يمر بمركز الثقل بينهما ، وكل منهما من حيث الكتلة مثل الشمس تقريبا .

القرآن والقوانين الفلكية

ولا يشك علماء الفلك فى أن الرابط بينهما ، وبين نجمى كل توأم مثلهما ، هو تجاذبهما طبق قانون الجاذبية العام ، الذى هدى الله « نيوتن » الى الكشف عنه ، من قبل ، بناء فى أول الأمر على قوانين « كبلر » الثلاثة المبنية على ما كان تجمع على يد الفلكي (تيخو تراهى) من الأرصاد الكثيرة الدقيقة لحركات السيارات حول الشمس . والأولان من القوانين الثلاث بسيطان سهل فهمهما وتصورهما .

فالقانون الأول يقول : ان مسار كل سيار حول الشمس قطع ناقص الشمس فى احدى بؤرتيه . والقانون الثانى يقول : ان كل سيار يتحرك فى مساره بحيث لو تصورنا خطا واصلا من مركز السيار الى مركز الشمس فانه يكنس[٣] مساحات متساوية فى الأزمنة المتساوية . وهذا من أعجب سنن الله سبحانه وتعالى فى حركة هذه الكواكب التسع التى منها الأرض . وهى ، ومثلها أن ظهرا ، المقصودة لا شك **بقوله تعالى فى سورة التكوير (فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس) بتشديد النون فى الكلمتين الكريمتين.**

والقسم يلفت الله به عباده الى ما أودعه فيها من أسرار قدرته وحكمته التى كشفت عن بعضها قوانين « كبلر » وتضمنتها الأوصاف العجيبة فى الآية الكريمة . فهى (الجوارى) . والكلام يطول فى دلالة التعريف والاشتراك فى هذا الوصف بينها وبين الفلك فى قوله تعالى **(ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام)** فى الآية «٣٢» من سورة الشورى ، وقوله تعالى **(وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام)** الآية «٢٤» من سورة الرحمن .

وهى أى (الخنس) كلما اشرقت ، عادت فغربت ، وكلما غربت عادت فاشرقت . وكلما اقتربت من الشمس فى دورة ، اسرعت حتى تبتعد ، وكلما ابتعدت عادت حتى تقترب . وكلما مر احدها بنقطة في مساره او فلكه ، رجع اليها مرة أخرى ، بعد ان يتم المدة الثابتة ، التى قدرها الله له فى الدورة الواحدة ، اى بعد أن

---

(٣) ترجمة للكلمة الانجليزية (Sweeps) وهى كلمة عربية للمعنى الذى لا تزال مستعملة له فى العامية . وفى القاموس : الكناسة (بضم الكاف) : القمامة .

يتم سنته التى يختلف طولها باختلاف بعد السيار عن الشمس .

فمدة دورة الأرض حول الشمس من نقطة ما فى مدارهـــا حتى تعود اليها هى عام من أعوامنـــا . لكـــن السيارتين الأقـــرب الى الشـــمس « عطارد والزهرة » عامهما اقصر من عام الأرض لأن قربهما من الشمس يجعل حركتهما حولها أسرع . فعام عطارد ربع عامالأرض تقريبا (٢٤و٠) وعام الزهرة ٢٢٥ يوما من أيامنا ، أما السيارات الأبعد عن الشمس من الأرض فعـــامها أطول من عـــام الأرض بمـــا يتناسب مع أثر البعد فى تبطيء الحركة وتطويل المدار . فالمريخ سنته عـــامان من أعوامنـــا تقريبا (١ر٩) والمشترى سنته اثنا عشر عاما تقريبا (١١ر٩) . وزحل سنته ثلاثون عاما ، وأورانوس ٨٤ عاما ، ونبتيون ١٦٥ عاما ، وبلوتون ابعـــد السيارات عن الشمس سنته ٢٥٠ عاما(٤) .

ثم هى كما وصفها الله (الكنس). وقد اكتسبت الكلمة القرآنية معنى جديدا من قانون « كبلر » الثـــانى ، لأن خط ما بين كل منها وبين الشمس يكنس ويمسح من قطعه النـــاقص مساحـــات متساوية فى الأزمـــان المتســـاوية . فمهما غيرت الزمن اعتبـــاريا بالزيادة أو النقص ، فان المســـاحة التى يكنسها أو يمسحها الخط تزيد تبعا لذلك أو تنقص ، ولكن دائمـــا بحيث اذا ثبت مقدار الزمن الاعتبـــارى وان صغر ، ثبت مقدار المساحة المكنوسة بالخط الاعتبارى الذى سيكون دائما فى تغير بالطول أو القصر ، حسب تغير وضع السيار فى فلكه حول الشمس . فسبحان الله الذى خلق تلـــك الكـــواكب ، وأودعها كل هذه الآيات الدالة على قدرته وحكمته ، ثم أودع آيات الخلق هـــذه كلها ثلاث كلمـــات من محكم كتابه .

قانون الجاذبية

جاء نيوتن فى القرن السابع عشر فوجـــد أمامه قوانين كبلر الثلاثة ، وقوانين الحـــركة التى كان كشفها « جـــاليليو » ، واحكمها واحسن صياغتها « نيوتن » نفسه فصارت تنسب اليه ، ومنها القانون القائل : ان كل فعل له رد فعل يساويه فى المقدار ويضاده فى الاتجـــاه . فبنى على ذلك وعلى بعض مشـــاهداته وحساباته ، قانون الجاذبية العامة الذى يقول : ان كل جسم فى الكون وان صغر يجذب كل جسم آخر بقوة تتناسب طرديا مع حـــاصل ضرب كتلتى الجسمين ، وعكسيا مع مربع المسافة بينهما . وهو قـــانون يبدو أعم من اللازم . يبدو أعم كثيرا من الأساس الذى بنى عليه ، اذ لم يكن أمام نيوتن الا التجاذب بين الشمس وكل من السيارات الستة التى كانت معروفة حينذاك ، والتجـــاذب بين الأرض والأجسام التى عليها ، ثم التجـــاذب بين الأرض والقمر الذى طبق هو القانون عليه فانطبق ، أى وجد رياضيا من حركة القمر حول الأرض والمسافة بينهما وأبعادهما ان القوة التى تشد القمر الى الأرض فلا يغادر مداره حولها ، هى نفس القوة التى تجذب الأجسام الى الأرض ، وتسبب سقوطها عليهـــا من عل . فأوحت اليه عبقريتـــه الا فرق بين مادة ومادة ، أى ليس لنوع المادة تأثير ، فهذا هو أساس تعامل الناس بالموازين ، والا فرق بين صغير المادة وكبيرها ، فالكل يتجاذب وان لم يظهر

(٤) الارقام عن السير فرانك ديسون فصل الفلك فى كتاب العلم اليوم وفى الغد .

الا اثر الكبير كالأرض ، فى الصغير ، كالأجسام التى عليها .

ولم يقبل العلماء من نيوتن القانون على عمومه من غير اختبار دقيق له ، فى ظروف تسمح بقياس أثر التجاذب بين كرة كبيرة ذات كتلة معروفة من الرصاص ، وكرة صغيرة ذات كتلة معروفة من الذهب مع كل احتياط لازم للحيلولة دون تأثر الكرتين أثناء التجربة بغير التجـاذب بينهما ان كان . وهى تجربة مشهورة فى علم الطبيعـة أجراهـا « كافندش » ، وصدقتها تجربة أبسط وأدق أجراها بويز (BOys) فثبت بالتجربة الجزء المستغرب من القانون ، وهو تجاذب الأجسام الصغيرة نسبيا طبق نص القانون فى أثر الكتلة والمسافة .

أمـا فى الأجرام السماوية فقد ثبت القـانون بصورة لعلها أعجب وأبهر ، اذ أدى الاهتـداء بـه الى الكشف عن السيار أورانوس سنة ١٧٨١ ، ثم عن نبتيون سنة ١٨٤٦ ، وأخيرا عن « بلوتو » سنة ١٩٣٠ ، ولم يكن هذا ممكنا ، لولا الاهتـداء بقانون الجاذبية من ناحية ، وتقدم وسائل الحساب والرصد من ناحية أخرى .

ولنعد الآن الى ما كنا بسبيله من التماس أسرار بناء السماء فى قوله تعالى (والسماء بناء) وقوله تعالى (بناها) ، بعد هذا الاستطراد الذى لم يكن منه بد على طول فيه ، من غير استيفاء ما كنـا نود أن يتسع المقام له .

ان كلمة (بناء) بالنسبة للسماء من أعجب الاستعارات لأنهـا وان خالفت البنيـان فى الأرض للتباعد العظيم بين الأجزاء ، فقد تحقق فيها أهم مميزات البنيان من ترابط الأجزاء بالجاذبية بحيث يشد بعضها بعضا كما فى الحـديث الشريف (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)

وهنا لعلك تعجب معى من استعمال النبى صلى الله عليـه وسلم كلمة بنيان لا بناء ، للمعنى المعروف لأهل الأرض كما فى القرآن الكريم تماما — ثم من دقة الشبه بعد ذلك بين قوى التشاد والتضاغط فى البنيـان فى الأرض ، وقوى التجاذب بين الأجرام فى السماء من حيث التسـاوى فى المقدار لتضاد فى الاتجاه بين القوى المتبادلة . فكل شد وضغط فى بنيان الأرض ، يقابله شد وضغط مثله مقدارا وضده اتجاها ، بحيث لو زاد أحدهمـا زاد الآخر بنفس المقدار ، كأن يزيد ضغط السقف على الجدار بزيادة الحمـل فيزيد دفع الجدار السقف الى أعلى حتى التعادل ، فان عجز تشقق الجدار أو انهار .

وكذلك قوى التجاذب بين اجرام المجموعة الشمسية مثلا تزيد وتنقص حسب تغيرات المسافة على الأخص بالاقتراب من الشمس أو الابتعـاد عنها . فـاذا اقتربت زادت حركتها حتى لا تسقط فيهـا ، واذا ابتعدت بطأت حركتها حتى لا تفلت منها . تلك هى سنته سبحانه التى يمسك بها السموات والأرض أن تزولا عن مواطنهما التى قدر الله لهما (**ولئن زالتـا ان أمسكهما من أحـد من بعده**)(٥) .

تفسير للشيخ محمد عبده

واللطيف البديع أن كبير المفسرين المحدثين الامـام الشيخ محمد عبده رحمه الله فسر بنـاء السماء طبق قـانون الجـاذبية فكان فتحـا فى التفسير ، وفتوى عملية تبيح تفسير الآيـات الكونيـة فى القرآن طبق ما ثبت أو يثبت على أيدى علمـاء الفطرة من الحقائق الخاصة والسنن

(٥) الآية «٣١» من سورة فاطر .

العامة ، لا كما يريده بعض من يخشى على القرآن ، أو يخشى منه — يخشى عليه من سوء التطبيق والخطأ فيه ، أو يخشى منه اذا ثبت فى عصر العلوم هذا تمام التطبيق بين الحقائق الكونية ، وما يتصل بها من آيات القرآن فينهزم الالحاد ويدخل الناس مرة أخرى فى دين الله أفواجا .

يقول الشيخ محمد عبده فى جزء عم فى تفسير (بناها) من آية فى سورة النازعات « البناء ضم الأجزاء المتفرقة بعضها الى بعض مع ربطها بما يمسكها حتى يكون عنها بنية واحدة ، وهكذا صنع الله بالكواكب : وضع كلا منها على نسبة من الآخر مع ما يمسك كلا فى مداره ، حتى كان عنها عالم واحد فى النظر ، وسمى باسم واحد هو السماء التى تعلونا » .

فقوله « وضع كلا منها على نسبة من الآخر » اشارة الى تقدير نسب المسافات ثم الكتل . وكنى عن الحركة والجاذبية بقوله « مع ما يمسك كلا فى مداره لكنه صرح بها فى تفسير قوله تعالى **(والسماء وما بناها)** من سورة الشمس اذ يقول رحمه الله « **وأنت انما تتصور عند سماعك لفظ السماء هذا الكون الذى فوقك ، فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجرى فى مجاريها وتتحرك فى مداراتها . هذا هو السماء وقد بناه الله اى رفعه وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة او جدران تحيط بك . وتشد هذه الكواكب بعضها الى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط اجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به** » .

وليس فى قول الامام محمد عبده ما يلاحظ الا كلمة الكواكب استعملها لتشمل النجوم والسدائم وفى القرآن الكريم اشارات تفرق بينهما فى الدلالة . واشارات القرآن لها اهميتها القصوى كالاشارات فى الفطرة تماما ، اذ كل من عند الله ، فلا يمكن أن تأتى اشارة أيهما عبثا . وعلماء الفطرة يتتبعون اشاراتها ، ويوجهون بحوثهم حيث تشير ، فينكشف لهم بها من أسرار الفطرة ما ينكشف . وعلى اهل القرآن ان يفعلوا مثلهم فى اشارات القرآن ، ليظفروا من أسراره بمثل ما ظفر او يظفر به أولئك من أسرار الفطرة .

والمهم الضرورى فى تفهم القرآن الكريم ، وتطلب غرائبه كما أمر الرسول(٦) ان يحترز كل الاحتراز من فهم يؤدى الى : تعارض بين الآى ، أو بين شىء منها ، واليقينى الثابت من حقائق الكون ، دون المحتمل الراجح من فروض العلم ونظرياته .

وليس من تعارض الآى ان تفهم (الكواكب) فى قوله تعالى **(ولقد زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)** من سورة الصافات ، بغير ما تفهم به (مصابيح) فى قوله تعالى **(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح)** فى الآية الخامسة من سورة الملك ، فكل منهما تنبه الى آية أو آيات لله فى الخلق غير التى تنبه اليه الأخرى . ويكفى فى تبيين الفرق بينهما الوجه الذى جاء عليه المفرد من كل فى قوله تعالى **(المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى)** فى الآية (٣٥) من سورة النور . فالمصباح سراج متقد فى العرف ، ودلالة قوله تعالى **(يوقد من شجرة مباركة زيتونة)** فى نفس الآية الكريمة ، والزجاجة لا تتقد ، ولكن عند صفائها تعكس وتشع بضوء

(٦) حديث الحافظ ابى يعلى فى آخر كتاب فضائل القرآن للحافظ ابن كثير ملحقا بتفسيره .

المصباح ، وتتلألأ كأنها كوكب . فالكوكب المشبهة به زجاجة المصباح فى الآية الكريمة لا يضىء بذاته ، ولكن بما يعكس ويشع به من ضوء ما متقد كالمصباح من أجرام السماء ، كالقمر والسيارات حيث تعكس ضوء الشمس التى هى نجم لا كبير ولا صغير بين النجوم .

فالمصابيح اذن فى آية سورة الملك هى النجوم ، والكواكب فى آية سورة الصافات هى سيارات المجموعة الشمسية وأقمارها ، وما قد يكشف عنه الرصد من مثلها .

السديم

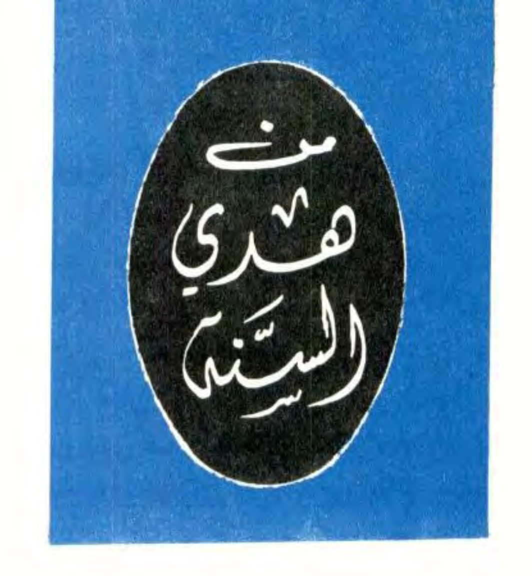
أما السديم فلم يرد باسمه فى القرآن الكريم ، ولكن بصفته من أنه كتل هائلة من أجسام دقيقة حارة بعضها غاز ، وبعضها بخار ، وبعضها مضىء ، وبعضها معتم ، وبعضها مظلم ، وكل ذلك دل عليه القرآن الكريم ببضع كلمات فى قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان) فى الآية (١١) من سورة فصلت . فقد جمع الله لعباده أهم صفات السديم فى كلمة واحدة هى (دخان) . والسديم فى اللغة : الضباب الرقيق أو عام كما فى القاموس ، وقد ترجمت به كلمة (Nebula) فى العلم . فلو جاءت كلمة سديم بدل دخان فى الآية لما دلت الا على المعنى اللغوى ، وهو الضباب ، والضباب أكثره بخار ماء ، وليس كذلك السديم الفلكى . ثم دلت على ما يدل عليه الدخان من حرارة ، وهى من اهم صفات السديم فى الفلك .

فانظر كيف جىء بلفظ بدل لفظ ، وكلاهما عربى ، فكان فى اللفظ المختار معجزة علمية ، ثم كان فى الاخبار بأن السماء كانت من قبل دخانا كلها ، قبل أن تتطور الى ما تطورت اليه ، معجزة علمية أكبر ، تشهد لما يعتقده المحدثون من علماء الفلك ، من أن السدائم الهائلة المشاهدة اليوم على بعد مئات الألوف أو ملايين السنين الضوئية ، هى بقايا ما كان عليه الكون فى الأول ، قبل أن يمر فى الأطوار التى صار بها الى ما هو عليه الآن ، ويعتقد علماء الفلك أن القوة التى تحول بها سديم الكون الى ما عليه الكون اليوم فى قوة الجاذبية العامة فى المادة السديمية .

ولو أنهم تتبعوا عقيدتهم هذه الى نتيجتها المنطقية حسب قواعدهم التى تعدوها فى العلم ، لوصلوا حتما الى الله خالق الكون ومدبره . انه لا نهاية لاحتمالات التجاذب فى سديم الكون وما ينتهى اليه . فاحتمال أن يتخذ التجاذب الطريق المؤدى الى الأطوار التى مر بها الكون السديمى الى أن صار الى ما نراه عليه ، هذا الاحتمال هو واحد أو أى عدد متناه محدود ، مقسوما على مالا نهاية . وهذا هو الصفر الرياضى . فاتخاذ ذلك الطريق اذن من بين الطرق المحتملة التى لا نهاية لعددها ، قد كان — لا بد — بتوجيه وتدبير وأمر خالق حكيم قادر الى آخر صفات الجلالة التى لله سبحانه وتعالى . وقد دل القرآن الكريم على هذا وأكثر بقوله تعالى فى سورة الذاريات (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) .

والأيد فى اللغة القوة . والتنكير للتعظيم . وقد سمى علماء الفلك تلك القوة التى لا يعرفون لها تفسيرا بالجاذبية العامة . وفى قوله تعالى (وانا لموسعون) موضوع لكلام كثير فيما يسميه علماء الفلك تمدد الكون .

« للبحث بقية »



للشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

بالحب لله صلاح الدنيا والدين

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

(رواه الشيخان ــ البخارى ومسلم)

١ ــ هذا الحديث الشريف يعتبر أصلا عظيما من أصول الشريعة الاسلامية ، وقاعدة كريمة من قواعدها ، ومن نتائج تطبيقه والعمل به الاعتصام بحبل الله ، وترك كل ما من شأنه أن يسىء الى الآخرين مهما كانت نوازعهم واتجاهاتهم ، والنفس القوية العظيمة المترفعة عن السفاسف والدنايا تحب الاحسان وتتجنب الاساءة ، وتبتعد عن الايذاء ، واذا فشت فى الناس المحبة والتواد في الله ، حصل التالف ، وانتظمت أمور العباد وأحوالهم فى معاشهم الدنيوى ، واتجهوا بقلوب صافية الى ما ينفعهم فى الآخرة ، فيهابهم أعداؤهم ، وتتحد قواهم ، ويمتد سلطانهم وتسعد بهم الدنيا :

وقوله صلى الله عليه وسلم : **(لا يؤمن أحدكم)** المراد : الايمان الكامل الشامل المبنى على التصديق والايقان بوجود الله ووحدانيته ، وصدق رسله جميعا عليهم الصلاة

والسلام ، وهذا هو الايمان الصحيح الموصل الى سعادتى الدنيا والآخرة **(حتى يحب لأخيه)** فى الايمان والاسلام دون أن تقتصر محبته على فرد دون آخر ، لأن المؤمنين متساوون فى الأخوة **(انما المؤمنون اخوة)** . وقال بعض السلف الصالح رضى الله عنهم جميعا : « يمكن أن يكون التعبير بالأخ فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، عاما شاملا فيدخل فيه كل الناس حتى الكفار فهم أخوة فى الانسانية ، ومن واجب المسلم أن يحب للكافر الدخول فى الاسلام وأن يدوم عليه ، حتى يحصل له من الخير المأمول ما يستفيده المسلم العامل بأصول دينه ، والمطبق فى سلوكه أوامر الله ، والمجتنب لنواهيه ، ولهذا كان الدعاء بالهداية مستحبا دائما فى كل الحالات . . اهـ » (ما يحب لنفسه) من الخير والمنفعة العاجلة والآجلة ، وفى رواية النسائى **(حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه ويبغض له مثل ما يبغض لنفسه)** وفى رواية الامام مسلم **(والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ، أو قال : لجاره ما يحب لنفسه)** . والخير اسم جامع لكل الطاعات والمباحات : من العبادات والطيبات من الرزق ، وسعة العيش ورفاهية الحياة ، وفى الأثر الشريف: **(انظر احب ما تحب أن يقدمه الناس اليك فاده اليهم)** .

٢ — وينبثق عن المحبة المشار اليها فى الحديث الشريف (الايثار) وهو ايصال النفع الى الغير مع الحاجة الماسة اليه ، فالمحب فى الله يؤثر اخاه بكل فضل ومعروف جل أو قل ، قال تعالى **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)**(١) فهم يقدمون الى اخوانهم ما يحتاجون اليه ، مع أنه غير زائد عن حاجتهم ، فقد يبيت أحدهم طاويا ، ويطعم الطعام من هو أشد حاجة اليه منه ، راجيا رحمة الله ومغفرته ، سالكا ذلك الطريق طريق المحبة الى رضوانه وجناته ، فهم لا يطلبون من الناس جزاء ولا شكورا وانما يفعلون ما يفعلون طمعا ورجاء لما عند الله . قال تعالى : **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا)**(٢) وقد يتعدى الايثار الطعام والشراب الى المال كله ، وما ملكت يد الانسان ، بل احيانا يتجاوز ذلك الى الفداء بالنفس والروح ، ومن أبرز الأمثلة التى يجب أن تحتذى فى هذا الصدد ، ما فعله سيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه ليلة الهجرة الكبرى حين بات فى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم علم اليقين الذى لا يخامره شك ولا يصل اليه ريب أن الموت ادنى اليه من حبل الوريد ، فما بينه رضى الله عنه وبين الاستشهاد فى سبيل الله الا أن تمتد اليه السيوف المشرعة فى ايدى الأشداء من الكفار المترصدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حينذاك ، ولكنه الايمان بالله وبرسوله ، والحب فى الله ولله وحده . وقل مثل ذلك فى صنيع سيدنا الصديق أبى بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه حين دخل الغار مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ووضع قدمه على

فتحة جحر الثعبان الذى ناشه بأنيابه وأفرغ فيه سمه فما هاج ولا ثار حرصا على الرسول الأمين وحفاظا على حياته الشريفة . ومثل ذلك الفداء كثيرا ما تكرر من اولئك الأبطال المغاوير الأفذاذ الذين رسموا للحياة الحرة الكريمة اقوم سبيل لا عوج فيها ، فسادوا وغدوا ضياء ونورا يسير على هداه المصلحون المخلصون ، والمؤمنون العاملون ، وخلدت ذكراهم ولن يمحوها كر ليل أو مر نهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٣ — ومن دلائل المحبة لله ، الا يتعرض المؤمن لحرمات الناس مهما كانت عقائدهم ومهما تنوعت مشاربهم ، واختلفت دروبهم ، فلا يدخل المؤمن ابدا فيما لا يعنيه من شؤون غيره ، بل يجعل اهتمامه بما يفيده ويفيدهم ، وما ينفعه وينفعهم ، وما يبقى عليه وعليهم ، وما يمضى به وبهم تدما الى كل فضيلة وسبق فى الخير وطاعة لله وعمارة دنياه ودنياهم بمحبة خالصة صافية لوجه الله .

روى الترمذى وغيره عن عبد الرحمن بن صخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه(٢))** وفيه اشارة الى ترك الفضول ، فالمؤمن مع المؤمنكالنفس الواحدة ، ومصداق ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهمكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر)** . ويلزم من ذلك ، كف الأذى والمكروه عن الناس عامة والمؤمنين خاصة ، وبهذا يبلغ المؤمن مرتبة الكمال والسموالنفسى، ويحتل أشرف مكانة بين الناس ،

سئل لقمان الحكيم مرة (ما الذى بلغ بك ما نرى من الحكمة والفضل ؟ فأجاب : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وتركى ما لا يعنينى) وروى أبو عبيدة عن سيدنا الحسن رضى الله عنهما أنه قال : **(من علامة اعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه)** .

ومن مستلزمات المحبة ايضا : أن يكون المؤمن أمينا فى كل شىء ، وأن يؤدىالأمانات الى اهلها دائما ، فهذا يوثق رباط الألفة ومما يعين على ذلك أن يصرف وظائف أعضائه فيما يجلب له حب الناس ومودتهم ، ويعين على رضا الله ومغفرته ، فلا يستعمل لسانه فى غيبة أو نميمة ، او كذب ، أو بهتان ، أو بدعة مفسدة ، والا يمد عينيه الى محارم العباد ، فلا يتجسس ولا يتحسس ، والا يصغى بأذنه الى الافتراء والأضاليل ، وما لا يرضى رب العالمين ، مما هو خارج عن حدود الاسلام وقواعد الأخلاق الكريمة ، وأن يرد الودائع الى أهلها ، وان يترك الشجار والخلاف والنزاع وان يديم المعاملة الطيبة الكريمة مع كل من عرف ومن لم يعرف .

ومن امانة المسئولين عن امور العباد أن يعدلوا فيما بينهم ، وأمانة العلماء أن يدابوا على تبليغ رسالة الله الى خلقه اسوة برسول الله وخلفائه الأبرار ، ولا يهنوا ، ولا يضعفوا مهما لاتوا من عقبات ، حتى يمكنوا لطاعة الله بين عباده ، ويحملوا الناس على الأخلاق الفاضلة ، ويبعدوا بهم عنالفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ومن أمانة النساء الا يخن فى مال أو عرض ، ولا يوطئن فراشهن غير ازواجهن ، ولا يخرجن من بيوتهن الا باذن اولياء أمورهن ، وفى رفقة محارمهن ،

ومن أمـــانة الرجال الحفـــاظ على زوجاتهم وادامة حسن معاملتهن ، وبذل كل معروف لهن ، ومن أمانة التـــابعين أن يحافظوا على اموال متبوعيهـــم ولا يقصروا فـــى أداء الواجب نحوهم ، وعلى متبوعيهـــم أن يعـــاملوهم بالحسنى وزيـــادة ، فيطعموهم مما يطعمون ويلبسوهـــم مما يلبسون ، فهـــذه هى أمانة الله التى يجب أن تـــؤدى ، والتى بهـــا تقوى المحبة وتدوم الصلات الكريمة بين النـــاس على مختلف احوالهـــم ودرجاتهم وقد قـــال أنس رضى الله عنه : خطبنا رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فكان مما قال : (لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له).

٤ — ولا يخفى أن حب المـــؤمن الخير للآخرين ، من التكاليف الشاقة المضنيـــة فليس هو مجرد قـــول ، وانما عمل بكل ما تطلبه الشريعـــة الغراء ، والنفس نزاعة الى اتبـــاع الهوى ، والشيطان يتربص بالمؤمن الـــدوائر ، وقـــد ورد فى الآثـــار الشريفة : أن الله تبارك وتعـــالى خلق الدنيا وزينها بخمسة أشياء : علم العلماء ، وعدل الأمراء ، وعبادة الصالحين ، ونصيحة المستشارين ، وأداء الأمانات الى أهلهـــا . ولكن الشيطان الرجيم الذى شطن عـــن طاعة ربه ، وعصى مولاه ، وتوعد بنى آدم بالويل والثبور ، كما حكى عنه القرآن الكريم (قال أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا)(٤) وفى موضع آخر من الكتاب العزيز قال تعالى : (**ان يدعون من دونـــه الا اناثـــا وان يدعون الا شيطانـــا مريدا . لعنه الله وقال لأتخذن من عبـــادك نصيبا مفروضا . ولأضلنهم ولأمنينهـــم ولآمرنهـــم فليبتكن آذان الانعـــام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينـــا . يعدهم ويمنيهـــم ومـــا يعدهم الشيطان الا غرورا**)(٥) .

أقول : ان هذا العدو اللدود ، الذى لا يفتأ ينفث سمومه بين عبـــاد الله ، ليفرقهـــم ، ويغرقهـــم فـــى المعاصى ، ويجلب لهم الذل والهوان، هذا الشيطان : زين لابن آدم أشياء تناقض ما زين الله به الدنيا : فقرن العلم بالكتمان ، والعـــدل بالجور ، والعبـــادة بالريـــاء ، والنصيحـــة بالغش ، والأمانة بالخيانة . ومن هنا تلاشت المحبة بين النـــاس أو كادت الا من عصم الله ، والذى يبشر بالخير ويدفع اليأس ما أشار اليه سيد الرسل بقوله : لا تزال طائفـــة من أمتى قائمة على أمر الله لا يضرهم من خـــالفهم .. الحديث . وهؤلاء يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهـــم وهم منبثون فـــى الأرض ، وقـــد لا يعلمهم الا الله ، والعلماء يرسمون طريق الخير ولا يقصرون ، وعلى الله قصد السبيل . انه نعم المستعان .

---

(١) الآية (٩) من سورة الحشر .

(٢) الآيات : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، من سورة الدهر .

(٣) رواه البخارى وغيره .

(٤) الآية ٦٢ : الاسراء .

(٥) الآيات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ سورة النساء .

المسلمون والحضارة



كيف يجب أن يكون موقف المسلمين ازاء العالم الحديث والحضارة الحديثة .

لقد شغل هذا السؤال المسلمين منذ أكثر من قرن ونجم هذا السؤال من الشعور المرير الذى ساد المسلمين أنهم لا يحتلون مكان الزعامة والسيادة فى العالم ، كما كانوا فى الماضى فى مختلف ميادين الحياة ، وهذا الشعور عميق الجذور فى عالم الواقع ، وهو ليس بشىء مختلف ، ان تخلف المسلمين خلال القرنين السالفين . بالنسبة لمنافسهم التاريخى العالم الغربى ـ حقيقة ثابتة ملموسة فليس هنالك مجال للشك فيها كما أنه ليس من شك أيضا أن العالم الاسلامى كان يتمتع بحضارة عظيمة وتقدم بارز وكانت البلاد الاسلامية بلاد العلم والنور أيام كان العالم الغربى منغمسا فى الجهل والتاخر والهمجية .

وليس اذن من الصعوبة أن ندرك سبب الشعور المرير الذى يحسه المسلمون بوضعهم ـ المتخلف والعاجز ـ اذا تذكرنا أنهم تمتعوا بتفوق هائل على العالم بأسره لعدة قرون ، ورافق النجاح معظم عهود تاريخهم فما كان رسولهم ـ محمد عليه الصلاة والسلام ـ ناجحا فى أداء الرسالة السماوية فحسب بل كان موفقا ناجحا فى الأمور الدنيوية أيضا ، لأنه وفق الى اقامة دولة شملت الجزيرة العربية ، وبعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام . بدا الزحف الاسلامى العظيم فى شكل موجة من التوسع لا نظير لها فى تاريخ العالم . وضربوا احدى الامبراطوريات الكبرى آنذاك ـ الامبراطورية الفارسية الساسانية ـ ضربة قاضية وانتزعوا من الامبراطورية الأخرى ـ الامبراطورية الرومانية ـ أثمن ولاياتها ـ مصر وسوريا ـ وبعد فترة قصيرة حملت المسلمين الموجة الثانية التوسعية الى جبال بيرونى فى أوربا ، واقطار آسيا الوسطى وبعض أجزاء الهند .

وباضافة الى الانجازات العسكرية الهائلة كانت هناك عوامل أخرى جعلت المسلمين قادة العالم ، فكانوا حملة رسالة دين سحر قلوب الناس ببساطة

للدكتور: ظفر الأنصاري





عقيدته ، وسمو المبادىء التى نادى بها ، واتاح هذا الفتح الدينى للمسلمين أن يستخدموا كفاءات أناس يتمتعون بعدة أجناس وحضارات ، أصبحوا اخوانا بفضل دخولهم الاسلام ، فأسهم العرب والفرس والأتراك والهنود فى تشييد بناء الحضارة الاسلامية ، التى كان لتسامحها الدينى ، ورحابة صدرها مع غير المسلمين الذين كانوا يعيشون فى ظل الدولة الاسلامية ، الفضل الأكبر فى تشجيع الشعوب غير الاسلامية ، أن يقدموا كفاءاتهم ومواهبهم فى خدمة المصالح العامة ، وفى ترقية العلوم .

وعلاوة على ذلك نجد أن الاسلام قد حرر عقول اتباعه من الخرافات والأوهام مما جعل المسلمين ينظرون الى هذا الكون نظرة علمية دقيقة . فلا غرو اذا لاحظنا أن المسلمين بعد ظهورهم على مسرح التاريخ لم يتغلبوا على تراث الحضارات السابقة فحسب ، بل أخذوا يسهمون فى ترقية العلوم وازدهارها ، فقد قام المسلمون بنشاط هائل فى جميع ميادين الحياة ، حتى أصبحوا خلال القرنين الاولين أكبر قوة عسكرية وسياسية فى العالم ، ويقودونه فى مجالات الدين والثقافة والعلم والمعرفة ، واحتل المسلمون مركز الزعامة العالمية طوال القرون الوسطى ، حتى رأيناهم منذ قريب — منذ ثلاثة قرون — كانوا يقرعون ابواب فيينا — .

ولكن المسلمين بداوا ينسون فى ذروة تقدمهم أن الحياة تتطلب الكفاح والجد والعمل ، وان الانجازات التاريخية لا سبيل اليها الا بالعمل المتواصل الشاق ، فبدأ التراخى والترف ينتشران فى حياتهم ، وانما ظهر المسلمون حينما ظهروا أول مرة على مسرح التاريخ بالعقيدة القوية الحارة ، وبالحب العميق للمثل الأعلى ، والتحمس الشديد لأداء رسالتهم ، مما دفعهم فى جميع ميادين العمل ، فكانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، وكانوا يجتهدون فى العبادة والتنسك ، كما يجتهدون فى الغزو والقتال ، وفى الانكباب على العلم والمعرفة والصناعة والزراعة ، وكان عملهم متسما بالابتكار والابداع ، فكل ما خلفوه من

آثار فى العمارة والأدب والعلم والفلسفة والفقه ، يثبت حيويتهم وابتكارهم .

جمـــود

ولكن الأيام يداولها سبحانه وتعالى بين النـــاس ، فبعد فترة من الزمن بدأت حماستهم تخف ، وأخذوا يعيشون على ما خلفه الآباء ، دون أن يضيفوا انجازات جديدة الى انجازات أسلافهم ، ونسوا ان على كل جيل من الأجيال أن يضيف الى التراث القومى ، كما أن من حقه أن ينتفع بما تركه الآباء ، وقد وصل المسلمون فى القرن الخامس عشر الميلادى الى تدهور مخيـــف من الركود ، حتى أصبحوا لا يهتمون الا بالاحتفاظ بالتراث الذى انتقل اليهم من آبائهم ، فلم يكن يخطر لهم على بال أن يستمروا فى الجهد لتحسين أوضاعهم أو لاضـــافة ثمراتهم الخاصة الى تراثهم العلمى ، فنتج عن هذا أن جمد كل شىء ، واخـــذ قالبه النهائى ، فطراز الملابس والأثاث وأشكال البنايات ونماذج الأدوات للحياة اليومية وأساليب الانتاج لم تتغير طوال قرون الا تغيرا طفيفا . واذا كنا نريد أن ندرس انجازات المسلمين فى مجال العلم ــ الدينى والدنيوى ــ فاننا نلاحظ أن المسلمين ما كانوا يهتمون الا بكتابة الحواشى على مؤلفات المتقدمين حتى يفسروها ، وما كانوا يرون أن من واجب العالم أن يبدع ويبتكر ويكتشـــف ، فقصارى القول ان المسلمين أخذوا الى حد كبير يقدسون كل شىء فى تراثهم ، ويعتبرونه غير قابل للتغير ، ومنحوه مكانا لا يجوز الا لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله .

تخلف هنا وتقدم هناك

وحينما بدأ تدهور المسلمين اســـتيقظت أوروبا وانتقلت الى حياة جديدة بعد سباتها الطويل ، وكذلك كانت الحياة الجديدة التى بدأت تتدفق فى أوروبا ، وليدة الروابط التى قامت بين المسيحيين والمسلمين بوساطة الحروب الصليبية ، ثم أخذوا العلم والمعرفة من الجامعات فى صقلية والأندلس ، فكانوا من جميع أنحاء أوروبا يغشون هذه الجامعات ، ليتزودوا منها بالمعرفة والنور . وهكذا أقبلت أوروبا على الحياة الجديدة ، وظهرت نهضة علمية قوية فى أرجائها ، بينما انغمس المسلمون أكثر فأكثر فى حياة الترف والكسل واللامبالاة ، حتى أصبح واضحا فى بداية القرن الثامن عشر ، أن المسلمين قد فقدوا مكانهم وقوتهم ، وان الشعوب الأوروبية أصبحت أقوى منهم .

واستغلت هذه الشعوب العلوم الجديدة والتكنولوجيا الجديدة ، وأحسنت الادارة فى جميع ميادين الحياة ، فنظمت الحكومة والجيش والحياة الاقتصادية تنظيما جيدا ، حتى زادت فعاليتها بفضل استخدامها الأساليب الفنية الحديثة المؤثرة ، ودفع الشعوب الأوروبية الطموح على استغلال الثروات الهائلة فى القارتين آسيا وافريقيا وغيرها من أنحاء العالم . وهكذا سارت فى معـــارج التقدم حتى تركت الشعوب الأخرى بعيدة عنها ، واستطاعت بفضل هذا التقدم والتفوق المادى والعسكرى أن تستغل الشعوب الأخرى وتستعبدها .

وقد كان صعبا على المسلمين فى البدايـــة أن يعترفوا بتفوق العالـــم المسيحى ، ولكنهم جابهوا عدة نكسات متواليات ، حتى شعروا أنها ليســت أمورا عابرة ، بل هى ذات جذور عميقة ، وتمثل الواقع ، وأن عدوهم أصبح أقوى منهم ، وبمرور الأيام أخذوا يفكرون أنه من الممكن لهم أن يستفيدوا من هذا

التقدم العلمى لدى الأوربيين ، فلاحظ المسلمون أن سلاح العدو وتنظيمه العسكرى أحسن من سلاحهم وتنظيمهم ، وتقتضى مصالحهم أن يحصلوا على السلاح نفسه ، وان ينظموا جيشهم نفس التنظيم . وشعر المسلمون بمرور الزمان أن من صالحهم أن يستفيدوا من تجارب الشعوب الأوربية وانجازاتها فى كثير من نواحى الحياة غير الناحية العسكرية .

اتجاهان متعارضان

وما زال المسلمون يختلفون بعضهم مع بعض فى موقفهم ازاء الحضارة الحديثة ، وسبب الخلاف أن الحضارة الحديثة تحتوى على عناصر تستحق التقدير ، وفى الوقت نفسه لا تخلو من سيئات تنفر المسلمين من هذه الحضارة ، ولهذا كان هنالك عدة اتجاهات سائدة فى المسلمين من الدعوة الى التقليد الأعمى للشعوب الحديثة ، أو الى استنكار واهمال كل ما ياتى من الغرب .

فلننظر أولا الى اخواننا الذين ينادون باخذ الحضارة الحديثة باسمها بدون قيد أو شرط . يقول أولئك الناس إن الشعوب التى تتمتع بالتقدم والرخاء والقوة ما نالتها الا بالتحرر من الافكار والنظم البالية ، ويستنتجون من هذا أن كل شعب يريد أن يتمتع بمكانة تلك الأمم لا بد له ان يحذو حذوها .

ويتضمن هذا الموقف الشعور بان الحضارة الحديثة متماسكة الأجزاء ، وهى وحدة لا تتجزا كاى كائن حى ، فمن المستحيل ان ناخذ بعض اجزاء منها وندع غيرها ، فليس امامنا سوى طريقتين : اما ان ناخذ الحضارة الحديثة باسرها بحسناتها وسيئاتها بازهارها واشواكها أو ندعها كلها .

ولكن هل صحيح أن الحضارة الحديثة كائن حى ، وانه ليس بوسعنا ان نختار منها بعض الأجزاء وندع الأجزاء الأخرى ؟

فلننظر الى الشعوب والبلاد التى تتمتع بحضارة حديثة فمنها انكلترا ومنها المانيا ومنها أمريكا ومنها روسيا ومنها اليابان وعدة بلاد أخرى . ومن حقنا أن نسأل ما الذى يجعل كل منها يتسم بسمة الحضارة الحديثة ؟ فمن الواضح أن هذه الشعوب تختلف بعضها عن بعض فى عدة أمور ولكن هنالك بعض المزايا المشتركة التى تصبغها الحضارة الحديثة فيحاول كل شعب من هذه الشعوب أن ينال الثروة العلمية العالمية وخاصة الثروات الهائلة التى ظهرت خلال العصر الحديث فى العلوم الطبيعية والتكنولوجيا ، ويحاول أن يستغل هذه الثروة لخلق مجتمع افضل ، ونرى لأجل ذلك أنه رغم الاختلاف بين هذه الشعوب هنالك كثير من الأمور مشتركة بينها ، والمعروف أن أمريكا وروسيا دولتان متعاديتان ولكن كل منهما تصنع (مثلا) طائرات نفاثة ، وتحاول أن تسبق غيرها فى ارسال أقمارها الصناعية ، ورواد الفضاء الى الأجرام السماوية ، كذلك كل منهما تستعمل نفس القوى المتحركة فى مصانعها ، وتستعمل نفس الأساليب الفنية فى الانتاج ، وهنالك أمثلة لا حد لها فى هذا الصدد .

ورغم هذا الاشتراك تختلف الدول المتقدمة بعضها عن بعض فى عدة أمور تختلف هذه الدول بالنسبة لتحديد قيمة الفرد ومكانته فى المجتمع ، وبالنسبة لحقوقه وحرياته المشروعة ، وبالنسبة للملكية ووسائل انتاج الثروة وتوزيعها ، ووظيفة الدولة ودورها فى الحياة الاقتصادية وغيرها من الأمور ، كذلك تختلف الدول الحديثة فى قضية الدين ودوره ومجال نشاطه فى المجتمع الانسانى ، والمبادىء التى تقوم عليها الأسرة وغير ذلك من الأمور .

والمعروف أن النظام الاقتصادى فى البلاد الرأسمالية يختلف عن النظام الشيوعى وعن النظام الاشتراكى ، ومع ذلك الاختلاف يتمتع كل من هذه البلاد بالنتائج الحسنة التى تنتج من استغلال الوسائل الحديثة للانتاج ، كذلك اليابان بلاد متقدمة ، وتتمتع باقتصاد حديث قوى ، وبالرقى المادى والتقدم فى كثير من ميادين الحياة ، ولكن نرى مع ذلك أن تقاليد الأسرة والحياة العائلية تختلف عما هى فى أمريكا والبلاد الأخرى . والمانيا كذلك من البلاد التى تعتبر متقدمة ، بل لها فضل كبير على العالم بسبب الدور الكبير الذى لعبه الألمان فى ترقية العلوم مع ذلك كان الألمان يؤمنون منذ عشرات السنين بتفوق جنسهم على جميع الأجناس ، وكانوا يعيشون فى ظل نظام يختلف كثيرا عن النظام السائد فى البلاد المتقدمة الأخرى .

ماذا نستطيع أن نستنتج من هذا ؟ من حقنا أن نستنتج أن الحضارة الحديثة ليست بكائن حى كما يزعم بعض الناس غير قابل لتجزئة عناصره المختلفة ، والأخذ ببعضها وترك بعضها الآخر ، ومعنى ذلك أن من الممكن أن يقوم مجتمع ما بعملية التجديد والتطور بدون أن تهدف هذه المحاولة الى صبغ هذا المجتمع بصبغة بلاد أخرى ، وبدون أن تهدف جعل هذا المجتمع الصورة المنقولة المهزوزة لأى مجتمع آخر .

والعصرية تعنى فى الحقيقة الاستعداد للانتفاع بتجارب النوع الانسانى خاصة خلال القرون الأخيرة ، ولا سيما بالانجازات فى مجال العلوم والتكنولوجيا أو الاستعداد لأخذها والاضافة اليها ، ولهذا كانت العصرية عبارة عن الوسائل والأدوات الفعالة لتحقيق غايات المجتمع ، وهى ليست عبارة عن الغايات نفسها فالأخذ بالوسائل والأدوات الحديثة يزيد قدرة المجتمع وفعاليته ، ولكن لا يحدد الغايات لصرف هذه القدرة فهى مثل السيف يمكن استعماله لأغراض اجرامية وكذلك للدفاع عن الحق .

ولا بد من بعض الأمثلة لتبيان هذا :

فمن مفاخر الانسان الحديث ومن انجازاته المدهشة قدرته لاستغلال الطاقة الذرية ، والدولة التى استغلتها لأول مرة هى أمريكا ، فاستعملت هذه الطاقة الرهيبة خلال الحرب العالمية الثانية فى اليابان ، مما أدى الى ابادة بلدين هما هيروشيما وناغاساكى ، ولكن كون أمريكا أول مستغل لهذه الطاقة لا يلزم أن كل دولة تستخدم هذه الطاقة تستخدمها للغاية التى استخدمتها أمريكا ، كما لا يلزم أن هذه الدولة تتخذ الأنظمة الامريكية أو طرق حياتها .

كذلك اذا أردنا أن نقيم بناية مشيدة لا بد لنا من الانتفاع بالهندسة المعمارية الحديثة ، فلا غنى عنها للمسيحى ولا للهندوكى ولا للشيوعى ومن الممكن لكل مجتمع من المجتمعات أن يستخدم الهندسة الحديثة ، بصرف النظر عن الهدف الذى يتوخاه ، فيستخدم هذا العلم فى بناء الكنائس والمساجد ومعابد المشركين والبنوك والفنادق وغيرها .

وكذلك انجازات الانسان الحديث فى الطب والجراحة لا غنى عنها لأى انسان معاصر ، مسلم أو غير مسلم ، لأنه بسبب هذه الانجازات تغلب الانسان ـ بعون الله ومشيئته ـ على كثير من الأمراض التى كانت شائعة فى العالم ، وكانت تؤدى الى هلاك عدد كثير من الناس ، ولكن الاستفادة من الطب الحديث لا يلزم اتخاذ التقاليد السائدة فى البلاد التى لعبت دورا كبيرا فى ترقية علم الطب والجراحة .

وعندنا مثال آخر بالنسبة للحرب الحديثة ووسائلها المدمرة ، فليس من الممكن اليوم لأى دولة أن تدافع عن نفسها بالأسلحة القديمة ، فلا غنى عن الطائرات والدبابات والصواريخ والأجهزة الحديثة الأخرى ، وكذلك لا غنى عن الانتفاع بعلم التخطيط الحربى ، وغير ذلك من الأمور ، وعندنا مثل بارز لامكانات دولة اذا اتخذت الوسائل الحربية الحديثة والتخطيط الحربى العصرى فى الانجازات العسكرية كعدونا الغاشم اسرائيل خلال حرب يونيو الماضى ، فلا يجوز للمجتمع الاسلامى أن يظل متخلفا من الناحية العسكرية ، لأن الاسلام يحث المسلمين على الاعداد الحربى حسب قوله سبحانه وتعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل »** ولكن محاولة تقوية بلادنا من الناحية العسكرية لا تعنى اهمال مبادئنا عن الحرب والسلم واتخاذ التقاليد السائدة فى البلاد التى تصنع الأسلحة الحديثة .

وكذلك ليس من الممكن لأى شعب أن يوفر الثروة المادية والرفاهية اذا استمر فى استعمال الأدوات والأساليب القديمة للانتاج فى الزراعة والصناعة ان الفقر والمرض والجهل ، التى نراها منتشرة فى جميع أنحاء افريقيا وآسيا ، راجعة الى عدم اتخاذ هذه البلاد الأدوات والأساليب العصرية للانتاج ، ومن البديهى أن عدم اتخاذنا هذه الأدوات والأساليب من أهم أسباب انخفاض مستوى معيشتنا ، واذا أردنا ارتفاع مستواها فلا غنى عن استخدام الوسائل الحديثة حتى نستصلح الأراضى للزراعة ، وهكذا يتوفر لنا مصدر عظيم للانتاج الزراعى .

وهنالك كما هو معلوم اهمالنا للطرق الحديثة بالزراعة فلا زلنا بعيدين عن خبرات العلم الحديث بهذا ، ولو اتخذناه لزادت المحصولات عندنا كثيرا عما هى عليه الآن .

وكذلك لا غنى لأى مجتمع فى عصرنا هذا عن الماكينات الحديثة وعن الخبرة الفنية الحديثة لازدهار الصناعات وتوفير الانتاج . ولكن اتخاذ هذه الوسائل والأساليب المؤثرة للانتاج ، لا يلزم أن نحذو حذو مجتمع معين من المجتمعات فى جميع الأمور ، ونأخذ انظمتها مثلا فى ملكية الأرض ووسائل الانتاج . وفى سياسة الضرائب وفى توزيع الثروة وفى تحديد وظيفة الدولة فى الحياة الاقتصادية .

وقد يكون الأمر واضحا اذا تساءلنا : ما هى العناصر التى جعلت بعض البلاد تتمتع بالقوة والرخاء والتقدم ؟ ما هى العناصر التى جعلت أمريكا مثلا دولة قوية وراقية ؟ هل قوتها ورخاؤها ترجع الى زى الامريكان ؟ أو الى طراز تسريحة شعر الامريكيات ؟ أو الى أن الفتيات الامريكيات لا يستحين أن يكشفن أرجلهن وأذرعهن أو الى ألحان الجاز والروك أندرول ، ورقصة تويست ؟ أو الى أن عددا غير قليل من عقود الزواج فى أمريكا ينتهى بالطلاق حتى أن البيت المنشق أصبح من صفات المجتمع الأمريكى ؟ أو الى أن الأولاد هناك لا يكرمون أبويهم ، ويصبحون مجرمين بفضل الأفلام الاجرامية ، فيسرقون السيارات ويقتل بعضهم بعضا فى السن المبكرة ؟ أو الى انتشار الخمور فى المجتمع الأمريكى الذى يؤدى الى اصطدام السيارات وهلاك مئات من الناس خلال عطلة نهاية كل أسبوع ، أو هل ترجع قوتها الى التمييز العنصرى والظلم والقسوة مع الملونين الذين ضاقت بهم الحياة على اتساعها فى أمريكا ؟

فهل هذه هى عوامل قوة المجتمع الأمريكى ورخائه ، حتى اذا كانت هكذا

فعلا كان علينا اذا أردنا القوة والرخاء والتقدم أن نحاول صبغ مجتمعنا بالصبغة الامريكيــة ؟ فنحاول أن يزيد عدد البيوت المنشقة بتســهيل الطلاق ، وترويج الخمور ، وأن نحاول كذلك أن لا يحترم الأولاد ابويهم ، وأن يرتدى شبابنا أزياء الأمريكان ، ويقوموا باعمال اجرامية مثل سرقة السيارات والاشتباكات الدامية فى الشوارع ؟

لا أقصد من كلامى هذا أن طريقة الحيــاة الامريكية المعاصرة لا خير فيها — بالعكس — فأنا معجب ببعض مزايا الشــعب الأمريكى ، ولكن الأمر الذى أحب أن أؤكده هو أن كثيرا من مزايا الشعب الأمريكى ليس له أية صلة بالرخاء والتقدم والقوة التى تتسم بها الحياة الأمريكية ، فليس علينا أن نقلدهم فى كل شىء باسم التقدم والحضارة الحديثة ، لأن عوامــل الانجازات الأمريكية هى استعدادهم للعمل المتواصل الجاد فى كل ميادين الحياة ، وتحمسهم لتحسين أوضاعهم وارتفاع مستوى معيشتهم ، فلا يقنعون بأى مستوى للمعيشة مهما كان عاليا ، ويقومون لذلك بالعمل الجماعى المنظم المنسق ، فينتفعــون بثمار العلوم والمعرفة ، وكل يوم يبدعون جديدا فى العلوم ، لينتفعوا بخيراتها ، وهذا هو الذى منحهم قوة كبيرة ، ورخاء مدهشا ، وتقدما بارزا .

ولكن هذا الأمر البناء يحتاج الى جهود كثيرة ، ولا يكفى لتحقيق هذا الهدف التزيى بالملابس الغربية ، ومساهمة الأجانب فى حفــلات الرقص والخمور ، أو التكلم باللهجة الأجنبية المصطنعة ، وغير ذلك من الأمور السطحية . فاذا كنا جادين فى الانتفاع بالعلــوم الطبيعية والمعارف الفنيــة العملية ، والخبرة الادارية لدى الأمم الراقية ، واستغللنا هذا كله لتحقيــق غاياتنا ومقاصــدنا استطعنا أن نساير العالم الحديث ، وبالتالى قضينا على اتكالنا على الأجانب مما يمنحهم فرصة للعبث بمصيرنا .

كذلك اذا أردنا أن نعد قوة عســكرية مؤثرة لا غنى لنا عن مجهودات كبيرة ، وعن الانتفاع بتجارب الأمم الأخرى ، والحصــول على الأســلحة التى صنعتها البلاد المتقدمة ، ولا بد أن نتلقى الخبرة الفنية لانشاء المصانع الحربية ، والتجديد والتطور بهذا المعنى يقتضى منا أن نجتهد ونجتهد ونعرق ونعرق ، فلا غرو أن يتحاشى كثير منا هذا الطريق الشاق ، ويختار طريقا أسهل من هذا فيركزون جهودهم على اظهار انفسهم بمظهــر الشعوب الحديثة المتقدمــة ، فيتلدونهم تقليدا سطحيا أعمى ، وحينما يخرجون الى حفلات الرقص والخمور يزعمون أن كل خطوة يخطونها هى خطوة نحو التقدم والمجد لأمتهم !!!

مثل من تركيا

الفكرة التى ترى أن المسلمين يجب أن ياخذوا بالحضارة الغربية بأسرها ، انتشرت فى تركيا أول ما انتشرت فى العالم الاسلامى ، لأن تركيا أقرب البلاد الاسلامية من أوربا ، ولأن الأوروبيين والصهيونيين والماسونيين ركزوا جهودهم على قطع الصلة بين تركيا وبين أصول ثقافتها الاسلامية ، بين الأتراك وبين اخوانهم المسلمين غير الأتراك ، حتى يسهل عليهم الغزو العســكرى والثقافى فى العالم الاسلامى ، ونفذت هذه الفكرة فى تركيا فى هذا القرن حيث نادت بها الفئة الحاكمة وعلى راسها مصطفى كمال .

فقد كان الأتراك يجابهون أوضاعا عسيرة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى

وحاولت بعض الدول الأوربية أن تحتلها كما احتلت عدة أقطار أخرى في العالم الاسلامي ، فكافح الشعب التركي آنذاك ووجد مصطفى كمال أن الفرصة مواتية لحركته ، وكانت الظروف المناسبة قد هيئت له ، فتسلم قيادة القوى التركية المسلمة ، واضطر لأن يتظاهر بالاسلام ليكسب بالمسلمين الحرب ، وليغرر بهم ، وليكسب ثقتهم في نفس الوقت ، وبفضل الشجاعة والقدرة على القتال والحيوية التي يتسم بها الشعب التركي استطاع الاحتفاظ باستقلال تركيا .

وكان مصطفى كمال يهدف الى أن يفرض على الأتراك أن ياخذوا بكل ما يوجد في الغرب ، فكان التجديد عنده مرادفا للتغريب (يعني اعطاء الحياة السمة الغربية او الأوربية) ، فكان يقول إن التجديد ، أو التحضير يلزم الأتراك أن يلبسوا الملابس الغربية ، ويتركوا الحروف العربية (الجميلة) ، ويحلوا محلها الحروف اللاتينية المعقدة ، ويفصلوا بين الدين والدولة ، ويهملوا التشريع الاسلامي ، وياخذوا بالتشريع الغربي الوضعي ، وأن يقطعوا صلاتهم بينابيع ثقافتهم الاسلامية ، فيستفيدوا اما من تقاليد الأتراك (الواهية) قبل الاسلام ، او من تقاليد الشعوب الأوروبية .

وأكره مصطفى كمال الشعب التركي على هذا كله . فأكرههم على ترك الطربوش وعلى لبس القبعة الغربية ، ورفض الأتراك لبسها ، لأنها كانت في رأيهم شعار الكفار ، فضلا عن كونها غير صالحة للصلاة ، فاستشهد عدد غير قليل من الأتراك ، لأن مصطفى كمال كان يرى لبسها من الأمور اللازمة للتجديد ، وكذلك أجبرهم على ترك الحروف العربية ، وكان هذا الأمر عزيزا على الأتراك ، بسبب قداسة الحروف القرآنية في نظرهم ، ولأن الحروف اللاتينية لم تكن صالحة لكتابة اللغة التركية ، كذلك فرض الأذان باللغة التركية بدلا عن اللغة العربية ، والغى التربية الدينية . والغى الشريعة الاسلامية ، فماذا نتج من هذا كله ؟

ان الطاقات والجهود التي كانت تجب أن تبذل في تحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي والصناعي وفي بناء اقتصاد قوي وجيش قوي بذل جزءا كبيرا منها لأجل قضايا تافهة في أمور لا صلة لها بالتقدم والرقي ، مثل نشر القبعة الغربية والحروف اللاتينية ، وفي الجدال والنقاش والحروب الأهلية حول أمور سطحية سخيفة !

ورغم أن مصطفى كمال استطاع أن ينفذ مشروعاته ، ويفرض أفكاره على الشعب التركي ، بعد تعذيب الناس وتشريدهم ، وسفك دمائهم على نطاق واسع جدا ، ظل الشعب التركي وفيا للتراث الاسلامي ، وظهر استنكار الأتراك لفكرة مصطفى كمال في أول انتخابات حرة عقدت في تركيا بعد وفاة مصطفى كمال ، وفشل فيها الحزب الذي كان ينادي بفكرة مصطفى كمال فشلا مخزيا ، وتعرضت فكرة تقليد الحضارة الغربية لنكسة كبيرة .

ويدل هذا على ضعف هذه الفكرة ، ويؤكد كذلك أن الأفكار والتقاليد التي ليست لها جذور في قلوب الناس من الصعب جدا أن تفرض بالعنف والقسوة ، هذا واخذ كل شيء من حضارة أجنبية بدون وعي انتقادي ، وتفكير حر ، يجعل الناس عالة على غيرهم ، ويجردهم من الابتكار والابداع الذي هو ركائز كل أمة حية ومن أهم عناصر التقدم والرقي .

ومن الممكن أن نلخص الأمور التي تعرضنا لها فيما سبق بالنقاط التالية :

١) الشعوب المتقدمة تشترك مع بعضها البعض في العلوم الطبيعية

الحديثة والتكنولوجيا ، وفى الادارة الفعالة ، والاجتهاد والابتكار ، وفى عدة ميادين الحياة ، وهى سر قوتها وتقدمها ، ومع ذلك تختلف هذه الشعوب مع بعضها البعض فى عدة أمور وكل شعب يتمسك بأمور خاصة به (وهى نظرته الى الحياة ، وقيمه وتقاليده) .

٢) من الممكن للمسلمين أن يأخذوا ببعض العناصر من الحضارة الحديثة ، وان يتركوا العناصر الأخرى التى يرونها سيئة أو غير منسجمة مع أهداف حياتهم وتقاليدهم ، والاختلاف بين الشعوب التى تتمتع بالحضارة الحديثة يؤكد أن هذا الشىء ليس مستحيلا .

٣) اثبتت التجارب أن فكرة تقليد الحضارة الحديثة الغربية تقليدا تاما فشلت فى تركيا ، برغم ما بذل من جهود جبارة ، حيث فرضت هذه الفكرة حكومة قوية مستبدة وحيث كان حزبا قويا موجودا يؤمن بهذه الفكرة ، وينادى بها ، ويناضل فى سبيلها ، فاذا كان هذا مصير هذه الفكرة فى تركيا فما هو أساس الأمل لنجاح هذه الفكرة فى البلاد الاسلامية الأخرى ؟

وفى ضوء هذا كله نعود الى سؤالنا : ماذا يجب أن يكون موقف المسلمين من الحضارة الحديثة ؟

وجوابنا هو المثل العربى المعروف (خذ ما صفا ودع ما كدر) وتفصيل هذا أن الشىء الرئيسى الذى يجب علينا أن نأخذه من العالم الحديث هو التطلع الى العلم والتكنولوجيا والاجتهاد ، والجد فى الحصول عليهما ، وتطبيقهما فى حياتنا العملية ، وهذه الأشياء محايدة من الناحية العقائدية والخلقية ، فيجب علينا أن نعض عليها بالنواجز ، ونركز جهودنا على نشر العلم والتكنولوجيا فى بلادنا ، حتى تقضى على تخلفنا ونزيد قدرتنا وقوتنا .

أما الأمور الأخرى كالأفكار والنظم والادارات والتجارب الاجتماعية الحديثة فليس من المعقول أن نصرف النظر عنها بتاتا ، بل علينا أن ندرسها ، وندرس منافعها ومضارها ، وانسجامها أو عدم انسجامها مع مبادئنا وقيمنا وتقاليدنا ومصالحنا ، فناخذ الأشياء التى نجدها صالحة لنا ، ونرفض الأشياء التى تناقض تعاليم ديننا أو قيمنا .

وبذلك لا نقف موقف القرود ، ونقوم بدور التقليد الأعمى ، وكذلك لا نقف موقف الجمود والاحتفاظ المتطرف ، بل نقف موقف الواعى المتنور الحر ، موقف من ليس بعبد البلاد المتقدمة ، بل موقف الذى يريد أن يستغل انجازاتها فى صالح شعوبه المتخلفة من بعض النواحى ، ولكن فى نفس الوقت تحمل أسمى الرسالات وأحسن المبادىء وأسماها ، وهذا الموقف يمكننا أن نستفيد من تجارب جميع الأمم ، دون أن نقلدهم،فما نقبله من الخارج نقبله ، لأنه يسد حاجاتنا وهو فى صالحنا ، وكل ما نرفضه نرفضه لأنه يضرنا ولا ينسجم مع مبادئنا وتقاليدنا وهذا الموقف يحقق تقدم الأمة الاسلامية وانطلاقها مع الاحتفاظ بتراثها المجيد ، والتمسك بمبادئها السامية ، ويصون شخصيتها وذاتيتها ، ويضمن فى نفس الوقت التطور والرقى الذى نتطلع اليه .





للاستاذ : أنور الجندي

امتدت حركة توسع الاسلام فى المرحلة الأولى (شرقا وشمالا وغربا) فاستطاعت أن تبلغ في عصر الخلفاء حدود الهند وافريقيا ، ثم كانت موجتها الثانية في عصر القيادة السياسية الأموية ، وقد بلغت الى حدود الصين شرقا وحدود فرنسا غربا بعد أن اقتحم المسلمون أوربا ، واقاموا دولة الاندلس العربية المسلمة ، ثم توالت موجات ذات طابع محلى تتمثل فى تحركات محمود ابن سبكتكين فى الهند وما وراء النهر ، وما جرى من محاولات للتوسع فى ايطاليا وقلب أوربا الغربية ، ثم كانت حركة القيادة السياسية العثمانية فى قلب أوربا من ناحية البلقان ، ومن خلال هذه الحركة السياسية كانت هناك حركة توسعات الاسلام ذاتيا ، وهى الحركة التى اتصلت بتاريخ الاسلام كله ولم تكن قيادتها الى العسكريين أو السياسيين وانما كانت من عمل التجار والعلماء والصوفية وقد كسبت هذه الحركة توسعات تزيد عما حققته أعمال التوسع السياسية الأولى .

وهناك حقيقة اساسية يجب الا تغيب عن البال هى ان الوحدات التى سيطرت عليها القيادة السياسية الاسلامية فى فجر الاسلام لا يمكن أن توصف بأنها اصبحت مسلمة بين عشية وضحاها ، فقد كان الاسلام حريصا على الا يفرض عقيدته على أحد من سكان الارض الاسلامية وان يترك لأهل هذه

الوحدات الحرية فى ممارسة أديانهم ، بل وحماية مقدساتهم واتاحة الفرصة الكاملة لهم للامن الشامل فى مجال العقائد والمجتمع ومختلف مجالات التعامل ، ومن هنا فقد تم انتشار الاسلام فى هذه الوحدات بالاقتناع وبمطلق الحرية ، فقد قامت على أثر سيطرة القيادة السياسية الاسلامية على هذه الوحدات جماعات من العلماء والفقهاء بالدعوة الى الاسلام وشرحه والرد على ما يعرض له أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى وما يطلبون تفسيره وما يثيره خصوم الاسلام من شبهات ومن هنا فان تعمق الاسلام وتقبله واعتناقه لم يتم بمجرد السيطرة السياسية على هذه المنطقة الفسيحة من حدود الصين الى حدود فرنسا ، وانما تم ببطء شديد ، وبناء على اقتناع كامل ، وقد بقيت وحدات اسلامية على طابعها السابق للاسلام فترة تتراوح بين قرن وثلاثة قرون (الشام وفارس) ولم يتم انتصار الاسلام فى المغرب الا فى القرن الخامس الهجرى ، على يد المرابطين ومن هنا ، وبالاضافة الى ما حققه التجار والدعاة فى المناطق التى لم يفرض الاسلام عليها سلطانه السياسى ، يمكن القول بأن الاسلام قد انتشر ذاتيا .

وابرز ما تتميز به الدعوة الى الاسلام أنها تمت عن طريق القبول والاقتناع فان المسلمين حين وصلوا الى البلاد التى ضمتها الدولة الاسلامية لم يرغموا أحدا على الاسلام ، وانما كانت عدالة الاسلام هى العامل الهام فى انتشار الاسلام وانتقال الناس اليه ، فقد خلص الاسلام الجماعات المختلفة من الجور والظلم ، كخطوة أولى ، ثم حقق لهذه الجماعات الحرية وحقق لدياناتها الأمن — وفق قاعدته الاساسية — ثم كان ما رسمه عمر بن الخطاب وغيره من الولاة من أصول للتعامل فى العقود التى عقدوها كعقد بيت المقدس وغيره مستوحين مكاتبة الرسول لليهود فى المدينة كل هذا العدل المستمد من أصول الاسلام ، أسرع بالجماعات المختلفة الى تقبل الاسلام بعد أمد قصير وقد زاد على ذلك ما عرف عن بساطة الاسلام وبعده عن التعقيد .

وصدق توماس ارنولد حين قال « ان القوة لم تكن عاملا حاسما فى تحويل الناس الى الاسلام ، فقد تولت جماعات من العلماء والفقهاء فى مختلف الوحدات الجديدة اذاعة مبادىء الاسلام ، وكان الخلفاء يرسلون الى كل قطر من يفقه الناس فى دينهم ويحفظهم القرآن ، وكانت « الجزية » التى يدفعها غير المسلمين — هى بمثابة ضريبة الدفاع التى تفرض على غير المسلمين فى مقابل الدفاع مع احلالهم من الاشتراك فى القتال — هذه الجزية كانت ترفع فور اسلام صاحبها ، وقد رد المسلمون الجزية لأهل حمص عندما تحولوا عنها ولم يستطيعوا أن يمنعوا اهلها ، وقد كانت مغريات « الاخوة » بين المسلمين كافة عاملا هاما فى اندفاع الناس الى الاسلام » .

وقد شهد لحرية الارادة فى اسلام المجموعات المختلفة كثير من الباحثين المنصفين : يقول توماس أرنولد : لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لارغام

الطوائف من غير المسلمين على قبول الاسلام ، أو عن أى اضطهاد منظم قصد به استئصال الدين المسيحى ، ولو اختار الخلفاء تنفيذ احدى الخصلتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التى أقصى بها (فرديناند وايزابيلا) دين الاسلام عن اسبانيا أو التى جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتى مذهبا يعاقب عليه معتنقوه فى فرنسا ، وان مجرد بقاء الكنائس الشرقية فى آسيا حتى الآن ليحمل فى طياته الدليل القوى على ما قامت عليه سياسة الحكومات الاسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم .

وقد استطاع الاسلام بقوته الذاتية ان يحقق فتوحا بعيدة المدى كان من أهمها دور عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١) وهو دور خطير يتمثل فى أكثر من عمل :

١ — الكتابة الى ملوك الهند يدعوهم الى الاسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلموا وتسموا بأسماء العرب .

٢ — ولى بلاد المغرب والاندلس خيرة الولاة سيرة ، وكتب لهم عمر كتابا يدعوهم الى الاسلام فقبلوه .

٣ — كتب الى ملوك ما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام فأسلم كثير منهم .

٤ — خفف أثقال الخراج على غير المسلمين واوقف الجزية عمن دخل الاسلام .

وكان شخصية عمر بن عبد العزيز عاملا هاما فى هذه الحركة ، فان الصورة التى رسمتها حياة عمر بن عبد العزيز فى سماحته وتفقهه واستعلائه على مظالم الحكام وعدالته المقطوعة النظير ، كانت هى أساسا مصدر ما تحقق من نجاح بعيد المدى فى هذا السبيل حتى دخلت الوف مؤلفة من الناس الى الاسلام عن طريق الولاة النادرين الذين إختارهم ، وكانوا من تلاميذه فكرا وعلى منهجه عملا ، كما أنه الغى القرار الذى قد وضع قبلا ، فأعفى من يدخل فى الاسلام من دفع ضريبة الراس ، ورفع ضريبة الاراضى واستبدلها بضريبة أخف هى ضريبة العشر وكانت هذه الأساليب — كما يقول أرنولد — وان انطوت على خسارة فادحة من الناحية المادية قد صادفت نجاحا تاما فى الاتجاه الذى كان يريد أن يحققه صاحب العقلية التى أشربت الورع والتدين ، فبادرت جموع هائلة الى الدخول فى زمرة المسلمين .

يضاف الى هذا ما قام به ولاة المسلمين من عمل متصل فى الرد على الشبهات التى يثيرها أصحاب الأديان الأخرى وخصوم الاسلام .

هذا هو التوسيد الأول للدعوة الاسلامية التى قام عليها البناء . ثم توسع العمل فى سائر مجالاته المختلفة وفى مختلف اجزاء عالم الاسلام مما مهد لمرحلة تالية استمرت حتى العصر الحديث ويمكن أن نلخص تطور الدعوة الاسلامية وانتشار الاسلام ذاتيا فى عدة مواقف هامة :

أولا — كان للولاة البارعين أمثال موسى بن نصير أبعد الأثر فى كسب البربر الى صف الاسلام حيث استطاع أن يكسب قلوبهم ويكشف لهم عن جوهر



الاسلام بأنه ليس دين تسلط أو استعمار ، فقرب اليه البربر واشركهم فى ادارة بلادهم وكان لحملة طارق بن زياد بقيادته والبربر هم العنصر الأكبر والأغلب فيها أبعد الاثر فى دخول قبائل متعددة فى الاسلام ، كان لهم من بعد أكبر دور فى نشر الاسلام فى افريقيا .

ثانيا — كان للدعاة ومشايخ الطرق والتجار أبعد الأثر فى نشر الاسلام فى افريقيا فقد اندفع الاسلام بقوة من أبواب الزوايا الصوفية فى المغرب وبلاد فاس ومراكش وامتدت زوايا التيجانية والسنوسية نحو بحيرة تشاد .

وكان لتجار المسلمين الذين يقطعون المسافات بين مصر وطرابلس ودارفور أثر كبير فى نشره والتبشير به .

ثالثا — يرجع انتشار الاسلام فى اندونيسيا وارخبيل الملايو وجنوب شرق آسيا الى التجار العرب الذين وصلوا الى هذه البلاد فى القرن الأول للهجرة ، واستطاعوا أن يوسعوا تجارتهم حتى كانت تجارة جزيرة سيلان كلها فى أيديهم فى القرن الثانى ، ثم راجت تجارتهم مع الصين رواجا عظيما ، وكانت « كانتون » أكبر مراكزهم وظلت لهم السيطرة التجارية حتى القرن التاسع الهجرى حين ظهر البرتغاليون فى هذه المناطق ، وقد أسس المسلمون مستعمرات تجارية فى أكثر من موقع من أرخبيل الملايو .

وكان للدعاة المسلمين الذين وفدوا الى الأرخبيل من جنوب الهند أبعد الأثر فى انتشار الاسلام فى جاوه وسومطره ، كما كان لوجود التجار المسلمين بين سكان البلاد أثره البعيد فقد كونوا بذلك النواة الحقيقية للجماعة الاسلامية التى ظلت أعدادها تتزايد ، مما طبع المنطقة بطابع اسلامى واضح ، ثم امتدت الدعوة الى سومطره وسيام وبرنيو .

رابعا — كان لدخول الاتراك فى الاسلام فى العصر العباسى وبالأخص فى خلافة المعتصم بعد اتخاذه بعض أجنادهم أعوانا له — أثر كبير فى كسب جماعة ضخمة كان لها أبعد الأثر فى تاريخ الاسلام خلال عشرة قرون .

خامسا — استطاع الاسلام بواسطة دعامة من العلماء والتجار أن يجذب اليه أولئك الفاتحين التتار ويحملهم على اعتناقه ، ويرجع الفضل فى ذلك الى حماسة الدعاة المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعوبات أشدها لمناهضة منافسين عظيمين هما المسيحية والبوذية ، يقول توماس أرنولد « لم يكن أحد يتوقع أن ينتصر الاسلام فى هذه المعركة وتنهزم البوذية والنصرانية ويستأثر الاسلام وحده بالتتار فقد كانت عاصفة هجومهم وغاراتهم أشد على المسلمين من غيرهم ، والفضل فى ذلك لهؤلاء الدعاة المخلصين الحمس الذين حرصوا على ارشاد هؤلاء الظالمين وهدايتهم وأسلوب دعوتهم ورقة مواعظهم وتجردهم

من الانانية والكبرياء فقد أسلم سلطان كاشغر (تغلق تيمورخان عام ٧٤٧ هـ على يد الشيخ جمال الدين الذى جاء من بخارى ، وكثيرون من أمرائهم أسلموا وأخفوا اسلامهم .

سادسا ــ اجتذب الاسلام الى اعتناقه عددا كبيرا من القواد والأمراء فى الحملات الصليبية وقد سجل توماس أرنولد ان ستة من أمراء مملكـــة القدس اعتنقوا الاسلام بغير أن يضطرهم أحد .

وبعد فان اثر الاسلام فى اى مجتمع يصل اليه لا بد أن يبرز واضحا جليا ولندع رجلين من الرحالة الاوربيين يصوران هذا الاثر .

يقول جورف تومسون ــ ان زعيم الاسلام فى أفريقيا هو التاجر السودانى (الافريقى) الذى كان يعتمد فى مهمته على تقواه ، ويستعين بها على أعماله ، وكان يتوغل فى كل قبيلة مسافة بعيدة عن بلده ويختلط بالوثنييـــن المتبربرين ، ويبيت معهم ويأكل معهم فى طعام واحد .

ويقول كابتن تيلر ــ ما ان تدين أمة من الأمم الســـودانية (الافريقيـــة) بالاسلام حتى تختفى من بينها فى الحال عبادة الأوثان وتحرم أكل لحم الانسان وقتل الاولاد ووأد الاطفال وتضرب عن الكهانة وتأخذ أهلها بأسباب الاصلاح وحب الطهارة ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمر من الأمور الممنوعة وتصبح عفة المرأة عندهم من الفضائل .

من هذه الجولة السريعة نستطيع أن نستخلص عدة نتائج :

الاولى ــ ان الاسلام انتشر بقوته الذاتية والدعـــوة اليه وان الدولـــة الاسلامية لم تفرضه على رعاياها ، وانما اتخذت وسيلة الاقناع ســـبيلا الى نشــــره .

ثانيا ــ ان الاســـلام فى خلال تاريخه الطويـــل قد انتشر على الامتـــداد الجغرافى وحده وانه اتسع أكثر من اتساع الدولة الاســـلامية ، وبلـــغ الى أقصى حدود الصين وأوروبا والأمريكتين وان معتنقيه من غير الدول التى قامت ابان حركة التوسع يبلغون أضعاف معتنقيه داخل هذه الدول .

ثالثا ــ ان الاســـلام بالرغم من توســـــعه الجغرافى لم يفهم على مستوى أعماق الاسلام نفسه وجوهر مفاهيمه ، وان عـــددا كثيرا من معتنقيه ما زالوا يخلطون بينه وبين دين آبائهم ومذاهبهم وفلسفاتهم القديمة .

حتى أنه يمكن القول بأن الاسلام لم يتجاوز مرحلة التوسع والانتشـــار الذاتى الجغرافى وان المرحلة التى يجب أن تبدأ هى مرحلة تعميق مفاهيمـــه وتحريرها فى نفوس من اعتنقوه .



الفقه الاسلامي في ماضيه وحاضره

للشيخ
زكريا البري

ننشر فيما يلى الجزء الاخير من هذا البحث القيم وقد نشرنا الجزء الاول والثانى فى العددين ٤٢،٤٠ .

لقد بذل ائمتنا السابقون الجهد والطاقة ، وحاولوا الوصول الى الحق والصواب والعدل والمصلحة بقدر ما تيسر لهم فى زمانهم ، حتى أن أحدهم ليرجع عن رايه اذا تبين له وجه الحق فى غيره أو تغير العرف الذى استند اليه ، أو انتفت المصلحة التى يستهدفها .

وكتب الفقه مليئة بأن هذا رأى ابى حنيفة الأول ، وانه رجع عنه ، وأن هذا مذهب الشافعى القديم وهو فى العراق ، وهذا مذهبه الجديد فى مصر . وان هذه احدى الروايات عن مالك أو عن احمد بن حنبل ، وان هناك روايات اخرى .

وقد تركوا لنا ثروة مثرية عشنا عالة عليها ، وبنوا طوابق شامخة فى صرح الفقه الاسلامى ، التقينا بها ولم نجدد ما يحتاج الى التجديد فيها ، ولم نبن فوقها رغم حاجتنا الى البناء والتجديد . وأصبحنا فى حاجة الى من يقول لنا :

ان الفتى من يقول هأنذا
ليس الفتى من يقول كان أبى

ان الفقه الذى تركه لنا هؤلاء الأسلاف العظام ، مع ما فى بعض نصوصه الجزئية ، من مباينة الحياة المعاصرة قد اشتمل على قواعد كلية ، وأحكام فرعية ، بلغت منتهى الروعة والتطبيق الحق لمعنى العدالة ، فى صياغة متقنة ، ودقة



★ الفقه الاسلامى يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة .

★ اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة من المفاهيم .

★ باب الاجتهاد مفتوح لـكل اهل للنظر والبحث .

بالغة ، أدهشت العلمـاء فى شرق الدنيا وغربها ، فارتفعت أصواتهم — وان لم يؤمنوا بمصـادره كدين وشريعة الهية — بالاعجـاب والاكبار .

ومن ذلك قول أحد المستشرقين : « ان الفقه الاسلامى واسع جدا الى درجة أننى أعجب كلما فكرت فى أن المسلمين لم يستنبطوا منه الأنظمة والاحكام الموافقة لبلادهم وزمانهم »

وفى أسبوع الفقه الاسلامى الذى انعقد فى باريس سنة ١٩٥١ ، وقف نقيب للمحامين فى فرنسـا يقول : كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الاسـلامى ، وعـدم صـلاحيته أسـاسا تشريعيا يفى بحاجات المجتمع العصرى المتطور ، وبين ما نسمعه الآن مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصـوص والمبادىء . وأخيرا قرر المؤتمر :

— ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة تشريعية لا يمارى فيها .

— وان اختلاف المذاهب الفقهية ينطـوى على ثروة من المفـاهيم والمعلومات من الأصول القـانونية هى مناط الاعجاب ، وبها يتمـكن الفقه الاسلامى من أن يسـتجيب لجميع مطالب الحيـاة الحديثة والتوفيق بين حاجياتها .

ثم هؤلاء هم فقهاء القانون الدولى فى بلاد الغرب يتخذون من محمد بن الحسـن الفقيه الحنفى أبا ورائدا لهم ، ويؤلفون باسـمه جمعية خاصة ، تبحث فيما كتبه وخلفه ذلك الفقيه العظيم من تراث مجيد ، لأنه — كمـا قالوا — خليق بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون الدولى العالميين .

وانا لا نذكر ذلك — وغيره كثير كثير — لنتخذ منه حجة على مكانة الفقه الاسلامى العالية ، أو شرفا اضافيا نضمه الى شرفه الذاتى ، وانما نذكره لنفتح ابصارنا وبصائرنا على ما بين أيدينا من خير كبـير ، نذكره ليزداد الذين آمنوا ايمـانا ، وليزول الشك والتردد من صـدور المترددين .

واذا كان الامر كذلك فما واجبنا الآن :

ان واجبنـا يتلخص فى الا نقف ساكتين ، وأن نتحـرك مع حركة الزمان ، وأن تعطى الدراسـات الشرعية كل ما تسـتحقه من عناية ونوسع مجالها ، وننفق عليهـا بسـخاء كما ننفق على غيرها من الدراسات ، بل اكثر تعويضا عمـا

فات ، وأن نوجد الحوافز الأدبية والمادية التى توجه الى هذه الدراسات أطيب العناصر الانسانية ، وأقدرها على البحث والتنقيب ثم الابداع والابتكار .

وأن نعيد صياغة الاحكام الفقهية وتبويبها وفهرستها وجمعها فى أسلوب عصرى ، يوفر الجهد والوقت ، ويظهر اللآلىء المخبوءة فى مجامع أنهار الفقه وملتقى بحاره ، والجواهر النفيسة ، المطمورة تحت تراب الزمن .

وأن نعيد صياغة الاحكام الفقهية التى لا تلائم الزمن ، مفرقين تفريقا واعيا رشيدا بين الشريعة الاسلامية ــ كدين سماوى ــ فى مصادرها الخالدة . ونصوصها المحكمة وقواعدها الكلية الدائمة ، مما لا يقبل التغيير ولا التبديل ولا التطوير ، وبين الفقه الاسلامى وهو الاحكام الشرعية العملية المستنبطة من هذه النصوص والمصادر والقواعد ، باعتبارها حصيلة أفهام بشرية قابلة للنظر ، وصورة من التطبيقات الزمنية ، اذا ما تبين وجه الصواب ، أو تغيرت الظروف التى اقتضتها ، وأن نخطط لذلك تخطيطا رزينا يجمع بين الحل العاجل للامور الوقتية العاجلة والتنظيم الدقيق للمستقبل القريب والبعيد .

وهذا ما عنته المذكرة التفسيرية لدستور دولة الكويت ، حين تقول : (لم تقف المادة الثانية عند حد النص على أن دين الدولة الاسلام ، بل نصت كذلك على أن الشريعة الاسلامية بمعنى الفقه الاسلامى مصدر رئيسى للتشريع ، وفى وضع النص بهذه الصيغة توجيه للمشرع وجهة اسلامية أساسية دون منعه من استحداث أحكام من مصادر أخرى فى أمور لم ينص الفقه الاسلامى عليها ، أو يكون من المستحسن تطوير الاحكام فى شأنها تمشيا مع ضرورات التطور الطبيعى على مر الزمن) .

وباب المصلحة الشرعية يتسع لتعديلات كثيرة وبخاصة فى قانون المرافعات ، والقانون الدستورى ، والقانون الادارى والقانون الجزائى ، والقانون التجارى المبنى على الاعراف التجارية الصحيحة ، مع ربط هذه القوانين بمصادرها الاسلامية ، واقتباسها منها ، حتى تكون أمام الناس قوانين سماوية ، يطيعونها فى الظاهر والباطن رغبة ورهبة ، ابتغاء الثواب فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة .

وقد يسأل سائل : هل يعنى ذلك أن باب الاجتهاد يفتح من جديد بعد أن أغلقت ابوابه أو كادت ؟ ونقول : متى أغلق هذا الباب حتى يفتح ؟

ومن الذى أعطاه الشارع مفتاحه ليفتحه لنفسه ويغلقه على غيره ؟ ومن الذى يحول بين عقل المسلم والتفكير فى دلالات القرآن والسنة وتحرى مقاصدهما ؟

ان الاجتهاد بمعنى بذل الجهد فى تعرف حكم الشرع الاسلامى حق ثابت فى الاسلام لكل من منحه الله سبحانه اهلية النظر والبحث ، بل انه واجب من الواجبات الكفائية التى يتوجه فيها الطلب الى الجماعة ، وتأثم الأمة كلها اذا قصرت فى القيام ، ولم تقم باعداد اهله واصحابه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا**

قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

ثم هو فى العصور الحاضرة أيسر كثيراً منه فى العصور الخالية :

يقول الامام الشوكانى : لا يخفى على من له أدنى فهم أن الاجتهاد قد يسره الله للمتأخرين تيسيراً لم يكن للسابقين ، لأن التفاسير للكتاب العزيز قد دونت ، وتكلمت الأمة على التعديل والتجريح والتصحيح والتوضيح بما هو زيادة على ما يحتاج اليه المجتهد .

أما شيخ الأزهر والأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فيقول : ليس الاجتهاد ممكنا عقلا فقط ، بل هو ممكن عادة ، وطرقه أيسر مما كانت فى الأزمنة الماضية أيام كان يرحل المحدث الى قطر آخر لرواية حديث ، وأيام كان يرحل الرواة لرواية بيت من الشعر أو كلمة من اللغة . وقد توافرت مواد البحث فى كل فرع من فروع العلوم : فى التفسير والحديث والفقه واللغة والمنطق ، وجمع الحديث كله ، وميز صحيحه وفاسده ، وفرغ الناس من تدوين سير الرواة ، وأصبحت كتب هذه الفنون تضمها مكاتب الأفراد والحكومات ، فى كل قطر من الأقطار الاسلامية ، وهذا لم يكن ميسوراً لأحد فى العصور الاولى . ومذاهب الفقهاء جميعهم مدونة ، وأدلتها معروفة ، حتى انه لم يبق للمجتهد فى أكثر المسائل الا اختيار رأى من آرائهم فيها ، أما الحوادث التى تجد فهى التى تحتاج الى آراء محدثة .

ثم يقول : ان الزمن لم يغير من خلقة الانسان ، وان العقول لم تضمر . وان الطبيعة باقية فى الانسان كما كانت فى العصور الماضية ، وها هم علماء الأمم يحدوهم الأمل فى بلوغ أقصى ما يتصوره العقل البشرى ، ويصلون اليه بجدهم واجتهادهم ، وقد كان أسلافهم فى عماية وجهل . وكان أسلافنا فى نور العلم وضياء المدنية ، ولم يقل أحد منهم بقصور العزائم ، ولا بتراخى الهمم عن البحث والتنقيب ، بل كلما مر عليهم الزمن كلما جدوا فى البحث والتنقيب وكثرت وسائط البحث والتنقيب .. ثم ينتهى من ذلك الى أن بعض العلماء المعاصرين توافرت فيهم شروط الاجتهاد ويحرم عليهم التقليد .

ونقول : ان فتح باب الاجتهاد الدائم فى الفقه الاسلامى ليس معناه فتح الباب لكل من هب ودب وأكل الحب . ولا لانصاف المتعلمين وأرباعهم وأثمانهم وأصفارهم وادعيائهم ، ولا لمن يرجون للاسلام وقارا من ملاحدة هدامين ، ولا لمن استعمرت الثقافة الغربية بخيرها وشرها عقولهم وقلوبهم ولم تجل عنها الى الآن . ولا لمن يصورون بآرائهم الأديان والشرائع وكأنها عقوبات الهية ولعنة من السماء على الارض وقيود من حديد ، وسجون حولها سدود ، ولا لمن يتملقون العامة بالتحريم ، أو يتملقون الخاصة بالتحليل ، أفيستوى عند الله وفى شريعة الحق تحليل الحرام وتحريم الحلال . والله سبحانه وتعالى يقول : (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)

وليس فى هذا حجر على الحرية الفكرية ، أو كهنوتية اسلامية .



وانما هو التخصص والأهلية .

واذا كان الطب مباحا للجميع ، والجندية مباحة للجميع ، والهندسة مباحة للجميع ، ومع هذا لا يجوز لدجال ان يتعرض لعلاج المرضى ، ولا لمن لم يتدرب عسكريا أن يكون مقاتلا فى الميدان ، ولا لمن يدرس الهندسة أن يبنى بيتا او يصمم سدا ، فان الفقه الاسلامى شأنه هذا الشأن ، ومباح للجميع بهذا المعنى وفى حدوده الرحبة .

وليس معنى هذا ان نحكم الأهواء والشهوات ونسميها زورا وبهتانا باسم المصلحة ، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ، ولا ان نبنى أحكامنا على اعراف فاسدة مفسدة جرت بين كثير من الناس ، فكل عرف يصادم أهداف الشارع ومقاصده فهو باطل ، ولا حرمة له ، ولا خير فيه .

وكل ما توهم من مصلحة لدى بعض الناس فى هذه الأحوال ليس الا خطأ فى تقدير المصلحة ، أو ضلالا فى التفكير ، أو اتباعا للهوى أو انقيادا للشهوات ، او تأثرا بنظر جزئى أو سطحى غير مستوعب للمسألة من جميع جوانبها وعواقبها .

يقول ابن القيم : (من المسلمين من فرطوا فى رعاية المصلحة ، فجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح الناس ، محتاجة الى غيرها ، وسدوا على انفسهم طرقا صحيحة من طرق الحق والعدل ، ومنهم من أفرطوا فسوغوا ما ينافى شرع الله ، وأحدثوا شرا طويلا وفسادا عريضا .

وليس معنى هذا أيضا أن نحتكم الى العقل المجرد عن هداية الشرع ، **فان العقل قد تحجبه الأهواء والشهوات والأمراض والأغراض النفسية ، والشرع والعقل فى هذا الميدان صنوان لا يفترقان ، فلا يستطيع العقل وحده التعرف على المصلحة ، بل انه فى حاجة الى ارشاد الشرع ودوره ، قرآنا كريما ، وسنة نبوية صحيحة ، ويعجبنى فى هذا المقام كلام جيد** جرى على لسان الامام الغزالى حين يقول : (**العقل لن يهتدى الا بالشرع ، والشرع لم يتبين الا بالعقل ، العقل كالاساس ، والشرع كالبناء ، ولا يغنى أساس ما لم يكن بناء ، ولم يثبت بناء ما لم يكن** أساس .

العقل كالبصر والشرع كالشعاع ، ولن يغنى البصر ما لم يكن شعاع من خارج ، ولن يغنى الشعاع ما لم يكن البصر ، العقل كالسراج ، والشرع كالزيت الذى يمده ، فما لم يكن الزيت لم يحصل السراج ، وما لم يكن سراج لم يضىء الزيت ..

الشرع عقل من الخارج ، والعقل شرع من الداخل ، وهما متعاضدان بل متحدان ، ولكون الشرع عقلا من الخارج سلب الله تعالى اسم العقل عن الكافر فى غير موضع من القرآن ، نحو قوله تعالى : **(صم بكم عمى فهم لا يعقلون)** . ولكون العقل شرعا من الداخل قال تعالى فى صفة العقل : **(فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)** . فسمى العقل دينا ، ولكونهما متحدين قال الله تعالى (نور على نور) اى نور العقل ونور الشرع .

ثم يقول : ان العقل المنزه عن الخبث والذى لا تشوبه عاطفة مريبة يشبه العين السليمة من الآفات ،

فى حين أن الشرع يشبه الشمس التى يغمر نورها الأشياء ، فيكسبها الوانها ، وتصبح رؤيتها أمرا ممكنا . فلا العين وحدها تكفى ، ولا وجود للالوان الا اذا رأتها الأبصار .

وهكذا فان الرجل الذى يقبل على القرآن دون أن يستخدم عقله فى فهمه شبيه بمن يغمض عينيه حتى لا يرى الضياء ، وعندئذ لا يفترق عمن فقد بصره على سبيل الحقيقة ، أما من يعرض عن الشرع زاعما انه يستطيع الاعتماد على العقل وحده ، فهو يشبه من فسد طبعه فلم يستخدم عينيه فى ضياء النهار ، بل يصر عبثا على رؤية الاشياء فى ظلام دامس .

ومن أجل هذا كله ، ومن اجل المحافظة على وحدة الأمة الاسلامية وعدم تفرقها شيعا وأحزابا يضرب بعضها بعضا ، ومن اجل الوصول الى الرأى الأقرب الى الحق والصواب والمصلحة ، وبذل أقصى الجهد فى ذلك ، كان لا بد من الأخذ بالاجتهاد الجماعى الذى أصبح سمة من سمات هذا العصر فى جميع نواحى العلوم والمعارف لا بالاجتهادات الفردية التى تبلبل الأفكار وتزيد الاضطراب ، مع الأخذ برأى الأكثرية الراجحة عند الاختلاف ، اذ لا يوجد طريقة للترجيح آمن منها ، وقد ذهب كثير من العلماء الى أن الاجماع ينعقد برأى الأكثرية ، ولا يلزم فى وجوده الموافقة التامة من جميع العلماء .

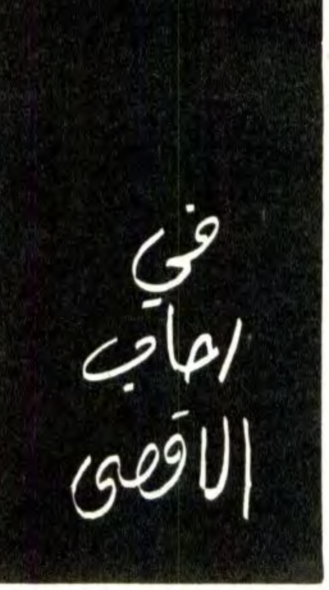
والله سبحانه وتعالى يقول : **(وشاورهم فى الأمر)** ويقول **(وأمرهم شورى بينهم)** ويقول : **(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)** وأولو الأمر هم أولو الشأن وأصحاب الاختصاص ، وقد قال سيدنا على : (يا رسول الله ، الأمر ينزل بنا ليس فيه قرآن ولا سنة ، فقال : (اجمعوا له العالمين من المؤمنين ولا تقضوا فيه برأى واحد) .

وهو ما كان يجرى عليه الأمر فى عهد أبى بكر حيث كان يجمع رءوس الناس وخيارهم فيستشيرهم وفى عهد عمر الذى منع أهل الاجتهاد من السفر الا باذنه وهو ما جرى عليه عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين .

وليس معنى هذا ان اهل الاجتهاد سيسلمون من السنة الناس ، ولا انهم سيصلون الى الحق الذى لا شك فيه ، ولكنها خطة الاسلام ، وبذل منتهى الجهد ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، واتقوا الله ما استطعتم ، وأمور الحياة مبنية فى جملتها على الظن الغالب .

وبقدر ما تجد الأمة الاسلامية وتخلص ـ حكومة وشعبا ـ فى هذا المجال ، تصل الى أطيب الثمرات واحسنها دينا ودنيا ، وبقدر ما تفرط أو تزيف يكون بعدها عن الحق والخير وانحرافها عن شريعة الاسلام .

ولنعلم جميعا أن الشريعة ـ كما يقول ابن القيم ـ مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل . الشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه ، وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسالته .





لشاعر الأقصى الاستاذ: يوسف العظم



يــاقدس يــا محراب يــا منبر　　يــا نور يــا ايمان يــا عنبر
اقدام من داست رحاب الهدى　　ووجه من فى ســاحها اغبر ؟
وكف من تزرع ارضى وقـــد　　حنــا عليها ساعدى الأسمر ؟
من لوث الصخرة تلــك التى　　كانت بمسرى احمــد تفخر ؟
وامطر القـــدس باحقـــاده　　فاحترق اليــــابس والأخضر
ودنس المهــد عــلى طهــره　　الا عــدو جــاحــد اكفر !
يا سورة الأنفــال من لى بهــا　　قــدسية الآيــات تســتنفر
جنــدا يذوق الموت عذب المنى　　كالصبح عن ايمـــانه يسفر
ومــن يبيــع لله ازكــى دم　　يمت شهيــد الحــق او ينصر
والبغى مهمــا طال عدوانــه　　فــالله مــن عــدوانه اكبــر

يا قدس يا محــراب يا مسجد　　يا درة الاكــوان يــا فرقــد !
سفوحــك الخضر ربوع المنى　　وتربك اليـــاقوت والعسجد
كــم رتلت فــى افقهــا آيــة　　وكم دعــانا للهــدى مرشد !
اقــدام عيسى باركت ارضهــا　　وفى سماهــا قد سرى احمــد
ابعــد وجــه مشرق بــالتقى　　يطــل وجــه كالح اســود ؟



وبعد ليث في عرين الثرى | يحل كلب راح يستاسد ؟
وبعد شعب دينه رحمة | يحل من وجدانه يحقد ؟
يا أفرع الزيتون في قدسنا | كم طاب في افيائها الموعد ؟
ان مزق الغاصب ارحامنا | وقومنا في الأرض قد شردوا
فما لنا غير هتاف العلى : | انا لغير الله لا نسجد !

يا قدس يا أنشودة في فمي | ويا منارا في ذرى الأنجم
في كل أفق منك تسبيحة | وكل شبر دفقة من دم
وكل روض نفحة من شذى | وماؤك الرقراق من زمزم
وكل صدر زفرة حرة | وكل خدر عفة المبسم
تحنو بقلب خافق بالمنى | على بريء رف كالبرعم
قد اغمض الأجفان في هداة | وثغره في الثدى لم يفطم
من مزق الطفل بلا رحمة | فمات بين الصدر والمعصم
شظية عمياء من حاقد | ورمية من ساعد مجرم
قد اطلقت هوجاء في غفلة | وحلكة من ليلنا المظلم
ما كان للهامات ان تنحني | لو كان فينا عزة المسلم



مواقف

للقدوة والتاريخ

صحيفة صهيونية تتحدث عنها

للأستاذ : ع . ن

فى كثير من مواطن الشدة . وامام كثير من موجات الأخطار التى استقبلتها الأمة الاسلامية على مر القرون رأينا رجالا من علماء الدين يعلون على هذه الشدائد . ويبرزون لمواجهة هذه الأخطار . ويقودون الأمة من ورائهم لمجابهة الطغاة والمعتدين ..

رأينا ذلك فى تاريخنا البعيد ممثلا فى الامام العالم ابن تيمية .. والامام العالم عز الدين بن عبد السلام وغيرهما .

ورأينا فى تاريخنا القريب فى ثورة مصر سنة ١٩١٩ واندلاعها من الجامع الأزهر الذى كان القلب النابض لهذه الثورة ...

وبالأمس القريب عند احتلال الأعداء للقدس الحبيبة وفرض سيطرتهم عليها وجدناهم يضيقون ذرعا بعالم جليل وهو الشيخ عبد الحميد السائح ويرون فيه خطرا يهدد سيطرتهم ويحول بينهم وبين شهوتهم فى فرض نفوذهم واسكات كل صوت يهمس بمعارضتهم ... فيقررون ابعاده وطرده من القدس.. الى الضفة الشرقية .. وذلك فى سبتمبر ١٩٦٧ ..

ولقد عرفنا ذلك فى حينه .. كخبر اجمالى .. ولكنى حين التقيت بفضيلته فى عمان وهو يشغل الآن منصب وزير الأوقاف والمقدسات الاسلامية .. وجدت فرصة مواتية لمعرفة بعض التفاصيل ولا سيما عند الاستيلاء على القدس . وكيف جابه هو وزملاؤه هذه اللحظة الحرجة وما



الشيخ عبد الحميد السائح

بعدها .. ولم يكن هذا أول لقاء معه ، بل التقيت به سنة ١٩٦٣ فى مؤتمر مجمع البحوث بالأزهر ثم التقيت به سنة ١٩٦٤ حين زار الكويت هو والشيخ عبد الله غوشه لجمع التبرعات لاصلاح قبة الصخرة .. فلم يكن هناك حجاب بينى وبينه ، فأخذ يقص على بعض التفاصيل والاصطدامات التى كانت تحدث بينه وبين ممثلى السلطة الاسرائيلية فى القدس مدعمة بالوثائق والمستندات الرسمية حتى خيل لى ان الرجل كان يتصرف وكأن وراءه جيشا قويا يسنده ويشد أزره ، ولم يكن هناك شيء من هذا بل كان عدوه هو الذى يتمتع به .. أما الذى كان يدفعه ويحمله على هذه المواقف فهو ايمانه. ايمانه بالله وبحق وطنه ، وهذا اذا تمكن فى قلب انسان لم يبال بالجيوش ولا بالقوى المدمرة . بل تغدو هذه أمامه وكأنها احدى طرقه الى الجنة لو بدا لها أن تعمل معه شيئا .. ومن اجل هذا .. احببت أن اجعل الحديث معى حديثا معك ، لأنها تجربة خاضها هذا الرجل كما خاضها اخوان له من قبل قديما ومن حق الأجيال أن تعرفها ..

قال لى : .. كنت فى أريحا حين استدعانى الحاكم الى القدس فى ١٥ حزيران (يونيو) ٦٧ واستقبلنى واخذ يقرأ من صحيفة مكتوبة يحمل العرب فيها تبعة الحرب .. الخ .. وهنا قلت له .. ان المطلوب اولا أن تخرج الجنود من المسجد حتى يمكن الصلاة فيه والا أعلنا غلق المسجد لاحتلال الجنود له وتحميلكم المسئولية .. وتم بعد ذلك اخلاء المسجد من الجنود ..

وباشرت عملى بالمحكمة .. اجمع حولى ذوى الآراء لندرس الأمور وكيف نواجهها .. فأرجعونى الى أريحا بعيدا عن القدس .. ثم طلبت لمقابلة وزير الأديان .. وقد علمت قبلها أنه يريد البحث فى أمر المحاكم الشرعية وتبعيتها لاسرائيل وأمر الأوقاف الاسلامية والخطبة فى المساجد والاطلاع عليها .. الخ .

فدرست الموضوع .. من خلال الفقه الاسلامى والقانون الدولى .. وقابلته ومعى عضو المحكمة والقاضى والمفتى ومدير الأوقاف .. وجرى بينى وبينه نقاش حاد ... حول هذه الأمور .. انتهى باعلانى لهم انه لا يمكن تطبيق القانون الاسرائيلى فى المحاكم لمخالفته للشريعة الاسلامية ، واننا ممنوعون من الولاء لكم بحكم الدين لأنكم أعداء لنا فكيف نحكم باسمكم ؟ فصاح بى : ومن أين تأخذون رواتبكم ؟ فقلت له : لا نريد شيئا منكم . نأخذها من الأردن . فقال : ومن ينفذ لكم الأحكام التى تصدرونها ؟ قلت له : لا نريد مساعدة منكم فى تنفيذها .. الشعب المسلم سينفذ هذه الأحكام دون تدخل من السلطة .. ثم قلت له .. ان هذا هو ما يوجبه علينا فقهنا الاسلامى .. وهو ما نص عليه أيضا القانون

الدولى .. وتلوت عليه المادة الخاصة بذلك .. وكنت قد راجعتها من قبل بمعاونة اخوانى المحامين .. كما قلت له .. انكم بوجودكم هنا مخالفون للقانون الدولى وقرار هيئة الأمم وميثاقها ، ولما صدم الوزير بهذه البيانات .. انهى الجلسة وقال انه سيراجع حكومته .. وسرنا فى عملنا كسابق عهدنا .. وقد جاء بعد ذلك للمحكمة باسم رد الزيارة .. وهنا رأيت فرصة لعرض حكم عليه سبق لمحكمة الاستئناف الشرعية اصداره (وكان الشيخ رئيسها) .. فى قضية بين يهودى وبين الأوقاف الاسلامية وتاريخ الحكم سابق على الحرب بشهور .. وأريته كيف أن المحكمة اصدرت حكمها لصالح اليهودى على الأوقاف .. وقلت له هذا هو شأننا لأن ديننا بصريح القرآن يقول لنا : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) وهنا طلب صورة من هذا الحكم فأعطيناه اياه مع أحكام أخرى مشابهة ..

ضم المحاكم والاطلاع على الخطبة :

وبعد ذلك علمنا أنهم بصدد اصدار قانون يقضى بضم المحاكم الشرعية والاستيلاء على الأوقاف وعدم التصريح بخطبة الجمعة الا بعد الاطلاع عليها ..

فجمعت زملائى المشايخ والمحامين والسياسيين فى دار المحكمة التى أصبحت مقر النشاط الوطنى واستقر راينا على اصدار مذكرة ارسلناها الى رئيس وزراء اسرائيل والأردن والأمم المتحدة وهى المعروفة بمذكرة ٦٧/٧/٢٤ اعلنا فيها بطلان ضم القدس وبالتالى عدم امكان ضم المحاكم أو الأوقاف وعدم عرض الخطبة عليهم .. وهذه المذكرة موجودة فى كتاب الوثائق الذى أصدرته لجنة الدراسات الاسلامية فى بيروت حديثا ...

الا وانتم مسلمون :

وفى هذا الوقت تسربوا الى بعض المشايخ وطلبوا منهم نص خطبة الجمعة .. واخذوها منهم .. ووجدوا فيها آيات من سورة البقرة تبدأ بقوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا) .. وانتهت بقوله تعالى : « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » فشطبوا من الآية الجملة الأخيرة (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وعلمت بذلك فطلبت من الخطيب الا يبالى بهذا الشطب ويقرأ الآية كما هى .. وكان ما أردت ونبهت على جميع الخطباء بعدم عرض خطبهم على أحد من طرف الحكومة وهو يتحمل المسئولية ..

الحاخام يصلى بالحرم القدسى :

وفى يوم من الأيام علمت أن حاخام الجيش صلى ببعض اليهود فى الحرم القدسى وأعلن أنه سيصلى كل يوم فى مكان من الحرم .. فأعلمت الحاكم بأنه اذا تكرر مثل هذا فى المستقبل فسوف نغلق الحرم نهائيا ونحمل الحكومة مسئولية عدم صلاة المسلمين فيه .. وتراجعوا ومنعوا الحاخام من دخول الحرم والصلاة فيه ..

وضاقوا بالشيخ ذرعا .. فأرادوا أن يجربوا معه وسائل الاغراء ..

وفى جلسة مع مسئول اسرائيلى أخذ يلاينه ويعرض عليه ما يريد .. فثار الشيخ وقال : هزلت .. حتى أحصل على منصب فى ظل العدو أو على مال لخيانة دينى ووطنى .. وتلقى المسئول الرد المناسب من الشيخ المجاهد ..

فلجئوا الى طريقة أخرى لايقاعه فى الشرك .. فأرسلوا اليه عربيا فى صورة رجل مجاهد ليعرض عليه انه مستعد للتضحية والقيام بأى عمل يشير به الشيخ .. ورده الشيخ ردا مناسبا ، لا يجرح صورته الظاهرة المصطنعة ويقطع عليه حيله المدبرة .

واستمر الشيخ فى طريقه صامدا تتكسر على ارادته كل المحاولات التى يبذلها العدو ..

سألوه مرة .. بأى حق تتكلم باسم الشعب العربى فى الضفة كلها .. قال لهم باسم الشريعة الاسلامية التى تنص على أنه فى حالة استيلاء العدو على الأرض المسلمة ينتخب المسلمون واحدا منهم يتولى أمورهم .. وقد اختارونى واليا على أمورهم .. ولم يمض غير قليل حتى تجمع على مكتب الشيخ ومكتب الحاكم اقرارات من القدس ومن جميع مدن الضفة الغربية تؤيده وتعلن اختيارها للشيخ يتحدث باسمهم .

وضاقوا ذرعا بالشيخ ونشاطه وموقفه الصامد فلم يجدوا طريقا ليستريحوا منه غير ابعاده من القدس فى ظلمة الليل .. وأخرج الشيخ فى ٢٣ سبتمبر ١٩٦٧م وبقى اهله فى القدس .. لم يرهم ولم يروه حتى الآن ... واختير وزيرا للاوقاف والمقدسات الاسلامية فى الوزارة الأردنية تقديرا لموقفه ..

صورة من النضال والثبات تحت حراب العدو الظافر وأسلحته وقفها رجل مؤمن تجاوز الخامسة والستين مشاركة منه فى النضال الواجب على كل واحد منا فى هذه الظروف..

ولقد كان من الموافقات الحسنة ان أطلع فى جريدة الدفاع الأردنية بتاريخ ٦ أيلول (سبتمبر ١٩٦٨) على ترجمة لمقال نشرته جريدة (معاريف) الاسرائيلية بتاريخ ١٩٦٨/٨/٢٩ تتحدث عن القيادة الدينية للمسلمين فى القدس وتقول ان الشيخ السائح دبر أمر العريضة الأولى التى قدمت لاشكول ..

واجد من المناسب ان أنقل اليك والى التاريخ ما نشر من ترجمة فى جريدة الدفاع .. ليكون من ضمن وثائقنا عن هذه الفترة بقلم عدو من الأعداء .. وقد سألت فضيلة الشيخ عما جاء فى هذا المقال من وقائع .. فقال اننى تعجبت حقا من وصول الكاتب الى كثير من الحقائق فى مقاله .. ولعل فيما سبق من حديث مع الشيخ تفسيرا لبعض ما ورد فى هذا المقال :

بتاريخ ١٩٦٨/٨/٢٩ نشرت صحيفة (معاريف) لمندوبها (يوسف تسوربال) المقال التالى :

(ان القيادة الدينية للمسلمين فى القدس الشرقية هى الآن فى حالة من التمزق وليس من سبب لذلك الا احجام قاضى القضاة الحالى عن السير على نهج سلفه الذى طرد الى الأردن قبل سنة ، بجريرة نشاطه المناهض لاسرائيل . وواقع الامر ان القيادة الدينية والسياسية فى شرقى القدس ظلت تتعلل بآمال وهمية طيلة مدة زادت على السنة.. ففى البداية : كانت تقول : ان العالم

لا يسمح بالاحتلال ، ومن المؤكد انه لن يسلم بتوحيد القدس . واليوم تقول : ان اسرائيل لا تستطيع احتمال وضع كهذا يكون فيه ثلث سكان القدس من العرب .

سلسلة نشاطات سياسية :

فى منتصف شهر يوليو ١٩٦٧ ، وبعد بضعة أيام فقط من اعلان توحيد القدس قرر قاضى القضاة فى ذلك الحين الشيخ عبد الحميد السائح (ان الوقت ليس عاديا) فلذلك الزم نفسه وطلب من زملائه فى المركز القيادى ضرورة العمل فى سائر المجالات . وحينما لم يكن يعد أحد من الزعماء السياسيين ، فى تلك الفترة ، قد أبعد ، فان الشيخ السائح وحده هو الذى دبر أمر العريضة الأولى التى قدمت الى رئيس الوزراء ليفى اشكول ، والتى طلب فيها مع بقية الموقعين الغاء توحيد القدس والانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية من الضفة الغربية .

وكانت هذه العريضة التى لم يوقعها سوى أعضاء محكمة الاستئناف الشرعية العليا هى الحلقة الأولى فى سلسلة طويلة من النشاطات السياسية التى نبتت وتبلورت فى مكتب قاضى القضاة اياه ، وقد كان واضحا فى النصف الثانى لعام ٦٧ . الى كل من كان له اتصال بزعماء القدس ، ان الشيخ السائح يتولى بنفسه تركيز النشاطات السياسية فى جميع مدن الضفة الغربية ، اضافة الى القدس . على ان هذه الصلاحيات لم تعط له ، بل امتلكها بقوة شخصيته أو بما يصفونه به فيقولون ان بعضا من مشايخ الدين يحصرون أنفسهم بين دفتى القرآن وبعضا من السياسيين يستمتعون بأن يكون لهم نشاط فى كل يوم ، وبعضا من المدرسين يقضون كل أيامهم فى التعليم ، ويتصف الشيخ السائح بهذه الصفات جميعا ، وهذا سر تأثيره الكبير فى سائر طبقات الجمهور .

لم يعرف الهدوء :

والشيخ السائح بخلاف غيره من زعماء القدس ، ومدن يهودا والسامرة ، لم يكون لنفسه ثروة مالية ، فكل ما يمتلكه هو منزل فى القدس ، وقطعة فى أريحا وتتسم طريقة حياته بالوقار ، والسلوك القويم ، ونقاوة اليد ، وقد جاء احتلال الضفة الغربية ، وتوحيد القدس ضربة أبدية حلت به فلذلك لم يعد يعرف الهدوء والراحة بل انه عمل بحماسة المتعصب مؤيدا الأوساط الوطنية ، فقضى على كل محاولة للتصالح والتساهل موجها اللوم للذين يبررونها ، نابذا باحتقار الخانعين . هكذا عملت المحكمة الشرعية خلال ستة أشهر ، بعد أن كان لا يؤمها فى الأيام العادية غير المحتاجين لقضائها ، فتحولت منذ توحيد العاصمة الى نادى سياسى يعمل للابقاء على قوة الوطنية العربية من الفتور .

وفى مطلع هذا العام حلت نهاية نشاط الشيخ السائح ، فجاء طرده الى الأردن بسبب نشاطه المقاوم لاسرائيل ، ضربة للزعماء المسلمين فى القدس الشرقية والضفة الغربية ايضا ، فأدركوا فى حينه ، ان افتقاده من نشاط الزعامة الدينية سيكون أمرا ملموسا ، وهكذا كان ، فقد مرت أسابيع عديدة دون أن يعرف من سيحل محله وحينما اختير خلفه عرف الجميع (بانتهاء عهد السائح) .

عابد الشمس

« هناك قوم يعبدون الشمس ، ولهم زعيم أمضى حياته كلها ناظرا الى الشمس منذ تشرق حتى تغيب ، وقد كف بصره بعد فترة من هذه العبادة المضنية ، ولكنه بقى على عبادته حتى مات »

للأستاذ : العوضي الوكيل

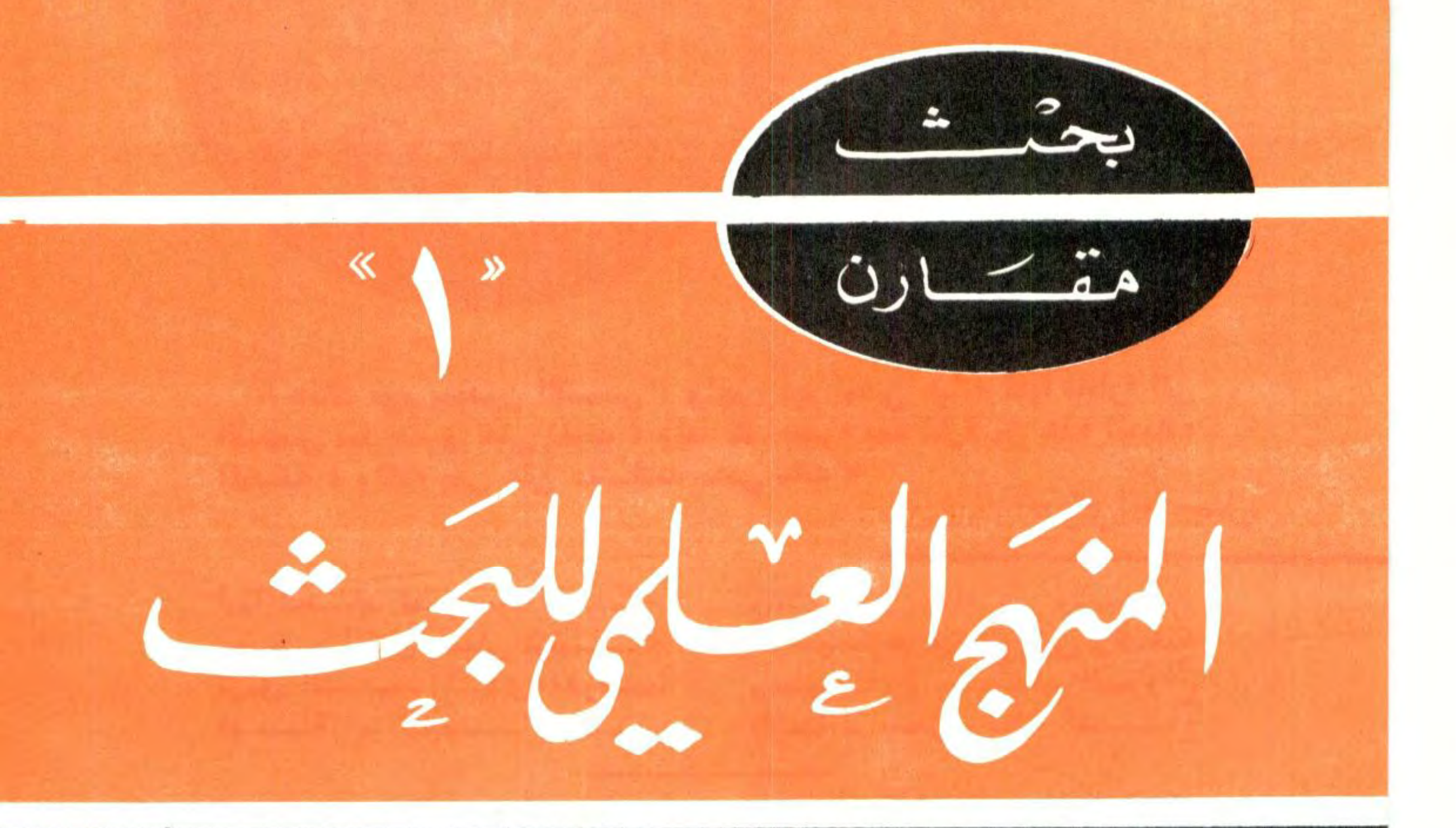
أيها العابد قد جاء الصباح … وتبدى من سناه فى وشاح
وصحا الكون على ترنيمة … لك سارت فى الروابى والبطاح
ترمق الشمس لدى غدوتها … وتحييها اذا حان الرواح
قبلة أنت اليها ناظر … دأبا لم ينصرف منك التماح

لم تزل ترنو اليها خاشعا … خافض القلب اليها والجناح
رحت تدعوها دعاء خافتا … خافى اللفظ وان معناه صاح
ونجاء أنت فى لجته … غارق .. نشوان منه غير صاح

أيها العابد نح الغمض وارن … لاح منها حاجب أو ذر قرن
ناجها بالصمت حينا واللغى … وكلا ذين به سحر وفن
وتوسل فى خشوع شاعر … وانهل الأضواء فالآفاق دن
ولئن خانك طرف ناظر … فلك القلب له أذن وعين

أيها العابد للشمس التى … لم تزل تسخو علينا بالسنى
نحن عشاق لها لكننا … ما اتخذناها الها بيننا
ولنا شعر وترنيم لها … وأناشيد تسامت فى الدنا
انما الله اله واحد … ولديه وحده نرجو المنى
أيها العابد أضناه الهوى … فغدا فى الشط كالغصن ذوى
زحف الليل على مقلته … فمضى النور سريعا وانطوى
ويك هل نبئت ماذا نابها … بخسوف فتولاها الجوى
يا ترى من خسف الشمس ضحى … انه الله على العرش استوى

أيها العابد فى شط النهر … ارن للشمس جميعا والقمر
وارن للروضات فيها فتنة … من ظلال وغصون وزهر
وارن للأنجم تبدو زينة … وهدايات بداة وحضر
وارن للنملة فى تركيبها … انما عرفانه أعيا البشر
وارن للصبح اذا الصبح بدا … وارن للغيث اذا الغيث انهمر
ينزل الأرض مواتا فاذا … جادها اهتزت فجادت بالثمر
وارن للانسان أمسى خلقه … عجب الكون ومرتاد الفكر
ربك الرحمن والكون له … اثر ، يا حبذا هذا الأثر



المنهج العلمي للبحث

بين الفكر الإسلامي

اذا كان ادراك الحقيقة على ما هى عليه فى الواقع ، علما ، كما يقولون ، فان المنهج المتخذ الى ذلك الادراك ينبغى — بلا ريب — أن يكون هو الآخر علما ، أى ينبغى أن لا يكون خطوات هذا المنهج فى حقيقته الا مجموعة ادراكات صادقة من شأنها أن تكشف اللثام عن الحقيقة المبحوث عنها .

ذلك لأن العلم لا يتولد الا عن علم مثله ، وما كان للظن أن يصلح سبيلا الى العلم بحال ، والا لأمكن لمقدمتين ظنيتين أن تأتيا بنتيجة يقينية ، وهو من أجلى صور المحالات .

من هنا ، كان على كل باحث عن حقيقة أن يخط اليها منهجا علميا لا يشوبه الحدس أو الوهم . وأن يلتزم هذا المنهج لا ينحرف عنه يمنة ولا يسرة .

تلك حقيقة واضحة ، لا أظن أن احدا يتمارى فيها .

ولكن من الممكن جدا أن نتساءل : ما مدى استشعار كل من الفكر الاسلامى والفكر الغربى بهذه الحقيقة واهتمامه لها ؟

ربما أسرعت كلمة « البحث الموضوعى » ، تلك الكلمة الذائعة الشائعة ، التى أشتهر بين الناس ارتباطها ببحوث المستشرقين — فحاولت الاجابة على هذا السؤال .

للدكتور: محمد سعيد رمضان البوطي
المدرس فى كليتى الشريعة والاداب بجامعة دمشق



والفكر الغربي *

بيد أن الاعتماد على هذه الشهرة وحدها فى اعطاء الحكم ، سير الى الحقيقة فى منهج غوغائى غير علمى ، لا جرم أنه يحرفنا عنها ، وان أوهم أنه يوصلنا اليها .

من الخير – اذن – أن نتلمس الجواب على هذا السؤال من واقع الطريقة التى يسلكها كل من علماء المسلمين وعلماء الغرب للوصـــول الى حقيقة ما سواء كانت معيارية (كما يقولون) أو تاريخية .

ولنبدأ بالطريقة التى ينتهجها الفكر الاسلامى .

وعلينا – قبل كل شىء – أن نقرر حقيقة ذات أهمية فى هذا الصدد ، وهى أن العامل الاول فى اخضاع الفكر الاسلامى لمنهج علمى دقيق فى البحث – كما سنجد – انما هو الدين ، وما كان للمسلمين – لولا العقيدة الدينية – أن يحملوا أنفسهم مؤونة منهج شاق يستنفذ الكثير من الوقت والجهد ، دون أن يكون له حصيلة من كسب مادى معين . ثم يشتدون فى التمسك به حتى يغدو مصطلحا لهم جميعا يتعارفون به ويلتقون عليه .

* بحث مهم ودقيق ارجو أن ياخذ جزءا من انتباه القارىء وتفكيره « الوعى » .



البحث عن الحقيقة

ويتمثل هذا الدافع الدينى فى نصوص كثيرة من كتاب الله تعالى ، من مثل قوله عز وجل : « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنـــه مسؤولا » وقوله عز وجل ـ وهو ينعى على اقوام غامروا بعقولهم فى متاهات من الاوهام والظنون التى من شأنها أن تغشى على الحقائق بدلا من أن تكشف عنها :

(وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون) .

وانت ترى كيف تتمثل فى هذا الدافع الدعوة الى عدم تبنى اية فكرة ، حتى الدين نفسه ، الا عن طريق ما يثبته العقل الصافى من الدلائل اليقينية التى من شانها ان تكشف عن حقيقة المطلوب .

ومن اجل هذا ، قرر علماء التوحيد ان من شرط صحة ايمان المؤمن ، ان يكون قائما على دعائم من اليقين العلمى المجرد ، لا على شوائب من التقليد والاتباع . ذلك لان الحقيقة العلمية تعتبر ـ فى حكم الدين[1] ـ قمة المقدسات الفكرية وينبوعها ، فهى التى ينبغى ان يحج اليها الفكر فى خضوع وتطواف دائب . واى دليل على هذا الاعتبار اقوى من ان تجد الدين نفسه لا يرضى ان يقيم وجوده وقدسيته الا على دعائم العلم وبراهينه ، ولا يرضى ان يتخذ لنفسه حكما من دونه ؟..

كل ما هنالك ، أن الاسلام اضفى الصفة الدينية على البحث عن الحقيقة بنبراس العلم والفكر المجرد ، فاذا كان غير المسلم من شـــأنه أن يندفع الى البحث برغبة حب التطلع ، فان المسلم مدفوع الى البحث ذاته شعورا منه بأنه واجب دينى يثاب على فعله ويعاقب على تركه .

وهكذا وجد الفكر الاسلامى نفسه أمام مهمة دينية معينة ، هى ضرورة البحث عن الحقيقة ، سواء كانت من نوع الخبر أو الانشاء ، وبدهى أن القيام بهذه المهمة يتوقف على وضع منهج للبحث . ومعلوم أنه بقدر ما تكون الغاية صافية سليمة لا سلطة فيها الا للعقل وحده ، يكون المنهج اليها صافيا سليما أيضا لا يخطه الا العقل وحده .

ومع ذلك فنحن لا نكتب هذا المقال لنسرع فيه الى الحكم بأن المنهج العلمى لدى المسلمين منهج سليم صاف لا تخطه الا يد العقل وحده ، وانما الذى نقصد اليه هو البحث فى هذا المنهج ، وسنصل الى الحكم عليه فى أعقاب ذلك .

□□□

---

(١) نحن انما نقصد بالدين ـ هنا ـ خصوص الاسلام ، ومعلوم أن بين الاســلام والاديان الاخرى فروقا كبيرة فى هذا الصدد .

يتلخص المنهج العلمى للبحث ، عند علماء المسلمين ، وفى قاعدة جليلة كبرى ، لم يعرف مثلها عند غيرهم ، وهى قولهم : (ان كنت ناقلا فالصحة ، او مدعيا فالدليل) .

وتفصيل الامر فى ذلك أن موضوع البحث لا يخلو دائما من ان يكون خبرا أو انشاء . فأما ما قد يكون منه خبرا ، فان البحث فيه ينبغى أن يكون محصورا فى تحقيق النسبة بينه وبين مصدره ، اذ هى التى تكون مثارا للاحتمال والدخيلة والريب ، فان زال الاحتمال وانجابت الغاشية انبثقت من ذلك الخبر حقيقة علمية معينة .

وأما ما قد يكون منه انشاء ، أى (ادعاء) ، فان البحث فيه ينبغى أن يتجه الى الادلة العلمية المقبولة المتوفرة من حوله . ولكل نوع من الدعاوى نوع من الادلة العلمية يناسبها ، لا يستبدل به غيره ، فالدعاوى المتعلقة بطبائع الاشياء المادية وجوهرها ، لا تنهض بغير البراهين العلمية التجريبية المحسوسة ، والدعاوى المتعلقة بالمجردات كالارقام والنفس والمنطق ، لا يقبل معها الا براهينها القانونية المسلمة . والدعاوى المتعلقة بالحقوق والاحوال المدنية لا ينفع معها الا البينات المتفق على ضرورة ارتباطها بها . وهكذا لا تصبح الدعوى حقيقة علمية ثابتة الا بعد أن يقترن بها دليلها الذى يناسبها ، اى أن الدليل الذى قد يساق على الدعوى ، ليست له اية قيمة علمية ما لم يكن بينهما انسجام فى الطبيعة والنوع .

ولكن ما هو السبيل العلمى الذى وضعه علماء الاسلام لتحقيق النسبة بين الخبر ومصدره ، ولتحقيق القيمة العلمية فى الدعوى ، على النحو الذى ذكرناه .

السبيل المتخذة لتحقيق الخبر

تنهض بهذه السبيل فنون عديدة خاصة لم يعثر عليها التاريخ الا فى المكتبة الاسلامية . وهى : فن مصطلح الحديث ، وفن الجرح والتعديل ، وتراجم الرجال ، حيث تلتقى هذه الفنون الثلاثة على وضع ميزان دقيق يتضح فيه الخبر الصحيح من غيره ، والفرق بين الخبر الصحيح الذى يورث الظن والذى يورث اليقين .

فالخبر يرقى الى أول درجات (الصحة) عندما يثبت — لدى التحرى والبحث — أن سلسلة السند متصلة من صاحب هذا الخبر ومصدره بنقل العدل الضابط عن مثله الى نهايته التى انبثق منها دون أن يحتوى الخبر على شذوذ فى جوهره أو علة فى روايته . فان تدانى الخبر عن هذه الرتبة ، بأن سقطت حلقة فى سلسلة الرواية بسبب الجهل به ، أو عدم الوثوق بعدالته ، أو عدم التيقن من حفظه وضبطه ، أو بأن كان متن الخبر شاذا بالنسبة للمقبول من غيره ، فهو غير صحيح .

ولكن الصحيح نفسه يرقى فى درجات متفاوتة ، تبدأ من الظن القوى الى الادراك اليقينى . فاذا كانت السلسلة التى توفرت فيها مقومات الصحة مكونة من آحاد الرواة الذين يتنقل الخبر بينهم ، فهو لا يعدو أن يكون خبرا ظنيا فى

حكم العقل ، واذا كانت حلقات السلسلة مكونة من راويين أو ثلاثة رواة ، فهو لا يزال خبرا ظنيا ، ولكنه ظن قوى يدانى اليقين .

اما اذا غدت كل حلقة من هذه الحلقات ، من الكثرة ، جموعا يطمئن العقل الى انها لا تتواطأ على الكذب ، فان الخبر المروى يكتسب عندئذ صفة اليقين وهو ما يسمى بالخبر المتواتر .

فأما الظنى من الخبر الصحيح ، فلا يعتد به الحكم الاسلامى الا فى نطاق الاحكام العملية ، لثبوت الدليل القطعى على أن المسلم مكلف — بالنسبة للسلوك العملى — بالاعتماد على الظنى من الخبر الصحيح . ولذلك صح ان تستند الاحكام الشرعية الى الاحاديث الصحيحة وان كانت آحادا ، وذلك حيطة فى الامر واخذا بالحزم .

غير أن اليقينى من الخبر الصحيح ، وهو ما يسمى بالخبر المتواتر ، هو وحده الذى يعتمد فى بناء العقيدة والمدركات اليقينية ، اذ الحيطة فيها انما هى منع تسرب الوهم الى مجال العقيدة واليقين .

وتسألنى : فمن اين للباحث ان يعلم شروط الخبر الصحيح ؟ ولنفرض انه سمع سلسلة الرواية ، فكيف يستطيع أن يعلم اتصال هؤلاء الرواة بعضهم ببعض ، وانهم جميعا ثقاة عدول ضابطون ؟

علم الجرح والتعديل

والجواب : ان كلا من علمى : الجرح والتعديل ، وتراجم الرجال ، انما وجد تذليلا لسبيل هذا البحث وتيسيرا للاطلاع على الواقع الذى ينبغى الوقوف عليه .

ففى مكتبتنا الاسلامية مؤلفات كثيرة كبرى تستعرض معجم الرجال الذين **وردت أسماؤهم فى أى سند من الاسانيد ، تستطيع أن تقف فيها على ترجمة من تشاء منهم جرحا وتعديلا ، وأن تضبط الزمن الذى عاش فيه ، لتعلم بذلك معاصريه الذين أمكنه أن يلتقى بهم . والغريب أن هؤلاء الأئمة الذين عكفوا على جمع تراجم الرجال — وهم أئمة ثقاة يعتبر كل منهم مرجعا فى هذا الشأن — لم يبالوا ، فى سبيل البحث عن الحقيقة واحترام الميزان العلمى أن لا يشوبه أى فساد ، أن يضعوا النقاط على حروفها فى وصف الرجال وصفا دقيقا سواء انتهى اليهم بالجرح والتحذير منهم ، أو التعديل والتوثيق لهم ..**

وهكذا ، فقد تكونت فى مكتبتنا الاسلامية ، قواميس من نوع مختلف .. قواميس لضبط الاشخاص والرجال ، تقف منها على الزيف والدخيل والضعيف ، بنفس السهولة التى تقف بها على ضبط الكلمة وتقويمها فى قواميس اللغة ومعاجمها المعروفة .

تلك خلاصة سريعة عن السبيل العلمى لدى علماء الاسلام لتحقيق النقل والخبر ، ولا مطمع فى هذه الكلمة السريعة بمزيد من الشرح والتفصيل ، ولكن على من يرغب فى الاستزادة أن يعكف على الفنون التى ألمعنا اليها ليجد الجهد الغريب المعجز فى سبيل استخراج القيمة العلمية من (الكلمة) المنقولة .

□□□

" البحث بقية "

في هذا البحث يقدم لنا الكاتب الفاضل سجلا تاريخيا لآثارنا ومساجدنا في القدس التي يهددها العدو بالزوال .. لتظل امامنا يوم نعود قريبا نقبل تراب فلسطين ، ونتحسس الآثار العزيزة لأسلافنا السابقين .

ايها المسلمون

قبل فوات الأوان تداركوا :

التراث الاسلامي في القدس

بقلم
الشيخ : طه الولي - بيروت

من سنة وشهور ، وقع قضاء الله وقدره ، وغشيت أمتنا غاشية الكآبة والحزن والأسى ، حين خرت القدس في هاوية الاحتلال اليهودي صريعة الذل والهوان والعبودية تحت ضربات الغدر والعدوان ، عندما انكفأ عن ترابها الطاهر الحماة الكماة أحفاد الغر الميامين ، من أمة محمد عليه افضل الصلاة وأتم التسليم ، واقتحمتها شراذم شذاذ الآفاق اليهود ، المجردون من كل معنى من معاني الأخلاق بدباباتهم ، ونيران مدافعهم ، وقذائف اللهب من طياراتهم . وكان ذلك بعد يوم جلل عاره المشين بالسواد الكالح تاريخ الاسلام والمسلمين ، اثر معركة لم تتكافأ فيها فداحة الخسارة مع حقها من الجهاد والفداء ، فذهبت المقدسات الغالية ، بثمن بخس خلال يوم أو بعض يوم ، لأمر أراد الله ، جلت قدرته ، أن يجعل منه عبرة لأولئك الذين فرقتهم الاهواء ،

ومزقتهم الخلافات والنزوات فذاقوا الوبال ، وتخبطوا بالخزى والخسران ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

أجل ، سقطت القدس ، وفى رحابها القدسية أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وقبور الصحابة والتابعين والسادة المرابطين ، تحت وطأة الصهيونية العاتية ، وأصبحت هذه الروضة الروحية ، بما فيها من ذكريات دينية ومعالم اسلامية أسيرة كسيرة ، مهيضة الجناح ، بين مخالب العدو الزنيم الذى تربص بها مئـــات السنين ليدك بنيانها ، ويقوض عمرانها ، وينكس أعلامهـــا ويبيد معالمها . . .

فيا حسرتاه على منائر الاسلام . . ويا حسرتاه على تراث الآباء والأجداد مما انتهت اليه محارم الله ، بعد أربعة عشر قرنا من عبادة العابدين وجهـــاد المجاهدين وعبق الأرواح الطاهرة الزكية لآلاف الشهداء من الإبطال المسلمين! .

فهل درى الذين سقطت القدس فى أيامهم ، وعلى أيدى شتاتهم وفرقتهـــم ومنازعاتهم ، هل درى بنو قومنا أى خسارة أصابتهم فى دينهم وتراث تاريخهم ، وكيان أمتهم ، يوم اختاروا الحياة فى عار الهزيمة والفشل على شرف الاستشهاد فى ســـاحة القتـــال ، دفاعا عن الوطن الذى ترك الســـلف الأكرم ، ما على أرضه ، أرض الاسراء والمعراج ، من معاهد ومعابد ومقدسات ، أمانة فى أعناقهم . . أمانة سماوية ترخص دونها سائر الأمانات الأرضية !. . .

هل درى الذين ولوا يوم الســـادس من حزيران أدبارهم فى فلســـطين ، والمسلمون جميعا من حولهم ، أى ارث كريم ، خلفوه وراءهم ، وتركوه سلبا للعدو ، وغنما لأشداق مطامعه ، وفريسة عزلاء لأحقاده ومعاوله ؟!

اذا كان هؤلاء ، لا يدرون مـــا قدمت أيديهم ، فاننا نضع أمام أبصـــارهم وبصائرهم ، قائمة كاملة بالمنشآت التى جمل تربتها ، الأجداد بالدم المهراق من جراح الجهاد ، حفاظا على راية : لا اله الا الله محمد رسول الله ، لتبقى عالية خفاقة فى البلد الذى باركه الله وبارك ما حوله ، البلد الذى قال فيه الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم . . « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الاقصى » .

هذه المنشآت . . التى أصبحت اليوم على شفير الهاوية ، هـــاوية العدم والخراب والزوال . . فوق مآذنهـــا السامقة وقبابها الناهضـــة ، ورحابهـــا الواسعة يجثم عليها جميعا المصير المفزع . . مصير التهويد القـــاتم بعد نور العروبة وضياء الاسلام !!

أيها المسلمون . . يا أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، يا اهل القرآن وبقية الأسياف من أبطال الدين والايمان . . اليكم اقدم هذه القائمة قبل أن تصبح اثرا من بعد العيان ولا قدر الله .

أولا : المساجد والجوامع الشريفـــة فى القدس الشريف ، مكان كل منهـــا وحالته الراهنة :

قبة موسى ــ داخل الحرم ، أمام باب السلسلة عامر بالصلاة

باب الحطة ـ داخل الحرم ، عند باب حطة	عامر بالصلاة
كرسي سليمان ـ داخل الحرم ، عند باب المغاربة	عامر بالصلاة
باب الغوانمة ـ داخل الحرم ، عند باب الغوانمة	مهجور
المغاربة ـ داخل الحرم ، من الجهة الشرقية	أصبح متحفا ودارا للكتب
دار الامام ـ داخل الحرم ، عند باب المجاهدين	مهجور
خان الزيت ـ داخل الحرم ، داخل السور	عامر بالصلاة
حارة اليهود الكبير ـ خارج الحرم	مخفر للشرطة
حارة اليهود الصغير ـ خارج الحرم	عامر بالصلاة
سويقة علون ـ خارج الحرم	عامر بالصلاة
القلعة ـ داخل القلعة بباب الخليل	لا تقام فيه الصلاة
الخانقاه ـ خارج الحرم ، داخل السور	عامر بالصلاة
تحبر ـ خارج الحرم ، داخل السور	

الجامع العمرى :	خارج الحرم داخل السور	عامر بالصلاة
اليعقوبى :	خارج الحرم داخل السور	عامر بالصلاة
بنى حسن :	خارج الحرم داخل السور	مهجور
حارة الأرمن :	خارج الحرم داخل السور	مهجور
النبى داود :	خارج الحرم داخل السور	مهجور
حارة الخوالدية :	خارج الحرم داخل السور	مهجور
الشيخ لولو :	خارج الحرم داخل السور	عامر بالصلاة
الصغير :	خارج الحرم داخل السور	هدمه اليهود
البراق الشريف :	خارج الحرم داخل السور	هدمه اليهود
خان السلطان :	خارج الحرم داخل السور	عامر بالصلاة
القرمى :	خارج الحرم داخل السور	عامر بالصلاة
حارة النصارى :	خارج الحرم داخل السور	مهجور
البازار :	خارج الحرم داخل السور	عامر بالصلاة
المسعودى :	خارج الحرم داخل السور	عامر بالصلاة
الشيخ جراح :	خارج السور	عامر بالصلاة
وادى الجوز :	خارج السور	عامر بالصلاة
حجازى :	خارج السور	عامر بالصلاة
النبى داود :	خارج السور	عامر بالصلاة
عكاشة :	خارج السور	عامر بالصلاة
المطحنة :	خارج السور	مهجور

هذا بالاضافة الى المساجد والجوامع الشريفة الموجودة فى يافا وحيفا والخليل وعكا وطبريا والناصرة وبيسان وسمخ وقاقون وقيسارية والشيخ مونس وسيدنا على واللد والرملة والمجدل وعسقلان والفالوجة وبئر السبع وبيت جبرين وعراق المنشية وغيرها من المدن والقرى والدساكر الفلسطينية .

ثانيا : المدارس الدينية فى القدس الشريف : تاريخ بنائها واسم صاحبها وحالتها الراهنة :

الصلاحية ٥٨٨هـ ـ ١١٩٢م ـ انشأها صلاح الدين الأيوبى .

	هدمها اليهود .
(كنيسة والدة مريم أم المسيح)	
الأفضلية ٨٧٠هـ – ١٤٦٥م –	انشأها الملك الأفضل نور الدين ابن صلاح الدين الأيوبى . هدمها اليهود .
الميمونة ٥٩٣هـ – ١١٩٦م –	انشأها الأمير فارس الدين أبو ميمون ابن عبد الله القصرى خازندار صلاح الدين . أصبحت مدرسة رسمية فى عهد الانكليز .
الجراحية ٥٩٨هـ – ١٢٠١م –	انشأها حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحى وزير صلاح الدين .
النحوية ٦٠٤هـ – ١٢٠٧م –	انشأها الملك المعظم عيسى .
الناصرية – الغزالية ٦١٠هـ – ١٢١٣م	نزل بها الامام الغزالى .
البدرية ٦١٠هـ – ١٢١٣م –	انشأها بدر الدين محمد أبو القاسم الهطارى أحد أمراء الملك . اغتصبها رجل من الخليل وسكنها وخربها .
الأباصيرية ٦٦٦هـ – ١٢٦١م –	المعظم عيسى .
الأباصيرية ٦٦٦هـ – ١٢٦١م –	انشأها علاء الدين ابو غدى . كان يسكنها التكارنة الذين يحرسون الحرم الشريف .
الدوادارية – دار الصالحين – ٦٩٥هـ – ١٢٩٥م	انشأها الأمير علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدوادار فى زمن الملك نجم الدين أيوب . اصبحت مدرسة للبنات تابعة للأوقاف .
السلامية ٧٠٠هـ – ١٣٠٠م –	انشأها الخواجا فخر الدين أبو الفدا اسماعيل السلامى . يسكنها آل جار الله .
الموصلية ١١٧٥هـ – ١٧٦١م –	تولاها الخواجا فخر الدين الموصلى .
الجالقية ٧٠٧هـ – ١٣٠٧م –	انشأها ركن الدين بيبرس الجالقى الصالحى تملكها آل الخالدى وباعوا شطرا منها لآل الخليل .
الجاولية ٧١٥هـ – ١٣١٥م –	انشأها علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة والقدس . هى الآن مدرسة رسمية .
الكريمية ٧١٨هـ – ١٣١٩م –	انشأها الصاحب كريم الدين المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة بمصر أيام تنكز . كان يسكنها آل جار الله .
التنكزية ٧٢٩هـ – ١٣٤٠م – ويسمونها اليوم بالتنكيزية	انشأها تنكز الناصرى . اتخذت للمحكمة الشرعية ثم سكنها مفتى،

	فلسطين الاكبر سماحة الحاج أمين الحسينى .
الأمينية ٧٣٠هـ – ١٣٢٩م –	أنشأها الصاحب أمين الدين عبد الله . كان يسكنها آل الامام وتحتها مقبرتهم .
الملكية ٧٤١هـ – ١٣٤٠م – (مدرسة الجوكندار)	أنشأها الحاج ملك الجوكندار فى أيام الناصر محمد بن قلاوون . وفى قسم منها المكتبة التى اسسها الحاج أمين الحسينى .
الفارسية ٧٥٥هـ – ١٣٥٤م –	أنشأها الأمير فارس السبكى بن الأمير قطلو ملك بن عبد الله النائب بالساحل وغزة . كان يسكنها الشيخ ابراهيم العورى .
الأرغونية ٧٥٨هـ – ١٣٥٧م –	أنشأها أرغون الكاملى من رجال الملك شعبان حاكم الشام وحلب وكملها ركن الدين بيبرس سنة ٧٥٩ . كان يسكنها آل العفيفى ودفن بجانبها الشريف الملك الحسين بن على زعيم الثورة العربية .
التشتمرية ٧٥٩هـ – ١٣٥٩م –	أنشأها تشتمر السيفى من امراء الملك الناصر بن محمد قلاوون .
الحنفية (المعظمية) و (الحكمية) –	أنشأها الخواجا مجدالدين بنسيف الدين
الأسعردية ٧٦٠هـ – ١٣٥٨م –	ابو بكر بن يوسف الأسودى . كان يسكنها الشيخ ابراهيم البيطار ثم الشيخ ابراهيم العورى .
المنجكية ٧٦٢هـ – ١٣٦٠م –	أنشأها سيف الدين منجك نائب الشام. كانت مقرا للمجلس الاسلامى الأعلى .
المحدثية ٧٦٢هـ – ١٣٦٠م –	أنشأها الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمى الأربيلى . قسم منها مدرسة والآخر يسكنه آل الشهابى .
الحسنية ٧٦٢هـ – ١٣٦٠م –	أنشأها شاهين الحسنى الطويشى . آلت الى عائلة نصرانية .
الطازجية ٧٦٣هـ – ١٣٦٢م – وهى الطازية	أنشأها الأمير طاز الذى كان حاكما بحلب سنة ١٣٥٥ . كان يسكنها آل هداية .
البارودية ٧٦٨هـ – ١٣٦٦م –	أنشأتها السيدة خاتون بنت شرف الدين ابى بكر بن محمود المعروف بالبارودى . أصبحت دار سكن .
الحنبلية ٧٨١هـ – ١٣٧٩م –	أنشأها نائب الشام بيدمر . كان يسكنها آل القطب .
اللؤلؤية ٧٨١هـ – ١٣٧٩م –	أنشأها لؤلؤ غازى عتيق الملك الاشرف شعبان بن حسين .

الخـــاتونية ٧٥٥ هـ
انشـــأتها الست اغل خـــاتون بنت شمس الدين محمد سيف الدين القازانية البغدادية .
دفن بجانبها مولانا محمد على من زعماء الهند والى جـــانبه موسى كاظم باشـــا الحسينى . وابنه الشهيد عبد القادر .

الطشتمريـــــة ٧٨٤هـ — ١٣٨٢م — انشأها طشتمر العلائى .
كان بها آل الامام .

الجهـــاركية ٧٩٠هـ — ١٣٨٨م — انشأهـــا الأمير جهاركى الخليلى امير آخور الملك الظاهر برقوق .
عامرة بالصـــلاة .

الطولونيـــة ٨٠٠هـ — ١٣٩٧م — انشأهـــا شهاب الدين احمد بن دارسة الناصرى محمد الطولونى الطاهرى أيام الملك برقوق .

النصيبيـــة ٨٠٩هـ — ١٤٠٦م — انشأها علاء الدين بن ناصر الدين محمد نائب نصيبين .

الغزيـــــة ٨١٥هـ — ١٤١٢م — انشأها شهاب الدين الطولونى دارسة .

الصبيبيـــة ٨٠٩هـ — ١٤٠٦م — علاء الدين ناصر الدين نائب قلعـــة الصبيبية .

الكامليـــة ٨١٦هـ — ١٤١٣م — الحاج كامل من أهل طرابلس الشام .
كان يسكنها آل جار الله .

البـــاسطية ٨٣٤هـ — ١٤٣٠م — بدأ عمارتها شمس الدين الهروى واتمها القاضى الدمشقى نور الدين عبدالباسط ابن خليل .
كان يسكنها آل جار الله .

القـــادرية ٨٣٦هـ — ١٤٣٢م — انشأها ناصر الدين محمد بن عبد القادر مستودع لنعوش الموتى .

الحسينيـــة ٨٣٧هـ — ١٤٣٣م — انشأها حسن الكشكيلى ناظر الحرمين الشريفين ونائب القدس الشريف .
فيها قبر بنت معاوية .

العثمانيـــة ٨٤٠هـ — ١٤٣٧م — انشاتها امراه رومية اسمها اصفهان‌شاه خاتون بنت محمود العثمانية .
رممها مفتى فلســطين الأكبر سماحـــة الحاج أمين الحسينى .

الجوهريـــة ٨٤٤هـ — ١٤٤٠م — انشأهـــا كرد الصفدى جـــوهر زمن الادارة الشريفة .
كان يسكنها جماعة من آل الخطيب .

المزهريـــة ٨٦٥هـ — ١٤٨٠م — انشأهـــا المقر الزينى ابو بكر مزهر الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية .

بعضها خراب وبعضها كان يسكنه آل شعبانى .

الزمينيـــــة ٨٦٦هـ ــ ١٤٨١م ــ انشأهـــا الخودجكى الشمس محمد بن الزمرد خان .
كان يسكنها آل العفيفى .

القرقشندية . انشأها القرقشندى ، ذكرها الرحـــالة الشيخ عبد الغنى النابلسى .

الأشرفيـــــة ٨٧٥هـ ــ ١٤٧٠م ــ (السلطانية) انشأها الأمير حسن الظاهرى باســـم الملـــك الســـلطان خوشقـــدم وأتمهـــا الأشرف قائتباى .
مخزن للشمع والحصر وأدوات المسجد الأقصى .

ثالثا : الزوايا والخانقاه : تاريخ بنائها ، صاحبها ، وحالتها الراهنة :

النقشبنديـــة ١٠٥٦هـ ــ ١٦١٦م ــ (الأتريكية) انشأهـــا الشيخ بها الدين النقشبندى البخارى .
مأوى لفقراء جاوة وتركستان .

الهنـــود (الرفاعيـــة) ــ انشأها بابا فريد شكر كنج الهندى .
كانت لأصحاب الطريقـــة الرفاعيـــة ثم سكنها الهنود وهدمها اليهود مؤخرا .

الأدهميـــــة ويسميها العـــامة ــ (الهيدميـــة) انشأها الأمير حســـام الدين الحسين ابن شرف الدين .
كان يسكنها آل لبابيدى .

الشيخ جراح ــ عيسى الجراحى من أمراء صلاح الدين الأيوبى .

الرفاعيـــة وتسمى اليـــوم زاويـــة أبو السعود . يخدمها آل أبو السعود من القدس .

اللؤلؤيـــــة ٧٨١هـ ــ ١٣٧٩م ــ انشأهـــا بدر الدين لؤلؤ غـــازى عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسين .

البسطاميـــــة ٧٧٠هـ ــ ١٣٦٨م ــ انشأها الشيخ عبد الله البسطامى .

القـــــادرية ١٠٤٣هـ ــ ١٦٣٣م ــ (زاوية الأفغان) كان يتولاها جماعة من الأفغان .

المولويـــــة ٩٩٥هـ ــ ١٥٨٦م ــ انشأها قائد موقع القدس الشريف .
آخر من تولاها الشيخ عادل المولوى من طرابلس الشام .

الصلاحيـــــة (الخانكى) ــ انشأها صلاح الدين الأيوبى .
كان يسكنها آل العلمى .

المجيديـــة ــ
عيال طه ــ
عيال شاكر ــ
عيال خليل ــ
جدد بناءها السلطان سليمان العثمانى ٩٣٦هـ ــ ١٥٩٠م ثم الحـــاج سليمان باشا المعروف بالعادل والى أيالة صيدا ١٢٣٣هـ ــ ١٨١٧م .

البقية على ص : ٧٤



عجائز المآتم :

كل الناس يتمتعون باجازاتهم ، ويقضـــونها خارج نطاق عملهم الـــذى ابتعدوا عنه ليفرغوا لأنفسهم وراحتهم ، الا صاحب الفكر الذى يعمل فى نطاق الكلمة : يقدمها للقارىء فى صحيفة ، أو مجلة ، أو كتاب .

انه حتى وهو بعيد عن الناس يفكر فيما سمعه أو رآه أو لاحظه ليكتب عنه وينقل للقارىء صورة منه ، ويقدم اليه مائدة فكرية جاهزة .

هكذا قضيت اجازتى القصيرة التى اتيح لى فيها على قصرها ان ازور بعض الدول العربية ، والتقى مع الكثيرين من عدة دول عربية .. ولم يخل لقاء او جلسة مع واحد من هؤلاء او اكثر الا كان مدار الحديث عن « حالنا » ومع كل حديث أمل عريض فى مستقبل قوى .. ولكنى اشهد أن بعضا من هؤلاء لم يكن أملهم الذى يطلقونه على المستوى الذى يتحدثون به بعد ذلك .. كنت أتصورهم وهم غارقون فى الحديث عن الماضى وعن الأخطاء . كأنهم نساء فى ذكرى وفاة يلطمون ويندبون ، ويتحدثون بما يثير الشجون والألم واليأس . كنت أسترجع — وأنا أراهم على هذه الحالة — حال امرأة فقدت عزيزا عليهـــا . فغرقت فى بحار الحزن والألم حتى انهد جسمها وذوت نضارتها . وعجزت عن القيـــام بواجبها نحو زوجها وأبنائها ، واصبحت هى فى حاجة الى من يرعاها . بعد أن كانت ترعى بيتها بنشاط وحب . حتى خيم على البيت الحزن والكآبة . فهى لا تريد أن تخلع الثياب السوداء . وهى كلما جلست وتحدثت مع أولادها وزوجها . تسرب حديثها الى الفقيد العزيز . واذا زارها أحد تطرقت الى الحديث عنـــه وهى تبكى ، وتقلب الزيارة الى مأتـــم ، حتى بعد سنة وأكثر من وفاة الفقيـــد العزيز !! وهكذا حتى أصيبت بالأمراض ، ثم ودعت الحيـــاة وهى كالغصن فى أيام الخريف ، وتركت الزوج والصغار !!

نعم كنت أستحضر هذه الحالة كلما رأيت جماعة يتحدثون ويتناقشـــون ويقضون وقتهم وجهدهم فى توزيع المسئولية . فلان أخطأ .. وفلان أصاب .. وينفض المجلس دون أن نرى لهم فكرة لتحقيق أملهم الباسم الذى أطلقوه كالحمام البرىء فى أول جلساتهم .

فكنت أتلوى من الألم . وأنتفض لأقول لهم : كفى حديثا عن المـــاضى . وقولوا لنا : وماذا عن المستقبل يا رجـــال ؟ ماذا ترون ؟ وماذا فعلتم ؟ أو ماذا ستفعلون ؟ الى متى يظل حبل البكاء متصلا . وبحر الدموع مسترسلا ؟ وكأنكم

يكتبها: عبد المنعم النمر

عجائز المأتم ؟ وهل هذا هو الذى يحقق لنا أملنا ويبنى لنا مستقبلنا . ويجعلنا أهلا لاسترداد حقوقنا ؟ كفوا أيها الرجال عن البكاء والنحيب وتعداد ما مضى وقوموا من هذا المأتم . لتستقبلوا حياة جديدة . فان عدوكم ماض فى استعداده مصر على صلفه وغطرسته . ولن يصده مثل هذا النحيب .

حدث خطأ ؟. نعم . او حدثت حتى خيانة ؟ فلنفرض .. ولكن هل هذا أول شىء من نوعه فى تاريخ الحروب ؟ وهل الأخطاء لا يمكن تصحيحها ؟ والخيانة لا يمكن اجتثاثها ؟ ان ذلك كله ممكن وفى الطريق اليه .. المهم أن نستفيد من أخطائنا بالحذر من تكرارها . والانطلاق الى العمل بعين يقظة واخلاص بصير .. أما جلسات النحيب والرثاء فلا نأخذ منها الا اليأس وحرق الأعصاب ، وعدم الثقة فى المستقبل .. وهذا هو أثمن ما يرجوه العدو لنا . ويعمل له بكل أجهزته وقواه ..

ففضوا — أيها الرجال فى أى مكان تلتقون — مجالس المآتم والندب واللطم ، ولا تكونوا مع العدو عليكم وعلى أمتكم . وكفى ما مضى من سنة وشهور فلسفة وتحليلا ، وبكاء وعويلا ، وانهضوا للعمل والتوجيه الصحيح . من أجل أمة جللها العار ، وأمامها عدو مجتمع موحد يلطم شرفكم كل يوم بل كل لحظة .. ويوغل فى الصلف والكبرياء .. ويهيل عليكم تراب الازدراء .

لا تذكروا الماضى الا بمقدار ما تستمدون منه العبرة . ومعرفة مواضع الخطأ لتحذروها وسيروا الى المستقبل بعزم الجبارين . وحكمة العقلاء المجربين .

فهناك اخوان لكم يئنون فى سجونهم الضيقة . أو سجنهم الكبير تحت وطأة العدو المتغطرس فى انتظار يوم الخلاص . وهناك شباب ورجال يخوضون نيران الموت ، ويقدمون حياتهم ومستقبل أولادهم فداء لشرف أمتهم ..

هناك من يحملون مدافعهم . ويقضون الليل والنهار يترصدون عدوهم . لا يعرفون الكلام ولكنهم يجيدون البذل والفداء .

ليت هؤلاء الذين يعيشون فى الماضى ويفتتون القوى وهم فى نزهاتهم او على ارائكهم يتصورون حقا الآلام التى تعانيها أمتهم . أو يخطون الى خطوط وقف النار ليروا ما رأيته ولم أكن بعيدا عن تصوره « وما راء كمن سمع » ليدركوا أنهم يضيعون الوقت والجهد . وينفثون سموم اليأس فى أمة لها ثأر لن تنام عليه . ويفتتون قوى نحن فى أشد الحاجة الى تجمعها وزيادتها .. لتكون هديرا يخلع قلوب الأعداء حين يأتى يوم الثأر .

فتش عن اليهود :

لقد كان من العجيب حقا أن تكشف الصحف عن دور الصهيونيين التشكوسلافاك فى هذا الذى كان هناك .. من أزمة ترتب عليها دخول الجيوش .

فقد كشفت بعض الصحف عن أسماء بعض الصهيونيين الذين غضبوا بسبب قطع تشكوسلوفاكيا علاقاتها مع اسرائيل ، وسيرها مع روسيا فى ادانة الاعتداء .. فاخذوا يهيجون الأفكار باسم سياسة مستقلة لبلادهم عن حلف وارسو . مما كان سببا فى هذه الأزمة . وهذه هى بعض الأسماء الصهيونية ومراكزها هناك :

أدوار جولد ستوكر ـ رئيس اتحاد الكتاب ، وكان من قبل سفيرا لبلاده فى اسرائيل من سنة ٤٨ ـ ١٩٥١م وحكم عليه بالسجن ٢٠ عاما لقيامه بنشاط صهيونى مع جهات أجنبية .

أرنوست لوسنج ـ نائب رئيس اتحاد الكتاب ، متخصص فى كتابة الموضوعات الصهيونية . وكان من الطبيعى أن تتزعم مجلة اتحاد الكتاب بعد ذلك حملة اعادة العلاقات مع اسرائيل .

لاديسلاف موناشتكو ـ عضو اتحاد الكتاب ، اختفى من بلاده ، فجاة ، وظهر فى اسرائيل ، وصرح يوم وصوله بأنه لن يعود لبلاده حتى تغير سياستها الموالية للعرب .

فرانسيك كريجل ـ رئيس الجبهة الوطنية التى تضم الأحزاب والنقابات .

أوتاسيك ـ نائب رئيس الوزراء .

أريك سبنجر ـ من كبار الأطباء المشهورين وله تاثيره القوى فى الأوساط الرسمية والشعبية .

وهؤلاء بالتعاون مع مجلس الجالية اليهودية التى لا تزيد عن ستة عشر الفا أخذوا يضغطون لاعادة العلاقات مع اسرائيل . موهمين الشعب أن قطع العلاقات بضغط من روسيا لا يتفق مع حريتهم . وان بلدهم تابع لروسيا . الخ ـ متخذين شعار الحرية اساسا لدعوتهم ومن الطبيعى أن يتجاوب معهم الشعب . ان لم يكن لعطف على اسرائيل فلأجل حرية يرى كثيرا من القيود المفروضة عليها كشأن البلاد الشيوعية .

وظهرت الأزمة التشكوسلوفاكية ودخلت الجيوش . ووقفنا طبعا بشعورنا ضد هذا التدخل وتحدثنا كثيرا . وكتبنا كثيرا . وبكينا أكثر من أجل الحرية المضطهدة . ولكننا لم نكن ندرى أن شعار الحرية الذى رفعوه هناك « كلمة حق يراد بها باطل » شأن الصهيونيين فى الاستغلال . وأن وراء ذلك خدمة اسرائيل . وتصويب السهام الى صدورنا فوق ما به من سهام « وفتش عن اليهود » .

تحية وتقدير :

من بين الأطلال واكوام الحزن والأسى التى عشت أياما قليلة فيها فى عمان برقت أمامى ظاهرة شدتنى اليها شدا ، ونزلت على قلبى بردا وسلاما . .
ولا بد لى هنا من تسجيلها كبرق لامع فى ظــلام دامس ، وظـاهرة تستحق التسجيل والاعجاب ، لأنها نادرة فى أيامنا ، بل تكاد تكون معدومة . .
حضرت مجلسا كان الحاضرون فيه من المثقفين الغيارى ، وتطرق حديثهم الى ما يدور فى بعض خطب الجمعة من انتقـادات مرة وصريحـة وقاسـية لتصرفات بعض الشخصيات الكبيرة . . حتى تطرق الخطيـب مرة الى لـوم الشعب لسـكوته على هؤلاء ، وتحميلـه مسـئولية بقائهم يتصرفون هـذه التصرفات . .
قلت : وماذا حدث بعد ذلك للخطيب ؟
قالوا : هذا هو جالس بيننا . . ونظرت اليه ، وحدثته بين الاشفـاق والتقدير . . التقدير له والتقدير للمسئولين الذين بلغهم هذا كله ، ولم يتصرفوا تصرفا آخر !!

وكان بعض الحاضرين غاضبين لأن الخطيب ابعد عن الخطبة ، ويطلبون أن يستمر فى عمله ونغمته . .
وكأنهم يوجهون اللوم لوزير الأوقاف . .
فقلت لهم . . مهلا . . يا سادة . . فأنتم بهذا مغالون ، وكأنكم لا تشعرون انكم فى واحة حقا لحرية القول والنقد القاسى الذى وصل الى هذا الحد . . فان الاكتفاء بتنحيته فقط عن الخطبة المنتدب اليها مع استمراره فى عمله الأصلى . . وهو بيننا الآن يمرح ويتكلم ، ذلك كله نعمة من نعم الله عليكم لا يتمتع بها غيركم فى هذه الأيام . . فاشكروا الله عليها ، وقدروها . . وأنا معكم أو قبلكم أشكر الله ، ثم أشكر المسئولين لسعة صدرهم لمثل هذا النقد الذى وصـل الى هـذا الحد . .
وعلى كل حال فاننى أحب الا تقطعوا الحبال ، فمن الخير أن تستمر كلمة النقد المعتدلة . وأن تهيئوا لاستمرارها الجو بالتوسط . . فخير الأمور الوسط . . ولا تكونوا كالمنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » . .
تحية لهم ، وتحية لوزير الأوقاف والمسئولين لسعة صدورهم . .

تصحيـح

علقت فى العدد الماضى على مـا نشرته صحيفة الأنوار اللبنـانية خاصا بموقف الشاعرين العربيين محمود درويش وسميح القاسم فى مؤتمر صوفيا . .
وقد جاءنا ممن حضر هذا المؤتمر أن ما ذكرته الصحيفة غير صحيح ، وأن الموقف الذى عزى للشاعرين انما وقفه غيرهما من بعض أعضاء حزب شيوعى عربى ، ونحن يسرنا تبرئة الشـاعرين العربيين المقيمين فى الأرض المحتلة مما نسب اليهما ، ولكن يبقى قولنا بالنسبة للشيوعيين العرب وتبعيتهم فى أفكارهم ومواقفهم من قضايا أوطـانهم لما يوحى به اليهم من الخـارج . وهذا هو ما نعيبه عليهم ونعتبره خيانة للدين والوطن . .

صحافتنا

ودورها في بناء المجتمع المسلم

للاستاذ : عبد الرحمن أبو الخير

هل يمكن للصحافة الاسلامية أن تكسح رواسب الفساد التاريخي الذي ترسب في المجتمع الاسلامي ، بفعل فاعل ، أو نتيجة لغفلة المسلمين على مر الأيام وتوالي السنين ؟

وهل تستطيع الصحافة في العالم الاسلامي أن تطهر المجتمع من الانماط الاجتماعية التي تركها الاستعمار في مجتمعات الاسلام عمداً مع سبق الاصرار ، بغية هدم العقيدة الاسلامية على مستوى الواقع الاجتماعي ؟

الجواب على ذلك بالايجاب ، وليس شيئاً آخر سوى كلمة .. نعم .

كيف ذلك ؟

لكن قبل أن نجيب عن هذا ، نطرح سؤالا آخر ، ليمهد للجواب المنطقي السليم عن ذلك الاستفسار ، فنقول .

— متى بدأ الفساد يتسرب الى مجتمع الاسلام ؟

هذا من ناحية الزمن .. ثم .

— ما هي طبيعة الأنماط الاجتماعية الشاذة التي تجثم ذاتها اليوم على صفحة المجتمع الاسلامي ، وهي — شكلا وموضوعا — تنتمي الى أعداء الاسلام ؟

هذا من ناحية الواقع الاجتماعي المعاصر .

من ناحية الزمن

اما من ناحية الزمن ، فقد بدأ الفساد يتسرب الى مجتمع الاسلام منذ هدم المسلمون في أنفسهم ، قاعدة الشورى « وامرهم شورى بينهم » ، تلك القاعدة التي هي في صلب الاسلام ، العمود الفقري للتنظيم السياسي في مجتمع المسلمين .. وذلك منذ انتهى حكم الخلفاء الراشدين ..

ومن هنا وضعت بذرة الكوارث السياسية ، التى يعانيها كثير من المجتمعات الاسلامية ، أو قل غالبية مجتمعات الاسلام ، على مستوى ما يسمى بالمصطلح السياسى المعاصر « أزمة الديمقراطية » .

وان الدارس لتاريخ الاسلام السياسى ــ فى ضوء ما سلف ــ لا يمكن أن يغيب عنه ما جره « هدم » قاعدة الشورى على المسلمين فى مزالق اجتماعية وسياسية مكنت للتخلف والاستعمار الاوربى المعاصر أن يفرض ارادته على المستوى السياسى والاجتماعى والثقافى ، فى بلاد الاسلام لفترة طويلة ، يخرج منها المسلمون اليوم كما يخرج المريض من مرضه ، يعانى مرحلة نقاهة تستدعى استئصال جذور المرض ، ورواسبه من جسده المريض .

الواقع الاجتماعى المعاصر

وأما من ناحية الواقع الاجتماعى المعاصر ، فان هذا الواقع زاخر بأنماط اجتماعية شتى ، منها ما هو على مستوى المظهر الاجتماعى ، ومنها ما هو على مستوى الفكر والسلوك الفردى ، وهى برمتها ضد الاسلام ، وتنافيه فى صلب العقيدة الاسلامية التى هدفت الى بناء مجتمع سام ، يقوم على الأخوة لا الأنانية ، والاستقرار لا التمزق الاجتماعى ، وتحقيق المناخ الاجتماعى المحقق لتكامل الانسان ، وليس الفرد الممزق الأعماق ، أو الحيوانى المظهر والسلوك .

وفيما يلى بعض تلك الأنماط الاجتماعية التى هى برمتها ضد الاسلام .

١ ــ **الأزياء ..** وخاصة أزياء السيدات ، فى مدن مصر والشام وشمالى افريقية وتركيا والباكستان على سبيل المثال .. ما هو واقع هذا الزى ؟ .. انه زى المراة فى باريس ، ولندن ، وبودابست ، وبون ، وواشنطون ، وايطاليا ، واليونان ، انه أوربى ، ينتمى الى الثقافة الأوربية ، وليس الى ثقافة الاسلام ، فلابسات (الجابونيز) ، وفساتين فوق الركبة ، وغير ذلك من أزياء النساء المجسمة لمفاتن البدن ، والمظهر للحم المراة ، اعنى جسدها ، تتحدد أشكالها وفقا لخطوط الموضة ، التى ترد من عواصم أوربا كل عام ، على صفحات الجرائد والمجلات الفنية ، أو نماذج الأزياء المستوردة من أوربا ذات الثقافة الوثنية .

وقد يعترض البعض على (تعبير الثقافة الوثنية) ، فيقول : لا يجوز أن يطلق هذا التعبير ، على الثقافة الأوربية المعاصرة ، الا أن قصة الحضارة البشرية ، قد حكت أن روما الوثنية كانت تتسلى على صراع أبناء مستعمراتها لبعضهم البعض ، داخل حلبات الملاعب ، حتى يقتل احدهم الآخر ، وكانت المراة فى ظل هذه الحضارة الوثنية ترتدى نفس الخطوط والاشكال التى تتخذها (موضات) الأزياء المعاصرة ، اشكال العرى ، واظهار المفاتن . فلما حل عهد التدين ، وانتشار المسيحية فى أوربا والاسلام فى الشرق ، تنحت ظاهرة الزى العارى ، واهملت الملاعب ليتجه نشاط الانسان نحو الكنيسة أو المسجد ، بعيدا عن اللهو ، وبناء للكيان المعنوى للانسان ، لاقامة مجتمع الاخاء القائم على العدل ،

والمحبةوالاستقرار والأمن والسلام .

وفى ظل الحضارة الدينية هذه نبذ المجتمعالزىالعارى ، واختفتنماذجه من صفحة المجتمع الأوربى الذى نبذ ثقافة الرومان ، ودان لعقيدة الايمان غمطت المرأة بدنهــــا ، واحترمت انســـانيتها ، كعضو فى الجماعة البشرية له فعـــاليته ، ووظيفته الأصـــيلة ، وليس مجرد أنثى ، وظيفتها الفتنة ، وهوايتها الزينة .

ان عقيدة الاسلام ، وثقافته فيما يتعلق بزى المرأة ، قد نبذت الأزياء العارية ، المعلقة اليوم على أجساد النســـوة ، المنتميات الى الرقعة الجغرافيةللاسلام فى المدن الكبرى ، والصغرىكذلك .. والسبب فى ذلك هو رأى الاسلام فى الزى « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليــهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعـــرفن فلا يؤذين وكان الله غفـــورا رحيما » — ٥٩ من سورة الاحزاب .

ولما كان واقع زى المرأة فى العالم الاسلامى المعاصر ، أوربى الشكل ، غير اسلامى السمات ، فانه يعد من رواسب الفساد التاريخى ، التى يقع عبء ازالتها على الصـــــحافة الاسلامية ، ومن هنا صار من واجب

تلك الصـــحافة محاربة العرى ، وانماط الزى الأوربى فى العــــالم الاســـلامى ، حتى تتحرر المرأة من ضغط الثقافة الأوربية ، وتقتنع بالزى الذى تحدده الثقافةالاسلامية وكرامة المسلمين ، هذا .. اذا كنا مخلصين للعقيدة ، مؤمنين ان الاسلام واقع اجتماعى ، وليس شــماعة تعلق عليها الأسماء ، أو تحفة اثرية يحتفظ بها من ينتمون الى الرقعة الجغرافية لتاريخ الاسلام ، على سبيل الزينة

والتراث .

٢ — الخمر .

٣ — التحلل على مستوى الخلق الجنسى والاجتماعى .

٤ — التقليد الأعمى لمظـــاهر الحياة فى أوربا .

كل اولئك مظاهر ســلوكية ، نقلناها عن الغرب الأوربى ، بدعوى المدنية تارة ، والتحرر أخرى ، وما ساعد فى الواقع على التقليد الأعمى للمسلمين لمظاهر الحياة الخليعة فى أوربا الا ذلك الاحســـاس النفسى الدفين الذى يتجسم فى القاعدة التى تقول « ان الأضعف يقلد الأقوى ، والمهزوم يقـــلد المنتصر ، والأدنى يقلد الأعلى » .. فالخمر فى أوربا هو تحيـــة الضـــيف ، ومشروب المناسبات ، وكأسه فى بلاد الغرب قد صارت من مستلزمات الحياة ، ومن هنا انتشرت لدينا الخمارات ، لأنها قد وجدت فى بلاد الاسلام من المقلدين والســكارى ، ما يروج السلعة ويحافظ على دوامها ..

كذلك تزحف روح التهـــتك فى الخلق الجنسى على نفوس الشباب فى مجتمعات الاسلام — ان لم يكن جلها — وخاصة فى المدن بفعل روح الحرية ، ودعوى عــدم الرجعية ، وغير ذلك من ضروب التفـــكير السطحى ، الذى ركز الاستعمار على بثه فى مجتمعات الاسلام ، وتركز الشيوعية والفلســفات المادية على اشاعته فى تلك المجتمعات ، لتحطيم الدين الذى هو فى نظرها أكثر عائق دون انتشار الماركسية .

ولقد ساعد على شـــيوع روح االتهتك الجنسى على المســتوى الأخلاقى فى كثير من مدن الاسلام ،

انشغال المسلمين بمشاكلهم السياسية التى عمد الاستعمار الى تركها فى بلادهم ، لتشغلهم عن التفكير فى اعادة النظر فى طبيعة الهيكل ، الذى قامت عليه مجتمعاتهم ، مثل قضية كشمير بالنسبة للباكستان ، واغتصاب فلسطين وتسليمها للعصابات الصهيونية ، فضلا عن تناقضات كثير من الأوضاع فى العالم الاسلامى ، تلك التناقضات التى سببت من قبل نكسة كبرى للاسلام فى تركيا ، على يد كمال أتاتورك ، الذى تنكر للاسلام والمسلمين ، بدعوى انقاذ الرجل المريض آنذاك ــ تركيا .

وكأن الاسلام فى نظره هو سر تخلف تركيا ، ولهذا بلغ به سوء الظن الى درجة أنه زيف كتب الجغرافيا ، وادعى أن تركيا جزء من أوربا ، ولا تنتمى الى الشرق فى كثير أو قليل ، ولهذا نزل الى الشوارع ليعلم الناس كيف يكتبون التركية بالحروف اللاتينية ، وأجبر النسوة على السفور ، وركز دعائم أنماط الحياة الأوربية فى المجتمع التركى .

ومن هنا يتضح لنا أن الانحلال والتحلل ، وضياع الواقع الاسلامى فى بقاع من الرقعة الجغرافية الأصلية للعالم الاسلامى ، هى من الامور التى يقع على عاتق الصحافة الاسلامية التعريف بمآسيها ، والدعوة لمكافحة آثارها بالمقال والصورة والرسم ، وحتى طريقة صياغة الخبر ، مع التركيز على اتخاذ النهج الاسلامى معيارا تتعرف الصحافة من خلاله ، على كافة الظواهر والأنماط الاجتماعية .

وبذلك فقط يمكن ان تمارس الصحافة فى العالم المنتمى الى رقعة الاسلام تاريخيا رسالتها الأصيلة فى الرقابة الشعبية على كافة أجهزة المجتمع والدولة ، وذلك لا يتحقق الا عندما تغدو الصحافة الاسلامية منبرا للشعوب ، يسنده محررون من المثقفين ذوى العقيدة والخلق .

ويوم يتحقق للصحافة ان تلعب دورها فى تقويم الحياة الاجتماعية ، من خلال معيار العقيدة والفكرة الاسلامية فانه يمكن تنقية المجتمع الاسلامى من رواسب الفساد التاريخى أولا ، وحل عقدته المعروفة بأزمة الديمقراطية ثانيا ، اذ عندما تغدو الصحافة لسان الشعب ومنبر العقيدة تنتصر الشورى ، وعندما تسود الشورى يسود العدل ، ويحل النظام والاستقرار بالمجتمع ، وتعود الطمأنينة الى النفوس ، ويسود الامن ويشعر الانسان فى مجتمع الاسلام انه انسان ، له كيان ، ووجود ، وحياة ، كما أراده الله وأعلن عن تكريمه حين قال « ولقد كرمنا بنى آدم » .



أعـدها : أبو نـزار



تواضع العظماء ..

كان عمر بن الخطاب يسير مع بعض اصحابه ، فلقيته امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر ، فوقف لها ، قالت : كنا نعرفك مدة عميرا ، ثم صرت من بعد عمير عمر ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فاتق الله يا ابن الخطاب ، وانظر فى أمور الناس ، فان من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت .. فقال صاحبه : يا أمة الله . ابكيت أمير المؤمنين ! فقال له عمر : اسكت أتدرى من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه ، فعمر أحرى أن يسمع قولها .

السبع والهارب ..

السبع فى عامية أهل الشام الحنفية أو مصب الماء فى البركة ، وكان يكون على صورة سبع .
والهارب فى عاميتهم البالوعة أو مخرج الماء .
وحدث أن أحد علماء دمشق الافاضل جلس أمام البركة ، وأراد أن يملأها حتى يفيض الماء من جوانبها ففتح (الاسباع) كلها ، فتدفق الماء ، ولكنها لم تمتلىء ، فعجب ، وقام يفتش ويبحث عن السبب فوجد (الهارب) مفتوحا فسده ، ففاض الماء .
فقال فى نفسه : انه ليس العبرة بفتح (السبع) ولكن بسد (الهارب) وكان راتبه الشهرى من وظيفته قليلا . فتعلم من هذه القصة أن العبرة بتقليل المصروف ، لا بتكثير الوارد .

اقدم وصية عربية

قال هبيرة بن عمرو بن جرثومة النهدى يذكر وصية جده نهد بن زيد :

وأوصى أبونا فاتبعنا وصاته … وكل امرىء موص أبوه وذاهب
فأوصى بألا تستباح دياركم … وحاموا كما كنا عليها نضارب ..
اذا أوقدت نار العدو فلا يزل … شهاب لكم ترمى به الحرب ثاقب
يفرج عن أبنائنا ونسائنا .. … جلاد وطعن يروع الخيل صائب
وماذاد عنا الناس الا سيوفنا … وخطية مسا بتقف زاغب

أعمى يقـــود بصــيرا

سمع بشار بن برد رجلا غريبا يسأل عن منزل احد سكان البصرة فقال له بشار : سر فى هذا الطريق فان صاحبك يقيم فى المنزل الأخير منه على يمينك . فقال له : ألا ترشدنى ، فقال بشار : أتريد من الأعمى أن يرشدك ، قال : انى امسك بيدك وأنت تقودنى ، ففعل بشار . وانشد :

أعمى يقود بصيرا لا ابالكـــــم   قد ضل من كانت العميان تهديه

الاصبــع العدوانى وبناته

كان لذى الاصبع العدوانى اربع بنات فزوجهن . وزار الكبرى فقال : كيف رأيت زوجك ؟.

قالت : خير زوج . يكرم اهله . وينسى فضله .
قال : فما مالكم ؟

قالت : الابل نأكل لحمانها . ونشرب البانها . وتحملنا ورحالنا .
قال : زوج كريم ، ومال عميم .
ثم زار الثانية ، فقال كيف رايت زوجك ؟.
قالت : يكرم الحليلة ، ويقرب الوسيلة .
قال : فما مالكم ؟
قالت : البقر : تألف الفناء . وتملأ الاناء . ونساء مع نساء .
فقال : رضيت وحظيت .
ثم زار الثالثة . فقال : كيف وجدت زوجك ؟
فقالت : لا سمح (بذل) ولا بخيل حكر .
قال : فما مالكم ؟
قالت : المعزى
قال : جذو مغنيه .
ثم زار الرابعة : فقال : كيف رايت زوجك ؟
قالت : شر زوج ، يكرم نفسه ، ويهين عرسه .
قال : فما مالكم ؟
قالت : شر مال ، الضأن . جوف لا يشبعن . وهيم لا ينقعن (يرتوين) .

وصم لا يسمعن ، وأمر مغويهن يتبعن .
فقال : أشبه امرؤ بعض بزه ــ ثيابه .

عمــود الصداقه

قال رجل لمطيع بن اياس : جئتك خاطبا مودتك . قال : قد زوجتكها على شرط أن تجعل صداقها الا تسمع فى كلام الناس .

رجال لم تسلط عليهم الأضواء

قتادة بن دعامة السدوسي

للشيخ : أبو الوفا المراغي : مدير المكتبة الازهرية

على امتداد التاريخ الاسلامى أعلام رشد وهداية ، ومنارات علم وعرفان ، تشيع فى النفوس الهدى والرشاد ، وتشع على القلوب ضياء العلم والمعرفة ، وتصل سلسلة العلم ، وتربط خالف الأجيال بسالفها ، فتسهم فى بناء الحضارة العلمية .

أولئك هم أعلام الأمة الاسلامية ، وفى احياء ذكرى هؤلاء بنشر مآثرهم ، وتجلية أفكارهم وكفاياتهم ، مجال للاقتداء والافادة ، وميدان للمزاحمة والمباهاة .

وليس هناك أمة من الأمم حفل تاريخها بالعلماء فى مختلف الوان العلم ، كما حفل تاريخنا الاسلامى . واذا احتفظ تاريخ أمة من الأمم بواحد أو بجماعة من العلماء ، فان التاريخ الاسلامى احتفظ بآلاف منهم ، يعسر التفاضل بينهم . فلكل واحد قدره وفضله ، وخصائصه ومميزاته . وقد يستطيع المرء أن يفاضل بين شخصين انحصرت معارفهما وفضائلهما ، ولكن حين تتعدد الفضائل ، وتتلون المعارف يكون من المفاضلة فى عناء . وكذلك شأن كثير من أسلاف علمائنا . فأنت حين تنشر بين يديك صفحات التاريخ ، يزيغ بصرك فى الاختيار والتقديم ، فما تملك الا أن تقول : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

واذا كان الحظ قد لعب دوره فى ابراز بعض الشخصيات العلمية الاسلامية ، فتناولتها أقلام الكتاب بالتنويه والتحليل والاشادة والتعجيب ، فان هناك شخصيات اسلامية ، لم تنل تلك العناية . ومن واجب الوفاء ، بل من واجب العلم أن تتناولها أقلام الكتاب ، لتلفت اليها أنظار ناشئة المسلمين ، ليفيدوا منها ، ويقفوا على مناهجهم فى العلم وسلوكهم فى الحياة ، ويتأثروهم فى بناء شخصياتهم ، ورسم مستقبلهم . وسيجدون فى سيرهم وسلوكهم الأسس الصالحة لبناء الشخصيات .

وكلمتنا هذه فى شخصية علمية من تلك الشخصيات ، قد لا يـكون على علم بها الا من لهم صلة بالتفسير أو الفقه أو التصرف ، لكثرة ما تردد ذكرها فى مصنفات هذه الفنون .

فقتادة بن دعامة السدوسى يتردد اسمه فى كتب التفسير ، حتى لا يخلو تفسير سورة من القرآن من رأى له ، فى تفسـير آية أو آيات منها ، وكذلك شأنه فى الحديث والتصوف ، الا أن هناك نواحى من نواحيه العلمية ، أبعد ما تكون عن أذهان المثقفين ، وهى نواحى علمه بالشعر والغريب ، وأخبار العرب وانسـابهم ، ولعل ناحيته الحديثية والتفسيرية قد غلبتا على تلك النـواحى ، فحجبتها عن الأذهان ، فهو لكثرة ما روى عنه من الأحاديث والآراء التفسيرية والتصـوفية ، وبخاصة فى باب المواعظ والآداب ، خيل للمثقفين أنه من رجال التفسير والحديث والتصوف فحسب ، ولكن لقتادة نواحى أدبية ، بها أخذ مكانه بين رجال الأدب ونقـدته ، حتى كان مرجعا فيما اختلف فيه منهـا ، على ما سنذكره .

مواهبه ..

وقبل أن نتحدث عن نواحيه التى أشرنا اليها نرى أن نلم الـمامة موجزة بمواهبه الشخصية والظروف التى أهلته لتلك المـكانة العلمية . أما مواهبه فقوامها أمران اتفق عليهما المترجمون له .

أولهما : رهافة حسه حتى أنه كان ــ وهو أعمى ــ يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد .

ثانيهما : انه كان حافظة يحفظ كل ما يسمعه ، وكان يضرب بحفظه المثل ، حدث عن نفسه ، فقال : ما قلت لمحدث أعد على ، وما سمعت أذناى شـيئا قط الا وعاه قلبى .

وأما الظروف العلمية التى كان لها أثر فى تكوين شخصيته على ما نعتقد ، فأهمها : تلك الكثرة الكاثرة من شيوخه ، وهم أعلام الحـديث والأدب ، ولعل لأصـله أثرا فى تـكوينه العلمى ، فلقد كان أبوه أعرابيا ، وكانت أمه كذلك . والأعراب حفظة يعتمدون فى معارفهم على حوافظهم ، لانتشـار الأمية فيهم . هذا الى نهم علمى لا حد له . فكلما لاحت له فرصـة اغتنمها ، فعن معمر عن قتادة . أنه أقام عند سـعيد بن المسـيب ثمانية أيام ، فقال له فى اليوم الثالث ابتعد عنى يا أعمى فقد أترفتنى . وما فتر عن طلب العلم حياته كلها ، قال شيخه **ابن الوراق** : ما زال متعلما حتى مات .

قتادة المفسر :

ليس لقتادة تفسير مستقل فيما نعلم ، ولكن له أقوال فى تفسـير كثير من آيات القرآن ، نجدها مبثوثة فى تفاسير المتقدمين ، وبخاصة التفاسـير التى اعتمدت فى مادتهـا على ما أثر من أقوال الصـحابة والتابعين ، ولا تكاد تمر بسورة من القرآن حتى تجد له رأيا فى آية أو آيات منها ، وكذلك فى مراءة من القراءات ، وتمتاز آراؤه بالفقه فى التأويل . أعنى أنه يعنى بالمراد من النصوص ولا يتقيد بألفاظها . فهو يرى فى تفسير قوله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام »

أنها عامة فى كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو اضرارا . على حين يرى غيره أنها خاصة بالأخنس بن شريق الذى خنس عن قتال رسول الله يوم بدر :

ويرى أن معنى قوله تعالى : « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم » . انها فى الرجل اذا قلت له مهلا ، ازداد اقداما على المعصـية ، والمعنى حملته العزة على الاثم . وقال فى تفسير . قوله تعالى : « هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة » . انهم الملائكة تأتيهم لقبض أرواحهم . وقال فى تفسـير قوله تعالى : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » . ان المراد بالناس هنا القرون التى كانت بين آدم ونوح وهى عشرة كانوا على الحق فبعث الله نوحا فمن بعده .

هذه نماذج من آرائه فى تفسـير بعض الآيات ، وهى كما ترى تنحو الى فقه الآية ، والمراد منها دون تقييد لسبب خاص من أسباب النزول .

قتادة المحدث :

كان قتادة من رواة الحديث ، وعرف بالحفظ ، وكان لنهمه العلمى وكثرة حفظه أثر فى تكوين شخصيته الحديثية كما كان لهما أثر فى وقوف النـاس من روايته موقف الحذر والحيطة ، ولقد شهد له شيوخه بالحفظ . قال شـيخه سعيد بن المسيب رضى الله عنه — وكان كثير العجب من حفظه — قال : لما قدم قتادة عليه فجعل يسأله أياما وأكثر فى السؤال : أكل ما سـألتنى عنه تحفظه ؟؟ قال : نعم . سألتك عن كذا فقلت : كذا . وسـألتك عن كذا . فقلت فيه كذا . وقال فيه الحسن : كذا حتى رد عليه حديثا كثيرا — قال : فقـال لى سعيد ما كنت أظن أن الله خلق مثلك . وقال سعيد أيضا ما جاءنى عراقى أحسن من قتـادة . وقال شـيخه ابن الوراق : ما رأيت الذى هو أحفظ منه ، ولا أجدر أن يؤدى الحديث كما سمعه .

وقال ابن سيرين : هو أحفظ الناس . ولرغبته فى الحفظ وجمع الكثير من الحديث ، كان يحفظ الصحيح وغيره ويرويه ، فنظر اليه العلماء ونقدة الحديث نظرة فيها حذر وحيطة . قال جرير عن مغيرة عن شعبة : كان قتـادة حاطب ليل . لذلك وثقه قوم وضعفه آخرون . ولعل اتهامه بالقـدر كان من بواعث انصراف كثير من العلماء عن رواية حديثه . فقد كان طاوس « يفر منه » وقال عمرو بن العلاء لمعمر . حسبك قتادة فلولا كلامه فى القدر لما عدلت به أحدا من أهل دهره .

وقال الذهبى . قد تفوه بشىء من القدر ، وقال كل شىء بقدر الا المعاصى . ورغم ما رمى به فقد روى عنه أصحاب الكتب الستة ولم يتركوا الأخذ عنه . وقال ابن حبان . فى الثقات : كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ زمانه .

ومن شيوخه . أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وابن سيرين وعمران ابن حصين .

قتادة الأديب الراوية :

لعل تلك الناحية هى أبعد ما تكون عن أذهان العلماء بالنسبة لقتادة . ولولا أن ابن سلام عنى بها فى طبقاته لما حفظ لنا التاريخ شيئا عن قتادة فى تلك الناحية ، ولظل تاريخه ناقصا ، فقد كان — على ما ذكر ابن سلام — مرجعا فيما يشكل على العلماء من قضايا الأدب ونسب العرب . وكان مقصد الخلفاء ، وموضع ثقتهم فى هذا الشأن ، كما كان بيته مدرسة لا تخلو من رواد المعرفة . قال عامر بن عبد الملك : كان الرجلان من بنى مروان يختلفان فى الشعر ، فيرسلان راكبا ينيخ ببابه ، فيسأله عنه ، ثم يشخص . وكما كان له ملكة فى فقه القرآن ، كان له ملكة فى فقه الأدب . قال ابن سلام : روى بعض أصحابنا قال : رأيت راكبا قدم من الشام ، فأناخ على باب قتادة فسأله من قتل عمرا وعامرا التغلبيين يوم قضة ؟ قال : جحدر . فأعادوا اليه الرسول . فسأله : كيف قتلهما جميعا ؟ قال : اعتوراه فطعن هذا بالسنان ، وهذا بالزج ، فعادى بينهما ، ثم رحل مكانه . وقال ابن سلام كان قتادة بن دعامة السدوسى من رواة الفقه ، عالما بالعرب ، وبأنسابها ، ولم يأتنا عن أحد من رواة الفقه من علم أصح من شىء أتانا عن قتادة .

وعن قتادة أخذ كثيرون أخبار العرب وانسابهم ، فكان أبو المعتمر الشيبانى كثير الحديث عن العرب وعن معاوية . وعن عمرو بن العاص . وزياد وطبقتين ، يقول : أخذته عن قتادة . وكان أبو بكر النزلى يروى هذا العلم عن قتادة . وعن أبى عوانة قال : شهدت عامر بن عبد الملك ، يسأل قتادة عن أيام العرب وأنسابها وأحاديثها فاستحسنته فصرت اليه فجعلت أسأله عن ذلك فقال : مالك ولهذا ؟ دع هذا العلم لعامر وعد لشأنك يعنى الى رواية الحديث والفقه .

وحسب قتادة تزكية الامام أحمد بن حنبل له . قال أبو حاتم : سمعت أحمد ابن حنبل — وقد ذكر قتادة — فأطنب فى ذكره ، وجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه .

وقال : قلما تجد من يتقدمه ، أما المثل فلعل .

هذا هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو البصرى السدوسى الذي ولد أكمه سنة ٦١ هـ . وتوفى بواسط سنة ١١٧ هـ .

دار الحـديث ٦٦٦هـ ـ ١٢٦٧م ـ	انشـأهـا الأمير شرف الديـن عيسى بدر الدين أبو القاسم الهكارى . كان يسكنها آل الخالدى .
الرباط المنصورى ـ	انشأه الملك المنصور قلاوون الصالحى . استعمله الأتراك سجنـا عرف باسـم حبس الرباط .
ربـاط الكرد ٦٩٣هـ ـ ١٢٩٣م ـ	أنشأه المقر السيفى كرد صاحب الديار المصرية . كان يسكنها آل الشهابى .
دار السلام القرآنية .	انشـأهـا سراج الدين عمر بن أبى بكر القاسم السلامى . عامرة بالصلاة .
الشـيخ بـدر الدين الحسينى ـ (أبو مدين)	فى يد اليهود مباشرة هذه الأيام .

أما بعد ،

فان جميع هذه المعابد والمعاهد والربط والزوايا والخانقاه ، التى تركهـا السلف الأكرم من ملوك المسلمين وأعيانهم وعلمائهم لكى تبقى على مر السنين ذكرى خالدة ، تحدث الخلف من أمة الاسلام عن جهاد الذين وقفوا انفسهم وما كانوا يملكون من فضـل الله وكرمه فى سبيل اعـلاء كلمـة الحق والصراط المستقيم فى الأرض الطيبة فلسطين . بالاضـافة الى ما فى هذه الأرض من المقدسات التى شرفها الله بذكرها فى محكم كتابه العظيم ، وجعل فيها الاسلام من يوم انبثاق فجره بضياء الهداية والعدالة والازدهار والتقدم ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، التى منها من المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله الى مسـجد عمر بن الخطـاب الى صخرة البراق الشريف التى منهـا عرج الرسول الأعظم صلوات الله عليه الى رحاب السماوات العلى فى مسراه .. الى البراق الشريف الذى شد اليه صـاحب الاسراء عليه السـلام ركوبـه النورانى .. ان جميع هذه الآثار الدينية الخـالدة ، أيها المسلمون ، وقعت اليوم أسيرة كسيرة بيد أعداء الانسانية الظـالمين ، اليهود السفاحين ، وكل ذرة حجارة فى هذه المنشآت تتلفت متلهفة اليكم ، كبارا أو صـغارا ، رجالا ونساء ، تسـتصرخ فيكم نخوة الدين وحمية الوطنية .. وتسـتغيث بأهل المروءات من كل جنس ومن كل لون ومن كل لسـان ، لانقـاذها من أظافر المعتدين ، قبل أن يسـبق السيف العذل ، وتهوى عليهـا معاول التدمير والتخريب ، وتتردى حطاما تحت نزوة الحقد القاتل الذى تغلى بنيرانه قلوب القوم الظالمين ! ..

يا أهل الاسلام ، وأمة محمد عليه السلام ، هل من سامع أو مجيب ؟!

هذى فلسـطين استجارت	ان حـرا مـن أجـارا
صرخت بأعـلى صوتهـا	وضـعوا على عنقى شفارا
انى سـأذبح فالبـدا	ر الى مناصرتى البدارا

كتاب الشهر

القومية والغزو الفكرى

المؤلف : جلال كشك

الناشر : مكتبة الأمل بالكويت

عرض وتحليل الأستاذ :

عبد الحليم عويس

كان انتصار الثورة الجزائرية حدثا ضخما ، كشف النقــــاب عن حقيقة حضارية هامة وخطيرة ، واذا كان ذوو الأغراض المشبوهة ، وأشـــــياعهم فى الشرق والغرب قد روجوا بين جماهير الانسانية أن (الاسلام الحركى الثورى) قد ذهب الى مثواه الأخير .. اذا كان هذا فان الثورة الجزائرية قد كشـــــفت النقاب عن حقيقة مفاجئة مضادة هى أن (الاســــلام لا يزال هنا) .. ولم تكن شمس (الأيدلوجية الاسلامية) التى ظهرت فى الجـــزائر ، بقادرة على جعل مجموعة تلامذة الغزو الفكرى يبصرون ضوءها .. فان هنــــاك صنفا أعماهم التقليد والعــــكوف على أصنام صنعها لهم الغرب والشرق ، فهى تحجبهم عن رؤية الضوء مهما كان ساطعا انهم الأحفاد المخلصون لهؤلاء الذين قالوا للقرآن لما أعيتهم براهينه : (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) . فلنترك هذا الصنف لأحجار السماء أو لعذاب الله الأليم ..

على ان هناك صنفا آخر كان يبحث جادا عن الحق ، ويتلمس طريقه الى الضوء من خلال الليل القاتم الذى ســـاد تاريخ أمتنا فى الحقبة الأخيرة ، بعد غيبة الاسلام الاسيفة .. فلما ان ظهرت (الأيدلوجية الاسلامية) فى الجزائر عاد هذا الصنف الى (الاسلام الثورى) يلعن ليل أمتنا الذى طال ، وينادى من جديد ببعث أمتنا بعثا اسلاميا صافيا .. أو بحسب اكلشيه « الاســـتاذ جلال كشك » يدعو الى الحضارة الاسلامية ..

وكان الاستاذ (جلال كشك) واحدا من أبرز أعضاء هذا الفريق الاخير ، فظفر الاسلام منه بنمط شبابى مثقف وواع ومؤمن .. وكما كان الاستاذ (كشك) شيوعيا ممتازا أصبح كذلك (مسلما) ممتازا ــ (وخياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام) ..

وفى هذه الصفحات نلتقى برابع كتب الاستاذ (كشك) الاســــلامية منذ (الغزو الفكرى ، فالماركسية والغزو الفكرى ، فدراسة فى فــــكر منحل ، ثم موضوع دراستنا « القومية والغزو الفكرى » .. على أن من واجبى ان اقول

كلمة حق فى مستهل عرضى لهذا الكتاب .. هى أن « القومية والغزو الفكرى » يعتبر أوفى دراسة منهجية ذات موضوع واحد . وتسير فى خط واحد — وهى قد تمتد أفقيا أو رأسيا . لكنها تهدف الى غاية واحدة .. فالكتاب من وجهة نظرى رسالة علمية ظهر فيها الاستاذ (كشك) دارسا يملك النظرة الموضوعية . ويملك أسس التفسير والمناقشة الثابتة . الهادئة . كما يملك القدرة على الفهم للأبعاد التاريخية المتناثرة . ووضعها فى اطارها الكلى . بحيث تبدو وحدة متناسقة ذات هيكل متكامل . له بدايته وعقدته ونهايته .. نعم .. هذا حق .. فلطالما احسست وانا اقرأ دراسته التاريخية الحافلة لموضوع (القومية والغزو الفكرى) احسست كأنى أقرأ مسرحية تاريخية كاملة الترابط . يوزع الأدوار فيها الغربيون واليهود . ويلعب الادوار على خشبة المسرح دعاة القومية اللادينية ، وسدنة الغزو الفكرى المأجورون .. ولنتناول الكتاب اذن فى شىء من البسط والتوضيح ..

يتألف الكتاب الذى بين أيدينا من مقدمة . وخمسة فصول . تقع فى ثلاثمائة وستين صفحة من القطع الكبير .. هذا الى جانب خطبة الكتاب التقليدية التى يصدر بها الاستاذ (جلال) كل أعماله الاسلامية .. واذا كانت المقدمة الضافية قد تناولت خطوط البحث . فان خطبة الكتاب قد تضمنت فى رأيى أبرز عبارة نستطيع ان نقول : انها محور هذا البحث الذى يناقش قضية القومية اللا اسلامية .. هذه العبارة هى : **(ليس من ديننا من يبغض العرب ويكيد لهم فعزة الاسلام بعزة العرب .. هم مادة الاسلام كما قال عمر ، وما ذل المسلمون الا يوم ذل العرب ، وليس من العروبة من يتنكر للاسلام ، أو من يفتش عن بعث عربى بغير دين العرب ، فالاسلام هو عزهم وهو قوتهم .. الخ) .**

ونحن نعتبر هذه الفقرة من الخطبة (الميكرسكوب) الذى نظر منه الأستاذ كشك الى تاريخ الدولة العثمانية قياما وسقوطا ، والى الحركات العربية التى أسهمت فى سقوط الدولة العثمانية ، أو تمسكت بها كحاجز ولو (شكليا) بين العرب وأوروبا المتربصة .. والى هؤلاء الذين دوخهم الاستعمار المسيحى ودعاهم « علميا » الى قومية تعادى الاسلام وتضطهده ، وتتمسح فى حق الأقليات غير الاسلامية ، من أجل اسقاط حق الاسلام فى أن يكون الراية العالية فى بلاده .

والاستاذ (جلال) لا يدعو الى غريب أو شاذ ، حين يدعو فى مقدمته الى رفع راية الاسلام ، لا لأنه عقيدة الجماهير فحسب .. بل لأنه قضية وجود (ووعى حضارى) .. يمنحنا برنامجا كاملا ، نستطيع به أن نتقدم الى الدنيا كحملة رسالة عالمية .. فنحن لا نستطيع أن نتقدم الى افريقيا أو آسيا بقومية مبتورة عن الاسلام .. كلا بل نحتاج فى عملية انطلاقنا الى عقيدة (يجب أن تكون قومية بمقدار ما هى عالمية .. يجب أن تتميز بخاصية معينة .. فهى عقيدتنا لأنها فى نفس الوقت رسالتنا الى الأمم الاخرى .. هى سبيلنا لكسب قلوب الأمم واحاطتنا بعطفها .. هكذا كانت الشيوعية لروسيا هى ايدلوجيتها الخاصة ، ولكنها فى نفس الوقت رسالة روسيا لكل الأمم والشعوب ، وبهذه الازدواجية استطاعت القومية الروسية أن تحيط نفسها بدائرة من العاطفين) ..

وهذه الأيدلوجية المزدوجة هى نقطة البدء التى ضاعت من أمتنا ، فتاهت لذلك فى زوايا التاريخ ، وصارت (منطقة فراغ) يبتلعها الغزو الفكرى المختلف الملامح والأشكال ، ولكى نصل الى بعث جديد لا بد من النظر بعين الشك لكل ما يصلنا من تفسيرات وتحليلات ربما كان مصدرها الغزو الفكرى الخبيث .. وبناء على القياس الحضارى الذى اخترناه لا بد من النظر بعمق لعلاقة الاسلام بالحركات العربية .. علاقة العروبة بالاسلام من خلال المراحل الكفاحية التى خاضتها أمتنا فى صراعها من أجل قضية الوجود لمعرفة حقيقة هذا الكفاح .. هل هو لها ؟ أم للغزو الفكرى ؟ .. والاستاذ (جلال) يسير فى الطريق بهـذا المصباح الحضارى الممتاز ، ويختار لنا فترة صراع الغزو الفكرى مع آخر ممثلى حضارة المسلمين .. مع الدولة العثمانية .. اما ادوار هذا الصراع الكبير فهى الموضوع الذى استغرق فصول الكتاب الخمسة .. فلنتاولها فى ايجاز فصلا فصلا ..

يواجه المؤلف فى الفصل الأول مشكلة هامة فى موضوع القومية .. انها (محاولة البعض ادخال واقعنا العربى فى القالب الغربى للقومية) محـاولة الحركات السياسية أن تثبت شرعيتها بالحصول على مطابقة لأهدافها بموجب التعريفات والنظريات الأوروبية (.. **لقد استوردنا نظرية القومية من أوربا .. والنظرية القومية الأوربية تستبعد الدين من خصـائص القومية .. فلذا يرى هؤلاء المستوردون استبعاد الاسلام من خصائص القومية العربية**) .. ويناقش المؤلف فى هذا المكان (التعريف الماركسى) للقومية .. ويرى استحالة تطبيقه على القـومية العربية ، لا لأنه يذكر مواصـفات غير موجودة فقط ، بل لأن الماركسية فى التحليل الأخير لا تصلح لتفسير حاضرنا ولا لتغيير واقعنا (فان تاريخ تكون وتوحد الأمم فى آسـيا وافريقيا فى عصر الامبريالية والثـورة الاشـتراكية العالمية لا يمكن أن يكون تكرارا لتـكون وتوحد الأمم فى عصر الراسمالية الصاعدة .. بل ان تاريخ آسيا وافريقيا أعرق واكبر من أن تفسره الماركسية ، فضلا عن أن تتحكم فى مساره) ــ والمؤلف يسـتطرد فيناقش المفهوم الماركسى من حيث اللغة والثقافة والنبوءة الماركسية ، القائلة باختفاء القومية مع اختفاء الطبقات ..

وعندما يناقش المؤلف وحدة اللغة يرفض قول (سـاطع الحصرى) بأن العربى هو (من يتكلم عربيا) ويرى أن العربى هو (من يفكر عربيا) والفـرق كبير بين التعريفين .. فتعريف المؤلف يرفض أن تكون اللغة وحدها عامل تكوين أمة .. وكذلك يرفض القول بأن اختفاءها يحتم الانفصال .. اذ المهم عنده لغة الثقافة والحضارة .. والوجود الحضارى فى مواجهة الحضارات الاخرى .. وبهذا الفهم يدخل (صلاح الدين الـكردى والظاهر بيبرس وعبد الـكريم الخطابى .. الخ) كأعضاء فى رابطة العروبة ..

كذلك يناقش المؤلف (وحدة التاريخ) وهو عنده بالنسبة للأمة العربية ليس الا (تاريخ الاسلام) فهو وحده المعلم التاريخى الثابت الذى يميز الخبيث من الطيب .. والاحتجاج بالأقلية اللا اسـلامية فى مواجهة القول (بالعربية الاسلامية) (لا يعنى الا طائفة مستترة ضد العروبة والاسلام ، على إن هـذا

الخضوع المشبوه لم يخدم فى النهـــاية القومية العربية اللاطائفية) بل زادها انقساما وطائفية .. بقيت لطمة يســـــوقها الأستاذ (جلال) لأعداء القومية العربية الاســـــلامية .. انها موقف هؤلاء من اسرائيل .. انهم على العموم يعترفون بأن اسرائيل أمة بل (قومية) عجيب أن يكون المجتمع الاسرائيلى خاليا من وحدة اللغة ، ثم يعتبره هؤلاء قومية وأمة .. اذن فالأساس الذى ارتضوه لاعلان هذا الحكم .. ان الوشيجة الوحيدة فى المجتمع الاسرائيلى هى (الدين) .. وهو وحده قد استطاع أن يقيم قومية .. فلماذا الاصرار على تجريد القومية العربية من الدين ؟ لماذا يعد الحديث عن الاسلام فى القـــومية العربية حديثا غير علمى ، ويصبح الدين اليهودى مبررا وحيدا لقيام قومية اسرائيل ؟؟ لماذا ؟ لماذا يا أذناب الغزو الفكرى ؟؟

وينتقل بنا المؤلف الى الفصل الثانى من فصول الكتاب ، فيناقش الظروف التاريخية لقيام الدولة العثمانية لارتباط هذه الدولة بالمفهوم اللادينى للقومية العربية ..

ومن العجيب أن بعض الذين يتشدقون بحركة التاريخ والحتمية التاريخية ينسون أنفسهم فى مجال الحديث عن نشأة الدولة العثمانية ، ويتورطون فى سذاجة فكرية ، فيعلنون أن قيام الدولة العثمانية فى العالم العربى كان بتأثير (العاطفة الدينية) كأنما التاريخ موكب من المشاعر والعواطف .. لكن المؤلف يرى ــ بحق ــ أن قيام الدولة العثمانية ضرورة تاريخية (حتمتها الأحداث ، فمهزلة الخلفاء الضعاف فى الدولة العباسية ، وعوامل التعرية التاريخية التى أتت على المماليك قد جعلت الأمة العربية تسلم قيادتها فى طواعية للحمـــــاة الجديدين لحضارة الاسلام رغم كل عيوبهم الشخصية .. والمؤلف هنا يستنجد (بابن اياس) فى تصوير العشرين سنة الأخيرة قبل سقوط المماليك ، وتسلم العثمانيين قيادة العالم الاسلامى ، وكيف كانت صورة الخلفاء مهزوزة هزيلة) حتى أن السلطان سليم (العثمانى يسأل آخر هؤلاء الخلفاء : « أصلكم منين يا أخ » كأى عمدة يحتفل بفلاح غريب يطرق بابه فى يوم عيد ــ والآخر يجيبه : « من بغداد ») .

فليس صحيحا اذن أن العاطفة الدينية هى سبب قبول العرب للحـــــكم العثمانى بل الدافع حضارى .. دافع الاختيار بين أوربا الزاحفة بعد قضائها على الأندلس الاسلامية ، وبين العثمانيين .. برغم كل(١) عيوبهم .. ان هذا هو التفسير الحقيقى لنشوء الدولة العثمانية فى الشرق العربى ، وهو محور هذا الفصل ..

اما فى الفصل الثالث فيســـــير المؤلف على نفس المنهج ، وهو يفسر لنا سقوط الدولة العثمانية ، والحرب التى شنها الغرب على الاسلام هى العنصر البارز فى الصفحات التـــالية من الـــــكتاب ، واذا كان العرب قد آثروا الحل العثمانى فى مواجهة الغرب فى المرة الأولى .. فماذا ترى يؤثرون فى هذه

---

(١) من الصعب والحالة هذه ابعاد العاطفة الدينية عن قبول العرب للحكم العثمانى . « الوعى »

المرة ؟؟ .. ان روح الغرب فى هذه المرة كاسحة ومتفوقة . ولم تكن هنـــاك القوة الاسلامية البديلة لهذه القوة .. ومن هنا سقطت الأمة الاســـلامية الى اليوم فريسة سهلة للغزو الفكرى والعسكرى ..

والكاتب الفرنسى الذى اقترح حلا للمسالة الاســـلامية أن يقضى على المسلمين ، وأن ينبش قبر الرسول ، وتنقل عظامه الى متحف (اللوفر) بباريس .. هذا الكاتب كانت الظروف الاسلامية الكئيبة تسمح له بتقديم مثل هـــذا الاقتراح الوضيع .. ان (كوللر ، وجان بدرون . مورهيد . مصطفى كامل . والأمير مصطفى الشهابى) هؤلاء جميعا يعترفون بالطابع الدينى للصراع بين العثمانيين والاوربيين .. وتحت أقدام الروح الغربية المتعصبة ســـقط العالم الاسلامى بلا حول ولا طول ، واخذ العرب نصيبهم من هذا السقوط . وبدأت جماهير أمتنا الضائعة تبحث عن اجابة شافية لهذه المواجهة الحضارية . وبدأ الغزو الفـــكرى يعمل عمله فى تزييف الدواء على المريض حتى لا يقـــوم من فراشه .. فأما العلماء النطاسيون فقد قالوا (بالجامعة الاسلامية) ورفعوا شعار (يا مسلمى العـــالم اتحدوا) ، وانطلق الســـلطان عبد الحميد يضع (الاسلامية العالمية) فى معترك السياسة كمسألة حياة أو موت ، وحقا فاننا نختلف مع المؤلف فى بعض ملامح الصورة التى رسمها للسلطان عبد الحميد ، ونؤمن بأنه مهما تكن ضراوة الظروف المحيطة به . فان الاصلاح الداخلى كان على نفس المستوى من الأهمية مع الاصلاح الخارجى (لاسيما ما يتعلق بقضيتى « الاستعداد والمخابرات » .. فالغاية فى رأينا لا تبرر الوسيلة) .

أقول مع هذا الخلاف ـــ فان عداء السلطان للغرب المتعصب كان واضحا « وهو المقياس السليم للثورية الممتازة » وقد تجلى هذا فى رفضه توقيع اتفاقية تسليم بترول العراق للانجليز ، وفى رفضه المساومة اليهودية بشأن فلسطين .. وهذا يوضح لنا مدى الانحراف الذى وقع فيه القـــوميون اللا دينيون فى نعتهم للسلطان « بالرجعية والشيطانية .. الخ » » وأيا كان الأمر فقد كانت الجامعة الاسلامية » احدى الاجابات الهامة عن السؤال الحضارى الســـالف الذكر .. لكن جماعة (الاحرار الترك) بزعامة مدحت باشا رأت أن تجيب عليه اجابة أخرى .. رأت أن (الدستور) أى الخضوع لأوربا فى دعاواها هو الحل لمواجهة التحدى الحضارى الأوربى .. وبدأ الغزو الغربى المباشر للبـــلاد الاسلامية ، وركع العملاق العثمانى عند أقدام الاستعمار الغربى ، وأفاق من لم يفق على وحشية ودناءة وخسة هذا الاستعمار ..

وفى هذا الدور العثمانى بدأ الصـــدام بين العرب والترك .. غير أن القضية التى لعبت دورا هاما فى تعميق هذا الصدام بين العرب والدستوريين الأتراك هى قضية احتلال ايطاليا لليبيا ، والموقف الشائن الذى وقفه الأحرار الترك منها على يد (حقى باشا) زوج الايطالية والجاسوس الايطالى الذى عين صدرا أعظم فى تركيا ، وقام بدور خطير فى تسليم ليبيا للايطاليين أصـــهاره لقمة سائغة ..

وقد ساعد على الفصل النهائى بين العرب والترك (استفزازات أخرى) جاءت فى الفصل الرابع من الكتاب .. فان الاحرار الأتراك لم يقفوا عند حد

المأساة الليبية « بل اخترعوا على يد القوميين الروس حكاية (الطورانية) كما فعل « المحفل التركى » على بعث حضارة ولغة وأدب الأتراك .. الخ » .. وتبع ذلك شن حملة مسعورة ضد العرب الى حد دعوة العرب المسيحيين للتخلى عن عروبتهم ، لأن لهم من شرف المحتد ما يغنيهم عن العروبة !! ونهض المخطط الاستعمارى ففصل بين العروبة والاسلام باختراع القومية العلمانية . وحصر الحركة العربية فى آسيا .. وكان رائد هذه الحركة المشبوهة هو (نجيب عازورى) مؤلف جمعية « عصبة الوطن العربى » وصاحب كتاب (يقظة الأمة العربية) .. ويعتبر عازورى هذا الأب الروحى . والبداية التعسة للقومية العربية اللا دينية ، كما يعتبر مؤتمر باريس سنة ١٩١٣ أساس هذه الحركة .. وفى حفل ختام هذا المؤتمر القى رئيسه (الزهراوى) خطبة قال فيها : (ان الذين لا سياسة لهم سيعلمون أن أوربا ليست هى الغول) وبعد سبع سنوات فقط من كلامه كان (الغول) الأوربى قد التهم كل شىء ..

لكن كيف تم ذلك ؟ .. هذا ما يجيب عليه الفصل الأخير من هذه الدراسة الممتعة .. أو بالأحرى .. هذا ما يجيب عليه السيدان الكريمان (مكماهون) ، (لورنس) .. كان (مكماهون) المفوض الرسمى للامبراطورية الانجليزية بشأن المساومات الشهيرة (حسين — مكماهون) وقد وضع — مكماهون المذكور الاساس النظرى للقومية العربية ، أما (لورانس) فكان عليه تحويل الأساس النظرى الى واقع عملى ، وكما نجح الأول فى مساوماته .. نجح الثانى فى (حرب الصحراء) وتم طرد تركيا الاسلامية ، والدخول فى ميدان التبعية الاستعمارية .. أو ميدان القومية العربية « كما يزعم القوميون اللادينيون » .. نعم القومية العربية التى تنفى من حسابها مصر والجزائر .. وكل افريقيا العربية المسلمة .. وتقتصر فقط على البلاد العربية فى آسيا .. ثم .. ثم يقال لنا انها (ثورة العرب القومية الكبرى) .. على أى حال ليغرق القوميون فى أوهامهم .. أما الحق .. فحركة لورنس ليست أكثر من انشقاق اسلامى ، ولورنس يعترف بهذا ..

اننى اذ أقدم عرضى السريع للدراسة الطيبة التى قدمها مشكورا الاستاذ (جلال كشك) لفترة حرجة من فترات كفاحنا الحضارى .. اذ أفعل هذا أحس احساسا كبيرا بمدى الظلم الذى أصاب هذه الدراسة من هذا التعريف المتواضع ، وعذرى الى القارىء والى الاستاذ (جلال) ان دراسته الرائدة أكبر من أن يحتويها عرض على صفحات مجلة دورية .. انها بحق دراسة رائدة لا ينتقص من ريادتها هذه الهفوات الطبيعية ، والأخرى اللغوية التى ربما كان مصدرها المطبعة أيضا .. انها هنوات هينات تشبه الشذوذ الذى يثبت القاعدة .. قاعدة أصالة الاستاذ (جلال) كمفكر اسلامى ممتاز ، وأصالة بحثه كبحث رائد فى مجال الدراسات التاريخية الخالصة من شوائب الغزو الفكرى ..

والى .. المزيد يا أستاذ (جلال) .







للأستاذ : علي أحمد باكثير

(موكب الخليفة هارون الرشيد يسير)

صوت : (يرتفـع من خـلال الموكب) يا أمير المؤمنين .. يا أمير المؤمنين عنـدى وديعة لك .

الرشيد : افسحوا الطريق لهذا الرجل .

أصوات : افسحوا الطـريق . افسحوا الطريق .

الصوت : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

الرشيد : وعليك السلام . ماذا وراءك ؟

الصوت : عنـدى وديعـة لك يـا أمير المؤمنين .

الرشيد : وديعة ؟

الصوت : أجل .. هذا الخاتم يا أمير المؤمنين كلفت أن أسلمه اليك .

الرشيد : (فى صوت متهدج) ويلك من اين جئت بهذا الخاتم ؟

الصوت : من صاحبه يا أمير المؤمنين .

الرشيد : تعرف صاحبه ؟

الصوت : نعم يـا أمير المؤمنين .. هو الذى كلفنى بايصاله اليك .

الرشيد : (لرجاله) اركبوا هـذا الرجل معكم . وليمثل أمامى فى القصر .

اصوات : سمعا يا أمير المؤمنين .

(الموكب يستأنف سيره)

......

« فى قصر الخليفة

الرشيد : هلم أدن منى يا رجل .

الرجل : لبيك يا أمير المؤمنين .

الرشيد : ما اسمك ومن أين قدمت ؟

الرجل : أنا عبد الله بن الفرج قدمت من البصرة يا أمير المؤمنين .

الرشيد : تقول انك تعرف صاحب الخاتم ؟

عبد الله : نعم .. هو احمد السبتى .

الرشيد : أحمد السبتى ؟

عبد الله : نعم .. هكذا يدعونه هناك .

الرشيد : أين ؟

عبد الله : بالبصرة .

الرشيد : هو الآن بالبصرة ؟

عبد الله كان يا أمير المؤمنين بالبصرة .

الرشيد : وأين هو الآن ؟

عبد الله : أطـال الله بقـاءك يـا أمير المؤمنين . قد توفى الى رحمة الله .

الرشيد : توفى ؟

عبد الله : نعم أعظم الله أجرك فيه يا أمير

المؤمنين وأحسن عزاءك .

الرشيد : لكن صف لى نعته أولا يا ابن الفرج .

عبد الله : شاب يا أمير المؤمنين فى حدود العشرين .. مديد القامة عريض المنكبين . اقنى الأنف . اشهل العينين .

الرشيد : ويلك ما بالك تحد النظر الى ؟

عبد الله : معذرة يا أمير المؤمنين . لقد راعنى شبهه الكبير بك ولولا انه خفيف اللحم لقلت انه صورة منك .

الرشيد : حسبك يا هـذا .. انه هو . لا حول ولا قوة الا بالله . انا لله وانا اليه راجعون . واها عليك يا احمد . واها عليك الى الأبد .

عبد الله : هو ابنك يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد : نعـم .. هـو أول مولود لى واكرمه على . ألم يخبرك هو بذلك يا عبد الله؟

عبد الله : لا يـا أمير المـؤمنين .. لم يخبرنى هو بذلك وانما أخبرتنى الحاجة خديجة الحموية الذى كان مقيما عندها .

الرشيد : ومن تكون هذه الحاجة ؟

عبد الله : امرأة تقية صالحة قد انقطعت فى منزلها للعبـادة والنسك وقد علمت أنه نشأ عندها منذ الصغر .

الرشيد : انك لتعلم عنه الكثير .. حدثنى كل ما تعرف عنه ... حدثنى كيف عرفته ؟

عبد الله : هـل لك أن تعفينى يـا أمير المؤمنين .؟

الرشيد : فيم ويلك ؟

عبد الله : أستحى يا أمير المؤمنين أن اقص عليك ذلك .

الرشيد : بل أرو لى قصته يا عبد الله . فان ذلك يهمنى .

عبد الله : هل تصدق يا أمير المؤمنين انه كان بنـاء جصاصـا يعمل فى منـازل الناس بالأجرة .؟

الرشيد : (فى أسى) ويحـه حـدث يا عبد الله . كيف عرفته ؟

عبد الله : احتجت يوما يا أمير المؤمنين الى رجل يرم لى شيئـا فى الدار فخرجت الى ساحة البنائين والجصاصين فوجدت شـابا مصفر الوجه يحمل أدواته فى زنبيل كبير .

* * * * * *

عبد الله : أنت جصاص ؟

احمد : نعم .

عبد الله : بكم تعمل عندى اليوم ؟

احمد : بثلاثة دراهم .

عبد الله : هذا كثير . خذ لك درهمين .

احمد : التمس غيرى أحسن الله اليك .

عبد الله : انى أراك ضعيف الجسم .

احمد : سترى عملى فيعجبك ان شاء الله .

عبد الله : هلم معى .

احمد : على شريطة .

عبد الله : ما هى ؟.

احمد : اذا كان وقت الظهر وأذن المؤذن خرجت وصليت فى المسجد جماعة ثم رجعت وكذلك افعل فى العصر .

عبد الله : لكن .

احمد : لا تخف .. لن يشغلنى حق الله عن حقك .

عبد الله : قد قبلت شرطك فهلم معى ..

عبد الله : وانقضى النهار يا أمير المؤمنين فوجدته قد عمل ما يعدل عمل رجلين فأردت أن أزيده فى الأجـر فأبى ألا أن يأخذ مـا اشترط فوالله يا أمير المـؤمنين لقـد عجبت من أمره .

الرشيد : ثم ماذا يا عبد الله .؟

عبد الله : فصرت التمسه يا أمير المؤمنين كلما عنت لى حاجة . ودللت أصحابى عليه ليعمل عندهم فيحمدونه الى ويثنون على عمله .. الى أن جاءنى ذات يوم ليعمل عندى وكان ذلك فى شهر رمضان فانكرت ضعفه وشحوب وجهه .

* * * * * *

عبد الله : أراك اليوم تعبـا يا أحمد فانصرف الساعة يا بنى .

احمد : كلا ياسيدى .. ليس بى شىء وانما هذا من أثر الصيام .

عبد الله : بل تنصرف يا بنى .

احمد : اذا كنت لا ترغب فى عمـلى



نسأعمل عند غيرك . فانى بحاجة الى الأجر.

عبد الله : كلا لا تعمل اليوم البتة وسأعطيك أجرك كاملا .

أحمد : قد علمت يا سيدى أننى لا أقبل الصدقة .

••••••

عبد الله : فتركته يعمل يا أمير المؤمنين فلما كان الظهر تفقدته فوجدته جالسا يتفصد عرقا وترتعش أوصاله .

••••••

عبد الله : ألم أقل لك يا بنى ألا تعمل اليوم .؟

أحمد : هل لك يا سيدى أن تصنع معروفا ؟

عبد الله : نعم .

أحمد : احملنى الى منزلى بدرب الحسن البصرى عند الحاجة خديجة الحموية فانى اخشى أن أموت قبل أن أراها .

عبد الله : فحملته على دابة وسقتها بلغت به المنزل الذى يريد فتحامل على حتى دخلنا المنزل . فاستقبلتنا الحاجة خديجة الحموية فلما رأت ما به قادته الى فراشه فأضجعته عليه .

الحاجة : ألم أقل لك يا بنى ألا تعمل اليوم .

أحمد : لا بأس يا أماه .. لا احب أن ألقى الله وأنا عاطل .

عبد الله : خذى يا سيدتى . هذا أجر ما عمل عندى اليوم .

أحمد : كم ؟.

عبد الله : ثلاثة دراهم .

أحمد : كلا يا أماه لا تأخذى منه غير درهم ونصف . أجر نصف يوم جزاك الله خيرا يا عبد الله بن الفرج اذ أوصلتنى الى دارى فهل لك فى معروف آخر تصنعه لى ؟

عبد الله : حبا وكرامة يا بنى .

أحمد : جزاك الله خيرا .. هـذا رجل صالح أمين يا أماه وقد رأيت أن أعهد اليه بوصيتى اذا آذنت .

الحاجة : افعل يا بنى .

أحمد : أين الخاتم يا أماه ؟

الحاجة : ها هو ذا يا بنى .

أحمد : ادن منى يا عبد الله بن الفرج . اذا أنا مت فخذ هذا الخاتم معك الى بغـداد واجتهد أن تسلمه للخليفة هارون الرشيد .

عبد الله : هارون الرشيد ؟

أحمد : نعم . ايشق عليك ذلك ؟

عبد الله : لا ولكن كيفلى بالوصول اليه ؟

أحمد : انظر يوم يركب الخليفة فقف له فى موضع يراك فأره الخـاتم فانه سيدعو بك ويكرمك فاذا خلوت به فقل له يقرئك صاحب الخاتم السلام ويقول لك ...

الرشيد : ويقول لك ماذا ؟

عبد الله : اعفنى يا أمير المؤمنين .

الرشيد : بل تقول ..

عبد الله : ويقول لك . ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فانك اذا مت على سكرتك هذه ندمت وطال ندمك يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

* * * * * *

زبيدة : يحزننى يا أمير المؤمنين أن تحزن كل هذا الحزن لموت ولدك .

الرشيد : دعينى يا زبيدة .. فوالله لو بكيته طول الابد ما قضيت حق الحزن عليه . لقد كان يعمل جصاصـا بالدرهم والدرهمين وعبيدى فى القصر يأكلون اللحم والحلوى .

زبيدة : هو الذى اختار لنفسه تلك العيشة فما ذنبك أنت ؟

الرشيد : وددت لو استمعت لنصحه يوم قدم علينا فى القصر .

زبيدة : أراد منـك أن تسير سيرة عمر ابن عبد العزيز فهل كان ذلك فى امكانك .؟

الرشيد : كان على أن اسـايره وأتلطف معه ولكنى أغريت به رجال القصر فامتنعوا عن الحديث معه ومنعوا الناس من الاتصال به حتى ضاق بذلك ذرعا فهرب من القصر واختفى .

زبيدة : ما صنعت غير ما اقتضته مصلحتك ومصلحة الدولة أفكنت تاركه يقيم النكير عليك فى العلانية ويثير الناس عليك ؟

الرشيد : بل كنت أنت تحرضيننى عليـه خشية أن أجعل له ولاية العهد مكان ابنك .

زبيدة : يـا أمير المؤمنين هل كنت ترى ناسكا متشـددا مثله يصلح لولاية العهد ؟ اذن لجعـل أول همه القضـاء على ملك آل العباس واذن لثار به بنو أبيك فقتلوه .

الرشيد : انى راحل غـدا الى البصرة لأزور القبر الذى ضم رفاته وأترحم عليه .

زبيدة : افعل يا أمير المؤمنين لعـل ذلك يخفف عنك ما بك .

الرشيد : ولأزور أمه كذلك !

زبيدة : أمه ؟ ألم يخبرنا هو أنها قد ماتت ؟

الرشيد : اطمئنى يا زبيدة فان الأم التى أنجبته والتى كنت تغارين منها قد ماتت وانما أعنى تلك المرأة العجوز الصالحة التى ربته وتبنته .

* * * * * *

زبيدة : بل تريد أن تلقاها نتعرف منها قصة أم أحمد حبيبة قلبك .

الرشيد : الله منكن ! تغار احداكن من الضرة حتى بعد أن يواريها التراب !

زبيدة : هذه ليست كالضرائر الأخر ياهارون .. انك لم تسل حبها ولا الحنين اليها قط .

الرشيد : (يتنهد نهدة خافتة) آه .

* * * * * *

الرشيد : أين قبره يا عبد الله بن الفرج ؟

عبد الله : من هنا يا أمير المؤمنين .. فى مقابر عبد الله بن مالك .

الرشيد : صه . لا تدعنىهكذا .. لا أريد أحدا أن يعرف من أنا .

عبد الله : معذرة يا ..

الرشيد : هارون .

عبد الله : معذرة يا هارون فقد سهوت .

الرشيد : لا عليك . دلنى الآن على قبره .

أنظر ! ان يصدقنى قلبى فذاك قبره .

عبد الله : أجل هــذا قبره وهــذا قبر والدته وهــذا الشاهد الذى عليه مكتوبــا فيه اسمه .

الرشيد : (يتلو بصوت يخنقــه البكاء) هذا قبر الفقير الى رحمة الله . أحمد السبتى توفى يوم الاربعــاء الســـابع عشر من شهر رمضان ..

* * * * * *

عبد الله : لقد بكيت كثيرا على القبر .

الرشيد : هذا خير لى يا ابن الفرج . لا أريد أن يغلبنى الجزع فى حضرة الحــاجة خديجة الحموية .. أين منزلها .. ألم يزل بعيدا .؟

عبد الله : لا .. قد اقتربنا منه .. هذا درب الحسن البصرى .

الرشيد : ويح أحمد ابنى .. كان يدرج فى هذا الحى !

الحاجة : مرحبــا بك ادخــل يا عبد الله ابن الفرج .

حمدا لله على الســلامة . هل بلغت وصية ابنى ؟

عبد الله : نعم .

الحاجة : جزاك الله خيرا .

عبد الله : جئتك يا سيدتى بضيف معى .

الحاجة : مرحبا بك وبضيفك . مرحبــا بك يا أمير المؤمنين . هل قدمت لزيارة قبر ابنك ؟

الرشيد : نعم يا سيدتى وقــد زرته مع عبد الله بن الفرج .

الحاجة : وزرت القبر الذى بجانبه .

الرشيد : نعم زرت قبر أمينة رحمها الله.

الحاجة : رحمة الله عليهما . لقد كانــا خير أم وخير ولد . لقد زهــدا فى الدنيــا وابتغيـــا الدار الآخرة والدار الاخرة خير وأبقى .

الرشيد : الآن علمت يا سيدتى من أين اقتبس أحمد زهده وتقواه .

الحاجة : من والدته أمينة يا أمير المؤمنين .. فقد كانت ناسكة زاهدة .

الرشيد : هل لك يا سيدتى الحاجة أن تحدثينى كيف عرفت أمينــة وكيف اتصــلت أسبابها بأسبابك .

الحاجة : حبا وكرامة يا أمير المؤمنين فان حديث أمينة لحبيب الى نفسى وان سيرتها لمن أجمل سير المؤمنات الصالحات . كان ذلــك يا أمير المؤمنين منذ خمس وعشرين سنة . طرق بابى ذات ليلة ففتحته فاذا فتاة رائعة الجمال وعلى وجهها آثار الحزن .

أمينة : أأنت الحاجة خديجة الحموية ؟

الحاجة : نعم . أدخلى يا بنيتى . أدخلى.

(يسمع غلق الباب)

الحاجة : من تكونين وماذا تريدين ؟

أمينة : أنا يا سيدتى امرأة هــاربة من الدنيــا وفى بطنى جنين يريد أن يخرج الى الدنيا فهل لك أن تؤوينى عندك أقوم بخدمتك وأتأسى بصلاحك حتى أضع مولودى ؟

الحاجة : وأين أهلك يا بنيتى ؟

أمينة : لم يعد لى أهل . كنت أعيش مع جدة لى فماتت .

الحاجة : هنا بالبصرة ؟

أمينة : لا يا سيدتى فى ضــــاحية من ضواحى بغداد .

الحاجة : اذن فأنت غريبة ؟

أمينة : نعم .

الحاجة : ما اسمك يا بنيتى .

أمينة : اسمى أمينة .

الحاجة : أنت يــا أمينــة على الرحب والسعة .

أمينة : جزاك الله خيرا يــا سيدتى . سترين منى ان شاء الله ما يسرك .

الحاجة : وهكــذا يا أمير المؤمنين نزلت عندى ولم ألبث أن أحببتها لتقواها وصلاحها واتخذتها بمنزلة ابنتى . ثم وضعت غلامهــا فسميناه أحمد ولما أيفع عهدنــا الى أحد البنائين ليعلمه صناعة البناء وما كنت اعلم أنه ابن هارون الرشيد أمير المؤمنين .

الرشيد : كأنها لم تخبرك بقصتها كاملة ؟

الحاجة : لا يا أمير المؤمنين لم تخبرنى فى أول الامر ولم أشأ أن أسألها لئلا احرجها فقد ظننت ـــ أستغفر الله ـــ أنها ألمت بذنب

فأرادت أن تتوب فقلت لنفسى : هذا أفضل عمل عند الله ويقينا على ذلك الى أن كان مرضها الذى ماتت فيه فدعتنى أنا وأحمد فجلسنا حول فراشها .

أمينة : لقد آن لى اليوم يا سيدتى ان أفضى اليك باسم والد أحمد وأنت يا أحمد يجب أن تعرف اليوم من أبوك قبل أن أموت .

الحاجة : استريحى يا أمينة . لا تجهدى نفسك .

أمينة : لن تسمعى يا سيدتى الا خيرا .

أحمد : لقد أخبرتنى يا أماه أن اسم أبى هارون وانه تاجر من بغداد وانه ذهب فى رحلة فلم يعد .

أمينة : أجل يا بنى .. ان اسمه هارون .. وقد زعم لى حين تزوجنى أنه تاجر من بغداد ثم تبين لى بعد ذلك انه ابن المهدى وانه ولى الخلافة فتلك هى الرحلة التى لم يعد منها الى ...

الحاجة : تعنين أنه هارون الرشيد أمير المؤمنين ؟

أمينة : نعم .. وهذا خاتمه الذى تركه عندى فاحفظيه عندك يا سيدتى حتى يبلغ أحمد مبلغ الرجال فاذا شاء أن يزور والده فليحمل اليه هذا الخاتم فانه سيعرفه .

الحاجة : وتوفيت أمينة يا أمير المؤمنين وطفق أحمد يلح على أن آذن له ليرحل اليك فكنت أستأنيه حتى يبلغ مبلغ الرجال الى ان جاءنى ذات يوم .

أحمد : دعينى يا أماه أرحل الى أبى فانى اليوم رجل .

الحاجة : أخشى يا بنى الا تعود الى .

أحمد : بل أعرف ماذا تخشين يا أماه . انك تخشين أن يفتنى ما عند أبى من الملك والدنيا فأنسى الله والدار الآخرة .

الحاجة : أجل يا بنى انى أخشى عليك ذلك ؟

أحمد : اطمئنى يا أماه فان ذلك لن يكون . انما أريد أن أذهب الى أبى لأعظه وأنصحه لعل الله ينفعه بموعظتى فيكون كالخليفة العادل الزاهد عمر بن عبد العزيز .

الحاجة : فلم يسعنى يا أمير المؤمنين الا أن آذن له فأعطيته الخاتم وزودته ببعض الزاد ورحل ثم كان منه عندك ما كان .

الرشيد : أجل يا سيدتى لقد أردت ان أجعل له ولاية العهد وأراد هو أن يحملنى على أن أسير سيرة عمر بن عبد العزيز . أردت له الدنيا وأراد لى الآخرة ولما لم يجد عندنا ما أحب غادر القصر دون أن يودعنى وأرسلت فى طلبه فلم يعثروا له على أثر حتى جاء عبد الله بن الفرج بخبره .

الحاجة : عاد الى حينئذ يا أمير المؤمنين وأخبرنى بكل ما حدث .

الرشيد : ترى ماذا قال لك ؟

الحاجة : قال لى والدموع فى عينيه :

أحمد : ان أبى يا أماه لم يسمع لوعظى وان رجال القصر كانوا جميعا البا واحدا على وليس فيهم من يرجو لله وقارا .

الحاجة : هون عليك يا بنى .. ان هذا الذى ابتغيته ليس بالامر الهين وقد أديت أنت ما عليك من النصيحة لأبيك .

أحمد : انى خائف عليه يا أماه من مشهد يوم عظيم الا أستطيع يا أماه أن اصنع لأبى شيئا ؟ الا أستطيع أن أنفعه بشىء ؟

الحاجة : نعم تتقى الله يا بنى وتعمل صالحا وتدعو له .

الرشيد : يا ويحه ! لقد ظننت أنه ذهب حاقدا على .

الحاجة : كلا يا أمير المؤمنين لقد كان يحبك حبا جما .. كان يعمل نهاره ليتصدق بأجر ذلك على الفقراء والمساكين فاذا كان الليل قام يتهجد ويتعبد ولا يكف لسانه عن الاستغفار لله حتى ضعف جسمه فأشفقت عليه من ذلك يا أمير المؤمنين .

الحاجة : ويحك يا بنى .. قد ضعف جسمك فانقطع عن العمل عند الناس فعندى بحمد الله ما يكفينى لنفقتى ونفقتك .

أحمد : ويحك يا أماه . ان الصدقة خير العمل وان أفضل المال ما يكسبه المرء من عمل يده فدعينى أتصدق بأفضل المال لعل الله يغفر لأبى أمير المؤمنين .

الحاجة : لقد سألتنى يا أمير المؤمنين فهل لى أن أسألك ؟

الرشيد : حبا وكرامة .

الحاجة : حدثنى كيف تزوجت أمينة أم أحمد ؟ وكيف تخليت عنها حتى لجأت الى هنا بالبصرة فقد علمت أنها كتمت هذا السر عنى ولم اشأ أنا ان أحرجها بالسؤال .

الرشيد : أجل سأحدثك يا سيدتى بما تحبين . كان ذلك فى حياة المهدى أبى رحمة الله عليه وكنت فتى فى السابعة عشرة وكنت مغرما بركوب الخيل .

فبينا أنا اتجول فى احدى ضواحى العاصمة اذ لمحتها أمام كوخها تحلب شاة لها فوقعت من نفسى واستسقيتها فسقتنى وأعجبنى حياؤها وحديثها وجعلت أتردد عليها كل عشية فلم أزدد الا حبا لها واعجابا بجميل خلقها فزعمت لها ولاهليها أنى تاجر أتنقل فى البلاد وتزوجتها سرا من أبى لأنه قد سمى لى زبيدة بنت عمى . وصرت أختلف اليها الى أن تزوجت زبيدة ومات المهدى ووليت الخلافة من بعده فشغلنى ذلك عنها زمنا حتى اشتقت الى لقائها فسريت اليها متنكرا لأكشف لها حقيقة حالى وأدعوها الى الاقامة فى القصر .

أمينة : ويحك يا حبيبى ماذا قطعك عنا طوال هذه المدة ؟

الرشيد : لن أنقطع عنك بعد اليوم يا أمينة . ستقيمين معى فى قصرى ببغداد .

أمينة : أوقد اشتريت لك قصرا ببغداد ؟

الرشيد : ما اشتريته يا أمينة بل ورثته عن أبى .

أمينة : لا حول ولا قوة الا بالله . أوقد توفى أبوك دون أن أعلم ؟

الرشيد : بل سمعت بوفاته يا أمينة .

أمينة : لا والله يا حبيبى . من أين لى ذلك وأنا لا أعرفه . ولا أعلم الا أن اسمه محمد بن عبد الله .

الرشيد : ما من أحد فى البلاد الا سمع بموته .

أمينة : ماذا تعنى يا هارون ؟

الرشيد : ألم تسمعى بوفاة المهدى أمير المؤمنين ؟

أمينة : بلى .

الرشيد : فهو أبى .

أمينة : أبوك ؟

الرشيد : نعم وأنا هارون الرشيد .

أمينة : (نشيجها باكية) ....

الرشيد : ما بالك تبكين يا حبيبتى ؟ ألا يسرك أن يكون زوجك أمير المؤمنين ؟

أمينة : لا .

الرشيد : فيم يا أمينة ؟

أمينة : قد فقدتك يا هارون فلم تعد لى .

الرشيد : ماذا تعنين ؟

أمينة : أنت زوج زبيدة بنت جعفر .

الرشيد : وزوج أمينة قبل زبيدة .

أمينة : هيهات . هى ابنة عمك ومن نسبك وحسبك .

الرشيد : لكنك حبيبتى الاولى .

أمينة : هيهات يا هارون أن تصفو لى





... اليوم .

الرشيد : لا حق لك يا أمينة أن تجحدى ... لك .

أمينة : فأين تريد أن تنزلنى ؟

الرشيد : فى القصر عندى .

أمينة : لتضار زبيدة بى ؟

الرشيد : لا شأن لك بزبيدة فأنا أعرف كيف أرضيها .

أمينة : هيه . أدركت الساعة بعض نيتك .

الرشيد : ماذا تعنين ؟

أمينة : أنشدك الله يا هارون بحق الحب الذى نعمنا حينا فى ظله الا ما أخبرتنى فصدقتنى . هل تستطيع أن تجعل لى فى قصرك نفس المنزلة التى لزبيدة ابنة عمك ؟

الرشيد : ... ؟

أمينة : ما بالك لا تجيب ؟ أجب ..

الرشيد : أما هذا فلا ولكنى سأنزلك ..

أمينة : اسمع يا هارون . انى تزوجتك دون أن أعلم أنك ابن المهدى أمير المؤمنين وانما كنت أظنك من سواد الناس ولو قد علمت أنك من بيت الخلافة ما تزوجتك فسرحنى الآن سراحا جميلا .

الرشيد : كلا لن أسرحك فانى احبك .

أمينة : فأبقنى حيث أنا وزرنى حين تشاء .

الرشيد : لا يا أمينة لم يعد ذلك فى امكانى اليوم .

أمينة : بل تخشى من زبيدة أن تعلم أن لك زوجة أخرى تختلف اليها .

الرشيد : ويلك قد أكثرت من ذكر زبيدة .

أمينة : أويغضبك أن أذكرها ؟

الرشيد : لا غرو فهى ابنة عمى .

أمينة : فاهنأ بها اذن وطلقنى !

الرشيد : كلا لن اطلقك وسأبعث من يحملك حملا الى القصر .

أمينة : أذكر يا هارون اننى حرة ولست بأمة .

الرشيد : أنا أمير المؤمنين !

أمينة : وأنا لا أبالى !

الحاجة : وأرسلت اليها يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد : كلا ياسيدتى . لقد ندمت على أنى أغضبتها فرجعت اليها بعد أيام لاسترضيها وأعاود اقناعها بقبول ما اقترحت فوجدت الكوخ خاليا وأرسلت فى البحث عنها فلم يقعوا لها على أثر .

الحاجة : وكنت تعلم انها حامل ؟

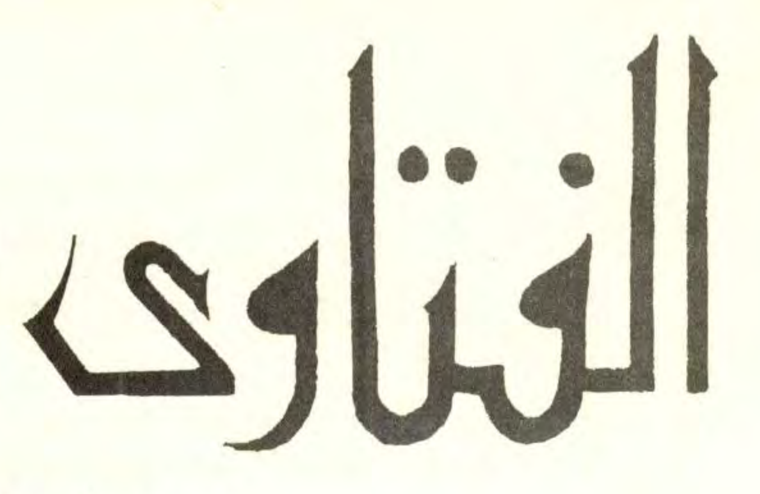
الرشيد : نعم وكان ذلك ضاعف قلقى عليها وظلت حسرة فى نفسى طوال هذه السنين .

الحاجة : يرحمها الله . كان حبها الشديد لك هو الذى دفعها الى ما فعلت .

الرشيد : آه لو كنت اعلم انها مقيمة عندك !

الحاجة : تلك مشيئة الله يا أمير المؤمنين ليقضى أمرا كان مفعولا .

(الختام)



سر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تلقى اسئلة القراء وتجيب عنها ..

مسكن الزوجية

السؤال :

لقد تم عقد زواجى بامراة ودفعت لها المهر ثم حدث نزاع بخصوص تعيين مكان السكن ـ ولم يتم الدخول عليها ، علما بأنى استأجرت سكنا خاصا بنا بعيدا عن أهلى بموافقتها ، ثم رفضت الدخول فيه وتريد سكنا مجاورا لأهلها ، فهل من حقها تعيين موقع السكن وهل من حقها طلب النفقة ، واذا فسخ العقد بمعرفة الزوج أو بطلبها فهل لها المهر ؟

فريد سعد

الاجابة :

المقرر شرعا ان على الزوج ان يسكن زوجته فى مكان تأمن فيه على نفسها ومالها بين جيران طيبين ، وليس لها حينئذ أن تعين مكانا خاصا . قال تعالى « اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » ، فتمسكها بسكن بجوار أهلها ليس من حقها ، فالرجال قوامون على النساء بما ينفقونه عليهن ، وعلى الزوجة طاعة زوجها فى حدود حقوقه الواجبة عليها .

والزوج اذا طلق زوجته فلا يخلو اما أن يكون قبل الدخول أو بعده ، فان كان قبله فلها نصف المهر ، وبالنسبة لنفقتها فيرى بعض الفقهاء أن النفقة تجب لها بمجرد العقد ويرى بعضهم عدم وجوبها الا بالدخول ، فاذا طلبت هى فسخ عقد النكاح بأن كان سبب الضرر الواقع صادرا منه فيجب لها النفقة ، أما اذا كان غير ذلك فتعتبر ناشزا أى ممتنعة عن طاعته بدون سبب ، وفى هذه الحالة لا تجب لها نفقة واذا كان قد دخل بها ، فلها كل المهر مقدمه ومؤخره .

ونحن ننصح الزوجين بأن يبدءا حياتهما بداية طيبة ، ولا يختلفا فى مثل هذا الامر ، فان الحياة الزوجية تتطلب منهما حسن التعاون والتفاهم .

البيع بالاجل

السؤال :

تاجر يبيع بضاعة بثمن مؤجل بأكثر من سعرها نقدا ، ثم يأخذ على المشترى صكا بثمنها بالعملة المتداولة ، فهل يعتبر هذا الصك عملة يصح بيعه أم له صفة الدين ولا يصح بيعه الا الى المدين ؟ وهل للدائن تكليف زيد من الناس

(مؤسسة أو مصرف او اى شخص) لقبض هذا الدين من المدين على أن يجعل له جعلا على هذا التكليف وعلى أن يسلفه قيمة هذا الصك بعد خصم الجعل منه على أن يرجع على الدائن فى حالة امتناع المدين عن الدفع .

عبد اللهمصطفى العربى

الاجابة :

المقرر شرعا أنه يصح البيع بثمن حال ومؤجل الى أجل معلوم — فلو باع رجل لآخر بضائع معلومة بثمن معلوم أجله كله أو بعضه جاز — وقد اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من يهودى الى أجل — كما أن البيع بثمن مؤجل بأكثر من ثمن حال لا مانع منه شرعا ، لأن التأجيل فى أحد البدلين يظهر التفاوت حكما — فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم جهز جيشا ، فأمرنى أن أشترى بعيرا ببعيرين الى أجل ، وعن ابن عمر أنه باع بعيرا بأربعة الى أجل ، وعن على رضى الله عنه انه باع بعيرا يقال له عصفور بعشرين بعيرا الى أجل — فالبيع بثمن معلوم مؤجل جائز ولو بزيادة فى الثمن ما داما قد تراضيا والزيادة تلحق بأصل الثمن .

ويجوز للدائن أن يوكل عنه غيره مؤسسة أو مصرفا أو شخصا فى قبض دينه من المدين ، ويأخذ الوكيل اجرا نظير عمله ، اما أن صاحب الدين يأخذ سلفة منه بعد خصم جعله الذى اتفقا عليه ، فهذا الجعل لا يخلو اما أن يكون نظير قيامه لتحصيل فقط ، أو نظير قيامه بالعمل مع فائدة للمبلغ ، فان كان الاول فجائز ، وان كان الثانى فغير جائز لما فيه من ربا نظير السلفة — وهذا الصك ليس له صفة العملة بل هو دين للبائع على المشترى ، ولا يصح بيعه الا بمثل قيمته اذا كان البيع لغير المدين أما اذا كان للمدين فيصح بيعه بأقل ، ويعتبر تنازلا من الدائن عن بعض دينه .

ويتبين مما تقدم أن البيع بثمن معلوم مؤجل بأكثر من الثمن الحال جائز والصك ليس الا دينا ولا مانع من أن يوكل غيره لتحصيله ويأخذ الوكيل أجرا نظير عمله حسب اتفاقهما . لا على أنه فائدة للمبلغ الذى دفعه للدائن باسم سلفة .

السؤال :

امرأة مريضة صامت ثلاثة أيام من شهر رمضان الماضى وافطرت بأمر الطبيب المعالج ويهل رمضان هذه السنة ، فهل عليها فدية أم لا ؟

سالم مرزوق الحريرى
بلدية الكويت

الاجابة :

المرض من الاعذار التى تبيح للصائم الفطر ، فاذا مرض الصائم وخاف زيادة المرض أو بطء البرء جاز له الفطر ، ومن افطر من شهر رمضان أياما بعذر مبيح للافطار ، وجب عليه القضاء فى زمن يباح الصوم فيه تطوعا — ومن أخر القضاء حتى دخل رمضان الثانى وجب عليه الفدية زيادة عن القضاء وهى اطعام مسكين عن كل يوم من أيام القضاء .

■■■

بأقلام القراء

يعبرون فيـه عن أفـكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

سلامة العقيدة :

من مقال قصير للدكتور سـعد الدين الجيزاوى تحت هـذا العنوان كتب يقول :

لقد شاعت بين المسلمين اخيرا كلمات وعبارات مثل (قسمته) و (مكتوب عليـه) و (ماذا بيده) و (لو ربنا أراد) ، (لما ربنا يريـد) وهكذا وراحوا يرددونها فى كثير من المناسبات سواء منها ما تنطبق عليه وما لا تنطبق .

وهنا موضع الخلط وهنا موضع الخطورة ايضا ، وهنا المزلق الذى تنحدر منه شخصية المسلم اذا لم يقدر مسئوليته أمام ضميره .

ان الأفعال التى تصدر من الانسان نوعان : نوع منها لا دخل له فيه ولا اختيار ، ولا يستطيع تعديله ، وتنطبق عليه العبارات السابقة وما شابهها ، وذلك مثل : تحديد العمر ، وعدد الذرية ونوعهـا ، واين يموت الانسان ، وماذا سيصيبه من غنى أو فقر أو كوارث لم تكن فى حسبانه ، وان خوطب بشىء فى مثل هذه الأمور فانما هو من قبيل الأخذ بالأسباب .

والمقياس الذى تضبط به تلك الأفعال هو أنها ليس فى فعلها ثواب ولا فى تركها عقاب ، لأنها خارجة عن ارادة الانسان ، وينطبق عليها الحديث (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) والمراد والله أعلم ما كان مقدورا فى علم الله دون أن يكون للمرء دخل فيه ، لأن الله تعالى قد اختص بذلك لأمور هو أعلم بها لا ندركها نحن .

والنوع الآخر هو ما يصدر من الانسان بناء على تفكير واختيار ، وذلك كقيامه بالفرائض الدينية والتكليفات الاجتماعية وبعده عن المنهيات الشرعية وعن اذى الناس .

ومقياس ذلك : ان هذا النوع ينطبق على كل ما ورد فيه ثواب وعقاب .

فاذا ما قصر فى واجب ثم قال (قسمتى) فهو مخطىء واذا ما شرب الخمر أو ارتشى أو خان وطنه ثم قال (مكتوب على) فهو مخطىء كذلك . .

والا فما معنى التكليف واعتبار العقل الانسانى ؟ ثم ما فائدة الرسل وما قيمة تعاليمهم اذا تساوت الأفعال جميعها ؟؟ . .

من المؤسف جدا أن هذه الفكرة فكرة احالة كل نقص فى افعال الانسان على القضاء والقدر شائعة بين كثير من المتعلمين .

ولا شك أن المرء ما دام قد فقد قيمة المسئولية امام ضميره ، وظن أن كل ما يرتكب من آثام انما هو مسطر ومكتوب عليه — لا شك انه يصبح منحلا لا يتورع ، وتنعكس شخصيته من انسان كريم الى شيطان رجيم .

ولعل هناك لبسا على البعض فى فهم مدلول (مكتوب عليه) وتفسير هذه العبارة يحتاج الى التفريق بين علمنا نحن المخلوقات وبين علم الله تعالى .

فنحن نعلم الأشياء بعد حدوثها أو تصورها فى عقولنا ، ولم يتكشف لنا علم ما سيكون فى المستقبل .

اما علم الله تعالى فهو عام شامل ينكشف له ما سـيكون الى ما شـاء سبحانه وتعالى . فهو يعلم أن فلانا الطفل سيعيش كذا سنة ، وستكون لـه

من الذرية كذا ، وسيتزوج فلانة ، وقد تكون فلانة هذه لم تخلق وهكذا .
فهل نعلم شيئا عن هذا ؟ اللهم لا .
وهكذا . علم الله قبل أن يظهر فلان فى الوجود بأن فلانا هذا سيولد يوم كذا فى سنة كذا ، وأنه سيؤمر بكذا وينهى عن كذا ثم يعلم الله تعالى (هذا ما يهمنا هنا) أن فلانا هذا سيطيع أو يخالف ، وسيكون بناء على هذه الطاعة أو المعصية (التى اختارها بمحض اختياره الذى وهبه الله) شقيا أو سعيدا .
وبناء على هذا العلم السابق تكتب صحيفة الانسان ، فلا تغيير ولا تبديل جفت الأقلام وطويت الصحف .

تراث تحت الأنقاض :

يتحدث الأستاذ ابراهيم نعمة من الموصل فى هذا الموضوع فيقول :
من ينظر الى تراثنا الخالد يجد أنه تراث عظيم بكل ما تحمله الكلمة من معان .
فقد ألف علماء المسلمين الكتب الكثيرة فى الطب والهندسة والفيزياء والعمران .. الخ وهذه الكتب كانت تدرس فى مدارس المسلمين ، ويأتى الناس اليها من مشارق الأرض ومغاربها ، لينهلوا من منهلها ، ويأخذوا من هذه العلوم العظيمة يوم كانت أوربا تغط فى نومها وسباتها الطويل المدى ، لأن الدولة الاسلامية كانت قبلة أنظار العالم فى العلوم والفنون والآداب يوم كانوا مسلمين فاهمين واجبهم تجاه دينهم وأمتهم وتراثهم .
فالامام الغزالى وابن رشد وابن سينا وغيرهم اتحفوا العالم كله بتلك الروائع التى كانت أعجوبة الزمن ، والتى بها تقدم المجتمع تقدما ملحوظا ، وما زالت تلك المؤلفات تدرس فى بعض الدول الغربية ، ويقبل عليها جمع غفير من الطلاب ، ولكن المسلمين غافلون عن حقيقة هذه العلوم .
لقد أسسوا لنا حضارة عظيمة كبيرة رائعة ، ولكننا تركناها تحت الانقاض .. تحت الركام .. تركنا مصادرنا الاسلامية العظيمة من الكتب فى أماكن لا يسكنها أحد لتكون طعاما للجرذان !!! تركناها وأخذنا ننعتها بالجمود والجفاف والتأخر ، واقبلنا على الكتب الحديثة التى تدعو الى الانحلال والفساد ، والتى تلقننا دروسا عملية فى انكار الاله والابتعاد عن الاسلام ، وهذا ما يصبو اليه الاستعمار بشتى أنواعه وأشكاله ، فقد استمر يعمل ليل نهار لهذه الغاية التى بتحقيقها ينطمر هذا التراث الخالد وتذهب تلك العظمة والقوة ...
وفى مدينتنا — الموصل — وغيرها مكتبات كثيرة من هذا النوع الذى يحوى كل العلوم والفنون من طب وفلسفة ومنطق وهندسة وحكمة وكيمياء وجبر ومثلثات وجغرافيه وفيزياء وفقه وعقائد وجميع فنون اللغة العربية .. الخ ولكن الفأر أكل قسما منها وسيأكل الباقى فى المستقبل ..
أهكذا يكون تراثنا الذى رفع أمتنا ؟!!
أمن العدل أن يكون جزاؤه هذا الاعراض والهجران والجفاء ؟!!
أهكذا أصبحنا لا نعرف للخير منزلته ولا نقدر أهميته ؟!!
أهكذا صرنا نعادى ونحارب تراثنا ونعتز ونفتخر بتراث غيرنا ؟!
قاتل الله الاستعمار والصليبية والصهيونية والعلمانية ، لقد أنسونا حضارتنا وأنسونا تاريخنا . بل وأنسونا لغتنا ، ولكن المسلمين فى غفلة عن هذا ...



باشراف : الشيخ رضوان البيلى

هذه مجموعة من الرسائل التى تلقتها ادارة الشئون الاسلامية بالوزارة من الشباب المسلم فى مختلف أرجاء العالم ، وهى فيض عاطفة اسلامية متدفقة ، ونبضات قلوب شابة عامرة بالايمان .

وقد تضمنت هذه الرسائل تطلعات الى طلب المزيد من الجهد العقلى والبذل المادى ، وتعاون القوى الاسلامية الخيرة لنهضة روحية شاملة تنقذ الانسانية مما ارتكست فيه من حمأة الالحاد والشرود عن دين الله ، وتردهم الى الصراط المستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض .

وفيما يلى بعض هذه الرسائل :

ان الغربيين يعيشون فى فراغ روحى وفكرى هائل ، وهم رغم تقدمهم المادى والعلمى لا يزالون يشعرون بالخواء الروحى والاضطراب النفسى وعدم الاستقرار ، وفى كل وقت تظهر بدعة جديدة وتقليعة مبتكرة ، سببها احساس الناس هناك بعدم وضوح الهدف من الحياة ، وعدم الفهم لحقيقة الدين ورسالته ، وعدم الربط بين الانسان والكون والحياة .

الا يمكن للدعاة الاسلاميين والحكومات الاسلامية أن يقدموا الزاد الفكرى والروحى الذى يحل مشكلات القوم . **(سعيد خالد — نيويورك — أمريكا)**

الوعى :

العمل فى الحقل الاسلامى ليس وقفا على فرد دون فرد ، ولا على هيئة دون هيئة ، بل هو واجب دينى على كل قادر عليه ، والقادرون كثيرون والحمد لله ، ومنهم من يجيد الكتابة باللغات الاجنبية المختلفة فى هذه الموضوعات المهمة ، ونحن نضم صوتنا الى صوت صاحب الرسالة ، ونناشد علماء المسلمين فى كافة الاقطار أن يقدموا الزاد الفكرى والروحى الذى يتعطش اليه الغرب .

لماذا لا نقرأ فى مجلة (الوعى الاسلامى) مقالات لكبار قادة الفكر الاسلامى فى العالم ، وهم كثير والحمد لله ، والاتصال بهم ميسور . ان لهؤلاء الكتاب الكبار مكانة فى نفوس الخاصة والعامة لا ينكرها أحد ، فهل هم يرفضون التعاون مع المجلة أم المجلة ترفض استكتابهم ولماذا ؟

(عبد الله محمد مصطفى — الكويت — ص. ب ٢٠١٤٥)

الوعى :

فتحت المجلة صدرها لكل كاتب وبعثت بأكثر من رسالة الى قادة الفكر فى العالم الاسلامى ترحب فيها بنشر بحوثهم التى تتفق مع هدف المجلة ، وهو البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية ، مراعاة للنهج الطيب الذي تنهجه الدولة التى تصدر فيها المجلة ، وقد طالع القراء على صفحات المجلة كثيرا من البحوث والمقالات التى وصلتنا منهم ، وسنوالى الاتصال والنشر باذن الله

لماذا لا تقوم مجلة (الوعى الاسلامى) باستطلاعات مصوره عن العالم الاسلامى على غرار ما تفعله مجلة (العربى) ؟

ان المادة متوفرة والحمد لله ، والكفاءات الاسلامية كثيرة فلماذا التردد ؟

المفروض ان يكون المسلمون فى المقدمة ، ولهم مكان القيــادة والريادة ولا يكونوا فى المؤخرة . **(صالح أحمد حسن ـ ليدز ـ انكلترا)**

الوعى :

هذه الفكرة لم تغب عن **المجلة** ، وهى موضع الدراســة ، وان الله مع الصابرين .

لماذا لا يعمل صــندوق للجهاد الاســلامى تجمع فيه التبرعات والزكاة والخيرات والصدقات ، وتنفق على المجاهدين المسلمين فى فلسطين وارتيريا وتشاد وكشمير وقبرص ، كما يفعل مجلس اتحاد الكنائس العالمى والفاتيكان ؟

ولماذا لا يهب المسلمون الى نداء الواجب باغاثة الجرحى وضحايا الفقر والجوع لاخوانهم المسلمين من مسلمى ارتيريا والحبشة واندونيسيا وفلسطين . لقد أقام الغرب الدنيا وأقعدها لضحايا بيافرا ونحن لم نحرك ساكنا ؟!

(حسن مدحت ـ لوس أنجلوس ـ أمريكا)

الوعى :

لماذا الف مرة . لماذا لا تؤلف هيئة اسلامية عالمية ، تضم بعض أغنيــاء المسلمين الغيورين تقوم بهذا الواجب المقدس ، وتنشىء لها فروعا فى مختلف بقاع العالم لجمع هــذه التبرعات والزكوات ، وانفــاق حصيلتها فى هــذه المصارف ، ونحن مرة أخرى مع صاحب الرسالة نردد لماذا ؟

جامع الجمعة والمنارة الملوية بسامراء :

رسالة من الاستاذ السيد على الكنفانى من بغداد ، يعلق فيها على ما كتب عن المنارة الملوية بسامراء ، وهى صورة غلاف العدد (٤٢) من المجلة فيقول :

جاء فى العدد (٤٢) من مجلتكم الزاهرة بأن الجامع الكبير ومنارته التى تعرف بالملوية هما من بناء الخليفة العباس المستنصر بالله وتعقيبا على ذلك اقول :

تقع بقايا هذا الجامع فى الشمال الشرقى لمدينة سامراء ، وقد بناه الخليفة العباسى (المعتصم بالله) وعندما ضاق بالمصلين هدمه الخليفــة (المتوكل على الله) وأعاد بناءه ووسعه سنة ٢٣٤ هـ ـ ٨٤٩ م وبلغت تكاليفه كما جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى (١٥٫٠٠٠٫٠٠٠) درهما ، ويعد من أعظم المساجد الاسلامية ، وهو مستطيل الشكل طول ضلعيه (٢٤٠ × ١٦٠ م) يحيط به سور ارتفاعه عشرة أمتار به أبراج دائرية عددها (٤٠) برجا . أما المئذنة وتعرف بالملوية مستديرة على بعد (٢٥) مترا من الجدار الشمالى للجامع وارتفاعها ٥٢ مترا يصعد الى قمتها بمرقاة حلزونية تدور حولها من خارجها ..

ونحن نجيب بأن التعليق المنشور مع الصورة مأخوذ من كتاب (ديوان الماحى) لمؤلفه الاستاذ محمد مصطفى الماحى الذى زار العراق مؤخرا وكتب عن آثار سامراء ما نقلناه عنه (راجع الديوان ص ٦٩٦) .

□□□

صندوق لتمويل المعركة

تحدثت صحيفة الأهرام القاهرية عن المناقشات التى دارت بين علماء المسلمين فى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية المنعقد فى القاهرة فقالت : —

استهل مؤتمر علماء المسلمين المنعقد فى القاهرة أعماله بكلمة للدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر أعلن فيها فرض الجهاد المقدس على حكام المسلمين والشعوب الاسلامية لتحرير المسجد الأقصى ومدينة القدس وأرض العرب من الاستعمار والصهيونية حيث قد استباحت اسرائيل حرمات الله واصبح واجبا على كل مسلم ومسلمة أن يضحى بالنفس والمال فى سبيل الله ، واستطرد قائلا : إننى أدعو (٧٥٠) مليون مسلم الى صفوف الجهاد فى سبيل الله .

وطالب فضيلة الشيخ قاسم غالب وزير التربية اليمنى بفتح باب التطوع لعلماء المسلمين فى جيش التحرير ، كما طالب بإنشاء صندوق لتمويل المعركة ورعاية أبناء شهداء فلسطين تسهم فيه الشعوب والحكومات الاسلامية .

وتحدث مالك بن نبى رئيس وفد الجزائر عن الإسراف فى المجتمع العربى ، وضرورة توجيه أكبر قدر ممكن من الموارد لخدمة المعركة .

وندد السيد إدريس الكتانى رئيس وفد المغرب بالمسلمين الذين يعيشون على ثقافة الغرب تاركين الثقافة الاسلامية الأصيلة ، كما ندد بالخلافات القائمة بين المسلمين . وقال : إن الطريق الوحيد للخروج من هذا الخلاف هو جمع العرب فى وحدة فدرالية تحفظ لكل شعب طبيعته ومميزاته ، ومن هنا يكون المنطلق الى الوحدة الاسلامية .

واقترح الشيخ عبد الله الشيخلى أحد علماء السنة بالعراق تأليف وفد من المؤتمر لزيارة البلاد الاسلامية ، وبخاصة التى لا يزال بينها وبين إسرائيل تمثيل سياسى لشرح وجهة النظر الدينية وحكم الاسلام فى هذه العلاقات باعتبار قضية فلسطين قضية دينية قبل أن تكون سياسية .

وتحدث عن هذه الأهداف فضيلة الشيخ محمد تقى الحكيم عميد كلية النجف الأشرف بالعراق ، والحاج محمد اوجستو عن اوغندا ، والحاج عبد الغفار عبد الرحمن دابرى عن النيجر .

وتلى ذلك بحث مقدم من اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو وفد العراق تحدث فيه عن القتال فى الاسلام واهدافه ، ووجوب وحدة المسلمين ، وتكتيل جهودهم حتى يدفعوا كل خطر يحيط بهم وقال : إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بيعة الرضوان قالوا : كنا نبايع يومئذ على الموت ، وكانوا يتدافعون الى القتال فى سبيل الله حتى النصر أو الاستشهاد ، وأوضح أن إرادة القتال هى الرغبة الأكيدة فى الصمود والثبات فى ميدان القتال من أجل المثل العليا والأهداف السامية بإيمان كامل لا يتزعزع ، وتحمل أعباء الحرب مهما يطل الآن حتى يتحقق النصر بإذن الله .ثم طالب بانشاء صندوق ثابت لفلسطين

لدعم المنظمات الفدائية ومدها بالسلاح والعتاد كما طالب بالتعاون على تحصين القرى الأمامية وبخاصة الأردن .

واعقبه فضيلة الشيخ محمد ابو زهرة عضو مجمع البحوث الاسلامية فقال بحتمية الجهاد وخاصة عند دخول العدو أرضا إسلامية واحتلالها ، وناشد المسلمين أن يهبوا لإنقاذ الأرض المقدسة التى دنسها أعداء الانسانية .

وقال : إن الاسلام لم يكن أبدا دين استسلام ، وإن الأديان لا بد وان تكون لها شوكة ترد أذى المعتدين .

وتحدث فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود فقال : إن الله ربط الإيمان بالجهاد ، أما المنافقون الذين لا إيمان لهم فينتحلون المعاذير فرارا من الجهاد .

الانسان العربى

كتبت مجلة (التمدن الاسلامى) الدمشقية تحت هذا العنوان تقول :

كان الانسان العربى فى ظلال الاسلام إيجابيا يؤمن بالقدر كقوة للاندفاع والنضال والعمل ، فلا يخشى أحدا الا الله ، ويثور على التواكل ، وينكر الجبر ، ويعتقد أنه مسؤول وحر ، كما يعتقد أن الله سخر له ما فى السموات والأرض ، وحضه على الإفادة منها ، ووعده بخلافة الأرض إذا هو قام بدوره بحق .

أصغى هذا الإنسان الى النداء الإلهى ومثل دوره فى ميدان الجهاد والحضارة أعظم تمثيل ، فدخل التاريخ بدور بطولى وقيادى وتبوأ سدرة المجد والفخار والسؤدد .

وقد أحببت بمناسبة الكلام عن الانسان العربى المسلم ان انقل صورة رائعة من آلاف الصور التى تمثل قوة شخصيته وشجاعته واحتقاره للمظاهر الجوفاء .

أرسل سعد بن أبى وقاص قبل معركة القادسية (ربعى بن عامر) رسولا إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابى الحريرية وأظهروا اليواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة ، وكان على رستم تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، ليدهش الرسول وينقل أخبار عظيمة الى المسلمين ليهابوه . .

ودخل ربعى بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، واقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته فوق راسه .

فقالوا له : ضع سلاحك : فقال : إنى لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتمونى . فان تركتمونى هكذا وإلا رجعت !

فقال رستم ائذنوا له . فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها !!

فقال له رستم : ما جاء بكم ؟!

فقال ربعى : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

ثم خرج ربعى وقد ملأ قلب قائد الفرس وجنده هلعا ورعبا بقوته المعنوية التى غرسها فيه الاسلام !

راحت العصور تمر ، ونجم الانسان العربى يتألق ، وجيوشه تهزم الأعداء فى كل المعارك . وأساطيله تشق عباب البحر وتستولى على الممالك . ومدنيته تعم الخافقين .



أعدها الأستاذ : عبد المعطي بيومي

الكويت :

- عاد سمو أمير البلاد المعظم الى البلاد يوم ١٠/٢ بعد فترة قضاها سموه فى لبنان الشقيق ، وقد كانت هذه الفترة فرصة لتبادل الرأى بين سموه وفخامة الرئيس اللبنانى حول تدعيم التعاون العربى .
- فى جامعة الكويت عقد الاتحاد الوطنى لطلبة الكويت مؤتمره الثالث فى ٢ من رجب الماضى ، وقد افتتح المؤتمر فى حفل كبير حضره جمع غفير فى مقدمتهم سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الدفاع والداخلية وسعادة وزير الاوقاف والشئون الاجتماعية .
- تلقت الجهات المختصة مذكرة من الامانة العامة للجامعة العربية بشأن نشاط منظمة اليونسكو لتدعيم التعاون الثقافى بين الدول العربية والدول الافريقية جنوب الصحراء الكبرى .
- وجه وزير التربية كلمة بمناسبة بدء العام الدراسى بالكويت حث فيها أبناءه الطلبة على العمل المثابر والمخلص من أجل تحصيل العلم لبناء وطنهم الكويت والوطن العربى .
- بلغ عدد مراكز تعليم الكبار ومحو الامية بالكويت (٢٦) مركزا للرجال بها (١٧٢٠٠) دارسا وعدد مراكز تعليم النساء (٢٢) مركزا بها (٥١٠٠) دارسة .

القاهرة :

- عقد مؤتمر المسلمين دورته السنوية الرابعة ابتداء من ٢٨ سبتمبر الماضى ، وقد اتخذ المؤتمر الذى يمثل جميع المسلمين عدة توصيات وقرارات تتعلق بوضع القدس فى الاسلام ، ووجوب الجهاد على كل مسلم ومسلمة لانقاذ الارض الاسلامية ، وتقوية الروابط الاسلامية .
ومن بين هذه القرارات أيضا مناشدة الدول الاسلامية التى لها علاقة باسرائيل أن تقطع هذه العلاقة غيرة على المقدسات والاراضى الاسلامية .
- بحث السيد أحمد شيخو رئيس مجلس النواب الاندونيسي ورئيس المنظمة الافروآسيوية الاسلامية بجاكرتا مع المسئولين فى القاهرة وسائل التعاون الاسلامى وتدعيمه مع المنظمة .
- استقبل السيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الاوقاف رئيس وفد السعودية فى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الشيخ محمد سرور الصبان أمين عام رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، كما استقبله فضيلة شيخ الازهر ، وجرى الحديث بينهما عن الشئون الاسلامية .
- تعد وزارة الاوقاف مسابقة كبرى للقراء لاحياء ليالى شهر الصوم المبارك .
- عقد فى ٩/٢٣ الماضى اجتماع فى القاهرة بين وزير التربية الكويتى والمصرى ، وقد جرى الاتفاق بينهما على بعض المسائل المتعلقة بتدعيم العلاقات الثقافية والتعليمية بين البلدين .

السعودية :

- قامت رابطة العالم الاسلامى بالاشراف على ترجمة معانى القرآن الكريم الى الانجليزية ، وقد ارسلت منه نسخ الى المجلس الاسلامى فى غانا . وبعض دول اخرى ، كما انها تعد ترجمات للغات أخرى .
- أعدت الجامعة الاسلامية (٢٨٠) منحة دراسية لأبناء (٥٧) دولة اسلامية .
- تم اعداد ستة مراكز صحية فى طريق الحج بالاضافة الى المراكز الاخرى القديمة .
- عقد اجتماع تنظيمى يوم ٣/١٠ فى مقر رابطة العالم الاسلامى للتنسيق بين الرابطة والمنظمات الاسلامية .
- استقدمت ادارة كليات الرياض الاسلامية نحو (٢٥) من اساتذة الازهر للتدريس فى الكليات والمعاهد الدينية وقد تم انشاء دراسات عليا اسلامية هذا العام فى الكليات بالرياض وفى كلية الشريعة بمكة .

العـــراق :

- اصدر مجلس الثورة فى العراق دستورا جديدا يجرى العمل بمقتضاه

الاردن :

- قام جلالة الملك حسين بجولة سريعة الى السعودية والمتحدة وليبيا لتبادل الراى والمشورة حول الموقف العربى الراهن سافر بعدها الى لندن لاستكمال علاجه . .
- أعدت اللجنة التنفيذية للجبهة الاسلامية مهرجانا كبيرا ، دعت فيه قادة الراى والفكر الاسلامى لاحياء ذكرى الاسراء والمعراج فى عمان والدعوة الى دعم الاردن اقتصاديا وعسكريا .
- يواصل الفدائيون الفلسطينيون كفاحهم على مستوى عسكرى جديد ، وقد شملت عملياتهم كل المعسكرات والمستعمرات الاسرائيلية تقريبا ردا على اصرار اسرائيل على نسف بيوت العرب .

لبنـــان :

- سيقوم وفد اسلامى من لبنـــان بزيارة باكستبان واندو نيسيا وماليزيا فى نطاق العمل على تقوية الروابط الاسلامية بين دول العالم الاسلامى .

السودان :

- اجرى السيد على عبد الرحمن نائب رئيس الوزراء محادثات مع السفراء العرب فى السودان حول انشاء مركز لتدريب السودانيين الذين يرغبون فى الانضمام الى المنظمات الفدائية الفلسطينية .

ليبيـــا :

- صرح شيخ جامعة السنوسى الاسلامية ان الجامعـــة تضم الف طالب من بينهم (٤٠٠) ليبى والباقون من (٣٥) دولة اسلامية كما تضم الجامعة (٤٦) استاذا .

الصـــومال :

- انشئت فى مدينة مقديشو منظمة النهضة الاسلامية ، ودستور هذه المنظمة هو القرآن ، وهدفها تطبيق الاحكام الاسلامية ، ومحاربة الاوضاع الشاذة عنها ، وتقوية الروابط بين مسلمى العالم .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جـدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

قصر السلام

حيث ينزل الملوك والرؤســـاء الذين يزورون الكويت . .



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت



السنة الرابعة — العدد الخامس والأربعون — غرة رمضان ١٣٨٨ هـ — ٢١ نوفمبر « تشرين الثانى » ١٩٦٨ م

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



صورة الحرم الابراهيمى فى مدينة الخليل بفلسطين المحتلة وقد اعتدى اليهود عليه وهدموا الصور الشرقى منه وشرعوا فى بناء كنيس يهودى داخله بالقرب من باب المغارة بعد أن مهدوا لذلك بقوة الجيش المحتل ضد الأهالى الذين أعلنوا ثورتهم على هذا الاعتداء .. من لبيوت الله من عباد الله المسلمين ؟

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة

العدد الخامس والأربعون

غرة رمضان ١٣٨٨ هـ

٢١ نوفمبر « تشرين الثانى » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
مصر والسودان	٤٠ مليما
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

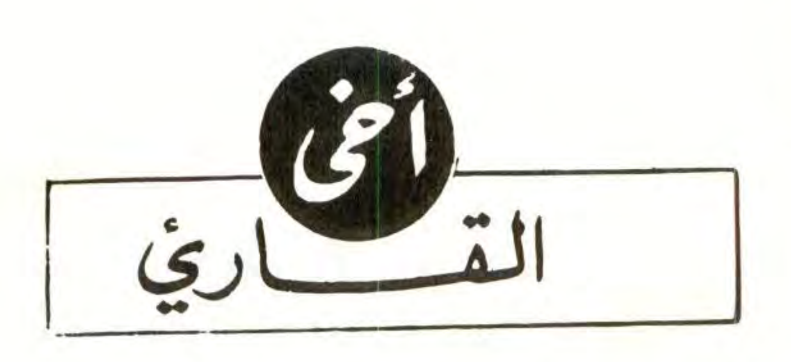
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت





جاء صاحبي الذى شاقه الحـــديث عن الحرية فى الإسلام ، وتفتحت له بهذا الحـــديث نافذة ، اطل منها على ما كان يجهله من تعـــاليم دينه ، ونظرته للحياة ، وتكريمه للانسان ، وكانه وجد نفسه ـــ كما يقول ـــ فيما بهره من تفتح الإسلام للحـــرية ، واعتزازه بها ، فهو مسلم ، وابن لمســلمين صـــالحين ، والإنسان يحن لأصله ، والفرع دائما يتبع جذره ، وينبه بحسن تربته . عاد صاحبى هذا يستزيد من الحديث عن الحرية فى الإسلام ، ويقول : لقد قطعت حديثنا عنها فى العدد الماضى محتجا بان الحديث عن حرية الأوطان وتحريرها ، قد شغلك ، وملك عليك جوانب نفسك ، بعد ان عشت اياما فى قلب المأســاة بالأردن ، تشاهد عن قرب قريب جنود العدو المحتل ، يختالون باسلحتهم على ارضنا التى انتزعوها من قلبنا .. ويرنو قلبك وبصرك الى جو القـــدس الذى سيطرت عليه اسرائيل ...

قلت له : الست معى فى أن حرية الأوطان تستولى فينا على كل حواسنا ، وتاخذ منا كل تفكيرنا وجهدنا ؟

قال : بلى .. انا معك ، ولقد ادركت ما كنت تعانيـــه بعد ان انتهيت من قراءة حديثك هذا ..

ولكن : الست معى فى ان من الضرورى لحماية الأوطان ، حرية ابنائهـــا داخل حدودها ، وان حرية الأوطان إنما يحققها ويدعمها ابناؤها الأحرار الذين يشعرون فى وطنهم بشخصيتهم وكرامتهم ، ويامنون فيه على حريتهم فى التعبير عن آرائهم .. فلا يساقون سوق الأغنام ، ولا يقضى فى شانهم بغير رايهم .. وكانهم من قبيلة (تيم) التى قال فيها الشاعر يهجوها ويحقر شانها :

ويقضى الأمـــر حين تغيب تيم ولا يســـتشهدون وهم حضور

قلت له : بلى يا أخى .. ان ما تقوله حقيقة لا يختلف عليها اثنان ، ولو انها تغيب عن بعض الناس ، فإن الإنسان الحر هو الذى يقدس حرية وطنه ، والفرد الذى يسعد بعيشه فى وطنه ، هو الذى يضحى بكل شىء حتى حيـــاته لاستبقاء هذه السعادة ، التى إن فاته استمرار التمتع بها باستشهاده ، فلن تفوت ابناءه .. والإنسان الذى يحرص على الحرية الكبرى لوطنه حقا ، هو الذى يحرص اولا على حرية كل فرد فى هذا الوطن .. هذا هو المنطق الطبيعى .. فالحرية لا يصونها إلا الأحرار ، ولا يفتديها بروحه الا الأحرار ..

ولقد علمتنا أحداث التاريخ ـــ وفيها عبر اى عبر ـــ أن الأمة المضطهدة المصابة فى حريتها الداخلية ، لم تكن تهب للدفاع عن أرضـــها ، ولربما فتحت قلوبهـــا للغـــزاة المغيرين عليها .. وكانت عونـــا لهم على من يحكمونهـــا ، ويستبدون بها ...

فليس من طبيعة الأمور ان يسلب مواطن حرية مواطنيه ، ثم يطلب او ينتظر منهم ، أن يدافعوا بحرارة وإخلاص وتضحية عن حرية وطنهم .. كاولئك الذين يتمتعون بحريتهم ، ويشعرون بكرامتهم ، ويخشـــون عليها من العـــدو المغير ، فيهبون فى وجهه ، مضحين بكل مـــا يملكون ، لتبقى لهم هذه الحرية

وتلك الكرامة .

ومن قديم رفض عنترة الفارس العربى الشجاع الشاعر ، ان يدافع عن قبيلته ، وعدوها يطحنها ، لأنها كانت تعتبره عبداً من عبيدها ، فكان يشعر بمهانته عندها .. فلم يعنه امرها ، لان اسوأ النتائج عنده ان يكون عبداً حين تنتصر القبيلة المعادية على قبيلته ، .. وهو عبد اصلا ، فما الذى سيجنيه ــ إذن ــ من الحرب ، وتعريض نفسه للمهالك ؟ وفى سبيل من ؟ قبيلته التى تمتهنه وتنبذه وتعده من العبيد ؟.. وهل سيلاقى فى ظل القبيلة المعادية حياة اهون من الحياة التى يحياها فى ظل قبيلته ؟

ورفض وأصر ، ووقف موقف المتفرج ، حتى استنجد به ابوه ، وقال له : كر يا عنترة ، فرد عليه : عنترة العبد ، لا يحسن الكر ، وإنما يحسن الحلاب والصر .. فادرك ابوه ماذا يريد : فقال له كر وانت حر . وحينئذ كر على الأعداء وهو يقول : انا الهجين عنترة . وكسب النصر لقبيلته ، ودفع العار عنها حين شعر بحريته .

وحرية عنترة وإن كانت غير الحرية التى نتكلم عنها فى معناها القانونى أو الاصطلاحى إلا أن الهدف من تحقيقهما واحد .. وهو رفع المهانة عن الإنسان ، وعدم التصرف فيه كما يتصرف فى الغنمة الواحدة أو القطيع من الأغنام .. إنهما فى نهايتهما ، شعور الإنسان بقيمته وكرامته وباختياره فى تصرفه وحركته ...

وحين اندلعت الحرب الثانية ، وطلبت انجلترا من الهند ان توافق على اشتراك جيشها مع الحلفاء ــ وكان جيشها يحارب فعلا فى الميدان ــ لكن المستعمر أراد ان يكتسب هذا الإشتراك روح الموافقة من الشعب والأحزاب التى تمثله .. فرفض الزعيم العالم الثائر مولانا ابو الكلام ازاد رئيس حزب المؤتمر فى ذلك الوقت الموافقة على دخول الحرب ، ما لم تتعهد انجلترا بمنح الهند حريتها واستقلالها .. وقال : لا يمكن ان نساعد الحلفاء وندافع عن حريتهم ، وهم يستعبدوننا ويضطهدوننا ، ويرفضون ان يعطونا حريتنا .. وكيف يدافع مسلوب الحرية عن الذين سلبوه حريته ؟..

والإنسان كما انه يضحى من اجل حرية يعشقها وينتزعها لنفسه من يد الغاصب الأجنبى ، يضحى كذلك من اجل الحفاظ على حرية أو نعمة يتمتع بها خوفا من ان يفقدها .

وقد راينا ان تشرشل الذى قاد انجلترا للانتصار بعد الهزيمة ، لم يجد ما يدفع به شعبه للثبات والاستبسال فى الحرب .. والصبر على شدائدها ، اقوى من إنذاره له ، بفقده حريته ، وضياع لقمة الزبد التى تعودها لو تغلب عليه اعداؤه .

وبدهى ان تشرشل لم يكن لينذر شعبه هذا الإنذار إلا لانه يعرف مدى تمتع الشعب بحريته ومستواه المعيشى .

وشاهدنا من هذا كله أن الانسان لا يضحى فى سبيل الحرية إلا اذا كان قد احس فعلا بجدواها عليه ، وتمتعه بها ، او كان يطلب بجهاده وتضحيته تخليص بلاده من قيود المستعمر المستبد ، املا فى حياة تتوفر له فيها حريته ، حين تكون له السيادة فى ارضه .. فإذا توفرت له هذه السيادة ، ولم يتحقق بها امله فى حريته ، انتكس ، وفترت عزائمه .

ومن هنا نجد الارتباط القوى بين حرية الفرد ، وحرية الاوطان ، والشاعر العربى يعبر عن هذه الفكرة تعبيرا صادقا فى بيت واحد يقول فيه :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

لهذا كان من الضرورى لحماية حرية الأوطان ، أن يتمتع كل فرد فيها بحريته فى نطاقها الطبيعى ، حتى يهب للدفاع عنها حين تتعرض للأخطار .

قال صاحبى : الآن اقتنعت ، وأوافقك على أن من الضرورى أن يشعر الفرد بحريته فى وطنه حتى يحمى الحرية الكبرى لهذا الوطن ، فهل تعود بنا إلى الحديث عن نظرة الحكم الإسلامى للحرية بعد وفاة الرسول ـ كما وعدت ـ أو انك تريد أن تحتفل بشهر رمضان ، فتتحدث عن الصيام هذه المرة ، كما هى العادة فى المجلات ؟

قلت : والحديث عن الصيام لا يلقى بنا بعيدا عن حديث الحرية ؟

قال : كيف ، والصيام قيد على حرية الإنسان ؟

قلت : وهذا القيد نفسه يشعره بقيمة الحرية ، فانت لا تشعر بقيمة الصحة إلا فى حالة المرض ، ولا تحس قيمة اية نعمة الا اذا حيل بينك وبينها ، على ان الحرية ليست انفلاتا من كل القيود ، لانها تصبح حينئذ فوضى مدمرة ، فلا بد للحرية ـ إذن ـ من قيود تنظمها حتى تكون ممتعة ، ولا بد لممارستها من دروس نتعلم منها كيف ننتصر على اهوائنا ، ولا نكون عبيدا لها . هذا شىء .

والشىء الآخر .. هو انك لا تحس طعم الحرية ، ولا تقدرها قدرها ، إلا اذا كنت فى داخل نفسك حرا لا تستعبدك اطماعك وشهواتك . اعنى انك تحطم قيود الذل التى تقيدك بها هذه الأطماع والشهوات ، فتشعر حين تحطيم هذه القيود فى داخلك ، انك حر تمتلك نفسك واهواءها ، وتتصرف بعيدا عن سيطرتها ، تملك أن تقول لها : لا . او نعم ..

قال : وما لهذا والصيام ؟

قلت : ذاك لب الصيام ، فقد اراد به الحكيم الخبير ـ فيما اراد ـ ان يكون تدريبا لاستعلاء النفس على اهوائها وشهواتها ، وتحررها من قيودها ، ورغباتها فى الطعام والشراب . ونزوعها الى الشرور .. ارايت ذلك المسلم الذى يفطر محتجا بانه لا يستطيع البعد عن الطعام والتدخين مثلا ؟ اليس هذا المسلم عبدا لشهوته فى الطعام ، وعادته فى التدخين .. لم يقو على التحرر منهما لمدة شهر فى العام .. او بالاحرى لساعات فى كل يوم من هذا الشهر ؟ والذى يشعر بذلته لاهوائه وضعفه امام شهواته ، يسهل عليه ان يقبل الذلة من خارج نفسه ، اعنى من غيره .

قال : بلى . لقد استعبدته شهواته فعلا .. فصار اسيرا لها .. ولكنى احس أن هذا معنى جديد فى الربط بين الحرية وبين الصيام .

قلت : ليس هذا معنى جديدا ولكنه لب الصيام كما قلت ، فقد اراد الله به السمو بالروح ، وحين يتحقق للروح هذا السمو ، يكون معنى هذا انها تحررت من قيودهاالمادية التى تستبد بها وتسخرها ، وتلك غاية الإسلام لا من الصيام فحسب ، ولكن من تعاليمه كلها .. وما الابطال الذين وقفوا فى وجه المخاطر ، مستمسكين بكلمة الحق ، منتصرين لها هازئين بكل ما يصيبهم من اجلها .. ما هؤلاء إلا اناس تخلصوا من عبوديتهم للاطماع والشهوات ، وعاشوا او ماتوا فى ظل المعانى والمثل الكبرى ، ومن اجلها ، وفى سبيلها . فالصيام وإن كان قيدا الا انه يزكى فى الإنسان تطلعه للحرية وحرصه عليها . فهو يشبه تطعيم الجسم بجراثيم الداء ، لتصبح عنده مناعة ضد هذه الجراثيم ،

فينجو من تاثيرها .

قال : إن هذه حكمة الحكيم الخبير ، ولكنا مع الأسف اصبحنا نصوم ، ولا يدرك الكثيرون منا هذا المعنى ولا يعنون به ..

قلت : ولهذا اصبح الفرق بين صومنا ، والصوم الحقيقى المطلوب ، كالفرق بين الورد الصناعى ، والورد الطبيعى .. كلاهما يبدو فى شكل ومظهر جميل ، ولكن شتان ما بين الاثنين . الأول جامد لا متعة فيه إلا للعين ، والثانى تسرى فيه روح الحياة ، ويفوح منه العبير ليشيع فيما حوله انفاسه الطيبة ، ويتمتع به من يراه ومن لا يراه ... ومـا اراد الله من صومنا مجرد الاشكال والظواهر ، ولكنه ينظر إلى قلوبنا ، ولهذا يقول فى كتابه الحكيم عن الذبائح : « لن يَنالَ اللهَ لحومُها ولا دماؤُها ولكن ينالُه التقوى منكم »

والله منزه عن الاستفادة بما يناله ، ولكن المعنى انه لا يرقى من اعمالنا الى عناية الله بتسجيله لنا ، إلا هـذا النوع المخلص من العمل : « اليه يصعَدُ الكلِمُ الطيّبُ والعملُ الصالحُ يرفعه » .

فمن لم يهذبه صومه ، ويتـرك على اعماله فى رمضـان وغير رمضان آثـاره الطيبـة ، فانه يكون قد اتعب نفسه ظانا ان مثل هذه المظاهـر تلقى لدى الله احتفالا .. والله لا يحتفل بالظواهر مثلنا ، لأنه قدير على كشف ما فى البواطن . وهو يعامل عباده بمقتضى ما فى سرائرهم ، ولذا كان المنافقون اشد الناس عذابا ، لانهم « في قلوبهم مرضٌ فزادهم اللهُ مرضا ولهم عذابٌ أليم بما كانوا يكذبون » .

وتاتى السنة النبوية الكريمة فتزيد هذا المعنى وضوحا حين يقول الرسول الكريم « مَنْ لَمْ يَدَعْ قولَ الزور والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامَه وشرابَهُ » والزور هنا هو كل ما يجانب الحق ، وينحو الى الشر ، ويقول : « رُبَّ صائِمٍ لَمْ يَنَلْهُ مِنْ صِيَامِهِ إلاَّ الجُوعُ والعطشُ » ولا يثاب ثواب الصائمين المخلصين ...

قال صاحبى : ارايت ان مثل هذا نطبقه نحن فى معاملاتنا مع الناس . فكثير ممن نعرفهم يتظاهرون لنا بالحب والصداقة ، والحرص على مصالحنا ، ولكنا مع ذلك ، وعلى حسب خبرتنا فيهم ، لا نثق بهم ، ولا نخدع بمظاهرهم .

قلت : وتلك سنة الله فى كونه « فأَمَّا الزَّبدُ فيذهبُ جفاءً وأما ما ينفعُ النَّاسَ فيمكثُ في الأرض كذلِكَ يَضربُ اللهُ الأمثالَ »

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد

للشيخ : علي حسب الله
رئيس قسم الشريعة بجامعة الكويت

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » (١٨٣ ، ١٨٤ ـ البقرة) .

بعث الله تعالى رسوله الكريم بدين الاسلام القويم ليصلح عقول الناس بالعقائد الصحيحة ، ويهذب نفوسهم بالأخلاق الكريمة ، ويوجههم الى عمل الخير ، ويبعدهم عن الشر ، وبهذا يسير الانسان فى طريق الكمال الذى أعده الله له ، وييسر له سبيله ، فيحظى بالرقى الانسانى فى الدنيا ، والقرب من الله جل وعلا فى الآخرة .

وقد نزلت هذه الآيات الكريمة فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة مشتملة على أجل ما يهذب النفوس ويزكيها ، وينأى بها عن الاسفاف الى ما يرديها ، وذلك هو الصيام .

والصيام فى لغة العرب الامساك عن أى فعل من الأفعال ، فالامساك عن الطعام أو الكلام أو المشى أو غير ذلك ـ كله فى عرف العرب صيام .

والمراد به فى شريعة الاسلام بينه الله تعالى فى قوله بعد : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » ، وقوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل » ، ولهذا فسره العلماء بالامساك عن شهوات البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

واذا كانت هناك أنواع أخرى من الصيام فالنوع الذى اختاره الله لعباده ، وطالب به أمة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ـ هو أرفق الأنواع بالناس ، وأعظمها أثرا فى كبح جماح النفوس ، ومقاومة منازع الشر فيها .

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » تقرر هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قد كتب علينا الصيام ، أى أوجبه ، والزمنا اياه ، وبدأها سبحانه بنداء عباده المؤمنين لأنهم المكلفون بهذه الفريضة ، وهم الذين ينتفعون بجميل أثرها ، ويقدرونها حق قدرها . وفى توجيه النداء لهم شحذ لهممهم ، وشد لعزائمهم ، فان من شرفه الله بوصف الايمان لا يكاد يسمع هذا النداء من العلى الأعلى حتى يشمر عن ساعد الجد ويسارع الى الامتثال قائلا : لبيك اللهم لبيك ، منك الأمر

وعلينا الطاعة ، ولك الشكر على جميل رعايتك وجزيل نعمتك .

وبهذه الروح الكريمة كان المؤمنون يتلقون نداء ربهم ، وما كان المكلفون منهم يكتفون بأداء ما طلب منهم ، بل كانوا يحاولون جهدهم أن ينشئوا عليه صبيتهم ، ولهذا كان عمر يقول موبخا من أفطر فى رمضان : « كيف تفطر وصبياننا صيام ؟ » . وروى البخارى عن الربيع بنت معوذ أنها قالت : « أرسل النبى صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الانصار : « من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ، ومن أصبح صائما فليصم » ، قالت : فكنا نصومه بعد ، ونصوم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن (أى الصوف) ، فاذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الافطار .

« كما كتب على الذين من قبلكم » أى كما فرض على من سبقكم من الأمم ، فالله الذى وسعت رحمته كل شىء لم يغفل أمر الأمم السابقة ، بل أوجب عليهم من الصيام ما يهذب نفوسهم ، ولا يتجاوز وسعهم وطاقتهم ، كما أوجب علينا منه ما يوصل الى هذا الغرض من غير أن يثقل علينا ، أو يحملنا ما لا طاقة لنا به ، فوجه المشابهة بين الصيامين وجوبهما لنفع العباد من غير اعنات أو ايقاع فى الحرج ، ويفهم عدم الايقاع فى الحرج من قوله تعالى : « أياما معدودات » ، وقوله سبحانه : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وليس فى الآية ولا فى السنة الصحيحة ما يدل على أن الله تعالى أوجب على من قبلنا صيام رمضان ، ولا صيام عدد معين من الأيام ، ولا نوعا خاصا من الصيام ، وفهم الآية لا يتوقف على معرفة شىء من ذلك ، ولكنها تدل على عظم منزلة الصيام ، واستعداد الفطر الانسانية كلها للتأثر والانتفاع به ، ولذلك لم تخل منه شريعة . وفى هذا حمل النفوس على تلقيه بالقبول والاذعان .

« لعلكم تتقون » فى هذه الجملة بين الله تعالى لعباده ما يرجى لهم من الخير بالصيام ان هم أدوه كما أمرهم ربهم ، وابتغوا به ما جعله الله تعالى غاية له ، وهو التقوى . أما أولئكم الذين يصومون مجاراة للصائمين ، أو مكتفين بما فى الصوم من المنافع المادية . من اراحة للمعدة ، وتجديد لخلايا الجسم وما الى ذلك ــ فلن يستفيدوا من الصيام تلك الفائدة الروحية التى هى المقصد الأول والغاية العظمى فى نظر الاسلام والمسلمين .

والتقوى فى أصل اللغة أن تضع حائلا بينك وبين ما تخشاه ، ثم خصت فى الدين بالعمل على اجتناب المضار الدينية . وعماد ذلك كله تقوى الله تعالى ، أى الخوف منه . وقد أطلقت التقوى فى الآية لتشمل كل ما يتقى بالصوم ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : انى صائم ، انى صائم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل بهفليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

ذلك لأن المرء لا يعد صائما الا اذا أمسك عن المفطرات سرا وجهرا ، وهو لا يمسك عنها فى السر الا امتثالا لأمر ربه ، اذ لا رقيب عليه غيره ، وبهذا يعتاد خوف الله ومراقبته ، ويشعر باحترامه لنفسه ، فيكون الصوم عصمة له

من التردى فى الأخلاق الفاسدة ، والميل الى الخسيس من الأمور ، ومقارفة الجرائم صغيرها وكبيرها سرا وجهرا ، وبهذا تقوى النفس على مقاومة وساوس الشيطان ، وعلى دفع أسباب الانحلال الخلقى ، وتتجه الى عمل ما يليق بالنفوس الكريمة . ومتى بلغ الانسان هذه المرتبة فقد زكت نفسه ، وكان من عباد الله المخلصين ، الناجين من عذاب النار ، الفائزين بالنعيم المقيم .

وما ظنك بخصلة هذه بعض آثارها فى تربية الانسان ؟ أين تكون منزلتها بين خصال الخير ووسائل الاصلاح ؟ لا شك فى أنها تـكون منها فى الذروة ، ولهذا ورد فيما حكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » .

ومما هو مشهور من فوائد الصوم وآثاره الجليلة — أنه فريضـة عامة يشارك فيها الأغنياء الفقراء ، فيحسون باحسـاسهم ، ويتألمون من الجوع مثلهم ، وفى هذا شىء من المؤاساة للفقراء ، وحمل للأغنياء على أن يشعروا قلوبهم الرحمة والعطف ، فلا يضنوا على اخوانهم الفقراء بما منحهم الله من فضـله ، وهو باب عظيم من أبواب التقوى التى يملأ بها الصـيام نفوس الصائمين ، فتظهر آثارها سـماحة وبذلا للمحتاجين ، وعطفـا ورعاية للمعوزين .

وقد جبلت النفوس الانسانية على حب التحلل من القيـود وان كانت نافعة ، والفرار من المشقات وان كانت يسيرة . وفى التكاليف تقييد للمكلفين ، وحد للحرية المطلقة التى لا تلائم روح الرقى الانسانى ، ففيها مشقة على نفوس المكلفين ، وهذه المشقة — وان كانت لا تعد شيئا اذا قيست بما يقترن بها أو ينشأ عنها فى نفوس عباد الله الصالحين من اللذائذ الروحية — روعى جانبها فى التكاليف الشرعية ، فرفع منها الحرج والعنت ، ومن أجل هذا اقترن الأمر بالصيام هنا بما يهون على النفوس ما تتوقعه فيه من ألم ، وما تخشـاه من مشقة . وذلك قوله تعالى :

« أياما معدودات . فمن كان منكم مريضا او على سـفر فعدة من ايام اخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » . فورود هذا الكلام هنا — بعد النص على وجوب الصيام ، وقبل بيان المدة التى سيكلفنا الله تعالى صيامها — من باب المسارعة الى ذكر ما يهدىء النفوس ، ويوجهها الى الامتثال فى رضا واطمئنان ، رحمة من الله بعباده ، ورفقا بهم . ومعنـاه أن المدة التى أوجب عليكم صيامها لا تعدو أياما معدودات قلائل ، ومع هذا لم أحتم الصوم على من يكون فى حالة طارئة يتأذى فيها بالصوم . « فمن كان منكم مريضـا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

وقد اختلف العلماء فيما يباح فيه الفطر من مرض أو سفر :

فأما المرض فذهب الشافعى رضى الله عنه الى أنه لا يبيح الفطر الا اذا اجهد صاحبه جهدا غير محتمل ، وذهب الحذاق من أصـحاب مالك رضى الله عنهم الى أنه يبيح الفطر اذا كان يؤلم صاحبه ويؤذيه ، أو تخشى من الصـوم زيادته أو تماديه ، وقريب منه قول الحنفية أن يغلب على الظن حصول الضرر بالصيام أو أن يشير بالفطر طبيب مسـلم حاذق . وروى عن عطـاء وابن

سيرين والبخارى رضى الله عنهم ـ أن كل من يسمى مريضا يباح له الفطر وان لم يؤذه الصوم عملا باطلاق الآية . قال القرطبى رحمه الله : قول ابن سيرين أعدل شىء فى هذا الباب ان شاء الله .

وذهب اهل الظاهر والامامية الى ان المسافر فى رمضان لا يصوم ، بعيدا كان سفره أم قريبا . وقد ذكر ابن حزم فى المحلى أن ما دون الميل لا يسمى سفرا فى عرف العرب ، واحتج لذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى البقيع لدفن الموتى ، ويخرج الى الفضاء للغائط والناس معه ، والمسافة أقل من ميل ، فلا يفطرون ، ولا يقصرون فى الصلاة ، ثم روى عن ابن عمر انه قال : « لو خرجت ميلا لقصرت الصلاة . ويفهم من هذا أن أقل حد للسفر هو الميل ، ولا يقل عن ألفى ذراع على قوله .

هذه هى أقوال الفقهاء رحمهم الله فى المرض والسفر المبيحين للفطر فى رمضان ، وكل منهم يستدل لما ذهب اليه بما يرويه من عمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونرى أن المرض والسفر قد وردا فى كتاب الله مطلقين ، ولم يؤثر عن رسول اله صلى الله عليه وسلم انه وضع لواحد منهما حدا يمتنع الفطر فيما دونه ، واذا كان قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه أنه أفطر فى مرض ما ، أو فى مسافة ما ـ فليس فى هذا ما يدل على امتناع الفطر فى مرض أخف ، أو فى سفر أقل .

ونحن أميل فى شأن المرض الى تقييده بالتأذى مراعاة لحكمة الرخصة . أما مقدار الأذى فيفوض الى المريض نفسه ، فهو الذى يحس ويتألم ، ويعرف من حال نفسه ما لا يعرف غيره ، والأمراض تتفاوت شدة وضعفا ، والناس يختلفون فى القدرة على تحملها ، والاستعداد للتأثر بها . ولقلب المريض المؤمن نصيب كبير فى الفصل فى هذا الموضوع المتعلق بأعز شىء عنده ، وهو صلته بربه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لوابصة بن معبد لما جاء يسأله عن البر : « البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب . والاثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر وان افتاك الناس وافتوك » .

ونرى فى السفر ان تكون المسافة مما يطلق عليه اسم السفر عرفا ، لتكون المشقة راجحة . وأغلب الظن ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقع منهم ما روى عنهم من خلاف الا لأن كلا منهم يريد الا يفطر الا فيما يطمئن قلبه الى أنه سفر .

« **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** » ، فسرها جمهور العلماء بأن القادرين على الصيام لهم أن يفطروا فى رمضان ويعطوا فدية عن كل يوم يفطرون فيه طعام مسكين ، أى مقدار ما يكفيه فى اليوم . وقالوا : ان هذا كان فى بدء الاسلام ، ثم نسخ بقوله تعالى فى الآية الثالثة : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وقد روى عن ابن عباس أن هذه الآية ليست منسوخة ، وأن معناها ـ وعلى الذين يطيقون الصيام أى يتحملونه بمشقة عظيمة ، أو يجدونه فى نهاية طوقهم ووسعهم ، فيتألمون منه ألما شديدا ـ عليهم فدية طعام مسكين ان هم

أفطروا ، ولا قضاء عليهم ، وجعلها خاصة بالشيخ الهرم والمرأة الكبيرة ، وروى عنه انطباقها على الحامل والمرضع كذلك . وقد رجح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رأى ابن عباس هذا ، واليه أميل غير أنى أتردد فى الحاق الحامل والمرضع بالشيخ والشيخة ، فان الحمل والارضاع من الاعذار المؤقتة كالمرض والسفر ، فالحاقهما بهذين أولى من الحاقهما بالشيخ والشيخة اللذين لا تفارقهما الشيخوخة بحال .

« **فمن تطوع خيرا فهو خير له** » أى فمن فعل خيرا فوق ما أوجبنا عليه . متطوعا يبتغى وجه الله تعالى ــ فذلك خير له ، تزكو به نفسه ، ويرضى به عنه ربه . ويكون التطوع فى هذا المقام بصيام أيام غير الأيام الواجبة ، أو باطعام أكثر من مسكين لليوم الواحد .

« **وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون** » ، أى والصيام الذى أوجبته عليكم ويسرته لكم ، وكذلك الذى تأتونه تطوعا وتوسعا فى تزكية النفس وارضاء الرب جل وعلا ــ كلاهما نافع لكم ، وموصل الى الغرض منه ان كنتم على بينة مما تفعلون : تخضعون فى صومكم لله ، وتؤدونه كما أمركم الله .

أما أولئكم الذين يصومون تقليدا للناس ، أو يجعلون صيامهم عذرا لسوء أخلاقهم وشدة غضبهم وانحرافهم عن الصراط السوى فى معاملة غيرهم ، أو لا يهمهم من الصيام الا رسمه ، فيصومون حيث نهاهم الله عن الصيام كالحائض والنفساء ، أو يجعلون رمضان فرصة لنيل ما لذ وطاب من المآكل والمشارب ــ أما هؤلاء جميعا فلا نصيب لهم من الخير ، ولا حظ لهم من الأجر ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » .

قال تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (١٨٥ : البقرة) ..

بين الله تعالى فى الآيتين السابقتين أنه فرض علينا صياما سهلا لا عنت فيه ولا حرج ، بل فيه الخير كل الخير ، ثم بين فى هذه الآية الكريمة أن المدة التى أوجب علينا صيامها هى شهر رمضان العظيم . والوقت انما يشرف وتعلو منزلته على غيره من الأوقات بشرف ما فيه وبركته ، ولهذا وصف الله تعالى شهر رمضان بما يجعله فى نظر المسلمين أعلى الشهور منزلة ، وأعظمها بركة فقال تعالى :

« **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس** » فشرف رمضان وعلو منزلته بين الشهور مستمدان من نزول القرآن الكريم فى ليلة من لياليه ، وهى ليلة القدر المباركة لقوله سبحانه فيها : « انا أنزلناه فى ليلة القدر » ، وقوله : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » .

وقد اختلف المفسرون فى المراد بنزول القرآن فى هذه الليلة من ليالى رمضان لما عرف قطعا من نزوله منجما بحسب الوقائع والحوادث فى رمضان

وفى غيره ، أخذا من قوله تعالى : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على النـــاس على مكث » ، وقوله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القــرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » .

فقـــال بعض العلمـــاء ان المـــراد نزولــه جمـــلة واحــــدة مـــن اللـــوح المحفـــوظ الى بيت العـــزة فى سماء الدنيـــا وهـــو مروى عن ابن عبـــاس وابـــن جبـــير والحســـن ورجحـــه كثير مـــن العلمـــاء

والمعروف من الأحاديث الصحيحة ــ وعليه اكثر العلماء ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعين ليلة القدر : أخرج الأئمة أحمد والبخارى ومســلم رضى الله عنهم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

وذهب بعض آخر من العلماء الى أن المراد بنزول القرآن فى رمضـــان ابتداء نزوله فيه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو مروى عن محمد ابن اسحاق ، ونسبه فى الاتقان الى الشعبى .

ذلك لأن نزول القرآن اذا أطلق ــ وخاصة فى معرض الامتنان ــ فالمتبادر منه نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى هو الســـبب المباشر للاستفادة منه ، ولا يصح صرف النزول عن هذا المعنى المتبادر الا بدليل ، وليس فى الكتاب الكريم ولا فى السنة الصحيحة ما يمكن أن يعول عليه فى هذا كمـــا رأيت ، ولا مناص حينئذ من تفسير نزول القرآن بابتداء نزوله ، لقيام الدليل على أن القرآن الكريم لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة . ونســـبة الأعمال العظيمة الى الوقت الذى بدئت فيه معروفة مألوفة . قال فى التفسير الكبير (الفخر الرازى) « لأن مبادىء الملل والدول هى التى يؤرخ بها ، لكونها أشرف الأوقات » .

وقد أورد السيوطى على هذا الرأى اشكالا ، وهو ما عرف من أن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الأول ، فكيف يتفق مع هذا أن يبتدىء نزول القرآن فى رمضان ؟ ثم أجاب عنه بأن البعثة بدئت فى شـــهر مولده صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة ــ كما هو معروف فى حديث بدء الوحى ، وبعد ستة أشهر ابتدأ نزول القرآن ، وكان ذلك فى رمضان .

وعلى كلا الرأيين قد اختص رمضان بليلة القدر التى أنزل فيها القرآن ، ذلك الكتاب الكريم الذى وصفه الرســـول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذى عن على رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم » . قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضـــله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم . هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشـــبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته

الجن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » .

وهذا الكتاب الكريم الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فى رمضان مشتملا على ما به صلاح العالم الانسانى هو الذى اهتدى المسلمون فى الصدر الأول بهديه وساروا فى الطريق الذى رسمه ، لا يتوانون عن فضيلة ، ولا يقصرون فى عمل نافع ، ولا يتواكلون ولا يتخاذلون ، بل باعوا نفوسهم رخيصة فى سبيل نشره ، واعلاء كلمته ، واستسهلوا كل صعب ،

واستعذبوا كل عذاب ، حتى فتحوا الأقطار الشاسعة ، والبلاد الواسعة ، وطمسوا فيها معالم الظلم ، واقاموا مقامها دولة العدل ، وأصبحوا بذلك قادة سادة ، ينيرون السبيل لمن أظلم عليهم ليل الشرك والوثنية ، ويوجهون العالم الى حياة جديدة سعيدة ، يسود فيها الوئام والسلام ، وتنتشر العدالة والمساواة ، وتسمو روح الانسانية الحقة الكاملة .

فليلة كهذه الليلة التى أنزل فيها هذا الكتاب الكريم المبارك جديرة بأن تسمى ليلة القدر ، أى الشرف والرفعة ، والشهر الذى هى فيه حرى بأن يختاره الله تعالى ليؤدى فيه المسلمون اقوى العبادات أثرا فى تهذيب نفوسهم ، وتقويم أخلاقهم ، وتوثيق الصلة بينهم وبين ربهم ، ليقترن أداء هذه العبادة بالوقت الذى أفاض الله فيه على الناس نعمته بانزال كتابه ، وهو مظهر من مظاهر الشكر له تبارك وتعالى على أجل نعمة من نعمه على النوع الانسانى بأسره .

« هدى للناس » أى دلالة لهم على طريق الخير الذى تصلح به أحوالهم فى الدنيا والآخرة .

وكذلك كانت الكتب السماوية ، غير أن كل كتاب منها كان موجها الى قوم بأعيانهم ، وقابلا للنسخ بشريعة لاحقة . أما القرآن الكريم فهو هداية عامة للعالم كله فى جميع البقاع والأزمان ، ولهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وقال فى حديث الخمس التى فضله الله بها : « وكان النبى يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة » .

« وبينات من الهدى والفرقان » أى آيات واضحات مما يهدى الله به الناس ، ويفرق به بين الحق والباطل . واذا كانت الكتب السماوية تشارك القرآن الكريم فى أنه هداية وفرقان بين الحق والباطل — فانه يمتاز عنها ببلوغه أعلى مراتب البيان فى الهداية ، حتى جعل الله بلاغته وقوة بيانه من تمام اعجازه . كما يمتاز عنها بامتداد سلطانه فى التفريق بين الحق والباطل الى حد الهيمنة عليها ، وبيان ما غير الناس وحرفوا بأهوائهم فيها ، كما قال تعالى : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق » (٤٨ : سورة المائدة) .

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » تستعمل شهد بمعنى حضر ، كما فى

قوله صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب » ، وحضورك الشيء يستتبع — فى العادة — رؤيتك اياه ، وعلمك به ، ولهذا تستعمل شهد أيضا بمعنى الاطلاع على الشيء ومعاينته كالمشاهدة . وعلى هذا قيل : ان المعنى فمن حضر منكم فى الشهر — أى كان مقيما فيه غير مسافر — فليصم .

وقيل : ان المعنى فمن رأى منكم الشهر أو علم به فليصم ، والمراد برؤية الشهر رؤية هلاله ، لأن الشهر لا يرى .

والثانى أرجح عندى ، لأن الصيام واجب على المقيم والمسافر والصحيح والمريض . ثم يكون تخصيص هذا العموم بتأجيل الأداء فقط فى حق المريض والمسافر بقوله تعالى :

« ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر » ، وقد سبق بيان معنى هذه العبارة ، وانما أعيدت هنا لتوكيد ما شرعه الله تعالى من الرخص تخفيفا على عباده . والذى دعا الى هذا التوكيد أنه سبحانه عظم شأن الصيام ، وحث على التطوع به ، واختار للمفروض منه أعظم الشهور خيرا وبركة ، وذلك ما يدعو المؤمنين الى تمام الحرص عليه ، وربما جرهم الى اجتناب الرخص ، بل وقع هذا فعلا ، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرصون على الصوم فى السفر حتى يجهدهم ويشق عليهم ، رغبة فى المثوبة ، ومبالغة فى الامتثال والطاعة . وقد دعاهم الرسول مرة الى الفطر فاعرضوا ولم يفطروا حتى سماهم العصاه . فلهذا احتيج الى تقرير الرخصة وتوكيدها .

وبقاء الرخصة فى حق المريض والمسافر — مع أن عذرهما مؤقت وقد يستطيعان الصوم معه — يدل على بقاء الرخصة — من باب أولى — فى حق ذوى الأعذار الدائمة ، الذين يجدون المشقة فعلا فى الصوم ، وهم الشيوخ والعجائز ، ولهذا استغنى باعادة ذكر المريض والمسافر عن اعادة غيرهما .

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » أى يريد سبحانه بما شرعه لكم من الرخص أن ييسر لكم أداء العبادة ، ويهون عليكم أمر التكاليف ، ولا يريد أن يشق عليكم بشيء من ذلك ، كما قال جل شأنه : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

« ولتكملوا العدة » أى ويريد سبحانه بما شرعه من قضاء ما فاتكم بسبب المرض أو السفر أن تكملوا عدة أيام الصيام ، فلا يفوتكم شيء من فوائده العظيمة وثوابه الجزيل .

« ولتكبروا الله على ما هداكم » أى ولتعظموه سبحانه على ما من به عليكم من الهداية بالارشاد الى معالم دينه ، والتوفيق الى امتثال أمره .

« ولعلكم تشكرون » ، ولتقوموا بشكره سبحانه على هذه النعم العظيمة ، بأن تؤدوها على الوجه الذى أمر به ، وتبتغوا بها ما شرعت من أجله .

(خوارق - فهل من مدكر ؟!)

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

(عن ابى هريرة رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لم يتكلم فى المهد (١) الا ثلاثة : عيسى ، وكان فى بنى اسرائيل رجل يقال له جريج ، كان يصلى ، جاءته أمه فدعته ، فقال : اجيبها ، أو أصلى(٢) ، فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ، وكان جريج فى صومعته(٤) فتعرضت له امراة فكلمته فابى فاتت راعيا فامكنته من نفسها فولدت غلاما ، فقالت : من جريج ، فاتوه فكسروا صومعته ، وانزلوه وسبوه فتوضا وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من ابوك يا غلام ؟ فقال : الراعى قالوا : نبنى لك صومعتك من ذهب ؟ قال : لا ، الا من طين ، وكانت امراة ترضع ابنا لها من بنى اسرائيل ، اذ مر بها راكب ذو شارة(٥) ، فقالت : اللهم اجعل ابنى مثله ، فترك ثديها ، واقبل على الراكب ، فقال : اللهم لا تجعلنى مثله ، ثم اقبل على ثديها يمصه ، قال ابو هريرة . كانى انظر الى النبى صلى الله عليه وسلم يمص اصبعه ثم مر بأمة ، فقالت : اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه ، فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلنى مثلها ، فقالت له : ولم ذلك ؟ ! قال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون : سرقت ، زنيت ، ولم تفعل) . رواه البخارى وغيره .

قاعدة القول :

فى شهر رمضان المبارك يحلو السمر ويطيب الحديث ، حيث ترفرف على العالم الاسلامى روح كريمة طيبة ، وتشيع فيه العبادة خالصة لله وحده ، وتنسى المادة فى صورتها الكالحة ، وتتحول الحياة لقاءات قلبية روحية يغذيها القرآن العظيم ، وتعطرها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتطفو الذكريات الحبيبة الى قوم مؤمنين ، ولما كان كل ما صدر عن الصادق عليه الصلاة والسلام حق وصدق لا يتطرق اليه شك (ان هو الا وحى يوحى) . . . لكل هذا احببت ان أتحدث عن مجلس كريم من مجالس حبيب الله صلى الله عليه وسلم التى كان يعقدها مع أصحابه وأصفيائه ، فيستمعون اليه فى حب وخشوع ، ومن حولهم الدنيا

١) المهد — هو ما يهيا للطفل الرضيع الحديث الولادة من فراش خاص .

٢) اجيبها او اصلى — معناه ان نفسه حدثته دون تلفظ — استمر فى صلاتى وهى صلتى بربى ام اقطع صلاتى واجيبها ، وآثر بعد ذلك صلاته على اجابتها .

٤) الصومعة — (بفتح الصاد المهملة وسكون الواو مع فتح الميم التى بعدها) . البناء المرتفع المحدودب اعلاه .

٥) ذو شارة — صاحب جيش او ذو بزة وهيئة حسنة يتعجب منها ويشار اليها استعظاما لامرها ومظهره الخلاب الذى يستهوى النفوس ، وترنو اليه العامة ، ويبجله الخاصة .

تصيخ سمعا وستظل تردد أصداء رسالته الشريفة ما بقى زمان ، وما تعاقب الملوان ، فى هذه الجلسة المباركة يروى أبو هريرة — وهو من الرواة المكثرين لشدة ملازمته لرسول الله عليه الصلاة والسلام — ويردد كلامه الشريف حاكيا عن من تكلموا فى المهد صغارا لم يدبوا على الأرض ، مبرزا خوارق العادات ، ولا عجب — فتلك قدرة الله الفعال لما يريد فى صورة لا يتطاول اليها بشر ممن خلق ، شارحا هدف القول ودواعيه ، فما كان نطق هؤلاء الرضع عبثا ولا لغوا من الحديث ، وانما لابراز حق معمى ، وايضاح فضل مضاع ، ودفاع عن كرامة تكاد تهدر ، وتبيانا لموقف دقيق خاف تلبس واختلط على أم الثالث ومعاصريها ، بل هو مشكلة لا تجد حلا فى كل عصر ومصر وجد فيه جبارون وعتاة ظالمون(٦) .

١) (لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة) — ورد فى الآثار الشريفة — أن الذين تكلموا صغارا كثيرون ، وصلت بهم بعض الروايات الى أحد عشر ، واقر هذا العدد جلال الدين السيوطى رحمه الله ، وعلى هذا فالحصر الوارد هنا لابراز من تحدث رضيعا مقيدا بوجوده فى المهد ، وقد دار خلاف طويل حول العدد والكيفية لا أجد ما يدعو لاعادة القول فيها ، فليس هذا هو مجال العبرة والذكرى ، ولنقتصر الايضاح على من ورد ذكرهم فى حديث اليوم .

والأول : هو سيدنا عيسى عليه السلام ، وقد ورد حديثه فى المهد فى موضعين ، يهدىء من روع أمه — فى أولهما — حين استندت الى جذع النخلة ، واشتدت بها الآلام الحسية والنفسية ، فتمنت أن لو كانت لقيت حتفها قبل وضع وليدها ، حياء من الناس ، وابتعادا عن لائمتهم ، فلم يعهد فى الحياة وجود ابن بدون أب — هنا — أنطق الله عيسى فى لحظة ولادته تطييبا لقلب أمه وتسكينا لثائرتها ، لتدرك يقينا معنى قول جبريل لها الذى حكاه القرآن الحكيم (قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) . ومنطوقه عليه السلام فى هذا الموقف العصيب نص عليه الكتاب العزيز فى قول الله تبارك وتعالى (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . . ، . . لآيات الكريمات رقم ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، من سورة مريم) . . . .

والحالة الثانية : حين اتت به قومها تحمله فاستنكروا هذا منها وقالوا : (يا مريم لقد جئت شيئا فريا) . فلم تطق ما قالوا ولكنها لم تنطق ببنت شفة حيث أمرت (بالبناء للمجهول) بالصمت ، وأشارت الى وليدها الذى كان يمتص ثديها حينذاك ، وزاد عجب القوم منها ، وصاحوا بها . يا هناه ما هذا الخبل ، (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) أفانطق الله سبحانه سيدنا عيسى للمرة الثانية بما ورد فيما نزل على خير رسل الله صلى الله وسلم ، قال تعالى : (قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . . . . الآيات الكريمات رقم ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ من سورة مريم) . ذلكم عيسى بن مريم الذى ثبتت نبوته ورسالته ثبوتا لا ريب فيه ، ونحن نؤمن انه بشر من البشر عبد الله ورسوله ، وليس خارجا عن هذه الدائرة بحال .

الثاني : جريج (بضم أوله وفتح ثانيه على وزن فعيل مصغرا) . . وقد ورد فى حديث أبى سلمة انه من بنى اسرائيل ، وكان تاجرا ، عاف التجارة وعزم على

---

٦ — فالبشر يخدعهم المظهر ، لا يبحثون عن ما وراءه غالبا ، فهذا عظيم لانه ملك (بفتح الميم واللام) وذاك حقير لانه (ملك) بضم الميم وكسر اللام .

والناس من يلقى خيرا قائلون له (ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل) .

الترهب واعتزال الناس والانقطاع الى الله عزوجل ، فلا يلقى احدا ولا يكلم انسانا مهما كانت صلته به ، وكان وحيد أمه فجاءته يوما الى صومعته تناديه ليطمئن قلبها وتأنس الى حديثه ، ولحظة وصولهـا اليه كان مستغرقا فى صلاتـه فلم يسمع صوتها ، أو سمع وآثر الاستمرار فى مناجاة ربه مفضلا اياها على اجابة أمه ، وقد ورد عن عمران بن حصين أنها جاءته ثلاث مرات وفى كل مرة ترجع أدراجها دون لقاء ، فغضبت لذلك أشد الغضب ، وطلبت الى الله عزوجل ألا يميته حتى يريه وجوه الزوانى ، ولم تدع عليه بالوقوع فى الفاحشة رفقا به ، واستجاب الله دعاءها فوفدت الى صومعته امرأة فاجرة ذات منصب وجمال ـــ كما ورد فى الآثار الشريفة ـــ ثم عرضت نفسها عليه فلم يلق اليها بالا ، ولم يعرها اهتماما ، وكأنه لم يسمع ولم تقل ، وبلغ من شدة فجورها وعهرها أن مكنت راعى غنم من نفسها ، فحملت منه ثم ادعت أن هذا الحمل من جريج ، وشاع ذلك فى الناس ، ومن الناس من يهشون لاساءة الصالحين ، ويحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا (٧) ، وتكأكأ معاصرو جريج عليه ، وانهال مواطنوه على صومعته هدما وتخريبا دون ترو ولا بحث عن الحقيقة ، ونسوا أو تناسوا أن من عهرت تستسيغ كل شىء ، وليس الكذب ولا البهتان ذا بال عندهـا ، فما بعـد الفجور الشائن شىء يستقبح لدى الفاجرين والفاجرات . ولندع الآثار الشريفة تتحدث عما كان . روى أنها سئلت حين وضعت وليدها من أبوه ؟ فأجابت ، أبوه جريج . فأقبلت الجماهير الصاخبة على صومعته بالفؤوس ، ونادوه فلم يجبهم ، حتى سمع بحوائط صومعته تنهار ، فسأل ما الخبر ؟ ولم يجد جوابـا ! وأنزلوه وجعلوا فى عنقـه غلا وربطوه الى الفاجرة وطافوا بهما مسالك مدينتهم ، وقد روى أبو سلمة أن كبيرهم قال له ـــ والرواية عن رسول الله صلى الله عليه السلام ـــ ويحك يا هذا . كنا نراك خير الناس حتى أحبلت هذه اذهبوا به فاصلبوه ، فالتجأ جريج إلى الله عزوجل ، وأقبل على الغلام وناداه . من أبوك ؟ فأجاب : راعى الغنم ، والناس من حوله يسمعون .. فأعظموا أمر جريج وندموا على ما فرط منهم فى جنبـه ، وقالوا : كما نص الحديث الشريف (نبنى لك صومعتك من ذهب ، قال : لا الا من طين) . وهكذا نجى الله عبداً من عباده الصالحين بخارقة لا يقدر عليها الا بارىء النسم سبحانه ربى لا اله غيره ولا معبود بحق سواه ، وما ذلك الا لأن الرجل أخلص دينه لله ولم يكن مرائيا ولا خداعا .

والثالث : وليد ، خدعت أمه مظاهر الجاه الزائل ، وخلبت لبها آثار التعاظم الفانى فظنت كما قيل (كل الصيد فى جوف الفرا) وأن المجد والسمو تركزا فى فارس أو قائد جيش التوت نحوه الأعناق وخضعت له الرقاب ، فضرعت المرأة الى الله أن يجعل ابنها مثله فى مثل هذا الوضع المعجب لها الفاتن لبصرها ، وهنـا يصيح الرضيع من مهده ! مهلا يا أماه فأنت لا تدرين أين الخير . يا رب لا تجعلنى مثل هذا الجبار المتكبر ، وادخلنى برحمتك فى عبادك المخلصين .

واذا مشهد آخر من مشاهد الحياة العاتية القاسية يتراءى لتلك المرأة فتتألم وتخشى أن يلقى ابنها ما لقيت أمة مسكينة لا حول لها ولا طول ، تناولتها السنة

---

٧) وقد أوعد الله مترعمى الزور والبهتان على عباده وأصفيائه بالعذاب المهين فى الدنيا والآخرة .. قال تعالى فى سورة النور الآية رقم ٢٠ (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

السوء العفنة رامية اياها بأشنع ما ترمى به حركة كريمة أبية ، تطعنها فى عرضها وتهدم كرامتها ثم لا تتورع عن اهانتها والعبث بها كأنها جماد لا يقام لـــه وزن ، وليست نفسا عزيزة على خالقها ، يهتز عرشه اعظاما لما يجرى معها ، صاحت الأم الرءوم . اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه ، وهنا أيضا يعود الوليد الى الاعتراض على أمه ، ويقول اللهم اجعلنى مثلها ، وتحار الأم ، ولا تكاد تصدق سمعها ، يحمل اليه حوار وليدها ، وسرعة رده المعاكس عليها ، وهى لا ترجو له الا الخير حيث كان ، وتسائل ذلك الوليد ، ماذا دهاك يا بنى ؟وما الذى حملك على النفور من الفارس المبجل ، وتطلب مكان أمة ضعيفة مهينة زاوية ذابلة يتبعها الصغار رميا بالحجارة، والكبار طعنا بالألسن ؟ ويجيب الوليد . أصيخى سمعا يا أمة الله . فلا يغرنك مظهر من مظاهر الحياة الدنيا ، فهذا جبار عنيد لا يرعى للحق حرمة ، ولا يقيـم للخلق الكريم وزنا ، فله عند الله عاقبة السوء ، ولا أحبها لى عاقبة ، وأما الأخرى التى تزدرينها أو بالأحرى اشحت بوجهك عنها ، فتلك صاحبة المكانة عند رب العالمين ، لأنها تهان ولا تهين وتؤذى ولا ترد الايذاء . فالحظوة لها يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وتلك منزلة أحب أن أنالها يا أماه .

٢) قلت لصـــاحبى . ألا ترى فى هـــذا الحديث الشريف حب اللـــه لعباده المصطفين الأخيار ، وغيرته عليهم أن ينالهم أذى ، وأجاب . انى لأعجب لمتكلم فى المهد وما يزيل عجبى الا ثقتى وايمانى بقدرة البارىء المصور سبحانه ، ولعل فى هذا الحديث ايماء الى أن البشر مهما بلغوا من كشف لأسرار الكون فهم عاجزون كل العجز عن الدنو من مجال الخوارق الالهية ، ويذكرنى هذا بمحاولة قام بهـــا بعضهم حين مزجوا ماء رجل وامــــرأة ، وجعلوا المزيج فى درجـــة حرارة الرحم لينظروا ماذا يصير ، أيموت الحيوان المنوى أم يتطور بشرا سويا ، ولا غرابة حين كان الفشل حليف التجربة ، وما بالهم اذا أرادوا ايجاد حيـــاة يعمدون الى حياة موجودة يولدون منها ، ان كانوا علماء حقا فليوجدوا غير الموجود وصدق اللـــه العظيم (أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) والأعجب من كل ذلك ما يقوم به البعض من انكار لوجود الله (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) مهملين عقولهم ، محاولين صياغة هذا الهراء فى قالب فلسفى يلقى الى الناس ، وفى هذه الأيام تقوم مساجلة على الأثير فى احدى العواصم الأوربية بين المصدقين والجاحدين ، ويدعو البابا بولس الســـادس الى مؤتمر(٨) يحضره المصدقون من اليهود والنصارى والمسلمين مع الجاحدين الذين لا يؤمنون باللـــه لنرى أى الفريقين خير مقام وأحسن نديا ، وأن آيـــة واحدة مما يجرى فى الكون لتكفى برهانا لايمان وأساسا لتصديق ، وقوة ليقين بالله ، ولكن (وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) صدق الله العظيم .

---

٨) يدعو البابا بولس السادس الى عقد المؤتمر فـــى (فينا) عاصمة النمسا ، وقـــد اشارت اللبموند Le Monde الفرنسية فى عددها ٣/١٠/٦٨ الى هذه المساجلات تحت عنوان حوار بيـــن الكاثوليك والجاحدين) Le dia Logue entre catholikgues et nthees.

فى مقالها الافتتاحى ، وأرجو الله جلت قدرته ان يوفق البلاد الاسلامية الى الاشتراك فى هذا المؤتمر بغيرة علمائها الفاقهين جيدا للغات الانجليزية والايطالية والفرنسية وهم كثر والحمد لله وليكونوا من الملمين بمختلف الفلسفات الحديثة التى يعج بها العالم المعاصر فلن تكون المساجلات ميتافيزيقية بحتة ، ولكنها عامة تتناول الاجتماع والاقتصاد بوجه خاص غالبا .

ايجابية الاسلام والمسلمين

للدكتور : وَهبة الزحيلي
عميد كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

يمتاز التشريع الاسلامي بأنه تشريع ايجابي يتصدى لمعالجة الأوضاع الطارئة والحوادث المتجددة بعد أن أقام للحياة هيكلا كاملا من النظم العامة والمبادىء الشاملة والضوابط الأساسية والقابلة للتغير فكفل بذلك تحقيق عناصر الخلود والبقاء للشريعة لا سيما فيما جاءت به من قواعد ونصوص مرنة ، تتسع لحاجات الناس مهما تبدلت الأحوال وطال الزمان .

فالاسلام اذا لا يقف ازاء أية قضية طارئة موقفا سلبيا ، متغاضيا عن حاجات المجتمع المستحدثة ، وتطور البشرية السريع ، فما من حادثة الا وللاسلام فيها حكم كما قرر الامام الشافعي رحمه الله لأن الشريعة عامة تعم الأحداث جميعا بالحكم عليها كلها بكونها خيرا أو شرا ، محظورة أو مباحة ، ولا يقبل حكم مهما كان اذا جاء مصادما لشرعة الاسلام التي جعلها الخالق خاتمة الشرائع ، وكاملة الجوانب **(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** .

ومن المعلوم أن مبدأ فرضية الاجتهاد المقررة لدى فقهاء الاسلام كفيل برفد المجتمع بأحكام شرعية جديدة ، ومن غير المعقول . القول بخلاف هذا ، لأن الاجتهاد حياة كل تشريع ، فلا بقاء لشرع ما لم يظل أمر الاجتهاد والرأى فيه حيا مرنا ذ فعالية وحركة ، اذ أن من مقتضيات النمو وتطور الحياة ، وضرورة انتشار الشريعة الاسلامية في العالم القول بأن الاجتهاد معتبر ، بل انه في رأيي أعظم قربة نتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى ، لأنه نقطة الارتكاز التي يقوم عليها الحكم بصلاح شريعة الاسلام لكل زمان ومكان ، ووفاء حاجة الناس ، وتلبية مصالحهم الى الأبد ، وذلك هو جوهر الشرع ، وروحه العامة ، والهدف الأسمى من بعثة الرسل عليهم السلام .

ونحن في هذا العصر حيث تعقدت المعاملات ، وتضاعف السكان ، وفترت العلاقات الاجتماعية بين الناس ، نرى أنه قد ظهرت بوادر السلبية وعدم الاهتمام في الوسط الاسلامي ، مع أن هذا أمر ممقوت في نظر الاسلام ، لأن المسلم دائما وأبدا عنوان التضحية والايثار والبذل وهو في طليعة الكفاح والنضال ، ومن شأنه أن يكون عضوا بناء فعالا في تكوين صرح مجد أمته ، وأداة طيبة لرفع شأن الجماعة ، ومثالا مقداما للعمل فيما يعود بالخير والنفع

لأمته والانسانية جمعاء ، ولعلنا نرى اكبر دليل على هذا فى قوله تعالى :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

فكأن الآية ترشدنا الى انه لا يكفى للنجاة من العذاب أن يترك الشخص مشاقة الرسول عليه السلام ومعاداته ، باتخاذ موقف سلبى مثلا ، وانما لا بد من أن يكون فى وضع ايجابى يضم جهوده الى جهود المؤمنين ، ويتبع سبيلهم فى نصرة الرسول والذب عنه ، والانقياد له فيما يأمر وينهى ، والتعاون مع الجماعة فيما يجلب لها الخير ، ويدفع عنها السوء والشر ، وهذا خطاب شامل لجميع المسلمين حكاما ومحكومين .

وايمان المؤمن بالله تعالى اعظم مصدر لتكوين قوة ايجابية فى نفسه ، تدفعه لأن يتخطى عظائم الأمور ، وصعاب القضايا ، بروح وثابة ، وحركة عنيفة لا تقيم وزنا لجبار ظالم وطاغ باغ ، والشعور بالمسؤولية الفردية التى اهتم الاسلام بتقريرها والتأكيد عليها ، خير معبر عن أن المسلم امرؤ ايجابى لا يتهرب من واجبه ، ويتفاعل مع غيره على أساس من تقدير كرامته ، وتحمل نتائج ما يعمله من خير أو شر **(كل امرىء بما كسب رهين) . (ولا تزر وازرة وزر اخرى) . (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) .**

وفرضية السعى على الانسان لطلب الرزق ، وكسب العيش ، وعمارة الكون ، ودعم اقتصاد الأمة ، وتوفير القوة لها ، دليل واضح على ايجابية المسلم فى حياته ، وتقديره لواقعه الذى يلزمه ببذل أقصى نشاطه ، وتوجيه اكبر جهده نحو تحقيق هدفه ورخائه ورفاهيته ، **(فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) .**

(ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) .

(كلوا من طيبات ما رزقناكم) .

والمسلم يستمد خطته وشعاره فى الحياة من عقله وقلبه وتفكيره ، فهو لا يساير الناس فى أهوائهم ، ولا يقلدهم تقليدا أعمى فى عقائدهم وعباداتهم واخلاقهم وسائر تصرفاتهم واعمالهم ، وانما ينبغى أن يكون يقظا حذرا عادلا مستقلا فى تفكيره وشخصيته ، وتكوين رأيه وتسديد نظره ، يقول رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام . **(لا تكونوا امعة تقولون : ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم : ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا فلا تظلموا) .**

وهذا مثل رائع لتكوين الشخصية الايجابية فى دين الاسلام ، شخصية المستقل فى تفكيره وعقله الذى لا يقدم على أمر الا بروية وتفكير ولا يحجم عن شىء الا بعقيدة وتصميم .

وفى سبيل الاصلاح وارادة الخير للبشرية كافة ، تعتبر الدعوة الى الحق والفضيلة والتوحيد ركنا أصيلا من أركان الاسلام ، فالمسلم معطاء خير كريم ، ونشاطه فى سبيل الدعوة الى الاسلام ومغالبة الشر ، جزء لا ينفصل عن ايمانه وسلوكه ، والقيام بواجبه نحو الآخرين ، والاهتمام بالصالح العام للأمة بأسرها **(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .**

ولا يمكننا أن نجد كالمسلم ، صادق الدعوة الايجابية ، محبا للانسانية ، مفتاحا لنشر المعرفة والحضارة ،

جسرا معبدا لايصال المنافع للناس .

روى البيهقى فى شعب الايمان قول النبى صلى الله عليه وسلم **(من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم)** . وروى أحمد **(أن المؤمن من اهل الايمان بمنزلة الراس من الجسد يالم المؤمن لأهل الايمان ، كما يالم الجسد لما فى الراس)** . وروى الأصبهانى وابن أبى الدنيا (أحب الناس الى الله أنفعهم للناس) . واخرج أبو يعلى والبزار (الخلق عيال الله ، فأحبهم الى الله انفعهم لعياله) .

ثم ينتقل المسلم فى دعوته خطوة ايجابية ، فيردع الظالم عن ظلمه ، (أن الناس اذا راوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه ، اوشك أن يعمهم الله بعقابه) . ويوجه النصيحة لكل من يراه (الدين النصيحة) (افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) . ويزيل معالم المنكر ويدفن غوائل الشر والفساد . (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان) . وذلك لأن للمسلم رسالة اصلاحية فى هذه الحياة ، حتى انه جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أصول الاسلام ، وشعار المؤمنين . **(كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)** .

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر) . وهكذا فان المسلمين لا يسكتون على ما يرون بطلانه .

ثم إن الذى يتوج كل ما سبق ونحوه من رسم حدود ايجابية المسلم هو جهاد الأعداء الذى يعتبر ذروة سنام الاسلام ، والذى نحن الآن بأمس الحاجة اليه ، لانه السياج المتين والدرع الحصين الذى تنمو فى ظلاله جذور الحرية والكرامة الانسانية ، لأن المنطق يقضى بأن الدعوة العالمية ــ كدعوة الاسلام ــ لا بد لها من قوة تحميها ، اذ ان الحق والحرية ، وكل المثل العليا لا يمكن أن تعيش أو تستقر فى الواقع الا فى ظل القوة والغلبة والتمكين فى الأرض ، لذا قال الله تعالى **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم)** وندد سبحانه بموقف الضعفاء والمستضعفين ، والمتخاذلين والمستسلمين فقال جل وعز **(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا)** .

وهناك جهاد معنوى من نوع آخر يدل على مدى ايجابية المسلم ، الا وهو جهاد النفس أو الجهاد الأكبر كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالنفس البشرية ــ كما هو معروف تنطوى على غرائز كثيرة ، قد تتغلب عليها النوازع والأهواء اذا تركت فطرية على سجيتها ، فتسير بصاحبها نحو الشر ، وقد تجرفه الى مهاوى الضلال والفساد الدائم ، الا إن وازع الدين ، وقوة الايمان يمكنان المؤمن من أن يصارع هواه ، ويتغلب بارادته الفولاذية الشخصية على كل شهوة عارمة أو طيش جامح ، وبذلك يطارد وساوس الشيطان . **(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)** .

قال عبد الله بن المبارك . (ان الصالحين كانت أنفسهم توافيهم على الخير عفوا وان انفسنا لا تواتينا الا كرها) .

ومن هنا يتجلى للناظر ترغيب الاسلام فى الزهد ، فليس معنى الزهد ــ كما يتصور بعض الناس ــ هو الانزواء عن المجتمع ، أو الاقتصار

على القليل ، وانما هو فضيلة رفيعة يستعان بها على تنظيم الأطماع الجشعة ، والحد من سيطرة الهوى قال الامام الغزالي رحمه الله **(والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشىء الى ما هو خير منه)** والزهد ايضا فضيلة خلقية تنهى صاحبها عن الحسد والحقد ، والتطلع الى ما فى ايدى الناس ، قال تعالى .

(ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) . وقال صلى الله عليه وسلم . **(من أصبح وهمه الدنيا ، شتت الله عليه أمره ، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ، ومن أصبح وهمه الآخرة ، جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة)** . فالزهد — اذن — عامل من عوامل القضاء على السلبية ، ودفع النفس الى الايجابية .

وقد يحلو لبعض الوعاظ الترغيب فى العزلة عن الناس ، تحت ستار مبدأ (التصوف) ، وهذا من أكبر الخطأ ، فليس القصد من التصوف هو الانعزال فى الزوايا ، والبعد عن مخالطة المجتمع ، اذ لا خطر فى المخالطة المنظمة ، وانما الخطر فى العزلة المكبوتة ، لأن من المسلم به أن الانسان مدنى اجتماعى بطبعه ، وفى العزلة قتل لآدميته ، واهدار لكرامته ، وتعطيل لمواهبه وقدراته وفاعلياته ، وامانته لمشاعره واحساساته ، فلا بد — اذن — من مخالطة الانسان لأخيه الانسان ، ولكن فى ظل من الرقابة الذاتية ، والاستجابة لنداء الضمير والوجدان وتقدير للمخاطر ، وخوف من الله سبحانه ، وفى ذلك تصحيح للسلوك وتحقيق للتقوى ومراقبة الله التى أمرنا بها ، وحينئذ يزداد الثواب ، ويرتفع الانسان الى مراتب الملائكة الأطهار .

ومن المجرب أن الانتكاس او التعثر يتعرض له فى الغالب شخص انعزالى ، يقول سيدنا عمر رضى الله عنه . (عرفت الشر ، لا للشر ، لكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه) . وهذا حق ، فكم من راهب فى صومعته ، أو عابد ناسك فى قمة جبل شاهق أو عاكف فى غار ، لم يتمالك نفسه من الوقوع فى الخطيئة حينما اختلط بغيره من الناس ، اذ أنه لم يتعود على مجاهدة نفسه ، وتصعيد غرائزه وتعديلها ، فى وسط يعج بالهرج والمرج ، ويموج بالفتنة والاغراء ، فاذا تعود الانسان الخروج من المآزق منتصرا ، فتلك نعمة من أعظم النعم ، وجهاد مثمر ، يجعل المجاهد لنفسه متصفا بصفة الرجولة الحقة والبطولة الفذة ، وهذا فى الواقع هو « القديس الطاهر » الذى ترفع عن الدنايا ، لا ذلكم (القديس) الذى يتروى فترة ، ثم لا يجد نفسه الا غريق الهوى ، أو صريع الفتنة .

لهذا كان شاب هذا العصر الذى توفرت أمامه كل وسائل الانحراف هو المقرب عند الله ان استطاع النجاة من مزالق الشيطان ، والتغلب على مفاتن الزمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله .... — منها — « وشاب نشأ فى عبادة الله » .

من هذه الخطوات التى تراءت لى يتضح أن الاسلام دين قائم على **الايجابية فى كلّ شىء — فى العقيدة** والعبادة والمعاملة والتصرف والسلوك والأخلاق وجميع نواحى الاصلاح والتقدم والحضارة .

الصَوم في الدراسات الحَديثة

«وأنْ تصُومُوا خيرٌ لكم»

للأستاذ : عبد الرزاق نوفل

فرض الله سبحانه وتعالى على المسلمين صيام شهر رمضان ، بنص الآية الشريفة (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) . ويتم الصوم بالامتناع عن الأكل والشرب والاتصال الجنسى ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، تنفيذا لنص الآية الكريمة (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) .

(عبادة قديمة)

وليس صيام رمضان هو أول صوم فرضه الله على الإنسان ، فلقد فرض الله جل شأنه على عباده الصوم فى مختلف الأديان ، وقديم الزمان ، فيقول سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . وقد ورد فى الكتب المتداولة من التوراة والإنجيل ما يفيد ان الصوم فريضة فرضها الله على عباده ، ولا يعرف حال الصوم الماضى أو هيئته على وجه الدقة .

وقد يكون الصوم قبل ذلك مشابها لصوم المسلمين ، وقد يخالفه فالصوم فى اللغة هو الإمساك ، فليس كل صوم إمساكا عن الأكل والشرب ، فقد يكون الصوم والإمساك عن الكلام ، ويحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد فرض على سيدنا زكريا الصوم عن الكلام ثلاثة أيام ، وذلك بنص الآية الشريفة « قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا[١]) كما أمر به مريم بنص الآية الكريمة (فاما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا[٢]) .

ولما كانت العبادات التى فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده ، انما تستهدف خير العبد فى الدنيا والآخرة ، وانها إنما شرعت لصالح الفرد والمجتمع ، فقد بحث العلماء فيما يحققه الصوم للصائم والمجتمع الذى يعايشه . وقالوا إن حكمة الصوم إنما هى ما تثيره من شفقة على الفقير عندما يحس الصائم الم الجوع ، فيبذل له عن طواعية واختيار ، ما يعاونه به فى حياته ، ويساعده على معيشته ، وبذلك يترابط المجتمع برباط من الرحمة والتعاون ، والتساند والتعاطف ، إلى أن بدأ خصوم الإسلام ومن يشايعهم فى إثارة الشك بأن تساءلوا : لماذا يصوم الفقير وليس عنده ما يعطيه ؟ ولماذا يصوم الغنى الذى يتصدق ، ويبذل من ماله اكثر مما يجب ؟ ألا تكفيه الصدقات يقدمها ليعفى من الصوم ؟

ولقد جاء الرد العلمى على هذه

(١) آية ٤١ من سورة آل عمران .
(٢) سورة مريم .

المحـــاولات عندمـــا اتسعت آفـــاق البحـــث ، ووضعت العبـــــادات الإسلامية موضع الدراسات العلمية، إذ اظهر التقدم العلمى أهدافا عديدة للصوم ، بحيث أصبح لا نهاية لفضله على الفرد والمجتمع(٢) .

(الصوم والطب)

فالدراســـات الطبيـــة أثبتت أن الصـــوم عـــلاج من أمراض تصيب إنسان العصر الحديث ، نتيجة لزيادة كميات غذائية ، وما أدخله من وسائل صناعيـــة لتنويع أصنافه ، وتغيير طعومه ، وتعدد الدراسات أمراضا كثيرة : منهـــا اضطرابات الامعـــاء المزمنة ، وزيادة الضغط الذاتى ، والتهاب الكلى الحاد ، وأمراض القلب المصحوبة بتورم والتهابات المفاصل وكثير من الأمراض الجلدية وغيرها ، كما أنه وقـــاية من أمراض أخرى ، مثل البول السكرى والتهابات الكبد ، وتجرى حاليا الأبحـــاث المعملية التى تؤكد أن الصوم فى علاج مرض البول السكرى مع اتخاذ إجراءات معينة فى فترة الأكل بعد الغروب حتى الفجر .

والصوم يذيب البؤرات الصديدية التى تتكون فى الجسم ، وهى سموم اذا تراكمت سببت أمراضا خطيرة ، ونتجت عنها التهابات تصيب أجهزة الجسم داخليا وخارجيا ، وكما يقول الدكتـــور (روبرت بارتولو) : أن الصـــوم من الوسائل الفعـــالة فى التخلص من الميكروبات ، لما تسببه من أتلاف للخلايا المصابة ، ثم اعادة بنائها من جديد .

والصوم يقلل الماء فى الجسم أثناء النهار ، وهذا بدوره يدعو الى قلته فى الجلد ، وبذلك تزداد مقـــاومة الجلد للأمراض الجلدية .

ولذلك فقد جـــاء ذكر الصوم فى الموسوعات الطبية تحت باب العلاج بالغذاء ، وتقرر أحدث نظريات هذا العلاج ، أنه لا بد للانسان ــ لا سيما كلما تقدمت به السن ــ أن يصـــوم يومـــا فى الأسبوع على الأقل ، أو أسبوعا فى كل شهر ، والأفضل أن يصوم شهرا كل عام ، على أن يراعى فيه الدقة فى الغذاء . ولقد اتجهت بعض دور العلاج الحديثة الى الصوم كوقاية للانســـان من الأمراض ، بل ولعلاجه ــ ومن هذه الدور مصحة الدكتـــور (هنريـــخ فى درسون) والدكتور (مولر) وغيرهما .

(الصوم والكائنات الحية)

واثبتت الأبحاث والدراسات أن الصوم عن الغذاء أمر طبيعى ، كتبه الله جل شأنه على الكائنات الحيـــة جميعها ، لفترات معينة ومنتظمة ، وأن هذا الصوم انما هو الوسيلة التى تحفظ هذه الكائنـــات وتساعد على تقويتهـــا ، واستمرار التقـــدم فى سلالاتها ، ومقاومة الظروف الطارئة المعادية ، التى قد تتعرض لها فى حيـــاتها ، فالحيوانـــات والحشرات تصوم لفترة كل عام .

فمنها مـــا تصوم بضعة أيـــام ، وغيرهـــا يصل صومها الى عـــدة شهور ، والنباتات كذلك تصوم لفترة تخرج بعدها أوراقها الجديدة ، وتبدأ حيـــاة الربيع قويـــة مزهرة تفيض ــ بالحيوية والجمال ، بعد صومها الطويل فى رقدة الشتاء الهادئة ــ .

وتشير الدراســـات الى انه حتى القبائل التى لم تصلها دعوة الرسل ، ولم يظهر بين أفرادهـــا أنبياء ، ولا تعتنق رسالة تركن الى دين ، نجدها تصوم عن الأكل مرة ما ، أو تفرض الظروف الطبيعية عليهم هذا الصوم لفترات قد تطول أو تقصر . وهذا الصوم عن الغذاء يحافظ على وظيفة أساسية هامة وحيوية عند الإنسان ،

(٢) يراجع مقـــال « الاستشفاء بالصـــوم المنشور فى هذا العدد . « الوعى »

هى وظيفة التكيف على قلة الطعام .

وقد كان البحث عن هذه الوظيفة ودراستها من اهم ما اعتنى به العلم الحديث فيقول الدكتور (الكسيس كاريل) الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة فى كتابه (الإنسان ذلك المجهول) عن هذه الوظيفة ما نصه :

(ان كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها ، تعطل وظيفة ادت دورا عظيما فى بقاء الأجناس البشرية — وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام . كان الناس فى الزمان الغابر يلتزمون الصوم فى بعض الأوقات ، وكانوا اذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك يفرضونه على انفسهم فرضا بارادتهم . وان الاديان كافة لا تفتأ تدعو الناس الى وجوب الصوم » .

« يحدث الحرمان عن الطعام اول الأمر الشعور بالجوع ، ويحدث احيانا بعض التهيج العصبى ، ثم يعقب ذلك شعور بالضعف ، بيد أنه يحدث الى جانب ذلك ظواهر خفية اهم بكثير منه . فان سكر الكبد يتحرك ، ويتحرك معه الدهن المخزون تحت الجلد ، وبروتينات العضل والغدد وخلايا الكبد ، وتضحى جميع الأعضاء بمادتها الخاصة للابقاء على كمال الوسط الداخلى وسلامة القلب، وان الصوم لينظف ويبدل انسجتنا » .

وبدهى أن الصوم الذى يحقق هذا الهدف هو صوم المسلمين فى رمضان ، ولهذا نجد ان الصوم فى الإسلام اشد من كل صيام عرف من قبل . وما ذلك الا لمجابهة الحالة الجديدة للانسان التى قلت او زالت فيها المجاعات ، وانتشرت الرفاهية فيها توافر الرخاء .

(مع علم النفس)

ودراسات علم النفس قد اكدت ان الصوم يعتبر خير وسيلة لتربية النفس ، وتقوية الإرادة اذ انه وسيلة ايجابية عملية لغرس الأمانة فى نفس الإنسان ، فليس هناك ما هو اكثر فاعلية لتعويد الإنسان الأمانة من ان يفرض عليه الجوع والعطش فى مطلع شبابه ويجد الأكل والشرب فى متناول يده فلا يمنعه عنه غير اعتقاد أن الله يراقبه ، فينشأ وقد اعتاد الأمانة .

وكل وسيلة اخرى لتعويد الطفل الأمانة كالقصص تتلى ، او المواعظ تلقى ، أو الدروس تعطى ، انما هى وسائل نظرية ، بينما الصوم وسيلة عملية . والفارق بين الوسيلتين جد كبير .

والصوم يخلق فى نفس الإنسان الصبر ، اذ أن من صبر على الجوع والعطش والمعانى الجنسية طوال ساعات الصوم ، وهو فى يقظة وحركة ، يهون عليه الصبر على غيرها .

وكذلك تقرر الدراسات النفسية ان الصوم من اهم السبل لتقوية الإرادة — فالانسان يترك طعامه وهو فى اشد الحاجة اليه ، ويبتعد عن الماء ، وهو فى مسيس الحاجة له ، وهذا يوحى اليه بالثقة ، وينمى عزيمته ، ويقوى إرادته ، كما أن الصوم يحرر الإنسان من سلطان العادة ، إذ فى الصوم يغير الإنسان عاداته كلها تغييرا شاملا وتاما وقاطعا .

(مع علم الاقتصاد)

والدراسات الاقتصادية تقول : إنه لو فرض أن الإنسان سيتبع فى شهر رمضان ما يتبعه فى غيره من الأشهر ، بالنسبة لكميات الطعام فى الوجبة — ولا بد أن يكون ذلك اقل كما يوصى به الدين والطب — لوجدنا ان الإنسان بدلا من تناوله

ثلاث وجبات فى اليوم والليلة ، تختصر فى شهر رمضان الى وجبة ونصف ، باعتبار أن السحور دائما يتم بكميات قليلة من الغذاء لا تتجاوز نصف الوجبة ، فيكون الانسان قد اقتصد نصف ما يتكلفه فى الغذاء ، وكذلك يظل الانسان ممتنعا طوال صومه عما اعتاده من مشروبات ومكيفات ، ومهما تناول منها بعد افطاره فلن تزيد على نصف ما كان يتناوله ، وبذلك يكون الانسان قد اقتصد فى رمضان نصف نفقته تماما . هذا اذا لم تتحكم فى نفسه العادات الدخيلة على رمضان ، وهى الاستعداد له بمختلف أنواع الطعام ، والاسراف فى ايجاد أطعمة خاصة برمضان ، قد تكلفه فوق ميزانيته التى يسير عليها طوال السنة وهذا مما لا شك فيه بعيد عن الصيام وحكمته .

(مع علم الاجتماع)

والدراسات الاجتماعية تقرر أن الصوم وسيلة ايجابية فعالة لاعلان المساواة بين الناس ، فالامساك عن الأكل فى مجتمع ما انما يتم فى لحظة واحدة للجميع ، والافطار كذلك لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، كبيرهم وصغيرهم ، أميرهم وعاملهم ، كما انه يشير الى حقيقة الوحدة بين الشعوب الإسلامية ، وان هذه الشعوب أيا كانت فكلها تكون الأمة الاسلامية ، اذ يشملهم الصوم باحساس واحد . ويربطهم برباط واحد ، وكذلك فان ما للصوم من تأثير فعال وقوى على أخلاق الصائم التى يجب ان يأخذ بها نفسه يجعله ينشر المحبة بين افراد الأسرة ، ويعيد شملها اذ تجتمع حتما على مائدة الإفطار ، وقبلها وبعدها ، ثم يجتمع اهل الحى فى صلاة العشاء ، وفى التراويح .

ولا شك أن تجاوب افراد المجتمع بعضهم لبعض ، وتآلفهم ، وتعاطفهم، وبذل الغنى قدر طاقته الى الفقير ، ومعاونة القادر للمحتاج والصفاء والسلام كل ذلك أمر ملحوظ ومؤكد مما لا يقبل الشك أو الجدل طوال شهر رمضان .

ولقد قررت التجارب العملية والأبحاث المعملية أن العمل الذهنى والعقلى يتحسن بالصوم ، اذ يتسبب عن الأكل اندفاع كميات من الدم الى المعدة وأجهزة الهضم للمساعدة فى عملياته ، فيقل بذلك النشاط العقلى والحدة الذهنية .

وما زال العلم يجتهد ليظهر مزيدا من أهداف الصوم التى لا نهاية لها بالنسبة للفرد والمجتمع فى الحياة الدنيا(٤) علاوة على حسن الجزاء وجميل الثواب فى الآخرة ولعل هذا بعض تفسير الآية الشريفة (وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) « صدق الله العظيم » .

---

(٤) نحب أن نشير هنا الى أن هذه الفوائد التى يجتهد العلماء فى حشدها انما هى آثار طيبة للفريضة التى تعبدنا بها الله سبحانه ، ولكل أمر من أوامره حكمة وهدف . ولكنا نشير كذلك الى ان الصائم لا بد ان يقبل على صومه امتثالا لأمر الله وطاعة له ، لا مراعاة لهذه الفوائد التى التمسها العلماء والباحثون للصوم حتى يجد عند الله ثواب الامتثال والطاعة . وهكذا فى كل عبادة فرضها الله علينا : روحها الطاعة والتعبد والامتثال . واذا لم تتحقق فيها هذه الروح فقدت وجودها وهدفها ، وفقد الانسان بالتالى كل ثواب عليها . ولا شك ان ما ينضم لهذه الروح من فوائد تتكشف حينا بعد حين أمر يزيد المؤمن ايمانا بربه ودينه .

« الوعى »

الأرض الموعودة
خرافة الصهيونية

دراسة علمية في

اثبتنا فى مقالنا الذى نشر فى عدد سابق من هذه المجلة* ان إسرائيل ما هى الا مشروع التقى فيه الاستعمار مع الصهيونية . ولكنا أوضحنا أيضا فى هذا المقال أنه كان من أهم العوامل التى دفعت الساسة البريطانيين الى احتضان المشروع الصهيونى وتعضيده ــ فوق الأغراض الاستعمارية ــ المشاعر الدينية ، وهى المشاعر المقرونة بالتعصب . وهذه حقيقة ، لأن الساسة البريطانيين ــ ولا سيما هؤلاء الذين كانوا متدينين وكانوا السبب فى اصدار وعد بلفور والعمل على تنفيذه ــ يقرءون الكتاب الذى يعتبره اليهود كتابهم المقدس وهو (العهد القديم) ويقرؤه أيضا الشعب الانجليزى ، وكذلك الشعوب الأوروبية والأمريكية بوجه عام .

وقد بنى الصهيونيون دعواهم على ماجاء فى الكتاب من أن الله وعد ابراهيم او (عقد معه صفقة) لأن هذا الإله الذى تصوره اليهود كان ــ وذلك كما يقول العالم المؤرخ « ولز » ــ كان إلها تجاريا ، اتفق مع ابراهيم على أن يعطيه هذه الأرض ــ أى فلسطين ــ له ولنسله من بعده ، كثمن لعبادته . . أيضا يقرأ الأوروبيون والأمريكيون أساطير بنى إسرائيل فى هذا الكتاب ، وهى قصص مطولة متعددة ، أو لا يقرءونها ويكتفون بعناوينها أو يسمعون نبذا منها فى الكنائس ، فيخيل إليهم أن فلسطين لا زالت كما كانت فى تلك الأزمنة السحيقة ، وأن التاريخ وقف عندها فلم يخط أية خطوة واحدة منذ ثلاثة آلاف عام أو أكثر . . . !

وهذا الوعد المدعى ما هو فى الحقيقة إلا خرافة ــ كما سنثبت فيما يلى بالأدلة التاريخية . وكثير من الأسماء التى ذكرت فى هذا (العهد القديم) ما هى إلا شخصيات وهمية ، وكثير من القصص والأخبار التى وردت ما هى إلا أساطير متخيلة ، ما أنزل الله بها من سلطان .

ولذا يجب أن نبين هذه المسائل من الوجهة العلمية .

• • • • •

فالحقيقة التاريخية الأولى والثابتة من هذا الكتاب نفسه (العهد القديم)

للدكتور: ضياء الدين الريس
رئيس قسم التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة

تاريخ اليهود وتوراتهم

وهو (توراة اليهود) وأيضا من كل المصادر الأخرى ، ان هذه الأرض : أى فلسطين ــ هى أرض (كنعان) . كانت ملكا لشعب كنعان ووطنه ومقامه . وان الجماعة العبرية ، التى هى أصل بنى اسرائيل او اليهود ، كانت طارئة غريبة على هذه البلاد ، أجنبية عنها . لأن إبراهيم ــ جد هذه العشيرة البدوية فيما يزعمون ــ أصله من بلدة (أور) فى بلاد الكلدانيين فى جنوب العراق ، وكان كلدانيا . وعبر هو عن نفسه حينما جاء إلى أرض كنعان بأنه : ــ كما ورد فى هذا الكتاب نفسه ــ (غريب) و (نزيل فى أرض غربة) . ولما أراد ابنه اسحاق أن يتزوج ، وأيضا حفيده يعقوب الذى سمى (اسرائيل) فيما بعد ــ عاد كل منهما إلى قومهما فى العراق وتزوجا هناك فى (فدان أرام) . ونص هذا الكتاب على أن جميع أبناء يعقوب ــ أى بنى اسرائيل ــ ولدوا فى تلك الجهة أى فى العراق خارج فلسطين .

ولم يستقر ابراهيم ولا ذريته فى فلسطين بل نزحوا إلى مصر ، وتجولوا ثم رجعوا . ثم استدعى يوسف ــ بعد حادث مؤامرة إخوته ــ أباه يعقوب وأولاده ، فعاشوا فى مصر تحت حكم ملوك مصر قرونا ، بلغت نحو خمسمائة عام ، وخدموا فى أعمال الحفر والبناء . ولم يدخلوا فلسطين إلا بعد أن خرجوا من مصر ، وبعد تيههم فى الصحارى مشردين ، ثم تمكنوا من دخولها فى عهد يوشع مغيرين ، وذلك بعد زمن ابراهيم بستمائة أو سبعمائة عام ، حيث أن المؤرخين يقدرون أن ابراهيم عاش فى القرن العشرين قبل الميلاد أو القرن الذى بعده ، وأما خروج العبرانيين من مصر فلم يحدث إلا فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد . فأين إذن كان وعد الله لإبراهيم المزعوم طوال هذه الحقب ؟ إنه لم يتحقق لا لإبراهيم ولا لذريته طيلة سبعمائة عام . فهل كان وعد الله كاذبا (سبحانه وتنزه عن ذلك) ؟ أم لم يستطع انجاز وعده ؟ (تعالى جل شأنه) .

هذا وحده يمكن أن ينهض دليلا كافيا على زيف هذا الوعد ، وأنه وعد موهوم مكذوب لا حقيقة له .

ومذ دخل بنو اسرائيل هذه البلاد ظلوا فى حروب متوالية مع أهل البلاد

الأصليين : من كنعانيين وأموريين وادوميين وفلسطينيين ، وغيرهم ممن ذكرهم كتابهم هذا . وقد سجل كتابهم أنهم هزموا مرارا ، وخضعوا لحكم غيرهم فترات عديدة ، فلم يستطيعوا إلا أن ينشئوا فى القرن العاشر (ق. م.) ملكا صغيرا فى عهد داود فابنه سليمان ، لم تزد مدته عن ثلاثة وسبعين عاما . وكان فى الواقع تحت وصاية ملك مصر من جهة وملك صور من جهة أخرى .

ثم انقسمت هذه المملكة وظلت فى حروب واضطرابات ، حتى جاء اخيرا ملك أشور (سرجون) وذلك فى عام ٧٢١ ق. م ـــ فقضى على دولة اسرائيل فى الشمـــال ، فانتهت من التـــاريخ . ثم جـــاء ملك بابل (بختنصر) فى عام ٥٨٦ ق. م فقضى على الدولة الأخرى (يهوذا) وهدم عـــاصمتها (أورشليم) وأحرق هيكلها ، ونقـــل من بقى من الإسرائيليين أســـارى أذلاء إلى بابل فى العراق ، حيث بقوا فى الأسر مدة طويلة .

فمنذ هذا التاريخ الثابت : أى منذ ستة قرون قبل الميلاد (أو منذ اكثر من الفى وخمسمائة عام) انتهى التاريخ السياسى لبنى اسرائيل أو اليهود فى فلسطين . وبعد أن انقضت مدة السبى وسمح ملك الفرس بعـــودة من بقى منهم ، رجعوا رعية خاضعين لدولة الفرس ، ثم اليونان ، ثم الرومان ، الى أن جاء الامبراطور (طيطوس) فطردهم من القدس ، وأحرق المدينة وبنى مدينة أخرى على أنقاضها ، وذلك فى عام ٧٠م ، فصاروا منذ ذلك الوقت مشردين فى انحاء الأرض منبوذين مكروهين من جميـــع شعوب العالم ، ومنذ هذا التاريخ ـــ أى منذ نحو عشرين قرنا ـــ انقطعت صلتهم بفلسطين .

وكل هذا تاريخ قديم باد وانتهى واندثر ، كمـــا اندثرت تواريخ كثير من القبائل والعنـــاصر والدول فى تلك العصـــور القديمـــة كالحيثيين والميديين والآراميين والأدوميين وغيرهم . فلا يمكن أن يفكر أى عاقل فى اعادة الأحداث البائدة ، ورد عجلة الزمان إلى ما قبل ثلاثة آلاف عام أو نحو ذلك ، واعادة تقسيم الأراضى كما كانت فى قرون بعيدة قبل الميلاد . فهذا منتهى السخف ، بل هو التخريف والجنـــون بعينه . ولكن هـــذا السخف والجنـــون هو فكرة الصهيونية ، التى سعى الاستعماريون البريطانيون ، والأمريكيون الى اعتناقها والمساعدة على تنفيذها .

انه ومنذ القرن الأول قبل ميلاد المسيح صارت فلسطين إقليما رومانيا ، احد أقاليم الامبراطورية الرومانية ، وبقيت كذلك نحو سبعمائة عام . ثم ظهر الاسلام وجاء العرب فى النصف الأول من القرن السابع ـــ وكانت صلة الجزيرة العربية والعرب بفلسطين متصلة من أقدم العصور ـــ فحرروا البلاد من حكم الروم ، وأصبحت فلسطين من ذلك الوقت جزءا من الدولة العربية الإسلامية ، وكملت طبيعتها العربية ، وبقى العرب فيها ، واتصل تاريخهم أربعة عشر قرنا متوالية حتى العصر الحاضر . وطوال هذه القرون دافع العرب عن فلســـطين ضد الروم ، ثم ضد الصليبيين ، ثم ضد التتار ، ثم جـــاهدوا ضد الاستعمار الأوروبى فى العصر الحـــديث ، وسعوا الى الاستقلال . وفلسطين العربية ما هى فى الحقيقة الا جزء من سوريـــا الكبرى ـــ أو إقليم الشـــام العربى المعروف ـــ وما هى الا جزء لا يتجزأ من الوطن العربى الكبير ، الذى يمتد من المحيط الأطلنطى الى الخليج العربى ، والذى يشغل المنطقة التى تسمى اليوم الشرق الأوسط ، وهى جارة وشقيقة الأقطار العربية اخواتها : مصر وسوريا ولبنان والأردن والحجاز والعراق وجزيرة العرب ، ووراءها الأقطار العربية

الباقية : السودان والمغرب العربى .

هذه هى الحقائق التاريخية الثابتة ، وهذه الحقـــائق هى التى تحداها الاستعمار البريطانى الغاشم المتجبر ، حين أخذ ينفذ الفكرة الصهيونية بالقوة ، وهى التى يتحداها اليوم الاستعمار الأمريكى الجاهل المتعصب ، إذ يســـاند الباطل أيضا ويدعمه بالقوة .

.....

ونعود الآن الى الوعد المزعوم أو الموهوم ، وهو الخرافة التى بنت عليها الصهيونية دعواها ، والتى تقوم عليها .

فهذا الوعــد منح ــ كمـــا ادعوا ــ الى ابراهيم . وابراهيــم ــ على ما يفترض المؤرخون ــ عاش فى القرن العشرين قبل الميلاد : اى منذ اربعين قرنا بالتمام والكمال . فمن أو ما الذى يضمن أو يثبت صدور مثل هذا الوعد أو غيره ، أو وقوع اى حادث فى ذلك الزمان القصى ــ اى قبل أربعة آلاف عام ؟! فهل هذه حقيقة علمية ؟ اللهم إلا اذا كان هناك نقش على صخر او حجر اثرى ، وجد مدفونا تحت طباق الأرض .. وهذا لم يوجد . فلا سند لهذا الوعد المدعى إلا كتاب اليهود فقط .

فما حقيقة هذا الكتاب فى ميزان العلم أو التاريخ ؟

يتفق المؤرخون والباحثون ــ من الأوروبيين قبل غيرهم ــ على أن كتاب اليهود هذا أو ما يسمى بالعهد القـــديم لم يكتب فى صورته المعروفـــة إلا فى القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد . ومعنى هذا أنه كتب بعد عهد ابراهيم بخمسة عشر قرنا ، وبعد موسى بثمانمائة عام . وهذه الحقيقة لا تحتـــاج الى تعليق ، بالنسبة لصحة أو عدم صحة ما يروى منسوبا الى هذا الزمن البعيد .

والعلماء الذين درسوا هذا الكتاب وجدوا فيه أخطاء مادية ، ومبالغات ، ومعلومات ينقضها العلم الحديث ، وقصصا خيـــالية اثبتوا انها استمدت من أساطير بابلية أو فارسية أو مصرية قديمة . ولا توجد أدلة تاريخية تثبت وجود كثير من الأشخاص أو صحة الأنساب التى ذكرها الكتاب ، بل ظاهر ان بينها اسماء وهمية وشخصيات خرافية .

والى جانب هذا تحوى هذه القصص ذكر افعـــال تعد فضائح أو جرائم منسوبة الى الأنبياء وبنى اسرائيل ، ويتردد المرء فى إيرادها لولا أنها موجودة مفصلة فى نصوص الكتاب المقدس ، المنشور الذى يقرؤه الناس جميعـــا . فمن أمثلة ذلك :

أن لوطا (النبى) باشر ابنتيه واحدة بعد الأخرى وهو سكران ، بعد ان سقتاه ابنتـــاه خمرا ليزنى بهما ، فحملتا منه وخلفتـــا ذرية (سفر التكوين : الاصحاح ١٩) .

وأن يعقوب وهو (اسرائيـــل) غش اباه إسحاق ــ متآمرا مع امه ــ فانتحل شخصية اخيـــه (عيسو) وسرق إرث اخيه بهـــذا التزوير (تكوين : الاصحاح ٢٧) .

وأن راءوبين الابن الأكبر ليعقوب اعتـــدى على زوجـــة ابيه (تكوين : الاصحاح ٣٥) .

وأن يهوذا بن يعقوب لقى امرأة فى الطريق فزنى بها ، ثم تبين انها زوجة ابنه وأنها هى التى عرضت نفسها . ومن هذا الاتصال غير الشرعى ولد فارص وهو جد (داود) . (الاصحاح ٣٨) .

وأن ابيمالك بن جدعون احد قضاة بنى اسرائيل قتل اخوته السبعين دفعة واحدة (القضاة : الاصحاح ٩) .
وأن (النبى) داود لمح زوجة جاره من على السطح وهى تستحم ، فأرسل اليها واحضرهـــا وزنى بها ، ثم أرسل زوجها الجندى الى جبهة القتال ليهلك (صموئيل الثانى : الاصحاح ١١) .
وأن سليمان (وهو ابن المرأة السالفة) كانت عنده الف امرأة من مختلف الأجنـــاس ، وأنه تابعهن فى عبـــادة الأوثـــان ، وكفر بالله (الملوك الأول : اصحاح ١١) .
وأن الرب أمر (هوشع) ــ النبى ــ بأن يعـــاشر الزوانى (هوشع : اصحاح ــ ١ و ٣) .
.. الخ الخ ..
والكتاب مملوء بالحث على التدمير والقسوة وسفك الدماء .
ويكفى هذا لبيان طبيعة هذا الكتاب (العهد القديم) وهل هو (مقدس) من عند الله ؟!
والحقيقة ان التوراة الأصلية التى انزل الله على موسى ــ وهى التوراة التى ورد ذكرها فى القرآن المجيد ــ قد فقدت بعد عهد موسى أو شوهت . واذا كان قد بقى منها شىء فهو بعض التشريعـــات والوصـــايا . أما (العهد القديم) ــ فيما خلا ذلك ــ وهو الذى كتب بعد عهد موسى بثمانمائة عام فى أيام السبى ــ على ما حقق المؤرخون ــ فهو كتاب وضعه اليهود أنفسهم ، كتبوه كتاريخ لعشيرتهم وصـــاغوه صيغة دينية ، وهو صـــورة من طبيعتهم واحلامهم ، يتضمن بعض اخبار تاريخية ، لكنها مخلوطة بكثير من الأساطير والإضافات . ولما كانوا ــ وهم أسرى فى بابل ــ يحلمون بالعودة الى الأرض التى نفوا منها ، فقد لفق لهم الخيال أن يتوهموا أن الله كان وعد ابراهيم ، فى الزمن القديم ، أن يعطيه هذه الأرض له ولذريته ، ويخرج منها أهلها الكنعانيين وغيرهم ، لأن الله لا يحب من جميع خلقه سوى قبيلة العبرانيين بنى اسرائيل ! وهذه هى فكرة الاحتكار والأنانية التى تمثل الطبيعة اليهودية . فهذا الوعد المزعوم ما هو إلا وهم فاسد ، وهو وعد مكذوب مدسوس على الله تعالى . والله سبحانه برىء منه وممن يكذبون عليه ، ويكتبون الباطل بأيديهم . وصدق الله تعالى إذ يقول فى القرآن الكريم : **« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »** .
هذا الوعد إذن خرافة . والصهيونيـــة ــ وهى فكرة العودة الى أرض الوعد ، أو الأرض الموعودة ــ تقوم على هذه الخرافة . فهى زيف وتخريف وبـــاطل . وما كان يمكن أبدا أن يكون للباطل كيـــان ، لولا أن قوة الاستعمار الغاشم المتعصب الجاهل تسنده وتؤيده ...
وقد خلص لنا من هذا البحث إثبات هذه الحقائق :
أن دعوى الصهيونيين خرافة ، وأن فلسطين هى أرض كنعان منذ القدم ، وكنعان فرع من الجنس العربى ، وأن العبرانيين أو بنى اسرائيل كانوا أجانب طارئين على هذه البلاد ، وبعد أن بقوا فيها زمنا وسط سكانها الأصليين ، بادوا وفنوا فى الأمم كما بادت العناصر القديمة ، وأن فلسطين صارت منذ قرون قبل الميلاد ولاية فى دولة الفرس ، فاليونان ، ثم الرومان . حتى جـــاء

العرب والإسلام فحرروا البلاد من حكم الرومان ، وسكن العرب البلاد فكملت طبيعتها العربية ، واستمرت فلسطين عربية ، أربعة عشر قرنا متتالية : من القرن السابع الى القرن العشرين ، وهى عربية مثل سوريا والأردن ولبنان والعراق ومصر وجزيرة العرب ، وسائر أقطار العروبة . وهذه هى الحقيقة الكبرى ، التى تمحق كل أباطيل الاستعمار والصهيونية . والحق هو الذى سيبقى وينتصر . ولا بد أن ينصر الله الحق ، ما دام أهله يجاهدون من أجله .

« ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

تعليق من باكستان

جاءنا من الدكتور — تحسين اللواء — من (داكا) عاصمة باكستان الشرقية تعليق على مقال الدكتور الريس المنشور فى العدد الحادى والأربعين من الوعى الاسلامى بعنوان (اسرائيل جريمة الاستعمار) نقتطف منه بعض الملاحظات لأنه لا يوجد خلاف جوهرى — فى رأينا كما سترى — بين الكاتب والمعلق .. يقول الدكتور تحسين اللواء :

تحت عنوان (اسرائيل جريمة الاستعمار) كتب الدكتور محمد ضياء الدين الريس رئيس قسم التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة مقالا لا بد من التعليق عليه لوضع النقاط على الحروف فى مقاطع كثيرة منه حفاظا على الحقائق التاريخية وصونا لقراء « الوعى الإسلامى » من أن يختلط عليهم الأمر ، وأرجو أن يتقبل الكاتب نقدى بالروح نفسها التى أملت على هذا النقد .. فهو لله .. وفى سبيله .

١ — فالقول بأن اسرائيل اثر الاستعمار ونتيجته « ليس سليما ولا دقيقا ، فاسرائيل جزء لا يتجزأ من اليهودية العالمية التى تقيم المؤتمرات السرية وتنظم (البروتوكولات) للسيطرة على العالم كله ، ولقد خطط اليهود لقيام اسرائيل وبنوها بدأبهم ومكرهم ومالهم ورجالهم ونفوذهم السياسى العالمى ، واليهود هم الذين استغلوا الاستعمار واستعملوه لمصلحتهم والعكس ليس صحيحا .

فاسرائيل إذن — وهى مظهر من مظاهر اليهودية العالمية — ظاهرة شاذة كما يقول الدكتور الريس ولكنها ظاهرة منفصلة عن الاستعمار فى منابعها وغاياتها ، والتقاء مصلحة الاستعماريين مع مصلحة اليهودية العالمية يجب الا يمنعنا من التمييز بين المسير — بكسر الياء — والمسير — بفتح الياء — .

فايمان اليهود — المنحرف — بأنهم شعب الله المختار لم يأت به الاستعمار .

وحرب اليهود للديانات السماوية الأخرى — المسيحية والإسلام — منذ ظهورهما ، ومحاولة قتل الأنبياء — سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما السلام — ، ما جاء به الاستعمار .

والجمعيات السرية والعلنية اليهودية فى كل انحاء العالم ليست من اختراع الاستعمار .

وإذا كان التقرير البريطانى السرى سنة ١٩٠٧ قد اقترح زرع اسرائيل فى قلب العرب ، كما ذكر الدكتور الريس ، فان اليهود قبل ذلك التاريخ بكثير ، كانوا يسعون جاهدين لامتلاك فلسطين ، واليهود على كل حال منبثون فى الدوائر الحساسة للدول الاستعمارية كلها — القديمة منها والحديثة — ، ومذكرات (وايزمن) التى ذكرها الدكتور الريس تثبت بوضوح أن اليهود هم

البقية على صفحة ٦٥



للاستاذ المقدم حسن فتح الباب

ان المتأمل فى تاريخ العقائد والحضارات الانسانية منذ فجر التاريخ لا يستطيع ان يخلع صورة المثالية على واحدة منها باستثناء العقيدة الاسلامية وحضارتها . وقد بهرت هذه الصورة المؤرخين الأجانب انفسهم حتى عكف بعضهم على استقراء فصول التاريخ الاسلامى ، وأمضى جل حياته فى استنباط الشواهد واقامة الأدلة وتحليل الوقائع والاحداث ، ليبين عظمة الدعوة المحمدية واصالة محتواها ، بل ان منهم من اعتنق الدين الاسلامى وأصبح من رواد الدعوة العلمية والفكرية له ومن المدافعين عنه .

ولقد استخلص الباحثون والعلماء من دراساتهم المتعمقة المقارنة ان سر هذه العظمة والأصالة يكمن فى التمسك بالقيم الروحية فى كل مرحلة من مراحل الدعوة ، واستقرار هذه القيم فى المعاملة بين المسلمين بعضهم وبعض على مختلف المستويات الرياسية سواء كان ذلك فى الشئون الدينية أو الدنيوية ، وفى معاملتهم لأهل الأديان والملل الأخرى ، سواء أكان ذلك فى زمن السلم أم فى أوقات الحروب . كما ثبت لهم من مطالعة السيرة أن مرد حفاظ المسلمين الأوائل على هذه القيم هو القدوة الحسنة التى تمثلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الاسلام والقيم الروحية

ولا عجب أن يكون انتشار الاسلام فى تلك الفترة الوجيزة فى حساب الزمن مرجعه تعاليم العقيدة الاسلامية التى تحث على الثبات على القيم الروحية النابعة منها والقادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة ، وهى كبرى الحوافز التى تدفع النفس الانسانية الى تفضيل الحرية على العبودية ، والعدل على البغى ، والعمل على التواكل والكسل ، والوحدة على التنكك والانقسام ، والعلم على الجهل ، والرحمة على الغلظة ، والسلام على العدوان .

ولقد انتشر الاسلام فى جميع بقـــاع الأرض لأن القيم الروحية التى آمن بها أهله لم تكن مجردة مستقلة فى ذاتها بعيدا عن ســــلوكهم ، ولكنها كانت مندمجة فى فكرهم وعملهم . فكانت تلك القيم دالة عليهم كما كانوا هم نموذجا مجسدا لها يشهد بما يستطيع الانسان أن يبلغه فى مدارج السمو الى الكمال المطلق .

الوعى بالقيم أساس المجتمع الاسلامى

واذا كان الوعى بالقيم هو أساس قيام الدعوات الرشيدة ونشأة حركات الاصلاح ، فلا غرو أن يجعل الاسلام سبيله الى اعتناق رسالته والتضحية فى سبيلها نشر الوعى الكامل العميق بالقيم الروحية فى نفوس أبنائه من طريق الاقناع بالحسنى والقدوة الصالحة . فلما استقرت تلك القيم واصبح المجتمع الاسلامى الناشىء مركز اشعاع لها ، استطاع المسلمون أن ينتصروا فى معركة الصراع بين الحق والباطل ، وان ينقلوا مثلهم الدينية والاجتماعية والأخلاقية الى كل أرض بلغوها ، ويجعلوا من انفسهم جنودا لهذه القيم ، وحفاظا لكتاب الله ــ مصدرها ــ فى صدورهم وعاملين بما جاء به .

ولما كان فتح مكة من أعظم الأحداث التى خاضتها الدعوة الاسلامية اذ كان نقطة تحول فى تاريخها ومركز انطلاق للعقيدة الى جميع ارجاء الجزيرة العربية ومنها الى الأقطار المجاورة ، فقد أردنا فى هذا البحث التحليلى ان نلقى اضواء جديدة على القيم الروحية الاسلامية التى كانت العامل الأول فى نجاح المسلمين فى العصر النبوى وعصور الخلفاء الراشدين ، وانتشار رسالتهم فى الآفاق بعد النصر المبين الذى آتاهم الله فى مكة .

فتح مكة حرب وقائية عادلة

ولقد كان دخول كثير من القبائل العربية المتاخمة للعراق والشــام فى الاسلام على أثر غزوة مؤتة واعجابهم ببطولة المسلمين ، سببا فى دعم أركان الدين الجديد وازدياده قوة ومنعة وحفزا لرجاله بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم على المضى قدما لنشر الدعوة بيد أن قريشا كانت تشكل العقبة الاولى فى طريق تحقيق هذه الغـــاية . فلم يكن ثمة مناص من مقاتلتها دفاعا عن العقيدة ، واستعادة لحق المسلمين فى الديار التى أخرجوا منها كارهين . وهى حرب وقائية عادلة طالما أن الفئة الباغية فى مكة تأبى أن تخضـــع لدين الله الحق ، بل انها لتشتط فى عدائها وتتخذ كل سبيل للاساءة الى الاسلام وأهله . « يريدون أن يطفئـــوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

لكن عهد الحديبية كان قائما فى ذلك الحين ، ولم يــكن للذين آمنوا أن يخرجوا عليه ما دامت قريش ملتزمة به . ولقد قضى هذا الصلح أن من أحب أن يدخل فى عقد محمد فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش فليدخل فيه . ولم تستطع قريش أن تكبت نياتها العدوانية وتقيم على العهد ، فلم تلبث أن البت القبائل للانقضاض على محمد واصحابه ومن دخل من القبـــائل فى عهدهم بعد أن ظنت أن الفرصة قد سنحت لها عقب انســحاب جيش الرسول من مؤته ، وأنها بمأمن من العقاب فى ظل الصلح المعقود .

الحق رأس القيم الفاضلة

وادت الفتنة التى أثارتها قريش بتحريض حلفائها من بنى بكر على خزاعة التى دخلت فى الاسلام وامدادهم بالســلاح الى مقتل رجال من خزاعة ،

فاستنصرت بالنبى وشكت اليه نقض قريش وبنى بكر عهدهم معه . فلم يكن بد من فتح مكة حماية لدين الله . وهنا نلتقى بقيمة كبرى جاء بها الاسـلام وعزز القول بها بالفعل ، والمثـال بالواقع ، تلك هى مناصرة الحق وغوث المستضعف ، وتأديب الباغي ، والتمكين للخير والفضـيلة ، مهما عظمت التضحية . لقد كان فتح مكة حقا مشروعا ، ولم يكن لرسول الله وجنوده الا أن يستجيبوا لدعوة الحق وينشروها فى الأرض ، والله مؤيدهم بعونه وهو سبحانه يقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » . وكان حقا على المؤمنين الانتصار لدين الله فى مواجهة أعداء الله ، واقرار السلام بديلا من العدوان ، واخذ حقوق المستضعفين من المسـتغلين الطغاة ، ونصرة العمل الطيب على العمل الخبيث ، والحق على الباطل ، والصدق على الكذب ، والصواب على الخطأ ، والصحيح على الفاسـد ، والمعرفة على الجهـالة ، والهدى على الضلال ، والحرية على العبودية ، والـكفاح على التواكل والاستسلام ، والتقوى على الفجور ، والخير على الشر .

ان الله سبحانه وتعالى هو الحق كما سمى ذاته العلية ، والرسول عليه السلام هو داعى الحق ، وأصحابه أهل الحق وجنده . فلا غرو أن يكون الحق رأس القيم الفاضلة ، وأن يكون فتح أم القرى اقرارا لهـذه القيمة الروحية الكبرى .

حوار فى بيت أم حبيبة

وجاء أبو سفيان الى المدينة موفدا من قومه لتنطس الأخبار والوقوف على رد الفعل الناشىء عن نقضهم الصلح ، ومحاولة تثبيت العقد ومد أجل الهدنة من سنتين الى عشر . وفى بيت أم حبيبة ابنة أبى سـفيان يجرى حوار بالغ الدلالة بين الأب وابنته ، بين قائد الشرك وزوج النبى ، نشهد من خلاله كيف تبلغ القيم العليا بالانسان رجلا كان أو امرأة أسمى الدرجات الروحية . ولم تتمثل تلك القيم فى غلبة عاطفة الزوجية على البنوة بقدر ما تمثلت فى انتصار رابطة الايمـان على رابطة الدم ، ورجحان الانتمـاء الروحى على الانتماء الحسى .

لقد أبت أم حبيبة على أبيها أن يمس فراش رسـول الله فطوته عنه وجاهرته بقولها جوابا على سؤاله : « هو فراش رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه » . ولم تبال أن يخرج أبوها مغضبا . ومن آيات سمو تلك النفس المؤمنة المثالية فى سلوكها أنها لم تتخذ هذا الموقف رغبة أو رهبة ، وانما كان مسلكا نابعا من أعمال الفكر والروح ، لم تمله عليها عوامل خارجية ، اذ كانت وحدها ولا مطلع عليها الا الله سبحانه ولا رقيب سوى ضميرها الحى وايمانها العميق .

وحدة الكلمة

وحين نمضى فى متابعة مقدمات ذلك الفتح المبين ، نقع على قيمة روحية أخرى ما أجلها وأبلغ تأثيرها فى مجرى حياة المجتمعات ، تلك هى وحدة الكلمة واتخاذ القائد وجماعته موقفا واحدا يصرون عليه ، ولا يحيدون عنه قيد أنملة . فقد كلم أبو سفيان سفير المشركين محمدا رسول الله فى العهد واطالة أجله ، فلم يرد عليه بشىء . فقصد أبا بكر يستشفعه فما استجاب له ، فثنى بعمر ، فعاد بالخذلان ، ورد ردا غليظا اذ قال له ابن الخطاب . أنا أشفع لكم الى رسول الله . فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به . ولم يكن نصيب أبى سفيان حين

لجأ الى على بن أبى طالب وعنده فاطمة غير ما لاقاه من قبل ، اذ قال له على حين استنصحه أنه لا يستطيع أحد أن يرد محمدا عن أمر اذا هو اعتزمه ، فليرجع الى قومه ويلحق بأرضه فما له غير ذلك من سبيل .

وفى هذا الموقف تتجلى وحدة الرأى والمسلك فى أعظم معانيها ، وحدة تتمثل فيها قوة ارادة النبى ، وانه اذا عزم توكل كما أمره الله ، كما تتمثل فيها طاعة الجماعة لقائدها المرسل من عند الله . فكأن الكلمة تصـــدر عن رجل واحد ، وكأن الفعل تحركه عزيمة واحدة . وجاء الحق وزهق الباطل ، وعاد أبو سفيان من حيث أتى ملوما محســـورا ، يجر أذيال الخيبة والهـــوان والخسران ، وهو الذى طالما ازدهى ببأسه وسعة حيلته . عاد مهزوما وقد سدت فى وجهه السبل وأعيته الحيل ، فلم يجد ثغرة بين أصحاب الرسول ينفذ منها لقضاء مأربه ، وهو الذى طالما كاد للمســلمين ودبر اخبث الخطط ليقذف باليأس فى قلوبهم ويجبرهم على الاستسلام ، فما أغنى عنه ذلك شيئا ، ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، وصدق الله العظيم : « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

مسيرة كبرى ولا قتال

وكان أمر رسول الله أن يعد المسلمون ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم ، واستعان النبى على قضـــاء حاجته بالكتمان كيلا تقف قريش على عزمه . وبدأ جيش المسلمين مســيرته الكبرى تسيل كتائبه فى البيداء ، لامعة سيوفها ، منطلقة بالايمـــان الحق الى هدفها يقودها محمد رسول الله وهو يدعو الله أن يدخل الكعبة دون أن يريق قطرة من دماء .

وكانت أقوال الرسول وأفعاله كلها فى ذلك الحين مؤيدة ومؤكدة لخطته عليه السلام فى تحقيق بغيته بغير عنف ما استطاع الى ذلك سبيلا . يبدو ذلك فى مقدمات الفتح ، كما يتبين جليا فى مراحله المتتـــابعة حتى انتهى المطاف بالمسلمين الى ديارهم التى أجبروا على الجلاء عنها ، وتم النصر للنبى وجنوده باذن الله ، ومن ينصر الله فلا غالب له .

فأما فى مقدمات الفتح ، فان الوقائع الدالة على مقصد الرســـول كما سطرها التاريخ تطالعنا فى كل موقف بذلك . فعلى أســـاس هذا المقصد الجليل ، جعل النبى خطته تقوم على مباغتة قريش فى غرة منهم ، فلا يجدون له دفعا ، فيسلمون من غير أن يكون ثمة قتال . وانجازا لهذه الغاية تكتم — كما سلف البيان — عزمه على تحرير مكة المكرمة من الشرك ، وأحاط الأمر بسياج من السرية ، فلم يفض به الى أحد حتى زوجاته ، ولم يخبر المسلمين أنه سائر الى مكة الا بعد أن أمرهم بالتجهز فتجهزوا ، ودعا الله أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش حتى لا تقف من سيرهم على نبأ . وكان الهدف من ذلك الا يترك للمشركين الفرصة ليستعدوا ، وأن يكسب المعركة من غير حرب .

وفى سبيل حقن الدماء لم يعترض النبى على رغبة العباس بن عبد المطلب فى السفارة الى قريش ، لتخلى بين ابن أخيه وبين البيت الحرام الذى جعله الله مباركا ومثابة للناس وأمنا ، وليقنعها أنه لا جدوى من قتال هــذا العدد الذى لا عهد للعرب به من الجنود الـــكماة الأقوياء ، الذين يطلبون النصر أو الشهادة . ولما طلب عمر بن الخطاب الى النبى أن يضرب عنق أبى سفيان رأس

الشرك ، حينما شاهده مع العباس ، قال الرسول لعمه وقد رجا أن يجير أبا سفيان : « اذهب به يا عباس الى رحلك ، فاذا أصبحت فاتنى به » .
وتشهد خيمة رسول الله فى الصباح مواجهة حاسمة بين الحق والباطل ، ويضرب النبى المثل الأعلى فى ايثار السلام على الحرب ، اذ يسلم أبو سفيان ، ويقول العباس للنبى : « يا رسول الله ، ان أبا سـفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئا » . فيقول رسول الله : « نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .
ومن ثم يهيىء القـائد الأعظم كل فرصة ، ويفتح كل باب ، ويمهد كل سبيل للسلام ، لا عن خشية بأس قريش ، فقد كملت عدة جيش المسـلمين عشرة آلاف ، ولا سبيل للعصبة الباغية الى رد النبى وأصـحابه ، وانما عن رغبة صادقة عميقة فى السلام ، وحرص على اسـتقراره فى أم القرى التى أكرمها الله اذ أوحى الى نبيه ابراهيم أن يقيم فيها قواعد البيت الحرام ، والتى أعزها سبحانه اذ جعلها أرض ميلاد محمد ومشرق الدعوة العظمى .
تلك هى احدى القيم الاسلامية الخالدة ، قيمة السلام ، كما استبانت فى مرحلة الاعداد لدخول مكة ، وتجلت بأروع مظاهرها أيضا بعد أن عنت قريش لجيش الرسول ، فأذعنت لدين الحق . فلقد اتخذ عليه السلام قرارا بجعل الجيش أربع فرق ، وأصدر الأمر لها جميعا : ألا تقاتل وألا تسفك دما الا اذا اكرهت على ذلك اكراها ، واضطرت اليه اضطرارا ، وفى استبدال قيس بأبيه سعد بن عبادة الذى نصبه الرسول أميرا على فرقة أهل المدينة ليدخلوا مكة من جانبها الغربى ، حين بلغه قول سعد وهم يتأهبون : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل اكرمه » لما فى ذلك من نقض أمر النبى ألا يقتل المسلمون من أهل مكة ، وكان قيس أخف من أبيه حدة وأشد قدرة على امتلاك نفسه وضبط أعصابه .
كما يشهد بهذه القيمة الروحية ما فعله الرسول حين علم بالقتال الذى خاضه الجناح الايمن من جيشه بقيادة خالد بن الوليد وكانت مهمته أن يدخل من أسفل مكة . فقد بادر بعض المشركين ممن كانوا يقيمون فى ذلك الحى من مكة الى شن العـدوان ، فأمطروا فرقة خالد بنبالهم ، وما لبثوا أن لاذوا بأذيال الفرار حين رد خالد سهامهم على نحورهم وسقاهم من الكأس التى أرادوا أن يسقوها القائد البطل ورجاله ، فسقط منهم الكثيرون صرعى وعلى الباغى دارت الدوائر . غير أن نبى الرحمة أسف اذ رأى من ربوة عالية مطاردة فرقة خالد لمن هاجموها ، وكانت سائر الفرق قد دخلت مكة دون مقاومة ، وصاح مغضبا يذكر أمره ألا يكون قتال . ثم قال حين علم بجلية الأمر ان الخيرة فيما اختاره الله .

وقفة على باب الكعبة

وثمة موقف آخر ليس كمثله موقف فى الدلالة على تأكيد قيمة السلام فى الاسلام ، اذ يفتح الله على رسوله مهبط الوحى فيدخله والمسـلمين آمنين مطمئنين ، وتضرب للنبى قبة على مقربة من قبرى أبى طالب وخديجة ويسأل : « هل يريد أن يستريح فى بيته ؟ » فيجيب : « كلا فما تركوا لى بمكة بيتا » . ثم يخرج ويمتطى ناقته ويسير بها حتى يبلغ الكعبة ، فطوف بالبيت سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده . وحين يقضى طوافه يدعو عثمان بن طلحة فيفتح الكعبة ، فيقف محمد على بابها ، ويتكاثر النـاس فى المسجد فيخطبهم ويتلو عليهم قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » . ثم يسألهم الرسول : « يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم » قال : « فاذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ولو شاء الرسول الكريم — وقد نصره الله نصرا مؤزرا — لأمر بقطع رقاب القوم الذين بغوا وطغوا فى الارض وأكثروا فيها الفساد ، والذين اتخذوا من دون الله أربابا ، والذين اشتد به وبصحابه أذاهم واشتدت قطيعتهم ، وائتمروا به ليقتلوه ، والذين عذبوه وأتباعه ، وقاتلوه فى بدر وفى احد وحاصروه فى غزوة الخندق .

ولكنها قيمة السلام المثلى يغرسها الله تعالى فى نفس نبيه الكريم ، ويجعل للمسلمين فى رسول الله قدوة حسنة بها . فهو يعفو عند المقدرة ليستل من نفوس قريش بواعث الحقد والضغينة ، وليقضى على عوامل الشحناء ، ويزيل الغل من قلوبهم ، ويطهرهم من رجس الثأر وشرور الجاهلية ، ويوثق بينهم عرى الألفة والمحبة بعد أن دخلوا فى دين الله أفواجا . وهو يرجو أن يجعل منهم جميعا قوة يعز بها الاسلام ، ويأخذ طريقه الى الانتشار فى بقاع الارض حتى تعلو كلمة الحق ويسود الخير فى العالمين .

وفاء لا ينسيه وطن ولا أهل

ونختتم مقالنا هذا فى تحليل القيم الروحية فى فتح مكة ، بالحديث عن قيمة الوفاء كما تجلت فى هذا الفتح المبين . فلقد دخل النبى وأصحابه مكة وطهر البيت الحرام من الأوثان والأصنام التى لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، وعاد الحق الى أهله بعد عشرين عاما من الكفاح فى سبيل العقيدة . ورأى الأنصار من أهل المدينة رسول الله وقد فتح الله عليه وطنه ، وشاهدوه يقوم على الصفا ويدعو ، فأدركتهم المخاوف أن يكون الرسول قد اعتزم ترك المدينة والاقامة فى موطنه الأول بلد البيت الحرام وقال بعضهم لبعض : (أترون رسول الله اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟) لكن محمدا ما لبث حين أتم دعاءه أن سألهم . ما قالوا ؟ فلما عرف بعد تردد منهم مخافتهم قال : « معاذ الله ! المحيا محياكم والممات مماتكم » .

فما أجل الوفاء ، وما أكرم البر بالرفاق والأنصار . لقد وفى الرسول الكريم بعهده فى بيعة العقبة الكبرى اذ التقى فى مكة سرا مع مسلمى يثرب القادمين للحج وتعاهد معهم على أن يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فعاهدوه فقال : أنتم منى وأنا منكم . وضرب محمد صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى فى الوفاء للصديق الذى يقف مع أخيه ساعة الشدة ، وفاء يغلب حب الوطن والأهل ولو كان الوطن مكة بلد البيت والمسجد الحرام ، ولو كان الأهل بنى هاشم صفوة قريش . ولم يقم النبى فى مكة الا خمسة عشر يوما نظم خلالها شئونها وفقه أهلها فى الدين ثم سار مع المسلمين لتأديب هوازن وثقيف فكانت غزوة حنين والطائف وكان نصر الله فيهما ثم عاد الرسول الى مدينة الأنصار فأقام فيها حتى اختاره الله الى جواره بعد أن أدى رسالته الخالدة .

وكذلك استقرت عقيدة التوحيد بفتح مكة وارسيت قواعد الاسلام ، وانتهى الصراع بانتصار الحق على الباطل ، وأقيم على أسس من القيم الروحية مجتمع موحد متماسك لا فرق فيه بين شريف ووضيع وغنى وفقير وانما الجميع سواسية . وصدق الله العظيم : « اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا » .

الاستشفاء بالصوم

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الدفاع الأردنية هـذا البحث فى أوائل شهر سبتمبر الماضى (أيلول) فحرصت على أن أضعه أمام القراء فى وقته المنـاسب « شهر الصـوم » وسيجد القارىء فيه وجهات نظر علمية حديثة فى فوائد الصيام بصوره المتعددة حسب ما جاء فيه بالاضافة الى ما يشعر به الصائم من لذة الخضوع والانقياد لربه الذى خلقه فسواه .

الوعى

كان السياسى البريطانى الكبير (تشرشل) يتخذ من الصـوم بين حين وآخر ، وسيلة الى الصحة ، والى مزيد من سلامة البدن ، ورغد العيش ، على الرغم من مسؤولياته الجسيمة وعمله المضنى ، وكان يستطيع التحكم بارادته ، فيصوم صومـا تاما مدة ٢٤ ساعة أو ٤٨ فى أحيـان أخرى . وكان الوزير البريطانى سير ستافورد كريبس هو الآخر من أنصار الصوم ، وهناك مصحات مختصة بالصوم فى سويسرا ، والمانيا ، وانكلترا ، والولايات المتحدة ، وتدوم فترة العلاج عن طريق الصوم واحدا وعشرين يوما على الأقل ، وبعد انقضاء هذه المدة لا تجد نفسك جائعا ، مهزولا ، مريضا ، متخاذلا كما قد يعتقد البعض وإنما ستجد نفسك على أحسن ما تكون صحة وعافية ، وكأنما قد ازددت قوة وشبابا ونضـارة ، فيما يؤكد الكاتب الأمريكى الشهير آبتون سنكلر — فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟

يقول المختصون بالشؤون الصحية انه ليس ثمـة علاج آخر له فعالية كالاستشفاء بالصوم ، لكى يتخلص الجهاز من سمومه . وهم يقولون إننا ناكل كثيرا ، أو أن طريقة اكلنا لا تناسب حاجـات جهازنا ، ومن هنا ينشأ شعورنا بالثقل ، والخمول ، وكسل الأمعاء ، والتعب المستديم ، وغير ذلك ، وإذا كان هنـاك العديد من الأشخاص المعرضين للانهيار العصبى فمـا ذلك فيما يؤكد الاختصاصى الألمانى الدكتور (مارتن) إلا لأن الدم الذى يروى الدماغ قد داخله الفساد بسبب التسمم عن طريق الغذاء . والطبيب الفرنسى (غيلبا) يؤكد أن أربعة أخماس امراضنا تنشأ عن تخمر الأمعاء . أليست المعدة هى بيت الداء ؟

إننـا اذا امتنعنا عن الطعام بعض الوقت لا نحول دون تسمم جهازنـا وحسب ، بل نزيل ايضا هذه العناصر المضرة ...

وبالصوم نبدأ ما يسميه الدكتور (جان فروموزان) غسل الأحشاء . وماذا ترانا نلاحظ فى مستهل الصوم ؟ يصبح لساننـا متسنما ، ويتفصد العرق من جسمنا ، وكثيرا ما يظل يفرز مادته المخاطية ، وهذا كله يدل على أن الجسم قد أخذ يقوم بعملية غسـل كاملة ، وبعد انقضـاء ثلاثة أو أربعة أيام يصبح نفسنا لا رائحة له ، وتنخفض نسبة الحمض البولى . ثم نشعر بخفة ونشـاط وراحة عجيبة .

وإذا كان الصوم استشفاء من السموم ، فهو أيضا استشفاء راحة ، راحة بدنية ما دامت أجهزة جسمنا تعمل فى أثنائه أقل من المعتاد .

ومن الخطأ الاعتقاد بأننا حين لا نتناول الطعام نكف عن تغذية أنفسنا ، والواقع ، فى فترة الصوم ، ان جهازنا يستمد غذاءه من احتياطى الغذاء فى

الجسم . فالكبد غنية بالكليكوجين ، والدم غنى بالبروتين ، ومخزون الدهن فى الجسم يعادل ٣٠ فى المئة من وزنه عند الرجل و ٢٠ فى المئة عند المراة ، وهذه كلها خليقة ان تغطى حاجتنا الى الطاقة المنشودة لمدة شهر على الأقل . وبعبارة أخرى اننا ، حين نصوم ، نأكل من جسمنا نفسه ، غير أن هذا لا يحدث اعتباطا .

إن الذى يتم استهلاكه فقط هو الأنسجة الزائدة أو التى ليست رئيسية . وتختفى فى الوقت نفسه الدمامل والحبوب ، وبقع الجلد كما يزول الشحم الضار ، وحتى مخزون البروتين فانه يستهلك بموجب نظام معين : ففى حين تفقد العضلات ٤٠ فى المئة من وزنها ، فإن القلب لا يفقد أكثر من ثلاثة فى المئة ، وكذلك الطحال والكبد فإن النقصان فيها يصل إلى ٦٧ فى المئة للطحال و ٥٤ فى المئة للكبد ، أما أنسجة الأعصاب والمخ فانها لا تمس أبدا . وقد اثبت الأستاذ المختص بعلم وظائف الأعضاء أن صوم واحد وثلاثين يوما لا يفسد تركيب الدم إطلاقا . وباختصار فان الأجهزة الرئيسية لا يكاد يصيبها شىء . والجسم فيه يتناول غذاءه من مخزونه ، فإنه يوفر على نفسه اجهاد عملية الهضم . وإليك البرهان :

إن نبض القلب يصل الى ٧٠ نبضة فى الدقيقة أى الى (١٠٠٨٠٠) فى كل أربع وعشرين ساعة ، أما فى فترة الصوم فإنه يعفى من المساعدة فى عملية الهضم فينخفض نبضه الى ٦٠ نبضة فى الدقيقة ، أى الى (٨٦٤٠٠) نبضة فى اليوم الكامل وذلك بنقصان (١٤٤٠٠) . وإذن فليس مما يدعو الى الدهشة أن نشعر بأننا اكثر شبابا وحيوية بعد فترة الصيام بل احد نظرا . واجد اهابا وأكثر ذكاء .

ونحن كلما ازداد احساسنا بالتعب اشتدت حاجتنا الى الصوم ، ذلك ان هذا التعب ما هو إلا تعبير عن تسمم جهازنا .

وطرق الصوم التى ينصح بها المختصون مختلفة ، فبعضهم يرى أن يكون الصيام لمدة ٢١ يوما كما فى أمريكا .

أما فى أوروبا فإنهم يفضلون فترة صيام تستمر أربعة أيام ، تتبعها فترة افطار ، ثم صيام لأربعة أيام أخرى ، ثم افطار وهكذا . وبعضهم ينصح بشرب السوائل الساخنة فى فترة الصيام ، وهناك آخرون يرون أن الأفضل شرب عصير الفواكه . وعلى أى حال فإن الجميع متفقون على ضرورة الامتناع عن المشروبات الكحولية ، والقهوة والشاى والسجاير ، ويرون أن تتم فترة الصيام فى المصح .

أما البلاد التى ليس فيها مثل هذه المصحات ، فإن الاخصائيين لا يرون مانعا أن يصوم الإنسان فى بيته ، على أن يلزم فراشه ويخلد الى الراحة يوما كاملا أو يومين فى الشهر .. أو كلما دعت الحاجة ..

« **الوعى الإسلامى** » الى هذا وصل بحث الانسان فى فوائد الصوم ، واختلفت وجهة نظره حسب علمه وبحثه وتجاربه . وتضطرب افكارنا إزاء هذه الآراء التى يراها الإنسان .. وحينئذ فلا مناص لنا من أن نلتزم بما رآه لنا الحكيم الخبير من نظام للصوم . على انه ينبغى أن يكون مفهوما لنا جميعا أن الصوم لا يأتى بالفائدة المرجوة منه ما لم نلتزم بالآداب التى تراها الشريعة فى نظام الأكل عند الفطور والسحور .. والحقيقة دائما مع شريعة الله . عرفناها أم غابت عنا كلها أو بعضها . والعلم الصادق يخدم الإيمان ويتلاقى مع الحقائق التى يقوم عليها الإسلام ..

واحة فى صحراء الزمن

واحة عب من شذاها الزمان   حولها النور والهدى شطآن
وبها الخلد والقداسة والحق   أزاهير .. دونها الريحان
وعليها تساقطت قطرات   بل شآبيب صاغها الرحمن
بينات من الهدى غمرتها   فاحتواها بنوره القرآن
واحة أنت فى الزمان أراها   كجنان الخلود يا (رمضان)

أيقظ الكون ، واسقه ، فهو حى   ظامىء الروح ، قلبه وسنان
وامسح الاثم من قلوب تراخت   فيك يرجى لذنبنا الغفران
أنت فى معبد الزمان صلاة   وعلى وجه سفره عنوان
وضياء اذا الظلام ترامى   يهتدى فيك سادر حيران
عجبا ! فيك من يجوع ويصدى   فاذا القلب مرتو شبعان
فيك تصفو النفوس فهى مرايا   كل وجه بحسنها يزدان
ويروح الصلاح فيك ويغدو   وينفر الفساد وهو جبان
أنت حفل .. أقامه الله للبر   ويدعى لبذله المعوان
أنت عدل .. اذا المؤذن نادى   وجد الناس خبزهم أين كانوا
أنت حقل .. به الجداول والخضـ   ـرة ، والحب فيه والعيدان
أنت فضل .. فليس للدهر وزن   ان خلت من ظلالك الأزمان

للأستاذ: محمد الهادي إسماعيل

أنت فصل الربيع فى زمن الاســ ـــلام ، تزهو بفيضك الأغصان
أنت دنيا .. بها ســعادة أخرى   أنت أخرى .. بها الحيـاة جنان
ربـح الدين فيك غزوة بـــدر   وبك الفتـح جاء والفرقـان
ليلة فيـك ، أن وزنـت ازاهـا   ألف شـهر .. سيرجح الميزان

اذكر الله أيهـا الشرق ، فقد را ن على الصدر عنـدك النسيان
اذكر الله بالصـلاة ، وبالصـو م ، فقـد كاد أن يفـوت الأوان
واذا صـمت فلتصـم عن قبيح   ما من الصـوم ذلك العصيـان
واحرس الغاب من عوادى الليالى   كيف تأوى لغابـك الجـرذان ؟
كيف أمسى الأبى فيك شريـدا ؟   كيف أضحى وقوتـه الحرمان ؟!
هل أبى على الزمـان .. عزيـز   يمضـغ الذل .. يحتويه الهوان ؟
انما الدين مصحـف وكفـاح   ليعز الاسـلام والأوطـان
انما الدين صاح ـ فى المدفع الرشـ ـاش .. مثل المساجد الميدان
يا بنى يعرب ، ازيلـو الأسى من   موطن العز ، انـه أسـوان
بكفـاح يطهـر الأرض من رجسـ ـس ثعابيـن ما لهـن أمان
يرض عنا الاله ، والراقـدون الـ شـم ، والمجد والعرين المصان



ومر العام يا رمضان تثقله خطاياه

ومر العام لم يترك سوى ذكرى ضحاياه

سوى جرح كوخز الجمر فى الأعماق سكناه

سوى دمع على خد العروبة شق مجراه

ومر العام ما غنت لأمسية صباياه

ولا اختضبت عرائسه ولا اكتحلت عذاراه

ولا احيا لياليه سوى انات جرحاه

سوى قيثارة ثكلى ترجّع فى زواياه

الى أن جاءنا رمضان يرفل فى عطاياه

ويسكب فى مسامعنا من القرآن نجواه

ترى قد جاء شهر الصبر لما أن فقدناه

ليسكن قلبنا الدامى يعشش فى حناياه

اجاء ليمسح الآلام عن ليل أرقناه

اجاء ليزرع الاصرار فى دمنا ويرعاه

الأستاذ : محيي الدين عطية

ويدفـــــع زورق الشـــهداء للفـــردوس مرســـــاه
ويعلـــن مـــن مآذننـــا مـــع الأعيـــاد بشـــراه
أمـــن رايـــات ماضينـــا تـــرى نســـجت جنـــاحاه
أمـــن « بـــدر » ويـــوم « الفتـــح » ألويـــة بيمنـــاه
تخط علـــى مـــدى الأيـــام للتاريـــخ مجـــراه
وبعـــد .. فكـــم حبانـــا اللـــه فضـــلا ما حمدنـــاه
وكـــم كنـــا اذا طابـــت لنـــا الأيـــام ننســـاه
وننســـى فضـــله حتـــى اذا ضـــاقت ذكرنـــاه
ومنـــا من يمـــر العـــام تنكـــره مصـــلاه
ومنـــا من اذا صلـــى فمـــا سلمـــت نـــوايـــاه
ولكنـــا برغـــم البعـــد مـــا زلنـــا رعـــايـــاه
وما زلنـــا ـ مـــع العصيـــان ـ نسألـــه عطايـــاه
ففـــى أرواحنـــا قبس مـــن الرحمـــن صنـــاه
الا فاشهـــد لنـــا رمضـــان أنـــا ما كفرنـــاه
وأنـــا اليـــوم نأتيـــه بتوبتنـــا لنلقـــاه

علاقة الاسلام باللغ

وجه سيادة الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى — بالرباط — المنبثق عن جامعة الدول العربية استفتاء حول علاقة الاسلام باللغة العربية وكان نص السؤال :

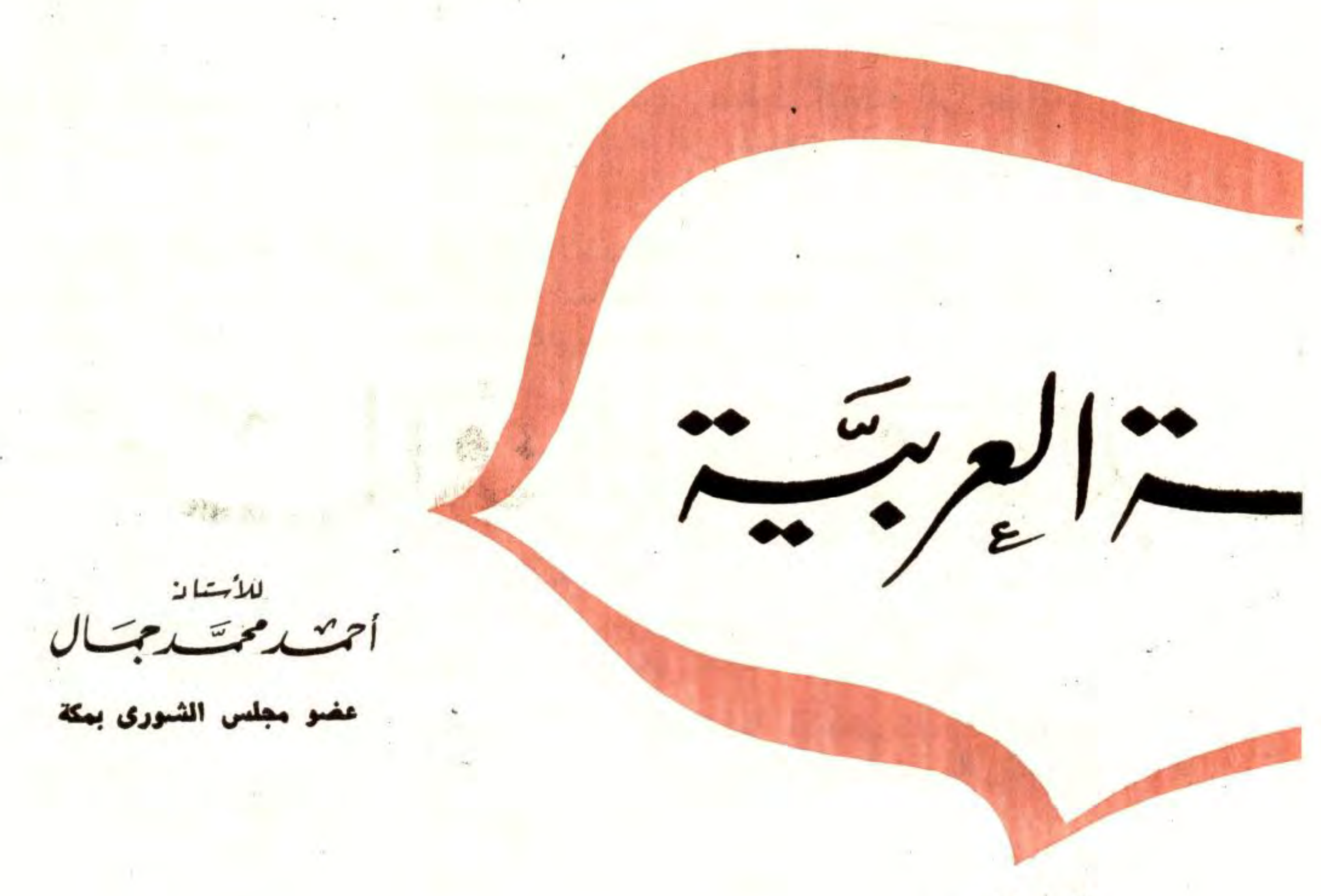
هل هناك تلازم وارتباط بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ؟
وقد تلقيت الاستفتاء عن طريق وزارة المواصلات ووزارة الاعلام بالمملكة العربية السعودية وقرأت فى مجلة (الوعى الاسلامى) بيانا عنه ، ودعوة الى الاجابة عليه .

□□□

ان الواقع التاريخى للغة العربية وللدين الاسلامى — خلال اربعة عشر قرنا — يثبت حقيقة التلازم والارتباط بين انتشار كل منهما وازدهاره بمساعدة الآخر .

هذا الى جانب حقيقة أخرى واضحة وثابتة وهى : أن فى كل من الدين الاسلامى واللغة العربية من القوة الذاتية والاستعداد الاصيل ما يكفل له الغلبة والانتصار .

فاللغة العربية — ذاتها — لغة حية ادت رسالتها فى الحياة خير اداء ، وعبرت فى عصورها الاولى عن حاجات المجتمعات التى تتخذها لغة لها تعبر بها عن مطالبها وآلامها وعلومها وآدابها وفنونها ، وما زالت مستعدة للتعبير عن الحياة وما جد فيها ، ومستعدة أن تتسع أكثر من ذى قبل لكل جديد مبتكر ومخترع حديث كما يقول الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار فى كتابه (الفصحى



للأستاذ
أحمد محمد جمال

عضو مجلس الشورى بمكة

والعامية) .

واللغة العربية — ايضا — من اغنى لغات البشر ثروة لفظية تستوعب حاجات الامة الحسية والمعنوية كما يقول الاستاذ مصطفى السقا فى مقدمة كتاب (المعجم العربى) للدكتور حسين نصار .

والعرب منذ أواخر العصر الجاهلى مهتمون بلغتهم معتزون بتراثها الادبى ، وقد قيل (الشعر ديوان العرب) ولكن اهتمامهم واعتزازهم بها ازداد مع ظهور الاسلام ، لأن الله عز وجل اختارها لغة لدينه قرآنا وسنة وعبادة وتشريعا وسيأتى تفصيل ذلك فيما بعد .

ثم تضاعف الاهتمام والاعتزاز باللغة العربية وحفظ التراث اللغوى وتنقيته من الدخيل الاعجمى أثناء الفتوح الاسلامية وبعدها .

وعلى الرغم من أن الاستعمار الغربى كان يعمل لهدم اللغة العربية بحسبانها لسان الدين الاسلامى الذى ما يزال يحاول هدمه بالدعوة الى استخدام اللهجات العامية لغة للتاليف والكتابة كما فعل اللورد (دفرين) السياسى البريطانى حين طالب بتدوين العلوم باللغة العامية المصرية ، وكما حاول المستعمرون الفرنسيون فى الجزائر ، الا أن هذه الدعوات والمحاولات الاستعمارية قد باءت بالخيبة والفشل والخسران المبين .

وليس ادل على خطأ هذه الدعوات والمحاولات وخداعها وافترائها — وان صدرت أحيانا من بعض الكتاب العرب — من رأى الكاتب الانجليزى (هكسلى) الذى قال : ان كتابة العلوم والآداب بلغة العامة يضعف المواهب العلمية ويقضى

على ملكة الانشاء الفصحى . لذلك ينبغى ان نرقى بعقول العامة الى فهم لغة العلم والادب العالية لا أن ننزل بالعلماء والادباء الى مستوى العامة .

□□□

وننتقل الآن الى الحديث عن اثر الاسلام فى انتشار اللغة العربية وسنروى أقوال بعض ائمة اللغة والادب مختصرة عن حقيقة (التلازم) القوى بين انتشار الاسلام بالعربية وانتشار العربية بالاسلام .

ونبدأ بالازهرى الامام اللغوى المشهور . فهو يقول فى مقدمة كتابه (تهذيب اللغة) : الحمد لله على ما أصبغ علينا من نعمه الظاهرة والباطنة ، وهدانا الى تدبر تنزيله ، والتفكير فى آياته ، والايمان بمحكمه ومتشابهه ، والبحث عن معانيه والفحص عن اللغة العربية التى نزل بها الكتاب والاهتداء بما شرع فيه ، ودعا الخلق اليه ، واوضح الصراط المستقيم به ، وهداهم الى ما فضلنا به على كثير من اهل هذا العصر فى معرفة لغات العرب التى نزل بها القرآن ، ووردت سنة المصطفى النبى المرتضى عليه الصلاة والسلام .

هذا النص من مقدمة (التهذيب) لأحد ائمة اللغة الاعلام كاف لأن نتبين الباعث الاساسى على الاهتمام باللغة العربية وتدوينها وتصحيحها ونشرها الا وهو (الاسلام) قرآنا وسنة وعبادة وتشريعا ..

والقرآن نفسه قبل كلام الازهرى وأمثاله من علماء اللغة يؤكد حقيقة هذا الباعث الاساسى للاهتمام باللغة العربية والاعتزاز بتراثها العلمى والادبى :

فقد من الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى العرب الذين بعث فيهم ومنهم بقوله عز وجل : « انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » وقوله « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » وقوله « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وقوله سبحانه « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » . . . الخ .

فنزول القرآن الكريم بالعربية ــ كما يتضح من آيات القرآن نفسه ــ دليل اهميتها وافضليتها وباعث نهضتها وصاحب الفضل الاكبر والاثر الاظهر فى نشرها وخلودها وهى ــ أيضا ــ لانها أغنى اللغات بيانا وأقواها برهانا ، كانت ولا تزال عاملا مساعدا لنشر الاسلام والاقبال عليه ، ويكفى تدليلا على ذلك اختيار الله لها لسانا لدينه العام والاخير وهو الاسلام ، ومنه بذلك على العرب خاصة والمسلمين عامة .

وقد روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال (لسان العرب أوسع الالسنة مذهبا واكثرها الفاظا والعلم بها عند العرب كالعلم بالسنن عند أهل الفقه) .

□□□

ويقول الازهرى فى مقدمته : ان تعلم العربية التى يتوصل بها الى تعلم ما تجزىء به الصلاة من تنزيل وذكر فرض على عامة المسلمين ، وان على الخاصة التى تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون اليه لدينهم الاجتهاد فى تعلم

لسان العرب ولغاتها ، التى بها التوصل الى معرفة ما فى الكتاب (القرآن) ثم فى السنة والآثار واقاويل اهل التفسير من الصحابة والتابعين من الالفاظ الغريبة فان الجهل بذلك جهل بجملة علم الكتاب .. الخ .

ثم يذكر الازهرى من أسباب قيامه بتأليف كتابه : النصيحة الواجبة على اهل العلم لجماعة المسلمين ، كما جاء بها التوجيه النبوى « الدين النصيحة » أى ان دينه حمله على ان يضع كتابه فى اللغة العربية لافادة الناس ما يحتاجون اليه ، والدفاع عن لغة العرب التى جاء بها القرآن وجاءت بها السنن والآثار .

ويقول الاستاذ العقاد رحمه الله في مقدمة كتاب (الصحاح) للأستاذ العطار (ولقد قيل كثيرا ان اللغة العربية بقيت لأنها لغة القرآن وهو قول صحيح لا ريب فيه ، ولكن القرآن الكريم انما أبقى اللغة لأن الاسلام دين الانسانية قاطبة ، وليس بالدين المقصور على شعب أو قبيل ، وقد ماتت العبرية وهي لغة دينية أو لغة كتاب يدين به قومه ، ولم تمت العبرية الا لأنها فقدت المرونة التى تجعلها لغة انسانية ، وتخرجها من حظيرة العصبية الضيقة حيث وضعها ابناؤها منذ قرون) .

ثم يضيف الاستاذ العقاد (ان هذه الفضيلة الانسانية التى لا تفرق بين العربى والاعجمى ولا بين القرشى والحبشى لهى التى انهضت لخدمة اللغة أناسا من الاعاجم غاروا عليها من حيف الاعجمية ، أى أنهم غاروا عليها من لغة أمهاتهم وآبائهم ، لأنها لغتهم على المساواة بينهم وبين جميع المؤمنين بالقرآن الكريم كتاب الاسلام) .

ويقول العقاد ايضا :

(وستبقى اللغة العربية ما دام لها أنصار يريدون لها البقاء ، ولم ينقطع انصارها فى عصرنا الحاضر بل نراهم بحمد الله يزدادون ويتعاونون ، ويتلاقى أبناء البلاد المختلفة على خدمتها ودعمها لأنهم مختلفون بمواقع البلاد متفقون بمقاصد الضمائر والالسنة والافكار) .

ان العقاد يعنى بذلك أن انسانية الاسلام وعالمية تشريعه الحكيم هى التى ساعدت على انتشار اللغة (العربية) التى هى لغة كتابه (القرآن) الذى وحد فى المؤمنين به (مقاصد) الضمائر والالسنة والافكار على الرغم من اختلافهم فى مواقع البلاد .

□□□

ويقول الدكتور حسين نصار فى كتابه (المعجم العربى) (لم تنهر اللغة العربية بانهيار الدولة الاموية وذلك بفضل القرآن ، الذى أحاط العربية بهالة من القداسة ، والجلال غمرت كل مسلم مهما كان جنسه ومهما كانت لغته ، فاستمرت حية تتوارثها السنة جيل بعد جيل ، وان السبب المباشر الذى أظهر الدراسات اللغوية هو ارتباطها بالدراسات الدينية واتحادهما فى النشأة ، فقد انزل القرآن كتاب العربية الاعظم على الرسول العربى الكريم ليدعو قومه الى سبيل الرشاد ، فكان بلغتهم وعلى أساليب كلامهم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة من بعده المرجع فى تفسير القرآن ثم جاءت الحركة

العلمية الاولى عند المسلمين التى شملت فى مدة وجيزة جميع العلوم التى عرفها العالم القديم ، فما اتصل بالقرآن كان أولها ظهورا حيث ظهرت كتب (غريب القرآن) ثم كتب (غريب الحديث) وكان آخر الظواهر التى أمدت الدراسات اللغوية بالروافد ظاهرة التدوين العلمى حيث وضعت معظم العلوم العربية فى أواخر العصر الاموى وأوائل العهد العباسى كعلوم القرآن والحديث والفقه والاصول والنحو والرياضة والمنطق والكلام والفلسفة الخ) .

ويقول عالم اسلامى جليل : (ان انتصار الصليبيين فى الإندلس وانتصار اليهود فى فلسطين .. أعظم شاهد على أنه حين يطرد الاسلام من أرض ، فانه لا تبقى لغته ولا قوميته ، بعد اقتلاع الجذر الاصيل) .

ويقول أيضا : (ان المماليك — وهم من جنس التتار — حموا من التتار بلاد العرب ، مع أنهم ليسوا من جنس العرب ، فصمدوا فى وجه بنى جنسهم المهاجمين دفاعا عن الاسلام ، لأنهم كانوا مسلمين .. صمدوا بايحاء من العقيدة الاسلامية ، وبقيادة روحية اسلامية من الامام المسلم (ابن تيمية) الذى قاد التعبئة الروحية وقاتل فى مقدمة الصفوف .. وكذلك حمى صلاح الدين الايوبى هذه البقعة من اندثار العروبة والعرب واللغة العربية ، وهو كردى لا عربى .. وهو انما حفظ لها عروبتها ولغتها حين حفظ لها اسلامها من غارة الصليبيين ، لقد كان الاسلام فى ضمير صلاح الدين هو الذى كافح الصليبيين ، كما كان الاسلام فى ضمير المظفر قطز والظاهر بيبرس والملك الناصر .. هو الذى كافح التتار المتبربرين) .

□□□

ويؤكد جورجى زيدان فى كتابه (آداب اللغة العربية) تأثير القرآن فى أخلاق أهله وعقولهم وقرائحهم ومعاملاتهم . فالصبغة القرآنية أو الاسلامية — كما يقول — تظهر فى مؤلفات المسلمين ، ولو كانت فى موضوعات علمية .. كالفلسفة والفلك والحساب ، فضلا عن العلوم أو الآداب الشرعية .

وبعد أن يشير جورجى زيدان الى تأثير القرآن فى حياة المسلمين المعاشية والاجتماعية يقول :

(.. وهذا ما لا نراه فى الإناجيل — مثلا — فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط . ولا نجد فيها شرعا ، ولا حكومة ، ولا احوالا شخصية .. أو نحو ذلك) . ثم يضيف : (وبالجملة فان للقرآن تأثيرا فى آداب اللغة العربية ، ليس لكتاب دينى مثله فى اللغات الاخرى) .

وجورجى زيدان هذا — كما نعلم — كاتب مسيحى معروف ..

فاعترافه بتأثير القرآن على المسلمين خلقا وادبا ولغة وثقافة ، وخلو الكتب الاخرى ، ومنها الأناجيل ، من هذا التأثير — اعترافه هذا له قيمته الكبيرة ، ودلالته الخاصة .

□□□

وفى كتاب (اللغات السامية) لأرنست رينان تأكيد آخر لأثر الاسلام فى انتشار اللغة العربية ، فهو يقول : (ان من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر ،

وصعب حل سره : انتشار اللغة العربية .. حيث بدت فجأة فى غاية السلاسة والغنى والكمال ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة . ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم الى اللغة العربية ليفهمها النصارى) .

كما يقول المستشرق برنارد لويس فى كتابه (العرب فى التاريخ) :

(ان موجات الفتح الكبرى التى تلت موت محمد ، واقامة الخلافة على رأس الامة الاسلامية الناشئة ، قد سطرت بحروف كبرى كلمة (عرب) على خريطة القارات الثلاث : آسيا وافريقيا وأوروبا ، وجعلت منها عنوانا لفصل حاسم رغم قصره ، فى تاريخ الفكر والاعمال البشرية) !

□□□

وبعد .. فنكتفى بهذه الآراء والنظريات الحاسمة ، لبعض ائمة اللغة والادب والتاريخ — فى القديم والحديث — مسلمين وغير مسلمين .. كحجة ساطعة قاطعة على مدى التلازم الوثيق والارتباط الشامل بين انتشار الاسلام بالعربية ، وانتشار العربية بالاسلام ، لأنها لسانه المبين ، ولغته الساحرة ، ولأنه هو روحها النافذ ، وعقلها الرشيد .

أما الاسئلة الجانبية الملحقة بالاستفتاء فنجيب عليها بايجاز :

س ١ : هل تلاحظون أن الوعى الاسلامى والوازع الدينى يقويان أو يضعفان تبعا لضعف لغة الضاد أو قوتها ؟

ج ١ : لا .. فالوعى الاسلامى والوازع الدينى يقويان أو يضعفان بعوامل اجتماعية وثقافية وتربوية ايجابا وسلبا .

س ٢ : ما هو مدى تأثير الفكر الاسلامى عن طريق لغة القرآن فى اللغات الاقليمية فى الاقطار الاسلامية غير العربية أو لدى الجاليات الاسلامية فى الاقطار الآسيوية والغربية ؟

جـ ٢ : الملاحظ أن للفكر الاسلامى عن طريق لغة القرآن تأثيرا كبيرا فى السنة غير العرب من المسلمين . فهم يحاولون فى اعتزاز أن يقلدوا العرب فى لغتهم وافكارهم وسلوكهم ، ويرون فى العرب ولسانهم قدوة حسنة لان القرآن نزل عليهم وبلغتهم .

س ٣ : ما هى المكانة التى يجب أن تحتلها العربية فى بلدكم بالنسبة للغات الاجنبية ؟

جـ ٣ : اللغة العربية يجب أن تحتل المكانة الاولى فى كل بلد اسلامى بصفة عامة ، وفى كافة البلاد العربية بصفة خاصة ، وفى بلدى منزل القرآن ، ومولد الرسول ، ومهبط الوحى بصفة أخص .

□□□



تأديب المفطرين

للأستاذ: علي الجندي

هناك أسباب مسوغة للافطار فصلها الفقهاء فى مظانها ، لأن الدين يسر لا عسر ، وصحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان ، كما تقضى الأحكام الشرعية .

ولكن مما يملأ النفس أسى ولوعة ، أن نرى بعض الشباب القوى المملوء صحة وعافية ، القادر على الصوم ، يفطر جهارا نهارا بلا حياء ولا خجل فى شهر رمضـــان ، ويتحدى الصائمين المخبتين ، ينفث الدخـــان فى وجوههم ، بالأماكن الضيقة ، وفى المجالس والسيارات الحافلة ! فكأنه لا يكفيهم أن يظهروا فى صورة الخارج على الدين ، الفاسق عن أمر ربـــه ، حتى يضموا الى ذلك ، التجرد من الحياء ، والتخلق بأخلاق المجان والخلعاء ! السادرين فى الغواية والضلال ! وليتهم اذ أفطروا تستروا على أنفسهم ، تصونا من القحة والسفه ، عملا بالأثر (رحم الله امرأ ذب الغيبة عن نفسه) .

ومثل هذا قل : فى بعض الشواب اللاتى يزدن على ذلك ، التبرج المقيت فى المعارض القصيرة المبتذلة ، الكاشفة عن الظهور والبطون ، والسيقان ، بل وبعض الأفخـــاذ !

وقد كان أبناء الأديان الأخرى فى الزمن السالف والى وقت قريب ، يوقرون شعور اخوانهم المسلمين ، فلا يطعمون ولا يشربون أمامهم !

ويروى بعض المؤرخين : أن أحد المجوس رأى ابنه يأكل فى رمضان فضربه ، وقال له : هلا حفظت حرمة المسلمين فى رمضان ؟!

وبعض هؤلاء كان يصـــوم رمضـــان بالفعل ، كالأديب العظيم أبى اسحاق الصابى ، مجاملة للمسلمين ، كما كان يحفظ القرآن احسن حفظ !

ولم يتطرق الانحلال الى هذه العادة النبيلة ، الا بعد أن رأى غير المسلمين : أن المسلمين أنفسهم ، لا يرعون حرمة الصيام ! فكيف يرجون لهم وقارا ؟! وصدق الشاعر حيث يقول :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها   هوانا بها كانت على الناس أهونا

ولم يكن أسلافنا ــ رضوان اللـــه عليهم ــ يسكتون عن مثل هـــذه الجرأة الصارخة على انتهاك رمضان ! :

يحدث الكلبى عن عوانه : :قال خرج النجاشى الشاعر فى أول يوم من شهر رمضان ، فمر بأبى سمال الأسدى ــ وهو قاعد بفناء داره ــ فقال له : أين تريد ؟
قال أردت الكناسة (١) .

قال : هل لك فى رؤوس وأليات (٢) قــد وضعت فى التنور من أول الليل ، فأصبحت قد أينعت وتهرأت !
قال : ويحك ! أفى أول يوم من رمضان ؟
قال : دعنا مما لا نعرف !
قال : مــه !
قال : أسقيك شرابا كالورس(٣) ، يطيب النفس ، ويجرى فى العرق ، ويزيد فى الطرق (٤) ، ويهضم الطعام ، ويسهل للفدم (٥) الكلام !
فنزل فتغديا ! ثم أتاه بنبيذ فشربا !
فلما كان آخر النهار ، فضحهما الله ــ تعالى ــ فعلت أصواتهما !
وكان لهما جار من شيعة الامام على ــ كرم الله وجهه ــ فأتاه بخبرهما !
فأرسل الامام اليهما قوما أحاطوا بالدار ! فأما أبو سمال فوثب على دار من دور بنى أسد فأفلت ! وأخذ النجاشى !
وفى الصباح أقامه الامام فى سراويل ، وضربــه ثمانين سوطا ! ثــم زاده عشريـــن !
ونقل ابن حزم : أنه أحضره ثانى يوم ، وجلده عشرين سوطا !
فقال النجاشى : يا أمير المؤمنين : أما الحد فقد عرفتـــه ، فما هذه العلاوة ــ يعنى العشرين ــ ؟
فقال الامام : لجرأتك على الله ، وافطارك فى شهر رمضان !
ثم أقامه فى سراويل للناس فجعل الصبيان يصيحون به : خزى النجاشى ! خزى النجاشى !
وأتى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ برجل شرب الخمر فى رمضان !
فلما رفع اليه عثر الرجل ! فقال عمر : على وجهك ! ويحــك ! وصبياننا صيام ! ثم أمر به فضرب ثمانين سوطا !
ثم سيره الى الشام !

---

١) الكناسة : بضم الكاف : موضع بالكوفة .

(٢) الأليات : بفتح الهمزة واللام والياء ــ جمع ألية ــ بفتح فسكون ــ وهى العجيزة ، أو ما حمل العجز من لحم وشحم ، ولا تقل : الية ــ بكسر الهمزة ــ ولا لية .

٣) الورس ــ كورد ــ : نبات كالسمسم لا يزرع الا باليمن ، تصبغ به الثياب ، ومنه ثــوب مورس بالتشديد ــ .

٤) الطرق ــ كفرق ــ : الوقاع .

٥) الفدم : العيى عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والأحمق الغليظ الجافى .

وكان رضى الله عنه إذا غضب على انسان سيره الى الشام .

وفى عهد الملك الكامل الأيوبى ، كان يامر فى رمضان باغلاق محلات الخمور فى القاهـــرة ، وجميع انحاء البلاد ، واغلاق المطاعم والمقاهى نهـــارا ، وامساك البغايا والقيان !

وكان يذيع هذا النداء : يا اهل مصر ، قد اظلكم شـــهر مبارك ، من لم يصمه بغير عذر شرعى ، فقد باء بغضب الله عليه ! واستحق اشد انواع العقاب ! واستهدف لغضبنا عليه ! وانزال اشد عقوبتنا به !

وكان عند ثبوت الرؤية ، ينزل بنفسه فى اول يـــوم من رمضـــان ، لمباشرة الأسواق ! وتفقد أحوال الرعية ، فاذا صادف مفطرا ، وتبين انـــه افطر تهاونـــا بحرمة الشهر ، أمر بطرحه ، وضربه ضربا مبرحا !

وقد نص العلماء : على أن المفطر عمدا من غير عذر ، مع اعترافه بأن الصوم فرض ، حكمه أن يحبس حتى يتوب ! ويظهر من آثار التوبة ما يعرف عنه : أن توبته توبة نصوح !

ونصوا كذلك : على ان المصر على ترك الصوم يقتل ، وان كان منعتـــه (٦) لا يسلمونه للحبس ، يقاتلون ، كما فى ترك الصلاة !

ولو اكل عمدا شهرة بلا عذر يقتل !

قال الشرنبالى : « تعمد من لا عذر له الأكل جهارا يقتل ، لأنـــه مستهزىء بالدين أو منكر لما ثبت منه بالضرورة ، ولا خلاف فى حل قتله والأمر به » ! (كما جاء فى شرح الدر على المذهب الحنفى) .

ويقول الصفورى من الشافعية : لو امتنع انسان من الصوم لغير حاجة ، حبس ومنع من المفطرات !

وكان سعيد بن المسيب ، يوجب فى قضاء رمضان صوم شهر عن كل يوم !

ونقل عن الأوزاعى امام الشام : انه يجب فى قضاء رمضان ثلاثة آلاف يوم !

وهذا كله من التغليظ على منتهك حرمة هذا الشهر الكريم بلا مقتض ، والا فالكفارة الشرعية على من له عذر معروفة .

والحق : انه مع ضعف الوازع الدينى فى العصور المتأخرة ، ومجاهرة بعض الناس بالافطار ، صفاقة ووقاحة ، وهم الذين قال فيهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « كل أمتى معافى الا المجاهرين » .

الحق : أنه مع ذلك لا يزال كثير من العامة ، يعد الصيام اهم فرائض الدين ، فتراه يترك الصلاة كلها أو بعضها ، أو يؤديها فى غير وقتها ، ولكنـــه لا يفرط فى صيام رمضان !

---

٦) منعة الرجل ــ بفتح الميم والنون والعين : عشيرته .

بل منهم من يترك نفسه ترعى حيث تحب ، وترتع كما تشاء ، حتى اذا بزغ هـــلال رمضان ، انقلب من شيطان رجيم ، الى ملك كريم ! واقبـــل على العبادة بنفس لوامة !

والله المرجو ان يديمه على طريق الهداية والرشـــاد ، فلا يعود الى مآلف لذاته ، ومعاهد شهواته .

ولا نزال نسمع فى القرى ، وفى بعض الأحياء من المدن صبيانـــا يصيحون هذه الصيحة المدوية الزاجرة ، التى تقرع أسماع المفطرين بغير حق :

يا فاطر رمضان   يا خاسر دينك
كلبتنا الســـودة   تقطع مصارينـــك

والحق أيضا : أن صيام رمضان المفروض على المسلمين ، لا يعد صيامـــا قاسيا ولا ضارا ، بل ولا يوصف : بأنه شاق ! لأن المنان الرحمن لا يكلف عباده ما لا يطيقـــون !

وقد دلت النظريات الطبية على أن الجوع الذى يحس الصائم بـــه اذا حان وقت طعامه المعتاد انما هو جوع كاذب أو محتمل ، سببه العادة ، لأن المعدة الفت أن يلقى اليها بالطعام فى هذا الوقت! ولهذا لا نسمـــع صوت المعـــدة ولا نحس وجودها ، اذا احتضرنا الهم ، أو شغلتنا الشواغل ، واضطربنا فى خضم الحياة !

وهناك ما هو أدل على أن جوع الصائم مرده أكثر ما يرد الى حكم العادة ، اننا لا نشعر بلذع الجوع ، الا فى الأيام الأولى من رمضان ، حتى اذا مضت منه أيام ، مرنا على الصوم ، والفناه وحمدناه ، وسكنا اليه ، واصبح هو القاعدة ! فاذا ما انقضى رمضان ، وعدنا الى عاداتنا المعهودة من قبل ، وجدنا فى أنفسنا انقباضا عن الطعام والشراب ، واحسسنا أن الفطر ثقيل ومتعب ، ومضيع للوقت!

واذكر أننى التقيت مرة بالصـــديق التقى الورع خادم القرآن ، المرحـــوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، فعرفت أنه يصوم صيام داود ـــ عليه السلام ـــ فقلت له : وهل تستطيع أن تقوم بهذه الأعمال الفكرية الشاقة مع هذا الصوم المتواصل ؟

فكان جوابه : لولا هذا الصيام ، لم استطع أن أقـــوم بأى عمل ! وان هذه الأعمال من ثمرات هذا الصيام !

هذا هو الحق الذى لا شك فيه ، فليس لهؤلاء الشبان الأقوياء العتاة عذر فى الافطار !

وحتى لو كان لبعضهم عذر ، لكان من الحياء والتذمم ، والبعد عن الشبهات أن يعملوا بالأثر الشريف : (اذا بليتم فاستتروا) .

والله ولى التوفيق ، والهادى الى أقوم طريق .



يكتبها: عبد المنعم النمر

آداب من الاسلام :

قال لى : سمعت متحدثنا يذكر ما رآه فى الغرب من نظافة ونظام ، وعناية بالحدائق ، وعدم قطع زهورها الخ . . . ويقول : ان الاسلام عنى بمثل هذه الأمور وغيرها . فتعجبت من قوله هذا ، وأراه أنه قد بالغ كثيرا .

فقلت له : لم يبالغ ، فان الاسلام عنى بكل شىء يتصل بحياة الناس صراحة أو ضمنا وله فيه توجيهات ربما خفيت على البعض ، أوظنوا أن عناية الاسلام لا تصل اليه .

وقد لفتت نظرى هذه المحادثة ، ورأيت فيها عدم اطلاع كثير من المثقفين المسلمين على آداب الاسلام التى شملت جوانب الحياة كلها . فى الوقت الذى عرفوا فيه الكثير من الآداب الغربية ، وظنوها من مخترعات الغرب . ومن اجل هذا أحببت أن أضع أمامه ، وأمام الكثير ممن قد يشاركونه فى نظرته نماذج من التوجيهات النبوية فى أمور الحياة العامة . . واترك له وللقارىء فهم هذه التوجيهات ، ومدى ما تضفيه على الحياة من بهجة ، وما تتركه فى النفوس من راحة واطمئنان :

وهذه هى بعض التوجيهات النبوية الكريمة :

- اذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع فهو أحق به .
- لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ، ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا .
- لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين الا باذنهما .
- لا يتناجى اثنان وبينهما ثالث .
- أمرنا رسول الله بعيادة المريض . وكان لرسول الله غلام يهودى يخدمه فمرض فعاده فى بيته .
- من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا .
- اتقوا اللاعنين . قالوا : وما اللاعنان ؟ قال : الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم (أى يقضى حاجته) .
- نهى رسول الله أن يبال فى الماء الراكد .
- نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتنفس فى الاناء الذى يشرب منه . .
- نهى الرسول عن الشرب من فم السقاء والقربة .
- نهى الرسول عن النفخ فى الشراب .
- عن عمر بن أبى سلمه قال : كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدى تطيش فى الصفحة (أى يأكل من هنا وهناك من

جوانب الاناء) فقال رسول الله : يا غلام . ســـم الله ، وكل بيمينـــك ، وكل مما يليك .

● من عرض عليه ريحان فلا يرده ، فانه خفيف الحمل طيب الرائحة . .

● اياكم والجلوس فى الطرقات فقالوا : مالنا بد . انما هى مجالســـنا نتحدث فيها . قال : فاذا أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقها . قالوا : وما حق الطريق يا رســـول الله ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد الســـلام وارشاد السبيل ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، واغاثة الملهوف .

فتأمل أخى فى كل أدب من هذه الآداب التى بينها الرســـول ليلتزمها كل جالس فى الطريق وكل سائر كذلك . تجدها عنيت بالآداب اللازمة فى طرقتنـــا وشوارعنا . . .

● اماطة الأذى عن الطريق صدقة .

● كان على الطريق غصن شجرة يؤذى الناس فأماطها رجل (فأزالها) فادخل الجنة .

واذا كان ازالة ما يؤذى الناس من طريقهم جزاؤه الجنة ، فما عقاب الذى يؤذى الناس فى الطرقات برمى الأشواك والأحجار والفضلات وقشور الموز والبرتقال والأوراق وغيرها ؟

●اذا كان لأحدكم شعر فليكرمه . . ومعنى اكرام الشعر دهنه وتطييبه وتسريحه وتهذيبه .

● تخللوا (تسوكوا) فانه نظافة والنظافة من الايمان . ومثله تنظيـــف الأسنان بالفرشاة .

● لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة .

● وقد كان من الوصايا الضرورية للجيوش الاسلامية المحاربة الا يقطعوا شجرا . وهذا فى الحرب مع الأعداء فما بالك فى وقت السلم ؟

هذه بعض توجيهات نبوية كريمة فى أمور قد يظن بعض الناس أن الاسلام لم يعن بها لصغرها . . ولكن الاسلام يعنى بكل دقيقة وكبيرة فى الحياة . لأن من الصغائر تنشأ العظائم . وهفوة صغيرة ، أو ترك لمجاملة قد يسبب الكثير من المتاعب والشرور . .

وأريد أن تتأمل فى هذه التوجيهات ، وتفكر فيما يترتب على مخالفتها من قلة الذوق ، ومن الجفاء بل ومن المشاحنات والمعارك أحيانا . . .

فمثلا : لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه . ماذا لو أقامك واحد بدون رضاك من مجلسك وجلس هو ؟

ماذا لو جاء واحد وجلس بينك وبين صديقك الذى تتحدث معه ؟ ألا تشعر بغيظ من هذا الثقيل ؟

وماذا تشعر به اذا كنت ثالث ثلاثة ، وانصرف الاثنان الى محادثة سرية أو التحدث معا بلغة أجنبية لا تعرفها ؟

ماذا لو قمت من مجلسك تصافح قادما مثلا ، ثم عدت فوجدت ثقيلا من الثقلاء قد احتل مكانك ؟

ماذا لو مرضت ولم يزرك أحد يسأل عنك ويواسيك ؟ ألا تشعر بغضب . وتنطوى نفسك على جفوة للذين أهملوك فى مرضك ؟

ماذا يحدث لو مررت على جماعة جالسين فآذوك ، حتى ولو بضحك بدر منهم وأنت مار عليهم ؟ . . ألا تشعر بحرج ؟ . .

وماذا ؟ وماذا ؟ أسئلة أطرحهـــا على نفسى ، وأحب أن تطرحها على نفسك فيما لو تجاهلنا مثل هذه الآداب التى أرشدنا اليها الرسول .. والتى قد نعدها (بسيطة) ولكنها فى الواقع ذات أثر كبير فى حياة الناس .. عنى بهـــا الاسلام لأنه يعني بتنقية الحياة من كل ما يدنسها أو ينغصها ، أو يزيل بهجتها .

بـــل عليها زكـــاة :

جاءتنى رسالة من السيد / رؤوف هورامانى من السليمانية بالعراق يقول فيها « قرأت فى كتاب اسلامى لعالم مشـــهور فى موضـــوع الزكاة يقول فيها بصراحة وبكل وضوح هذه العبارة الآتية : « تجب الزكاة على الذهب والفضة فقط ولا تجب الزكاة فى الدينار والعملة الورقية الأخرى » ونحن نعلم علم اليقين أن الاسلام لم يجىء لفترة معينة بل للأجيال القادمة حتى آخر الدنيا ، وعملتنا الحاضرة ، بل وعملـــة جميع انحاء العالم عملـــة ورقية ، فكيف لا تجب الزكاة فيها ؟ » .

واننى أبادر فأشكر للسيد / رؤوف غيرته وفطنته ، وأقول له ولغيره من العلماء : ان الزكاة واجبة فى كل « عملة » يتعامل بها الناس ورقا أو غيره من النيكل أو النحاس حتى لو تعارفوا على التعامل بالأحجار لوجبت فيها الزكاة .. نعم تجب لأن الغرض من الزكاة هو مشاركة الفقير للغنى فيما أعطاه الله اياه .. حتى تتيسر له الحياة ، ويستطيع أن يعيش كما يعيش الآخرون ..

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نص على الذهب والفضـــة ، فلأن التعامل فى زمانه كان بهما ، ولأنه من الممكن أن نجعلهما قاعدة ترجـــع اليهما كل عملة أخرى ..

والعملة الورقية كالدينار المتعامل به فى بعض الدول العربية أو الجنيه أو الليرة .. مفروض فيها حسب قواعد النقد الدولية .. أن لهـــا رصيدا من الذهب يغطيها . فالعملة الورقية لهـــا قوة الذهب الذى يغطيها ويضـــمنها ، والعملة المعدنية يمكن تحويلها الى عملة ورقية والى عملة فضية أو ذهبية ..

وعلى هذا يمكن حســـاب ما تساويه الأوراق أو العمـــلات المعدنية التى تملكها على أساس قيمة الذهب . فنصاب زكاة الذهب مثلا عشرون مثقالا كنص الحديث أى ما يساوى ٩٦ جراما ذهبا ، فلو كان فى يدك قيمة الـ ٩٦ جراما ذهبا من العملة الورقية أو المعدنية وجبت عليك الزكاة وقيمتها ربع العشر . وقـــد بينا ذلك بوضوح فى ملحق المجلة الموزع مع هذا العدد فى بحث الزكاة ..

وكنت أحب لهذا العالم وغيره أن ينظر فى حكمة الزكاة قبل أن يفتى أو يكتب . فلو اخذنا بقوله وقلنا لا زكاة على الثروة من العملة الورقية أو غيرهـــا لكان معنى هذا تعطيل ركن مهم جدا من أركان الاسلام . ولأضعنا بذلك الحكمة التى أرادها الشرع من فرض الزكاة ..

اننا نفخر أمام المذاهب الحديثة ، وما أعلنته من كفالة اجتماعية للفقير ، نفخر بأن الاسلام جعل هذه الكفالة احد أركانه الخمسة .. بل ونميل الى الأخذ بفرض ما جعله الله زكاة تطوع ، ودعا اليه المسلمين فى آيات أكثر من آيات الزكاة الواجبة . نميل الى القول بأن للحاكم المسلم أن يجعل هذا التطوع لازما وله الحق شرعا فى ذلك ـــ ما دامت الأمة فى حاجة الى هذا ، وما دامت الزكاة الواجبة لم تغط المصروفات اللازمة للأمة ...

فكيف يجوز لعالم أن يصدر فتوى شرعية بعدم وجوب الزكاة على أصحاب الملايين من العملة الورقية تمسكا بظاهر اللفظ دون أن يفطن الى الحكمة ؟!!

ان هذا العالم وأمثاله لا يخدمون الاسلام بمثل هذه الفتاوى ، بل يسيئون اليه ، ويمكنون الأعداء بل والأصـــدقاء من رقبته .. فليتقوا الله وليقولوا قولا ســـديدا .



(براعم الأقصى)

أثناء زيارتي لعمـــان لفت نظري وجود مؤسسات ومدارس كثيرة تابعة للارساليات الأجنبية تشغل مباني فخمة وضخمة .. فقال محدثي انها مدارس يأتيها الدعم الخارجي فوق ما تدعم به من الداخل ، وعددها في الضفتين مائتا مدرسة .... ولها برامجها ومناهجها وخططها الدراسية ، كما كان الحال في مصر قبل تمصيرها وادارتها بواسطة وزارة التربية المصرية .. وتابع محدثي كلامه وقال . انك تدرك طبعا مدى آثـــار هذه المدارس في عقليتنا وســـلوكنا وأخلاقنا وروحنا الشرقية الاسلامية .. قلت : نعم أدرك ذلك وآسف لعدم قيام مدارس خاصة اسلامية ترعى تربية شبابنا منذ نعومة أظفارهم على منهج عربي اسلامي يطبعهم بطابع بلادهم .

قال لي : عندنا محاولة ناجحة لما تشير اليه .. بدات من ثلاث سنوات واخذت تشق طريقها وتثبت وجودها .

وثاني يوم جاءني مع صاحب هذه المدارس ومديرهـــا الأستاذ يوسف العظم ليدعواني لزيارة هذه المدارس ... فلبيت الدعوة شاكرا لاتاحة فرصة كهذه لي ، راجيا في الوقت نفسه أن أجد فيها الصورة التي رســـمها صاحبي عنها .. وذهبت بصحبة الأخ المؤمن القائد عبد الله التل .. وعنيت بالاطلاع على المناهج وعلى أساليب التربية والدراسة .. ثم تنقلت الى خمس مدارس في أحياء مختلفة وكلها تحمل اسم (براعـــم الأقصى) وفعلا كان طلابها مـــن البراعم ، الذين نرجو أن يتفتحوا في المستقبل ، ليكونوا رجالا على مستوى التربية التي يتلقونها ، وحدثني مديرها عن أهم شيء يعنى به في تربية هؤلاء الصغار من البنين والبنات مع الدراسة المقررة ، وهو غرس الروح والآداب والأخلاق الاسلامية العربيـــة . فهم يستقبلون يومهـــم بنشيد اسلامي ، وهم يحفظون اناشيد عن العقيدة والصلاة والصوم والزكاة والحج .. ويتعودون

الصلاة فى المدارس يتقدمهم المدرسون والمدرسات ، كما يتعودون على قواعد السلوك الاسلامى . .

وكان جميلا أن اسمع من الأطفال الصغار نشيدا مثل هذا :

ان سألتم عن الهى فهو رحمن رحيم
أو سألتم عن نبيى فهو انسان عظيم
أو سألتم عن كتابى فهو قرآن كريم
أو سألتم عن عدوى فهو شيطان رجيم

وان اسمع فى صف آخر نشيد الصلاة :

كلما نادى المنادى هاتفا الله أكبر
خمس مرات نصلى بخشوع وتفكر . .
فى قيام وقعود ما أحيلاها صلاة . . الخ . .

وأن أسمع الصغار الأحبة ينشدون :

أنا أحببت خالقى ونبيى ومصحفى
حين آمنت بالهدى وبدين مشرف
أنا يا قوم مسلم
أنا طفل مرتب وسلوكى محبب
وثيابى نظيفة وكلامى مهذب
أنا يا قوم مسلم
أنا لا أقذف الحجر وبه أقتل الطيور
أنا لا أقطع الشجر أنا لا أسحق الزهور
أنا يا قوم مسلم
قلت للجار مرحبا بيتكم قرب دارنا
قد جعلناه ملعبا فسلام لجارنا
أنا يا قوم مسلم

وبين الأناشيد والألعاب والتوجيه الاسلامى الحانى يتعلم البراعم ويشبون بجوار صفوف أخرى للاعدادى والثانوى فى مدرسة الأقصى . لقد سررت حقا بهذه التجربة التى تدخل عامها الرابع وبما رأيته من اقبال عليها . .

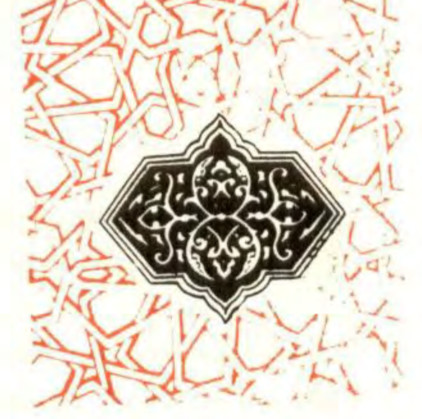
وأرجو أن يزداد نجاحها وتكثر فروعها ، وتكون مثلا يحتذى فى بلاد أخرى . حتى لا يتعلل بعض الناس ببعض العلل لدفع أفلاذ أكبادهم الى جو غير جوهم العربى المسلم .

رجاء :

أن يوجه كل فرد منا أغلب زكاة فطره على الأقل الى تدعيم حركة الفدائيين المجاهدين ، وكذلك كل من يخرج زكاة أمواله ، وأن نكف عن أرسال التهانى بالعيد ، ونضاعف المبلغ المخصص لها ونوجهه للفدائيين وعائلات الشهداء منهم . فان هذا فوق أنه أفضل جهة تصرف فيها الزكاة الآن . . يعد أضعف الايمان ، واقل ما يمكن أننقدمه للذين يضحون بأرواحهم من أجل كرامتنا . وما يليق أن نتبادل مراسلات التهانى فى مثل هذه الأيام . وكلنا مصاب يئن من جرحه ، وان اختلفت درجات الأنين . . .

ورجاء خاص لكل فلسطينى سهل الله له سبل الحياة أن يكف عن السرف ، ويكون قدوة للعرب جميعا فى الحرص على فلسطين ، لا بالكلام والجدل ، بل بالبذل والتضحية والعمل ، ومن سار على الدرب وصل .

الدراسات التاريخية وأثرها في العلاقات الدولية



للدكتور : إبراهيم شعوط
أستاذ التاريخ بجامعة الازهر

التقى علماء التربية وعلماء التاريخ عند نقطة واحدة هى أن التاريخ من أهم الوسائل لإثارة الشعور الوطنى وتنمية العواطف القومية فى نفوس الطلاب والقراء .

وعندما أراد علماء التاريخ ان يعرفوا هذا العلم التقوا جميعا ــ بنسب تتفاوت فى القرب والبعد ــ مع ابن خلدون المؤرخ العربى فى تعريفه وبيان خطره . فهو عنده (فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية . اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى سياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا . فهو يحتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة ، وقواعد السياسة ، وطبيعة العمران ، والأحوال ، فى الاجتماع الإنسانى ولم يقس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثار ومزلة القدم الخ) .

ومن هنا كان للتاريخ سطوة وسيطرة فى الحكم والتوجيه ، حتى صار علما له قداسته وهيبته عند الناس فهو فى تقديرهم محكمة كبرى يتحاكم اليها المظلومون الذين لم يستطيعوا أن يرفعوا قضيتهم لأحد من المعاصرين .

وهو علم دقيق يصعب على دارسيه الوصول الى الحقيقة التى لا ريب فيها لأنه محكمة تتولى من تلقاء نفسها الحكم على أصحاب الدعاوى الذين

يصبحون ـ بحكم موتهم ـ فى ذمة التاريخ .

والمؤرخ قاض يحتاج الى حظ كبير من اليقظة وقوة الانتباه وسرعة البديهة والقدرة على الاستنتاج والا اخطأه التوفيق وحمل وزر المظلومين الذين لا يستطيعون عن انفسهم دفاعا وفقدوا بمماتهم جميع المؤثرات .

ومنذ أن سلطت الأضواء على التاريخ والعلماء يعذرون المشتغلين بهذا العلم من سلطان العاطفة وتأثير العقيدة وقيود العادات والتقاليد ، ليستطيعوا تدوين الحقائق على الطريقة العلمية الحديثة .

ويعنى هذا أن الحكم يستنبط من الواقع ويصدر بدافع النزاهة المطلقة .
ولكن ماذا بعد صدور الحكم ؟ لا شك أن استغلال المواقف الكريمة وضرب الأمثال بأصحاب السير الطيبة انما هو نزول على حكم العاطفة ، وانتهاز الفرص لإثارة الشعور الوطنى والعواطف القومية .

التاريخ وسيلة للتربية

وحينئذ يصبح التاريخ وسيلة لا غاية . وسيلة للتربية وطريقة لتنشئة جيل من الشباب يؤمن بمثل كريمة ، ومبادىء مستوحاة من ماضيه الذى سجله التاريخ ، ولذلك صارت طريقة عرض الأحداث التاريخية فى تاريخ أمة من الأمم تثير فى نفوس الطلاب ـ قليلا أو كثيرا ـ من الاستحسان أو الاستهجان . والاستحسان قد ينمو ويزيد ـ اذا ما تكرر وتوالى ـ فيتحول الى حب وصداقة ورباط بين الشعوب فى الدول المختلفة . كما أن الاستهجان قد يشتد بالتكرار والتوالى فيصل الى درجة البغض والكراهة نحو بعض الأمم ـ كما صنع الألمان والفرنسيون فى اقليم السار .

وقد اتضح لدعاة السلام اهمية تأثير دروس التاريخ فى بث شعور الكراهة والعداوة أو الحب والصداقة بين الأمم . فأخذوا ينظرون الى مادة التاريخ باعتبارها مادة خطرة كل الخطورة فى مستقبل العالم ، والتأثير فى العلاقات السياسية بين الأمم .

فيذكر الكاتب الفرنسى (بول فاليرى) أن التاريخ اخطر واضر العقاقير التى استحضرها كيمياء العقل ، فخواصه معلومة جيدا . انه يسكر الامم ويثير فى نفوسها شتى الأوهام والأحلام ويورثها ذكريات عاطفية . كما انه يخدش جروحها القديمة وقد يحول دون التئام تلك الجروح . انه يقض مضاجع الأمة ويسلبها راحة البال ويؤدى بها فى النهاية الى « داء الاضطهاد » .

ويعتقد كثير من الناس انه ليس المقصود من دراسة التاريخ ذكر الماضى وسرد حوادثه فى الحاضر ، وانما الغرض منه تكوين الشعور الوطنى ، وايقاظ الوعى القومى فى نفوس الناشئة من الشباب ، حيث تعتمل العزة المستمدة من تاريخ حافل بالأمجاد فى صدور الجيل الجديد ، فيحاول أن يكون حاضره خيرا من ماضيه .

وهنا تؤدى دراسة التاريخ اضخم رسالة تؤديها مجموعة علوم اخرى ـ بل ان المواد العلمية حينئذ تصبح وسيلة للغاية التى تهدف اليها دراسة

مادة التاريخ .

ادرك علماء التربية ورجال السياسة خطورة الطريقـــة التى يدرس بها التاريخ ومقدار ما تسفر عنه من نتائج ، يندفع بها العـــالم الى الحرب أو الى السلام . فأخذت المجامع العلمية فى العالم تهتم بالبحث فى هذه الناحية ــ منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى ــ حيث وجدوا ان أقوى الأسلحة التى يعتمد عليها أصحاب الأطماع الواسعة فى تأجيج نيران الحرب هى اعداد نفوس الشباب فى دور التعليم ــ بواسطة دراسة التاريخ ــ اعدادا حربيا تغذيه روح العداوة التى صنعت لهم فى كتب التاريخ .

لذلك انعقدت المؤتمرات القومية والأممية ، وزاد نشاطها بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، واتفقت وجهة نظر المؤتمرات المختلفة التى اتخذت عناوين متعددة مثل : (مؤتمر التاريخ) و (مؤتمر التربية الأخلاقية) و (مؤتمر السلام العام) .

اتفقت كلها على تناول الموضوع البسيط الذى نمر به فى بلادنا مرور الكرام من غير اكتراث وهو موضوع (دروس التاريخ ــ الذى تقول عنه بعض الهيئـــات العلمية إن العلم به لا ينفع والجهل به لا يضر ــ من جهة تأثيرها فى تحسين العلاقات الدولية ، ونشر ألوية السلام على ربوع العالم . وانطلقت الدول ــ وهى تعتقد أنها وضعت يدها على الداء العضال وعرفت كيف تصف له الدواء .)

وأخذت كل أمة تحس ما بينها وبين الأمم الأخرى من أسباب البغضاء أو حسن الجوار ، وبدأ الاهتمام واضحا بمادة التاريخ فى المجال الدولى . وسمعنا عن اتفاقـــات تعقد بين دولتين أو أكثر من الدول التى ترتبط بروابط تاريخيـــة وجغرافية خاصة .

توحيد دراسة التاريخ

ورأينا فريقا آخر يرى أن تكون هذه الاتفاقات بين جميع الدول الراغبة فى السلام العام ، وكانت أسبق الدول الى تنفيذ منهج موحد للتاريخ فى بلادهم هى الدول الاسكندينافيـــة المؤلفة من الســـويد والنرويج والدانمرك وفنلنـــدا وايزلاندا عام ١٩١٩م ، حيث كان تاريخها شديد التشابك والتعارض ، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وكانت قد حدثت بين شعوبها مخاصمات تركت فى نفوس أهلها حزازات مختلفة ، استغلها المؤرخون لغايات استعمارية ، أو تلبية لنوازع العصبية الحـــارة البغيضة ، فكانت هذه العوامل تحول دون تنظيم علاقات هذه الدول بعضها ببعض ، وفق ما تقتضيه مصالحها القومية ، حتى تحتفظ هذه الدول بكيانها بين تيارات السياسة الدولية .

واتفق المفكرون والقادة فى هذه الدول على تنقية كتب التاريخ المدرسية المقررة من كل العبارات التى تثير الضغائن والحقد بين شعوب هذه المنطقة ، والفت الجمعيات ، وأصبح لهذه الجمعيات فروع فى كافة هذه البلدان ، لتنسيق المعلومات التاريخية عن كل بلد على حدة . بحيث لا يذكر فيها ما يوجد الجفوة بينها وبين بلد آخر من هذه المجموعة المتحدة .

وفى البلقان ..

ولم يقف الأمر عند حد المجموعة الاسكندنافية من دول بحر البلطيق ، وانما حاولت الدول البلقانية أن تسلك هذا السبيل أيضا ، لايجاد روابط قوية بين مجموعة الدول البلقانية ، التى فرقت بينها السياسة الاستعمارية ، وأوقدت نار البغضاء والعداوة بين كل مجموعة من الدول والشعوب ، حتى تجد لنفسها مجالا فى تأييد الاستعمار والسيطرة .

استطاعت دول البلقان أن تدرك ما يراد بها فعملت على تأليف (الحلف البلقانى) الذى كان يعقد بصفة دورية كل عام ، فى عاصـــمة من عواصم دول البلقان . ومن أبرز ما كان يهتم به هذا الحلف هو طريقة تدريس مادة التاريخ .
انعقد هذا المؤتمر عام ١٩٣٠ فى أثينا عاصمة اليونان وأوصى باتخاذ تدابير

متعددة لضمان التقـــارب والتفاهم بين الشعوب البلقـــانية خدمة للانســـانية والسلام .

وكان على رأس التدبيرات التى اتخذت ــ اصلاح التعليم بوجه عام ــ وتعليم التاريخ بوجه خاص ــ اصلاحا يجرده من كل صيغة عدائية ، ويجعله خادما للسلام ، كما طلب المؤتمر المذكور من جميع الدول البلقانية أن تحذف من كتب التاريخ الفصول التى تذكى الحروب وتثير الخصومات .

ثم عقد مؤتمر ثان فى عـــام ١٩٣١ ومؤتمر ثالث عـــام ١٩٣٢ تقرر فيه تأسيس معهد للابحاث التاريخية ، للعناية بتواريخ جميع الشعوب البلقـــانية فى جامعاتها .

وانتشرت هذه الفكرة بين كل المجموعات المتشابهة فى كل أنحاء العالم . ففى عام ١٩٣٣ عقدت (الحكومات المتحدة البرازيلية) مع (جمهورية الارجنتين) اتفاقية خاصة لمراجعة نصوص الدروس التاريخية والجغرافية . على أساس تنقيتها من العبارات التى تثير حزازات العهود الماضية ، ثم تطورت هذه الفكرة بين الدول الأمريكية الى تأسيس معهد جديد باسم (معهد تعليم التاريخ) يتولى مهمة تنسيق وتوحيد الدراسات التاريخية فى مختلف الجمهوريات الأمريكية .

هذا ــ وقد شغلت هذه النظريات والعناية بها عصبة الأمم فى عـــام ١٩٢١ ــ ١٩٢٣ حيث ألفت لجنة مهمتها البحث فى اقرار السلام عن طريق (مناهج التربية والتعليم) وكان لا بد لها من أن تتناول البحث فى الكتب المدرسية ــ وبصفة خاصة كتب التاريخ .

ولكن لم يكتب لهذه البحوث أن تصل الى نتـــائج عملية بسبب الظروف السياسية التى كانت تعوق كثيرا من الدول عن الاستجابة الفعلية لمثل هـــذه المقترحات . واكتفت عصبة الأمم فى هذا الحين باقتراح تقدم به مندوب اسبانيا المسمى (كازاريس) ويرمى هذا الاقتراح الى تنقية الكتب المدرسية من العبارات التى من شأنها أن تبذر بين شبيبة بلد من البلدان بذور العـــداوة نحو البلاد الأخرى ، وأقرت عصبة الأمم هـــذا الاقتراح فى عـــام ١٩٢٥ وعرف بقرار كازاريس .

ثم وصلت عناية عصبة الأمم بهذا الأمر الى درجة تكوين لجنة فى عام ١٩٣٥ وأصدرت هذه اللجنة ما يسمى (تصريح دولى) عن الكتب الدراسية المتعلقة بالتاريخ ودعيت جميع الدول الى التوقيع على هـذا التصريح ليصبح نافذ المفعول ابتداء من نوفمبر سنة ١٩٣٧ .

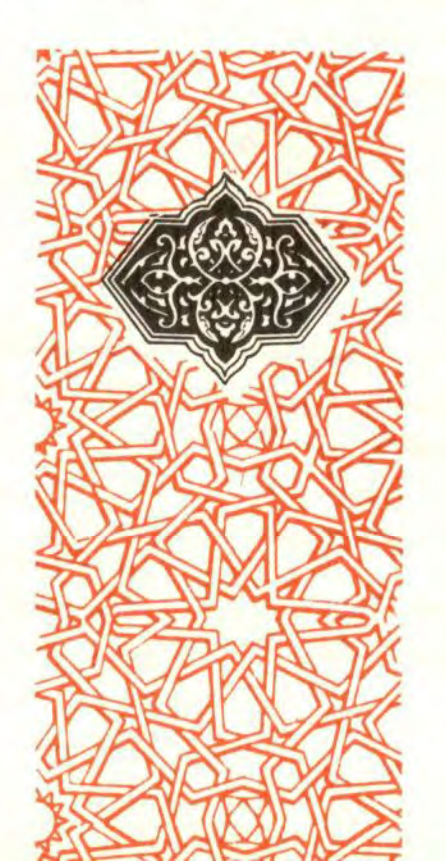
واذا كان ظاهر هذه القرارات حسنا فانها كانت أحيانا تخفى وراءها مآرب للدول القوية فى الدول الضعيفة ، فليس من المعقـول أن يرغم شعب مستعبد مضطهد على أن يمحو من ذهنه آثارظالميه لتبقى له السيطرة عليه .. فهذه القرارات انما يجيء وقتها حين تتعادل الدول ، أو ينتشر العدل بينها ، وحينئذ تعمل على تنقية التاريخ من عوامل الإثـارة . أو تكون دولا ذات أصل وحضارة واحدة وفرق بينها الاستعمار والأحداث ، فتصبح فى حاجة الى أن ترجع الى أصلها وتتوحد فيما بينها وذلك هو الشأن فينا نحن الأمة العربية .

والسبيل الى ذلك هو الاشراف على تطهير كتب التاريخ من كل ما يوقع العداوة والبغضاء بين الدول العربية أو الجماعات الاسلامية .

وما أكثر العوامل القديمة التى فرقت ولا تزال تفرق وحدتنا حتى الآن ، حتى كان أكثرها واشدهـا مع الأسف يلصق بالدين ... والدين برىء من كل خلاف يفرق بين المسلمين ويثير الحزازات فيما بينهم ..

ولا شك انها الأهواء أتخذت من الدين ستارا لاشباع غاياتها . ولو صدق المختلفون فى انتسابهم لدينهم لتابوا ورجعوا عن كل خلاف ولا سيما فى الوقت الذى تجمعت علينا فيه كل المحن لا لسبب الا لأننا ندين بالاسلام والقارىء بلا شك يعرف هذه الاختلافات ويكتوى بنارها فلست فى حاجة هنا الى ذكرها ..

وتلك صور يجب أن تختفى من أذهان الأجيال المقبلة ما دمنا قد تجرعنا منها الصعاب والعلقم . ويجب أن يطوى التاريخ صفحاتها فلا تثار فى فصل ولا توضع فى كتاب ولا تخطر على بال أحـد من المدرسين حتى يستمر ركب الوحدة يشق طريقه الى المجد المنتظر والمستقبل المرموق .







« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

صوم رمضان فرض على المسلم العاقل البالغ الصحيح . المقيم . ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس .

عن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » (رواه البخارى ومسلم) .

ويثبت رمضان برؤية الهلال . ولو من واحد عادل . أو اكمال عدة شعبان ثلاثين يوما .

وحقيقة الصيام فى :

١ ـ الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس . لقول الله تعالى : « فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل » .

٢ ـ النية ـ لقول الله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .. وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات .. وانما لكل امرىء ما نوى .. » ولا بد أن تكون قبل الفجر من كل ليلة من ليالى شهر رمضان .. وكحديث حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له . (رواه أحمد . وأصحاب السنن) فلا صيام على كافر . ولا مجنون . ولا صبى . ولا مريض . ولا مسافر . ولا حائض . ولا نفساء . ولا شيخ كبير . ولا حامل . ولا مرضع . وبعضهم يطلب من وليه أن يأمره بالصيام . والآخر يجب عليه الفطر والقضاء . وبعضهم يرخص لهم فى الفطر وتجب عليه الفدية . ولا صيام على الكافر والمجنون مطلقا .

عن « عمر بن ميمون » قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

في رمضان

للأستاذ
زكريا هاشم زكريا



اعجل الناس افطارا . وابطأهم سحورا (رواه البيهقى بسند صحيح) .

وعن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه مرفوعا : لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر واخروا السحور (وفى سنده « سليمان بن أبى عثمان » وهو مجهول) ــ وقت السحور من منتصف الليل الى طلوع الفجر والمستحب تأخيره .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه :
« السحور كله بركة : فلا تدعوه ولو ان يجرع احدكم جرعة من ماء » .

وكان الصائم الأول (محمد بن عبد الله) أجود الناس .. روى (البخارى) عن (ابن عباس) رضى الله عنهما : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه (جبريل) عليه السلام . وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن : فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من صام رمضان وعرف حدوده . وتحفظ مما كان ينبغى أن يتحفظ منه كفر ما قبله (رواه أحمد . والبيهقى بسند جيد) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . (رواه أحمد وأصحاب السنن) .

وعنه صلى الله عليه وسلم : من افطر يوما من رمضان فى غير رخصة رخصها الله له . لم يقض عنه صيام الدهر كله . وان صامه (رواه أبو داود . وابن ماجه . والترمذى) .
والصيام كما جاء فى الحديث الشريف (جنة ووجاء) . فهو يدفع عن النفس والجسم الكثير من الأمراض ، ويقيهما الكثير منها ، وهو يهذب الطباع ، ويقوم الأخلاق ، ويستثير الرحمة ، ويذكر الانسان بانسانيته البارة ، ويشعره باخوته الصادقة ، وقد فرضه الله فى جميع الأديان لهذه الغاية من تأديب النفس ، واصلاح الفرد والمجتمع ، وتقوية

الروح المعنوية فى الانسان ، وازالة الغشاوة المادية عنه حتى يرى نور الحق ونور العدل ونــور العرفان ، ويستمتع براحة الضمير ، وجمــال الوجــدان ، وليس المقصـــود من الصيام الامساك عن الطعام والشراب فحســب ، ولكنــه الامســاك عن المحرمات قولا وعملا .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : من لم يدع قول الزور والعمل بــه فليس لله حاجة فى أن يدع طعامــه وشرابه . .

وقوله عليه الصلاة والسلام : اذا جاء رمضـــان فتحت أبواب الجنــة وغلقت ابــواب جهنـــم وصــفدت الشياطين ونادى مناد : يا باغى الخير اقبل ويا باغى الشر اقصر . .

وقوله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى الصيام لى وأنــا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها .

والصيام يعلم المؤمن الصبر على الشدائد ، واحتمال الآلام ، والصبر كما قيل نصف الايمان ، وهو كالصيام امساك ، ولكنه امســـاك عن اليأس والقنوط من رحمة الله ، وامساك عن الشك فى عدل الله ورحمتــه ، وما أحوج الناس الى الصبر فى هــذه الحياة الدنيا ، حياة الكفـــاح التى كثرت فيها المطامع ، وتعددت المتاعب منذ أقدم العصور .

كل مــن القـــاه يشــكو دهره
ليت شعرى هذه الدنيا لمــن ؟

هـــذه الدنيـــا كفـــاح دائـــم
فاستعن بالعزم واصــبر للزمن

فالصـــوم يطهر النفـــوس مـــن السخائم والأحقاد ، وينير القلـــوب بنور الحب والرحمة والاحســـان . ويبعث الناس على التآلف والتعاون ، وما أحوج عالمنـــا اليـــوم الى هذه الصفات . ما أحوجه الى أن يصوم عن النزاع والفتن والأطماع والحروب والقلاقل وحرب الأعصاب ، فلا نرى نذيرا بالدمار والخراب فى هيئة من هيئات الأمم ، ولا نرى دماء تسفك فى فيتنام ، وأطماعا تتقاتل فى أوربا ، واستعمارا ظالما فى قارتنا الحبيبة افريقيا ، ولا نرى حقوق اخواننا عرب فلسطين تهضم ، وقد اعتدى عليهم بعدوانهـــم الوحشى ، وشردوا مـــن دورهم وسلبوا أملاكم ، وطردوا من بلادهم ، ليصيروا الآن لاجئين ، كل هذا من أنانية الانسان وحبه للسيطرة فنرى اليوم الأبيض فى جنوب افريقية وأمريكا يضطهد الأسود ويتعالى عليه . . والاسلام يساوى فى الحقوق كل الناس وكذلك فى الواجبات ، وهـــم أمام الله سواء ، ولكن الطمع وحب الســيطرة يجعـــل القـــوى يفترس الضعيف ، ويستولى على قوتـــه ، ومنتجات أرضه وخيراتها ، فأصبح الانسان لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولو نشرت تعاليـــم الاســـلام على المعمور من الأرض لتبدد ذلك الظلام الدامس ، ولانقشعت عن العيون تلك السحابة ، ولشـــفيت القلوب مـــن الحقد ، ولو عرف الانسان ماذا يحب لنفسه فى هذه الدنيا الفانية ؟ ولماذا ينازع فيها أخاه ، وليس له ولأخيه فيها شىء ، كما قال حكيم المعرة :

تنازع فى الدنيا اخاك ومالـــه
وما لك شىء فى الحقيقـــة فيها

وصوم رمضـــان واجب بالكتـــاب والسنة والاجماع :

فأما الكتاب . فقـــول الله تعالى « يا أيها الذين آمنـــوا كتب عليكـم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

لعلكم تتقون » وقال : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

واما السنة فقول النبى صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله . وأن محمدا رسول الله . وأقام الصلاة وايتاء الزكاة . وصيام رمضان . وحج البيت .

والصيام أحد أركان الاسلام التى علمت من الدين بالضرورة منكره كافر مرتد عن الاسلام .

وكانت فرضيته يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

عن (امامة) قال : اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : مرنى بعمل يدخلنى الجنة . قال عليك بالصوم فانه لا عدل له . ثم أتيته الثانية : فقال : عليك بالصيام (رواه احمد . والنسائى) .

وقد اختار الله . شهر رمضان من كل سنة . ليكون موسم بر واحسان ورسول يقظة روحية . ومبعث حياة نفسية . يستيقظ فيها الضمير . ويصحو بين ايامها ولياليها القلب المنير بين نهار صائم . وليل قائم .

هو شهر مبارك . أنزل المولى جلت قدرته فيه خير كتبه (القرآن) على خير أنبيائه (محمد) صلى الله عليه وسلم وفيه ليلة القدر خير من الف شهر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان .

وقوله : من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .

ولقد سألت السيدة عائشة رضى الله عنها الرسول عما تقول ليلة القدر : قال : قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى .

وكان نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم يقضى شهر رمضان فى ميادين الجهاد لاعلاء كلمة الله . ولم يكن شهر خمول وتكاسل يستغله العابثون والمنحرفون ليتخذوا منه مهرجانات وتسليات لقضاء أوقات الفراغ .

ففى رمضان انتصر النبى ومن معه من المسلمين فى غزوة بدر الكبرى . . وكان فيها اعلاء كلمة الله وانتصار دينه . . . وفيه أيضا فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة . . فى غزوة الفتح التى حطم فيها الأصنام . وخلص البيت الحرام من رجس الشرك ويئس الشيطان أن يعبد بعد ذلك فى أرض العرب .

ولنعد برمضان الى الهدى النبوى الكريم . ولنتبصر فى بعض احكامه وسننه . فقد رخص للمريض وللمسافر أن يفطر . . ويقضى بعد النقاهة أو بعد الاقامة . . قال تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكل العسر » .

ولقد اعترف الطب الحديث بفضل الصيام فى مداواة الكثير من الأمراض ، وكثير منا يعرف أن أكثر أمراض الجسم من الطعام والشراب ولذلك يلجأ الكثير الى الحمية من تلقاء أنفسهم . وبدون تعليم اللهم الا الهام العليم الحكيم . .

فالصيام لا يحدث مرضا من الامراض . ولا يجلب داء من الأدواء .

ولكنه شفاء وعلاج جسمانى وروحانى فهو شفاء من التخمة ومن أمراض المعدة ، وشفاء من قسوة القلب والكبر ، ولكن بعضا من الجاهلين يظنون أن فى الصيام اضرارا بالنفس ، ويزعمون أنه يخالف قوانين الصحة ، ولا يجرى مع نواميس المدنية والحضارة الحالية .

ولا يفسد صوم الانسان اذا اكل او شرب ناسيا . فقد أخرج الشيخان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من نسى فأكل أو شرب فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه .

وأن من احتلم فى نهار رمضان وهو صائم فحدث ما يوجب الغسل فان صومه لا يبطل . وانما يجب عليه الغسل من الجنابة لأداء فريضة الصلاة . ومن لم يغتسل من جنابته حتى طلع الفجر فصيامه صحيح . ولا كفارة عليه .

وروى ابو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان يصب على رأسه الماء وهو صائم . والمضمضة والاستنشاق . حيث أمر صلى الله عليهوسلم بالمبالغة فيهما لغير الصائم .. كما رواه أصحاب السنن كما تجوز الحجامة . فقد روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم .. ويدخل فى هذا الفصد والاكتحال . وشم الطيب والبخور والادهان بالعطر . وغيره . وبلع الريق . والحقنة . والقىء دون عمد حيث لم يرد نهى عن ذلك مع توفر الدواعى والأسباب .

وما يوجب القضاء فقط (الأكل والشرب . والاستمناء . والقىء عمدا . والحيض . والنفاس . والقضاء لا يكون على التتابع لأن الله يقول (فعدة من أيام أخر) .

ولقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : (اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ..

وقالت عائشة رضى الله عنها : اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم — هى الشبع . فان القوم لما شبعت بطونهم جمحت نفوسهم الى هذه الدنيا .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع . واذا اكلنا لا نشبع ..

وقوله عليه الصلاة والسلام (ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم . فضيقوا عليه بالجوع) وذلك لكسر حدة النفس والغرور .

وقال صلوات الله تعالى عليه : نور الحكمة الجوع . فلا تشبعوا بطونكم . فيطفأ نور الحكمة فى صدوركم . فان الحكمة تسطع فى القلب مثل السراج ..

اللهم اجعل أيامنا عزة ونورا وضياء وسراجا لكل ضال ووحد كلمتهم وأمتهم .. ليعلوا كلمة الله . ويعيدوا مجد الاسلام وتراث الاسلام ، ويبعثوا حضارته الأولى التى يتعالى بها اليوم الغربيون علينا وهى منا .. آمين .



الذين سيروا الاستعماريين الانكليز .

اشدد هنـا على هذا الموضـوع ، لأن الماركسيين العرب بدأوا — منذ اواسط هذا القرن — يروجون هـذا الشعار المضلل (الاستعمار الغربى هو الذى خلق اسرائيل) ويستنتجون — خبثا — أنه متى زالت عن اسرائيل صبغة الاستعمار يحصل عندئذ .. التعايش السلمى !! بين العرب واليهود فى ظل الاشتراكية الماركسية !! كذا .

وعلى هذا الأساس لم تطالب اية دولة ماركسية بزوال اسرائيل بل على العكس أسهمت الدول الماركسية — مثل الدول الاستعمارية الغربيـة — فى إنشاء اسرائيل وفى تأييد بقائها وحدودها والشىء الوحيد الذى يريده الماركسيون — بما فيهم الماركسيون العرب — هو زوال الطابع الاستعمارى عن اسرائيل ثم التعايش السلمى بين الذئب اليهودى والحمل العربى بعد ذلك !!!

لهذا — ولهذا فقط — يجب أن يعلم القارىء العربى ان اليهودية العالمية استغلت نفوذها فى المعسكر الاستعمارى كما استغلت نفوذها فى المعسكر الماركسي لمصلحتها .. وبالتالي لقيـام اسرائيل ، فاليهودية العالمية استعملت وزارة المستعمرات الانجليزية ووزارة الخارجية الأمريكية تماما كما استعملت نفوذها فى تسيير الأحزاب الماركسية فى الدول الشيوعية لمصلحـة اليهود ، ولقيام اسرائيل ، ولا تزال تستعمل المعسكرين لبقاء اسرائيل .

لذلك : فان زوال الطابع الاستعمارى عن اسرائيـل لا يعنى بالضرورة زوال اسرائيـل وتخلى الدول الكبرى عن تأييد اسرائيـل لا يعنى أبدا زوال اليهودية العالمية واحلام السيطرة على العالم وقصة الشعب المختار وكراهية اليهود للمسلمين والمسيحيين العرب .

•••••

ونحن نكتفى بنشر هذا التعليق عن نشر باقى التعليقات التى لا نرى فيها خلافا جوهريـا بين الكاتب والمعلق ... فالدكتور الريس يقول : إن اسرائيل اثر من آثار الاستعمار .. ولا شك أن اسرائيل ما كانت لتوجد بهذا الشكل لو لم يساعدهـا الاستعمار منذ وعد بلفور حتى اعلان قيامها الذى اشترك فيه الغرب والشرق معا .. وهذا أمر لا أظن أحدا يجادل فيه ولا هو موضع خلاف . كمـا أن سعى اليهود ونشـاطهم لتحقيق مخططهم منذ أواخر القرن المـاضى — كما يقول المعلق — أمر ثابت لا ينكره الكاتب ولا غيره ، بل ان الكاتب نفسه ذكر فى مقـاله المذكور الوانا من هذا النشـاط الذى ذكره المعلق ، ومن هنا لا أرى بينهما خلافا جوهريا ، وبعيد كل البعد — فيما أعرف عن الدكتور الريس الغيور على عقيدته وبلاده — أن يقصـد بذكر الاستعمار وزواله مـا يقصده الماركسيون مما اشار المعلق إليه ..

وكذلك تسـاءل الدكتور تحسين عما يقصـده الدكتور الريس من قوله (وقد زالت الدولة العثمانية وحلت محلها الأمة العربية) والكلام السابق على هذا واللاحق له ، يبين بجلاء أن المراد هو أن سلطة الدولة العثمانية لما زالت عن المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الأولى حلت محلها سلطة الأمة العربية التى جاهدت الاستعمار حتى تخلصت منه أو كادت . وليس وراء هذا أى معنى آخر مما ردده الدكتور تحسين ..

وهكذا لا نجد خلافـا بينهما والحمد لله ، ويتلاقى المفـكر الإسلامى فى (داكا) مع المفكر الإسلامى فى (القاهرة) وتسير القافلة ...



دعاء

اللهم انى استغفرك لما تبت منه ، ثم عدت فيه .

واستغفرك لما وعدتك من نفسى ، واخلفتك .

واستغفرك لما اردت به وجهك ، فخالطه ما ليس لك .

واستغفرك للنعم التى انعمت بها على ، فتقويت بها على معصيتك .

واستغفرك لكل ذنب اذنبته او معصية ارتكبتها .

حرارة المال

استدان رجل من صديقه بعض المال ، وماطله في رده ، فكتب اليه الصديق يطالبه : يا هذا ان الرجل ينام على الثكل ، ولا ينام على الحرب — اخذ ماله — فاما رددته ، واما عرضت اسمك على الله تعالى كل يوم خمس مرات .

بين يدى القاضى

تقدم رجل الى ابى حازم قاضى المعتمد ومعه ابوه يطالبه بدين له عليه ، فاقر الأب بالدين ، وأراد الابن حبس والده ، فقال القاضى : هل لابيك مال ؟ قال : لا اعلمه ، قال : فمذ كم داينته بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا ، قال : قد فرضت عليك نفقة ابيك من وقت المداينة فحبس الابن واطلق سراح الأب .

سراج الأعمى

خرج احد العميان على عاتقه جرة ، وبيده سراج ، وسار حتى انتهى الى النهر ، وملا جرته وعاد ، فلقيه رجل بصير ، فقال : يا هذا أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول : حملته لاعمى القلب مثلك يستضىء به لئلا يعثر فى الظلمة ، فيقع على ويكسر جرتى .

أسدة من بنى أسد

قال أعرابى : خطبت امرأة من بنى أسد ، فجئت لأنظر اليها ، وبينى وبينها رواق — ستار — يشف ، فدعت بجفنة مملوءة ثريدا مكللة باللحم ، فأتت على آخرها ، وأتت باناء مملوء لبنا فشربته حتى كفأته على وجهه ، ثم قالت : يا جارية ارفعى السجف — الستار — فاذا هى جالسة على جلد أسد ، واذا شابة جميلة ، فقالت : يا عبد الله : أنا أسدة من بنى أسد على جلد أسد وهذا مطعمى ومشربى ، فان أحببت أن تتقدم فافعل ، فقلت : استخير الله وانظر : فخرجت ولم أعد .

اعدها : ابو نزار

من الكلب الى الضيعة :

قال ابو العباس لأبى دلامة : سل حاجتك . قال : كلب ، قال : لك كلب ، قال : ودابة أتصيد عليها ، قال : ودابة . قال : وغلام يركب الدابة ويصيد ، قال : وغلام . قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه ، قال : وجارية . قال : يا امير المؤمنين هؤلاء عيال ولا بد من دار ، قال : ودار . قال : ولا بد من ضيعة لهؤلاء ، قال : قد اقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة . قال : واى شيء الغامرة ؟ قال : ليس فيها نبات . قال : فانا اقطعك الفا وخمسمائة جريب من فيافى بنى اسد ، قال : قد جعلتها كلها لك عامرة . قال : اقبل يدك . قال : اما هذه فدعها . قال : ما منعت عيالى شيئا اهون عليهم فقدا من هذه .

من البحرين الى الالفين :

قال رجل لمعاوية : اقطعنى البحرين ، قال انى لا اصل الى ذلك . قال : فاستعملنى على البصرة ، قال : ما اريد عزل عاملها ، قال : تامر لى بالفين ، قال : ذاك لك . فقيل له : ويحك ارضيت بعد الاوليين بهذا ؟ قال : أسكتوا لولا الاوليان ما أعطيت الالفين .

فلان وفلانة

فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين . فتقول العرب : حضر فلان ، وغابت فلانة والفلان والفلانة بالتعريف كناية عن غير الآدميين . فتقول العرب : ركبت الفلان ، وحلبت الفلانة .

السعتر

نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الغبرة ، ويقال له : الصعتر بالصاد وهى اللغة الجيدة ، والعامة تبدل السين زايا فتقول : زعتر .

غين • لام • ميم

قال أشعب : تعلقت باستار الكعبة ، فقلت : اللهم اذهب عنى الحرص والطلب من الناس فمررت بالقرشيين وغيرهم ، فلم يعطنى احد شيئا ، فجئت الى أمى ، فقالت : مالك قد جئت خائبا ؟ فاخبرتها بذلك ، فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع ، فتستقبل ربك (تطلب منه الا يقبل دعوتك السابقة) فرجعت ، فجعلت اقول : يا رب أقلنى ، ثم رجعت ، فما مررت بمجلس لقريش ولا غيرهم : الا اعطونى ، ووهب لى غلام ، فجئت الى أمى بجمال موقرة من كل شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفت أن اخبرها بانه اهدى الى ، فتموت فرحا ، فقلت : غين .. قالت : أى شيء ؟ قلت : لام ، قالت : أى شيء ؟ قلت : ميم . قالت واى ميم ؟ قلت : غلام فغشى عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحا .

نُورُالدِينْ مُحمُودبْن زنكي

بطل مسلم تحتاج الأمة الآن إلى أمثاله

للأستاذ : محمد العبد - الكويت

حلب قلعة الأبطال

ولد وقت طلوع الشمس من يوم الأحد سابع عشر من شوال سنةاحدى عشرة وخمسمائة هجرية فى مدينة حلب التى وقفت للصليبيين وقفة لم تعرفها مدينة سواها فى تلك الحقبة من الزمن التي اندفعت فيها جموع الصليبيين من أوربا جيشا وراء جيش وجماعة وراء جماعة ، فنزلوا على بلاد المسلمين فى الأناضول والشام كما تنزل العواصف المدمرة ، وحلوا فيها كما تحل الكوارث المهلكة ، فلم تنج مدينة من شرهم ، ولا قرية من اذاهم ، والتى لم يدخلوها محتلين هادنوها سادة مستبدين ، ما خلا حلب ، فقد قاومتهم مقاومة لا تعرف اليأس ، وحاربتهم حربا لا تخمد أياما الا لتشتعل شهورا طوالا ، وظلت « حلب » لا تجبن أمام الأعداء ولا تلين لمصائب الزمان تخطب الأمراء ليعتلوا سدة حكمها فيتقاعسون ، لأن المهرغال ، وثمن امارة حلب عظيم .

لقد تقدم بعض القادة للجهاد والذب عن حلب بجيوشهم مثل « ايلغازي » و « بلك » و « البرسقى » ولكن هؤلاء رحمهم الله لم يثبتوا فى حلب أمام فيضان الصليبيين المدمر الذى ظلت حلب قلعة تتكسر على أسوارها جميع أمواجه ، بشجاعة ابنائها ، وعزيمة رجالها ، (وفى عام ٥٢٢هـ و ١١٢٨م صدر منشور من بغداد بتولية عماد الدين زنكى مدينة حلب ، فأعطى بذلك القوس باريها ، واستلم دفة السفينة قائد ماهر محنك ، فكان رجل الحرب الذى لا يهاب غمراتها ، وداهية السياسة الذى لا يخدع ولا تصطاده شباكها ، ومع هذا القائد الكبير خرج أهل حلب من وراء الأسوار ، واندفعوا يهاجمون الأفرنج فى عقر دارهم ويغزونهم فى قلاعهم .

أقام الصليبيون مملكة قاعدتها « القدس » وثلاث امارات فى الرهـا وانطاكية وطرابلس الشام ، وتمكن زنكى ان يقتلع امارة الرها ، وأن يزيلها ، وقد كانت سيفا مصلتا على حلب والموصل وشمالى العراق .

ومات زنكى سنة ٥٤١هـ مذبوحا بيد أحد جنوده على أبواب قلعة « جعبر » فرفع راية الجهاد فوق قلعة حلب ولده العادل نور الدين .

« نور الدين الملك العادل »

يلقب الكتاب والمؤرخون زنكى « بملك الأمراء » ولكنهـم يلقبون ولـده « بالعادل » وفى هذا معنى كبير له مغزاه . ان زنكى كان ملكا عظيما جاهد الصليبيين ، ولكنه لم يتورع عن قتال المسلمين ، فهزم أولئك وهؤلاء فكان ملك الأمراء ، ولكن نور الدين لم يشهر سلاحه لحرب مسلم أبدا ، بل كان للمسلمين كالغيث الذى يحيى الأرض ، بعدت ديارهم أو قربت صدقت مودتهم لـه أم فسـدت .

حاصر دمشق مرتين ، وفى كل مرة يرفع الحصار إذا رأى السيوف سلت من اغمادها شفقة على الناس ، وحاصرها المرة الثالثة ففتحت أبوابهـا بدون قتـال .

دافع الصليبيين عن مصر ، وأرسل جيوشه ثلاث مرات لحمايتها ، وبذل الأموال العظيمة ، وسهر الليالى الطويلة ، خوفا عليها من الفرنج ، ولم يفل من عزيمته ، ولا قلل من حرصه عليها ، غدر حكامها بجيشه مرة بعد مرة ، لأن سكانها كانوا منه وله ، لا يخذلونه ، ولا يغدرون به .

التف المسلمون حول رايته من حلب شمالا حتى عدن جنوبا ، ومن الموصل شرقـا حتى طرابلس الغرب غربا ، زال الحكام ، وتلاشت الدول ، وامحت الخلافات بدون إراقة دماء ، ولا اصطدام جيوش .

لقد حقد عليه بعض الولاة ، ولكن المسلمين فى كل مكان احبوه حبا لا يعدله حب ، وأخلصوا له إخلاصا لا يشابهه اخلاص ، واذا كنا قد رأينا جنديا تدفعه خيانته إلى قتل أبيه عماد الدين عند قلعة جعبر ، فقد رأينا زميلا له على حصن الأكراد يجود بروحه طائعا مختارا فى سبيل نجاة نور الدين .

ففى سنة ٥٥٨هـ هاجمه الصليبيون وكبلوه وأركبوه فرسه وهو مكبل ، فرآه هذا الجندى واندفع نحوه ، وقطع الحبل ، فنجا نور الدين ، واستشهد الجندى الذى كان ينتظر ذلك ، عندما نزل لانقاذ من أحبه ، لأنه يعلم أن حياة بلاده فى حياته ، فما صفات نور الدين ؟ وما أعماله التى كانت نورا بدد ظلام تلك الأزمان « التى تشبه زماننا هذا » فجمعت المسلمين حوله فاندفع بهم لتحقيق هدفهم ، وإنزال الهزائم بعدوهم ؟

أولا ــ عدله :

لقد كان والده عماد الدين زنكى مع أنه يعد افضل أمراء عصره بلا استثناء ــ يشهد على نفسه بالظلم ، وهو يخاطب بعض قادته الظالمين ، فيقول : ــ لا يجوز أن يجتمع فى البلاد ظالمان ، ولهذا عاداه من عاداه ، وقاومه من القادة من عصاه ، أما نور الدين فلم يعاده أحد من قومه ، ولم يعصه حاكم من حكامه ، ولا قائد من قواده ، بل كان قادته عادلين ، وجميع قضاته غير محابين ، والناس على دين ملوكهم .

قال أبو الحسن بن الأثير في كتابه « اتابكة الموصل » : — « قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام ، وفي الإسلام الى يومنا هذا ، فلم ار فيها بعد الخلفاء الراشدين ، وعمر بن عبد العزيز ، أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ، ولا اكثر تحريا للعدل منه . قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره ، وجهاد متجهز له ، ومظلمة يزيلها ، وعبادة يقوم بها ، كان مع سعة ملكه ، وكثرة ذخائر بلاده وأموالها ، لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف إلا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه في الغنيمة » .

« قلت النفقة على زوجته ولم يكفها ما كان قرره لها ، فارسلت اخاها يطلب منه زيادة فى وظيفتها ، فلما سمع ذلك احمر وجهه ، ثم قال : — من اين أعطيها ؟ أما يكفيها مالها ؟ والله لا اخوض نار جهنم في هواها ، إن كانت تظن ان الذى بيدى من الأموال هى لى فبئس الظن ، إنما هي أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم، وأنا خازنهم عليها ، فلا أخونهم فيها » .

« بنى دار العدل بدمشق ، وكان يجلس فيهـــا مع القاضى مرتين فى الأسبوع ، لأنه سمع أن احد قادتـــه يظلم الناس ، ولا يجـــرؤ القاضى على محاكمته ، فلما لم يحضر احد للشكوى من ذلك القائد ، سأل القاضى : — أين الذين تذكر أنهم يشكون شيركوه ؟ فأجابه القاضى : — إن شيركوه لما علم بأنك تبنى دار العدل علم انك تبنيها لأجله ، فتقدم الى عماله أن يردوا لكل إنسان اى حق يدعيه ، حتى ولو لم يبق شىء بين يديه . مفضلا ذلك على الوقوف بيـــن يديـــك » .

لقد شكاه بعضهم فى حق ادعاه عليه ، فوقف معه امام القاضى ولم يرض أن يعامل أبدا معاملة لا يعامل بها خصمه . حتى إن خادمه الذى جاءه يخبره بادعاء هذا الرجل حقا عليـــه مستهزئا بذلك الرجل اغضب نـــور الدين فقال للخادم : — ومن هو محمود حتى يترفع عن الوقوف عند حد الشرع ؟ ونور الدين اسمه محمود ، وأسرع بالذهاب مع خصمه الى القاضى ، وارسل للقاضـــى يحذره أن يعامله خلال المحاكمة بشىء يرفعه عن خصمه .

ثانيا — جهاده :

باشر نور الدين المعارك بنفسه ، قاد جيوشه الي حصون الأعداء وقلاعهم ، ولم يقم بعيدا عن الميادين فى القصور ، وكان دائما يردد : ادعو الله أن يحشرنى من بطون السباع وحواصل الطير ، لقد كان جنديا سكناه قلعة دمشق أو قلعـــة حلب إذا أقام يوما ، ولم يتحرك لغزوة يغزوها .

حينما هزم على حصن الأكراد ، أقسم بالله الا يدخل بيتا او يظله سقف حتى يثأر من الصليبيين ، ولقى جموعهم وقد استعانوا بملك الأرمن ، وامبراطور القسطنطينية ، فهزمهم ، وأسر « بوهمند » أمير انطاكية ، « وريموند » أمير طرابلس ، و « قسطنطين » قائد الجيش الرومانى ، وربط هؤلاء القادة فى حبل واحد وساقهم إلى حلب ، ولولا هرب ملك الأرمن « توروس » لربط مع رفاقه .

حطم جيوش الصليبيين وقتل قادتهم واصبحت القدس قريبة المنال ، ولولا عدم وصول صلاح الدين الأيوبى واليه على مصر فى الوقت المناسب ، وملاقاته عليها لاحتلها قبل وفاته .

ثالثا ـ سياسته :

يقول العماد الاصفهاني : ـ وكان نور الدين ذكيا المعيا فطنا لوذعيا . لا تشتبه عليه الأحوال ، ولا يتبهرج عليه الرجال .

تسلم الحكم فى حلب ، وفى المنطقة عدة قوى : الفاطميون فى مصر ، والعباسيون فى بغداد ، والسلاجقة حواليه ، ودمشق أمامـه ، والصليبيون أعداؤه يحتلون معظم البلاد ، وفى كل يوم يصلهم مدد جديد .

أما المسلمون من فاطميين ، وعباسيين ، وسلاجقة ، وحكام فى دمشق فلم يكن لهم منه سوى اللين والمسامحة ، وأما الصليبيون فلم يكن لهم عنده سوى السيف ، لم يجلس معهم على مائدة مفاوضات ولم يعرفوا منه لينا فى وقت من الأوقات ، فاشتد حنقهم عليه ، ولا يزال المؤرخون من أبنائهم حتى يومنا هذا يظلمونه حقه ، ولا ينشرون فضله ، وتبعناهم فى هذا ـ مع الأسف ـ فلم نعلم أبناءنا سوى النزر اليسير عن هذا الانسان العظيم .

ساس جنوده افضل سياسة ، إذا مات الجندى لا ينقطع راتبه ، بل يبقى لأبنائه من بعده ، ولم يكن لقادتهم حق التدخل فى شئون رواتبهم .

كان الباطنية خطرا داهما ، لا يصدهم حصن عن اغتيال صاحبه ، ولا يمنعهم جيش عن طعن قائده ، ولكنهم فى أيام نور الدين ـ بفضل سياسته ـ خفت نشاطهم ، وانضموا إلى إخوانهم فى قتال الصليبيين .

اما سياسته لرعيته فيدلك عليها أن واليه صلاح الدين على مصر خرج عليه جماعة فقتل صلاح الدين بعضهم،ونفى بعضهم،وكتب الى نور الدين يقول :ـ « والمولى يعنى نفسه » عالم أن عادة أوليائه « نور الدين » المستفادة الا يبسطوا عقابا مؤلما ولا يعذبوا عذابا محكما » . فهو يعتذر لنور الدين عن الشدة التى عامل بها الخارجين .

رابعا ـ حبه للعلم وتوقيره للعلماء :

يقول احد المؤرخين : ـ إن بلاد الشام كانت خالية من العلم وأهله ، وفى زمانه صارت مقرا للعلماء والفقهاء ، تصده العلماء من الأندلس ، ومن بلاد الروم .. ومن المشرق ، وكان ينفق عليهم الأموال الطائلة .

لما هزم على حصن الأكراد ، وذهب سلاح جيشه ، وفقد أشياء كثيرة ، قال له أحدهم :ـ إن لك فى بلادك نفقات على العلماء ، فلو استعنت بها فى هذا الوقت لكان أصلح ، فغضب من ذلك وقال : ـ والله إنى لا أرجو النصر إلا بهم ، وكان يولى أعماله للعلماء ، فلما عزم على بناء الجامع النورى بالموصل الذى بلغت نفقاته ثلاثمائة الف دينار ، ولى أمر بنائه للشيخ عمر الملا قائلا : إذا وليت هذا الشيخ غلب على ظنى أنه لا يظلم ، وتم بناء المسجد فى ثلاث سنوات ، فلما دخله نور الدين جاءه الشيخ بأوراق فيها حسابات البناء ، فألقاها نور الدين فى نهر دجلة ، وقال : ـ دع الحساب يا شيخ ليوم الحساب .

كان ابن الخشاب من علماء حلب قد اعترض على الضرائب والمكوس أيام أبيه عماد الدين زنكى ، فنفاه الى الموصل ، فلما ولى نور الدين رده الى حلب ، بل خرج للقائه ، وترجل لتحيته والسلام عليه .

بنى عشرات المدارس فى جميع انحاء البلاد وأنفق عليها أموالا كثيرة . ولم يكن أحد من الأمراء يجرؤ على الجلوس بحضرته ، فإذا رأى عالما تفـز واقفا وأجلسه إلى جانبه .

خامسا ـ غيرته وحرصه على المسلمين :

ما أصدق قول أحد الشعراء فيه : ـ

حدب الأب البر الكبير ورأفة الا   أم الحفيـة باليتيـم الأصـغر

غـزا الصليبيون دمياط بمصر ، فسير العساكر من الشام أرسالا يتلو بعضها بعضا ، وهاجم حصونهم فى الشام ليشغلهم ، وكان كثير الهم والحزن خلال الخمسين يوما التى أقامها الفرنجة على دمياط ، حتى إن بعض رفاقه حاول أن يحمله على الابتسام ، فغضب وقال : ـ والله لن يكون ذلك وإخواننا محاصرون فى دمياط .

لم يكن يحفل بمديح شاعر ، ولا بقول متملق ، ولا يبذل الأموال إلا فى سبيل الجهاد فغمزه بعض الشعراء بالبخل كأسامه بن منقذ الذى قال فيه : ـ

أيامه مثل شهر الصوم طاهرة   من الذنوب وفيها الجوع والعطش

ولكن لما أسر الفرنجة أخا أسامة هذا استنجد بأقربائه أمراء شيزر ليعينوه على فكاكه من الأسر ، فأبوا أن يدفعوا دينارا واحدا ، فأعطاه نور الدين فارسا صليبيا كان قد بذل لنور الدين عشرة آلاف دينار ، ليطلق سراحه ، ففادى أسامة به أخاه ، وما أحسن قول أحدهم فيه مخاطبا أسامة وأضرابه : ـ إنه بخيل حيث تحبون ، كريم حيث يحب الله تعالى .

لهذا مالت القلوب إليه ، وانضوت الفرسان تحت لوائه ، وعقد له النصر على الأعداء وتأمل معى ما يلى ، لترى مقدار طاعة الناس له وحبهم إياه : ـ

أرسل الى أمراء المشرق يستعين بهم ذات مرة ، فكلهم اجاب إلا فخر الدين صاحب حصن كيفا ، فانه استشار أصحابه ، فكلهم قال : ـ إن نور الدين يلقى بنفسه فى المهالك ، واتفقوا على عدم إرسال الجنود لمعونته ، فلما كان الغد أمر الأمير بالتجهز للغزو ، فقال له أولئك الرفاق : ما عدا مما بدا ؟ فارقناك أمس على حالة ، فنراك اليوم على ضدها ، فأجاب : ـ إن نور الدين قد سلك معى طريقا إن لم انجده خرج أهل بلادى عن طاعتى ، وأخرجوا البلاد من يدى ، فانه كاتب العلماء والزهاد ، يطلب منهم أن يحثوا الناس على الجهاد ، وهم يقرءون كتب نور الدين على قارعة الطريق ويبكون ويلعنوننى ، فلا بد من المسير ، ثم تجهز وسار بنفسه .

ولما ارسل جيشه إلى مصر بقيادة شيركوه وتعاون جيش « شاور » بمصر مع جيش الصليبيين عليه ، ذهب شيركوه إلى الصعيد ، مستعينا بالسكان ، الذين أعانوه على الفرنجة ، وعلى مرتزقة شاور ، فلما بلغ أعلى الصعيد جمع رجاله يستشيرهم فى أمر الاستسلام ، فخلفه يطارده جيشان كبيران ، وجيشه صغير ، فوقف أحد الجنود قائلا : ـ يا هؤلاء كيف تلقون نور الدين إذا استسلمتم لعدوكم ؟ أما انا فوالله لن أرى وجهه حتى أجاهد فى هؤلاء ، وقام كل جندى يقول قوله ، وتقدم شيركوه بهذا الجيش الصغير فى ذلك المكان النائى فهزم الجيشين ، وكان ذلك من أغرب الوقائع والحوادث .

تلك صورة بطل من أبطالنا ، وعزيمة رجل من رجالنا فى ظروف كتلك التى تمر بنا نقدمها للقراء ، ليروا كيف يكون صلاح القائد وإيمانه وحسن تدبيره مفتاحا لصلاح أمته وانتصارها .. ويروا كيف تستجيب الأمة بمعدنها الطيب الأصيل للصالحين من حكامها وتفديهم بأرواحها .

الإسلام والحياة العصرية

تاليف : الدكتورة اليس ليختسندر
أستاذة الاسلاميات سابقا بجامعة فرانكفورت

عرض ومناقشة للأستاذ :
عبد الحميد فرحات

الأســتاذة الدكتــورة « اليس ليختسندر Lictenstander » اسـم ذائـع الصيت فى مجـال الاستشراق ، وربما كانت وحدها من دونهم جميعا اقرب الى روح الإسلام وطبعه ، ولعل هذا بسبب زياراتها العديدة للبلاد الإسلامية ، واقامتها فترة طويلة فى ايران وباكستان ، أو لعله بسبب تمكنها الشديد من اللغة العربية بكافة لهجاتها مما ساعدها بدون شك على قراءة امهات الكتب الإسلاميـة بلغتها الأصلية . ولقد تلقت هذه الباحثة المجتهدة دراستها الإسلامية فى جامعة فرانكفورت ، ثم فى جـامعة لندن ، وهى معروفة بشغفها الشديد الى دراسة الفرق والشيع الإسلامية والمقارنة بينها ، وبتحديد مدى اقتراب او ابتعاد كل من هذه الفرق والشيع عن اصـول الديانة الإسلامية .

والنـاظر الى انتـاج الأستاذة (اليس ليختسندر) فى جملته يدرك أن ثمة موضوعا مهما قد شغلها والح على ضميرها ووجدانها ، فاندفعت مخلصـة الى دراسته . اما هـذا الموضـوع المهم فهو تحـديد وضع الديانات المنزلة بصفة عـامة داخل الحضارات الحديثة ، وهو الموضوع نفسه الذى افردت له مؤلفا ضخما يقع فى مجلدات ثلاثة ، وتحت عنوان رئيسى واحد هو : (الديانات والحياة العصرية)
Religions and Modernlife

وكان المجـلد الأول من بينهـا عـن اليهودية ، والثانى عن المسيحية ، أما ثالث المجلدات واكبرها (٣٠٤ ص) فقد كان عن الإسلام ، وقد ترجم فى العـام الماضى فقط من الألمانية الى الانجليزية .

ويهمنا هنا المجلد الثالث الخاص بالإسلام ، وعلى ما يبدو فان ما جاء فى هذا المجلد قد شغل الباحثة حتى من قبل اصدارهـا مجلداتها الثلاثة المذكـورة ، ففى قائمـة مؤلفـات الأستاذة « اليس ليختسندر » كتيبا صغيرا بعنوان (الإســلام والعصر الحديث Islam and modern age) تنـاولت فيه الموضوع نفسه ، مما يؤكد أنه كان فى نيتها استكمال هذا الموضوع فى مجلدهـا الثالث من الديانات والحياة العصرية ، وان هذا الكتيب الصغير كان مدخلا سريعـا لدراسة تفصيلية قادمة . ويعنينا هنا الصلة الوثيقة بين الكتابين ، ولقد اشارت الباحثة نفسها الى هذه الصلة فى مدخل الكتاب الثـانى (ص ٨) حينما استشهدت بنص ورد فى كتيبها الأول — تقول :

« ولقد اثبت فى كتـابى الإسلام والعصر الحـديث كيف ان المسـلم العصرى يعتقد أن كتابه المنزل يسمح له ، ان لم يوجب عليه ، ان يعالج مشروعات عصره بما يوافق الدين ، وبغير ان يضيع من يده مـا تحققه

العلوم الحـديثة من فوائد .. ومن المؤكد ان دعاة الاصلاح قادرون على ايجـاد السند القـوى من القرآن الكريم ، لكل مـا يدعون اليه من جديد ، ولكل ما ينتقدونه من تقليد على أساس أن اهم ميزات الإسـلام هو مجيئه فى ختام الأديان السماوية ، ومن ثم فهـو يوافقها فى اصـول الإيمان ، وهو يخـالفها فى صيغته العامة ، فلا يرتبط برسالة محدودة تمضى مع مضى عهدهـا ، ولا بأمة خاصة يصلح لها ولا يصلح لسواها ، فالإسلام هو خاتم الأديان ، ويراد به الدوام ، وكل ما يراد به الدوام ينبغى ان يوافق كل جيل ، وان يصلح لكل اوان) .

وانطلاقـا من هذا الفهم وهـذا الحماس تمضى الكاتبة الى مجلدها الثـالث : « الديانـات والحيـاة العصرية ــ الإسـلام » لتمزج فى اقتدار بـالغ بين الدين والتـاريخ والاجتماع والفلسفة وعلم النفس . ويحتوى هذا المجلد بصفة أصلية على اقسام ثلاثة :

القسـم الأول : ــ فى تفسـير ظـاهرة التشكيك فى عصرية الدين الإسلامى ، وهى الظاهرة التى تزداد بزيادة التقدم العلمى والتكنولوجى .

والقسم الثـانى : ــ فى ضرورة التوفيق بين الدين والحياة الحديثة ، ومـا فى التوفيق من صـلاح للدين والحياة .

والقسم الثـالث : ــ فى بيـان الترابط والارتباط بين ما فى الحيـاة الحديثـة من تنظيمات ، ومـا فى الإسلام من تشريعات .

القسم الأول
فى ظاهرة التشكيك

تقوم دعوى التشكيك أو الإلحاد atheism ضد الإسلام ، وضد سائر الديانات الأخرى أيضـا على جملة من الأسباب ، وهى أسباب يغلب عليها فى نظر المؤلفة الطـابع النفسى . فهى ترى : ــ

اولا ــ ان التشكيك مرجعه نظرة جزئية محدودة ، فالذى يشك لا يرى سوى الانتصـارات السريعة التى حققتها العلم والتقدم التكنولوجى ، وفى نفس الوقت يعجزون عن رؤية الصورة الشاملة للكون ، فلا يرون كيف خلق العـالم ، أو ضمانـات استمرار وجوده . وترى الدكتورة « ليختسندر » أن أنصـار التشكيك يسقطـون ــ للأسف الشـديد ــ صرعى البريق المثير الذى يحيط بالعلم والماديات فى هذه الأيام .

وهى ترى ــ **ثانيا** ــ ان ظاهرة التشكيك تحركها المصلحة الخاصـة لبعض الناس ، وهى تضرب هنا مثلا طريفا بـ « اصحاب الخمور وايضا ببائعيها » ، فمن المؤكد أن أمثـال هؤلاء لن يسعدوا ببقـاء الناس على دينهم . ويمكننا ان نقيس على ذلك القادر الذى لا يريد مساعدة المحتاج ، والمنحـرف الذى يبحث عـن تبرير لانحرافه .

وهى ترى ــ **ثالثا** ــ ان ظـاهرة التشكيك دليل على ضعف مقـدرة انسان اليوم على التكيف السليم مع مـا حوله ، فمن ناحيـة لا يستطيع الإنسان العادى الثبات طويلا امـام اغراءات الحضارة المادية ، فيسقط تحت تأثيرها المدمر لقدراته الروحية ، ومن ناحية اخرى يعجز بعض رجال الدين عن التكيف مع الموقف نفسـه فيعجزون بالتالى عن الوصول الى اسلوب (معاصر) لتثبيت الإيمـان فى النفوس .

القسم الثانى
فى التوفيق بين الدين والحياة الحديثة

هناك إذن خطر يهدد الإيمـان ، وهو خطر فى رأيها قـابل للنمو ــ وهى تضع أمام هذا الخطر السؤال الهام التالى (ص ١٢٣) : **ماذا يمكن ان يفعـل المسئولون عن الدين وكل اولياء الأمور لإقامة السلام بين الدين وروح الحياة الحديثة ؟.** وهى تمضى فى طريق طويل مليىء بالتفاصيل كى تجيب على هذا السؤال ، ويلاحظ خلال كل مراحل مناقشتها للمسألة تمسكها بالمنهج النفسى الذي سـارت به فى القسم الأول ، ومن هنـا قد لا يتفـق الكثيرون مـع الدكتـورة « ليختسندر » فى هذا المنهج النفسى الذى تلجأ اليه . ويبدو أن الباحثة نفسها قـد شعرت بهـذا فقـالت (ص ١٨٤) : « الإنسان المعاصر بالذات مخلوق له تركيب نفسى شديد التعقيد ، فهو وريث لحضارات شديدة التناقض . ومن ثم يجب عند تنـاول اية ظاهرة تتصل بالإنسان ان نراها من خـلال تركيبه النفسى لشـديد التعقيد . » وفى ضوء هذا التحفظ تناقش المؤلفة ما تراه .

وفى كل سطر من سطور القسم الثـانى تصرخ المؤلفة وتتوسـل كى يحاول الناس تدعيم وجود الدين فى حياتنـا المعاصرة ، وهى تؤكـد أن اضعف ما فى إنسـان اليوم قابليته الهائلة للايحاء Sueggitsbitiy وهى تلعب فى حياتنا دورا متناقضا ، فهى من ناحية تضعف مقدرة الإنسان على الثبات أمام الدعوات الهدامة (المغلفة) فى أردية عصرية زاهية ، وهى من الناحية الأخرى ذات فائدة كبيرة لأنصار الإيمان .

ومن هنـا تدعـو الدكتـورة « ليختسندر » كل مسئول عن الدين الى الاستفـادة الكاملة من قابليـة الإنسان المعـاصر للايحـاء ، والى استفـادته مـن التـركيب النفسى للانسـان ، فى أية محاولة لمواجهة الالحاد فى كافة صوره وأشكاله .

وترى الدكتورة « ليختسندر » ان إنسان العصر الحالى يتعذب من عدم قـدرته عـلى احـداث الملائمـة Conformity بين متطلبات الحياة اليومية ومتطلبـات الإيمان ، ويبدو العجز عن الملاءمـة والتكيف هـذا واضحا وصارخا فى مجتمعات أوربا بتركيبها المعقد ، وصراعاتها المستمرة العميقة ، ومشاكلها التى لا حدود لها .

وازاء هذه الحالة تلقي الدكتورة ليختسندر مسئولية جسيمة على عاتق رجـال الدين ، فعليهم ــ مزودين بالعلم ــ التحرك السريع المدروس لحل أزمة الإنسان المعاصر ، وهى أزمة ذات طابع روحانى فى المحل الاول ، فالإنسان المعـاصر مريض روحيا ، أو هو بتعبيرها مريض بعدم التكيف والملائمة .

القسم الثالث
فى عصرية الدين الإسلامى

ويلاحـظ أن حـديث الدكتورة ليختسندر فى الاجزاء السابقة يميل الى تعميمـات يمكن ان تقـال عن الإسلام أو عن غير الاسلام . غير أن حديثها فى القسم الثالث يأخذ الطريق مباشرة الى بحث مكانة الإسلام فى المجتمع المعاصر .

وقد أعطت هذه البـاحثة نصيب الأسد للحديث عن الاقتصاد فى البلاد الإسلامية ، وهذا المنطلق امر طبيعى ومنتظر من باحثـة تعيش وسـط حضارة غريبة جوهرها اقتصادى ــ

وهى تقرر منذ البداية أن هناك حقيقة لا مفر من الاعتراف بهـا ، فالنظـم الاقتصادية المعمول بها حاليـا فى البلاد الاسلامية ، تختلف بعض الشىء عن جوهر الاقتصاد الإسلامى . غير أن هذه الحقيقة نفسها جعلت العلماء المسلمين يقومون بجهد مضاعف ، كى يقربوا بين روح الاقتصاد الإسلامى وبين متطلبات الحياة الحديثة . وهى تقرر أن الجهد الإسلامى فى هـذا المجال قد توصل الى نتائج طيبة .

فعلى سبيل المثال اعتبرت أنواع التأمينـات الاجتماعية والتعـاونية والصحية تأمينـات جائزة شرعـا ، والأساس فى اباحتها هنا هو خلوها من عنصر الربا Usuley ، فمثـل هذه التأمينـات تبقى الاستفادة من فائض رأس المال والمدخرات الفردية بهدف تحقيق فوائد اجتماعية خالصة ، وبدون حصول أى طرف فيه على ربح بدون جهد مادى أو عملى .

وتشهد دكتـورة « ليختسندر » شهادة حق لعلماء الإسلام ، فهم فى نظرهـا يحـاولون الاستفادة قدر الامكان من كل ما هو نافع ، ومن ثم لم يعادوا(١) النظم المصرفية القائمة حاليـا فى البـلاد الإسلامية ، بل يحـاول علماء الاسـلام جـاهدين الوصـول الى بديـل اسـلامى Islamic-Substitute لنظام البنوك والمصـارف الحالى .

وتصل الباحثة فى مجال الاقتصـاد الى نتيجة عريضة وهى أن فى جوهر الاسلام مقدرة هـائلة على مسايرة كل التنظيمات الاقتصادية الحديثة .

ومن الحديث عن الاقتصاد تقوم الدكتـورة ليختسندر بتعقب الروح العصرية فى موقف الاسلام من المرأة واشتغالها ، وموقفه من العلاقـات الأسرية وواجبات ومسئوليات كل فرد فيها ، ومن شئون المجتمع وما يدور فيه ، ومن العلاقات الدولية وما يتصل بها . ويهمنا من هذا كله ما برز من ثنايا حديثها عما أسمته الاشتراكية الاسلامية .

تعرف الدكتورة اليس ليختسندر الاشتراكية الإسلامية Islamic Socealism بأنها اشتراكية يملك داخلها كل فرد من أفراد المجتمع حرية التصرف القانونى المشروع ، والفرد داخل هذه الاشتراكية يحسب كانسان حى له عقل وروح ووجدان ، وليس كآلة تنفذ ما يوجهه اليها أولو الأمر من أوامر . ويترتب على هـذا أن يسـقط من مجتمـع الاشتراكيـة الإسلاميـة كل أشـكال الاحـتكار والاستغلال المادى والأدبى(٢) .

هذا موجز سريع لبعض ما جـاء فى كتـاب المستشرقة الألمانية اليس ليختسندر (الإسـلام والحيـاة العصرية) ، أحد الكتب القليلة التى يسهم بها المستشرقون فى اخلاص فى نصرة الإسلام والمسلمين .

---

(١) هـذا الكلام فيه نظـر بالنسبة لموقف العلماء من المعاملة بالربا فى البنوك . أما أن العلماء يحاولون ايجـاد بديل اسلامى فهذا صحيح .

« الوعى »

(٢) بمعنى أن الاسلام بنظمه يحقق أسمى معانى التكافل الاجتماعى الذى تدعو اليـه الاشتراكيـة المعروفة مع زيادة مهمـة وهى الاعتراف بحرية الفرد وقيمته فى المجتمع ، ونتيجة مجهوده فيه .. فلا يعطيه لقمة الخبز ويسلب منه حريته ، ويجعله آلة مسخرة لأولى الأمر . ونظـام كهذا يحقق التكافل بأسمى صوره مع اعطاء الفرد حريته المشروعة المقررة هو أسمى نظام يستحق أن تجاهد البشرية كلها ــ لا المسلمون وحدهم ــ من أجل تحقيقه .

« الوعى »

قصّة إسلاميّة قصيرة



طريق الحق

للدكتور: نجيب الكيلاني . د.ت .

عاد (كعب) الى (المدينة) تحت استار الظلمة الضافية ، إنه يهرول فى اعياء بالغ ، وقلبه الحزين يتنزى ألما وحسرة ، والضيق الشديد يأخذ بجماع نفسه ، إنه لا يكاد يشعر بالأحد عشر جرحا التى تنتشر فى انحاء جسده المكدود ، وليس به أدنى رغبة للنوم بعد ذلك الجهد الكبير الذى بذله إبان المعركة الضارية ، معركة (أحد الكبرى) ، وتذكر مصارع الشهداء الأبرياء ، وهم يجالدون عن مبادئهم الخالدة ، آه .. يا له من مشهد لن ينساه طوال حياته .. حمزة بن عبد المطلب الذى سقط ضحية الغدر بعد أن أبلى بلاء حسنا .. وتساقطت الدموع من عينى (كعب بن مالك) .. كانت انفاسه تتلاحق ، وساقاه تتحركان فى تراخ ، والمدينة يجللها الصمت الموحش ، ويخفق أفقها الداكن بالأحزان والهمسات والشهقات المكتومة .

يا له من يوم مشهود !! لماذا لم يرضخ الجنود أعلى السفح لأوامر الرسول .. لماذا ؟؟ لكنها إرادة الله ، من يدرى لعل الخير كل الخير فيما حدث .. لكن هل يستطيع (كعب) أن ينسى ذلك اليوم المشهود ..؟؟ وتسلل كعب الى بيته ، كانت زوجه تتوسط رحبة البيت ، وتقف وسط الضوء الشاحب مضطربة الأوصال ، واجفة القلب ، وشهقت قائلة حين رأته :

ـ ((هل أتيت أبا عبد الرحمن ؟؟))

وسدد إليها نظرات حزينة ، ثم القى بمتاعه جانبا ، وتمتم :

ـ ((ليتنى ما أتيت ..)) .

ولم تدر كيف تواسى زوجها ، إنها تعرفه جيدا ، من المستحيل أن تخدعه أو تهون عليه الأمر ، لقد خرج الى المعركة بالأمس ، وهو على يقين من النصر ، بل إنه ملأ أرجاء (المدينة) بأشعاره ، وترنم بانتصار المسلمين



فى (بدر) ، وأفاض على المجاهدين من روائــع قصائده ، مــا جعلهم يترنمون بها فى كل ناد ، ويتفاءلون بترديدها فى كل حين ، ألم يقل له الرســول (المؤمن يجـاهد بسيفه ولســانه) ؟ ومع ذلك فقد قـالت زوجه :

ــ « لا تحزن يا أبا عبد الرحمن ، والحرب سجال .. » .

فصرخ فى توتر ملحوظ :

ــ لن يخذلنــا الله .. لســوف ننتصر .. لسوف ننتصر بإذن الله .. إننا على الحق ، وعدونا على الباطل ، وقــد وعد الله نبيــه بـأن النصر للمؤمنين » ..

ثم ألقى بجســده على جذع نخلة عتيق ، وأطرق برأسه ، وعاد يقول :

ــ « .. أجل ..! » الله لن يخلف وعده .. لقــد استشهد حمزة .. قتله (وحشى) المأفون .. لشد مــا تألمت لمنيته !!

هذا هو ثمن النصر .. انه الطريق الى الجنة يا امرأة .. ان نقطة من دمه الزكى أعظم عنــد الله من آلاف الأبيات من الشعر الذى قلته .. لكم تمنيت هذا المصير !!

وصمت برهة ، ثم شرد بنظره الى بعيد .. وأخذ يقول بنبرات مؤثرة :

ــ « أنت تعرفين يا زوجتى القصة من أولها .. إننى لا أمل من تكرارها .. لكأنها أعذب أنشودة أترنم بها فى حياتى .. كنت أحيــا قبل أن أرى محمدا حياة غريبة .. أشعر دائمــا بالقلق ، وأنقب عن شىء مفقود .. أنقب عن ذاتى .. أجــل .. كنت شاعرا عظيمــا ، ونلت المجد الذى حلمت به صبيا .. ومع ذلك لم أكن راضيا عمــا أنا فيــه .. كان لدى المجــد .. والمال .. والنســاء .. والسيف الذى لا يفل .. وفى نفس الوقت كان بى ظمأ حارق الى شىء آخر .. كنت أبث الليــل والرمال

آلامى وقلقى ، وأثقلها بالتساؤلات .. لماذا خلقنا ؟؟ ومن خلقنا ؟؟ وما هى النهاية ؟؟ أنولد لنموت ، ويطوينا العدم .. ولا شىء بعد ذلك ؟؟ والناس فى شتى الأنحاء ، يأكلون ويشربون ، ويتصارعون بلا معنى ، وفكرتهم عن الحياة والوجود غائمة غامضة .. طلاسم ورموز لا تشبع روحى الجائعة .. إننى شاعر يا امرأة .. وكنت أحلم بأشياء كثيرة .. بحثت عنها لدى الكهان والأحبار .. ذهبت الى بنى قريظة وبنى النضير .. وتجولت شمالا فى الشام .. لم أجد غير عالم يترنح .. جموع من السكارى يهذون بين اليقظة والمنام .. من انا ؟؟ ولم خلقت ؟؟ وهذه الأرض والسماء ، وذلك العالم الذى يئن بالعذاب والاضطراب والضياع .. ما معنى كل ذلك ؟؟ إنه الجحيم بعينه يا امرأة .. » .

وصمت (كعب) وهتف بامرأته :

ـــ « أعطنى جرعة ماء .. أكاد أموت من الظمأ .. » .

وارتوى كعب ، وحمد الله ، ثم عاد الى تحليقه فى الأفق ، بنظراته الشاردة ، واستطرد يقول :

ـــ « .. وتواترت الأنباء تحكى عن نبى جديد .. خفق قلبى يا امرأة خفقات حلوة لن أنساها ما حييت .. كدت أعلن إيمانى به وبرسالته قبل أن أراه .. لكنك تعرفيننى .. إن فكرى العنيد يرفض ذلك .. وشددت الرحال إليه يا امرأة .. يا له من يوم مشهود .. » .

قاطعته زوجه قائلة :

ـــ « أعرف ذلك يا أبا عبد الرحمن .. لقد ذهبت الى محمد مع سبعين رجلا من الأنصار .. وبايعتم نبى الله ورسوله على أن تمنعوه ما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .. فى يوم العقبة الثانية .. »

قال كعب بن مالك الأنصارى فى ضيق :

ـــ « إنى لا أسرد أحداثا مجردة يا امرأة .. يا لك من ساذجة .. إننى أعبر عن ذاتى وفكرى .. لقد سخرت من دعوته فى بداية الأمر .. برغم تفتح قلبى لها .. أكان عنادا وغباء ؟. انه تناقض غريب !! الا تدركين قيمة الأحداث النفسية الضخمة ؟؟ آه .. رأيت محمدا فأشرقت روحى بالنور والأمل العظيم .. وكدت أجثو لألثم التراب تحت قدميه .. صبرا يا أبا عبد الرحمن .. لتستمع إليه أولا .. هذا ما قلته لنفسى .. أتملين حديثى يا امرأة ؟؟ »

ـــ « كيف تقول هذا الكلام يا كعب ؟! اننى فقط أشفق عليك ، والساعات الرهيبة التى قضيتها فى المعركة تفرض عليك أن تأوى الى مضجعك كى تستريح وتضمد جراحك .. » .

ومضى كعب فى حديثه قائلا :

ـــ « هيهات » !! ان هذه الذكريات وحدها هى القادرة على شفائى ..

ثم صرخ :

ـــ « نحن على حق يا امرأة .. وسننتصر باذن الله .. » .

وأخذ يجفف عرقه المتقاطر على جبينه الأسمر ، ولحيته الكثة المغبرة ، ثم استأنف حديثه :

ـــ « أجل .. فى يوم العقبة الثانية رأيت محمدا .. كنت أقرأ فى عينيه الصفاء والإيمان واليقين والحب ، وكنت أتوسم فى ملامحه الأمل الكبير لخلاص المحرومين والمظلومين والتائهين فى ظلمات الحياة المقفرة .. كنت أرى الفجر الوليد يخفق من حوله .. ومعه نخبة من المؤمنين الشرفاء يفدونه بالروح والمال والولد .. قلت له حدثنا عن الله .. عن الإنسان .. عن الوجود والكائنات ..

عن نهاية الطريق فى رحلة الحياة الشاقة .. حدثنا عن البداية والنهاية .. وعن الإنسان كيف يفكر ويصل الى الحقيقة .. عن الحرية .. واليقين .. عن علاقات البشر .. عن الأمانى الحلوة التى حلمت بها طويلا .. عن الرموز والطلاسم وتجربة الملايين منذ فجر التاريخ .. سألته عن الكثير .. وجلست أستمع إليه .. كان لديه لكل سؤال جواب .. وجدت رجلا يعرف جيدا ماذا يفعل وماذا يقول . ويدرك عن يقين الهدف الذى يتحرك اليه .. وجدته يترجم عن آمال الإنسان وآلامه وقلقه .. **« ما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى »** .. ومددت يدى أخيرا لأبايعه .. وعدت الى المدينة يا امرأة خلقا آخر .. خيل إلى اننى أولد من جديد .. قلبى يطفو به الشوق والحنين ، وروحى تشدو بأروع قصيدة فى حياتى .. القصيدة التى لم استطع أن أهتف بها ، ولن أستطيع .. لأنها أعظم وأقوى من أى تعبير . . عندئذ احتقرت ماضى واحتقرت قصائد الفخر والهجاء ، ومناجزة القبائل ، والانشغال بالحزازات القبلية الفارغة ، وتمنيت آنذاك أن أمحو من صفحة الوجود كل شعر قلته .. وخجلت أشد الخجل من تلك السخرية القديمة .. »

واستأذنت زوجه ، ثم عادت بعد قليل ، ومعها سطل من الماء الدافىء ، وقطع من نسيج نظيف ، ورفضت أن تستمع اليه ، قبل أن تنظف له جراحه ، وتضمدها ، وتزيل عن وجهه وجسده وشعره ما علق بها من اتربة ، ولم تكد تتم ذلك ، حتى عادت واحضرت له قدرا من اللبن الحليب والتمر ، وما أن عادت اليه حتى سمعته يترنم والدموع فى عينيه :

فكلهم مات حر البلاء
على ملة الله لم يحرج(١)
كحمزة لما وفى صادقا
بذى هبة صارم سلجج
فلاقاه عبد بنى (نوفل)
يبربر كالجمل الأدعج

فهتفت به فى حزن :

— « أيبكى الرجال يا ابا عبد الرحمن ؟؟ » .

— « ان قلبى يتمزق يا امرأة .. وانت تأتين الى بالطعام .. » .

— « يا أبا عبد الرحمن .. يجب أن تجمع شتات نفسك ، وتعتصم بالصبر ، فيوم النصر آت لا ريب فيه ، والله لا يخلف وعده رسله .. وانت لا تستطيع الاستعداد للمعركة القادمة الا اذا نفضت عن نفسك آثار الحزن ، واقبلت على طعامك ، وفكرت فى المستقبل تفكير الواثق بوعد الله ، المستعد للغد وما فيه من جهاد .. » .

جفف « كعب » دموعه . ثم . تمتم :

— « لقد استشهد نخبة من خيرة الرجال ، والمدينة يلفها الحزن لا لفقدانهم فحسب ، بل لما أصاب المسلمين من انتكاس ، ماذا يقول اليهود عنا الآن ؟؟ وبماذا تهرف قريش ؟؟ ثم ان ذلك سىء الوقع على المسلمين انفسهم .. » .

قالت زوجه فى ثقة :

— « لقد وعدكم الله باحدى اثنتين النصر او الشهادة فى سبيله » ..

— « صدقت .. لعل شهداءنا احسن حالا من أحيائنا .. » .

— « ثم ان عودة الرسول سالما يا أبا عبد الرحمن قد خفف الكثير من

---

(١) الابيات فى ابن هشام ٢ : ١٢٩ والسلجج : المرهف .

وقع النبأ بالإضافة الى انكم حققتم نصرا عظيما فى بداية المعركة ، برغم قلة عددكم وعددكم .. » .

انفرجت اساريره بعض الشىء . وقال فى سعادة :

ـ « حق ما تقولين .. لن انسى ان الرسول قد اخذ لأمتى والبسنى لأمته الصفراء لبلائى وحسن جهادى ، إنــه لشرف كبير أعتز بــه طــول حياتى .. » .

وسادت فترة صمت قالت الزوجة بعدها ، وهى تلوح بسبابتها اليمنى معتذرة :

ـ « حذار يا أبا عبد الرحمن .. »

ـ « ماذا تعنين ؟؟ » .

همست فى حياء وتردد :

ـ « أخاف أن تكون الهزيمة التى حاقت بنــا قد نالت من إيمــانك ، وهزت عقيدتك .. »

صرخ كمن لدغته حية :

ـ « اصمتى يا امرأة .. » .

ـ « معذرة .. لا اقصد التعريض بك .. » .

ـ « ان كعب بن مالك الانصارى لن تزيده النكبات إلا اصرارا واقداما .. اننا على الحق .. اقولها دائما .. قد ينتصر الحق ، وقــد يتعرض لبعض الهزائم العارضة .. لكن الحق ينتصر .. ينتصر دائما .. لأن الله هو الحق .. وهو القوى المتين الذى لا يقهر .. أن ما انتــابنى يا امرأة ما هو إلا انفعالات انسان .. كلنــا بشر .. نحزن ونتألم ، ونسر ونمرح ، وفى كلتــا الحالتين لا يتزعزع لنــا إيمان ، ولا تفتر بنا همة .. ان الندم يحرق روحى لأن بعضنــا قــد نسى أوامر الرسول وتوجيهاته ، فحــاق بنا من البلاء ما آلمنا .. لكن (أحد) كانت درســا لا ينسى .. وستكون نتائج المعركة كما اكد لنا الرسول ، نبراسا ينير لنــا الطريق ، وبداية لانطلاق أعظم وأروع ، وما حدث من خسائر فهو ابتلاء من الله .. » .

وهب كعب وجسده كله ينتفض من الانفعال ، انه يتذكر كل ما حدث ، ويستعيده بكل دقــائقه وتفاصيله ، يتــذكر صبر الرسول وشجــاعته وحكمته ، ويتــذكر الرجــال الذين يخوضون الموت والهول دون جزع أو خوف ، ثم يحلم بالغد الجميــل .. بعالم يسوده الحب والاخاء ، وغمغم وهو يلقى بجسده المنهوك على فراش النوم :

ـ « اننى ما زلت مؤمنا بالنصر الكبير .. لسوف ننتصر بإذن الله .. وسنمضى فى الطريق الى (مكة) .. فى يوم الفتح الأعظــم .. وستدين قريش ، ويستسلم أبو سفيان وطغام الشرك فى انحاء الجزيرة .. وسيعم نور الحق شــاسع الأنحــاء .. الا تذكرين تلك الأبيــات التى قلتها يوم (بدر) الكبرى .. لشد ما يحلو لى أن أرددها الآن .. » .

واخذ يترنم :

فما ظفرت فوارسكم ببــدر
وما رجعوا اليــكم بالسواء
فلا تعجل ابا سفيان وارقب
جياد الخيل تطلع من (كداء)
بنصر الله روح القدس فيها
و (ميكال) فيا طيب الملاء

واخــذ كعب يكرر المقطع الأخير (فيا طيب الملاء) يكرره مرات عديدة .. حتى اخذه النوم .



يسر المجله ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها ..

السؤال :

١) انني أعمل هنا في الكويت ولدى بعض ما تجب عليه الزكاة ، ولى في بلدى أخت شقيقة وهى بحاجة الى المساعدة . فهل يجوز أن أرسل زكاة ما عندى الى بلدى خارج الكويت الى شقيقتى أو غيرها من أقاربى المحتاجين ؟

٢) عندى سيارة خصوصية أستعملها لمصلحتى فقط وبيت أسكن فيه . فهل تجب فيهما الزكاة ؟

الحاج محمد يعقوب
ص . ب — ٣٠٥٣
الكويت

الاجابـة :

يرى جمهور الفقهاء انه لا يجوز نقل الزكاة إلى ابعد من مسافة القصر وهى نحو ثمانين كيلومترا ، نظرا لأن من حولك من المحتاجين أولى من غيرهم فى سد حاجتهم .

ويرى ابو حنيفة انه يجوز نقل الزكاة إلى ابعد من مسافة القصر اذا كان هناك أقارب محتاجون غير الاصول والفروع لاستحقاقهم للنفقة عليك أو كان يوجد من هم أشد حاجة ممن حولك أو كان ذلك لاعانة طالب علم ونحوه .

وبناء على ما سبق بيانه يجوز ان تنقل الزكاة لأختك المحتاجة وللفدائيين وابناء الشهداء ونحوهم .

أما السيارة التى تستعملها وبيتك الذى تقيم فيه فلا زكاة عليهما .

جاءنا من السيد/العبدلى ، من العراق الأسئلة الآتية :

١ — هل يجوز للمسلم أن يداعب زوجته بين فخذيها فى حال الحيض وعدمه .. واذا جاز ذلك فهل يجب عليه الاغتسال .

٢ — هل يجوز للرجل المسلم وهو جنب أن يقرأ القرآن عن ظهر قلب ، أو فى بعض الكتب أو المجلات الاسلامية وان يذكر الله والرسول .

٣ ــ فى اى وقت يمكن للصائم أن يغتسل من الجنابة .
١ ــ الجواب عن السؤال الأول انه : لا مانع شرعا من مداعبة الرجل امراته حال الحيض ، لأن المنهى عنه هو مباشرتها اثناء الحيض ، قال تعالى : «ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .
وقال عليه الصلاة والسلام : « اصنعوا كل شىء الا النكاح » **ولهـذا ذهب اكثر العلماء الى انه يجوز مباشرة الحائض فيمـا عدا الفرج . وروى الامام احمـد** وابو داود والترمذى وابن ماجة عن حزام بن حكيم عن عمه عبد الله بن سعيد **الانصارى انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل له من امراته وهى حائض فقال :** « ما فوق الازار » **، ولابى داود عن معاذ بن جبل قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لى من امراتى وهى حائض قال :** « ما فـوق الازار » **،وقد ورد ان امراة سالت السيدة عائشة رضى الله عنها عما يحل للرجل من امراته اذا كانت حائضا فقالت كل شىء الا الجماع .**
ومن داعب امراته او تفكر فيما يثير الشهوة فخرج منيه فانه يجب عليــه **الاغتسال ، اما المذى فحكمه حكم البول ، فلا يوجب نزوله الاغتسال ، ولكنـه يوجب الوضوءوهو** نجس كالبول ، وعن سهل ابن حنيف رضى الله عنــه قال : **كنت القى من المذى** شدة وعناء ، **وكنت اكثر منه الاغتسال ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال** « انما يجزيك من ذلك الوضوء » .
٢ ــ والجواب عن السؤال الثانى انه : يجوز للمحدث حدثـا اصغر قراءة القرآن عن ظهر قلب ، اما الجنب (المحدث حدثا اكبر) فيحرم عليه ان يقرا شيئا من القرآن لحديث على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يحجبه عن القرآن شىء ليس الجنابة . رواه اصحاب السنن وعنه رضى الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا ثم قرا شيئا من القرآن ثم قال ((هكذا لمن ليس بجنب فاما الجنب فلا ولا آية منه)) .
وبالنسبة لذكر الله والرسول حال الجَنابة فلا مانع منه فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه .
وتاسيسا على ماسبقبيانهفانه يحرم على الجنب قراءة ولو آية من القرآن ، ويجوز له ان يذكر الله والرسول فى اى وقت .
لذلك تجيب اللجنة :
بأن الجنب يحرم عليه قراءة القرآن ولو آية منه ، ويجوز له ان يذكر اللــه والرسول فى كل حين .
٣ ــ والاجابة عن الثالث أن الأفضل للمحدث حدثا اكبر (الجنب) الاغتسال من الجنابة لما يترتب على ذلك من حب الله جل شانه له قال تعالى : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . **حتى يمكنه اداء الصلاة فى وقتها اما بالنسبة للصوم فلا يبطل بتاخير الغسل حتى تطلع الشمس ولو مكث جنبا كل اليوم ، لكنه كما قلنا يجب عليه الاغتسال لاداء الصلاة فى وقتها ..**
لذلك تجيب اللجنة :
بأن الاغتسال من الجنابـة ليس له وقت محدد بـل يجوز فى كل وقت ، ولا يفسد صومه بتاخير حتى ولو مكث جنبا كل اليوم .

بأقـــلام القـــرّاء

يعبرون فيــه عن افــكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

المشكلات التى تواجه العالم الاسلامى اليوم كثيرة ، وحلها يتطلب تضافر جهود قادة المسلمين ، وخلوص النية وصدق العزم ، ودار العروبة للدعـــوة الاسلامية فى باكستان تتناول هذه المسائل فيما يلى :

١ ـ احياء الحضارة الاسلامية :

يجب على الدول الاسلامية أن تعتنى باحياء الحضارة الاسلامية والنهوض بها فى بلدانها بكل جد واخلاص .

ان العالم الاسلامى يعانى اخطارا جسيمة فى المجال الحضارى ، وقـــد دقت الساعة لتعميق الحضارة والتقاليد الاسلامية ، واقامة السدود فى وجه السيل الجارف من الحضارات الالحادية .

٢ ـ وضع نظام مشترك ومتزن للتربية الاسلامية :

ان مسألة نظام التعليم والتربية من اهم المسائل التى تتخبط فيها الدول الاسلامية خبط عشـــواء . ويجب على جميع الدول الاســـلامية أن تخطط لها سياسة موحدة . واضف الى ذلك المؤسسات التى تشرف عليها الجمعيـــات التبشيرية المسيحية التى تنشىء عنصرا ثالثا فى المجتمعات الاســـلامية يحقق مطالب القوى الاستعمارية .

٣ ـ صناعة الأسلحة الحربية :

ان صناعة الأسلحة الحربية كذلك من اهم المسائل التى يجدر الاعتناء بها . أما الحاجة الى العملة الخارجية لاقامة هذه الصناعة ، فإن كلا من الكويت والعراق وايران والمملكة العربية السعودية والدول الأخرى المصدرة للبترول تستطيع تحقيقها . وأما الخبراء والمتخصصون فنستطيع أن نستقدمهم . وأما الأيدى العاملة المدربة فان باكســـتان والعديد من الدول الاســـلامية الأخرى تستطيع توفيرها .

٤ ـ قضية الطلبة المسلمين الذين يدرسون فى الغرب :

ان الطلبة المسلمين الذين يسافرون الى الغرب لغرض التعليم يترك حبلهم على غاربهم . الأمر الذى ينتج عنه فساد معظمهم وفقدانهم قابلية ملائمتهم مع المجتمعات الاسلامية . واذا قامت الدول الاسلامية بانشاء مجموعة كبيرة من دور للاقامة فى عدة مدن غربية حيث ينزل فيها الطلبة الذين يأتون من البـــلاد الاسلامية ، ويعيشون عيشة جماعية فى جانب ، وفى الجانب الآخر ، تتخذ التدابير اللازمة لتربيتهم تربية خلقية ، فاننا ننقذ بذلك الكثرة الكاثرة من هؤلاء الطلبة من الضياع والفساد والانحراف وراء الأهواء .

من ذكريات يوم الفتـــح

ويتحدث الاستاذ عبد المنعم البحقيرى عن يوم الفتح وذكرياته فيقول :
من قصة الفتح نعرف كيف كان الرسول ذا علم بالحـــروب ، فهو قد تكتم أمره تكتما شديدا ، ولجأ فيه الى عنصر المفاجأة لتحقيق النصر مع عدم اراقة الدمـــاء .

ومع أن الرسول كان يؤمن بأن النصر من عند الله يؤتيه من يشاء الا أنه كان يعد العدة ايمانا بقول الله تعالى :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ولم يكن فتح مكة تكريما لشخص محمد ، وانما كان الهدف منه اعلاء كلمة الحق ودحض الباطل ، وكان الرسول يقول بأعلى صـــوته وهو يكسر أصنـــام الكعبة قول الله تعالى : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

ولقد جمع الفتح كلمة العرب ، ودعاهم الى الوحدة وعدم الانقسام .. لينشروا دين الله فى كل مكان .. جمعهم يوم الفتح ، ووضعهم أمام الهـــدى الانسانى الذى جاء ليضع حدا للانقسام وللامتيازات الطبقية حيث الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، فلا مجال للتعاظم بالآباء والأجداد ، فلقد سوى الاسلام بينهم ، فلا فضل لانسان على آخر الا بالتقوى والعمل الصالح ، لا فضل لانسان على آخر الا بما فى نفسه من الحب والتسامى ، وبما فيها من حب للغير ونفع للمجتمع الانسانى .. لقد تغير المجتمع الانسانى .. كان الابن يقاتل اباه والأخ يحارب اخاه ، لقد جمعهم يوم الفتح للسير فى طريق آخر .. هذا الطريق هو العمل من اجل انتشار هذه المبادىء العظيمة هنا وهناك فى كل مكان ، من أجل الحق والحب والخير .

ولقد علمنا يوم الفتح كيف عامل الرسول ابناء مكة .. هؤلاء الذين آذوه هؤلاء الذين وقفوا فى وجه الدعوة .. نتعلم كيف يكون ضبط النفس ، وكيف يكون الصبر والحلم .. ثم يضع أمامنا اخيرا ماذا جنى الصابر ؟ ماذا جنى ضابط النفس والحليم ؟

لقد انتصرت المبادىء .. حينما قال لهم : (يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبـــوا فأنتم الطلقاء) لقد اعطاهم محمد درسا فى الســـمو الأخلاقى .. هلم نتعلم منه ؟ هل نأخذ منـــه العبرة ؟ لم ينتقم منهم ولم يقهرهم ، وانما كان معلما وموجها ومرشدا .

عاد محمد منتصرا فلم تبهره أنوار الانتصار ، ولم تخدعه أضواء النصر الأكبر ، بل دخل مكة مطأطىء الراس حتى تكاد تمس ركبتيه لا بطرا ولا غرورا كما يدخل الفاتحون ، ولقد كانت فرحته لانتصار الحق وحده .. ولدخول الناس فى دين الله أفواجا .. ومن هنا نتعلم كيف تكون المعاملة الطيبة ، انها درس طيب لمن يريد أن يقتدى بهدى الرسول المعلم والموجه والمرشد .

فيا من تكافح من اجل الحق والعدالة سر فى طريقك ولا تكترث بالمصاعب فهى طريق الى النصر ، تعلم من احتمال الرسول ومن صبره ومن عفوه حتى تحقق الأمل .



مع القرآن الكريم

تنزلات القرآن :

أين كان القرآن الكريم قبل أن ينزل به جبريل عليه السلام على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(اسماعيل زيدان ــ بيروت) .

المعلومات فى هذا الشأن لا تستقى الا من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة ، فهى غيب من الغيوب لا يعلمه الا الله عز وجل ، ومن أطلعه الله على غيبه من رسله الكرام ، فلا مجال للعقل ولا للرأى فى هذا الأمر .

واذا رجعنا الى هذين المصدرين وجدنا أن الله عز وجل أخبر بأن القرآن كان موجودا كله فى اللوح المحفوظ وهو كتاب الوجود والسجل الجامع لكل ما كان ويكون قال سبحانه : « بل هو قرآن مجيد.فى لوح محفوظ » وهذا هو التنزيل الأول ووقته لا يعلمه الا الله .

وهناك تنزل ثان من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا ، والقرآن الكريم يفيد أن هذا النزول تم جملة واحدة فى ليلة واحدة قال تعالى فى سورة الدخان « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » وفى سورة القدر « انا انزلناه فى ليلة القدر » وفى سورة البقرة (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) والأحاديث الصحيحة تبين مكان هذا النزول . أخرج الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : (فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا) .

أما التنزل الثالث والأخير فقد تم بواسطة ملك الوحى جبريل عليه السلام . وقد نزل مفرقا ومنجما على حسب الأحداث والوقائع ، وبدأ نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء فى شهر رمضان قال تعالى فى سورة الشعراء مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » وقال ابن عباس : انه أنزل فى رمضان فى ليلة القدر جملة واحدة (يقصد الى بيت العزة فى السماء الدنيا) ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا فى الشهور والأيام .

فللقرآن الكريم ثلاثة تنزلات : التنزل الأول الى اللوح المحفوظ جملة ، والتنزل الثانى الى بيت العزة جملة ، والتنزل الثالث الى قلب الرسول مفرقا ومنجما . وابتداء نزوله بمبعثه عليه الصلاة والسلام وانتهى بقرب انتهاء حياته الشريفة .

اول وآخر ما نزل :

ويسأل الأخ سمهان عبد العزيز عن أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه ؟

والمختار من اقوال العلماء ان أول ما نزل من القرآن الكريم صدر سورة العلق « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم » .

أما تعيين ما نزل منه فقد اختلف فيه العلماء ، والذى نختاره من أقوالهم أن آخر ما نزل منه هو قوله تعالى فى سورة البقرة « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

المفصل واقسامه :

ويستفسر الأخ سعود العبد اللطيف من المرقاب — كويت — عن المفصل من سور القرآن .

تسمى السور الأخيرة من القرآن الكريم المفصل ، وهو ثلاثة اقسام : طوال وأوساط وقصار ،

فطوال المفصل تبدأ من سورة الحجرات الى سورة البروج .

وأوساطه من سورة الطارق الى سورة لم يكن .

وقصاره من سورة الزلزلة الى آخر القرآن ، وسميت هذه السور بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة .

تاريخ الجهاد المسلح :

قص الله علينا فى كتابه العزيز قصص كثير من الأنبياء والمرسلين كنوح وابراهيم وصالح وهود ولوط عليهم السلام وحدثنا عن جهودهم فى تبليغ رسالات الله الى أقوامهم ، وعما لاقوه من أذى واضطهاد ، ولكنا لا نجد أثرا فى تاريخهم لمعارك حربية خاضوها مع أقوامهم ، فهل معنى هذا أن القتال لم يفرض عليهم .

فراز الخشرم — الكويت

كانت الرسالات السماوية فى الأمم الغابرة تؤيد من الله بالقوى القاهرة الضاربة على أيدى المعتمدين عليها والواقفين فى وجهها . كان هذا الشأن فى قوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم لوط ، كان الشر مستوليا عليهم ولم تنفع فيهم الحجة والبرهان فكان عقاب الله لهم فناء اجماعيا وهلاكا لم ينج منه الا القليل . . كانت رسالات الله تؤيد بالقوى الضاربة من طوفان وصواعق وريح صرصر قال تعالى : (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) وقال سبحانه « كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » .

وأول دعوة للجهاد المسلح فى القرآن الكريم كانت فى الرسالة الموسوية ، ومع هذا فقد جبن بنو اسرائيل وعصوا رسولهم وقالوا له : « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) .

ولما كانت الرسالة الخاتمة عهد الحق تبارك وتعالى الى خاتم أنبيائه ورسله ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه من المؤمنين عهد اليهم وكتب عليهم القتال لتأديب الواقفين فى طريقهم المعوقين لدعوتهم قال تعالى : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وقال : (فان قاتلوكم فاقتلوهم) .

فمن أهم مميزات الاسلام أنه الدين الذى دعا الى الجهاد فى سبيل الله ، والى الاقدام فى الحرب ومجد الاستشهاد فى ميدان القتال ، وجعل منازل الشهداء مع النبيين والصديقين .



الجهاد المقدس :

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتيـــة القرارات التى اتخذهـــا المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى بمكة . فقالت :

أعلنت (رابطة العالم الاسلامى) انها ترى ان الوقت قد حان لعقد مؤتمر قمة اسلامى وكررت دعوتها الى الجهاد لتحرير فلسطين ودعم أعمال المقاومة العربية ضد اسرائيل .

واكدت الرابطة التى تضم ممثلين عن الشعوب الاسلامية قرارات اعلنتها هنا أمس (تصميم المسلمين على تحرير كل شبر من الأراضى الاسلامية) وقالت ان الجهاد هو السبيل لتحرير فلسطين وان السلام سيظل مستحيلا فى هذه المنطقة مع استمرار العدوان الصهيونى .

وناشد أحد القرارات المملكة العربية السعودية (مواصلة جهودها لتوحيد كلمة المسلمين) وأيد قرار آخر توصيات مؤتمر البحوث الاسلامية الذى انعقد فى القاهرة اخيرا واعتبرها خطوة نحو الوحدة الاسلامية .

واستنكرت الرابطة فى قراراتها الضغوط الدولية على العرب للاعتراف باسرائيل وعزم الولايات المتحدة تزويد اسرائيل بطائرات فانتـــوم النفاثة التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ودعت الدول الاسلامية الى قطع علاقاتها مع اسرائيل واعتبار المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل كسلاح من اسلحة الحرب .

ودعت كذلك البلدان الاسلامية الى تعبئة جميع القوى المادية والمعنوية لتنظيم الجهاد الاسلامى وتركيز الروح الاسلامية فى جيوشها .

واستنكرت الرابطة كذلك اية محاولة تجرى لطبع القرآن الكريم على غير ترتيبه الحالى .

وقالت ان هناك محاولة لطبعه حسب نزول سوره وآياتـــه على النبى محمد . ووصفت هذه المحاولة التى قالت ان ابن ميـــرزا باقر يقوم بها بأنهـــا (منكر وزور) وأضافت تقـــول أن ترتيب القرآن الحالى أوصى به النبى محمد بوحى من الله .

تحريم المساس بترتيب السور والآيات القرآنية

وقالت صحيفة الأهرام :

أصدر مؤتمر علماء المسلمين قراراتـــه وتوصياته فى جلســـته الختامية برياسة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ، وحضور الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر ، وقد تلاها الدكتور محمد مهدى علام عضو مجمع البحوث الاسلامية بالنيابة عن الدكتور محمود حب الله الأمين العام .

وقد قرر المؤتمر بالاجماع : تحريم المساس بترتيب الســـور والآيات فى القرآن الكريم كما هو فى المصحف الامام ـ مصحف عثمان بن عفان ـ ووجوب المحافظة على رسم هذا المصحف ، وعدم استعمال الرسم التعليمى الا لبعض الآيات ضمن كتب تعليمية لغرض اقتباسها والاستشهاد بها . وأوصى بعـــدم

الجمع بين قراءات القرآن عند تلاوته فى المجلس الواحد بالمحافل أو الاذاعة أو التليفزيون وغيرها ، وبانشاء دور فى الدول الاسلامية لحفظ القرآن وتجويده ودراسته ، والتنمية فى الطبعات الجديدة لكتب التفسير المعروفة على ما فيها من أخبار اسرائيلية وقيام دور الاعلام والتربية فى الدول الاسلامية بالدعوة الى الأخذ بالهدى النبوى والتمسك به .

وطالب الشيخ محمد ابو زهرة بتأليف وفد للدعوة لقضية فلسطين وانشاء صندوق لتمويلها . كما القى الشيخ عبد الحميد التلهود رئيس وفد ليبيا كلمة طالب فيها العالم الاسلامى بالعمل لتنفيذ قرارات المؤتمر وتوصياته ، واختتم المؤتمر بكلمتين للامام الاكبر ، والدكتور ماضى وكيل الأزهر توجها فيهما بالدعاء الى الله أن يوفق حكام المسلمين وشعوبهم الي الوحدة الكاملة الشاملة وتحقيق النصر فى المعركة ضد اعداء الاسلام والعروبة .

بناء الانســـان افضـــل

وقالت مجلة البعث الاسلامى الهندية تحت هذا العنوان :

ان كثرة البنايات والفنادق فى الشرق لا تنجب الرجال ، ولا تنتج الكفاءات والمقدرة والنبوغ والبراعة ، والعلم والتقوى ..

ان بناء الانسان لا يحتاج الى بناية ، ولا يحتاج الى دعاية ، بل انه يحتاج الى تصحيح الاتجاه ، وتنوير الوعى ، وتنمية الشعور ، والعناية بالأولى والأهم والتركيز على النواحى المهمة الحساسة ، وتقوية الجانب الذى تضاءل واضمحل وضعف بدلا من تغذية الجانب الذى تسمن وتضخم ، وطغى وبغى على الجانب الضعيف .

ان مثلنا فى ذلك كمثل رجل نزل عنده ضيف اشتد به الجوع فاعتنى بغرفته كل العناية واثثها تأثيثا جميلا ، وحشد له كل ما لا يحتاج اليه من كماليات ، ومع ذلك ، فلم يقدم اليه وجبة طعام ، أو كأسا من ماء .

او كمثل رجل اتاه مريض يشكو الما فى القلب ، او وجعا فى الصدر فهداه الى مساحيق التجميل او استعمال الملابس الفاخرة .

لقد عنينا كثيرا بالبنيان فلنتجه الى الانسان .

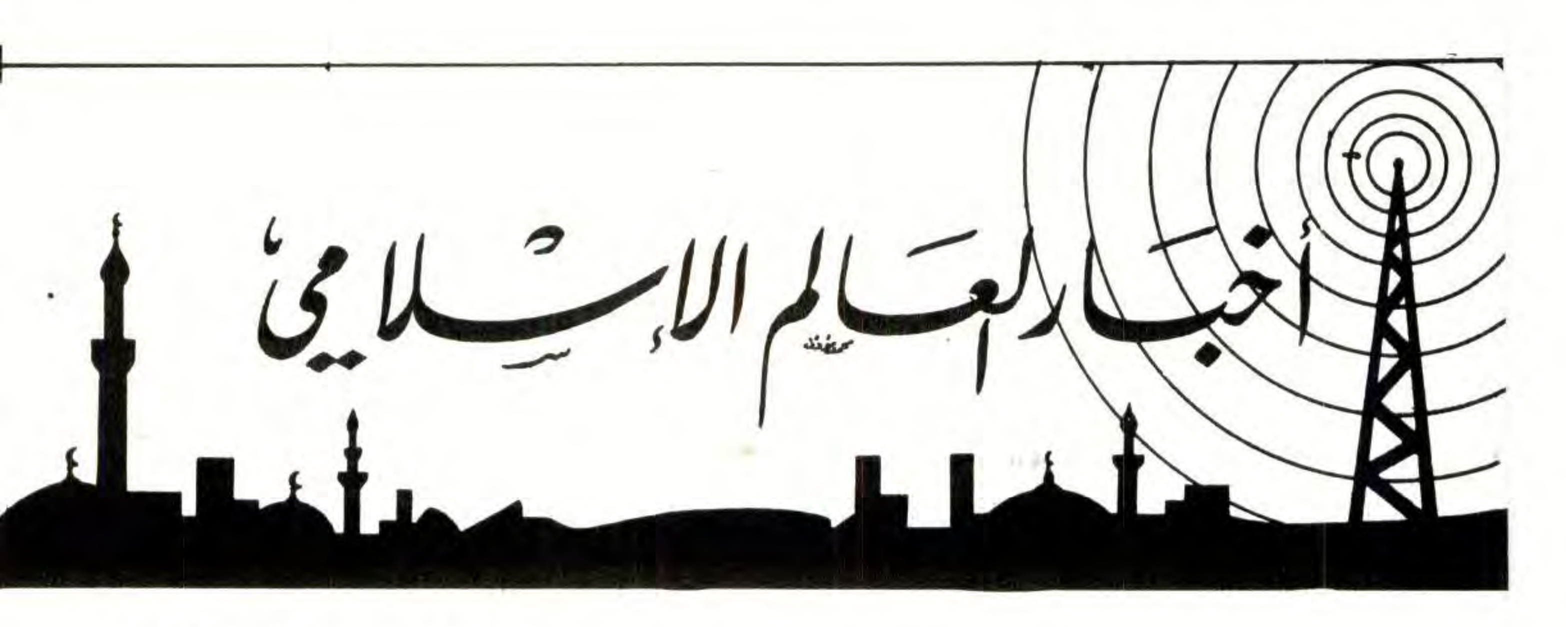
. . . . .

شعب فلسطين اليـــوم

مكان الاقامـــــة	العـــــــدد
الضفـــــة الغربيـــة	٧٥٠ر٠٠٠
قطـــاع غـــزة	٤٠٠ر٠٠٠
داخل المنطقة المحتلة قبل حرب يونيو	٢٨٠ر٠٠٠
البـــــلاد العربيــــة	٨٨٠ر٦٢٧
مناطق مختلفة من العالم	٥٠ر٠٠٠
نازحـــــون	٣٥٤ر٢٤٨
المجمـــــوع	٢ر٤٦٢ر١٢٨

وهذه الاحصائية عن صحيفة اخبار اليوم القاهرية .

— — — — —



أعدها الأستاذ : عبد المعطي بيومي

● الكويت : افتتح سمو امير البلاد المعظم الدورة الجديدة لمجلس الأمة فى ٢٩ أكتوبر وألقى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الأميرى الذى تناول الشئون الداخلية والخارجية .

● صدر مرسوم أميرى يقضى بانشاء كلية عسكرية فى البلاد تتولى تخريج ضباط كويتيين يساهمون فى رفع مستوى الجيش العربى الكويتى .

● زار البلاد جلالة امبراطور ايران فى الفترة ما بين ١٤ ، ١٧ نوفمبر ...

● طلب معالى وزير التربية مندوب الكويت فى المؤتمر الخامس عشر لمنظمة اليونسكو الذى عقد بباريس أن تتخذ المنظمة كافة الخطوات لتاخذ اللغة العربية الفرصة المتاحة للغات الاخرى المعمول بها فى المنظمة .

● بعث مدير المركز الاسلامى فى لوس انجلوس بكاليفورنيا برقية شكر على تبرع الكويت بمبلغ (٣٥٠٠) جنيه استرلينى للجالية الاسلامية فى لوس أنجلوس .

● تلقت الجهات المختصة دعوة من بيروت للاشتراك فى معرض الكتاب العربى الرابع عشر فى المدة بين ١١/٢٥ — ٦٨/١٢/٧ ودعوة من القاهرة الى معرض الكاتب العربى بالقاهرة فى المدة ١٢/٢٢ — ١٩٦٩/١/٣٠ .

● القاهرة : اختير الدكتور عبد العزيز كامل وزيرا للأوقاف . وهو من خيرة الرجال العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية . ومن الكتاب البارزين فى مجلة الوعى الاسلامى .

● قدمت وزارة الأوقاف تقريرا الى مجلس الوزراء بشان دعم القيم الروحية ، وتوسيع قاعدة الدعوة الاسلامية .

● أبلغت الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامى قرارات مؤتمر علماء المسلمين الرابع الى جميع سفراء الدول الاسلامية لابلاغها الى حكوماتهم .

● صدر قرار جمهورى بانشاء جيش للدفاع الشعبى تكون مهمته حماية المنشآت المدنية والاصلاح الفنى وحفظ الأمن الداخلى .

● السعودية : زار البلاد جلالة امبراطور ايران فى الفترة ما بين ٨ ، ١٤ نوفمبر ثم توجه منها الى زيارة الكويت .

● أصدرت الرابطة الاسلامية قراراتها التى ضمنتها الدعوة للجهاد المقدس وتأييد ما اتخذه مؤتمر مجمع البحوث بالأزهر من قرارات .

● حضر وفد يمثل المتحدة مؤتمر الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة ..

● الأردن : ناشد الشيخ عبد الحميد السائح وزير الأوقاف والأماكن المقدسة المسلمين أن يتخذوا من ذكرى الاسراء والمعراج منطلقا لتحرير الأماكن المقدسة من الاحتلال الصهيونى .

● عمت المظاهرات والاضرابات منذ الشهر الماضى سائر مدن الضفة الغربية احتجاجا على التعسف الاسرائيلى فى معاملة سكان المناطق التى احتلتها اسرائيل فى ٥ يونيو ١٩٦٧ م .

● كان يوم ٢ نوفمبر يوم حداد واضرابات ومظاهرات عنيفة فى الضفة الغربية وعمان بمناسبة وعد بلفور المشئوم وقد هاجم المتظاهرون فى عمان السفارة الامريكية ورشقوها بالحجارة ووزعت منشورات فى الضفة الغربية تحث على المقاومة ونشط الفدائيون نشاطا ملحوظا .

● العراق : زار وزير الدفاع العراقى السعودية كما زار الأردن من قبل وقد بحث الوزير مع المسئولين الوسائل الكفيلة بردع العدوان الصهيونى .

● الجزائر : احتفلت البلاد بالذكرى الرابعة عشرة لبدء قيام الثورة الجزائرية .

● ليبيا : عقد فى طرابلس المؤتمر الرابع لوزراء العمل العرب حضره وفود عن امارات الخليج .

● السودان : بدىء العمل فى انشاء أكبر مسجد وجامعة اسلامية على مساحة ٨ أفدنة بالخرطوم وتبلغ تكاليف المشروع حوالى (٢٠٠) الف جنيه .

● الصومال : قررت حكومة الصومال جعل اللغة العربية لغة رسمية فى معاهدها التعليمية .

● المغرب : تنفيذا لاتفاق ثقافى بين المغرب وفرنسا وصل الى الرباط (١٢٠٠) مدرس فرنسى للعمل فى المدارس والمؤسسات التعليمية المغربية .

● اندونيسيا : طلب رئيس البرلمان الاندونيسى من الشعب أن يقدم كل مساعدة ممكنة لتأييد العرب ، كما ناشد الحكومة استخدام أقصى نفوذها فى الأمم المتحدة لهذه الغاية .

● ماليزيا : تعقد فى شهر ديسمبر القادم مسابقة دولية لقراء القرآن الكريم يشترك فيها عدد كبير من الدول الاسلامية .

● باكستان : أبلغ وزير الخارجية الباكستانية قلق الحكومة الباكستانية البالغ على المقدسات الاسلامية وتجاهل اسرائيل للأمم المتحدة وقد أثار الوزير الباكستانى مع وزير الخارجية الامريكى موضوع اثارة قضية كشمير فى مجلس الأمن .

● استقال مدير معهد البحوث الاسلامية فى باكستان تحت ضغط احتجاج العلماء المسلمين على كتاب ألفه فى الاسلام .

اخبار متفرقة

الهند : وافق المجلس الاستشارى الاسلامى بالهند على الدستور وقد أعرب المجلس عن قلقه الشديد ازاء توسيع نشاطات القوى الارهابية الطائفية بالهند .

سيلان : احتفلت سيلان على نطاق البلاد كلها بذكرى نزول القرآن الكريم وقد وجه رئيس الوزراء رسالة الى المسلمين قال فيها ان رسالة القرآن النبيلة يمكن أن تحقق الاستقرار النفسى فى وجه المادية المتعاظمة .

أمريكا : أعلنت اللجنة اليهودية الامريكية أن هناك أزمة حقيقية فى احساس الشباب اليهودى الذى لم يعد يجد فى دينه الحيوية التى تجعله مناسبا للحياة العصرية .

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ : عبد الستار فيض

ابن حزم الاندلسي

كتاب من تاليف الدكتور عبد الكريم خليفة تحدث فيه عن حياة وأدب فيلسوف الاسلام الامام ابو محمد على بن حزم الاندلسي راسما صورة واضحة ودقيقة لحياة ابن حزم فى مختلف مراحلها ، وأبرز عبقرية هذا الفيلسوف الاسلامى فى شتى مجالات المعرفة من أدب وشعر وأخلاق وفلسفة واديان .

والكتاب يحتوى على ٢٧٦ صفحة ومن نشر دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان .

. . . .

التدخين وسرطان الرئة

عرض موجز لمشكلة التدخين تحدث فيه الكاتب الدكتور نبيل صبحى الطويل عن نشأة هذه المشكلة ومضاعفاتها وابعادها ، وملخص لأبرز النتائج التى وصل اليها العلماء ، واقتراحات الحلول التى قدمها الاطباء .

والكتاب يقع فى ١٠٠ صفحة ومن نشر دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت —

. . . .

قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذانى

القاضى عبد الجبار من أهم الشخصيات التى عرفها الفكر العربى والاسلامى ، فهو أكبر مؤرخ لفكر الاعتزال ولرجال الاعتزال . عرض لنا حياة هذا الرجل الفكرية الدكتور عبد الكريم عثمان فى الكتاب الذى بين أيدينا ، وهو يحتوى على ٢٥٠ صفحة ومن نشر دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان .

. . . .

ديوان ليل الصب

يضم هذا الديوان باقة يانعة من ابدع ما قيل فى معارضة قصيدة أبى الحسن الحصرى القيروانى (يا ليل الصب) مع شروح ضافية لمفرداتها وترجمات وافية لحياة كبار الشعراء المعارضين .

وقد بذل مؤلفه الاستاذ محمد على حسن مجهودا كبيرا فى جمعه واخراجه ، وهو من منشورات دار الاديب — بغداد .

. . . .

من كل صوب

هذا الكتاب لا يدور حول موضوع واحد ، فهو مقالات شتى ، جمعت من هنا ومن هناك كتبها المؤلف الشيخ زين بن عبد العزيز بن فياض ، فى أوقات متباينة متباعدة ، وفى موضوعات مختلفة ونشرها فى صحف ومجلات عديدة تهدف كلها الى « الاصلاح » .

وسيلمس القارىء فى كل ما كتب المؤلف فى هذا الكتاب الجرأة والاخلاص ، ويشعر بشخصية المؤلف ، والكتاب فى (٣٨٤) صفحة وطبعته دار الكتب السعودية .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى **المجلة** . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جـدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد أحمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

منظر الغروب على شاطىء الكويت



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة ــ العدد السادس والأربعون غرة شوال ١٣٨٨هـ ــ ٢٠ ديسمبر «كانون الأول» ١٩٦٨



((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صب ٢٢
جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب : ٢٠٤٣
بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

مســجد محمد على بالقلعة

من اشهر مساجد القــاهرة بناه محمد على سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠م) خارج القلعة التى بناها صـــلاح الدين الايوبي لتشرف على القــاهرة كلها ومساحة المسجد ٣١٣٥ مترا وجدرانه مطعمة بالمرمر النقي وله قبة كبرى بها تسعة نوافذ على كل واحدة منها نقشت آية من ســورة الفتح محفورة فى الرخام ومحــلاة بالذهب يبلغ ارتفـــاع منارتيه ٨٤ مترا .

تصوير : عظمت شيخ

صورة الغلاف



الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة

العدد السادس والاربعون

غــرة شـــوال ١٣٨٨ هـ

٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيــة

الثمن

الكويت	٥٠ فلســا
السعودية	١ ريـال
العــراق	٧٥ فلســا
الاردن	٥٠ فلســا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلســا
مصر والسودان	٤٠ مليمــا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويــت ١ دينــار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون رأســا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميــة
ص. ب ١٣ هاتــف ٢٢٠٨٨
الكويــت



لا أكتمك اننى عانيت كثيرا من أجل الكتابة لك فى هذا العــدد ، عدد العيد . . .

ماذا أكتب ؟ أكتب عن العيــد ؟ وهل لأمثالنــا الآن عيد حقيقة حتى أكتب عنــه . . ؟

انه عيد الفطر . . عيد الانتهاء من أداء عبادة الصوم . . والعودة الى الحياة الطبيعية فى الأكل والشرب . . ولكن هل يكفى ذلك لأن نجعل من العيد يوم سرور نحتفل به الآن ؟

ان الذى جعــل هذا اليوم عيــدا هو الذى جعــل العزة خاصة لازمة للمؤمنين ، واعتقد أنه ليس من المقبول عقلا ، ولا طبعا ، أن نفرط فى عزتنا . ثم نجرى ونستعد لنحتفل بعيدنا !!

ان العيد حقيقة انما يشعر به الأقوياء الأعــزاء ، لا الأذلاء المفــرطون المصابون فى كرامتهم . .

ان الذين يفقدون واحدا منهم ، ولو لم يكن عزيزا عليهم لا يحتفلون بعيد . ولا يلبسون فيه الجديد . وانما يكتئبون ، ويبتعدون عن مظاهر الفرح بالعيد . بل ويشعرون بثقله ، وهو قادم عليهم ، ويذكرون من كان بينهم بالأمس . . فخلا منه المكان . .

فكيف اذن نشعر بعيد . . وقد فقدنا ما فقدنا ؟ . .

هذا هو عيد الفطر الثانى الذى يمر علينا ونحن حاسرو الطرف ، خافضو الرأس ، فهل ترى أن الله يفرح بنا ، ويتقبل منا عبادتنا ، ويباهى بنا ملائكتــه اذا نحن انتهينا من صومنا ؟ . .

وهل يباهى الله ملائكته بالخانعين من عباده ، حتى وان صلوا وصاموا ؟

وهل يباهى الله ملائكته بالمتفرقين المتحاسدين من عباده ، حتى وان صلوا وصاموا وملئوا الجو بشقشقة اللسان ، ورفع الآذان ؟

ان القاعدة الأساسية ، أو المفروض فى كل مسلم أن يكون أبيا عزيزا ، حتى وهو فى أحلــك الظروف التى تمر به . . حتى وان تجمعت عليه قــوى الدنيا ، فانه مطلوب منه أن يقاوم ، ويبذل كل قواه المالية والبدنية والنفسية ، حتى لا يبقى فى طاقته شىء يبذله . . هذا هو المفروض فى المسلم أو القاعدة الأساسية التى يقوم عليها وجوده ، ويبنى عليها كل ثواب لطاعة يؤديها بعــد ذلك . .

ومن أجل هذا حشر الله مسلمين رضوا بالضعف ، ولم يبذلوا ما في وسعهم لمقاومة الظلم ، حشرهم في جهنم وساءت مصيرا ؛ مع أنهم كانوا موحدين يعبدون الله !..

والمعنى او المغزى الواضح لهذا أن الرضا بالذل ، وعدم بذل الطاقة لتحطيمه ، والخروج منه الى ساحة العزة والنصر ، شىء يبدد كل ثواب لطاعة نؤديها ما دامت هذه الطاعة لا تمت الى أسباب القوة والعزة بسبب من الأسباب .

واذا كان الله سبحانه قد وصفنا بأننا خير أمة ، فهل يعنى ذلك أنه سبحانه وتعالى سيغدق علينا هذا الوصف ، ويجعلنا من عباده الأخيار ونحن اذلاء متفرقون جبناء ؟

والهامة، هامة المسلم التى يأبى الله ان تخفض الا له ،هل يرضيه منا أن نخفضها لعدو من أعدائه ، ثم نذهب الى المسجد فنصلى ونخفض هذه الجباه نفسها لله ؟

ان عمر رضى الله عنه استشاط غضبا، لانه راى مسلما يمشى منخفض الراس ، على هيئة الضعفاء ، فعلاه بدرته ، واوجعه بها ، وهو يقول له : لا تمت علينا ديننا اماتك الله . .

لا تمت علينا ديننا ؟ وهل كان الرجل قد فرط فى عبادة ؟ . . . .

لم يفرط ، ولكنه كان يمشى مستخذيا مستكينا ظانا أن هذا مما يقربه الى الله ، فرأى عمر فى ذلك مظهرا لا يتفق مع عزة الاسلام ، وجرثومة تمرض الدين ، وتقتل حيويته ، فضربه . . ولم يكن الرجل ذليلا ولا جبانا ولا ضعيفا ، ولكنه ظهر فى مظهر الضعفاء الأذلاء .

فأى جرم اذن يقترفه المسلمون فى حق دينهم ، وأية طعنة يطعنونه بها ، اذا هم مهدوا بأيديهم للذل الذى اصابهم ، وأقاموا عليه شهورا وسنين ؟ .

اذا كان هذا الرجل بهيئته تلك ، يميت على المسلمين دينهم . فماذا فعلناه نحن اذن بديننا وبأنفسنا ؟ . . واذا كان الرجل بمثل هذه الهيئة قد استحق عقوبة الضرب من عمر ، فما الذى نستحقه نحن ، اذا أقمنا على هذا الذل الحقيقى ؟

دولنا ؟ كل دولة منها قادرة على أن تنهض وتقوى وتحشد من الجيوش والقوى ما فعلته اسرائيل ؟!

وعشرات الملايين منا قادرون على الجهاد بالنفس والمال .

ومع ذلك مرت السنون بعد ٤٨ ، ومرت سنة وشهور بعد ٦٧ . . ونحن كما ترى ، لا نزال حيث كنا . ولا ادرى ما الذى نفعله الآن اذا هاجمتنا اسرائيل ، ما الذى تستطيع أن تفعله كل دولة من الدول الـ ١٣ أو الـ ١٤ ؟؟

وهيئتان اسلاميتان كبيرتان : مؤتمر علماء المسلمين بمجمع البحوث فى الازهر ، ومؤتمر رابطة العالم الاسلامى بمكة تصدر كل منهما قرارا ونداء للمسلمين بأن الجهاد الآن اصبح فرضا عينيا حتميا ، على كل مسلم ومسلمة ،

ويمر هذا بنا وكأننا لم نسمعه ولم نقرأه كأنه أمر لا يعنينا ، ولا يتصل بصميم حياتنا ، وصلتنا بالله الذى يريد لنا أن نكون أعزاء !

ويأتى العيد فنقول جاء العيد ، وننهض للاحتفال به ويهنىء بعضنا لأنه يوم جعله الله عيدا !! هذا صحيح أيها المسلم ، ولكن ألم يجعل الله — كذلك — العزة من لوازمك وخواصك ؟..

فكيف نتعلق بيوم عيد ، ولا نتعلق بأسباب العزة التى تجعل كل يوم من أيامنا عيدا ؟

انظن ان الله يرضى عن صلاتنا وصيامنا وعبادتنا ، ونحن راضون بهذا الذل ، غير مضحين لكسر قيوده ؟

فلماذا — اذن — عذب الله فى نار جهنم أولئك الذين رضوا بالخنوع ، ولم يقاوموه ، مع انهم كانوا مثلنا مسلمين ؟

ولماذا — اذن — جعل الله منزلة الشهادة فوق منزلة كل عبادة ؟
هل لمجرد ان المسلم مات فى معركة ؟

لا .. ولكن لأن المسلم رفض الرضوخ للذل يصيبه ، ويصيب الاسلام والمسلمين ، فضحى بروحه من أجل عزته وعزة الاسلام . والا فلا قيمة له عند الله ، اذا لم يفهم هذا المعنى ، ويمت من أجله . . .

الا ترى أن العزة بهذا هى اعلى واغلى عند الله من كل شىء سواها ؟ وان الجزاء الذى يبذله الله للعاملين من أجلها هو أعلى واغلى جزاء يبذله لعبادة من العبادات الأخرى التى نتقرب بها اليه ؟

فماذا نختار ؟

عذاب فى الدنيا وعقاب فى الآخرة للذين يرضخون للذل ويتمرغون فى ترابــه ؟

أو متعة فى الدنيا وأثمن جزاء فى الاخرى للذين يرفضون الذل ، ويبذلون أرواحهم تعبيرا عن هذا الرفض ؟..

وان الله يغار على العزة التى كتبها لعباده المؤمنين ، غيرته على أى فرض آخر فرضه عليهم أو اشد ، فلقد ربط عزتهم بعزته حين قال سبحانه وتعـالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فأى مسلم ينتسب للاسلام ، ويؤمن بالقرآن ولا يضحى من أجل عزته ، يفرط اشد التفريط فى هذا الرباط ، ويقترف اكبر جرم حين يتخلى عنه . .

وان الله لغيرته على عزة المسلمين ، لم يترك منافقا سولت له نفســه الخبيثة أن يرميهم بالذل ، أو يصفهم بالخنوع والضعف ، ففضحــه حين قال ما يحكيه الله عنه « يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » . وأراد بالأذل جماعة المؤمنين المهاجرين . فرد الله عليه تهجمه وتحته ، وعلمه وعلم كل من لم يكن يعلم ، قاعدة يجب أن يعلموها ، ويعمل كل مسلم انطلاقا منها « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » .

تلك هى مدى غيرة الله على عزة المسلم ، فاذا لم يتجاوب هو بغيرته مع غيرة الله ، واذا ترك أى سبيل من السبل التى تدعم له عزته ، لم يكن بمنجاة من عذاب الله ، فوق العذاب الذى يتجرعه من الذل فى دنياه ، وان صلى وصام .. ترى أى طريق سلكناه نحن المسلمين ؟ والى متى سنظل سائرين فى طريق الذل والعار ، وهذه النذر كلها تحيط بنا ! ان عدونا الجاثم فوق صدورنا ، والذى انتزع النصر منا لتفرقنا وتخاذلنا وتهاوننا ، لا يزال يرى الطريق أمامه خاليا من الرجال ، الذين يغارون على عزتهم ، ويغضبون لكرامتهم . ويبذلون كل ما يملكونه فى سبيل دفع العار عنهم وعن أمتهم ...... وهو من أجل ذلك يصول ويجول ، ويفرض من الخطط ما يريد ، ويرسم للمستقبل ما يحلو له ، ويعبث بالأراضى والمقدسات والحرمات كما يشاء له العبث ، وكما سولت له القوة ، ونحن نئن ونصرخ ونستجدى الانصاف ممن لا يعرف الانصاف الا للأقوياء ونطرق أبواب هيئة الأمم لنبكى ونشكو ، ولا نعود الا بالخيبة والشماتة . من البعض ، والرثاء والاشفاق والعزاء من البعض الآخر ..

كل ذلك وأبواب الله مفتوحة ، والطريق اليها معروفة : توحيد القوى المستمد من توحيدنا لله ، والبذل والتضحية حتى لا يبقى فى الطاقة شىء نبذله ونضحى به .. وأمامنا قول الله « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين » ؟ اننى هنا لا اقصر حديثى على الأفراد أو الشعوب ، ولكنى أخاطب ــ كذلك وأولا ــ المسئولين فى كل دولة ، صغيرة كانت أم كبيرة ، لأنهم الذين يستطيعون التغيير السريع ، وهم من أجل ذلك يتحملون أكبر نصيب من المسئولية عن مصير الأمة ، وهم الذين حملهم الله أمانة رعايتها ، والحفاظ عليها ، وهى ــ لعمر الله ــ أمانة جسيمة فى هذه الظروف . وحساب الله عليها حساب عسير . فالله لا يرضى عمن يفرطون فى عزة المسلمين أو يقصرون فى العمل لها . أو يقدمون مصالحهم الشخصية عليها ، أو يتهربون من تحمل مسئوليتها .. حتى وان صلوا وصاموا .. « وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون » .

ان من العجيب والمحزن معا أن نعلم جميعا ، ويعلم عدونا أنه يستمد بقاءه وقوته من بعثرة جهودنا وسيطرة اهوائنا على تصرفاتنا ، ومع ذلك نمد له فى البقاء ، ونزيده فى الصلف والكبرياء !!

فالى متى تظل الأهواء مسيطرة والقلوب متنافرة ، والجهود مبعثرة ضائعة ؟!!

ان يوم العيد الذى ننتظره جميعا هو اليوم الذى تتجمع فيه القلوب ، وتتوحد الجهود ، وتسلم النيات، وتتلاقى العزمات ، والنصر بعد ذلك آت لا ريب فيه ..

انه عيد الأعياد ، فان كل يوم يعيشه المسلم عزيزا عيد ..
فابحثوا عن عيدكم أيها المسلمون : متى يكون ؟ أو كيف يكون ؟..



مدير ادارة الدعوة



حكم أسرى

(١)

جاء فى القرآن الكريم فى هذا الموضوع هذه الآيات :

١ — « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم » .

(الأنفال — ٦٧ — ٦٩) .

٢ — « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شىء قديرا(١) » .

(الاحزاب — ٢٦ و ٢٧) .

٣ — « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » .

(سورة محمد ٤) .

(٢)

وآيات الأنفال نزلت فى أسرى قريش فى وقعة بدر على ما هو المتفق عليه . وقد روى مسلم والترمذى عن ابن عباس ما مفاده أن النبى صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه فى الأسرى فرأى أبو بكر إخذ الفداء منهم فهم بنو العم والعشيرة وعسى الله ان يهديهم . ورأى عمر ضرب أعناقهم فهم أئمة الكفر وصناديده . فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برأى ابى بكر ، فنزلت الآيات فيها عتاب على ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم اجتهادا بما رأى فيه المصلحة . لأنه

للاستاذ : محمد عزة دروزة



الحرب في الإسلام

كان غير الاولى فى علم الله المغيب عن رسول الله وفيها اجازة له فى الوقت نفسه .

والآيات لا تمنع الأسر والفداء بالمرة . وانما هى بسبيل تقرير أن ذلك ما كان ينبغى الا فى حالة اشتداد قوة النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وتوطد هيبتهم وسلطانهم، وتمكن الرعب فى قلوب أعدائهم . وينطوى فى ذلك تقرير كون معاملة الأعداء بالشدة والصرامة (١) مما يوطد هذه الهيبة والسلطان ، وما هو ضرورى لمصلحة الدعوة الاسلامية فى بعض الظروف . وفى ذلك حكمة بالغة .

وفى اجازة القرآن لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم توطيد لمبدأ الرأفة فى الحروب الاسلامية . ولقد جاء بعد هذه الآيات آيتان : وهما **« يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . وأن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم »** ويمكن أن يكون فى أولاهما ارهاب ربانى باحتمال اهتدائهم وهو ما توقعه أبو بكر . أو دلالة على أن الاسرى أو بعضهم وعدوا النبى بذلك والآية الثانية قد تؤيد الدلالة الأخيرة والله تعالى أعلم .

ولقد رويت روايات عديدة فيما فعله النبى صلى الله عليه وسلم بالأسرى

(١) هناك رأى فى الآية نرى أن نطرحه هنا . وهو أن العتاب لم يكن لعدم قتل الاسرى بعد أسرهم ، بل لأن المسلمين لم يجهزوا على أعدائهم بعد أن مكنهم الله منهم فى ميدان الحرب ، واتجهوا الى اخذهم اسرى بدلا من قتلهم فى الميدان بعد انهزامهم ومنطوق الآية « ما كان لنبى أن يكون له اسرى .. » ساعد على هذا يعنى كان من الاحسن قتلهم فى الميدان بدل اسرهم . وبذلك تبعد الآية عن قتل الاسير بعد أسره .

« الوعى »



فيها صور من السيرة وفيها سنن وتلقينات . ومن ذلك أنه أمر بقتل شخصين منهم ، كانا شديدى الأذى والنكاية ضد النبى والدعوة ، وهما النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط . وانه حينما وصل المدينة فرق الأسرى بين أصحابه .. وأوصاهم بهم خيرا . ونهى عن التمثيل بهم . ولما علم أهل مكة استعداد النبى لأخذ الفداء عنهم أخذ ذووهم يفدون الى المدينة لافتدائهم . وكان أعلى فداء أربعة آلاف درهم واقله الفا .

وكان بين الأسرى العباس عم النبى فقال رجال من الأنصار ائذن لنا لنترك لابن اختنا فداءه فقال لا والله لا تذرون منه درهما . وأخذ منه مئة أوقية ذهبا . وقد قال العباس له قد كنت مسلما . فقال له الله أعلم باسلامك . فان يكن كما تقول فالله يجزيك . وأما ظاهرك فقد كان علينا ، فافتد نفسك وابنى اخيك : نوفل بن الحارث ، وعقيل بن أبى طالب ، وحليفك عتبة ابن عمرو أخى بنى الحارث بن فهر . فقال ما ذاك عندى يا رسول الله . قال فأين الذى دفنته أنت وأم الفضل . قلت لها : ان اصبت فى سفرى ، فهذا المال لبنى الفضل وعبد الله وقثم . قال والله يا رسول الله انى لأعلم أنك رسول الله ، وان هذا شىء ما علمه احد غيرى وغير أم الفضل . وكان معه حين خرج من مكة عشرون أوقية من الذهب فأخذت منه بعد أسره ، فقال يا رسول الله احتسبها من فدائى . فقال لا . هذا شىء خرجت به تستعين به علينا ، فأعطانا الله اياه .

وكان بين الأسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله فأرسلت قلادتها لفدائه . فلما رآها النبى رق لها رقة شديدة وقال لأصحابه اذا رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا. وكان ذلك قبل تحريم المسلمات على المشركين ، والمشركات على المسلمين .. ففعلوا واخذ النبى مقابل ذلك وعدا من ابى العاص بارسال زينب الى المدينة ففعل .

وكان بين الأسرى ابن لأبى سفيان اسمه عمرو . وقد قتل له ابن آخر اسمه حنظلة . فقالوا افد ابنك فقال ايجمع على دمى ومالى . قتلوا حنظلة وافدى عمرا . دعوه فى أيديهم ما بدالهم . وفى هذه الأثناء خرج من المدينة سعد ابن النعمان الخزرجى الى مكة ، وكان مسلما فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه . فمشى اقاربه الى رسول الله ، وسألوه ان يعطيهم ابن ابى سفيان ليفكوا به صاحبهم ، ففعل ، واستخلصوا به صاحبهم .

وقد من النبى على بعض الأسرى ممن لا مال له ولم يرسل ذووه فداءه . ومنهم أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى ، وقد مدح النبى بقصيدة ، وعاهده على أن لا يظاهر عليه أحدا . ومن كذلك على آخرين من الفقراء مقابل تعليم صبيان من المسلمين الكتابة والقراءة . وممن روى أنه تعلم منهم زيد بن ثابت (٢) .

(٢) هذه الروايات لم ترد فى كتب الحديث المعتبرة . وانما وردت فى كتب السيرة والتفسير والتاريخ وليس هناك ما يمنع صحتها . انظر تفسير سورة الانفال فى تفسير الطبرى والبغوى وابن كثير وانظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٩ وبعدها وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٤٤ وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ١٣١ وبعدها .

(٣)

وآيات سورة الأحزاب نزلت فى صدد يهود بنى قريظة . الذين ظهرت منهم الخيانـة والغدر حينما زحفت احزاب الكفار مع قريش على المدينة بحشد عظيم وزلزل المسلمون من ذلك زلزالا شديدا على، ما ذكرتـه آيات سورة الأحزاب (٩ — ٢٤) ولقد ارسل النبى سعد بن معاذ زعيم الأوس وسعد بن عبادة زعيم الخزرج اليهم لاستطلاع موقفهم . وعرفا منهم الخيانة والغدر حيث أنكروا عهدهم معهم ومع النبى وردوا عليهم ردا سيئا . وقد سار النبى إليهم بعد ارتداد الأحزاب ، وحاصرهم وضيق عليهم حتى نزلوا على حكمه . وطلب بعض رجال الأوس الرفق بهم لأنهم حلفاؤهم ، كما رفق النبى ببنى النضير حلفاء الخزرج ، فاكتفى باجلائهم ومصادرة اموالهم وأملاكهم . فجعل النبى سعد بن معاذ زعيمهم حكما فى الأمر . وكان هذا قد جرح بسهم اصابه يوم الخندق ، وضرب له النبى خيمة فى المسجد ، وأقام عليه امرأة تمرضه . فأرسل اليه فلما جاء قال له : انى رددت الحكم اليك فيهم . وكان ناقما أشد النقمة عليهم بسبب غدرهم وردهم السىء له ، حتى تمنى على الله أن لا تخرج نفسه قبل أن تقر عينه فيهم ، فقال ان لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . وانى احكم أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبى النساء والأطفال وأن تقسم اموالهم . فقال له النبى أصبت حكم الله فيهم . وكان عدد مقاتليهم (٤٠٠) فقتلهم الا بعض أفراد اعلنوا اسلامهم واسترق النساء والأطفال وأرسلهم الى نجد فبيعوا فيها واشترى بثمنهم خيل وسلاح[٣] .

ونزول بنى قريظة على حكم النبى صلى الله عليه وسلم يعنى فى صورة ما ، تسليمهم انفسهم للأسر . وقد تم التصرف فيهم كما ذكرته الآيات . وفى صيغة الآيات اقرار لهذا التصرف كما هو واضح .

(٤)

وفى آية سورة محمد تشريع عام للأسرى . . والآية وان كانت مطلقة فان الآية الاولى من السورة وهى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم) تقيدها بحيث يصح القول ان المأمور بقتالهم وشد وثاقهم بعد الاثخان هم كفار أعداء . وصاروا كذلك بسبب صدهم عن سبيل الله وليس بسبب كفرهم فقط . وبذلك يكون التساوق قائما بين هذا وبين المبدأ الذى شرحناه فى المقال السابق .

وننبه على انه ليس من تعارض بين آيات الأنفال وهذه الآية . ومن شأن كل منهما أن يكون مستمر الحكم والمدى والتلقين حسب ظروف الأحداث والوقائع ومصلحة المسلمين العامة . وحالة العدو المادية والمعنوية . مما ترك لأولى أمر المسلمين تقديره .

ولقد تعددت اقوال المؤولين من اصحاب رسول الله وتابعيهم فى جملة **(حتى تضع الحرب اوزارها)** منها انما بمعنى حتى تنتهى الحرب القائمة مع الكفار بتوبتهم واسلامهم . ومنها أنها بمعنى الاستمرار فى حرب الكفار

---

(٣) هذه النبذة خلاصة لما ورد فى وقعة بنى قريظة فى ابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ — ٢١٢ وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٨ — ١٢١ وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٤٥ — ٢٥٤ وبعضها ورد كأحاديث فى صحيحى البخارى ومسلم وجامع الترمذى .



الى أن لا يكون فى الأرض شرك ، وتنتهى أسباب الحرب . ويدخل الناس فى دين الاسلام .

ونحن نتوقف فى هذا التأويل على اطلاقه . لأن أحداثا يقينية وقعت فى العهد المدنى لا تسمح به مما شرحناه فى المقال السابق . ونرى الأولى حمل الجملة بناء على ذلك على معنى (حتى تنتهى حالة الحرب القائمة .باسلام الكفار الأعداء المحاربين أو خضوعهم أو الصلح معهم) على ما شرحناه كذلك فى ذلك المقال ، ولقد روى المفسر البغوى عن الكلبى تأويلا للجملة وهو (حتى يسلموا أو يسالموا) وعن الفراء تأويلا آخر بمعناه وهو (حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم) والتأويلان يدعمان رأينا كما هو واضح .

وجملة (فاما منا بعد واما فداء) صريحة فى جعل الخيار للمسلمين فى الأسرى الذين يأسرونهم بعد انتهاء حالة الحرب فى احدى الطريقتين المذكورتين فيها وهما التسريح بدون فداء ، أو التسريح بفداء . والخيار يكون لولى الأمر بطبيعة الحال بعد مشاورة المسلمين كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فى أسرى بدر(٤) .

ولقد روى المفسرون أقوالا فى حكم هذه الجملة . منها أنه منسوخ بآية سورة التوبة الخامسة التى تأمر بقتال المشركين الى أن يسلموا . وانه لا يجوز المن ولا الفداء بل القتل والاسترقاق . ومنها أن حكمها محكم وانها جعلت الخيار للامام فى المن والفداء . وأن له أن يقتل أيضا لأن ذلك قد أبيح فى آية سورة التوبة المذكورة . ومنها أنها لا تبيح القتل وحكمها محكم بالمن أو الفداء أو الاسترقاق .

ويلحظ أن هذه التأويلات اجتهادية وليست موضوعية أى ليست مستندة الى فحوى الآية التى تحصر الحكم بين المن والفداء .

(٥)

وهكذا تكون الآيات فى السور الثلاثة قد غدت تشريعا متكاملا غير متناقض فى ما ينبغى فعله فى أسرى الحرب وهو تسريحهم مقابل فداء . أو المن عليهم وتسريحهم بدون فداء ، حينما تنتهى حالة الحرب بين قومهم والمسلمين . أو قتلهم أو استرقاقهم . والأحاديث والروايات التى أوردناها قبل تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم مارس الطرق الأربع . وجعل فداء بعض الأسرى بتعليم أولاد المسلمين صورة من صور الفداء . ومفاداة سعد بن النعمان المسلم الأنصارى بابن أبى سفيان صورة أخرى من صوره . وهناك حديث رواه الترمذى فيه خبر مماثل حيث روى عن عمران بن الحصين (ان النبى صلى الله عليه وسلم فدى رجلين من المسلمين برجلين من المشركين) وهناك حديث رواه الشيخان والترمذى عن أبى هريرة فيه خبر منّ منَ النبى صلى الله عليه وسلم علّى مشرك بدون

---

(٤) لكن الخيار فى هذه الآية بين المن والفداء دون ذكر لقتل الاسرى ومن هنا أخذ المشرعون عدم جواز قتل الاسير الا اذا كان ممن يمكن تسميته « مجرم حرب » .

« الوعى »

فداء ، فى غير ظروف الأحداث التى حكتهـا آيات الأنفال والأحزاب وفى سياق طريف رائع يحسن سوقـه بكامله : قال أبو هريرة : « بعث النبى صلى الله عليه وسلم بخيل قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة . فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج اليه رسول الله فقال ما عندك يا ثمامة . فقال عندى خير . أن تقتل تقتل ذادم . وان تنعم على شاكر . وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فتركه النبى حتى كان بعد الغد ، فقال ما عندك يا ثمامة . قال ما قلت لك . فتركه رسول الله حتى كان من الغد فقال ما عندك يا ثمامة . فقال عندى ما قلت لك . فقال رسول الله أطلقوا ثمامة . فذهب الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال اشهد أن لا اله الا الله ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله . يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض الى من وجهك ، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى . والله ما كان من دين أبغض الى من دينك . فأصبح أحب الدين كله الى . والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها الى . وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره النبى وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت ؟ قال : لا ، ولكنى أسلمت مع رسول الله . ولا والله لا يأتيكم من يمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦)

ولقد يمكن أن يقال ان آية سورة محمد قد نزلت بعد آيات سورتى الأنفال والأحزاب ، ولم تحتو الا طريقتين وهما المن والفداء . وان ذلك يكون ناسخا لأحكام الاسترقاق والقتل التى احتوتها آيات سورة الأحزاب ، والقتل الذى أمر به النبى صلى الله عليه وسلم لبعض بغاة قريش الشديدى الأذى ، لولا ان هناك أحاديث رويت فى سياق وقائع من المحتمل كثيرا أن تكون وقعت بعد نزول سورة محمد ، فيها خبر قتل واسترقاق بعض أسرى المحاربين الكفار . منها حديث رواه البخارى عن انس (أن النبى صلى الله عليه وسلم قتل مقاتلة خيبر ، وسبى الذرية . وكان فى السبى صفية فصارت الى دحية الكلبى ، ثم صارت الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها) . وجملة (وسبى الذرية) تعنى استرقها .

ومنها حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن ابن عون جاء فيه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغار على بنى المصطلق وهم غارون وانعامهم تسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم . وأصاب يومئذ جويريه بنت الحارث) وهذه من زوجات النبى صلى الله عليه وسلم وهى بنت زعيم بنى المصطلق . وكانت وقعت فى سهم احد المسلمين فاتفقت معه على المكاتبة اى شراء نفسها منه . ثم جاءت الى رسول الله تستعينه ، فقال لها هل لك فى خير من ذلك . قالت ما هو ؟ قال لها : اقضى عنك واتزوجك فوافقت . وعلم الناس بالخبر فقالوا أصهار رسول الله فتخلوا عما فى أيديهم من السبى ، فكانت أعظم امراة بركة على قومها كما جاء فى سيرة ابن هشام (ج ٣ ص ٣٣٩ و ٣٤٠) .

ومن ذلك ما رواه ابن سعد وابن



هشام فى سياق خبر يوم حنين حيث سبى النبى صلى الله عليه وسلم ستة آلاف من نساء وأطفال هوازن وقسمهم على المسلمين . وجاء رجال هوازن مسلمين والتمسوا رد نسائهم وأطفالهم فاسترضى النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه على ذلك . ثم لولا أن هناك روايات كثيرة مستفيضة لا خلاف فيها تذكر أن خلفاء رسول الله الراشدين وقواد الفتح من أصحاب رسول الله كانوا يمارسون الاسترقاق لمن يقع فى أيديهم من الأسرى وكانوا يأمرون بقتل بعضهم أيضا . ولقد روى الطبرى فى سياق تفسير سورة محمد انه جئ الى عمر بن الخطاب بأسارى من الترك فأمر باسترقاقهم فقال له رجل ممن جاء بهم لو رأيت يا أمير المؤمنين هذا وأشار الى واحد منهم وهو يقتل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم فقال له فدونك فاقتله فقام فقتله .

(٧)

ومن الجدير بالتنبيه أن الاحداث المروية عن ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعله فى الاسرى تفيد انه كان أكثر ما يمارس المن والفداء . وانه لم يمارس القتل الا فى النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط ثم فى بنى قريظة لسبب ما كان من شدة وأذى الأولين وخطورة موقف الغدر والخيانة الذى وقفه بنو قريظة . واسترق نساء هؤلاء وأطفالهم وباعهم نتيجة لموقفهم .

واسترق سبى هوازن وبنى المصطلق . ثم كان مصيرهم المن . ولقد روى الامام أبو عبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل مناديا يوم الفتح ينادى : « لا يقتلن أسير . ولا يتبع هارب . ولا يجهز على جريح . ومن أغلق بابه فهو آمن » . **وهذا كله يسوغ القول أن طريقتى المن والفداء كانتا أكثر رعاية وتطبيقا . وان طريقتى القتل والاسترقاق وخاصة القتل كانتا تطبقان فى الظروف التى تقتضيها وحسب . وفى هذا خطة وتلقين لأولى الأمر من المسلمين .**

واذا لوحظ أن عادة استرقاق اسرى الحرب التى كانت عامة فى جميع الأمم والبلاد ، كانت المصدر الرئيسى لعادة الاسترقاق الانسانى التى ظلت جارية فى كثير من البلاد ، والأمم غير الاسلامية مدة طويلة ، بل استمرت الى عهد قريب . ثم اذا لوحظ ان آية سورة محمد هى التى احتوت تشريعا مطلقا فى ما ينبغى عمله فى الاسرى . وأن هذا التشريع هو المن والفداء ظهرت لنا روعة هذا التشريع بتوجيهه قبل الف وأربعمائة سنة ضربة حاسمة الى هذه العادة (الاسترقاق) . ولا يخفف من شدة هذه الضربة طريقتا القتل والاسترقاق المجازتان فى الاسلام اللتان ليستا الزاميتين وانما طبقتا فى ظروف خاصة .

واذا أضفنا الى ذلك أن فى القرآن وكتب الأحاديث المعتبرة نصوصا كثيرة فى تحرير الرق والحث عليه ظهر واضحا أن الاسلام قد هدف الى الغاء الرق بالمرة فى كل ذلك ، حيث تزداد روعة الهدف القرآنى قوة وسطوعا . ومن الجدير بالتنبيه أن ما احتواه القرآن والسنة من أحكام متصلة بالرق لم يكن من قبيل

الانشاء للرق ، وانما كان من قبيل تنظيم أمر واقع عام . وفى نطاق الحق والبر والاحسان(٥) .

(٨)

وأخيرا نقول انه بناء على ما تقدم وعلى المقال السابق معا انه لا أسر ولا استرقاق ولا من ولا فداء بين المسلمين فى حالة وقوع قتال بينهم ، لأن هذا القتال لا يدخل فى مفهوم الجهاد فى الاسلام ، ولا يستتبع آثاره ، ويطلق سراح الأسير المسلم الذى يأسره مسلم بدون من ولا فداء ، ويترتب القصاص والدية على ما يقع فى هذا القتال من قتل أو جرح . وكل ما هنالك أن الرق يظل قائما بالنسبة للرقيق الذى يسلم وهو رقيق اذا لم يكن مالكه كافرا الى أن يتحرر بأسلوب ما ، أما اذا كان مالكه كافرا وأبق منه ، وأسلم فانه يتحرر باسلامه ، ولا يرد الى مالكه . وفى هذا ورد حديث رواه أبو داود والترمذى عن على قال : (خرج عبدان الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قبل الصلح فكتب إليه مواليهم والله يا محمد ما خرجوا اليك رغبة فى دينك وانما خرجوا هربا من الرق) . فقال ناس : صدقوا يا رسول الله ، ردهم اليهم . فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا . وأبى أن يردهم وقال هم عتقاء الله عز وجل .

(٩)

كذلك نقول بناء على ما تقدم انه لا أسر ولا استرقاق للكفار والأعداء اذا جنحوا للسلم وقام بينهم وبين المسلمين ميثاق صلح . أو قبلوا باعطاء الجزية ، وانتهت بذلك حالة الحرب بينهم وبين المسلمين . أما اذا وقع فى الأسر أحد منهم ثم صالح باقيهم أو أعطوا الجزية ، فيجوز لولى أمر المسلمين أن يسترقه اذا رأى فى ذلك مصلحة أو يطلقه منا أو فداء . ولو أسلم بعد استرقاقه يبقى مسترقا الى أن يتحرر بأسلوب ما . لأن مالكه مسلم أو بيت المال .

وبناء على ذلك فان ما يجرى عليه بعض المسلمين من شراء الذكور والأناث من الكفار ، سواء أكانوا سودا أم بيضا ، واعتبارهم بالشراء فقط أرقاء ، اذا لم يكونوا سبيا من عدو معتد بصورة ما من صور العداء والعدوان التى ذكرناها فى المقال السابق أو لم يكونوا من انسال أرقاء قبل الاسلام ، واستمرت حالة الرق عليهم بعد الاسلام ، واستفراش الاناث منهم بناء على الرخصة القرآنية الواردة فى آيات عديدة منها آيات النساء ٣ و ٢٤ والمؤمنون ٥ و ٦ والأحزاب ٥٠ و ٥٢ والمعارج ٣٠ و ٣١ وبدون عقد ومهر ، هو اجراء غير شرعى . والله تعالى أعلم .

( ) لم نشأ ايراد النصوص لئلا يطول المقال أكثر مما يتحمله محله فى المجلة . ولعلنا نكتب مقالا خاصا بذلك .



حرّمت الظلم على نفسي فلا تظالموا ..

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أبى ذر ، رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه انه قال : «يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته محرما فيما بينكم ، فلا تظالموا . يا عبادى ، كلكم ضـــال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم . يا عبادى ، كلكم جائع إلا من اطعمته ، فاستطعمونى اطعمكم ، يا عبادى كلكم عـــار إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم ، يا عبادى ، إنكم تخطئون بالليــل والنهار ، وانا اغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى اغفر لكم ، يا عبادى ا إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى ، لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم ، كانوا على اتقى قلب رجل واحـــد منكم مـــا زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ، مـــا نقص ذلك من ملكى شيئا ، لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد ، فســـالونى ، فاعطيت كل واحد مسالته ما نقص ذلك مما عندى ، الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ، يا عبادى ، انما هى أعمـــالكم احصيها لكم ، ثم اوفيها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» رواه الامام مسلم فى صحيحه .

١ ــ يا عبادى : ورد هـــذا اللفظ فى القرآن الكريم كثيرا فى مواضـــع عدة(١) وكذلك فى الأحاديث الشريفة ، ومن أوضح ما قيل فى المعنى المراد من لفظ العبـــد اذا أضيف الى الله تبارك وتعـــالى هو : من يســـلم الأمر كله لله سبحانه ، ويبرأ من حول نفسه وقوتها ويعلم يقينا بأن الله بيده ملكوت كل شيء . فلا يحزن على فائت ، ولا يفرح بآت ، وانما يمتثل الأمر والنهى كما وردا عن الصادق فى غير التواء ولا ضجر ، ثم يطلب العون من الله وحـــده ويمضى فى

الحياة غير هياب ولا وجل مرددا :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخـاوف كلهن أمـان

إنى حرمت الظلم على نفسى ... الخ : الظلم ، وضـع الشىء فى غير موضعه ، وهذا ينشـأ ، اما عن جهل أو تجبر . فالظلم الناشىء عن الجهل . كالذى يصدر من العامة احيانا حين يصيب أحدهم داء فى جسده ، فيذهب الى الحداد يطلب طبا لدائه لأنه سمع أن الكى يحسم الداء العضـال أحيانا . فظن الحداد خبيرا فى هذا المجال وكيف لا ولديه المسمار والمحماة . ولو أبى صاحبه حرصا على حياته لرماه بالجهل ظلما وعدوانا ، ومثل ذلك ما حدث لأحد الأطباء الاخصـائيين الأفذاذ فى أمراض العيون حين ادخلوا عليه رجلا حطمت رجليه سيارة عابرة ، فأحاله على طبيب عظام ، فثار به القوم ولولا بقيـة من عقل لكان ضحيتهم .

والثانى ــ منشؤه الغرور وحب السلطـان . فاذا وسـد الأمر الى غير اهله ، سجنوا وقتلوا وعذبوا واعتدوا على المال والأعراض تحت ستار الحفاظ على الأمن ، والسهر على سلامة الناس ، واقامة العدل وانصاف الشعوب . . الخ ، وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصى وهى مسطورة على صفحات التاريخ قديمة وحديثة(٢) ، والجهل والعدوان محالان على الله تعالى فلهذا لا يصدر عنه ظلم ، ومن الناس ــ وما أكثرهم ــ من ينصب ظلمه على نفسه ، فيجحد آيـات الله ، ويكفر نعمـه ، فيحل عليه العـذاب (ومـا ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسـهم يظلمون(٣)) .

كلكم ضال إلا من هديته(٤) : وفى محكم الكتاب : (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) . والهداية الحقة ، هى التوفيق الى الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر ، والبحث فى هذا وضده سـ خاف ، جال فيه فلاسفة علماء ، وعلماء فلاسفة ، وإيمـانى : (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

فاستهدونى اهدكم : يجب على العبد ان يتجه الى الله تعالى اتجاها كاملا راغبا فى رحمته طالبا هدايته ، وهداية الله لعباده تكون باقامة الأدلة الواضحة على وجوده وقدرته ، ونحن مفتقرون اليه مذعنون لحكمه ، نسأله جلت قدرته ان يفيض علينا من القوى العقلية والحواس الظاهرة والباطنة ما نتمكن به من ادراك قيوميته وعظمته حتى نكون من المهتدين .

كلكم جائع إلا من اطعمته : اشارة الى أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وان ما فى السموات والأرض ملك له ، ويعطى عبـاده بقدر (وان من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) . وهو جلت عظمته يعلم ما ينفع العباد

---

(١) منها : « واذا سالك عبادى عنى فانى قريب » ومنها « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... »

(٢) ... والا فاى عدل فى ابادة الملايين فى الحروب العدوانية ، واى عدل فى اجلاء الآمنين عن ديارهم واموالهم ، واى عدل فى كل ما نشاهده ونراه من عاد ومعتدى عليه فى زماننا هذا ، سبحانك ربى ان هذا لظلم عظيم) .

(٣) ... وفى القرآن الكريم (ان الشرك لظلم عظيم) .

(٤) الهداية لطف من الله حين تستعمل فى الخير ، وقد ترد على سبيل التهكم فى المجـال الثانى ومنه (فاهدوهم الى صراط الجحيم) .

وما يضرهم ، ولهذا فاوتهم في الاقدار وما يملكون . وفي بعض الآثار الشريفة (ان من عبادى من لو اغنيته لفسد حاله وان منهم من لو افقرته لفسد حاله) . وقال سبحانه فى شأن البعض (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) .

فاستطعمونى اطعمكم : جرت حكمة الله انه لا يسوى بين العامل الجاد فى طلب الأفضل من الحياة ، والقاعد المتكاسل المخلد الى الأرض . فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وانما هى سعى وجد ودأب وعمل ، والله وحده الموفق للأسباب ، المبارك فى النتائج ، والإسلام دين عمل بحق ، واليد العليا خير من السفلى . وعبرة ومثل يؤخذان من حادثة الصحابى المدقع الذى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب صدقة ، وهو مفتول العضل قوى الساعد . فأمره عليه الصلاة والسلام أن يعود الى بيته باحثا عن شيء ذى قيمة مهما ضؤلت ، وقفل الرجل راجعا بحلس وقعب ، عرضهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحاضرين فى مزايدة علنية ، وكان أن بيعا بدرهمين سلمهما الرسول الكريم الى الرجل ليشترى بهما حبلا وفأسا ، وقال امض بحبلك وفأسك واحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ولما انقضى الأجل رجع الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فسأله ما وراءك ؟ وأجاب : احتطبت وبعت ثم اشتريت لأهلى طعاما وكسوة ، وفضل معى بعض الشيء ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة سوداء فى وجهك يوم القيامة) . أقول : هذه الواقعة تشير الى ان المسلم لا يقبل منه التواكل وسؤال الناس ما بأيديهم ، فالمراد بالاستطعام هنا ، هو السعى مع رجاء التوفيق وبث البركة فى الكسب ، والعاقل من توكل على ربه وسأله العطاء مع المزيد من العمل والغدو فى سبيل العيش ، كالطير تغدو خماصا وتعود بطانا .

كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى اكسكم : قريب فى فهمه وشرحه مما مضى فى الفقرة السابقة والكل يشير الى افتقار العباد الى خالقهم ، ووجوب اتجاههم فى كل احوالهم اليه سبحانه ، يدعونه ويرجون رحمته وعونه (**واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى** وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم : وغفران الذنوب متحقق بفضل الله ولا شك ، وقد وردت فى الاستغفار احاديث كثيرة ، منها ما أخرجه الترمذى عن عبد الرحمن بن صخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . (انى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة) . وأخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . (ان عبدا أصاب ذنبا فقال — يارب أذنبت ذنبا فاغفره ، فقال سبحانه وتعالى ، علم عبدى أن ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدى ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبا ، فقال يا رب ، أذنبت آخر فاغفر لى ، قال : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى فليعمل ما شاء(٥) . . . . وروى البخارى أيضا عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر

---

(٥) حديث صحيح ، رواه البخارى ومسلم . والامام احمد وابن حبان .

ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى اغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت(٦) » .

إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ... الخ : لأن الله وحده هو القادر على الضر والنفع ولا يمكن لأحد من الخلق أن يرقى الى ملكوته مهما بلغت سطوته بين اقرانه ، لأن واهب القوى والقدر هو الله وحده ، وحاشا ان يبلغ العبد مرحلة يقارع فيها الرب جل وعلا ، وانما الله هو القادر على انزال العقوبات الرادعة للعباد .(وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) (٧) .

وفى سورة الأنعام (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) . الآية (٦٥) .

كما أن ملكه تعالى لا يزيد بطاعة عبد ولا ينقص بمعصيته ، لأنه سبحانه هو الغنى المطلق المتفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله فملكه كامل لا يتصور فيه زيادة تحدثها عبادة عابد ، ولا نقص ينشأ عن عصيان عاص ، وذلك لأن ما عنده سبحانه لا يتناهى ، والنقص انما يتصور فى المتناهى ، وضرب الله « المخيط » وهو الابرة مثلا لأنها أصغر ما يشاهد ، وهو مثال تقريبى ليفهم البشر .

إنما هى اعمالكم احصيها : الاحصاء هو الجمع للتثبت من الشىء ، وضم بعضه الى بعض بحيث لا تفلت صغيرة مهما دقت ، ولا كبيرة مهما عظمت ، ولئن كان ذلك غير متصور واقعيا فيما مضى من زمان ، فان الأجيال الحاضرة تدركه ولا يمكن أن تنكره ، حيث أمكن تسجيل الحركات الخفية والسكنات الغائبة عن ادراك بعض الحواس على اشرطة مخترعة كشفها الانسان بعلمه الحادث ، فكيف بقدرة العليم الحكيم قال تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)(٨) وقال جل شأنه (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) (٩) . وورد فى حق الخارجين على حدود الله (... ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا) (١٠) . فلا يتطرقن الى تفكير عبد أنه مفلت من تسجيل حسناته وسيئاته كما وقعت ، وانها معروضة عليه وإنه قارئها ، يوم النشور .

فمن وجد خيرا ... الخ : معلوم أن التاجر الماهر الناجح الباز أقرانه ، هو من يجرى حسابا شاملا لتجارته فى فترات معينة ليدرك مدى ربحه من خسارته ، كما يختبر السوق دائما ليرى أى السلع تنفق وأيها يبور فيغرق سوقه بما يروج فيه ، ويتحاشى مالا اقبال عليه ، وبهذا يسبق ويتقدم دائما ، وعلى النقيض منه ذلك المتوانى المتواكل الذى لا يهتم ببضاعته ولا يدرى عن

---

(٦) كان هذا سيد الاستغفار . لأن فيه الاقرار لله وحده بالألوهية والعبودية والاعتراف بانه الخالق ، والاقرار بالعهد الذى اخذه عليه ، والرجاء لما وعده به ، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه ، وفيه اضافة النعماء الى خالقها واضافة الذنب الى نفسه ورغبة فى المغفرة واعتراف بانه لا يقدر على ذلك سواه ، سبحانه وتعالى .

(٧) الآية ٥٨ من سورة الكهف .

(٨) الآية ١٨ من سورة ق .

(٩) الآية ١٣ من سورة الاسراء .

(١٠) الآية ٤٩ من سورة الكهف .

رأس ماله وسوقه شيئا ، حتى يصطدم بالواقع المحس المؤلم ، فيعلن إفلاسه وينحسر عن مسرح التجارة والتجار ، ثم يبيد ويفنى ، ولا يذكر إلا بسوء المنقلب ، وبئس المصير والعياذ بالله تعالى وعلى هذا فقس رجالا عرفوا ربهم ودأبوا على طاعته وشمروا عن سواعد الجد فى هذه الحياة يرجون تجارة لن تبور ، أكلوا من الطيبات وعملوا صالحا ، هؤلاء تلقاهم دائبين على تذكر خطاياهم ، مادين أكف الضراعة فى اخلاص لرب العالمين رجاء أن يباعد بينهم وبين ذنوبهم ، وحين يجدون حلاوة العبادة يسعدون ويسرون ، ويوم يلقون ربهم يلقون نضرة وسرورا ، أولئك رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه .

وعلى الضد نرى قوما عابثين لو حاولوا احصاء زلاتهم لوجدوها تجل عن الحصر وحينئذ لا يلومون إلا أنفسهم حتى من أضلهم يتبرأ منهم ، ويردد كما ورد فى محكم الكتاب (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم(١١) .) وهذا لا يحمل على اليأس ولا القنوط ، وإنما يجب أن يطرق العاصى باب التوبة والاستغفار ، كما مر بهذا الحديث الشريف ، وواجب على الصنف الأول أن يشكر الله على ما وجد من خير أعماله (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه) . وأما الثانى ، فينحو باللائمة على نفسه الأمارة بالسوء ، ولا يقنط من رحمة الله (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) .

هذا ـــ وقد أخرج الترمذى هذا الحديث بزيادة على ما ورد فى مسلم ، ولا تخرج فى جملتها على ما تضمنته رواية الامام مسلم رحمهم الله جميعا ونفعنا بما خلفوا من تراث كريم .

٢ ـــ بايجاز : نجد تعاليم الإسلام وقوانينه وما رسمه رسوله العظيم موحى من عند الله سبحانه تدعو البشر الى الدأب على العمل النافع ، والإستهانة بكوارث الحياة . واعتبارها ظواهر طبيعية ، وأحداث لا بد منها ، لتصقل العقلاء ، وتنبه الغافلين ، وهذا الحديث الشريف من الأحاديث الجامعة للخير الكثير التى تدلنا بالبرهان على قدرة الله ورحمته بالعباد ، وتدعونا الى السير فى مدارج الوجود مترسمين خطى رسول الله فى الاستعانة به دائما . (إياك نعبد وإياك نستعين) .

ولا تصدنا عن غايتنا أبواب موصدة مهما كانت ، فلا مستحيل فى الدنيا ، بل كل شىء ممكن ، ما دام العزم قويا والإرادة حية والبصيرة جادة .

اخلق بذى اللب أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب ان يلجا

ولنراقب السميع العليم فى أعمالنا ، فهى محصية علينا ، ولا نفرط فى حقوق الأوطان ، ولا نهن أمام عدو ، ولا نتخاذل ، وإنما نجد ونسعى ، طالبين عون الله راجين نصره ، مضحين بكل عزيز وغال فى سبيل أهداف كريمة طيبة ، تخدم وتسعد الإنسانية جميعا ، وقد حكى القرآن العظيم على لسان أحد من رسل الله عليهم الصلاة والسلام قوله (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله إن الله بصير بالعباد) (١٢) .

---

(١١) الآية ٢٢ من سورة ابراهيم .

(١٢) الآية ٤٤ من سورة غافر .

« ٢ »

بحث مقارن

المنهج العلمي للبحث بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى
المدرس فى كليتى الشريعة والآداب — جامعة دمشق

فى عدد سابق تحدث الكاتب عن الطريقة العلمية التى انتهجها علماء المسلمين لتحقيق النقل والخبر .. واليوم يتابع حديثه عن بقية خطوات المنهج العلمى الذى اتبعه علماؤنا ..

الوعى

المنهج العلمى فى غير الأخبار المنقولة

وأما المنهج المتخذ للتحقيق فى الادعاء ، فيختلف ، كما قلنا ، حسب اختلاف نوع الادعاء . فما كان منه متعلقا بموجود مادى يتناوله تحليلا أو تكييفا ، فلا بد من الاعتماد فيه على شواهد وبراهين من الحواس الخمس ، أى على ما يسمى بالتعبير الحديث : (التجربة والمشاهدة) . اذ هى الوسيلة الطبيعية الى الادراك اليقينى فى مثل هذه الامور .

والاسلام لا يتردد فى تبنى كل ما ثبت تحقيقا بهذه الوسيلة .
أما من الناحية العكسية فان العلم لم يستطع أن يقدم لنا الى اليوم أية حقيقة علمية تخالف أية جزئية من جزئيات العقيدة الاسلامية .

ولم يكلفنا شىء من الكتاب والسنة بأية معلومات خاصة صريحة تتعلق بالموجودات المادية القائمة من حولنا ، الا ما أشار اليه منها فى عبارات تحمل على الفكر والتأمل فيها اكثر من أن تهدف لسوق معلومات عنها ، وذلك اعتمادا على الوسائل والاسباب التى جهز الله بها الانسان ، والتى هى الآلة الطبيعية لكشف لثام الجهل عن كل حقيقة مادية موجودة .

وأما ما كان من الدعاوى المتعلقة بأمر تجريدى أو غيبى غير خاضع لشىء من الحواس الظاهرة ، فمنها ما تجد فى الكتاب أو متواتر السنة نصا واضحا فيه ، ومنها ما لا تجد فى شىء منهما حديثا واضحا عنه .

فأما المنصوص عليه ، فهو داخل بذلك فى المدركات اليقينية .
وسبيل اليقين فيها أنها من حيث نقل الكتاب او السنة لها ترجع الى الخبر اليقينى المتواتر الذى فرغنا من البحث فيه ، اذ القرآن انما هو اللفظ الموحى به الى محمد صلى الله عليه وسلم والواصل الينا عن طريق التواتر ، فلا جرم أن قرآنية الفاظه مقطوع بها . ومثل القرآن فى ذلك السنة اذا وصلت الينا متواترة .

واما من حيث صدق ما تضمنه القرآن نفسه بقطع النظر عن كونه قرآنا واصلا الينا بيقين ، فاعلم أن مرد ذلك الى التحقيق فى ظاهرة الوحى فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ، وتحقيق الامر فيه قائم على ادلة يقينية تعتمد الاستقرار التام واللزوم البين . وانا لنستطيع أن نعتبر ظاهرة الوحى — من حيث أنها كانت ولا تزال موضع بحث وتحقيق لدى كل من المسلمين والمستشرقين — أوضح مثال تطبيقى يتضح فيه منهج البحث عند كل من الفريقين . ولوددت أن لو اتسعت صفحات هذا المقال لعرض مفصل فى ذلك ، وربما نعرض له فى فصل مستقل من الكلام ان شاء الله(٢) .

بحث الغيبيات

وسيان بعد ذلك ، ان يكون للعقل سبيل الى هضم هذه المغيبات وفهمها عن طريقه الخاص كوجود الله عز وجل ووحدانيته وكنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوحى اليه . أو أن لا يكون له اليها من سبيل ، كتلك المغيبات السمعية التى لم ينفذ الينا شىء من أمرها الا عن طريق الخبر الصادق عنها كقيام الساعة وحشر الاجساد ووجود الجنة والنار والملائكة — فكل ذلك يكفى لدخوله فى المدركات اليقينية أن نصا صريحا من كتاب الله أو متواتر السنة قد تناوله واخبر عنه .

غير ان من شأن القرآن مع ذلك ، أنه يحملنا على التأمل والنظر فى كل ما يخبرنا عنه ويحملنا على اليقين فيه ، من تلك الغيبيات التى يمكن للعقل البشرى ان يجول فيها ويلمس الحقيقة عنها ، كوجود الله عز وجل وحدوث الممكنات ، وجعلية الاسباب الكونية ، وما شابه ذلك .

واقد خاض علماء الكلام فى بحث هذه المسائل ، عن طريق العقل والفكر المجرد دون أن يضعوا الخبر الصادق واسطة بينها وبينهم ؛ ولكن لم يكن ذلك من اجل أنه السبيل الوحيد ، وانما من اجل أن يشقوا الى اليقين طريقا أخرى من البحث ، الى جانب طريق الخبر الصادق .

---

(٢) يستطيع القارىء أن يقف على تفصيل فى ذلك اذا رجع الى كتاب (فقه السيرة) أو كتاب (احسن الحديث) لكاتب هذا المقال .

وهكذا يسلك الفكر الاسلامى الى الايمان بوجود الله ووحدانيته ومتعلقات ذلك مسلكين اثنين ، كلاهما منهج علمى دقيق لا خدش فيه :

اما المسلك الاول فيبدأ بمرحلة البحث فى ظاهرة الوحى ، فاذا تجاوزها ، ثنى بمرحلة البحث فى صحة النقل وتوفر مقومات اليقين فيه ، فاذا تحاوزها ، استيقن الامر وصدقه لصدق كل مقوماته .

وأما المسلك الثانى فيستعجل الطريق ، ويبحث فى الامر على هدى من الفكر المجرد ، دون أن ينطلق بذهنه بعيدا الى النبوة وحقيقتها والقرآن وصدقه .

وكلا المسلكين ينتهيان بالباحث الى اليقين ، بل انهما ليلتقيان اخيرا ليشد كل منهما من أزر الثانى .

المسائل العقلية

وأما ما لم يتعرض له الخبر الصادق بأى نص واضح صريح ، فيتلخص السبيل الى معرفة الحق فيه بمسلكين اثنين :

المسلك الاول : ما يسمونه بدلالة الالتزام ، وهى أن يضطرد ترابط بين شيئين بحيث اذا تأملت فى أحدهما تصورت الآخر . الا أنها لا تكسب اليقين دائما ، اذ الامر فيها منوط بدرجة الترابط أو التلازم الذي يكون بينهما . ولذلك قسم العلماء دلالة اللزوم الى ثلاثة أقسام ، ترتقى فى القوة من الادنى الى الاعلى :

اولها : ما يسمى **باللزوم غير البين** . وهو أن يتوقف الجزم به على بحث واقامة برهان آخر كالتزام زوايا المثلث لقائمتين ، فان العقل لا يجزم بذلك لكل مثلث ما لم يطلع على برهان آخر مثبت له .

ثانيها : ما يسمى **باللزوم البين بالمعنى الأعم** . وهو أن يتوقف ادراك اللزوم بين الشيئين على تصور كل منهما والنظر فيه ، كدلالة الممكن على الحدوث وواجب الوجود على القدم .

ثالثها : **اللزوم البين بالمعنى الأخص** ، هو أن يكون تصور الملزوم وحده كافيا فى تصور اللزوم والجزم به كدلالة الانين على المرض فى القضايا الطبيعية ودلالة اللفظ المنبعث من شبح فى الظلام على أنه انسان حى ، فى القضايا العقلية .

والقسم الثالث فقط ، هو الذى يعتبر برهانا يقينيا منتجا باستقلاله ، نظرا لتكامل الاستقراء فيه وشدة ظهوره ، يليه الثانى . وأما الاول فلا يعتبر باستقلاله منتجا لليقين .

المسلك الثانى القياس .. وليس المقصود به القياس المنطقى المقتبس من الفلسفة اليونانية ، والقائم على القضايا والاشكال ، وانما المقصود به ذلك القياس الذى اصطلح عليه علماء أصول الفقه الاسلامى وعلماء أصول الدين

(المتكلمون) بعد أن استلهموه من كتاب الله عز وجل .

وهو منهج يتلخص فى استخراج علة الشىء أو سببه ، ثم تلمسه فيما قد يشبهه من الاشياء المجهولة ، حتى اذا استيقن الباحث اشتراك كل من المعلوم والمجهول فى علة واحدة ، قاس الثانى على الاول فى حكمه المنبثق من تأثير تلك العلة . .

وتقوم فكرة القياس على مبدأين اثنين ، كل منهما من المسلمات العقلية التى لا تحتاج الى برهان عليها :

المبدأ الاول : قانون العلية ، أى أن لكل معلول علة ولكل أثر مؤثرا . .

المبدأ الثانى : قانون التناسق والنظام فى العالم ، أى أن المظاهر الجزئية للكون وان اختلفت أشكالها ، ترتبط بعلل كلية من شأنها أن تبث التناسق والانسجام فيما بينها ، ومهما أوغلت فى التدقيق بطبائع هذه العلل رأيتها تتجمع أخيرا فى أقل عدد من العلل والاسباب .

وانما ينقدح القياس من هذين المبدأين ، بواسطة الاستقراء التام . اذ هو الذى يبصر الباحث بحقيقة العلة ، ثم هو الذى يمكن بواسطته ادراك العلاقات الثابتة الكلية بين الاشياء المتناثرة أو المختلفة فى الظاهر .

ولذلك كان من شرائط اعتبار العلة فى الاصل ، أن تكون مؤثرة ، وأن تكون وصفا منضبطا غير مضطرب ، وأن تكون مطردة ومنعكسة . وذلك اتم ما يمكن أن تقوم عليه حقيقة الاستقراء التام .

فاذا تدانت العلة عن مستوى هذه الشروط ، كأن لم يتضح فيها التأثير ، وانما تجلت فيها الملاءمة مع المعلول ، فهو قياس ظنى ، لا يقبل فى الاحكام الاعتقادية والعقلية ، وانما يمكن أن يقبل فى المسائل الفقهية العملية ، لقيام الدليل القاطع على أن الادلة الظنية فيها كافية للتعبد والاحكام الشرعية كما أسلفنا .

ومن هنا تعلم ان علماء المسلمين انما يتبعون المنهج الاستقرائى فى كل ما لم يمكن اخضاعه للتجربة المشاهدة ، وفى ظل هذا المنهج يلتقى كل من الالتزام والقياس . وهو كما ترى أبعد ما يكون عن الاستنتاجات الغيبية والتاملات المجردة التى أوغلت فيها الفلسفة اليونانية أيما ايغال .

ولقد علم كل من تأمل فى المنهج الاسلامى للبحث ، أن علماء الاسلام لا يمكن أن يقيموا اى حكم عقلى أو عقيدى الا على أساس الحقيقة التى تجمعت فيها كل مقومات اليقين .

فأما تلك الحقائق الاخرى التى ظلت محجوبة وراء حجاب الشكوك ، ولم تطلها الا يد الاستنتاج النظرى ، كتلك التى تلوح خلال دراسات تاريخية أو آثار مكتشفة — فما عرف التاريخ الاسلامى أن حقيقة يقينية ما قد أقيمت فوقها أو أنها اتخذت برهان نقد أو استدلال أو بناء فكر . ولكنها ظلت عندهم بحثا غير موصول وشكا يطوف حوله كل احتمال ، وسبيلا يدعو لمواصلة السير الى نهايته بخطى من البحث الاستقرائى السديد .

تلك هى خلاصة سريعة جدا ، عن المنهج العلمى للبحث عند المسلمين اخذناها من واقع أبحاثهم لا من نظريات مجردة مطوية فى مكتباتهم ، وانا لنريد ان نتساءل بعد ذلك عن منهج البحث عند الآخرين .. عند علماء الغرب من مفكرين ومستشرقين ، أولئك الذين ذاعت وشاعت كلمة (الموضوعية) حول ابحاثهم . بل ان هذا هو اصل ما دفعنى الى كتابة هذا المقال

الذى لا اهدف فيه الى دراسة كل من المنهجين : الاسلامى والغربى ، للبحث دراسة تحليلية تخضع لعرض ما قد يكون ثمة من مذاهب مختلفة أو تدرج تاريخى ، او نقد للنظريات بحد ذاتها .

وانما الذى اقصد اليه ايضاح حقيقتين اثنتين :

الأولى : بيان مدى ما يعتمد عليه الفكر الاسلامى فى ابحاثه من المنهجية والموضوعية المجردة ، ثم بيان مدى ما يتمتع به الفكر الغربى من نصيب — قل او كثر — فى ذلك .

ثانيا : مدى ما قد يوجد من ترابط وتلازم بين مناهج البحث ، (من حيث هى دراسات ومواضعات فكرية خاصة) وبين الأبحاث العلمية المختلفة ، لدى كل من المسلمين وغيرهم ، اى مدى نصيب هذه المناهج من الواقعية والتطبيق العلمى الصحيح .

ونحن — من اجل تجلية هذه الحقيقة — لم نشأ ان نستخرج المنهج العلمى للبحث عند علماء المسلمين ، الا من واقع ابحاثهم نفسها ، لا لكى نقف أخيرا على أن ثمة فنا مستقلا فى المكتبة الاسلامية يتعلق بمنهج البحث فحسب ، بل لكى نقف مع ذلك — وهو الأهم فى هذا البحث — على مدى تطبيق هذا المنهج على العلوم الاسلامية ذاتها .

فى الفكر الغربى

ونحن نسير ، فى تتمة بحثنا هذا على الطريقة التى بدأنا بها فنتساءل :

ما هو المنهج العلمى الذى يسير عليه الفكر الغربى فى شتى ما يواجهه من العلوم المختلفة ؟

لا مفر من أن نعود فنقسم موضوع العلم ، أيا كان نوعه ، الى جانبين اثنين :

خبر يراد تحقيقه ، ودعوى يراد التأكد من صحتها .

فما هو المنهج العلمى الذى يلبى الجانب الأول من الموضوعات ؟

لسنا بحاجة الى ان نجهد الفكر كثيرا بالتأمل فى الجواب . فالواقع ان المنهج الغربى للبحث خال ، الى الآن ، من اى ميزان موضوعى لتحقيق كل ما يتعلق بالرواية والنقل .

هنالك ما يسمونه بالمنهج الاستردادى او منهج التوسم ، عمدته الأولى ما قد يتمتع به الباحث من عمق الملاحظة ودقة الوجدان واتساع دائرة الخيال . والاداة التى يستخدم بها الباحث ملاحظته ووجدانه وخياله كل ما قد يقع عليه من آثار وأحداث ووثائق . وكيفية البحث ، هى ان يعكف الباحث على ما تجمع لديه من هذه الآثار او الأحداث ، فيقدح فيها الملاحظة والوجدان والخيال

ليستنتج من ورء ذلك ما قد يطمئن اليه من مبادىء واحكام .

وهو — كما ترى — منهج لا يملك أخيرا ، مهما جمع من العدة والوثائق الا سبيلا واحدا ، هو سبيل الاستنتاج الفكرى بل الغيبى المجرد . وما كان الاستنتاج المجرد عن التجربة المشاهدة أو الاستقراء التام الا رديف الوهم والشك او الظن المتقلقل الضعيف .

امر انفرد به المسلمون

وان الباحث ليسأل : ففيم عجز الفكر الغربى الى اليوم عن اتخاذ منهج علمى بصدد تحقيق النقول ، رغم اهمية الأمر فى ذلك ، ورغم انه يشكل نصف المسافة الى تحقيق كثير من القضايا العلمية المختلفة ؟

والجواب ان القيام بأعباء تحقيق النقول والروايات ، يكلف جهدا شاقا وعنيفا دون أن يوجد ، فى الظاهر ، مردود من الكسب المادى له . وتحمل جهد من هــــذا القبيل ، لا يكون ، الا اذا وجد من ورائه دافع يتغلب فى قوته على شدة ذلك الجهد .

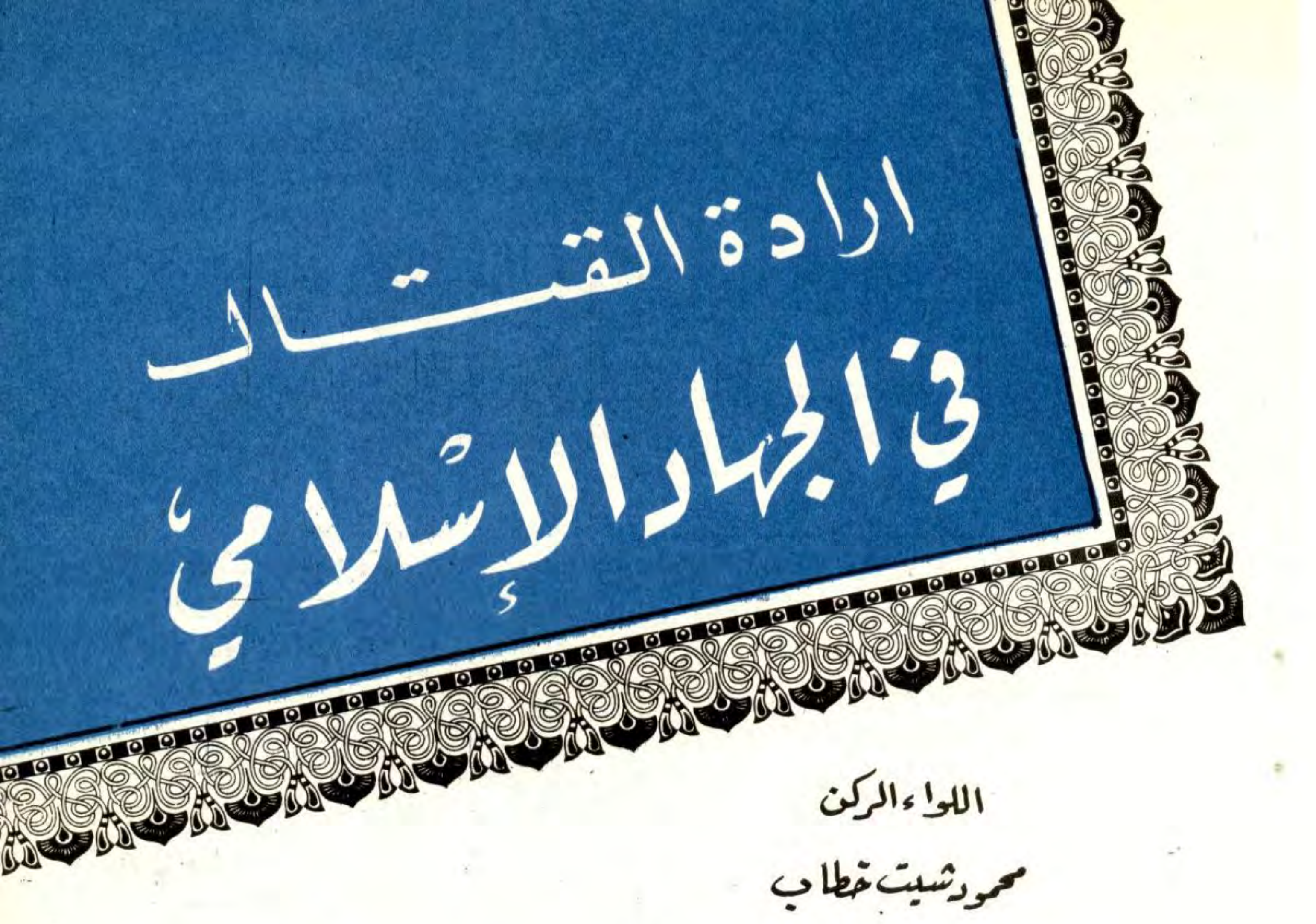
دافع العقيدة

ولقد توفر هذا الدافع عند المسلمين ، على حين لم يتوفر شىء منه عند غيرهم . ذلك لأن العلماء المسلمين آمنوا بوجود الله عز وجل وبنبوة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، وانهم مكلفون باقامة حياتهم على المنهج الذى بينه لهم كتاب الله وسنة رسوله ، فلا جرم انهم مكلفون اذا بالوقوف على كل ما قد تركه الرسول صلى الله عليه وسلم وراءه من تعاليم وارشادات ، وبالحرص كل الحرص على الا يمتزج الواقع اليقينى المتعلق بحياته وسيرته وأقواله بما قد يندس اليه من وهم أو كذب وافتراء .

وهكذا ، فقد أوصلهم يقينهم هذا الى المنهج الشاق الدقيق الذى وضعوه ميزانا لصــــدق كل رواية وتاريخ ، وكان عليهم أن يستهينوا بكل ما قد يكلفهم تطبيق هذا المنهج من أعباء جسام . ولولا هذا اليقين والدافع ، لما رايت واحدا من علماء الحديث يقطع مئات الأميال متغربا عن وطنه فى ظروف عســــيرة شاقة ، لا لشىء ، الا ليلتقى بشيخ يروى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ليعلمه ويحفظه فحسب هذا القـــادم اليه ، ولكنه يريد أن يتلقاه منه أيضا ويستأذنه بروايته عنه ، لكى تزداد طرق هذا الحديث عنده ، ويقف على كل ما قد يتوفر له من اسانيد .

ان من السهل عليك جدا ان تقرا اسنادا من هذه الأســـــانيد فى كتاب كصحيح البخارى وانت متكىء على فراشك او جالس وراء مكتبك ، ولكن المهم

البقية على ص : ٥٧



اللواء الركن

محمود شيت خطاب

— ١ —

أ) بعث النبى صلى الله عليه وسلم من (الحديبية) عثمان بن عفان رضى الله عنه الى مكة المكرمة ليبلغ أشراف قريش : أن المسلمين لم يأتوا للحرب ، وانما جاءوا زائرين للبيت الحرام ومعظمين لحرمته .

وبلغ عثمان أبا سفيان بن حرب وعظماء قريش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من تبليغ رسالته الى قريش : « ان شئت أن تطوف بالبيت فطف » فقال عثمان : « ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

واحتبست قريش عثمان عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، أن عثمان بن عفان قد قتل ، فقال الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام : « لا نبرح حتى نناجز القوم » .

ودعا النبى صلى الله عليه وسلم الناس الي البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكانت هذه البيعة على الموت .

قال الصحابة الذين شهدوا بيعة الرضوان : « **كنا نبايع يومئذ على** الموت » .

ب) واستشهد فى معركة (اليرموك) الحاسمة عكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، فاتوا بماء وهم صرعى فى النزع الأخير ، ولكنهم تدافعوه : كلما دفع الى رجل منهم قال : اسق فلانا . حتى

ماتوا ولم يشربوه . فقد طلب عكرمة الماء فرأى سهيلا ينظر اليه ، فقال : « ادفعوه الى سهيل » ورأى سهيل الحارث ينظر اليه فقال : « ادفعوه الى الحارث » فلم يصل اليه حتى ماتوا .

جـ) وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قائدا عاما على المسلمين فى (أرض الشام) فقاد المسلمين فى معركة اليرموك الفاصلة الى النصر ، تلك المعركة التى فتحت أبواب فلسطين والاردن وسورية ولبنان للمسلمين .
وعزله عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى أوج انتصاراته ، ولكن خالدا لم يكترث بهذا العزل وظل جنديا مخلصا ، وقال قولته المشهورة : « لا اقاتل من أجل عمر ، بل أقاتل من أجل اعلاء كلمة الله » .

د) وشهدت الخنساء الشاعرة المشهورة معركة (القادسية) الحاسمة ومعها بنوها : أربعة رجال ، فحرضتهم على القتال . وباشر أولاد الخنساء القتال ، وقتلوا واحدا بعد واحد ، فلما علمت باستشهادهم قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وارجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .
لم تجزع الخنساء على استشهاد اولادها الاربعة تحت لواء الاسلام ، وهى التى جزعت اشد الجزع وأعظمه على أخيها صخر بن عمرو السلمى الذى قتل تحت لواء الجاهلية ، وبكته أحر البكاء وأغزره ، ولا يزال شعرها فى (صخر) مضرب الأمثال فى العاطفة المتأججة وصدق الرثاء .

— ٢ —

أ) تلك أمثلة نابضة بالحياة من تاريخنا المجيد ، وهى غيض من فيض .. ولكنها تعطى الجواب العملى الواضح لمعنى : « ارادة القتال » كما فهمها وتشرب بها وطبقها السلف الصالح من أجدادنا العرب المسلمين .
فقد رفض عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أن يطوف بالبيت العتيق وحده دون المسلمين ، وهو الذى كان فى شوق غامر لهذا الذى دعته اليه قريش طائعة مبادرة ، مما يدل على تشبعه بالضبط المتين(١) ، فلا يفعل شيئا حتى اذا صادف ذلك الشىء هوى فى نفسه ، الا اذا تلقى أوامر قائده صريحة واضحة .

وهو — فوق ذلك — يدل على تشبعه بروح الجماعة وخضوعه لمصالحها العليا ، ونبذ مصالحه الذاتية وراءه ظهريا .
وتدافع عكرمة وصحبه الماء وهم فى الرمق الأخير ، يدل على الايثار بأروع صوره فى أحرج الظروف والأحوال .

وموقف الخنساء عند علمها باستشهاد اولادها الأربعة وهى شيخ همة يدل على التضحية بأغلى وأعز شىء فى الحياة من أجل المبدأ والعقيدة .
وقولة خالد بن الوليد بعد عزله ، تدل على انه لم يكن يجاهد فى سبيل أمجاد شخصية ، ولا مصالح ذاتية ، بل كان يجاهد فى سبيل اعلاء كلمة الله .

---

(١) الضبط : هو تنفيذ الاوامر بقوة وأمانة واخلاص وعن طيبة خاطر ، مهما تكن غالية التكاليف على ماله وحياته وحاضره ومستقبله . ويطلق على تعبير الضبط العسكرى فى قسم من الجيوش العربية تعبير : الانضباط العسكرى .

وكل تلك المواقف ، تدل بوضـــوح ، على الاصرار الفذ ، والعزم الأكيد على التضحية بكل غال ورخيص ، وبكل ما فى الدنيا من متاع ، من أجل مجد الاسلام .

ب) فما معنى : ارادة القتال اذن ؟

« هى الرغبة الأكيدة فى الثبات بميدان القتال من أجل مثل عليا وأهداف سامية ، وايمان لا يتزعزع بهذه المثل والأهداف ، وثقة بانها أحب وأعز وأغلى من كل شىء فى الحيـــاة ، أوتحمل أعباء الحـــرب ، بذلا للأموال والأنفس ، واستهانة بالأضرار والشدائد ، وصبرا فى الباســـاء والضراء وحين الباس ، حتى يتم تحقيق تلك المثل ، والأهداف الســـامية ، مهما طال الأمد ، وبعـــد الشوط ، وكثر العناء ، وازدادت المصائب ، وتضاعفت التضحيات » .
ذلك هو مفهوم : ارادة القتال فى الجهاد الاســـلامى ، وهو مفهوم لا تطمع فى ادراك شاوه مفاهيم : ارادة القتال فى العقيدتين العســـكريتين : الشرقية او الغربية على حد سواء .

مفهوم ارادة القتال فى الجهاد الاسلامى : مادة وروح ، فيه الدعوة الى الخير والسلام ، وفيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفيه الاعراض عن الاستغلال والاستعباد .

ومفهوم ارادة القتال فى الشرق والغـــرب مادة فقط : فيه الدعوة الى التسلط والاستعباد ، وفيه اشاعة المنكر والفساد ، وفيه حب الحرب وكراهية السلام ، وفيه الاستعباد والاستغلال ، وفيه التسلط والاستعمار .

— ٣ —

أ) فكيف غرس الاسلام مفاهيم : ارادة القتال ، فى نفوس المســـلمين وعقولهم معا ؟؟

حث الاسلام على (الطاعة) ، والطاعة هى الضبط والنظام : « وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير »(٢) .

واشاع الاسلام معانى الخلق الكريم ، ومنه الصـــــبر الجميل : « ثم جـــاهدوا وصبروا ، ان ربك من بعدهـــا لغفور رحيم » ، وقـــال تعالى : « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله » ، وقـــال تعالى : « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس »(٣) .

وغرس الاسلام روح الشجاعة والاقدام : « يا أيهـــا الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقـــد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس

---

(٢) سورة البقرة (٢ : ٢٨٥) وقد وردت (طاع) ومشتقاتها فى تسع وعشرين ومائة من آيات الذكر الحكيم . انظر التفاصيل فى المعجم المفهرس (٤٢٩ — ٤٣١) .

(٣) سورة البقرة (٢ : ١٧٧) وقد وردت (صبر) ومشتقاتها فى ثلاث ومائة آيـــة من آيات الذكر الحكيم ، انظر التفاصيل فى المعجم المفهرس (٣٩٩ — ٤٠١) .

المصير »

والتولى يوم الزحف من الكبائر ، كما نص على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وامر الاسلام بالثبات فى ميدان القتال : « يا ايها الذين آمنوا ، اذا لقيتم فئة فاثبتوا »

ودعا الاسلام الى الجهاد بالأموال والأنفس لاعلاء كلمة الله : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » ، وقال تعالى : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله »(٤)

وبين الاسلام أن مثله العليا لا بد أن تكون لها الأسبقية على كل شيء فى الدنيا : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم ، وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين »

وجعل الاسلام مقام الشهداء من اعظم المقامات : « فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين » ، وقال تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون » ، وقال تعالى : « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »

ب) فاذا تذكرنا أن الجهاد فى الاسلام يهدف الى حماية حرية نشر الدعوة الاسلامية ، والى نشر السلام والى الدفاع عن دار الاسلام .

واذا تذكرنا أن تعاليم القتال فى الاسلام تنص على الوفاء بالعهود واحترام المواثيق والترفع عن الظلم والعدوان واقرار السلام .

واذا تذكرنا أهداف القتال فى الاسلام وتعاليمه ، علمنا بأن : (ارادة القتال) ، التى تتغلغل فى أعماق المسلم الحق ، مبنية على أسس سليمة رصينة ، لأن هذا المسلم يؤمن ايمانا عميقا بأنه يخوض حربا عادلة ، وهذه الحرب العادلة (حافز) جديد تجعل من المؤمن مقاتلا رهيبا كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون .

(٤)

ولكن ارادة القتال فى الجهاد الاسلامى ، تسيطر على المسلم فى ميدان القتال أيام الحرب كما تسيطر عليه فى أيام السلام .

---

(٤) سورة التوبة (٩ : ٤١) انظر تفسير هذه الآية فى (الكشاف) للامام الزمخشرى لتجد ان المسلمين سبقوا العالم الى مفهوم الحرب الشاملة التى تنص على : (اعداد الأمة بكل طاقاتها المادية والمعنوية للحرب) والتى زعم المشير لودندروف بعد الحرب العالمية الأولى فى كتابه (الأمة فى الحرب) ، بأنه أول من فكر فى الحرب الشاملة ، بينما أرسى الاسلام أسسها قبل أربعة عشر قرنا .

ان الهدف الحيوى من الحرب ، هو تحطيم الطاقات المـــادية والمعنوية للعـــدو ، فاذا انتصر عليه فى ميدان الحرب ، واســـتطاع أن يحطم طاقاته المعنوية فلا بد من جهود أخرى لتحطم طاقـــاته المعنوية ، ليكون النصر كاملا يؤدى الى الاستسلام .

وهنا تبدأ الحرب النفسية التى تســـتهدف الطاقات المعنوية بالدرجة الأولى .

وفى تاريخ الحروب أمثلة لا تعد ولا تحصى عن انتصـــارات استطاعت القضاء على الطاقات المادية ، ولكنها لم تســـتطع القضـــاء على الطاقات المعنوية ، فكانت انتصارات ناقصة ، اســـتمرت فترة من الزمن ، ثم أصبح المهزوم منتصرا ، وأصبح المنتصر مهزوما .

فكيف يصاول الاسلام الحرب النفسية ، ليصون معنويات المسلمين من الانهيار ؟؟

كيف يحافظ الاسلام على ارادة القتال ، فى ايام السلام ؟؟

لعل اهم اهداف الحرب النفسية هى التخويف من الموت والفقر ومن القوة الضاربة للمنتصر ، ومحاولة جعل النصر حاســـما ، والدعوة الى الاستسلام وبث الاشاعات والأراجيف ، واشاعة الاستعمار الفـــكرى بالغزو الحضارى ، واشاعة اليأس والقنوط .

المؤمن حقا لا يخشى الموت ، وقال تعالى : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ، وقال تعـــالى : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله » ، وقـــال تعـــالى : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشـــيدة » . وقال تعالى : « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل » .

ان المؤمن حقا يعتقد اعتقادا راسخا بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ، وما أصدق قولة خالد بن الوليد رضي الله عنه : « ما فى جسمى شبر الا وفيه طعنة رمح أو سيف ، وها أنا أموت على فراشى كما يموت البعـــير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

والمؤمن حقا لا يخاف الفقر لأنه يعتقد اعتقادا راســـخا بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » وقال تعالى : « فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

والمؤمن حقا لا يخشى قوات العدو الضاربة ، فما انتصر المسلمون فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، بعدد أو عدد بل كان انتصارهم انتصار عقيدة لامراء قال تعالى : « قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » ، وقال تعالى : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون »

والمؤمن حقا لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام فى حماية عقيدته ، لذلك فهو يعرف أن الانتصار فى معركة قد يدوم ساعة ، ولكنه لا يدوم الى قيام الساعة : « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس »

والمؤمن حقا لا يستسلم بعد هزيمته لأنه يعلم بأن بعد العسر يسرا : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » ، وقال تعالى : « ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم »

والمؤمن حقا لا يصدق الاشاعات والأراجيف : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ، وقال تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم » ، وقال تعالى : « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

والمؤمن حقا يقاوم الاستعمار الفكرى ويصاول الغزو الحضارى ، لان له من مقومات دينه وتراث حضارته ما يصونه من تيارات المبادىء الوافدة التى تذيب شخصيته وتمحو آثاره من الوجود .

والمؤمن حقا لا يقنط ابدا ولا ييأس من نصر الله ورحمته : « ولا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا » ، وقال تعالى : « قال : ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » ، وقال فى معرض الندم : « وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون » ، كما قال تعالى : « وان مسه الشر فيئوس قنوط »

(٥)

ولكن القول بان الحوافز الروحية وحدها هى التى تؤجج ارادة القتال فى المؤمن الحق ، لا يغنى عن كل قول .

والواقع ان فى الاسلام « حوافز مادية » لا تقل اهمية عن الحوافز (الروحية) تعمل جنبا لجنب لترصين : « ارادة القتال » فى نفوس المسلمين وعقولهم معا .

ومن اهم الحوافز المادية : عدم الاستهانة بالعدو اولا ، والاعداد الحربى تدريبا وتسليحا وتنظيما وتجهيزا وقيادة ثانيا .

لقد استهان المسلمون بعدوهم يوم (حنين) فغلبوا على امرهم فى الصفحة الأولى من صفحات ذلك اليوم العصيب « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

والحذر واليقظة من مظاهر عدم الاستهانة بالعدو : « ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » ، وقال تعالى : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم » ، وقال تعالى : « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا » ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » ، وقال

تعالى : « فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم » .

ان الاستهانة بالعدو تؤدى حتما الى الاندحار ، وما أصدق المثل العربى القائل : « اذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له » .

والاعداد الحربى اعدادا متكاملا ، يرفع المعنويات ، ويقوى الثقة بالنفس ، ويلهب مزية : ارادة القتال ، قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » ، وقال تعالى : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .

تلك هى معالم : « ارادة القتال فى الجهاد الاسلامى » وتلك هى الحوافز المادية والمعنوية التى جاء بها الاسلام ليجعل من الأمة المسلمة التى تعمل بتعاليمه امة لا تقهر ابدا .

ذلك لأن الاسلام بتعاليمه السمحة الرضية ، جعل من المسلم الحق مطيعا لا يعصى ، صابرا لا يتخاذل ، شجاعا لا يجبن ، مقداما لا يتردد ، مقبلا لا يفر ، صامدا لا يتزعزع ، مجاهدا لا يتخلف ، مؤمنا بمثل عليا ، مضحيا من اجلها بالمال والروح ، يخوض حربا عادلة لاحقاق الحق وازهاق الباطل .

لا يخاف الموت ، ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوة فى الأرض ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الأراجيف والاشاعات ، لا يستكين للاستعمار الفكرى ، ويقاوم الغزو الحضارى ، ولا يقنط ابدا ولا ييأس من رحمة الله .
هذا المسلم الحق يقظ اشد ما تكون اليقظة ، حذر أعظم ما يكون الحذر ، يتاهب لعدوه ويعد العدة للقائه ، ولا يستهين به فى السلم او الحرب .

فلا عجب ان يكون هذا المسلم الحق متحليا بمزية : ارادة القتال ، بل العجب كل العجب فى الا يكون :

وهذا ما يفسر لنا سر الفتح الإسلامى العظيم الذى امتد خلال ثمانين عاما من الصين شرقا الى فرنسا غربا ومن سيبيريا شمالا الى المحيط جنوبا .

وذلك لأن شعار المسلمين كان (قل : هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) النصر او الشهادة .

ولأن المسلمين كانوا يحرصون على الموت حرص غيرهم على الحياة : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم الله ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » .

واشهد اننى لم اقرأ ، حتى فى كتب التعبئة وسوق الجيش الفنية الصادرة فى النصف الثانى من القرن العشرين ، اوضح تعبيرا وأدق تعريفا

البقية على ص : ٣٩



للأستاذ : محمد صبيح

الذين يحاولون ان يفصلوا بين اليهودية والصهيونية ، تعوزهم قراءات كثيرة ، وتاملات واعية فى طبيعة هذا الشعب وما يصدر عنه من فكر ..

فالصهيونية لا تنفصل عن اليهودية ، ولا تختلف عنها ، الا كما يحدث بين الجيش والأمة التى تقدم له افراده المحاربين .

وهناك دعوة نشيطة مستمرة من جانب الدعاية اليهودية ، ومخططى الحرب النفسية ، لكى يستقر فى الأذهان ــ اذهاننا نحن المسلمين طبعا ــ أن الصهيونية حركة منفصلة ، متعصبة ، لا تمثل الفكر اليهودى كله ، بدليل وجود عشرات أو مئات من الأفراد الذين يناهضون الصهيونية . ويضربون لذلك الأمثلة بكاتب يهودى اسمه ليلينتال ، وكاهن يهودى امريكى ينضم الى جماعة أصدقاء الشرق الاوسط فى الولايات المتحدة . وهؤلاء الأفراد ، مهما كان عددهم ، فهم شذوذ يثبت القاعدة ولا يهزها او يبدل من وجودها ..

ويكفى أن نقول أنه اذا وجد يهودى لا يؤمن بالتوراة فهو اليهودى الذى لا يكترث لوجود اسرائيل ، أو يدعو ضدها .. وذلك لأن التوراة فى عشرات المواضع نصت على مملكة اسرائيل ، وحددت نطاقها ما بين النيل والفرات . والتوراة ليست سرا ، فهى موجودة ومتداولة ومترجمة الى جميع اللغات ، ومنها العربية وتباع بثمن زهيد !!

واليهودية ، فى مرحلتها التاريخية الحاضرة ، تعتقد انها ملكت الفرصة لتحقيق حلم ألفى سنة ، بما جمع افرادها من ثروة ، ومن نفوذ ، ومن سيطرة على سياسات بعض الدول القوية .

وساعد على دخولهم فى هذه المغامرة الخطيرة ، ما علموه من تفكك فى أوصال العالم الاسلامى ، وضعف ران على دوله خلال السيطرة الاستعمارية الغربية على بلدانه . وكان ميقات القيام بحركتهم على موعد تاريخى مع سقوط

للاستقرار في أرضنا

اليهودية والصهيونية هل من فرق بينهما

الخلافة العثمانية ، وعدم قيام نظام آخر يسد الفراغ الذى تركته ، وتكون له الكلمة المسموعة فى العالم الاسلامى .

ملامح الصورة :

وحتى تتأكد لنا ملامح الصورة التى نقدمها ، فاننا نقدم شواهد من احاديث واعمال اليهود فى فلسطين بعد النكبة المفاجئة للجيوش العربية فى يونيو من العام الماضى .

فى دراسة نشرتها مجلة (لوك) الأمريكية اليهودية النزعة يقول موشى ديان : انه ظل يحارب العرب أربعين سنة ، منذ كان صبيا .. والعرب يكرهوننا ، فهم لم يطلبوا منا أن نجىء الى نابلس ، بل يفضلون لو كانوا الآن فى تل أبيب .. وعلاقتى باى يهودى فى ميامى بالولايات المتحدة ، قائمة وموجودة ، فى حين لا توجد أية علاقة بينى وبين أى عربى عبر الحدود !! .

ويضيف هذا العدو اليهودى قائلا : انه لا يسمى الجنرال ديان فقط .. ولكن اسمه قبل هذا وبعده ، هو موسى .. أى أنه يهودى وأضاف : « اذا حدث نزاع بين مصلحة اليهود ومصلحة اسرائيل كدولة فانه ينحاز فورا الى يهوديته »

وأكد شيمون بيرنز السياسى اليهودى المعروف ، أن كل فرد منهم يحمل فى قرارة قلبه مسؤوليته بالنسبة لأجداده .

وعندما أجرت بعض صحف اسرائيل استفتاء عن مصير الأرض العربية المحتلة . تبقى أو ترد لأصحابها ؟ وافق ٣٠٪ على ردها ، فاذا بفتوى تصدر عن الحاخام الأكبر ، بان أى يهودى يتنازل عن شبر من الأرض التى أعطتهم اياها التوراة يعد مرتدا عن اليهودية ! .. وبعد هذه الفتوى أجرى الاستفتاء مرة أخرى فاذا الـ ٣٠٪ التى وافقت على رد الأرض المحتلة تتحول الى اثنين او ثلاثة فى المائة فقط !!

وقد صرح هذا الحاخام ــ واسمه ايزار يهودا انترمان ــ ان حرب اليهود ضد العرب فصل من فصول التوراة .. هكذا يجب ان ننظر اليها :

وهذا الحاخام ــ الاكبر ــ قرأ ولا شك التوراة ، واستوعبها ، وعقيدته الدينية تدفعه الى هذه الحرب ، وتجعله مصدر وحى والهام لقومه ..

اليهودى المحارب :

وأذن فنحن ــ العرب ــ نواجه المعركة التى حشد اليهود لها طاقتهم المادية ، وما جندوه لها من عناصر دولية طامعة فى ثروات الشرق الأوسط ومركزه الاستراتيجى فى وسط العالم القديم ، وكونه أكبر طريق مواصلات برى وبحرى وجوى .

ولم يكن هذا الحشد المادى هو كل عدتهم ، ولكن الحشد العقائدى هو أساس عملهم ، وتحركهم فى المنطقة .

ولقد قرأنا التوراة وأعدنا النظر فيها اكثر من مرة ، ووجدنا اليهود فى حروبهم القديمة التى خاضوها فى فلسطين ، اعتمدوا فيها على أربعة أمور :

١ ــ التجسس ، ومعرفة مداخل ومخارج المنطقة التى ينوون مهاجمتها .

٢ ــ المفاجاة ، فلا تكون لدى عدوهم فرصة التأهب .

٣ ــ تجزئة معاركهم ، حتى يضمنون التفوق فى العدد والعدة على القوم الذين يحاربونهم .

٤ ــ اشاعة الذعر فى منطقة الحرب بابادة كاملة ، بما فى ذلك النساء والأطفال والماشية والشجر ، حتى لقد نسبوا الى موسى عليه السلام ظلما ، أنه غضب عندما هاجموا مدين وأخذوا النساء سبايا دون قتلهن ، ولكنه أمر بقتل جميع الأطفال من الذكور !!

واليهود المحدثون لا يخرجون عن هذا التخطيط ..

فهم يهاجمون فى مواقع مدروسة ، مهد لها تجسسهم الطريق تمهيدا تاما ، وتجمعت لديهم عنها معلومات كاملة .

وهم يهاجمون فى عدة حرب كثيفة جدا ، تعوضهم عن كثرة العدد ، اذ تحسب الحروب هذه الأيام بقوة النيران التى تحشد للمعركة .. اى بعدد الطائرات والدبابات والمدافع .

واليهود لا يقدرون على حرب المواجهة ، ولكنهم يختبئون وراء دروع الفولاذ الحديثة[1] ، فاذا وجدوا أنهم لا بد خارجون لمعركة مواجهة انسحبوا على الفور .. وفى الساعات القليلة التى كان عليهم فيها أن يقتحموا مواقع تمسك بها المدافعون عنها ، آثروا الانسحاب ، والتخلى عن المعركة ، حتى تضمن لهم أسلحة أخرى ــ جوية فى الغالب ــ عنصر التفوق الكامل ..

واليهودى ــ بحسب عقيدته ــ لا يدخل البعث ضمن عقيدته الدينية . ولم ترد فى التوراة أية اشارة الى الحياة الثانية . وكل ما ورد فيها ان الموتى يذهبون الى (الهاوية) . وربما كان ذلك بتاثير عنادهم للمصريين وعقائدهم الدينية القديمة . وقد جاء السيد المسيح وصحح لليهود هذه العقيدة ..

ولهذا فانا نجد اليهودى الآن ، ومن قديم الزمان ، يحرص على حياته

---

(1) هذه حقيقة ربما كانت موضع هذه الآية « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة او من وراء جدر » .

حرصا شديدا(٢) ، ولا يعرض نفسه لخطر فقدها الا مكرها ، ولا يفهم مطلقا معنى الاستشهاد .. وكل ما يطمع فيه ان تكون (الهاوية) التى تأويه بعد موته هى ارض فلسطين . ولهذا فان اليهود فى حربهم يحملون خطاطيف وحبالا يسحبون بها موتاهم ، ولا يتركونهم فى ارض المعركة ، وعندما سقط بعض طياريهم فى خليج السويس على اثر معركة مع المدفعية المصرية المضادة ، اخرجوا دوريات طائرة تتكون من ثمانين طائرة ، للبحث عن غرقى الطيران ، وتكلف هذا البحث ثلاثة ملايين من الجنيهات للعثور على بعض جثث قتلاهم ، واذاعوا بين جنودهم ما حدث ، حتى يطمئنوا اذا ما ماتوا الى أن (الهاوية) التى وعدتهم بها التوراة هى مصيرهم .

ولقد نفخت أبواق الدعاية فى الطاقة الحربية للمحارب اليهودى ، ولكنها دعاية ما لبثت أن خبت وتهاوت على أيدى الفدائيين من شباب (فتح) ، وفى اللقاءات المحدودة التى تمت فى الكرامة ، والمواجهة بالمدفعية التى حدثت فى الاسبوع الثانى من شهر سبتمبر عبر قنال السويس .

ان ما جمعه اليهود لحرب يونيو هم خلاصة المقاتلين وزهرة العسكريين فى جميع جيوش الغرب ، ولاسيما سلاح الطيران .. وقد دفع للواحد من هؤلاء المحترفين — ولم يكونوا كلهم من اليهود — سبعة آلاف دولار ..

ولكن هل ستظل القوة العسكرية الاسرائيلية تستتر وراء هذه الفئة من المحاربين المجلوبين من كل مكان ؟!! لقد رحل كثير منهم ، ومع التسليم بأن فى الامكان استدعاءهم ، أو تجنيد من يوازيهم فى الاحتراف ، الا ان أمن الأمم لا يشترى بهذا الاسلوب ، لانه يعتمد أولا وقبل كل شىء على جسارة المواطن العادى ، واستعداده للتضحية ، من أجل الوطن الذى يأويه ، والتراب الذى اختلط به رفات الآباء والاجداد ..

منطق الارقام :

ان الرعب الذى ملأ نفوس يهود اسرائيل من العمليات الفدائية الحالية ، لم تستطع الدعاية أن تخفيه . فقد بان فى الصور والأفلام ما أصاب القوم هناك من فزع عظيم ..

وعلينا أن نتصور — بمنطق الدعاية اليهودية — ان الذى جاء بهم الى فلسطين هو التماس الأمن ، بعد المذابح التى حلت باليهود خلال الفين من السنين .. فاذا صاحب حلولهم بأرض الميعاد المزعومة ، هول الموت يترصد لهم فى كل مكان ، فقد سقط الباعث والمحرك الأول لهم الى هذه الهجرة .

ولم يخف المتحدثون باسم اليهود هذا المعنى ، وعندما قال سفيرهم فى وشنطن وقائد جيوشهم السابق ، ان عدم حصولهم على السلام خلال هذا العام ، يعنى استمرار الحرب عشرين سنة قادمة .. على الأقل !!

ويؤكد هذا المعنى منطق الأرقام ..

فعلى الرغم من الضغط المستمر لكل المنظمات اليهودية لمزيد من الهجرة اليهودية الى فلسطين خلال السنوات العشر الأخيرة ، فان عددهم لم يتجاوز المليونين و ٦٠٠ ألف ، بل تردد كثيرا أن المغادرين أكثر من القادمين . ومما يثير

---

(٢) تتحدث الآية الكريمة عن هذا فتقول « ولتجدنهم احرص الناس على حياة » .

« الوعى »

تلق اليهود ان نسبة توالد العرب فى داخل اسرائيل تفوق كثيرا نسبة توالد اليهود . فقد وصل العرب الى ٤٠٠ الف نسمة قبل يونيو من العام الماضى . وكانوا فى عام ١٩٤٨ لا يتجاوزون نصف هذا العدد .

ويحاول اليهود تغطية هذا العجز فى جلب يهود جدد . بأنهم اصبحوا ضيقين اشد الضيق بمليون يهودى او اكثر . هم اليهود غير المدربين . الذين وفدوا من البلدان الشرقية الى اسرائيل . فقد اصبحوا عالة على يهود الغرب . وراحت التهم تنهال عليهم بأن استعدادهم الحضارى غير واضح !!

ويقول متحدثوهم فى صراحة صريحة ان الهبوط الشديد فى المعونات الخارجية ، يستدعى ان تعتمد اسرائيل على نفسها اقتصاديا .. وافضل لها ان تستورد من يصنع الكترونات ونفاثات وكيماويات من المهاجرين .. ولا حاجة لها بمن يفلحون ارضا لا تنبت او يشتغلون فى اعمال البناء . ويقولون انهم مهما صدروا من البرتقال ، فان الدخل منه . قد يفوقه دخل من بيع بعض طائرات ركاب اذا امكن صناعتها فى اسرائيل !!

ويزيد فى ارباك الخطط اليهودية الحروب المتوالية التى يخوضونها . مما ادى الى هبوط سعر الجنيه الاسرائيلى بحيث يساوى الآن ٢٩ سنتا ، وكان فى اول قيام دولتهم يساوى اربعة دولارات امريكية !! ومرجع ذلك الى نفقات الحرب والتعبئة . اذ تكلف التعبئة الكاملة فى اليوم الواحد الاقتصاد الاسرائيلى ٣٠ (ثلاثين) مليون دولار ..

وقد تعوض معونات الولايات المتحدة ويهود العالم هذه الخسائر .. ولكن الى متى ؟

المدد الاسلامى .. للمعركة ..

واذن فقد اصبح واجبنا واضحا ومحددا .. وهو ارباك الوجود اليهودى فى فلسطين ، وازعاجه المستمر بالعمليات الفدائية ، حتى تتحطم اعصاب اليهود ، ويضيع منهم نهائيا حلم (الأمن) الذى يلتمسونه بهذه السرقة .. وحتى يظل جيشهم فى حالة تعبئة جزئية او كاملة طول الوقت .

ولا ينبغى ان يقع عبء العمل الفدائى على شباب فلسطين وحدهم .. ولا على شباب العرب وحدهم .. ولكنه واجب جميع القادرين عليه فى العالم الاسلامى ..

اليست القدس مثل مكة والمدينة المنورة فى حمى العقيدة الاسلامية ؟

لقد تحددت خطة السير ..

وتحدد جنود المعركة ..

وكل مسلم تكون القدس شيئا فى نفسه ، ما عليه الا ان يلتمس طريقه الى الجنة بمساعدة العمل الفدائى فى فلسطين بالمال والسلاح والنفس .

فاين الذين يريدون مرضاة الله ورسوله ؟

انهم ينتشرون الآن من الفلبين فى اقصى المشرق الى طنجة والرباط فى اقصى المغرب ، وانهم على ذلك لقادرون باذن الله العلى الأعلى .



واكثر تسموا واوجز عبارة . مما جاء فى القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة تعريفا : لارادة القتال ولا يقتصر معناها على ارادة القتال وحدها ، بل يشمل تعريف : المعنويات العالية أيضا .

تلك هى عظمة القرآن الكريم حتى فى المجالات العسكرية ، ولـــكن « يا ليت قومى يعلمون » .

والسؤال الذى يتردد اليوم هو : ألسنا مسلمين ؟ واذا كنا مسلمين ، فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائنا ؟

والجواب على هذا السؤال ، يورده القرآن الكريم بصراحة ووضوح :
قال تعالى : « وكان حقا علينـــا نصر المؤمنين » ، فهل نحن مؤمنون حقا ؟

وقال تعـــالى : « يأيهــــا الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »

فهل نصرنا الله حقا حتى ينصرنا ويثبت أقدامنا ؟

وقال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »

فهل اقمنا الصلاة حقا وآتينا الزكاة حقا وأمرنا بالمعروف حقا ونهينا عن المنكر حقا ؟

وقال تعالى : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله »

فهل نفرنا خفافا وثقالا ، وهل جاهدنا بأموالنا وأنفسنا فى سبيل الله ؟

ولكن ما مصير الذين لا ينفرون ؟

قال تعالى : « إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما »

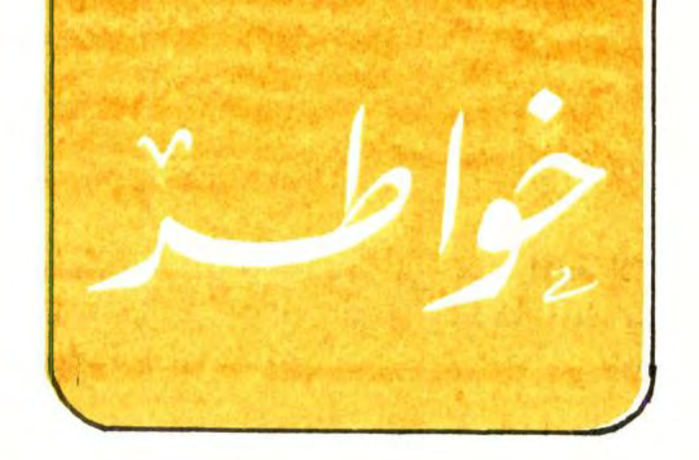
كيف ينصرنا الله ونحن لا نطبق تعاليمه ؟

وهل ورد فى القرآن ما يشير الى أن الله ينصر المسلمين الذين يتقبلون الاسلام بدون تكاليفه فى الجهاد والعمل الصالح ؟

والله سبحانه يقول للمنهزمين فى غزوة أحد « أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » .

فلنبحث عن سبب الهزيمة فى انفسنا أولا كما يقول الله . .





عن الشيخ محمد عبده

للأستاذ : سعيد الأفغاني

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها ــ جامعة دمشق

ما افترقت آراء الناس فى أحد من أعلام الشرق العربى فى العصر الحديث كما افترقت فى الشيخ محمد عبده رحمه الله ، أما فى الدين فقد رفعه قوم الى مصاف المصلحين المهتدين ، الذين يمن الله بالواحد منهم على الأمة فى كل مئة سنة ليكون مجدد القرن ، وهبط به آخرون الى أن جعلوه من ائمة الضلال الذين ضلوا واضلوا أجيالا من الناس ما زالت تتساقط فى مهاوى الضلال ، وأما فى الوطنية فهو عند كثيرين علم من أعلامها لا ترقى اليه تهمة ، وعند آخرين وطنى فى ثورة (عرابى باشا) ثم منسلخ من وطنيته يتملق الانكليز ويمالئهم على الخديوى !!

ومهما يختلف هؤلاء وأولئك فانهم مجمعون على انه ملأ الدنيا وشغل الناس فى حياته وبعد مماته ، وأنه أحد العلماء ذوى الذهن النير ، ثم هو من أبعد الزعماء أثرا فى النهضة الحديثة بمصر .

* * *

صبى من آل التركمانى فى قرية من قرى مديرية الغربية بمصر ، اهمل فلم يعلم حتى جاوز العاشرة ، ثم أقبل على العلم فحفظ القرآن الكريم ، وانتظم فى طلبة العلم بالجامع الأحمدى ، ثم انتقل الى الأزهر يعب من موارده حتى ظهر نبوغه ويستمر على ذلك ، شأنه شأن زملائه من نابغى طلبة الأزهر ، الى أن حل فى مصر من غير مجرى حياتها الفكرية ، فوجد محمد عبده نفسه ، وعرف طريقه الذى هيأه الله له .

كان قد هبط مصر فى ذلك الوقت باعث الحياة فى الشرق ، ومضرم نيران الثورة فى أقطاره على الجهل وعلى الغفلة ، وعلى الاستبداد وعلى الفرقة ، وحمل على عاتقه ايقاظ شعوب الجامعة الاسلامية ، فطوف فى الأفغان والهند والعجم والدولة العثمانية ومصر .. ينبه الغافلين ويوقظ المستنيمين الى تخدير الاستعمار ، قارعا أسماعهم بما يبعث الموتى من القبور ، ذلكم هو السيد جمال الدين الأفغانى .

حل فى مصر فأضرم فيها الثورة على ميدانين واسعين — واحدة على الجهل والغفلة ، وثانية على الاستبداد ، فتسارع اليه الناس مأخوذين بمظهره وبيانه وفلسفته وثورته ومزاجه العصبى ، فسمعوا كلاما لا عهد لهم به ، كأنما انزله الله من السماء على فترة من الرسل ، فترة جهالة عمياء ، فاستجابوا له ، وهوت اليه الافئدة المتفتحة ، ونشر فى مصر العلوم العقلية ، وتتلمذ عليه فيها النابهون ، وكان فى طليعتهم الشيخ محمد عبده الذى استهواه جمال الدين ، وسحره بدعوته وبيانه ، فلزمه حتى كان أنبغ مريديه ، ولما أخرجت السلطات السيد جمال الدين من مصر وخرج لوداعه الواعون آسفين متحسرين قال لهم : « لقد تركت فيكم الشيخ محمد عبده » .

* * *

اسهم الفقيد فى النهضة التعليمية بمصر ، اختير مدرسا للأدب والتاريخ فى « مدرسة الألسن » و « دار العلوم » ثم عهد اليه « رياض باشا » باصلاح لغة « الوقائع المصرية » الصحيفة الرسمية للحكومة ، ثم برياسة تحريرها ، فعاد ذلك على لغة الجرائد بأطيب الثمرات . ثم كانت الثورة العرابية فكان من الطبيعى أن يشترك فيها ، وقد تلقى روح الثورة على جمال الدين الذى قضى عمره يبثها فى أقطار الشرق ، ثم يقضى على الثورة العرابية ، وينفى محمد عبده من مصر لتعرفه الشام مواصلا بث العلم مدرسا فى بيروت ، معلما وناشرا وشارحا « نهج البلاغة » و « مقامات الهمذانى » . . حتى اذا امكنته الفرص ، لحق بشيخه جمال الدين فى باريس ، حيث أصدرا المجلة التى هزت عروش الظلم والاستبداد فى الشرق آنذاك ، مجلة « العروة الوثقى » التى اقضت مضاجع الحاكمين دون استثناء ، فصادروها ومنعوها ، وكانت الأعداد التى تسلم فتتسرب الى السعداء بها تقع من أرواحهم موقع الغيث من الأرض الجدبة .

ويعفو الخديوى توفيق عن الشيخ محمد عبده ، ويعود الى مصر ليتولى القضاء فى محاكمها الأهلية ، وتحمد فيها سيرته ، ثم يسند اليه سنة ١٣١٧ هـ افتاء الديار المصرية مع التدريس فى الأزهر ، وهنا صال الشيخ وجال فى ميدان الاصلاح ، وأشاع فى الأزهر الروح السمحة والفكر النير ، واطلق التعليم التقليدى من أساليب عقيمة وقيود مضنية ، فذاق الطلبة نعيم التعليم المثمر ، وتحررت الأفكار فرمى الناس بـ « الحواشى على شروح السعد » فى البلاغة وكانت عذابا اليما للملكات ، ليقبلوا على كتابات عبد القاهر الجرجانى ، سيد من تكلم فى البلاغة القديمة ببلاغة فى (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) مقررة بلسان الشيخ محمد عبده ذى البيان الواضح المشرق ، فعرفوا لأول مرة طعم البلاغة فى كتب بليغة ، وتقرير ناصع جذاب ينمى الملكات .

كانت دروس الشيخ الخاصة فى الفلسفة والبلاغة مدرسة ، تخرج بها زعماء الأدب والقضاء والادارة والسياسة والتعليم ، أمثال سعد زغلول السياسى المشهور ، وابراهيم الهلباوى ، أخطب محامى عصره ، والمنفلوطى والرافعى ، والزيات ، وطه حسين وغيرهم . (وعلى أن تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا كان أكثر منه احاطة بعلوم الحديث والتفسير والفروع على ما قالوا وعلى أن أكثر معاصريه من زملائه لم يقروا له بسعة العلم ، على ذلك كله كان عقله أكبر من علمه ، وقد آتاه الله ما فات كثيرا من أساطين العلم ، آتاه « سياسة العلم » فقد كان حكيما ، ماهرا فى حسن عرضه ، ودقة لباقته حتى أخذ الأسماع بأحكام بيانه وحلاوة تقريره ، وكان الى ذلك كله معتدل المزاج ، على نقيض إمامه السيد جمال الدين الأفغانى الحاد المزاج السريع الغضب ،

حتى لقد صدق فيه قول تلميذه محمد عبده : « كثيرا ما هدمت الحدة فى الزمن القصير ما بنته الفطنة والروية فى الدهر الأطول » .

لقد رزق الشيخ محمد عبده « سياسة العلم » من حيث عزت على كثير من الائمة المتبحرين ، السياسة التى كنت تمنيتها (١) للامام العظيم « ابن حزم » العصبى المزاج ، الصداع بالحق ، الجباه به فى المتقدمين ، وتمناها المتمنون للسيد جمال الدين فى المتأخرين .

وبسعة صدر الشيخ محمد عبده ، وحسن تأنيه للأمور ، التف حوله علية القوم من الشاميين والمصريين ، بحيث لم ينبغ نابغ ممن ادركه الا كان له فيه اثر وصار تلاميذه هم أقطاب مصر والشام بعد سنين ، فأثره فى الاصلاح اذا معروف غير منكور .

كان انقضى على وفاة الشيخ أكثر من أربعين سنة ، نسيت فيهن لوعة الملتاعين عليه ، وسلا المحزونون لفقده ، وتعرت أحكام المفكرين فيه من المبالغات والعاطفيات ، ومع هذا تكاد تجمع الآراء على انه احد المصلحين فى الشرق بلا مراء ، حتى الأستاذ احمد أمين رحمه الله الذى أخذ نفسه بأن تتحرر من رواسب أحكامها السابقة على الأشياء وللأشخاص ، وأن تزن الأمور مجددا بميزان العقل والمنطق والروية . حتى هذا الباحث لم ينف عنه صفة الزعامة الاصلاحية ، فقد دعانى مرة الى سمر مساء خميس فى لجنة التأليف والترجمة والنشر مألف العلماء ومجمع رجال الفكر ، وشرق الحديث بالسامرين وغرب ، وعرضوا لذكر الشيخ محمد عبده ، واختلفت آراؤهم فيه والأستاذ صامت مصغ لما يقال ، فلما سئل عن رايه اجاب : « هو مصلح على قدنا ! » كان ذلك سنة ١٩٤٧م ، وهو حكم كما ترى مقبول لا اعتراض عليه .

* * *

مناصب القضاء والادارة والتدريس صرفت الشيخ عن التأليف بعض الصرف لا كله ، ولقد ترك لنا آثارا قليلة فى العدد كبيرة فى الجدوى والأثر ، كان أسلوبه وأماليه فى تفسير القرآن الكريم فذة طريفة ، وغاص فيها على مقاصد الاسلام ، فجلاها متلألئة جذابة ، لا صدأ ولا قشور ، وتصدى فى ميدان ثان لهجمات المبشرين والمستشرقين على الاسلام ، فدوى له فى اجواء الشرق ثلاث رسائل مهمات ــ الأولى ــ « الرد على هانوتو » والثانية ــ (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » والثالثة ــ « الاسلام والرد على منتقديه » أما رسالته فى التوحيد وتفسيره الذى لم يتم فأشهر من أن يذكرا ، وله ــ الى ذلك ــ تمكن فى العلوم العقلية ، وفى التصوف ، حتى وصف بالفيلسوف المتصوف ، وأنت تجد فيما كتب آثارا واضحة من الفلسفة والتصوف .

أما بعد ، فرجل كالشيخ محمد عبده اضطلع برسالة جسيمه فى بيئة متخلفة لا يخليه دهر من مشاكسات ، لقى فى حياته عنتا من شيوخ متشددين وآخرين غير متشددين . فكان له حساد ، وكان له مناوئون ، بعضهم باخلاص ، وبعض بغير اخلاص ، وذاق من الحكام البأس والنكاية . . لكن شيئا ما لم يغظه ما أغاظه عداوة العلماء من زملائه ومنافسيه : لقد أخذوا عليه فتاوى قد يكون الباعث عليها حب التيسير والعجلة والاعجاب بالرأى ، فجرت عليه أعنف الحملات ، نسبوا اليه اباحة الربا تزلفا ــ كما زعموا ــ الى أصحاب المصارف والبيوت المالية الأجانب ، كما اتهموه بالتهاون فى أداء الصلوات ولم ينسوا

---

(١) فى كتابى (ابن حزم الاندلسى ورسالته فى المفاضلة بين الصحابة) ص ١٦١ فما بعد المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٠ .

التشنيع عليه لافتائه بلبس القبعة فى الديار الاجنبية !! واشياء من هذا الباب آن ننكر منها بشدة تحليل بعض الربا المحرم لا نحرم بعضها من سعة الصدر والاعتذار له بحسن القصد .

* * *

رائدان من رواد الاصلاح فى نهضتنا الحديثة اشارا ببعض التيسير فى الدين باخلاص ، فولج منه الناس موالج بعد موتهما ، لو عرفا أن الأمر سيؤول اليها لتمنيا ان كانا أصمين ابكمين ، ولا أشارا بما أشارا به : اما احدهما فقاسم امين رحمه الله حين دعا الى تعليم المراة ، ورخص فى نوع من الحجاب الشرعى يعينها على التعليم ، وانتهزت الفرصة جماعات التبشير والاستعمار المتربصة — وكان لها صحف تتستر وراءها — واليهودية العالمية ، وما يتغذى من هذه الموارد الوبيلة من مجلات وجرائد ، فنفخت فى هذه النار تزين للناس بأساليبها الماكرة كل قبيح ، فلم يقتصر الناس على ما رسم « قاسم أمين » وتجاوزوا حدا بعد حد ، حتى كان السفور لغير ضرورة ، ثم الحسور ثم الاختلاط ، فتغيرت نظرة الأجيال الغافلة الى القيم الخلقية . . . حتى صار الاوروبى اذا هبط كثيرا من البلدان العربية عجب لما عليه بعض النساء من تبذل ، فقدن معه كل هيبة وتكريم .

وأما ثانيهما فالشيخ محمد عبده هذا الذى لم يكن يقدر حين تساهل فى بعض الفتيا — أن الامور ستؤول الى اشباه فقهاء وأنصاف متعلمين ، الموا بظاهر من العلم واندسوا بين رجال الدين يقيسون لأهواء المتسلط أو المتنفذ أو المتمول باعا كلما قاس اصبعا لا دين ولا خلق ولا أمانة ، دابهم خطف المال أنى لاح ، لا تميزهم من صيارفة اليهود المخادعين الناس عن قرشهم بكل وسيلة ، هذا يفتى بالترخيص فى الصوم وآخر يراوغ لتعطيل الزكاة وثالث يحلل الغصب « سلب الحقوق » ، ورابع يفتى بالاقبال على شركات التأمين ، وخامس يحل الربا وسادس . . .

وقد يزين الجشع والهوى لسابع أن يجمع من هذا اكثر من خصلة . . يلبسون لكل حالة لبوسها ، ويديرون فى السنتهم الآيات والأحاديث لغير ما وردت له ، يتخذون كلام الله مصايد للمناصب وضحكا على الناس والحكام الجاهلين ، يوما متفرنسين ويوما متبرطنين ، آنا متأمركين أو متبلشفين ، لا يختلفون شيئا عن تجار الوطنية والأحزاب جوهر واحد والأعراض مختلفة . . فلا نملك الا أن نسأل الله الرحمة للشيخ محمد عبده والهداية للذين آتاهم الله العلم أن يخلصوا لله فيما يقولون ، ولا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا .

«الوعى الاسلامى تشارك الأستاذ الفاضل سعيد الأفغانى حملتــه على العلماء الذين لا يقصدون وجه الله فى فتاواهم ، ولكنها ترى من ناحية اخرى ، أن التزمت والتشدد فيما لا ينبغى التشدد فيه من أمور الدين ، ولاسيما الفرعية منها ، وما يترتب على ذلك من اتهامات وتشنيعات وتفريق صفوف . ذلك كله أمر لا يخدم الدين بقدر ما ينفر الناس منه ويبعدهم عنه ولنا فى سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الكريمة ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى . ومن الله التوفيق والهداية .



طالعتنا كتب التاريخ فى أوائل القرن العشرين بصورة من كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، وكان هذا الكتاب الوحيد الذى شاع فى العالم الاسلامى من الكتب المتعددة ، التى بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك والقياصرة والأقيال ، يدعوهم فيها الى الدخول فى دين الله ، حينما بدأ اتساع نطاق الدعوة الاسلامية فى العام السابع من الهجرة . وقد اجمع المؤرخون على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بالكتب الآتية التى ارسلها الى الملوك حينما دعاهم الى الاسلام :

١ ــ كتابه صلى الله عليه وسلم الى هرقل قيصر الروم ارسله مع دحية الكلبى .

٢ ــ كتابه صلى الله عليه وسلم الى أنوشروان كسرى فارس أرسله مع عبد الله ابن حذافة السهمى .

٣ ــ كتابه صلى الله عليه وسلم الى اصحمة نجاشى الحبشة ارسله مع عمرو بن أمية الضمرى .

٤ ــ كتابه صلى الله عليه وسلم الى مينا بن جريح المقوقس عظيم القبط فى مصر ارسله مع حاطب بن أبى بلتعة .

٥ ــ كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى ملك البحرير ارسله مع العلاء بن الحضرمى .

٦ ــ كتابه صلى الله عليه وسلم الى جيفر وعبد ملكى عمان ارسله مع عمرو بن العاص .

٧ ــ كتابة صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على ملك اليمامة ارسله مع سليط بن عمرو العامرى .

٨ ــ كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن شمر الغسانى ملك البلقاء ارسله مع شجاع بن وهب وهو الوحيد الذى قتل وسط الطريق قبل وصوله بالرسالة .

قصة العثور على كتاب النبى الى المقوقس

لم يقف المسلمون على اثر لهذه الكتب التى ذكرناها الا كتابه صلى الله عليه وسلم ، الذى ارسله الى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، والذى تداولت صوره

إلى المقوقس عظيم القبط في مصر

للأستاذ : محمد ابراهيم

مدير مدرسة تحسين الخطوط ــ الاسكندرية

كتب التاريخ منذ أوائل القرن العشرين ، وقصة العثور على هذا الكتاب وقعت عن طريق الصدفة كما يقول مكتشفه المستشرق الفرنسى إتيان بارتلمى . ففى عام ١٨٥٠ ميلادية كان بارتلمى يزور احد الأديرة فى بلدة أخميم من صعيد مصر ، وكان يقيم فى هذا الدير راهب يقتنى بعض الكتب ، ولجهله ــ على ما يبدو ــ بقيمتها العلمية والتاريخية باعها لهذا المستشرق ، الذى وجد كتابا من مجموعـة الكتب التى ابتاعها ، مغلفا بقطعة من الجلد عليها آثار البلى ، وقد ظهر بها بعض أحرف وكلمات محررة بالخط الكوفى القديم ، فأجهد نفسه فى حل بعض هذه الرموز ، ثم استعان بالمستشرق البريطانى « المستر بلن » فى حل الأحرف والكلمات التى اشكل عليه حلها وقراءتها ، وبعد الرجوع الى أمهات الكتب ، ومطابقة الصيغة التاريخية لكتاب النبى بما ورد فى هذه الورقة من كلمات ، قرر مستر بلن أن هذه الورقة هى كتاب النبى الى المقوقس .

ما كاد المستشرق بارتلمى يتأكد من ذلك ، حتى هرع الى الآستانة ليعرض اكتشافه هذا على السلطان عبد المجيد ، بصفته خليفة المسلمين فى ذلك العهد ، غير أن السلطان لم يأخذ القضية مسلمة ، بل تناولها بالبحث والتنقيب ، ومناقشة ذلك الفرنسى فى صحة ما يدعيه ، فقرر الرجل بأن الكتاب وقع فى يده ضمن كتب قبطية اشتراها من أحد الرهبان فى صعيد مصر ، ولكن السلطان أبى أن يبت فى الأمر بنفسه لما ساوره من الشك ، فاستدعى العلماء ورجال الدين ليشتركوا فى فحص هذه الرسالة .

وبديهى أن السادة العلماء ــ وان كانوا على مكانة من التفقه فى الدين والتمكن من تاريخ الاسلام ــ الا أن هذه المكانة ليست لها أية صلة بأسرار الكتابة العربية ، فى تركيا وفى جميع البلاد الاسلامية التابعة للدولة العلية فى ذلك العهد لانصراف الكتاب حينئذ عن الخط الكوفى الى اجادة أنواع معينة من الخطوط ، كالثلث والنسخ والرقعة والديوانى وجلى الديوانى والتوقيع ، وسبب ذلك أن الدولة كانت فى أشد الاحتياج الى النابغين فى هذه الخطوط لكثرة استعمالها فى كتابة البراءات والإنعامات ومختلف الأوامر التى يصدرها السلطان الى الحكومات والهيئات والأفراد . ولهذه الأسباب مجتمعة ، لم يسع السادة العلماء الا الموافقة

على صحة هذا الكتاب .

ومهما يكن من أمر فقد نال المستشرق بارتلمى ما كان يتمناه حيث اغدق عليه السلطان الوف الجنيهات ، فوق هذا الشرف الذى حظى به نتيجة لاكتشافه مثل هذا الأثر التاريخى الاسلامى العظيم .

أمر السلطان عبد المجيد بعد ذلك بحفظ هذا الكتاب بدار الآثار النبوية فى الآستانة ضمن المخلفات الشريفة للنبى عليه افضل صلاة وازكى تسليم .

كيف وصلت صورة الكتاب الى مصر

حفظت النسخة الأصلية لكتاب النبى فى دار الآثار النبوية بالآستانة ، وكانت الخلافة فى ذلك العصر تحرص كل الحرص على مثل هذه الآثار ، لذلك لم يكن فى المستطاع غير نقل صورة الكتاب الشمسية ، ولم نتوصل الى معرفة أول مصور لها وكل ما لدينا من معلومات أن الخبير البحاثة المصرى محمد على سعودى قد توصل عند زيارته لتركيا الى نقل صورة من صورة شمسية اخرى جاء بها الى مصر فى عام ١٣١٦ هجرية وظل الأستاذ محمد على سعودى محتفظا بهذه الصورة لديه كاثر تاريخى ، الى ان استطاع احد اصدقائه وهو محمد طاهر الازميرى أن ينقل منها صورة اخرى بقلمه عام ١٣٢٨ هجرية . وهذه الصورة هى التى تداولتها كتب التاريخ التى بين أيدينا الى اليوم .

وكان أول من نشر صورة هذا الكتاب فى مصر الأستاذ جورجى زيدان صاحب مجلة الهلال ، حيث وصلت اليه صورة نشرها فى المجلة فى العدد الصادر فى أول نوفمبر سنة ١٩٠٤ ، وعلق على الصورة بقوله : **(ننشر الصورة على علاتها ، ويظهر لنا أن النسخة الأصلية الكوفية التى نقلت عنها هذه الصورة « موضوعة » كتبها بعض الذين يغررون بالناس ، وقلد بها الخط الكوفى والتقليد ظاهر ، وان مصطنع ذلك الكتاب نقل صورته بالفوتوغرافيا وكتب حوله ما كتب ، وعنها نقل سعودى افندى وغيره صورهم على ما هو شائع ...)** الى ان قال : **(ان هذا الاكتشاف لم يظهر فى كتب العلم على الاطلاق مع عظيم اهميته لدى علماء الآثار الشرقية ...) .**

ما كادت مجلة الهلال تنشر صورة الكتاب والتعليق عليه حتى بادر الأستاذ مرجليوث المستشرق البريطانى فى اكسفورد بارسال رد نشرته مجلة الهلال فى عددها الصادر فى أول ديسمبر ١٩٠٤ يقول فيه : انه ارسل خلال نوفمبر الى احد المستشرقين يسأله أن يبدى رأيه فى كتاب النبى الى المقوقس ، وقال مرجليوث ان مقالا نشر بشأن هذا الكتاب فى المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٥٤ فى عدد ديسمبر ، وهى رسالة من المستر بلن بعث بها من القاهرة فى ١٠ مارس سنة ١٨٥٢ الى المسيو رينو عضو المجمع العلمى الفرنسى يخبره فيها بأن المسيو إتيان بارتلمى احد المستشرقين الفرنسيين المقيم فى القاهرة عثر فى ديسمبر سنة ١٨٥٠ على رق بال قرب دير اخميم فيه آثار كتابة عربية ، وأن الرق المذكور كان ملصقا بأوراق أخرى تبطية على جلد كتاب قديم ، فاضطر — لفصله واستفراده — أن يبله بالماء ، فازداد بلى وتهرؤا ، على انه احتال فى حفظه وتسويته تسوية سطحية بضغطه بين صفحتين من زجاج ، بحيث يسهل عليه درسه بدون أن يتقطع بين يديه ، فضلا عما كان قد ذهب منه ، فلما تمكن المسيو برتلمى من تحضير الرق

على هذه الصورة أخذ فى حل رموزه ، فلم يجد عليه من الكتابة الا كلمات متقطعة وأحرفا مبعثرة ، وقد نشرت المجلة الآسيوية المذكورة صورة ذلك الرق ، فاذا هى شبيهة بالصورة التى نشرت ، وأسطر الرق ١٢ سطرا واليك ما قراه صاحب الاكتشاف مرتبا على حسب موضعه من الصورة باعتبار الأسطر :

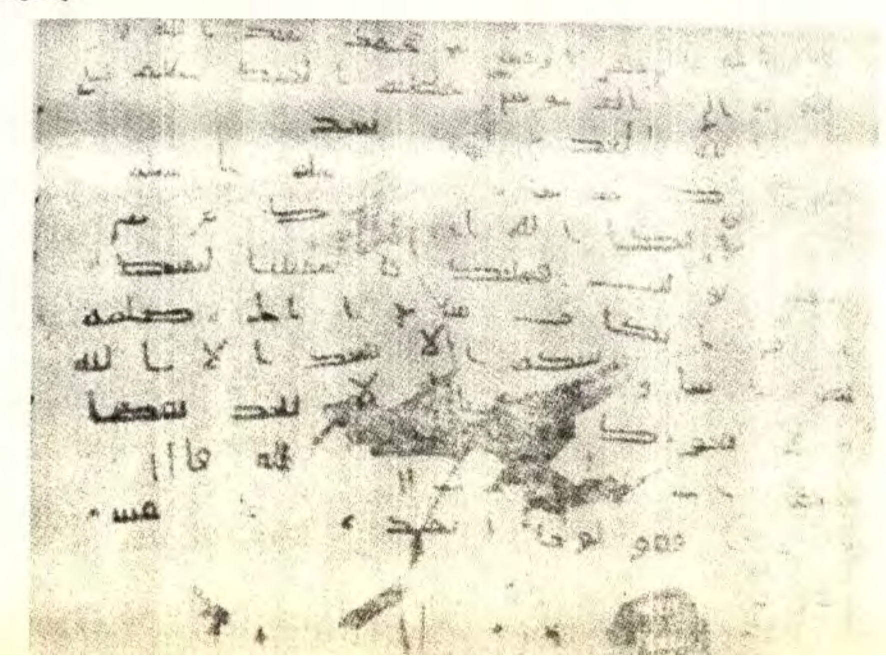
١ ــ بسم الله الر . . . حمن الرحـ . . . . محمد عبد الله و
٢ ــ رسولـ . . . ع . . القبط . . . على
٣ ــ من اتبع الهدى . . .
٤ ــ . . . .
٥ ــ توكل بالله العظيم فى كل الاحوال
٦ ــ فان توليت فعليك بالعدل والقسط
٧ ــ . . . هل الكتاب سيروا الى كلمة
٨ ــ سوا بيننا وبينكم الا نعبد الا . . . لله
٩ ــ ولا تعو . . . .

ولم يقرأ الأسطر الثلاثة الباقية ولا الختم . . .

قال المستر بلن ، إنه اهتم بذلك الاكتشاف واخذ فى حل رموز ما اشكل على برتلمى ، فتبادر الى ذهنه انه كتاب النبى الى المقوقس ، فراجع نصوص هذا الكتاب فى حسن المحاضرة وغيره من تواريخ المسلمين وغيرهم ، فاستعان بذلك على قراءته وَرده الى نحو ما كان عليه قبل أن تهرأ ، فقراه كما ياتى مع اعتبار السطور فى الأصل :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ور
٢ ــ سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على
٣ ــ من اتبع الهدى اما بعد فانى اد
٤ ــ عوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم
٥ ــ يؤتك الله أجرك مرتين
٦ ــ فان توليت فعليك اثم كل القبط
٧ ــ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
٨ ــ سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
٩ ــ ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
١٠ــ بعضا أربابا من دون الله فان
١١ــ تولوا فقولوا شهدوا بأنا مسـ
١٢ــ لمــون

محمد رسول الله



هذه صورة الكتاب وسبقتها قراءة مستر بلن الذى يقول فى خطابه لمسيو رينو أن ما يشاهد من هذه الحروف على الرق قليل ، وانـــه قد قراه بمساعدة النصوص التاريخية ، ثم يقول أيضا أنه بحث فى شكل الخط الكوفى وعصره ، وفى : هل هذا الرق هو النسخة الأصلية أم مزور ؟ فقال يخاطب مسيو رينو : والاقرب الى الا مكان على ما يظهر لى ــ الا ما قد يكتشفه علمكم الواسع ونظركم الناقد ــ ان هذا الرق هو الكتاب الأصلى الذى ارسله النبى محمد الى المقوقس ، وانه بقى فى جملة المخطوطات القبطية فى البطريركية ، فلما اختلت احوال القبط فى أيام الاضطهاد (١) ضاع هذا الكتاب فى جملة ما تشتت من أوراقهم وكتبهم ، وانتقل من يد الى أخرى حتى وقع فى يد راهب جاهل استخدمه فى تجليد ذلك الكتاب ، ولولا ذلك لم يبق الى الآن . . .

وهذه خلاصة ما كتبه مستر بلن الى مسيو رينـــو عضو المجمع العلمى الفرنسى عام ١٨٥٢ بهذا الخصوص ،

الشك فى صحة كتاب النبى

اذا ما سلمنا جدلا بما قاله المستشرق بارتلمى ، وبصحة الكتاب الذى جاء به ، وبأقوال المستر بلن التى وردت فى رسالته الى مسيو رينو عضو المجمع العلمى الفرنسى فكيف بنا وقد طالعتنا بعض المراجع بصورة الكتاب نفسها فى وضع آخر ، يختلف كل الاختلاف من جميع الوجوه عن الصورة التى تداولتهـــا معظم كتب التاريخ .

ونبين هنا رسم الصورة الثانية وقد عثرنا عليها فى الجزء الأول من كتاب مرآة الحرمين ، والتى يقول مؤلفه اللواء ابراهيم رفعت أنها نقلت عن الأصل المحفوظ بدار الآثار النبوية بالآستانة .

هذه هى الصورة الثانية لكتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى المقوقس !!
وليس من المقبول أن يكون الكتاب الذى بعث بـــه الرسول عليه الصلاة والسلام الى المقوقس عظيم القبط فى مصر عرضة لمثل هذا التضارب الذى يدعو الى بلبلة الأفكار ، بسبب شيوع رسمين مختلفين لكتاب واحد له صفة تاريخية مهمة لدى المسلمين وتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم .

وسواء أكانت صورة الكتاب هى الأولى أم الثانية ، فان الشك فى صحتهما اقرب الى الذهن ، لما لوحظ فيهما من بعض أخطاء فنية زيادة على نقط الضعف فى قول السادة المستشرقين أنفسهم وما جاء فيه من متناقضات تؤكد ذلك الشك .
كل ذلك دفعنى الى وجوب استخلاص الحقيقة ، واثبات تزوير هذا الكتاب من الوجهةِ المنطقية ومن الناحية الفنية بالأدلة الآتى بيانها :

أولا : ان الطريقة التى استعملها المسيو بارتلمى لفصل الرق عن جلد الكتاب الملصق به ، كافية وحدها لتغيير معالم الكتابة كلها ، ذلك لأنه بل الرق بالماء ، والماء بطبيعة الحال يمحو مداد الكتابة ، ومتى عرفنا ان العرب كانوا فى بداية عهدهم بالكتابة يستعملون السناج أى (الهباب) المذاب فى الصمغ أدركنا تماما أن هذه المواد قابلة للمحو متى بللها الماء ، ونستشهد على ذلك باعتراف المستر بلن نفسه فى رسالته التى بعث بها الى المسيو رينو عضو المجمع العلمى الفرنسى حيث يقول : ان المسيو بارتلمى عثر على رق بال فيه آثار كتابة عربية ، وان الرق المذكور كان ملتصقا بأوراق ــ اخرى قبطية على جلد كتاب قديم ، فاضطر لفصله واستفراده بأن يبله بالماء فازداد بلاء وتهرؤا .

ثانيا : من متابعة الرسالة يتضح لنا ان الكتابة الأصلية قد ضاعت معالمها وليس أدل على ذلك من قول مستر بلن بأن بارتلمى لما تمكن من تحضير الرق واخذ فى حل رموزه لم يجد عليه من الكتابة الا كلمات متقطعة واحرفا متبعثرة ..
فكيف اذن توصل الى قراءتهـــا ما لم يكن قد وضع بخطـــه بعض الكلمات والجمل .

ثالثا : القراءة التى أثبتها مسيو بارتلمى لهذا الكتاب قبل عرضه على مستر بلن لا تؤكد بأنه كتاب النبى الى المقوقس ، فقد جاء سيادته بأحرف مبعثرة واثبت جملا غير التى جاء بها مستر بلن ، كما ان الماء قد أضاع معالم السطر الرابع والأسطر الأربعة الأخيرة من الكتاب وخاتم النبى نفسه فلم يذكر المكتشف شيئا منها فى قراءته !

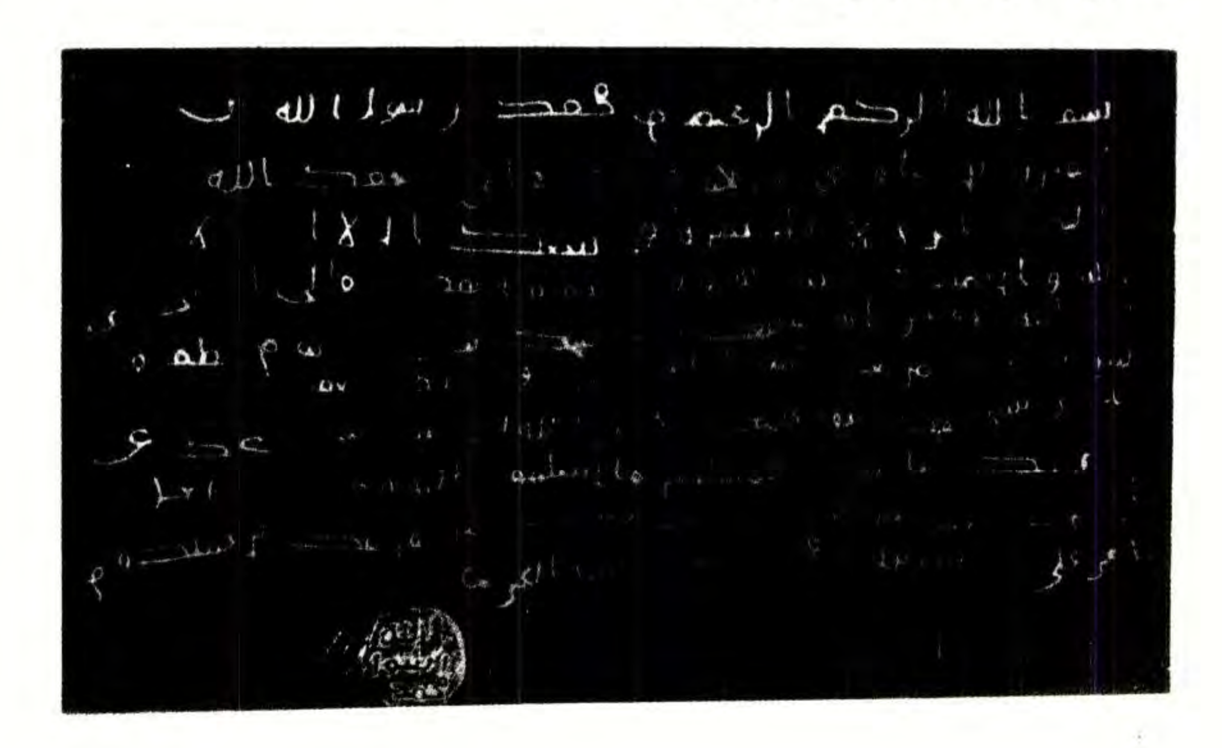
رابعا : لما عرض بارتلمى اكتشافه على مستر بلن تبادر الى ذهنه كما يقول بانه كتاب النبى الى المقوقس فراجع نصوص الكتاب فى كتب التواريخ ورد الكتابة الى نحو ما كانت عليه قبل أن تهرأ ، ومعنى ذلك أن مستر بلن ــ باعترافه هذا ــ هو الذى أعاد الكتابة بخطه حسب النص الذى وجده فى كتب التاريخ . يؤكد ذلك قوله السابق بأن بارتلمى لم يجد من الكتابـــة الا كلمات متقطعـــة واحرفا متبعثرة .

خامسا : على الرغم من هذا التخبط الواضح فى أقوال السادة المستشرقين الذى يثير الشك فى صحة صورة هذا الكتاب فقد تبين ايضا من الوثائق التى بين أيدينا من الخطوط النبطية المتطورة الى العربية ، والنقوش التى استكشفت فى



القرن التاسع عشر فى مدائن صالح ، وفى زيد وحوران والنمارة والقاهرة ، ما يؤكد بأن الخط الذى كتب بــه كتاب النبى الى المقوقس هذا ، لم يكن هــو المستعمل فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام .

سادسا : مما يؤكد الشك فى صحة كتاب النبى الى المقوقس كتابته بالخط الكوفى كما هو واضح فى الصورتين السابقتين ، ولم يكن قد ظهر هذا النوع من الخط فى عصر النبى كما أوضحنا ، يثبت ذلك غير دراستنا للأحرف العربية فى أول عهدها . كتاب آخر بعث به النبى صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى . وقد اكتشفه المستشرق الألمانى فلايشر وهو موجود فى مكتبة ڤينا وقد شاهده العلامة حفنى ناصف وأثبت ذلك فى كتابه آداب اللغة العربية سنة ١٩١٠ ، كما نشر صورة هذا الكتاب الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادى فى كتابه المعروف بمجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة وننشر صورة الكتاب نقلا عن هذه المجموعة ، لاظهار الاختلاف الجوهرى من جميع الوجوه بين الرسالة الأولى الى المقوقس والرسالة الثانية الى المنذر بن ساوى ، وكلاهما كتب فى عصر واحد وفى عام واحد .



قراءة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى احمد الله اليك الذى لا اله غيره وأشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد فانى اذكر الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه ومن يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وأن رسلى قد أثنوا عليك خيرا ، وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وأنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن

اقام على يهوديته او مجسويته فعليه الجزية .

محمدرسول الله

هذا الكتاب وان بدا به طمس بعض الأحرف والاعادة فوق البعض الآخر نتيجة لقدم الرق الذى كتب عليه ، الا أننى أرجع صحة هذا الكتاب لتقارب خطه بالخط المسند الذى كان مستعملا فى عصر الرسول وما قبله وهو بعيد عن الخط الكوفى المحرر به كتاب النبى الى المقوقس .

سابعا : **خاتم النبى :**

كان للنبى صلى الله عليه وسلم خاتم واحد من الفضة منقوشـــا عليه فى اسطر ثلاث ، (محمد رسول الله) وكان معيقب بن ابى فاطمة هو خازن النبى على خاتمه يختم به الرسائل والمكاتبات والعهود التى يأمر بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وختم به ابو بكر وعمر بعد وفاة النبى ، وكذلك عثمان بن عفان استعمله ستة أشهر ثم سقط منه فى بئر ذى أوران ولم يعثر عليه أحد بعد ذلك كما يقول أنس بن (٢) مالك فى حديث له !!!)

ومعنى هذا ان الخاتم الشريف لم يتغير منذ عهد النبى الى ان افتقده عثمان رضى الله عنه ، وبدأ الخلفاء بعد ضياع هذا الخاتم يوقعون أو يختمون الرسائل والمكاتبات بأسمائهم ، فكيف بنا اذن نرى صورتين مختلفتين لخاتم النبى على كتابه الى المقوقس بخط لم يستعمل الا بعد سنوات طويلة من وفاة الرسول عليه الصلاة والســـلام ؟

وبناء على هذا لا نستطيع هنا إلا القول بعدم صحة صورة هذا الكتاب .

ثامنا : من الدلائل القوية التى تثبت تزوير صورة كتاب النبى الى المقوقس وجود اخطاء فنية فى بعض أحرفه وكلماته نستطيع أن نلخصها فيما يلى :

١ ــ حــرف الميم فى اسم (الرحيم) فى السطر الاول من الخطاب تقرا « قافا » بالخط الكوفى ، لأن حرف الميم يكتب كما هو واضح فى كلمة (بسم) من السطر نفسه هكذا (بسـم) اما فى اسم الرحيم فمكتوب هكذا (حــيـع) وهذا الحرف يقرأ (قافا) وذلك واضح فى الصورتين .

٢ ــ مما يثبت اختلاف الصورتين اولا هما عن الأخرى ان كلمة (ورسوله) فى السطر الأول من الصورة الأولى مجزاة على مقطعين الواو والراء فى السطر الأول ، وبقية الكلمة فى السطر الثانى ، بينما نجد الكلمة كلها فى السطر الثانى من الصورة الثانية .

٣ ــ كلمة (الى) التى تسبق كلمة المقوقس (على) التى تتبعها عباره « من اتبع الهدى » مكتوبتان بخط الرقعة هكذا :
(الى) (على) وخط الرقعة لم يظهر الا بعد عشرة قرون تقريبا من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام .

٤ ــ كلمتا (اتبع الهدى) فى السطر الثالث من الصورتين ، نجد أن حرف العين فى وضعه هذا لم يستعمل الا فى القرن الثانى للهجرة كما ان الهاء فى كلمة الهدى مرسومة (ع) بالخط الكوفى القديم ، وليست هاء ، وهذا رسمها فى الصورة (اتبع الهدى) وفى هذا دليل واضح على ان كتابة الخطاب ليست



على وتيرة واحدة انما هى خلط بين خطوط قديمة وحديثة .

٥ ــ وفى السطر الخامس من الصورة تجـــد كلمـــة (يؤتك) فى عبارة (اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين) زائدة ألفا بعد الكاف الأخيرة ورسمها هكذا كما هو واضح فى الصورتين (نوتكا) .

٦ ــ كما أن السطر السادس به ثلاثة اخطاء اولاها فى كلمة (فان) وهى مكتوبة (فلئن) بزيادة لام ، وثانيهما فى كلمة (توليت) نجدها فى الصورة رقم ٢ (تولوليت) يعنى بزيادة لام وواو كهذا الرسم (تولولنت) وثالثهـــا فى عبارة (اثم كل القبط) فمن العسير قراءة كلمتى « اثم كل » لما احتوته من أحرف زائدة مرتبط بعضها ببعض وهذا هو رسم الثلاث كلمات كما هـــو واضح فى الصورتين :

صورة (١) صورة (٢) صورة (١) صورة (٢) صورة (١)

صورة (٢)

٧ ــ كلمة (نشرك) فى السطر التاسع لا يمكن قراءتها (نشرك) لما تضمنته حروفها من اختلاف ، فاذا كان الحرف الأول (نون) فالحرف الثانى (عين) والثالث (واو) ، وهذا هو رسم الأحرف من الصورة الأولى ( )

٨ ــ كما انه ورد فى صورتى هذه الرسالة كثير من الاخطاء كوضع النقط فوق بعض الأحرف كما هو ظاهر فوق حرف الظاء فى كلمة (عظيم) فى السطر الثانى ، وفوق حرف الضاد فى كلمة (بعضنا) فى السطر التاسع ، وفوق الضاد فى كلمـــة (بعضا) فى السطر العاشر ، والنقط فى ذلك العصر كانت مهملـــة لا يستعملها العرب ، ولكنها استعملت فى أواخر القرن الأول الهجرى وأول من استعملها نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر من تلاميذ أبى الأسود الدؤلى فى عهد عبد الملك بن مروان .

من هنا لا يمكن أن نجزم بصحة هذه الرسالة لما بيناه من اوجه الشك منطقيا وفنيا ، ولا يسعنا حيال هذه المهمة الجسيمة ، مهمة الوصول الى الحقيقة نحو كتاب يعتز به الاسلام والمسلمون ، فى مشارق الأرض ومغاربهـــا الا أن نعمل جاهدين على كشف النقاب عن أصوله ، لنكون بررة أمناء لدين الله الحنيف ونكون قد أدينا ما يجب علينا نحو التاريخ الاسلامى ، بحيث تخرج هذه الصورة فى ثوبها الحقيقى ، اذا ماضاهينا ما بين أيدينا بالأصول المحفوظة فى تركيا وفى فينا .

وفى انجاز هذه المهمة باذن الله فتح جديد للعالم كله لا للمسلمين فحسب ، والله ولى التوفيق .

آمنت بالخالق الباري وحكمته

خمسون عاما مضت أم بعض أعوام   طويتها بين أشجان وآلام ؟

دارت بى الأرض فيها حول محورها   ودرت حول اباطيلى واوهامى

وسرت فى ظلمات الغيب مضطربا   وليس لى من أنيس غير أسقامى

أمضى فأعذل نفسى ثم أعذرها   ولست أملك إقدامى وإحجامى

اذا ونيت فكف الدهر تدفعنى   وان مضيت فغول الموت قدامى

كأننى كرة يلهو الزمان بها   مدفوعة بين هامات وأقدام

ما لى أسائل نفسى عن حقيقتها   فلا أرى غير ابهام وايهام ؟

أنمو بنقصان عمرى فهى ملحمة   دارت رحاها بهذا الناقص النامى

وكم تأملت أبناء الفناء ، فما   شاهدت منهم سوى قطعان أغنام

تدب فى الكوكب الأرضى سائمة   وسوف تغدو قريبا طعم مستام

سفينة الأرض دارت فى الأثير بهم   على غوارب لج بحرها طامى

وحومتحول قرص الشمس واندفعت   وراءها دون ادراك وافهام

تسير فى فلكها عمياء مرغمة   مدفوعة بين اجرام وأجرام

لا الشمس تدرى ، ولا الأفلاك دارية   ماالبدء ؟ ماالمنتهى ؟ ماالمقصدالسامى؟

ما زلت اقطع ايامى وتقطعنى   وليس لى من خيار او لأيامى

أسهمت من غير قصد فى ابادتها   فأسهمت فى فنائى كل اسهام

كم رحت أسرجها حينا والجمها   فأحكمت هى اسراجى والجامى

حملتها رغم انفى وهى تحملنى   الى الردى فوق اشواك والغام

أمضى وتمضى . كلانا لاهث قلق   يجر ساقيه فى قهر وارغام

نشق فى فلوات العيش منهجنا   بلا دليل ولا راع ولا حام

حتى اذا بلغ المقدار غايته   قضى باعدامها فورا واعدامى

الشاعر الاديب ممن يعتز بهم الشعر والادب والفكر الاسلامى منذ الثلاثينيات من هـذا القرن . وقصيدته التى ننشرهـا اليوم بعد ان وقف طولها امـام التعجيل بنشرها هى ذوب نفسه ونفس كل انسان يعيش معه فى مثله ونظرته للحياة . ومن أجل هذا راينا آن نفتح صدر المجلة للقصيدة الطويلة الأصيلة الفنية بالأفكار المشبعة بالروح ، ليجد عشاق الشعر الأصيل متعتهم فيها بعدما كاد الغثاء يطفو على روضة الشعر ، وقد قدم الشاعر لقصيدته بهذه الكلمات « بعد الخمسين استعرض الشاعر ما اقتحمه من مسارب الحيـاة بحثا عن « الحقيقة المطلقة » حيث تفرقت به سبل الفنون والعلوم والماديات والفلسفات دون طـائل ثم لم يجد فى هذه الحيـاة الا الصراط القويم « صراط الله الذى له ما فى السموات ومـا فى الارض » « فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

للأستاذ الشاعر : علي عبد العظيم

خمسون عبئـا من الأوزار أحملهـا ... وسوف تزداد من عـام الى عـام

أخشى اذاها ، واخشى أن تفـارقنى ... فكيف امنحهـا مقتى وتهيـامى ؟

كـم رحت أبرم أمـرا ثـم انقضـه ... والدهـر يسخر من نقضى وابرامى

الم بـالأمر حينـا ، ثـم اتركـه ... ومـا انتفعت بتركى أو بإلهـامى

فـلا مجـال لتفكير وعاطفـة ... ولا مسـاغ لاحجـام واقـدام

تشـابه الأمـر فى عينى وانطمست ... رؤاه ، حتى استوى ضوئى واظلامى

*

مـا للحـوادث تبنينى لتهـدمنى ؟ ... فاعجب لبـان من الأحـداث هـدام

تبـارك الله . سوانى بحكمتـه ... واتقنت يـده صنـعى وإحكـامى

من قبضة من أديم الأرض انشـأنى ... وخصنى بحفـاوات وإكـرام

لكنـه سـوف يلقينى بحـافرة ... مطموسة تحت أظـلاف وأقـدام

ولست ادرى لمـاذا كـان انشـأنى ... ولست ادرى لماذا شـاء اعدامى ؟

روايـة خفيت عنى معـالمها ... الا وراثـة أقـوام لأقـوام

وصفحة خـاتم المقـدار أغلقهـا ... وليس لى أو لغيرى فـك أختـام

لكنهـا حكمـة لله ساميـة ... وإن تكن فـوق تفكيرى والهـامى

آمنت بالخـالق البـارى وحكمتـه ... ولاح لى عجز أبصـار وأفهـام

ان الذى فطـر الأكـوان من عـدم ... يجـل عن عبث أو نقض أحكـام

طويت عمرى وراء المجـد مندفعـا ... ومقحمـا فيـه لبى كـل اقحـام

خدعت نفسى بسعيى فانخدعت بـه ... ولذ لى فيـه تعـذيبى وايلامى

فمـا ارتكنت على صهـر ولا نسب ... ولا استعنت بأخـوال واعمـام

ولا اعتمـدت على جـاه ولا نشب ... بل اعتمـدت على عزمى واقـدامى

فخضت مـــا خضت من يم وعـــاصفة
وكـم لقيت براسى كـل صـــاعقة
ضاعت جهودىسدى فىغير موضعها
سددت كـل سهامى راميـا هدفى
وعـــدت أفحص مـــا حققت من أمل
تركت «خلفى» وأمعنت السرى قدما
فأين ـ لا أين ـ احلامى وبهجتها ؟
لجـأت للفن مـــأخوذا بروعتـــه
وعذت بالعـلم استهدى معـــالمه
ولذت بالمـــال استدنى مباهجـــه
وخلت فلسفة الأجيـال تنقـــذنى
وعـــدت من جولتى واليأس يشملنى
وكم سكبت على الأوراق عـــاطفتى
وكـم صـــدحت بأنغـــام معبرة
وكيف أشـــدو بلا نـــاى ولا وتـــر
يـــا من لظمآن كاد الماء يقتـــله !!
حيران يخبـــط فى الظلمـــاء معتسفا
لا يســـتقر ، ولا يرنـــو الى هـــدف
يطـــوى الفـــلاة ، وتطويه بوحشتها
قد اقحمتـــه الليـــالى كـل مقتحم
مالى تلمست أسباب النجـــاة ، فلم
رمت (الحقيقة) فى شتى مسالكها
وفـــاتنى أنهـــا فى (الدين) ماثلة
فى كل فرد شعـــــاع من أشعتهـــا
تمكنت فطـــرة فى القلب هـــادئة
نور أضـــاء بأعمـــاقى ، ومن عجب
الله اهـــدى لى النهج القويم ، فمـــا
الدفن الكنـــز فى قـــلبى واهجـــره
واترك الجنـــة الفيحـــاء وارفـــة
وأهجـــر الملأ الأعـــلى الى مـــلأ
وانثنى عن كتـــاب الله مستمعـــا
وكيف أجعـــل غير الله معتصـــمى
ما أرحم الله !! أعصيـــه ويكرمنى !!!
حرمت روحى وجسمى من منـــاهله
يا رب كاد أوار اليأس يحرقنى !!!
يا رب مالى سوى رحمـــاك من أمل
فاغفر بعفـــوك مـــا قدمت من زلل

وجبت مـــا جبت من بيـــد وآكام
وكم دفعت بكفى كـل صمصـــام
وعاد انقاص سعيى مثـــل اتمـــامى
ولم اشـــم خيبـــة المـــرمى والرامى
فلم أجـــد بعـــد كدحى غير أوهامى
مستبسلا ، فوجدت « الخلف » تدامى
الله يرحـــم آمـــالى وأحـــلامى !!
فلـــم أجـــد غير قلب دامـــع دامى
فلم أشم غـــير أعـــداد وأرقـــام
فكـــان ســـيان إثرائى واعـــدامى
فلم تزدنى ســـوى لبس وابهـــام
اطـــوى حيـــاتى بطرف هامع هامى
وعـــدت اتلف أوراقى وأقـــلامى
ورحت أخنـــق الحـــانى وأنغـــامى
ولا انيس ولا زهـــر ولا جـــام ؟
وسلسل الماء يروى غـــلة الظـــامى
ممزقـــا بين أدغـــال وآجـــام
لا فرق مـــا بين انجـــاد واتهـــام
وتضرم اليـــأس فيـــه اى اضرام
وأفحمتـــه المـــآسى كـل افحـــام
أظفر بهـــام ؟ وهى منى قيـــد إيهـــام
فمـــا وجدت سوى اضغاث احـــلام
وانهـــا طـــى أرواح وأنســـام
سيان ابنـــاء ســـام أو بنو حـــام
والنـــاس عن ضوئهـــا أشباه نوام
حجبتـــه تحت أوزارى وآثـــامى !!
بالى تجنبت هـــذا المنهـــج السامى ؟
ليمـــلأ الزيف أيـــامى وأعـــوامى ؟
لأرتمى بين أغـــوار وآطـــام ؟
يضم أوشـــاب حســـادى ولوامى ؟
الى أحـــاديث أوغـــاد وأوغـــام ؟
وهو الجدير باكبـــارى واعظـــامى ؟
ولا يزال يواليـــنى بـــاكـــرام
وهـــو المـــلاذ لأرواح وأجســـام
فهل سبيل الى سلســـالك الهامى ؟
فـــأنت أكـــرم قيـــوم وقـــوام
واحفـــظ بفضـــلك ايمانى واسلامى

أين العروبة والإسلام يا عيد؟

للأستاذ : أحمد عنبر

أين العروبة والاسلام يا عيد ... أين الحماة اجب اين الصناديد
أين الذين بنى الاسلام مجدهم ... الله اكبر أين الفتية الصيد
أين الذين علا فى السكون ذكرهم ... هل يستجيبون للجلى اذا نودوا
هل يستطيعون من أعلى منازلهم ... ان يسمعوا صيحة والباب مردود
هل يسرعون اذا ما قال قائلهم ... عودوا لتستنقذوا أحفادكم عودوا
هل يرجع الله اجدادى ولو زمنا ... تعود فيه لآذانى الأغاريد
ونسترد فراديسا لنا سلبت ... يعيث فوق ثراها اليوم عربيد
بالرغم منى أنادى السابقين فهل ... يصغى لقولى من الأحياء صنديد
أليس بين حمانا فارس بطل ... فؤاده من شديد الصخر مقدود
هل طارق ،والفتى سعد وهل عمر ... مضوا وليس لهم نسل أجاويد
وابن الوليد ألم يعقب له ولدا ... الم يعش لصلاح الدين مولود
بلى فتسعون مليونا هم عرب ... نسل الغطاريف من قادوا وما قيدوا
واخوة العرب فى الاسلام ضعفهم ... خمسا لواؤهم لله معقود
صلوا وصاموا وزكوا حسبة وتقى ... دهرا لهم فيه تمجيد وتخليد
بالامس صاموا وقد ديست معاقلهم ... فكيف صاموا وقدس الله مفقود
وهل صيامكم يا قوم يقبله ... رب عزيز ،شديد البطش معبود
وهل عبادته جوع ومنصرف ... عن القتال وتسبيح وتحميد
من سبح الله فى الهيجا بلا مدد ... او عدة فضعيف الرأى رعديد
والصوم ليس فقط جوعا ومسغبة ... الصوم فى الحرب تدريب وتجنيد
الصوم ما هو فعل سالب أبدا ... الصوم للنفس بنيان وتشييد
يبنى رجالا ذوى بأس ومقدرة ... قلوبهم فى الوغى صخر جلاميد
لا تستكينوا وقدس الله دنسه ... حثالة شفها ذل وتشريد
من كل منزل ضيم أسرعت هربا ، ... فكيف قد عز منبوذ ومطرود
فى غفلة من أسود الغاب قد هجمت ... ثعالب قصدها ملك وتسويد
جرح الأسود سريع البرء ملتئم ... وللثعالى ليال كلها سود
أرجاس خبث ولؤم لا يطهرها ... غيث عميم بماء البحر ممدود
رجس اليهود سيوف العرب تغسله ... صهيون لا ترعوى والسيف مغمود
فانضوا السلاح وشدوا عزمكم قدما ... الى الجهاد وعن أمجادكم ذودوا
وانووا الصيام الى يوم يكون به ... نصر أكيد بعيد الذكر مشهود
فالنصر حين ننال الثأر مكتملا ... والثأر من غاصب باغ هو العيد

أن تتبين صورة ذلك الجهد العجيب الذى بذل سخيا فى سبيل هذين السطرين فقط من الأسناد ، الذى قد لا نأبه له اليوم ، بل قد يضيق به بعض القراء مع الأسف . .

هذا عن الدافع الذى دفع بعلماء المسلمين الى اقامة منهج كامل لتحقيق الرواية ، فماذا عسى أن يكون الدافع الى ذلك عند الآخرين ؟ . . لا شىء بالطبع ، ما دام ان الجهد الذى ينبغى بذله فى سبيل ذلك أعظم بكثير من الكسب المادى أو حتى العلمى المطلوب .

من هنا ، تلاحظ أن كثيرا من الموضوعات العلمية ، تناولها كل من الفكر الاسلامى والغربى بالبحث ، عن طريقين مختلفين لا ينفع فيهما أى نقد ولا نقاش ، اذ كان منهج تحقيق الرواية مصدرا من مصادر تفسيرها عند المسلمين . على حين كان المنهج المقابل لذلك عند الآخرين هو محض الاستنتاج .

ولنضرب مثلا لذلك (ظاهرة الوحى) فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم .

لقد كان المنهج الذى سلكه علماء المسلمين فى هذه المسألة ، هو :

أولا : تحقيق الرواية وضبط اللفظ والسند . ولقد انتهى علماء المسلمين كلهم الى أن حديث الوحى صحيح عن طرق مختلفة كثيرة تجاوزت حد التواتر المعنوى .

ثانيا : الاستقراء التام الذى وضعهم امام كل من دليلى الالتزام وقياس الأولى (ولا ينتظر القارىء منى أن أشرح البحث الذى سلكه العلماء فى هذا السبيل ، فذلك من شأنه أن يقحمنا فى باب آخر من الحديث لسنا بصدده الآن)

وكانت النتيجة التى وصل اليها الفكر الاسلامى هى : اعتقاد أن الوحى انما هو استقبال منه عليه الصلاة والسلام لحقيقة ذاتية مستقلة خارجة عن كيانه وشعوره الداخلى ، وبعيدة عن كسبه أو سلوكه الفكرى أو العلمى .



بين الفرد والجماعة في الشريعة الإسلامية

للشريعة الاسلامية خصائصها التى نجمل ما تيسر منها فيما يأتى :

١ — جمعها بين التشريعات الالهية ، والتشريعات الوضعية التى سنها المجتهدون من فقهاء الاسلام فى مختلف العصور ، مهتدين فى تشريعاتهم هذه بوحى السماء « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

٢ — وطابعها الكلى العام الذى لا يعنى غالبا بالدقائق والجزئيات .

٣ — ومرونتها التى كانت بها قادرة على الاستجابة لظروف البيئة ، ومقتضيات التطور ودواعى المصلحة العامة .

٤ — وصبغتها العالمية التى تتسامى فوق الاقليميات والقوميات فى سماحة ورفق .

والذين(١) شكوا أو يشكون فى هذه العالمية الاسلامية تصريحا أو تلميحا ، قد فاتهم أمران :

اولهما — أن هذه العالمية الاسلامية ، بمرونتها وسماحتها وسعتها ، لا تحول دون أن يكون لكل شعب من الشعوب نظمه وتشريعاته الملائمة له سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

ثانيهما — أن هذه العالمية الاسلامية التى نادى وينادى بها المؤمنون بصلاحية النظام الاسلامى لكل زمان ومكان لا تكاد تختلف فى جوهرها عما نادى وينادى به مشاهير العلماء والساسة والأدباء فى عصرنا الحديث من ضرورة اقامة ما يدعونه « الحكومة العالمية » التى نادى بها — فيمن نادوا — العلامة الفذ ألبرت اينشتاين .. والسياسى البريطانى المستر كليمانت أتلى الزعيم السابق لحزب العمال البريطانى ، والكاتب الأمريكى امرى ريفز فى كتابه « تشريع السلام » قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية ..

وهدف هؤلاء الدعاة الى اقامة « الحكومة العالمية » تلافى الحرب العالمية .. التى جرعت العالم كله ما جرعته من أخطر الآلام والأهوال مرتين حتى كتابة هذه السطور .. وما نحسب أن الحكومة العالمية الاسلامية .. الا أحرص من تلك الحكومة العالمية المنشودة على تحقيق السلام المرجى .. فما الاسلام فى جوهره الا سلام للفرد والأسرة والانسانية بأسرها .. فلماذا نشك أو نشكك فى عالمية

(١) الخلافة واصول الحكم للشيخ على عبد الرازق ص ٧٧ .

الاسلام .. دون تلك العالمية الأخرى ؟

والى جانب الخصائص الأربعة السابقة نذكر الخصيصتين الآتيتين :

٥ — نزعتها الغالبة عليها دائما الى التيسير [٢] والتخفيف والسماحة ، مصداقا لقول القرآن الكريم **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** ، **((ما جعل عليكم فى الدين من حرج))** ، **(الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا)** .

٦ — توسطها [٣] واعتدالها دائما أبدا بين طرفى الأفراط والتفريط مصداقا لقوله تعالى . **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)** .

وهذه الوسطية المعتدلة المتزنة تتجلى أروع ما تجلى ما تكون فى موقف الشريعة الاسلامية بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة . وذلك هو موضوع مقالنا هذا :

لقد تحاشت الشريعة الاسلامية محاباة الفرد على حساب الجماعة ، كما تحاشت محاباة الجماعة على حساب الفرد ، مراعاة منها للمصلحة المشتركة بين الفرد والجماعة فى توازن محكم رائع ، لا نعرف له مثيلا فى أية شريعة ، أخرى . ولا فى أى نظام من النظم الاقتصادية أوالسياسية المعاصرة ، التى صدع ويصدع بها الامعات رؤوسنا وأعصابنا ..

ولا يستوى وحى من الله منزل . وقافيـــة فى العالمين شـــرود

١ — فمن مراعاة الاسلام لمصلحة الفرد . أنه احترم حق « الملكية الفردية » .. واعتبر صاحبها الذى يموت مدافعا عنهـــا شهيدا فى سبيل اللـــه بالحديث المحمدى الصحيح : **(من قتل دون ماله فهو شهيد)** وأوجب على المجتمع والدولة احترام حق (الملكية الفردية) بقوله تعالى **(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)** .

أ — وقد كان رسول الاسلام نفسه صلى الله عليه وسلم يملك فى حياته نصف قرية (فدك) قريبا من (خيبر) .

ب — وكان بعض الصحابة يملكون ثروات خاصة أفرد لها المسعودى فى (مروج الذهب) بابا مستقلا ختمه بالعبارة الآتية التى لها مغزاها : (وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه [٤]) ويكفينا على سبيل التمثيل لا الحصر أن : عبد الرحمن ابن عوف أعتق ثلاثين ألف عبد ، وزادت تركته عن ٣٣٦ ألف دينار ، ويعلى بن منية ، بلغت ثروته خمسمائة ألف دينار ، وزيد بن ثابت ترك مائة ألف دينار ، وعثمان بن عفان ترك خمسين ومائة ألف دينار ، كما ترك مليون درهم ، وعقارات قيمتها مائة ألف دينـــار . والزبير بن العوام ترك اثنين وخمســـين مليونا من

---

٢) « الاجتهاد فى الاسلام » ، للشيخ محمد مصطفى المراغى ص ٥١ وما بعدها .

٣) « وسطية الاسلام » للشيخ محمد المدنى ص ٤٨ وما بعدها .

٤) مروج الذهب للمسعودى طبع باريس ٢٥٤/٤ ، ٢٥٥

الدراهم ، كما ترك ألف عبد وجارية ، وطلحة بن عبيد الله توفاه الله عن ثلاثين مليونا من الداهم ، وكان دخله اليومى من بعض ضياعه وممتلكاته فى العراق لا يقل عن الف دينار(٥) .. وكانت قصور عثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف تسترعى الأنظار بفخامتها ، لأنها كانت مبنية بالآجر والجص والساج ، وكانت فى أعلاها الشرفات العظيمة ، كما كانت قصور معاوية بن أبى سفيان فى مكة نفسها تعرف بوصف « الرقط » لتموج الوانها الزاهية التى شبهوها بألوان الحية الرقطاء ، ولا عجب فقد كانت من صنع أعظم المهندسين المعماريين الذين احضرهم معاوية من فارس لبنائها وزخرفتها(٦) ..

حتى زهاد الصحابة والتابعين أمثال : معاذ بن جبل وأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وحذيفة بن اليمان وأبى الدرداء ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأويس القرنى ، والحسن البصرى كان معظمهم اصحاب ملكيات كبيرة أو صغيرة أو وسط بين الكبيرة والصغيرة .. حتى أبو ذر الغفارى أو (أبو نملة) — كما دعاه الرسول بذلك مداعبا له — كانت له ثروته الشخصية وملكيته الخاصة ، التى حددها ابن سعد فى (الطبقات) وابن جرير الطبرى وغيرهما بأربعين رأسا من الغنم ، وبقطيع من الابل ، وبقطيع من الحمير .. ومعلوم أن « القطيع فى معجمات اللغة : هو الطائفة أو الفرقة أو الجماعة وقد رجعت الى ما تيسر لى الرجوع اليه من مراجع (فقه اللغة) فلم أجد أنهم حددوا (القطيع) بعدد معين قليلا كان أو كثيرا ، وعسى أن يفيدنى احد الباحثين مشكورا بمدى هذا التحديد ، ان كان هناك تحديد .. وذلكم هو الصحابى الزاهد الجليل الذى يبالغ كثير من المتحدثين فى تصوير شدة فقره ، الى حد زعمهم أنه عجز حتى عن ملكية ثوب يكفن فيه ، وتلك تهاويل وعظية خطابية ، أو تصاوير مغرضة ، لا تثبت على محك النقد العلمى الدقيق ، الذى لا تكبر عدسته الصغير أو تصغر الكبير .. وفوق كل ذى علم عليم .

ان الذى جعل الحقيقة علقما ‏ ‏ ‏ لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

٢ — ومن مراعاة الاسلام لمصلحة الفرد ، انه اعتبر حياة الفرد حياة للناس جميعا كما اعتبر قتله قتلا للناس جميعا ، فقال فى سورة (المائدة) **(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)** ..

٣ — واعتبره مالكا للأرض الميتة التى يسقيها ويحييها بعرقه وجهده :

روى أحمد والترمذى وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال : **(من أحيا أرضا ميتة فهى له)** وفى رواية للبخارى وغيره **(من عمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها)** وروى أبو عبيد فى كتابه (الاموال) (ص ٢٩٠) أن عمر بن الخطاب خطب يوما فقال : (يأيها الناس من أحيا أرضا فهى له) فان لم تكن الأرض ميتة ، وكان لها مالكها ولكنه يكل زراعتها الى غيره .. فقد ذهب بعض علماء الاسلام — ومنهم ابن حزم فى (المحلى — الى أن الأرض لمن يزرعها لا لمن يؤجرها ، لأنه — كما قال ابن حزم (لا تجوز اجارة الأرض أصلا) لحديث رافع بن خديج « نهى

---

٥) طبقات بن سعد طبع ليدن ج ٣ ق ١ ص ١٥٨ . ‏ ‏ ٦) الاغانى طبع دار الكتب ٣ — ٢٨١ .

رسول الله عن كراء الأرض »* ونحن مع احترامنا لرأى ابن حزم ، نرجح رأى الجمهور القائلين بجواز تأجير الأرض ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى أرض خيبر لليهود ، على أن يزرعوها ، ولهم شطر ما يخرج منها ، فالاجارة جائزة .. وواجب المؤجر أن يعطى المستأجر حقه الشرعى كاملا غير منقوص .

٤ — ومن مراعاته لمصلحة الفرد ، أنه اعتبر المحافظة على دين الفرد ونفسه وعقله ونسله وماله ، أعظم مقصود للشرع الاسلامى ما دام هــذا الفرد عضوا نافعا لا ضارا للمجتمع قال الامام الغزالى فى المستصفى ١ — ٢٨٧ (ان مقصود الشرع من الخلق خمسة : وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة ، فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة) .

وقال الشاطبى فى (الاعتصام ٢ — ٣٠٦) « انا وجدنا الشارع قاصــدا لمصالح العباد) وقال الآمدى فى (الاحكام ٣ — ١١) ان الأحكام انمــا شرعت لمقاصد العباد) .

٥ — ومن مراعاته لمصلحة الفرد أنه أظله فى محنته طفلا أو شيخا أو مريضا او عاجزا ، كما أظل ورثته من بعده بظلال (الضمان الاجتماعى) الوارف الظلال مسلما أو غير مسلم . روى أبو يوسف فى كتابه «الخراج» — ان عمر بن الخطاب رأى يهوديا مسنا مكفوف البصر يتسول ، فأخذ بيده الى خازن بيت المال قائلا له : انظر هذا وضرباءه وأجر عليهم من بيت المال .. ومر فاروق الاسلام بجماعة من النصارى فى أرض الشام وقد أصيبوا بمرض الجذام ، فأجرى لكل منهم كفايته من بيت المال مدى الحياة ، ولم يفته — رضى الله عنه — أن يفرض لكل مولود يولد مائة درهم من بيت المال ، رضيعا كان أو مفطوما عن الرضاع .. وأن يتكفل بعائلات الجنود والأبطال ، الذين كانوا يذهبون الى الجهاد فى سبيل الله ، لبذل دمائهم وأرواحهم دفاعا عن دين الله ، وجهادا فى سبيله ، وقد اطمأنت قلوبهم بذكر الله ، ثم بقول عمر بن الخطاب لهم وهو يودعهم . (أنا أبو العيال حتى ترجعوا اليهم) . فان استشهد أحد المجاهدين فأولاده وأهله فى رعايــة الضمان الاجتماعى بعد رعاية الله ، وان أصيب بما أقعده عن العمل والسعى فى طلب الرزق فهو ملحوظ برعاية العدالة الاجتماعية فى الدولة الاسلامية ، وله منزلــة الرواد السابقين الى الجهاد .

---

* وقع كثير من المفكرين مع ابن حزم فى الحكم بعدم جواز كراء الارض اعتمادا على هــذا الحديث . مع أن هناك احاديث أخرى مروية عن رافع بن خديج نفسه تقيد هذا الحديث وتحصر عدم الجواز فى حالة خاصة لا مطلقا كما قال ابن حزم . وهذا الحــديث الذى نعنيه موجود فى باب « لواء الارض » الذى ذكر فيه الحديث الاول . وانا هنا انقل من صحيح مسلم الذى ذكر الحديثين معا : عن حنظلة بن قيس انه سال رافع بن خديج عن كراء الارض . فقال : نهى رسول الله عن كراء الارض قال : فقلت ابالذهب والورق ؟ فقال : أما بالذهب والورق فلا باس به . وفى رواية اخرى عن رافع ايضا فى صحيح مسلم « فاما شىء معلوم مضمون فلا باس به » يراجع صحيح مسلم وغيره فى باب كراء الارض . ومن هذا يتبين ان الذين قالوا بمنع تاجير الارض مطلقا اعتمدوا على حديث واحد دون النظر الى بقية الاحاديث التى بينت سبب النهى وانه فى حالة خاصــة لا فى كل الحالات .

وقد روى عبد الله بن عمر أن أباه شاهد بطلا بوجهه آثار اصابة فى ميدان الجهاد ، فقال لوزرائه — وهو عمر المعروف بشدة المحافظة على أموال الأمة — عدوا له ألف درهم .. أربع مرات ، حتى استحيا الرجل وانصرف شاكرا ممتنا ، فقال عمر . « أما والله لو أنه مكث لظللت أعطيه ... انه لرجل ضرب ضربة فى سبيل الله حفرت وجهه ... !!

وعن زيد بن أسلم أن عمر استوقفته امرأة فى السوق قائلة له : هلك زوجى وترك صبية صغارا لا زرع لهم ولا ضرع ، وأخاف عليهم الضياع .. !! فقال عمر : لا تخافى .. ثم أجرى عليها وعلى أولادها ما صانهم من الضياع .

وهذا هو الضمان الاجتماعى الاسلامى الانسانى الذى يتجلى فى هذه الأمثلة التاريخية ، ويتألق فى القاعدة الاسلامية المعروفة بقاعدة خالد بن الوليد ونصها : (أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وللمسلم زكاته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله .. !! » .

٦ — ومن مراعاة الاسلام لمصلحة الفرد . أنه جعل من حقه أن يقتص ممن ظلمه ولو كان هذا الظالم هو الحاكم الأعظم .

فهذا رسول الله نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، يأذن لقارب بن سواد فى أن يقتص منه لنفسه بنفسه ..

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ينذر عماله بحق كل فرد من ابناء الشعب فى قصاصه من العامل أو الحاكم كائنا من كان ، فيسأله عمرو بن العاص .. يا أمير المؤمنين لو أن أحد عمالك ادب بعض رعيته . فهل أنت مقتص منه ؟ قال عمر فى قوة وحزم . والذى نفس عمر بيده لأقصنه منه ، فانى رأيت رسول الله يقص من نفسه ... وقد بر عمر بقسمه فأذن لقبطى من أبناء مصر ، فى القصاص من ابن عمرو بن العاص فى القصة المشهورة ، التى تتألق بالآية العمرية الخالدة على الزمان . يا عمرو .. متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا .. ؟

٧ — ومن مراعاة الاسلام لمصلحة الفرد أنه جعله أهلا لشرف الشعور بالمسئولية عن كل صغيرة وكبيرة ، مصداقا لقول رسول الاسلام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام . كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الرجل راع فى اهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ..) .

٨ — ومن مراعاته لمصلحة الفرد ، أنهجعل لنية الفرد ومقصده الاعتبار الأول . فهى مقياس العمل كائنا ما كان فى ظلال الحديث المحمدى الصحيح الذى رواه الشيخان وغيرهما **(انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه ...) .**

٩ — ومن مراعاته لمصلحة الفرد أنه وهو يقرر حق المساواة التامة بينه وبين غيره عرف لأصحاب المواهب والكفايات حقوقهم فى التفوق على غيرهم . ولم يبخسهم مثقال ذرة من حقوقهم باسم المساواة التى عناها (هكسلى) بكلمته الواقعية **(ان أية محاولة للمساواة بين الناس مقضى عليها بالفشل ، لأن كل المستطاع هو تهيئة فرص متساوية للجميع ، أما المساواة ذاتها فغير ممكنة ان لم تكن مستحيلة ، فبعض الناس يولدون وهم ينظرون على بعد أميال ، وبعضهم يولدون وهم لا يكادون يرون ما يبعد عنهم بمترين اثنين فقط .**

فليس من المساواة الاسلامية أن نساوى بين الذكى والغبى ، أو بين العامل والخامل ، أو بين العالم والجاهل ، أو بين المجاهد والقاعد ، فهذه مساواة آلية صماء .. أو مساواة ميزانية عمياء ، على حد تعبير أستاذنا الراحل عباس محمود العقاد اذ يقول :

انا نريد اذا ما الظلم حاق بنا — عدل الاناسى لا عدل الموازين
عدل الموازين ظلم حين ينصبها — على المساواة بين الحر والدون
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت — بين الحلى واحجار الطواحين

وهذه المساواة الميزانية الغاشمة ، لا يقرها القرآن الكريم بل ينكرها أيما انكار بآيات كثيرة ، حسبنا منها قوله تعالى . (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ؟ (ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون) .

نعم ينكر الاسلام هذه المساواة الآلية ، ويعتبرها ظلما فى الدنيا والآخرة ورضى الله عن عمر بن الخطاب الذى فرق بين نوعين من المساواة ، وهذان النوعان — كما قال العقاد فى « عبقرية عمر » — (١) المساواة بين الناس فى الآداب النفسية ، (٢) والمساواة بينهم فى السنن الاجتماعية ، ومن شواهد تفرقته بين هذين النوعين من المساواة أنه كتب الى عامله أبى موسى الأشعرى . بلغنى أنك تأذن للناس فى الدخول عليك جما غفيرا (من غير مفاضلة بينهم فى درجات الدخول) . فاذا جاءك كتابى هذا فأذن أولا لأهل الشرف والقرآن والدين ، فاذا أخذوا مجالسهم فأذن بعد ذلك للعامة ..

وعمر الذى حرص على المفاضلة بين الناس فى درجات الدخول ، هو نفسه الذى رأى الخدم وقوفا لا يأكلون مع سادتهم فى مكة فغضب قائلا . ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟! ثم دعا بالخدام فأكلوا مع السادة فى جفان واحدة ... وهو نفسه الذى كان اذا سافر معه خادمه ، ساوى خادمه به فى المأكل والمركب والكساء ، وحينما أحس من أبى سفيان تعاليا على الناس أذل كبرياءه فأرغمه على نقل بعض الأحجار بيديه من مكان الى آخر ... فنقلها امتثالا لأمر عمر .. الذى آمن بالمساواة وطبقها .. مساواة انسانية عادلة بين الجميع فى تكافؤ الفرص ، لا مساواة آلية ميزانية لا تفرق بين الجواهر واحجار الطواحين ،، ولا تعترف بالفضل لأهل الفضل ، وصدق رسول العدالة والمساواة (انما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل !!) .

للحديث صلة



الدعاة الى الدين :

بعض اخواننا الذين أخذوا على عاتقهم دعوة الناس الى التمسك بالدين ينقصهم شىء مهم لا بد منه فى كل داعية للدين ، وهو التزامهم بآداب الدين حين يدعون الناس الى التمسك بتعاليمه وآدابه .. وأول ما يلزم الداعى أن يكون حلو اللسان ، لين القول ، بادى الحب أو التودد لمن يدعوه حتى يركن اليه ، ويستمع الى نصحه ، فلا يليق — اذن — بالداعية أن يكون فظا غليظ القلب ، خشن العبارة ، أقرب شىء الى لسانه مجابهة المسلم واتهامه بالفسوق والكفر (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وذلك لأن المخالف لدينه كالمريض يحتاج الى الرفق والعلاج بالحكمة .. ولا يجدى معه فى العلاج أن تسارع فترميه بالكفر ، لأنه ترك فرضا من الفرائض ، أو ارتكب محرما من المحرمات .. لأن ترك الفرض كسلا مع الايمان بوجوبه ، أو ارتكاب محرم مع معرفة أنه حرام لا يكون كفرا ، ولكنه معصية .. فمن الخطأ البين فى الدين أن تعتبر المسلم كافرا لأنه ترك واجبا أو ارتكب محرما .. والذين يحلو لهم توزيع الاتهام بالكفر على المسلمين لشىء من ذلك انما ينفرون الناس منهم ، ويقلبونهم الى خصوم لهم ولكل من يدعو الناس الى الدين .

وليس من الغيرة على الدين أن توزع مثل هذه الاتهامات على أناس يؤمنون بالله ورسوله وكتابه ، ولو أنهم عصاة .. فهم يعترفون بأنهم عصاة ، ولكنهم لا يرضون لك ولا لغيرك أن تخرجهم من الاسلام ، وتنزع من قلوبهم الايمان بالله ورسوله .. مع أنهم قد يكونون أطهار القلوب ، ولكنهم واقعون تحت سيطرة أهوائهم .

ان وجود هؤلاء الخشنين قساة الألفاظ والحكم بالكفر على الناس يضع الألغام فى طريق الدعاة المعتدلين الفاهمين ، ويجنون عليهم وعلى جهودهم ، كما يجنون على الناس أيضا بزرع البغض فى نفوسهم لكل من يدعو الى الدين .. واقامة الحواجز بينهم وبين دعاة الخير .. وهم — أعنى الدعاة الخشنين القساة

للشيخ : عبد المنعم النمر

— لا يلتزمون بآداب الاسلام ولا يعملون بتعاليمه فى الدعوة الى الله .. أعنى أنهم يعصون الله فى الوقت الذى يقسون فيه على العصاة ، ويتهمونهم بالكفر .. فكيف اذن يستمع أو يستجاب لهم ؟!

اننى قد لا أشك فى غيرة هؤلاء على دينهم ، ولكن الغيرة لا بد معها من فهم وحكمة . ان الله سبحانه يعلم غيرة الرسول على الدين ، ومع ذلك قال لـــه : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن) ذلك لأن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة عنصر ضرورى لقبولها والتأثربها . والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعاشر المنافقين ويحسن معاملتهم وهو يعلم ما هم عليه .. وكان يقول (ما خلقت فحاشا ولا لعانا) ..

اقول هذا بمناسبة خطاب جاءنى ويظهر من صاحبه انه غيور جدا بدليل أنه أرفق معه منشورا وزعه فى بلده وعرض على نشره فى المجلة وهو بعنوان : (هل تعلم أن) ، ومما جاء فيه : (مانع الزكاة كافر مشرك . المفطر فى رمضان بدون عذر كافر . المتكاسل عن الحج وهو المستطيع كافر ..) وهكذا .. ١٣ بندا فى المنشور أكثرها كفر فيها المسلمين ، ثم ختمها بالبند الرابع عشر : (الاشتراكية كفاية وعدل : مع الحديث (والله لا يؤمن) (من بات شبعان وجاره جائع الى جانبه وهو يعلم) ..

ونحن مع السيد الفاضل الغيور فى الهدف الذى ينشده من القيام بالفرائض والتمسك بآداب الاسلام ، ولكنا لا نوافقه أبدا على توزيع الاتهام بالكفر علـــى المسلمين بهذه الصورة .. وهناك من الأئمة — مثلا — من قال بأن الحج واجب على القادرين على التراخى . فكيف نكفره ؟ وكم كنت أحب لأخى الفاضل أن يعنى فى هذه الظروف بتذكير المسلمين بالجهاد ووجوبه وثوابه ، وأن يحرص فى دعوته دائما على الاعتدال ، وعلى الكلمة اللينة الهادئة المقنعة ، وأشكر له مع ذلك صدق مودته وحرصه الدائم على قراءة المجلة والدعوة الى قراءتها .. وعفوا صديقـــى العزيز الغيور ..

يقتله ويمشى فى جنازته !!

كلما جاء الحادى عشر من ديسمبر كل عام سمعنا وقرأنا كلاما كثيرا عن حقوق الانسان بمناسبة اصدار الأمم المتحدة لما سموه وثيقة حقوق الانسان فى العاشر من ديسمبر ١٩٤٨ ... ورأينا الدول على الصعيد الرسمى تحتفل بهذه الذكرى .. وفى الحقيقة كلما سمعت كلاما كهذا ، خيل لى أننا نحتفل بذكرى ميت من الأموات .. فالشىء الذى نحتفل به لا وجود له فى عالمنا .. وكل انسان يتكلم أو يسمع فى هذه المناسبة ، يحس فىنفسه مرارة ، وفى حلقه غصة ، كما يحسها ذلك الذى يؤبن عزيزا عليه .. واذا كان مثلنا من الأمم المهضومة الحقوق يتحدث عن هذه الذكرى ، وفى نفسه مع المرارة أمل يتطلع عليه .. فاننى لا أدرى بأى وجه يتحدث بهذه المناسبة أولئك الذين يئدون هذه الحقوق . ويحاربونها بعملهم وجبروتهم .. ويسخرون ما أعطاهم الله اياه من مال وقوة وفكر لإهدار هذه الحقوق ، وحرمان الشعوب الضعيفة ، أو حرمان شعبهم أو جماعات منه من حقهم الانسانى المشروع فى الحياة ..

نعم لا أدرى بأى وجه يقفون ويتحدثون عن هذه الحقوق ، ويشيدون بها ، ويدعون الناس الى احترامها ، وهى التى تلقى كل يوم مصرعها على أيديهم ؟!!

أليس هذا هو التبجح ، أو انعدام الشعور ، أو الضحك على الناس وخداعهم ؟

بلى .. وانه ليذكرنى دائما بالحكمة الشعبية التى نعرفها ونرددها فى مثل هذه الحالة : « يقتله ويمشى فى جنازته » .

واننا لنحس صدق هذا المثل حين نستعرض ما نزل بنا فى فلسطين ، وحين نستعرض علاقات الدول القوية بعامة بالدول الضعيفة ، أو حين نرى علاقة الطبقة القوية فى مجتمع ما ازاء الطبقة أو الطبقات الأخرى الضعيفة أو المستضعفة . ونحسه أيضا فى كلام طائفة من الحكام ، حين يتحدثون لشعوبهم عن حقها المشروع ، ويتغنون بهذه الحقوق ، ثم لا نجد لذلك أثرا فى معاملتهم لشعوبهم ، بل كثيرا ما نجد العكس هو الواقع مع الأسف الشديد !!

وكثيرا ما نجد أناسا يشيدون بهذه الحقوق ، وينصبون من أنفسهم دعاة وحماة لها ، وهم فى موقف المعارضة ، مثلا .. حتى اذا وصلوا الى الحكم كانوا أول من يتنكر لهذه الحقوق ، وينسون ماضيهم ، وما قالوه من قبل ، ويصبحون أسرى لأهوائهم ، ويسلطون كل قواهم لتمكين سلطتهم وقبضتهم على ناصية الحكم ، غير مبالين بهذه الحقوق التى كانوا من قبل قد جعلوا أنفسهم دعاة وحماة لها !!

ومع ذلك كله ترانا نشترك مع جميع دول العالم فى الاحتفال بذكرى اعلان هذه الحقوق !!

اليس من المخزى أن نظل نحتفل بذكرى هذه الحقوق فى مدى عشرين سنة وسط الدماء المراقة والأرواح المزهقـــة ، والأنين الذى ينبعث من كل مكان فى العـــالم ؟

إننا نحن المسلمين لنرحب بكل نصر تكسبه الانسانية ، ولكننا لا نستطيع أن نغمض العين على هذه المـــآسى التى يرتكبها ويشترك فى اثمها أولئك الذين تزعموا إصدار هذه الحقوق ، ولا يليق بنـــا أن ننخدع بمجرد كلام مكتوب على الورق أو مذاع على الهواء فى الوقت الذى تذبح فيه هذه الحقوق فى كل مكان وعلى أيدى الذين أصدروها . . إننا ونحن ننظر الى هذه المهزلة أو هذا الضحك والخداع تشدنا الى هذه الحقوق نصوص من القرآن الكريم أعلنتها من أربعة عشر قرنا ، ويبهر أبصارنا واقع جميل حلو صنعه المسلمون الأول أتباع القرآن إن القرآن الكريم أعلن هذه الحقوق دون ثورة ، ودون أن يطالب بها أحد ، لأن القرآن جاء لاسعاد البشرية وارساء حقوقها ، وتمهيد الحياة الطيبة المستقرة للانسان .

وكانت قراءة هذه الحقوق فى القرآن عبادة ، وكان تطبيقها عبادة أيضا . . ومن أجل هذا سارع الرسول صلى الله عليه وسلم منـــذ بعث الى تطبيق هذه الحقوق وحرص صحابته من بعده على تدعيمها فى المجتمع الذى كونوه وحكموه . . فلم نر منهم إذلالا لمسلم ، ولا اجحافا بغير مسلم ، بل رأينا كل الذين يستظلون براية الحكم الاسلامى ينعمون بحريتهم وبالإخاء العام والخاص الذى ربط بينهم ، وبالمساواة الحقة أمام القانون الذى يحكمهم .

وكان هذا أروع شىء فى حياة المسلمين . ذلك لأن الكلام واعلان الحقوق أمر سهل يجرى به اللسان دون صعوبة . . ولكن تطبيقها فى واقع الحياة هو الذى يفرق بين المخلصين لهذه الحقوق وبين الأدعيـــاء المخادعين ، إننـــا نحن المسلمين مدعوون لأن ندعم هذه الحقوق فى أوساط مجتمعنا المسلم ومدعوون بعد ذلك أو معه لأن نعلن للعالم ان الاسلام احتفل بها وطبقها فى مجتمعـــه منذ أربعة عشر قرنا . .

على شبابنا المسلم أن يعرف ذلك ويعرف معه أن أول ذكر لهذه الحقوق فى الغرب كان عام ١٢١٥ ولم تكن للشعب كله بل كانت حقوقا لنبلاء انجلترا وبعد ذلك بأكثر من خمسمائة سنة أعنى سنة ١٧٧٦م صدرت وثيقة تتحدث عن حقوق الانسان حين استقلت الولايات المتحدة عن انجلترا .

ثم صدرت حقوق الانسان عندما قامت الثورة الفرنسية ، ثم كانت هذه التى أعلنت سنة ١٩٤٨ والتى يحتفل العالم بذكرى إعلانها . .

نعم على شبابنا المسلم أن يعرف ذلك ويعتز به مع ما يعتز به من تراثه العظيم . .

فكرة للدراسة

مسئولية المفكر المسلم

وهل إلى مؤتمر للمفكرين المسلمين من سبيل !؟

للأستاذ : صلاح عزام

منذ محنة (٥ يونيو) وأنا أقرأ عن مؤتمرات تعقد فى كل مكان من العالم الاسلامى .. العربى .. مؤتمرات للأدباء والشعراء والكتاب .. ومؤتمرات ذات طابع معين اقتصادى واجتماعى .. وللمعلمين والمحامين والمهندسين .. واخيرا لعلماء المسلمين ..

وبرغم هذه المؤتمرات أرى أنه قد بقى هناك مؤتمر تدعو اليه — بضرورة وحسم — الظروف والمسئولية والتبعات التى وضعت فى رقاب المفكرين المسلمين وضمائرهم اداء لواجب الكلمة فى التوجيه الذى يفرضه الدين على كل مسلم ، واقتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عنى بمهمة التبليغ ، فقال فى ختام خطبته فى حجة الوداع :

« الا هل بلغت اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب .. »

ومسئولية الابلاغ والتوجيه يتساوى اليوم فيها علماء الدين من فوق المنابر ومفكرو المسلمين من كل مكان يكتبون فيه أو يتحدثون منه أو يشاهدون من خلاله ..

ذلك لأن مسئولية المفكر المسلم اليوم لها اكثر من جانب ، بعد ان كشفت الأحقاد العالمية عن وجهها القبيح الفاجر .. وكان آخر ما ظهر منها فى محنة ٥ يونيو (حزيران) وما بعدها .. حين ارتفعت الصيحات من حول ثالث الحرمين تنعى على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتندد بقومه واتباعه ، ثم تكشف عن أنيابها فى سباب المسلمين والاسلام .. والكتاب والرسول العظيم .. وعلى ملأ الدنيا ومسمع التاريخ .. وكل مدعى الحرية والبعد عن التعصب فى العالم !!

وحين ظهر الغرب بتاييده للمعتدين ومناصرتهم ، وكانه يشفى فى نفسه حقدا طال امده فى صدره .

ان القضية اليوم فى نظرى .. وفى واقع الأمر ليست قضية جدال ودعاية .. أو تحرير أرض مغتصبة فحسب ، بل انها مع ذلك او قبله قضية الفكر الاسلامى الضائع ، والغريب فى وطنه ، وضرورة العمل من أجله حتى يتحول الى عقائد تشد الناس ، وتدفع مئات الملايين من المسلمين للعيش فى

ظلاله ، والانطلاق من قاعدته ، ليظهروا آيات الله ، ويرفعوا رايات لا إله إلا الله محمد رسول الله . فينتشر العلم .. وتسمو الأرواح .. وترتقى الشعوب المسلمة .. وتعيد الى الأذهان مجتمعات العدل والمساواة ، وتساهم فى التضحيات .. وتحيى موات الشعوب .. ويومها لن يكون هناك أرض مغتصبة .. ولن يكون هناك سلب بيت من بيوت الله .. وليس لثالث الحرمين .. بل ستكون كلمة الله هى العليا .. وكلمة الذين كفروا السفلى .. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. وستكون فعلا أمة محمد التى يباهى بها الأمم يوم القيامة .. على أساس أننا .. خير أمة أخرجت للناس ..

ومن أجل هذا كله .. أرى ضرورة عقد مؤتمر للمفكرين المسلمين .. واقصد بهم حملة الأقلام فى العالم الاسلامى يستوى فى ذلك العلماء المتخصصون فى الدراسات الدينية وغيرهم .. ومن الآن .. وقبل الاستطراد فى الحديث .. أرى كمسلم .. يؤمن بأن كل مسلم أخوه ، وأن كل أرض اسلامية أرضه ، أرى ، أن الكويت هى الدولة التى يتوفر لها الجو الهادىء البعيد عن التيارات والتاويلات مما يساعدها على أن تتبنى وزارتا الأوقاف والاعلام فيها هذه الفكرة .

وفى اعتقادى أن مؤتمرا كهذا يجب أن تتحدد أمامه المشكلات .. وتطرح أمامه المسئوليات .. وهى فى رأيى عديدة ، ولكنها كلها متصلة بالمعركة التى نعيشها الآن .. المعركة المتعددة الميادين التى نخوضها عبر السنين مع أعدائنا أيا كان لونهم واتجاههم .

ومهمة مؤتمر مفكرى المسلمين فى العالم أن يوحد جهود حملة الأقلام المسلمين لمساندة القضايا والأفكار الاسلامية الكلية ، وأن يجمع الصف المسلم المفكر ليناقش المشاكل التى تعترض المفكر والفكر الاسلامى فى أى موقع ... وأى مكان من العالم .. ويحدد الخط الاسلامى الذى يمكن أن يسير فيه المفكرون من أجل تقوية الفكرة الاسلامية ، وتنقية ثقافتنا مما يبعدها عن هذا الخط ..

فمثلا .. ما هو دور المفكرين المسلمين فى الوقوف ازاء التيارات الفكرية التى تغرق العالم اقتصادا ، وسياسة واجتماعا بل وأدبا وشعرا .. هذه التيارات التى تحاول جاهدة أن تبعد كل النشء الحديث .. وكل نشء يأتى بعده عن كتاب الله وسنة رسوله .. بدعوى أن مثل هذه التيارات لا شأن للاسلام بالبحث فيها مما يؤدى الى غيبة الاسلام عن حياة أتباعه .. ويستمر غيابه الى أن يضيع وتضيع الأمة الاسلامية وسط المتاهات والضجيج .

ان مسئولية الكاتب المفكر المسلم هنا أن يوضح للمسلمين من قراء العربية وقراء اللغات الأخرى .. بل ولغير المسلمين فى العالم كله .. آراء الاسلام فى كل قضية فكرية بل أن يخرج على الناس بالنظرية الاسلامية فى كل أمر من أمور الحياة ، ثم لتدور المناقشات وبكل اللغات حول هذه النظريات ولتتصارع مع غيرها .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

وفى هذا المجال أيضا لا بد من دراسة شاملة لوضع منهاج عمل وميثاق لكل مفكرى المسلمين يحافظ عليه كل واحد منهم ، وترعاه رابطتهم وتلتزم به ، وتدعو له حكومات المسلمين فى كل مكان .

● ومسئولية أخرى للمفكرين المسلمين ، وهو بحث الوسائل لنشر العقيدة والنظريات الاسلامية الى كل مكان .. والى جميع الناس ، وتنقيتها مما يحيط

بها من بدع وخرافات عمل أعداء الاسلام من حيث أرادوا ، أو لم يريدوا على تعكير صفو الاسلام بها ، ليحجبوا نوره ويضعفوا من نفاذه الى العقول . . .

● ومن مسئولية المفكرين المسلمين اليوم إحياء الشعور بالعزة الاسلامية . . والقوة الاسلامية بل أزيد فأقول :

وقومية اسلامية : تقوم على قاعدة (انما المؤمنون أخوة) فى الوقت الذى لا توجه فيه هذه الأخوة ضد أحد من أصحاب الديانات الأخرى ، بل توجه لخير المسلمين وخير العالم كله ، وتعمل على إحياء التراث الاسلامى ، لتظهره على الدنيا ، فيبهر العالم بروعته وانسانيته .

كما تعمل على ابراز عناية الاسلام قولا وتطبيقا بحقوق الانسان ، وعرض الامكانيات المتوفرة لديه لبنـــاء المجتمع على أسلوب عصرى حـــديث لا يواكب الضعف والتمدن الكاذب ، ولكن بمرونة تحفظ على الفكر الاسلامى شخصيته وروعته معا . .

● ومن مسئولية المفكر المسلم ايضا طرح القضية التى نعيشها الآن على وجهها الصحيح . . وأقصد بها قضية فلسطين والأرض المحتلة وثالث الحرمين .

فاليهود لم يحاربونا انطلاقا من فكر سياسى . . ولكنهم حاربونا كيهود . . فكل يهود العالم صهاينة . . وكل يهود العالم وراء اسرائيل . . وكل يهود العالم خصوم الاسلام بل وللمسيحية كذلك ، وهم لا يحاربوننـــا إلا بالحماس الدينى يعلمونه لأبنـــائهم ، ويشدون كل واحـــد منهم الى المعركة ، من اجل تعـــاليم ابتدعوها ، وزيفوها ، وصارت عقيدة عندهم .

فهم يحاربوننـــا لأننا مسلمون . هـــذه حقيقة لا جدال فيها ، ويجب أن نبرزها . . وتظهر وقائع هذه الحرب والخصومـــات التى قامت بيننا وبين يهود منذ فجر الدعوة ومنطلقها . . حين تآمروا على الاسلام ، وحاولوا قتل نبينا صلى الله عليه وسلم ، ثم ما حدث منهم من مؤامرات ضد الاسلام الى يومنا هذا . . كل ذلك يكشف مخططاتهم . . ويفضح نواياهم ، ويقطع بان هؤلاء الذين فعلوا ويفعلون اليوم ما فعله أجدادهم من قبل ليسوا حقيقة من اتبـــاع موسى عليه السلام ، فموسى برىء من أعمـــالهم ، ولم يدع الى الخنـــا والفحش والغدر والسلب والنهب . ولكنهم ورثة من قال عنهم الله سبحانه وتعالى : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . .) .

إن أصدق دليل على حربهم العقيدية لنا ، ما سجلته آلات التسجيل من هتافات عدائية ضد الاسلام ونبيه وأتباعه ، يوم استولوا على ثالث الحرمين ، حتى بكى علماء مسلمى (٣٨) دولة عندما استمعوا الى جانب منه عند اجتماعهم بالقاهرة .

ثم مـــا قاله لى أكثر من زعيم من زعمـــاء الفداء الفلسطينى ، من أن كل معركة تنشب مع اليهود ، يسبقها ويلحقها سباب ، وكلام قذر ، يردده اليهود عن الاسلام والمسلمين . . والقرآن ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما انزه القلم عن ذكره هنا .

هذا كله يضع المفكرين والقادة المسلمين أمام واقع لا مفر من مجابهته . بل يضعنا أمام سلاح لا بد من أن نصده بسلاح من نوعه .

بل اقول : يضع المفكرين المسيحيين كذلك أمام هذا الواقع ، لأن اليهود لم يسلبوا المسلمين وحدهم أرضهم ودورهم ، ولم يتركوا كنيسة القيامة والأماكن المقدسة المسيحية الأخرى من عبثهم ، كما عبثوا بالمسجد الأقصى ومسجد الخليل وغيرهما .. لم يفرقوا فى اعتداءاتهم بين المسلمين والمسيحيين ، لأنهم أعداء للاسلام والمسيحية معا ..

ونحن المسلمين نجابه حقدا غربيا آخر يشترك مع الصهيونية فى هدفها ، ويعمل من قديم كذلك على كسر شوكة الاسلام وتشتيت أتباعه ، وتحويلهم الى تابعين يدورون فى فلكه ، فى ثقافتهم وسلطتهم ، ولهذا كانت الجبهة التى تقف أمام المسلمين تضم الصهيونية والأحقاد الغربية معا .. وهى جبهة تجمع فى يديها أطراف القوة من هنا وهناك .. وهذا يضاعف من واجبنا فى التصدى لهذه القوى ان كنا مصممين حقا على أن نظل ممثلين لخير أمة أخرجت للناس ، تحمل رسالة القوة والسلام معا ، وعلى أن نكون امتدادا حيا ناميا لأمة ملكت زمام السيطرة فى العالم ، وقدمت للبشرية حضارة فاضلة ، وكانت لها شخصيتها .

ولا سبيل لذلك فى عقيدتى غير أن نلوذ بالمبادىء والتعاليم التى جعلت منا هذه الأمة التى نعتبر أنفسنا امتدادا لها وورثة لأمجادها .

وهذه هى القضية التى يجب على المفكرين جميعا اعتناقها ، والعمل لها فى كل مجال من مجالات حياتنا .

ومن أجل ذلك .. ارى ضرورة العمل السريع لعقد مؤتمر للمفكرين المسلمين يعلن تبنيه لهذه القضية ، ويضع الخطط الممكنة لنشرها ، ودعوة الجماهير لاعتناقها ، والتضحية من أجلها ، ولا أرى غير الكويت مكانا محايدا بعيدا عن شبه التيارات والتاويلات .

على أن يكون أمام المؤتمر موضوعات محددة منها :

- **وضع كل الأفكار والمبادىء فى ميزان الاسلام .**
- **انتشار الكلمة المسلمة فى الصحافة واجهزة الاعلام والنشر .**
- **دستور عمل للمفكرين المسلمين .**
- **ورابطة لهم لا تقل عن نقابة الصحفيين واتحادها واتحاد الأدباء العرب .**
- **ونشر اللغة العربية ووحدة العمل الفكرى الاسلامى .**
- **كشف خصوم الاسلام وتحديدهم دون مواربة .**

وبهذا يتحقق فى المفكرين قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكروأولئك هم المفلحون .. » .

حتى نكشف الزيف المسدول على حقيقة وجودنا : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ..) .



اعدها : ابو نزار

تفوق الطالبات المتزوجات :

بحث طريف قام به الدكتور محمد الصياد وكيل كلية بنات جامعة عين شمس :

البحث يقول ان ٧٪ من عدد البنات فى الكلية متزوجات .. وان ٤٥٪ من المتفوقات ومن اللاتى حصلن على درجة البكالوريوس بدرجة جيد جدا وممتاز .. ايضا متزوجات !

ويرجع الدكتور الصياد ارتفاع نسبة المتزوجات فى كلية البنات عن باقى الكليات الى ان الطالبة المتزوجة تفضل ان تكون فى مجتمع نسائى على أن تكون فى مجتمع مختلط .. اما تفوق الطالبات المتزوجات فيرجعه الدكتور الصياد الى انهن يكن أكثر استقرارا من الناحية العاطفية .. وأكثر جدية فى دراستهن لأنهن يقدمن عليهـا فى العادة بمحض ارادتهن ، وليس بحكم تقليد الغير او مجرد السير فى ركب التعليم الجامعى !

ويخرج الدكتور الصياد من بحثه بعدة اقتراحات من اهمها الا تحاسب الجامعات المراة المتزوجة التى تتقدم للالتحاق بالجامعة على تاريخ شهادة الثانوية العامة الحاصلة عليها .. قائلا أن شرط الجامعة فى اعادة الشهادة الثانوية يجعل الكثيرات يحجمن عن الالتحاق بالجامعة ، ونحن يجب أن نشجعهن على مواصلة دراستهن الجامعية .. لأن الأم هى المدرسة الأولى لاطفالها ، واذا كنا نطالب برفع مستوى مدرسى المدارس الابتدائية .. فمن باب أولى ان نشجع كل ام او من ينتظر أن تكون أما على مواصلة تعليمها الى اقصى درجة .

ويطالب الدكتور الصياد بفتح باب الانتساب فى كلية البنات لنفس الغرض .. غرض تشجيع الأمهات على مواصلة دراستهن الجامعية ..

إذا..!

لما قتل كسرى بزر جمهر وجد فى منطقه كتابا فيه :

اذا كان القدر حقا فالحرص باطل .

واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل احد عجز .

واذا كان الموت لكل احد راصدا فالطمانينة الى الدنيا حمق .

الجمل والفيل والكركي

قال كسرى لاعرابى : اى شىء انهض بالحمل الثقيل ؟

قال : الجمل .

قال : كيف تزعم أن الجمل احمل للحمل الثقيل ، والفيل يحمل كذا وكذا رطلا ؟!

قال : ليبرك الفيل ، ويبرك الجمل ، وليحمل على الفيل الجمل ، فان نهض به فهو احمل للاثقال .

قال كسرى : فاى شىء ابعد صوتا ؟

قال الاعرابى : الجمل .

قال : كيف يكون الجمل ابعد صوتا ونحن نسمع الصوت من الكركى من كذا وكذا ميلا ؟

قال : ضع الكركى فى مكان الجمل وضع الجمل فى مكان الكركى حتى تعرف ايهما ابعد صوتا .

من صفات عمر

كان عمر بن الخطاب طويلا لدرجة أن من يراه ماشيا يخيل اليه أنه راكب . وكان يكتب بيده اليسرى ويعمل باليدين .. وكان سريـــع التأثر كثير البكاء بين يدى الله .. حتى ان الدموع قد رسمت مجريين على خديه .. وكانت له فراسة يفهم بها الناس .. وكان يؤمـــن بالاحلام قادرا على تفسيرها أيضا ، فقد رأى فى نومه ديكا ينقره مرتين . فقال ان أجنبيـــا سوف يقتله . وقد حدث أن قتله فارسى تآمر مع احد اليهود .

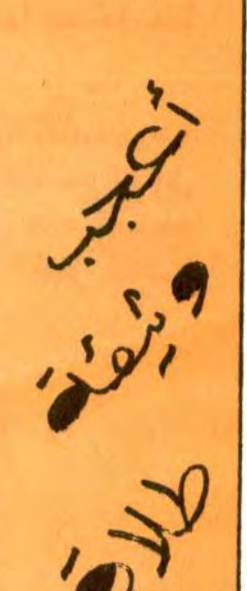
انـــذار :

روى أن الحسن بن زيد لما ولى المدينة قال لابن هرمه : انى لست كمن باعك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك ، فقد رزقنى الله بولادة نبيه ــ عليه الصلاة والسلام ــ المادح وجنبنى المقابح .

وان من حقه على الا أغض على تقصير فى حق ربى ، وأنا أقسم لئن أتيت بك ســكران لأضربنك حدا للخمر ، وحدا للسكر ولأزيدن لموضع حرمتك بى ، فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم .

خير الرازقين :

قال بعض المفسرين فى تفسير قول الله عز وجل : (وهو خير الرازقين) أى : المخلوق يرزق فاذا سخط قطع رزقه ، والله عز وجل يسـخط ولا يقطع .



اضطر الفقيه الكبير العلامة ابو البركات بن الحاج الى طلاق زوجته السيدة عائشة الكنانية فما فاه بلغو ، او هم بنقيصة ، ولكنه احضر الشهود وتلا عليهم هذه الوثيقة الرائعة :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآل محمـــد . يقول عبد الله الراجى رحمته المدعو بابى البركات بن الحاج ، اختار الله له ولطف به .

ان الله جلت قدرته انشا خلقه على طبائع مختلفة ، وغرائز شتى ، فمنهم السخى والبخيل وفيهم الشجاع والجبان ، والغبى والفطن ، والكيس والعاجز ، والمسامح والمناقش والمتكبر والمتواضع ، الى غير ذلك مـــن الصفات المعروفة من الخلق ، فكانت العشرة لا تستمر بينهم الا باحـــد امرين ، اما بالاشتراك فى الصفات او فى بعضها ، واما بصبر احدهما على صاحبه مع عدم الاشتراك ، ولما علم الله أن بنى آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح من عيل صبره . على صاحبه ، توســعة عليهم ، واحسانا منه اليهم فلاجل العمل على هذا طلق عبد الله محمد ابو البركات بن الحاج زوجه الحرة العربية المصونة عائشة بنت الشيخ الوزير الحسيب النزيه الاصيل الطاهر القدسى المرحوم ابى عبد الله ابى ابراهيم الكنـــانى المغيلى طلقة واحدة ملكت بها امر نفسها عارفا قدره ، ونطق بذلك اراحة لها من عشرته ، طالبا من الله ان يغنى كلا من سعته ، وشهد على نفسه فى صحبته وجواز امره يوم الثلاثاء اول يوم من شهر ربيع الثانى عام احدى وخمسين وسبعمائة) ا هـ .

أقرآن جديد؟

حكومة لبنان تتعهد بعدم طبع شيء الا برأي المفتي

كان سماحة العلامة الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس ولبنان الشمالية ، وعضو مجمع البحوث الاسلامى قد أثار على صفحات « الوعى الاسلامى » موضوع اتجاه أحد المسلمين فى لبنان الى طبع القرآن الكريم مرتبا حسب ترتيب النزول ، محذرا من الاقدام على اتمام هذا المشروع . وكان لما نشرناه رد فعل كبير من استنكار مختلف الدوائر والهيئات الاسلامية .. ظهرت بعض آثاره فيما نشرناه بعد ذلك من تعليقات سماحة الشيخ عبد الحميد السائح وزير الأوقاف والمقدسات الاسلامية بالأردن ، وصور برقيات الاستنكار من علماء الحرمين ، وبعض الهيئات الاسلامية فى لبنان وغيرها . مكتفين بهذا عن نشر الكثير مما وصلنا عن هذا الموضوع ، معلنين فى الوقت نفسه أن الأمر فيه أصبح متعلقا بسماحة مفتى لبنان الشيخ حسن خالد والجهات المسئولة فى لبنان . منتظرين ما يصلنا عما اتخذ من اجراءات تحول دون تنفيذ هذا المشروع ..

ويسرنا أن نعلن أننا تلقينا من دار الافتاء فى بيروت صورة كتاب موجه اليها بشأن هذا الموضوع من وزارة الاعلام اللبنانية ، ننشره هنا مع تعليق دار الافتاء شاكرين ومقدرين لكل من ساهم فى الوصول الى هذه النتيجة التى تطمئن النفوس وتهيىء لها الانصراف الى العمل الجاد المثمر لخدمة الاسلام والأوطان ..

وهذا هو نص كتاب دار الافتاء :

دار الفتوى
فى الجمهورية اللبنانية

السيد/رئيس تحرير مجلة الوعي الاسلامى المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فان المديرية العامة لشؤون الافتاء فى الجمهورية اللبنانية ، اذ تشكر جميع المؤسسات والشخصيات الاسلامية التى وجهت الانتباه الى موضوع نشر الكتاب المتعلق بترتيب سور القرآن الكريم حسب التبليغ الالهى من قبل السيد محمد الباقر ، ليسرها فى الوقت نفسه أن تشير الى انها وبتوجيه من سماحة المفتى الأكبر كانت قد أرسلت الى وزارة الانباء فى الجمهورية

اللبنانية بتاريخ ١٩٦٨/٧/١٥ كتابا تطلب اليها فيــه التشدد فى مراقبــة المطبوعات الدينية ، وعلى الأخص الكتاب المذكور أعلاه ، فتلقت المديرية العامة لشؤون الافتاء فى الجمهورية اللبنانية جوابا عن ذلك الكتاب التالى نصــه :

*

جناب السيد حسين القوتلى المدير العام لشؤون الافتاء المحترم

رقم الصادر ٦٢٧ **بيروت ــ دار الفتوى**
٧ آب ١٩٦٨

الموضوع : طبع الكتاب النادر الفذ
المرجع كتابكم رقم ٨٠/ص تاريخ ١٩٦٨/٧/١٥

عطفا على كتابكم المشار اليه اعلاه ، المتضمن لفت وزارة الانباء الى عزم السيد محمد الباقر على طبع « الكتاب النادر الفذ ترتيب سور القرآن حسب التبليغ الالهى » الذى يحتوى على مغايرات للحقيقــة التاريخيــة والعلمية ، نشعركم بان هذه الوزارة قد اتصلت فور تسلمها كتابكم بصاحب العلاقة ، وطلبت اليه استطلاع رأى دائرة الفتوى فى بيروت بمضمون الكتاب المذكور واخذ موافقتها عليه قبل طبعه وتوزيعه تداركا للمحــاذير والنتائج التى قد تنشأ فيما بعد .

عن المدير العام لوزارة الانباء بالتفويض
رئيس مصلحة الديوان
فؤاد ابو شهلا

هذا ويهم المديرية العامة لشؤون الافتاء أن تشير الى أن توجيهات سماحة المفتى الأكبر قضت بعدم الموافقة على طبع هذا الكتاب فى لبنان علما بأن النسخة الأصلية ، تبين بعد التحقيق مع السيد الباقر أنها موجودة فى ايران بحوزة أخيه المقيم هناك ، فالرجاء التفضل بأخذ العلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بيروت فى ١٠ من رجب ١٣٨٨هـ
و ٢ من تشرين الأول ١٩٦٨م

المدير العام لشؤون الافتاء
حسين القوتلى

ومما هو جدير بالذكر والتنويه أن سماحة العلامة الشيخ نديم الجسر اثار هذا الموضوع أمام أعضاء مجمع البحوث بالأزهر فى دورته الأخيرة ، وأشار الى اهمية الدور الذى قامت به « الوعى الاسلامى » فى لفت الأنظار الى خطر هذا المشروع . .

هذا وقد صدر قرار مؤتمر مجمع البحوث بالأزهر ، كما صــدر قرار من رابطة العالم الاسلامى فى مكة باستنكار مثل هذا العمل . .

من اعلام المصلحين في العصور الحديثة: « ٢ »

السيد محمد بن علي السنوسي

للدكتور: محمود زيادة

استاذ التاريخ بالجامعة الاسلامية ـ البيضاء

الدعوة السنوسية

كانت دعوة الامام السنوسى دعوة الى المبادىء الاسلامية بعيدة عن الصور الدخيلة التى الحقتها بها العصور المتأخرة ، ومبراة عن الأوهام والخرافات التى أبعدت الاسلام عن حقيقته ، وحجزت ما بينه وبين أتباعه من أن يحقق لهم ما حققه فى عهده الأول من رفعة . فهى دعوة الى العمل بالكتاب والسنة بدون غلو ولا قصور . فمبدؤها فى الاصلاح هو الرجوع بالمسلمين الى مقومات الشخصية الاسلامية الأولى .

وقد تناولت جوانب حياة الانسان المتعددة من دينية وسياسية واجتماعية ، وخصت بالعناية الناحية الدينية لأنها الأساس وكان مؤسس الدعوة يرى أنها الوسيلة الوحيدة التى تمنح المسلمين القوة ، وتمكن لهم من دفع عدوهم عنهم .

فكانت عمد الاصلاح واسسه فى الدعوة هى :

١ ـ العودة الى يسر الدين الاسلامى ، والاعتماد على الكتاب والسنة والانتفاع بالمذاهب المختلفة فيما يناسب المسلمين ، وييسر حياتهم ، مع تنقية الاسلام من البدع والضلالات .

٢ ـ العالم الاسلامى يواجه حركة التبشير المسيحية ، ولذلك يتحتم أن تعنى الحركة الاصلاحية بنشر الاسلام وبخاصة بين الوثنيين قبل أن تسبقه المسيحية .

٣ ـ ليست هناك حدود تجزىء العالم الاسلامى ، فالحركة الاصلاحية يلزم أن تكون شاملة لكل أقطاره أو أكثرها بقدر الامكان .

٤ ـ الحركات الاصلاحية يلزم أن تكون سياسية وفكرية فى نفس الوقت اما اصلاح جانب بدون الآخر فذلك نقص فى الحركة . فالاسلام دين ودولة . عبادة وعمل .

٥ ـ الزهد والخمول والاستجداء التى كانت طابع أغلب الطرق الصوفية ليست من الاسلام فى شىء .

وكانت الوسيلة لذلك هى انشاء الزوايا ..

ولم تكن الزوايا شيئا جديدا بالنسبة للسيد / محمد بن على السنوسى / فقد عرفها فى جنوب الجزائر مدة اقامته هنالك ، ولكنه لا يريد أن تكون على

الصورة التى شاهدها : أماكن يجتمع فيها اتباع الطريقة لاقامة شعائرها مع قليل من التعليم ، ولكنه يريدها خلايا حية تمتد منها الحياة الصالحة الى جسم الأمة الاسلامية ، فتكون مراكز تربية وتهذيب وتعليم وايقاظ للعاطفة الدينيـــة السليمة ، وتوجيه الحياة العاملة توجيها سديدا . فهى بذلك مراكز اصـــلاح انسانى متكامل من الناحية الدينية والعقليـــــة والاجتماعيـــة والاقتصاديـــة والعسكرية .

وكانت الزوايا عبارة عن فناء واسع تحيط به مرافق هى : مسجد ، ومكان للضيافة ، ومسكن لشيخ الزاوية ، وحجرات لسكنى الطلاب ، ومحل لايـــواء اللاجئين الى الزوايا ، ومساكن لوكيل الزاوية ، ومعلمى الأطفـــال والخـــدم ومخازن لحفظ المؤن والمتاع ، وبستان ، وحظيرة للماشـــية ، ومتجر أو أكثر ، وبئر للسقيا ، وأرض حولها تزرع .

وتنشأ الزاوية غالبا فى مكان حصيـــن على جبل أو نحوه لتكـــون أشبه بالقلعة اذا احتاج الأمر للدفاع عنها ، ويختار مكانها فى مفارق الطرق حتى يؤمها رجال القوافل والمسافرون ، وحتى تكون على صلة بالزوايا الأخرى ، وكان لكل قبيلة أو عدة قبائل زاوية .

ويتبين من ذلك أن الزاوية كانت خلية دين وعلم ، ومركز حكم وادارة ، ومركز زراعة وتجارة ، وتربية عسكرية ناجحة . كما كانت حرما آمنا لمن يلجأ اليها ، وكانت عاملا مهما فى محاربة الجريمة ، وتوحيـــد الصفوف ، وجمـــع الكلمـــة .

التجربة الأولى

وقد بدأ السنوسى الكبير تنفيذ خطته الاصلاحية ، وهو بمكة المكرمـــة فأنشأ أولى الزوايا فى أبى قبيس ــ الجبل المشرف على مكة ــ سنة ١٨٤٢ ، وقد اختار هذا المكان بالذات ليتمكن من الاتصال بالحجاج الذين يأتون كل عـــام لأداء فريضة الحج ، من كل قطر من الأقطار الاسلامية ، وكانت وفودهم تضم العلماء والأمراء وأصحاب الرأى والعامة ، وذلك يتيح الفرصة لعقد مؤتمر عام يتبادل المسلمون فيه الرأى فيما ينبغى أن يعمل ، لايقاظ الشعوب الاسلامية من سباتها ، وتنبيهها من غفلتها ، وتحذيرها من مطامع الاستعمار ، وتوجيهها الى العمل النافع المثمر لخير بلادها ، وفى الوقت نفسه يدلى بآرائه الناضجة ويبث دعوته التى كانت نتيجة دراسة عميقة ورحلات طويلة . ثم أتبع انشاء زاويـــة أبى قبيس بزوايا أخرى فى كل من المدينة المنورة والطائف وينبع وبـــدر ومنى وجدة ، وبعض أماكن أخرى .

ومن المركز الأول والزاوية الأولى . أخذ يجول بفكره . أين يمكن أن يمتد نظام الزوايا هذا ليحقق ما يتجه اليه من اصلاح ؟ ولا شك أنه كان يفكر فى البلاد التى عرفها وخبرها من الجزائر والمغرب الأقصى وليبيا ، ووصل تفكيره الى أن الجزائر لم تعد صالحة منذ غزتها فرنسا ، لا سيما وقد عـــرف من الحجـــاج الجزائريين الفظائع التى يرتكبها الغزاة الفرنسيون هناك ، فوقر فى نفسه أن يهيىء لنظامه الظروف التى تدعه ينمو فى هدوء ودعة حتى يبلغ غايته ، ووصل فى تفكيره أيضا الى أن بوادى المغرب وتونس لا تصلح ، لأن كلا منهما قريب من النفوذ السائد فى الجزائر . فضلا عن أن المغرب فى أطراف العالم الاسلامى فهو لا يحقق ما يرجوه من اصلاح شامل .

ليبيا

اذا فلم يبق سوى « ليبيا » وفيها من المميزات ما لا يوجد فى غيرها ، فهى بعيدة عن النفوذ الأجنبى ، وأكثرها بعيد عن نفوذ السلطان العثمانى ، وهى فوق هذا متوسطة بين المشرق والمغرب ، وقد أقام فيها مدة غير قصيرة . اتاحت له أن يعرفها معرفة صادقة . ويرى عن قرب ما تنطوى عليه من امكانيات ، وما تنفرد به من مزايا ، ثم ها هو ذا لا يزال يتصل فى الحجاز بكثير من اهلها الوافدين للحج ، ويجلس اليهم ، ويلقى مواعظه بينهم ، فيقبلون عليه ، ويودون لو اتخذ من بلادهم موطنا له ، ولكنه أراد أن يقوم بواجبه نحو وطنه الأول الجزائر باشعال الثورة ضد الغاصب المحتل ، فغادر الحجاز واتجه للجزائر ولكن الفرنسيين عندما علموا بوصوله الى قابس بثوا عيونهم حوله للقبض عليه . وعرف ذلك . فلم يسعه الا توجيه بعض معاونيه فى الخفاء الى الجزائر ، وارسال معونة مالية . وكلفهم باشعال الثورة ضد الفرنسيين ، وانتقل من قابس الى طرابلس . ثم الى بنغازى حيث صام بها شهر رمضان من عام ١٢٥٧هـ وهناك طلب منه شيوخ برقة البقاء بها ، فلبى الطلب لما أسلفنا من الأسباب . واستقر رأيه على أن يجعلها مركز نشاطه .

الزاوية البيضاء

وفى برقة شرع على الفور فى انشاء مركز اصلاحى بالجبل الأخضر على مقربة من مثوى الصحابى الجليل (رويفع بن ثابت الأنصارى) رضى الله عنه ، وأطلق عليه (الزاوية البيضاء) وكان ذلك سنة ١٢٥٧ هـ ولعله اختار هذا المكان بالذات لأنه يوجد فيه الهدوء الذى يلتمسه لدعوته ، اذ يقع فى أرض قبيلة (البراعصة) الذين شايعوا الدعوة ، وأيدوها منذ أول أمرها . الى جانب البعد عن السلطان العثمانى القائم فى الحواضر ، وهو فى الوقت نفسه موقع استراتيجى صعب المسالك ، ومن الميسور الدفاع عنه بعدد قليل من الرجال .

انتشرت أخبار وجود الامام السنوسى بالبيضاء فى سائر أنحاء برقة ، فقصده من شرح الله صدره ، واستمع الى دروسه النافعة ، ونقل ذلك الى اهله وعشيرته عند عودته اليهم ، فسرت الدعوة فى برقة سريعا ، فأنارت طريق الهدى للضالين ونبهت الغافلين ، وقد ظل الامام السنوسى خمس سنين فى برقة ينشىء الزوايا وينظمها ، ثم عاد بعد هذه السنوات الخمس الى الحجاز المركز الأول .

ويظهر أن السيد / محمد بن على السنوسى / قد أراد أن يجعل من زاوية ابى (قبيس) المركز الرئيسى لدعوته . بعد أن اطمأن الى تنظيم المركز الثانى بالبيضاء ، وقيامه بأداء رسالته ، ويدل على ذلك أنه بعث يستدعى ابنه وأهله اليه فى الحجاز ولكنه لم يلبث أن ترك الحجاز وعاد الى برقة . فما السر فى ذلك ؟

يبدو انه آنس شيئا من الخطر فى قرب دعوته من السلطان العثمانى فى مكة ، فوجد من الخير أن ينأى بدعوته عن مكامن الريب ومثارات الخطر . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى انه لم يرد أن يكون فى مكان يمكن أن تثور فيه المنافسة بينه وبين دعاة الوهابية ، ومن جهة ثالثة ، انه رأى أن الحجاز بما فيه من خصومات لا يحقق لدعوته الهدوء الذى أراده لها ، والطمأنينة التى لا بد

منها ، فآثر أن يجعل برقة المركز الأول لدعوته فعاد ثانية الى برقة وأنشأ زاوية (الجغبوب) .

زاوية جغبوب

وكانت جغبوب، كما يقول الأمير شكيب أرسلان فى حاضر العالم الاسلامى جـ ٢ ص ١٤١ . : واحة مالحة يأوى اليها الذعار ــ جمع ذاعر وهو الخبيث ــ واللصوص ، ولا تجرأ القوافل أن تمر بها من جراء العبث فى أنحائها . فلما اختارها سيدى محمد بن على السنوسى مقرا له ، وبنى بها زاويته الكبرى . صارت مهد أمان ، ومركز عبادة ، ومشرق أنوار ومبعث هداية حيث غرس بها الأشجار ، واستنبط العيون ، وتوسع فى البناء وأسس مدرسة لتخريج مريدى الطريقة ، أجلس فيها جلة العلماء ، ونقل مركز الدعوة الى الجغبوب ، لأنها اكثر توسطا ، وأسهل اتصالا بأنحاء مختلفة من برقة ، وطرابلس والسودان الغربى كما كانت مركزا كبيرا للقوافل ، وبعيدة عن سلطان الحكومة الذى لا يتعدى الساحل) .

ومن ذلك الوقت أصبحت الجغبوب جنة بعد أن كانت واحة صغيرة ، وانشأ الامام فيها مدرسة دينية قوامها مكتبة من ثمانية آلاف مجلد ـ فيها كتب الفقه والتفسير والحديث والتصوف والفلك والفلسفة والفنون بجميع أنواعها ، وعمادها أولئك التلاميذ المخلصون الذين رافقوا الامام فى دراسته وأسفاره ، فصاروا ممن يعتمد عليهم فى التدريس ، وكان فى الجغبوب ثلثمائة طالب ، يعدهم الاعداد الصحيح ، ليكونوا دعاة هداية وحملة نور الاسلام ، وقد خلد حفيده الملك (أدريس الأول) ذكرى جده الامام السنوسى بانشاء قسم الدراسات العليا حديثا بالجغبوب . كما خلد ذكره قبل ذلك بانشاء الجامعة الاسلامية بالبيضاء المركز الأول .

ومنذ انشئت الزاوية البيضاء جعلت الزوايا تنتشر فى أنحاء ليبيا ، فكان اهم ما أنشىء من الزوايا فى عهد السيد / محمد بن على السنوسى / زوايا (درنة وشحات والعرقوب ومارة وسوس ، والقصور ، والمرج ، وبنغازى ، والعزيات) وكل هذه ببرقة ، وانشأ باقليم طرابلس زوايا (مزدة وغدامس ومصراتة وزليطن) وفى فزان (مرزق وواو ، وزويلة) كما أنشأ زوايا فى واحات مصر وصحرائها الغربية ، وفى محافظتى البحيرة والفيوم كما أنشأ أيضا زاوية الجريد بتونس وغير ذلك حتى بلغ عددها فى عهده (٥٢) زاوية .

ولم يلحق الامام السنوسى بربه سنة ١٨٥٩م حتى كانت الحركة الاصلاحية قد آتت أكلها ، وغيرت مجرى حياة الناس فى ليبيا تغيرا تاما ، فأشعرتهم بكيانهم وهيأتهم لمرحلة جديدة من الحياة .

وقد دفن عليه رحمة الله بالجغبوب ، وله فيها ضريح يزوره السنوسية وغيرهم من جميع البلاد ، وتولى أمر السنوسية بعده ابنه الامام الثانى (محمد المهدى) والد جلالة ملك ليبيا الحالى (ادريس الأول) فسار على نهج أبيه فى نشر الدعوة والجهاد فى سبيل الله ، وتركت السنوسية آثارا بعيدة المدى فى مجرى التاريخ الاسلامى وفى نشر التوحيد ، واللغة العربية . مما سنتناوله فى حديث قادم ان شاء الله .



٣٣٦ صفحة ـ صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

للأستاذ : أحمد حسين

عرض وتلخيص : الاستاذ أنور الجندي

ان مجلة الوعى التى استقبلت اولى كتابات الاستاذ أحمد حسين فى هذا الموضوع هى نفسها المجلة التى أحب أن أقدم على صفحاتها اليوم كتابه الشامل الذى كان بعض ما يحويه قد نشر على صفحاتها ، وقدمته هى الى العالم الاسلامى كله ، والحق أن كتاب الاسلام ورسوله بلغة العصر هو علاقة ضخمة على مرحلة جديدة فى حياة هذا الكاتب العربى الاسلامى الذى ما زال قلمه المتدفق يرسل آثاره وانتاجه منذ عصر الثلاثينيات الى اليوم لم ينقطع ولم يتوقف فى مجالات مختلفة تنقل بينها الكاتب ، وقدم فى كل منها خلاصة فكره وعصارة روحه ، وفيض عقله ووجدانه معا ، واذا كان فى الامكان لنا أن نعدد هذه المراحل فانها نسميها على التوالى :

المرحلة الوطنية ، المرحلة الروحية ، المرحلة الانسانية ، المرحلة الاسلامية ، فقد بدأ حياته مجاهدا وطنيا ، يحاول ان يبنى لقومه وامته نهجا جديدا من الحياة السياسية والاجتماعية ، بعد ان اضطربت هذه الحياة حين تخلت عن عنصر « الايمان والاسلام » قديما الى الجلاء والحرية وبناء الوطن على قاعدة الايمان والاخلاق والدين ثم لم يلبث الأستاذ احمد حسين ان خطا خطوة اخرى فى مواجهة حملات المادية والالحاد ، فقدم كتابه الضخم (الطاقة الانسانية) وفيه يكشف اسرار العلم ودقائق التكنولوجيا ، ويردها الى

مصادرها الطبيعية فى مفهوم المؤمنين بالله .

ثم لا يلبث احمد حسين ان يتجه الى مفهوم الانسانية نفسه كعامل جامع للأمم والشعوب ستصل اليه الانسانيـــة حتما بعد ان تتخلص من صراعاتها وأوهامها ، فأصدر كتابه الضخم الثانى « الأمة الانسانية » ثم وصل سريعا الى الغاية التى كان لا بد أن يصل اليها فى خلال هذه المرحلة الجديدة من حياته ، وفى خلال العشر سنوات الأخيرة فقدم للقارىء العربى والمسلم كتابه الذى يعد ذروة فكره وعصارة ايمانه بالله وبالاسلام وبمحمد هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم .

الاسلام ورسوله بلغة العصر

وميزة الأستاذ احمد حسين طوال حياته الفكرية والسياسية والاجتماعية والادبية ميزتان :

اولا ــ هذه الحاســة البعيدة فى السبق الى اجــواء الفكر والفلسفات والعلوم بحيث يكون دائما رائدا ، وكشافا جهيرا لما تتطلع اليه الأمم والانسانية ، فلا يلبث أن يسبقها اليه ويقدمه لها .

ثانيا ــ هذه القدرة العجيبة على الاحاطة والشمول ، وتقريب كل شىء اسهل ما يكون وابسط ما يكون (بلغة العصر) فهوفى (الطاقة الانسانية) يقدم دقائق الفكر العلمى والنظريات العلميـــة بأسلوب سهل ، ويستوعب هــذه النظريات المعقدة ، ثم لا يلبث أن يجريها على قلمه ، سهلة سريعة سمحة ، فيفهمها كل من يقرؤها على مختلف المستويات . وهو فى كتابه هذا (الاسلام ورسوله بلغة العصر) يقرب النظريات الاســلامية ، ويناقش الأديان والمذاهب ويقارن بينها ، ويصل الى أعماق البحث التاريخى ، متعمقا القديم كله قارئا الأســفار والأناجيل . وكتب التاريخ العديدة ، ومســتخلصا نظرياته ومفاهيمه ، مقدمها للقارىء فى بساطة ويسر .

ومن الحق أن يجىء هذا الكتاب فى وقت اشتدت فيه الحاجة اليه ، فى ظل موجة عاصفة من الدعوة الى الالحاد وانكار الغيبيات ، وتحلل كامل من الايمان بالله والأديان وفى وسط شبهات ضخمة حول الاسلام خاصة والدين بصفة عامة وحول القرآن والنبى ، وكلها فى حاجة الى قلم رصين ، وايمان مكين لدفعهــا وتحرير العقول منها ، ومن الحق ايضا أن كانت دراسات الاستاذ أحمد حسين فى (الطاقة الانسانية) لنظريات العلم الحديث من مقدمات هذا البحث وضروراته، فهى التى الهمت الكاتب تلك الثقــة الضخمــة ، والعمق الواضح فى عرضه للقوانين العلمية وربطها بالاسلام ، والتوفيق بين الدين والعلم والعقل والايمان ، دون أن يكون هذا التوفيق مدعاة الى تكلف مــا او التماس الاقتناع بلوى أعناق الآيات والنصوص .

ذلك لأن الاسلام بطبيعته سمح يســـير مفتوح الآفاق على العــــلوم والحضارات متقبل لها قادر على الملاءمة بينه وبينها دون عسر او جهد كبير .

وكتاب (الاسلام ورسوله) يعطى الدلالة الحقيقية على أنه دين الانسانية . ودين البشرية ، وانه هو العامل الأول والأكبر فى بناء (الوحدة الانسانية) التى التمسها الأستاذ أحمد حسين فى كتابه (الأمة الانسانية) وانه قد بلغ هذا الفهم بسرعة سريعة بعد أن كان يتطلع اليها فى كل أفق .

وليس غريبا على كاتبنا الكبير أن يصل الى هذا المدى من العمق فى فهم الاسلام والكتابة عنه بمثل هذا التوسع ، فان الطابع المصرى العربى الأصيل فى شخصية الأستاذ أحمد حسين يوحي منذ مطالع صباه الى مثل هذا الخط بعد بضعة وثلاثين عاما وأن القاء نظرة على كتاباته ومحاضراته عام ١٩٣٩ عن (مستقبل الاسلام) لا تدع هناك مجالا من الشك ، فى أن هذه النفس على عمق ايمانها انما كانت تتلمس طريقها بين النظريات والدعوات والمذاهب حتى بلغته ، دون أن تتعارض مع أى خط من خطوطها الأصيلة ، فقد كانت الدعوة الوطنية خطا من خطوط (الفكر الاسلامى العربى) . أساسا وكانت الحاجة اليها ضرورة واضحة ، ثم كانت الدعوة الاجتماعية خطا آخر لم ينفصل أبدا عن العدل الاجتماعى ، فلما خطت مصر وخطا العالم العربى خطوات فىسبيل الحرية والاصلاح الاجتماعى تطلع الأستاذ أحمد حسين الى آفاق جديدة فى محيط الفكر الاسلامى العربى ، وفى مواجهة التحديات التى تواجهها الأمة العربية والعالم الاسلامى ، وكانت قضية الايمان من أهم هذه القضايا ، وقد عالجها من قبله علامة جيله محمد فريد وجدى وترك فيها آثارا ضخمة ما تزال حية الى الآن ، ولم يكن الأستاذ أحمد حسين بعيدا عن محيط هذا العلامة ، وهذا الخط الذى سار فيه كثير من المستنيرين الذين درسوا الثقافة الحديثة ، وربطوا بينها وبين الفكر الاسلامى الأصيل من أمثال :

محمد احمد الغمراوى ، والدكتور الدرديرى ، والدكتور على مظهر ، وعبد الحميد سعيد ، والدكتور هيكل ، ومنصور فهمى ، ومحب الدين الخطيب . فهؤلاء جميعا اتصلوا بالثقافة الحديثة ، ولكنهم كانوا قادة فى مجال الفكر الاسلامى ، عملوا على تطعيمه بالعلم الحديث والنظريات المستحدثة ، والأستاذ احمد حسين ، طبقة جديدة فى عصرنا من طبقات هذه المدرسة التى قدمت للاسلام وللفكر الاسلامى اضافات جديدة لا شك فى اصالتها وخصبها .

يقول فى مقدمة كتابه (الاسلام ورسوله بلغة العصر) :

لكل عصر لغة خاصة به واسلوب ومنهاج يتم تبادل الأفكار من خلاله ، وكون اى مجتمع يتعامل بلغة واحدة طوال بضعة قرون لا تغير من هذه الحقيقة.

ويرى المؤلف أن صدمة المفكرين المسلمين فى العصر الحديث قد جاءت نتيجة لفقدان استقلالهم وشعورهم بالهزيمة ، مما أعلى منهج العقل والمعرفة القائم على التجربة « وانه لذلك يجب على كل من يتصدى للكتابة عن الاسلام الا يتصور ان كلامه سيؤخذ كقضية مسلم بها لمجرد أنه يقول ، ويجب أن يفرض دائما أن فى العقول شكوكا وشغفا للاطمئنان الى هذا الذى يقال لهم ، فيجتهد ان يسوقه بقدر الامكان بلغة العصر ومفاهيمه ومنهاجه فى التدليل والقياس والبرهان .

ويؤكد الأستاذ احمد حسين ان القرآن قادر على أن يعطينا فى كل عصر

وكل زمان ومكان ما يصلح أحوالنا ، وينير سبيلنا ويثبت ايماننا .

ويعرض المؤلف فى كتابه الضخم للدين فى حقيقته وجوهره فيفصل القول فيه فى باب طويل ، يستغرق بضعة وسبعين صفحة ، فلا يترك شيئا يتعلق بالأدلة على وجود الله والغيبيات ، والجنة والنار والثواب والعقاب ، ثم ينتقل الى المقارنة ، بين الاسلام ، وكل من اليهودية والمسيحية والهندوكية والبوذية فى عرض علمى رائق ، واصالة محام عريق دافع عن قضايا الفكر الكبرى ، ثم يصل الى حقائق الاسلام ، وهى الحلقة الثالثة من مؤلفه فيتناول القرآن والوحى .. وتفوق الاسلام على سائر الأديان والوسطية بين الروح والمادة والتكافل الاجتماعى فى الاسلام والنظم الديمقراطية والاشتراكية ، ثم يختم بحثه بدراسة عن التشريع الاسلامى ، وكيف واجه الخلفاء الظروف المتغيرة ، واجتهاد الفقهاء، وتمحيص السند ، وشروط المجتهد فى عرض سلس مبسط .

فاذا انتهى من هذه الصفحات الثلاثمائة ونيف تمثل أمله وحلمه فى عبارات رائعة « انى لأمد بصرى الى مستقبل قريب أو بعيد يجتمع فيه زعماء المسلمين وقادتهم وحكامهم وعلماؤهم فى سائر الأقطار شرقا وغربا فى مؤتمر عالمى ينعقد فى مكة خلال موسم الحج ، يعد مشروعا كاملا لدستور انسانى يستلهم مبادئه ومواده من الاسلام . وتصاغ فى هذا الدستور حقوق الانسان كما يؤكدها الاسلام ، من حق فى الحياة والحرية والكرامة والمساواة ، ومن حق فى العلم والعمل والملكية المشروعة ، وأن يصوغ الدستور بعد ذلك حدود السلطات ، وكيفية تقلدها على أساس من رضا المحكومين الدائم وينظم فوق ذلك علاقة الأمم ، ومختلف الشعوب بعضها ببعض ، وكيفية حل المنازعات التى تقع بينهما على أساس المحافظة على السلام القائم على العدل ، وشجب الحروب وتحقيق التكافل الاجتماعى ، فلا تكون هناك دولة تزداد غنى يوما بعد يوم ، ويموت الناس فيها من التخمة ، ودول أخرى تتردى فى مهاوى الفقر ، ويموت الناس فيها جوعا حتى اذا تمت صياغة هذا الدستور وأحكامه ، صدق عليه المجتمعون فى مكة وأعلنوه دستورا للسلام والتعاون الانسانى » .

وبعد فان كتاب (الاسلام ورسوله بلغة العصر) حجر جديد فى بناء الفكر الاسلامى ، ومرحلة جديدة فى حياة مفكر كبير ما زال يشغل المفكرين والباحثين بآثاره وانتاجه خلال أكثر من ثلاثين عاما ، فاذا كان لنا أن نذكر آثاره ، فان له الى جانب هذه الكتب الثلاث الكبرى التى حاولنا أن نلقى نظرة على ترابطها كحلقات فى تطور تفكير صاحبها له « الثلاثية القصصية » التى صورت تاريخ مصر (١) ازهار (٢) الدكتور خالد (٣) واحترقت القاهرة ، وهى ملحمة ضخمة يتمثل فيها الفن القصصى الرائق والتسلسل التاريخى الدقيق ، والتحليل الأدبى البارع ، على نحو يشهد لكاتبنا باتساع الآفاق فى مجال الدراسات الاسلامية والاجتماعية ، وفى مجال الأدب والفن القصصى .



وانفجرت القنبلة ..!



للاستاذ : يوسف هزاع القرالي
الكلية العلمية الاسلامية
عمان ـــ الأردن

ساعة من الزمان ، وبضع اخرى ، وتحين صلاة الجمعة .. والشمس تمخر عباب محيط أزرق ، تتخلله جزر بيضاء بعضها مائل الى السواد ، وتكاد تصل من السماء كبدها ، وهى ترسل دفء الربيع مع نسمات عليلة ، تذوب معها النفس ، ويصقل بها الشعور .. وابراهيم يقطع الطريق سعيا ، يريد مسجد القرية ، يخلو لنفسه فيه بعض وقته .. ويصل من المسجد مكانا قريبا مطلا على الوهاد ومن خلفها السهول ، التى تعمرهما بساتين الزيتون الكثيفة وكروم اللوز والعنب ، فيجول ببصره ذات اليمين وذات الشمال ، يبصرها ، فما يرى الا لون الطبيعة ، تتخلله طرق ملتوية متعرجة تؤدى بعضها الى بعض ..

ويقف ، وكأنما يعجبه المنظر .. فتتناوشه آراء .. أيجلس هنا يستشعر الدفء ويتلذذ بمناظر الطبيعة الخلابة ؟! أم يدلف الى المسجد يذكر ربه ويسبح بحمده ؟! ويتأوه ، أنه لماذا لم يأت هنا فى وقت غير هذا الوقت ؟!.. وتدور رحى معركة ، ينتصر فيها الايمان ، فيدلف الى المسجد بعد أن يلقى نظرة سريعة وشاملة حوله ..

المكان ساكن .. والجو يساعد على التفكير .. فلا أحد هنا ولا صوت .. فيجلس متخذا له من زاوية هناك مكانا ، ونفسه أكثر ماتكون خشوعا واطمئنانا .. ويخرج من جيبه مصحفا صغير الحجم ، يفتحه ، ويقرأ فيه بترتيله الجميل المعروف ، ما يتيسر له .

وانه ليبقى هكذا ، حتى يرى رجال القرية قد بدءوا يتدفقون على المسجد زرافات ووحدانا .. فينهض ، ليأخذ بين الصفوف له محلا .. يشغل نفسه فيه بصلاة نافلة ، عسى أن يبعثه ربه مقاما محمودا ..

ويلقى الفتى على رجال القرية نظرة عابرة .. ما تلبث أن تستقر على جالس هناك .. كان قد عرفه فأحبه ـــ تستقر على شيخ القرية السابق ، والذى اخذ عنه تلاوة القرآن منذ نعومة أظفاره ، والتى يفاخر بها الزملاء .. ويحسده عليها من اترابه الاعداء .

وتدور خلجات نفسه : يا الهى !! انه الشيخ الصالح (صالح) .. ذاك الذى غادر القرية منذ سنتين ولم يعد .. اذ كان قد قصد حج البيت ، فاستطلب جيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولم يرض عنها بديلا .. آه ، لو أستطيع أن أقوم اليه الآن .. الآن .. احييه وأسأله عن حاله .. وارجوه أن يقف بين القوم اليوم واعظا وخطيبا ، يستعيدون معه الذكريات ويستفيدون من عظاته المفيدات .. ولكن ـــ وهو ما يزال شـــاردا وما كان ينبغى له أن

يشرد ــ قد ارتفع صوت المؤذن للصلاة .. ويدعى الشيخ للخطابة فيستجيب .. فتسرى فى جسد الفتى قشعريرة ، تماما كما يشعر البشر عندما يرون من يعتبرونه عظيما ..

ويصعد الشيخ درجات المنبر بخطى ثابتة رزينة ، أثقلت كاهلها السنون ، ويطلع على الناس بوجه لم يعهدوه من قبل .. رأوا فى قسمات وجهه شيئا جديدا .. لا يدرون ، أهو من تقدم العمر ؟ أم من تصرفات الدهر ؟ أم من ماذا ؟!

ويتكلم الشيخ فتشرئب اليه الاعناق ، وتشخص نحوه العيون .. ويفوه بكلمات تقع على القلوب فتمسها مسا لطيفا شفيفا ، بعد أن يمهد لها بمقدمات تقع على السامعين بردا وسلاما .. ثم يصمت .. ويلقى على المصلين نظرة .. فيها حزم وفيها رأفة .. فيها قسوة ، وفيها رحمة ثم يبدأ بالجهاد .. « ألا حى على الجهاد » .. ويهيب برجال القرية أن يحملوا السلاح ويتدربوا على استعماله ، لمواجهة الخطر المحدق .. وصد الاعداء بالنفس والنفيس .. بالغث والثمين .. فتنزل دموع .. وتسكن أنفس .. وتتشجع قلوب .. ويقوى الشيخ عضدهم باشهادهم على نفسه ، انه ما جاء من بلد الرسول .. وما فارق الحبيب .. الا ليجاهد فى سبيل نصرة الحق .

وتنتهى الصلاة .. ويلتقيان .. أستاذ مخلص بطالب بار .. معلم بتلميذه .. فيتجاذبان أطراف الحديث ــ وينتهزها الشيخ فرصة .. ذهبية ــ يتحدث فيها للفتى حديث قلوب مؤمنة يتحدث اليه عن الجهاد .. عن الحرب .. عن المستقبل .. عن كل شىء .. ويعى الفتى حديث أستاذه القديم .. ويعيش كلماته كلمة كلمة .. ثم يفترقان وفى نفسهما ما فيها ..

وتدور فى خلد ابراهيم حروب هائلة .. فيها تقرير للمصير .. تدور بين العاطفة والفكرة .. انه متحمس وشجاع .. ولكنه يخشى أن تكون هذه عاطفة دون افكار .. واخيرا .. يرى أن ما بخلده فكرا يمتزج مع عاطفة .. وعاطفة تختلط مع فكر : « يا الهى !! الى متى سنبقى هكذا ؟! الى متى ستبقى مقدساتنا أماكن يعيث بها اليهود فسادا ؟! والى متى سيبقى وطننا أسيرا ، يستغيث ولا مغيث ؟! » .. ولكنه طالب ما يزال .. نعم طالب .. ولكن لا عليه .. فما المانع فى الجمع بين العلم والجهاد ؟! يستطيع أن يتعلم ، ويستطيع ان يحمل السلاح بانتظار الاشارة ..

نعم !! لا بد من الفداء !! لا بد من التضحية ؟!

ولماذا يتأخر ؟! اليس الجهاد حرفة الاباء .. وصنعة الاجداد ؟!

وتدور افكار .. مرة اخرى : « والدى ــ رحمه الله ــ خر شهيدا على الثرى الذى جاهد دونه ــ يدفع لصوص أرض واعراض وأديان .. والدتى العجوز .. طالما سمعتها فى قرآن الفجر تدعو ربها أن يهب لبنيها شهادة فى سبيله .. اخى أحمد طالما روى لى قصص البطولة والتضحية .. واغلب الظن أنه سيتطوع كذلك .. »

ويبتهج الفتى لهذه الافكار .. ويدخل السرور الحقيقى قلبه بعد طول نأى .. وأنه لمسترسل بهذه الافكار ، حتى يصل البيت .. فيجد أخاه أحمد جالسا يفكر .. بل غارقا فى التفكير فيحدثه ما بنفسه .. فينظر اليه اخوه نظرة ملؤها العطف .. ويقول بصوت أجش « اذا سنذهب معا ان شاء الله » .. وما أن يسمع ابراهيم هذه العبارة حتى يهوى عليه لثما وتقبيلا .. ويبارك احمد .. وتترقرق من عيونهما دمعات .. دمعات فرح واستبشار .. دمعات عزم

وتصميم ..
وفى هذه الاثناء ، تدخل الحجرة عجوز .. تقوس ظهرها .. وشـــاب راسها .. فتظهر عليهـــا علائم الاستغراب .. وتضطرب .. فهى لا تدرى ما السبب .. ولعلهـــا توقعت سوءا .. ولكن احمد يبادرها ، فيروى لهـــا القصة .. ويطلب منها الدعاء بالتوفيق ..

وتطرق الأم لحظة .. لترفع راسها بقوة .. وفى عينيها بريق فرح .. لتقول بصوت ثقيل فيـــه حماس « لقد سمعت انبـــاء الحشود اليهودية ، من جيراننا .. فقررت فى دخيـــلة نفسى أن أطلب منكما الاستعداد لدرء الخطر المحدق .. ولكنكما بادرتمونى .. فشكرا لله .. وحمدا له » .
وتتابع قائلة « ولا أكتمكم الخبر ، اننى أحتفظ بمبلغ من المال للطوارىء ، ولمثل هذه الايام .. واننى سأعطيكموه .. تنفقونه على اخوانكم المجاهدين .. وعليكم ..

ويستمر الحديث .. ويتشعب شجونا .. حديث الفداء والتضحية .. حديث المجاهدين وكيف كان المرحوم والدهما يقود جحافل المجاهدين بكل عزم وتصميم .. حتى سقط مضرجا بالدماء ..
وتند من عينى الأم دمعتان .. يسود بعدهما صمت .. تقطعه الام بصوت متقطع « رحم الله أبا احمد .. وأسكنه فسيح جناته .. لقد كان مثالا للرجولة ، حتى استشهد ، واننى لا أريد منكم الانتقام ، ممن قتله وقتل غيره من المجاهدين ظلما وعدوانا .. اواه .. متى تصبحون مثله ؟!.. »

ويتفرقون .. ويذهب كل الى سبيله ..
ويبقى ابراهيم .. يبقى مشغولا بالعبـــارة الاخيرة : « متى تصبحون مثله ؟ » .
ويأتى الليل .. ويلف القرية بسواده البهيم .. وتنام العيون .. وتسهر عينا ابراهيم .. يستسلم الجميع الى النوم ، ويغرق الفتى فى التفكير .. متى أصبح مثل أبى ؟!.. متى أسقط مضرجا بالدم على ثرى أرض المقدسات ؟!.. متى أستجيب لداعى الله ؟! متى .. متى ؟!
ويشعر أن هاتفا يقول له : قريبا .. ويخيل له أن الهاتف حقيقى ، فيلتفت حوله ، فلا يرى شيئا .. ولكنه يسمع الساعة تدق دقة واحدة بعد منتصف الليل ، فيعرف أنه لا يزال سابحا فى بحار من الافكار .. فيطبق جفنيه للنوم .

وتفيق الأم على صوت المؤذن يدعو الخلق لصلاة الفجر .. فتوقظ ولديها ، ليصلى بهم أحمد صلاة خاشعة يرتل فيها القرآن ترتيلا ملائكيا ، تذوب نفوسهم فيـــه ، وتخشع قلوبهم لسماعه ، حتى لم يعد للدنيـــا فى نفوسهم مكان .. ولا شبه مكان ..
وتنقضى الصلاة .. فيخرج الفتى يتأمل الفجر .. يرى فيه جمال الخلق ، ويتحسس دقة الصنع .. فيعود ليمسك بكتاب الله يقرأ فيه ما يتيسر له حتى تبزغ الشمس وترتفع قليلا .. فيتوجه الاخوان الى مراكز السلاح .. يتسلم كل منهما بندقية وذخيرتها وبعض المتفجرات ..

ويتوجه ابراهيم الى مدرسته بعد قليل .. فتنتابه — وهو فى طريقه — أفكار شتى .. « هذا الشباب المتدفق حيوية .. لماذا يركن الى اللهو ؟! لماذا لا يتوجه بفكره وعلمه الى ما فيه صالح الامة ؟! لماذا لا يتسلحون وفيهم حرارة الشباب ، وعنفوان العزم ؟! أليس من الذل والصغار أن لا يعرفوا حمل السلاح ولا استعماله وهم فى مثل هذه السن ؟! وما عليه اذا دعاهم لذلك ؟! ويصل المدرسة وهو شارد بهذه الافكار .. ويعرض الامر على زملائه ، ويشرح لهم خطورة الموقف .. فيوافق سوادهم . ولم لا ؟ وهم يثقون به ثقة كبيرة .. وهم يعرفونه ويعرفون غيرته .. ولا يدعونه الا بالشيخ ابراهيم وتطمئن نفس الفتى (الشيخ) لهذا الاقبال .. فيحمد الله كثيرا .. ويعرف أن فى أمته ، من يقدرها ..

وما هى الا أيام ، وتتوارد الانباء عن زحف اليهود .. فيهب ابراهيم سريعا ويمر بزملائه على عجل ، ليلتقى بهم فى مكان ما ، يصنعون البطولة ، ويذودون عن حياض وطنهم ، ويدفعون عن أمتهم غائلة الغدر ..

ويختار الفتى عملا له .. أن يشاغل العدو فى المقدمة كى يؤخر سيره . فتستعد القوات الاستعداد الكافى لمثل هذا الزحف ، فيتدجج بالسلاح ويزرع جسمه متفجرات والغاما .. ويتوجه سريعا الى حيث يتقدم العدو .. فيكمن فى الطريق ..

وتحور الذكريات فى نفسه .. وكأنما هى آخر لحظاته بالدنيا .. وانه ليتذكر قول والدته : « متى تصبحون مثل أبيكم ؟! » فيكاد قلبه يطير ليخبرها انه قد صار مثل أبيه .. ولكن هذا ليس مهما .. فتسكن نفسه .. نعم !! انه لا يريد الفخر بأنه شجاع .. ولكنه يريد شهادة فى سبيل ربه ، يلقاه بها وهو عنه راض ..

وتتقدم دبابة خلفها أخرى .. فيلقى بنفسه أمامها ، فتتفجر معه وتطير أشلاؤها وأشلاؤه فى الجو ، ويبقى على الارض منها حطام .. فيتوقف الزحف ..

وتدور المعركة .. ويضرب زملاء ابراهيم من البطولة أمثالا .. ويعيشون سحابة يومهم على أزيز الرصاص ، وأصداء التهليل والتكبير .. ويجبرون العدو على التولى تاركا آثاره تروى قصة العدوان .. وقصة البطولة .

ولقيت أخاه أحمد بعد أيام ، فروى لى القصة .. حتى اذا بلغ آخرها تدحرجت من عينيه دمعات ، تبعتها منى مثلها . وساد صمت ، قطع حبله أحمد بقوله : أتظن يا أخى أن هذه الدموع ، دموع تخاذل واستكانة .. أو دموع حزن على الشهداء ..؟ كلا !! انها دموع الشوق للقاء ابراهيم ، وأمثاله ، أولئك الذين يمرحون الآن طيورا بين أفنان الخلد .. نعم !! دموع الشوق الى اللقاء ..



الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

فى الميراث :

توفيت امراة عن : بنتى اخيها .
فهل يرثان منها ؟

(م. ا. غ.)

الجواب :

بنتا الاخ من ذوى الارحام ، ومرتبة ذوى الارحام فى الارث بعد اصحاب الفروض والعصبات بمعنى انه اذا وجد قريب للمتوفى صاحب فرض او عاصب فلا يرث ذوو الرحم .

فاذا كانت المتوفاة ليس لها احد من اصحاب الفروض كالأم او الأخت او البنت او احد من العصبات كالأب والأخ فان ارثها يكون لبنتى أخيها مناصفة اذا لم يكن لها ورثة سواهما .

صندوق التوفير :

اودع شخص اموالا فى البنك بصندوق التوفير مقابل فائدة .
فما حكم هذه الفائدة ؟

حسن راغب محمد
الكويت

الجواب :

الاموال المودعة بصناديق توفير البنوك او البريد ويتقاضى عنها فائدة لا يخلو اما أن تكون فائدة ربوية عن المال المودع او تكون منفعة جرها قرض .

والربا حرام ، قال تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » والقرض الذى جر منفعة حرام أيضا قال عليه الصلاة والسلام « كل قرض جر نفعا فهو ربا » اى حرام .

ويبنى على ذلك حرمة الربح الذى يؤخذ من البنوك او البريد — ومن ثم فيحرم اخذه والانتفاع به — لكنه لا مانع من اخذ الفائدة اذا كان الايداع فى بنوك أجنبية ، وصرفها الى جهة فيها مصلحة عامة للمسلمين ، اذ ان فى أخذها منعا للأجانب من الاستعانة بها على المسلمين .

نقل القلب :

اخترع الطب الحديث عملية نقل القلب من انسان الى آخر . فهل يجوز ذلك شرعا ؟

(فرج بوان مكر ص ب ١٥ لاموكينيا)

الجواب :

لا شك فى ان الاسلام يحرم الاعتداء على الانسان حيا وعلى جثته ميتا قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم » . فنقل القلب من انسان الى آخر فيه تمثيل بجثته وهو ممنوع شرعا .

ولكن الشريعة الاسلامية تجعل دائما مصلحة الانسان مناطها وهدفها ومن ثم فلا ترى مانعا من شق بطن الحامل اذا ماتت لاخراج الجنين اذا غلب على الظن حياته ، كما لا ترى مانعا من شق بطن الميت اذا ابتلع ذهبا قبل وفاته لاخراج هذا الذهب لينتفع به الاحياء . اعمالا للقاعدة الشرعية : (الضرورات تبيح المحظورات) وكذلك لم يتردد أحد من فقهاء هذا الزمان فى جواز نقل الدم من انسان الى آخر عند الحاجة الى الاسعاف . وقد وجدت بنوك للدم وبنوك للعيون بكثرة فى كل الجهات ، ولم يقل أحد من العلماء بتحريم مانقوم به هذه البنوك .

ومما لا خلاف فيه ان القلب هو العضو الرئيسى فى الانسان ، ولا يعيش انسان فى هذه الدنيا بدونه لانه اذا توقفت حركة قلبه فارق الحياة الدنيا فورا ، ومن ثم فان نقله من انسان الى آخر أثناء حياته ــ باعتبار أنه يغلب على الظن وفاته ــ غير جائز شرعا اذ أن نهاية الآجال لا يعلم وقتها سوى الله جل شأنه .

ولكن اذا مات الشخص وكان نقل قلبه من الممكن انتفاع الحى به . فلا مانع من ذلك ترجيحا لمنفعة الحى على الميت وهذا الجواز مقيد بأن يأذن الشخص نفسه بذلك أثناء حياته ، أو يأذن أولياؤه بعد وفاته اذا كان معروفا . . .

السؤال :

رجل عقد زواجه على بنت بكر تبلغ من العمر تسعة عشر عاما ، وبعد العقد طلب والدها من زوجها الدخول بها فسافر الى خارج البلاد وغاب اربع سنوات، ثم رجع وطلب الدخول بزوجته فطلب منه نفقتها مدة غيابه فامتنع وسافر مرة أخرى بدون أن ينفق عليها او يدخل بها . فهل لها الحق فى أن تطلب تطليقها منه ؟

(حسن بن محمد . بن م) .

الجواب :

المقرر شرعا ان هجر الزوج لزوجته بدون سبب مشروع موجب اذا طلبت لتطليقها منه ، كما أن غيابه عنها سنة فأكثر بلا عذر مقبول يجعل لها الحق فى أن تطلب الى القاضى تطليقها بائنا اذا تضررت من بعده عنها ، ولو كان له مال تستطيع الانفاق منه . ولو امتنع من الانفاق عليها واصر على ذلك ، طلق عليه القاضى فى الحال .

وبما أن الزوج المذكور غاب عن زوجته أكثر من سنة ، ثم حضر وامتنع من الانفاق بعد أن طلب منه ، واصر على عدم الانفاق ثم تركها وسافر الى خارج البلاد فيكون لها الحق فى أن ترفع أمرها الى القاضى وتطلب تطليقها من زوجها مؤيدة ذلك بالدليل لقوله تعالى : (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) .

□□□

التنزيل والحضارة :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ الشيخ محمد رمضان يقول .

ان هذه الحضارات التى دعا اليها الأنبياء نشأت أول ما نشأت على اساس معرفة الله والايمان به الها واحدا قديرا حكيما توحيدا للمسئولية ، وبعثا للهيبة والخشية من قدرة الله تعالى حتى يتكون الوازع الدينى فى النفوس ، فتعمل مخلصة متعاونة فى نطاقها الانسانى الفسيح .

وينهض الدين من هذا الأساس الى العناية بعناصر الحضارة ينظم طاقاتها لتحقيق الحياة الكاملة التى دعا الله اليها بقوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) وهذه العناصر هى الانسان والأرض والوقت . وقد عنى الدين بالعنصر الأول بوصفه أهم العناصر ، فانه العنصر الذى منه واليه يرجع فضل الحضارات ومزاياها .

لقد دعا الى تعليمه وتهذيب نفسه ، وبعث عواطفه الخيرة ، وصقل شعوره ووجدانه ، واعداده اعدادا صالحا بعد تخليته عن الرذائل والشوائب والرواسب النفسية والخلقية على أساس من الرغبة والرهبة ، وبهذا يتكون العنصر الروحي فى كيان الحضارة وهو القوة الرهيبة المسيطرة التى تولد الطاقات الخلاقة فى مادتها ، وقد عنى الدين بوسائل التهذيب بما فرض من عقائد وعبادات لتحقيق الغاية منها فى خلائق الاحسان والصبر والاخلاص والتعاون متقصيا فى ذلك أغوار النفس وظلمات القلب وخلجات الصدر ومجريات السر ، حتى اذا ما علم الانسان (انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) باشر عمله عن أمانة واخلاص واحسان .

وعلى أساس من صنع الانسان فى عواطفه ووجدانه وشعوره يستطيع أن يتفاعل هذا العنصر الانسانى فى مادة الحضارة مع عنصريها الآخرين الأرض والزمن ، حتى يستخرج من الأرض كنوزها وثمارها ، ويشق أنهارها ويحيى مواتها ويغرس أشجارها ويستنبت زروعها ، وينحت أحجارها ويرفع بناءها ؛ ويمتطى سحابها ويخوض بحارها ويستخرج طاقاتها ويصنع موادها ، حتى يحقق بذلك حياة طيبة رضية ناعمة بالحب والسلام .

من هنا نرى كيف أن الدين قد حرص على استخدام العناه لاقسة للحضارة على وجه يجعلها لخير الانسانية .

ولقد خسر الذين قالوا ان الاسلام يعوق الحضارة ويقف بالانسانية عند حدود ضيقة ، ولعل أفكارهم قد ارتدت حسيرة على واقع المسلمين وحاضرهم ، وما يرونه فى بلدانهم من فقر وحرمان وجهل ومرض وانحطاط ونقص فى الأموال والثمرات وتأخر فى الفنون والصناعات ، ونحن لا ندعى أن ما عليه المسلمون الآن يمثل حضارة الاسلام ، بل يمثل حضارة شوهاء لا هي شرقية ولا غربية ولا هى دينية ولا غير دينية ، انما هى كثوب من مرقعات عديدة لا تخلق شخصية ولا تبعث على تقدير .

ان حضارة الاسلام كانت أزهى الحضارات ابان اعصارها الأولى ، عصور العلم والايمان والمعرفة والقوة حين كانت تنشر الحق والعدل والمساواة والأمن والسلام ، وتنظر الى البلاد المفتوحة نظرة الاخاء والوفاء ، ويوم كانت ←

الحظوظ من الطيبات ليست قصرا على الأغنياء دون الفقـــراء ، ولا على بعض الشعب دون بعض كما هو واقع الآن .

المدارس الأجنبية

وتلقينا من الأستاذ محمد رشيد عويد من حلب كلمة بهذا العنوان جـــاء فيها :

ذهبت فى زيارة الى احدى هذه المدارس وهذا اهم ما لاحظته هناك . . .

اولا : جميع الدروس تعطى للطلاب بلغة أجنبية .

ثانيا : منهاج الدراسة يختلف كل الاختلاف عن المنهاج الذى وضعتــه الحكومة للمدارس الوطنية . . ففى الجغرافيـــا يدرسون مصور فرنســـا . . وسكانها . . وانتاجها . . الخ . . وفى التاريخ يدرسون الثورة الفرنســـية . . وفتوحات نابليون وبطولاته . .

ولكى أرى مدى تأثير ذلك فى نفوس الطلبة هناك ، قابلت أحد الطلبة . . وسألته أن يحدثنى عن نابليون . . . فانبرى يتكلم أشياء كثيرة واسعة . . لدرجة انه زادنى ثقافة . . وأضاف الى معلومات جديدة . . لم أكن أعرفها عن نابليون . عندها سألته ان يحدثنى عن خالد بن الوليد فقال انه بطل . . وقائد عربى . . له انتصارات . . وبطل . . و . . ولم يستطع أن يتابع ماذا يقول . . ماذا يعرف حتى يقول . . وقد أمضى سنين دراسته وهو يتعلم عن قواد فرنسا وعظمـــاء فرنسا وفلاسفة فرنسا .

ومما يحز فى النفس ، ويبعث فيها الألم والحسرة ، ويزيدها حزنا ، ما سمعته من أحد أولياء الأطفال الذين يربون هنـــاك . حدثنى والد هذا الطفل قائلا :

لقد أخذتنى الدهشة وتملكنى العجب حين رأيت طفلى يؤدى تراتيل غريبة وعندما استفسر منه ، علم أنهم — أى ناشرى العلم الأفاضل — قد علموه هذه الصلاة . . التى لا تمت بأية صلة لدينه . .

أريد من حضرات الآباء الكرام حين يرسلون أولادهم الى هذه المدارس ان يعلموا الى اين هم ذاهبون . . ومما سبق نستطيع أن نحدد الثمار التى يجنيها المستعمر من انشائه لهذه المدارس :

اولا : تعد هذه المدارس وسيلة كبرى من وسائل الدعاية لأصحابها . . فهى تؤدى لهم أعمالا لا تؤديها السفارات والقنصليات .

ثانيا : تستطيع أن تسير النشء الذى يتلقى العلم فى معاهدها عن طريق لا تستطيع فيها أن تسير الكبار الذين ربوا تربية عربية أصيلة .

ثالثا : تفتيت الوحدة المتماسكة لمجتمعنا العربى ، واحداث فجوات ينفذ منها المستعمر الينا عندما يشاء .

رابعا : كثيرا ما يقوم العاملون فى المدارس . . باعمال خارجة عن نطاق التعليم . . كالتجسس واحداث الاضطرابات . . ونشر الشائعات . . فى فرص تسنح لهم .

ان أبناءنا عدة مستقبلنا ، وركيزة غدنا المشرق . . المليء بالأمل والنور ، تلهو بهم أصابع استعمارية . . وتشـــكل عقولهم كيفما تريـــد . . وعواطفهـــم حسبما تشاء . .

وأخيرا ، وأملنا بالله كبير من الحكومات العربية المبادرة فى ايقاف هذه المدارس عند حدها . . والله ولى التوفيق .



امة محاربة

الدول العربية كلها فى حالة حرب مع اسرائيل من سنة ٤٨ الى الآن ، ومرت بها تجارب استغرقت عشرين عاما أزداد العدو فيها شراسة وتوسعا فالى متى وما الخطة لاجلائه عن أرضنا ومقدساتنا .

سعيد مبنونة ــ المغرب

الخطة يا سيدى التى لا بديل عنها هى خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هى تعبئة الأمة كلها وتربيتها تربية حربية ، وحشد طاقاتها للمعركة . يجب أن تتحول الأمة كلها الى أمة محاربة . برامجها حربية ، ومناهج تربيتها حربية وأهلها كلهم جنود . الطفل جندى صغير ، والشيخ جندى كبير ، والبيت مدرسة حربية الأم معلمة ، والزوجة ممرضة الزوج ، الفتاة لا ترضى بغير الفدائى زوجا ، والاموال والثروات كلها فى خدمة المعركة .

يجب أن تختفى من حياة الأمة مظاهر التحلل والميوعة والسرف والبذخ ، يجب أن يقضى على عوامل الهدم والتدمير التى افسدت الأخلاق وأوهنت العزائم ، وجعلت الأفراد يستسيغون حياة الترف الذليل .

أن الفترة التى قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة بعد الهجرة وبعد الاذن بالقتال فى السنة الثانية من الهجرة كانت سلسلة طويلة من السرايا والغزوات خرج فيها الرسول بنفسه أو أناب عنه أحد قواده ، وقد وقف المسلمون فى هذه الفترة التى تقارب تسع سنوات فى وجه الدنيا كلها ، وانتصروا لأنهم تحولوا جميعا الى جيش محارب وسبق الشباب الشيوخ الى ميادين المعارك ، وآمن كل مسلم بأنه حارس للاسلام قائم على ثغر من ثغوره ، وأن حياته فداء لدينه وأمته .

ونقدم لك يا سيدى مثلين / رجل وامرأة فأما الرجل فهو أبو خيثمة من صحابة رسول الله تخلف عن غزوة تبوك ، ولم يخرج مع المجاهدين ، فلما دخل بيته فوجد الظل الظليل ، والطعام اللذيذ والشراب الهنىء والزوجة الحسناء تنكر لكل ذلك ، وتذكر رسول الله وصحبه فى غزوهم وجهادهم وقال : رسول الله فى الضح والريح وأبو خيثمة فى ظل وماء وطعام مهيأ وامرأة حسناء . ما هذا بالاسلام ولا بالايمان ثم قال لزوجتيه / والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله وركب راحلته وحمل سلاحه ولحق بجيش المسلمين .

وأما المرأة فهى صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله وقفت فى غزوة الخندق بأعلى الحصن فرأت يهوديا يدور ويلف حوله ، فلم تمهله السيدة المجاهدة بل نزلت وأخذت عمودا من حديد فدقت به عنقه،يوم يتحول المسلمون الى مثل أبى خيثمة والى صفية . يوم تتحول الأمة العربية والأمة الاسلامية هذا ←

التحول . يوم ترى الطرق الى ارض المعركة غاصة بالمتطوعين والمتطوعـات للانضمام الى صفوف الفدائيين . عندئذ ترمز ساعة الخلاص ويحقق الله وعده للمؤمنين بالفتح المبين .

واسلاماه !!

اسمع كثيرا من المسلمين يردد هذه العبارة عندما تنقل الأخبار فظائع الصهيونية واعمالهم الوحشية مع السكان العرب فى الأراضى المحتلة . فمن قائل هذه العبارة؟.

باقر امين

تنسب هذه العبارة الى السلطان المظفر « قطز » الذى خرج من مصر يقود جيش المماليك لصد غارات المغول الذين اسقطوا الخلافة فى بغداد وقتلوا الخليفة ، وهدموا المدن العظيمة شرق العالم الاسلامى ، واستولوا على معظم البلاد العربية والاسلامية فى الجانب الشرقى ، ولم يبق امامهم الا مصر والحجاز واليمن وبعد ان دانت هذه البلاد كلها . ارسل قائدهم هولاكو وهو فى بلاد الشام انذارا الى السلطان المظفر قطز فى مصر يطلب منه الاستسلام ويذكره بأن المغول فتحوا كافة البلاد ولم تستطع قوة أن تقف فى وجههم ، ويقول له هـذا الانزال « وقد سمعتهم بأننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الارض من الفساد وقتلنا معظم العباد فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ، فأى أرض تأويكم واى طريق تنجيكم واى بلاد تحميكم ؟ فما من سيوفنا خلاص ولا من مهابتنا مناص » وفى ذلك الوقت كانت جحافل التتار قد توغلت فى ارض فلسطين حتى بلغت غـزة والخليل ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء والصبيان ، واستقادوا الأسرى واغتصبوا الأبقار والمواشى والأغنام ـ كما يقول المقريزى المؤرخ فى كتابه السلوك تقدم المماليك بجيشهم ، واستولوا على غزة ، واتجهوا شرقا عبر الخليل الى الأردن عن طريق الناصرة لاسترداد دمشق من المغول ، وعندئذ لجأ السلطان قطز الى خدعة حربية ناجحة ، فأخفى معظم جيشه بين الأحراش والأشجار المحيطة بعين جالوت بين بيسان ونابلس ، وترك قطز مقدمة جيشه تتابع سيرها تجاه المغول والتقى المماليك بالمغول فى عين جالوت فى سبتمبر سنة ١٢٦٠ واظهر المملوكى شجاعة كبيرة فى هذه المعركة . وقد حدث أن السلطان قطز رأى عسكره يضطرب فى أول المعركة ، فألقى خوزته من رأسه الى الأرض ، وصرخ بأعلى صوته « واسلاماه » وحمل بنفسه على العدو حتى تم القضاء على المغول قضاء تاما وولوا الأدبار ، وتعتبر هذه المعركة من المواقع الفاصلة فى التاريخ ، فقد انقذ هذا الانتصار مصر والشام من وحشية المغول وهمجيتهم .

وانّنا نرجو أن تكون معركة فلسطين الحالية منقذة لسمعة الاسلام والمسلمين ،،

قالت صحف العالم

قواعد بدء الصيام
والالتزام بأحداها سنويا

لا تزال هناك ضرورة ملحة لاتخاذ احدى القواعد التى يصدر قرار بدء شهر الصوم فى ضوئها ، منهجا سنويا لا تحيد عنه .

ذلك أن التوقف نهائيا فى الجمهورية العربية عن تطبيق احدى هذه القواعد فى عام ، ثم هجرها الى قاعدة أخرى فى عام آخر مسألة تحتاج الى البت النهائى بوصفها من ألزم الامور ، بالنسبة لهذا الشهر الذى يشكل لنحو ٧٠٠ مليون من المسلمين قدسية تنعكس على حياتهم ماديا وروحيا .

ولقد طالبت (الاهرام) فى العام الماضى بضرورة الاتفاق بين جميع الدول الاسلامية على وسيلة أقدر على تحديد بدء الصوم من رؤية العين المجردة ومظانها ، وأن يكون للعلم كلمته الموثوق بها .

وكان فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر ، وفضيلة الشيخ احمد هريدى مفتى الجمهورية العربية قد أجريا اتصالا فى هذا الشأن تقرر على أثره عرض الأمر على مؤتمر علماء المسلمين (لايجاد مقاييس ثابتة لحسم هذا الخلاف على مستوى العالم الاسلامى) .

وقد حسم المؤتمر هذا الخلاف فعلا ، فى العام الماضى بقراره الواضح انه « وان كانت الرؤيا هى الأصل ، فانه لا عبرة باختلاف المطالع حتى ولو تباعدت الأقاليم الاسلامية ، ما دامت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤيا » .

ولقد اهاب علماء المسلمين بكافة الشعوب الاسلامية (مراعاة توحيد المقاييس ومراعاة الاتصال بالمراصد الموثوق بها) .

ومهما يكن من أمر فان الاستجابة الى توصية المؤتمر قرار متروك لكل دولة اسلامية ترى فيه رأيها ، ما دام هذا القرار غير ملزم للهيئات الدينية الرسمية بها ، والى حين اجراء اتصال واتفاق مباشر فى هذا الشأن بين جميع هذه الهيئات .

ولكن الموضوع الذى يطرح نفسه بالحاح على الفور ، فى ضوء أنباء الخلاف المتجدد حول رؤية الهلال ، والذى فرض نفسه على أنباء الأمس هو أن الجهات المختصة بالجمهورية العربية مطالبة باعلان قاعدة موحدة تتخذها منهجا سنويا ، والتى تحدد بمقتضاها بدء شهر الصيام .

ان تحديد هذه القاعدة يجب أن يكون واضحا امام شعب مصر من جهة ، وامام المسلمين والحكومات الاسلامية من جهة أخرى ، وتلك خطوة تمنع الكثير من البلبلة والتكهنات ، ويمكن أن تنطلق منها الى تطبيق شامل لهذه القاعدة على مستوى (٧٠٠) مليون مسلم .

مذكرة كويتية هامة

يتضاعف اهتمام الجهات العليا فى الكويت بتطورات الوضع العربى هذه الأيام ، وقد نشرت صحيفة السياسة الكويتية ملخصا للمذكرة التى بعثتها وزارة

الخارجية لجامعة الدول العربية ، جاء فيها :

« ان آمال الشعوب العربية معلقة اليوم على العمل الفـــدائى ، وهذه الشعوب على حق فى موقفها وهي ليست الأولى فى العالم التى ربطت آمالها بمثل هذا العمل ، فمن قبلها حقق الفداء ثماره ، وتاريخ فرنسا شاهد على ذلك اذ تمكن العمل الفدائى من تحطيم الاحتلال النازى ، وكذلك يوغوســـلافيا التى تمكنت بالعمل الفدائى من قهر جحافل هتلر ومثلها معظم بلدان أوروبا التى كانت فى احلك سنوات الحرب تحت وطأة اثقل احتلال عرفه التاريخ .

وتتساءل المذكرة بقولها :

الم تلجأ هذه الدول الى المقاومة الفدائية ؟

الم تنتصر وتحقق أهدافها بضربات محكمة سددتها الى المحتل وهو فى اوج عزته وجبروته فعجلت فى انهياره بعد أن اثخنته بالجراح وصدعت قوله ؟

الم يجبر العمل الفدائى العدو على شـــطر قواته لمقــــاومة الثورات فى الداخل فأضعف بذلك جهوده الحربية خارج نطاق الأراضى المحتلة ؟

وتشير مذكرة الكويت للجامعة العربية عن الحوادث المتعاقبة وعما تعرفه الحكومة الكويتية من اسرارها وملابساتها فى ضوء معلوماتها السياسية فتقول بهذا الصدد :

لقد بلغ من الاصرار الاميركى حدا خلال حرب ٥ حزيران الابقـــاء على الوضع الراهن فى المنطقة على ما هو عليه ، مما جعل الرئيس جونسون (وهذا سر يكشف لأول مرة فى العالم !) يأمر الأســـطول الســــادس بالتحرك الى الشواطىء الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وبالاســـتعداد للتدخل فى القتال وانزال رجال (المارينز) للوقوف بين العرب واسرائيل ومنع العرب من اجتياح الأراضى الاسرائيلية ، وذلك بعد أن انتشرت فى العـــالم الأنبـــاء التى كانت تنشرها الاذاعات العربية وتضمنها معلومات عن انتصارات عربية وهمية وعن تدمير اسرائيل .

وتقول المذكرة فى ايضاح معلوماتها (العالمية) :

ولما تبين للمسئولين الاميركيين أن هذه الأنباء انما كانت للاستهلاك المحلى صدرت أوامر عسكرية (عاجلة) ومعاكسة الى الأســـطول الاميركى بعد أن تحرك فعلا وأعد العدة للقيام بعملية انزال على شواطىء اسرائيل .

وتستطرد المذكرة الكويتية فى كلامها فتقول :

ان هـــذا المنطق المدعوم بالوقائع التاريخية الثابتة يدعو الدول العربية الى التساؤل بالنسبة لقضية فلسطين كيف يكون الحل ، وعما اذا كان ينبغى أن يشيح العرب بوجوههم عن كل حل عسكرى يعتمد على القوات النظامية ، فجواب الكويت الفورى على ذلك هو التالى :

لا .. فالعـــدو الاسرائيلى يعتمد على جيش منظم معـــد للعـــدوان اثر العدوان ، ولا بد للعرب من التنظيم والاستعداد لصد العدوان النظامى بحيث يصبح فى وسعهم القيام بهجوم نظامى مضاد ، ولذلك فمن المتوجب على الدول العربية أن تعد جيوشها النظامية اعدادا كاملا لتصبح فى مستوى جيش العدو الطامع بالأراضى العربية .

وأشادت المذكرة الكويتية ببطولات وشجاعة رجال المقاومة الفلســـطينية مؤكدة استعداد الحكومة الكويتية لتدعيم العون المــــالى والنفسى لها مناشدة العواصم العربية الى مزيد من التضامن لدعم العمل الفدائى .



اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت : صدر بيان مشترك بعد انتهاء زيارة جلالة شاه ايران للبلاد أشار فيه الجانبان الكويتي والايراني الى ضرورة انسحاب اسرائيل من الأرض المحتلة ، كما أيد البيان حقوق شعب فلسطين .

□ صرح سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء انه لم يبق أمام العرب سوى الاختيار بين الاستسلام أو الصمود والجهاد ، وأعلن سموه تأييده التام للفدائيين الفلسطينيين بكل قوة .

□ أقر البرلمان الكويتي مشروع قرار يقضى بتغريم المجاهر بالافطار فى رمضان مائة دينار على الأكثر ، أو بالحبس مدة لا تزيد عن شهر .

□ وافق مجلس الوزراء على الاشتراك فى مؤتمر الدول الاسلامية الذى سيعقد فى كوالا لامبور بماليزيا خلال شهر ابريل القادم لدراسة تفاسير القرآن .

□ توالى وزارة التربية اهتمامها بتطوير التعليم فى الخليج والجنوب العربى ، وقد وصل عدد المدارس التابعة للكويت فى الخليج الى ٣٣ مدرسة ، ووضعت الوزارة خطة خمسية مع معهد التخطيط التابع للأمم المتحدة لهذا الغرض .

□ بمناسبة شهر رمضان دعت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الداعية المعروف الشيخ محمد الغزالى مدير الدعوة بالمتحدة لالقاء عدة محاضرات ودروس بمساجد الكويت ، وكذلك الشيخ حسن طنون من السودان لهذا الغرض ، كما دعت القارىء المعروف الشيخ محمود الحصرى لقراءة القرآن فى ليالى رمضان المبارك . .

القاهرة : عنيت القيادة العسكرية بالتوجيه الدينى فى صفوف الجيش ، واكثرت من الوعاظ المدربين لهذه الغاية لتكوين مقاتل ذى عقيدة روحية .

□ عقد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف عدة اجتماعات مع كبار المسئولين فى الأزهر ، وطلب اليهم موافاته بما أسفرت عنه بحوث اللجان الفنية والادارية والمالية ، وكل ما يتصل بقانون تطوير الأزهر .

□ بعثت الجمهورية العربية المتحدة بعض كبار المقرئين الى الدول الاسلامية لاحياء ليالى شهر رمضان .

السعودية : أصدر المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى عدة قرارات هامة يستنكر فيها تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم ، ويناشد جميع الدول الاسلامية مقاطعة اسرائيل .

□ نظمت رعاية الشباب بوزارة المعارف مسابقات جديدة بين مدارس الوزارة جعلت موضوعاتها موضوعات اسلامية بحتة .

العراق : أصدرت حكومة العراق قرارا يقضى بمحاربة التحلل الأخلاقى ، ←

ومعاقبة كل من ترتدى الفساتين القصيرة ومسؤولية كل مدير فى ادارته عن تنفيذ ذلك .

الأردن : توترت العلاقات فى الشهر الماضى بين حكومة جلالة الملك حسين وبين المنظمات الفدائية بعد أن اندست بعض العناصر فى صفوف الفدائيين الا أن التوتر سرعان ما زال بالتفاهم المتبادل .

□ زار رئيس الوزراء ووزير الخارجية عدة دول عربية للتشاور ، كما خرج وفد يمثل المنظمات الفدائية الفلسطينية فى جولة لاجراء محادثات مهمة حول شئون فلسطين مع الزعماء العرب .

□ تطورت أعمال الفدائيين الفلسطينيين نحو الجهاد الشعبى ، وقد قام الفدائيون بأعنف انفجار دمر السوق اليهودى فى مدينة القدس ، وقتل وجرح عدد كبير من الاسرائيليين .

□ أصدر المؤتمر الخامس عشر لليونسكو المنعقد فى باريس من ١٠/١٥ الى ٦٨/١١/٢١ قرارا بالاجماع يطالب فيه اسرائيل بالانسحاب من الأرض العربية المحتلة ، وادانة ضم القدس ، ويطالب بعدم التعرض للآثار والمعالم الاسلامية بالقدس .

□ سيقوم ضباط أردنيون بتدريب بعض رجال الشرطة فى قطر .

لبنان : عقد مؤتمر حقوق الانسان فى بيروت فى أوائل ديسمبر الحالى .

اليمن الجنوبية : احتفلت جمهورية اليمن الجنوبية بالذكرى الأولى لاستقلال البلاد .

الخليج العربى : تأجل اجتماع حكام أمارات الخليج الذى كان مزمعا عقده فى أمارة قطر الى أجل غير مسمى .

السودان : أكد السيد اسماعيل الأزهرى تأييده للعمل الفدائى الفلسطينى الى جانب تقوية الجبهة العربية كما أكد ضرورة عقد مؤتمر قمة عربى بعد تجميد مهمة مبعوث الأمم المتحدة الى الشرق الأوسط .

ليبيا : زار وفد اسلامى سعودى ليبيا كما زارها أيضا وفد اسلامى أردنى برئاسة الشيخ عبد الحميد السائح وزير الأوقاف الأردنى ، وقد أجرى الوفدان عدة مباحثات اسلامية مع المسؤولين .

□ قررت وزارة التربية والتعليم الليبية تخصيص ٢٠ منحة دراسية لطلاب من الجمهورية العربية اليمنية وقد بدأ الطلاب دراستهم فعلا بكلية المعلمين الليبية .

المغرب : تراس الملك الحسن حفل افتتاح الكتاتيب القرآنية الالزامية من سن الخامسة الى السابعة لتعليم الأطفال القرآن .

الباكستان : أقيم فى باكستان فى الشهر الماضى معرض ثقافى اسلامى دعا اليه مجلس القرآن الكريم فى كراتشى وقد حضره مندوبون من معظم الدول الاسلامية .

تركيا : لأول مرة تدعو تركيا أحد القراء المصريين لاحياء ليالى شهر رمضان المبارك وهو الشيخ مصطفى اسماعيل .

الفلبين : رفضت وزارة الخارجية نقل سفارة الفيلبين فى اسرائيل الى القدس لأنها تعتبر القدس مدينة عربية رغم قرار اسرائيل بضمها اليها .

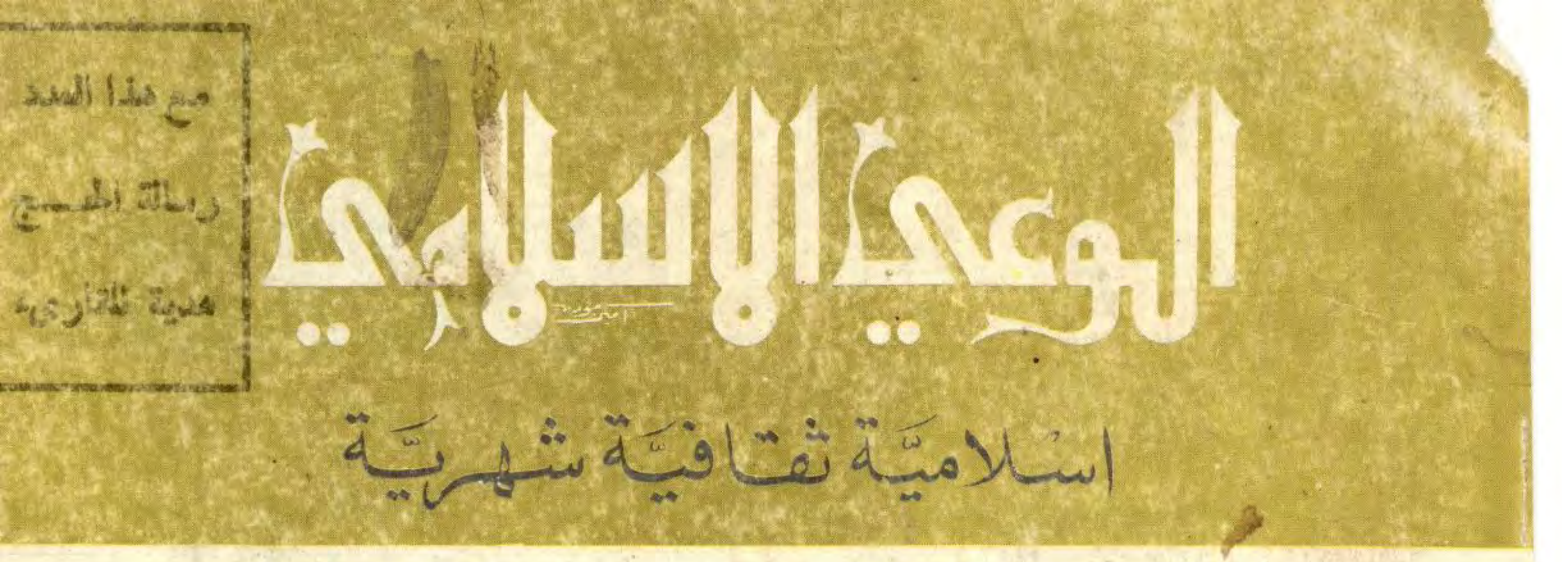
اقرأ في هذا العدد



الحديقة العامة بالكويت ..

تصوير : عظمت شيخ

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت



السنة الرابعة ـ العدد السابع والأربعون ـ غرة ذى القعدة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٩ م

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



الجامع الأزهر ــ أسسه جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله عند بنائه مدينة القاهرة . وبدىء بانشائه فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م) وتم بناؤه فى عامين وبضعة أشهر وافتتح للصلاة فى يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ (٩٧٢م) ولم يزل منذ انشائه الى الآن يحمل مشعل الثقافة الاسلامية .

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة

العدد السابع والأربعون

غرة ذى القعدة ١٣٨٨ هـ

١٩ يناير « كانون الثانى » ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
مصر والسودان	٤٠ مليما
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم



لعل أول الناس حملا للمسئولية تجاه الامة ، ولا سيما فى هذه الظروف الصعبة ، التى تحيط بنا هم : الحكام والكتاب ..

الحكام : باعتبارهم أصحاب الامر النافذ ، الذى يستطيعون به أن يحولوا الكلام الى عمل .

والكتاب : باعتبارهم أصحاب الكلمة الموجهة التى ترسم الطريق أمام الشعب والحكام معا ..

والحكام لهم بلا شك نزعاتهم ، ولهم اتجاهاتهم وظروفهم ، ولهم مع ذلك تفكيرهم ومنطقهم فى خدمتهم لأمتهم ، ولكنهم بلا شك يخضعون أخيرا للصالح العام لأمتهم ، لأنهم أمناء عليها وعلى مصالحها .. أو هكذا يجب أن يكونوا .. او هكذا ما يقولونه ونسمعه ..

والكتاب كذلك لهم نزعاتهم واتجاهاتهم ، وتفكيرهم ومنطقهم ، فى خدمة أمتهم ، ولكنهم بلا شك يخضعون آخر الامر للصالح العام ، لأنهم يحملون أمانة الكلمة ، أو هكذا يجب أن يكونوا ، وما سمعنا من كاتب غير هذا ..

ولهذا نرى وجهات النظر تختلف بين حاكم وحاكم ، أو بين كاتب وكاتب فى الطريق الذى ينبغى سلوكه لخدمة الأمة والنهوض بها .. الا أنه من الواجب أن لا يخرجنا هذا الخلاف عن الاطار السليم ، والطريق المستقيم ، والهدف الغالى للأمة .

وكل من الحاكم والكاتب يتحمل فى سبيل النهوض بمسئوليته الكثير من المتاعب ، والكثير من الاتهامات ، توجه اليه ممن لا يتفقون معه فى رأيه .. أو ممن لا يحبونه ، ويتربصون به ..

ولست أريد الآن التحدث عن واجب الحكام ، وانما أريد التحدث عن واجبنا نحن الكتاب فى هذه الظروف ، أو عن واجب أمثالى على الاخص ، ممن يرقبون (بالرادار) الخاص بهم ، كل خطر يتهدد الأمة فى دينها ووطنها .. أو كل انحراف فى الفهم ، أو اختلاط فيه ، قد يؤدى فى النهاية الى ترك خطوط الدفاع عن دين الامة وعقيدتها مكشوفة للأعداء ، أو يؤدى الى انهيار الحصون التى يجب أن نعسكر جميعا فيها ، ونثبت أمام القذائف والعواصف التى نتعرض لها ..

والكاتب الاسلامى وسط هذه التيارات المتضاربة التى تتعرض لها أمتنا هو اشد الكتاب تعبا ، وأكثرهم تعرضا للسهام — مع أنه لا يصدر فيما يكتب الا عن كلام ربه ، وحديث رسوله ، وغيرته على دينه ووطنه ، ومع ذلك فاننى ارى أو اومن بأن على هذا الكاتب ان يظل حاملا مشعله الذى امسك به ، فان امته — حين تهب عليها العواصف — أحوج ما تكون الى هذا المشعل ، حتى لا تتخبط فى الظلمات وتضيع أمامها معالم النهج المستقيم ..

اقول هذا لأننى فى عدد رجب الماضى ذكرت فى معرض حديثى عن الحرية فى الاسلام ما كتبه أحد الكتاب الدارسين للماركسية بمناسبة حوادث تشكوسلوفاكيا ، عن عناية الماركسية بحرية الانسان ، ولكنها توقت اعطاءه هذه الحرية بانتشارها ، أو اعتناق البشر جميعا لها ، حتى لا يصبح لها أعداء يخشى منهم عليها ، وقارنت بين ذلك ، وبين نظرة الاسلام لحرية الانسان ، ومنحه اياها منذ جاء ، بغض النظر عن كثرة المعادين والمناوئين ، وقلت إن ما فعله الاسلام هو الذى يتفق مع العقل ، ويتمشى مع طبيعة الانسان ، لأن تعليق حرية الفرد فى مذهب على اعتناق البشر جميعا له تعليق على محال .. وتكون النتيجة : لا حرية !

فجاءنى خطاب من احد اخواننا المدرسين يبدى فيه اعجابه بالمجلة ، وبالمستوى الرفيع الذى تظهر به ، وبحديثى عن الحرية .. الخ .. ولكنه ـ مع هذا ـ يعتب على ، لأننى بهذه المقارنة قد أسأت الى اصدقاء وقفوا معنا فى شدتنا ، وأمدونا بالسلاح والعتاد الخ ..!!

وقد كان من الممكن ان اهمل هذا الخطاب ، او اكتب الى صاحبه رسالة خاصة .. ولكننى وجدت انه يحمل وجهة نظر ، احسست أن من الخطر تركها تسرى فى أوساطنا ، ولا سيما بين المثقفين والموجهين ، ومنهم كاتب الخطاب .. لأن مؤدى وجهة النظر هذه : أنه لا يصح لكاتب اسلامى الآن ان يبين لقرائه المسلمين ، تفوق مبادىء دينهم على غيرها من المبادىء ، التى تنتشر بيننا ، وتغزونا فى عقر دارنا ، داعيا اياهم الى التمسك بدينهم ومبادئه !!

لا يصح هذا مراعاة للصداقة أو المساعدة !!

وأحب ان ابادر فأقول : اننى لست من الذين لا يقدرون للأصدقاء مواقفهم معنا ، ولست ممن يغمضون العين عن قيمة ما يمدنا به هذا أو ذاك من مساعدة مادية او ادبية ، نحن فى حاجة ماسة اليها ، ولها قيمتها واثرها بلا شك فى دعم موقفنا أمام عدونا ..

لست ممن يجحد للناس فضلهم ، ولا أدعو الى ذلك ، فان الاسلام علمنا ان نرد الجميل لصاحب الجميل مهما يكن ، وان نرد التحية لصاحبها بأحسن منها (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .

كما علمنا ان حبنا لقوم ، او عداءنا لهم ، لا يجوز ابدا أن يكون على حساب الحق والعدل .

اقرأ معى من سورة النساء « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين » .

واقرأ معى من سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى

واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

هذه أمور نسلم بها لأنها من قواعد ديننا . .

ولكننى لا أسلم أبدا بأن يكون رد الجميل على حساب ديننا وعقيدتنا . . أو على حساب فتور او تقصير أو انحراف فى الدعوة اليه : « فان الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها » .

لا أسلم بأن تكون نتيجة المساعدة والصداقة ان نتخلى عن خدمتنا لديننا ، أو نسكت عن اظهار محاسنه وتفوق مبادئه علي غيرها من المبادىء ، ولا سيما فى الوقت الخطر الذى نرى فيه الهجمات العاتية الشرسة عليه من كل جانب . . ونرى فيه الكتب والنشرات ، والصحف والمجلات ، والاحاديث والتنظيمات ، تعمل دون كلل أو ملل ، ودون خوف أو وجل ، على منازلة الاسلام فى عقر داره ، وزحزحة الشباب عن دينهم ، ورميه بالتأخر وعدم الصلاحية للنهوض بحياتهم . .

اننى أعتقد ان أشد الناس منا حماسا لهذه الصــداقة ، ورعاية لها ، ومحافظة عليها ، لا يسمح أو لا يصح أن يسمح له ضميره الاسلامى ، كرجل مسلم ، أن يسكت فى مجال المقارنة بين مبادئه الاسلامية والمبادىء الاخرى عن اظهار تفوق مبادئه . . ذلك لأن المسلم الرجل هو الذى يعتز بمبادئه ؛ ويشيد بها فى كل الظروف . . ويبادل صديقه صداقته من جنسها ، ويرد له مساعدته على غرارها . . دون أن يؤثر ذلك على مبادئه أو عقيدته . .

ثم اننى اعتقد كذلك ان اصدقاءنا قد كسبوا من صداقتنا ، ان لم يكن اكثر مما كسبناه ، فهو مثــله على الاقل ، ولا اظن ان ذلك مما يخفى على أحد ، فلا اجد حاجة لبيانه .

على اننا لم نر أحدا من هؤلاء قد كف عندهم عن التعريض بالاســلام ومهاجمته وحربه ، مراعاة للصداقة ، فكيف يتصور مسلم ان يسكت كاتب عن اظهار محاسن الاسلام وتفوقه ، مراعاة لصداقة هذا أو ذاك ، وفى ظروف مثل ظروفنا الآن ؟؟!!

ان من الخطــر ــ لا على دين المرء فحسب ــ بل على رجولته وشرفه وشخصيته ــ ان يتسرب اليه ظن أو وهم مثل هذا فيرى أن من مقتضيات الصلة التى تربطنا بغيرنا من الدول أن تفتر حماستنا لمبادئنا ، أو نتخلى عن اظهــار محاسنها وصلاحيتها !!

ذلك لأن العلاقات التى تقوم بين الدول مرتبطة فحسب بالمصالح الدولية ، وبالاخذ والعطاء حول هذه المصالح : سياسية كانت أم اقتصادية ، دون النظر الى اختلاف المبادىء بينها ، وهذا هو الواقع الذى نراه . والذى قرأناه على مر التاريخ .

وكل دولة وقفت مع دولة او ضدها ، انما أتخذت موقفها هذا أو ذاك على ضوء مصالحها ، ولهذا نرى كثيرا من الدول غيرت وتغير مواقفها تبعا لهذه المصالح .. فالمصالح المشتركة — اذن — هى التى تصنع المواقف وتحددها ..

فاذا جئنا نحن وأدخلنا عامل الدين ، ورتبنا على ذلك شيئا من الفتور نحو مبادئنا ، فاننا نكون قد أخطأنا خطأ شنيعا ، لا فى حق ديننا فحسب ، ولكن فى حق شخصيتنا ووجودنا ، كأناس لهم مبادىء قامت أو يجب أن تقوم عليها حياتهم ، ويجب ان يخلصوا لها ..

ولقد رأينا فى التاريخ القريب ابان الحرب العالمية الثانية كيف التقى المعسكران الغربى والشرقى على هدف القضاء على هتلر ، مع ما بينهما من اختلاف جذرى وعميق .

اتفقا لأن مصلحتهما كانت فى هذا الاتفاق ويومها قال تشرشل : اننى مستعد لأن اتحالف حتى مع الشيطان فى سبيل القضاء على النازية .

ومع اتفاقهما هذا ، واشتراكهما معا فى الحرب الضارية ضد هتلر لم نر معسكرا من المعسكرين تنازل عن مبادئه التى يسير عليها أو غير وبدل فى هذه المبادىء أو غض من شأنها ، او سكت عن ابداء محاسنها وصلاحيتها مراعاة للمعسكر الآخر .. مع أن المصلحة المشتركة أو المصير الواحد يجمعهما ..

فكيف يخطر لمسلم أن يعتب على ، لأننى قلت أن نظرة الاسلام الى حرية الفرد تفوق نظرة هذا المذهب أو ذاك ؟؟!!

لا يا أخى .. ان هذا خطأ فى فهم الامور ، فوق ما هو تراخ فى اخلاصك لدينك وحبك لوطنك .

ولو اخذت انا واخذ الآخرون برايك كتابا أم غير كتاب ، فى الوقت الذى لا يكف فيه دعاة المذاهب الاخرى عن تزيينها للناس بمختلف الاساليب ، لأدى بنا هذا الى ترك المجال لهم ، يفترسون عقائد الناس واتجاهاتهم ، وينتزعونهم من دينهم ومن اخلاصهم لأوطانهم .. ونكون نحن بذلك الجناة الآثمين فى حق الدين والوطن ..

لا يا أخى مرة ثانية ، وانا مثلك اقدر الجميل حق قدره ، وأحرص على رده ، ولكن لا على حساب الدين ..

ومرة اخرى : « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » .
هدانا الله الى الحق ، واعاننا على اتباعه والثبات عليه .

محمد عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من احاطة القرآن الكريم بالفطرة

السماء في

ما دام القرآن الكريم والفطرة كلاهما من عند الله ، فعلوم الفطرة المعروفة بين الناس بالعلوم الطبيعية التجريبية هى فى يقينياتها تفسير لما تعلق بها من آيات القرآن ، وفى نظرياتها غير اليقينية محاولات اجتهادية لتفسير تلك الآيات ، تقرب أو تبعد عن الحق ، بقدر قربها أو بعدها عما يمكن أن يفيده الكلم القرآنى من معنى فى فصيح اللغة التى نزل بها القرآن .

فالتفسير ينبغى أن يقوم على يقينيات علوم الفطرة ، وأهل القرآن من علماء الفطرة ينبغى أن يسترشدوا فى بحوثهم بما تعلق بها مما انزل الله فى كتابه العزيز ، فهو نور بأيديهم لا بأيدى غير المؤمنين به ، ومن التضييع اغفاله ، واهمال فرص الاهتداء به جريا وراء حقائق مجهولة لا يمكن لأهل العلم اثباتها بالطرق العلمية ، لأنها فى ميادين ليس لدى العلم فيها الا الفروض والنظريات .

وقد رأينا فى المقال الأول(١) كيف كان من الممكن لفلاسفة المسلمين أن يصححوا من الفلسفة اليونانية الفلكية بعض ما صحح علم الفلك الحديث ، لو أنهم اختبروها وامتحنوها بما يفيده الكلم القرآنى فى نحو قوله تعالى (كل فى فلك يسبحون) فى الآية (٣٣) من سورة الأنبياء ، وكيف كان من الممكن لمثل الزمخشرى أو الفخر الرازى من المفسرين أن يسبق علم الفلك الحديث الى حقيقة فلكية استنبطها حتى أثبتها عن طريق المشاهدة رجال السفن الفضائية لما ارتفعت بهم عن جو الأرض ، ورأوا السماء سوداء حالكة والشمس طالعة . ولم يكن بين مفسرى القرآن والكشف عن هذه الحقيقة عن طريقه ، الا الوقوف عند ظاهر قوله تعالى (وأغطش ليلها) فى موضعه من سياق آيات سورة النازعات ، وتجنب تأويل دلالة الليل مضافا الى الضمير الراجع الى السماء .

أما وقد تقدم علم الفلك الحديث ذلك التقدم الباهر فليس أمامنا الآن الا الاستعانة بكشوفه الفلكية على تفسير ما لم نتأمله من تلك الآيات الكريمة ، واستتمام تفسير ما تأملنا

(١) عدد ربيع الأول .

القرآن وفى العلم

للدكتور محمد أحمد الغمراوي

منها فى المقال الثانى(٢) ، اذ لا يزال فى (بناها) من قوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها) مجال واسع للتأمل فى ضوء ما تعلق بالسماء من الآيات القرآنية ومن حقائق علم الفلك الحديث .

الامام محمد عبده

وقد رأينا فى ذلك المقال كيف أن الامام الشيخ محمد عبده فسر (بناها) فى آية النازعات وآية سورة الشمس بأن الله سبحانه (جعل كل كوكب من الكواكب منه — أى من الكون — بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك ، وشد هذه الكواكب بعضها الى بعض **برباط الجاذبية العامة** كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به) فكان هذا التفسير منه رحمه الله فتحا ، ليس فقط لأنه فسر آية ، أو جملة قرآنية بسنة كونية ، كشف عنها العلم الحديث ، ولكن أيضا لأنه عمليا وضع مبدأ الأخذ بيقينيات العلم وحدها فى التفسير ، لأنه لم يفسر الآية الكريمة على أساس فرض علمى أو نظرية ، ولكن على أساس قانون عام ثبت بالتجربة العلمية ، وبالبحث الرياضى ، وبالأرصاد الفلكية .

ثم هو رحمه الله قد بين بمسلكه هذا أن المتعرض لتفسير الآيات القرآنية الكونية ينبغى عليه أن يلم ولو بجانب صالح من الحقائق العلمية المتصلة بموضوع الآية المراد تفسيرها ، مع مراعاة الدقة الواجبة فى التطبيق ، والشيخ الامام قام بذلك بمجهوده الخاص عن طريق لغة أوروبية كان يعرفها . وليس كل عالم دينى مفسر كالاستاذ الامام ، فالاولى والأنفع أن يؤسس للمجهود الخاص الذى لا غنى عنه فى تتبع النمو العلمى بتدريس مقرر مختار من الحقائق العلمية ، على الأخص ، المتعلقة بالآيات القرآنية الكونية حسب ورودها فى مقررات علم التفسير فى الجامعات الاسلامية واهمها جامعة الأزهر الشريف .

القرآن والجاذبية

فلنتمم ما بدأه الامام رحمه الله عن

(٢) عدد شعبان .

الجـاذبية العامة وأثرهـا فى بناء السماء ، مما نبه الله عباده اليه فى آيات من كتابه ، كل منها يدل على جانب من مميزاتها ، لله فيه آية تهدى اليه سبحانه . واوضح ما يميز بنـاء السماء من البنيحان فى الأرض هو تماسـك أجرام السماء على البعـد بالجاذبية العـامة من غير تماس ، وهـذا أمر عجيب يدركه الفلكيـون المحدثون ولا يدرون سره اذ ليس هو بالتجاذب الكهربائى ولا المغناطيسى ، فهو جدير أن ينبه اليه فى كتاب الله بالأسلوب الذى يعقله الناس فى كل عصر ، حتى اذا جـاء عصر الفـلك الحديث ، وأثبت هذه الظـاهرة العجيبة انطبق الكلم القرآنى عليهـا كأنه ما نزل الا فيها .

تأمل قوله تعالى « خلق السموات بغير عمد ترونها » فى الآية العاشرة من سورة لقمان المكية وقوله عز وجل (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) فى الآية الثانية من سورة الرعد المدنيـة ، واعجب معى من اعجاز الاسلوب والمعنى معا فى قوله تعالى (بغير عمد ترونها) فى كل من خلق السماء ورفعها .

لو قيل (بغير عمد) فحسب لكان ذلك نفيا مطلقا للعمد ، مرئية وغير مرئية ، والنفى المطلق يخالف الواقع الذى علم الله أن سيهدى اليه عبـاده بعـد نحو الف وخمسين عـاما من اختتام القرآن ، فكان من الاعجاز المزدوج أن يقيد الله نفى العمد فى الخـلق والرفع بقوله (ترونهـا) . والضمير المنصوب فى ترونها يرجع أولا الى أقرب مذكور وهو (عمد) فيكون المعنى بغير عمد مرئية ، اى بعمد من شأنها وفطرتها الا ترى ، والفعل المضارع فى اللغـة يشمل الحـال والاستقبـال أو هو حـال مستمر ، لأن القـرآن مخـاطب به الناس فى كل عصر .

واذا أعيد الضمير الى السماء كان المعنى أن السـماء ترونها مخلوقـة مرفوعة بغير عمد ، وتكون العمد هى ما يعهده الناس فى أبنية الأرض . ونفيها بهـذا المعنى عن السـماء المرفوعة أيضا أمر عجيب لا يقدر عليه الا الله . وكلا الوجهين مفهوم من التعبير القرآنى طبق اللغة ، وان كان الأولى فى اللغـة هو الوجه الأول الذى يحوى الاعجاز العلمى . واذن فالوجهان كلاهمـا مرادان بالتعبير الكريم اذ لا مـانع من احدهمـا . والزمخشرى فهم المعنيين على التخيير وان أعطى الأولويـة للمعنى الـذى يفيده ، رد الضمير الى السماء وقال عن المعنى المستفاد من جعل (ترونها) صفة للعمد (أى بغير عمد مرئية يعنى أن عمدهـا لا ترى وهى امسـاكها بقدرته) .

أما الفخر الرازى فلم يرض الا هذا المعنى الثـانى اذ يقول (انه رفـع السماء بغير عمد ترونها ، أى لها عمد فى الحقيقة الا أن تلك العمـد هى قدرة الله تعـالى وحفظـه وتدبيره وابقـاؤه اياها فى الحيز العـالى ، وانهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون بقية ذلك الامساك) .

وقد عرف علمـاء الفلك الحديث كيفيته عن طريق تلك السنة الكونية العجيبة المذهلة سنة الجاذبية العامة التى قـامت وتقوم بهـا السموات والأرض بأمر الله كما قـال سبحانه فى الآية (٢٥) من سورة الروم (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) وقد بقى من صور التعبير صورة ، هى أن يقال (بعمد لا ترونها) بدلا من (بغير عمد ترونها) فى الآيتين الكريمتين . وقد تجنبها القرآن الكريم

لحكمة بالغة فلو انها جاءت فيه هكذا لاتجهت الافكار بادىء ذى بدء الى اثبات فى السماء أو للسماء كالتى يعرفونها فيما يعلون من بنيان ، ولأثبت العلم بطلان ذلك وان جاز على أهل العصور قبله — وجل عز وجه الله أن يلم خطأ ما بكتابه من قريب أو من بعيد .

ثم تأتى الناحية الكمية لقانون الجاذبية العامة . فحتى هذه أشار اليها القرآن الكريم بين أجرام السماء .. وقد رأينا فى المقال الثانى أن الجاذبية العامة لها من الناحية الكمية ركنان : حاصل ضرب كتلتى الجسمين المتجاذبين اذ تتناسب معه طردا ، والمسافة بينهما اذ تتناسب مع مربعها عكسا . فالركن الأول يزيد فى قوة التجاذب بين الجسمين ، والثانى ينقص ويضعف منها . وواضح أن أثر المسافة فى الأبعاد الفلكية أكبر وأعظم من أثر الكتلتين وان عظمتا ، وان ضربت احداهما فى الأخرى . تعرف ذلك معرفة أولية من صغر النجم فى رأى العين وان كان أكبر من الشمس ، كالشعرى مثلا . وقد دل القرآن الكريم على الركنين جميعا وعلى هذا الفرق بينهما فى قوله تعالى فى الآية (٧٦) من سورة الواقعة (فلا أقسم بمواقع النجوم) ، ودل على عظم السر المودع فى المقسم به فى الآية بعدها اذ يقول سبحانه (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) .

ومواقع النجوم فى معناها الأول المتبادر هى موضعها فى الفضاء ، مواضع بعضها بالنسبة لبعض . واذا تحددت المواقع تحددت المسافات . فهذا قسم بالمسافات بين بعضها وبعض ، فى توزيع الله اياها فى الفضاء الكونى . أما كتلها فقد دل عليها ذكر النجوم وكفى ، فان من أهم خواص النجم كتلته وضوئيته . وللفلكيين المحدثين طرقهم فى تقدير كل . وهم يقدرون الكتل النجمية عن طريق قانون الجاذبية أيضا . وسواء عرفوا أم لم يعرفوا فالآية الكريمة الأولى تدل على الكتل بذكر النجوم ، وعلى المسافات بذكر المواقع ، وعلى أن المواقع أكبر وأعظم أثرا بالاقسام بها هى . أما كبر الأثر وعظمة السر المودع فى القسم فقد نصت عليه الآية الثانية (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) . والعظمة اذا كانت وصفا من الله سبحانه كان تقديرها فوق مقدور البشر . وقد نصت الآية الكريمة على أن البشر يجهلون عظمة القسم ، وبالتبع عظمة السر المودع فيه . حتى فى عصر الفلك الحديث هذا لا يدرك الفلكيون من عظمة ذلك القسم الا القليل .

ان الاجرام السماوية لا يحصيها العد ولا الحساب . هناك مثلا ملايين السدم وملايين المجرات . وفى كل سديم أو مجرة ملايين النجوم ، ان لم يكن بالفعل فى السديم فبالقوة . أى أن كتلة السديم صالحة أن يتكون منها ملايين النجوم . وكل سديم وكل مجرة .. وكل نجم فى سديم أو مجرة ، له حالته من الحركة فى فلك أو من السكون ، نتيجة لقوى الجاذبية الواقعة عليه طبقا لقانون الجاذبية العامة ، أى طبقا لتقدير الكتل والمسافات ، بحيث تكون نتيجة قوى الجاذبية الواقعة على الجرم السماوى .. نجما كان او مجرة أو سديما ، ان يأخذ الجرم حالته من الحركة أو من السكون على اختلاف تلك الحالات التى لا يحصيها عد . فهل فى مقدور العقل البشرى مهما بلغ من القوة ومن العلم ان يدرك عظمة ذلك التقدير ، وهو الظاهر للمتأمل من سر ذلك القسم الذى وصفه الخالق المقدر سبحانه

بأنه عظيم ؟

ان عظمة ذلك التقدير هى بعض عظمة ذلك السر ، لا كله ، وهما معا يبينان بوضوح لماذا كان خلــــق السموات والأرض أكبـــر من خلق الناس ، كما أكد الحق سبحانه فى الآية (٥٧) (٣) من سورة غافر ، على جلال آيات الله فى خلق الناس أو بالأحرى فى خلق الانسان ، اذ خلق الناس اجمعين عند الله كخلق نفس واحدة كما يقول جل جلاله فى الآية (٢٨) من ســــورة لقمان (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) .

فانظر الآن الى حكمة الله سبحانه ورحمته اذ أورد فى قليل من آيات كتابه العزيز ما يدل عباده على جليل آياتـــه فى خلق السماء ، بحيث لا ينكرها أهل عصر ، وتقوم الحجة بها لله على أهل كل عصر ، حتى اذا آن أن يطلع الله من شاء من عباده على ما شاء من أسرار ذلك الخلق ، كان التطابق تاما باهرا بين الحقائق التى ظهرت من جديد ، والنص القرآنى الذى نزل به الوحى من قديم « رفع سمكها فسواها » .

(وأخرج ضحاها) : اذا عرفنا ان الضحى النور كما قـــرر الزمخشرى مستشهدا بقوله تعالى (والشمس وضحاها) عجبنا كيف غاب عنه دلالة الضمير المضاف اليه فى الآيتين . فهو فى آيـــة النازعـــات يرجع الى السماء ، وفى آية سورة الشمس يرجع الى الشمس . فكيف أمكن أن يغيب عن جميع المفسرين أن ضحى فى الآيـــة الأولى ضوء كل نجم فى السماء ومنها شمسنا ، وأن ضحى فى الآية الثانية ضوء الشمس خاصة ؟

ام كيف فاتهم الفرق بين القسم ومعناه فى الآية الثانية وبين الخبر ومعناه فى الآية الأولى ؟ حتى الشيخ محمد عبده رحمه الله يقول فى تفسيره آية النازعات (وضحاها) : نورها وضوء شمسهـــا ، قال تعالى (والشمس وضحاها) أى ضوئها .

ولعل الفلسفة اليونانية هى التى عمت عليهم المعنى اذ لم يكن فلاسفة اليونان يعرفون ان النجوم شموس ملتهبة لها ضوء يقول الله تعالى انه هو الذى أخرجه . واخبار الله سبحانه أنه أخرج ضوء السماء ، شمسهـــا ونجومها ، من أعجب وأبهـــر الآيات الخبرية فى القرآن الكريم . فهو أولا قد دل على ما لم يكشفه الا العلم الحديث من أن النجوم شموس . وهو ثانيا قد دل بالفعل (اخرج) على أن تكون الضوء فى النجم وخروجه منه لا يقدر على تحقيقه الا الله . فليس هو مثل نار الانســـــان فى الأرض وضوء مصابيحه . ليس هو نتيجـــة تفاعل كيماوى أو تيار كهربائى يقدر عليـــه الانسان ، ولكنه نتيجة تفاعلات ذرية نووية هائلة فى جوف النجم الشاب المضطرم الذى لم يفقد كثيرا من مادته طاقة ضوئيـــة وحرارية تفارقـــــه باستمرار حتى يشيـــخ فى النهايـــة ويعجز عن مثل ما كان يشع فى الشباب . فسبحان الله الذى دل بكلمة أو كلمتين من كتابه على أحدث وأعجب ما كشف العلم الحديث من أن مادة الشمس والنجم تفنى بتحولها الى طاقة تشع فى الكون ، وليست بخالدة كما كان يقول فلاسفة اليونان ومن ضل بهم من فلاسفة المسلمين « للبحث بقية » .

---

(٣) (لخلق الســـموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون .



للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

البر حسن الخلق

> **روى الامام مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس » .**

١ ــ البر حسن الخلق :

البر فى اللغة هو التوسع فى أعمال الخير . وفى الشرع : كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صالح الاعمال وفاضل الاخلاق ، وهى كلمة قليلة الاحرف ولكنها كبيرة الاثر ، واسعة المعنى ، تشمل كل ما من شأنه أن يوصل الى مرضاة الله عز وجل ، وقد وردت آية محكمة فى القرآن فصلت أنواع البر التى يعنيها ويدعو اليها الاسلام ، ونعت تلك الآية الكريمة على الذين زعموا أن البر هو التوجه الى جهة مخصوصة فى الصلاة ، فالتوجه فى حد ذاته ليس برا ، وانما المقصود منه هو مناجاة قيوم السموات والارض ، وهكذا أوضحت تلك الآية أن البر هو الايثار ايثار الغير بالمحبوب من المال ، والصلات صلات ذوى الارحام وغيرهم من بعدهم . قال تعــالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المــال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأســاء والضراء وحين البــأس أولئك الذين صــدقوا وأولئك هم المتقون » الآية (١٧٧) من سورة البقرة .

وهنا نمر مرا خفيفا بمعنى ما هدفت اليه تلك الآية ، ونخلص منه الى معنى الحديث الشريف :

تأمل معى قليلا أو أمعن الفكر امعانا عميقا فى أنواع البر التى وردت هنا ، ثم راقب الوجود ، الكون ، الناس ، المجتمعات ، الحكومات ، ثم طبق ما عنته الآية الشريفة على الواقع ، ارتقب النتيجة الواقعة بعــد ذلك التطبيق ، ماذا تجد ؟! اذا حصل الايمان استقرت النفس واستنار الفكر واطمأن الخاطر ، وعرف

العبد أن له ربا وأن ربه لن يضيعه ما دام سالكا الطريق السوى جادا غير عابث ولا متقاعس ولا كسول ولا مقصر ، والايمان بالله يستلزم استلزاما حتميا الايمان بكل ما يصـــدر عنه لأنه سبحانه واسع عليم قادر حكيم فيجب الايمان بالبعث وبجنود الله التى لا تحصى وقد سمى بعضها ملائكة ، وأن الكتب السماوية من عند الله وأن الرسل صادقون أعطاهم الكتب لهداية البشر ولتنير لهم دجنـــة الحياة الحالكة : « ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وأن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد » (١٧٦ ــ البقرة) . ثم يتـــابع رحلة الايمان ، رحلة البر ، فيصل الى الايمان الثابت الراسخ القوى بكل ما مر ، واذا استقر فى النفس هذا وعرف تماما ننتقل منه الى ما يمـــكن أن يصدر عن المؤمن ، فالمؤمن ليس غبيا ولا غفلا ولا جاهلا ، انما له عقل يستعمله وله فكر فهو يجيل فكره فيما حوله ، يرى حينئذ أن الاقدار متفاوتة ولا يمكن أبدا بحال أن تتساوى أو تتحد كما وكيفا ، أو أن تستقر فى درجة واحدة من السمو أو الانحطاط لا يمكن هذا ، يعنى لا يمكن بكل ما فى هذا التعبير من قوة ، والماضى والمستقبل والحاضر الملازم ، كل يشهد على صدق ذلك فهو حق لا مين فيه ، والذى قضى به رب العالمين الذى حكم بهذا التفاوت بين كل المخلوقات اتفقت جنسا ونوعا أو اختلفت تعال الى المقدرات بعيدا عن الانسان ــ تغافل عن الناس لحظة طالت أو قصرت ــ وجل فى كل واد تريد وتستطيع ، واخبر صادقا عن النتيجة ، أو هون عليك وخذنى رفيقا لك فى الجولان ، فلتذق الماء متفاوت المذاق ، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومر بالشجر ، هذه مثمرة يانعة الثمـــار ، وتلك جارتها ، شريكتها فى التربة والسقيا ولكن عاطل من كل ثمر ، والمثمرات جنى بعضها حلو شهى والآخر مر زعاف ، هـــــذا نبت لا تفهم منه الا أنه حمل وعبء على غيره ، وذلك ورد وبنفسج له أرج وعطر وشذى ، تلك نخلة سحوق ، وهذه فسيلة ضعيفة متهافتة واذا دققت الفكر وجدت لكل فائدة . ولنمض الى الحيوان ولا ادلك على تفاوته فتلك سطحيات لا فلسفة فيها ولا عمق ، حتى ما كشف عنه العلم بفضل الله ، منه ذرة لا تكاد تدرك ، واذا تحركت أردت العالـم وأودت به وبحضارته المتعاقبة عبر القرون والى جانبها جبل شامخ وعلم رفيع لا يفعل فعلها وان كان يفاء الى ظله ويقيل العابرون فى حماه ، ماذا بعد ذلك حشرات ، هوام ، دواب ، حرث ، نسل ، سماء ، أرض ، فى كل تفاوت عجيب لا يدركه حصر ولا تصل الى جمعه معرفة ولا يعلم كنهه كما هو الا من أوجده من العدم وقال له : كن فكان !!

نعود الى الانسان فاذا هو الحاكم المسيطر وله الحق دون منازع . فالله فضله على كثير ممن خلق وسخر كل شىء لعلمه وفهمه وبحثه ولدربته واتساع مدى ادراكه . لـــماذا ؟ ليصل الى الله الى المعرفة الحقـــة ، فهل يستطيع أن يجعل الكل مالكين أو يحيلهم جميعا محرومين لا بد من الازواج ما دامت الحياة حياة ، وما دامت للسماء الفوقية وللأرض الفراش والبساط . هل استطاع عالم الاجتماع فلان أو السياسى علان أو الفيلسوف ثالثهم أن يمنع حتى استعمال الكلمة سائل ومسئول فقر وغنى ، تحدث فى قرن مضى اجتماعى فذ فى الاجتماع وماذا فعل وماذا رسم من خطى ، لا زال المصنع له مالكه وان تغير السيد ، وله عماله وان تبدل الاســـم ، ان كنت تعرف عكسا أو نقيضا فقل لى بربك اين هو ؟ أو اخبرنى بعلمك أين يوجد ؟ ولكن دعنى دائما ادلى بحجتى وافند لك ما زعمت جهلا انه مساواة وأخطأت فلا مساواة .

اذن : أين العلاج لداء عياء ، وما دام هناك داء فليبحث له عن دواء ، واليك

الجواب بعد طول حوار :
تقول الآية الكريمة : يا محب المال ، ابق عليك مالك ، وامساكه فى انفاقه . فنحن نريد لك الخير ونحب لك دائما ما هو الافضل نؤثر لك أن تدخر بعض المال لتنتفع به يوم لا ينفع مال مكنوز ، ادفع بعضه لتفىء الى ظل ذلك البعض يوما ما فى يوم عبوس قمطرير ، صل رحمك ذوى قرباك ، رفه عن اليتامى عديمى الحول والطول ، ولا تنس العاجز عن العمل ساعده فهو جزء من مجتمعك ، وعضو فى أمتك ، ومد يدك الى المنقطع القريب المنبت عن ماله ووطنه ، صله بما يوصله الى مستقره ، وما به يأمن طريقه لئلا يهلك فتحاسب على هلاكه حين لات مناص ، ومن سألك لا تنهره ولا تحرمه جودك فقليل خير من عدم ، وحاول تحرير من حولك حتى تصل الحرية اليك ، فالسيد فى وسط العبيد عبد حقير ، والسيادة الحقة مع السادة الحقيقيين ، وخذ لذلك مثلا ما شيئا هينا بسيطا : هذا رجل يعرف كيف يخط اسمه ولا زيادة يعيش فى قرية غامرة بعيدة عن الحضارة تلفه موضع تجلة واكبار بين قوم لا يكادون يفقهون قولا ، وتعال به الى مستوى من العلم أرفع تلفه قد تضاءل وانزوى ، واذا وصل مدينة عالم أهلها بكل ما دق وجل انعكس وضعه وصار جاهلا فى عداد الاغمار ، فلما طلعت عليه شمس المعرفة ذاب وتلاشى ، أما العالم الراسخ فهو الجوال فى كل ميدان ، المقارع لكل ند وقرن لا يهاب شمسا ولا يخشى هاجرة ، فقل لى ما قيمة من يدعى السيادة مع العبيد ؟ لا شىء ! وانما القيمة والسعادة لمن يعيش سيدا مع سادة احرار ، ولهذا دعت الآية الكريمة العظيمة الى الحرية وبذل المال لفك الرقاب .
وتقدم ذكر المال على الصلاة بيانا لنتائج الصلاة المقبولة فهذه نتائجها تتقدمها ، وعلى الزكاة المفروضة لتفيد أنها غيرها وعادت تحث على الربط الوثيق بين العباد ، ولا يكون هذا الا بالحرص على الوفاء بالعهود[1] . وتأتى بعد ذلك مرحلة الاختبار التى يمر بها كل انسان ولا علاج لهذا الاختبار الا الصبر عليها ومحاولة النجاح فيها ، فمن صبر فى البأساء [2] والضراء [3] وحين البأس [4] فهو البر البار فاعل البر وهو الصادق المتقى لله حقا .
رأيت مما سبق أن (البر) هو جماع الخير كله ، فانظر بعد هذا فى حديث رسول الله الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام حين يقول (البر حسن الخلق) وهل يصدر ما صرحت به الآية الا عن حسن الخلق ، فالخلق الكريم فى عرف علمائه : (رياضة محمودة تصدر عنها الافعال الحسنة فى رفق ويسر) وهذا هو الخلق الحسن وهذا هو البر المطلوب . كن مستقيما ، محبا للغير ، عفيفا ، مبتعدا عن السفاسف ، انس نفسك يا أخى فى سبيل غيرك تحيا نفسك وتعظم وتسعد ويسعد معك غيرك ، اخلص فى عملك لأنه عملك ولاك الله اياه ، لا تنتظر المكافأة فتهلك ان قلت ، وتبطر ان زادت . اذا فعلت حققت الحديث الشريف : (البر حسن الخلق) .

---

(١) وفى هذا الحديث قد يطول وان كان فى الاجل بقية فسأعود اليه بعون الله وحده .
(٢) الشدة والضيق .
(٣) فقد الاهل والولد .
(٤) فى ميدان القتال ولقاء الاقران فى النزال والطعان لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

٢ — والاثم ما حاك فى النفس :

من الممكن أن يقـال ان الاثم ضـد للبر أو هو نتيجـة لترك البـر ، وعلى أى فالاثم ذنب وبعد عن الصواب المرجى من الانسان كأنسان ، وقد يتكرر الذنب حتى يرسخ فى النفس ويصبح عادة ويتعـارف عليه النـاس ويواقعونه ، وهذا هو الشر كل الشر ، والعصيان وانتهاك حدود الله والتطاول على شرعه واطراح العمل به ، وقد يصل الاثم بصاحبه الى الكفر حين يتخطى حدود ادراكه ويستهين بما أنزل الله على رسـله ويعد الدعوة الى احكام الله عودة الى الوراء ، وتأخر عن ركب الحضارة المتعاونة ، ولا يستحى أن يقول انظروا أمما تقدمت ماديا وليست ذات دين ! والى هؤلاء يساق الحديث اى تقدم وأية حضارة ، وأى ازدهار لتلك الحضارة ، وأية مدنية واختراع !! ماهى النتيجة للانسان كأنسان يجب أن يعيش حرا له حق فى الهواء والماء والكلمة أعتقد واستطيع الدفاع عن ما أعتقد — أن قائل هذا فج الرأس ضعيف الادراك سطحى المعرفة لشىء باد للعيان ظاهر لكل انسان — ولكن للأسف أين هذا الانسان (٥) ولأوفر عليك مشقة البحث وعناء التنقيب واخبرك ولا ينبئك مثل خبير . هل تعرف كيف يعيش عمال المناجم ؟ هل تدرى كم يتقاضون ؟ هل احصيت عدد العاطلين عن العمل ؟ هل تدرى كيف تعامل تلك الشعوب التى تعنيها ؟ أظن لا ! وأضع (الظن) هنا فى موضـعه المنطقى حيث وضعوه فى منزلة خاصة مع رفقائه : أشك وأعتقد وأتوهم .. الخ(٦) .

قف معى قليلا أمام قوله صلى الله عليه وسلم : (ما حاك فى النفس) هذه العبـارة الشريفة تقدر الانسان قدره وتضعه فى موضعه ، فى درجتـه من الأنسانية ، فى مكانه من الوجود ، فى وظيفته التى يجب أن تكون له وأن يكون لها ، فهو عظيم بين المخلوقات مسيطر فى حدود أمكانياته وليس بمتجبر كما يحب أن يكون — يتمتع بلذائذ الحيـاة وطيباتها فى حدود ، ولا ينزل الى سفسافها ودنيئها ، فهو على أى انسان تام التعريف ينطبق عليه القول الشارح الذى وضعه له المناطقة ولهذا كانت له نفس تتألم وتشعر ، وتخاف وتخشى ، تقدر الأمور وتزن الوقائع ، لا تنزل الى درجة الجمـاد ولا أقول الحيوان فالحيوان الأعجم له كل الأحساسيس وان اختلف المقصود منها والداعى اليها، فالأعجم يحن ويئن ، ويعطف ويهش ، ويغضب ويفرح ، ويحزن ، وانظر الى قطتك التى تعايشـك الى كلبك الذى يتبعك ، متى يهز ذيله ومتى يكشر عن انيابه ومتى تموء مواء المستعطف ، ومتى تبرز مخالبها ؟

عواطف وشعور يبدو ويلوح ، أنت قد تفصح بالكلام وهى تعبر بالحركة كالأبكم منك سواء بسواء ، فالجملة الشريفة (ما حاك فى النفس) تعبر عن النفس الخيرة لم تمتها المعاصى ولم ترتد جمادا لا يحس . وهل من الممكن أن

---

(٥) أظن أنه الذى كان يبحث عنه ديوجين فى وضح النهار بمصباحه المضاء دائما !!
(٦) ولهذا الاجمال تفصيل فى حين مقدر .

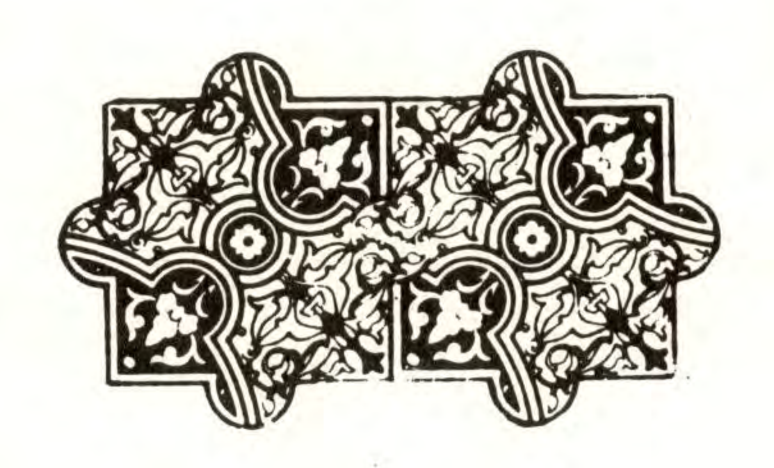
ترتد النفس الواعية جمادا ، سؤال تورده طفولة تفكير ويوحى به عدم تبصر . والجواب جد يسير : **تعال الى البلد الذى فتنتك بروقه الخلابة تجد الجواب** ، تجد نفوسا انقلبت لديها الحقائق تحت تأثير مذاهب وفلسفات ما لها سند من عقل مفكر ولا من انسانية عفة كريمة ، صارت تلك النفوس صما صلادا لا تحس ، ولا تدرك .. هذه النفوس لا تشعر فليست نفسا كاملة سليمة الفطرة ، فاذا ، **لا يحوك الاثم الا فى النفوس القريبة من الخير** ، ان زالت فستعود أوابة نادمة .

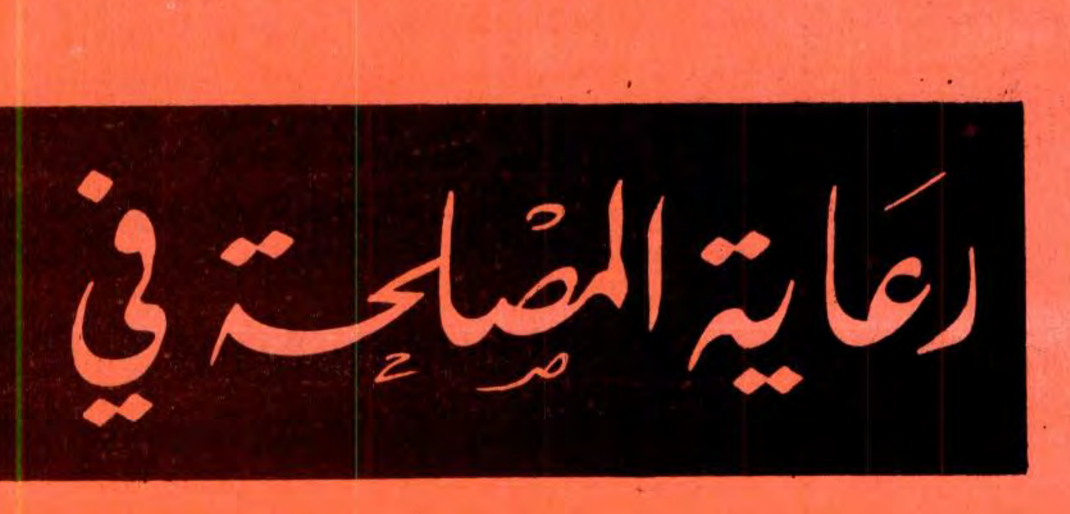
٣ ــ وكرهت أن يطلع عليه الناس :

قال علماؤنا الأسبقون رحمهم الله رحمة واسعة معنى هذا : (.. العمل الذى تستحى منه ولا تحب أن يراه الناس منك ، وذلك أن النفس لها شعور من أصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما يذم الاقدام عليه) وضربوا لذلك مثلا بالسرقة والفحشاء .

قال صاحبى : هذا القول ميزان ومقياس ، السوى ما وافقه ، والانحراف فى الانحراف عنه ، فالنفس التى يحوك فيها الاثم والتى تكره أن يطلع عليها الناس متلبسة برذيلة هى النفس المتصفة بسلامة الفطرة مع قوة يقين باحترام المجتمع الذى تعيش فيه وتلك خلة محمودة لا يخلو منها زمان ولا مكان ، لأن المعايير الانســـانية الاصيلة لا تختلف ، فأصول الرذائل معروفة ومتفق عليها أو الأجماع قريب من الاتفاق ، لأن نعم ولا لم يتفق عليها فى كل المواطن أبدا وهذا لن يكون ، أما لجهل أو تعصب والرســـول صلى الله عليه وسلم يقصد النفوس التى تحمل أصول الخير ولم يطغ عليها عامل الشر فنعم الحديث ونعم ما جاء به ، ولا أجد ختاما لهذا القول أفضل من حديث مشابه فى الموضوع فكلام سيد الخلق سيد الكلام عن وابصة معبد رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم قال استفت قلبك. البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر) رواه الامام أحمد والدارمى واسناده جيد .

نسأل الله جلت قدرته أن يوفقنا لعمل البر وأن يمن علينا بحسن الخلق وأن يدخلنا برحمته فى عباده المخلصين الصالحين .



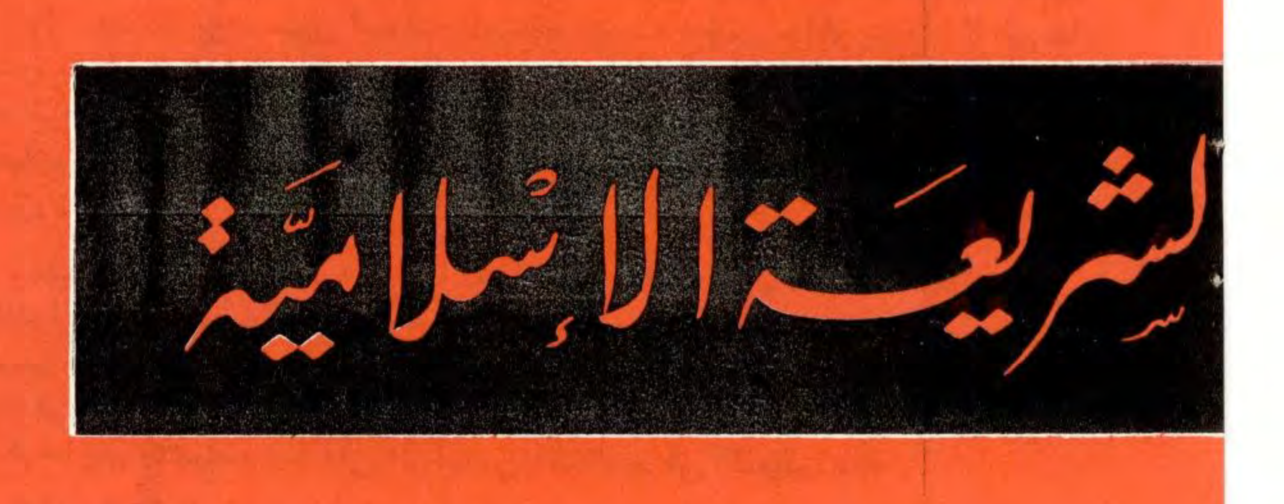




لا تتجلى النزعة الفطرية لدى الانسان فى شىء تجليها فى نزوعه فى جميع تصرفاته وأعماله الى تحصيل ما يرى أنه منفعـــة له ، بغض النظر عن أن تكون منفعة شخصية خاصة أو منفعة عامة ، ولذا لم تصدر شريعة من شارع ، ولا أمر من آمر ، ولا حكم من حاكم ، ولا ارشاد من مرشد ، الا لمصلحة قصد اليها ، ورأى أن السبيل اليها هو ما شرعه،أوامربه ، أو أرشد اليه ، تلك هى الفطرة وما يقضى به العقل ، وما يشهد به الواقع . وماخالف ذلك عمل جنونى ، أو تصرف حيوانى لا يعبر عن ارادة ، ولا يصدر عن اختيار .

واذ كان الاسلام دين الفطرة فقد كانت المنفعة فى اكمل مظاهرها ، واوسع نطاقها ، مجالا وهدفا لما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من شرائع وأحكام ، واساسا لما هدى اليه من فضائل وأخلاق ، وانه ليرى مع ذلك أن المنافع والمصالح مختلفة ومتعددة ، وأن الأغراض والأهداف متفاوتة ومتعارضة ، وأن منها ما هو خير وصالح فى حقيقته وواقعه ، ومنها ما هو شر وسىء وخبيث فى حقيقتـــه وواقعه ، وان رآه مبتغيه وطالبه على خلاف ذلك ، وأن للوسائل أحكام غاياتها ، فهى طيبة ما أدت الى خير ، وخبيثة ما أدت الى شر ، وأن كل عامل أو شارع او حاكم انما يبغى بتصرفه ما يراه فى نفسه خيرا لنفسه ، وما يزعم أنه الخير ، وان كان فى واقعه أو عند غيره على خلاف ذلك ، **واذن فما المصلحة وما الخير الذى يجب أن يطلب ولأجله يشرع ويؤمر ويحكم ؟**

لقد كان ذلك مثار جدل وخلاف شديدين منذ القدم بين الفلاسفة وبين علماء الأخلاق ، المتقدمين منهم والمتأخرين . فمنهم من كان يرى أنها اللذة الشخصية ، ومنهم من كان يرى أنها ما يقضى به العرف ، ومنهم من كان يرى أنها اكبر لذة



للشيخ : علي الخفيف

رئيس واستاذ قسم الشريعة بجامعة القاهرة سابقا وعضو مجمع البحوث بالأزهر

لأكثر عدد من الناس ، ومنهم من يرى أنها ما يرغب فيه عادة ، ولسنا نريد الآن أن نخوض فيما خاضوا فيه من الخلاف والجدل ، وانما نريد بيان المصلحة التى كان لها فى الشريعة الاسلامية مكان الرعاية والاعتبار ، فكانت هدفها فى احكامها ، وغرضها من أوامرها ، ثم كانت لذلك فى رأى بعض الفقهاء سبيلا الى تعرف حكم الله ، فيما لم يرد فيه حكم ، حتى قالوا فى ذلك : **حيث تكون المصلحة فثم حكم اللـــه تعالى .**

ان ما يدل عليه اسم المصلحة من الوضوح بحيث لا يرى انه فى حاجة الى التعريف والبيان ، ولكن الذى دعا الى محاولة التعريف بها مرونــــة معناهــــا ، وشموله لصور عديدة ، وضروب من المصالح مختلفة ، منها الخاص ، ومنهـــا العام ، ومنها المشوب بالضرر ، ومنها غير المشوب به .

ولذا يرى الغزالى فيها : أنها ما يؤدى الى المحافظة على مقصود الشارع من شريعته ــ ومقصود الشارع من شريعته أن يحفظ عليهم خمســـة أمور : أن يحفظ عليهم دينهم ، وأنفسهم ، وعقولهم ، ونسلهم ، وأموالهم . فما يؤدى الى ذلك مصلحة ، وما يفوت هذه الأمور مفسدة ودفعه مصلحة .

وقد حاول عز الدين بن عبد السلام التعريف بها بواسطة وضع ضابط لها اذ يقول : من أراد أن يعرف المتناسبات والمصالح والمفاسد : راجحها ومرجوحها ، فليعرض ذلك على عقله ، بتقدير ان الشارع لم يرد به ، ثم ليبن عليه الأحكام ــ فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك ، الا ما تعبد الله به عباده ولم يقفهم على مصلحته أو مفسدته ــ ثم يقول بعد ذلك **والمصالح اربعـــة انواع** : اللذات وأسبابهـــا ،

والافراح واسبابها ، والمفاسد اربعة : انواع الآلام وأسبابها ، والغموم واسبابها — ثم يقول بعد ذلك وقد تكون اسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح ، لا لكونها مفاسد ، بل لكونها مؤدية الى مصالح ، كقطع الأعضاء المتآكلة حفظا للأرواح ، وكالمخاطرة بالأرواح فى الجهاد ، حفظا للدين والنفوس والأموال . وكالعقوبات الشرعية من حدود وتعزيرات : فكل هذه مفاسد أوجبها الشارع لتحصيل ما رتب عليها من مصالح .

وعلى اية حال كان عليه بيان الفقهاء وتعريفهم المصلحة ، فانه يلاحظ انهم لم يختلفوا فى التعرف على المصلحة والحكم بوجودها ، حيث كانت ، ولم يخلطوا بينها وبين المفسدة قط ، وان كان فى هذا القدر كفاية لبيانها ، حتى لا يطول بنا الحديث فى ذلك ، غير أن ذلك لا يغنينا عن بيان بعض خصائصها الهامة فيما يلى ، ففى ذكرها يتم التعريف بها على الرغم من اختلافهم فى التعبير عنه .

الخاصة الأولى : انها ليست الهوى ولا الشهوة ولا الغرض الذى لا ينظر فيه الى غير صاحبه من ناحية النفع أو الضرر ، اذ هى كما يقول الغزالى المحافظة على مقصود الشارع . وذلك لا يتحقق الا حيث تكون نفعا خالصا او نفعا هو اكبر ما قد يكون فيها ضرر .

الخاصة الثانية : انها تتمثل فى جلب المصلحة ، كما تتمثل وتتحقق فى دفع المفسدة ، اذ ان كلاهما مقصود للشارع فى شرع احكامه ، **وذلك ما يجب أن يراعى فيه مع الحياة الحاضرة ، الحياة المستقبلة ، وهى حياة الآخرة ،** فان الاطمئنان الى الظفر به فيها ، له لذته ومنفعته فى الحياة الأولى الحاضرة . وعلى هذا كانت اللذة او المنفعة الدنيوية وحدها غير صالحة لأن تكون معيارا للمصلحة ، ولا سبيلا الى تقويمها ، فقد تكون المصلحة فى مظهرها المآ دنيويا يتعارض مع ما خلق فى الانسان من شهوة جامحة ، وأنانية غير مهذبة ، يلبسان عليه الحق بالباطل ، فى حين أنها تؤدى مع المها الى جلب منفعة او لذة عظيمة آجلة ، او دفع ضرر أو الم أشد ايذاء ، ومن ثم كانت هذه مصلحة مراعاة من الشارع وفى حين انها مع ذلك تورث فى الحال ارتياحا نفسيا روحيا وعن هذا كان اعتبار الشريعة لها — وذلك ما يدعو الانسان الى الا يكون حكمه على الأعمال مبنيا على ظواهرها وآثارها العاجلة أو الدنيوية ، بل يقتضيه أن يكون حكمه عليها — أولا — نتيجة وثمرة للنظر فى النصوص الشرعية .

ولهذا كان للمصلحة التى يرعاها الشارع أثرها الدائم فى ايجاد لذة روحية باطنية ، وان صاحبتها آلام جسمية ، وهى لذة لها مستواها الرفيع عند من يقدرها ، ويقدر نتائجها من ارتياح ، أساسه الشعور بالطاعة ، وتجنب العصيان، وذلك ضرب من السمو الروحى الذى يطلب ويرغب فيه ، وهذا الى ما هو مرتقب ومنتظر من كريم الجزاء فى الآخرة — ولقد أراد الله سبحانه وتعالى ان يربط بين الحياتين بوشيجة متينة وهى رابطة السبب بمسببه ، فأمر عباده باتخاذ حياتهم الدنيا وسيلة لسعادتهم فى حياتهم الآخرة . **يدل على ذلك قوله تعالى : (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) . وقوله :** (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) .

وهذا ما يجعل كثيرا من الأعمال محلا لطلب الشارع وايجابه ، على الرغم من آلامها وارهاقها فى الحياة الحاضرة ، مما لا يبين معه وجه المصلحة التي اقتضت طلبها من الشارع ، وليست الا مالها عند الله من عظيم الأجر وكريم الجزاء فى الحياة المستقبلة ، واسهاما فى البر والنفع العام المؤديين الى صلاح المجتمع ولو بطريق غير مباشر .

الخاصة الثالثة : انها دائما متصلة من قريب أو من بعيد بالمحافظة على ما قصد الشارع المحافظة عليه بشرعه ، وهو الدين والنفس والعقل والنسل والمال . وليس بين العلماء خلاف فى أن كل ما تضمن حفظ هذه الأمور كان مصلحة واجبة الرعاية ، وان رعاية حفظ هذه الأمور هى على هذا الترتيب فى الجملة : **فالحفاظ على الدين** فى أصله مقدم على الحفاظ على النفس ، ومن ثم وجب الجهاد ، مع ما فيه من تعريض النفوس للقتل . **والحفاظ على النفس** مقدم على الحفاظ على العقل . . ومن ثم حل شرب الخمر دفعا للظمأ المهلك ، وعند الاكراه عليه ، وهكذا مما فرعه العلماء من الأحكام بناء على ذلك ــ وقد كان الحفاظ على هذه الأمور الخمسة من المصالح الضرورية التى كان لها من الشارع اتم رعاية فى شرعه الاحكام .

الخاصة الرابعة : ان تكون مما يتناوله مقصود الشارع فى احكامه ، وتسير فى طريقه ، وتظلها رايته ، ولا تتضارب معه ولا تخرج عليه ، وذلك بالنسبة لما دلت عليه الأدلة القطعية أو اقتضته قواعد الشريعة الكلية واصولها العامة الأساسية فان خرجت عن هذا النطاق ، فعارضت دليلا قطعيا من كتاب أو سنة أو اجماع لم تكن مصلحة ، ولم يكن لها من الشارع رعاية ، فلن تكون المعاملة بالربا فى يوم من الأيام مصلحة ، مع قيام قوله تعالى : (واحل الله البيع وحرم الربا) ، ولن يكون شرب الخمر ولعب الميسر مصلحة مع قوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ، وهكذا يجب أن تتخذ الشريعة ما دامت قائمة ، دليلا على المصلحة ، وطريقا الى التعرف عليها لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالمنكر ولا بالفحشاء ، وانما ذلك من عمل الشيطان : يقول الله تعالى فى سورة البقرة : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » وفى سورة النور : « ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » ويقول تعالى فى سورة الأعراف : « قل ان الله لا يأمر بالفحشاء » وفى سورة النحل : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » واذا كان الله سبحانه وتعالى لا يأمر بضر ولا منكر ، وان جميع ما يأمر به خير ، كانت المصلحة والخير فيما شرعه ، ما دام شرعا ، وكان الشر والمفسدة فيما نهى عنه .

ونتيجة ذلك أن للشريعة الاسلامية قواعدها الكلية واصولها الأساسية ونصوصها القطعية ، وان جميع ذلك يهدف الى تحقيق الخير والمصلحة على ما سنبين ، وان ليس من ذلك أصل ولا أمر يدعو الى مفسدة أو يؤدى اليها . ومن ثم كان أمر الدين وهديه دليل المصلحة ،وطريقه اليها ، وذلك ما دام دينا وشريعة لم ينقض وقت العمل بهما بتوقيت ، أو بناسخ ، ولم تكن المصلحة لذلك دليلا على الشرع أو مؤدية اليه فيما فيه نص عن الشارع .

ومثال ذلك ان ما خالف الدين أو خرج عليه لا يرعاه الشارع ، ولا يعد مصلحة ، وان ظن ظان انه مصلحة ، لما يرى فيه من لذة وقتية أو نفع خاص عارض ، وأنه لا يجوز الحكم على أمربأنه مصلحة ، اذا كان مخالفا لنص قطعي أو أصل من أصول الدين .

أما ما خالف امرا اجتهاديا كان هو محل اجتهاد في الشريعة فلا تكون مخالفته دليلا قاطعا على تجافيه للدين وبعده عن المصلحة كما سيأتى بيان ذلك . وذلك أمر يعلو عن أن يكون محلا للريب والشكوك ممن يؤمن بالله وحكمته في شريعته ، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وبما كان وما يكون .

العقل ليس مقياسا دائما :

وذلك ما يخالف فيه أصحاب الأهواء ، اذ يقولون يجب أن يكون سير الدين على وفق المصلحة ، فالدين باعتباره متواعدا بعقاب وواعدا بثواب ، يجب أن يكون عقابه موجها ضد الأعمال المقررة بالهيأة الاجتماعية فقط ، وأن يكون ثوابه موقوفا على الأعمال التى تنفعها فقط ، وهذه هي القاعدة الأولية والطريقة الوحيدة في الحكم على سير الدين ، وهو النظر اليه من جهة الخير السياسي في الأمة فقط ، وما عدا ذلك لا يلتفت اليه ، وهم في ذلك يريدون أن يكون الدين على وفق ما يراه المجتمع خيرا له ، بريئا مما يراه المجتمع شرا له كيفما كان وضع ذلك وصورته في واقع الأمر ومآله . .

وفي هذا يقول الشاطبي رحمه الله في موافقاته : لو جاز للعقل تخطى ماخذ النقل لجاز ابطال الشريعة بالعقل ، وهذا باطل ، فان معنى الشريعة انها حدود حددها الشارع ، تحد للمكلفين حدودا في أفعالهم وأقوالهم واعتقاداتهم ، وهو جملة ما تضمنته . فان جاز للعقل أن يتجاوز حدا واحدا من هذه الحدود ، جاز له تجاوزها جميعا ، لأن ما يثبت للشيء يثبت لمثيله . وتعدى حد واحد هو في معنى ابطاله ، وأنه ليس بصحيح ، واذا جاز ابطال واحد جاز ابطال سائرها وهذا لا يقول به مؤمن . .

هذا وليس معنى ما قدمناه من بيان ان صلاح الأفعال وفسادها ، ونفعها وضررها ، أثر وثمرة لاحكام الشارع عليها من طلب وحظر ، وان ليس لها في ذاتها منفعة للناس ولا مضرة لهم ، بل المعنى أن طلب الله للأفعال وشرعها ، وحظره اياها ، هو على وفق ما قدره وعلمه فيها من نفع وضرر ، وان طلبه اياها جل شأنه وعلت حكمته لا يتوجه الى ضار خبيث رحمة بعباده ، وقد كتب على نفسه الرحمة ، وان حظره للفعل انما يتوجه للضار لا للنافع ، ومن ثم كان طلب الفعل ونفعه أمرين متلازمين ، وكان حظره وضرره أمرين متلازمين ، وكان كل من الأمرين علامة على ثبوت الآخر منهما ، فطلب الشارع لفعل علامة على صلاحه ونفعه ، ومصلحته الثابتة بالدليل القطعي علامة على شرعه . وتحريم فعل علامة على ضرره ، وضرره الثابت بطريق قطعي علامة على حظره ، اذ لا يشرع الله ضرا ولا شرا ذلك هو بيان الأمر وتفصيله والقول الذى يجب أن يكون فصلا فيه .

الا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الى العرب بما شرعه الله وأوصى به اليه من احكام لم يأتهم بشريعة جديدة مستحدثة تمحو كل ما كانوا عليه من معتقدات ، وما كانت تقوم عليه معاملاتهم من قواعد ونظم ، وما كانوا يرتبطون به من عهود ومواثيق . فقد كانت لهم مناسك يقدسونها وكانوا يتبايعون ويتاجرون ويتزوجون ويستأجرون، وكان لمجتمعهم نظمه وعاداته وتقاليده فلم يحرم جميع ما كان لهم من ذلك ، وانما عمد صلى الله عليه وسلم الى ما فيه صلاحهم منه فأقره ولم يغيره ، والى ما فيه ضررهم وفساد مجتمعهم فمنعه وحرمه ، والى ما رآه من ذلك ناقصا فكمله ، والى ما وجده مشوبا بالضرر فخلصه ، وهكذا كانت شريعته التى جاء بها اليهم صلى الله عليه وسلم شريعة أريد بها الاصلاح لا المحو والازالة .

فمثلا حرم أنواعا من البيوع ، لما فيها من غرر يؤدى الى النزاع والضرر ، وحرم أنواعا من الزيجات لأنها الى السفاح وقطيعة الرحم أقرب ، وحرم الربا لأنه يؤدى الى البوار ومضيعة الأموال ، وحرم شرب الخمر لأنه يزيل العقل ، وحرم كل ما يؤدى من المعاملات الى ضرر وفحش واكل المال بالباطل ، وأبقى السليم الصحيح منها ، الموفى بالغرض ، المحقق للمصلحة ، حتى انه ليرى أن الأمر فى العبادة لم يختلف عن هذا ، فأقر عبادة الله ، وحرم الشرك وعبادة الأوثان ، وابقى على الحج وهذبه وكمله ، فلم يبطل الوقوف بعرفة ، ولا رمى الجمار ، ولا الطواف حول البيت ، ولا السعى بين الصفا والمروة ، لما رآه فى هذه الأعمال من قدسية واتجاه روحى ومنفعة اجتماعية ، لا يتسع الوقت لبيانها وتفصيل القول فيها . وعلى الجملة فقد كانت المصلحة رائدة فى اقرار ما أقره ، وفى تحريم ما حرمه . وفى تهذيب ما هذبه ، وفى تكميل ما كمله كما كانت هدفه فى شرع ما شرعه .

ذلك هو بيان الأمر والقول الفصل فيه ، كما قلنا ، وانما محل النظر هو ما قد يعتور حكم العقل ، ويعرض للنظر من تردد وشك أن يكون الحكم فيه الحظر فيكون شرا ، أم الطلب فيكون خيرا ، وما قد يتردد فيه من الأفعال التى لم يتضح ولم يتبين حكمها : أهى مصلحة خالصة ، أم نفعها اكبر من ضررها ، فيكون حكم الله فيها الطلب ، أم مفسدة فيكون حكم الله فيها الحظر ، وذلك ما قد يكون محلا لاختلاف الأنظار تبعا لاختلاف طرائقها ، وما تؤسس عليه ، والمصيب فيها مجتهد له أجران والمخطىء فيها مجتهد له أجر كما قرر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا يتضح المراد بقولنا ان المصلحة يجب أن تكون تابعة للدين ، سائرة فى فلكه لا تخالفه ، ولا تخرج عليه ، كما يتضح أنه لا يصح جعل الخبرات الفردية أو العادية ولا الموازين العرفية أو التجريبية معيارا للمصلحة المرعية شرعا ولا طريقا الى تعرفها دون أن يكون ذلك مصحوبا وقائما على النظر فى اصول الشريعة الأساسية وقواعدها الكلية ونصوصها القطعية فان من الأعراف أعرافا فاسدة لا تصلح ميزانا ، ولا معيارا ، ولا سبيلا الى معرفة سليمة ، ومن الخبرات خبرات يشوبها الهوى ، وتضلها الشهوة ، وينقصها الاستقراء التام ، ومن التجارب ما لا تدوم سلامته وصحته ولا تسلم نتائجه لنقص يلم بها عند النظر ، او لظرف خاص مؤقت لا دوام له .

وعلى ذلك اذا قيل ان الربا كان ضررا فيما مضى ، وقد أصبح الآن مصلحة وخيرا ، وان لحم الخنزير لا وجه لتحريمه الآن بعد أن أصبح غير ضار بما يتخذ فى تربيته من وسائل ، وان الخمر فى كثير من أحوالها لا يترتب عليها سكر ، وعند ذلك يسلم نفعها فلا محل لحظرها عندئذ ، اذا قيل هذا وأمثاله فلا يصح أن يكون له وزن ، ووجب اهماله .

وليس معنى ذلك أن الشارع فى هذه الحال قد أهمل مصلحة دلت عليها علومهم وتجاربهم بل المعنى فيه أن تقدير المصلحة فى هذه الأحوال وأمثالها لا بد أن يكون قد اتصل به نوع من الخلل والفساد ، فان أحكام الناس لا تخلو فى غالب الأحيان عن شائبة الهوى والشهوات والأغراض ، ومن الأدلة على ذلك خلافهم بعضهم مع بعض ، واتهام بعضهم بعضا فى صدد هذه الأحكام ، أما أحكام الشريعة فهى للحكيم العليم .

وانما يكون للتجارب وزنها ، وللخبرات حكمها ، حيث لا تجد فى الشريعة ما يعارضها سلبا أو ايجابا فعندئذ تصير صالحة لتأسيس الأحكام عليها ، واعتبارها حكما شرعيا ، قام عليه دليل من الشارع هو المصلحة الظاهرة التى استوجبته ، وهو لا يعدو أن يكون دليلا ظنيا يورث ظنا راجحا . ولعل فيما ذكرناه بيانا كافيا للتعرف على المصلحة التى كان لها مكان الرعاية فى الشريعة الاسلامية وكان لكل من القرآن والسنة والاجماع والقياس بأنواعه طريقته فى هذه الرعاية .

فاما القرآن فانه يلاحظ ان نصوصه ترعى هذه المصلحة من عدة وجوه .

١ — أنها لا تتعرض للتفريع اكتفاء بما تقرره من مبادىء وأصول عامة ، سواء فى الأحكام المدنية والدستورية والجنائية والاقتصادية .

٢ — ان كثيرا من نصوصه قد قرن الحكم بحكمته : صراحة أو اشارة ، مثل آية الخمر . ومثل آية المحيض ، ومثل خذ من أموالهم صدقة الآية . وهذا من القرآن ارشاد الى أن رعاية المصالح هى غاية هذه الأحكام وهدفها ، وانها مبدأ وأصل فى الشرع .

٣ — ان من بين هذه النصوص ما يقرر مبادىء عامة كالآية التى تقرر الاباحة فى الانتفاع بجميع الأشياء « خلق لكم ما فى الأرض جميعا » وكالآيات التى جعلت أساس التشريع رفع الحرج والتيسير على الناس مثل قوله تعالى : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » — المائدة — « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . — الحج — « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » — البقرة — « يريد الله أن يخفف عنكم » — النساء— « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » . — البقرة — ومثل الآيات التى أوجبت الوفاء بالحقوق مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) — « وأوفوا بالعهد » — « وليوفوا نذورهم » — « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » الى آخر الآية . . ومثل ما دل على الوفاء بالوعد — « يأيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون » . ومثل هذا كثير فى القرآن .

أما السنة : ففى نصوصها أيضا مرونة اذ أن الأحكام التى وردت بها ثلاثة أنواع : **نوع مقرر** ومؤكد لما جاء به القرآن فلا يختلف عنه . **ونوع مبين** له فهو عام

عمومه ، وخاص خصوصه ، ودائم دوامه ، وقائم على ما قام عليه القرآن . **ونوع منشيء** وهو ما سكت عنه القرآن . وحكمه حكم المبين ، من حيث وجوب العمل به واتباعه ما دامت البيئة هى البيئة ، والظروف هى الظروف وذلك اذا صدر على سبيل القضاء والفتيا فى حادثة معينة ، أما ما صدر تشريعا عاما ، ولو فى حادثة معينة ، بأن اقترن فيها القضاء أو الفتيا بما يدل على عموم النص ، فان له الدوام ، ولا يتغير بتغير الزمن والأمم . ولسنا نغفل ما تضمنته السنة من مبادىء عامة تشريعية : مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المسلمون عند شروطهم الا شرطا .. الحديث . ومثل قوله : يسروا ولا تعسروا . ومثل قوله : ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه . ومثل قوله صلى الله عليه وسلم . **« لا ضرر ولا ضرار » وهو أساس العمل بالمصالح اذ فى ترك المصلحة ضرر أو** ضرار . وقد حرم الشارع ذلك بهذا الحديث .

وأما الاجماع فهو مصدر عظيم تستطيع الأمة أن تواجه به كل ما يقع لها من حوادث ، وأن تساير به الزمن ، وتكفل لمختلف البيئات مصالحها المختلفة ، اذ لا يكون الا عن تدارس وتشاور ونظر فيما يصلح عليه الأمر ، وتتحقق به المصالح .. ولا شك أن ذلك يقوم على رعاية المصلحة .

وأما القياس : فليس يخرج عن هذا لأنه قائم على العلة التى ناط الشارع الحكم بها ، وهى دائما مصلحة متصلة بالمصلحة ، وله ارتباط بالحكمة وهى المصلحة التى تطلب من الحكم . وهكذا نرى أن المصلحة كانت فى محل الرعاية من الشريعة الاسلامية فى جميع مجالاتها ، وانها تكمن وراء كل دليل من أدلتها ، وان الشارع قد استهدفها من احكامه وجعل احكامه طريقا اليها ، وعلى هذا أيضا دل الاستقراء التام لأحكامها .

فهل مع هذا نستطيع أن نقول ان هذا الوضع يعنى صلاحية المصلحة للاستقلال ببناء الاحكام عليها وحدها . ذلك ما نريد بيانه .

المصلحة أساس لكل حكم :

من البديهى أنه لا محل لهذا النظر فى عهد الرسول ، فقد كان مرجعهم فى **جميع الاحكام ، وكان كل ما أقره سنة وشريعة متبعة ، وكذلك لا مجال له حيث** يجمع المسلمون على أمر لأن اجماعهم دليل فى ذاته وهو واجب الطاعة والاتباع ، ولا مجال لهذا النظر أيضا حيث يكون القياس ، لأن القياس كذلك دليل شرعى ، أساسه الاجماع أو النص .

واذن فمجال النظر ما جد غير هذا من الأحداث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل فى مثل هذه الأحداث والوقائع نستطيع أن نعرف حكمها عن طريق النظر الى ما فيها من مصلحة أو مفسدة ؟

ان خير ما يسترشد به فى هذا الموضوع هو موقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد وفاته .

لقد رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت بهم من النوازل وحدثت لهم من الحوادث ما لم ينزل فيه كتاب ، ولم تمض فيه سنة ،

ولم يسبق له مثيل رأيناهم يلجئون الى ما يرون فيها من مصـــلحة أو مفسدة يستظهرون بها حكم الله فيها . فحين دعت الحاجة الى جمع القــرآن ، وهو أمر لم يكن من قبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزع عمر الى ابى بكر ، فعرض الأمر عليه ، وطلب اليه أن يأمر بجمعه ، لأنه خير ، ولمــا تردد أبو بكر فى ذلك ، لم يكن لعمر طريق يزيل به تردده الا اقناعه بأنه خير ، وحين اقتنع واطمأن الى جمعه ، لأنه خير ، اســتدعى زيد بن ثابت ، وعرض عليه اقتراح عمر ، فتردد فى الأمر أيضا ، وما زال به أبو بكر حتى اقتنع بأنه خير ، وبناء على أنه خير كان جمع القرآن واجبا ، وتم بناء على ذلك جمعه .

وكذلك الحكم فيما قام به عثمان رضى الله عنه من جمع الناس على قراءة واحدة ، حين اشتد الخلاف بين القراء حتى وصل الأمر الى تكفير بعضــــهم بعضا ، وخيف اختلاف المسلمين فيه اختلاف اليهود والنصارى .

وكذلك لم يكن لشرب الخمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة محددة المقدار . وحين دعت الحاجة الى تحديدها قصــــدا الى جعلها زاجرة رادعة جعلوه ابتداء فى عهــــد أبى بكر (٤٠) جلدة ، وحين رئى تتابع الناس وتهافتهم عليه زيد الى ثمانين فى عهد عثمان ، بعد أن استشار أصحاب رسول الله ، فقال على رضى الله عنه من ســــكر هذى ، ومن هذى افترى ، فأرى عليه حد المفترى .

وعلى هذا الاساس ـــ أساس المصلحة ـــ عهد أبو بكر بالخـــلافة الى عمر ، وعمر جعلها شورى بين من عينهم من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا تصرف كل من الخليفتين بما استوجبته رعاية المصلحة ، وذلك فى أمر من أخطر أمور المسلمين ، بل لعله أخطرها جميعا . ولم يرجع أحدهما فى عملــه الى قياس أو اجماع ، والحوادث فى ذلك كثيرة يضـــيق الوقت عن الارشاد اليها .

وعلى هذا الاساس استقبل الصـــحابة كل الاحداث التى جدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتاجت الى تعرف الحكم فيها ، فاستظهروه وتعرفوا عليه بالنظر لما تضمنه من مصالح أو مفاسد ، ولم يقفوا أمامها جامدين اذ كانوا يؤمنون بأن شريعة الاسلام شريعة عامة دائمة ، وأنها لكل أمة ، حتى تقوم الساعة ، وان الحياة تتجدد وتتطور دائما بطبيعتها ، وان الحـــكم فى حوادثها يكون على وفق ما تتضمن من مصالح أو مفاسد .

موقف الأئمة المجتهدين منها ..

ومع أن ذلك كان هو موقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رعاية المصلحة واتخاذها طريقا لتعرف الحـــكم فيما يجد من حوادث ، فان المجتهدين من أرباب المذاهب المختلفة المتعددة التى ظهرت وتبلورت فيما بعد ، لم يكادوا يتناولون أصول التشريع بالبحث والنظر والبيـــان والتحديد ، حتى اختلفوا فى جواز اعتبارها طريقا الى تعرف الحكم فيما يجد من الحـــوادث ،

فأنكر بعضهم أن تستقل وحدها ببناء الاحكام عليها ، وذهب بعضهم الى جواز بناء الاحكام عليها ، عند توافر شروط فيها فقط ، ورأى بعضهم جواز بنـــاء الأحكام عليها دون شرط ، وهكذا تعددت المذاهب ، وكثر فيها الخلاف والكلام تحت اسم المصالح المرسلة(١) واتخاذها دليلا شرعيا .

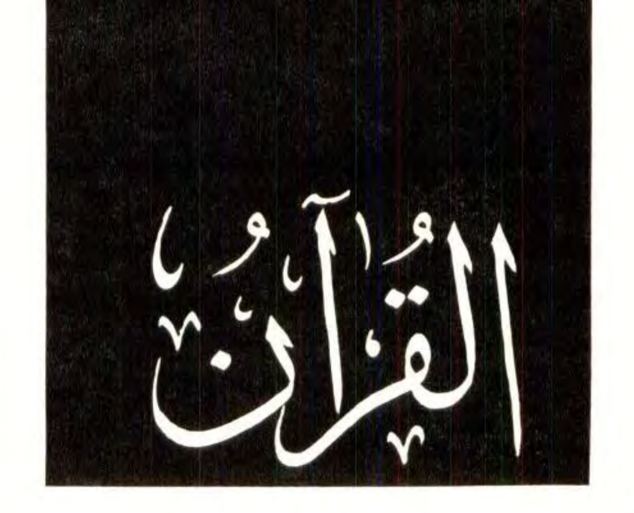
فقائل يرى أن اعتبارها يفتح الباب أمام الأهواء ويدفع الشريعة الاسلامية بأنها تركت بعض المصالح دون اعتبار ، وقائل يرى أن اعتبارها يكسب الشريعة مرونة وخصبا تصلح معها لمسايرة الزمن ، ومواجهة مطالب الاحياء فى كل أمة من الأمم . وآخرون وقفوا موقفا وسطا فرأوا اعتبارها بشروط تضـــيق من دائرته ، وهم فى هذه الشروط مختلفون !! وفى الحق أنه لم يكن للنـــاس أن يختلفوا ، لولا تغير الزمن ، وضعف الدين ، والخوف من تسلط الأهواء واتباع الشهوات ، والا فما كان أغنى الناس عن هذا الخلاف ، وقد كان لهم فى طرائق تطبيق الشريعة واخضاع الحوادث لها بعد وفاة رســول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أصحابه أيام خلافة ابى بكر وعمر ما يهديهم الى ما هم عليه الآن من خطأ فى طرائق تطبيقها ، وأنهم يتنكبون الطريق الى الاستفادة منها ، وانهم لو اهتدوا فى تطبيقها بهدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وســلم ، وفهموها كما كانوا يفهمونها ، لأقبلت الأمم عليها تســـتمد من معينها الذى لا ينضب وتنهل من مناهلها التى لا تعاف ، ولم تترك هـــذا الترك ، ولم ينكرها أهلها هذا النكران ، وهم أولى الناس بها ، وأولاهم بالقيام على حفظها .

« الوعى الاسلامى » : نحن نؤيد شـــيخنا الجليل فى هذا كله ونرجو أن يخطو هو وأمثاله من علمائنا الفاهمين الورعين الى اســـتعراض ما جد لنا من حوادث على ضوء القواعد التى ذكرها ، وأنا أعرف أن للشيخ الجليل رأيا فى التأمين حدثنى به وعرضه على مجمع البحوث بالازهر ، ولذا أرجو أن يفتح لنا باب البحث والمناقشة فى هذا الموضوع وانى مع القراء لفى انتظار .

---

(١) وقد عرفوها بانها ما كانت داخلة فى مقصود الشارع ولم يقم دليل على اعتبارها ولا على الغائها .





شفاء لما في الصدور

للشيخ : عبدالله النوري - الكويت

القرآن صوت الحق الذى به قامت الحياة على هذا الكون .. وقد اراد الله ولا راد لارادته أن يكون الاسلام هو القرآن ، والقرآن الذى نزل به جبريل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاتمة الرسالات قديمة معانيه ثابتة حقائقه (وانه لفى زبر الأولين) (ان هذا لفى الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى) فهو مجلى عناية الله جل شأنه بعباده منذ خلقوا حتى تقوم الساعة وحتى تنقضى على هذه الأرض الحياة .

والقرآن هو الميثاق بين العبد وربه ، وهو العهد الذى يجب الوفاء به ، فما من أمة وفت بالميثاق وحفظت العهد واستضاءت بشريعة الله ، وحكمت بحكمه ، واستظلت بكتابه ، ونفذت أوامره ووقفت عند حدوده ، ورفعت راياته ، وصدقت بكلماته ، وآمنت ايمانا لا شك فيه ، وعبدته عبادة لا شرك فيها من هوى مطاع ونفاق ورياء الا كان الله جل جلاله معها ، يمنحها تأييده المنتصر ، ويسلمها زمام الأرض ، يستخلفها فى ملكه ، ويفيض عليها من أمنه وسلامه لأنه جل شأنه وعد ، والله لا يخلف وعده .

« وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

اما ان جحدت الأمة ، واتبعت الهوى ، ووساوس شياطين الانس والجن ، واحدثت وابتدعت واهدرت احكام القرآن ، واهملت حدوده ، ألبسها الله لباس

الذل ، واطلق عليها عواصف الرعب وشتت شملها ، وسلط عليهـا عدوا من غيرها يستبيح حماها ، ويهدر عزتها ، ويستعمر مرافقها ، ويستحل حرماتها ويحطم غاياتها .

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » .
والله جل شأنه انزل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ، أنزله شفاء لما فى الصدور ، وهداية للضالين ، وهدى للمتقين .

ونحن اليوم فى حاجة لهذا الشفاء ، لأننا فى حال لا نحسد عليها بين الأمم أمراضنا مزمنة مستعصية العلاج : أمراض اجتماعية وأمراض خلقية ، وأمراض نفسية ، فأصبح المجتمع مفككا ، وانقلب النظام الى فوضى ، وصار المعروف منكرا ، والبصيرة عمياء كأننا ممن عناهم الله فى قوله (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ..) ولكن لو رجعنا لهذا القرآن لوجدنا فيه الشفاء من كل الادواء . أجل ان فيه الشفاء وفيه الرحمة انه الدواء الذى أعده الله لهذه الأمة ولكل أمة تريد الشفاء من أمراضها .

انه الشفاء والرحمة ، وضعه الله بين أيدى المسلمين ، ليس على شاكلة الأدوية ، لأنه دواء يشفى العقل والروح ، يطهر البواطن ، فتطهر الظواهر ، ويسموا بالانسان الى علو ينتصر به على الضعف الانسانى ، وعلى النزعات الحيوانية المندسة فى كيانه البشرى ، وان الذى يستقيم على تنفيذ أوامر القرآن وعلى الدعوة الى القرآن لهو انسان سليم فى كيانه صحيح فى عقله ، معافى فى نفسه ، ثم هو مع ذلك كله قادر على أن يحمل الهدى الى غيره .. فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويكون خليفة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وخلفاء نبيه رضوان الله عليهم فى الدعوة الى الله وهداية الناس اليه .
« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » .

(هذا وانه لمن الجهل الشائن أن نقرأ القرآن آية آية ، ثم نزعم أن هذا القرآن كتاب رهبنة فقط يريدنا للآخرة لا للدنيا . لا يا أخى !.. انه فهم خاطىء . ان القرآن العظيم نظام حياة .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .
ان القرآن العظيم دستور دولة ، وقانون حكم ، واصلاح مجتمع .. أخرج به محمد صلى الله عليه وسلم الناس من الجاهلية الى البر والتقوى ، ومن الظلمات الى النور ، أخرجهم من الضلال الى الهدى ، ومن البغى الى الرشد ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن العداء الى الألفة ومن الجهل الى المعرفة .
« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »

والقرآن وما يزال منذ أن جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه ينادى أمته أن تخرج من الظلمـــات ، وأن تقبـــل على النور ، وأن تلتمس رضوان الله فى اتباع شريعته وحدوده وانظمته ، لأنها وحدها تهدى من اتبعها الى السبيل السوى ، وبها وحدها يقيم حياته على الصراط المســـتقيم (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهـــم اجرا كبيرا) .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضـــوانه سبل السلام » .

ولكن مما يؤلم حقا أن نرى المسلمين فى جميع أقطار الدنيا ، وقد أعرضوا اعراضا أعمى عن كتاب الله واستبدلوا الأدنى بالذى هو خير . نسي المسلمون قرآنهم حتى جهلوه . وأوقفوا عمله ، حتى نسوه ، اللهم الا فى كتابة الحجب ، وفى الاستشفاء ببعض آياته أو قراءته للموتى .. وكأن القرآن لم ينزل الا لهذا .. فهل ابهمت كلماته .. أم أن الناس أصبحوا كما قيل فيهم .. « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » .

لقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وســـلم بهذا القرآن الى مجتمع وثنى جاهل ظالم مفكك فأصلحه وجعل منه خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فلم لا نكون — ونحن فى عصرنا هذا عاملين لكتاب الله عاملين به وأن ندعو الناس اليه حتى نكون خير خلف لخير سلف ، فنصدق فى ايماننا ونعمل الصالحات .. ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وندعو الى الله ....

بسم الله الرحمن الرحيم

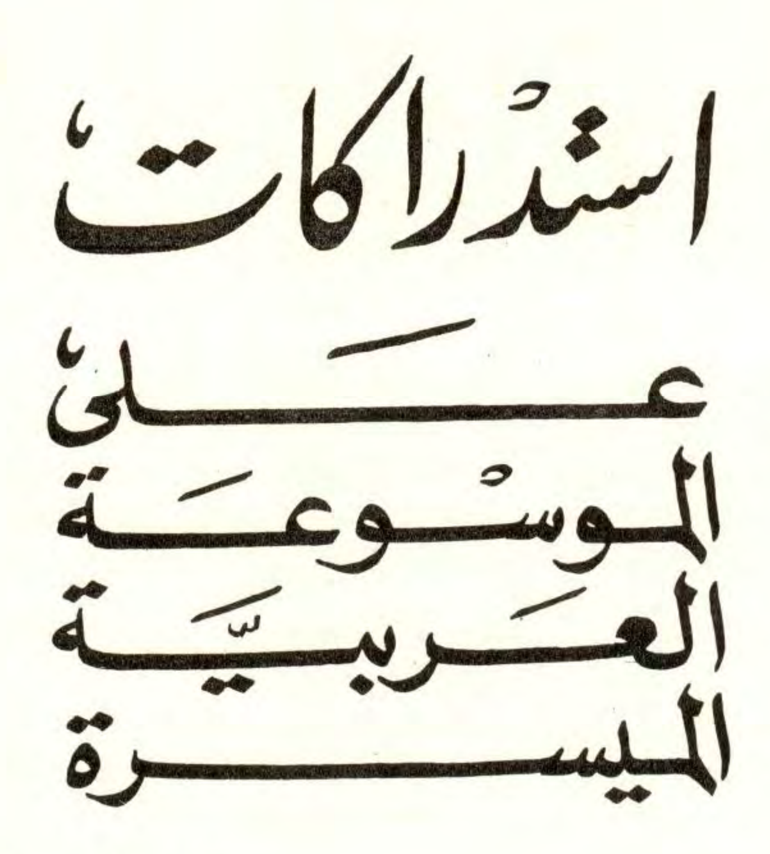
عن الحارث الأعور رضى الله عنه .

مررت فى المسجد فاذا الناس يخوضون فى الأحاديث . فدخلت على على رضى الله عنه . فقلت يا أمير المؤمنين الا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث . قال : أوقد فعلوها .

قلت : نعم و ....

قال أما انى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الا انها ستكون فتنة فقلت وما المخرج منها يا رسول الله .. قال كتاب الله .. فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم . وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله .. ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم ... وهو الذى لا تزيغ به الأهواء .. ولا تلتبس عليه الألسنة ولا يشبع منه العلماء .. ولا يخلق على كثرة الرد .. ولا تنقضى عجائبه .. هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالـــوا « انا ســـمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد . من قال به صـــدق ومن عمل به اجر ، ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » .





استدراكات على الموسوعة العربية الميسرة

للدكتور أحمد الشرباصي

(الموسوعة العربية الميسرة) كتاب يقع فى ألفى صفحة تقريبا من الحجم الكبير ، وقد صدر عام ١٩٦٥ باشراف المرحوم محمد شفيق غربال ، وطبع فى دار القلم بالقاهرة ، وهذه الموسوعـــة تعد دائرة معارف صغيرة ، اشترك فى كتابتها مجموعة من العلماء والأدباء والمفكرين ، ولذلك كان من الواجب أن تبلغ من الدقة مبلغا يطمئن اليه من يستنبئها ويأخذ عنها ، ولكن الواقع أن هناك مظاهر كثيرة للتقصير والنقص والخطأ والتحريف فى هذه الموسوعة ، وهأنذا أذكر فيما يلى طائفة من الملاحظات التى وقع عليها نظرى خلال مطالعتى القليلة المتقطعة فى هذا الكتاب . راجيا أن يكون موضع بحث حين اعادة الطبع له .

الاحظ مثلا أن الموسوعة لم تترجم لمحمد بن اسحاق صاحب السيرة المشهورة ، وهو احد أعلام العرب وأعلام الاسلام ، مع أن الموسوعة ترجمت لنكرات أو أشباه نكرات من الشرق أو من الغرب . لقد راجعت مادة (محمد) فلم أجد فيها ابن اسحاق ، وراجعت مادة (ابن) فلم أجده فيه أيضا .

وفى صفحة (١٣١٠) من الموسوعة تتحدث عن فلسطين ، فتذكر أن بريطانيا استولت على فلسطين سنة ١٩٢٠ ، مع أن اللورد اللنبى القائد البريطانى دخل القدس فاتحا فى أواخر سنة ١٩١٧ . والحرب العالمية ، نفسهـــا قـــد انتهت سنة ١٩١٨ .

ومن المؤسف أن الموسوعة لم تذكر ترجمة للمجاهد العربى الشهيد عز الدين القسام أول من نظم عمل المقاومة الفدائية فيتاريخ الجهاد الفلسطينى الحديث .
وفى صفحة (١٠٢٠) ذكرت الموسوعة سطورا عن (سنت لويس) المدينة الأمريكية الموجودة فى شرقى ولاية ميسورى الأمريكية ، ولكنها لم تذكر مادة لمدينة (سنت لويس) الموجودة فى السنغال ، والتى كانت أولا عاصمة (موريتانيا) ، ثم جاء (مختار ولد داده) رئيس جمهورية موريتانيا الاسلامية ، فجعل مدينـــة (شنقيط) هى العاصمـــة . ولم تكتب الموسوعة عن مدينة (شنقيط) ، مع أنه قد ورد ذكرهـــا أكثر من مـــرة فى مادة (الشنقيطى : غالى بن المختار) وفى مـــادة (موريتانيـــا) .

وفى صفحة ٤٥٤ عند الحديث عـــن بيت المقدس . . جاء قول الموسوعـــة (أنظر سفر الرؤيا) ولكنها لم تخصص مادة لكلمة «سفر الرؤيا» فأصبحت الإحالة على غير موجود . وقـــد ذكرت الموسوعـــة مادة « بيت المقدس » ولم تذكر مادة « القدس » ودقة العمل المعجمى الموسوعى كان ينبغى لها أن تذكر مادة «القدس» وعند ذكرها فى مكانها الطبيعى تمكن الإحالة على مادة « بيت المقدس » .

وفى صفحة (١١٦٦) جـــاءت مادة (طوفان) والعجيب أن الموسوعـــة لم (تتكرم) على هذه المادة الا بعشرة أسطر معدودة ، منها ستة أسطر عن مراجع ومواطن آيات الطوفان فى التـــوراة ، والأعجب والأغرب بعـــد هذا أنهـــا جاءت بسطرين اثنين للاشارة فيهما الى ذكر الطوفان فى القرآن الكريم ، وفى مادة (نوح) صفحة ١٨٥٦ ذكرت كلاما لا يغنى طالب علم ، ونصه كالتالى : (نوح : بانى سفينة نوح التى انقذت الحياة البشرية من الطوفان . ابناء نوح هم سام وحام ويافث ، وهم أسلاف الجنس البشرى كما هو وارد فى الكتاب المقدس . التكوين ٦ — ١٠) . . وهنا انتهت المادة ولا شىء عنها بعد ذلك .

ثم أنتقل من هذه الملاحظات العابرة الطائرة الى تركيز طائفة من الملاحظات حول المادة التى كتبتها الموسوعـــة عن كاتب الشرق المرحوم اميـــر البيان شكيب أرسلان ، فقد تفضلت عليه الموسوعة بسطور تبلغ ربع صفحـــة من صفحاتها ، ومع قصر هذه الترجمة امتلأت بالأخطاء والتحريفات .

فقد قالت عن شكيب أرسلان فى صفحة ١١٧ ما نصه : (سمى أمير البيان بين اعضاء المجمع العلمى العربى لطلاوة اسلوبه) وهذه العبارة توهم أن تلقيبه بلقب (أمير البيان) كان فى نطاق المجمع العلمى العربى بدمشق ، وهذا غيـــر صحيح ، وقد تحدثت عن هذا اللقب فى صفحات من الجزء الأول من كتابى (أمير البيان) من صفحة (٢٣٢) الى صفحة (٢٣٨) حيث نقلت شواهد على أن تلقيبه بهذا اللقب كان ذائعا فى الشرق كله تقريبا ، وأوضحت أن المرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) كان من أسبق الناس الى اطلاق هذا اللقب على شكيب أرسلان .

وقالت الموسوعة عن شكيب : (ولد بلبنان الشويفات) والتعبير هكذا غامض لا يسهل فهمه على من لم يعرف من قبل مكان ولادة شكيب ، وهو قد ولد فى بلدة (الشويفات) وهى تبعد عن بيروت قرابة عشرة أميال ، وهذه البلدة من مقاطعة (الشوف) فكان الواجب أن يقال : (ولد فى بلدة الشويفات من مقاطعة الشوف فى لبنان) .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (واقام بمصر) ولم تحدد هذه الاقامة ، والغالب أن القارىء يفهم منها أن أمير البيان اتخذ مصر دار اقامة ، مع أنه لم يمكث فى مصر الا أياماسنة ١٩١١وهو فى طريقه الى ليبيا .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (كان فى دمشق فى الحرب العالمية الأولى ، ثم ذهب الى برلين ، وأقام فى جنيف بسويسرا ربع قرن عاد بعدها الى بيروت وتوفى فيها) ، وهناك أكثر من ملاحظة على هذه العبارة ، فهى أولا لم تذكر اقامة شكيب ردحا من الزمن فى بلدة (مرسين) التركية القريبة من الحدود السورية ، وقد صرح شكيب أكثر من مرة بأنه أقام فى مرسين ليسهل عليه رؤية أمه التى يحبها ويجلها ، ويطغى عليه حنينه اليها . انظر صفحة (٩٠) من الجزء الأول من كتاب (أمير البيان شكيب أرسلان) .

والملاحظة الثانية على هذه الجملة أن أمير البيان لم يقم ربع قرن كله فى (جنيف) بل أقام فى غيرها من البلاد مددا من الزمن كبرلين ومرسين وغيرهما من البلاد الكثيرة التى رحل اليها .

والملاحظة الثالثة أن قول الموسوعة : (عاد بعدها الى بيروت وتوفى فيها) قد يفهم منه القارىء أن أمير البيان مدفون فى بيروت ، مع أنه مدفون فى بلدته الشويفات ، فقد نقل جثمانه عقب وفاته اليها ودفن فيها بجوار شقيقه عادل .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (والف عنه الحومانى رسالة فى سيرته وكذلك عارف النكدى) والحومانى لم يؤلف عن شكيب ، وانما أصدر عددا عنه من مجلة كان يصدرها ، وكذلك لم يؤلف عارف النكدى عنه ، وانما كتب عنه مقالة فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق . واذا كانت الموسوعة قد نسبت التأليف عن شكيب الى من لم يؤلف عنه ، فقد تركت ذكر من ألف عنه مثل الأستاذ محمد على الطاهر وغيره .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (قد نظم الشعر فى صباه) وهذا تعبير يفيد بالمضمون والمفهوم أنه قد ترك الشعر بعد صباه ، وهذا غير صحيح ، وقد أوضحت فى دراستى عنه أنه ظل يقول الشعر على فترات الى المرحلة الأخيرة من حياته .

وتقول الموسوعة : (من مؤلفاته الحلل السندسية فى الرحلة الأندلسية فى عشرة مجلدات) وهذه العبارة توهم أن الكتاب المطبوع بهذا الاسم يقع فى عشرة مجلدات ، مع أن الكتاب لم يتجاوز المطبوع منه ثلاثة أجزاء .

وتقول الموسوعة عن شكيب : (ترجم الى العربية (آخر بنى سراج) الشاتويريان وعلق عليها) وكان ينبغى أن تبين الموسوعة أن كتاب (آخر بنى سراج) قصة الشاتوبريان .

وذكرت الموسوعة بين مؤلفات شكيب ارسلان كتابا سمته (رحلة الحجاز) ووضعت هذا الاسم بين علامتى التنصيص ، وليس لشكيب كتاب بهذا الاسم ، وقد يذهب الى احدى دور الكتب ويقضى الوقت الطويل فى البحث عن هذا الكتاب فلا يجده ، لأن أمير البيان لم يؤلف كتابا بهذا العنوان ، وانما الف كتابا عنوانه (الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج الى أقدس مطاف) . وقد صور فى هذا الكتاب رحلته الى الحج سنة ١٣٤٨هـ ــ ١٩٢٩م .

البقية على صفحة ٤٧

الجامع الأزهر

كان بناء (المسجد) أول ما يفكر فيه المسلمون عند انشاء مدينة جديدة ، أو استيلائهم على مدائن غيرهم ، وقد وضع هذه السياسة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الـذى كتب الى ولاة الامصار باتخاذ مساجد للجماعة فى العاصمة .

وقد نفذت هذه السياسة فى مصر منذ الفتح الاسلامى ، حيث أسس عمرو بن العاص مدينة (الفسطاط) سنة ٢١ هـ ، وبنى فيها جامعه العتيق .

ولما جاء العباسيون أسس صالح بن على العباسى مدينة (العسكر) سنة ١٣٣ هـ ، وبنى الفضل ابنه مسجد العسكر سنة ١٦٩ هـ ، وكان قد ولى مصر من قبل الخليفة المهدى على صلاتها وخراجها ، فدخلها سلخ المحرم سنة ١٦٩ هـ .

فلما استقل احمد بن طولون بمصر بنى مدينة (القطائع) لتكون عاصمة لدولته سنة ٢٥٦ هـ ، ثم انشأ بها جامعه المشهور سنة ٢٦٣ هـ .

ولما استولى جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى على مصر اسس مدينة (القاهرة) وبنى بها (الجامع الأزهر) سنة ٣٥٩ هـ ، فانشىء الازهر غداة ظفر الفاطميين بملك مصر ، ومع قيام القاهرة العاصمة الجديدة (١) ، فكان الأزهر خير ما خلفه الفاطميـــون لمصر ، بل وللعالـم الاسلامى اجمع ، فكان بيتا من بيوت الله ، يعمر النفوس بالايمان ، ويهديها سواء السبيل ، ثـم صار جامعة دينية اسلامية كبرى ، يؤمها طلاب العلم من جميع الاقطار الاسلامية ، ويتخرج فيهـا العلماء والأئمة فى جميع العلوم والفنون .

تاريخ انشائه

وقد بدىء بانشاء الأزهر فى ٢٤ من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠م) ، وتم بناؤه فـى عامين وبضعة اشهر ، وافتتح للصلاة فى يوم الجمعة السابع ، او التاسع من رمضان سنة ٣٦١ هـ — (٩٧٢م) ، وسمى (بجامع القاهرة) اسم العاصمة الجديدة ، اما تسميته (بالجامع الازهر)

ماضيه وحاضره

للدكتور : زكي محمد غيث
رئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهر

فقد جاءت متأخرة بعد انشاء القصور الفاطمية فى عهد العزيز بالله (٣٦٥ ــ ٣٨٦ هـ) التى اطلق عليها اسم (القصور الزاهرة) ومن ثم أطلق عليه اسم (الجامع الازهر) ، او انه سمى (الجامع الأزهر) تفاؤلا بما سيكون له من مستقبل زاهر ، ومكانة سامية بازدهار العلوم فيه ، وان كان المرجح أن هذه التسمية مشتقة من لفظ (الزهراء) لقب السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وزوج الامام على رضى الله عنه التى نسبت اليها الدولة الجديدة ، وسميت باسمها ، وقد ظل المسجد الجديد يعرف (بجامع القاهرة ، والجامع الأزهر) ثم تلاشى الاسم الاول مع الزمن وغلب عليه اسم (الجامع الأزهر) الى اليوم .

والغرض منه

وكان الغرض من انشائه ان يكون المسجد الرسمى للدولة فى حاضرتها الجديدة ، وليكون موطن الدعوة الشيعية ، ورمز سيادة الدولة الروحية ، وكانت له فوق ذلك اهمية رسمية خاصة ، ففيه كان جلوس قاضى القضاة ، وفيه مركز المحتسب العام ، وفيه كان يعقد كثير من المجالس الخلافية والقضائية .

فالجامع الازهر عند انشائه كانت له الصفة الدينية والرسمية كسائر المساجد الاخرى ، غير انه لم يلبث ان اتخذ له صفة اخرى هى الصفة (العلمية التعليمية) ، وذلك عندما فكر الخلفاء الفاطميون فى نشر مذهبهم الجديد ، عن طريق دروس تلقى فى حلقاته ، لأن جامع عمرو ، وجامع ابن طولون قد جرت الدراسة فيهما ، وفق تقاليد علمية ، لا تساير تعاليم المذهب الشيعى الجديد فكان من المناسب ان يكون المسجد الجديد (الأزهر) هو المكان المختار ، لنشر تعاليم مذهبهم ، واصبح (الجامع الأزهر) مدرسة علمية يتلقى فيها طلاب العلم ورواده الذين قصدوه من كل صوب مختلف العلوم والفنون ، بجانب نشر دعوتهم ، ومذهبهم الشيعى الجديد ، وسبق الأزهر بصفته

العلمية غيره من المساجد الاخرى ، التى كانت تقوم الى جانبه ، وظل مدى قرون ، ولا يزال مقصد طلاب العلم من كافة ارجاء العالم الاسلامى .

اول درس فيه

واول درس القى فى (الجامع الأزهر) القاه قاضى القضاة (ابو الحسن على بن النعمان) فى صفر سنة ٣٦٥ هـ فى اواخر ايام المعز الفاطمى ، قرا فيه مختصر ابيه فى فقه آل البيت المسمى (الاقتصار) ، وحضر درسه جمع حافل من العلماء ، والكبراء ، واثبتت اسماء الحاضرين فى سجل تخليدا لهذا الحدث الجديد ، ثم توالت حلقات بنى النعمان ، وقد اسهمت هذه الأسرة فى نشر المذهب الشيعى ، وخدمت الفاطميين فى بث دعوتهم ، ونشر مذهبهم فى المغرب ومصر (٢) ، وكانت فى الواقع دروسا مذهبية خالصة اعدت للدعاية السياسية والمذهبية .

ابن كلس

وفى رمضان سنة ٣٦٩ هـ جلس (يعقوب بن كلس(٣)) وزير الخليفة العزيز بالله فى الجامع الأزهر ، وقرا على الناس كتابا الفه فى الفقه الشيعى على مذهب الاسماعيلية ، وتوالى جلوسه بعد ذلك لقراءته فى الأزهر ، وكان يحضر دروسه الفقهاء والقضاة ، وكبار رجال الدولة ، كما كانت له مجالس علم فى داره ، يجتمع فيها الفقهاء وغيرهم من اهل العلم والمعرفة فى سائر العلوم والفنون .

ولم تقف جهود ابن كلس عند هذا الحد ، فانه اراد ان يجعل (الجامع الأزهر) معهدا للدراسة المنظمة المنتظمة ، فطلب من الخليفة العزيز بالله تعيين جماعة من الفقهاء للدرس والقراءة فى اوقات منتظمة مستمرة وذلك سنة ٣٧٨ هـ ، على ان تعقد حلقاتهم فى الأزهر ، وان يجرى عليهم الارزاق ، فاستحسن الخليفة الفكرة ، واجابه الى ما طلب ، وكانوا نيفا وثلاثين فقيها ، فكانوا يحضرون فى كل يوم جمعة للصلاة بالازهر ، ويأخذون فى قراءة الفقه ، ومدارسة الحكمة ، وعقائد الدين الى صلاة العصر .

وهكذا بدات الدراسة فى (الجامع الأزهر) ، واتخذ منذ ذلك التاريخ صفته التعليمية ، وقصده الطلاب من كل صوب ، واصبح به طلبة متفرغون للدراسة ، وقد وفرت الدولة للمدرسين والطلاب ما يعينهم على الدراسة والتحصيل حتى لا تشغلهم مطالب الحياة ، او السعى وراء الرزق ، فرتبت لهم الأرزاق والجرايات ، وبنت لهم المساكن ، وقدمت لهم الكسوة فى كل عيد ، ويسرت لهم سبل الركوب والانتقال احتراما لهم ، وتقديرا لعلمهم ، واستطاع (الأزهر) بما فيه من اساتذة رسميين ، وطلاب منتسبين تجرى عليهم جميعا الأرزاق الدائمة ان يكون معهدا للدرس ، وان يبدأ حياته العلمية الحافلة المديدة .

وكانت الصبغة المذهبية هى الغالبة على الدراسة فى الأزهر ولا سيما فى اول عهده ، لانه كان مركزا لمجالس الحكمة التى كان يعقدها الدعاة فيه ، والتى كانت غايتها بث الدعوة الفاطمية ، وتوطيد امامتها ، فكانت علوم الشيعة وفقه آل البيت تحتل من حلقاته الدينية المقام الاول ، غير ان هذا لم يمنع من تدريس علوم الدين ، واللغة وفروعها ، وكان للعلوم الدينية بنوع خاص اوفر نصيب ، كما كانتتدرس به علوم : الفلسفة ، والمنطق ، والطب ، والرياضيات وان كان ذلك فى حدود ضيقة .

دار العلم او دار الحكمة

ظل الجامع الأزهر المركز العلمى الرئيسى للثقافة الشيعية ، والعلوم الدينية ، والعربية ،

والكونية حتى ظهر له منافس خطير هو (دار العلم) التى انشاها الخليفة الفاطمى الحاكم سـنة ٣٩٥ هـ (٤) ، فقد انتزعت منه الكثير من رواده ، وتفوقت عليه ، واثرت فى سير الدراسة به ، بسبب ما وجد بها من دراسات مختلفة للغة ، والمنطق ، والفلسفة ، والطب ، والرياضيات فى حرية وانطلاق ، ولتشجيع الخليفة الحاكم لطلابها ، غير ان ازدهار (دار العلم) كان قصيرا ، لما انتابها من اضطرابات اخلت بالتعليم فيها ، وبقى الأزهر ملاذا للعلوم الدينية ، والعربية ، ولم يقلل قيام (دار العلم) من شانه كمعهد للقراءة ، والدرس .

بقيت الصفة (التعليمية) مميزة للجامع الأزهر طوال العصر الفاطمى ، فزاد عدد طلابـه واساتذته ، وكثرت اروقته ، وحلقات التعليم به ، ونمت الدراسة فيه وازدهرت ، حتى بدا يجتذب اليه الطلاب والعلماء من خارج مصر ، واستطاع أن يكـون (جامعة علميـة) جليلـة القدر ، وان يسدى الى الـدين واللغـة اجل الخدمـات على مر السـنين ، حتى غدا كعبة لقصاده من سائر الاقطار الاسلامية ، كما قال المقريزى فى خططه . « ولم يزل فى هذا الجامع ــ الأزهر ــ منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه ، وبلغت عدتهم فى هـذه الايام ــ سنة ٨١٨ هـ ــ سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم ، وزيالعة ــ نسبة الى زيلع ــ ومن اهل ريف مصر ، ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم ، فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القـرآن ، ودراسته ، وتلقينـه ، والاشتغال بانواع العلوم ، والفقه ، والحديث ، والتفسير ، والنحو ، ومجالس الوعظ ، وحلق الذكر ، فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله ، والارتياح ، وترويح النفس ما لا يجده فى غيره ، وصار ارباب الأموال يقصدون هذا الجامع بانواع البر من الذهب والفضة والفلوس ، اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى ، وكل قليل تحمل اليه انواع الأطعمة والخبز والحلاوات لا سـيما فى المواسم » .

فى عهد الدولة الأيوبية

استمر الأزهر فى اداء رسالته العلمية ، يحمل مشعل المعرفة الوهاج ، حتى غدا منار العلم وموئل العلماء طوال العهد الفاطمى ، فلما قامت الـدولة الأيوبية بدا نجمه فى الأفـول ، لان السلطان صلاح الدين الأيوبى قد عمل منذ اللحظة التى استقل فيها بحكم مصر سنة ٥٦٧ هـ على محاربة التشيع ، ونشر المذهب السنى ، فابطل الخطبة من الجامع الأزهر مركز الدعوة الشيعية ابطلها قاضى القضاة الشافعى فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى ، المسمى : (صدر الدين عبد الملك بن درباس) ، لأن الشافعية لا يجيزون اقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد ، واقرها فى جامع الحاكم ، وبقى الأزهر معطلا من اقامة الجمعة فيه نحو مائة عام ، الى أن اعيدت اليه فى عهد الملك (الظاهر بيبرس البندقدارى) سنة ٦٦٥ هـ .

فى أيام المماليك

غير ان هذه المحنة لم تؤثر فيه ، فقد تابع حياته العلمية ، ووجد فى ظل المماليك الرعايـة الكاملة ، وبرزت صفته العلمية بروزا واضحا فى عصرهـم ، وتمكن من المحافظة عـلى التراث الاسلامى خلال المحنة التى حلت بالشرق الاسلامى من جراء الغزو المغولى ، ثم ما اصيبت به معاهد العلم والمساجد فى الأندلس ، وبلاد المغرب من ذبول وضعف ، مما جعله مقصد العلماء والطلاب من المشرق والمغرب ، يجدون فى رحابه الملجأ والملاذ ، وغدت القاهرة ــ مقر الجـامع الأزهر ، وكرسى الخلافة الاسلامية ــ قلب العالم الاسلامى النابض ، وامل العروبة والاسلام ، واعتبر عصر المماليك بحق . « العصر الذهبى للجامع الأزهر » من حيث الانتاج العلمى الممتاز ، ومحافظته على التراث الاسلامى ، وقيامه على اداء رسالته العلمية والتعليمية للمسلمين كافة ، واحتلاله مركز الزعـامة .

فى عهد الأتراك

واصل الأزهر سيره ، يؤدى واجبه فى خدمة الدين والثقافة بهمة فائقة ، ونشاط كبير ، حتى منيت البلاد بالفتح التركى العثمانى سنه ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) فحلت بالديار المصرية الكارثة ، واغتصب السلطان سليم الاول خير ما فيها من تحف وآثار ، وكتب نفيسة ، وسلب البلاد عمالها وصناعها ، وبعث بكل ذلك الى القسطنطينية العاصمة ، وكان طبيعيا ان يصيب الأزهر ما اصاب البلاد من اضرار جسيمة ، فاختفت من رحابه الصفوة الممتازة من علمائه الأعلام ، وخفت صوته وانكمشت اهدافه وبرامجه الدراسية ، واقتصرت الدراسة فيه على العلوم الدينية ، والعربية ، واختفت العلوم الرياضية ، والفلسفية ، والطبية وغيرها من سائر العلوم الكونية ، وخيم عليه ركود طويل كاد يقضى عليه ، ويخمد انفاسه .

وحين جاءت الحملة الفرنسية

وعلى غير انتظار احتل الفرنسيون الديار المصرية سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨م) فايقظت حملتهم الأزهر من سباته ، ونبهته من غفوته ، ووجد نفسه تحت ضغط الظروف والحوادث ، يشارك فى الحركة القومية بتعبئة قوى الكفاح الشعبى ضد المستعمر الجديد ، وغرس الكراهية فى النفوس ضد الفرنسيين ، الدخلاء ، فلعب دورا سياسيا خطيرا ابان الاحتلال الفرنسى ، واحتل موضع القيادة الروحية ، والزعامة السياسية فى البلاد ، فكانت يقظة قومية وطنية قبل أن تكون يقظة علمية ، قادها كبار رجال الأزهر بزعامة شيخ الأزهر (الشيخ عبد الله الشرقاوى) ، وثارت القاهرة مرتين فى وجه الفرنسيين ، ثم قتل (كليبر) نائب نابليون بيد (سليمان الحلبى) المنتمى الى الأزهر وازعجت هذه الأحداث الفرنسيين ، فنزحوا عن البلاد نهائيا بتسليم الجنرال (مينو) فى شهر ربيع الآخر سنة ١٢١٦ هـ (سبتمبر سنة ١٨٠١م) بعد أن مكثوا بها ثلاث سنوات وبضعة اشهر ، ارهقوا فيها اهل البلاد عامة من امرهم عسرا ، ونالوا من قداسة الجامع الأزهر وكرامة اهله .

فى عهد محمد على

فلما آل حكم الديار المصرية الى « محمد على » سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥م) لم يجد الأزهر عطفا من النهضة القومية فى بادىء الامر ، ولم يحفظ سيد البلاد الجديد الجميل لعلماء الأزهر الذين ارتقى على اكتافهم الى منصب الولاية ، وابتدا عهده بالاستيلاء على املاك الأزهر الخاصة الواسعة ، وفقد الأزهر بسبب اغتصاب اوقافه اهم موارده المالية ، ومع ذلك فان رغبة محمد على فى الاصلاح ، وفى اقامة بناء دولته الجديدة على اسس سليمة جعلته يرغب فى الاسترشاد بالأفكار الاوربية ، فاتجه الى ارسال البعوث العلمية الى الخارج ، فانشا فى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦م) — البعثة العلمية الى باريس ، واختار لها نخبة من انجب طلاب الأزهر ليتلقوا العلم على اساليب جديدة (٥) ، فكانت هذه خطوة عملية نحو اصلاح الأزهر وادخال اساليب البحث الحديث فيه ، والاهتمام بالعلوم الحديثة التى كانت مهملة ، غير ان الأزهر لم يستجب لهذه المحاولة ، وظل متمسكا باسلوبه القديم ، كما عارض رجاله بشدة دعوة الزعيمين جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده فى اصلاح الأزهر ، وضاعت جهودهما فى سبيل اصلاح الأزهر هباء ، وان كانت دعوتهما قد اثمرت فى خارجه حيث وجدت استجابة من بعض شباب البلاد ، ونشا جيل من المفكرين الاحرار شارك فيما بعد فى اصلاح الأزهر .

لم يحل جهود الأزهريين دون بذل عدة محاولات لاصلاح الأزهر باصدار القوانين المنظمة له ، فصدر اول قانون سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧٢م) فى عهد مشيخة الشيخ محمد العباسى المهدى ، وادخلت بمقتضاه عدة اصلاحات على مناهج الدراسة ، ونظام الادارة ، وتقرر ادخال .. (امتحان

الشهادة العالمية ، وامتحان الطلاب الراغبين فى الحصول عليها ، امام لجنة يعينها شيخ الجامع الأزهر من بين علمائه) .

ثم فى عهد مشيخة الشيخ سليم البشرى صدر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م الذى يعتبر من اهم قوانين اصلاح الأزهر فى حينه ، واكثرها عناية بمناهجه ، وخطة الدراسة فيه ، وبمقتضاه حددت اختصاصات شيخ الأزهر ، وانشىء مجلس الأزهر الاعلى ، وجماعة كبار العلماء ، وشيوخ — المذاهب الاربعة ، وادخلت العلوم الحديثة فيه .

كما صدر فى عهد مشيخة الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى المرسوم بقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠م ، الخاص باعادة تنظيم الجامع الأزهر ، والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية ، والذى حولت بموجبه الدراسة العالية بالازهر (القسم العالى) الى كليات ثلاث ، والى انشاء اقسام للتخصص فى المادة ، والمهنة بعد الحصول على الشهادة العالية من احدى الكليات ، ولذا فان هذا القانون يعتبر بحق اول خطوة رسمية فى تمكين الجامع الأزهر من مسايرة التقدم العلمى والاجتماعى فى العصر الحاضر فى تزويد طلابه بما يجب أن يحيط به رجل الدين الحديث من العلوم ومن الاتجاهات .

مشيخة الشيخ المراغى

ثم كانت خطوة اوسع نحو الاصلاح على عهد مشيخة الشيخ محمد مصطفى المراغى الثانية (١٩٣٥ — ١٩٤٥م) بصدور المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م ، وقد نجح هذا القانون فى معاجلة الكثير من مشاكل الاصلاح فى الأزهر ، وفى النهوض بالأزهر الى مستوى الجامعات الحديثة الكبرى ، وقد ارفق الشيخ المراغى مشروع هذا القانون بمذكرة أوضح فيها وجهة نظره ، وانه يريد للازهر ان يساير الحياة المعاصرة عن فهم وادراك ، كما انه يريد بهذا الاصلاح أن يفى الأزهر بالاغراض التى تحقق آمال المسلمين فيه ، وترجع به الى عصوره الزاهرة من البحث العلمى السليم ، والتفكير الحر ، ودراسة الفنون التى تتفق مع طابعه القديم ، وتطابق مقتضيات العصر ، وتلبى رغباته ، وان يتصل بالنهضة الحديثة فى الغرب عن طريق تعلم اللغات الاجنبية ليرد شبهات المضللين ، ويدفع التهم الموجهة الى الدين فى كتابات الأجانب المغرضين ، ويفيد من طريقة وضعهم للكتب ، ومعالجتهم للمسائل العلمية ، ونورد فيما يلى بعض فقرات من تلك المذكرة ، فقد جاء فيها . « .. ونحن اذ نحاول اصلاح الأزهر نريد ان نوجد طالبا يفهم مسائل العلم فهما صحيحا ، ويفهم أغراضها ، وصلتها بادلتها ، وصلتها بعضها ببعض ، ويستطيع التطبيق على الجزئيات ، ويستطيع الاستنباط والتدليل ، ويستطيع فهم الكتب القديمة التى ألفت فى العصور المختلفة فى جميع الفنون الاسلامية ، ... ، واحب ان توجد كتب فى جميع الفنون الحديثة على اسلوب عربى صحيح مناسب لاذواق الاجيال الحاضرة ، تهذب فيه المسائل على احسن ما وصل اليه التحقيق العلمى ، وأن تحيا الكتب القديمة الجيدة فى الأسلوب والوضع ، ... ، هذا الذى نحاوله بالتجديد . يجب — على ما أرى — ان يضعه الناس امامهم ، وان يجدوا للوصول اليه ، ... ، ولقد كان اسلافنا اشد الناس عناية بالعلم ، فلم يمض الزمن القليل حتى اخذوا علم اليونان ، وادب الفرس ، وحكمة الهند واستعانوا بذلك كله فى تفسير القرآن ، وفى وضع علم الكلام على الأسس التى نراها فى مثل المواقف والمقاصد ، واستعانوا به فى تنظيم مسائل العلوم جميعها ، فلم يخل علم من اثر الفلسفة والمنطق ، ولقد كانت لهم محاولات جديرة بالاعجاب فى التوفيق بين الدين ونظريات الفلسفة ،... وتغيرت نظريات الفلسفة ، وحدثت نظريات أخرى ، وكان من شان هذا كله ان توجه على الاديان جملة ، وعلى الاسلام خاصة حملات ، وصار من الواجب الحتم على علماء المسلمين ان يحيطوا علما بكل ما يوجه الى الاديان عامة ، والى الاسلام خاصة من مطاعن ، وان يردوا تلك المطاعن التى توجه الى الاسلام ، ويذودوا عن عقيدتهم بادلة ناصعة ، وأسلوب مقنع ممتع ، ليجنبوا المتعلمين

تعليما مدنيا الشبه الزائفة ، وليضموا الى الاسلام أفرادا وشعوبا من الأمم التى تتطلع الى الاسلام ، وتبتغى الوقوف على خصائصه ومزاياه ، وهذا لا يتم لهم على ما ينبغى الا بالاتصال بغيرهم اتصالا علميا ، وبتعرف اللغات الحية التى يكثر فيها الانتاج العلمى ، والتى يتناول بها العلماء مسائل الاسلام ، ومسائل اللغة العربية ، لذلك وجب أن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات ، وهنالك فائدة أخرى لتعلم اللغات ، وهى أنها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب ، وعلى معرفة الأسلوب الحديث فى التاليف والتفكير ، وطريقة عرض المسائل على انظار المتعلمين .... الـخ .. » .

بهذا الاصلاح يكون الشيخ المراغى قد أتم ما بدأه الشيخ محمد عبده ، وقد كرس الشيخ المراغى فترة السنوات العشر التى أعقبت صدور القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م على تنفيذ هذه الاصلاحات حتى لقى ربه فى الثانى والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٥م رحمه الله .

وقد تعاقب على كرسى مشيخة الجامع الأزهر بعد الشيخ المراغى عدد من جلة شيوخ الأزهر هم . الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وكان مؤمنا بالاصلاحات التى أدخلها الشيخ المراغى ، غير أن المنية قد عاجلته سنة ١٩٤٧م ثم الشيخ محمد مأمون الشناوى ، والشيخ عبد المجيد سليم للمرة الأولى ، والشيخ ابراهيم حمروش ، والشيخ عبد المجيد سليم للمرة الثانية ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ عبد الرحمن تاج ، والشيخ محمود شلتوت ، وقد صدرت خلال هذه الحقبة عدة قوانين معدلة للقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م ، والقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٥٦م ، ثم القرار الجمهورى رقم ١٥٢٥ لسنة ١٩٥٩م ، وكلها تستهدف اصلاح الأزهر والنهوض به ، والارتفاع بمستواه العلمى والمادى .

وهكذا تقلبت الأحوال بالأزهر من عسر ويسر ، وذاق خلالها حلاوة العزة والقوة ، ومرارة الوهن والضعف خلال فترة تجاوزت الألف عام من عمره المديد ، ورغم الظروف والأحداث التى مرت به لم يقصر فى اداء واجبه ، وظل عامرا بالطلاب ، زاخرا بالعلماء يؤدى رسالته العلمية والوطنية فى ثقة واطمئنان ، واخيرا صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشان اعادة تنظيم الأزهر ، والهيئات التى يشملها فى عهد الشيخ محمود شلتوت ، وأصبح الجامع الأزهر لأول مرة بموجب هذا القانون (جامعة) ، واضيف اليه عدد من الكليات بجانب كلياته الثلاث السابقة ، واصبحت كليات (جامعة الأزهر) الجديدة اليوم هى ، المعاملات والادارة (التجارة) والبنات الاسلامية ، والهندسة والصناعات ، والطب ، والزراعة ، والتربية ، وقد ترك الباب مفتوحا لانشاء كليات أخرى ـ غير الكليات التسع ـ ومعاهد عالية طبقا لحاجة التطور ومسايرته .

وكان هذا التطور الجديد ضرورة تحتمها الحياة المعاصرة ، وتقتضيها ظروف المسلمين فى انحاء العالم الاسلامى الذين ينظرون الى الأزهر على أنه من بين مقدساتهم ، لجليل نفعه ، وعظيم اثره فى خدمة علوم الدين واللغة ، وحفظ تراث الاسلام والعروبة .

وقد نوهت المذكرة الايضاحية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بمكانة الأزهر ، وما يرجى له من مستقبل ، وبما يمكن أن يؤديه من خدمات جليلة فى جميع أرجاء العالم الاسلامى بعد اعداد أهله وفق أهداف هذا القانون ، فقد جاء فيها : « ... لقد قام الأزهر بدور عظيم فى تاريخ العلم ، وفى تاريخ الاسلام ، وفى تاريخ العروبة ، وفى تاريخ الكفاح القومى على توالى العصور ، ووقف قلعة شامخة فى وجه كل المحاولات لاستعبادنا ، والسيطرة علينا ، وتحطيم كياننا القومى والروحى » ، « وكانت التقاليد العلمية فى الأزهر أساسا للنظام الجامعى ، والتقاليد الجامعية فى كل بلاد الدنيا ، فهو أقدم جامعة فى العالم ، وان لم يكن اسمه بين أسماء جامعاتنا » .

ومن علم الأزهر شع نور الاسلام فى بلاد كثيرة من افريقيا ، ومن آسيا ، وازداد عدد المسلمين عشرات الملايين ، وكانت بعوث الأمم المختلفة الى الأزهر سببا لتوثيق علاقاتنا ببلاد كثيرة ،

وشعوب كثيرة منذ اقدم العصور الى اليوم ، وقد اكتسب اسم الأزهر بذلك قدسية ، واكتسب المنتسبون اليه احتراما ، وصار رايه هو الراى فى كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، وصار هو الجامعة الاسلامية الكبرى فى الشرق والغرب ، لا يطلب احد علوم الاسلام الا عن طريق الأزهر ، ولا تتجه قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها الى معهد يفد اليه أولادهم للتزود من أسباب المعرفة غير الأزهر .... الخ) .

ثم تناولت المذكرة بالتفصيل المبادىء التى تحقق ما يهدف اليه القانون من اصلاح الأزهر حتى يعود اليه شبابه ، وترتفع مكانته ، وينهض برسالته فى الداخل والخارج ويصبح ابن الأزهر قادرا على المشاركة بدور ايجابى نافع لمجتمعه خاصة ، والمجتمع الاسلامى عامة ، « وحتى يتوفر للأمة نوع من الخبرات التى تملك الى جانب العقيدة الواعية كفاية عملية ومهنية وعلمية ، تشارك فى مجالات العمل والانتاج فى نفس الوقت الذى تدعو فيه الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة » .

فالأزهر اليوم سيد جامعات الاسلام دون منازع ، واليه يرجع الفضل فى صيانة الثقافة الاسلامية العربية فى ظلمات العصر التركى العثمانى بمصر ، وفى مقدور الأزهر اليوم أن يشق طريقه فى ظل هذا التطوير ، وتلك الرعاية التى تظله بها الدولة ليؤدى الى العالم الاسلامى اعظم الخدمات ، ويضيف الى مآثره القديمة مجدا جديدا اذا جدد نفسه ، وفهم رسالة الاسلام العلمية كما كان يفهمها سلفنا العظيم ، حتى تتاكد زعامته ، وتتالق مشاعل المعرفة من ارجائه ، حتى يعم نورها ارجاء المعمورة . ذلك ما نرجوه ، والله ولى التوفيق .

---

(١) دخل جوهر مصر فى يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨هـ ، واختط مدينة القاهرة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٥٩هـ بعد عام من فتحه لمصر ، وحينما انتقل اليها المعز لدين الله سنة ٣٦٣هـ اصبحت عاصمة الخلافة الفاطمية .

(٢) عميد هذه الأسرة هو . النعمان بن محمد الفقيه الشيعى المعروف (بابى حنيفة النعمان) قدم القاهرة مع المعز وتوفى بها سنة ٣٦٣هـ ، وقد ولى القضاء بعده ابناؤه واحفاده وابناء اخوته . (انظر كتاب . التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الاول للاستاذ خطاب عطية على ، طبعة ١٩٤٧م ، هامش ٢ ص ١٠٥) .

(٣) ابن كلس ، هو . ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، كان يهوديا من اهل بغداد ، اتصل بخدمة كافور الأخشيدى بمصر فاظهر خبرة وبراعة ، ثم اسلم بعد ذلك فارتفعت مكانته فى بلاط كافور ، ونال حظوته ، ثم انه رحل الى المغرب فرارا من وجه الوزير . ابى الفضل جعفر بن الفرات الذى استبد بالأمر فى مصر بعد موت كافور ، واتصل بالمعز فقربه واكرمه ، ثم وزر لابنه العزيز بالله ، وكان يحظى عنده بمكانة ممتازة ، فلما اعترته علة الموت عاده الخليفة العزيز بالله ، ولما توفى سنة ٣٨٠هـ صلى عليه ، وظهر الحزن فى وجهه لفقده ، وأمر بغلق الدواوين اياما بعده .

(٤) وقيل انشئت دار العلم سنة ٤٠٠هـ ، وقد عنى الخليفة الحاكم بها عناية بالغة ، والحق بها مكتبة نقل اليها من قصور الخلافة الكثير من الكتب فى سائر العلوم والفنون ، وكانت تعرف المكتبة . بدار الحكمة ، فدار العلم كانت . مدرسة ، ومكتبة ، وكذا عرفت . « بدار العلم حينا ، وبدار الحكمة حيناآخر » ، لانها جمعت بين ما كانت تقوم به خزائن الحكمة كدور للكتب ، وما كانت تقوم به دور العلم منتعليم ، وظلت تؤدى رسالتها حتى زالت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ ، على يد صلاح الدين الأيوبى فجعلها مدرسة سنية لدراسة المذهب الشافعى طبقا لسياسته فى محاربة التشيع .

(٥) من بين اعضاء هذه البعثة ، رفاعة بك الطهطاوى الذى عد شيخ المترجمين ، وابراهيم بك النبراوى احد نوابغ البعثة الطبية ، واحمد حسن الرشيدى بك من اكابر خريجى مدرسة الطب والبعثات ، وغيرهم كثير ، كان لهم جميعا على النهضة المصرية فضل كبير .

الحكومة الإسلاميّة الأولى



للأستاذ
سليم طه التكريتي

فى هذا الوقت الذى تضطرب فيه احوال الحكومات العربية والاسلامية بصفة خاصة ، ويتربص اعداء العروبة والاسلام الكثيرون بالعالمين العربى والاسلامى ، ويكيدون لهما فى كل مجال من مجالات الحياة ، وفى هذا الوقت الذى لا تزال فيه اسرائيل تجثم بوطأة احتلالها البغيض ، ليس على الاجزاء التى اقتطعتها قبل عشرين سنة من فلسطين الشهيدة فحسب ، بل تواصل سياستها الاحتلالية العدوانية ضد ما تبقى من فلسطين وصحراء سيناء وغربى سوريا ، فى هذا الوقت بالذات يكون من المفيد للعرب والمسلمين ان يعـودوا مرة أخرى الى دينهم الحنيف ، يتمسكون بشعائره ، ويستوحون من تطبيق مبادئه وسائل قوتهم ومنعتهم ، وتنظيم شئون الحكم فى ديارهم على الاسس القويمة التى جاء بها ، والتى قامت عليها الحكومات الاسلامية سواء فى عهد الرسول الاعظم ام خلفائه الراشدين من بعده .

ولعل من ابرز الاسس التى وضعها الاسلام للحكم ما تجلى تطبيقه فى عهد الحكومة الاسلامية الاولى التى أقامها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة اثر هجرته اليها .

ذلك أن الهدف من هجرة الرسول وصحبه الكرام من مكة الى المدينة ، لم يكن ليقتصر على الخلاص من الاضطهاد الذى كان يتعرض له هو واتباعه على أيدى قريش فى مكة ، ولا تفـادى الظلم الفادح الذى أنزل بهم هناك ، واصابة الامن والسلام فى رحاب المدينة .

فما خلا هذا الهدف كان للهجرة أهداف أخرى تتركز فى اتخاذ المدينة المنورة مقرا جديدا للدعوة الاسلامية ، وقاعدة للدين الاسلامى ينطلق منها الى مختلف انحاء الحجاز وجزيرة العرب أولا ، والى بقية بقاع العالم أخيرا .

لقد كان من أهم النتائج التى تمخضت عنها حركة الهجرة النبوية الى المدينة انشاء أول حكومة اسلامية تخضع لادارة الرسول واشرافه التام فى ذلك الجزء الصغير ، من بلاد العرب ، وتأخذ على عاتقها مهمة نشر الدعوة الاسلامية ، وايصالها الى الاقوام التى حيل بينها وبين الاهتداء بأنوار الاسلام الساطعة ، والتمسك بتعاليمه السمحة .

وهذه الحكومة الصغيرة التى انشأها الرسول وأصحابه من المهاجرين والانصار فى المدينة ، تشبه فى تكوينها وأهدافها وحتى أساليبها ما جرى وما يجرى الآن فى البلدان الخاضعة لنير الاستعمار ، المبتلاة باحتلاله وتسلطه عليها حين يقوم الشعب المضطهد بالثورة المسلحة ضد المستعمرين ويؤسس فى المناطق التى ينتزعها من أيديهم ادارات أو حكومة وطنية متحررة تتولى مسئولية مواصلة الثورة ، واستمرار النضال الى أن يتم لها النصر النهائى وتحقيق السيادة الوطنية والاستقلال .

كانت حركة التآخى بين المهاجرين والانصار التى بدأها الرسول فور وصوله المدينة أول اجراء أقدم عليه محمد صلى الله عليه وسلم لاقامة حكومته الاولى هناك . فقد كانت وحدة الأوس والخزرج ومن انضم اليهم من المسلمين المهاجرين تمثل القاعدة المتينة التى مكنت الرسول من تنفيذ خطته الرامية الى استقلال المدينة والاجزاء التابعة لها عن بقية أرض الحجاز ، وانشاء حكومة اسلامية فى ذلك الجزء المستقل .

ولقد كان الرسول ذاته يمثل رأس تلك الحكومة الذى يمسك بزمام الزعامة الدينية والدنيوية فى وقت واحد ، وكانت الآيات القرآنية وما أضيف اليها من أوامر النبى ونواهيه تمثل دستور تلك الحكومة ، كما كانت الشورى أساسا لنظام الحكم الذى تستند اليه .

فالرسول هو مصدر التشريع بما يذيعه بين قومه من محكم الكتاب ، وواضح الحديث ، وأعمال التطبيق وهو فى الوقت ذاته يمثل السلطة التنفيذية ، اذ يوجه أمور المسلمين ويدير شؤونهم فيما يختص بأصول دينهم وأسس معاملاتهم ، يحلل لهم ما أحله الله ، ويحرم عليهم ما حرمه ، ويرشدهم الى طريق الصواب فى كل أمر يمس دينهم ودنياهم .

وهو فضلا عن ذلك كان يمثل القائد العام للجيش الاسلامى يدفعه الى المغازى والمسيرات ، ويناجز به الخصوم ، ويدخل معهم غمرات الحروب فى الوقت الذى كان هو نفسه يعقد المعاهدات والاتفاقات مع غير المسلمين ان هم كفوا عن التعرض للدين الجديد ، وعن الحاق الاذى به وبمعتنقيه .

والى جانب هذا وذاك كان الرسول يأمر بجباية الاموال والصدقات ، وتوزيعها على من هم جديرون بها ، وتقويم أود الدولة عن طريق بيت المال الذى أنشأه والذى يمثل خزينة الدولة أو وزارة المالية فى النظم الحكومية الحديثة .

ورغم حداثة الحكومة الاسلامية الاولى فانها لم تجابه من المعضلات ما كان يستعصي عليها حله ، ولم تتعرض لأية هزات اقتصادية كانت أم اجتماعية أم سياسية ، مما تتعرض له الحكومات الحديثة النشأة عادة .

وسبب ذلك يعود الى العرب ــ حتى بعد أن سطعت عليهم انوار الاسلام ، وتشربت نفوسهم بمبادئه ، ظلوا يعيشون في نطاق ما ورثوه من تقاليد طبيعية ، وما اعتادوه من عادات فطرية أخذ الاسلام يهذبها يوما بعد آخر فيبطل الطالح منها ، ويبقى على الصالح المفيد .

ومع ذلك فقد قامت الحكومة الاسلامية الاولى على أسس جديدة لم يعهدها المجتمع العربى من قبل ، لأن الحكام العرب فى عهود جاهليتهم كانوا قد أهملوا شأنها ، وأمعنوا فى العدوان عليها ، أسس متينة لا تنال منها الاحداث صريحة صالحة لكل أمة من الأمم ، ملائمة لكل زمان ، مواكبة لكل تطور وتجدد .

□□□

كان العدل أول الاسس التى قامت عليها حكومة المدينة المنورة . وكان العدل من بين ما أمر الله المسلمين بتطبيقه ، والالتزام به . فقد كرر الله تعالى الحديث عن العدل فى عدة آيات من كتابه المجيد منها قوله : « اعدلوا هو اقرب للتقوى » . ومنها « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقوله « ان الله لا يظلم مثقال ذرة » ومنها قول الرسول فى بعض أحاديثه « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده » .

وكانت الوحدة بين المسلمين من القواعد الاساسية التى ارتكزت عليها حكومة المسلمين الاولى . ذلك أن القرآن ما فتىء يحث على الوحدة ، ونبذ الفرقة فى العديد من آياته الكريمة فقد قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

وقال أيضا « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقال أيضا مخاطبا رسوله الكريم فى موضوع الوحدة « لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » .

وتؤلف المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامى ركيزة اخرى من الركائز القوية التى بنيت عليها حكومة الرسول فى المدينة .

وقد قصد بهذه المساواة التساوى بين جميع المسلمين فى الحقوق والواجبات والاخذ والعطاء لا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين كبير وصغير ، ولا بين رجل وامراة ، ذلك أن المساواة كانت من المبادىء الاساسية التى أقرها الله وحث على تحقيقها فى محكم كتابه العزيز فقال جل من قائل « انما المؤمنون اخوة » وقال أيضا « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقال النبى الكريم « المسلمون سواسية كأسنان المشط » « المسلمون

تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .

وتمثل الشورى صفة النظـــام الذى اتخذته الحكومة الاســـلامية مبدأ ودستورا لها .

فقد كان الحكم فى المدينة شوريا أى أن رئيس الحكومة ــ وهو الرسول نفسه ــ ما كان ليقدم على عمل من الاعمال ، أو يقر قرارا الا بعد أن يستشير اهل الراى من قومه فيما عسى أن يفعله ، وماذا ينبغى أن يقرره بشأن الحاجات المعارضة والحوادث المستجدة .

ونظام الشورى هذا كان يمثل أعلى مراتب الديمقراطية الشـــعبية ، ولم تصل اليه الانسانية حتى الآن رغم ما بذلته فى سبيل ذلك من تضحيات جسام ، وما بلغته من تقدم وتطور .

لقد امر الله رســـوله ان يأخذ بالشورى فى أحـــكامه وأعمـــاله فقال : « وشاورهم فى الامر » . وأثنى الله فى القرآن أيضـــا على المؤمنين الذين يلتزمون هذا المبدأ السامى فقال عنهم : « وأمرهم شورى بينهم » .

وكان التعاون هو الآخر أســـاسا متينا من أسس الحكومة الاســـلامية الاولى ، وقد أورد القرآن الكريم عدة آيات يحث بها على التعاون بين الناس ، وتعاضدهم فيما يجلب لهم الخير ، ويدفع عنهم الضر ، ويحفظ كيان مجتمعهم من التجزئة والانقسام . فقال تعالى فى كتابه المجيد « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

□□□

كانت بساطة هذه الاسس التى قامت عليها حكومة المدينة المنورة ، وضيق النطاق الذى وجدت فيه هذه الحكومة أول الامر ، من العوامل التى ادت الى أن يعهد الى الرسول صلى الله عليه وسلم وحده تدبير هذه الحكومة ، ورعاية كل شأن من شئونها بصفة مباشرة .

وكانت طاعة المسلمين لأوامر ربهم وأوامر نبيه الكريم ، وجهادهم فى سبيل الدين الجديد ، واقتدائهم بالرسول فى أقواله وأفعاله ، من العوامل التى ساعدت الرسول على النهوض بادارة تلك الحكومة ، وتوطيد أركانها فيما بعد ، لتصبح أعظم حكومة فى الدنيا قاطبة تشرف على ادارة امبراطورية ما عرف التاريخ لها مثيلا .

كانت وظائف الحكومة المحمدية فى المدينة قليلة . وكانت هذه الوظائف ، والولايات ، تكاد تقتصر على قيادة الجيش واقامة الصلاة ونشر التعليم ، وجمع الصدقات والضرائب التى فرضها القرآن وتوزيعها ، وتشريع الاحكام وتنفيذها .

كان الرسول هو الذى يدعو المسلمين الى الجهـــاد فى سبيل الله ، وهو الذى ينظمهم فى شكل سرايا أو جيوش يبعث بها لمحاربة المشركين . كما كان يقود هذه الجيوش كما حدث ذلك فى غزوتى (بدر) و (أحد) وغيرهما .

ومما تجدر الاشارة اليه فى موضوع الجيش انه لم يكن للمسلمين جيش خاص على غرار ما هو معروف عنه الآن . فقد كان الجهـــاد فرضا على كل مسلم ومسلمة قادرين عليه ، وكان جميع المسلمين يعتبرون مجنـــدين بصفة

الزامية لا سبيل الى التملص من هذا التجنيد الالزامى الا لمن أقعده المرض ، أو الضعف ، أو النفقة .

وما يختص بالصلاة والتعليم كان الرسول هو الذى يؤم المسلمين عند الصلاة فى مساجد المدينة وكان يعلمهم حيثما التقى بهم أمور دينهم ، ويحثهم على تعلم القراءة والكتابة ويحض من يعرفونهما على تعليمهما للغير .

حتى اذا ما اتسعت رقعة الحكومة الاسلامية ، ودانت لها الامصار النائية شرع الرسول يبعث بمندوبين عنه الى سكان تلك الامصار ، يعلمونهم أحكام دينهم كما يعلمونهم القراءة والكتابة أيضا .

أما جباية الاموال — وكانت تتألف من الجزية والصدقة والزكاة وبدل الفداء — فقد كان الرسول ينتدب لهذه المهمة بعضا من أصحابه الذين يعرفون أمور الجباية ، يجمعونها من المفروضة عليهم شرعا ، ثم يؤتون بها الرسول ليوزعها دونما تأخير فى وجوهها المشروعة ، وطبقا لما ورد فى القرآن الكريم « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره الرسول الذى اختاره الله ليبلغ رسالته الى أهل الارض ، ويهديهم الى سواء السبيل ، هو الشخصية المفردة التى أوكل اليها وحدها أمر التشريع وأمر القضاء معتمدا فى ذلك على ما ورد فى القرآن المجيد وما استنبطه نفسه من أحكام نابعة من مصالح الناس .

□□□

لقد كانت حكومة المدينة المنورة الاساس القويم للحكم الاسلامى المثالى الصالح الذى يعد من خيرة النظم التى عرفتها البشرية فى كل أدوار تاريخها ، ولذلك كان الحكم الاسلامى بوفرة من الصلاح والهداية والسعادة للبشر أجمعين .

ولو تمسك العرب والمسلمون بالاسس التى قامت عليها حكومة المدينة المنورة وحرصوا على تطبيق المبادىء التى طبقتها ، لما تمزقت وحدتهم الشاملة ، وتفرقت أوطانهم المتحدة ، وخيم عليهم الذل والعار ، واستباح العدو المغتصب حرمة بلادهم وأموالهم ونفوسهم ، ولما ظلوا حتى هذه اللحظة وعلى وفرة عددهم وعددهم متفرقين متخاذلين لا يقدرون على رد العدوان المشين الذى نزل بهم على أيدى عصابة اسرائيل التى لا يزيد عدد أفرادها عن واحد من ثلثمائة وثمانية على اعتبار أن مجموع عدد المسلمين فى الوقت الحاضر يبلغ ستمائة وستة عشر مليون نسمة وكل سكان اسرائيل ، بما فيهم العرب الخاضعين للاحتلال لا يزيد عن مليونين .

وذركت الموسوعة أن أمير البيان الف كتابا عن ابن خلدون ، وهـذا غيـر صحيح ، وانما الصحيح أن أميـر البيان كتب تعليقات على كتاب بن خلدون فى التاريخ وهو المسمى : (كتاب العبر ، وديوان المبتدأ و الخبر ، فى أيام العـرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) وقد صدرت منه ثلاثة أجزاء فقط .

وقالت الموسوعة عن شكيب : (من أهم مؤلفاته تعليقاته الوفيرة على كتاب (حاضر الاسلام) الذى الفه المستشرق الأمريكى (ستودارد وترجمه نويهض) . ولى على هذه الجملة أكثر من ملاحظة ، فقد أخطأت الموسوعة فى اسم الكتاب ، وصحته (حاضر العالم الاسلامى) ، وهو أشهر من نار على علم ، كما قال القدماء . . فكيف يخفى على علماء الموسوعة ؟

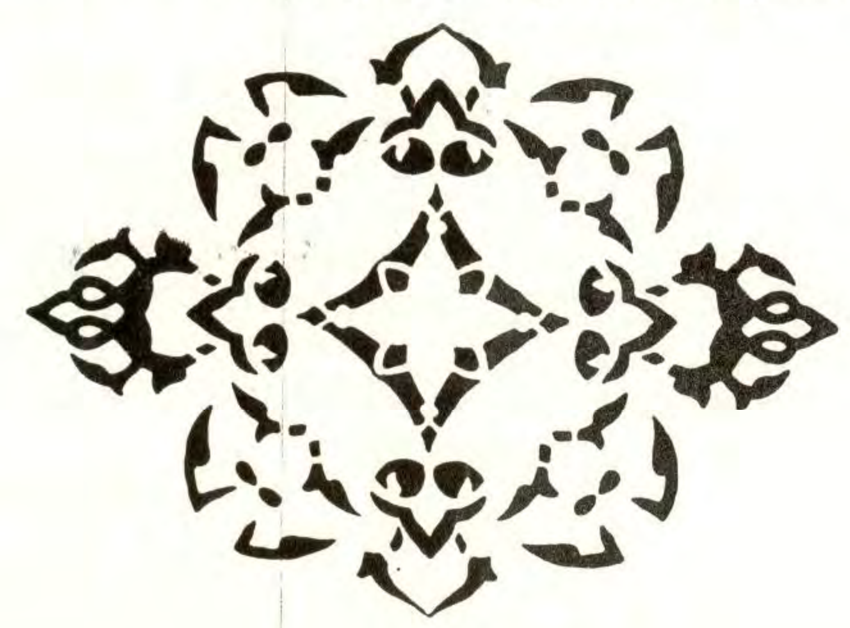
وقد يذهب ذاهب الى احدى دور الكتب ويقضي الوقت الطويل فى البحث عن هذا الكتاب ستودارد) وكذلك كلمة (نويهض) لا تكفى فى التعريف باسم المترجم وهو الأديب الفلسطينى البحاثة الأستاذ عجاج نويهض .

وذكرت الموسوعة من كتب شكيب كتابا سمته : (غزوات العرب فى شمال فرنسا) وصحة الاسم : (تاريخ غزوات العرب فى فرنسة وسويسرة وايطاليـة وجزائر البحر الأبيض المتوسط) .

وذكرت الموسوعة عن شكيب انـه ألف دراسـة عن (أناتول فرانس) . والصحيح أن أمير البيان قد ترجم كتاب (أناتول فرانس فى مباذله) ، وهو من تأليف (جان جاك روسو) ، والكتاب يدور حول مذكرات للـكاتب الفرنسى المشهور أناتول فرانس وقد ترجمه شكيب سنة ١٩٢٥ وقدم له وعلق عليه .

وقالت الموسوعة عن شكيب : (ألف حول الشعر الجاهلى وقضية انتحاله) والصحيح أن شكيبا لم يؤلف فى هذا الموضوع ، وانما كتب مقدمة لكتاب عنوانه : (النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى) وهو من تأليف الأستاذ محمد أحمـد الغمراوى ، وقد تحدث فيها شكيب بتوسع عن دعوى انتحال الشعر الجاهلى .

كل هذه الملاحظات مع الأسف — فى ترجمة قصيرة لا تتجاوز ربع صفحة من صفحات الموسوعة العربية الميسرة ، ونأمل أن يتدارك المسئولون عنهـا هـذه المآخذ عند اعادة طبعها ليطمئن الى مادتها من يراجعها .



لبيك مِلءَ فمي لبيك مِلءَ دمي

في أرض النبوّة

صوت من العالم العلوى نادانى ... لبيك لبيك لا آل ولا وانى
ما أعذب الصوت، ما أشجاه من نغم ... سمعته بفؤادى لا بآذانى
وكيف تسمعه اذن ويحمله ... موج الأثير حروفا وهو روحانى ؟
لبيته بفؤاد ملؤه وجل ... وصيب من دموع العين هتان
كيف الوقوف على باب الرسول وفى ... يدى صحائف زلاتى وعصيانى ؟

دار النبوة ذنبى عنك أبعدنى ... وحسن ظنى بربى منك أدنانى
لم يدر قدرك من فى ذات أجنحة ... أتى يزورك أوفى ذات سكان(١)
هلا أتيتك سيارا على قدمى ... أو طار من حر شوقى بى جناحان
ما غبت عنى وان لم يمتلىء بصرى ... من أهلك الصيد أو من ربعك الغانى
قد كنت ألقاك فى لوحى وفى كتبى ... وفى سطور أحاديثى وقرآنى
ما زلت رسما جميلا فى مخيلتى ... حتى كأنا التقينا منذ أزمان
كأننى لست ضيفا عند أهلك بل ... هم فى ربوعهم الفيحاء ضيفانى
وما طربت للحن ليس يذكر لى ... ما فيك من علم أو فيك من بان
الله يعلم كم حركت فى خلدى ... من ذكريات وكم هيجت أشجانى
كم فى دروبك من درب أصخت له ... كأنه بحديث الأمس ناجانى
لى فى صعيدك أفواه وألسنة ... بقدر ما فيه من رمل وكثبان
يا جيرة الحرمين الآمنين لكم ... أهدى التحية من روح وريحان
الله أورثكم مجدا يقر به ... قبل الحبيب لسان الحاسد الشانى
والله شرف مغناكم وشرفكم ... خير البقاع أقلت خير سكان
ما للشراب وردنا ماء زمزمكم ... بل للطهارة من رجس وأدران
بالله لا تترعوا من مائها قدحى ... بل فاغمروا جسدى منها بطوفان
هنا مفاتيح أغلاق السماء هنا ... باب الوصول الى جنات رضوان

---

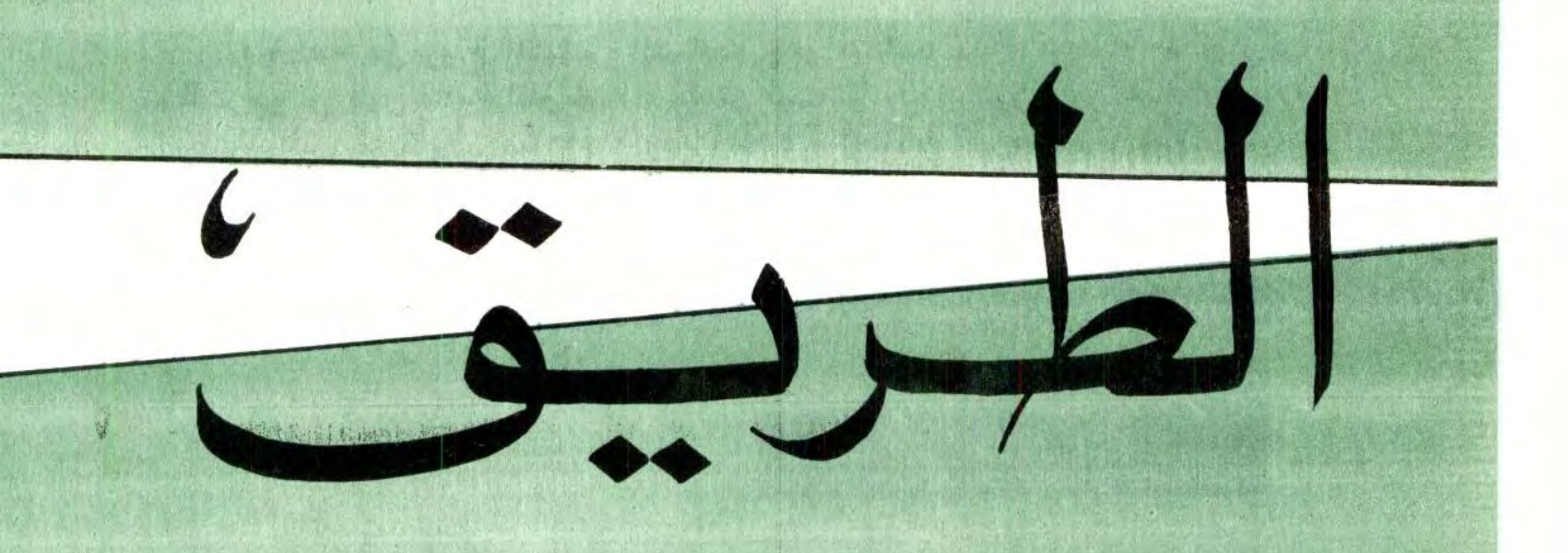
(١) الطائرة والسفينة .

(قطعة من روح الشاعر الصافية وهو يستعد لأداء فريضة الحج ولئن حالت حوائل دون تأديته الفريضة ، فليس ثمة ما يحول دون نشر هذه القصيدة الأصيلة ننشرها كلها : مناجاة ، وضراعة ، وعبادة ، وصفاء . تملأ القلوب بالخشوع ، والعيون بالدموع . وتجرى على الألسنة نداء ودعاء : لبيك ملء فمى لبيك ملء دمى » .

للاستاذ : محمود غنيم

هنا بنى المصلح الأمى جامعة   على أساسين من علم وعرفان
على قواعد من هدى النبوة لا   على قواعد من صخر وصفوان
وكيف لا ورسول الله منشئها !   جل البناء وجل المنشىء البانى
ما كان طلابها الا شراذم من   رعاة أبل ومن عباد أوثان
ربى العتيق أبا بكر بها وأبا   حفص وربى عليا وابن عفان
طلابها فى ربوع العالم انتشروا   مبشرين باصلاح وعمران
وسمحة من سماء الله منزلة   ومحكم من كلام الله ربانى
فيها تخرج سواس البرية من   أدنى المحيط الى أقصى خراسان
ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب فما   أحس شعب بجور أو بطغيان
سماحة عرف الدين الحنيف بها   ما فرقت بين ألوان وأديان
من كل مسعر حرب يوم معركة   وكل نابغة فذ وفنان
اجلهم كل ذى علم وفلسفة   وهابهم كل ذى جاه وسلطان
الله أكبر . كانت سر قوتهم   على الجبابر من فرس ورومان
شاد البداة حضارات بها وبها   ثلوا عروشا وسلوا در تيجان
لا حصن قيصر أغنى عند زحفهمو   ولا احتمى منهمو كسرى بايوان
والأمر لله دار الدهر دورته   فأصبح القوم شاة بين ذؤبان
قد جال فى أمسهم فكرى فأضحكنى   وجال فى يومهم فكرى فأبكانى
يا ويح قومى نسوا الله الكبير فلم   يذكرهم الله . نسيان بنسيان
يا رب شعبك يشكو ما أحاط به   من الخطوب فأدرك شعبك العانى
أدرك بلطفك شعبا غط فى وسن   على تخوم عدو غير وسنان

يا رب قد عشت فى دنياى مغتربا   ويلاه ان اغتربت فى العالم الثانى
حاشاك يا رب فى أخراى تحرمنى   يا رب حسبى فى دنياى حرمانى
استغفر الله من كفران نعمته   بل فوق ما استحق الله اعطانى
الم يجدنى اخا غى فأرشدنى ؟   وهائما غير ذى مأوى فآوانى ؟
الم يجدنى اخا جهل فعلمنى ؟   وعائلا غير ذى وجد فأغنانى ؟
وما البكاء على الدنيا وزخرفها ؟   شاهت ولو أنها دنيا سليمان
وما ابالى بما فى الكون اجمعه   ان صح منه الرضا عنى وأرضانى
لبيك ملء فمى لبيك ملء دمى   لبيك يا رب من قلبى ووجدانى
اليك شعت من ترجى شفاعته   يا رب ان خف يوم الحشر ميزانى



هاتوا من الدين ما كنا ورثناه ... وامضوا الى الحق فيما أنزل الله
ماذا عن الحق ؟ قد قالها الزمان بنا ... حتى نسينا . فضل الرب مسعاه
فيمموا سبل التوفيق وانطلقوا ... حتى نرى الركب باسم الله مجراه

ماذا نقول اذا ما الحق طالبنا ... — عند الحساب — بحق قد أضعناه
الناس للحق قد باعوا نفوسهم ... ونحن باللهو والتضليل بعناه

يا أيها المسلم الناسى رسالته ... هل ضقت بالحق حتى رحت تنساه
أم خفت فى الحق ان مارسته عنتا ... تلقاه من معشر أعماهم الله

قد كان (أحمد) يؤذى فى رسالته ... حتى الملائك ناجت فيه مولاه
اذ يهتفون : الهى !! رد كيدهم ... عمن بعثت فان الكيد أعياه
فيسكب الحق وحيا فى مسامعهم ... ان كان يطلب معوانا نصرناه
فيهمسون اليه ، وهو مستتر ... خلف الجدار ووقع الرجم أدماه
اشك الظلوم فان الله منتقم ... ممن رموك فلم ينطق بشكواه

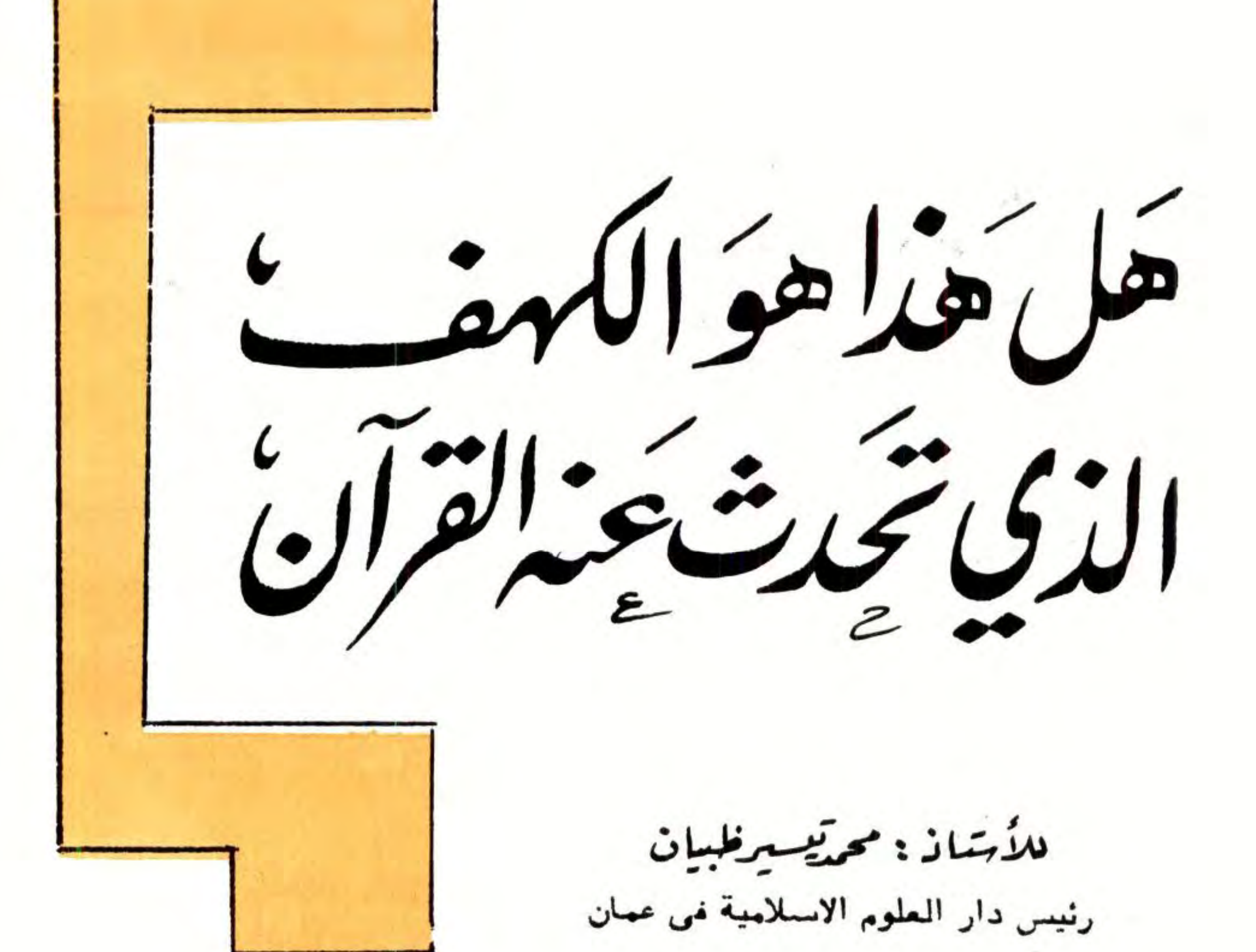
كان محمد صلى الله عليه وسلم يعرف الطريق الى النصر ، كان يعرف الايمان فلا يتزحزح عنه ، وكان لا يخشى البلوى فلا يشكو منها وكان لا يغره النصر فيظلم الناس .

للاستاذ محمد التهامي

وذاق فى الحق مـا لو ذاقه جبـل   لاندك حتى استوى فى الأرض أعلاه
لا يترك الحـق لو ألقـوا بيمينـه   شمس الضحى وأحلوا البدر يسراه
قالوا : لك الجاه والأموال قال لهم   لا المال يعدل ايمـانى ولا الجـاه
ان كان مالكم قـد غركـم زمنـا   فالمـال لله أعطـاه وأحصـاه
أو كان جـاهكم قد زادكم عنتـا   فصاحب الجـاه يـا قومى هو الله
وكل صـاحب عرش عز جـانبه   فاللـه سـيده واللـه مـولاه

حتى اذا جـاء نصر الله وازدهرت   بالفتح « مكة » وازدانت لتلقـاه
وطاف بالبيت فاهتزت تواعـده   وبادر « الركن » للمختـار حيـاه
ونادت الكعبة الأصنـام فارتعشت   وزال شيطانها مـا كان أغـواه
وقالت « اللات » « للعزى » دنا أجلى   فنكس الراس هـذا ما خشينـاه
وسيق للمصطفى مـن كان عـذبه   من أهـله وغدوا فى القيـد أسراه
تذكر المصطفى مـا كان فى أحـد   فعـاده الحزن وانضمت ثنايـاه
وكشر الليث فـارتاعت فريسـته   وأيقن الكـل أن اليـوم منعـاه
فأطرق المصطفى حينا وعـاودهم   قـد بدل الحزن بشرا فى محيـاه
وجـاء بالعفو عفو القـادر اكتملت   فيـه الشجاعـة لما ذل اعـداه

من ذا يعيد الينـا بعض سيرتـه .   هـل من قليل لدينا من سجايـاه
ان كان . فالنصر يسعى فى مواكبنا   والسـعد والمجد والتوفيق والجـاه



هل هذا هو الكهف الذي تحدث عنه القرآن

للأستاذ : محمد تيسير ظبيان
رئيس دار العلوم الاسلامية فى عمان

« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا »

قصة أصحاب الكهف من القصص المثيرة التي تنطوى على أسمى الفضائل الانسانية من صلابة فى العقيدة ، وثبات على المبدأ ، ورسوخ فى الايمان ، ومكافحة للطغيان ، واجتواء لعبادة الأوثان . وهى تعتبر من المعجزات الإلهية الخارقة للعادة ، وقد ورد ذكرها فى سورة كاملة فى القرآن الكريم عرفت باسم سورة الكهف وجاء فى الروايات الاسلامية : أن النضر بن الحارث بن كلدة وعقبة ابن أبى معيط انقذتهما قريش الى احبار اليهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وخبراهم بقوله ، فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا احبار اليهود عن النبى (صلى الله عليه وسلم) وقالا لهم ما قالت قريش ، فقال لهما أحبار اليهود : اسألوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وان لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رايكم . سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول . ما كان امرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟



صورة كهف الرقيم وقد ظهرت واجهته الامامية وأمام بابه وقف أعضاء وفد رابطة العالم الاسلامى لدى زيارتهم لهذا الموقع الشريف يتوسطهم الشيخ محمد سرور الصبان والى يمينه السيد رفيق الدجانى مساعد مدير دائرة الآثار والى يمينه كاتب هذا المقال والسفير السعودى فى عمان ، ويلاحظ القارىء بعض النقوش البيزنطية فوق الجدران .

فانصرفا الى مكة ، فقالا . يا معاشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، وقصا عليهم القصة فجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه ، فقال : أخبركم بما سألتم عنه غدا ، ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة ، لا يحدث الله اليه فى ذلك وحيا ، حتى أرجف اهل مكة ، وتكلموا فى ذلك فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتكلم به اهل مكة ، ثم جاء جبريل عليه السلام عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سألوه عنه عن أمر الفتية والأمور الأخرى (١) .

موقع الكهف :

وقد تضاربت آراء المفسرين والمؤرخين فى تحديد موقع (الكهف) المذكور فذكر بعضهم أنه فى اسبانيا أو اسكاندينافيا أو اليمن ، وذهب أكثرهم الى أنه فى أفسوس الواقعة فى غرب الأناضول (تركيا) وذهب آخرون الى أنه فى مكان يدعى الرقيم فى البلقاء بالقرب من عمان . وقد أيد هذا

(١) ذكر المفسرون هذا على أنه سبب نزول السورة .

الرأى بعض المستشرقين أمثــــال (المسيو كليمانت غانو) قنصل فرنسا العـــام فى القـــدس ، أيـــام العهد التركى ، فقد زار الكهف عام ١٨٦٨ ووافق عـــلى أنه هو بالذات الكهف الوارد ذكره فى القـــرآن الكريـــم والمصادر المسيحية .

على أن الروايـــات الكثيرة التى كانت تتداولها السنة بعض القاطنين فى القرى القريبة من عمان عن وجود هـــذا الكهف بجوارهم حملت دائرة الآثـــار الأردنيـــة على اجراء بعض الحفريات فى المكان الذى كان يشير اليه هؤلاء الرواة ، وقد أسفرت هذه الحفريات عن اكتشـــاف هذا الموقع التـــاريخى العظيم بالاضـــــافة الى الدراســـات التى قـــام بهـــا بعض الاخصائيين فى علم الآثار من أردنيين وأجانب كما سيأتى .

خلاصة القصة :

وخلاصة هـــذه القصة كما ترويها المصـــادر المســـيحية ونقلتها عنها المصـــادر الاسلامية أن بعض الفتية من العائلات الرومية العريقة وعددهم ثمانية (كما تقول المصادر السريانية) وسبعة (حسب الروايات اليونانية واللاتينية) كانوا يعتنقون الديـــانة النصرانيـــة فى زمن أحـــد الحكام البيزنطيين (الطغاة) ويدعى داقيوس (ولكن الاكتشافات الأخيرة ترجح أن يكون ذلك الحاكم هو الملك تراجان الذى حكم بين سنة ٩٨ و ١١٧ بعد الميلاد كما أكد لى احد كبار موظفى دائرة الآثار) .

وقد انصرف هؤلاء الفتية الى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد ، ورفضوا السجود للأوثان التى كان يدعو اليها الملك الطاغية السالف الذكر ، وكان يأمر سكان المدن والقرى بعبادة هذه الأوثان ، وتقديم الأضحيات اليها ، ويعاقب بصرامة كل من يتخلف عن هـــذه العبـــادة ، ويهدده بالقتـــل والتعـــذيب (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) . وقد وشى عيون الملك وجواسيسه بهؤلاء الفتيـــان ، وأخبروه بأنهم يعكفون على عبـــادة إلههـــم سرا فى أمكنـــة خاصـــة ، فاستدعاهم وهددهم ثم خيرهم بين الاقلاع عن هذه العبادة ، والانصراف الى عبادة الأوثـــان ، أو يعرضون أنفسهم للقتل ، وأمهلهم أياما قليلة ، كى يثوبوا الى تعليماته ، فعقـــدوا الخناصر على الفرار ، وانطلقوا من المدينـــة التى كانوا يقيمون فيها الى كهف قريب منها ، وصحبهم راع ومعه كلب على دينهم ، ولبثوا فى الكهف يعبدون الله على دين المسيح (عليه السلام) واسلموا أمرهم الى الله ، لينقـــذهم من بطش ذلك الجبـــار .

ويظهـــر أن الملك المذكور استبطـــأ عودتهم اليه ، فاتصل بأوليـــائهم ، وهددهم بالقتـــل ان لم يرشدوه الى المكان الذى التجأوا اليه ، فساروا معه الى ذلك المكان فلما وصل اليه كانوا قد استسلموا للرقاد بمشيئة الله ، فأمر بأن يسد عليهم باب الكهف كى يموتوا جوعا وعطشا .

« وتحسبهم أيقـــاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيـــه بالوصيد لو اطلعت عليهـــم لوليت منهـــم فرارا ولملئت منهم رعبا » .

ولبثوا فى الكهف ثلثمائة سنة وهم غارقون فى نوم عميق ، ولا يجرؤ أحد على الاقتراب من ذلك المكان . وبعد مضى هـــذه المدة على نومهم أفاقوا بإرادة الله ، وهم لا يعلمون أنهـــم أمضوا تلك الحقبة الطويلة فى ذلك السبات الطـــويل الذى أراد الله أن يجعله آية لاثبات ربوبيته وقدرته .

وبرهانا على وقوع البعث (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا) .

وكانت يقظتهم فى عهد ملك صالح يدعى (ثيودوسيوس) وكان الخلاف فى ذلك الحين قائما على قدم وساق بينه وبين بعض أفراد رعيته حول البعث ، وقيام الساعة ، فاقتضت مشيئته تعالى أن يفيقوا ، وتظهر معجزتهم فى زمنه ليدعموا فكرته .

ولما انتبهوا من نومهم توهموا أن نومهم هذا لم يستغرق أكثر من يوم او ساعات معدودة ، فأحسوا الجوع ، وارسلوا احدهم متنكرا الى المدينة ، ويدعى يمليخا ليبتاع لهم طعاما « وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا » .

وما كاد يبلغ المدينة حتى لاحظ أن مظاهرها قد تغيرت ، وأن هناك اختلافا كبيرا فى ألبسة الناس وحركاتهم ، وطرق عبادتهم ، اذ كانوا يذكرون اسم المسيح كثيرا ، ولما قدم الى الخباز بعض النقود التى كان يحملها ليشترى بها بعض الأرغفة ، وجم الخباز ، واسترعت انتباهه تلك النقود الغريبة ، التى كانت تختلف كثيرا عن النقود المتداولة آنئذ ، فأنبأ بذلك جيرانه ، ثم انتشر النبأ فى المدينة وراجت شائعات بأن هذا الفتى قد عثر على كنز ، فقبض عليه رجال الشرطة ، وساقوه الى الملك الصالح (ثيودوسيوس) فوجه اليه اسئلة أدرك من أجوبته عليها أنه أحد أولئك الفتيان الذين غادروا المدينة ، فرارا من بطش الحاكم الطاغية ، وكانت قصتهم تتداولها الألسنة .

وعلم الملك أن الله (جلت قدرته) أراد أن يبعثهم بعد نومهم للتدليل على قدرته وتأييد وجهة نظر الملك فى البعث والنشور . فسار الملك مع فريق من أهل المدينة الى ذلك الموقع ، فلما رآه الفتية (وكان يمليخا قد سبقهم وأخبرهم بما وقع) فرحوا وخروا لله ساجدين .

ثم انهم قالوا للملك نستودعك الله ونقرىء عليك السلام ، وندعو الله كى يحفظك من شر الجن والأنس ، ثم عادوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم . فسجد الملك شكرا لله وامر بأن يبنى على الكهف صومعة يصلى فيها وجعل لهم عيدا عظيما : (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) .

نتائج عمليات الحفر :

وقد بدأت عمليات الحفر والكشف عن معالم هذا المكان العريق عام ١٩٦٣ على اثر الزيارة الأولى للمكان التى قام بها مدير الآثار المرحوم الدكتور عونى الدجانى ، ومساعده الادارى الأستاذ محمود العابدى ، ومساعده الفنى الأستاذ رفيق الدجانى(٢) ، وكاتب هذه السطور ممثلا عن رابطة العلوم الاسلامية التى كانت أول من لفت أنظار دائرة الآثار الى هذا المكان .

---

(٢) للاستاذ رفيق بحث مطول عن أهل الكهف طبعه فى كتاب ذكر فيه كل ما يتصل بهذا الموضوع وهو دراسة فنية وتاريخية لها قيمتها فى هذه الناحية .

وقد أسفرت هذه الحفريات عن دلائل ساطعة . ونتائج باهرة اعتبرتها دائرة الآثار من القرائن التى يمكن الاعتماد عليها فى اثبات صحة وجود كهف أصحاب الكهف الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم فى ذلك الموقع بالذات . والى القراء بعض هذه القرائن :

١ — ان النقوش التى وجدت على الأحجار الضخمة التى اقيمت فى الجهة الجنوبية من الكهف هى نقوش بيزنطية مما يتفق مع الروايات التى ذكرت انهم ظهروا فى عهد البيزنطيين ، وكذلك النقوش التى ظهرت فى سقف الكهف ، وفى جدرانه . فان تاريخها يرجع الى القرن الأول والثانى بعد الميلاد اى فى عصر البيزنطيين .

٢ — عثر بعد إزالة الاتربة والأحجار التى كانت تغمر أرض الكهف على ستة نواويس حجرية مملوءة بالعظام والجماجم البشرية ، وضريحين آخرين ، وهذا يطابق عددهم الذى ذكر فى معظم الروايات المسيحية والاسلامية . ويتفق مع الآية الكريمة : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى اعلم بعدتهم » .

وقد رجح أكثر المفسرين العدد الأخير . أى سبعة وثامنهم كلبهم .

٣ — يقع الكهف فى مكان منعزل بعيد عن الطرق الرئيسية التى تصل الى المدينة . مما يدل على أن اختيارهم لهذا الكهف بالذات كان بقصد التفرغ للعبادة والتوارى عن الأنظار .

٤ — كشفت الحفريات عن أنقاض مسجد قديم أمام الكهف أقيم فى عهد الأمويين . كما عثر على مسجد آخر فوق الكهف أقيم على أنقاض معبد قديم . مما يدل على أن المسلمين حولوا المعبد الذى أنشىء فى عهد البيزنطيين الى مسجد .

٥ — عثر على كوة داخل الكهف أشبه بنفق صغير يمتد الى أرض الصومعة التى أقيمت فوق الكهف . ويظهر أن أصحاب الكهف كانوا يختبئون فيها أو يتصلون مع أقاربهم وذويهم بواسطتها .

وقد أشار الأمير أسامة بن منقذ (وهو من قواد السلطان صلاح الدين ابن أيوب) فى كتابه (الاعتبار) الى هذا الكهف . وأدائه الصلاة عنده . وتحدث عن تلك الفجوة وكيف كان جنوده يحاولون اجتيازها .

٦ — ان المكان الذى يقع فيه هذا الكهف تنطبق عليه تماما الآية الكريمة (وترى الشمس اذا طلعت تزاو ر عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه) ويلاحظ ان أشعة الشمس عندما تشرق لا تنفذ الى داخل الكهف وتنحرف عنه عند الغروب . وذلك لحكمة إلهية (٢) .

٧ — ان القرية التى يقع فيها هذا الكهف تعرف باسم الرجيب . وتدل الآثار على أنها هى الرقيم ، ومن عادة البدو فى هذه الديار أن يلفظوا الجيم كالقاف ، ويقلبوا الميم باء . وتقع على مقربة من الرقيم قرية تدعى الموقر ، وقد ورد ذكرهما فى شعر كثير عزة الذى يبشر فيه يزيد بن عبد الملك بالخلافة :

يزرن على تنائيه يزيدا
بأكناف الموقر والرقيم

وقد جاء ذكر الموقر والرقيم فى كتاب (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) .

٨ — ومن القرائن التى استشهد بها الأستاذ رفيق الدجانى مساعد

مدير الآثار الذى اشرف بنفسه على حفريات الكهف – أن المسافة التى ذكرها الثعالبى فى كتابه (قصص الانبياء) تطابق المسافة بين عمان وكهف الرقيم ، وهى مسافة معقولة لمن أراد الهروب والاختفاء ، وأن تاريخ انشاء الصومعة التى أقيمت فوق الكهف يتفق مع الزمان الذى كتب فيه جيمس الساروغى عن اهل الكهف عام ٤٧٤م .

مقارنة بين الكهفين :

ومما هو جدير بالذكر أن دائرة الآثار لكى تطمئن الى صحة النتائج التى وصلت اليها وتستوفى البحث فى هذا الموضوع كتبت رسميا الى الحكومة التركية بواسطة سفارتها فى عمان ، وطلبت تزويدها بمعلومات وافية عن كهف (أفسس) الذى كانت تتجه اليه الأنظار فيما سبق ، فتلقت جوابا على كتابها ضمنته بعض المعلومات عن الكهف المذكور ، وهى تؤيد وجهة نظر دائرة الآثار الأردنية ، من صحة النتائج التى توصلت اليها فوق أن الأوصاف الموجودة فى كهف افسس لا تطابق بوجه من الوجوه الروايات الاسلامية ، وما ورد حولها فى القرآن الكريم ، ولا سيما فيما يتعلق بوجود معبد أو صومعة فوق الكهف ، ووضع باب الكهف بالنسبة لشروق الشمس وغروبها ، وعدم وجود أية نقوش بيزنطية أو اسلامية تدل على ان هذا الكهف (أى كهف افسس) هو الكهف المبحوث عنه . وفوق كل ذى علم عليم .

---

(٣) زرت هذا المكان مع فضيلة الشيخ السائح وزير الاوقاف بالاردن بدعوة من الاستاذ كاتب المقال ، والاستاذ رفيق الدجانى مكتشف الكهف ، ومساعد مدير الآثار فى أوائل سبتمبر الماضى وكان الوقت عصرا .. ورأيت كل ما اشار اليه الكاتب داخل الكهف وخارجه ، ولكنى توقفت بين مفهوم الآية وما قاله المفسرون عنها بخصوص وضع باب الكهف .. وبين الوضع الذى رايته للكهف . فالمفسرون يرون أن الآية تؤدى الى أن الباب يتجه لناحية الشمال بحيث تكون الشمس حين تطلع عن يمينه وحين تغرب عن شماله ....

اما الوضع الحالى فالباب يفتح على الجنوب . وقد ذكرت هذا للسيد رفيق الدجانى ونحن أمام الكهف . فقال ان الداخل للكهف يكون مشرق الشمس عن يمينه ومغربها عن يساره فاعتبر الشرق والغرب باعتبار الداخل لا باعتبار الذين فى الكهف . وذلك ليتفق وضع الكهف مع وصف الآية .. وقد رأيت أن أضع هذا امام القارىء ليشترك معنا برأيه .

(الوعى الاسلامى)

مع هذا العدد هدية (رسالة الحج)

(وفي العدد الآتى ذى الحجة : يصدر الفهرس العام للسنة)



هل هو تطوير أو مسخ ؟

تفضل سعادة الأخ العالم الاستاذ محمود شرشور سفير تونس فى الكويت فأهدانا بعض مطبوعات الدار التونسية ، ومنها محاضرة مطبوعة القاها الاستاذ عبد الوهاب بو حديبة فى جامعة الزيتونة احتفالا بليلة القدر سنة ١٣٨٥ هـ بحضور السيد/رئيس الجمهورية ، فالمحاضرة اذن قديمة . ولكنها لم تصل الى يدى الا هذه الأيام ، وموضوعها « **الضمير الدينى فى المجتمع الحديث** » .

وقد شدنى عنوانها هذا لقراءتها . . ذلك لأن فيه شبها بينه وبين عنوان كتاب صدر فى مصر سنة ١٩٥٩ لأحد العلماء . وكنت قد نشرت نقدا له حينذاك ادى الى مصادرة نسخه الموجودة فى المكتبات . ومنع طبعه حتى تحذف المآخذ التى لوحظت عليه . وان كان قد طبع بعد ذلك فى لبنان ، ورايت نسخا منه فى مصر بعد تعديل خفيف !! لهذا اقبلت على قراءة المحاضرة . حتى أرى : ماذا قيل فيها عن الضمير الدينى ؟

وكان مما لوحظ على الكتاب السابق انه استهان بالعبادات اعتمادا على سلامة الضمير . . الخ وسرت فى قراءة المحاضرة التى تقوم على الدعوة للتجديد والتطور الدينى ، لم اتوقف عند شىء منها الا عند بعض نقط ارى من الضرورى الاشارة اليها هنا ، ولو ان المحاضرة قديمة .

جاء فى ص ١٨ أن الاسلام لا يعترف بالاختصاص فى الدين ، واستدل بالآية « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » مع أن الاسلام يعترف بالاختصاص فى الدين وفى كل شىء « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » والآية التى اوردها دليلا على وجهة نظره تفيد عكس ما يريد . .

ويعيب على ما سماه حركة التجديد المزعومة فيقول (فهذا مصلح لا يزال

يكتبها : عبد المنعم النمر

يتغنى بأبى داود او الترمذى او النسائى) .. ومعنى هـــذا عنده انه لا يليق بمصلح دينى ان يجعل لهؤلاء وما رووه من احاديث شأنا اى شأن !! وهذا يشير لنا الى اتجاه الاستاذ المحاضر فيما يراه من تجديد !!

وعند تناوله لقضية صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ، وهى قضية نؤمن بها جميعا ، اتجه بها ناحية ، او استغلها استغلالا موســـعا ، بحيث اخضع الاسلام للحياة يسايرها كيفما تكون ، لأنه متطور ، وصالح لكل مكان وزمان !! فيقول فى هذا : **« ان الاسلام اصلا وفروعا وجوهرا ومظهرا فى هــذه الروح اليانعة ، وهذا الضمير المفعم ، وتلك الروح هى التطور المرن ، وهذا التطور هو مفتاح الاسلام ، وهو ايضا مفتاح التـــاريخ .. وهذا ما عجز عن فهمه الكثيرون اذ قالوا بتلك القابلية للتقدم والتطور قولا ، وانكروها فعــلا ، ولم يريدوا الانتباه الى اســـمى تعاليم القرآن ، وهى : ان الاحكام والمؤسسات والعبادات نســبة الهمتها الظروف التاريخية المعينة والمعطيـات الاجتماعية الخاصة ، فتجاهلوا مدلول الآية الكريمة « لكل اجل كتاب » ا هـ** وقف كما وقفت عند قوله « اصــلا .. وجوهرا » وقوله « ان الاحكام والمؤسسات (ماذا يريد بالمؤسسات) **والعبادات** .. الى آخر الفقرة : كيف يتطور الجوهر والأصل ؟ وكيف تكون العبادات نسبة (؟) الهمتها الظروف التاريخية المعينة ؟ هل يعنى هذا ان الجوهر والأصل والعبادات خاضعة كما يقول لمدلول الآية « لكل اجل كتاب » فانتهى زمنها ، ولم يعد هــذا اوانها ؟ لانها خاضـــعة للظروف التاريخية ، وما صلح منها فى الماضى لا يصلح فى عهدنا الحاضر ؟

ان دعوة المحاضر الى الاعتبار بمدلول الآية لكل اجل كتاب يعنى كما افهم ان كل شىء جاء به الاسلام من عبادات وغيرها خاضع لانتهاء اجله وخاضع ايضا للظروف التاريخية ، ومتى انتهت هذه الظروف انتهى شأنها .. وهذه النظرة معناها : ان الصلاة بالصورة التى عرفناها عن القرآن الكريم وعن الرســول خاضعة لذلك ، والصيام ايضا خاضع لتطور الزمن وانتهـاء الاجل .. فنطور الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات حسب مقتضيات الزمن والحضارة بحجة ان لكل اجل كتاب والاسلام متطور !!!

ولو انه قال ذلك بالنسبة للاحكام الفرعية دون الاصول فيها المنصــوص

عليها مثل « وحرم الربا » لأمكن أن نتجاوب معه ، اما وقد ادخل الاصـول أو الجوهر ثم الأحكام دون تقييد ، ثم ادخل العبـادات أيضا تحت هذه القـاعدة « قاعدة التطور ولكل أجل كتاب » فهذا أمر خطير لا يمكن أن نسلمه له ، لأنه دعوة الى مسخ الاسلام والى تصرف العباد فى أصوله وكل أحكامه حتى فى العبادات التى فرضها الله علينا فنكيفها حسب تطور الزمن .

وبعد هذا كله يقول المحاضر . . ان كان هذا التحليل لمفهوم الدين الاسلامى صحيحا فانه يمكننا أن نقول : ان الاسلام حظ من حظوظ تونس الحديثة الخ !!

ونحن نقول له من هنا ــ ولو طال الزمن بهذه المحاضرة : **لا . . ليس هذا التحليل صحيحا ، ولا مقبولا . ولا يمكن ان يؤدى قولنا بأن الاسلام دين متطور الى أن نمســخه ونتصرف فى اصوله وعباداته حسب ما نفهم من التطـور والمرونة .**

فهناك اصول واحكام ثابتة لا تخضع للتطور ، فلا يمكن ان نحل الربا ، لأن الزمن يقتضى هذا ، ولا يمكن ان نلغى الصلاة او نختصرها ، او نؤديها على غير وجهها ، ولا يمكن ان نلغى الصـيام او الحج ، او نشرع لهما تشريعا آخر خاضعا لفهمنا ، بحجة تطور الاسلام .

ولقد ذكرنى السيد المحاضر بما قرأته فى مجلة « ثقافة الهند » من سنين لمحاضر هندى ذهب ليتحدث عن الاســلام فى جامعة « ماكجيل » بكندا فدعا الدعوة نفسها التى يدعو اليها المحاضر ، ولعله استشهد كذلك بالآية « لكل اجل كتاب » دعا الى مسخ العبادات ، وكثير من الاصول فى الاسلام ، بحجة التطور أيضا ، فتصدى له مدير المركز الاسلامى بواشنطن فى ذلك الوقت الدكتور محمد بيصار ــ كما أخبرنى ــ وانتهى الامر بوقوف المستمعين لهما الى جانب حجج الدكتور بيصار مع انهم لم يكونوا مسلمين . . فماذا يريد الاستاذ عبد الوهاب بو حديبة المحاضر التونسى من كلامه هـــذا ؟ هل له وجهة غير هـــذه ؟ اننى فى انتظار جوابه وارجو أن يجيب . .

خطاب من المانيا

من المصادفات الطيبة أن يصلنى خطاب من « المانيا الشرقية » كتبه لى طالب تخرج فى بلاده ، وذهب ليتخصص هنـــاك فى مهنته ، وصلنى بعد أن انتهيت من كتابة الافتتاحية ودفعتها للمطبعة ، فرأيت أن أســوق هنا بعض ما جاء فى هذا الخطاب ، لأن له علاقة بالافتتاحية ، يقول الطالب :

« وهم هنا يحاربون الأديان ، ونحن (أى هو والطلبة معه) بطريق غير مباشر ، وذلك لقيام المســلمين منا بأداء الصـــلاة ، وخاصة صلاة الجمعة وصيامنا . ولقد فوجئوا بهذا الصيام وأخذوا يتناقشون معنا . . ما فائدة الدين ؟ واين هو الله فى فيتنام ، لكى ينقذ الاطفال والنساء من ويلات الحرب البشعة الدائرة هناك ؟ واسئلة اخرى كثيرة لا يريدون الاجابة عليهـــا بقدر ما يريدون زعزعة الثقة فى ايمـــاننا بالله عز وجل ، وزعزعة عقيدتنا . لــكن ذلك كله لا

يزيدنا الا اصرارا وتمسكا بدين الله . دين الحق .. والطعام الذى يقدمونه لنا فى المدة الأخيرة وخاصة فى أيام رمضان فى منتهى الرداءة ، وذلك لكى يكسروا عزيمتنا فى الصوم .. الخ .

ارايت صديقى المدرس كيف يخلصون هناك لعقيدتهم او لمذهبهم . ويحاربون فى طلابنا المسلمين دينهم وعقيدتهم ؟ هل راعوا صداقة كما تحب ان تراعى عندنا وفى ديننا ؟ وهل كفوا عن طلابنا وزعزعتهم لأنهم من بلاد صديقة ؟ كما تحب أن تقول ؟ وهل .. وهل ؟؟!!

انا اعرف ان بعض الضعاف يتبعون أحيانا منطقا يزيدهم ضعفا ، ولكنا لا نحب أن نكون من هؤلاء ايها المربى الفاضل ، فعلم تلاميذك منطق القوة ، وعلمهم ايضا المجاملة ، لكن لا على حساب دينهم أو عقيدتهم او عرضهم وشرفهم ..

وعبرة اخرى نأخذها من هذا الخطاب ولو انها لم تغب ولن تغيب عنا .. وهى ان أولادنا الذين يذهبون الى الخارج يتعرضون لامتحان شديد فى ايمانهم بدينهم . ولا نظن اننا نقبل أن يكتسب ابناؤنا علما ، ويفقدون دينا وايمانا . فالعلم بدون الايمان لا قيمة له .. سيعود هؤلاء لا يؤمنون بأى شىء ان نزع منهم ايمانهم بدينهم . وهذا هو الخطر .. الذى يجب على كل مسئول فى البلاد الاسلامية أن يتنبه اليه .

يجب ان تكون هناك خطة موضوعة لكل البعثات التى تذهب للخارج شرقا او غربا ، يجب أن يكون ابناؤنا حين ذهابهم على وعى وايمان بدينهم ، حتى يثبتوا للهجمات والمغريات ، ويعودوا بالعلم مع الايمان ، وتستفيد منهم البلاد ، ولا يكونوا نكبة عليها بعلم دون ايمان .

ولا بد فى نهاية هذه الكلمة ان احيى هذا الطالب المؤمن الواعى لكل ما يحاك حوله ، وأحيى امثاله الكثيرين من ابنائنا المغتربين من أجل رفعة أوطانهم .

وقد تلقيت بهذه المناسبة مجلة اتحاد الطلاب المسلمين فى كندا «الاتحاد» وهى صورة طيبة لنشاطهم هناك فى سبيل دينهم ، تضم بعض آيات القرآن الكريم وترجمتها ، وكذلك بعض الأحاديث وترجمتها وموضوعات اسلامية مترجمة ومنقولة عن بعض الكتاب المسلمين .. واننا من هنا نحيى هؤلاء الطلاب ونشد على أيديهم وندعو الى معاونتهم وشد أزرهم . والله معهم .

سبب الهزيمة ..

عنوان كلمة صغيرة وصلتنى من السيد/ع. ع. بالرياض . يبدو منها حماسه لدينه وهذا شىء طيب ، ولكن الذى دعانى للتعليق على خطابه هو انه يستنكر ان يكون سبب الهزيمة تساهل او خطأ منا فى التكتيك الحربى ويقول : ان السبب وحده هو عدم الاكتراث بالدين والعقيدة .. الخ ونحن جميعا نقول : بأن الايمان أمر ضرورى فى كل عمل يقوم به الانسان ، ولاسيما فى الشدائد

التي تحتاج الى تضحية كالحروب ، وندعو المسلمين الى مزيد من قوة الايمان بالله وطاعته ، ومع ذلك لسنا مع السيد/الفاضل وأمثاله فى عدم الاكتراث بالتكتيك الحربى ، أو اخذ الأهبة والاستعداد . . ذلك لأن الله أمرنا مع الايمان بالاستعداد « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » « وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » ولست أحب أن نسير فى النغمة التي يضرب عليها السيد الفاضل مهملين الأخذ بالاسباب ضاربين صفحا عن التكتيك الحربى ، وقوة الاستعداد كما يفهم من كلامه . . فقد هزم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه بعد النصر فى غزوة احد لا لضعف فى ايمانهم ولكن لخطأ تكتيكى ، وقع فيه بعضهم بحسن نية حين خالفوا أمر الرسول وتركوا أماكنهم .

فالايمان ضرورى ، واخذ الأهبة مع وضع الخطط المحكمة للحرب ضرورى كذلك وهو من مقتضيات الايمان لا يغنى أحدهما عن الآخر . ذلك ما احب ان يفهمه الدعاة الى الله لأنه الفهم السليم لدينهم ، الفهم الذى يتمشى مع طبائع الامور ، وتستسيغه العقول ، ويستمع الناس له ، ويتجاوبون معه وان النصر لا يحتاج الى قوة العقيدة وحدها ، ولا الى التكتيك الحربى فى الميدان وحده ، بل يحتاج اليهما معا والى ان يحسن كل واحد منا عمله حسبما يمليه عليه ايمانه ، فى أى مجال يكون فيه عمله فى ايام السلم وايام الحرب ، وبذلك يقع جانب كبير من النصر أو الهزيمة على الأمة . على الشعب . ومقدار حرصه على عقيدته ، وعلى سلامة العمل والسلوك الذى يصدر منه . فلينظر كل واحد الى نفسه ، والى من حوله ، ليرى ماذا نستحقه فى هذه الحياة ونحن — أفراد وجماعات — على وضعنا الحالى ؟

واذا كانت هناك مسئولية ضخمة على القادة والحكام ، فان هناك مسئولية ضخمة كذلك على الشعب ، على كل فرد فيه . وانظر الى العبرة من هذه الآية التي رد الله بها على المعترضين فى أحد الذين قالوا : كيف نهزم وفينا رسول الله ؟ : يقول الله لهم « أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » لانهم خالفوا التكتيك الحربى الذى وضعه الرسول .

والقائد أو الحاكم ليس هو كل شيء ، بل لا بد أن يتضافر معه كل فرد ، ويؤدى واجبه المطلوب منه ، على الجبهة أو خلفها مع ايمان قوى بالله .

مع هذا العدد هدية (رسالة الحج)

(وفي العدد الآتى ذى الحجة : يصدر الفهرس العام للسنة)



للاستاذ : حسن عبد المقصود

جاءنا هذا البحث تعليقا على مقال نشر من قبل بالمجلة ونحن ننشر هذا التعليق نظراً لان هذا الموضوع يشغل الأذهان ويدور حوله كثير من المناقشات . مرحبين فى الوقت نفسه بآراء القراء حوله .

— الوعى —

قرات فى عدد جمادي الآخرة من مجلة (الوعى الاسلامى) مقالا بعنوان (التربية القرآنية) . (العرب قبل الاسلام للأستاذ على عبد العظيم ، وقد احسست ان الكاتب لم ينصف العرب ، بل لقد ردد ما سبق أن قال به الشعوبيون من أن العرب لم يكونوا أهلا لنزول الرسالة فيهم فيقول :

« لقد كان العالم كله يتشوق لدعوة روحية تطهره مما غمره من أرجاس وأوثان ، والى رسالة سماوية تنقذه من الطوفان ، وبخاصة بعد ان طالع المفكرون ما ورد فى الكتب المقدسة من اشارة لظهور نبى كريم يحق الحق ويبطل الباطل ، وينقذ الانسانية من وهدة الدمار » .

« وكان المنتظر ان تبزغ أنوار هذه الرسالة بين اليهود أو المسيحيين . وأن تشرق أنوارها فى أمة متحضرة نالت قسطا كبيرا من الثقافة والتهذيب . تستطيع أن تؤدى به دورهـا فى نشر هـذه الرسالة العـالمية الخالدة بين جميع الأمم والشعوب . أما أن تنفجر هذه الطاقة الروحية القومية بين قوم أميين متنابذين متناحرين . لم تجمعهم وحدة ولم تضمهم رابطة . وليس لهم تاريخ حضـارى مجيد . وليس فيهم دين سابق يفيئون اليه ، وأما أن تبزغ هذه الأشعة الربانية فى فيافى الطبيعة الصحراوية بواد غير ذى زرع ، فـأمر يفوق حد التصور . ويدخل فى نطاق المعجزات ، وفيه تتجلى قدرة الله الذى يخـرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » .

هكذا كتب الكاتب : وقد رأيت أن خير ما يعلق به على هـذا الكلام الذى يشى بهوان العرب ، وعدم أهليتهم لأن تكون الرسالة فيهم . هو نشر ما سبق أن أبديته فى هذه القضية الهامة وهى صلة العرب بالاسلام .

فمنذ أربعة عشر عاما صدر كتاب للمفكر العربى الأستاذ ساطع الحصرى بعنوان (العروبة أولا) وتصـدى لنقده والرد عليه المفكر المسلم الأستاذ أحمد محمد جمال بسلسلة مقالات فى مجلة الحج السعودية بعنوان (الاسلام أولا) .

« ولما كانت هذه المسألة من أمهات المسائل التى ينبغى فى هذه الأيام أن توضح توضيحا كاملا بينا لا لبس فيه ولا ابهام ، لأنه على أساسها ــ كما أرى ــ تنهض أمة العرب برسالتها ــ فقد رأيت أن أبعث برأى لى قديم فى هذا الموضوع تناولته من نواحيه المختلفة سـائلا الله أن يهدينا الى الصواب ويلهمنا التوفيق والسداد .

• • •

لقد كان العرب قبل الاسلام .. فماذا كان شأنهم ؟؟ كانوا قبـائل متفرقة متنافرة متحاربة .. ولكنهم رغم ذلك كانوا يتميزون بأخلاق وسجايا قل أن يوجد مثلها فى أمم الأرض جميعا .. كان فيهم البيان فى أقوالهم وأفعالهم .. وفيهم الكرم .. فى فقيرهم وغنيهم .. وفيهم الشجاعة .. فى ضعيفهم وقويهم .. وفيهم المروءة فى سادتهم ودهمائهم .. وفيهم العفة .. والترفع عن الدنايا .. كانوا يسعون جهدهم لكسب الحمد .. فيحاول كل فرد .. وكل قبيلة .. فعل ما يكسب الحمد .. تقول الخنساء فى أخيها صخر :

ترى الحمد يهوى الى بيته   يرى أعظم المجد أن يحمـدا

ولكنهم كانوا ، مع هـذا كله أشبه بالمعـدن النفيس الخـام الموجود فى منجمه ، وقد خلط بكثير من الشوائب والأوضار ، والمواد الغريبة التى تضعف قيمته . وتكاد تذهب بمزاياه والانتفاع به .

فكانوا فى كرمهم مسرفين الى حد السفه .. وفى شجاعتهم متهورين الى درجة الجهل .. وفى عفتهم مبالغين .. حتى لقد وأدوا البنـات خشية السبى والعار ..

وكانوا على شفا حفرة من النار .. بتفرقهم وشتات أمرهم وجـاهليتهم واسرافهم على أنفسهم .. فأنقذهم الله منها .. بالاسلام .

على أنهم رغم هذه المعايب والنقائص كانوا هم الذين اختارهم الله سبحانه

وتعالى ليكونوا فى جوار بيته الحرام ــ أول بيت وضع للناس ــ وليكون قرآنه الخالد .. بلغتهم .. على رسول منهم .. « والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

• • •

ان بعض أعداء العرب والاسلام يزعمون أن سبب اختيار الله العرب لرسالة الاسلام فيهم ، يرجع الى انهم شر أمم الأرض جميعا .. وهذا افتراء على الله وعلى الناس .. فالله سبحانه يصطفى رسله من صفوة خلقه .. ما فى ذلك شك .

وقد جاء فى الأثر :

« اختار الله العرب من الناس . واختار قريشا من العرب . واختار بنى هاشم من قريش .. واختارنى من بنى هاشم .. فأنا خيار .. من خيار .. من خيار .. فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب .. فببغضى أبغضهم » .

وجاء فى الأثر ايضا :

« الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية ، خيارهم فى الاسلام » .

وعن سلمان رضى الله عنه قال : « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان إياك أن تبغضنى فتفارق دينك . قلت : يا رسول الله : كيف أبغضك ، وبك هدانا الله ؟ قال : تبغض العرب فتبغضنى » .

ويقول الامام اللغوى : ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى فى مقدمة كتابه : « فقه اللغة » : من احب الله ــ اى اطاعه ــ احب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم . ومن احب النبى العربى . احب العرب . ومن احب العرب .. أحب اللغة العربية .. التى نزل بها افضل الكتب على افضل العجم والعرب . ومن احب العربية عنى بها . وثابر عليها وصرف همه اليها .. ومن هداه الله للاسلام . وشرح صدره للايمان . وآتاه حسن سريرة فيه .. اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل .. والاسلام خير الملل .. والعرب خير الأمم . والعربية خير اللغات والألسنة » .

• • •

لقد كان الاسلام بالنسبة للعرب كالصناعة بالنسبة للمعدن الخام النفيس .. نقاهم من الشوائب والأوضار .... ونفى عنهم الخبث والفضول .. فاذا بهم فى حالة من النقاء .. والتوهج تبهر .. وتروع .

فالقول بأن : (العروبة أولا) او القول بأن (الاسلام اولا) لا ينبغى أن يكون موضع بحث أو جدل .. فالعروبة وعاء الاسلام .. كما أن الجسد وعاء النفس .. فهل يمكن أن تقوم قضية يسأل فيها : هل الجسد أولا .. أم النفس اولا ؟؟.

ان العرب قاموا بالاسلام وحيوا وعزوا .. ولن يقوموا بغيره .. وان الاسلام انتصر بالعرب وسادت مبادئه .. وسعد العالم به .. ولن ينتصر ويظهر الا بالعرب .. ولا يصلح آخر هذا الأمر .. إلا بما صلح به اوله .

عندما نزلت الآية الكريمة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى

ورضيت لكم الاسلام دينا » لم يكن قد دخل الاسلام أية أمة من أمم الأرض من غير العرب .

وفى القرآن خاطب الله العرب بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

ويذكرهم الله بنعمته عليهم بقوله :

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

ثم يقول سبحانه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .
ويقول سبحانه مخاطبا العرب :

« ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

ثم يقول : « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا » .

• • •

ونظرا للمسئولية الضخمة التى ألقيت على عاتق العرب لحمل رسالة الاسلام لم يكن يقبل من احدهم الا الاسلام أو القتال . . أما غير العرب من الأمم فكانت تقبل منهم الجزية مع بقائهم على دينهم . .

وسيقول القائلون : فما بال المسلمين من غير العرب ؟؟ والقول فى هذا هو ما قاله الله ورسوله :

يقول الله سبحانه : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

ويقول الله سبحانه : « ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » .

فاذا آمن بلال الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وغيرهم من العجم فهم اكرم عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من أبى لهب عم الرسول . وأبى جهل . وعتبة . والوليد وغيرهم . من سادة قريش وزعمائهم . . الذين تخلفوا عن الايمان عنجهية واستكبارا . .

ومعنى هذا ان هؤلاء الموالى الأعاجم المؤمنين الأتقياء أقرب الى العروبة . . من هؤلاء السادة من قريش ، بفهمهم الاسلام واقبالهم عليه . .

فهم عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين فى المنزلة الرفيعة . .

وما من شك فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وكل مسلم له فى نفوس هؤلاء الموالى المؤمنين من الأعاجم مكانة تفوق مكانة الآباء

والأهل والعشيرة .

فكلما أعرب الأعجمى .. وفصح وأبان .. كلما زاد ايمانه قدرا .. وكلما زاد حبه للنبى العربى .. وللعرب المؤمنين وتقديره لفضل الله الذى اجراه له على ايدى العرب كلما تقلصت بذلك صلته بماضى أعجميته فى العقيدة والفكرة .

ومكان العرب من المسلمين . فى مشارق الأرض ومغاربها هى مكانة الامام من المصلين .

ومن الأدلة التى لا تقبل الجدل لوضوحها على صحة ما نذهب اليه ، أن ضعف العرب وتفككهم بسبب ترفهم وضعف خلقهم أدى الى ضعف الاسلام عندهم وعند غيرهم من الأمم غير العربية .

فمن الضرورى أن يؤمن العرب أن الله أعزهم بالاسلام .. فهم أهله .. وأعز الاسلام بهم عندما هداهم اليه .. ولن يعودوا أعزة أقوياء الا اذا عادوا مؤمنين صالحين كما كان الأوائل منهم .. فالعربى الكامل مسلم بفطرته ..

يقول الله سبحانه : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ولقد كان العرب فى ضلال وغفلة . قبل الاسلام .

فلما غيروا ما بأنفسهم بالايمان والتقوى .. غير الله حالهم الى خير وبركة وعزة وتمكين فى الأرض ..

فلما عادوا فغيروا ما بأنفسهم .. مستنيمين الى متاع الدنيا .. غير الله حالهم الى ضعف وفقر وذلة ..

• • •

وها نحن أولاء نرى طلائع الفجر الجديد .. فعلى بركة الله سيروا أيها العرب .. وعلى شريعة محمد وهديه جددوا بناءكم . فانه الأساس لبناء العالم الاسلامى فى انحاء الدنيا ...

يقول الله سبحانه مخاطبا رسوله العربى الأمى :

« قل ان الهدى هدى الله » .

فنسأله سبحانه ان يهىء للعرب والمسلمين من أمرهم رشدا حتى يعرفوا مكانهم من العالم ثم يعملوا على تبوء هذا المكان لخيرهم وخير العالم ان شاء الله وصدق الله العظيم .. « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

• • •

الوعى : ولعل من المفيد ايضا فى هذا الموضوع أن نعيد هنا نشر رأى

بقية على صفحة ٨٦



أعدها : أبو نزار

شر النـــاس

قال ابو الهزيل : قلت لمجوسى : ما تقول فى النار ؟ قـــال : بنت الله . قلت : فالبقر ؟ قـــال : ملائكة الله . قص أجنحتها وحطها على الأرض يحرث عليها ، فقلت : فالماء ؟ قال : نور الله . قلت : فما الجوع والعطش ؟ قـــال : فقر الشيطان وفاقته . قلت : فمن يحمل الأرض ؟ قال : بهمن الملك .

قلت : فما فى الدنيا شر من المجوس . أخذوا ملائكة الله فذبحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شووها ببنت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ، ثم سلحوها على راس بهمن الملك اعز ملائكه الله . فبهت المجوسى وخجل .

رد حـــاسم

روى عن المأمون انه قال : ما أعيانى جواب احد قط مثل جواب ثلاثة :

احدهم أم الفضل بن سهل ، فانى عزيتها عن ابنها وقلت : لئن جزعت على الفضل لأنه ولدك ، فهأنذا ابنك مكانه ، فقالت : وكيف لا اجزع على من جعل مثلك لى ولدا .

والثانى رجل أحضرته يزعم انه نبى الله موسى ، فقلت له : ان الله تعالى اخبرنا عن موسى انه يدخل يده فى جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء ، فقال : متى فعل ذلك موسى ؟ اليس بعد أن لقى فرعون فاعمل كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى .

والثالث أن جماعة من اهل الكوفة اجتمعوا الى يشكون عاملها ، فقلت : هو الضعيف الورع العدل ، فقالوا : صدقت هو كما ذكرت ، فاقسم بين رعيتك فى العدل ، ووله غيرنا لينالوا من عدله ، قال المأمون : فصرفته عنهم .

ابن خير الناس

حج هشام بن عبد الملك ، وأراد ان يستلم الحجر ، فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه . فجلس ينتظر خلوه . فأقبل على بن الحسين رضى الله عنهم وعليه ازار ورداء ، وهو من احسن الناس وجها واطيبهم ريحـا ، فجعل يطوف بالبيت . فاذا بلغ الحجر تنحى النـاس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا . فلما انتهى الطواف سأل هشام من هذا ؟ وكان الفرزدق حاضرا فقال له :

هـــذا ابن خير عبـاد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطـاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحـاء وطأته ... والبيت يعرفه والحـل والحـرم
اذا رأتــه قريش قـال قـائلها ... الى مكارم هـــذا ينتهى الكرم

تعزيــة

قدم عمر بن عبيد على اخيه يونس ليعزيه عــن ابن له ، فقال له : ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك ، وان امرا ذهب اصله وفرعه لحرى ان يقل بقاؤه .

ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينـــات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حــج البيت من استطـــاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين . »

صدق الله العظيم

روى مسلم عن جــابر رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل لاحدكم ان يحمل السلاح بمكة .

وفى الصحيحين عــن سعد رضى الله عنه قــال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يكيد اهل المدينة احد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء .

حقيقة العبادة

اتى اعرابى ابا جعفر بن محمد ، فقال له : هل رايت ربك حين عبدته ؟ فقال : لم اكن لأعبــد شيئا لم اره ، فقال : كيف رايته ؟ فقــال : لم تره الابصار بمشاهدة العيان ، بل رأته القلوب بحقــائق الايمان . لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالنـــاس . معروف بالآيات منعوت بالعلامات . لا يجوز فى قضيته . هـــو الله الذى لا اله إلا هو .

امتحان القبول

احضر اعرابى ابنه الى الخليل بن احمد ليعلمه ، فقال له الخليل يوما يمتحنه وفى يده قدح زجاج : يا بنى . صف لى هذه الزجاجة ، فقال : ابمدح أم بذم ؟ قال : بمدح . قال : نعم . تريك القذى . لا تقبل الأذى . ولا تستر ما ورى . قال : فذمها . قال : سريع كسرها . بطىء جبرها .

قال : فصف هذه النخلة ، واشار الى نخلة فى داره . فقال : ابمدح ام بذم ؟ قال بمدح . قــال : هى حلو مجتناها . باسق منتهاهــا . ناضر اعلاها . قال فذمها . قال : هى صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى . فقال الخليل : يا بنى نحن الى التعلم منك احوج .

مع هذا العدد هدية (رسالة الحج)

(وفى العدد الآتى ذى الحجة : يصدر الفهرس العام للسنة)



أحمد أمين

للأستاذ : عبد المعطى المسيري

كريم النفس . سمح الخلق . وضاح الجبين . تعكس صفحة وجهه صورة لما يعمر قلبه الكبير من صفاء وايمان . أثرى المكتبة العربية بما قدمه من انتاج قيم يضيف الى معلومات قارئه معارف ومفهومات جديدة فى مختلف العلوم والآداب .

وارخ بأسلوبه الرائع عهدا مجيدا للعلماء . وكيف تحظى بحوثهم بتقدير الأدباء ، فأنت تقرأ الكتاب الذى يعالج فيه كتابة التاريخ فتراه من ناحية الأسلوب كأنه نموذج للأدب الرفيع . ومن ثم جمعت آثاره بين عمق العالم . وشاعرية الفنان .

تقرأ الكتاب فلا تود أن تتركه حتى تفرغ منه . .

ولا تدعه الا لتبدأ فى الرجوع اليه . .

ومع هذا فأنت تقرأ العلم !! تقرأ الفلسفة او التاريخ وقد تعودت ان تقراهما بأسلوب العلماء !!

تقرأ قصة الفلسفه اليونانية قصة الرجل الاول الذى ينظر فى الكون حائرا . ما هذا ؟! ولم هذا ؟! وكيف هذا ؟! ويرتقى ذلك الانسان . ويقطع المراحل . وتتعاقب الأجيال — وتتصل الحلقات حتى تصل الى العصر الذى نعيش فيه مسجلة لمختلف الفلسفات ونموها وتطورها وذلك فى عرض فنى ليس بعده غاية لفنان . ومع هذا المزج بين العلم والأدب وما يتطلبه ذلك من شمول العالم وتمحيصه ، وانفعال الأديب وتوثبه يقدمه صاحبه بمقدمة متواضعة يقول فيها : **(انه كان يقرأ ، ويلخص ما قرأه ، وها هو يسبع ما لخص) .**

يقول هذا وهو يؤدب الفلسفة لينتفع بها الأدباء فيفلسفوا الأدب . . .

وتقرأ ((**فيض خاطره**)) أو ((**حياته**)) فتظن أن الرجل قد وقف حياته على الأدب الخالص ، ففى الكتاب الأول يتناول مختلف فنون الادب ، فيكتب الدراسات الفنية والنقدية . ويصور الحياة فى شتى مظاهرها ومشاهدها . . وفى الكتاب الثانى يكتب ترجمة ذاتية لحياته . فيسجل ما الح عليه . وما اضطرب فيه . فاذا بالكتاب صورة كاملة الملامح . واضحة الأجزاء . لجيله

وبيئته ومجتمعه . ويسد بذلك فراغـا تشكو منه المكتبة العربية لفقرهـا فى كتب الترجمات .

ويغوص فى أعماق الأدب الشعبى فيضع (**قاموس اللغـة والتقـاليد والتعابير**) ذلك القاموس الذى كنا فى أشد الحاجة اليه . والذى كان يحتـاج اعداده ووضعه الى عدة رجال ، وعلى طريقته فى التواضع يسميه « **قاموس** » ولكننا نسميه دائرة المعـارف الشعبية . فهو لم يدع شـاردة ولا واردة مما يضطرب على السنة الشعب فى السوق والبيت والحارة الا وضمنه الكتاب ، هذا بالاضافة الى اهتمامه بالأمثال والاساطير والصور المتنوعة لحياة الشعب .

وكان على تواضعه الشديد يعرف لنفسه قدرهـا .. ساله مرة احـد الصحفيين عن اثر تعيينه عميداً لكلية الآداب فكان جوابه : « اننى اصغر من استاذ ، ولكنى اكبر من عميد .. » .

ويطيب له أن يكشف عن حياته فيقول : « **كنت فى بدء حيـاتى العملية** كثير الفراغ . أصرفه فى القراءة والكتابة فألفت « فجر الاسلام وضحاه » .. ثم قل فراغى لاشتغالى بكثرة المجالس واللجان ، فأنا عضو فى المجمع اللغوى ، وفى مجلس دار الكتب ومجلس كليـة الآداب ، ودار العلوم ، ورئيس لجنـة التأليف والترجمة والنشر .. والجامعة الشعبية ، ومذيع فى الراديو .. وكل هذه أكلت من وقتى ، وبعثرت زمنى ، ووزعت جهدى مع قلة فائدتها فيما أعتقد ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لرفضت كل هذه الأمور ، ولفرغت لاتمام سلسلة فجر الاسلام وضحاه وظهره وعصره فقد كان ذلك اجدى وانفع واخلد ، ولكن للظروف أحكام ..

ويتحدث عما يروقه فى الأدب فيقول : « أكثر ما يعجبنى فى الأدب ماغزر معناه ، ودق مرماه ، ولذلك لا يهتز قلبى لأكثر شعر الطبيعة فى الأدب العربى لبنائه على الاستعارة والتشبيه لا على حرارة العاطفة » .

يتعلم الانجليزية

ويخطر له وهو الفقيه القاضى الشرعى الكبير السن . الكثير المسئوليات أن يتعلم الانجليزيـة وذلك اثر حديث لصديق عن كتـاب للمسـتشرق الأمريكى (ماكدونالد) تناول فيه نظام الحكم . وتاريخ الفقه . والمذاهب والعقـائد فى الاسلام فيقسم أن يقرأ هذا الكتاب فى لغته !!

ويوفقه الله فيبر بقسمه .. يذهب الى مدرسة (برليتس) ويبذل المجهود الشاق فيقرأ فى البيت . ويحفظ فى الطريق . ويذاكر وهو يراقب الامتحانات ويراجع وهو يشرف على حصص الدروس ولم يكن فى فصل يتعـاون فيه مع الطلبة ولا فى بيئة تعودت السمع للغة أجنبية ولذلك يقول الشيخ الخضرى : « **قد جرب هذه التجربة مئات من طلبة دار العلوم فساروا خطوات ثم وقفوا** » فيرد عليه بقوله : « **ساجرب كما جربوا ، ولكن سانجح حيث فشلوا** » .

ويجتهد . فيعكف على كتاب الاسلام للسيد (أمير على) يحاول أن يقرأه فى الانجليزية . وكان يصرف فى الصفحة الواحدة ثلاث ساعات . يكشف فى المعجم عن كل كلمة وهو جاد صابر ..

ويوفقه الله الى آنسة انجليزية تدعى مس (بور) وهى مثقفـه . تنشر المقالات فى جريدة (التايمز) فتحدث المعجزة ويلم تمام الالمام باللغة الانجليزية

وأدبهـــا .

ويتحدث عن ذلك فيقول : « **ماذا كنت لو لم اجتز هذه المرحلة ؟ لقد كنت ذا عين واحدة ، فاصبحت ذا عينين ، وكنت أعيش فى الماضى ، فصرت اعيش فى الماضى والحاضر ، وكنت آكل صنفا واحدا من مائدة واحـــدة ، فصرت آكل من اصناف متعددة على موائد مختلفة .. لو لم أجتز هذه المرحلة ثم كنت أديبا لكنت اديبا رجعيا يعنى بتزويق اللفظ لا جودة المعنى ، ولو كنت مؤلفا لكنت جماعا اجمع مفترقا ، أو أفرق مجتمعـــا من غير تمحيص ولا نقد .. فأنا مـــدين فى انتاجى الضعيف فى الترجمة والتاليف والكتابة الى هذه المرحلة من المراحل الأولى ...**

وكان مضرب الأمثال فى الدأب والجـــلد والصبر ... اتفق مع زميليه « عبد الحميد العبادى وطه حسين » على تأريخ الحياة الاسلامية .. على أن يكتب « العبادى » التاريخ ، ويكتب « طه حسين » الحياة الأدبية ، **ويتنـــاول** هو الحيـــاة العقلية ، ثم ينصرف كل الى شأنه ، وتلح المشـــاغل على **الاثنين** ــ العبـــادى وطه ــ فلا يصنعان شيئا . فأما هو فينجز مـــا التزم به **وينشر** (فجر الاسلام) .. ثم يقدر أن صاحبيه قد انصرفا عما اتفقوا عليه ، **فيعكف** على الموضوع ، فينجز ما كان سيضطلع به الجميع .. وتظفر المكتبة العربية بذلك المرجع العظيم للحياة الاسلامية .. ويتتابع صدور أجزاء فجر الاســـلام وضحاه فتحظى من النقاد والمستشرقين بالثناء والتقدير .

يقول الدكتور طه حسين : ولست اخفى انى لم اكن اعرف حـــدا لهـــذا الدهش الذى كنت احبه فى حين أرى احمد أمين يتصرف فى المسائل **الأدبيـــة** والفلسفية واللغوية بقدم ثابتة . ويد صناع . وعقل يعرف كيف يفكر . وكيف ينتقل من قضية الى قضية . ومن مقدمة الى نتيجة . وكيف يضع **الأشياء** بعد ذلك كله فى نصـــابها معتدلا احسن اعتـــدال . لا يعرف التقصير ولا يعرف الاسراف » .

والحق ان الدكتور طه حسين لم يجاوز الحق فى هـــذا الحكم . **فمؤرخ** الحياة الاسلامية قد بعثها فى صورة واضحـــة وبأسلوب بين المنهج . **سهل** المخرج . لها من جلال العالم الحظ الأوفر . ومن رقة الشاعر النصيب الآكبر . هذا فوق تفردها بطابع العصر الحديث .

فقد أرخ المرحوم احمد أمين بفجر الاسلام وضحاه صفحة مجيدة للتاريخ فى الأدب العربى .. لم يسبقه اليها مؤرخو العربية ، اذ كان **ينقصهم ــ فوق** التحرر من الفهم وعاداتهم وحزبيتهم ــ الاحاطة بالمناهج العلمية الحديثة التى تجعل نصيب الاستقراء والاستنباط والتحليل فوق نصيب الألفاظ والتراكيب . فمثلا (نضال الفرق الاسلامية) كيف كان يتم تكوين فكرة سليمة عن هذا النضال من درس الكتب القديمـــة . التى تزخر بمختلف الآراء . وتعدد الروايـــات . وبخاصة أن كتابها كانوا كثيرا ما يعمدون الى ارضاء فريق يدينون برأيه دون مراعاة للحق والتاريخ !؟.

انهم كانوا واحدا من اثنين : فريق يشرح وجهـــة النظر لكل فرقة ويقف عند هذا الحد ، وفريق آخـــر يعرض لكل رأى ويبدى حجته ولكنه **يعمـــد** الى نقض حجج الرأى المخالف له بأسلوب يسفه فيه هذا الرأى وهكذا ظل تاريخ تلك الفرق ينقصه من يشرح وجهة النظر ويحللها .. **ينقصه القاضى العـــادل** الذى يحكم بعد امعان النظر ــ من غير حرج ولا تسفيه ، الى ان اتيح له احمد أمين الذى يقول : « **وان من طلب العلم ودعا اليه علم ان العنف يدعو صاحبه**

الى العنف والاصرار عليه ، ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)) .

وعلى سبيل المثال نعرض لمناقشة اصل من اصول المعتزلة ولعله اهمها وهو العدل يقول : (لقد وقفوا ــ المعتزلة ــ أمام مشكلة المثوبة والعقوبة فراوا ان ذلك لا يكون له معنى الا بتقرير حرية الارادة فى الانسان ، وانه يخلق اعمال نفسه . وان فى امكانه أن يفعل الشيء والا يفعل . فاذا فعل بارادته . وترك بارادته كانت مثوبته أو عقوبته معقولة عادلة . أما اذا كان الله يخلق الانسان . ويضطره الى العمل على نحو خاص . فيضطر المطيع الى الطاعة . والعاصى الى العصيان . ثم يعاقب هذا ويثيب ذاك . فليس من العدالة فى شيء . ولعل نقطة الضعف فيهم انهم افرطوا فى قياس الغائب على الشاهد ، اعنى فى قياس الله على الانسان . واخضاع الله تعالى لقوانين هذا العالم . فقد الزموا الله تعالى مثلا بالعدل كما يتصوره الانسان ، وكما هو نظام دنيوى . وفاتهم ان معنى العدل ــ حتى فى الدنيا ــ معنى نسبى يتغير تصوره بتغيير الزمان . وان ما كان عدلا فى القرون الوسطى يعد ظلما الآن ، فكيف اذا انتقلنا من عالم الدنيا الى عالم الله ؟ وكذلك الشأن فى قولهم فى الحسن والقبح والصلاح والأصلح ، انا نرى أن الانسان اذا ضاق نظره حكم على الأشياء حكما ، فان اتسع نظره تغير حكمه .. فمن نظر فقط الى اسرته كانت بعض احكامه خطأ بالنسبة لمن اتسعت نظرته الى أمة ، أو الى الانسان عامة ، ونحن فى اعمالنا ننظر الى عالمنا ، والله تعالى رب العالمين قد ينظر فى أعماله الى جميع العوالم ما نعلم منها ، وما لا نعلم ، فكيف نخضع الله لتصور العدل الذى نتصوره نحن فى عالمنا هذا ؟ كذلك قولهم فى أن صفات الله عين الله أو غير الله .. كل براهينهم مبنية على قياس الغائب على الشاهد ، ولكن الشبه معدوم ، وقد فرضوا أن العينية والغيرية والزمانية والمكانية لازمة لكل موجود ، وهذا فى نظرى خطأ محض فهى قوانين الانسانية ، وان تسامحنا قليلا قلنا أنها قوانين عالمنا هذا ، ولسنا نستطيع القول بأنها تنطبق على غير عالمنا او لا تنطبق فاصدار حكمنا على الله على اعتقاد أنها قوانين شاملة للانسان جراة لا يرتضيها العقل الذى يعرف قدره ولا يعدو طوره)

من خلال هذه السطور نقدر المنهج الذى سلكه احمد أمين فى التأريخ ، ومن خلالها أيضا نقدر كيف اتحد عمق العالم ويراع الشاعر محققا بذلك أملا كنا نهتف به ونتمناه .

ثم ينتقل الى اثر الفرق فى الأدب فيشير الى المعتزلة الذين اغنوه من حيث المعانى وقوة العقل ، وسعة الذهن ، وتوليد الأفكار العقلية ، ونظرهم الى الكون والى الطبيعة والى اجراء التجارب عليها ودلالتها على خالقها ، وغوصهم على المعانى ونقلهم الأدب من لفظ رشيق ، الى معنى عميق ...

ثم يتحدث عن الشيعة وكيف أثروا على الأدب من الناحية السياسية والعاطفية .

وهكذا كان للناس من الأدبين جميعا ، فكر وعاطفة ، وعقل وقلب ... وكلاهما لا بد منه ولا غناء عنه للأدب ..

وبعد . فهل ترانى قلت شيئا عن الفقيد الكريم ؟!

رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما اسدى للعربية ــ امة ولغة ــ من خير وفضل .

كتاب الشهر

قادة فتح المغرب العربي

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب
الجزء الثانى فى ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير
نشرته دار الفتح للطبــاعة والنشر — بيروت

عرض وتلخيص الأستاذ : سعيد زايد — المجمع اللغوي بالقاهرة

وعدنا القارىء الكريم حين قدمنا الجزء الأول من هذا الكتــاب وذلك فى عدد **ذى القعدة** الماضى أن نقدم عرضا وتلخيصا للجزء الثانى منه . وها نحن **أولا نبر بوعدنا** ، بعد أن بر الأستاذ المؤلف بوعده للقراء واصدر الجزء المذكور .

لقد سار الأستاذ اللواء على النهج الذى كتب به الجزء الأول ــ أسلوب **مشرق جذاب** فى عبارة رصينة تخلو من الركاكة ، وفهارس تحليلية تدل على جهد **كبير** ، واشارة الى المراجع فى دقة وأمانة ، وتحر للحقائق التاريخية ، ومناقشة **بعض الروايات** مناقشة تدل على أصالة فى كتابة التاريخ .

وينقسم هذا الجزء الى بابين : يتحدث المؤلف فى الباب الأول عن القادة **المرؤوسين** ، ويكون هذا الباب حوالى ثلث الكتاب أو يزيد قليلا ؟ ويتناول الباب **الثانى** موجز تاريخ المغرب العربى من الفتح الاسلامى حتى اليــوم ، ويقع فى **حوالى** ثلثى الكتاب . وقبل هذا وذاك يهدى الأستاذ اللواء كتابه « **الى المجاهدين القدامى الذين بذلوا أرواحهم لنشر لغة القرآن وتعاليمه فى ربوع أفريقية . والى المجــاهدين الجدد الذين بذلوا أرواحهم لتثبيت دعــائم لغة القرآن وتعاليمه فى افريقية ... تحية الأبناء للآباء ، وعبرة الشهداء للأحياء .** »

ويبدأ الأستاذ اللواء كتابه بالحديث عن قادة فتح ليبيا . فيذكر منهم عمرو **ابن العاص** وبسر بن أرطأة العامرى ، وعقبة بن نافع الفهرى ، وعبد الله بن **الزبير** بن العوام . أما بالنسبة للأول والثالث فقد أحال القارىء الى ما سبق أن **نشره** عنهما فى كتابيه « قادة فتح الشام ومصر » ، والجزء الأول من « قادة فتح

المغرب العربى » ، وأما بالنسبة للثانى والرابع فقد تحدث عنهما فى كتابه هذا .

بسر بن أرطاة

وبسر بن أرطاة ، صحابى تولى منصب القيادة فى أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وشهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وقد لمس فيه عمرو الشجاعة والاقدام ، فأرسله لفتح ودان بعد فتح طرابلس الغرب . وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين هجرية ، واشـــترك فى غزو أفريقية مع جيش العبـــادلة مع عبد الله بن ســـعد بن أبى سرح ، وتولى بسر البحر من قبل معاوية بن أبى سفيان سنة ثلاث وأربعين الهجرية ، فغزا الروم كما غزاهم سنة احدى وخمسين ، وسنة اثنتين وخمسين ، وفتح أيضـــا مدينة مجانة بأفريقية وهى تسمى قلعة بسر .

وقد ولد بسر سنة اثنتين من الهجرية ، وسمع عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم وهو صغير ، وروى عنه أربعة أحاديث ، وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة ، وعاش مجاهدا وفاتحا ومرابطا فى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان ، رضى الله عنهما ، وشهد مع معاوية بن أبى سفيان معركة صفين سنة سبع وثلاثين هجرية ، وأرسل من قبل معاوية بن أبى سفيان أيضا ــ سنة أربعين هجرية على رأس ثلاثة آلاف مقاتل الى الحجاز واليمن . وقيل انه قتل ابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس ، وسبى النساء المسلمات ، مما لا ترضاه شهامة العرب ، ولكن الأستاذ اللواء خطاب ينفى عنه هذه التهمة قائلا : ان قتل الأطفال يأباه العربى فى الجاهلية ، فكيف يفعله بسر فى الاسلام . وتعاليم القتال فى الاسلام صريحة فى عدم قتل الأبرياء والأطفال والنساء وصيانة الأسرى والرهائن والجرحى » .

وتولى بسر بن أبى أرطاة البصرة ســـنة احدى وأربعين هجرية ، وبقى عليها عاما وبعض عام ، عاد بعده الى الشام ليتولى قيادة أحد جيوش المسلمين سنة ثلاث وأربعين هجرية ، واختلف فى مكان موته ، فقيل ــ المدينة ، وقيل الشام ، واختلف أيضا فى تاريخ الوفاة ، فقيل ــ انه توفى فى زمن معـــاوية ، وقيل انه توفى فى أيـــام عبد الملك بن مروان ، وقيل انه توفى فى أيـــام الوليد ابن عبد الملك .

رحم الله بسر بن أرطاة ، فقد كان ــ كمـــا يقول الأســـــتاذ المؤلف ــ من أسود العرب ، فكان فارسا شجاعـــا ، فتح منطقة ودان فى ليبيـــا ونشر الاسلام بين قبائل البربر .

عبد الله بن الزبير

ومن قادة فتح ليبيا أيضـــا عبد الله بن الزبير بن العوام ، أول مولود فى الاسلام من المهاجرين بالمدينة ، حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو صغير ، وحدث عنه ، وروى عن أبيه وعن الخليفتين عمر وعثمان رضى الله عنهم ، كما

روى عن غيرهم ، وقد شهد عبد الله معركة اليرموك مع أبيه ، وشهد أيضا فتح مصر ، ووقع شاهدا على وثيقة الصلح بين المسلمين وبين أهل مصر . واشترك فى فتح ليبيا مع عمرو بن العاص وقادة حملة المسلمين لفتح احدى مدنها وهى مدينة صبراته ، وكان فتح افريقية على يديه يوم أن سار اليها تحت لواء عبد الله ابن سعد بن أبى سرح ، وشهد معركة الجمل مع أبيه وخالته عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها .

وعبد الله بن الزبير يرجع نسبه الى بنى أسد احد بيوتات قريش العشرة ، وقد نشأ وترعرع فى أحضان النبوة وفى كنف الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى رعاية أبيه البطل الزبير بن العوام ، وقد كان عبد الله بن الزبير أثيرا عند الخليفة عمر بن الخطاب بعد الخليفة أبى بكر الصديق ، مقربا الى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنهم ، وقد اعتزل حروب الخليفة على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبى سفيان ، كغيره من كبار الصحابة ، ولم يبايع الأخير الا بعد انتهاء الفتنة الكبرى وعودة الوحدة الى صفوف المسلمين ، ولكنه كان يقف منه — أى معاوية بن أبى سفيان — موقف التحدى فى بعض الأحيان .

ولم يبايع عبد الله بن الزبير ، يزيد بن معاوية ، وظل على خلاف معه ، حتى بويع بمكة بعد أن عظم قتل الحسين بن على رضى الله عنهما سنة احدى وستين هجرية ، وعاب أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة ، وبعد موت يزيد بن معاوية بويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة بالحجاز ، وذلك سنة اربع وستين هجرية ، وظل عبد الله فى قلاقل وفتن وحروب ، حتى قتل فى حرب بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفى قائد جيش عبد الملك بن مروان صبيحة يوم الثلاثاء سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين هجرية ، وقد كان عبد الله قارئا لكتاب الله متبعا لسنة رسوله ، قانتا ، راويا ، فصيحا ، فارسا ، شجاعا .

ويتحدث الأستاذ اللواء بعد ذلك عن قادة فتح تونس ، فيذكر منهم خمسة قواد هم : عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى — وعبد الله بن الزبير — ومعاوية بن حديج السكونى ، وعبد الملك بن مروان — ورويفع بن ثابت الانصارى . . . وهو قد تحدث عن ابن الزبير خلال حديثه عن قادة ليبيا ، فلا يتحدث عنه هنا ، ثم يحيل الحديث عن القائدين الأول والثالث . على الجزء الأول من كتابه هذا ، ويفصل الحديث بعد ذلك عن عبد الملك بن مروان ورويفع ابن ثابت الانصارى .

وعبد الملك بن مروان ، ولد سنة ست وعشرين هجرية ، ودافع عن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه يوم الدار سنة ست وثلاثين هجرية ، وكان سنه عشر سنوات ، وغزا عبد الملك أفريقية مرتين تحت لواء معاوية بن حديج السكونى — مرة سنة احدى وأربعين هجرية ، ومرة سنة خمس وأربعين هجرية .

وفى أيام خلافته استرد افريقية من الروم وحلفائهم البربر ، اذ ارسل اليهم قائده زهير بن قيس البلوى الذى انتصر عليهم ودخل القيروان سنة تسع وستين

هجرية ، ثم تم له فتح قرطاجنة وأتم تحرير المغرب العربى سنة ثلاث وسبعين هجرية بقيادة قائده حسان بن النعمان الغسانى .

وعبد الملك بن مروان من الطبقة الثانية من التابعين ، ولد فى بيئة اسلامية كاملة ولم تدركه لحظة فى الجاهلية ، عاش فى بيت الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وشهد مقتله وكان احد المدافعين عنه ، كما ذكرنا ، وقد قضى عبد الملك حوالى أربعين عاما متوالية من حياته فى المدينة المنورة ، لم يبرحها الا للجهاد او لزيارات موقوتة ، ولذا عد احد أربعة من فقهاء المدينة ، والثلاثة الآخرون هم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب .

اما رويفع بن ثابت الانصارى ، فهو صحابى ، روى عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من التابعين ، كان ممن جاهدوا فى فتوحات الشام ، واشترك فى فتح مصر وليبيا والنوبة تحت لواء عمرو بن العاص ، كما اشترك فى فتح تونس تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وفتح المغرب تحت قيادة معاوية بن حديج السكونى ، وعندما تولى أمر طرابلس الغرب غزا تونس ودخلها سنة سبع وأربعين هجرية ، وفتح جزيرة (جربة) .

لم يسمع عنه أنه شارك فى الفتنة الكبرى ، بل ابتعد عن ميدانها بقلبه وبدنه ، فسكن مصر ، ثم طرابلس الغرب وبرقة ، أيام ولايته عليهما تباعا ، وأمضى فى الأخيرة آخر أيامه ، ثم قضى فيها ودفن فى الجبل الأخضر فى مدينة البيضاء فكان آخر من توفى من الصحابة هناك .

ثم يذكر الأستاذ اللواء بعد ذلك قادة فتح الجزائر ، فيشير الى أبى المهاجر دينار . وعقبة بن نافع الفهرى ، وزهير بن قيس البلوى . وحسان بن النعمان الغسانى . ويحيل القارىء على الجزء الأول من كتابه ، وكذلك قادة فتح المغرب ، ويذكر منهم — عقبة بن نافع الفهرى — وحسان بن النعمان الغسانى — وموسى بن نصير اللخمى ويحيل من يريد أن يعرف سيرهم أيضا على الجزء الأول من كتابه .

هذا هو الباب الأول من الكتاب ، ونتحدث الآن عن الباب الثانى أو ما يسميه الاستاذ اللواء خطاب الخاتمة ، وهو عبارة عن موجز لتاريخ المغرب العربى من الفتح الاسلامى حتى اليوم ، ويستهله بكلمة عن محاولة الاستعمار فى الغاء القومية العربية بمحاربة اللغة العربية فى المغرب العربى ، حتى ظن أنه أصبح فى مأمن ، ولكن انتفاضة الشعب قضت على آماله وبددت أحلامه ، فعادت لبلاد المغرب قوميتها ، وأخذت لغتها الأصلية فى التغلغل فى جميع شئون الحياة ، وسوف لا يمضى وقت طويل حتى تعرب جميع مظاهر المجتمع .

وقد بدا الفتح الاسلامى للمغرب سنة اثنتين وعشرين هجرية ، بدا بعمرو بن العاص وانتهى بموسى بن نصير ، ست وستون سنة استشهد فيها قائدان ، هما — عقبة بن نافع الفهرى وزهير بن قيس البلوى ، كما استشهد فيها عشرات الألوف من المؤمنين فى سبيل المبادىء والمثل العليا التى نادى بها الدين الحنيف .

ولم يكن القصد من الفتح الاسلامى هو الاستعمار أو الاستعلاء بل حمل شعلة الدعوة الاسلامية لتهدى القلوب الى الايمان وتنير العقول بنور المعرفة الحقة ، فمن آمن بكتاب الله أصبح فى مأمن وأضحت له جميع حقوق المواطن .
لقد كان المسلمون فى حروبهم دعاة أولا ، ومحاربين ثانيا . وصحب الفقهاء جيوش المسلمين كما صحبها المحدثون والعلماء والقراء . فالدعوة عند هؤلاء وهؤلاء من الجهاد الأكبر ، أما القتال فكان الجهاد الأصغر سياسة حكيمة ، جعلت بقية كفار البربر يعتنقون دين الله بعد أن تمت لهم فترة من الاستقرار عقب كمال الفتح الاسلامى وامتداده الى الأندلس أيام اسماعيل بن عبيد الله والى الخليفة عمر بن عبد العزيز . زد على ذلك أن أصبحت العربية لغتهم . وهذه معجزة كبرى لم يستطع استعمار اليونان ولا الرومان تحقيقها بالنسبة للغتين اليونانية والرومانية ، والى جانب هذا وذاك انخرط البربر فى جيش المسلمين . وساهموا فى فتوحاته ، وصاروا بذلك سادة لا عبيدا وفاتحين لا مغلوبين .
ويذكر الأستاذ المؤلف بعض لمحات من تاريخ المغرب العربى بعد الاسلام . وعن الدولة المغربية التى أسسها ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب بعد أن عانت البلاد من ثورات الخوارج التى قصدت المغرب ونشرت فيه مذهبها ، وقد وحد ادريس المغرب الأقصى وفتح تلمسان ، وسار ابنه ادريس الثانى فى الطريق الذى رسمه ، فبنى مدينة فاس . وجعلها عاصمة المغرب ، وحكم البلاد حكما حسنا ، ووصلت الدولة غاية مجدها فى عهد حفيده يحيى بن محمد بن ادريس سنة مائتين وأربع وثلاثين هجرية . وقد قدم فاس فى هذه الفترة محمد بن عبد الله الفهرى ، الذى ترك ابنتين همـا — فاطمة التى عرفت بأم البنين ، ومريم وأورثهما ثروة طائلة ، وقد بنت الأولى جامع القرويين الذى أضحى جامعة المغرب ، وما زال — حتى الآن — حصنا للدراسات العربية والاسلامية ، فقد نشر الثقافة وحفظ التراث العربى بعد نكبة « الفردوس المفقود » ، هذا الى جانب بعثه للشعور الوطنى ونفخه روح الفداء والدفاع عن حوزة الوطن وذوده عن الاسلام والشريعة المحمدية السمحاء .

وتحدث المؤلف بعد ذلك عن ملوك الطوائف ، والمرابطين ، والموحدين ، وبنى مدين ، والسعديين ، والعلويين الذين لا يزالون يحكمون المغرب حتى اليوم ، والعصور التى مر بها حكمهم حتى عهد المغفور له الملك محمد الخامس .

ويمضى الاستاذ اللواء بعد ذلك فى سرد تاريخ الجزائر وتونس وليبيا وقصص استعمارهم ثم قصص الجهاد الذى تولاه أبناء البلاد حتى تحقق الاستقلال ، ثم يعقب على ذلك بدروس من التاريخ يهديها للمغرب العربى وللعرب فى كل مكان . ونرى من المفيد أن نبرز الأفكار الرئيسية فى هذه الدروس .

يقول المؤلف ان « المغرب العربى يعانى مشاكل كثيرة بعد استقلاله . نتيجة للحروب الصليبية التى خاضها منذ القرون الوسطى ، ونتيجة للاستعمار فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ونتيجة لتربص الصهيونية واسرائيل به حاضرا ومستقبلا » ، فالبنيان السياسى ومشاكل الادارة والاقتصاد

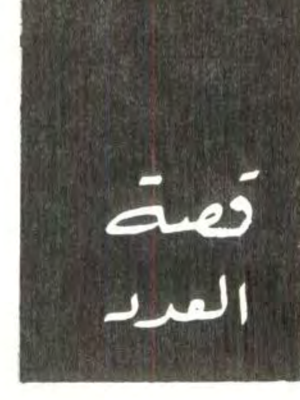
والتعليم وبقية المشاكل الاجتماعية ، كل ذلك شمله التدمير المادى والمعنوى على أيدى الاستعمار ، وهو يحتـــاج الى تخطيط سليم ليحل حلا جذريـــا ، ويعطى الاستاذ المؤلف أساسا لهذا التخطيط ، مستندا الى عبر التاريخ وهو أســـاس يتلخص فى كلمة واحدة ـــ الأخلاق « والأخلاق فى جوهرهـــا الصافى ومثلها العليا هى الاسلام فى جوهره الصـــافى ومن مثله العليـــا . قال الله سبحانه وتعالى يصف نبيه الكريم عليه افضل الصلاة والسلام » وانك لعلى خلق عظيم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وقال « ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيـــامة ؟ » فسكت القوم ، فأعادها مرتين أو ثلاثا ، قال القوم : نعم يا رسول الله قال « أحسنكم خلقا » .

ان الله حقيقة أبدية خالدة وكمال مطلق فى ذاته ، نسب اليه الدين وأوصى به الى من اصطفاه وكلفه بتبليغه الى الناس ، وما دام الدين من عند الله فهو صورة من كماله واتباعه والسير على هداه يحقق الاستقامة حتما فى السلوك والتفكير والوجدان والصلات الاجتماعية ، ويقول الأستاذ اللواء ـــ بعد أن يفند مزاعم الملحدين فى فضل الدين على ثورة الجزائر ـــ « لقد انبعثت ثورات المغرب العربى كلها من مفاهيم اسلامية أصيلة ـــ عروبتها فى اسلامها ، واسلامها فى عروبتها ، من جامع القرويين فى المغرب ، ومن جامع الزيتونة فى تونس ، ومن جمعية العلماء فى الجزائر ، ومن الزوايـــا السنوسية فى ليبيا ، فمن الحق أن نعترف بفضل هذه المعاهد على استقلال المغرب العربى وحريته ، لا أن نقابلها بالعقوق ونكران الجميل ونتنكر لها تنكرا لا يفيد غير الاستعمار واسرائيل .

ويرى الأستاذ اللواء انه ينبغى ـــ لكى نعد الجيل المؤمن الصادق ـــ أن يكون التعليم الدينى اجباريا فى جميع مراحل التعليم من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية كمـــا يجب أن تشتمل الدروس الدينيـــة على دراسة التراث الاسلامى ودراســـة القرآن الكريم ، والتركيز على جـــوانب الجهـــاد ، ومـــا ورد فيه من آيـــات تجعل من المسلم شجاعـــا عزيزا كريمـــا فدائيـــا يضحى بنفسه فى سبيل الله اعزازا للامة وتحريرا للوطن . . . « حينـــذاك سينشـــأ جيل لا يكذب ، ولا يسرق ، ولا يخون ، ولا يغش أحدا ، ولا يمالىء أجنبيا على اخيه ولا على أمته ، ولا يرضخ للظلم ، ولا يخشى الا الله ، شجاع مقدام ، أمين مستقيم فارس فى النهار راهب فى الليل ، يتمنى الشهادة فى سبيل عقيـــدته ويضحى بنفسه فى سبيل اعلاء كلمة الله .

ان أمة ـــ على هذه الجوانب الخلقية ـــ لا تقهر أبدا ـــ فقد فتح العرب المسلمون العالم بالاسلام ، وساروا به . « وتاريخ المغرب العربى ، بل تاريخ العرب كله خير شاهد على ذلك » .

وبعد ، فهذا هو الجزء الثانى من كتاب « قادة فتح المغرب العربى » ان دل على شىء فانما يدل على همة عالية للمؤلف ، همة لا تعرف الكلل ، همة مباركة قصد بها وجه الله واعلاء كلمته واظهار مجد العرب والمسلمين ، وهو كتاب جدير بأن يقرأه كل من يريد معرفة أمجاد أمته ، وكيف كانت أيام تمسكها بالدين ، وكيف أصبحت اليوم .



موعد

مسرحية من فصل واحد

الزمـــــان : بعد الهجرة المجدة .
المكـــان : بويت فى ضواحى المدينة المنورة .
الأشخاص : عقبة ، وولداه : خويلد وقتادة ، وزوجه عثمة .

عقبـــة : أوقدى أوقدى يا أم خويلد ، كأن الرمـــال تفح زمهريرا ، والنخيـــل ينثر بردا .
خويلد : يكاد دمى يهرب الى عظمى .
عثمـــة : فدتك أمك . منذ سنين طويلة لم تشهد يثرب عواصف كهذه . كأنهـــا سافيات يوم الأحزاب .
عقبـــة : تكاد الجدران تتناثر . والعيون تلوذ وراء الجفون .
خويلد : لا ينجى مثل الأغطية . والفحيح .
عقبـــة : عد عن ذا يا بنى . الفحيح للأفعى . ثم ان العشية من أولها .
خويلد : والله لفحيح الأفعى أيسر من تجمع الأحزاب لغزونا .
عثمـــة : فليكثروا اكثارهم . فالله من فوق عين ترعى . ومن كل جهة يد تضرب . ولن يعودوا الى مثلها .
عقبـــة : يد الله فوق أيديهم . ونحن لهم بالمرصاد .
خويلد : سمعت رسول الله يحدث (سلمان) عن كيد قريش .
عقبـــة : ما أعظم حكمة الرجل !
عثمـــة : دع الفتى يتكلم عن رسول رب العالمين .
(تلتفت الى ابنها) .
اكمل بنـــى .
خويلد : وسلمان مطرق . ينصت .
عثمـــة : ثمة ؟.. ولكن بالى مشغول لتخلف قتادة .
خويلد : فنظر الى الرسول وعيناه مغرورقتان ، وأطال النظر .
عثمـــة : قلبه فى عينيه ، ولسانه يتحدث فى الصمت الى قلبه .

مع الصّباح

للدكتور : علي شلق - الجامعة اللبنانية

عقبــة : هو ذاك يا عثمة ، كم نحن مدينون له !

عثمــة : انتصارنا من الله ورسوله ، فالله ساق سلمان بحكمتــه الينــا ، والرسول أخبر خلق الله بالرجال .

عقبــة : ولذلك أوكل الى أمر مراقبة اليهود ، فعهودهم كلا عهود .

عثمــة : لا تختل علينا يا أبا خويلد ، فأنا قد تلفت يداى من تضميد الجراح .

خويلد : وفتاكما خويلد ، تعبت قدماه من السعى بين الخنادق لنقل الأوامر .

عقبــة : رمتنى بدائها وانسلت ، دعى الصبى يكمل ، فالحديث عن رسول الله كالأغنية بين الحجون ، والصفا ، هات يا ولدى .

خويلد : احببنا ان ينطق سلمان ، وكنا حشدا حولهما .

عقبــة : الدمع حديث القلوب يا ولدى .

خويلد : فضرب النبى على كتفه ، وشده الى صدره وقال : « سلمان منا اهل البيت » .

عثمــة : بالايمان أعظم القربى ، ورب اخ لك لم تلده أمك .

خويلد : فشهق سلمان على صدر النبى ، ثم رفع بصره الى السماء وصاح : « الحمد لله الذى نصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » .

عقبــة : كلام المؤمن الذى يرى الله فى كل شىء .

عثمــة : ويتجافى عن ذكر المخلوق الى الخالق .

عقبــة : حديثك ذو أبعاد يا أم خويلد .

عثمــة : من فتح الله مغالق روحه ، انطلق لسانه بروائع الكلم يا عقبة .

خويلد : تكاد أمى تنافس حسانا ، وتواكب عليا .

عثمــة : تابع يا خويلد ، تابع .

خويلد : ثم غمرنا جميعا شعور بغبطة فردوسية ، والرسول يردف بخشوع وجلال : « الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف » وعندئذ . .

عقبــة : وعندئذ . .
خويلد : نطق سلمان ، وقال فداك ابى وامى يا رسول الله ، هذه حكمة من من فاطر السماء والأرض ، تذكرنى بما تعلمناه عن أساتذتنا اليونان فى جند يسابور .
عثمـــة : أين تقع هذه ؟
عقبــة : على تخوم بلاد الفرس والحيرة . فيها مدرســـة امتزج بتعاليمها فكر اليونان وفكر المنطقة .
خويلد : وسمعت رسول الله يسأله عن حكمة اليونان .
عقبــة : وماذا قال ؟
خويلد : أردف قائلا : يا رسول اللــــه - من كلمات حكيمهم الكبيــر صاحب الجمهورية أن النفوس كانت كريات ، تقسمت أنصافا ، ثم نثرت فى الكون ، فأصبح كل نصف يشتاق الى نصفه .
عثمـــة : كلام اليونان ثقيل .
خويلد : فأجابه الرسول : (يا سلمان ، يا ابن أبى وامى) .
عثمـــة : يا لحبه الكبير !
عقبــة : تذكرى كلام الرسول : « ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » وأن المؤمنين أخوة .
خويلد : كلام رب العالمين غاية الغايات « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .
عقبــة : صدق الله العظيم !
خويلد : همس رجل فى سمع الرسول كلاما ، ثم ذهب ، ثم عاد الرسول الى الحديث فينا وهو يوجه كلامه الى سلمان قائلا : « ان فى الجســـم مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .
عثمـــة : القلب ، القلب ، منبع المراحم .
خويلد : قالها الرسول وهو يدق بيده على صدره .
عثمـــة : أتظن سلمان معنا يا أبا خويلد ؟
عقبــة : اصبح منا كالهواء ، والماء ، والشماع .
عثمـــة : وقومــــه ؟
عقبــة : قومه الله ورسوله والمؤمنون .
عثمـــة : يا لها من نعمة لم نكن نحلم بها ، عقبة ، وعثمة يجالسـان كبار الأوس والخزرج ، وابنهما خويلد يطارح السادة كلاما ، وقتادة يكلف بالمهام من الأمور .
عقبــة : أما سمعت الرسول يقول : « الناس سواسية كأسنان المشط ؟ » .
عثمـــة : يا لله من فجر جديد ! لكن . .
عقبــة : لكن . . ماذا يا عثيمة !!
عثمـــة : أخاف أن تتجمع الأحزاب مرة اخرى .
عقبــة : المحب خواف يا عثيمة ولكن الرأى غلب الشجاعة .
خويلد : هكذا سمعتهم يقولون فى مجلس رسول الله ، « الحرب خدعـــة » الرأى أن يجىء الهجوم مباغتا ، ولزوم السر أحجى واضمن للنجاح .
عثمـــة : سمعت أن قوما من قريش قدموا متخفين يدعون الرسول اليهم ، وهم

سينصرونه ، ليستولى على مكة .

عقبــة : وماذا كان من أمرهم ؟

عثمــة : ردهم الرسول ، واعدا خيرا ، وأنه ربما فعل .

عقبــة : متى ؟

عثمــة : عندما تحيط بمكة جحافل ابن عبد الله ، عندئذ يكون النصر بدونهم .

عقبــة : لنا بعد الأحزاب عدو لا ننساه ، لا وسط ، اما نحن واما هم .

خويلد : تقصد يهود يثرب ، وبنى النضير .

عقبــة : وبنى قريظة ، وقينقاع ، وخيبر ، يوجدون أو نوجد .

خويلد : سمعت الرسول يقول فى مجلس البارحة : (ثلة من امتى ستدخل البيت الأبيض ، مقر كسرى وآل كسرى) .

عقبــة : قالها وهو يحفر الخنادق فى سمع سلمان والمهاجرين ، والأنصار .

عثمــة : وماذا قال سلمان ؟

خويلد : كنت الى جانبه وهو يهوى بفأسه ، ويمسح دموعه بين الفينة والفينة ، ثم ذهل برهة ، وصاح : « ليتنى كنت معهم يا رسول الله لأرى كيف تكون عاقبة الظالمين ، وعقبى المجاهدين » .

عثمــة : والوطن والأهل يا عقبة ؟

عقبــة : يا عثيمة — ولتسمع يا خويلد — الأهل — والأوطان — والعشير ، حدود يا بنى تصد كل خير يدفق ليعم الناس جميعا ، ما أضر بقريش الا عصبية الجاهلية ، الانسان أخ الانسان يا بنى ، أسود ، أبيض ، أصفر ، لا فرق ، وقد من الله علينا بمحمد ليوحد العالم .

خويلد : وهل هذا ممكن ؟

عثمــة : والله سبحانه يقول : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » ؟

عقبــة : عندما يشاء الله سبحانه يخلق الأسباب ، فهاكها .

عثمــة : اسمع .

خويلد : هات يا أبت .

عقبــة : الاسلام خاتمة الأديان ، ومعنى ذلك أنه سيشمل الدنيا .

عثمــة : يا فرحتاه !

عقبــة : بالشهادة توحيد القلوب بالايمان .
بالصلاة رياضة القلوب ، والأبدان على الايمان .
بالزكاة وحدة الغنى والفقر ، بنظام لا بطر فيه ، ولا جوع .
بالصوم مساواة بين البطون والنفوس .
بالحج شورى الناس للأحكام ، وابتهالهم الى الله سبحانه بلغة واحدة وعين واحدة ، ووجوه واحدة ، لإله واحد ، فالاسلام دين وشريعة .

عثمــة : ما أحلى التوحيد فهو الحب الكامل .

عقبــة : بذا يصبح دين الناس ، وساسة الناس ، ومال الناس وحدة تامة .

عثمــة : وكيف لا يرضى هذا كبار قريش ؟

عقبــة : العناد ، وحب الحفاظ على ما فى الخزائن .

عثمــة : وكم حاولوا ثنى الرسول عن مراده !

عقبــة : خابوا ، وخدعهم سرابهم .

عثمــة : بربك ردد على مسمعى شعرك فيهم ، وفى رفض الرسول عروضهم .

خويلد : دعيه يرجع ما كان يترنم به ونحن نشذب نخلاتنا منذ شهور .

عقبــة : ما حاور به خديجة .
خويلد : هو ذاك .
عقبــة : ــ

سوف أدعو لها ، سلاحى : نعم ، لا — انت ، هــل تؤمنين ، بنت خويلد ؟
بــك دنيــاى شعــة مــن يقيــن — واندفــاع عــلى الطــريق الموحــد
سوف نمضي ، لكنمــا كيف ؟ باثنين ؟ — ومــن رفقــة الطــريق الطــويل ؟
يا لك الله ! نحــن بالحــق أقــوى — مــن تحــدى الأقدار بالمســتحيل
خــاطرى راعش الضــباب وكفــى — تلمس الشــوك فى شعاب الطريق
آه ، آمنت ، يورق الشــوك بالطيب — نديــا مــا دمت أنت رفيقــى
لاحس الحــوافر السمر فى الأرض — يجرحن شــامخ التيجــان
يصبغ الكــون لوننــا ، عربيــا — مستيفيضــا على خلود الزمــان

عثمــة : نفحة جاهلية يا عقبة .
عقبــة : لا بأس ــ واسمعى .

سر ولا تخش هــاك قلبى ومــالى — واحتمالى عــلى المجــال البعيــد
أى جــدوى فــى أن نمــر ؟ — ولا يرتج من خطونا ضمير الوجود ؟

عثمــة : الله الله يا عقبة ، لأنت أشعر من حسان .
خويلد : والله يا أبت انك لشاعر ! لو أسمعت الرسول .
عقبــة : انما أنظم كلام الحبيب يا ولدى .
خويلد : زدنى يا أبت فقد طار النوم من جفونى ، ومد علينا الدفء رواقه .
عثمــة : ما أحلى سمرنا هذا ، جاء دورى يا عقبة ، ردد على مسمعى قولك فى حوار النبى مع قريش . آه ، عجبى لتأخر قتادة !
عقبــة : عندما جاءوا أبا طالب ليردع ابن أخيه ، ودعك من قتادة الآن فهو فى مهمة من الرسول :
عثمــة : وكيف حطم الرسول ضلالهم ؟
عقبــة : ــ

يا أبا طالب ، بنو عمك الأدنون جــاءوا اليــك فى امر أحمــد
عم ، مهــلا بما توارث اجــدادك من منهــج أراه مســدد
ان ترد بسطــة من المــال تغمــر أو ترم إمرة فأنت المســود
عم ، هات الدنى وضع فى يمينى الشمس ، والبدر منطو فى يسارى
سوف لا أنثنــى ، ولو خضب الليل حطاما على ضلــوع النهــار

ثم يلتفت صائحا :

دونكم باطل الأباطيــل مــن حيف — ومــن حرفــة ، ومــن تجريــح
سوف أبقى فى الأرض للحق لكــن — أنتم تذهبــون نفخــة ريــح

خويلد : يا أبت فدتك روحى .
عثمــة : آمنت بالله ورسوله .
عقبــة : واليكما قولى ساعــة خاطب الرسول الرعاة والصعاليــك والناس أجمعيــن :
كلاهما : كلنا أسماع .
عقبــة : ــ

يا رعاة الفلاة ، يا رفقة الفجــر — وســمار انجــم فى العشايــا
أى صعاليــك من حفــاة عــراة — انفروا ، انفروا خفاف النوايــا

اقبلـــوا اقبلـــوا بكـــل يتيـــم	مستريب ، وكل ثكلـــى حزينـــه
واجمعـــوا البائسين حولى القـــى	فى حناياكم شـــعاع السكينـــه
اخوتى اخوتى ، فتحت لكم روحى	ملاذا لكـــل عـــان مشـــــرد
سوف ابنى بكل وجودا من الصحو	فلا جـــائر ، ولا مستعبـــــد

خويلد : والله يا ابت لكأنى ارى خلاص العالم من شروره على يـــد الرسول الكريـــم .

عقبـــة : ولسوف تلتف حوله امم الأرض .

عثمـــة : هاك سلمان الفارسي ينسى وطنه وقومه ، ويقبل عليه .

عقبـــة : ولسوف يتجـــاوز الناس كل الحدود ، ويهـــاجرون من نفوسهم ، ومطامعهم الى الحق ، فيه وحده كل وطن ، واهل ، ومجد ، واللــــه حسبنا وحسب كل مؤمن .

عثمـــة : انعيش الى يوم الموعد ؟

عقبـــة : يعيش اولادنا ، فهم يرون بأعيننا ، ويحسون بقلوبنا .

خويلد : ولكن يا ابت أنى لنا بغلبة الفرس والروم ؟

عقبـــة : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .

عثمـــة : بإذن الله

عقبـــة : اذن الله يا بنى ، التوحد ، والاندفاع قلبا واحدا فى سبيل الله ، فما غلب قوم توحدوا ، وما انتصر طغاة أو بغاة .

خويلد : والله للموت فى سبيل الحق أمجد حياة !

عقبـــة : الحياة من الله ، وبالله ، والى الله ، هى وحدها حياة .

عثمـــة : هاه ! هاه ! اقبل قتادة ، احس وقع خطاه .

عقبـــة : رغم الريح ، وسمر الليل !

عثمـــة : لقلب الأم عيون وآذان يا عقبة .

قتادة : (يدفع الباب) سلام على أهل بيتنا .

الثلاثة : سلام على القادم المتخلف .

قتادة : القيام على تأدية الواجب طليعة يا أبوى ، ستسمعون كيف نقضى على ضلال اليهود الغادرين ، أولئك الذين يبيتون لكل الناس ، ولا يحبون الا شعبهم المنبوذ .

عثمـــة : اراك تعبا قتادة .

قتادة : اماه ، مدى لى فراشى ، سأنام قليلا لأنهض الى امر .

عقبـــة : ما احلى النوم على المواعيد ، والأحلام !

عثمـــة : كل يقظة تنبع من أحلام الأصفياء يا عقبة .

خويلد : سأكون رفيقك يا قتادة .

قتادة : انك لا تزال حدثا .

عقبـــة : يكفيك الآن ان تختلف الى مجلس الرسول .

خويلد : دمى يرتعد ، ويرتج ، وليس على بأكبر منى سنا .

عقبـــة : قوموا الى النوم ، رعاكم الله .

خويلد : موعدنا الصبح معا يا قتادة .

عثمـــة : موعدنا جميعا كل ضياء .

قتادة : ان الصبح لقريب !

للأستاذ أبى الحسن الندوى من علماء الهند نقلناه من قبل بالعدد الحادى والأربعين فى باب : (قالت الصحف) :

الأمة العربية
صاحبة الرسالة الخاتمة

وجاء فى صحيفة الرائد التى يصدرها النادى العربى بندوة العلماء فى لكنو بالهند خطبة طويلة للسيد ابى الحسن الندوى فى طلابه نقتطف منها :

ان هذه الأمة سوف تبقى بعد هذه النكبة ، أو النكبتين بل بعد خمسين نكبة ــ لا قدر الله ــ فاننى أعيذ سمعى وبصرى ، وأعيذ ايمانى وعقيدتى أن تكون هناك نكبة بعد هذه النكبة ، واننى أعيذ الأمة العربية العزيزة أن تكتب لها نكبة أخرى بعد هذه النكبة .

ان هذه الأمة ايها الأبناء الأعزة تبقى مهما توالت النكبات وتتابعت الأزمات ، صاحبة الرسالة الاسلامية ، وصاحبة النبوة الأخيرة ، صاحبة الكتاب الأخير ، صاحبة الأمانة الأخيرة ، صاحبة الاتصال اتصال الارض بالسماء .

ان هذه الأمة العربية ولو نكبت بأعظم من هذه النكبات ــ كما قلت لكم ــ ولو اقصيت من ميدان القيادة العالمية ، لا تزال موضع الثقة فى التاريخ الاسلامى ، هى موضع الثقة فى تاريخ البعث الاسلامى ، موضع الثقة فى التاريخ الانسانى انها أكرم أمة ، وأغنى أمة ، وأشرف أمة فى أخلاقها ، أبى الله أن تضيع فى هذه الزلازل والنكبات .

انه لا بقاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة الا ببقاء الأمة التى نزل فى لغتها هذا الكتاب الخالد ، وشرع فى لغتها هذا الدين العالمى ، اندثرت أمم فاندثرت أديان ، وقد يسبق اندثار الأمة اندثار الدين ــ قد تندثر أمة وقد تطوى من سجل التاريخ ومن سجل العالم ، فيأتى دور الدين الذى كانت تدين به ، وقد يندثر دين لأنه قد أدى رسالته وفقد صلاحيته ، ثم تندثر هذه الأمم التى كانت تدين به ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد قال : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فاذا كان هذا الكتاب مضمون البقاء مضمون الخلود ، مكفول القراءة ، مكفول التلاوة ، مكفول الفهم كما قال الله (ان علينا جمعه وقرآنه) فقد تحقق أن هذه الأمة العربية كانت ولا تزال باذن الله تعالى مكفولة البقاء . مكفولة الحياة ، فانه لا فائدة فى بقاء هذا الكتاب اذا ضاعت اللغة ، واذا ضاع أهلها فمن يفهمه ؟ ومن يفسره ؟ ومن يعرف مبادئه ومضمراته ومكنوناته ؟.

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋



السؤال :

هل يجوز شرعا اعطاء زكاة الأموال وغيرها بما فيها صدقة الفطر الى الفدائيين ؟

احمد نايف شبير
معهد المعلمين ـ الكويت

الاجابة :

الزكاة ركن من أركان الاسلام وثابتة بالكتاب والسنة قال تعالى : « وآتوا الزكاة » وقال صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس ـ وعد منها الزكاة وأجمعت الأمة على فرضيتها وصارت معلومة من الدين بالضرورة ، وهى تزكية النفس وتطهيرها قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » . وتشمل الزكاة كل ما يخرجه الانسان من حق الله تعالى الى المحتاجين .

ومن المعلوم أن الفدائيين الذين ذكرهم السائل يقصد بهم الذين يجاهدون لتحرير بلادهم والذين حضروا من بلاد أخرى ويجاهدون لتحرير القدس والأماكن المقدسة وباقى الأجزاء العربية المحتلة ولمعاونة اخوانهم المسلمين ضد اليهود الذين اغتصبوا بلادهم ، ولا شك أنه فى هذه الحالة يجب على المسلمين فى جميع بقاع الأرض الجهاد بالنفس والمال فوق ما يجب عليهم من اعطاء زكاتهم كلها أو بعضها للمجاهدين فى سبيل الله كالفدائيين وغيرهم ممن يجاهدون لتحرير بلادهم الاسلامية المحتلة ، لأن هذه الجهة احدى الجهات التى نصت الآية الكريمة على صرف الزكاة اليها بل انها فئة أولى فى هذه الأيام ، قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » . وقد شرع الجهاد فى الاسلام دفاعا عن كلمة الله وعن أرض المسلمين وأعراضهم وأموالهم .

السؤال :

رضعت بنت فى سن الارضاع اكثر من خمس رضعات متفرقات مشبعات من زوجة عمها ويريد شقيق البنت ان يتزوج من بنت عمه التى لم ترضع من والدته أو من زوجة أخرى لأبيه .

فما حكم الشريعة ؟

الاجابة :

برضاع البنت من زوجة عمها تكون أختا من الرضاع لجميع أولاد زوجة عمها

واولاد عمها حتى من غيرها ، وتحرم حينئذ على جميع اولاد عمها ولا يمتد التحريم على اخوتها لأنهم لم يرضعوا من زوجة عمهم وحينئذ فلا مانع شرعـــا من أن يتزوج اخوها من بنت عمه لعدم اجتماعهما على ثدى واحد .

فى الميــراث

السؤال :

توفى شخص عن :
أخت شقيقة ، وأخت لأب ، وأولاد ابن عم شقيق .
فما نصيب كل وارث ؟

ص. م. س

الاجابة :

بوفاة المتوفى عن الورثة المذكورين يكون توزيع تركته على النحو الآتى :
للأخت الشقيقة النصف فرضا وللأخت لأب السدس تكملة الثلثين والباقى لأولاد ابن العم الشقيق الذكور تعصيبا بالتساوى بينهم .

السؤال :

توفيت امرأة عن :
زوج وأولاد أخ شقيق وعمة
فما نصيب كل وارث ؟

م. ع. و

الاجابة :

بوفاة المتوفى عن الورثة المذكورين يكون توزيع التركة على النحـــو التالى :
للزوج النصف ولأولاد الأخ الشقيق الذكور الباقى تعصيبا بالتســـاوى بينهم ولا شىء للعمة .

السؤال :

توفى والدى عن :
زوجة وثمانية أولاد اربع اناث واربعة ذكور ، واب ، وأم . وتـــرك (١٠٠ دينار) مائة دينار فما نصيب كل وارث عن هذا المبلغ .

م. ع
وزارة الاوقاف

الاجابة :

بوفاة الوالد المذكور عن زوجته وامه وابيه واولاده الأربعة الذكور والأربعة الاناث يكون توزيع تركته البالغ قدرها (١٠٠ دينار) على النحو الآتى :

		فلس/دينار		
١ ــ لزوجتـــه الثمن فرضـــا	وقدره	١٢/٥٠٠		
٢ ــ للأب السدس فرضـــا	وقدره	١٦/٦٦٦		
٣ ــ للأم الســـدس فرضـــا	وقدره	١٦/٦٦٦		ف/د
٤ ــ الباقى للأولاد نصيب الذكر ضعف الأنثى		٥٤/١٦٨	فيخص الولد	٩ر٠٢٨
			ويخص البنت	٤ر٥١٤



بإشراف : الشيخ رضوان البيلي

ابن صياد

يتسلى العامة عندنا فى القرى والكفور بقصص شعبية كثيرة . كقصة سيف بن ذى يزن ، والزير سالم والظاهر بيبرس . وقصة ابن صياد .

وتتحدث هذه القصة الاخيرة عن بطلها « ابن صياد » وتنسب اليه كثيرا من خوارق العادات ، وتزعم انه اجتمع بالرسول عليه الصلاة والسلام ، وتحدث معه . فمن هو ابن صياد هذا ؟ وهل هو شخصية حقيقية أم خيالية ؟ وهل صح ما ينسب اليه من اجتماعه برسول الله صلى الله عليه وسلم .

محسن شبيطة ــ المنزلة

ج. ع. م

ابن صياد هذا شخصية حقيقية عاشت فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، وهو يشبه الى حد كبير هذا الصنف من الناس الذين لا تكاد تخلو منهم بلد من البلاد أو قرية من القرى . يبدو عليهم البله والعته ، ويلبسون الاسمال البالية والمرقع من الثياب وتجرى على السنتهم كلمات وعبارات هى خليط من الجد والهزل والعقل والهوس . يطوفون بالجسور فى الحر والبرد والليل والنهار ويجلسون فى المقابر ويبيتون فى العراء ، ويجوسون خلال الأزقة والحارات ، ويدخلون الدور دون حجاب ولا استئذان ، يتبرك بهم العامة ، ويلتف حولهم السذج والبسطاء ، ولهم تأثير كبير على النساء الجاهلات ويعتقد الجاهلون فيهم ، ويخلعون عليهم القابا ونعوتا ــ أولياء الله . مكشوف عنهم الحجاب ــ ويلتمسون التفسير والتخريج لما يصدر عنهم من كلمات وأفكار مشوشة مضطربة .

ابن صياد هذا من هؤلاء الصنف من الناس الذين يفتتن بهم العامة ، وأقل ما توصف به تصرفاتهم هو الخبل والجنون والهوس ، وهو كما تقدم عاش فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة وكان موضع فتنة لبعض المسلمين ، فمنهم من ظن انه المسيخ الدجّال ومنهم من توهم انه ولى من أولياء الله ومنهم من اتهمه ومنهم من توقف فى أمره ، وهذا شأن المجتمع فى كل زمان

وبيئة مع هذا النوع من الناس .
ولما شاع أمر هذا الرجل فى المدينة أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختبر حاله ويكشف حقيقة أمره للمسلمين .
جاء فى صحيح مسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بصبيان . فيهم ابن صياد ، ففر الصبيان ، وجلس ابن صياد ! . . فكأن رسول الله كره ذلك ، فقال له صلى الله عليه وسلم « تربت يداك . . اتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا . بل تشهد انى رسول الله ! فقال : عمر بن الخطاب « ذرنى يا رسول الله حتى أقتله » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان يكن الذى ترى فلن تستطيع قتله . . وكان عمر يظن أنه الدجال .

وعن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند اطم بنى مغالة (بناء مرتفع لبطن من الانصار) وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم ، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ، ثم قال رسول الله لابن صياد : أتشهد انى رسول الله ، فقال : أشهد أنك رسول الأميين ، ثم قال ابن صياد : اتشهد أنى رسول الله ؟ فرفضه رسول الله ، وقال « آمنت بالله وبرسله ، ثم قال له : ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتينى صادق وكاذب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلط عليك الامر ، ثم قال له : اننى خبأت لك خبيئا ، فقال ابن صياد هو الدخ فقال له الرسول اخسأ ، فلن تعدو تدرك ، فقال عمر : يا رسول الله اضرب عنقه فقال له ان يكنه (يعنى الدجال) فلن تسلط عليه ، وان لم يكنه فلا خير لك فى قتله .

وقد تكشف أمر هذا اليهودى الدعى ، واعتزله الناس اتقاء فتنته وأحس ابن صياد بأنه أصبح منبوذا من المجتمع فضاقت به السبل ، وسئم حياته حتى حدثته نفسه بأن يقتل نفسه ، وقد اختفى هذا الرجل الكذاب الدجال المشعوذ من حياة المجتمع فى المدينة ، ولم يبق فى الناس الا قصته التى تحذر الناس من الانخداع بالصرعى والوقوع فى حبائل المخبولين « كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض .

بقيت لنا كلمة أخيرة فى المعطيات غير المقررة لهذه الرسالة ، أو فيما بين السطور ـــ كما يقولون ـــ أنا لنعلم الظروف التى راجت فيها هذه القصص بين العامة ، وانها الفت أو جمعت لتسد الفراغ الثقافى أو الخواء الروحى ، وتلك أمة قد خلت أما الآن فان الدنيا تغيرت ، ومن العجب أن يوجد فى المسلمين عموما وفى مسلمى المنطقة العربية خاصة من يشغل نفسه بمثل هذه القصص ، قد يقول المتفلسفون انها صور شعبية أو فلكلورية يجب أن تبقى ، ومن العجيب أن يستعلن الهوس والخبل ، ويتوارى العقل والحكمة . . أليس ما حدث فى المنطقة العربية . . أحداث جسام مانعا وزاجرا عن الاشتغال بما

يضر ولا ينفع ؟ هل يوجد لدى مسلم الآن وقت يقضيه فى سماع الف ليلة وليلة وابن صياد وما الى ذلك .. الا يسمع الدعاة وأجهزة الاعلام .

لا تناقض

أثناء قراءتى للقرآن الكريم أقف عند بعض الآيات . لانى لا أستطيع فهمها لما يبدو من الاختلاف بينها ومن هذا قوله تعالى « هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون » وقوله عز وجل : « وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون » فالآية الاولى تدل على أنهم لا يتكلمون يوم القيامة والآية الثانية تفيد أنهم يتكلمون . فكيف هذا ؟

مدرس بالكويت

الناس يوم القيامة يتكلمون . وأهل الجنة فى الجنة يتكلمون ، وأهل النار فى النار يتكلمون . يدل على هذا القرآن الكريم والسنة الصحيحة . والآية الاولى لا تنفى النطق مطلقا ، وانما تنفى النطق النافع المفيد ، وهذا أسلوب سائغ فى لغة العرب . تقول : خرس فلان عن حجته ، وتقول تكلم فلان كثيرا ولكنه لم يقل شيئا ، فالذى وصف بالخرس نطق وتكلم ولكن كلامه لم يثبت حجته ، والذى نفى عنه الكلام تكلم بكلام كثير ، ولكن المستمع لم يستفد منه شيئا . والكفار يوم القيامة يتكلمون وينطقون ويعتذرون ولكن كل هذا لا يفيدهم ولا ينفعهم فلا يستمع لهم ، ولا يقبل اعتذارهم .

ومن هذا القبيل قول الشاعر العربى :

أعمى اذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر
ويصم عما كان بينهما سمعى وما بى غيره وقر

فلا تعارض ولا اختلاف بين الآيات ، وصدق الله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .





يعبـرون فيـه عـن افكارهـم
دون أن تلتـزم المجلـة بآرائهـم

مكانة السنة فى الدين الاسلامى

تلقينا من الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم كلمة بهذا العنوان نقتطف منها ما يلى :

قال تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

قال ابن القيم : اقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان على العباد حتى يحكموا رسوله فى كل ما شـــجر بينهم من الدقيق والجلى ولم يكتف فى ايمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ، ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا .

وقال الامام الشافعى : نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم فى رجل خاصم الزبير فى أرض فقضى النبى صلى الله عليه وسلم بها للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حكم منصوص فى القرآن .

فكل ما جاء به الرسول وأثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح امر الله فى قرآنه باتباعه . وهو بالتالى اتباع لله وقرآنه وهذا صريح فيما تقدم وفى قوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) واخبر تعالى أن الرسول أوتى القرآن والحكمة وهما مصدرا التشريع فقال : (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هى السنة وجزم بهذا الامام الشافعى لتغايرها بالعطف وهى فى مقام السنة ولم يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا يمكن ان تكون شيئا آخر غير السنة : (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) وحب الله فى أتبـــاع الرسول وسنته .

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

فالقرآن هو الاصل فى الدين الداعى الى السنة والسنة هى الاصل الثانى فى الدين المبينة للقرآن المفصلة لاجماله والمستقلة بالتشريع فبها يعرف مثلا

اوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسجداتها وما يقيمها أو يبطلها مما لم يفصله القرآن بل اجمله بالأمر بالصلاة كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثال تحريم نكاح المراة على عمتها او خالتها وتحريم الأهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير الا ان مثل هذه الامور يمكن أن يقال بأنها ليست مستقلة استقلالا تاما عن القرآن حيث أن الأخذ بها مندرج تحت أمر القرآن باتباع الرسول وسنته وأخرج أبو داود والترمذى عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال فاستحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله — زاد أبو داود — (الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه (والمماثلة للكتاب هى السنة) ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمأثور ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الاسلامى وهما اصل مصادر التشريع وهما ميزان العدل الالهى الصادق وعلى هديهما يستطيع المصلحون فى كل وقت ان يقيموا اعمال الأفراد والجماعات والأمم ولا يكون الاعتدال الكامل فى الأخلاق والمعاملات والعبادات والا بالكتاب والسنة .

وقد توفى الرسول بعد أن ظل يعلم الناس بمكة والمدينة مركزى اشعاع الدعوة الى الدنيا ثلاثا وعشرين سنة يقيم للناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة وتوفى وهو مطمئن الى انه تركهما لنا ميزان حق وصدق ولن نضل ما تمسكنا بهما .

قال صلى الله عليه وسلم :

« تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى — كتاب الله وسنتى » .



وتلقينا من الدكتور محمد فوزى فيض الله كلمة تحت هذا العنوان :

الحج فريضة مقدسة ، وشريعة محكمة ، اشتملت شعائره كلها على حكم بالغة ، تستهدف فى جملتها تصفية النفوس ، وتطهير القلوب ، وتاصيل العقيدة ، وتثبيت جذور الايمان فى النفس المؤمنة .

واول ما يلفت النظر فى مواقفة مشاهدة لبوس الاحرام الخاص البسيط المختصر ، المتكون من ازار ورداء ، انه ينبىء عن التجرد من الدنيا وزخرفها ، وهذه الحياة وتعقيدها ، والاقلاع عن النعيم الباطل ، والترف الزائل ، انه ترك النفس حظوظها ، والهجرة الى رب العالمين ، بعبادة مخلصة لا تشوبها سمعة . ولا يخالطها رياء ولا يفسدها غرور أو ظهور . ولا تقف دونها رغبة ولا متاع .

كم ذا يذكر هذا المظهر بالبعث يوم النشور ، يقوم الناس لرب العالمين؟ وكم توحى هذه الكتل البشرية المتلفعة بأبسط لباس ، بأن هذه الدنيا الفاتنة

الفاتكة ، الغدارة الفرارة ، صائرة الى زوال محتم؟ وكم فى هذا من عبرة ودرس ، وحث على العمل الصالح ، والتزود لليوم الرهيب القريب ؟ ثم كم فى هذه الصورة الحية من تطبيق دينى عملى للمساواات بين الناس ، من حيث قيمتهم الانسانية المشتركة ، ومظاهرهم الموحدة ، وايحاء بأن التعاون بين أفراد الحجيج ليس الا بالنظر الى ما تضمه تلك الأزر والأردية ، من قلوب عمرها الايمان وضلوع انحنت على اليقين ، ونفوس استقرت فيها التقوى .

وهذا الطواف حول البيت العتيق ، لا يقل فى عمق فكرته واصالتها ، وشرف غايتها عن الاحرام .

ان الطواف من طبيعة الكائنات ، وان الطواف من فطرة هذا الكون الذى فطره خالقه ، وفطر له سنة الطواف :

الاقمار والكواكب ـ فى المجموعة الشمسية ـ كلها تطوف وتدور فى مساراتها المحكمة المنظمة : القمر يدور حول الارض ، وأقمار المشترى تدور من حوله ، والارض واخواتها من السيارات كلها تدور حول الشمس دورانا متصلا لا ينقطع ولا يمتنع وبهذا الدوران صلح أمر الوجود « ذلك تقدير العزيز العليم » .

والمسلمون يطوفون حول البيت ، يهرولون فى طوافهم ، يفيضون جدا ونشاطا ، وتتجلى فيهم القوة والفتوة ، فيرهبون أعداء الله ، بجلدهم القوى ، وعزمهم الفتى ، وتقللهم من الزاد ، والتفافهم حول بيت رب العباد ، ومصافحتهم الحجر الاسود . ان فى ذلك لتجديد البيعة لله ، ومعاهدته بنصرة دينه ، والتفانى فى سبيله .

والسعى بين الصفا والمروة ، والهرولة فى هذا الانطلاق ، وشرب ماء زمزم ، عبرة وذكرى .

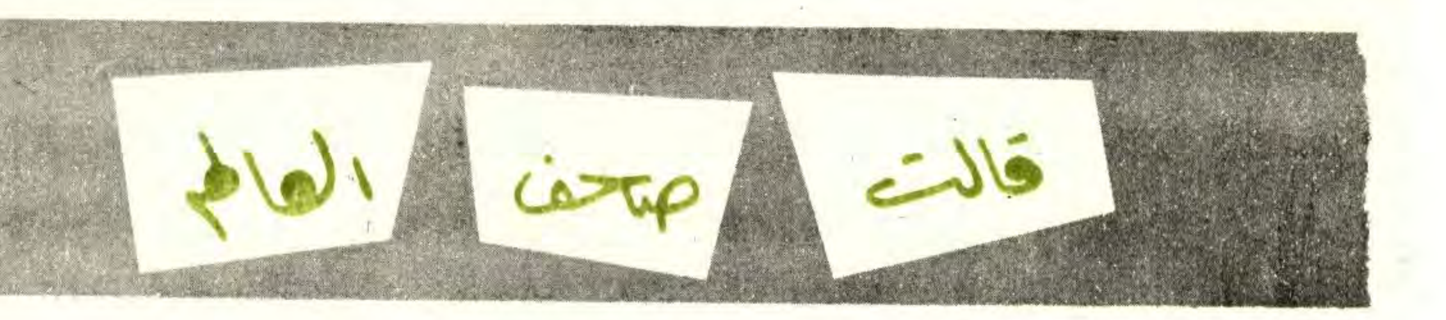
اسكن ابراهيم ـ عليه السلام ـ ذريته بواد غير ذى زرع ، على مقربة من البقعة التى اقام عليها فيما بعد الكعبة ، وذهب الى حيث يدعو الى سبيل ربه ، ويقيم الدين . .

عطشت زوجه (هاجر) وخشيت عاقبة العطش على وليدها (اسماعيل) ، فانطلقت تتفقد الماء ، هنا وهناك بحرارة واتقاد ، تعلو مرة وتهبط اخرى ، بين الصفا والمروة ، يدفعها حنان الامومة الرحيب ، اذا يئست أو كادت ، شق الله لها الارض بجانب الوليد ، ففجر لها الماء ، ونبعت زمزم بجواره السعيد .

ان الانسان يكدح فى الحياة ، ولا بد أن يكدح ويكد لطلب الرزق ، ولكن ليعلم أن رزقه بيد الله ، وما يتنزل الا بأمره ، ولا تستنزله الحيلة ، ولا يستلزم الجد : « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » ، « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب » .

والوقوف بعرفة ، موطن الاجابة ، ومثوى الانابة ، والجهر بالدعاء ، والالحاح فى المسألة ، والالحاح فى طلب المغفرة . . انه أبرز صورة لأخطر مشهد من مشاهد القيامة . .

ان اجتماع الملايين يوم عرفة ، ساعات حاسمة مباركة مشهودة ، فى هذا الموقف الرهيب الموحد ، بقلوب صادقة ، والسنة ناطقة ، وافعال حميدة ، ونيات مخلصة رشيدة ، والوجهة واحدة ، للاله الواحد ، لهو من اقوى أسباب المغفرة والرضوان . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ قال : « والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .



اولاد النكبة ظهروا فى أثينا

نشرت صحيفة السياسة الكويتية تحت هذا العنوان : الفدائيان اللذان فجرا الطائرة الاسرائيلية فى مطار أثينا فى العشرينات من العمر ، وهذا العمر هو بالضبط عمر القضية ، اذ كانت نقطة انطلاق هذا العمر هو سنة ١٩٤٨ — ومعنى ذلك أن الجيـل الفلسطينى الجديد يعيش قضيته كالجيـل القديم الذى عاصرها بكل مفارقاتها وقسوتها ومآسيها . وهذه السن بالنسبة لهذين الشابين تعنى أن النظـرية التى تقول بأن المشـاعر الفلسطينية التى تحن الى العودة ستنتهى بانتهاء الجيل القديم لم تعد نظرية صالحة للحكم النهـائى على القضية نفسها .

والحادث نفسه — اى حادث الطائرة — وما سيصاحبه من ظروف سياسية واذا ما استغل بمهارة ودقة فانه سيدفع بالكثير من الشباب الفلسطينى الى التجمهر حول قضيته .

ويبدو أنه لن تكون كافية تلك البلاغات العسكرية التى تصدرها المنظمات الفدائية داخل الارض المحتلة لأن هذه البلاغات لا تحوى شيئا ملموسا كحادث الطائرة الذى دعمت حقيقته وكالات الانباء والاجراءات القضـائية اليونانية ، وكذلك ما تركه الحادث من ردود فعل فى الاوساط الدولية ، وهو بهذا يختلف كلية عن الاحداث الكثيرة التى تجرى فى الارض المحتلة ، والتى تنفيها فى العادة مصادر العدو أو تخفى آثارها عن الناس — وهى آثار لها أهميتها فى تحريك المشاعر الفلسطينية الشابة والتى قد تدفعها مطامحهـا الى الرغبة فى تقليد الاعمال الخارقة وغير الاعتيادية . .

والمطلوب من أجهزة الاعلام الفلسطينية استغلال هذا الحادث — اى حادث الطائرة — الى شحذ المشاعر الفلسطينية الشابة الطامحة وان كان هذا الحادث لا يمثل على المستوى العربى الرسمى عملا منطقيا ، على اعتبار أن الحكومات العربية تتعامل وفق معايير خاضعة فى مجملها للقوانين الدولية التى يفترض أن تطبقها الدول الصغيرة ، والتى يهمها أن تسير العلاقات الدولية ضمن اطـار (البروتوكول) والتقاليد المتعامل بها ، وهى صورة لتعامل رسمى دقيق لا يمكن للعمل الفدائى والثورى أن يتقيد به سيما وأن هذا العمل الفدائى الثورى تدفعه مطالب شرعية .

ولعل ما يشفع لفدائيى الجبهة الشعبية لدى حكومة اليونان ، هو أن مثل هذا العمل مارسته اليونان فى سبيل حريتها ومارسته دول أخرى ، كفرنسا —

كما أن الفدائيين لم يكن أمامهما من مطارات عملية لمثل هذا الحادث غير مطار أثينا وقد لا يكون غريبا أن يمتد هذا العمل لأكثر من مطار أوروبى .

الحارس اليقظان

ونشرت مجلة الاعتصام القاهرية تحت هذا العنوان تقول : هل يستطيع الانسان أن يهرب من ضميره بسهولة !! الحق اقول لكم : انه فى حالة واحدة لا يستطيع . .

حينما يكون ضميره حيا يشع باليقظة ويجيش بالاحساس واذا كان الامر كذلك فلنتأمل معا هذه القضية :

نحن نلاحظ أن مجتمعنا الانسانى يموج بنوعين من الجريمـــة متباينين : جريمة مستورة يقترفها صاحبها فى طى الكتمان دون أن يشعر به انسان . . وجريمة منظورة يجد صـــاحبها من العوامل والظروف ما يحمله على الجهر بها والانسياق فيها الى نهاية الطريق .

ولقد تكفل القانون الارضى بمكافحة الاخيرة والقضاء عليها بصولة العقاب الصارم فى محيطنا الدنيوى .

وتصدت الاديان السماوية لمحو الاولى بصوت الضمير الحى وخشـــية الحساب الدقيق فى العالم الاخروى .

اذن . . فأولئك الذين جفت فى نفوسهم الخربة بذور الفهم الصائب لرسالة الاديان ومقومات الانسانية ودعائم سعادتها طوال هذه الحياة . . حين يحاولون هدم الاسس الدينية وتهيئة الاسباب لتحطيم قلاعها الشامخة وزحزحة معانيها وتأثيرها من دائرة المجتمع البشرى . . انما يساعدون على نطاق واسع فى نشر شق من الجريمة جد خطير .

فلو استحق هادم القانون الوضعى النبذ من المجتمع الراقى والقسوة المرة من سدنته والساهرين على حفظه وصيانته فأحق منه — فى رأى — بالطرد والزراية هو هادم هذه العقائد الابدية والساعى لتشويه جمالها ، ذلك لأن تأثير الاديان السماوية فى مطاردة الجريمـــة . . أجدى وأنفع من ســـطوة القوانين الوضعية . . ما فى ذلك من شك !! فالاقلاع — هناك نتيجة لوحى الفطرة القويمة وتوجيه الضمير اليقظان والشعور المرهف بفداحة ما تجترحه يداه من خطـــايا وآثام !! والاحجام — هنا وليد — الجبن والخور وخوف الانسان المشين من وطأة المواد القانونية والتى اخترعها انسان مثله لا يفترق عنه فى الطبائع والخصال .

وحينما يأمن هذا الجانب فلن تسلم الدنيا من بطشه وآذاه .

واذا كانت الاديان الســـماوية المتعاقبـــة بين البشر منذ فجر التـــاريخ الانسانى قد تكاتفت تكاتفا قويا والتفت حول هذه الغاية الرائعة فوجهت تلك الضربات القاصمة نحو هذا الجانب البالغ الخطورة من الجريمة المستورة فان دين الاسلام الخالد قد وضع الله فيه من الخصائص الفذة ما جعلته يحمل بين ثناياه من العناصر القوية والبذور الحية ما يمكنه من محاربة الجبهتين والقضاء على الجريمتين معا : المستور منها والمنظور فوفر لمجتمعه فى فترات عديدة جوا من الشفافية والصفاء وحسن التدبير . .



الكويت ..

- عاد سمو امير البلاد المعظم من زيارته الرسمية الى الولايات المتحدة الأمريكية وقد اجرى حفظه الله اثناء الزيارة مباحثات مع الرئيس جونسون والرئيس المنتخب نيكسون وقد تبرع سموه بمائة الف دولار للمركز الاسلامى بنيويورك وخمسين الفاً للمركز الاسلامى بواشنطن .
- سلم مندوب من وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية حدود الأرض التى تبرع بها سمو امير البلاد المعظم الى المقاول الذى سيقوم بتنفيذ مدينة الحجاج الكويتيين .
- تسلمت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية من وزارة الأشغال عدة مساجد جديدة فى مختلف مناطق الكويت .
- بعثت الكويت بمساعدات ضخمة من المواد الغذائية والبطاطين للنازحين بالأردن .
- اجتمعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الثقافى العربى الثامن يوم ٦٨/١٢/٢٥ للتحضير لهذا المؤتمر الذى سيحضره مندوبون عن الدول العربية وسيحدد موعده فيما بعد .
- قرر مجلس الوزراء التبرع بمبلغ ٩٣٫٠٠٠ جنيه استرلينى معونة للطلبة الفلسطينيين والأردنيين الذين انقطعت مواردهم للعام الدراسى القادم .
- اصدرت وزارة البريد والبرق والهاتف طوابع بريد تذكارية بمناسبة ذكرى مرور الف واربعمائة عام على نزول القرآن الكريم .

القاهرة ..

- رفعت لجنة النشاط الدينى توصياتها الى وزير التربية وتتضمن التأكيد على ان يكون العاملون فى مجال التربية قدوة حسنة والتزام الحشمة فى الزى المدرسى وضرورة تعديل برامج الاذاعة والتليفزيون لتؤدى واجب التوجيه الخلقى والدينى .
- بعث الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف رسائل الى مديرى المعاهد الأزهرية ليوافوه بتقارير كاملة عن المناهج الدراسية فى المعاهد الأزهرية بعد قانون التطوير .
- بدىء فى تنفيذ مشروع مسجد الفتح بميدان رمسيس بالقاهرة ويتكلف بناؤه ٣٠٠ الف جنيه ويسع الفى مصل وسيكون ارتفاع مئذنته ١٤٠ مترا ويلحق به متحف اسلامى كسجل للمعارك والشهداء والامجاد الاسلامية .
- ابدى حاخام يهودى امريكى ــ أثناء وجوده فى مصر ــ اسفه على الخرافات التى تشيعها الصهيونية عن العرب كما ابدى تألمه كامريكى على ان تكون السيطرة الأمريكية عاملا من عوامل عدم الاستقرار فى الشرق الأوسط .
- تعقد وزارة الأوقاف مؤتمرات دينية فى المحافظات للتوعية الدينية وتعبئة الشعور للجهاد المقدس .

السعودية ..

- بدأت وفود حج بيت الله الحرام تتوافد على البلاد وقد استعدت المملكة لاستقبالهم والعمل على راحتهم وقد بحثت شركة الطيران الوطنية مع المجلس الاعلى للطيران المدنى اللبنانى تخفيض اجور السفر للحجاج .
- تقيم المملكة العربية السعودية التجمع الكشفى العربى الاسلامى الثالث خلال موسم الحج لعام ١٣٨٨ وقد دعت اليه عديدا من الدول العربية والاسلامية .

العراق :

اعلنت حكومة العراق تاليف محكمة ثورة للنظر فيما قيل من ضبط شبكة تجسس لحساب اسرائيل ، وقد اتهم فيها بعض كبار الشخصيات العراقية .

عزلت الحكومة بعض قادة الجيش وعينت آخرين محلهم ..

الأردن ..

اتخذت السلطات الأردنية احتياطات هامة للتخفيف من اثر العواصف والأمطار على النازحين بعدما اقتلعت الرياح بعض خيامهم فى مدينة السلط وتسببت فى تصدع بعض المنازل .

تلقى الملك حسين انذارا من اسرائيل ــ بواسطة سفير غربى ــ تطلب فيه القضاء على الفدائيين وسحب القوات العراقية من الأردن .

وسع الفدائيون الفلسطينيون نطاق مقاومتهم للاحتلال الصهيونى الى خارج البلاد حيث دمر اثنان منهم طائرة اسرائيلية بوينغ ۷۰۷ فى مطار اثينا بعدما ساهمت شركة الطيران الاسرائيلية فى اعمال عسكرية ضد العرب .

شرعت وزارة الأديان الاسرائيلية باجراء حفريات فى الطرف الشمالى لحائط المبكى عابثة بمدخل الحرم الشريف .

قبل الملك حسين استقالة ستة من الوزراء من بينهم العالم المجاهد الشيخ عبد الحميد السائح !

لبنان ..

اصدر المؤتمر الدولى للقانون والانماء الاقتصادى والاجتماعى الذى انعقد فى بيروت فى اواخر ديسمبر الماضى عدة قرارات من اهمها اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا لجميع التشريعات العربية لما تمتاز به من مرونة كبيرة .

قامت اسرائيل بهجوم على مطار بيروت بواسطة الهليوكبتر ودمرت واحرقت مخازن الوقود وثلاث عشرة طائرة لبنانية واستمرت العملية خمسة وأربعين دقيقة !!

السودان ..

قدم جمع من علماء الدين المسلمين دعوى الى المحكمة الشرعية فى الخرطوم للتحقيق مع السيد محمود طه فى المحاضرة التى القاها بمعهد المعلمين ابان المظاهرات الصاخبة اول الشهر الماضى

بعث عدد كبير من المواطنين برقيات الى مجلس السيادة السودانى والصحف يطالبون فيها بأن يكون شكل الدولة جمهورية اسلامية ذات دستور اسلامى وتحريم الشيوعية والالحاد .

ليبيا ..

بعثت وزارة الخارجية الليبية برقية الى المركز الاسلامى بكاليفورنيا تزكى فيها الحملة التى يقوم بها المسلمون فى الولايات المتحدة لاقامة هذا المركز وكان بعض التجار الليبيين قد تبرعوا للمركز بمبالغ مختلفة .

احتفلت ليبيا خلال الشهر الماضى بعيد استقلالها واقامت عرضا عسكريا بهذه المناسبة .

الجزائر ــ خصصت الجزائر اسبوعا لفلسطين تولى فيه ائمة المساجد الدعوة الى الجهاد كما تولت الاذاعة والتليفزيون شرح القضية الفلسطينية ودور الفدائيين وقد جمعت التبرعات للمنظمات الفدائية الفلسطينية .

باكستان ــ عقد فى كراتشى فى اواخر الشهر الماضى مؤتمر قمة حضره الرئيس ايوب خان وامبراطور ايران ورئيس وزراء تركيا وقد بحثوا مشكلة فلسطين والوضع فى الشرق الاوسط عامة .

ماليزيا ــ بعثت ماليزيا مذكرة رسمية الى الدول العربية والاسلامية تدعوها الى مؤتمر قمة اسلامى تقترح عقده فى كوالا لامبور لبحث قضية فلسطين بين زعماء المسلمين وبحث مسائل اسلامية اخرى .

((الى راغبى الاشتراك))

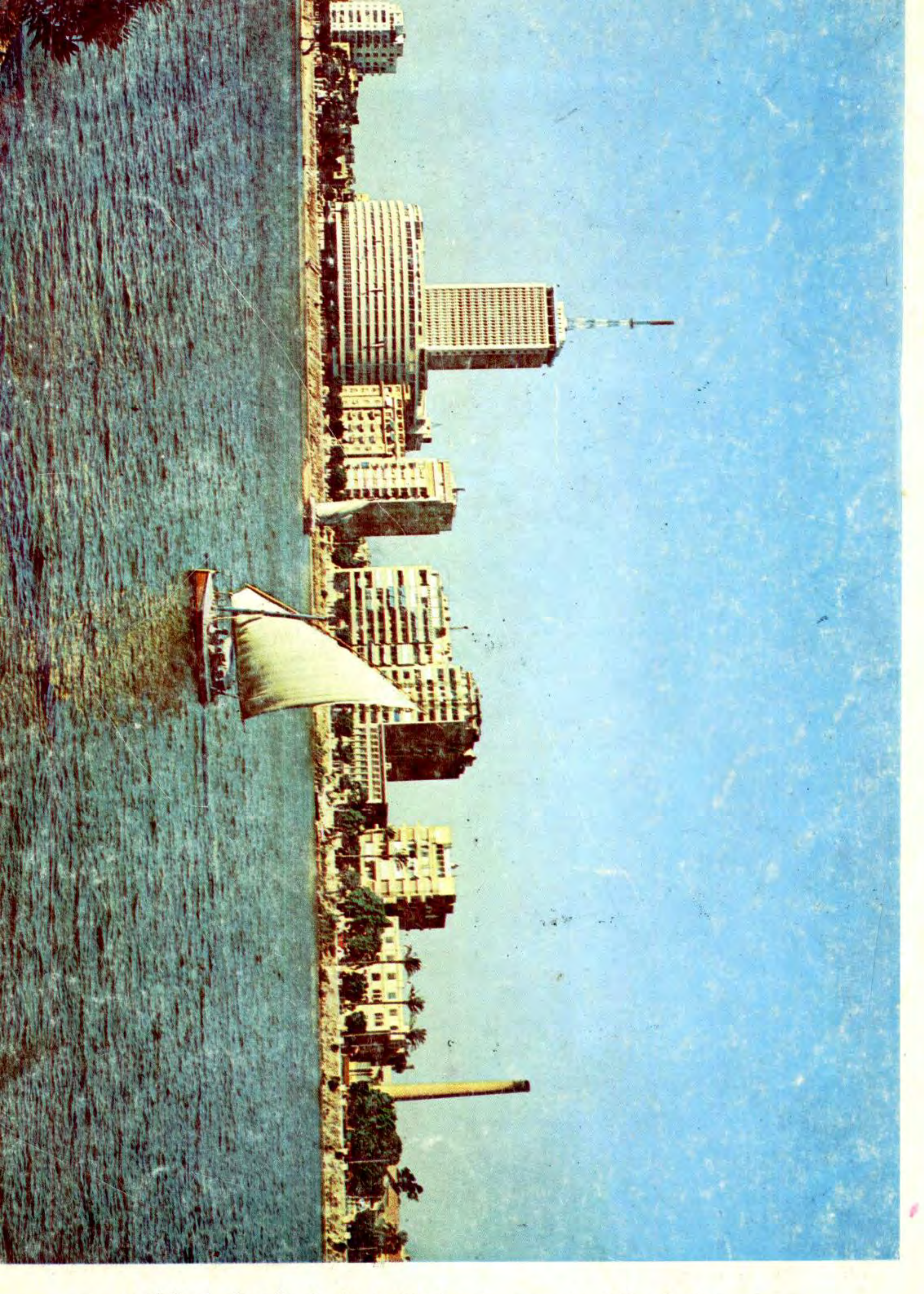
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منــا فى تســهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راســا مع متعهد التوزيع عنــدهم ، وهــذا بيــان بالمتعهديــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبــار ــ ٧ شارع الصحافــة
مكة المكرمــــة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريــاض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صب ٢٢
جــــــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص . ب : ٢٠٤٣
بغــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحــدودة
دبــى : ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مســقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيــة ــ السيد رجا العيســى
دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبــه بحــــرى ص.ب ٥

مراكــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى
ليبــيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغــازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



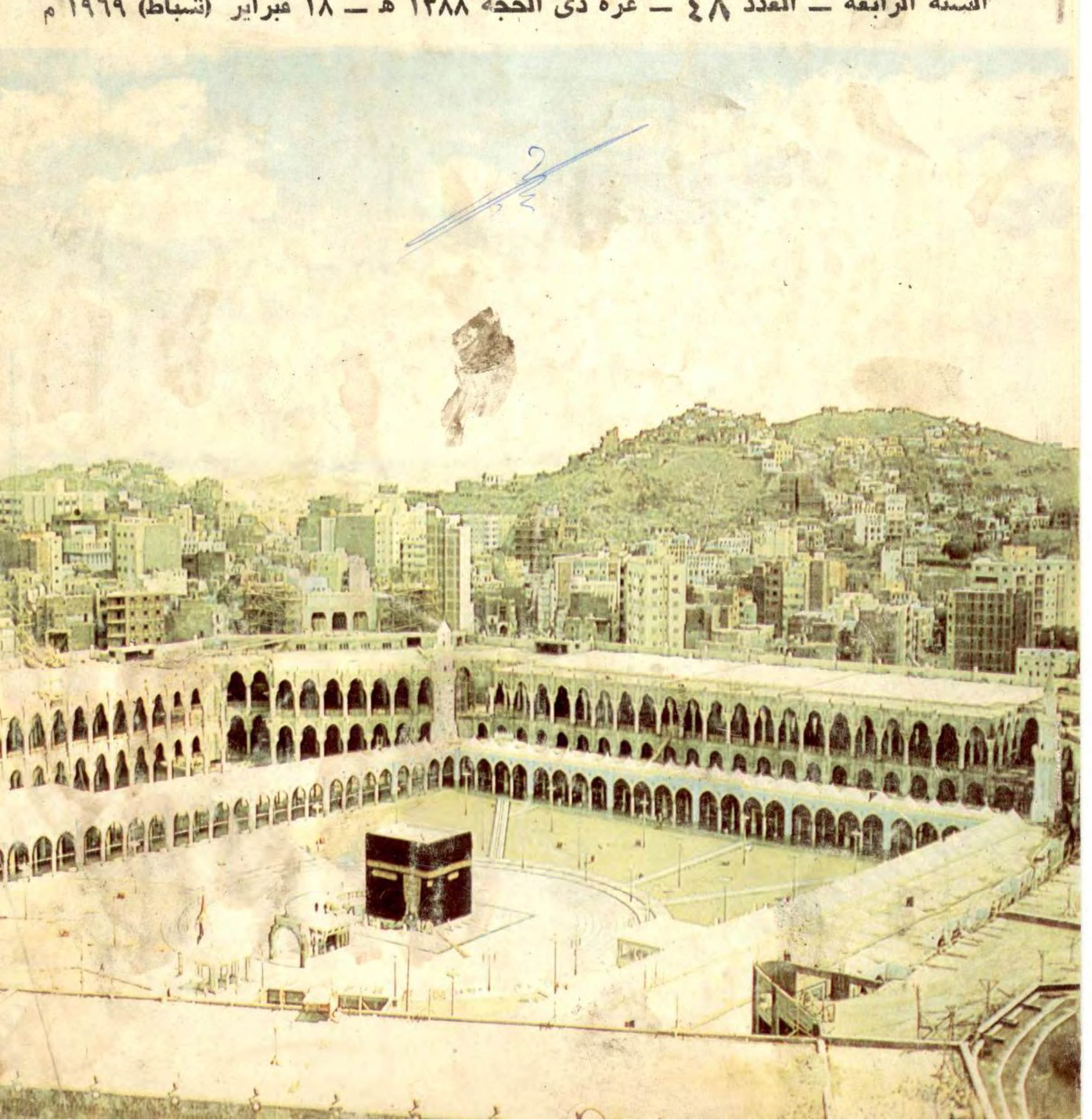
منظر لنهر النيل وهو يمر وسط مدينة القاهرة ويظهر فى الصورة مبنى التلفزيون ..

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

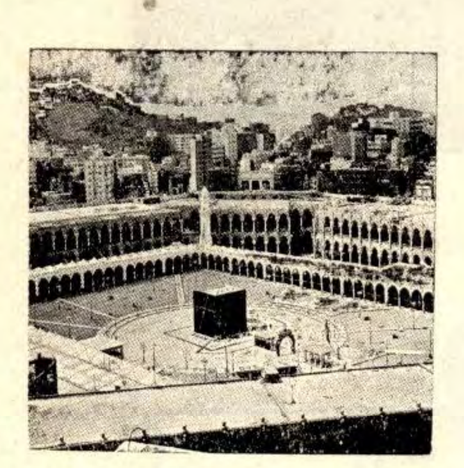
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة ـ العدد ٤٨ ـ غرة ذى الحجة ١٣٨٨ هـ ـ ١٨ فبراير (شباط) ١٩٦٩ م



اقرأ فى هذا العدد

صورة الغلاف



فى وقت هادىء خلا البيت الحرام فيه من رواده ــ وقلما يخلو ــ التقط المصور هذه الصورة الفريدة من مكان مرتفع ظهرت فيها معالم المسجد والكعبة فى مركزه . والمبانى الجديدة فيه تحيط به . ومن وراء كل ذلك وحوله بعض معالم البلد الأمين .

(تصوير : عظمت شيخ)

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الرابعة

العدد الثامن والأربعون

غرة ذى الحجة ١٣٨٨ هـ

١٨ فبراير « شباط » ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
مصر والسودان	٤٠ مليما
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا

الاشتراك السنوى للهيئات فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو مايعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ ــ هاتف : ٢٢٠٨٨
الكويت





تعود أمثالنا أن يجعلوا حديثهم فى هذا الشهر عن الحج كلما جاء موسمه، وهرع مئات الألوف من المسلمين الى بيت الله الحرام .. يلتمسون أداء فرضهم ، وغفران ذنوبهم .. ولا أريد أن أحدثك الآن عن الحج ومغزاه .. وفوائده ... فذاك حديث تكفلت به رسالة الحج التى أهديناها اليك مع العدد السابق ولكنى مع ذلك لا أريد أن أبعد عنه كثيرا ، لأنى سأقف بك عند موسم الحج الأول ، أو أعظم موسم للحج فى تاريخه . وهو الذى حظى بحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس عشرات الألوف من المسلمين فى السنة العاشرة للهجرة ..

واقف معك بالذات عند حادثة فيه . أو عند آية كريمة نزلت على الرسول. وهو يؤدى حجه الأول والأخير .. والذى سمى فى التاريخ بحجة الوداع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم توفى بعد ذلك بما يقرب من ثلاثة شهور ، ولأنه حين حج وخطب فى الناس قال لهم : (لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا) وقد كان ما توقعه الرسول .

أقف عند قوله تعالى ((من سورة المائدة)) : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) هذه الآية التى نزلت على الرسول فى يوم عرفة التاسع من ذى الحجة فى العام العاشر من الهجرة ..

أقف عندها لأنى أعتبرها وثيقة اعــلان النصر والسيادة للمسلمين على الاماكن المقدسة فى مكة ، وذهاب دولة الشرك ، دولة المعارضة العنيفة للدعوة الجديدة .. دعوة الاسلام .. فى شبه الجزيرة العربية ، منذ أعلن الرسول دعوة الاسلام فيها .

كثير من العلماء ــ حتى الكبار منهم ــ يقررون أن هذه الآية هى آخر ما نزل من القرآن ، باعتبار أنها تعلن اكمال الدين واتمـــام النعمة على المسلمين .. ولا يكون ذلك الا بعد انتهاء نزول آيات القرآن الخاصة بالتشريع .

لكن هناك روايات موثوق بها ، تصرح بأن آيات تحريم الربا وآية الدين فى آخر سورة البقرة وهى ((يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من ربا)) الآيات . نزلت بعد رجوع الرسول من حجة الوداع . أعنى بعد نزول هذه الآية ((اليوم أكملت لكم دينكم ..)) .

فلا يصح حينئذ أن يفسر اكمال الدين بانتهاء نزول آيات الاحكام والفرائض .. ويجب أن نتجه فى فهم الآية اتجاها يلتقى مع هذه الروايات الموثوق بها ، ومع الحوادث التى سبقت وقارنت نزول هذه الآية ..

لقد كانت مكة خالصة للمشركين وعاصمة للوثنية حتى امتلأ بيتها الحرام بتماثيل وصور لأصنامهم . وحين بدأ الرسول يجهر بدعوته .. كانت زعامة مكة ومكانتها تقوم على حراسة هذه الوثنية فى الجزيرة .. ولذا كان زعماؤها أشد العرب جميعا فى حرب الدعوة الجديدة ، واضهاد الرسول ومن آمن به ، خوفا على زعامتهم ومكانتهم .. حتى اضطروا الرسول للهجرة من مكة ، وتركهـــا خالصة لهم ولوثنيتهم ، ولكنهم مع هذا لم يسكتوا ، لأنهم خافوا أن يقوى محمد فى المدينة ويعود لمحاربتهم ، والقضاء على زعامتهم .. فكانت تلك الحروب التى دارت بينهم وبين الرســـول . والتى انتهت بفتح مكة بعد ثمـــانى سنوات من تركها ..

ومع ذلك .. لم يمنع الوثنيون من الحج .. بل كانوا يطوفون ويحجون جنبا الى جنب مع المسلمين .. كل منهما بطريقته . ولا شك أن المسلمين كانوا يتأذون فى حجهم وطوافهم من مظاهر الوثنية ، يرونهـــا ويسمعونها ، ويتمنون أن لو قضى عليها .. حتى لا تؤذى هذه المناظر شعورهم وهم فى عبادتهم .

ولمـــا تأهب أبو بكر للحج فى السنة التالية لفتح مكة على رأس المسلمين كان الحج مختلطا بينهم وبين الوثنيين . وكان هـــــذا يعنى أن الوثنية لا يزال لها وجود فى مكة وفى الحج .. ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لم يحج الرسول فى هذا العام ، وأرسل أبا بكر على رأس الحجاج المسلمين .

ثم نزلت الآيات من سورة التوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة تقضى على هذه الازدواجية فى الحج ، وتمنع أن يحج المشركون ، أو يقربوا المسجد الحرام بعد هذا العام . وقام أبو بكر وعلى رضى الله عنهما فى موسم الحج الذى اجتمع فيه المسلمون والوثنيون باعلان هذه التعاليم التى تضمنتها آيات سورة التوبة ومنها : ((انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)) ، وأعلنا من يحج من المشركين (ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان) . وكان المسلمون حينذاك من القوة بحيث يسمع المشركون لهم ، ويلتزمون بأمرهم . فكان هذا العام آخر عام شهد البيت الحرام وأرض المناسك فيه مشركا يحج .

وجاء الرسول صلى الله عليه وسلم للحج فى السنة التالية ــ العاشرة من الهجرة ــ فلم تقع عينه على مظهر من مظــاهر الشرك المؤذية ، ولم تسمع أذنه الا كلمة التوحيد تدوى فى جنبات مكة ، وعلى أرض المناسك كلها ، وأصبحت السيادة التامة على مكة ومناســك الحج للمسلمين بعد أن كانوا ممنوعين من الاقتراب منها .. وتلك هى النعمة الكبرى على الرسول والمؤمنين .

مكة تصبح خالصــة للمسلمين ، ولهم السيادة التامة عليها ، بعــد أن اضطهدوا فيها ، وأخرجوا منها .. ثم ظلوا محرومين من دخولها ومن رؤية البيت الحرام سنوات .

وأداء الحج الذى كان للمشركين وحدهم والذى منع منه المسلمون أصبح للمسلمين وحدهم ومنع منه المشركون .

ان هذا كله فضل من الله حيث أكمل لهم مظاهر السيادة عليها ، ولم يعد لغير الاسلام مكان فيها .

وهنا تنزل الآيات تتحدث عن هذه النعمة الكبرى ، وتعلن وثيقــة النصر المبين على أعداء الاســلام ((اليوم يئس الذين كفروا من دينــكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينــكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاســلام دينا)) .

فالآية تتوج الجهاد الذى خاضه الرسول وصحابته معه فى وجه الشرك والفساد باعلان نصرهم على أعدائهم ، وتطهير مكة عاصمة الشرك من الوثنية ، والقضاء على كل رؤوس الفساد وأعوانهم . ومع اعلان هذه السيادة الاسلامية على الاماكن المقدسة يعلن الله أنه بهذا يتم نعمته على المجاهدين الصابرين ..

وان التاريخ ليروى لنا أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب : انكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا .

فقال عمر : انى لأعلم حين أنزلت ، وأين أنزلت . وأين رسول الله حين أنزلت . نزلت فى يوم الجمعة يوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد ..
ويعنى كل منهما هذه الآية : ((اليوم أكملت لكم دينكم ..)) .

وبعد . فهل كان يتصور أن يكون للاسلام سيادة أو كمال دون أن يبسط المسلمون سلطانهم التام على البيت الحرام الذى يتجهون اليه فى صــلاتهم ، والذى أمروا بأداء فريضة الحج اليه ؟

وهل كان من الممكن أن تتحقق هــذه السيادة للمسلمين دون جهــاد متواصل ؟

فهل نجعل نحن المســلمين ــ من يحج منا ومن لم يحج ــ من يوم عرفة دائما يوم ذكرى اعلان هذه السيادة ؟ ونتخذ من هذه الذكرى درسا لنا فى الجهاد والايمان والصبر والتضحية . ونحن الآن فى أشد الحاجة الى هذه الدروس ..؟

لعل الله يعيد لنا بذلك سيادتنا على أرضنا وعلى قبلتنا الاولى ويتم نعمته علينا فى هذا العصر كما أتمها على آبائنا الأولين المجاهدين من قبل .

وداع العام الرابع ..

بهذا العدد الثامن والاربعين تتم المجلة السنة الرابعة من حياتها المجيدة ، الممتدة ان شاء الله فى خدمة الاسلام والمسلمين ، معتزة بثقة القراء بها ، وحسن استقبالهم لها ، وحرصهم على قراءتها ، حتى وصل توزيعها فى هذه المدة القصيرة الى ما لم تصل اليه مجلة اسلامية من قبل ، وفاق توزيعها كذلك بعض المجلات العتيدة التى تعتمد فى توزيعها على تملق العواطف ، واثارة الغرائز .

ولعله مما يسر القارىء ويطمئنه أن يعلم أن متعهد التوزيع فى بلد شقيق طلب برقيا أن نزوده فى كل شهر بخمسة وعشرين ألفا حتى يغطى طلبات القراء للمجلة .. ونحن من جانبنا نعمل كل ما فى امكانياتنا لتلبية طلبه ، وطلب المتعهدين فى البلاد الاخرى ..

ولا شك أن هذا النجاح انما يرجع اليك — أخى القارىء — والى تقديرك للجهد المبذول فى مجلتك وهو فى الحقيقة ليس نجاحا للمجلة بقدر ما هو نجاح لك ولفكرتك التى تعبر عنها المجلة ، وتدعو اليها ومع ذلك نشعر أننا دون الغاية التى وضعناها نصب أعيننا ، وأننا من أجل ذلك نبذل الكثير من الجهد لنحقق أكبر ما يمكن من رغباتنا ورغباتك ، ومن سار على الدرب وصل . والكمال لله وحده ..

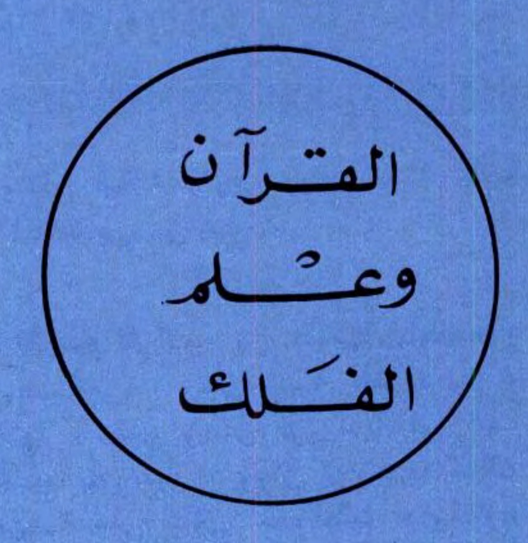
وقد خطت المجلة خطوة طيبة حيث تراها فى ثوبها الزاهى الجديد من ورق الكوشيه الممتاز . وهذا شىء فريد فى عالم المجلات الاسلامية ، بل والغالبية العظمى من المجلات غير الاسلامية وستقدم مع هذا هدايا مناسبة مع بعض أعدادها غير الملاحق التى اعتادت أن تصدرها فى المناسبات الدينية . وستكون أولى هذه الهدايا تقويما هجريا على نسق التقويم الميلادى الذى اعتادت الشركات والمحلات التجارية أن تصدره بمناسبة رأس السنة الميلادية ، وسيوزع تقويمنا مع العدد الآتى عدد المحرم الممتاز وهو يشمل التقويم الهجرى وهو الاساس والتقويم الافرنجى كذلك مع صورة كبيرة جميلة للحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ..

ولعل هذا العمل هو الاول من نوعه فى هذه المناسبة . ونرجو أن تكون سنة حسنة يتبعها المسلمون جميعا احتفالا برأس السنة الهجرية ، ومظهرا من مظاهر اعتزازهم بذكرى أيامهم التاريخية ..

وعلى الله قصد السبيل ومنه العون والتوفيق .

محمد النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد



الغلاف الهوائي

للدكتور : محمد جمال الدين الفندي
رئيس قسم الفلك بجامعة القاهرة

زارنى أحد الأصدقاء وأنا أكتب هذا المقال وأعده لمجلة (الوعى الاسلامى) التى أتاحت لى فرصة الكتابة فيها تحت هذا العنوان عدة مرات ، فقال :

ما هذا الذى تكتب ؟ أتريد كما فعل البعض أن تخضع القرآن للعلم أو العلم للقرآن ؟!

قلت : لا هذا ولا ذاك ، بل هى حقائق لا مفر من اظهارها ، وهى لا تحتاج الى جهد عظيم ممن لهم المام بالعلوم . وعلى أية حال لم يقل أحد إن القرآن من المراجع العلمية المعروفة ، فليست هذه رسالته ، ولكنه يعطينا قضايا علمية عامة ، ويسرد بعض الحقائق الكونية التى سبق بها العلم الحديث على النحو الذى وضحناه عند الحديث عن عصر الفضاء مثلا .

قال : ان المتعلم تبهره قوة العلم ، وقد لا يجد ما يضارع تلك القوة فى بعض الكتب السماوية ..

قلت : ان العلم يقف عند حد تقرير الحقائق ، أما القرآن فيصل بنا الى

الغاية ، ويا حبذا لو أتاحت لنا دراسة (فلسفة العلوم) فرص الربط الجميل بين الحقيقة العلمية والغاية منها ، فعندئذ تسقط حجة المكابر ، ويظهر الاعجاز العلمى للقرآن الكريم بجلاء ووضوح ، فان القرآن لا يخاطب العقول الراجحة فحسب ، بل يثير العاطفة ويحرك الوجدان كذلك . انه يخاطب القلوب السليمة ، ويوجه الحديث الى النفوس المطمئنة ، ويدعو الى العلم والى التدبر فى جميع ما خلق الله من شىء .

وللدليل على ذلك سوف نتحدث هذه المرة **عن الغلاف الهوائى والرياح بصفة عامة ،** وكعادتنا فى التركيز سوف نقصر الحديث على هذا المجال وحده :

السقف المرفوع

فنحن على الأرض كركاب سفينة فضاء سقفها هو الغلاف الهوائى الممتد الى علو نحو ألف كيلو مترا عبر الفضاء الكونى الذى تسبح فيه الشمس . ولو أن مهندسا صمم ذلك السقف لجعل فائدته قاصرة على حماية ركاب السفينة من أهوال الفضاء المثلة فى :

١ ــ الشهب التى تهيم فى أسراب عبر الفضاء القريب .

٢ ــ الأشعة الكونية الفتاكة وهى تقتل الخلايا الحية فى لمح البصر ، ومن اللازم عدم التعرض لها .

٣ ــ الأشعة فوق البنفسجية المحرقة التى ترسلها الشمس ، ويجب عدم التعرض لها بصفة مباشرة .

٤ ــ عزل الجو الداخلى الذى يعيش فيه الركاب عن الجو الخارجى أو الفضاء الكونى الذى لا يلائم الحياة ، خصوصا من حيث درجة الحرارة والضغط . فالمعروف أن درجة حرارة الفضاء الكونى تقارب الصفر المطلق وتساوى (ــ ٢٧٠م) . أى مائتان وسبعون درجة مئوية تحت نقطة الجليد . أما الضغط الجوى فيكاد لا يختلف عن الصفر . ومعنى ذلك أن الضغط الجوى يتناقص سريعا بالارتفاع عن سطح الأرض ، ويتبع ذلك تناقص مقادير الأوكسجين اللازمة للتنفس ، فبينما يعادل الضغط الجوى عند سطح الأرض نحو (١٠١٣) مللبار ، اذا به يختفى تماما على ارتفاع نحو (١٠٠٠) كيلو مترا .

ويعبر القرآن عن هذه الحقيقة الأخيرة بقوله فى سورة الأنعام(٢٥):

(.. ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) . اشارة الى قضية علمية عامة وحقيقة ثابتة فحواها : أن الصعود قدما فى السماء يتبعه حتما نقص مقادير الأوكسجين التى تدخل الى الصدر والتنفس ، ومن ثم يشعر المرء بضيق صدره ، حتى يصل الى مرحلة الاختناق باستمرار الصعود قدما الى أعلى .

ونحن عندما ندرس الغلاف الهوائى دراسة علمية واعية ، نجد أن له وظائف لا حصر لها ، فالخالق سبحانه وتعالى لم يقصر فائدته على مجرد حماية أهل الأرض من الفضاء وأهواله التى ذكرناها باختصار ، بل جعل مزايا أخرى عديدة . وجعل أجزاءه المختلفة تتحرك على هيئة رياح ، فالرياح لغة هى الهواء المتحرك ، ثم أسبغ على الرياح صفات ومزايا عديدة فى سبيل منفعة البشر .

وبينما نجد العلم يقف عند حد تقرير خصائص الغلاف الهوائى . وقوانين انسياب الرياح ، اذا بكتاب

القرآن وعلم الافلاك

الله يقرر أن هــذا كله مسخر لمنفعة النــاس ، بطريقة يتجلى فيها العلم الكامل ، والرحمة الشاملة ، والابداع من لدن الخــالق العليم ، ولا سبيل الى اكتمال كل هذا عن طريق الصدفة والعشواء .

ويمكن تلخيص مزايــا الغــلاف الهــوائى والريــاح ، زيــادة على ما ذكرناه ، فيما يلى :

١ — يسمح الغلاف الهوائى بنفاذ ضوء الشمس وحرارتها الى سطح الأرض كاملين تقريبا ، وبذلك يمد أهل الأرض بطاقات دائمة تتجــدد كل يوم .

٢ — يضىء الغلاف الجوى أثنــاء النهار عن طريق تناثر أو تشتت ضوء الشمس فيــه ، بينما يبقى النصف البعيــد عن الشمس مظلما كأظلام الفضاء الكونى المترامى الأطراف . ولضــوء الشمس اتصــال وثيــق بالعمليات الحيوية التى تتم فى عالمى النبات والحيوان كما هو معروف ، والغــاية من كل ذلــك هو منفعــة الانسان مع التذكرة بقدرة الخالق . أنظر الى قوله تعالى :

١ — (ومن آياته الليــل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم ايــام تعبدون) — فصلت (٣٧) — .

٢ — (وجعلنــا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) — الأنبياء (٣٢) — .

سبب الزرقة التى نراها

والسماء ما علانــا وارتفع فوق رؤوسنا ، وعلى هذا الأساس يعتبر الغلاف الهوائى أول ما يصادفنا من السموات . وما القبة الزرقاء الا من ظواهر الضوء التى تحــدث فى جو الأرض بسبب التناثر أو التشتت . وهى تبدو زرقاء لسببين هما :

ا — أغزر الطاقات التى ترسلها الشمس هى اللون الأزرق . فمن المعروف أن ضوء الشمس الأبيض يتركب مــن ألوان عــديدة ، تبــدأ بالأحمــر ، فــالبنى ، فالأصــفر ، فالأخضر ، فــالأزرق فالنيــلى ، فالبنفسجى . وهــــذه هى ألوان الطيف الرئيسية . ولا تتساوى مقادير الطاقات التى ترسلها الشمس لكل لون منها . وطول الموجة التى يرسل عليها الجسم المشع أغزر طــاقاته هو : ٢٩٤٠ ÷ ٧ .

حيث ٧ هى درجة حرارة السطح المشع بالدرجات المطلقة (= درجات مئويه+٢٧٣) ، ووحدة طول الموجة هذه هى جزء من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر ، ويقال لها فى كتب العلوم (ميكرون) ، ولا بأس من أن تألف هذه الألفاظ المستعملة على مقياس عالمى ونحن نعيش فى عصر العلم .

وعلى هــذا الأساس فان طول الموجة التى ترسل الشمس عليها أغزر طاقاتها ، علما بأن درجة حرارة سطح الشمس الخارجى هى ٦٠٠٠ درجــــة مطلقــــة ، وهــــو : ٢٩٤٠ ÷ ٦٠٠٠=٤٨ر. ميكرون وهذا هــو طول موجــة اللون الأزرق أو أخضر الأزرق .

٢ — هناك قانون طبيعى يقول ان كمية الضوء المتنــاثر فى الهواء انما تتناسب عكسيا مع الأس الرابــع لطول الموجة ، بمعنى أنه كلما قصر

طول الموجة كلما زادت مقاديرها المتناثرة . ولما كان اللون الأزرق ضمن الألوان ذات الامواج القصيرة فهو يتناثر بعزارة ووفرة فى جو الأرض .

وتوجه الآية الكريمة أنظارنا الى ما فى السماء ـ ذلك السقف المحفوظ ـ من آيات ولقد حفظ الله هذا السقف برباط الجاذبية ، والا ضاع وفنى فى خضم الفضاء اللانهائى . وهذا قد طبق كذلك على سائر أجرام السماء .

الشفق والغسق

ومن أروع آيات السماء الشفق والغسق ، وهما أيضا من ظواهر الضوء التى تحدث فى جو الأرض السفلى القريب من السطح ، والذى تكثر فيه الأتربة العالقة والسحب المنعقدة . وتعمل هذه الشوائب على زيادة الضوء المشتت أو المتناثر من اللون الأحمر والبنى والأصفر ، أى الموجات الطويلة . ولهذا السبب يبدو الأفق أحمر اللون ، يتبعه لون بنى ، ثم أصفر عند الشروق أو الغروب ، حيث تمر أغلب أشعة الشمس فى الطبقات السطحية من الغلاف الجوى .

ويقسم الخالق العليم بالشفق . ويؤكد القسم اذ يقول فى سورة الانشقاق (١٦ ـ ١٨) :

(فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر اذا اتسق) ، فما هى الغاية ؟

الغاية بيان عظمة الخالق وقدرته ، اذ أنه وسط ظلام الليل الدامس ، أو ظلام الفضاء الكونى السرمدى . ورغم عدم ظهور الشمس يحدث الشفق فى روعة وجلال ، ويتم ضوء القمر ويكتمل بدرا .

ولقد راجعت العديد من كتب التفسير لعلى أصل الى هذا المعنى العلمى الرائع ، ولكننى للأسف الشديد وجدت التفسير قاصرا على الناحية اللغوية (١) ولا يربط بين الحقيقة العلمية والغاية السامية التى يشير اليها القرآن بعد اثارة الموضوع كقضية علمية عامة .

وثمة نتيجة أخرى هامة فحواها حقيقة قصر حدوث النهار على جو الأرض ، فان الظلام هو الأصل ، وأنه يعم الفضاء الكونى ، وان الأرض مكورة ، وكذلك غلافها الجوى بطبيعة الحال ، هذه الحقيقة ، أو تلك الحقائق كلها يمكن أن تستمد من مثل قوله تعالى :

١ ـ (.. يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) ـ الزمر (٥) ـ .

٢ ـ (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) ـ لقمان (٢٩) ـ .

٣ ـ (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) ـ يس (٣٧) ـ .

٤ ـ (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها) ـ

---

(١) ذلك لانه فى الوقت الذى كتب فيه هذا التفسير لم تكن الابحاث العلمية قد وصلت الى ما وصلت اليه الآن والباب مفتوح لكل من عنده المزيد من بيان آيات الله فى الكون . (الوعى)

القرآن وعلم الفلك

النازعات (٢٧ — ٣٠) — .

وهذه الآيات الأخيرة انما تشير الى عظم سمك الهـواء ثم امتداد الفضاء وما فيه من أجرام السماء الى ما أراد الله وشاء . وأغطاش الليل أظلامه . وفى واقع الأمر من الحقائق الثابتة أن أظلام الفضاء لا يعادله الا سواد الآبنوس !!

الرياح فى القرآن والعلم

والآن دعنى أسرد لك بعض مزايا الغلاف الهوائى كما نعرفها اليوم فى عصر العلم ، ولكننى سوف ألفت الأنظار الى مزايا الهواء المتحرك ، وأعنى به الرياح .

أولا : الرياح هى التى تثير السحاب ، وهى التى تمده وتلقحه ببخار الماء ونوى التكاثف اللازمين لنزول المطر . وقد سبق أن علقنا على ذلك فى مقال سابق . وفى هذا المعنى العلمى الرائع الذى سبق به القرآن ركب العلم نجده يقول :

أ — (.. وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) — البقرة (١٦٤) — .

ب — (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) — الروم (٤٨) — .

ج — (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) — الحجر (٢٢) — .

ثانيا : الهواء هو الوسط الذى تتم فيه الدورة المائية ما بين السماء والأرض ، تلك الدورة التى لم تعرفها الناس الا فى عصر العلم . ولكن القرآن أماط عنها اللثام ، وأشار اليها ، وخطأ مزاعم الحضارات القديمة بأن الماء العذب تخزنه الآلهة فى السماوات ، أو هو مخزون فى المحيط الأعظم الذى يفيض منه النيل كل عام . وفى ذلك يقول القرآن فى بساطة لفظية واعجاز علمى أخاذ : (... وما أنتم له بخازنين) .

ثالثا : تلقح الرياح بعض النباتات ، وهذا هو السر فى أن الأقدمين اعتمدوا على هذه الحقيقة فى تفسير قوله تعالى :

(وأرسلنا الرياح لواقح ...) .

الا أن الربط بين جزأى الآية الكريمة يحملنا على تفضيل تفسيرنا الأول وهو تلقيح السحب ببخار الماء ، ونوى التكاثف لتجود بالمطر كما قلنا .

رابعا : تدفع الرياح السفن الشراعية فى عرض البحر . ويذكرنا القرآن بفضل الله علينا اذ يمدنا بهذه الطاقة دون جهد أو عناء فيقول :

(ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام . ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) — الشورى (٣٢ — ٣٣) .

خامسا : تعمل تيارات الهواء المختلفة ، وما يطلق عليه العلماء اسم (دورة الرياح العامة) على توزيع الطاقة الشمسية التى تكتسبها الأرض توزيعا عادلا على المناطق المختلفة . فمن المعلوم أن أكبر الطاقات انما تفد فى المناطق

الاستوائيــــة ، حيث يكاد الاشعاع الشمسى يتعامد على سطح الأرض طوال العام ، وأقلها انمـــا يصل الى القطبين ، حيث تكاد الأشـــعة تمر موازية لسطح الأرض . والمعروف علميـــا أن الأشعة المتعـــامدة يكون تأثيرهـــا أضــعاف أضــعاف تأثير الأشعة الموازية للسطح :

ونحن عندما ننظر الى قوله تعالى :

١ ــ (.. وتصريف الريــــاح آيات لقوم يعقلون) ــ الجاثية (٥) ــ .

٢ ــ (وهو الذى يرسل الريـــاح بشرا بين يدى رحمته) ــ الأعراف (٥٧) ــ .

٣ ــ (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا ..) ــ الروم (٥١) ــ .

نجد الآية الأولى هى التى توجه العقول الى دراسة الرياح ودوراتها ومساكنها وهبوبها ، وتشير الآيـــة الثانيـــة الى الهواء الرطب البــارد المحمل ببخـــار الماء ، والذى يجــود بالمطر ، أما الآية الأخيرة فهى تشير الى الهواء الساخن الجاف الذى يقبل من قلب الصحـــارى محملا بالأتربة والرمال .

ومن المعروف علميا الآن أن هذه التيارات انما تكون الكتل الهوائيـــة الرئيسية التى تنجم عنها تقلبات الجو وتوزيع الطاقات فيه ، حتى لا تتراكم الحرارة فى مكان معين على الدوام ، ولا تستمر الدورة فى التزايــد الى الأبد . فجو الأرض يكاد يكون مكيفا داخل حـــدود معينـــة ، حتى تبقى الحياة ، وتستمر على الأرض ، والا أهلكها الجليد الزاحف أو قتلها القيظ والجفاف المتزايدان .

ولقد عمدت بايحاء من مثل هـــذه الآية الكريمة الى انشـــاء مدرسة لدراسة الأجواء المتربة من عشرات السنين وتفرع من تلك المدرسة قسم يخـــدم الصناعات ويدرس الغبـــار الصناعى ، أما الغبار الطبيعى فقد عرفنـــا عنه العجب ، وانه مصـــدر حرارة وطاقات تولد الأعاصير الجوية وتثيرهـــا ، كما تحمـــل الوفير من الجراثيم ، وتقتل العديد من النبـــات والحيوان على السواء . انها بئس الرياح . ولعل أروع مـــا يشير به القرآن الى الأعاصير المدمرة قوله فى سورة الأحقاف (٢٤ــ٢٥) : « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هـــذا عـــارض ممطرنا بل هو مـــا استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شىء بأمر ربها » .

وقد يكون المراد تلك الأعـــاصير المدمرة التى منهـــا (التورنادو) ، و (النكبـــاء) ، و (الولى ولى) ، و (الهاركين) الخ .. والله أعلم .

وقبل أن نختم هـــذا المقـــال الذى يعتبر بمثابة درس عن الغلاف الهوائى كمـــا ورد فى القرآن الكريم نود أن نقـــول : ان الهـــواء ــ وخاصـــة الأوكسجين الجـــوى ــ يذوب فى الماء . ولذوبانه هذا أهمية عظمى ، اذ تستنشقه الكائنات البحرية . فهل يا ترى يستطيع أى مهندس أو طائفة من المهندسين تجميع كل هذه الفوائد والمزايـــا فى شىء واحد !! سبحان الخالق المبدع الذى يقول : « انمـــا يخشى الله من عباده العلماء » صدق الله العظيم .

★★★



من توجيهات النبوة

للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى فى وزارة الأوقاف

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما فى الدنيا ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . »
رواه الشيخان : البخارى ومسلم ، واللفظ للامام مسلم .

تمهيد :

كل يوم تطلع شمسه ، أدرك جديدا من عظمة الاسلام ، ودقة تقييمه للحوادث الجارية ، واحكامه : وصف الأدواء وعمق ادراكه لنتائج اهمالها ونفاذ البصيرة فى تركيب الدواء ، ويزول عجبى حين أعود الى نفسى وايمانى وأصل الى أن موحى كل شىء ومفصل جميع الآيات(١) هو العليم الخبير ، ولو تجرد

(١) لا أعنى آيات القرآن الكريم وانما أعنى الآيات الواردة فى قوله تعالى (وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) .

شخص من ايمانه مـع فضل عقل وقليل من بصـيرة وادراك ووضع أمامـه التفاصيل الاسلامية ، وبحث طالبا الحقيقة غير مكابر ولا متعنت لألفى الـذى وجدنا لا يقبل كماله جدلا ، ولا يبقى معه رأى لقائل ، ولا وزن لبحث باحث فى النواحى التى فصلها ، ولوفر الناس على أنفسهم أرواحا أزهقتها خلافات الرأى وأبادتها طرائق المفكرين الذين اعتمدوا على التجربة فى أمور لا تخضع للتجربة بل لا تحتاج اليها بعد أن سلط الاسلام عليها أضواءه فبدت ليلـة بدر لا ليلـة محاق ..

عاج واضطرب القرن التاسع عشر الميلادى سائرا فى طريق ثـورات وأرهاقات ذر قرنها فى أسلاف له سـبقت ومضت مع الزمـان الذى مضى ، والهدف والغاية بل الرجاء والأمل الذى نشده وينشـده الجميـع هو ــ كما يقولون ــ العيش الكريم لكل المستويات ، بل قالوا : لا مستويات وانما هـو واحد لا يزيد(٢) ومضى قرنان الا قليلا اذا صرفنا القول عن ما عجت ومادت به عصور انقرضت من فتن وانقلابات فكرية وتبعتها حروب وقتال ، أقول : مضى قرنان فتعالوا ننظر النتائج ونتساءل : هل وصـلوا الى نتائج أم لم يصـلوا والجواب : أنهم وصلوا وأنهم لم يصلوا !! ولا تناقض هنـا ولا تضاد . فما وصلوا اليه هو الفوضى بعينها فوضى شعبية وارهاق للانسانية وقتل للحرية قتل بالمعنى المراد من الكلمة ، بل ابادة كاملة الا من استطاع الفرار ولجأ الى مأمن ، ونقف هنا مع الزمان لحظات لا تطول لنتلقى الجواب على تساؤل وارد ولا ريب !! ذلكم التساؤل : كيف تقولون بوجود ضغط وارهاق فى الوقت الذى يحصلون فيه على كشوفات تصل بهم الى محاولة غزو الفضاء بل ارتياد القريب منه فعلا ؟ وما أسرع ما نتلقى الجواب من مصادره التى لا تعدو فى أحكامهـا الحق والمنطق ، وكان الرد على هذا التساؤل ما نصه : نعم يا سيدى هنـاك كشف لبعض مخبآت الكون وأسراره لا ننكرها والا كنا كمن يعمى عن ثلـوج الشمال وأمطار الاستواء فاسمع : ان مصدر تلك الكشوف علماء أحيطوا بسياج حديدى يحول بينهم وبين ما يجرى بعيدا عنهم ، وان كان فى أوطانهم ثم أغدق عليهم ما يريدون وخولوا ما يشتهون دون قيد أو شرط ، مال ، غذاء ، إغراء ، قضاء شهوات ، متاع ... الخ كل ما يخطر ببالهم ولأضرب لك مثلا ! هل رأيت الجنود فى الميدان مع المرفهات يساقون الى الموت ومعهم ما يبتغون ، هنـاك ــ لدى العلماء المعنيين ــ الأصل وهنا ــ فى ميدان القتال ــ الصورة المنعكسة وان شئت فقل انها الناشئة عن الانعكاس « REFLECHIZ » ولعلك أدركت الجواب أنها الحرية تطلب للجميع ولا يصل اليها الا واحد بالمليون .

وأما أنهم لم يصلوا الى نتائج حاسمة فيما أرادوا فهذا جوابهم هم حقيقة منطقهم القولى وواقعهم الفعلى مع أنهم حاولوا التطبيق ، ولا يقول التاريخ أنهم طبقوا فعلا ، فالقلم الحر لا يخطأ الا ما يعتقد والا ما به يؤمن مهما جر ذلك من بلاء أو لاقى من عنت« فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » هذا ايمانى ولا أجبر أحدا على ايمان « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . .

---

(٢) بينا فى مقال سبق أن وحدة الطبقات محالة ، وان الاختلاف فى صالح الحضارة الانسانية والتقـدم العمـرانى .

وأعود الى الاسلام باحثا فأنا مؤمن دائما وأعرض عرضا مستقى من مصادره من معدنه « والشيء من معدنه لا يستغرب » من محمد بن عبد الله سيدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسأمر بالحديث الشريف شارحا ولعل من يتصفح يحاول أن يتعمق فكرا وأن يصل الى نتائج ، فما عجز فلاسفة الدنيا الى الآن عن تحديده حدده ووضحه الاسلام وفصله رسول الاسلام .

١ — من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة :

ما أكثر كرب الدنيا : الجوع كربة ، والعرى كربة ، والجهل كربة ، والغربة كربة ، وفقد الأحباب كربة ، والحروب كربات ، ولو ذهبت أسرد كروب الدنيا لطال القول ، وضاق المقام عن الاستيعاب وفى الدنيا من يستطيع سد الرمق بلقمة ، وستر العورة بخرقة ، ومحو الجهل بقليل علم ، ورد المغترب ابن السبيل الى وطنه ، وتعزية الفاقد أحبابه ولو بكلمة طيبة ، وأخيرا فى الدنيا من يستطيع ايقاف المجازر البشرية الدائرة الرحى فى كل مكان بكلمة ، باشارة فاذا تلاشت تلك السبعة العجاف اللاتى يأكلن ما يقدم لهن ، المميتة للنفوس الكريمة ، المبيدة للأخلاق الكريمة الحاملة على النفاق ، مورد الفجور والخنا ، ملعب الشهوات مقصلة البرءاء . أقول : اذا اختفت عم الخير وساد البشر ، وتفتحت العقول ، وتحاب البشر ، وتلاقى الجميع فى رحاب خالقهم أخوة متصافين هذا فى دنياهم وما أمر الآخرة ، وما ادخره الله هناك من أجر للممتثلين فلا تدرك منه الا اسمه ، وأما تفاصيله فتسمو على مداركنا ولا يصل اليها تخيلنا ، فما عنده سبحانه هو ما استأثر بمعرفة كنهه وتفاصيله ، ووعد الله لا يتخلف جزاء وفاقا ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان .

٢ — ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة :

تفصيل بعد اجمال لتدرك النفوس المستعدة جمال القول وحسن نتائج الفعل ، وأى أثر أبقى وأقوى وأكثر حسنا ممن يعمد الى بعض فضل ما له الذى لا يضيره انفاقه ، ويمضى به فى سواد الليل الى دار محتاج يعرف بسيماه لا يسأل الناس الحافا ، أو الى مقر معتر أو بيت بائس فقير ويطرق بخير ويمد يده بالفضل ، ثم يؤوب الى مصدره آمنا فى رعاية الله مطمئنا هادىء النفس قرير العين لأنه أدى واجبا يغفل عنه الكثيرون ، وأعان محتاجا ، ويسر على معسر ، وليس هذا فقط فقد ذكر سادتنا العلماء السابقون رحمهم الله تعالى بقدر ما أدوا لدين الله من خدمات ، قالوا : هو فكاك أسير الدين والتنازل عنه للمعسر ، فهذا مما لا يفيد الدائن وان كان نفعا للمدين ، ووعد الله أنه سيرد اليه يسر الدنيا بركة فى المال فى الولد فى العافية وأما فى الآخرة فما أحوبه الى تيسير الله وعونه هناك فى المستقر الموحش الذى لا ينفع فيه الا عون الله وحده . وقد ورد فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان رجل يداين الناس » . فكان يقول لفتاه « اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه » وروى مسلم عن أبى

قتادة رضى الله عنه أنه طلب غريما فتوارى ثم وجده فقال « انى معسر » فقال » : فانى سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « من سره أن ينجيه الله عز وجل يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » ولمسلم أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله فى ظله » .

٣ — ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة :

كل انسان معرض للخطأ ، والمعيبات لا يخلو منها مخلوق ، والسيئات يواقعها كل سار على قدم فالمجرد من الزلات لا وجود له فى الوجود الا رسول أو ملك كريم ، والمتجافى عن الهفوات ليس نادرا وانما هو معدوم ، وكل لا يحب أن يرى غيره نقائصه ، ولا أن يطلع على معايبه ، ويحاول جاهدا — أن كانت عنده بقية متبقية من حياء — أن يتوارى عن الأنظار ، وكثير من الناس مستور ، ولا يحب أن يجاهر بالسوء من القول أو الهجر من الفعل ، ومع هذا فقد يرى بعض خاصته ممن لهم به مساس بعض ما عنده ، وقل من يثبت على وفاء ، وندر من يقيم على ود ، فالقلوب متقلبة ، وكل يغنى على ليلاه ، وقد تبدو ليلى فى صورة رائعة حين التشنيع على الآخرين ، وهنا يجىء الاسلام بالعلاج الرحيم ، والقول السديد الكريم فى رفق ولطف ويسر دون عنت يدخل الى النفوس نسيما عليلا وأمنا مقيما وراحة قلب وأنس فؤاد ، ويعطى الأجر حين يطلب العمل فطبيعة البشر انتظار العاجلة فيقول سيد القائلين وأفضل الناطقين بالضاد « ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة » أطلع على عورته وسترها ، وعرف من أين يصله السوء ودافع عنه ، وخاصة اذا لم يكن الواقع فى الزلة مجاهرا ولا معتادا ، ولا معروفا بين الناس بسوء ، فأخفى سيئته وأقال عثاره ، فما جزاؤه فى الدنيا نعم الجزاء أن يهىء الله له من يستره اذا زل ، ومن يأخذ بيده اذا عثر ، وكما تدين تدان وأما فى الآخرة فاسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مفصلا : روى أبو داود فى سننه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رد عن عرض أخيه رد الله وجهه عن النار يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام « من رمى مسلما بشىء يريد أن يشينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » ولا أدرى كيف ؟ وانما تفصيل ذلك عند علام الغيوب ، وقال عليه الصلاة والسلام « ما من مسلم يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما فى موطن ينتقص فيه من حرمته ، وينتهك فيه عرضه الا نصره الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته » .

٤ — والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه :

وهذا نوع من الجزاء العاجل والآجل معا ، فبعد التفصيل فى المواطن الثلاث أجمل القول جامعا كل أنواع المعونات وأماكنها وكيفيتها وكمياتها فى بذل العبد عونه لأخيه فى مواطن ضعفه ووقت حاجته اليه : فينفس عنه كربة وييسر

عليه ، ويستر عورته ويقيل عثرته ، ويداوى كلومه ويذكره بما يحب أن يذكر به ، وما جزاء ذلك الا عون الله وأكرم به من عون ، عون من بيده مقاليد الأمور سبحانك ربى ما أكرمك وما أعظم ما أوحيت الى رسولك ، وما أبين ما وصى به حبيبك وخليلك عليه وعلى آله الصلاة والسلام فهل عقل وتدبر أتباع سيدى رسول الله ، أم هم بالاسم أتباع وفى الواقع أحمال وأعباء ..!!

٥ ــ من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة :

ما أكثر ما حث الاسلام على العلم ، وما أكثر ما شاد بالعلماء ، وما أوضح الآيات البينات المحكمات فى كتاب الله التى تدعو الى العلم وترفع من شأنه وتحث عليه ، وان الاستقصاء فى هذا يطول وكتاب الله مفتوح لمن يريد معرفة وفقها ، وخلاصة رأى الاسلام فى هذا أن أمة تقيم على جهل ليست أمة مسلمة ، وليست منتمية الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمحمد سيد العلماء ورسول الهداية ونبراس الوجود ، وان نشأ لا يقرأ ولا يكتب ، ولكن الله اجتباه وعلمه فكيف يكون من أتباعه جاهل أو مقيم على جهل ما دام يجد الى التفقه فى مختلف العلوم سبيلا ؟ وفى الحديث الشريف دعوة قوية صريحة ، بل صرخة داوية تردد أصداءها أركان الوجود ، تهيب بالمؤمنين أن هلموا الى مناهل العلم فاغترفوا منها حيثما وجدت « خذ الحكمة ولو من فم الكافر » وأنى وجدت ، فلا حياة بدون علم ... وكل لذة ومتعة لها سن معينة فى مراحل حياة الانسان تزول بزوالها ، وتمضى معها الا لذة العلم والا حب العلم ، فانها المستمرة الدائمة ما دامت الحياة ، فمهما بلغ من الكبر عتيا فلا يزال شغوفا بالتعلم والاستزادة ــ ان كان عاقلا ــ وهو الميدان الكريم الذى يتبارى فيه ويتنافس أصحاب العقول الممتازة فى هذه الدنيا دون مساس بحرية الآخرين أو النيل منهم ... فميدان العلم هو ميدان الجهاد من المهد الى اللحد ، الجهاد الشريف النافع المنتج المفيد .. الاقبال على العلم يفتح أبواب المعرفة ، ويسمو بالخلق وينهض بالأمم ويرقى بالشعوب ، ويقدم المتأخر ، ويرفع من لم ينهض به مال أو جاه ، ويجعله فى مركز قيادى ... ولو عرف المسلمون قيمة توجيه الرسول العظيم وعضو عليه بالنواجذ لكان لهم السبق فى كل مجال ، ولظلت لهم القيادة والصدارة عبر الزمان ، وما أحيلى هذا التعبير النبوى الجميل « سهل الله له به طريقا الى الجنة » أى علم هذا يوصل الى الجنة ، ويفتح أبواب الفردوس ويعبد الطريق اليها ... أهو علم السنن والفرائض ؟ أهو معرفة حدود الله التى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أم هى علوم الدنيا ــ كما يحلو للبعض أن يسميها من كشوف وبحوث فنية بحتة ، ومعرفة أسرار الذرة وقنابلها وصواريخها ، وما سيعرف من أسرار ؟ والجواب .. جواب الفاحص الفاقه لما نزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ... هو : اطلبوا كل العلوم دون استثناء ، فلا يوجد فى الاسلام شىء اسمه علوم دنيا فقط ولا علوم دين فقط ، فهذا متمم لذاك وجزء منه ، والنقص من أحدهما نقص من الخير ، وفتح ثغرة

للهلاك والدمار دينا ودنيا . فمتى يستطاع الحفاظ على حدود الله ؟ وكيف يدافع عنها ، لا يمكن هذا الا بمعرفة آلة الحفاظ والوصول اليها ، وشاء الله عز وجل أن يجعل لكل هدف سلاحا ، فمن ملك ناصية العلوم الكونية وعرف أسرارها تسنم مركز الصدارة — كما هو مشاهد لا يحتاج الى دليل — وبهذا يستطيع الحفاظ على ما استحفظ عليه من حدود الله — أما اذا تسلمت زمام تلك الأسرار أيد بعيدة عن هدى الله ، فحينئذ يكون الدمار الذى يعيش فيه ، ويسير اليه حثيثا عصرنا — .. واسمعوا .. « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ولا أزيد .... فهل درى النائمون ؟ وهل استيقظ الغافلون ... الى أى زمان يظلون متخلفين ؟ الى أى الحقب يا رب يستمرون تابعين لا متبوعين .. علم ذلك عندك وحدك ... فاللهم أيقظهم ووجههم وفقهم حدودك ، وامض بهم الى حيث يتعلمون آلة الدفاع عنها ، فالعلم العلم والجد فى طلبه الجد أيا السادرون فى غى ان كنتم تعقلون ....

٦ — وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ... الخ

لا يمكن للسارى أن يمضى فى طريقه ، ولا للحائر أن يهتدى ولا لمريد الخير أن يقبل عليه باخلاص ، ولا لعالم لما مر من توجيه كريم فى هذا الحديث الشريف أن يؤديه كأمانة يجب أن تؤدى الا اذا عرف هؤلاء ربهم واعتصموا به ولاذوا بحماه . وقاموا بواجب طاعته ، ولهذا حث سيد الخلق على عمارة المساجد بالعبادة — لا بالفرش والنفائس — وجعل الله زوارها جلساء ملائكته ، وجعل الملائكة والرسل شفعاء محبيها ، وهنا يرد السؤال ذو المصدر الجاهل الغافل وهو ما جعلته مقدمة البحث وجوابه هو جوابه .. والا فقل لى بربك : هل من الرقى اعلان الحروب على الضعفاء ؟ وهل من التقدم الحضارى قتل الأنفس وابادتها ؟ وهل من وسائل العمران المادى ظلم الحاكمين المتسلطين ؟ وما نراه من أحوال شعوب معاصرة هو برق خلب فالقنا والقنابل اذ لم يعصمها دين وخلق تبيد كل حضارة ، وتعوق كل تقدم ، وتأتى على الهناء والرخاء ، فلا يمكن أن تثبت حضارة ذات قيمة للانسان الا فى مواطن الحرية التامة المطلقة لا مطلق حرية .. ولا ينظم تلك الآلات المجنونة ، ويرد اليها صوابها ، ويوجهها الى المعامل والمصانع الا عقل يعرف الله ويعرف عظمته ، وحديث المعاصرين حديث يطول لا يوقف التساؤل عنه وفى مقال عابر محدود الصفحات مرتبط بزمان ... ولعل الله يهىء لى أن أطيل القول فى هذا ففى النفس منه غصة وأى غصة

٧ — ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه :

قضية الانساب والفخر بها ليست واردة فى الاسلام ، ولا يعيرها أى اهتمام ، فكثير من قريش سيصلى سقر ، وعديد من بنى هاشم فى الجحيم ، ولا نسب أعلى من نسب ينتمى اليه رسل الله ، فكيف ... وولد نوح فى النار وكذلك زوجته مع زوجة لوط .. — وعلى النقيض — آسية امرأة فرعون فى

(البقية على ص ٣٤)

بشائر عن معركة المصير بين المسلمين وإسرائيل

في ضوء القرآن والأحاديث النبوية

فى الأيام الأول من بعد المعركة الخاسرة شعرت أن صورة الايمان قد اهتزت فى القلوب ، وان الثقة بالله قد ارتجت بمس طائف من سوء الظن ، وأن سكينة التفاؤل بوعد الله ورسوله قد انقلبت الى قلق متشائم كاد يصل عند كثير من الناس ، الى حدود الشك والخوض فى قدر الله ، فأصبح أعظم همى ، بل كل همى ، ان أعيد الثقة الى النفوس ، فى بلدى وكل بلد اسلامى زرته ، ومن هنا كان اختيارى لموضوع (المبشرات) ليعرف المسلمون من علماء الدين ما يحفظ عليهم ايمانهم ، ويرد اليهم ثقتهم بالله وبأنفسهم ، فألف معركة خاسرة تاعسة فى ميادين الحروب أهون من معركة واحدة خاسرة تاعسة فى طوايا النفوس والقلوب .

ـ (المسلمون بين الغرور والاستخذاء) ـ

من جوامع الكلم المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (ما هلك امرؤ عرف قدره) . ولكن اكثر الناس يحملون هذه الكلمة الجامعة على وجه واحد من النصيحة ، وهو أن يعرف الانسان جوانب ضعفه ونواحى عجزه . وقل أن يتبادر منها الى الأذهان ذلك المعنى الأهم الأوسع ، الذى نحن أحوج اليه اليوم . ان غفلة الانسان عن معرفة قدر نفسه ، فى حقيقة ضعفها وعجزها ونقصها ، ليست أكثر ضررا من غفلته عن عرفان قدر نفسه فى حقيقة قوتها وقدرتها .

ويزداد هذا الضرر ضراوة واستشراء اذا كانت الغفلة فى حادث يتعلق بالجماعة والأمة ، لأن للاستخذاء والخور واليأس والتهالك ، عند صعقة البلية وبغتة النازلة ، عدوى سارية طاغية ، تنتقل من الضعفاء الى الأقوياء بل من السخفاء الى الحكماء ، وهذا من حقائق علم النفس . ولولا ذلك لما استخذينا وتهالكنا كلنا بعد النكبة : حيارى مولولين يائسين قانطين ، كأن المسلمين لم

الف معركة خاسرة تاعسة في ميادين الحروب أهون من معركة واحدة خاسرة يائسة في طوايا النفوس والقلوب

للشيخ : نديم الجسر

مفتى طرابلس ولبنان الشمالى وعضو مجمع البحوث بالأزهر

والنواميس الكونية والتاريخ

يصـــابوا ، قبل اليوم ، بأية نكبة ، وكأن تاريخ الأمم ، التى تتحكم اليـــوم فى الأرض ، خلو من النكبات ...

وهكذا دلت أحوال المسلمين ، من قبل النكبة ، على أنهم فى غرور ، ودلت أحوالهم ، من بعد النكبـــة ، على أنهم فى استخذاء ، والاستخذاء شر مـــن الغرور ....

فألف معركة خاسرة تاعسة فى ميادين الحروب ، أهون شرا ، من معركة واحدة خاسرة يائسة فى طوايا النفوس والقلوب ...

واستخذاء النفوس أول علامـــــات موت الأمة ، كما ان الأمل ، والثقة بالنفس ، أول أسلحة النصر والبقاء .

والواثق بالله وبنفسه يستطيع أن يعد العدة . أما القانط من ربه ونفسه فلا يستطيع . ولو أعد له السلاح لا يحمله ، وان حمله لا يصدق فى استعماله ، لأنه يصبح الى الكفر أقرب منه الى الايمان ... **(الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)** ١٢ سورة الأنعام .

ان فى تاريخنا ، وتاريخ الدول التى تحكم العالم اليوم ، عثرات وكبوات ونكبات أعظم ، بألف مرة ، من هذه النكبة التى أصابتنا .

معركة (أحد) ، التى جرح بها النبى القائد الأعلى ، فى قلب معقله ، وكاد يقتل ، بعد تخبط الجيش وانكساره لم تكن نكبة الأبد .

وهزيمة (حنين) التى بقى فيها النبى وحده على سرجه ينادى الناس ، لم تكن نكبة الابد ..

وفتح الصليبيين لبلاد الشـــام ، وتمكنهـــم فيها مدة قرنين ، لم يكونـــا نكبة الأبد ..

واستيلاء التتر على بغـــداد عاصمة الخلافة وتخريبها ، بعد قتل الخليفة

المستخذى ، لم يكونا نكبة الأبد على شعب نثل سهامه من (كنانة الله) فاستطاع أن يصنع معركة (حطين) ثم استطاع أن يبيد ابادة كاملة فى (عين جالوت) ، جيوش المغول المتحالفة مع الصليبين ، كما يقول مؤرخو الافرنج أنفسهم متعجبين مدهوشين ... وهزيمة دمياط ، التى كانت تحمل كل عناصر النكبة اليائسة من خيانة القائد المتراجع سعيا وراء العرش ، الى موت (الملك الصالح) ، الى وضع الخلافة ، لأول مرة فى التاريخ ، فى احضان الجارية (الصالحية) لم تكن نكبة الأبد على شعب لم تخرجه الكارثة عن ثقته بالله ، فاستطاع ان يأسر ملك فرنسا العظيم الشان ، ويسجنه فى دار القاضى لقمان بالمنصورة .

واحتلال الاستعمار ، فى القرن الماضى ، للهند واندونيسيا ، والجزائر وتونس ومصر والسودان والمغرب الأقصى وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق ، أى للعالم العربى والاسلامى كله تقريبا ، لم يكن نكبة الأبد ... فهذه الأقطار كلها تتمتع اليوم بالاستقلال .

واحتلال الحلفاء فى سنة ١٩١٨ لاستانبول عاصمة الخلافة ، لم يكن نكبة الأبد على شعب لم يفقد ثقته بالله وبنفسه ، فناضل وجاهد ، وانتهى به الأمر ، بعد ربع قرن أو أقل ، الى أن يرى الحلفاء الذين حطموه وحاولوا اذلاله ، يستجدونه استجداء ليدخل معهم فى حلف الأطلسى ...

هذا عندنا . أما عند الأمم الأخرى فالأمثلة أكثر وأوجع .

ان أسر ملك فرنسا فى معركة (المنصورة) لم يكن نكبة الأبد ، فقد عاد الملك الأسير ، بعد أمد قصير يشن حملة صليبية أخرى على تونس ... فأخذه الله ، هنالك بالطاعون كما أخذ أصحاب الفيل ...

وأسر فرنسوا الأول ملك فرنسا فى معركة (بافية) ، التى (خسر فيها — على حد قوله — كل شىء الا الشرف) لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع بعد ذلك أن يتحكم فى أوروبا فى عهد لويس الرابع عشر .

وانتصار فرنسا وحلفائها على المانية ، فى الحرب العالمية الأولى ، لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع فى الحرب العالمية الثانية أن يحتل باريس .

واحتلال المانيا الهتلرية ، هذا ، لفرنسا ، لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع أن يسترد دوره فى قيادة أوروبا ، ويصنع القنبلة الذرية ، فى عهد ديغول ...

— (غثاء السيل) —

ذلك الاستخذاء فى النفوس هو الذى عبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم (بالوهن) وشبهنا ، من أجله (بغثاء السيل) ، فى حديث يعد من معجزات أخبار الغيب ، يصف به حالة المسلمين ، فى عصورهم الأخيرة هذه ، وصفا ينطبق على واقعنا (١) الحاضر بعد مرور أربعة عشر قرنا مع الأسف الشديد !!

ان حاضر العالم الاسلامى اليوم يتلخص وصفه بما يأتى :

---

(١) بعض ضعاف النفوس يتخذون من هذا الحديث ذريعة للاستسلام والرضا بالضعف باعتبار أن هذا الوصف قاله الرسول الصادق ، ولا بد أن يقع . والواقع أن الرسول قال هذا للتحذير من الوقوع فيه ، وللتحذير من الرضا به والاستسلام له حين يحدث ، فهو فى حقيقته يبعث على القوة ويحث على التخلص من أسباب الضعف التى ذكرها وهى حب الدنيا وكراهة الموت .

« الوعى »

١ ــ **فى العدد :** كتلة هائلة من البشر يبلغ عددها الحقيــقى . لو جرى احصاء دقيق ، أكثر من سبعماية مليون ، أى ما يزيد على ربع سكان الأرض .

٢ ــ **فى المكان :** تحتل هذه الكتلة العظيمة وسط العالم القديم وسرته ، فى رقعة واسعة متصلة تجمع بين آسيا وأفريقيا ، وتشمل أكثر شواطىء البحر الأبيض المتوسط ، وجميع البحر الأحمر ، وأكثر من ثلث البحر الأسود ، وأكثر بحر قزوين ، وتتسلط ، تسلطا تاما ، على أخطر الممرات والمعابر البحرية فى العالم القديم ، مضيق جبل طارق ، ومضيق الدردنيل ، ومضيق البوسفور ، وقناة السويس ، ومضيق باب المندب ، ومضيق هرمز ، ومضيق (مالقا) وغيرها

٣ ــ فى الثروة المائية : تضم هذه الرقعة الاسلامية ثلاثة من أعظم أنهار الدنيا : النيل والفرات والدجلة ، عدا نهر العــاصى ونهر السند وغيرهما من الأنهار والبحيرات .

٤ ــ **فى الثروة النبــاتية والحيوانيــة والمعدنية :** تعتبر رقعة الأرض الاسلامية بحكم اتساعها ، واتصال أراضيها ، وتنوع أقاليمها ومناخاتها ، وطول شواطئها ، قارة كاملة تجمع كل أنواع الثروة النبــاتية والحيوانية والمعدنية المتنوعــة . فهى فى حــالة اكتفاء ذاتى كامل ، لا يعد لها فيه من الدول ، الا الولايات المتحدة الأميركية . هذا كله فوق ثروتها الممتــازة ، التى تتحكم فى صناعة العالم القديم وتجارته ، وفى وسائل النقل ، بل تتحكم فى مصير العالم عند الحروب الكبرى ، وهى الثروة البترولية الهائلة ، التى تبلغ فى الانتاج ، أكثر من ربع انتاج العالم كله ، وعلى مزيد جديد يظهر فى كل يوم ، وتبلغ فى احتياطى البترول ، أكثر من ٢٦ ألف مليون طن ، أى أكثر من ٥٦ فى المائة تقريبا من احتياطى العــالم المقدر بثمانية وأربعين ألف مليون طن . وهى ثروة لا يتم اعتزازنا بها الا اذا تذكرنا أن انتاج البترول غير العربى ، ينحصر جزء منه فى روسيا ، ولا يكاد يكفيها لحاجاتها الصناعية والحربيــة ، أما الأجزاء الأخرى فمحصورة فى أمريكا البعيدة عن العالم القديم بعدا شاسعا يجعل نقل البترول صعبا وغاليا بل يجعله ، عند الحروب العامة ، متعذرا .

ان هذه الحقائق التاريخية والجغرافية التى ذكرناها ، بشىء من الاسهاب، تكاد تكون معلومة عند أقل الناس اطلاعا ، وما كنا بحاجة لذكرها لولا أن من طبيعة الانسان ، عند طغيان التشاؤم على قلبه ، أن يذكر النقمة وينسى الصبر عليها ، ويكفر النعمة وينسى الشــكر لها . والى هذا أشــار القرآن بقوله : **(وذكرهم بايام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) .**

٥ ــ **فى الوحدة الدينية :** يضــاف الى تلك القوى البشرية والطبيعية الهائلة قوة معنوية لا مثيل لها ، فى تماســكها وقدســيتها ، عند أمة من أمم الأرض ، وهى قوة الأخوة الدينية ، رغما عما يبدو ، فى الظاهر ، من تعادى الحكومــات العربية والاسلامية وتناحرهــا ، فالحكام والحكومــات شىء ، والشعوب ، فى قلوبها وضمائرها شىء آخر .

ولكن على الرغم من هذه القدرة المادية والمعنوية الهائلة فان أكثر العالم الاسلامى (من المغرب العربى على الاطلانطيكى الى أندونيسيا وجوارهــا فى أقصى الباسيفيكى ، الى التركستان والقفقاس الى أواسط أفريقيا) كان محتلا ومستعمرا الى وقت قريب ، ولا يزال بعضه محكوما ومستعمرا من قبل الدول الغربية والشرقية ، فصح وصدق ، بهذا الواقع ، ذلك الكلام المعجزة من قول النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه **(يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى**

الاكلة الى قصعتها . فسأله أحد أصحابه : أمن قلة نحن يؤمئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير . ولكنكم غثاء كغثاء السيل) وفى رواية [٢] ورد ذكر (الوهن) و (كره القتال)

ـ (خميرة البقاء) ـ

ولكن هذه الأمة التى أصبحت ، فى عصورها الأخيرة (كغثاء السيل) مما اعتراها من (الوهن وكره القتال) لا تزال تحمل فى باطنها خميرة البقاء .

لقد ظهرت على مسرح التاريخ أمم ودول وامبراطوريات ، حكمت العالم ، ثم طواها الدهر حين دب فيها (الوهن) واجتاحتها أمم فتية قوية ، أكلتها وبلعتها وهضمتها ، حتى لم يبق لها وجود الا فى كتب التاريخ أو دور الآثار . ولكن هؤلاء المسلمين ، الذين حكموا العالم ، ثم صاروا كغثاء السيل ، واجتمع لهم من أسباب الوهن ما يكفى لزوال الأمم وانقراضها ، لا يزالون قائمين ... تداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، واكلت من قصعتهم ولا تزال تأكل ، ولكنها لم تستطع أن تأكلهم ...

يذكرنى هذا الصمود بالعادة ، التى يروى أنها كانت متبعة عند الاسبارطيين الأشداء : كانوا يغطسون الطفل عند ولادته ، فى البحر تغطيسا يكفى فى العادة لاختناقه وموته . فان مات ذهب غير مأسوف عليه ، وان صمد فهو الصالح للنضال والبقاء .

فما هى الخميرة التى جعلت المسلمين يصمدون ويصلحون للبقاء على الرغم من تلك الكوارث التى أصابتهم ؟

ان المسلم المؤمن بالقرآن يجد الجواب فى بشائر كثيرة ، أوضحها قوله تعالى ، بالتوكيد بعد التوكيد ، **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .**

والذكر هو القرآن . وحفظه أنما يبلغ الغاية من تنزيله بحفظ الأمة التى تذكره وتحفظه .

ولكن المفكر غير المسلم يجد التعليل ، الاجتماعى العقلى ، لصمود المسلمين ، فى آيتين أخريين ، يقبلهما عقله وان لم يؤمن بالقرآن ، لأنهما تكشفان عن ناموس اجتماعى تدركه العقول :

الآية الأولى قوله تعالى فى سورة الرعد (كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) .

والآية الثانية قوله تعالى فى سورة ابراهيم **(الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار . يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ...)**

الزبد رغوة لا تلبث ـ وهى تفور وتعلو ـ ان تتلاشى وتذهب جفاء ...

والذهب ، الذى لا يفور ولا يعلو ، هو الذى يبقى فى الأعماق ويمكث فى الأرض ، ويصمد لتأثير الماء والهواء فلا يصدأ ولو تراكم عليه التراب .

والشجرة الطيبة يحافظ عليها الناس ... والشجرة الخبيثة الضارة يجتثها الناس لتذهب طعاما للنار ...

---

(٢) جاء فى هذه الرواية تكملة للحديث « ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهة الموت » .

« الوعى »

اليس هذا هو ناموس بقاء الأنسب والأصلح ؟
وما هو الزبد ؟ اليس هو الباطل الذى يزهق كما قال القرآن ؟
وما هو الذهب ؟ اليس هو الحق الذى يبقى كما قال القرآن ؟
وما هى الشجرة الطيبة ؟ اليست هى شجرة الحق والخير ؟
وما هى الشجرة الخبيثة ؟ أليست هى شجرة الباطل والشر ؟
لو أن للفلك أن يعكس دورته ، ويرجع القهقرى الى عهود الظلام العقلى القديم ، لكان ممكنا للشجرة الطيبة أن تجتث بمعول الجهل ... ولكان ممكنا ، للشجرة الخبيثة السامة ، أن تعبد على أنها اله مخيف قتال ... ولكن التفكير الانسانى أخذ يسير فى النور نحو الحق . وكلما ازداد النور سطوعا ازداد الحق ظهورا ... فخميرة بقاء المسلمين هى هذا الحق الذى يرتكز عليه الاسلام ، والذى يزداد ظهورا واشراقا كلما ازداد التفكير الانسانى نضوجا ، وازداد تفهما (لوسطية الاسلام)

ـ (وسطية الاسلام) ـ

ومن هذه الخميرة تنبع (وسطية الاسلام) التى بشرنا الله بها بقوله : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ...)** وقوله : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس)** .

والوسط هو العدل . والتوسط هو الاعتدال . والشهادة ، هنا ، بمعنى العلم والاعلام . فما هى هذه (الوسطية) العادلة المعتدلة ، التى جعلنا الله عليها ، وأمرنا أن نقف عندها ، وأن نرشد الناس اليها ؟

أهى فى الوقوف مع الحق ضد الباطل ؟

أهى فى الوقوف مع الخير ضد الشر ؟

هذه بديهيات ساذجة تقرها كل الديانات السماوية والقوانين والشرائع الأرضية ، وتعرفها كل العقول ، فليس فيها نظرة جديدة عميقة تصلح لحل أزمات الصراع الفكرى حول قضايا الايمان والعقل والعلم والحرية والمجتمع . فالوسطية الاسلامية ـ اذن ـ أعمق من ذلك :

انها فى الوقوف بالمركز الوسط العدل الذى نكون فيه قادرين على أن نمنع تعارض الحق والخير مع الحق والخير : فالحق بذاته ، لا يمكن أن يتعارض مع الحق ، والخير بذاته لا يمكن أن يتعارض مع الخير . ولكن الافراط والتفريط فى النظرة هو الذى يعطل صفاء الادراك ، ويعكر صفاء الاستنتاج ، ويشل القدرة على التوفيق بين هذه المعانى الكريمة :

فالايمان بالله حق وخير ، وبه أمرنا . والعقل الذى ندرك به وجود الله حق وخير ، وبتحكيمه أمرنا . وقضايا العلم حق وخير ، وبالاستدلال بها على الخالق أمرنا . ولكن لا يجوز أن نجعل تحمسنا المفرط لخدمة الايمان وصونه من الجدل ، سببا لتعطيل العقل بتحميله المتناقضات ، أو نجعل تعظيمنا لقدر العقل سببا لتحميله ما هو فوق طاقته من معرفة كنه الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، أو نجعل زهونا باكتشاف قضايا العلم التى هى ، فى الحقيقة انكشاف لنواميس الله فى خلقه ، وسيلة للكفر بالله ، وهى من أول الدلائل على الله .

وقدر الله حق وخير ، وبالايمان به أمرنا . والأخذ بالأسباب حق وخير ، وبه أمرنا . فلا يجوز أن نجعل سوء فهمنا لمعنى القدر سببا لتعطيل الأخذ بالأسباب ، أو نجعل أعتمادنا على الأسباب طريقا لانكار قدر الله ، الذى (تقوم السماوات والأرض بأمره) .

واعداد القوة لدفع العدوان حق وخير ، وبه أمرنا . والتوكل على الله حق وخير ، وبه أمرنا . فلا يجوز أن نجعل اعتمادنا على اعداد القوة سببا لتعطيل اتكالنا على الله . أو نجعل اتكالنا على الله سببا لاهمال ما أمرنـــا به من اعداد القوة .

والحرية الشخصية للانســـان الفرد حق وخير ، وبصيانتها أمرنـــــا . ومصلحة الجماعة حق وخير ، وبحفظها أمرنا . فلا يجـــوز أن نعطل الحريـــة الشخصية تعطيلا مطلقا على حساب مصلحة الجماعة ، ولا أن نتجاهل مصلحة الجماعة على حساب الافراط فى تقديس الحرية الفردية الى حد الفوضى .

فالوسطية الاسلامية هى فى هذا التوفيق بين هذه المعانى وأمثالهـــا من الحق والخير ، توفيقا كاملا تبقى معه غير متعـــارضة ولا متناقضة ولا يغنى بعضها بعضا .

بهذه الوسطية ساد المسلمون ، ثم تخلوا عنها فأصبحوا كغثاء السيل ، وتداعت عليهمالامم حتى أضعفهـــا وأذلها كاليهود (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) صدق الله العظيم .

ــ (عنـــاصر أساسية) ــ

فى معركة المصير الأبدى للأمم والدول عناصر ثلاثة طبيعية أولية أساسية وضرورية ، يقوم عليها بقاؤها الأبدى .وعناصر أخرى ثانوية تســـــاعد على استدامة البقاء . وما أشبه ذلك ، عند التمثيل والتوضيح ، بالانسان : بين أن يخلق خلقا سويا ، فى جسده وحواسه ، ثم يستكمل بعد ذلك أســـباب بقائه بالسلاح ، وبين أن يخلق ، من بداية أمره ، مسيخا ضعيفا مشوها ، فلا ينفعه أى سلاح ثانوى فى معركة البقاء .

والعناصر الثلاثة الطبيعية الأساسية التى لا بد من أجتماعها للامة التى يكتب لها البقاء هى :

أ ــ الأرض الكافية الوافية .

ب ــ العدد الكافى للبقاء .

ج ــ الوحدة الفكرية الوجدانية الضامنة لجمع القلوب .

وكل نقص ، فى غير هذه الثلاثة ، من علم وتصنيع وتسلح يمكن تلافيه مع الزمن :

أما الأرض الكافية فاعنى بها :

أ ــ تلك التى تضمن الاكتفـــــاء الذاتى ، للامة القاطنة فيها ، بالموارد الطبيعية : (المائية والنبـــاتية والمعدنية الصالحة للغـــذاء والوقود والتصنيع والتسلح والحرب) فلا تحتاج معها الى سواها من الامم .

ب ــ وان تكون الأرض منفتحة على العالم برا وبحرا ، أى غير محصورة بالبر فلا بحر لها ، وغير محصورة بالبحر .

ج ــ أن تكون الأرض مستعصية ، بسعتها ، وتنوع مناخـــاتها ، على الفناء الشـــامل بالكوارث الطبيعيـــة المختلفة ، كالجفـــاف والصقيع والزلازل والخسف . فلو أصابها ، فى بعض مناطقها ، شىء من هذه الكوارث ســـلمت المناطق الأخرى الكافية للعيش والاكتفاء الذاتى .

اما العدد الكافى فأعنى به العدد الغفير :

د ــ الذى يضمن للامة معينا لا ينضب ، أو غير سريع النضوب ،من

البشر ، الذين يمدون الجيوش مهما طالت الحرب ، ويخلقون الموتى عند الكوارث المرضية والمجاعات .

هـ — والذى يستعصى ، بصورة خاصة ، على خطر الفناء الجديد بالقنابل الذرية التى يمكن ، اذا كانت أرض الأمة ضيقة وعددها قليلا ، أن تكون سببا لافناء الأمة بكاملها فلا يبقى منها عدد كاف يصلح لاستئناف الحياة واستمرار البقاء .

اما الوحدة الفكرية فانما أعنى بها الوحدة التى تجمع قلوب أفراد الأمة كلهم حول هدف واحد ، ثابت ، لا يزول ولا يحول ولا ينحرف باختلاف المؤثرات القومية والعنصرية والسياسية والاقتصادية ، بل يثبت أمام كوارث الفقر والجوع والموت ، ثباتا عقائديا يبقى قائما فى قرارة وجدان الأمة .

فاذا قيل لكم ، يا شباب المسلمين ، ان أمة على وجه الأرض ، بل فى تاريخ الأرض ، قد اجتمعت لها هذه العناصر الطبيعية الأساسية الثلاثة الضامنة للبقاء الأبدى بأمر الله ، أكثر مما اجتمع للامة الاسلامية فلا تصدقوا . ومهما قيل لكم عن ذهاب ريح المسلمين بسبب تنازعهم فلا تخافوا ولا تيأسوا .

— (أخوة المسلمين) —

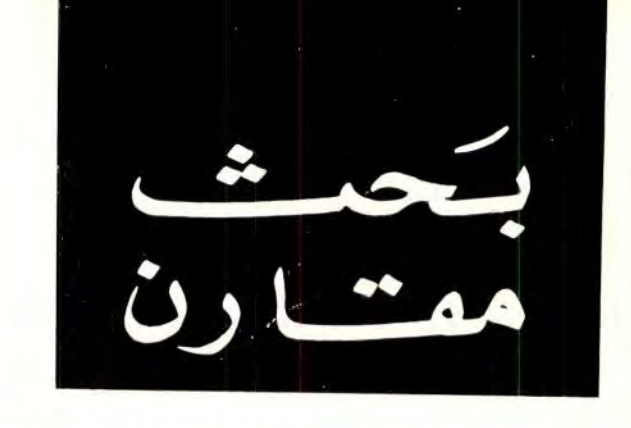
ان أخوة المسلمين ، على اختلاف أقطارهم وأعراقهم والوانهم ومصالحهم الدنيوية ، ليست من نوع الأخوة الوطنية ، ولا من نوع العصبية ، ولا من نوع الرابطة الاجتماعية ، التى تشد الأواصر بين الخلطاء والشركاء حول مصالحهم الاقتصادية والمعاشية ، ولكنها أخوة من صميم العقيدة ، لا يتم اسلام المسلم ، ولا يتحقق ايمانه الا اذا استقرت فى قلبه استقرارا وجدانيا ، ينسى معه كل مصلحة شعوبية أو مذهبية أو عصبية أو اقليمية أو عائلية أو شخصية أو اقتصادية ، أو معاشية ، حتى يجعل هذه المصالح كلها تحت قدمه اذا تعارضت مع تلك الاخوة الاسلامية المقدسة .

ولا يغترن أحد من المسلمين أو غير المسلمين بما يراه اليوم فى هذه الاخوة من تخلخل عند بعض ضعفاء النفوس ، فان هؤلاء قلة . ومثلهم عند الامم كثير . ولا سيما الامم التى دخلت زمنا طويلا تحت حكم الغزو والاحتلال . ولكن ما من مسلم ، مهما بلغ رجسه فى الخيانة ، ومهما بلغ الثمن الذى باع به نفسه ، ألا ويجد فى سويداء قلبه ، اذا هو خلا ، فى سواد الليل ، الى نفسه ، غصة أليمة فى الفؤاد ، وكربا ممضا فى الضمير ، ما دام يؤمن بالله وبأن محمدا رسول الله ..

هذه حقيقة يعرفها كل مسلم من نفسه وان جهلها أوشك فيها غير المسلمين .

وكيف لا يكون المسلم كذلك اذا كان يؤمن بالله ورسوله ، وهو يسمع قول الله **(انما المؤمنون اخوة)** وقوله تعالى **(فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)** ويسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوا تداعت له سائر الاعضاء بالحمى والسهر)** وقوله صلى الله عليه وسلم **(من بات ولم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم)** وقوله صلى الله عليه وسلم **(من غشنا فليس منا)** **(ومن حمل علينا السلاح فليس منا)** وقوله **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)** وقوله صلى الله عليه وسلم **(اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار)** ؟

((للبحث بقية))



٣

المنهج العلمي للبحث في صورته التطبيقية

بين الفكرين الإسلامي والغربي

أما المنهج الذى سلكه الغربيون فى ذلك ، فهو :

أولا : أخذ كلمة (الوحى) أثرا أو حادثة مبهمة خلفها التاريخ ..

ثانيا إعمال الحدس والتخمين فى استنتاج ما قد يدركه التوسم والوجدان والخيال من هذه الكلمة .

وكانت النتيجة التى وصلوا اليها فى أمر الوحى أن اختلفوا فى تفسيره الى مذاهب متفرقة ، فمنهم من انتهى الى أن الوحى انما هو حركة فكرية داخلية أو نوع من الالهام النفسى ، ومنهم من زعم انه اشراق روحى جاء عن طريق الكشف التدريجى ، ومنهم من لم يجد أية غضاضة فى أن يقرر أن الوحى لم يكن أكثر من نوبات صرع كانت تنتاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الحين والآخر

وليس ثمة مطمع فى أن يلتقى هؤلاء ومفكرو الاسلام على صراط واحد من الفهم فى الأمر ، اذ أن هؤلاء قد أسقطوا من اعتبارهم أمر الرواية والخبر وقيمتهما العلمية سلبا وايجابا ، أى أنهم استجازوا لأنفسهم تجاهل الرواية الصحيحة المتواترة ، كما استجازوا فى نفس الوقت اختراع تفسير لا يدعمه أى خبر أو رواية صحيحة .

كما أنهم لم يلتزموا اطلاقا بمنهج الاستقراء ، وما يثبته قانون الالتزام وقياس الاولى ، ولذلك جاز لهم أن يصوروا من محمد عليه الصلاة والسلام منذ اللحظة التى أوحى فيها اليه ، شخصية تتناقض كليا مع شخصيته السابقة ، بل مع وقائع حياته المستمرة أيضا ، وجاز لهم أن يجعلوا منه عليه الصلاة والسلام أعظم كذاب على الله بعد أن كان أعظم أمين وصادق مع الناس !! وأن يجعلوا منه أعظم ممثل ومخاتل ومدجل يصطنع الخوف وصفرة الوجه أمام خديجة من أمر ما قد رأى من الوحى !! مع أنه لم يكن يمارس فى الواقع الا بعض أفكار والهامات داخلية مجردة !! ..

ولننتقل بعد هذا الى الجانب الآخر من الموضوع العلمى ، فنتساءل :

ما هو المنهج العلمى الذى يلبى التحقيق فى (دعوى) من الدعاوى أو (فرضية) من الفرضيات فيما تواضع عليه علماء الغرب ؟

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

فنقول : أما تلك الفرضيات المتعلقة بالعلوم الطبيعية ، فلقد استطاعت أوروبا ، بدءا من عصر النهضة ، أن تبدع منهجا من التجربة والمشاهدة تتوفر فيه كل مقومات الروعة والدقة ، وليس هذا فحسب ، بل ان الفكر الأوربى استطاع أن يستخدم سير الاكتشاف والاختراع وسيلة لدعم التجربة العلمية وشد أزرها والاستفادة العظيمة منها(١) .

ولا جدوى فى أن نقول ، كما يطيب ذلك للبعض : ان أوربا انما ورثت هذا المنهج منا نحن المسلمين خلال العصور الوسطى وأحداثها التاريخية المعروفة اذ الحقيقة أن أوربا بمقدار ما هى غنية اليوم بهذا الميراث ، فاننا فقراء كل الفقر بما كان لنا الفخر بامتلاكه ذات يوم من الأيام .. وان أهم ما ينبغى علينا **نحن العرب أو المسلمين ، أن نفتح العين جيدا على حقيقة واضحة هى : ان التاريخ دائما ليس ملكا الا للزمن الذى ولد فيه ، لا يورث أمجادا ولا انحطاطا وانما يورث شيئا واحدا فقط : هو العبرة .**

غير أن أوربا بمقدار ما ترقت صعدا فى ميدان العلوم الطبيعية ومناهجها

ولقد كان على علمائها ومفكريها أن يسلكوا حيال هذه المدركات أحد سبيلين :

أما اغلاق باب البحث والتأمل بينهم وبينها اغلاقا محكما واعتبار أن فى الكسب الذى نالوه من العلوم المادية الأخرى ما يغنيهم عن انفاق أى جهد فكرى فيما سواها .

التجريبية ، فقد تخلفت فى ميدان المدركات اليقينية الأخرى مما يدخل تحت اسم الفكر أو المجردات والغيبيات .

واما أن يشقوا اليها منهجا من الموضوعية والنظر العلمى المجرد . اذا كانوا لا يملكون انصرافا عنها .

---

(١) المنهج التجريبى انما يصلح معتمدا للعلوم الطبيعية ، اذ من شأن هذه العلوم أن لا تدرك ادراكا يقينيا الا عن طريق البدء بموضوعات توجد فى التجربة الخارجية البعيدة عن وحى العقل أو التفكير ، ثم تفرض نفسها عليه طبق ما دلت عليه المشاهدة والتجربة ، وعلى العقل بعد ذلك أن يفسرها ويحللها فقط .

هذا ويظن بعض الحمقى الذين لا يدركون الفرق بين طبائع العلوم المختلفة يصرون — اعتدادا منهم بالمنهج التجريبى — على عدم الايمان بالخالق جل جلاله ما لم يثبت له ذلك بالمنهج التجريبى . والمسكين انما يتوهم ، ان أوربا لما سيرت بعلومها الطبيعية القطار واستغلت الكهرباء والذرة وأطارت الصواريخ مستخدمة الدراسة التجريبية ، دل ذلك على أن الحقائق الكونية كلها ينبغى أن تنقلب علوما طبيعية وأن تخضع للتجربة المشاهدة ، أولا ، فانه لا يقبل حكم قاض فى المحكمة ، ولا قانون فى علم النفس ، وليس لديه استعداد لأن يتصور أية حقيقة عن وقائع الماضى أو مخاوف المستقبل .. لأن كل ذلك لا يعدو أن يكون ثمرة استقراء أو استدلال أو قياس . وما دام كل ذلك بعيدا عن التجربة والمشاهدة فهو لغو لا وجود له !! ..

ولا ريب أن مثل هذا المفكر أحوج الى العلاج منه الى المباحثة والنقاش ..

غير أن الواقع أنهم لم يفعلوا هذا ولا ذاك ، وانما راحوا يسلكون الى دراستها وبحثها مسلكا أقل ما يوصف به أنه غريب وطريف :

فقد بدءوا البحث بفرض ما طاب لهم من النظريات والفروض فى أذهانهم ، كل حسب ما يروق له ، أو حسب وحى البيئة والمجتمع والدراسة التى نشأ فى ظلالها . ثم راحوا يستخرجون الأدلة الاستنتاجية الملائمة لما سبق أن فرضوه واعتمدوه ، كما راحوا بالمقابل يزيفون الأدلة التى تناهض معتمدهم بدافع من محض الرغبة فى ذلك .

ولكى لا نظلم قلة من الباحثين ، تجردوا عن أمانيهم واستقبلوا بأفكارهم شطر بحوث حرة مجردة ، ينبغى أن نقول : ان هذا الوصف انما ينطبق على العقلية التى تمثل أغلبية المفكرين الغربيين ، وفى أغلب القضايا العلمية ذات الطابع المذكور .

ولا ريب أن من أجلى انعكاسات هذه الحقيقة وأوضح دلائلها المعبرة ، تلك المدرسة الفكرية التى قامت تزعم أن العقيدة يمكنها أن تتلو الارادة وأن تخضع لها . فحسبك لكى تعتقد بأمر ما اعتقادا جازما أن تتجه منك الارادة الى ذلك ، وأن تشعر بمجرد الحاجة اليه ، فسوف لا تعجز ارادتك وحاجتك اذ ذاك عن أن تستخرج لك الدليل تلو الآخر على ما تفضل الاعتقاد به . .

ويعبر وليم جيمس عن هذه النظرية ، حينما يقسم الاتجاهات الفكرية الضرورية الى اتجاهين : حى وميت ، ويفسر الاتجاه الميت بذلك الذى لا يجد الباحث فى نفسه أى ميل اليه ، ويضرب مثلا للاتجاه الميت بما اذا قيل له : كن صوفيا أو مسلما ، فى مقابل ما قد يقال له : كن مسيحيا أولاادريا(٢) . .

ولا أشك أن هذه النظرية التى ينادى بها كثير آخرون غير وليم جيمس ، قد خالفها (من الناحية النظرية) كثيرون غيرهم . غير أن واقع الأبحاث المختلفة تنطق ، حتى بالنسبة لهؤلاء المخالفين ، بالنظرية نفسها وتنادى بصوت مرتفع : ان العقيدة سلبا وايجابا ينبغى أن تتأسس على نصيب كبير من مجرد الرغبة ان لم نقل على الرغبة وحدها . وهذا يعنى أن من العبث أن تبحث عن أى ظل للموضوعية فى أبحاثهم الا القلة النادرة . لا سيما وان سبيل الاستنتاج — وهو السبيل الوحيد لتحقيقاتهم فى هذا الباب — ذو مرونة كبرى من شأنها الاستجابة لكل رغبة أو اتجاه .

وليس على الآن ، فيما أحسب ، الا أن أضع أمام القارىء فيضا من الأمثلة الغربية التى يشترك معظمها فى اثبات أمرين اثنين معا : طريقة الاستنتاج المجرد العارى عن أى تثبت أو استقراء ، وأثر الرغبة فى الدفاع عن وجهة معينة وبناء العقيدة على أساسها :

١ — ينقل فون كريمر وغولد زيهر أن : المسلمين بحثوا فى موضوع غريب وهو :

هل ينكح العجم نساء العرب فى الجنة ؟ . رغبة فى اثبات أن الفتوحات الاسلامية لم يكن يكمن وراءها الا القصد الى السيادة العربية(٣) .

ولا ريب أن الذى يقرأ هذا النص انما يتصور أن جمهرة من الناس بحثوا هذا الموضوع ، وان الذين بحثوه انما هم الفقهاء ، اذ هو مما يخص الفقهاء قبل غيرهم .

ولكنك اذا رجعت الى مصدر القصة وحقيقتها ، علمت أن (الناس) الذين

---

(٢) أنظر : ارادة الاعتقاد لوليم جيمس و « العقل والدين » له أيضا .

(٣) راجع السيادة العربية لفان فلوتن ، وما كتبه فى نفس البحث فون كريمر وغولد زيهر .

بحثوا موضوع زواج غير العرب من العربيات فى الجنة انما هم (أعرابى واحد) جاء من البادية ، سمعه الأصمعى يقول لآخر : أترى هذه العجم تنكح نساءنا فى الجنة ؟ فقال : أرى ذلك والله بالعمل الصالح . وهى قصة رواها المبرد فى الكامل مضعفا ثبوتها(٤) .

فتأمل فى كيفية سوق الخبر مقطوعا عن مصدره ومصبوغا بصبغة التعميم ، مستكرها على أن ينطق رغما عن أنفه بالشهادة التى يريدها الباحث العلمى الموضوعى النزيه !!

٢ ــ جاء فى كتاب فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية للويس غردية ، و ج. قنواتى ان عثمان بن عفان أقبل الى القرآن فى خلافته ، فقسمه الى سور وآيات ، ورتب السور وراء بعضها حسب طولها ، فأطولها أولا ثم ما دونها طولا ، وهكذا (ص : ٤٢/ج : ١) .

فتأمل أولا ، فى المنهج المتبع لاثبات هذه الدعوى أو الفرضية ، لتعلم أن المنهج مفقود من أساسه ، وانما يضع المؤلفان أمامنا دعوى عارية لنغمض العين ونتقبلها كما هى متناسين قول الشاعر :

والدعاوى ان لم تقيموا عليها ... بينات أبناؤها أدعياء

فمن أى مصدر استقرائى أو استدلالى أو استنتاجى ثبت أن عثمان هو الذى قسم القرآن الى سور وآيات ، وأنه عمد فرتبها كما شاء له هواه ، وان هواه قد شاء له أن ترتب بدءا بأطولها ، علما بأنه هو الذى فصل هذه طويلة وتلك قصيرة ؟! ..

أما نحن ، فالذى نعلمه ، طبقا للرواية الصحية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن عثمان نفسه ، ان أمر الآيات وترتيبها والسور وتقسيمها وترتيبها مرد كل ذلك الى التوقيف الذى لم يكن حتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يد فيه . ودليلنا على ذلك ما رواه البخارى بسنده عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان : هذه الآية التى فى البقرة : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) الى قوله : (غير اخراج) قد نسختها الآية الاخرى فلم تكتبها ؟ قال : يا ابن أخى : أنا لا أغير شيئا من مكانه ، وما رواه القرطبى وغيره بسنده عن سليمان بن بلال قال سمعت ربيعة يسأل : لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ، وانما نزلتا فى المدينة ؟ فقال ربيعة : قد قدمتا ، وانما ألف القرآن على علم ممن ألفه(٥) .

٣ ــ أما الآن فاليك هذا المثال :

يقول المستشرق جب فى كتابه (بنية الفكر الدينى فى الاسلام) ان الاسلام جاء ليضفى الصفة الدينية على تلك (الاحيائية)(٦) العربية القديمة التى

---

(٤) راجع الكامل للمبرد ج ٢ : فصل : الموالى عند العرب .

(٥) فى هذا الكتاب : « فلسفة الفكر الدينى » غثاء كبير جاد به على كل من المؤلفين تلك الطريقة الاستنتاجية أولا ، ثم الرغبة فى الوصول الى نتيجة معينة ثانيا ، وربما أمكنتنا الفرصة أن نعرض منهذا الغثاء الشىء الذى يزيد فى اظهار قيمة (المنهجية والموضوعية عند هؤلاء الباحثين) !!

(٦) يقصد بالاحيائية العربية ، تلك العقائد الروحية الخرافية كالايمان بالسحر والتنجيم والكهانة وما يستتبع ذلك . ولسنا نعجب من أن يطيب لباحث مثل (جب) تقرير هذه الدعوى الباطلة ، ولكن نعجب من أن يعرب ويصدر زميلنا الدكتور عادل العوا هذا التقرير الباطل دون أن يحمل نفسه مقابل ذلك كتابة سطر واحد فى ثنايا التصدير أو فى تهميشة عابرة انتصارا للحقيقة !!

نسجتها الأعراف والبيئة بعد أن لم يستطع محمد عليه الصلاة والسلام التخلص منها ، ويمضى يقرر ذلك فى منهج — جد غريب وعجيب — من حيث ايغاله فى الاستنتاج ، بل والحدس المجرد فى أغلب الأحيان !!

تدليس !

ولكن ذلك كله فى منتهى البساطة بالنسبة لما يلى :

يقول جب فى مقـــدمة كتابه هذا : ان الأفكار التى أسست عليها هذه الفصـــــول ليست من بنات دماغى ، بل سبقنى اليها ودلنى عليها جماعة من المفكرين ، ومن أقطاب المسلمين وقد يطول احصاؤهم ، فسأكتفى بذكر أحدهم على سبيل المثال هو الشيخ الكبير شاه ولى الله الدهلوى . ثم ينقل عن كتابه (حجة الله البالغة) هذا النص الحرفى مثبتا بين قوسين كما أنقله للقارىء الكريم :

« ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى . فالأولى انما كانت الى بنى اسماعيل .. وهذه البعثة تستوجب أن يكون مادة شريعته ما عندهم من الشعائر وسنن العبادات ووجوه الارتفاقات ، اذ الشرع انما هو اصلاح ما عندهم ، لا تكليفهم بما لا يعرفونه أصلا » .

ومعلوم أن جب انما يريد أن يقول بأن الدهلوى فى نصه هذا يذهب مذهبه فى زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، انما عمد الى تلك التقاليد والعقائد « الاحيائية » التى كانت عند العرب فصبغها بصبغة الدين . ومعلوم أيضـــا — بالبداهة — أن جب قد وقف على ما قبل هذا النص وما بعده ، ولم يقع عليه هكذا ، منتزعا عن سياقه وســـباقه ودون أن يتنبه الى شىء منهما ، اذ النص مغمور ضمن كلام واسع مسهب طويل .

وهنا لا نجد مناصا من القول بأن مستر جب ، قد ستر حقيقة وحاول أن يقيم فى مكانها نقيضها ، وأنه تجاوز حدود اللامنهجية فى البحث الى محاولة أن ينطق الموتى بما لم ينطقوا به ، وان يحملهم من الوزر ما لم يحملوه بل سجلوا نقيضه فى جلاء وصراحة !!

أجل ، فانك لو ذهبت تفتش فى كتب السابقين على نص يتضـــمن الرد الصريح على هذا الذى زعمه جب عن الاسلام ، لما وقفت على نص أقوى وأبين فى ذلك من النص الذى جاء جب ، فاجتزأ منه العبـــارات التى حملها عكس ما تحمل ، وحاول أن يجـــرها فى عكس ما هى متجهة اليه . ومحل الانكار والتعجب أنه انما فعل هذا وهو يعلم ما يفعل ، وعبارات المؤلف من قبل هذا النص المجتزىء ومن بعده تصرخ فى وجهه مستنكرة ، تضبط فيه صنعة التزوير والتحوير وانطاق الموتى بعكس ما سجلوه ونطقوا به .

وان من حق هذه العبارات علينا ، أن نترك لها المجال لتتكلم ، وأن ننصت لنسمعها وهى تضج مدافعة عن جزئها الذى اقتطع عنها ثم أكره على أن يشهد شهادة زور ليس هو منها فى شىء .

وحسبك أن تسمع منها هذه العبارات التى تأتى بعد النص الذى اقتطعه منها بأقل من صفحة واحدة .

يقول الشاه ولى الله الدهلوى :

« واعلم انه صلى الله عليه وســـلم بعث بالملة الحنيفية الاسماعيلية ، لاقامة عوجها وازالة تحريفها واشاعة نورها ، وذلك قوله تعالى : (ملة أبيكم ابراهيم) ولما كان الأمر على ذلك ، وجب أن تكون أصول تلك الملة مســـلمة

وسنتها مقررة ، اذ النبى اذا بعث الى قوم فيهم بقية سنة راشدة فلا معنى لتغييرها وتبديلها بل الواجب تقريرها لأنه أطوع لنفوسهم وأثبت عند الاحتجاج عليهم ، وكان بنو اسماعيل توارثوا منهاج أبيهم اسماعيل ، فكانوا على تلك الشريعة الى أن وجد عمرو بن لحى ، فأدخل فيها أشياء برأيه الكاسد ، فضل وأضل وشرع عبادة الأوثان وسيب السوائب وبحر البحائر ، فهنالك بطل الدين واختلط الصحيح بالفاسد ، وغلب عليهم الجهل والشرك والكفر ، فبعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مقيما لعوجهم ومصلحا لفسادهم ، فنظر صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم ، فما كان منها موافقا لمنهاج اسماعيل عليه السلام أو من شعائر الله أبقاه ، وما كان منها تحريفا أو فسادا أو من شعائر الشرك أو الكفر أبطله وسجل على ابطاله .. »

قارن بين هذا النص وما نقله (البحاثة الأمين المستشرق العظيم : جب) لتقف على صنعة التحريف والتزوير ، وطريقة افراغ نصوص العلماء ، الأحياء أو الأموات من معانيها ، ثم العمل على حشوها بمعان جديدة أخرى تلصق بصاحبها الصاقا وتسند اليه زورا وبهتانا !!

وبعد ، فهذه حقيقة المنهج العلمى المتبع لدى جمهرة الغربيين عندما يدخلون فى مناقشة علمية مع الآخرين ، أو حينما يريدون أن يقيموا فرضية أو حقيقة ما ، أو عندما يحاولون استخراج علم أو ادراك يقين من نص أو وثيقة فى التاريخ : طريقة استنتاجية أولا ، ثم اخضاع البحث لمجرى الارادة والرغبة ثانيا ، ثم القصد الى تحريف النقول والنصوص ثالثا .

وحينما نقف على هذه الحقائق ، وشىء من أمثلتها الكثيرة ، لا يسعنا الا أن نشكر باحثا مثل الدكتور عبد الرحمن بدوى ، عندما يحذرنا — فى صوفية سامية مجردة — فى أعقاب حديثه عن (المنهج الاستردادى) لدى الغربيين ، من أن نفسر نصا ما من النصوص التاريخية بغير لغة العصر التى كتبت بها ، وأن نتجاهل السياق والسباق ، أو أن نجازف فى فهم اشارة أو عبارة على غير ما يرشد اليه سياق العبارة كلها[7] .

بيد أنه كان عليه أن يتجه بهذه النصيحة الغالية ، الى أولئك الذين أطنب فى الحديث عن مناهجهم ممن عرضنا أمثلة مؤسفة لمنهجيتهم الآن ، لا الى أولئك الذين تخيل أنهم يسوقون الآية من القرآن أو الحديث النبوى — على حد قوله — لتأييد أقوال حديثة لا تمت فى الواقع بأية صلة اليها اللهم الا فى ظاهر اللفظ .

كنت آمل من عبد الرحمن بدوى وقد تجاهل ما يفعله هؤلاء بالمنهج عند البحث ، أن يذكر لنا مثالا واحدا لباحث معروف من علماء المسلمين نقل نصا فحرف فيه ، أو راح يستنبط الحقائق العلمية الخطيرة بحبال من الاستنتاج يشدها بمجرد الحدس والتخمين .

على أن كل هذا الذى أوضحناه ، لا يغض من قيمة كثير من الباحثين الغربيين أمدتهم حريتهم الفكرية التامة فى التأمل والبحث ، بمنهج علمى سليم ، وبأمانة دقيقة فى النقل والتفسير والعزو .

ولكن العجيب أن هؤلاء القلة من الباحثين ، بدلا من أن يكونوا عبرة وقدوة للآخرين . تجدهم لا يزالون مادة حذر لهم ، ومبعث تخوف عميق فى نفوسهم !!

---

(٧) أنظر : مناهج البحث العلمى لعبد الرحمن بدوى : ص : ٢٠٧ و ٢٠٨ .

أعلى عليين من الجنة والرضوان ... وهل استمعتم الى وصايا رسول الله لأقربائه الأقربين ومن أقرب الى قلبه وأحب اليه من فلذة كبده ... الزهراء ... فاطمة بنت محمد .. يقول للجميع رسول الله .. اعملوا فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا .... اعملوا لتكونوا مع صهيب وبلال فى رحمة من الله ورضوان ...

وهل رنا الى هذا الجزء من الحديث الشريف من يرى عظمة بعض النظم فى رفع الوضعاء ، وتسنم بعض أهل الحرف الدنيا غارب السلطة والاقتدار .. هل حاولوا أن يتعرفوا على الاسلام ليدركوا أن أبواب الدنيا فى جميع مظاهرها الكريمة مفتوحة للعاملين لا لذوى الأنساب الجوفاء ... هل رأوا ابن مكتوم يعاتب فيه رسول الله بقرآن يتلى ويتعبد به الى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ، وهل دروا أسماء القادة فى عهد رسول الله ليدركوا أن العمل هو كل شيء ولا شيء للانساب ...

وبعد فأجزم عن ايمان وأتكلم بقوة يقين ... وأدافع بالبرهان وأدلى بحجتى فى أوضح بيان وأدعو الأمم المعاصرة الى أن تصيخ سمعا الى الاسلام وتقرأ هذا الحديث وأمثاله وتعى القرآن وتوجيهاته لتهدأ ، وتستريح من عناء المذاهب والأفكار الفاسدة التى يموج العالم المعاصر بها دون الوصول الى هدف أو تحقيق أى نتيجة فى صالح الانسانية الحرة الكريمة ، وليقوم عالم متحضر يحافظ على حضارته ، حضارة تختفى معها الآلام ، وتجف الدموع دموع الثكالى والأيامى واليتامى ، ويكسى العراه ، ويطعم الجياع ...

ومع هذا لا أنسى الواقع الذى نعيشه وتعيشه شعوب تحمل — للأسف الشديد اسم الاسلام ... وهنا أقول وأتساءل وأرجو الجواب ممن يستطيع الجواب :

١ — هل غفلة الشعوب المتسمة بالاسلام ورضاها بالاستعباد من الاسلام ؟

٢ — هل جهل المسلمين ورضاهم بالأدنى ، وعدم اشتراكهم فى المخترعات الحديثة من الاسلام ؟

٣ — هل اغلاق العقول دون كل منطق مفيد من الاسلام ؟

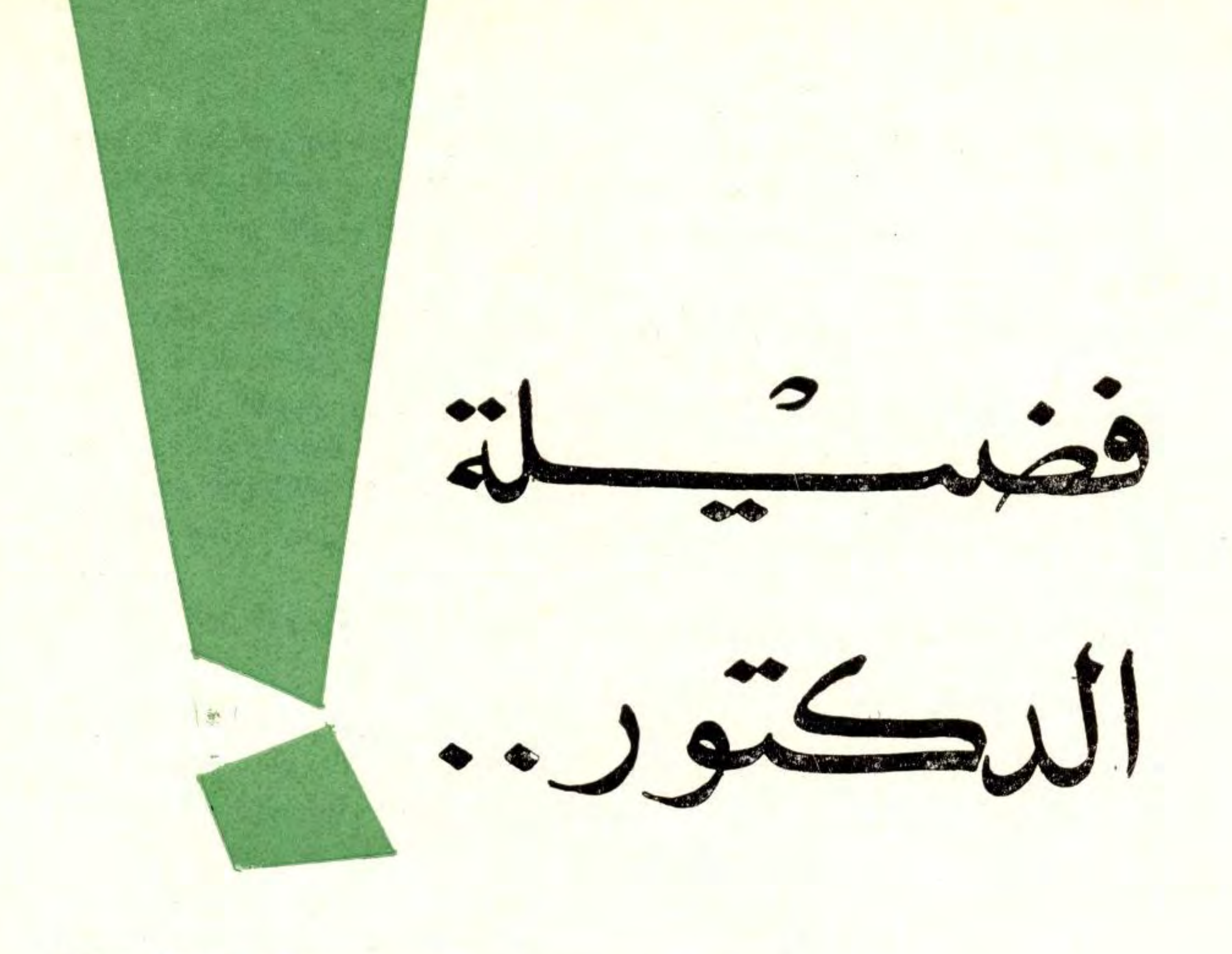
٤ — هل حكم المتعالين بالكفر على من يتعلم لغة أجنبية أو يقول بكروية الأرض فى القرن الحاضر من الاسلام ؟

٥ — هل الجبن والتأخر والانحطاط والرضا بالظلم من الاسلام ؟

وأصيح من كل قلبى كما ينادى منادى الله كل يوم خمس مرات من أعلى مكان : لا ، وألف لا : ليس شيء من هذا من الاسلام ، ولا يمت بصلة الى أصول الاسلام أو فروع الاسلام .

فالاسلام ما عرفت فى هذا الحديث ، وما جاء فى القرآن وفى كل حديث ... « وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

والى لقاء فى عام جديد ان كان لنا فى الدنيا بقاء والسلام على من اتبع الهدى .



فضيلة الدكتور..

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

– ١ –

أذكر أن شيخا من شيوخ مدينة الموصل ، كتب مقالات فى مجلة من مجلات سورية ، وكان ذلك فى عام ١٣٥٦هـ ، وكانت مقالاته هادفة فيها روعة الدين الحنيف ، وبلاغة العربية ، وجمال الأسلوب ، وأصالة الموضوع .

وأراد رئيس تحرير المجلة السورية ، أن يضفى على الشيخ صاحب تلك المقالات نوعا من التكريم ، يظهر به تقديره العميق للمقالات ، ويلفت أنظار القراء اليها ، ويرضى الشيخ الكاتب — حسب ظنه — ليدأب على كتابة مقالاته النافعة ، فكتب تحت عناوين المقالات : « بقلم الشيخ ...... بك » .

واشمأز قراء الموصل من لقب : « بك » ، يضاف الى لقب : « الشيخ » ، فقد كان أهل الموصل ولا يزالون ، يرون لقب : « الشيخ » وحده أرفع ألقاب التكريم ، وأن هذا اللقب هو أضخم الألقاب ، وأن كل لقب غيره يعتبر بالنسبة الى لقب : « الشيخ » ، قزما من الأقزام !!

وكتب الشيخ الوقور الى رئيس التحرير ، يعاتبه على لقب : « البك » يضاف اليه ، ويؤنبه أعنف التأنيب ، وينذره بأنه سيمتنع عن الكتابة فى مجلته ، لأنه حمله من أمر هذا اللقب الدخيل ما لا يطيق بالنسبة لنفسه وبالنسبة للقراء وكان جواب رئيس التحرير : « لماذا تصاغ ألقاب التكريم لكل من هب

ودب ، ويتباهى بها من لا يستحق الحياة سيرة وعلما وعملا ، ثم لا تضفى تلك الألقاب على الشيوخ ، وهم قادة الفكر والروح بحق ؟! » .

وانقطع الشيخ عن الكتـــابة فى المجلة ، فحرم القراء من علمـــه المتين وبحوثه الأصيلة . .

وكان هدف رئيس التحرير أن يحسن الى الشيخ بما أضفاه عليه من لقب دنيوى ، فأساء الى الشيخ من حيث أراد الاحسان .

وقال الشيخ يومها كلمة لا تزال ترن فى أذنى حتى اليوم : « اننى أصغر من أقل الشيوخ شأنا فى الدنيا ، ولكننى أكبر من أى لقب فى الدنيا » .

لقد كان ذلك الشيخ يعتبر لقب : « الشيخ » ، أكبر من كل لقب آخر ، لأنه كان يعرف معنى هذا اللقب ، ويقدر له قيمته ، ويراه موضع اعتزاز وفخر لحامله .

والذين لا يعرفون قيمة أنفسهم ، لا يمكن أن يعرف لهم النـــاس قيمة .

— ٢ —

فما هو معنى كلمة الشيخ ؟

مجمل معنى الشيخ فى اللغة : من أدرك الشيخوخة ، وهى غالبـــا عند الخمسين ، وهو فوق الكهل ودون الهرم .

والشيخ : ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة .

وأريد بالشيخ هنا ، صاحب المكانة العلمية فى علوم الدين الحنيف ، وهى علوم القرآن الكريم عقيدة ولغة .

والعلوم الدينية كثيرة تجدها مسطرة فى الشهادات العلمية ، ولكنها كلها روافد لنهر عظيم تتلخص فى خدمة القرآن المجيد عقيدة ولغة ، والقرآن العظيم هو المصدر الأول للدين الاسلامى الحنيف ، وهو الكتاب الأول للغة العربيـــة الفصحى .

ولقب الشيخ ، حين يطلق على حـــامل علوم القرآن ، وحين يحمل هذا اللقب بحق ، فقد نال خيرا كثيرا .

والذى أريده (**بالشيخ الذى يحمل هذا اللقب بحق**) ، هـــو الذى يتحلى بثلاثث خصال .

الأولى ، أن يكون عالما متينا ، سهر الليالى فى الدراسة والتتبع والبحث ، وتلقى العلوم من مصادرها الأصيلة رجالا وكتبا .

والثانية ، أن يكون ترجمة عملية لعلمه ، يقتفى آثار النبى صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين وأئمة الدين الحنيف قولا وعملا ، ليكون قدوة حسنة للناس ، وليعطهم من نفسه المثل الصـــالح لهم ، وألا يكون من الذين يقولون ما لا يفعلون .

والثالثة ، أن يكون محافظا على كرامة العلماء : يرضى بالقليل من الزاد ، ويفترش الأرض ، ويلتحف الســـماء ، اذ كان فى ذلك صـــيانة لكرامة العلم والعلماء .

هذا الطراز من العلماء ، هم خلفاء الأنبياء حقا ، وهم الذين يؤثرون فى العقول والنفوس معا ، وهم نور الله فى أرضه وهداته فى خلقه .

والآثار العلمية التى خلفها السلف الصالح من الشيوخ ، أبقى على الدهر من آثار الملوك والأمراء والرؤساء .

وربَّ كلمة عابرة قالها أمثـــال هؤلاء الشيوخ فى الملوك والأمراء والرؤساء ، خلدت ذكر هؤلاء ، وأبقتهم حديثا حسنا يذكرون به على مر الدهور والأعصر .

لقد كانوا بعلمهم أكبر من كل منصب ، ذلك لأنهم كانوا يعتبرون العـــلم (عبادة) ولا يعتبرونه (تجارة) ، فبارك الله فى علمهم ، وجعل علمهم مصابيح تهدى الى الحق والعدل والنور .

كانوا يعرفون (قدرهم) ، وكانوا يقدرون أن الظروف جعلت من الكثيرين ملوكا وأمراء ورؤساء بحق أو بغير حق ، ولكن ليس باستطاعة كل انسان أن يكون شيخا حقا .

وكان الملوك والأمراء والرؤساء على أبوابهم ، ولم يكن أحد من الشيوخ (حقا) على أبواب هؤلاء الملوك والأمراء والرؤساء ...

كانت مع الملوك والأمراء والرؤســـاء سلطة الأرض ، وكان مع الشيوخ سلطة الأرض والسماء ، وشتان بين سلطان السماء وسلطان الأرض .

ذلك هو مبلغ علمهم الذى بارك الله فيه ، وذكرهم الذى رفعه الله لهم ، أما مبلغ عملهم بهذا العلم ، فحدث عن البحر ولا حرج .

« كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالاسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

كانوا علمـــاء عاملين ، ولم يكونوا علماء يأمرون النـــاس بالبر وينسون أنفسهم .

وكانوا يحافظون على كرامة العلماء ، ويؤمنون بأن ما عند الناس لا يبقى ، وأن ما عند الله خير وأبقى .

خافوا الله ، فخافهم كل شىء .

وكان أحدهم يرفض بشمم أن يقف على أبواب أصحاب الجاه والسلطان ، وكانوا يلقنون طلابهم : « أن العلم يؤتى اليه ولا يأتى » .

كانوا قمما شـــامخة مع المتحكمين فى الأرض ، وكانوا متواضعين أعظم التواضع مع الطلاب وذوى الحاجات .

– ٣ –

إن لقب : « الشيخ » ، هو لقب علمى وروحى فى آن واحد .

ولقب : « الدكتور » ، هو لقب علمى فقط .

والشيخ لقبا ، أكبر من لقب الدكتور بالتأكيد .

والدكتور لقب مستورد ، والشيخ لقب أصيل .

والدكتور لقب يستطيع أن يناله كل انسان بعد قضاء سنين فى دراسات نافعة أو تافهة .

والشيخ لقب لا يستطيع أن يناله الا المتخصصين فى علوم الدين الحنيف .

والدكتور لقب ليست عليه مسحة البركة والاحترام النـــابع من القلب .

والشيخ لقب عليه مسحة البركة والاحترام القلبى .

إنك لا تسمع مسلما وصل الى أرفع المناصب ، يتصاغر أمام الدكتور ، ويخـــاطبه بأدب جم واحترام عميق ، فيقول له : سيدنا الدكتـــور ، أو مولانا الدكتور .

ولكنك تسمع المسلم الحق مهما يكن منصبه رفيعا ، يخفض جناح الذل من

الرحمة للشيخ ، فيخاطبه متواضعا له ، مكرما الدين الحنيف بشخصه ، فيقول له سيدنا الشيخ أو مولانا الشيخ .

ولقد رأيت رئيسا من رؤساء الجمهوريات العربية ، يأبى باصرار عنيد ، إلا أن يتقدم الشيخ عليه فى المسير ، وكان يتعمد اظهار احترامه الشديد للشيوخ إكراما للدين الحنيف ....

ولكننى لم أر رئيسا ولا وزيرا ولا رجل دولة فى منصب رفيع ، يقدم عليه دكتورا من الدكاترة ....

إن الشيخ الذى يحرص على لقب الدكتور ، يضيع نفسه ، ويستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

إننى أجد نشازا فى تعبير : فضيلة الدكتور ...

وما كان اللقب العلمى مهما يكن ليضفى على صاحبه علما ، فالعالم حقا هو الذى يثبت علمه بانتاجه العلمى الأصيل لا بالألقاب العلمية .

وكم رأينا علماء حقا لا ألقاب علمية لديهم ، وكم رأينا جهلاء يحملون أرفع الألقاب العلمية .

وكم رأينا من يحملون أرفع الألقاب العلمية ، ولكنهم يستحقون الرثاء لجهلهم المطبق ، فكانت القابهم العلمية الرفيعة وبالا عليهم أو كانوا وبالا عليها .

وليس سرا ، أن الألقاب العلمية ، لها تكاليف صعبة شاقة ، لا يستطيع النهوض بها حاملوها الا بشق الأنفس ، ولعل من أول تلك التكاليف أن يكون حاملها جديرا بها علما وعملا وبحثا وتأليفا .

وقد تدر تلك الألقاب على حامليها (رزقا) ، ولكنها لا تدر عليهم (احتراما) ولا (علما) ، الا اذا سهروا الليالى بين الكتب والقراطيس ، وبنوا العلماء العاملين أو ألفوا الكتب القيمة ، أو بنوا العلماء والكتب فى آن واحد .

إن فى الأمم الراقية شرقية كانت أم غربية جامعات راقية ، وقد مضى على بعضها مئات السنين فى خدمة العلوم وتخريج العلماء .

وقد أصبحت للعرب جامعات علمية تعنى بالعلوم الحديثة ، ولكنها لن تستطيع أن تبز جامعات الدول الراقية أو تنافسها فى هذا المجال .

ولكن فى البلاد العربية جامعات اسلامية يتلقى فيها الطلاب العلوم الاسلامية والتراث الاسلامى .

وهذه الجامعات ليس لها مثيل فى الدول الراقية الاخرى ، وتكاد تنفرد بها الشعوب العربية خاصة والأمة الاسلامية عامة .

إن العرب والمسلمين يستطيعون أن ينافسوا الدول الراقية شرقية أو غربية بهذه الجامعات : الأزهر الشريف ، والجامعة الاسلامية الليبية ، والزيتونة ، والقرويين .... الخ ...

فلا بد من تقوية هذه الجامعات الاسلامية لتكون من مفاخرنا على الجامعات العلمية الأجنبية ، ولتمد العالم الاسلامى بفيض غامر من علماء العقل والقلب ، وعلماء المادة والروح .

والعرب اليوم بأمس الحاجة الى خريجى الجامعات الاسلامية من الشيوخ علماء العقل والقلب والمادة والروح .

وواجب هؤلاء الشيوخ ، أن يعيدوا العرب الى الاسلام من جديد ، لأن العرب بالاسلام كل شىء ، والعرب بلا إسلام لا شىء .

ولكنهم لن يستطيعوا أن يؤدوا هذا الواجب العظيم الا إذا كانوا علماء حقا ، عاملين بعلمهم صدقا ، محافظين على كرامة العلم والعلماء .

وحين يكون الشيوخ كذلك ، لا يحرصون على لقب : الدكتور ، ولا يحبون لأنفسهم أن تتحلى بالألقاب المستوردة .

ذلك لأن هؤلاء الشيوخ ، سيكونون حراسا أمناء ، وسدنة أقوياء ، للقرآن الكريم لغة وعقيدة .

والحارس الأمين ، والسادن القوى ، يحارب كل لفظ دخيل وكل مبدأ دخيل .

وإذا كان لا بد من لقب يساوى لقب الدكتور ويناسب الشيوخ ، فليكن : الحجة ، فيقال : الشيخ الحجة ....

وحينذاك سنخاطب الشيوخ من قلوبنا : سيدنا الشيخ ... مولانا الشيخ ....

أما أن نخاطب الشيخ الذى يحرص على لقب : الدكتور ، ويحاول أن يتنصل من لقب : الشيخ ... سيدنا الدكتور ... ومولانا الدكتور ... فلا .. وألف لا ...

وإذا كان الاستعمار الفكرى قد سيطر على عقول أكثر المثقفين ، فلا أقل من أن تبقى عقول الشيوخ بعيدة عن هذا الاستعمار البغيض .

وحينذاك يستطيع الشيوخ أن يطهروا عقول الآخرين مما حاق بها من استعمار فكرى بغيض .

أما أن تبتلى عقول الشيوخ أنفسهم بهذا الاستعمار ، فاقرأ على العرب والمسلمين السلام ...

ذلك لأن فاقد الشىء لا يعطيه ، والذى لا يستطيع أن يكافح الاستعمار الفكرى فى نفسه ، لا يستطيع أن يكافحه فى نفوس الآخرين .

إننى أريد أن يجد الشيوخ شخصيتهم كما كان أسلافهم من قبل ، وألا يضيعوا تلك الشخصية فى المتاهات .

أريد أن يكونوا قادة لا مقودين ، ورؤساء لا أذنابا ، وسادة لا عبيدا .

أريد أن يكونوا رواد هذه الأمة ، يقودونها الى الهدى والحق والنور .

أريد أن يقولوا : نحن هنا ... لا أن يقولوا : نحن هناك .

أريد أن أفخر بهم ويفخر بهم كل من يعتد بالقرآن الكريم عقيدة ولغة .

أريد أن يكونوا ورثة الأنبياء حقا .

والأنبياء لم يكترثوا بالألقاب ، ولم يحرصوا على ما فى الدنيا من متاع ومظاهر .

إن الحق أحق أن يتبع .

والحق فى أن يعتز الشيخ بهذا اللقب المبارك الكريم مظهرا ومخبرا .

إما أن يحرص على لقب : الدكتور ، ثم يتنكر لمظهره ، فلم يبق رائدا للعقول والقلوب معا ، بل بقى شيئا آخر كأضرابه من الدكاترة قد يفيد العقول ولكن لن يفيد القلوب .

سيدنا الشيخ ... مولانا الشيخ ... هل أطمع أن يصل هذا الكلام الى قلبك وعقلك ، فترى بنور الله خيرك وخير المسلمين ؟





للشيخ
عبد الحميد السائح
وزير الأوقاف والمقدسات
الاسلامية سابقا ــ عمان

لأول مرة تهيأ لى فرصة زيارة القطر الجزائرى الشقيق ، لمشاركة اخواننا فيه احتفالهم ببعض المناسبات الاسلامية ، والوطنية ، وقد تجولت فى عدة نواح من هذا القطر العربى المسلم ، فلمست فى هذا الشعب عروبة أصيلة واسلاما عريقا ، تتمكنان فى نفوس الكثرة الساحقة من أبنائه ، وحين كنا نمر فى شوارع « عنابة» كانت اللافتات منشورة فى شوارع المدينة « يا حماة الاسلام انقذوا القدس ، يا حماة الاسلام انقذوا الأقصى » ونحو ذلك من العبارات المثيرة ، التى تدل على وعى بالنكبة ومداها البعيد ، وحين تكلم الخطباء او انشد الشعراء كان مسرى الرسول عليه السلام وموطن معراجه من اهم ما لفت الانظار ، واتجهت اليه الافكار ، ومما قاله احد الشعراء الاستاذ م. ع. النصيرى

فالمسجد الاقصى غدا نهبا لأتباع الردى
هذا مكان أم فيه المصطفى رسل الهدى
قسما بمسجدها المبارك حوله طول المدى
لنطهرن ربوعه ونعود فيه سجدا
فالى لقاء فى ربوع القدس موعدنا غدا

كانت المناسبة الاولى ذكرى مرور الف سنة على تأسيس مسجد ابى مروان بعنابة وهو من اقدم المساجد ، التى امتدت اليها يد الاستعمار الافرنسى بالتغيير والتبديل عن مقاصده واهدافه ، وقد كان أيضا رباطا ومعهدا اسلاميا ، لتلقين العلوم الاسلامية فاعيد الى اصله مسجدا اسلاميا بعد أن اكتمل عمرانه وانشىء حوله معاهد اسلامية للذكور والاناث .

وكانت المناسبة الثانية ــ ذكرى الاسراء والمعراج وبلدهما القدس الشريف ــ نصيب كبير من الاحتفاء والتكريم ، وكنت تستمع الى وفود العالم الاسلامى وهى تبدى عصارة أفكارها ونتاج أقلامها بتوضيح الدور الذى يجب على العالم الاسلامى ان يقوم به ، فى المبادرة والاسراع فى انقاذ الديار المقدسة ، واعادة القدس الشريف والمسجد الاقصى وسائر المقدسات الى حظيرة الاسلام ، وكل تهاون فى ذلك يزيد فى الخطر ، ويضاعف مسؤولية المتخاذلين او المتوانين .

أما المحاضرات التى كانت تلقى فى مختلف مدن الجزائر والندوات التى كانت

تعقد فى الاسبوع الثقافى الاسلامى ، الذى هو المناسبة الثالثة ، فقد ربطت بين الشرق والغرب العربى الاسلامى ، واظهرت عمق التعاليم الاسلامية ، ومدى صلاحيتها لحل المشاكل العالمية ، وجعلت علماء الاسلام ومثقفيه يشعرون بمسيس الحاجة لموالاة الاتصال ، على الصعيدين الرسمى والشعبى ، حتى تهيأ الفرص لتبادل الرأى والتشاور ، واظهار ان ما يحتوى عليه الاسلام ، من كنوز ثمينة وثروات دفينة ، ومبادىء سليمة ، هى وحدها التى تصلح حقيقة لمعالجة مشاكل ديار الاسلام ، واقطاره وامصاره ، وكانت المحاضرات التى القيت فى قاعة ابن خلدون فى الجزائر العاصمة ، من امتع المحاضرات واثمنها ، وكنت تستمع الى العلماء من اندونيسيا ، ويوغوسلافيا ، وموريتانيا ، والمغرب ، والقاهرة ، والاردن ، والعراق ، وسوريا وهم يتحدثون فى شتى الموضوعات ، الاجتماعية والدينية ، ويعالجونها معالجة العليم الخبير .

ومما لفت الانظار ويتفق مع طبائع الامور تقدير الشعب الجزائرى لعلمائه المصلحين المجاهدين الراحلين أمثال : عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمى والعربى القبسى ، وتكريمه للشهداء والمجاهدين أمثال الامير عبد القادر الجزائرى وابن مهيدى ، واعميروش وبن بو لعيد ، وغيرهم .

كان هذا التقدير او التكريم ، يظهر فى التمسك بمبادئهم ، وتخليد اسمائهم على الشوارع ومشاريع الخير ، وقطع الاسلحة الكبيرة ، ومن حسن الحظ أنه لم تبد فيهم بدعة التماثيل التى تلجأ اليها بعض الدول الاسلامية بتكريم عظمائها وتقديرهم .

وقد ساهمنا فى الاحتفاء بتشييع ثمانية واربعين شهيدا جزائريا ، احضرت جثثهم من فرنسا ، وقد استشهدوا على اثر نقل الثورة من الجزائر الى قلب فرنسا ، فاضيفوا الى مقبرة الشهداء الخالدين فى الجزائر .

كما اسعدنا الحظ باجابة الدعوة الى المساهمة بذكرى الثورة الجزائرية فى أول نوفمبر (تشرين ثانى) تقديرا لما لهذه الثورة من اثر كبير فى العالمين العربى والاسلامى .

اعمار الجزائر

ان الجزائر أكثر بلاد العرب شرقه وغربه أعمارا ، وربما كان نسبيا أكثر خيرات وانتاجا ، ومع أنى اسلم بأن الكثير من مظاهر العمران هو من آثار الافرنسيين المستعمرين ، وبقية مما تركوا ، الا أن الحكومة الجزائرية ماضية وجادة ، فى تصنيع الجزائر ، واعماره على اوسع مدى ، وتوسيع رقعة المشاريع بحيث تشمل المناطق التى كانت محرومة منها قبل ذلك مثل منطقة القبائل ، وان المتجول فى شرق الجزائر وما يرى فيها من المصانع المختلفة القائمة ، او التى هى فى سبيل الاعداد والانشاء ، أو المتجول فى غرب الجزائر ومنطقة وهران وأرزيو بنوع خاص وما فيها من مصانع مختلفة ، يشعر بالاعتزاز والفخر خصوصا عندما يرى الايدى الجزائرية هى المهيمنة على مشاريعها ، والعقل الجزائرى والخبرة الجزائرية هما المسيطران على الاعمال والادارة ، وهذا لا يمنع وجود خبراء من مختلف نواحى العالم شرقه وغربه ، الا أنهم خبراء موظفون والرئاسة تكون للجزائريين .

ومما يبهج النفس ، ذلك الريف الجزائرى العامر النظيف المنسق ، حتى لا تكاد تشعر بأن الريف يختلف كثيرا عن المدن ، يضاف الى ذلك أنك لو سرت شرقا أو غربا مئات الكيلو مترات فانه لا يكاد يقع نظرك على أرض معطلة ،

لا تشملها الجنات الكثيفة بأشجارها الباسقة من مختلف الانواع المثمرة أو المعدة لزراعة الحبوب والخضروات .

ومن مظاهر الفخر والاعتزاز أيضا ما علمناه من أن الجزائر رغم اتساع مشاريعها الصناعية والزراعية المختلفة ، ليس عليها لاحدى الكتلتين : الشرقية أو الغربية قرض أو دين ، وانها ماضية فى تحمل مسؤولياتها واستثمار خيراتها والافادة من كنوزها على أوسع مدى فى مختلف المجالات .

رواسب الاستعمار

وليس من ريب فى أن الاستعمار الافرنسى ، وان خسر ماديا فى مغادرته الجزائر تاركا وراءه جهود سنين من الاعمار والاعمال ، فى رقعة كان يعتبرها قطعة من فرنسا ، الا أنه أبقى من ورائه رواسب كثيرة ، ليس من السهل التخلص منها فى يوم أو بعض يوم ، وهذه الرواسب تتلخص فى ثقافة عميقة ، هيأ لها جيشا كبيرا ، من الذين بنوا حياتهم ووجودهم عليها . واصبحوا يشعرون بأن تغيير خط السير سيفقدهم الكثير من معانى الوجود والسيطرة .

وهؤلاء فريقان ، أحدهما يشعر بأن عليه مسؤوليات نحو قومه وأمته ، تقضى عليه بأن يتخلص من رواسب الاستعمار بكافة الوسائل والمظاهر ، ولذلك يشعر هذا الفريق بضرورة دعم فكرة التعريب ، على جميع المستويات وتذليل ما يكتنفها من مصاعب ، حتى يمكن أن يشعر العامل والموظف والفرد الجزائرى مهما كان اتجاهه وثقافته بعروبته واسلامه ، ويرى لهذه الصلة أثرها فى حياته اليومية ، فيتحدث مع قومه بالعربية ، ويقرأ الجريدة العربية ، ويستمع للمذياع العربى ، ويشاهد المشاهد التلفزيونية العربية ويقرأ برامج حفلاته بالعربية ، وبعبارة أخرى يرى العروبة وقد احتلت مكان الافرنسية فى كل تلك المجالات ، ويرى العادات والتقاليد والتعاليم الاسلامية ، وقد تمكنت من المجتمعات الجزائرية ، مكان مثيلاتها الافرنسية ، وهذا الفريق هو الذى يتمثل فى عدد من المسؤولين الرسميين وفى الشباب الواعى المخلص .

وأما الفريق الآخر فانه يرى فى ابقاء الثقافة الافرنسية متغلغلة نفعا شخصيا له ، واستمرارا فى حالة ألفها ، وان تغيير ذلك سيجعله على هامش الاحداث ، ويبعده عن مراكز لا يزال عدد غير قليل يحتلونها فى دوائر الحكومة وعمالاتها .

ولا ننكر أن بعض هؤلاء متصلون بجهات مريبة ، سواء كانت من بقايا الاستعمار الافرنسى فى فرنسا نفسها ، أو بعض العناصر التى تميل الى ابعاد الجزائر عن حظيرة العروبة والاسلام ، وهؤلاء اما صهيونيون أو متصلون بهم بسبيل أو بآخر ، وعلى كل حال فان من واجب المسؤولين الجزائريين خصوصا الفريق الاول ، ومن واجب الجامعة العربية وواجب المسؤولين فى البلاد العربية والاسلامية أن يقدروا الخطر الكامن فى بقاء الفريق الثانى متمكنا ، متغلغلا ، فيسهلوا السبيل ، الى دعم فكرة البعوث العربية والاسلامية ، وأن يختاروها من أصحاب المبادىء السليمة ، والعقيدة المستقيمة ، التى تحفظ للجزائر عروبته وأسلامه ، وأن يعتبروا ذلك ضربا من ضروب الجهاد ، الذى يجب أن يقوم به نتيجة تخطيط ودراسة عميقين .

الجزائر وقضية فلسطين

يعتبر الجزائريون عموما القضية الفلسطينية قضيتهم لأنها تمس عروبتهم

واسلامهم ، وقد أصاب المصير الذى وصلت اليه حتى الآن ، صميم الكرامة والعزة ، فى نفس كل عربى ، ومسلم ، ولذلك تجدها حديث المجالس الرسمية والشعبية ، وتجدهم عاتبين على قبول الهدنة مع اسرائيل من أساسها ، مهما كانت النتائج التى تترتب على ذلك ، ويرون أن استمرار السلطات الاسرائيلية فى أى عمل حربى سيؤدى الى نهايتها والقضاء عليها ، ويرون أيضا أن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، والى أن تهيأ الظروف كاملة للقيام بمعركة المصير التى لا بد منها ، يرون ضرورة الاستمرار فى العمل الفدائى الفلسطينى وتصعيده ، ودعمه ماديا وسياسيا وعسكريا ، وانه اذا حانت فرصة المعركة فلا يمكن أن يتأخر الجيش الجزائرى عن أن يقوم بدوره كاملا ، وانهم يقدرون صمود الاردن وثباته ، وصبره وتحمله ، وضرورة الاستمرار فى ذلك الى أقصى مدى .

عبرتنا فى قضية فلسطين

حدثنا الجزائريون الرسميون والشعبيون ، أن موقفهم من الاستعمار الافرنسى قد وصل بهم الى نقطة حاسمة يختارون فيها بين أمرين ، اما أن يعيش الملايين الجزائريون أذلة للاستعمار الافرنسى ، واما أن يموتوا شهداء كراما فى سبيل الدفاع عن وطنهم وكرامتهم وحريتهم وعزتهم ، فاختاروا الثانى ، وكانت نتيجة هذا الاختيار اندحار الاستعمار وانتصار ارادة الحرية والشرف والكرامة .

وهكذا يجب علينا عموما أن نقرر موقفنا واضحا لا لبس فيه ولا ابهام بالنسبة لاسرائيل ، اما أن نعيش معها أذلة مهانين ، نسام أنواع الخسف والتعذيب ، واما أن نموت شهداء أحرارا كراما فى سبيل الذود عن شرفنا وكرامتنا ، وحريتنا ومقدساتنا .

وحدثنا الجزائريون أيضا أن الكثير الكثير مما شاهدنا من مظاهر العمران فى الجزائر العاصمة ، وفى الولايات الاخرى هو أثر من آثار العمران الافرنسى ، وذلك ان الاستعمار الافرنسى مكث فى الجزائر ١٣٢سنة ، انفق وعمر فى خلال السنين الثمانية الاخيرة من عمره ٩٥٤ — ٩٦٢ ، وهى سنو الثورة ما لم ينفقه ويعمره فى باقى مدة استعماره وقدرها نحو مائة وخمس وعشرين سنة تقريبا ، وذلك لأنه أراد أن يوحى الى الجزائريين بتصميمه على البقاء فى الجزائر وعدم الرحيل عنها ، وكان ضعاف الايمان يتحدثون بمثل هذا الحديث ، ويرددون أن الجزائر قطعة من فرنسا ، لا يمكن تركها ولا الرحيل عنها ، ولا تسليمها لأهلها وسكانها ، وكذلك شأننا اليوم مع اسرائيل ، فانها تنشىء المستعمرات ، وتشق الطرق ، وتشيد العمارات ، ويتحدث المخذلون والانهزاميون بأن هذا وذاك يدل على تصميمها على البقاء ، واصرارها على الاحتفاظ بالقدس وغيرها من الاماكن المحتلة . ولكن جوابنا وجواب المؤمنين الصادقين ، المناضلين المكافحين هو أن لاسرائيل أن تفعل ما تشاء وتقرر ما تشاء ، ولتعمر ما تشاء ، ولكن رحيلها لا بد منه ، ونحن الذين نقرر مصيرها ومصير اعمارها ، ومستعمراتها ، فالبلد بلدنا ، والارض أرضنا ، والحق معنا ، والاقصى لنا ، والقدس قدسنا ، وكل المقدسات مقدساتنا ، ولا بد لهذا القيد أن ينكسر ولا بد لهذا الظلم أن ينحسر ، ولا بد لهذا الليل أن ينجلى ، وكلما اشتدت اسرائيل ومن ورائها فى ظلمها وجبروتها ، وغطرستها واستهانتها بالمواثيق الدولية ، والقيم الاخلاقية الانسانية ، كلما دنت ساعتها ، واهتز كيانها ولاحت تباشير النصر ، وعلامات الفرج .

« وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد»

* * *

آخر معاقل العرب والإسلام في الأندلس

غرناطة

في الشعر العربي

للأستاذ: محمد عبد الغني حسن

غرناطة هى آخر مملكة ومدينة عربية اسلامية سقطت بالأندلس سنة ٨٩٧هـ المقابلة لسنة ١٤٩٢م على يد ملكى قشتالة فرديناند وايزابلا . وكان بسقوطها انتهاء الفردوس الاسلامى بالأندلس ، بعد أن ظل هناك قرابة ثمانية قرون ينشر حضارة ومجدا عربيا عريقا . واذا كان سقوط هذه الدولة العربية قد أثار فى نفوس الأعداء فرحا وشماتة فى ذلك الحين فأن موجة من الحزن والألم العميق قد سادت العالم العربى الاسلامى يومئذ حسرة على تلك الشمس الغاربة التى أضاءت الدنيا زمانا ليس بالقليل . . .

ولقد شارك الشعر العربى فى محنة غرناطة منذ سقوطها بما يدل على معاطفة العرب واحساسهم بعظم الخسارة فيها ، وان كانت نكبة

غرناطة لم تظفر من شعراء المشرق فى حينها بما هى جديرة به . فقد كانت أحوال الشرق العربى يومئذ تشغل الناس عن الالتفات نحو هذا الحادث الخطير ، وكانت مصر اذ ذاك تتوجس شرا من عدوان الأتراك على حدودها الشمالية ، وهو ذلك العدوان الذى تم فعلا بعد ذلك بخمسة وعشرين عاما على يد السلطان سليم العثمانى سنة ٩٢٢ هـ بل كان الشعر العربى فى أرض الأندلس ذاتها ينكمش بانكماش رقعتها ويهوى الى الحضيض ، بعد أن شغل العرب هناك بسقوط دولهم ومدنهم وحواضرهم بلدا اثر بلد . واستنزفت المراثى المتتابعة لممالك الأندلس دموع الشعراء هناك على مر العصور ، حتى لم يعد هناك مجال لمثل قصيدة أبى البقاء صالح الرندى المشهورة التى يقول فيها :

لكل شىء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان

ولم تشغل أحداث غرناطة الخطيرة فى أيام محنتها وصراعها مع الاسبان شاعرا مثل الأديب أبى جعفر بن خاتمة — الذى كان معاصرا لسقوط دولة الاسلام فى الأندلس — عن أن ينظم قصيدة مؤثرة أصاب الأمير شكيب أرسلان نسخة خطية منها عند أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقد وقف الشاعر يسجل الأحداث المتعاقبة فى كل بلد حتى بلغ غرناطة — وكانت آخر ما سقط ، فقال فيها :

ألا ولتقف ركب الأسى بمعالم
قد ارتج باديها وضج حضورها
بدار العلا حيث الصفات كأنها
من الخلد والمأوى غدت تستطيرها
محل قرار الملك « غرناطة » التى
هى الحضرة العليا زهتها زهورها
ترى الأسى اعلامها وهى خشع
ومنبرها مستعبر وسريرها
ومأمومها ساهى الحجى وأمامها
وزائرها فى مأتم ومزورها ..

واذا كانت هذه المرثية تنسب الى ابن خاتمة كما يصرح بذلك الأمير شكيب والأستاذ عز الدين علم الدين التنوخى كاتم سر المجمع العلمى بدمشق[1] ، فاننا لا نفهم وجها لما ينسبها به المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان الى شاعر أندلسى مجهول[2] ...

واذا كانت مرثية الشاعر ابن خاتمة لغرناطة هى النص الأندلسى الذى أبقاه لنا الزمان من شعر المحنة العربية فى الأندلس ، فان هناك من عصر المحنة نفسها أثرا شعريا مغربيا للشاعر أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى المشهور باسم (الدقون) الذى كان معاصرا لسقوط غرناطة ، والذى كان يشهد بعينيه فلول الهاربين من مسلمى الأندلس اللاجئين الى بر العدوة بالمغرب . فقد نظم قصيدة مؤثرة تبلغ ستة وستين بيتا وصف فيها أحداث غرناطة بقوله :

واحتل غرناطة الغراء قدعدمت
حب الحصيد ، ونصر الله والآل
كأنها الشمس فى أفق العلا كسفت
فهل على طلل ترمى بأبطال ؟
وهل تعود ليال قد سلفن بها
ونحن لا نشتكى تنكيد ضلال
فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم
كمثل عاد ، وما عاد بأشكال

---

(١) الحلل السندسية جـ ٣ ص ٥٤٨ .
(٢) نهاية الأندلس لمحمد عبد الله عنان ص ١٩٤ .

غرناطة

فلا المساجد بالتوحيد عامرة
اذ عمروها بناقوس وتمثال

ولا المنابر للوعاظ بارزة
للأمر والنهى أو تذكير آجال(٣)

ولم تجف دموع الشعراء على غرناطة بعد أن مر على مأساتها أكثر من أربعة قرون ونصف : فان موضوعها ما زال الهاما روحيا لبعض شعراء الشرق والغرب . وما وفى شاعر أسبانى لمجد العرب وحضارتهم فى الأندلس كما فعل الشاعر المعاصر « فرنشيسكو فيلا سباسا » الذى رثى أيام العرب فى الأندلس بقصائد جميلة ، منها قصيدته « غرناطة » التى ترجمها من الأسبانية الى العربية الشاعر المهجرى المرحوم فوزى المعلوف صاحب ملحمة « على بساط الريح » المشهورة . ويناجى « فيلاسباسا » غرناطة ويستعيد أمجادها وذكريات قصر الحمراء فيها قائلا :

غرناطة ! أواه غرناطة
لم يبق شىء لك من صولتك !!

هل نهرك الجارى سوى أدمع
تجرى على مادال من دولتك ؟

والنسمة الغادية الرائحة
هل هى الا زفرة نائحة !

ما عدت فى النهر كسلطانة
جبهتها من مائه ساطعه

للقبة الحمراء فى تاجها
وهج ، وللمئذنة اللامعة

آه على أمجادك الضائعة !
شيعتها بالنظرة الدامعة !

مرت مرور النهر من جسره
وأورثتك النوح فى عزلتك

غرناطة ! أواه غرناطة
لم يبق شىء لك من صولتك !

ولا يتسع المجال هنا للاتيان بقصيدة « غرناطة » هذه على تمامها فان قصيدة أخرى لشاعر مهجرى تدعونا الى الاشارة اليها فى هذا المقام . وهذا الشاعر هو « أبو الفضل الوليد طعمة » الذى وقف شطرا من شعره الرصين على البكاء على حضارة العرب والمسلمين بالأندلس . ففى نونيته التى نشرت بجريدة الصفاء سنة ١٩٣٩ نراه يعرج على « الحمراء » بغرناطة قائلا :

أهكذا كانت الحمراء موحشة
اذ كنت ترقب أفواج المغنينا ؟

والبرود حفيف فوق مرمرها
وقد تضوع منها مسك دارينا

ثم لا يكتفى بهذا بل ينتقل فى قصيدة أخرى عنوانها « فى حمراء غرناطة » الى ماضى البلاد قائلا :

أمعاهد الحمراء هل تدرينا
ماذا لقيت من العدا ولقينا ؟

نزعوك منا بعد تكسير الظبا
فبتعس من فقدوك تفتخرينا

هذا جلالك عن جمالك مخبر
فلأنت رسم المجد من ماضينا ..

ونلتقى عند شاعر مهجرى آخر بقصيدة كاملة بعنوان (غرناطة) ، وهى للشاعر شفيق معلوف شقيق الشاعر فوزى المعلوف الذى ترجم قصيدة « فيلاسباسا » الى لغة العرب . وشفيق معلوف واحد من

---

(٣) أزهار الرياض للمقرى حـ ١ ص ١٠٤ .

بقية الكرام المتشبثين بالمجد العربى القديم . وقد صور فى آخر قصيدته انتثار عقد الدول والممالك العربيـة بالأندلس بلدا اثر بلد ، وقد وقفت غرناطة مروعة تسمع أنباء سـقوط أخواتها واحدة واحدة ... وتنتظر فى فزع وقلق مصيرها المحتوم ، بعد أن ضاع من كفها كل نبل ووتر ... فكانت آخر ما قاله المجد العربى على فمها وهو يحتضر ...

أراك غرنـــاطة مروعـــة
تنعى اليـــك المدائـــن الأخـــر
لآلـــىء ينفـــرطن واحـــدة
من بعد أخرى ، والعقد ينتثـر
حتـى اذا مـا وقفت خائــرة
وحـــدك لا نبلـة ولا وتــــر
هويت ، والمجد قبل مصرعـه
ودع قوما من حولـك اندحروا
ذلـك مجـد حضنتـه زمنـا
واغتاله فوق حضنك القدر ...
فكنت ــ غرنــاطة ــ على فمه
آخر ما قال وهـــو يحتضر ..

ولـم يفت الشـاعر « شـفيق معلوف » وهو يسـتعرض تاريـخ غرناطة المشرق ، أن يعرج قليلا على قصر الحمراء ، وأن يروى جنباتـه الباقية اليوم بدموعه الحمـر ، وأن يصف لنا أبوابه التى نقشت عليهـا آيات وسور قصار من القرآن الكريم وسقوفه المحلاة بكل مرفه من الفن ، وفسيفساءه الحالية بالوشى ، والتى يكاد البصر يشتف لونها . ويقرر أن هذه القطع الفنية لم تكن من خزف ولا مدر ، ولكنهـا قطع من قلـوب العرب هنـاك ، وكسر من بقايـا سيوفهم :

تالله قصر الحمراء لا بـرحت
ترويك منـا المدامـع الحمـر
أنت على الشرق عبـرة بقيـت
فى مقلـــة الغرب كلها عبـر
كـل فخـــار لديـك مدخـر
صنع الألى خلدوك واندثـروا
أبوابـك الزهر مـن فتوحهـم
خطت عليها الآيات والسور ...
حروف مجد فى روقـك اعتنقت
كأنهـــن الرمـــاح تشـتجر
من فنهـــم رفهـوك فى بـرد
بها تتيـه السـقوف والجـدر
فسيفسـاء بالـوشى حاليـة
يـكاد يشـــتف لونها البصر
لم يخلعوهـا عليك مـن خزف
كلا ، ولا شـاب أصلها مـدر
لكنهـا مـن قلوبهـم قطـع
ومـن بقايـا سـيوفهـم كسر

ولم يشأ الشاعر « عدنـان مردم بك » أن يترك موطن العبرة والعظة من أحداث غرناطة وانقسام العرب بها دون أن يخصها بقصيدة عنوانهـا (غرناطة) ، فاجتمعت بذلك قصيدتان فى الشـعر العربى الأصـيل بهذا العنوان الحبيب ، أولاهما للشاعـر شفيق معلوف ، وثانيتهما للشاعـر عدنـــان مردم بك . وان كانت قد سبقتهما قصيدة مترجمة الى لغـة العرب من شعر « فيلاسـباسا » ، وتعريب الشاعر فوزى المعلوف كمـا سلف القول . وما أصدق الشاعـر عدنان وهو يصور أحوال العـرب وانقسامهم يومئذ حين ضاع الفردوس الاسلامى من أيديهم فيقول :

أسـترفد الذكرى فتعـرض لى
صور تشيـب لهولها اللمـم
وتغص أجفـان بحرقتهـــا
من ذكريـات حشـوها السقم
من ذا ألـوم ، وما أقـول اذا
قسـط البنون وعقت الرحـم ؟

غرناطه

ان العـــداة بنوك حين مشـــوا
فى عاصف الأهواء وانقسموا ..

أحقادهـــم ما بينهـــم عصـــفت
بفـــوارب وكأنهـــــا حمم ..

يتقاتلـــون على الهوى شـــططا
وديارهم بيـــد الــــردى رمـــم

ولقد أشار الشاعر عدنان مردم بك الى الدموع التى ذرفها الســــلطان أبو عبـــد الله وهـــو يودع غرناطة ويودع معها ملكه الزائل ، كما أشار الى ما اتهم به من خيانة وتفريط على الرغم من رسالته البليغة المؤثرة التى يعتذر بها الى سلطان المغرب فى ذلك الحين حين لجأ الى حمــــاه . وهى الرسالة التى كتبها الوزيـــر الأديب محمد بن عبد الله العقيلى على لسان سلطان غرناطة . ويقول شـــاعرنا عدنان فى ذلك :

ان الخيانـــة ليس يغســـــلها
من خاطىء دمــــع ولا نـــــدم

هـــل رد دمـــع ســــال صبيه
ما ضيـــع الخـــذلان والهـــرم

دمع الهـــوان العـــار ليس له
مـــن راحـــم ، ويمجه الكـــرم

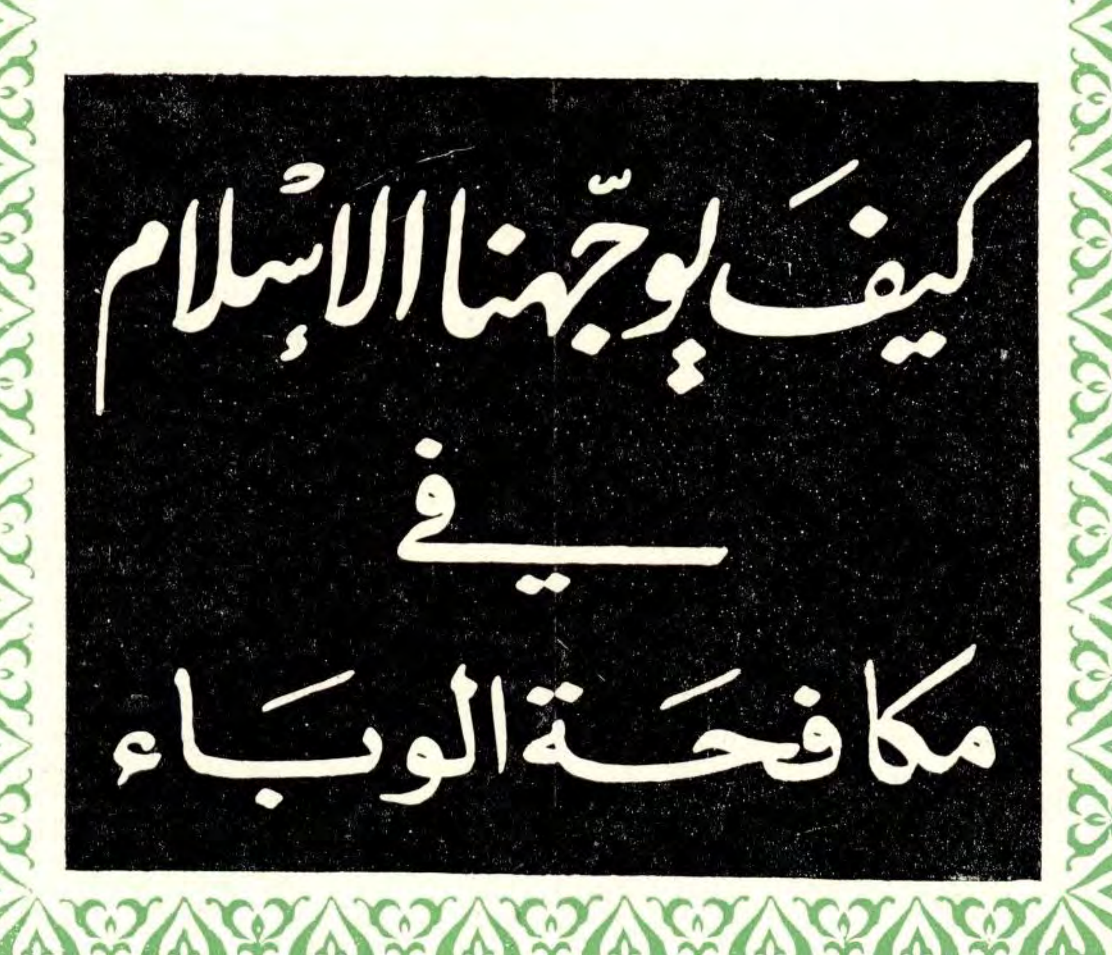
وقـــد أشـــار الى تلك الدمعـــة الغرناطية المشهورة الشـــاعر عبده بدوى ، حيث يقول من قصيدة طويلة لـــه فى ديوانـــه الجديد « لا مـــكان للقمر » :

انـــا ذرفنـــــا مثلهـــــا
والفجر فى ليـــل ســـجين
لمـــا غـــــدت غرنـــــاطة
مطروقـــة بالفـــــاتحيـــن
وامتـــــد حقـــد للهـــــلا
ل فمـــال بالضـــوء الحزين
ومشى الخليفة(٤) مطرقـــا
فى مـــوكب المســـتسلمين
ووراءه أم تقـــــــــــــو
ل بكل خوف الضـــــائعين
قـــد آن أن تبـــكى هنــــا
ملكا مضـــاعا منذ حين ...

---

(٤) لم يكن الســـلطان أبو عبـــد الله آخر ملوك غرناطة خليفة كما توهم الشـــاعر .. فقد زالت الخلافة من الاندلس قبل هذا بزمان طويل .. بل كان سلطانا .





للدكتور : وجيه زين العابدين

لم يغفل الاسلام أى أمر مهما كان صغيرا ينفعنا فى أمور دنيانا وديننا الا وأشار اليه أو وضع له أساسا أو فصله تفصيلا فى مصدرى التشريع كتاب الله وسنة رسوله الكريم ... ومن ذلك ما ورد من توجيه لطيف لدرء المرض والوباء .. وقبل أن أبين الخطة الحكيمة فى الجهاد ضد أى خطر يهدد الأمة لا بد لى من ذكر القواعد العامة التى ربى الدين الاسلامى الناس بموجبها فجعلهم وكأنهم قد تحصنوا ضد المرض .

فهذا المسلم الذى يتوضأ خمس مرات ويغتسل اذا صار جنبا ولا يأكل الا وقد أمر أن يغسل يديه قبل الطعام وأن يتحرى الطعام النظيف والطيب .. وهو الذى أوجب عليه دينه أن يلبس الملابس النظيفة . ونفسه ملزم أن يكون مسكنه نظيفا وقد أمر أن يجمع الفضلات والأوساخ فى أوان مغلقة (١) .. ان المسلم نظيف ، بل النظافة عنده عقيدة فهى من الايمان لا تطبعا تقتضيه ظروف الحياة ... والنظافة درع حصين يحفظ للانسان صحته ويمنع عنه الأمراض والوباء .

---

(١) كل ما ذكرت ورد فيه آيات كثيرة وأحاديث وعلى سبيل المثال أذكر قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخارى ومسلم عن جابر ابن عبد الله (اطفئوا المصابيح بالليل اذا رقدتم واغلقوا الابواب واوكئوا الاسقية وخمروا الطعام والشراب) أى استروه بغطاء .

هذا المسلم الذى يعتمد فى طعامه وشرابه على القاعدة التى ذكرهـا الله فى كتابه العزيز (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) (٢) وانه ليجتهد وانـه لمطلوب منه أن يتحرى الطعام الصحى الطيب فلا يدخل فى جوفـه الخبيث والمحرم متبعا قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنـوا كلـوا مـن طيبـات ما رزقناكم) (٣) .

انه يدفع عنه أمراضا كثيرة لا فى المعـدة والامعاء فحسب ، بل من أمراض القلب والكبد والدم ... ان المسلم ودينه دين الفطرة قلما يمرض ان اتبع قوانين الله وسننه فى هـذه الفطرة ..

فاذا جاء الوباء :

اذا كان الوباء المرضى فى جارك وهو قريب من بابك فماذا أنت فاعل ؟ عندنا قاعدة عامة من الله تبـارك وتعالى (وخذوا حذركم) (٤) . فما هو العمل ؟ أرى أن يبدأ المسؤولون بتذكير النـاس بتعاليم الاسلام فى النظافة والطعام واللباس مما ذكرته مختصرا ..

وعلى المسئولين وعلى كل مسلم بقدر استطاعته أن يتحرى ويسـأل الخبراء ما يجب عليه اتخاذه **للتخلص والوقاية من المرض** مثل اللقـاح أو تعقيم الأطعمة أو غلى الماء مثلا .. قال تعالى (فاسأل به خبيرا)(٥) وانه لفرض دينى على المسلم أن ينفذ تعاليم هؤلاء الخبراء لأنه فرد فى مجتمعه .. واهماله تنفيذ ذلك قد يعرض الآخرين للمرض أو أى أذى . والقاعدة التى وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) (٦) .

الوباء فى جارك فلا تدخل أنت بيته أو بلدته الا لضرورة قصوى ، وبعد أن تتحصن ضد المرض بقدر الامكان حسبما يقرره الخبراء ، فقد أخرج البخارى أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال (اذا حل الوباء بأرض فلا تدخلوا فيها) . فابتعد اذن عن موطن الخطر طاعة لكلام سيد المرسلين ، فان قيل لك أتفر من قدر الله ؟ فقل كما أجاب عمر رضى الله عنه (أفر من قدر الله الى قدر الله) ..

لا تستقبل أحـدا من المصـابين بالوبـاء فى بيتك وبلدتك الا بعد أن تتأكد أنه قد تحصن ضد المرض حسب قول الخبراء كتزويده بشهادة اللقاح مثلا ، واقبل من كانت له حاجة ماسة فى بلدك ويصيبه الضرر البالغ ان تأخر ، فمن كان يستطيع أن يبقى فى بلده فليبق ، ولا تمنحه اجازة أو سمة الدخول لبلدك ..

وهكذا علمنا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وهو القائل (لا يوردن ممرض على مصـح) أخرجـه ذلك البخارى ومسلم ... ولك بعد ذلك أن تزيد من الاطمئنـان بأن تحجز القادم اليك مدة كافية هى ما يسميها الطب مدة الحضانة للمرض ، فتعلم ان كان حاملا للمرض حينما يظهر عليه شىء من الأعراض والعلامات .

فاذا صار الوباء فى بلدك ؟

فاتخذ جميع الوسائل ولا تدع أحدا من بلدك يخرج منها خائفا مذعورا وفرارا من المرض فانه ينشر الذعر فى البلد الذى يدخل فيه ، فيسبب ضررا لبلده ولبلدك ، اذ قد يتخذ جارك قرارات ظالمة تؤذيك .. ففى الحديث الشريف الذى ذكرته عن حلول الوباء قال النبى صلى الله عليه وسلم (ولا تخرجوا منها فرارا منه) (٧) وهـذا يعنى جواز خروج الناس من المنطقة

---

(٢) سورة الاعراف .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة النساء .
(٥) سورة الاسراء .
(٦) أخرجه ابن ماجة .
(٧) متفق عليـه .

الموبوءة فى المرض فى حالات الضرورة وبعد التأكد من سلامتهم من الأمراض .. وهذه النقطة النفسية وهى الخوف قد عالجها الاسلام بحكمته ولا نجد لها تطبيقا عمليا حتى فى أرقى الأمم .. كما أن الدين الاسلامى اهتم بكل الأحوال النفسية التى تلازم الناس أثناء وجود المرض الوبائى ، وعالجها بطريقة علمية ، هى غاية ما توصل اليه العلم ، بل انها لأفضل بكثير مما يقدمه العلم الحديث فى مثل هذه الظروف . مثال ذلك أن كثيرا من الناس يصاب بالقىء والاسهال فى حالة وجود وباء الهيضة ، وهو عرض نفسى وليس المرض نفسه .. والاسلام عالج مثل هذه الحالات بعقيدة التوكل ، وهى أن يأخذ الانسان بالأسباب ويترك الامر لله ، فعقيدة المسلم أن العدوى والاصابة تكون من عند الله ، وليس فى قدرة أحد من البشر أن يعدى أحدا الا باذن الله وبارادته ، فقد جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له اننا نترك البعير الأجرب مع السليم فيعديه فقال النبى صلى الله عليه وسلم (فمن أعدى الأول ؟) (٨) هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم ليرفع الطاقة المعنوية عند الانسان ، فيزيل الخوف عنه ، ويكون فى راحة تامة ، وقد استسلم لله تبارك وتعالى بعد أن قام بواجب الحذر ... وفى الغالب لا يصاب الا الخائف الجزع .. ولا بد من الاشارة الى أن هذا الحديث الشريف لا يعنى جواز وجود المريض بجانب السليم وعدم حجزه عنه ، اذ قد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك كما ذكرت فى الحديث (ولا يورد ممرض على مصح) .. فان الحديث يعنى أن

(٨) أخرجه البخارى .

مبدأ كل شىء بارادة الله ، وان العدوى باذن الله وليست أمرا حتميا لذاتها .

وقد عالج الاسلام من ناحية أخرى هذا الخوف الذى قد يضعف مقاومة الجسم فيعرضه للاصابة بالمرض .. قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ولا غول)(٩) اذ ينفى النبى صلى الله عليه وسلم جنس العدوى أى الجانب المادى من العدوى لاقترانها بكلمات الهامة والغول وهى من الأوهام التى لا حقيقة مادية لها .. فلو كانت للعدوى حقيقة مادية ثابتة لكانت نتيجة العدوى الصناعية للناس أو للحيوانات بجراثيم يطعمونها أو يدخلها الطبيب فى أجسامهم ... كانت النتيجة اصابة ٩٠٪ أو على الأقل ٨٠٪ ان لم نقل يجب أن تكون الاصابة ١٠٠٪ بينما أثبتت التجارب الطبية أن العدوى فى مثل هذه الحالات التجريبية لا تتجاوز ٥٪ وأحيانا الى ١٠٪(١٠) هكذا كانت حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينفى العدوى وان هو الا وحى يوحى . فيرفع معنوية الناس ويكسبهم الطمأنينة ... ولكنه عليه الصلاة والسلام تدارك الأمر بالنسبة لأولئك الذين يهملون الأخذ بالسنن متذرعين بعدم وجود العدوى حسب فهمهم .. قال لهؤلاء مكملا نفس الحديث (وفر من المجذوم فرارك من

(٩) أخرجه البخارى .

(١٠) أعطى لمائة قرد من القرود العالمية جراثيم كثيرة من الكوليرا فلم يصب غير خمسة قرود (سمعته من كلام لمحاضر من خبراء منظمة الصحة العالمية فى بغداد) .. وكذلك أطعم ألف طفل فى أمريكا جراثيم اليرقان (الفيروس) فلم يصب الا (٥٦) طفلا (من محاضرة لاستاذ أمريكى زائر لجامعة لندن سنة ١٩٥٧ سمعتها أيضا بنفسى) .

الأسد) .. أى ابتعد عن كل مرض معد ، واتخذ أسباب الوقـــاية .. وهكذا ينفى النبى صلى الله عليــه وسلم العدوى من الناحية المــادية لصغر النسبة المئوية ، وبذلك يرفع مقاومة الانسان للمرض .

وشىء آخر عالج به الاسلام الوباء أو أى عذاب وذلك بالتوجه الى الله والتوبة والاستغفار وعبادة الله حقا مخلصين له الدين ففى القرآن الكريم والسنة المطهرة من الآيات والأحاديث ما لا يدخل تحت حصر . أذكر منهاعلى سبيل المثال قوله تعالى على لسان هود (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى)(١١) وقال تعالى (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم) (١٢) .. وقد تعهد الله تبارك وتعالى ، ومن أوفى بعهده من الله ، ان لا يعذب الناس وهم يستغفرونه ويتوبون اليه قال عز وجل (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) .

ووعــد عز وجل أن ينجى الذين يفرون اليــه ويخلصــون له الدين ووعدهم بالنجاة فرادى وجماعات .. قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا

(١١) سورة هود .

(١٢) سورة هود .

يفسقون) (١٣) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يرد القضاء الا الدعاء ولايزيد العمر الا البر)(١٤) وقد علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا من هذه الأدعية عند الكرب منها دعاء النبى يونس عليه السلام (لا اله الا أنت سبحـــانك أنــى كنت مـــن الظالمين)(١٥) ومنها قوله عليه السلام (يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث)(١٦)

هذه القوة المعنوية ، التوجه الى الله والدعاء ـ عزز بها الاسلام القوة المادية العلمية وقد حرم منها الغرب الذى لا يؤمن الا بالمادة وبالعلم وحده .. فأى أمة تدعى الاسلام وتقتفى أثر العلم فقط هى ناقصة فى اسلامها بل هى مستغربة(١٧) . اذ يجب عليها أن تتوجه الى الله وتأمر بالصلوات والدعاء ـ وتفر الى البارى عز وجل وتترك ضلالاتها .. تقوم بذلك حكومة وشعبا وتجعل اذاعــاتها وصحفهـــا وجميع وسائل النشر الحديثة لخدمة هذا الغرض ، وتترك فجورها ولهوها .. فان فعلت ذلك بكل اخـــلاص وايمان كتب الله لها النجاة من كل عـــدو ووبـــاء وان استرسلت فى فجورها وشهواتها فانى يصرف الله عنها عذابه ؟..

(١٣) سورة الاعراف .

(١٤) أخرجه الترمذى والحاكم .

(١٥) سورة الانبياء .

(١٦) الاذكار للنووى .

(١٧) هذه الكلمة من وضع الشيخ محمـــد البشير الابراهيمى رحمه الله لمن يقلد الغرب .





التربية والقيم الروحية

دكتور محمد محمود الدش
وزارة التربية ــ الكويت

« ان خمود جذوة المثل العليا برهان محزن على فشل المرامى الانسانية ، ففى المدارس القديمة كان الفلاسفة يطمحون الى نشر الحكمة ، أما فى كلياتنا الحديثة فقد أصبحت غاياتنا المتواضعة تلقين المواد وتعليمها . وهذا السقوط من مستوى الحكمة الالهية ، التى كانت غاية الأقدمين ، الى مستوى الكتب المدرسية التى تعلم المواد المختلفة ، هذا التعليم الذى نجح فيه المحدثون ، يدل على فشل تربوى واسفاف توالت به العصور » .

هذه العبارة التى يؤكد فيها ، العالم التربوى المعروف الفرد نورث هوايتهد فى مرارة وأسى ، أن التربية وصلت منذ سنين الى حد الفشل والاسفاف ، تعكس فى صدق ما تعانيه هذه التربية من افلاس فى الطريقة والمنهج اللذين يقودان الى الهدف الطبيعى ، أو الهدف الحقيقى للتربية ، من حيث هى تستشرف اعداد الفرد للحياة بشقيها المادى والمعنوى ، وذلك حين اعتمدت على التعليم الذى يمكن أن نسميه فى بساطة « التلقين » ، وبذلك تكون ابتعدت كل البعد عن غاية « التربية » وطريقها ، حتى فى الشق المادى ، بله الشق الروحى .

والذين أرخوا للتربية فى أقدم عصورها ، لاحظوا أن هذه التربية رغم بساطتها ، أو قل بدائيتها ، كانت مسايرة لطبيعة الانسان ، بحيث كانت تربية حيوية ، تلائم حياة هذا الانسان ماديا وروحيا ، وتعنى بالجانبين معا دون تخطيط أو تنسيق أو ما شاكل ذلك من أساليب العصر الحديث .. فقد كان هناك المعلمون الذين يقومون على تنشئة الأبناء وتعليمهم ضروبا مختلفة من شئون المعاش الضرورية ، وكان هؤلاء المعلمون من الذين مهروا فى هذه الشئون من صيد وقطف ورمى وتسلق وعوم وصنع أدوات وانشاء بيوت وغير ذلك مما تفرضه طبيعة الحياة آنذاك . بيد أن التعليم لم يكن قاصرا فى تلك العهود البدائية على هذه النواحى من نشاط الانسان ، وانما كان يتناول الجانب الروحى كذلك ، على أساس من الفهم الذى كان يسيطر على مدارك الانسان وأحاسيسه الفطرية التى كانت تشعر بأن لكل كائن مهما كان حظه من الحياة أو عدم الحياة ارتباطا

بقوة أخرى غير منظورة ، وفى نفس الوقت هى قوة غير مادية ، توجه ذلك الكائن وتسيطر عليه ، وتفسر كثيرا من مظاهر الحياة البشرية فى الخير والشر والرؤى والأحلام ، ومظاهر الطبيعة الكونية المعروفة كذلك .

وربط الكائنات والقوى المادية بقوى أخرى غيبية ، هى من تلك بمثابة النظير أو المثيل أو المشابه Double من وجهة نظر الانسان القديم ، احساس فطرى بالعلاقة القوية بين المادة والروح ، وتفسير طبعى مصدره شعور قوى ، مهما كان بدائيا، للحياة بشقيها اللذين لا ينفصمان ، المادى والمعنوى ، مهما غاب عن الانسان فى عصور لاحقة مثل هذا التفسير ، امعانا فى المادة ، وانغماسا فى ملاذ الحياة الفارغة الوقتية ، ولم يعز على الانسان فى تلك الأزمة القديمة أن يجد المربى أو المعلم الروحى ، الذى يغذى هذا الجانب فيه ، مهما كان اسمه : ساحرا أو كاهنا أو مطببا ، يقوم بتفسير قوى الطبيعة ومظاهر الحياة الانسانية تفسيرا يرضى الجانب الروحى البدائى آنذاك ، ويقدم للأفراد غذاء غير مادى من المعرفة النظرية التى تربط بين قوى غيبية وبين الحياة المادية وظواهرها من رعد وبرق ومطر ، ومن زلازل وبراكين ومن حوادث تصيب الانسان أو موت أو مرض أو أذى يلم به ، على أساس فكرة النظير أو المثيل أو المشابه التى كانت نظرية أو عقيدة يؤمن بها ويفسر فى ضوئها كل ما يعن له من أمور حياته وظواهر عالمه .

وجد اذن المعلم الروحى ، ووجدت معه التربية الروحية بطبيعة الحال ، منذ أقدم الأزمنة لوجود الانسان ، ولوجود التعليم الذى يعتمد على تناقل الخبرات ، العملية والنظرية ، عن طريق التقليد والتلقين وذلك بحكم الضرورة الملحة على هذا الانسان وعلى حاجته النفسية والحيوية الى معرفة ضروب من النشاط العملى الذى يلائم حياته وضروب من التفسيرات الروحية التى تقود هذا النشاط وتغذى فى نفس الوقت شقه المعنوى وترضى رغباته أو حاجاته الروحية التى تصيح فى أعماقه دائما وتلح فى الدعاء . وليس يعنينا كثيرا صدق هذه التفسيرات أو النظريات الروحية ، بقدر ما يعيننا أن نؤكد أن توفير الحاجات المادية للانسان ليس بكاف فى كثير أو قليل أن يسد حاجاته الحقيقية فى الحياة أو يرضى نزوعه الطبيعى أو يشفى غليل اشتياقه الفطرى الى المعرفة والى تفسير مقنع — يناسب مداركه وتطوره العقلى لشئون حياة المغيب فيها أكثر من المشهود . . أو بقدر ما نريد أن ندل على أن الانسان القديم ، حين لم ينغمس فى ماديات الحياة ، ولم يسرف فيها بحيث تغطى على كل مشاعره وأحاسيسه ، أدرك أن الجانب الروحى من المعرفة أو فيما نسميه تجوزا فى ذلك الطور بالتربية — هو الجانب الأهم الذى يخدم حياة الانسان ، وليس يدهشنا بعد ذلك أن نجد المعلم الروحى ، كاهنا أو ساحرا أو طبيبا أو أبا للأسرة ، يسيطر على التربية ، بل يسيطر على المجتمع ، وهو القبيلة حينذاك ، باعتباره مصدرا مهما ، أو المصدر الأهم لتعليم الناس ، والناشئة بصفة خاصة ، وتفسير شئونهم المعنوية ، وتغذية فطرتهم الروحية وتلقينهم المعرفة النظرية ، وضروبا شتى من المعرفة العملية .

كانت الغلبة للجانب الروحى كما كانت لها القيادة والتوجيه على الجانب المادى فى الحياة . وفى زعمنا أن ذلك لم يكن تخلفا أو همجية كما يحلو للبعض أن يسميه ، وانما كان فطرة سليمة وطبعا صحيحا من انسان يرى أن عالم الروح أوسع وأرحب ، وأعمق ، وأدق ، وأرهب من هذا العالم الظاهر الملموس المحسوس . وهكذا تمثل عالم الروح للانسان فى كل أعماله ، صغيرها وكبيرها ،

فهو لا يذهب الى صيد ولا يمضى الى حرب ، ولا ينشىء مسكنا ، ولا يعد طعاما ، ولا يتخذ لباسا ، بل هو لا يرقص ولا يغنى ولا يقيم الاحتفالات ولا يقدم القرابين ، الا بتوجيه روحى تقوده تلك الفكرة الملحة الغامضة عن قوة عالم الأرواح وسلطانه والرغبة الطبيعية المنطلقة لارضاء هذا العالم وعدم اغضاب تلك القوة .

ومع تزايد احساس « المعلمين » بقوتهم ، الناجمة عن اعتقاد الناس الشديد فى الجانب الروحى ، وسيطرة هذا الجانب على جميع شئون حياتهم ، أصبحت هناك طبقة خاصة من « رجال التربية » وبدأ ينفذ الى المجتمع ما يمكن أن نسميه بلغتنا الحديثة ضرب من الاحتكار التربوى ، حين عمد هؤلاء الى تقوية كيانهم الخاص ، واحتكار صنوف من المعرفة والتفسيرات الروحية التى يتداولونها فيما بينهم ، ولا يقدمون منها للعامة ، أو طلاب المعرفة ، الا بمقدار ما يرضى رغباتهم أو يصور لهم هذا الرضا ، والا بمقدار ما يمكن لهذا الاحتكار التربوى من فرض السلطة والهيمنة وتقوية حاجة العامة اليه . ولذلك نشأت لهم ، فى تلك العهود السحيقة ، مدارس خاصة ، يرى مؤرخو التربية أن كلا منها «كانت مدرسة بكل ما تتحمل معانى هذه الكلمة فى العصور الحديثة» من وجود الطلاب والمعلمين والأنظمة واللوائح والتعاليم أو الطقوس أو ما نسميه فى أيامنا هذه بالمناهج .

ومنذ ذلك الحين بدأت التربية تأخذ شكلا جديدا ، اذ انتقلت من طورها البدائى الى طور أكثر تقدما من حيث الرسم والتنظيم ، هو طور التحضر الذى أخذ ينمو ويزدهر بين الشعوب الحضارية العريقة ، على ضفاف النيل ، والرافدين ، حيث حدث فى تاريخ التربية أكبر انقلابين أو أهم ثورتين فى هذا التاريخ الطويل بلا مراء ، ونعنى بهما على الفور : الكتابة ، والتوحيد .

وقبل أن نوغل فى الحديث عن التربية فى طورها الحضارى المذكور ، نحب أن نسجل دهشتنا من موقف التربية الحديثة ومناهجها وغاياتها ، حينما يستعرض علماؤها والمؤرخون تاريخها الطويل ويقفون على كثير من التفصيلات التى تؤكد اهتمامها بالانسان ورعايتها لحاجاته المختلفة فى الحياة ، من مادية وروحية ، حتى قبل أن يصل الى طور التحضر ــ ثم تقف التربية اليوم بين أيديهم حائرة ، لا تدرى كيف تسير فى طريق التطبيق والتحقيق ، الذى يؤدى الى الحياة السليمة القويمة ، بما يرفع قدر هذه الحياة ، ويعطى الانسان قيمته فيها .. وذلك على الرغم من كثرة النظريات التى دخلت الى حقل التربية من أوسع الأبواب ، منذ جان جاك روسو ، وبستالوتزى ، وفروبل ، وهربارت ، حتى اليوم ، وكلها تزعم أن التربية وصلت الى مراحل متقدمة متطورة من التفكير ومن التجريب .

ان النظريات الحديثة لا تغفل بحال الجانب المعنوى فى الانسان ، حين تؤكد ضرورة رعاية الأخلاق وتربية السلوك الخلقى ، على الصعيدين الفردى والجماعى ، ولكنها لا ترسم السبل الصحيحة ، أو الموفقة ، الى تطبيق هذه الغاية وتحقيقها ، وليس من شك فى أن كثرة هذه النظريات من جهة ، يوقع الآباء والمربين فى حيرة بالغة ، بل فى متاهات مضللة ، يضربون فيها على غير هدى ، بما يعجزهم عن الوقوف على أول الطريق السليم الذى ينبغى عليهم أن يسلكوه مع أبنائهم وبناتهم ، محصلة الأجيال الصاعدة ، والجماهير القادمة ، والقيادات النامية .

أما من الجهة الأخرى ، فان كثيرا من هذه النظريات ، يكون بالغ الدقة والاحكام من حيث الصياغة النظرية ، والتخطيط العقلى ، ولكنه يفشل فشلا

بقية على ص ٦٠

القصيدة الزمزمية



بعد أن طفت طواف الوداع اثر صلاة العشاء من يوم الاثنين ١٢ ذى الحجة سنة ١٣٨٧ ، تذكرت مصيبة (المسجد الاقصى) واحتلال الصهاينة له ، فألهمنى الله سبحانه وتعـالى نظم هاته المناجاة ، والتوسل بأسماء الله الحسنى داعيا الله جلت قدرته أن يرفع الضيم عن المسلمين ، وأن يعيد المسجد الأقصى الى أهله ، ولم أنم حتى أتممت نظم القصيدة وسميتها (الزمزمية) مؤملا أن يستجيب الله دعاء من دعا بها فى أى غرض خاص أو عام نظرا للمكان الذى نظمت به ، ولا سيما انها تشتمل على جميع أسماء الله الحسنى التى أمر الله أن ندعوه بها حيث قال « ولله الأسـماء الحسنى فادعوه بها » ، وكما أن ماء زمزم لما شرب له ، أرجو من الله أن تكون (الزمزمية) بفضل الله وتوفيقه لما قرئت له سواء كان الغرض خاصا أو عاما ، وما ذلك على الله بعزيز انه محسن ووهاب ومجيب .

إليــك إلهــى قــد أتيت ملبيــا ... فبــارك إلهــى حجتى ودعائيــا
قصدتك مضطراً وجئتك باكيــا ... وحــاشاك ربى أن ترد بكائيــا
إذا عطشت روحى فأنت شرابها ... وإن مرضت نفسى فأنت دوائيــا
كفــانى فخــراً أننى لك عــابد ... فيا فرحتى ان صرت عبداً مواليــا
إلهى . فــأنت الله لا شىء مثــله ... فأفعــم فؤادى حكمــة ومعانيــا
وهبت ولم تسأل ، وجدت ولم تزل ... جواداً كريمــاً منعمــاً ومواسيا
أتيت بلا زاد ، وجــودك مطمعى ... وما خاب من يهفو لجودك ساعيا
إليــك إلهــى قد حضرت مؤمــلا ... خلاص فؤادى من ذنوبى وما بيا
فقد سئمت روحى بريق حيــاتها ... وملت من الدنيــا جديداً وباليــا
إلهى . فلن أرجو سواك لمحنتى ... تدارك إلهــى محنتى وشقائيــا
ســألتك بالأســماء طراً وحقها ... سألتك بالأعداد جهراً وخافيــا
بأسمائك الحسنى وحق صفائها ... تقبل أيا ربى جميــل دعائيــا
فيــا مالك الملك العظيم وخــالقى ... تكرم على الاسلام بالنصر آتيــا
وأصلح أمور المســلمين وجمعهم ... وصيرهم قلبــاً محبــاً وواعيــا
وطهر بلاد القــدس من كل معتد ... وصير منار الحق فى الأفق عاليا
وأنقذ مغانى القدس من كل فاجر ... وخرب عليهــم ملجــأ وصياصيا
وألق سلاح الرعب فى قلب ظالم ... يخرب أبياتــاً ، ويخضع جاثيــا
جنــــودك يــا الله سر مغيب ... فأرسل عليهم (صيحة) وغواشيا
ومــا الذر والنبــال إلا مظــاهر ... إذا جاء نصر الله صارت أثافيــا
فهيمن عليهم يــا مهيمن واجعلن ... ديــارهم قاعــاً يبــاباً خواليــا

(كنا قد نشرنا بضعة أبيات من هذه القصيدة الممتازة فى عدد سابق . واليوم يسرنا أن ننشرها كلها بعد أن وصلتنا من سعادة السفير الأديب) .

الوعى الاسلامى

للاستاذ : أحمد بن سوده

سفير المغرب فى لبنان

دعوتك رحمانـاً رحيماً وبـارئا ... رجوتك قدوساً ، دعوتك هاديـا
واشكر وهـاباً على كل نعمـة ... رؤوفاً ، حليماً للمواهب مبديـا
تباركت من بر ، عزيز ، مصـور ... عظيم ، مجيب لا يرد الدعاويـا
تـدارك إلهـى بـالهداية أمـة ... وكن عونها عدلا ، قويا ، وباقيا
ويا مالك ، حق ، مجيد ، وواحد ... كفى بك جبـاراً تصد العواديـا
وأنت بصير ، خـالق ، ومهيمن ... عليـم ، وقهار لمن كان طاغيـا
غفور ، ورزاق ، شكور ، وواسع ... فاعظم به حياً حفيظـاً وواليـا
سلام ، وفتـاح ، معز ، ورافع ... جليل ، كريم ، لا يخيب راجيـا
فيـا مؤمن ، أمن مخـاوف أمة ... أتت ترتجى الغفار صفحاً إلهيـا
فـإنك تـواب ، لطيف بخـلقه ... إذا بلغ الخطب الشديد التراقيـا
سميع ، خبير ، باسط ، ومقـدم ... له الحمد فى الأولى له الحمد ثانيا
وأنت على ، يـا كبير ، وماجد ... ولى ، وقيـوم تخفف مـا بيـا
حكيم ، ودود ، باعث ، ومؤخر ... وكيـل ، متين ، لا يمهل نابيـا
دعـوتك يـا محيى لتنعش أمتى ... معيـد تعيـد الدين أبلج زاهيـا
مقيت أقت قومى ربيـع قلوبهـم ... ومقتـدر هيىء طبيبـا مداويا
قصدتك يـا الله فارحم شكايتى ... وهيىء لدين الله أسدا ضـواريا
حسيب ، رقيب ، مقسط فى عطائه ... حميد ، شهيد ، ظاهر فى خفائيا
ويا واجد ، محصن ، غنى ، وقادر ... ويـا صمد ، مغن يقيت المواشيا
ويـا أول يسمو ولا شىء قبـله ... ويـا آخر يبقى ويفنى الفوانيـا
ويـا جامع ، نور ، بديع ونافع ... تجل على الاسلام بالنصر باديـا
وأنت مميت ، يا صبور ، ومانع ... أمت كل خوان عـدواً مرائيـا
ويـا متعـال ، بـاطن ، متكبر ... مذل جميـع الظـالمين تجليـا
ويـا قابض اقبض مدادك عنهم ... ويـا خافض اخفض عدواً مناويا
ومنتقم ، ضار ، رشيد ، ووارث ... أذقهـم إلهـى نقمـة ودواهيـا
ويـا حكم عـدل قوى فى حكمه ... تقبـل إلهـى حجتى ودعائيـا
وأنت عفو لا تهمك سـيرتى ... وتصفح عن ذنبى وكل مسـاويا
وأنتعفو ذو الاجلالترفع من تشاء ... وأنك ذو الاكرام أجزل عطائيـا
وصل على خير الهـداة محمـد ... نبى الهدى من جـاء لله داعيـا
وسلم على الآل الكرام وصـحبه ... متى حن مشتاق فجـاء ملبيـا

إلى بيت الله الحرام

أحن اليك من بعد — واذكر سالف العهد
وان أبطأت عن حج — فما أبطأت عن عمد
ولكن حاجة عرضت — فأنأتنى بلا قصد
ولى آى أرتلها — دليل الشوق والوجد
الى بيت حماه الله طول الدهر من كيد
حماه الله قبلته — بها يهدى الى الرشد
واعلى من دعائمه — علامة جنة الخلد
وكم غاز له باغ — بغير الله معتد
ورد الله غزوته — بخزى أيما رد
كأبرهة وأتباع — له من أخطر الجند
أتوا فى جمعهم كيدا — ورد الله بالكيد
وأهلك كل جبار — على الكفران والجحد

اليك أحن من وجد — وأحيا منك فى سهد
وبى شوق الى حرم — يهش لأعظم الحشد
ألوف قد أتت لله من قرب ومن بعد

للاستاذ : أحمد أبو المجد عيسى

رأت ارضاء بارئها　　طواف البيت ذى المجد

تجرد جمعها الا　　من الشكران والحمد

وتلقى مسلمى الدنيا　　قد اجتمعوا بلا حقد

يؤلف بينهم وطن　　حمى الاسلام فى المهد

يؤلف بينهم حب　　كمن جاءوا على وعد

وتجمعهم على التقوى　　رحاب الخالق الفرد

اذا ما أتهموا لبوا　　وان ساروا على نجد

وذكر الله يرفعهم　　منازل فى ربا الخلد

وأنتم مسلمى الدنيا　　من الشام أو الهند

ومن مصر ومن يمن　　من السودان أو نجد

قصدتم كعبة الدنيا　　الى الرحمن فى وفد

يوحد بينكم دين　　يحقق عزة العبد

به انتصرت جنود الله نصرا ليس ذا حد

وكانوا سادة الدنيا　　وأهل الحل والعقد

لكم فى الوقفة الكبرى　　عظات علها تجدى

(بقية التربية والقيم الروحية)

ذريعا حين يعمد الى التنفيذ والتطبيق ، وتكون الخسارة حينئذ فادحة باهظة لأن النتائج الحقيقية للتطبيق التربوى لا تشرق فى صورتها الواضحة الصحيحة الا بعد مضى جيل أو جيلين من الناشئة الذين يكونون حطب التجارب المريرة المؤسفة ووقودها وقد لا يجدى بعد ذلك نفير التحذير ولا تنفع جهود التطبيب والتخدير .

والذين يتلفتون من حولنا فى العالم طولا وعرضا ، يتبينون فى وضوح وجلاء ثمار الأخطاء ونتائج الفشل الذى وقعت فيه نظريات التربية ، بحيث أصبح من العسير الآن تدارك معظم هذه النتائج أو تلافيها ، بل أصبح من العسير مواجهة الأجيال الحائرة أو الضائعة ، التى وقعت فى أتون التطبيق الخاطىء لتلك النظريات ، بحيث تظهر التربية فى صورة العجز الفاضح عن العودة الى النقطة التى بدأت منها التجربة أو الاهتداء الى نقطة غيرها تقف على أول الطريق.

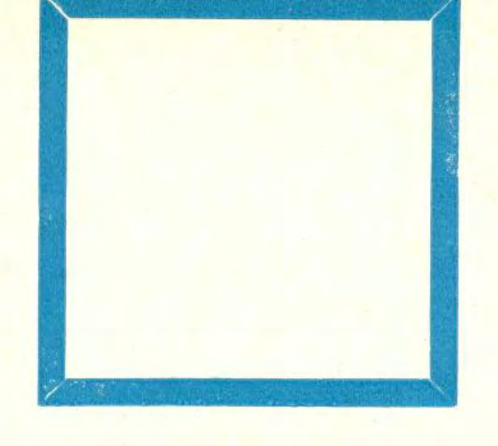
على أن الذى يهمنا الى أبعد الحدود ، وهو الجانب الثالث من الصورة ، أن هذه النظريات فى مجملها ، أو فى حصيلتها العامة ، من وجهة نظرنا ، انما هى أشكال بديعة وأطر جميلة ، لها لمعان وبريق ، تخلب الناظر ، وتبهر بصره ، ولكنها من حيث المضمون والجوهر لا تروى صدى الفكر ولا تشفى غليل القلب ، حين نتطلع اليها بعين الفحص ، ونرقبها بضمير الاختبار .

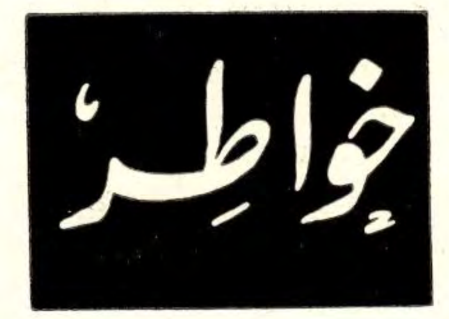
وليس هذا الرفض لحصيلة هذه النظريات من حيث المضمون قائما على الهوى أو نابعا من مطلق الانكار أو الجحود ، ففيها الكثير مما يمكن أن ينتفع به ويعاون على كشف السمت الصحيح ، ولكن الرفض حين يقوم على أساس من التقدير الطبيعى والتقويم التاريخى لا يسلم الى خلط أو الى خطأ فى الحساب . ولقد دلتنا الطبيعة دائما ، كما دلت جمهور البيولوجيين والانثروبولوجيين ، على أن الأفكار والكائنات المتغيرة لا تصح ولا تستقيم ، ثم لا تنمو ولا تؤتى ثمارا ، الا حيث يمكن كفالة المناخ الصالح لبقائها والتربة المناسبة لتغذيتها وتنميتها .

أما التقويم التاريخى للمضمون التربوى الحقيقى ، فانه يسلمنا بعد البحث والاستقصاء ، فى المنابع الحضارية العريقة ، والعروق الجذرية العميقة ، الممتدة فى أغوار هذه التربة وتاريخها السحيق الى أن النظريات التربوية المستوردة تعاكس طبيعة هذه الأمة مهما بذل من جهود فى محاولة استنباتها أو اقامتها على دعائم صناعية توهم بوقوفها أو ثباتها ، وقد ثبت لنا مما لا يدع مجالا للشك ، فى التجربة العربية الأخيرة المريرة ، أنها لم تقدر على الصمود أمام أول لطمة اعصار فكاد يجتثها من القرار ، لولا عوامل الثبات الفكرية والعقدية والحضارية التى تعيش على هذه الأرض ، وسوف تعيش عليها ما بقى فوقها انسانها .

ان صورة التربية واطارها فوق هذه الأرض يحتاجان الى تغيير ، كل التغيير ، بما يناسب مضمونها الروحى ، الذى كان منذ أقدم العصور ، وسوف يظل فى مقبل الأجيال مضمون حضارتها ، ومضمون قيمها .

واذا كانت الأصوات هناك تعلو بالاستنكار والتحذير ، يوما بعد يوم مؤكدة فشل النظريات التربوية ، فى مضمونها وفى تطبيقها ، بما نسمعه صراخا يصم الآذان متصاعدا من أجيال الشباب الذين سحقتهم التجربة ، فما أحرانا أن نعود لنغمر صورة التربية فى أرضنا بنور القيم الروحية النابعة من ضميرنا ، وتاريخنا وحياتنا ، وآمالنا ، وليكن الحوار المشرق بشمس الحقيقة رائدنا الى تفصيل الأمر ، قبل أن نستقر على الطريق .





يكتبها : عبد المنعم النمر

لماذا بيافرا ؟

نشرت جريدة السياسة الكويتية تحت عنوان : « طلاب بريطانيون يصومون فى البرد من أجل بيافرا » هذا الخبر :

تجاهل فريقان من الأشخاص البرد والجليد هنا اليوم واستمرا فى صيام يهدف الى لفت الانتباه الى الوضع فى بيافرا .

وأتم أحد هذين الفريقين بزعامة المستر اليكس كيربى وهو قس سابق فى كنيسة انكلترا فى التاسعة والعشرين من العمر أكثر من ٢٤ ساعة صيام فى ساحة بيكاديللى فى قلب منطقة المسارح فى لندن . ويعتزم هؤلاء الاشخاص الصيام مدة يومين .

واعتصم ١٤ طالبا خارج مقر المستر هارولد ويلسون رئيس الوزارة البريطانية فى شارع داوننغ على الرغم من البرد والجوع مدة مماثلة .) أ هـ .

وقد سبق أن أثرت ملاحظات حول تعصب الغرب لبيافرا ولفت أنظار المسلمين الى هذه الروح . واليوم أسوق هذا الخبر أيضا وأتساءل : لماذا بيافرا وهى التى انشقت على الدولة الأم وخرجت عليها ؟ ومن أين لهذه الولاية المنشقة عن الدولة كل هذه الأسلحة التى تقف بها أمام قوة الدولة الكبيرة طول هذه المدة ؟! ولماذا نجد كل هذا الاهتمام من الدول الغربية وهيآتها بمد بيافرا بالمساعدات الكثيرة وبالطائرات .؟ وتسوق لى الاذاعة وأنا أكتب هذا خبرا عن مد أميركا لهيئتى الصليب الأحمر والانماء بأربع طائرات لمساعدة بيافرا . . !! فلماذا كل هذا العطف وعلى بيافرا بالذات ؟؟؟ ولماذا لا نجد مثل هذه الروح من أجل لاجئى فلسطين والمشردين من أهلها ؟

أسوق هذه الأسئلة لينتبه المسلمون ولا يكونوا (مغفلين) حتى يعرفوا الروح التى تسود الغرب وعلى الأقل يحذرون الانسياق وراء الدعايات الغربية لبيافرا ، فقد حرصت وكالات الانباء الغربية على توزيع الأخبار والصور التى تثير الاشفاق على بيافرا ، وتصورها ضحية للدولة الأم التى تحاول ارجاعها الى حظيرتها . ولاحظت أن أجهزة الاعلام عندنا تنساق وراء نشر هذه الأخبار والصور ، وهى لا تدرى الروح المتعصبة التى تكمن وراء توزيع هذه الأخبار !!

ان نيجيريا أكبر دولة اسلامية فى أفريقيا ، اذ يبلغ عدد المسلمين فيها فوق الخمسة والثلاثين مليونا وهم يكونون الأغلبية التى تتولى زمام الحكم فيها ..

فهل عرفت السر ؟

ولزيادة المعلومات أقتطف لك هنا فقرات من تحقيق عن نيجريا نشرته أهرام ٦٨/١٢/٢٧ للأستاذ محمد حقى وهو أحد الخبراء بالمشاكل الدولية :

« ولقد كانت فرنسا تأمل بعد شحنات الأسلحة الى بيافرا فى الصيف الماضى عن طريق « جابون » وساحل العاج وجزيرة فرناندوبو ـــ التى أصبحت تعرف بعد استقلالها عن اسبانيا بغينيا الاستوائية ـــ أن تتمكن قوات بيافرا أن تحرز ولو قدرا ضئيلا من النصر العسكرى الذى يمكن أن تكون له آثار نفسية ، ولكن العكس هو الذى حدث ، فقد طرد قائد قوات المرتزقة الذى كانت فرنسا تثق فى مقدرته الاستراتيجية واسمه بول شتاينر ـــ وهو يهودى بطبيعة العلاقات بين بيافرا والصهيونية العالمية » .

« وقد أعلنت الحكومة الفيدرالية لنيجيريا فى « لاجوس » أن تحت أيديها من الوثائق ما يثبت أن فرنسا كانت تعقد الصفقات السرية بينها وبين بيافرا لاستغلال مواردها من البترول والمعادن الهامة الأخرى ، مما يضعف بلا شك الأساس الذى تقف عليه فرنسا فى تأييد بيافرا بدعوة من بواعث إنسانية فقط »

« والى جانب سويسرا ، فهناك عدة دول أخرى كانت ضالعة هى الأخرى فى مساعدة بيافرا ، وهى كندا ، والسويد ، وكلها دول تعطف على قضية بيافرا وان لم تعترف أى منها باستقلالها ، وقد هددت حكومة لاجوس الاتحادية بمصادرة نشاط الشركات الهولندية فى نيجيريا اذا هى استمرت فى مساعدة بيافرا » وتستمر الاهرام فتقول :

ليست حربا انتقامية

« وقد زاد من خيبة أمل بيافرا أن كل المراقبين الدوليين ـــ الذين حاولوا ـــ باسم الأمم المتحدة ـــ أن يتحققوا مما اذا كانت الحكومة الاتحادية تقوم فعلا « بابادة الجنس » بالنسبة لقبائل الايبو ـــ أكدوا أنه لا صحة مطلقا لهذه التهمة » .

« ولعل أدق ما كتب فى هذا الموضوع تحقيق البريجادير سير برنارد فيرجسون فى التيمس البريطانية بعد أن قضى خمسة أسابيع فى نيجيريا ، فقد ركز فيرجسو على عدة نقط منها : ان تعبير « البيافريين » تعبير خاطىء لا معنى له ، وهو التعبير الذى يطلق على أهالى الاقليم الشرقى المنشق المتمرد

على الحكومة الاتحادية وأنه تعلم استخدام كلمة « المنشقين » لأن لها مدلولا أدق ، وان الحرب تدور فى الواقع فى معظم « الايبو » وليس كلهم ، وان الحرب لم تبدأ فى الواقع كحرب انفصـــالية وانما بدأت عندما زحفت قوات الكولونيل أوجوكو غربا عبر نهر النيجر واستولت على مدينتى بنين وأورى وأصبحت تهدد ايبادان ولاجوس نفسها ، وان مزاعم الاستقلال لم تبدأ الا عندما صدتها القوات الاتحادية وردتها على أعقابها عبر النيجر ، وان أرض « الايبو » أنفسهم لا تقترب فى أية نقطة منها من البحر بمسافة ٥٠ ميلا على الأقل . من هنا فانه عندما بدأت بيافرا تطالب باستقلالها حرصت على الاستيلاء على مينائى بورت هاركور وكالابار وما يتضمانه من حقول البترول الغنية ، غير أن أهالى هاتين المنطقتين ليسوا من الايبو ، وانما ينتمون الى قبائل أخرى ، لا تحب مطلقا أن تعيش تحت سيطرة الايبو ، بل تكره ذلك كل الكراهية » . وأقول كأنها خطة موضوعة من قبل بين زعيم الاقليم المنشق وبين الدول التى تساعدها الآن لاستغلال منـــاطق البترول فيها !! وتستمر الاهرام فى تحقيقها !

الايبو يعانون من الايبو

« بل زاد من سوء موقف بيافرا تدفق عدد من الصحفيين المحايدين غير الصهيونيين الذين لم تسبق لهم تجربة فى نيجيريا ، وكتب بعضهم عما يعانيه بعض جماعات « الايبو » أنفسهم وتعسف قياداتهم المتعصبة ، وأوردوا أحاديث على ألسنة بعضهم عن حوادث النهب والقتل بالجملة التى قامت بها قوات بيافرا نفسها ظلما ضد جماعات الايبو التى رفضت تأييد قضيتهم ، ورفضت التعاون معهم ، أو التبرع لهم بممتلكاتهم خصوصـــا فى المراكز التجارية الهامة مثـــل أونيتشا ، وكانت قوات أوجوكو تتهمهم بأنهم « مخربين » للنيل منهم » أ هـ.

لعلك أخى — بعد أن تضيف هذه المعلومات الى معلوماتك السابقة تدرك مدى التيار الخطر الذى تتعرض له نيجيريا المسلمة ، وتدرك مع هذا واجب كل منا تجـــاه اخوانه هناك ، تجاه أكبر دولة اسلامية فى أفريقيا تتعرض لضغط ومؤامرات تكبت أنفاسها ، وتحول دون انطلاقها لتأخذ دورها مع اخوتها الدول العربية الاسلامية . ولعل القارىء يذكر أن اغتيال الزعيمين المسلمين لنيجيريا كان مؤامرة استعمارية بسبب موقفهما معنا ضد الصهيونية والاستعمار ...

واننا لنذكر بالخير والتقدير موقف مؤتمر القمة الأفريقى الذى انعقد فى الجزائر فى العام المنقضى وتأييده لموقف الحكومة الاتحادية النيجيرية كما نذكر الدعم الذى تجده هذه الحكومة من الحكومات العربية والصديقة لها قياما بحق الأخوة ، وبحق المنطق الذى يقضى بوقوف الحكومات فى جانب الدولة الأم ضد أية ولاية تنشق عليها ، وهو عرف متبع بين جميع الحكومات فى العالم ... إلا دولا لها أغراض خاصة .

الى المـــرأة المسلمـــة ..

فى حديث لرئيسة الاتحـــاد النســـائى فى كندا لمجلة « آخر ســـاعة » القـــاهرية قالت : ان من أهم الحقوق التى اكتسبتها المرأة فى كنـــدا هو أن تستطيع الزوجة التصرف بأموالها الخاصة أو خيراتها دون تدخل زوجها ، وقد صدر هذا القانون فى أول يوليو ١٩٦٤ .

أنقل هذا لأخواتنا وبناتنـــا المسلمات ليفخرن بدينهن الذى أعطى المرأة المسلمة منذ أربعة عشر قرنا انسانيتها وحريتها فى التصرف فى مالها ، وفيما هو أهم من المال وهو ارتباطها بزوج تكون شريكة حياته ويكونان معا أساس أسرة تنعم بهما وينعم الوطن بالجميع .. فقد منع الرسول تزويج الفتـــاة بغير أذنها ، ورد زواجا اعترضت عليه البنت ، حتى استطاعت أن تقول بعد حكم الرسول وهى راضية النفس بهذا الحكم ، الآن أجزت ما فعل أبى وانما أردت أن أعلم الرجال أن ليس لهم أمر بدون رضانا ..

أقول على اخواتنا وبناتنا المسلمات ــ وهن ملء قلوبنـــا وعيوننا ــ أن يعرفن فضل دينهن وسبقه العالم المتحضر فى انصافهن واعطائهن حقوقهن .. ولا يرفعن أصواتهن هنا وهناك وفى كل مناسبة كمن يحاربن فى ميدان لا وجود له .. ويصورن أنفسهن مهضومات الحقوق فى ظل دينهن .. ان الاسلام لم يمنع المرأة الا ما يسىء لها ولكرامتها وأنوثتها ، أو يجعلها سلعة أو معرضـــا للعيون أو منظرا يسيل لعاب المراهقين والعابثين ..

هذا فحسب هو الذى يمنعه الاسلام ، وفيه الحفاظ على المرأة والصون لكرامتها ، وهو ما يحرص أو يجب أن يحرص عليه كل أب وأخ وزوج ، وتحرص عليه قبلهم المرأة العفيفة المتزنة .

وبهذه المناسبة أذكر ما قرأته منذ أسبوع لبعض الاخوة أعضـــاء مجلس الأمة الكويتى من تقديمهم لمشروع قانون لمجلس الأمة ... يقضى باصدار تشريع يمنع المرأة التبذل فى ملابســــها ومجاراة ((المودات)) الواردة التى تتنـــافى وتقاليدنا وتعاليم ديننا ــ وقد قرأت قبل ذلك انه صدر قرار من حكومة بغداد يقضى بمنع ارتداء (المينى جيب) أثناء شهر رمضـــان ، وقرأت أن ذلك كان له أثره فى مظهر المرأة فى الشوارع أثناء هذا الشهر ــ وتمنيت أن لو كان ذلك المنع طوال السنة . أقول ذلك وأنا أعرف أن أصواتا سترتفع وتقول : أولياء أمر المرأة هم المسؤولون . وأقول نعم . ومع ذلك فان هذا لا يمنع ــ ما دمنا قد وجدنا أولياء أمرها قد قصروا فى تحمل مسؤوليتهم ــ أن يتحمل المسؤولون عن الأمة واجبهم فى هذه الناحية .. ويصونوا المجتمع من الميوعة وذلك لا يستدعى أن نضع شرطيا مع كل أسرة كما يقال ــ فان القوانين تصدر للجميع وما رأينا قانونا يستلزم مثل هذا ولا سيما أن مسألة الملابس ظاهرة ولا يمكن تغييرها فى الطريق للهرب من القانون ، وكل امرأة ستأخذ حذرها قبل أن تخرج وقد وضعنا قانونا لأمور قد تصل الى حد السرية مثل قانون الغش ، وما قيل أنه يستدعى أو استدعى وجود شرطى على رأس كل بائع .. ووضعنا قانونا للمرور وما استدعى وجود شرطى وراء كل سيارة .. ذلك لأن القانون ــ أى قانون ــ له هيبته عند الناس حتى القوانين الظالمة .. فما بالنا ومثل هذا الذى طالب به أعضاء مجلس الأمة ويطالب به الغيارى المخلصون لأمتهم ومجتمعهم إنما هو أمر من صميم ديننا وتقاليدنا وسيرحب به كل مسلم ومسلمة . لأننى أعرف أن الجميع منساق وراء التقليد . وتخشى المرأة من اتهامها بالتأخر لو لم تسر مع هذا التيار .. وما كلمت واحدة الا رحبت بما أقول ، ولكنها تقول وهل أستطيع

أنا وحدى أن أعمل مثل هـــذا ، وأكون شاذة فى المجتمع ؟؟ وقد حدثنى أستاذ جامعى أن طالباته يقلن له : اننا نعرف أن هذه السيقان ستكوى بنار جهنم ولكن

ماذا نعمل وهذه هى ((المودة)) ؟؟؟

أسوق هذا لأقول أن التقليد يجرف الجميع رغم ما فى قرارة النفوس من استنكار له . فلو كان هناك قرار أو مادة فى القانون تمنع مثل هذا الذى نراه ونأسف له كتلك المادة التى تعاقب الشبان لو تفوهوا بعبارات تخدش حيـــاء المرأة لكان فى ذلك العلاج لما نشكو منه ونأسف له ..

بين القـــيم والواقع

جاءنى غاضبا مزمجرا على غير عادته فقلت له : لقد عهدتك دائما واسع الصدر يتسع قلبك لجميـــع من حولك حتى الذين يسيئون اليك فماذا جرى ؟!

قال : نعم كنت .. ولكنى كدت أكفر بكل هـــذه المثل والقيم التى عشت لها ، وتحملت ما تحملت فى سبيلها ، واننى لا يهمنى هذا كثيرا ولا يتعبنى فأنا حاضر يكاد يتحول الى ماض ، ونهار يميل الى الغروب ، وقد عشت باذلا من نفسى ما أطيق ، وما هو فوق طاقتى أيضا ، لمن حولى .. ولكن الذى أحسب حسابه وأخشاه كثيرا هو حال أبنائى ، جيل المستقبل ، أخشى أن يكفروا بكل المثل التى عشت لها ، وعملت على تربيتهم على أساسها ، فيقطعوا صلتهم بمن حولهم ، وينفرط عقد الأسرة الكبيرة ، الذى حافظت عليه بكل جهدى وذلك حين يحسون أن كل الذين بذلت لهم عونى ، وعشت من أجلهم ، قد انقلبوا على حين أصابنى ما أصابنى . فلم يذكر واحد منهم ماضيا ، كنت لهم فيه نعم العون . كنت أدركهم وقت محنتهم ، وأحتضن قضـــاياهم ، وأفضلهم على أبنائى ... وأساعد أبناءهم على اتمام تعليمهم ، وكنت أسعى الى حل مشاكلهم ، ولو على حســـاب مشاكل أبنائى .. وكان أبنـــائى يصرخون فلا أستمع اليهم كمـــا كنت أستمع الى صرخات الآخرين ممن حولى من أخوتى وأقاربى .. ثم حين وقعت فى أزمة لم أجد ما كنت أنتظره منهم ، بل وجدت الكثير يشمتون بى ، ويديرون ظهورهم لى ولأبنـــائى . وجدت الذين كانوا يعيشون فى بيتى من قبل يقبضون أيديهم عنى الآن ، وينظرون الى أولادى نظرة ارتياب ..

ويأتى أولادى يشكون الى مما يلاقون من أقاربهم ، ويبكون مما يسمعونه من ألفاظ الشماتة ، ومما يعيرونهم به من ضيق يدى .. ويقولون : هل رأيت أبى جزاء احسانك ، وثمرة تفانيك فى الاخلاص لأقاربك ؟ كثيرا ما كانت والدتنا

تشتبك معك لتخفف من اندفاعك وتفانيك فى إيثار أقاربك ، فكنت تتهمها بأنها تكرههم ، ولا تحس ما تحسه أنت مما تمليه عليك رابطة القربى . والآن .. قد رأيت نتيجة عملك .. إنهم الآن يتبرؤن منا الا النادر منهم ممن يحس احساسك . إنهم يعتبروننا متسولين . ويتصورون كأننا نريد أن ننهب أموالهم ونشاركهم طعامهم وخيراتهم . حتى الذين وقفت وراءهم فى شدائدهم حتى تخرجوا من الجامعة وصاروا فى مراكز كبيرة تدر عليهم أموالا طيبة ... حتى هؤلاء يتهربون منا الآن ..

فهل رأيت يا أبى نتيجة تمسكك بالقيم والمثل ؟! وعلى حسابنا ؟ لقد عشنا فى شبه شدة وأنت قوى وغنى من أجل التزاماتك الخلقية نحو أقاربنا ، وها نحن أولاء الآن نعيش فى شدة أكثر .

فقلت له مقاطعا وهو فى شبه غيبوبة مندفعا فى كلامه : وماذا قلت لأبنائك ؟. وكيف تعالج نفسيتهم الآن حفاظا على مثلك وعلى روابط الصلة بين الأسرة ؟ قال : تريد الحقيقة ؟ إننى أكاد أفلس معهم فكل الدلائل القوية معهم . ولم يعد أمامى إلا أن أقول لهم : ان أصحاب المثل دائما يلاقون العنت فى دنياهم ، ولكنهم عند ربهم يلاقون الجزاء الحسن .. أريد أن أشدهم من الواقع المر الى التحليق معى فى سماء المثل – حتى لا يكفروا بكل القيم ، ويقطعوا كل الصلات التى يجب أن تكون بين الأسرة الواحدة ، ردا على ما لاقوه منها .

قلت له : استمر فى أداء رسالتك . وارع هذه المثل فى أولادك حتى لا تضيع من نفوسهم فان ما يرونه موجة عارضة ستزول حتما .. وخذ من هذه الشدة معينا لك على شحذ عزائمهم وتقوية هممهم حتى يجتازوا هذه الشدة التى تعانونها ، ويكونوا لأنفسهم حاضرا يفوق حاضرك ، ويرعوا مثلك التى غرستها فيهم ، أذكر لهم ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافىء ولكن الذى اذا قطعت رحمه وصلها » وما قاله صلى الله عليه وسلم لرجل فى مثل حالك جاء يشكو اليه مما تشكو منه .. ويقول له .. يا رسول الله إن لى ذوى أرحام . أصل ، ويقطعون ، وأعفو ويظلمون ، وأحسن ويسيئون . أفأكافئهم ؟ فقال له الرسول : إذن تتركون جميعا (أى من رحمة الله) ولكن جد بالفضل وصلهم ، فانه لن يزال معك ظهير من الله ما كنت على ذلك .

قال الرجل : لقد ذكرت لهم ذلك كله ولكنهم كانوا يردون على من القرآن الكريم « وجزاء سيئة سيئة مثلها » فأقول لهم « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » فيقولون لى : كم كنت تعفو وتصلح . كم أنا قلق لهذه الحالة على مصير الأسرة .

وحمل الرجل همومه وانصرف وهو يقول ، وأنا أقول معه : أصلح الله حال الجميع .



تعليق على خطاب في مؤتمر تبشيري

الحق يعلو

للدكتور : إبراهيم عبد الحميد

أجل ... فهكذا فعل الاسلام — وهو الحق الصراح — وهكذا يفعل . هكذا فعل قديما ، حينما انبثقت اشراقة هديه من قرية معزولة مجهولة فى قلب الصحراء الموحشة ، فترقرقت شرقا ، وترقرقت غربا ، ولم يكد يأتى عليها نصف قرن أو نحوه ، حتى كانت قد غمرت أقطارا فسيحة ، بل امبراطورية مترامية الأطراف ، واكتسحت فى طريقها ظلمات كثيرة ؟ وألوانا من الديانات شتى ، وبلغ المؤمنون بالدعوة الجديدة — ايمان حب وأكبار — مبلغا بهر التاريخ : وفرة عدد ، وقوة سطوة ، وسعة ملك . وهكذا يفعل الاسلام اليوم .. على ضعف المسلمين ، وتواكلهم وتكاسلهم وقعودهم عن الأخذ بناصره .. وتبليغ رسالته ونشر دعوته ... فاذا هو لا يفتأ يظفر من طريق الاقتناع التلقائى بالاتباع ، ويستهوى ببساطته الحلوة الناظرين ، حتى فى قلب القارة المظلمة — كما يقولون — بل القارة المظلومة المتجنى عليها .

هذا هو مدير البعثات التبشيرية للاتحاد اللوثرى العالمى (الدكتور بركلى يتحدث الى المؤتمر المسيحى لعموم الافريقيين ، فيدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور ، لأن المسيحية العالمية أخفقت فى وقف سرعة انتشار الاسلام بأفريقيا ، بواسطة تكبيله بسلسلة ثقيلة من بعثاتها التبشيرية ويستطرد فيحذر من الاستخفاف بالنتائج الوخيمة — دينيا وسياسيا — التى سوف تنجم عن انتعاش الوثنية ، والأديان البدائية ، على نطاق واسع بين الافريقيين . ويعلن فى أسف أن تقدمهم السياسى يعنى اغلاق الباب فى وجه ارساليات التبشير المعهودة!

ولكن الرجل يخلط تخليطا معيبا : فبينا هو يعترف بالحقيقة المرة فى تذوقه المريض ، العذبة السائغة لدينا ، اذا به يحاول التشفى بالصاق التهم الكاذبة ، ولا يحاذر التورط فى فضح أساليب الغرب الملتوية ، التى تسخر الدين فى خدمة الاستعمار وأهله : —

١ — أما ان الاسلام يتخطى الحواجز والسدود ، ولا تقعده السلاسل والقيود ، فذلك شأنه أبدا . ولا غرو « فالحق يعلو ولا يعلى عليه » ودولة الباطل ساعة — كما يقولون — ودولة الحق الى قيام الساعة . وما كان الفتح العربى — الذى ظفر بنصف الكرة الأرضية فى نصف قرن (كما يقول نابليون) — استيلاء على الحواضر والأمصار ، بقدر ما كان استيلاء على الأفئدة والقلوب . لأن التاريخ كما يقول « جوستاف لوبون — لم يشهد حاكما أعدل ولا أرفق من العرب . لا لأنهم عرب ، بل لأنهم مسلمون يسوسون الناس بهدى الاسلام ، ويتلقون الحكمة خلاله من لدن حكيم خبير « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » .

وفى الحق هم لم يكونوا ملوكا ولا مستعمرين ، وانما كانوا هداة مرشدين ، ومعلمين صادقى النية مخلصين . فلم يكن ثم فرق بينهم وبين داخل جديد فى الاسلام . كيف وهم كانوا أنفسهم أو آباؤهم الأدنون ، متجددين فى هذا الدين . ونبيهم صلوات الله عليه يرسم لنفسه ولهم معالم السبيل « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» . والقرآن نفسه يملى عليهم هذه المساواة إملاء ليس أحد منهم فى حل من خلافه ، « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم فى الدين » « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا » .

حتى لقد آل حكم المسلمين فى أكثر عهودهم الى غير العرب منهم ، ولم يزل كذلك الآن فى أكثر بلاد الاسلام دون ما امتعاض أو نكير . ذلك لأنهم صاروا من أولى الأمر ... الذين أمر الله بطاعتهم كائنا ما كان عنصرهم ولونهم ... بعد أن يكونوا مسلمين ... « يايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

فأين — بربك — من روعة هذا السمو انحطاط الاستعمار فى جميع أقطاره ، وبشتى أشكاله وألوانه . حتى ذلك الاستعمار المقنع — بل السافر جدا — الذى ما يزال يرزح تحت عبئه الثقيل قطاعات عديدة من العالم ، يحكم فيها الشعب دخلاء ، يزعمون أنفسهم أصلاء ، ثم يتجردون من أبسط معانى الانسانية ، فيعاملون الحيوان معاملة أكرم من معاملتهم للملونين — لا لشىء الا لأنهم ملونون ، وان حمل هؤلاء وهؤلاء الصليب ، وضمتهم جميعا التبعية لكنيسة واحدة .

بساطة فى العقيدة

ليس ذاك النهج الكريم فحسب هو الذى كان .. — وما يزال — يحبب الاسلام الى الناس ويدنيه من شغاف قلوبهم ، فيدخلون فيه أفواجا أفواجا ، بل أيضا سلامة الفكرة الاسلامية وبساطتها الآسرة للقلوب ، السائغة فى العقول ، الخالية من الأسرار . تلك التى لخصها التنزيل الحكيم فى آية واحدة من آياته المحكمات : « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » حتى لقد كان الأعرابى الجلف يقدم من البادية وهو لا يكاد يعلم شيئا ، فيجلس الى النبى جلسة واحدة يعلمه فيها الاسلام ، ثم ينصرف الرجل وهو

يقــول « والله لا أزيد ولا أنقص » فيعقب صلوات الله عليه « أفلح ان صدق » .

بمثــل هذه البســاطة البسيطة واليسر والسهولة البالغين ، يشق الاسلام طريقه دون حاجة ماسة الى دعوة أو دعاة . وحسبه أن يتناقل الناس حديث الأديان ويتسامعوه ، أو أن تقع عيونهــم على رجــال من المســلمين يلتزمــون ســـمته ، ويستمسكون بهــديه ، وهــل أوغل الاسلام ذلك الايغــال فى أعمــاق أفريقيــا ، وبأطرافها شرقا وغربا وجنوبا ، الا من هذا الطريق ، على أيدى تجار أو مستوطنين مسلمين ، قدموا اليها من الشمال أو عبروا من الجزيرة .

صدق صلوات الله عليه « بعثت بالحنيفية السمحة » « الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » ويسر الاسلام وسماحته حقيقــة مسلمة ، لا يقررها الرسول وحده ، بل يعترف بها الرجل العــادى فى كل بلد متى أصــاب حظــا من المعرفة . وقــد سمعتها بأذنى من مسيحى انجليزى يتكلم فى حديقة HydeParke بلندن فــاذا به يعلن على رؤوس الأشهاد — مدفوعا بقوة الحق الجــارفة — « ان محمدا بسط الدين والعقيدة فاذا كان هــذا المسيحى العريق يعترف بالتعقيد غير المفهوم ولا المستســاغ فى غير الاســلام ، فكيف يمكن أن تزاحم الاســلام أية دعوة من تلــك الدعــوات التبشيرية فى أرض بكر لم تعرف أو لم تألف الأديان الكبرى بعد .

الدين والدنيا

ثم الاسلام .. بعد هذا وذاك .. يجمع الدين والدنيا فى صعيد واحد ، ويعلم الناس أن يعملوا لدنيــاهم ، كأنهم يعيشون أبدا ، ولآخرتهم كأنهم يموتون غــدا ، فهو دين الفطــرة الخالصة ، المساوق للطبــاع على اختــلافها ، الموفق بين الحــاجيات الروحيــة والجسدية جميعها « فأقم وجهك للدين حنيفــا فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

ولا إكراه فى الدين

ومن ثم لم يحتج الاسلام قط الى استخدام الاكراه على العقيدة ، ولا رضى به أو أقره ، ولا سجله التاريخ يومــا على المسلمين فى تاريخهــم الحافل الطويل ، كمــا سجله على آخرين فى وصماتهم التى لا تمحوها مياه المحيطات بأسرها . لأن كتــاب الاسلام نفســه يقول « لا إكراه فى الدين قــد تبين الرشد من الغى » ويقول « أفأنت تكره النــاس حتى يكونوا مؤمنين » . ومن ثم أيضا لم يرتد أحد قط طواعية واختيارا عن الاسلام بعد استقراره ، وهو مــا يعنيه صــاحب الترجمــة الفرنسية للقــرآن — وكان مــن كبــار المستشرقين — اذ يقول فى مقدمته **« الأجــانب يعترفون باجماع بعدم امكان اثبات حادثة واحدة محققة ارتد فيها أحــد المسلمين عن دينــه الى الآن »** .

٢ — وأمــا التعريض ... فى استحياء ومن طرف خفى ... بــأن الاسلام دين بدائى يتصل بالوثنيــة بسبب ، فكبرت كلمــة تخــرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا ، ولولا أنه الكذب الصراح لما استخفى به قائله هذا الاستخفاء ، ولما دسه فى طوايا كلامه دسا لا يكاد يبين .

الاســلام الذى جــاء فى القرن السابع من ميلاد المسيح دين بدائى ؟ فمــاذا اذن تكون الأديان الســابقة عليه ، وهى أسبق من الاسلام بستة قرون ؟ لا بل بأكثر كثيرا جدا — ان كانت البدائية تقاس بالزمان لأن كتب

العهد القديم .. التى هى عماد الشريعة اليهودية ... هى أيضا عماد المسيحية مع تعديل جد يسير وانما عنى الانجيل ... أكثر ما عنى بالمواعظ والآداب ، وبهذا يعترف المسيحيون أنفسهم ، ويسجله القرآن الكريم على لسان عيسى النبى نفسه « ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ويظل يؤكده فى كل مناسبة « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » .

ثم فى أيهما تتمثل البدائية والوثنية كلتاهما ؟ أفى الاسلام ... الذى يرتفع بفكرة الإله عن المادة وخواص المادة وملابستها أو مشابهتها ، وعن الشرك والتعدد فى أية صورة ومظهر ، أو معنى ومخبر ، ولا يرى المبلغ عن الله الا انسانا يؤدى رسالة عالية ، كما جاء ذلك كله صريحا فى نص القرآن « قل سبحان ربى هل كنت بشرا رسولا » ، « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما إلهكم إله واحد » « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » ، « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ؟

وهل تكون البدائية فى تشريعات الاسلام التى نظمت المجتمع كله ، وحددت وظائف أعضائه ، ورسمت لهم منهاج السلوك فى السياسة والاقتصاد ، والقضاء والعلاقات العامة والخاصة « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » حتى استعارت منها ، واستعانت بها أبرع الدول الحديثة فى ممارسة القانون ، ولم يزل الكثير من غير أبناء الاسلام يؤثرون أقضيته وأحكامه ، فيتحاكمون اليه من تلقاء أنفسهم — راغبين عن محاكمهم الخاصة — ايمانا بمزاياه وثقة فى عدالته ؟

كلا بل الحق أبلج والمنصفون من خصوم الاسلام أنفسهم هم الذين يقولون كما قال الكونت Dcoseryt « لقد كان فكر محمد(١) فى الألوهية من أرفع الأفكار وأسماها » ، أو كما قال عميد كلية الحقوق بفينا فى مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧ « ان محمدا استطاع أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفى سنة » .

٣ — فان كان الرجل أعقل من أن يرمى الاسلام بتلك التهم الحمقاء وانما أراد أن يقول إن الافريقيين .. فى سبيل التحرر من نير الاستعمار الغربى يؤثرون أديانهم البدائية القديمة على المسيحية المهذبة وهذا فيه خطران ذريعان : خطر على سياسة الغرب ومصالحه ، وخطر على المسيحية نفسها ، اذ سوف يخلو باقصائها الميدان أمام الاسلام .. ليجول فيه ويصول ... وهو ما هو فى جاذبيته وحسن استعداد الناس لتلقيه بالقبول — فهذا حق ، ولكن الملوم فيه ليس هو الاسلام الذى يزحف دون حماة أو دعاة .. حتى بعد اضمحلال قوة أهله وأفول نجم حضارتهم ، وانما هو الاستعمار الأخرق الذى أراد أن يجعل دينه هو الحبل الذى يوضع فى عنق العبد ، ليقاد به فى سوق النخاسة والنخاسين . وقد رأينا ما فعلوه بجنوب أفريقيا وروديسيا وموزامبيق وهو ما يفعلونه فى كل مكان بصورة أو بأخرى . وان أنس لا أنس حديث ذلك الانجليزى العجوز الذى ولد ونشأ وعاش وكان ما يزال فى كينيا أيام كانت مستعمرة انجليزية ثائرة

قد أفلت زمامها اذ لم ينس وطنه الأصلى فذهب يمحضه النصح على أمواج الأثير .. ويهديه السبيل لقمع الثورة الشعواء ، فاذا هو يدعو الى استخدام الكنيسة ، ورجال الدين الذين لم تفسد بعد طوايا جماهير الشعب نحوهم ، بدل الحديد والنار.

لقد حسب ذلك العجوز الخرف أنه قد جاء بجديد ، وما درى أنه انما كان ينطق بوحى العقل الانجليزى الباطن الذى يشركه فيه قومه جميعا : من استمع اليه ومن لم يستمع ، بل الاستعماريون جميعا — أولئك الذين يرون الدين وسيلة ، والاستعمار غاية .

أما آن لأولئك المدلهين بحب التسلط الموجهين بسعار الاستعمار أن يتعلموا درس النبل والعدل الذى نطقت به فى الاسلام نصوصه الشارعة — من مثل « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » — وحكمه الرائعة من طراز « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

درس لا بد منه

ولكن هنالك درسا آخر على الجانب المقابل قد آن للمسلمين عامة بعد طول المدى أن يعوه سيما فى عهد هذه اليقظة الاسلامية الواعية ، التى تجلت فى غيرما مظهر ، وتوشك بعون الله وتوفيقه أن تعود على حاضرنا ومستقبلنا بأبرك الثمرات ذلك أن استجابة الناس من كل جنس ولون للاسلام استجابة تلقائية بما فى طبيعته من جاذبية واستهواء — لا تضع عن عواتقهم تبعة الدعوة للاسلام ، وتبليغ رسالته وفق أساليب العصر ومعارف أهله . تلك التبعة التى هى واجب حتمى مقدس لم يؤدوه بعد « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وما من ريب فى أن دفع العجلة ينتج عنه سرعة تحركها ، وطواحين الهواء تتحرك طبعا ، ولكن أين هى من ماكينات الديزل ، أو طائرات الذرة ؟ ولولا أن المسلمين أغفلوا هذا الواجب الخطير قرونا متطاولة ، لتبدل تاريخ البشرية تبدلا تاما ولما أتيح لغير الاسلام أن ينتعش هذا الانتعاش المرموق فى أربعة أرجاء المعمورة .

وحسبك أن الباحثين المسيحيين أنفسهم لم يكونوا يتوقعون الا عكس هذا . **فهذه مجلة تاريخ الديانات تتنبأ فى سنة ١٨٨٣ — على لسان مسيو (Montait) بأن الاسلام سوف يكتسح الصين اكتساحا روحيا ،** وذلك اذ تقول « ان الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التى تتنازع البلاد الصينية » . وهكذا توقع بل قطع « مسيو وازيليف» وغيره قائلين **((أن الاسلام لا بد سائد هناك)) .** فلو كان المسلمون قد عملوا لهذه الغاية ، لأضافوا الى ملايينهم العديدة ربع سكان العالم اليوم .

هذا لو نشطوا فى ميدان واحد ، فكيف لو اقتحموا سائر الميادين ، لا ينقصهم إيمان الجندى الواثق من النصر ؟! ولكنها قصة الأرنب والسلحفاة مرة أخرى !!

أيها الأخوة لا نريد مزيدا من هذه القصة الكئيبة ، والفرصة سانحة ، كما كانت أبدا . وللمرة المائة يفتح عليها أعينكم ذلك المبشر الداعية . فإياكم أن تفلتكم « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » .

---

(١) يبدو فى ثنايا هذا القول دعواهم بأن الرسول هو الذى أتى بالقرآن وتشريعه ، وهو خطأ طبعا .



أعدها : أبو نزار

الكريم ابن الكريم ابن الكريم

قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره : (ان يوسف عليه السـلام قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله : (انه من عبادنا المخلصين) .

وشهد الشيطان ببراءته : (فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) .

وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز اذ قال : (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) .

وشهد ببراءته النسوة اللائى قطعن أيديهن بقولهن : (ما علمنا عليه من سوء) .

وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها : (الآن حصحص الحق انـا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) .

فالذى يريد أن يتهم يوسف بالتهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان . وكلاهما شهد ببراءة يوسف ، فلا مفر له من الاقرار بالحق على أى حـال ، وهو براءة يوسف من التهم .

• • • • • • • • •

تغيير فى القيــادة

أمر أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد بالمضى الى الشام ومقـابلة أبى عبيدة بن الجراح ، وتولى رياسة الجيش بدلا من أبى عبيدة . وكان ذلك رعاية للمصلحة العامة .

وهذا كتاب الصديق الى أبى عبيدة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . فانى وليت خالدا قتال الروم بالشام ، فلا تخالفه واسمع له ، وأطع أمره ، فانى وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه ، ولكنى ظننت أن له فطنة فى الحرب ليست لك .. أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد .. والسلام عليكـم ورحمة الله » .

وهذا كتاب خالد الى أبى عبيدة :

« أتانى كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . يأمرنى بالمسير الى الشام ، وبالمقام على جندها والتولى لأمرها ، والله ما طلبت ذلك ولا أردته ، ولا كتبت اليه فيه ، وأنت ـــ رحمك الله ـــ على حالك التى كنت فيها . لا يعصى أمرك ، ولا يخالف رأيك ولا يقطع أمر دونك ، فانك سيد من سادات المسلمين . لا ينكر فضلك ، ولا يستغنى عن رأيك .. والسلام عليك ورحمة الله » .

• • • • • • • • •

رأس الديك

قال دعبل : أقمنا عند سهل بن هارون يوما ، فأطلنا الحديث حتى اضطره الجوع الى أن دعا بغدائه ، فأتى بصحفة قديمة . فيها مرق لحم ديك هرم لا تحز فيه السكين ولا تؤثر فيه الاضراس ، فنظر فى القصعة ، وقلب نظره ففقد الرأس ، فقال لغلامه : أين الرأس ؟

قال : رميت به . قال : ولم ؟ قال : ما ظننت أنك تأكله ، ولا تسأل عنه ، فقال : ولأى شىء ظننت ذلك . الرأس رئيس ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه عرفه الذى يتبرك به ، وفيه عينه التى يضرب بها المثل فيقال : أصفى من عين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكلية ، ولن ترى عظما قط أهش من عظم رأسه أنظر أين هو . قال : لا والله لا أدرى أين هو . قال : لكنى أدرى أنك رميت به فى بطنك ، والله حسبك .

• • • • •

عفريت سليمان

روى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته ، وبعث معه رجلا ، وقال للرجل : راقب العفريت وانظر ماذا يصنع ، ثم عد به ثانية ، فخرجا من عنده ، ومرا على أهل بيت يبكون فضحك العفريت ، ثم دخل السوق ، ونظر الى الناس فرفع رأسه الى السماء وهزه ، ونظر الى الثوم يكال كيلا والى الفلفل يوزن وزنا ، فضحك ، ثم عاد الى نبى الله فأخبره الرجل بما فعل العفريت .

فقال له : لم ضحكت من أهل البيت ؟ ولم هززت رأسك حين نظرت الى السوق ؟ ولم ضحكت من الثوم والفلفل ؟

قال العفريت : أما أهل البيت فان الله أدخل ميتهم الى الجنة وهم يبكون عليه . فضحكت ونظرت الى الناس فى السوق والملائكة من فوق رؤوسهم ، والناس يملون والملائكة سراعا يكتبون ، فهززت رأسى .

ونظرت الى الثوم وهو شفاء يكال كيلا ، والى الفلفل وهو داء يوزن وزنا فضحكت .

• • • • •

البشعة

من الامور المألوفة فى كشف الجرائم لدى بعض القبائل العربية ، والتى لا تزال على الفطرة الى وقتنا هذا : أن تحمى قطعة حديد الى درجة الاحمرار ، ويطلب من كل من وقعت عليهم شبهة الجريمة أن يلعقها بلسانه ، فمن كان بريئا نجا من الحرق ، ومن كان مدانا حرق لسانه ، وتسمى هذه العملية (البشعة) والتعليل المقبول لهذه العادة هو أن انفعال الخوف يجفف اللعاب . فالبرىء يستطيع أن يجمع كمية من اللعاب فوق سطح لسانه يتقى بها حرارة الحديد المحماة عند الملامسة أما المذنب فان لسانه يكون جافا فتشويه النار .

• • • • •

اللحن = التعريض

تكلمت هند بنت أسماء فلحنت وهى عند الحجاج ، فقال لها : أتلحنين وأنت شريفة فى بيت قيس ؟!!

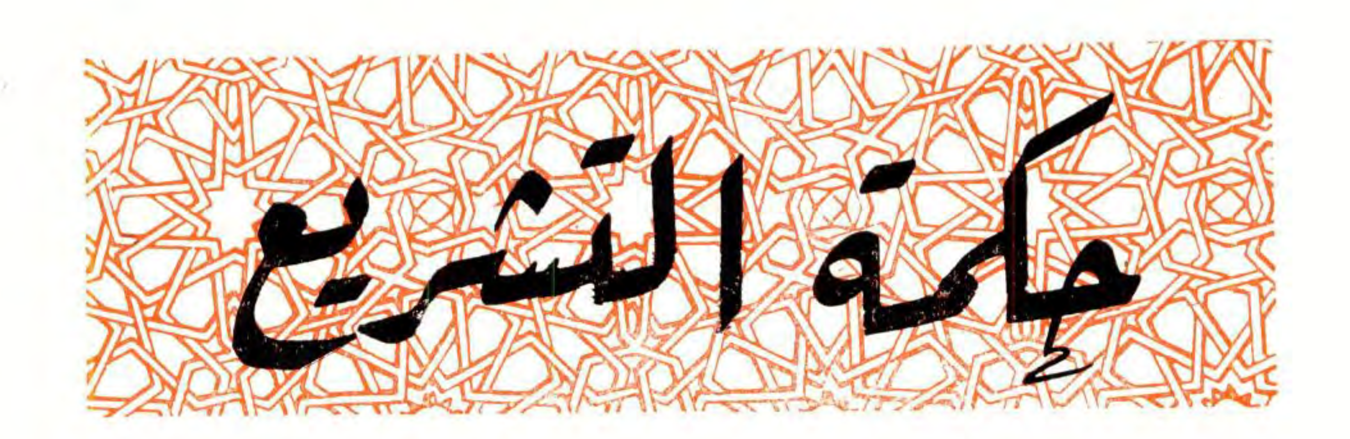
فقالت : أما سمعت قول أخى مالك لامرأته الانصارية ؟

قال : وما هو ؟ قالت : قال :

منطق صائب وتلحن أحيا
نا وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج : انما عنى أخوك اللحن فى القول ، اذا كنى المحدث عما يريد ، ولم يعن اللحن فى العربية ، فأصلحى لسانك .

• • • • •



حكمة التشريع

للشيخ : عبد السميع البطل

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)

(البقرة : ١٥١) .

هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين .

(الجمعة : ٢٢)

(يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الألباب) . (البقرة : ١٦٩) .

اتفقت كتب اللغة على أن للحكمة معانى كثيرة : منها العدل ، والعلم والحلم ، والنبوة ، ومنها الاتقان ، والمنع ، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، والدقة فى الصناعات ، والكلام النافع المانع من الجهل والسفه ، وقالوا : انها مأخوذة من (الحكمة) وهى ما أحاط بحنكى الفرس من لجام .

وكل هذه المعانى تنطبق على الحكمة التى نريد التحدث فيها ، فمعرفة الحكمة تمنع الانسان التردى فى المهالك ، وتزيده بصيرة من أمره ، وترده عن الغضب والتهور ، والسفه ، وتكسبه التعمق فى الأشياء ، وتريه كيف يضع الامور فى مواضعها ، وترشده الى أشياء كثيرة ، وتوسع دائرة معارفه ، فيكون مثقف العقل ، مهذب النفس ، بصيرا بما يدور حوله .

قال الشاعر يهدد بنى حنيفة الذين كانوا يسكنون اليمامة بلد مسيلمة الكذاب :

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم ... انى أخاف عليكم أن أغضبا
أبنى حنيفة اننى أن أهجكم ... أدع اليمامة لا تساوى أرنبا

أى امنعوا سفهاءكم ، واضبطوهم حتى لا يتهوروا ، فأسلط عليكم لسانى فأدعكم كالشىء التافه الذى لا قيمة له . .

وعلى هذا فالبحث فى حكمة التشريع انما هو معرفة الغاية التى من أجلها تعبدنا الله بأنواع من العبادات ، وأنماط من القرب والطاعات ، معرفة دقيقة تكشف لنا عن الثمار التى نجنيها منها ، وتنفعل بها نفوسنا ، وتصل الى أعماق قلوبنا ، لنقبل عليها فى شغف ولهف ، فتزكى بها نفوسنا ، وتصل بنا فى معارج الكمال الانسانى الى حيث قدر لها من الاستمتاع بجوار الله تعالى ومشـــاهدة أنواره ، وبذلك يتلاقى هذا العلم بروح التصوف الحقيقى ، الذى هو جمع بين العلم والعمل ، بحيث يصدر الانسان ويورد فى مشارع الشريعـــة ، وبحيث يصبح الايمان والعمل بأركانه أمورا وجدانية ، لا يحوم الشك حولها ، وهذا منتهى شوط الايمان ، وغاية سبيل العرفان .

آراء العلماء فى البحث عن الحكم

وقد اختلف الناس فى البحث عن حكمة التشريع على ثلاثة آراء :

١ ــ فريق يمنع البحث فى حكمة التشريع ، ويرى أن نأخذ الحكم ونتلقاه بالقبول ، لأنه من الله ، وما كان من الله لا يبحث عن علته ، لأن ذلك طعن فى الايمان .. وفيما يجب لاحكام الله من الاذعان التام ، ويستدلون بمثل هذه الآية الكريمة (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـــجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (النساء : ٦٥) .

وهذه الآية لا تنافى البحث فى العلة ، لأن قصاراها تحكيم الرسول فيما يختلفون فيه ، لا تحكيم الأهواء والعادات والتقاليد الموروثة كما ورد فى سبب النزول ، وهذه الآية كقوله تعالى : (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون . وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورســـوله ويخش الله ويتقـــه فأولئك هم الفائزون) (النور : ٥٢) .

٢ ــ يقابل هذا الفريق ، فريق آخر يرى أن الأحكام يجب أن تعلل ، فما ظهرت علته أخذنا به ، وما لم تظهر له علة نرفضه ولا نتقيد به ، واذا كان الأولون يجمدون على ظواهر الأحكام من غير غوص على عللها ، فهؤلاء عريقون فى السفه والجرأة لأنهم يتحكمون فى الأوامر والنواهى بعقولهم القاصرة ، وفهمهم المحدود ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه من ربه لسارعوا الى تلبية الأمـــر والنهى امتثالا ، ولم يجعلوا عقولهم موازين تتحكم فيما ليس لهم به علم .

يقولون : فرق بين أن تؤمر بشىء أو تنهى عنه ، وأنت لا تعرف علة للأمر والنهى ، وبين أن تظهر لك الفائدة منهما الأول ترفضه ، وقد تفعله كارها مستثقلا .. فلا تقبل عليه ببشاشة من ايمانك ، وشغف من محبتك ، واذعان لما يلقاك من سطوة دليله ، وسطوع أثره ، والثانى تقبل عليه أقبال العاشق الولهان ، الذى ظفر بمعشوقه بعد طول تمنع وارتقاب .

ويقال لهم : صدقتم لو كان الذى يأمر وينهى من البشر الذين قد يرجعون

عن الرأى مثنى وثلاث ورباع لضعف تفكيرهم ، وجهلهم بعواقب الأمور ، (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولذلك تبدل القوانين الوضعية وتنقح، لما يظهر فيها من خطأ الواضعين لها .

أما والحكيم الخبير هو الشارع فهذا القول منكم جراة لامبرر لها ، أرأيت اذا شخص طبيبك داءك ، ووصف لك الدواء ، فهل تصيخ الى تشخيصه وتنفذ أوامره ، وترى فى ذلك برءك من علتك ، أو تراجعه القول ، وتقول له : لماذا كان هذا أكثر وهذا أقل ، ولماذا كان هذا القرص قبل الأكل ، وهذا بعد الأكل ، ولماذا كان هذا فى الصباح وهذا فى المساء ؟؟ أتثقل عليه بهذه الأسئلة السخيفة ، وأنت تجهل الطب والعلاج ، أم تأتمر بأمره ، وتتحمل مرارة الدواء ، فلا تلج فى مناقشته — ومجادلته فاذا كان هذا فى طب الأبدان المبنى على التجارب ، التى تصيب وتخطىء ، فما بالك بطب الأرواح ، وطبيبها العليم الحكيم .

والخلاصة أن هؤلاء جعلوا عقولهم القاصرة معيارا للشريعة ، فما وافقها قبلوه ، وما خالفها رفضوه ، وتلك ثالثة الأثافى ، بل تلك دسيسة مفضوحة ، وجرأة عارمة .

٣ — **القسم الثالث الوسط** ،وهوالأخذ بحجز الدين ، والمهتدى بهدى المؤمنين ، والمتبع لسنن الحكماء الربانيين والعلماء الأعلام العاملين ، وهذا الفريق يرى أن الله أمرنا بالبحث ، وفتح لنا أبواب الفهم ، لنتزود من المعرفة ، ولنثبت فؤادنا ، ولنكون على بصيرة من أمرنا (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) (يوسف : ١٠٨) هؤلاء وجدوا القرآن نفسه يعلل الأحكام ، ويستعمل كل صيغة أو حرف يدل على التعليل قال جل ثناؤه : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) (البقرة : ١٨٥) وقال علت كلمته : (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (البقرة : ١٨٣) كل ذلك فى آيات الصيام وقال جلت آلاؤه بعد آية الطهارة (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) (المائدة : ٦) وقال (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) (الحج : ٧٧) وقال (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) (البقرة : ١٩٧) واستعمال الفاء الداخلة على أن للتعليل كثير فى القرآن ، وقال جل علاه بعد آية الاستئذان فى الأوقات التى حذر فيها دخول الذين ملكت ايماننا والذين لم يبلغوا الحلم (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) (سورة النور : ٥٨) وقال سبحانه : (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا (المائدة : ٣٢) بعد ذكر نبأ ابنى آدم بالحق . وهكذا اذا تتبعنا آى القرآن الحكيم نجده مليئا بكل ما يفيد التعليل من حروف ، أو من استئناف بيانى ، وهو ما يسميه علماء البلاغة شبه كمال اتصال ، وهو ما يكون جوابا لسؤال مقدر ،كأن سائلا يسأل فيقول لماذا ، أو ماذا كان الجواب ؟ فيقال لكذا وكذا ، أنظر الى هذه الآية الكريمة لتكون مثالا لهذه القاعدة (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى . قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى . فلنأتينك بسحر مثله) (طه : ٥٨) كأنه يقول ماذا قال فى تكذيبه وابائه ؟

لهذا كله شغل أولو العلم أنفسهم بالبحث عن علل للأحكام ، لتكون نبراسا لهم فى تجارتهم مع الله . وليزداد ـــ الذين آمنوا ايمانا ، ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) المدثر .

نعم ان الجرى وراء معرفة العلل ، لا يعد طعنا فى التشريع ، بل يزيد الواثق من نفسه ثقة ، ويقربه من ربه ، فيسير فى عبادته على هدى وطمأنينة ، بشرط أن نلتزم حدود الشريعة ، فلا نزيد منها ولا ننقص (تلك حدود الله فلا تعتدوها) ٢٢٨ البقرة وهـــذا يدل على أن مدار البحث فى حكم الشريعة انما هو لزيادة التمكن منها ، والثبات عليها ، فان بعض الباحثين جرهم بحثهم الى الخــــروج على الشريعة كلا أو بعضا .

فقد قالوا : أن الغرض من الصلاة تطهير النفس من الفساد والنهى عن الفحشاء والمنكر ، فاذا تهذب الانسان وحسنت أخلاقه ، وجرى على قاعدة : لا ضرر ولا ضرار ، فلم يؤذ أحدا بلسانه ، ويده ، ولم يحقد على احد ، ولم يحسد ذا نعمة على نعمه ، فقد وصل الى ما تريده الصلاة من المصلى ، فلا حاجة لـــه بالصلاة بعد .

وكذلك قالوا : إن الصوم امساك عن اللغو والرفث ، وتربية للارادة ومراقبة الله فى السر والعلن ، واذا كان الانسان بدافع من تربيته وتعلمه وأخلاقه ، قد وصل الى هذا المقام ، فما حاجته الى الصوم ؟ وهكذا فى الزكاة والصدقات ، وسائر الأركان ، وبدهى أن القائلين بذلك قد خلعوا ربقة الاسلام ، وهدموا أركانه حجرا فى اثر حجر .

وقد يقول بعض المتصوفة الذين لم يتحصنوا بالدين القيم وغلبت عليهم نزعات التصوف ونزعات الغلاة من أهله : اذا تدرج العابد فى مدارج السالكين ، ومشى فى طريق السائرين الى رب العالمين ، حتى وصل الى آخر شوط فى العبادة ، فما حاجته الى العبادة ، وقد أصبح من الواصلين . وهذه نزعـــة من نزعـــات الشيطان ، لا يفطن لها إلا من سار فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم شوط بعيدا ، ولم يتزحزح عنه قيد أنملة ، والا كان مصيره الخروج من الاسلام والعياذ بالله .

والخلاصة أن الله تعبدنا بأشياء . فعلينا أن نتقبلها بقبول حسن ، واذا بحثنا عن علل لهـــا ، فذلك للاطمئنان النفسى ، وزيادة اليقين كما قال ابراهيم عليه السلام (ولكن ليطمئن قلبى) . وقد وهبنا الله عقولا تبحث وتفهم ، وقد استبحر العلم والفن فى هذا العصر ، وذلك يزيدنا معرفة ، ويفتح لنا أبوابا لفهم ما كان غامضا ، فعلينا أن نفكر ونعمل عقولنا ، ونستخدم مواهبنا لنصل الى اليقين ، فاذا استفرغنا جهدنا ، واستعملنا عقولنا وعلومنا فى تعليل بعض الأحكام ، ولم نهتد لم يكن ذلك قادحا فى الحكم الذى جهلنا المراد منه ، بل كان معناه أن عقولنا لا تزال قاصرة عن أدراك الغاية منه ، وعلينا أن ننفذ الحكم ونقوم بأدائه امتثالا لأمر لله ، وما نجهله اليوم قد نعلمه غدا ، والعقول كل يوم فى كشف ، والعلوم دائما فى طريق النضج والله قد يتعبدنا بمـــا لم تظهر لنا حكمته ، ليبلوا أيمـــاننا

واخلاصنا قال جلت حكمته : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) (سورة البينة : ٥) . وقال تعالى حكاية عن نبيه : صلوات الله وسلامه عليه : (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين . وأن أتلوا القرآن) (النمل : ٩١و٩٢) .

وبهذه المناسبة نذكر بالخير والرحمة علماءنا الأعلام ، الذين أشرعوا لنا طريق البحث فى هذا الباب ، نذكر منهم الأئمة ابن تيمية والغزالى وابن القيم ، وولى الله الدهلوى ، والشعرانى ، وان كانت له شطحات ، ومن المعاصرين الأستاذ الامام وأستاذنا الكبير المرحوم السيد رشيد رضا ، فهؤلاء وأمثالهم شجعوا الناس على البحث فى حكم التشريع ، وعلموهم المرونة فى الدين ، والا يكونوا حجر عثرة فى طريق الفهم ، وجذب الناس الى التدين والعمل بما عملوا ، وأولئك هم الذين وفقوا بين الدين والعقل ، وقربوا للناس ما كانوا يرونه صعب المرتقى فى فهم الدين ، وعلل بعض الأحكام ، وهؤلاء كما حاربوا جمود الجامدين ، وقفوا فى سبيل المتساهلين والمخرفين ، والذين يقولون : اذا وصل الانسان الى مقام القرب من ربه بالعمل الصالح ، فقد رفعت عنه التكاليف ، وله أن يفعل ما يشاء ، وقد اغتر بهذا الكلام كثير ممن يسمون المتصوفة ، وجهلوا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الليل حتى تورمت قدماه ، وأنه قال لعائشة حين أشفقت عليه (أفلا أكون عبدا شكورا) كما ثبت فى الصحيح ، وأنه كان يمر عليه أيام لا يوقد فى بيته نار وأنه وأهل بيته ما شبعوا ثلاثة أيام من خبز الشعير ، مع أن الدنيا قد أقبلت عليهم بعد الهجرة ، كما أقبلت على الصحابة ، الذين كانوا يسيرون على منهجه ، لأنهم أخذوا لآخرتهم أكثر مما أخذوا لدنياهم وهذا هو فقه الدين :

وخلاصة الخلاصة ، أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوه بقوله . (رب زدنى علما) فالبحث فى حكم الشريعة للوصول الى مراميها ، بقدر الطاقة البشرية هو لباب الدين وغاية ما يصل اليه كبار العابدين ، ومنتهى شوط الواصلين ، وله لذة تفوق كل متاع الدنيا ، ولو يعلم أهل الدنيا ، ما قرت به عين طلاب الآخرة ، لجالدوهم بالسيوف عليه وهذا باب يحتاج الى تبحر فى علم الدين ، واهتداء بآداب الاسلام ، وعمل بفروضه وسننه ، حتى تشف الروح ، وتصقل النفس بصقال أهل الايمان ، ولا حرج على السائر فى هذا الطريق اذا توقف لضعف أو جهد مضن ، ما دام يستأنف البحث ويغذ السير ، فان كبا جواده ، فله أجره عند ربه ، واذا وصل وبانت له أنوار الشريعة ، فلا يغتر ، ولا يقول كما قال الحمقى من قبل : لقد أصبحت من الواصلين ، ورفعت عنى التكاليف ، فلأفعلن ما أشاء ، ويفهم الحديث الصحيح على غير وجهه (وما يدريك أن الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فأين هو من أهل بدر ، وهل أدرك أهل بدر الفتور فى العبادة ، أو الملل من الجهاد ؟ وقد رفع الرسول صلوات الله وسلامه عليه أصحابه الى المقام الذى يستأهلونه فقال . (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) والله نسأل أن يجنبنا الزلل ، ويحمينا من الغرور ، ويحيينا ويميتنا على السنة والجماعة ، بمنه وكرمه ، انه ولى التوفيق ، وهو أكرم الأكرمين .

شيخ الإسلام موفق الدين

« ابن قدامة »

للأستاذ : عمر أحمد يوسف

(قال شيخ الاسلام ابن تيميه : ما دخل الشام بعد الأوزعى أفقه من الشيخ الموفق .)

نسبه :

هذه سيرة عطرة للامام الزاهد المجاهد شيخ الاسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله ابن حذيفة ، وينتهى نسبه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

أنعم به من نسب شريف . فأسرة هذا نسبها فلا عجب أن خدمت الاسلام كابرا عن كابر .

أسرة طيبة نشأت فى أرض مباركة . فقد ولد الشيخ الموفق فى شعبان سنة (٥٤ هـ فى بلدة جماعيل قضاء نابلس فى فلسطين . وجماعيل لا تزال موجودة الى الآن ولكن تلفظ جماعين بالنون لا باللام . « — تبعد عن القدس » أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . أقل من أربعين ميلا فهى ضمن الدائرة التى باركها الله تعالى فى محكم كتابه : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله . »

ظهر من هذه الأسرة الطاهرة النسب وذات الاقامة المباركة كثير من العلماء والفقهاء . فهذا والد الشيخ الموفق كان خطيب جماعيل وعالمها وزاهدها .

والشيخ أبو عمر الأخ الأكبر للشيخ الموفق كان يؤم الناس بالجامع المظفرى بدمشق ، وعندما توفى تولى الامامة الشيخ شرف الدين عبد الله (٥٧٨ — ٦٤٣) . وهذا ابن خالته الشيخ تقى الدين عبد الغنى بن عبد الواحد الجماعيلى كان زميلا للشيخ

الموفق فى الدرس والتفقه فى أمور الدين ، ولازمه فى رحلاته العلمية . وكان للشيخ عبد الغنى أخ زاهد عالم اسمه الشيخ عماد الدين ابراهيم بن عبد الواحد كان يؤم الناس بمحراب الحنابلة فى جامع بنى أمية اذا غاب الشيخ الموفق . وبعد وفاة الشـيخ العماد كان يصلى بالناس أبو سليمان عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغنى ما لم يحضر الموفق ، أما اذا حضر الشيخ الموفق فلا يتقدم عليه أحد . وظهـر أيضا عالم ورع هو الشيخ الحافظ الكبير ضياء الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد السـعدى المقدسى صاحب المختاره (٥٦٩ — ٦٤٣) ابن أخت الامام الموفق .

قال المؤرخ شمس الدين يوسـف سبط ابن الجوزى (٥٨١ — ٦٥٤) فى كتابه مرآة الزمان : « شاهدت من الشيخ أبى عمر وأخيه الموفـق ونسيبه العماد ما نرويه عن الصحابة والأولياء والأفذاذ فأنسانى حالهـم أهلى وأوطانى ، ثم عدت اليهم على نية الاقامة ، عسى أن أكون معهم فى دار المقامة » .

حياته ورحلاته العلمية :

لما كان الشيخ الموفق فى الثامنة من عمره استولى الصـليبيون على البلاد المباركة . فهاجر والده بأسرته من بلاد استولى عليها الكفـار الى دمشق حيث السكان والحكام هناك مسلمون . هاجر والد الشيخ الموفق لا خوفا على نفسه وأسرته من الكفار بل هاجر ليدعو الناس ويحثهم على الجهاد وتحرير البلاد الاسلامية وهذه هى الهجرة المشروعـة . ولنا فى هجرة رسول الله صلى الله عليـه وسلم وصحبه رضى الله عنهم أسوة حسنة حيث هاجروا من مكة بـلاد الشرك آنذاك الى المدينة المنـورة داعين الى الاسلام ، وعندما اشتد ساعدهم حاربـوا الشرك وطهـروا البلاد من رجسهم .

وكان الشيخ الموفق آنذاك يحفظ القرآن الكريم ومبادىء العلوم والفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل من كتاب « مختصر الخرقى » وكان رحمه الله يتلقى العلم من والده . اذ كان والده هو معلمه الأول ومعلم جميـع افراد هذه الأسرة الكريمة . ثم تتلمذ على شيوخ دمشق منهم : أبو المكارم عبد الواحد بن أبى طاهر محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال الأزدى الدمشقى المتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٥٦٥ هـ وأبو المعالى عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن على بـن صابر الدمشقى (٤٩٩ — ٥٧٦) . وعندما بلغ الموفق العشرين من عمره سافر ما بين سنتى ٥٦٠ — ٥٦١ هـ فى رحلة علمية الى بغداد يصحبـه ابن خالته الشيخ عبد الغنى . ودرس على يدى الشيخ عبد القادر الجيلانى بمدرسته فى بغداد وقرا عليه مختصر الخرقى قراءة فهم وتدقيق . وعندما توفى الشيخ الجيلانى رحمه الله ، انتقل الشيخ الموفق الى شيخ الحنابلة وفقيه العراق : ناصح الاسلام أبى الفتح نصر بن فتيان بن مطر النهروانى الشهير بابن المنى (٥٠٤ — ٥٨٣ هـ) فقرأ عليه مذهب الامام أحمد ومسائل الخلاف وعلم الأصول . وأعجب ابن المنى بنجابة الموفق وورعه واجتهاده على التحصيل حتى قال له : « اسكن هنا ، فان بغداد مفتقرة اليك ، وأنت تخرج مـن بغـداد ولا تخلف فيهـا مثلك . »

مكث فى بغداد أربع سنوات ، كما ذكر ابن اخته الضياء المقدسى نقلا عن أخته للمـوفق التى هى والـدة الضياء المقدسى : « ان اقامة الموفق

ابن قدامه

فى بغداد كانت نحوا من أربع سنين . ثم رجع الى دمشق فجدد عهده بهـا وبذويه فيها . »

قضى أربع سنوات فى بغداد فى الدرس والتحصيل ، أستمع الى كثير من علمائها منهم : هبد الله الحسن ابن هلال الدقـاق (٤٧٢ — ٥٦٢) والشيخ أبو الفتح محمد ابن عبـد الباقى بن احمد سليمان المعـروف بابن البطى البغدادى (٤٧٧ — ٥٦٤) ومن الفقيه الواعظ المقرىء الأديب أبى الحسن مهذب الدين سعد الله بن نصر بن سعيد المعروف بابن الدجاجى (٤٨٢ — ٥٦٤ — ومـن الشـيخ المحدث أبى طالب المبارك بن خضير ابن على الصيرفى البغدادى (٤٨٢ —٥٦٢) وكثير غيرهم .

ويظهر أنه رجع الى دمشق بطريق الموصل لأنه أخذ فيها عن خطيبهـا « أبى الفضل » . ثم أدى فريضـة الحج سنة ٥٧٤ ولقى بمكة أمـام الحنابلة بالحرم المكى الحافظ المحدث أبا محمد المبارك بن على بن الحسين ابن عبدالله بن محمد الطباخ البغدادى نزيل مكة المتوفى بها سنة ٥٧٥ فسمع منه . ورجع من حجه الى بغـداد فسمع درس ابن المنى ومكـث فى العراق سنة كاملة فى طلب العلم ثم رجع نهائيا الى دمشق .

حياته فى دمشق :

تفرغ فى دمشق للتدريس والتأليف والوعظ والارشاد ، وكانت دروسـه تبدأ من الصباح الى ارتفاع النهار ، ثم من بعد الظهر الى صلاة العصر . ومن صـلاة العصر الى المغـرب . وتخرج على يديه كثير من العلمـاء والفقهاء والمحدثين منهم ابن أخيـه قاضى القضاه شـمس الدين عبـد الرحمن بن أبى عمر (٥٩٧ — ٦٨٢) وبهاء الدين عبد الرحمن بن ابراهيم السعدى (٥٥٦ — ٦٢٤) وكان كل يوم وليلة يقرأ سبع القرآن .

مؤلفاته :

رحم الله الشيخ الموفق فمخلفاته النهار بأكمله وليله للعبادة والتأليف ، اذ ترك وراءه أكثر من ثلاثين مؤلفـا نافعا . وكتبه فى الفقه من المراجع التى يعتمد عليها لقد كان الموفـق موسوعى الثقافة لم يترك علما من علوم الدين الا وله فيه باع طويل . حتى الأنساب كان عالما بها ، فقد ألف كتابين فى الأنساب وهما مخطوطان بدار الكتب المصرية ، الأول هو كتاب التبيين فى نسب القرشيين ، والثانى الاستبصار فى نسب الانصار ، وله مجموعة فتاوى تعتبر مرجعا مهمـا لعلماء الافتاء .

قال العز بن عبد السلام : ما رأيت فى كتب الاسلام فى العلم مثل المحلى لابن حزم وكتاب المغنى لابن قدامة . »

والشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الانصارى الصرصرى الأديب اللغوى الشاعر الذى بلغت مدائحه فى النبى صلى الله عليه وسلم عشرين مجلدا ، والذى حارب جيوش هولاكو عندما دخلت بغداد بعكازه وهـو ضرير ، واستشهد بعد ان استطاع أن يقتل عدد من جنود هولاكو ، ألف قصيدة لامية يمدح بها الشيخ الموفق وكتبه أذكر منها :

وفى عصرنـا كان الموفق حجـة
على فقهه ثبت الأصـول معولى
كفى الخلق بالكافى(١) وأقنع طالبا
بمقنع(٢) فقه عن كتاب مطـول
وأغنى بمغنى(٣)الفقه من كان باحثا
وعمدته(٤) من يعتمدها يحصـل
وروضته(٥) ذات الأصول كروضة

أماست بها الأزهار أنفاس شـمأل
تـدل على المنطوق أوفى دلالـة
وتحمل فى المفهوم أحسن محمـل

(١) يقصد الشاعر بذلك كتاب الكافى فى الفقه للشيخ الموفق . (٢) كتاب المقنع فى الفقه للشيخ الموفق وكتاب الكافى أوسع من كتاب المقنع . (٣) وكتاب المغنى وهو كتاب بعشرة أجزاء .

وهو شرح لمختصر الخرقى . والخرقى هذا هو أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله البغدادى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ (٤) وكتاب روضة الناظر فى أصول الفقه وشرح هذا الكتاب الشيخ عبد القادر بدران الدمشقى واسم الشرح « نزهة الخاطر العاطر » وقد طبع كتاب روضة الناظر مع الشرح بأمر الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله سنة ١٣٤٢ هـ .

أسلوبه :

كان رحمه الله يعقد بعد صلاة الجمعة حلقة فى جامع بنى أمية يناظر فيها كل مسائل العلم ومشاكله ولكنه ترك ذلك فى آخر عمره . وكان قوى الحجة سهل العبارة لا يناظر أحدا الا وهو يبتسم . حتى قال بعض الناس : هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه . وكان فى مناظراته يجعل النصوص الشرعية التى فى الكتاب والسنة هى الحكم بينه وبين مناظريه . ولا يدخل معهم فى جدال أهل الكلام والمراء وخاصة فى الصفات الالهية .

لم ينس الشيخ الموفق بلاده المباركة التى ترزح تحت حكم الصليبيين وكان دائما يحث الناس على الجهاد . وعندما يسر الله للمسلمين صلاح الدين الأيوبى ، ووحد المسلمين وجهز الجيوش لتطهير الأرض منهم . سار الشيخ الموفق مع جيوش المسلمين لمحاربتهم ، وكذلك اشترك أخوه الشيخ أبو عمر وجميع شباب أسرتهما . وهذا هو الايمان حقا جهاد فى الكلمة ، وتحريض الناس على الجهاد واشتراك فعلى فى الجهاد . ولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة اذ كان يقود المعارك فى حربه ضد الشرك والكفر .

صفاته :

قال الشيخ عبد الله اليونينى : « ما أعتقد أن شخصا ممن رأيته حصل له من الكمال فى العلوم والصفات الحميدة التى يحصل بها الكمال سواه ، فانه رحمه الله كان كاملا فى صورته ومعناه من الحسن والاحسان والحلم والسؤدد والعلوم المختلفة والاخلاق الجميلة والأمور التى ما رأيتها كملت فى غيره . »

وكان الشيخ الموفق زاهدا قنوعا لا يهمه حطام الدنيا . ومن قوله فى الزهد :

كؤوس المـوت دائرة علينا
ومـا للمـرء بد مـن نصيـب
الى كـم تجعل التسـويف دأبا
أما يكفيـك انـذار المشـيب ؟
أما يكفيـك أنـك كـل حين
تمـر بغير خـل أو حبيـب ؟
كأنـك قد لحقت بهـم قريبـا
ولا يغنيـك افـراط النحيـب

وكان متمسكا بالسنة ورعا متواضعا ، محبا للمساكين يأكل وأياهم كل يوم ما تيسر فى بيته . لا يذهب لأمير أو عظيم بل هم يأتون لزيارته . وفى المسجد بيت الله . قال الشيخ ابن شامة المقدسى الدمشقى (٥٩٦ ـ ٦٦٥) : « كان شيخ الحنابلة موفق الدين اماما من أئمة المسلمين ، وعلما من أعلام

الدين ... جاءه مرة الملك العزيز بن العادل يزوره ، فصادفه يصلى ، فجلس بالقرب منه الى أن فرغ من صلاته ثم اجتمع به . ولم يتجوز فى صلاته . وكان اذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة يمضى الى بيته بالرصيف ، ومعه من فقراء الحلقة من قدره الله تعالى ، فيقدم لهم ما تيسر لهم يأكلون معه . » والشيخ الموفق هو القائل :

لا تجلسن بباب من
يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجتى اليه
يعوقها أن لم أداره
واتركه واقصد ربها
تقضى ورب الدار كاره .

(١) هو أسد الشام أبو عثمان عبد الله بن عبد العزيز اليونينى (٥٣٥ — ٦١٧) ويونين قرية من قرى بعلبك ، اشتهر بالزهد والورع ، ومحاربة الصليبيين ، وكان وزن قوسه التى يحارب بها ثقيلا جدا . وكان لا يخشى فى قوله كلمة الحق أحدا . والأمراء والملوك تأتى لزيارته منهم صاحب بعلبك الملك الأمجد نيهينه اليونينى ويقول له : يا أميجد أنت تظلم وتفعل ... فيعتذر اليه الملك الأمجد ، ويتقبل اهانته .

ووصفه محب الدين محمد بن محمود « ابن البخار » (٥٧٨—٦٤٣) فى الذيل على تاريخ بغداد فقال : « كان الشيخ موفق الدين امام الحنابلة بالجامع ، وكان ثقة حجة نبيلا غزير الفضل ، كامل العقل ، شديد التثبت ، دائم السكوت ، حسن السمت ، نزيها ورعا عابدا على قانون السلف على وجهه النور ، وعليه الوقار والهيبة ، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه . »

وفاته :

انتقل الى رحمة الله تعالى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠ هـ ودفن فى صالحية دمشق فوق جامع الحنابلة الى الشمال تحت المغارة المعروفة بمغارة التوبة .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه مع الصالحين والشهداء الخالدين فى النعيم المقيم .









فى ظلمة الليل الدامسة ، تلك الآونة المعينة التى تشتد فيها الحلوكة والقتامة ، ايذانا بقرب مشرق أولى شعاعات فجر بهيج جديد .. وتحت كثيب عال من الصخور والحصى والرمال التى أثلجها البرد القارص ، وزادت من ارهافها حدة الصقيع .. قبع الفتى العربى الصغير السن .. يضم الى صدره الغض ، باهتمام ورفق ، شيئين صغيرين عزيزين ..

حتى ذلك الوقت كان لا يزال يفكر .. قطعا هو لم يخطىء فى شىء .. أو ليس فتى عربيا ، مسلما ؟ اذن فلم يكن مناص من أن يفعل ما هو فاعل « الآن » .. والا فكيف يكون عربيا له شرف الانتساب الى الاسلام والعروبة .. وها هنا بلده الحبيب .. وطنه المقدس الشريف .. تجوس خلال دروبه المجيدة الطاهرة تلك الاقدام الوضيعة الدخيلة ، التى ما كان يمكن لها أن تجرؤ أو تقدر على المجىء ، لولا ذلك العون الخارجى الغادر ، ولولا ذلك التأييد المشين الفاضح من تلك القوى الخارجية الشريرة ؟!

.. من هنا ستكر راجعة ثلة الجنود ، التى انتشرت تتخبط كالهوام ، ساعية من فرط جزعها الى الدور والحقول ، منذ قليل .. لكم روعتهم وأقضت مضاجعهم الهجمات العديدة الماحقة التى لا تنتهى .. ما كان — ولن يكون — بوسعهم الا أن يمعنوا فى التخبط والهذيان ، والهلع !!

للأستاذ
محمد الخضري عبد الحميد

.. فى كل مرة تنقض عليهم احدى تلك الهجمات ، المتتابعة الضارية التى تطير ألبابهم وتصب عليهم مزيدا من شواظ نيران الغضبة المضرية الباترة ، لا يكون بوسعهم الا التمسح آخر الامر ، فيما يتمسح به (العاجز) وألا (التفنن) فى اخراج بعض الآمنين من دورهم .. بزعم أنهم يأوون داخل تلك الدور فدائيين !!

ود الفتى لو أن يريحهم من كل ذلك الفـــزع ، الذى تمكن منهم ، واستشرى بينهم بعد أن أطاح ، والى غير عود ، بفرحتهم الاولى قصيرة الامد !!

تمنى ــ بصدق ــ أن لو استطاع تبصيرهم بحقيقـــة الامر .. ان الفدائيين هنا ليسوا « نباتا معينا » يسهل تمييزه ، أو يمكن تحديده .. ومن ثم يمكن حصره واقتلاعه بعد ذلك ، فيصبح كل الحقل آمنا !!

يا لهم من أغبياء مخطئين ..!!

فى كل مرة تنهال عليهم فيها الطلقات الحاصدة الساحقة ، وتجتاحهم الانقضاضات المحكمة الداهمة يهبون يولولون ، فزعين مرتعدين ، يملأون الطرقات « دبدبات » مختبلة مذعورة .. حتى اذا لم يجدوا فى النهاية شيئا يشفى الغلة أو يرضى الفضول ..

أفرغوا حقدهم المرير على أول باب وادع يصادفهم ، والحجة الواهية المأثورة معدة سلفا ..!!

لكنه سيلقنهم ــ الليلة ــ درسا عمليا .. لقد درس المنطقة جيدا .. وعرف توقيت الذهاب والاوبة تماما و .. ولن يعيب عليه أحد من الكبار انفراده بعمل خاص .. وهل يعاب عليه ، مهما صغر سنه أن يشارك بدوره فى القضايا الهامة ، العامة ؟؟

« .. أو ليسوا دخلاء جبناء .. نفذوا بالخديعة كالمكروب الخبيث المدعم بقوى خارجية شريرة الى بقاع من الارض العربية غالية عزيزة » ؟؟ اذن يحق له ، حتى ولو لم يك فدائيا تنتظمه احدى المنظمات أن يســـهم هو أيضا بدوره ، فى القصاص منهم ، و .. وها هنا قنبلتان طيعتان ، توافقانه الرأى تماما ..

□□□

.. منذ أسبوع تشاور وصديقه « حازم » فى هذا الامر .. وحينما قر قرارهما على « العمل » وحدهما خشية أن يحول صـــغر السن دون قبولهما فى واحدة من منظمات المقاومة العربية .. بدءا من فورهما يعملان معا ، وان كان الفتى قد اعتاد أن يفكر باستغراق فى خلواته ، وحده ..

وهكذا تيسر لهما أن يختطفا قنبلتين ، وأن يلوذا على الاثر بالفرار ، دون أن يمسك أحد فى معسكر الاعداء خيطا يقود الى اكتشاف حقيقـــة ما حدث !!

كان « حازم » صديقه تراوده هو أيضا ذات الفكرة .. لماذا لا نفعل بهم ، نحن أيضا ، مثلما يفعل الفدائيون ..؟ حتى كانت ليلة اختطـــاف القنبلتين من معسكر العدو بنجاح .. ومن وقتها خشى هو على الصديق أن يصيبه بعض شرهم .. فان صديقه « حازم » صغير السن ، ووحيد أبويه ، وأبواه شيخان واهنان همـــا اليه أحوج ما يكونان .. فقال له آنذاك :

ــ حازم .. سأتولى الحراسة .. بينما تنتزع أنت من القنابل ، أكبر عدد تستطيع انتزاعه ، فان نجحنا ، وسننجح باذن الله لأن الله مع الحق وذويه .. يكون دورك رائعا وكفى .. وعلى الله وعلى أنا الباقى ..

كانت ليلة ــ فى الحق ــ رهيبة .. ليلة فريدة حافلة .. ليلة صرخت فيها صفارات ، وطرقعت بجنون هائل عجلات وخطوات ، وانتشر فى كل المناحى والدروب هرج وأزيز ، وعواء حناجر ونواح أبواق !!

لكنهما اختفيا فى شعاب التلال والكثبان .. حتى يئس ــ كالعادة ــ الجزعون القلقون .. فأيقن السعيدان الصغيران أنهما أفلتا ــ بحمد الله وفضله ــ فى سلام ..

□□□

ان شيئا واحدا كان يحزنه بعد تلك « الافتتاحية » الموفقة الباهرة .. الا وهو « قلة العدد » فى محصول الليلة ! .. فان الصديق الطيب «حازم» وله من صغر السن بعض العذر .. لم يستطع التقاط أكثر من « قنبلتين اثنتين » كما قال له صبيحة تلك الليلة الرائعة ..

□□□

وفجأ انقطع بغتة تواتر الصور فى مخيلة الفتى فأرهف أذنيه جيدا .. خطوات الجنود المحتلين تقبل من بعيد .. مكدودة ، خـــائرة مخبولة .. كعادتها وكدأبها دائما اثر كل اياب !

.. واستعد بقنبلتيه فى تحفز .. وابتسم راضيا متفائلا . ســيعيد السلاح الغادر ، سلاح الباطل الى صدور ذويه !

ولكن .... عجـــبا ؟ !

ما هـــذا ..... ؟؟؟

.. قبل أن تقترب الى مخبئه خطواتهم المرهقة المتخاذلة .. انفجرت

هناك قنبلة مدوية سطع لها بريق خاطف .. وغطى على هديرها «زعاق» الجنود المبغوتين .. وعلى الاثر ســقط ثلاثة منهم قتلى وأنطرح كثيرون جرحى ، وبقى واحد برقت عيناه الكئيبتان فى أسداف الظلام وعلى وهج نيران الانفجار .. فبدا كما لو كان فأرا تعسا أطبق عليه فكا « مصيدة » قاصمة .. وفى غمرة خوفه الجنونى أطلق من بندقيته رصاصة على مكان معين .. ثم فر مذعورا مارقا كسهم طائش فى جوف الظلام الكثيف ..

□□□

دهش الفتى المختبىء لكل ذلك الذى حدث على مقربة منه !

نظر الى قنبلتيه .. فاذا هما — لا تزالان — بين يديه .. ! .

على حالهما ، باقيتان ، طيعتان ، تنتظران !!

فـ .. فمن هذا — «الغير !» — الــذى فعلها وحده ، هناك ، على

□□□

راعه أن يجد على تل قريب « حازم » الصغير ، صـــديقه الطيب العزيز ، يتوســـــد الحصى والرمـــال ودمــــاء حارة زكيـــــة تنفجر على أديم التـــــل ، وفوق رؤوس الصـــخر من جنبيــــــه الايسر .. وعبارة نشوانة يقولها بهمس خافت للصديق الذى انكفأ عليه باكيا ، يحاول أن يضمد جراحه :

— سامحنى يا أخى .. وادع الله أن يسامحنى .. كذبت عليك رغما وليس عمدا أخفيت عليك حقيقة أن عندى قنابل أخرى .. أردت أن يكون دورى .. أكبر قليلا مما رسمت لى واقترحت على ! اذهــب الآن تحت الزيتونة العتيقة ، خلف بيتنا ، وخذ البقية ! .. لا !لا تبك على فقط قم.. قم وعلمهم أن الفدائيين هنا .. ليسوا نباتا معينا .. انهم هنا .. نبات كل الحقول .. !



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها ..



فى الحضانة

لشقيقى المتوفى ابن قاصر عمره أربع سنوات ، تزوجت والدته بأجنبى ، وقد عينتنى محكمة الرياض الشرعية وصيا عليه ، والآن الولد مع أمه بالكويت ، وجميع أقاربه الآخرين من جهة الأب أو الأم بالضفة الغربية — الأرض المحتلة — وله عمة شقيقة والده بالسعودية متزوجة من ابن عمها . فمن الأحق بحضانته ؟

ى — هـ — عم الصغير — بالكويت

الجواب :

المقصود من الحضانة حفظ الصغير وتعهده والقيام بشئونه ، والأصل فيها أن تكون للنساء لأنهن عادة أشفق على الصغير وأقدر على خدمته وأكثر صبراً على احتمال ما يحتاجه ، وصاحبة الحق الأول فى حضانته أمه ثم أمها وان علت ثم الأخت الشقيقة ثم الأخت لأم .. وهكذا من كانت قرابته للأم أكثر ممن كانت قرابتها للأب تقدم عليها حسب درجتها فاذا لم يوجد من النساء رحم محرم له انتقلت الحضانة الى العصبة الذكور .

وبما أن والدة الصغير متزوجة بأجنبى ، وعمته بالسعودية وجميع من لهم حق الحضانة عليه بالضفة الغربية بالأردن ومن المعروف أنها الآن محل قلاقل وحروب فهى مكان غير مأمون . فسقط حق جميع من ذكر فى حضانة الصغير وتكون حضانته الآن لعمه السائل المقيم بالكويت ولا مانع لهذا العم أن يترك الولد عند أمه اذا لم يتضرر زوجها وكان فى ذلك مصلحة الصغير . والله أعلم .

فى الزكاة

شخص مدين بمبلغ (٥٠٠) دينار استدانه لبناء سكن له . فهل يجوز لهذا الرجل المدين أن يأخذ من الزكاة مبلغا يسد به دينه .

الجواب :

قال تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

من الأصناف الذين يجوز صرف الزكاة لهم (الغارمون ومن الغارمين من استدان دينا تعذر عليه دفعه . وقد روى مسلم عن ابن سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : أصيب رجل فى ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال صلى الله عليه وسلم : (تصدقوا عليه فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لغرمائه : (خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك) . ومفاد الآية الكريمة والحديث الشريف أنه يجوز أن يعطى للمدين — الذى لم يستدن فى معصية — من الزكاة ما يسد به دينه . وعلى هذا فلا مانع شرعا من اعطاء هذا المدين من الزكاة ما يسدد دينه الذى استدانه .

انا شاب أبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما ومن جيراننا امرأة توفى زوجها منذ سنة تقريبا ولها بنت صغيرة عمرها سنة رضعت من والدتى عدة مرات كثيرة وأريد الزواج من أم البنت .

فما حكم الشريعة ؟

محمد أحمد
الكويت

الجــواب :

قال النبى صلى الله عليه وسلم ((يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)) وبرضاع البنت الصغيرة من والدتك خمس رضعات فأكثر تصبح البنت أختا لك من الرضاع ولا صلة بينك وبين أمها سوى أنها أم لأختك رضاعا ولا مانع شرعا من أن يتزوج رجل أم أخته أو أم أخيه رضاعا لانها ليست أما له ولا موطوءة لأبيه بخلاف أم الأخت من النسب فانها اما أن تكون أما له أو موطوءة لأبيه ومن ثم فلا يجوز الزواج منها والمقرر فقها انه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب الا أم أخيه أو أم أخته فهذه من الأمور المستثناه من الحديث المذكور .

وعلى ذلك نفتى بأنه لا مانع شرعا من الزواج بأم الأخت من الرضاع أما أم الأخت من النسب فلا يجوز .

توفى رجل عن

(أخت لأم ، وأخ لأب ، وأولاد عم) فما نصيب كل وارث .

خليفة دخيل
الكويت

الجــواب :

اذا لم يكن للمتوفى المذكور سوى الورثة المذكورين يكون توزيع تركته على النحو التالى : للأخت الأم السدس فرضا ــ والباقى للأخ لأب تعصيبا ، ولا شىء لاولاد العم .

رضعت من زوجة ابن عمى كما رضعت بنت من زوجة ابن عمى أيضـا وأريد الزواج من احدى بنات هذه البنت التى رضعت من زوجة ابن عمى فما حكم الشريعة .

سعود المطيرى
الوفرة ــ المنطقة المحايدة

الاجابــة :

رضاع السائل من زوجة بنت عمه ورضـــاع بنت منها أيضا تصبح هذه البنت أختا له من الرضاع وبناتها بنات أخت له وهن محرمات عليه لقوله تعالى فى آية التحريم ((وبنات الأخ وبنات الأخت)) .

لذلك تجيب اللجنة :

بأنه لا يجوز للسائل أن يتزوج واحدة من بنات أخته رضاعا وهى التى رضعت من زوجة ابن عمه التى رضع هو منها .

والله أعلــم ،،



باشراف : الشيخ رضوان البيلي

كليم الله

معلوماتنا وعقيدتنا فى موسى عليه السلام أنه خامس خمسة من أولى العزم من الرسل أرسله الله فى بنى اسرائيل ، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور ، وكلفه بمواجهة فرعون ودعوته الى التوحيد ، وكان بينهما حجاج طويل وجدال عنيف انتهى بتفوق موسى عليه وافحامه ودحض مفترياته .. وهذا يستوجب أن يكون موسى فى أعلى درجات الفصاحة والبيان والقــدرة على الدفاع عن الحق والمحاماة عن الحرية ... ولكن المفسرين يقولون عنه : انه كان فى لسانه حبسة أو لكنة ، ويستدلون على هذا الرأى بآيات من القرآن الكريم : « واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى .. وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردئا يصدقنى » وفرعون يعيره بهذا فيقول : عنه : (ولا يكاد يبين) ويذهب المفسرون الى أن هذا العيب اللسانى كان فى موسى منذ طفولته ، ويذكرون قصة تعزز رأيهم ، فيقولون : ان فرعون أجلسه فى حجره وهو رضيع ، فمد يده الى لحيته ، وجذب شعرات منها ، فغضب فرعون وأراد قتله وكاد يفعل لولا أن زوجه شفعت فيه ، وقالت : انه لا يعقل ، فلا يؤاخذ ، وفى سبيل تهدئة غضب زوجها أحضرت تمرة وجمرة فى طست وضعته بين يدى موسى ، فترك التمرة ، وأخذ الجمرة ، وضعها على لسانه فأثرت فيه ، ونتج عن هذا الأثر حبسة فى لسان موسى لازمته طول حياته .. وهذه القصة لا يــكاد يخلو منها كتاب من كتب التفسير حتى يمكن القول بأن المفسرين مجمعون على وجود هذا النقص فى موسى عليه السلام .

وأنا لا أعقل أن يكون رسول الله — فضلا عن أن يكون من خواصهم وأولى العزم منهم — على هذه الصفة اللسانية المعيبة ، وأنا كذلك حائر فى فهم الآيات التى تشير بظاهرها الى وجود هذا العيب فى كليم الله الذى اصطنعه لنفسه .

فهل أجد عندكم مخرجا من هذه الحيرة ، وتأويلا مقنعا لهذه الآيات يتفق مع ما يجب أن يكون لموسى رسول الله من جلال وكمال .

لطفى خليل — عمان

* * * * *

ان البيان والافصاح من ألزم الصفات التى يجب أن تتوفر فى كل مبعوث لتبليغ رسالة خاصة ، وسلامة النطق واستقامة اللسان شرط أساسى فى كل من يختار للتحدث الى الناس . فالمحاضر والمدرس والخطيب والمذيع مثــلا من مقوماتهم الأساسية فى علمهم الوضـــوح فى النطق وحسن الالقاء ، وقـــوة الشخصية والقدرة على الاقناع والتأثير فيمن يستمعون ولا يستسيغ عقل — كما يقول صاحب الرسالة الحائر — أن يكون فرد واحد من رسل الله وهم قمــم البشرية وحملة الرسالات الالهية الى الناس — عن النطق لا يكاد يبين .

وموسى عليه السلام علم من أعلام الرسل . لم يكن عييا ، ولا تأتاء ولا فأفاء . لم يكن به عيب من عيوب النطق ينقص من قدره ، أو يجعله أضحوكة للسامع أو مثارا للسخرية والازدراء ، بل كان لسانه طلقا ، وبيانه فصيحا ، وبرهانه مقنعا شأنه فى الاكتمال اللسانى والاقتدار البيانى شأن جميع الأنبياء والرسل ، وقد أمده الله بكل ما يمكنه من أداء رسالته وتبليغ دعوتـــه ، وفى مقدمة أدوات البلاغ والدعوة اللسان الصحيح والنطق الفصيح : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين » .

حاج فرعون فقهره ، وبهر السحرة بحلاوة منطقه وحسن بيانه وقـــوة برهانه فخروا ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين رب موســـى وهارون ، وكان اســـــتواء خلقه وحسن خلقه ونضج رجولته ، وبراءته من النقائص الخلقية والخلقية سببا فى اقبال ابنة الشيخ شعيب عليه وطمعها فى الاقتـــران به ، وسببا فى فرح شعيب وطلبه مصاهرته .. ولو كان فى موسى ما يشين أو ما يعيب ، ومن أبرز ما يشين ويعيب العى وحبسة اللسان . لو كان فيه شىء من هذا النقص ما كان هذا الاقبال من فتاة تتطلع الى فتى أحلامها ــ كما يقولون ــ وماكان هذا الترحيب من شيخ قومه وسيد عشيرته بمن يوده صهرا له وبعلا لابنته .

ولست مع المفسرين فى كل ما نقله عنهم صاحب هذه الرســـالة اذ أن سلامة النطق وحسن البيان وفصاحة اللسان وقوة الحجة ونصاعة البرهـــان والقدرة على دحض المفتريات وتفنيد الشبه وابطال الباطل واحقاق الحق من الصفات التى يجب أن تكتمل فى كل رسول من المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وموسى كان رسولا فى بنى اسرائيل ، ولغتهم العبرية ، فكان أقدرهم فى هذه اللغة ، وأعرفهم بأســـلوبها وخصائصها : « وما أرســـلنا من رسول الا بلسان قومه » فلم يكن فى لسانه حبسة ، ولا فى نطقه لكنة ، وما قصة التمرة والجمرة الا لون من ألوان الخيال الذى لا يعقل ، والا فكيف تقوى أنامل الطفل اللينة الهينة على احتمال نقل الجمرة من الطست وحملها ورفعها حتى تبلغ فاه وتصل الى لسانه ألم تلسعه حرارتها بمجرد وضع يده عليها .

وموسى عليه السلام أرسله الله الى فرعون أيضا ولغة فرعون هى اللغة المصرية القديمة وموسى بحكم ولادته فى مصر ونشأته فيها وتربيته فى البلاط الفرعونى عرف هذه اللغة وتخاطب بها الا أنه عليه السلام خرج من مصر قبل أن يرسله الله وتوجه الى مدين وتزوج من أهلها ومكث فيهم زمنا طويلا ، فعرف لغة أهل مدين وتكلم بها وأجادها وساعده على ذلك أنها قريبة من اللغة العبرية لغته الأصلية لأن أهل مدين يمتون بصلة القرابة الى العبرانيين فأبوهم واحد وهو ابراهيم عليه السلام ، ولما رجع موسى الى مصر بعد هذه الغيبة الطويلة كان العهد بينه وبين لغة المصريين قد بعد وطال ، فلما كلف بدعوة فرعون الى التوحيد طلب من ربه أن يشد أزره بأخيه هارون الذى بقى فى مصر ولم يخرج منها مع موسى ، ولم يغب عنه شىء من لغتهم كما غاب عن موسى : « وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردئا يصـــدقنى » وطلب موسى من ربه أن يقدره على النطق والافصاح باللغة المصرية كما ينطق بها المفوهون فيها من أبنائها . وهذا أمر لا يعيبه عليه الســـلام وخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم كان يستعين بالمترجمين ، فى مخاطبة غير العرب ، والذى وصف موسى بأنه غير مبين هو عدو الله فرعون ضيقا بدعوته .

ولعل صاحب هذه الرسالة قد وجد بعد هـــذا البيان مخرجا من حيرتـــه وتأويلا مقنعا للآيات يتفق مع مايجب أن يكون لموسى عليه السلام من جلال وكمال .



يعـــــــبرون فيه عن أفـــكارهم
دون أن تلتزم المجـــــلة بآرائهم

كتب الاستاذ عبد الرحمن أحمد شادى تحت هذا العنوان يقول :

يدعى أنصار الربا استحالة الحياة فى ظل الحضارة المعاصرة الا بالاخذ بنظام المصارف الكبرى والصغرى وهى قائمة على أساس من الربا .

واليهود هم ملوك المال وكهان المصارف وسدنتها ، ولذلك يتجهون بها هذا الاتجاه الخبيث الذى يحقق مصالحهم فقط ، وطالمـــا أكد أنصار الربا أنه بدون الفائدة ستتعطل المصالح وتتوقف المنافع لأن المقرض الذى يبغى خير البشر ونفع الناس تطوعا واحتسابا غير موجود بصفة عامة تكفى نشاط الحياة الاقتصادية وازدهار المشاريع العمرانية لضعف الحافز الدينى الذى يثق الفرد بمقتضاه فى وعد الرازق الوهاب .

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » .

وقد حرم الربا فى التوراة والانجيل والقرآن ففرضوا منطقهم المادى على التوراة ، وزعموا أن المقصود بتحريم الربا هو الشعب اليهودى فقط ولليهودى أن يرابى فى أموال بقية الشعوب كيف يشاء .

وبذلت المحاولات نفسها فى المسيحية ففرق المجددون مثل كالفى بين الربا لسد نفقات العيش أبقوه على الاصـــل وهو الحرمة أما القروض التى هدفهـــا استغلال الاموال فى المشاريع الزراعية أو الصناعية أو التجارية فقالوا إن رباها حلال ، وكان لرأيهم الغلبة والتفوق والسيادة حتى أن بعض البابوات والملوك تعامل بالربا علنا .

وبذلت المحاولات نفسها فى الاسلام أيضا ففرق بعض المجددين بين الفائدة القليلة أباحوها ، أما الربا الفاحش الاضعاف المضاعفة فحرموها .

وكل هذه تأويلات أو تفسيرات فى الديانات الثلاث تحمل طابع التساهل، وتؤدى الى ابطال معنى النصوص وتعطيل الآيات البينات ، وتحمل فى طياتها معنى خطرا ، وهو أخضاع الحكم المنزل من السماء لأهواء أهل الارض ، واذا لم يفلحوا فى هذه المهمة قالوا انه من ضرورات الحياة فى العصر الحديث ومن لوازم التمدن لكل دولة .

وأثر الربا فى بعث الشر فى النفوس وايغار الصدور معروف ودعوته الى الحقد والبغضاء مشهورة وهو يؤكد الاثرة ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ويكفى

أن نذكر من أضراره أنه السبب الأكبر فى الاحتلال حماية لأموال المصارف الربوية التى أقرضته .

وتم الاحتلال فى الهند حماية لأموال التجار المرابين الجشعين والشركات الاستغلالية حتى فى أمريكا صرح رئيسها روزفلت ١٩٣٤ بأن الخلاص من الأزمة لن يكون الا باسقاط الربا ، وتم ذلك فعلا فى السنة المذكورة .

والانسان عضو فى مجتمع لا يعيش وحده فإن لم يتعاون هو مع المجتمع فى حالة الرخاء فستدور الدائرة عليه ويتخلى المجتمع عن مساعدته فى وقت الشدة ، وكانت الحشرات التى تتعاون فى حياتها كالنحل والنمل خيرا منه وقد وردت الآيات والأحاديث تؤيد هذا المعنى وتثبته فى الأذهان منها :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وقد توصل الناس الى نظام يسمى الجمعيات شاع وذاع لا يعلم من الذى فكر فيه واستعمله لأول مرة ، وله بذلك (ان نوى) ثواب السنة الحسنة والقدوة المحمودة والصدقة الجارية ، وأصبح التلاميذ الصغار فى المدارس الابتدائية يعرفونه ، وبرعت فيه ربات البيوت يدفع كل فرد قسطا كبيرا أم صغيرا من قرش الى عشرة جنيهات وأكثر لمن شاء فى مدة محددة من الزمن كاليوم والاسبوع والشهر ، ثم يأخذ المجموع من الأقساط فرد واحد فى المدة المحدودة ، ثم يأخذه آخر فى المدة التالية ، ثم ثالث ورابع الخ بالتناوب أو بالقرعة أو بحسب الضرورة الملحة والحاجة القاهرة ، ويظل كل من قبض المبلغ يدفع الأقساط اليومية أو الاسبوعية أو الشهرية حتى تبرأ ذمته من الدين ، ويتكون منها مبلغ ضخم يستطيع من أخذه أن يقضى به مصلحة كبيرة تتناسب مع المبلغ المجموع ، وعن طريق هذه الجمعيات أو هذا البديل البسيط من نظام الربا استطاع كثير من الآباء والأمهات مواجهة نفقات العيد بما تستلزمه من التوسعة على العيال وكسوتهم والقيام بالتزامات المدارس والجامعات فى أول العام الدراسى وزواج الاولاد ذكورا وأناثا بتأثيث العش السعيد وبناء البيوت وشراء الارض والحج الى بيت الله الحرام والانفاق على القضايا فى المحاكم ودفع الغرامات وتكوين رءوس أموال للتجارة فيها ، وفتح البيوت بسببها الخ وهذه أمثلة فقط .

حل هذا البديل البسيط كثيرا من العقد ونفس كثيرا من الكروب ويسر على المعسرين وستر المساكين وعودهم وعلمهم الاقتصاد والتوفير لكل قرش أبيض لينفع فى اليوم الأسود ، وكان برهانا معاصرا على أمكان الحياة بدون فائدة وأدى الى خلاص الناس فى كثير من العمليات المالية التى ذكرنا أمثلة لها من براثن المرابى الجشع وحماهم من الوقوع فى أثم الربا .

اعرف نفسك

وتحت هذا العنوان يقول الاستاذ عبد الغفار الباز محمد الباز :
ما أبدع الحياة فى عين المصلحين وأجملها ، أنها كالزهر حين يتفتح ، وكاللؤلؤ حين يبتسم .

وهكذا يكون المصلحون فى هذه الدنيا .

نظرات ثاقبة وعقول شاردة . ولكنه شرود واع يحس بنبضـــات القلب وخلجات الضمير .

وما دام الضمير فى تيقظ والقلب فى وعى . والنفس غير عطشى لمـــا فى الحياة من رجس وما فيها من أباطيل وأوهام فالمرء جدير بأن يحيا وأن يعيش . ولا أقصد عيش الحياة الدنيا ، وانما الذكرى الصالحة حياة خالدة والحياة فى دنيا الفناء ألوان فتلون مع الحياة كما تبغى أنت . لا كما تبغى هى . ولكن فى حدود الخلق الطيب والخصال الحميدة ؟ فان شخصية تسيطر عليها شهوات الحياة الدنيا لا يمكن أبدا أن تكون أداة صلاح لفرد أو جماعة ، وما الدنيا فى يد المصلحين والموجهين الا عجينة من دقيق . أن أحســـنوا فنها وأخلصوا ازاءها العمل . شكلوها كما يريد الله للـــكون أن يكون جميلا غير قبيح . نظيفا غير ملوث !!

فانظر دائما لنفسك .

وقد قرر رسول الاسلام (محمد صلوات الله عليه) أن (من عرف نفسه عرف ربه) . وهذه قاعدة سقراط الخالدة : (اعرف نفسك بنفسك) .

والاسلام يقدم لنا حقيقة أنفسنا فيما نتخذه من خطوات تجاه صلاح النفس وتقويم الضمير . ومن هنا يعرف المرء نفسه لأنه عرف طريقه تجاه الخير أو الشر : وهذا معنى ما قرره رسول الله من أن معرفة نفسك طريق لمعرفة ربك .

فاسلامنا الحنيف اذا عاوننا على معرفة حقيقة أنفسنا ، والله الذى يقول عز من قائل : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

يقرر لنا حقيقة أنفسنا فى غير موضع من القرآن الكريم .

سوا كانت هذه المعرفة مادية أو معنوية فلم يتركنا الاسلام هملا نتخبط على غير هدى ونمشى فى غير وعى .

بل جعل كل شىء من حولنا فى طبيعة هذا الكون حلا لما خفى علينا فى طريق الحياة ، ولهذا أمرنا بالسير وأمرنا بالعمل .

ومن هنا أمرنا أن نكون أعزاء فى غير كبر وأن نكون أقوياء فى غير جور .

وفى هذا كله كشف لحقيقة أنفسنا ليقف المرء منا مكانه من موضع الخير عندما تتحرك فيه ارادة الشر ، وفى وقفته تمييز لمعانى الخير من الشر والفوز أو الخذلان حيث تتغلب احدى هاتين القوتين ! !.

ولا يحسبن غافل عن الخير حينما يحس فى نفسه سعادة . أنه من الخير كما ينبغى منه أن يكون .. ولكنها سعادة التائه وغفلة الجاهل الحائر فى بيداء الحياة الدنيا .

والله سبحانه لا يؤمن مكره فانه (ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته) . ومن يقذف بنفسه فى مهد الغواية أو شبابها فقد ظلمها وأبخسها حقها ، والله الذى حرم الظلم وهو القوى . يأبى أن يكون أحد فى ملكه ظالما أو عابثا بجمال الطبيعة وحكمة الكون — وما جمال الطبيعة وحكمة الكون الا أن تعرف الله من خلال نفسك وتقف مكانك فى تأمل عندما تهب عليك أعاصير الشر وتجمد دونك معارف الخير . وما أحسبك — وقد مضيت فى طريق الخير فى موقفك مستسلما لا رادة الشر فيك ولكنها وقفة المستنشق فى ميدان عبير القوة ورمز الكفاح .



مجاهدو ارتريا

من مقال تحت هذا العنوان نشرته مجلة حضارة الاسلام الدمشقية نقتطف ما يلى :

على الرغم من الحصار الاعلامى الذى تفرضه السلطات الاستعمارية على أخبار الثورة الملتهبة فى ارتيريا ، تسربت أخبار أرتريا الى الخارج بواسطة بعض الصحفيين الذين زاروا أرتريا وشاهدوا بأعينهم الاحداث الرهيبة التى تدور هناك . فهذا الصحفى الايطالى (فرانكو براتكو) يتجول فى معاقل الثوار ويعود ليكتب (نحن الآن وراء حرب مجهولة ، حرب لا يذكرها أحد ولا يكتب عنها شىء فى القارة الأوروبية بالرغم من أنها تشتعل منذ سنوات على أرض أرتريا ، تشكيلات مقاتلة بلغت اليوم نسبة جيش صغير حسن التسليح والتدريب ، يقودون حرب عصابات متواصلة ضد الجيش الاثيوبى ويطالبون تحت راية جبهة التحرير الارتريه بالاستقلال ... وتابعنا سيرنا بين الانقاض المبعثرة فى الرماد . فوجدنا أمامنا رمادا وبقايا قرية (أوهه) كانت أطراف القرية ملأى بالعظام المبعثرة ، عظام الجمال التى حصدتها رشاشات الجنود الاثيوبيين . هنالك جمل أحرق حيا أمام كوخ صاحبه ، ولم تقرب الضباع جثته المتفحمة والملتوية من الألم بشكل مرعب . وهكذا على طول الطريق ، تاوق ، دبوك ، عد شعاربوت ، شيشاى ، كروم ، الخ .. كانت نفسى تتمنى أن أقنع الرجال الذين يرافقوننى بعدم جدوى الاستمرار بهذا الحج الغير مبرور الى أرض لم يعد يوجد فيها ما يفرق بين معالم قرية وأخرى) .

وكتبت مجلة (واشنطن بوست) تقول (بعد خمسة أعوام من المناوشات الصغيرة والكر والفر السريع بدأ الثوار الارتريون فى شمال أثيوبيا يوجهون ضربات عنيفة للقوات الاثيوبية ، اهتزت أمامها الحكومة الامبراطورية الاثيوبية ، ولم تستطع رغم محاولاتها اخفاء حقيقة الوضع) .

وقالت مجلة (كونومست) البريطانية (بينما يقاتل جيش التحرير الارترى ضد القوات الأثيوبية ، يشاهد المسافر من الطائرة مشانق علقت على أغصان الأشجار وقرى حولت الى رماد) .

اسرائيل في ارتريا :

منذ نفذ الاستعمار مخططه باقامة دولة العصابات الصهيونية فى فلسطين العربية المسلمة فتحت الحبشة أبواب ارتريا على مصراعيها لنفوذ الدولة اللقيطة (اسرائيل) . فالشركات الاسرائيلية (انكودى) للحوم و (سيا) للزراعـــة ، و (هارون اخوان) للتجارة وعشرات الشركات الاخرى تسيطر على التجارة فى ارتريا .

ويدرب خبراء اسرائيل فرق الكماندوس الاثيوبية التى تقوم بشـــن حرب الابادة ضد الشعب الارترى المسلم ولا شـــك أن ذلك كلـــه يقع ضمن المخطط الصليبى الصهيونى الذى رسمته الصليبية والاستعمار لمحاربة الإسلام وأهله فى هذه المنطقة .

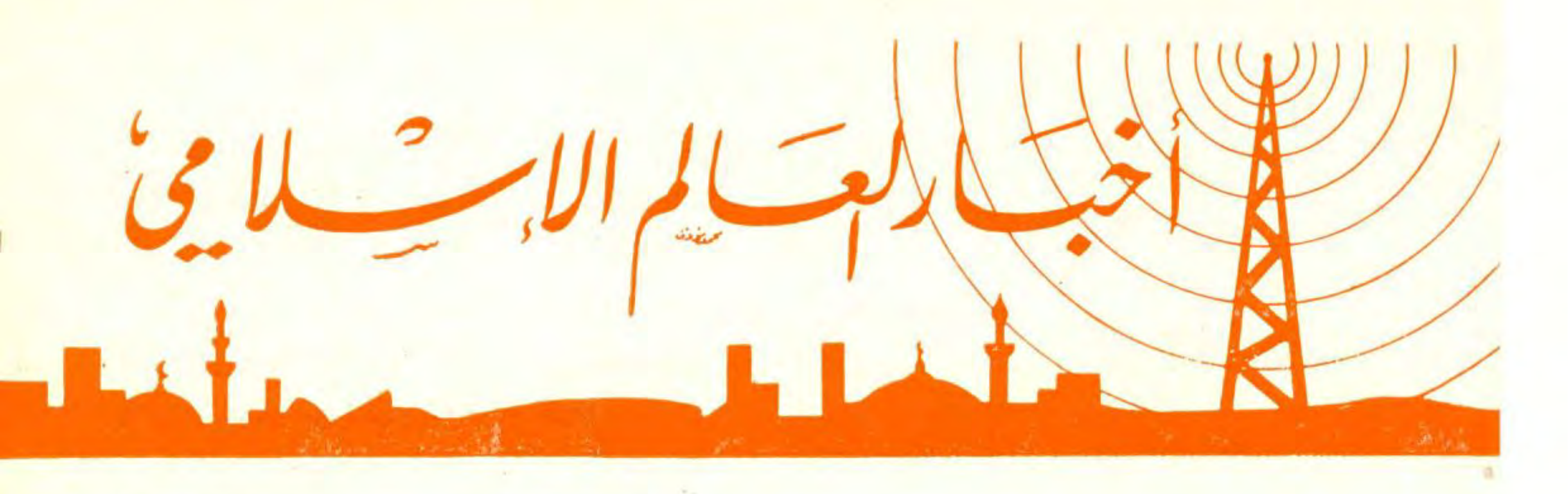
تقول مجلة واشنطن بوست ــ ١٩٦٨/٤/٣٠ (تؤيد اسرائيل الاثيوبيين على المضى فى سياسة القمع لأنها ترى أن المشكلة الارترية والضغوط الأخرى على الامبراطورية هو جزء من معركتها ضد العرب والاسلام .

وتقول مجلة أخبار الولايات المتحدة والتقرير الدولى ــ ١٩٦٧/٦/١٩ (ان انتصار اسرائيل فى الشرق الاوسط قد يخفف على أثيوبيا وبلاد القرن الافريقى الاخرى الاضطرابـــات التى تثيـــرها بعض دول المنطقة ، وكذلـــك يعزز موقف الولايات المتحدة فىشمال شرقى افريقيا وحوض البحر الاحمـــر على الاقل فى الوقت الحاضر) .

نداء واستغاثة :

من كل ذلك يتبين لكم أيها الاخوة المسلمون أن حربا صليبية تشن ضـــد شعب ارتريا المسلم ، وان قوى العدوان تتكاتف ضدنا فى ســـبيل طردنا من ديارنا أو تحويلنا عن ديننا .

اننا نهيب بكم أن تهبوا لنصرتنا وان تقدموا لجهادنا مديد العون المـــادى والأدبى . فالمجاهدون واللاجئون جميعهم فى حاجة ماسة الى العون والمساعدة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه والرسول صلوات الله عليـــه وسلامه يقول (من أعان مجاهدا فقد جاهد) وفقكم الله لكل خير .



أعدها الاستاذ : عبد المعطي يومي

الكويت : وافق مجلس الوزراء الكويتى على تشكيل مجلس أعلى لادارة شـــئون الأيتام كما وافق على التبرع بمبلغ ٣١٫٥٠٠ د. ك الى الهيئات والجمعيات الاسلامية فى مختلف الدول الصديقة لتسهم فى نشر الدين الاسلامى .

* رأس معالى الســـيد عبد الرحمن العتيقى وزير المـــالية والنفط مؤتمر الوحـــدة الاقتصادية للدول العربية الذى انعقد بالقـــاهرة فى أواخر يناير الماضى وقد ساهمت الكويت فيه بمبلغ ٢٣ مليونا من الدنانير .

* عرض وزير الدفاع الفرنسى الذى زار البلاد عقب زيارته للسعودية تسليح فرنسا للجيش العربى الكويتى اذا طلب منها ذلك .

* تقوم الجامعة بالتعاون مع وزارة التربية باجراء دراسات حول انشـــاء كليات جديدة فى الجامعة الى جانب كلياتها الاربع .

* سيزور الكويت خلال الايام القادمة عدد من حكام الامارات العربية فى الخليج تلبية لدعوة سمو أمير البلاد المعظم للبحث فى تطوير المنطقة ومساعدتها من أجل النهوض .

* عقد بالكويت فى يناير الماضى المؤتمر الاقليمى الثانى لجمعيات الهلال والصليب الاحمر وقد حضر المؤتمر وفود ٢٢ هيئة عربية ودولية كما عقد مؤتمر للعلوم الادارية واتخذ توصيات هامة .

* أهابت غرفة تجارة وصناعة الكويت بجميع أعضائها أن يعملوا على زيادة تعاونهم مع فرنسا تقديرا لموقف الرئيس ديجول من القضية العربية .

القـــــاهرة : افتتح الرئيس عبد الناصر مجلس الأمة الجديد كما افتتح فى ٢٥ يناير الماضى مؤتمر نصرة الشعوب العربية الذى حضره ٣٠٠ من كبار المفكرين والسياسيين فى العالم .

* أصدرت المتحدة عملة ذهبية من فئة الخمسة جنيهات بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لنزول القرآن الكريم كما أصدرت طوابع بريدية تذكارية وعملات نقدية مختلفة بهذه المناسبة .

* وافقت وزارة الاوقاف على مشروع مجلس الجامعة بتشـــــييد مسجد كبير داخل المدينة الجامعية لطلاب جامعة القاهرة تلبية لرغبة الطلاب فى اقامة الشعائر الدينية .

* أعلنت مصر الغاء تأشيرة الدخول لرعايا تركيا تشجيعا للسياحة .

* أقيم فى القاهرة فى الشهر الماضى معرض الكتاب العربى وقد نوقشت فيه قضايا الكتاب ووسائل النهوض بنشره .

السعودية : وجهت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة نداء مؤثرا الى مسلمى العالم نبهت فيه الى الانتهاكات الاسرائيلية المتكررة للاماكن المقدسة وتدنيسها على مرأى ومسمع العالم كله .

* أصدر وزير التجارة والصـــــناعة عدة قرارات بمقاطعة بعض الشركات التى تتعاون مع اسرائيل ورفع الحظر عن شركات أخرى عدلت عن تعاونها مع الصهيونية .

* طالبت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة من أمين العاصمة توجيه نداء الى المواطنين لمد يد العون الى الجماعة لتستطيع أداء رسالتها فى تحفيظ القرآن الكريم .

* سمحت السعودية — كما ذكرت الاهرام — لجميع الحجـاج من جمهورية اليمن واليمن الجنوبية بالحج هذا العام .

العراق : احتفلت منظمة فتح الفدائية الفلسطينية بالذكرى الخامسة لتأسيسـها فى الشهر الماضى وقد صرح ثلاثة من زعمائها أن هدفها الرئيسى اقامة دولة يعيش فيها العرب واليهود فى سلام وانها لن تتدخل فى شئون أية دولة أخرى .

* تمت فى الشهر الماضى محاكمة الجواسيس وقد أذيعت المحاكمات علنا وصـدرت أحكام الاعدام بالنسبة لعدد منهم ، والسجن بمدد مختلفة لعدد آخر .

الاردن : تطورت مقاومة الثوار الفلسطينيين للاحتلال الصـهيونى الى درجة متقدمة حيث أسقطوا فى الشهر الماضى — كما نشرت رويتر — طائرة اسرائيلية مقاتلة والمعروف أن العدو لجأ الى سلاح الطيران فى حرب الفدائيين بعد ما فشلت محاولاته السابقة .

* لم يتقدم أحد من سكان مدينة القدس للحصول على الجنسـية الاسرائيلية بالرغم من المغريات التى قدمتها اسرائيل .

لبنان : تألفت وزارة جديدة بعد صعوبات حالت دون تأليفها مدة طويلة .

* طلب فضيلة الشـيخ حسن خالد مفتى لبنان فى اجتماعه مع الرئيس حلو اقرار التجنيد الاجبارى فى البلاد عقب العدوان الاسرائيلى على مطار بيروت .

قطر : افتتح الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى نائب حاكم قطر وولى العهد المؤتمر السـابع والعشرين لضباط مقاطعة اسرائيل .

السودان : صرح الرئيس الازهرى بأن الكتل الحزبية داخل الجمعية التأسيسية تؤمن باسلامية الدستور « وعلى ذلك ننتظر أن توافق الجمعية على اقرار الدستور الاسلامى » .

اليمن : جرت فى بيروت أواخر الشهر الماضى محادثات مشتركة بين الفئات المتصـارعة فى اليمن تهدف الى ابعاد التدخل الخارجى فى اليمن واقامة نظام دينى للامامة على ضوء دراسـات دينية صالحة بعيدا عن النظام السياسى .

ليبيا : انتهت المحادثات التى أجريت مع وزير الدفاع البريطانى — الذى زار البلاد بدعوة من وزير الدفاع الليبى — بالاتفاق على تسليح الجيش الليبى تسليحا قويا .

الجزائر : أعد جدول أعمال من خمس نقاط للمؤتمر الثـالث لوزراء التربية فى دول المغرب العربى المقرر عقده فى ابريل القادم وسيركز المؤتمر على تعليم اللغة العربية ووسائله والتعاون الثقافى والتربوى فى المغرب العربى .

المغرب : قام الرئيس الجزائرى — لأول مرة بعد اسـتقلال الجزائر — بزيارة المغرب لمدة أربعة أيام بدأت فى ٢٢ من شوال الماضى وقد أجرى الرئيس الجزائرى والملك المغربى مباحثات حول تدعيم العلاقات بين البلدين .

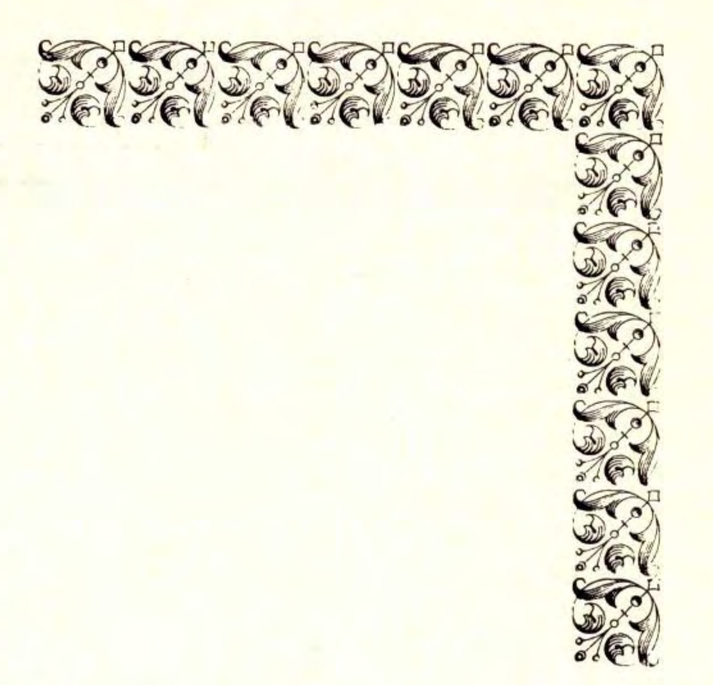
* أعيدت منطقة « أفنى » الواقعة على ساحل افريقيا الشمالى الى المغرب بعد أكثر من قرن من الحكم الاسبانى وكانت المغرب قد تنازلت عنها لاسبانيا عام ١٨٦ م .

الباكستان : طالب وزير الخارجية فى مؤتمر الكومنولث الذى انعقد فى لندن أوائل الشـهر الماضى من دول الكومنولث جميعا العمل لاقناع حكومة الرئيس الاميركى نيكسـون لايجاد حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط .

تركيا : بلغ عدد الحجاج الاتراك هذا العام ٥٠ ألف حاج .

* زار وزير السياحة التركى مصر والكويت فى برنامج لتدعيم العلاقة بين تركيا والدول العربية وأعلن الغاء المكتب السياحى فى اسرائيل .

نيجيريا : ناشد يوثانت أمين عام الامم المتحدة زعماء افريقيا باسم الانسـانية بذل أقصى جهودهم لازالة الآلام الناشئة عن الحرب فى نيجيريا .



فهرس عام للمجلة

في عامها الرابع

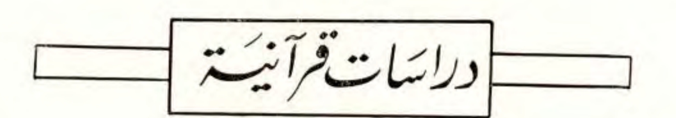
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ - ١٩٦٩م

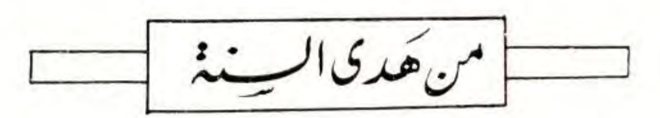
يشتمل على الموضوعات والأعلام

عقيدة

فقه وتشريع واقتصاد

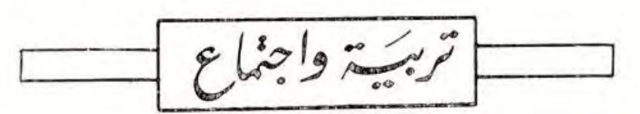
تتمة فقه وتشريع واقتصاد





من هدى السنة

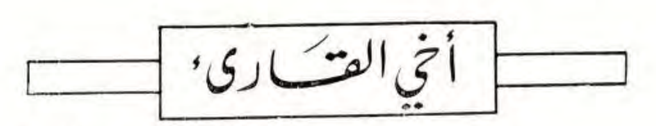
للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد



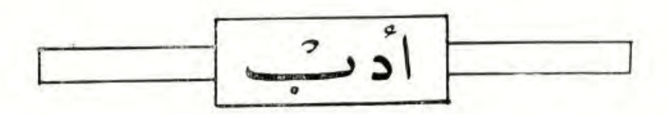
تربية واجتماع

تاريخ وحضارة

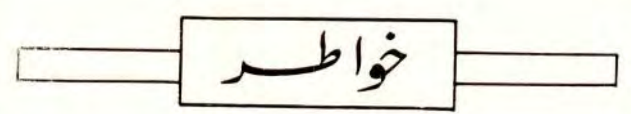
كلمات وأحاديث



لرئيس التحرير الشيخ عبد المنعم النمر



طب وعلوم



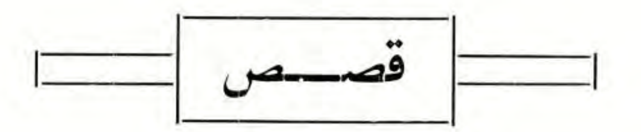
للشيخ عبد المنعم النمر

تتمـــة خواطر

قصائد

كتاب الشهر

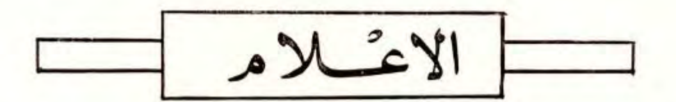
العدد/الصفحة	ناقده	مؤلفه	اسم الكتاب
٧٦/٣٨	الاستاذ عبد الحميد فرحات	الدكتور مونتجمرى وات	الاسلام والحضارة
٧٩/٤٥		الدكتورة اليس ليختندر	الاسلام والحياة العصرية
٨٠/٤٦	الاستاذ أنور الجندى	الاستاذ أحمد حسين	الاسلام ورسوله وتعاليمه
٨٠/٤٣	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	الاستاذ عباس محمود العقاد	تأملات روحية فى العبقريات
٧٨/٤١	الاستاذ عبد المعطى بيومى	الشيخ نديم الجسر	قصة الايمان
٧٥/٤٤	الاستاذ عبد الحليم عويس	الاستاذ محمد جلال كشك	القومية والغزو الفكرى
١٠٩/٣٧	الدكتور محمد غلاب	الاستاذ هنرى لاورس	ميلاد الفرق فى الاسلام
٧٤/٤٧	الاستاذ سعيد زايد	اللواء محمود شيت خطاب	قادة فتح المغرب العربى



قصص

العدد/الصفحة	الكاتب	الموضوع
٨٠/٤٢	الاستاذ محمد لبيب البوهى	أحزان الشيطان
١١٦/٣٧		أسماء
٨١/٣٩	الاستاذ عبد الحميد المشهدى	الاكف الدامية
٨٤/٤٨	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	النبات والحقول
٨٠/٣٨	الاستاذ على أحمد باكثير	حارس البستان
٨١/٤٤		الخاتم
٨٢/٤١	الاستاذ محمد على غريب	ذو الاصابع الثلاثة
٨٣/٤٥	الدكتور نجيب الكيلانى	طريق الحق
٧٤/٤٣	الاستاذ أحمد العنانى	طريق النصر
٨٤/٤٦	الاستاذ يوسف هزاع المقدادى	قد صرت مثل أبى
٨٠/٤٧	الدكتور على شلق	موعد مع الصباح
٨٢/٤٠	الدكتور نجيب الكيلانى	نور الله

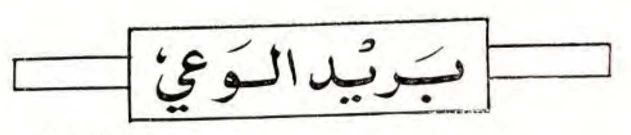
تحقيقات وموضوعات عامة



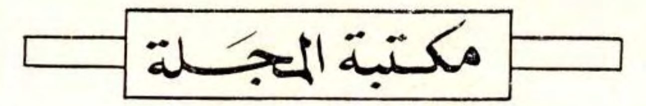
الاعلام

الفتاوى

بأقلام القراء



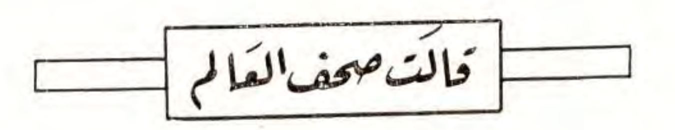
اشراف الشيخ رضوان البيلى



اعداد :
عبد الستار محمد فيض

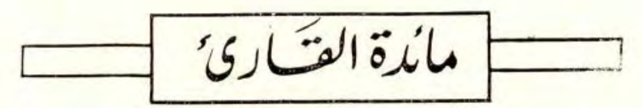
الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن حزم الاندلسى	الدكتور عبد الكريم خليفة	٩٨/٤٥
أخطر من النكسة	الاستاذ محمد جلال كشك	٩٥/٤٠
الاركان الاربعة فى ضوء الكتاب والسنة	السيد أبو الحسن الندوى	١٢٧/٣٧
الاسلام فى وجه الزحف الاحمر	الشيخ محمد الغزالى	٩٥/٤٠
انتشار الاسلام فى القارة الافريقية	المرحوم الدكتور حسن ابراهيم	٩٥/٤٢
تاريخ النظم القانونية	الدكتور محمد سلام زناتى	١٢٧/٣٧
تحفة العروس		٩٤/٣٩
التدخين وسرطان الرئة	الدكتور نبيل صبحى الطويل	٩٨/٤٥
جغرافية الاندلس وأوربا	الدكتور عبد الرحمن على الحجى	٩٥/٣٩
الدين والحياة	الشيخ محمود البرشومى	٩٥/٤٠
ديوان ليل الصب	الاستاذ محمد على حسن	٩٨/٤٥
ديوان الماحى	الاستاذ محمد مصطفى الماحى	٩٥/٤٢
صفارة الانذار	الاستاذ سعد البواردى	٩٥/٣٩
الظاهرة القرآنية	الاستاذ مالك بن نبى	٩٥/٤٠
عبد الرحمن الاوزاعى	الشيخ طه الولى	٩٤/٣٩
الفكر الاسلامى الحديث	الاستاذ محمد المبارك	٩٥/٤٠
قاض القضاه عبد الجبار الهمذانى	الدكتور عبد الكريم عثمان	٩٨/٤٥
القرآن والعلم	الدكتور جمال الدين الفندى	٩٥/٤٠
القومية والغزو الفكرى	الاستاذ محمد جلال كشك	٩٥/٤٠
محمد فى طفولته وصباه	الاستاذ محمد شوكت التونى	٩٥/٤٢
المصطلحات العسكرية فى القرآن	اللواء محمود شيت خطاب	١٢٧/٣٧
المعتدون اليهود	الاستاذ محمد سعيد صبيح	٩٥/٣٩
من تاريخنا	الاستاذ محمد سعيد العامودى	٩٤/٣٩
من روح الاسلام	الدكتور عبد الرحمن البزاز	٩٥/٤٢

تتمة مكتبة المجلة



تتمة قالت صحف العالم

الموضوع		العدد/الصفحة
الحارس اليقظان	مجلة الاعتصام القاهرية	٩٦/٤٧
شعب فلسطين اليوم	صحيفة أخبار اليوم القاهرية	٩٥/٤٥
صحوة	أخبار العالم الاسلامى السعودية	٩٤/٤٠
صندوق لتمويل المعركة	صحيفة الاهرام القاهرية	٩٥/٤٤
طهر بلاد القدس (قصيدة)	صحيفة الحياة البيروتية	٩٣/٣٩
علم على الحرمين ذكرهم (قصيدة)		٩٣/٣٨
قادم من غزة	مجلة اليقظة الكويتية	٩٣/٤٨
قواعد بدء الصيام والالتزام بها	جريدة الاهرام القاهرية	٩٥/٤٦
لماذا نريد الاسلام	مجلة التربية الاسلامية البغدادية	٩٤/٤٣
ليست المسئولية على العرب وحدهم	مجلة دعوة الحق الهندية	٩٣/٤٠
ما هو واجب العلماء	صحيفة الدعوة السعودية	٩٣/٤٢
مجاهدوا أرتيريا	مجلة حضارة الاسلام السورية	٩٣/٤٨
مذكرة كويتية هامة		٩٤/٤٣
مستقبلك بيدك	مجلة الدراسات الاسلامية البيروتية	٩٤/٤٣
المقاومة العربية ومصير اسرائيل	صحيفة الشعب اللبنانية	١٢٥/٣٧
المؤتمر العام للتربية الدينية	صحيفة الاهرام القاهرية	٩٣/٤١
نحن فى حاجة الى تضحية	مجلة رابطة العالم الاسلامى السعودية	٩٥/٤٣



أعدها : أبو نزار

٩٤/٣٧ — ٧٤/٣٨ — ٦٢/٣٩ — ٧٢/٤٠

٧٠/٤١ — ٦٠/٤٢ — ٧٢/٤٣ — ٦٨/٤٤

٧٢/٤٥ — ٧٢/٤٦ — ٦٨/٤٧ — ٧٢/٤٨

الكتاب

الاسم	المقال	العدد	الصفحة
تيسير ظبيان	هل هذا هو الكهف ؟	٤٧	٥٢
تقى الدين الهلالى	أهل الحديث	٣٩	٤٧
جمال الدين الرمادى	جرائم الحـــرب فى الفقه الاسلامى	٣٩	٧٦
حسن عبد المقصود	العروبة وعاء الاسلام	٤٧	٦٣
حسن فتح الباب	الى أخى العربى المجـاهد (قصيدة)	٤٣	٣٨
	القيم الروحية فى فتح مكة	٤٥	٣٤
حمد الجاسر	رحلة الى طيبة (١)	٣٧	٢٦
	رحلة الى طيبة (٢)	٣٨	٦٢
رضوان رجب البيلى	مائدة القارىء	جميع الاعداد	
	بريد الوعى		
	بأقلام القراء		
	قالت الصحف		
زكريا البرى	الفقه الاسلامى فى ماضـيه وحاضره (١)	٤٠	٣٦
	الفقه الاسلامى فى ماضـيه وحاضر (٢)	٤٢	٢٤
	الفقه الاسلامى فى ماضـيه وحاضره (٣)	٤٤	٣٤
زكريا هاشم زكريا	من هدى الرسول فى رمضان	٤٥	٦٦
زكى محمد غيث	صقلية تحت حكم المسلمين(٤)	٣٧	٤١
	صقلية تحت حكم المسلمين(٥)	٤١	٧٢
	الجامع الازهر	٤٧	٣٤
سعد توفيق حمدى	الخليل بن أحمد	٤٢	٦٩
سعيد زايد	قادة فتح المغرب العربى	٤٧	٧٤
سعيد الأفغانى	خاطرة من سيرة الامام على	٣٧	٥٥
	خواطر عن الشيخ محمد عبده	٤٦	٤٠
سليم طه التكريتى	أوربا ترسل بعثـــاتها الى الاندلس	٣٧	٩٠
	الحكومة الاسلامية	٤٧	٤٢
صبحى الصالح	ملحمة الهجرة	٣٧	٢٢

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ صب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ صب ٢٢
جـــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ صب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ صب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبـه بحـرى ص.ب ٥

مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



« الصورة الخارجية الفخمة لبناء المسعى الجديد »

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت